

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت الهجرة

تخطيا للعقبات وتخطيطا للنصر

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر

هؤلاء أهل مكة يتوعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتواعدون على الغدر به، دبروا أمرهم بليل، وأجمعوا على أن يتفرق دمه في القبائل، فلا يثأر له قومه، إذ لا طاقة لهم بحرب كل قريش.

عقبات ومطاردات من رعيل استبدت به الوثنية، درجوا على الجهالة والعصبية، وفشت بينهم الأنانية، وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، لا تلين لفكر أو تبصر.

الجزء الأول السنة السابعة والخمسون

● المحرم ١٤٠٥ هجرية ●
● أكتوبر ١٩٨٤ ميلادية ●

كانت الهجرة تخطيا للعقبات

استبدت بهم الأهواء، وتنازعتهم الموبقات، فانغلقت أفئدتهم على الظلام، فلم تتفتح مغاليقها لنور الايمان الذى انبعث، يذكرهم بأيام الله، وحكمه وفضله وأنعمه عليهم، ولكنهم أصموا آذانهم واستكبروا استكبارا، وقالوا من أشد منا قــوة وغاب عنهم أن الله الذى خلقهم أقوى وأعز .

تلك عقبات وصد عن سبيل الله قامت فى سبيل ابلاغ الرســالة واستشرت بأساليبها فى الكيد والصــد والايذاء، لكن الرسول لم ييأس حين صد عنه قومه وآذوه فيمن اتبعه، فعذبوهم، واضطروهم الى شعاب مكة، والى الهجــرة الى الحبشة، فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا ولكن صبروا وصابروا فقد اطمأنت قلوبهم بالايمان، فما أحسوا وجعا من ايذاء، وما ابتأسوا من حرمان بل كان شعارهم عند الشــدائد « **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** » فأحســنوا الثقة بالله والاقبال على ما عنده .

وعندما اســتبد بأولئك القوم ضــلالهم، وأحكموا تدبيرهم كان أمر الله لرسوله بالهجرة الى القوم الذين آمنوا به، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكـة فأمر بالهجرة الى المدينة وانزل الله عليه (**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا**) .

لقــد كان النبى ﷺ يعلم أنه لا طاقة له بهذا الأمر الا بســلطان، فســأل الله ــ كما علمه ــ سلطانا نصيرا فأعطاه اياه .

وكانت المدينة هى المدخل الصدق لرســول الله، أيــده الله فيهــا بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة، ووحد كلمتهم بعد الفرقة، وجعلهم أمناء على الوحى الكريم، يبلغونه للناس، فكانوا أوفياء لدينهم، أمناء عــلى أحكامه، قائمين بالعدل الذى ارتضاه الله حكما بين الناس .

كانت الهجرة تحولا بالدعوة من أرض أجدبت الى أرض أخصبت وأثمــرت وأفرخت ، ولم تكن الهجرة فكرة عابرة، وانما ــ ومن حين أمر بها ــ فكر لهــا رسول الله وقدر، فهى هجرة الى النصر، وللنصر عدته وعتاده وسره وأســراره، ولا بد للوصول الى النصر من تخطيط وتنفيذ، وبهذا لم تكن الهجــرة مغــامرة ومقامرة أو مخاطرة ، ولكنها فى التخطيط البشرى مرتبة، وبعون اللــه وبعنايته محفوظة وميسرة .

أطلع الله نبيه على كيد أعدائه ، وعلى أنهم قد دبروا أمرا ادا ، فهؤلاء فتية قد أعدوهم وأمدوهم ، وقفوا على باب دار الرسول مجمعين أمرهم على قتله ، انصياعا لرغبة كبرائهم ، فكانت الخطة أن يظلوا على غيهم ، مطمئنين الى أن أسيرهم أو قتيلهم بين أيديهم وتحت أعينهم وبايمانهم .

وكان التخطيط الذي أفسد الله به خطتهم ، فأعمى أبصارهم ، كما عميت قلوبهم ، حيث أقدم على بن أبي طالب على المبيت في فراش الرسول تحت أبصارهم ، حتى يلهوا به عن متابعة الرسول عند خروجه بادئا رحلته التي أمره الله بها ، وخرج على القوم والسيوف مشرعة ولكن عناية الله ونصره وعصمته لرسوله كانت تحوطه وترعاه(فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) .

كان الخروج من دار الرسول الى غار ثور ، تحرسه عناية من الله ورحمة من أولئك الذين فجئوا بخروجه من داره سالما ، وهم له رصد ، فهرولوا متوعدين ، باذلين الجوائز لمن يلحق به ، يطلبونه بأى ثمن ، والرسول يتابع تنفيذ خطة الهجرة ، ويبوء أعداؤه بالخسران المبين .

ها هو ذا على في مرقده حفيظ على ما ائتمن عليه من سر ، مؤد لما كان في دار الرسول من أمانات الى أهلها ، غير ناكث ولا خائن للامانة ، وها هو ذا صاحبه وأول الرجال اسلاما ــ أبو بكر ــ يرافقه في هجرته لم يقعده مال ولا ولد ، بل ان ولديه عبد الله وأسماء كان لهما في خطة الهجرة دور أى دور ، ينبغى أن نعلمه لأولادنا ، ونتدارسه معهم ، ليكونوا على ذكر به حين يكلفون بمهام ذات خطر لحماية الدين والوطن .

فماذا كانت مهمة عبد الله بن أبي بكر في الخطة ؟ وكيف أداها بايمان وحرص واخلاص ؟ لم يفصح بلسانه ولا بفعاله عما وقر في قلبه من أسرار بالرغم من رؤيته لفرسان قريش مقبلين ومدبرين فكانت مهمته أن يجمع أنباء تحركات القوم ومكرهم وعبثهم ويفد بها على رسول الله وصاحبه ، حتى يكونا على علم بما يبيت لهما من مكر وسوء تدبير .

وماذا كانت مهمة عامر بن فهيرة الذي كان يرعى غنم أبي بكر حتى اذا جن الليل ، وهدأ السير ، واحتجبت القوم ببيوتهم ومغانيهم وربما بغضاؤهم ، وانحسرت أصواتهم عن بطحاء مكة وشعابها حتى اذا كان ذلك آب عامر بغنمه على رسول الله وصاحبه في غار ثور فاحتلب لهما وذبح لطعامهما ، ثم ادبر بهما

كانت الهجرة تخطيا للعقبات

فاذهب بمسيرها آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر حتى لا يستدل القوم على مسيرته ، فيسترشدون بها الى مقر الرسول وصاحبه .

وها هى أسماء بنت أبى بكر تأتيهما كل يوم من الطعام اذا أمست بما يصلحهما — حتى اذا مضت الليالى الثلاث أتتهما بسفرتهما وحين أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر .

ثم ذلك الذى قاد الرحلة — عبد الله بن أريقط — وهو بعد لم يدخل فى الاسلام ، وكيف أخفى فى صدره نبأها وتخطيطها .

لقد أوسعت كتب السيرة من صحفها لأنباء الهجرة ومسيرتها ، وعلينا نحن أن نستفيد ونستخلص من أحداثها الدروس التى تفيدنا فى حاضرنا الذى تعثرت خطواته وتوالت علينا — والعياذ بالله — ظلماته ، ولا نجاة لنا الا بالعودة الى قرآن ربنا ففيه الهدى والرشاد ، والى سنة رسولنا ﷺ ففيها كل ما يصلح أحوالنا الى يوم التناد .

خذوا أيها المسلمون من هجرة الرسول ﷺ الصبر والمصابرة والمثابرة حتى تصلوا الى نتائج ما خططتم من اصلاح تبتغون به صلاح أمتكم ، ولا تهنوا ، ولا تتعجلوا ثمرا لما لم تزرعوا شجره .

خذوا من الهجرة درسا فى تحديد أدوائكم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فما كانت الهجرة مجرد ارتحال من بلد الى آخر ، وانما مواجهة مدروسة ذات خط وخطط وأهداف محددة ، نجحت ووصلت الى غايتها بالاعداد والاستعداد .
اشترك فيها الرجال والصبيان والبنات ، وحمل كل مسئولية دوره ، فما أرجفوا بقول ، وما أفصحوا باشارة ، وما رضخوا لتهديد أو وعيد ، بالرغم من حداثة أعمار أكثر المشتركين فى الخطة وتعرضهم لمحن الاختبار من أعداء الرسول ، ولكن هذه المحن كانت جلاء لأنفسهم ، وتثبيتا لايمانهم ومضاء لعزائمهم ، فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين .
أيها المسلمون : هذه ذكرى الهجرة فهل لنا أن نخطط ، كما خطط رسول الله فنهاجر الى ما هو خير ؟ ، أليست الفرقة والمنازعات التى عمت الوطن الاسلامى منكرا يجب هجره ؟ أليست الحروب المستمرة هنا وهناك بين المسلمين ، وضد

المسلمين أمرا منهيا عنه يجب على أولى الأمر فى الأمة هجره بالعمل على وقفها حقنا لدماء المسلمين وصونا لأموالهم ؟ .

أليست الظروف الاقتصادية التى تمر بالمسلمين فى كل مكان من أرض الاسلام داعية لأن نخطط للتغلب عليها ، لا بالاستدانه والقروض ، وانما بالاستغناء بعض الوقت عما ليس من ضرورات الحياة .

ان الهجرة النبوية أقامت مجتمعا رشيدا أشاع العدل وواجه الشرور بالحسم والحزم ، مجتمعا قام على الدين واستمسك به ، فعز شأنه وعلا قدره . اذ الأمة اذا ضعف فيها الدين اختل بناؤها الاجتماعي ذلك أن الدين هو استقامة الخلق والآداب والسلوك .

فى ذكرى الهجرة التى مجدها الله فى القرآن أهنىء المسلمين بدخول عام هجرى جديد .

أسأل الله أن يجعل هلاله ضوء هداية للامة ، فتجتمع كلمتها وتتوحد صفوفها .

تهنئة لشعوب الأمة الاسلامية عامة ولملوكها ورؤسائها وسائر قادتها ، مذكرا لهم بمسئوليتهم أمام الله وفى سجل التاريخ عما آلت اليه الحال مما يضيق به المقال .

اللهم ان الملأ يأتمرون بهذه الأمة ، وهى حافظة لكتابك ، متابعة لرسولك وسنته ، فاحفظ عليها دينها واهدها الى رشدها ، واربط على قلوب شعوبها برباطك حتى يكونوا مسلمين عاملين بكتابك ، وانزع البغضاء والأحقاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حتى يفيئوا الى أمرك وينزلوا عند قولك :

« الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » .

فتول عنهم فما أنت بملوم

نعم ، يا رسول الله ، وخير خلق الله .

لست ملوما ادنى ملامة ، فما قصرت فى واجب ، ولا تهاونت فى بلاغ ، ولا ركنت الى حقك فى كتمان ، بل اندفعت محبا فى التبليغ شغوفا بهداية قومك اجمعين ، وضرعت الى ربك بها :

« اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

لكنهم كانوا ضالين مضلين ،وان تحرص على هداهم فــان الله لا يهدى من يضل .

ثم انك ــ سيدى ــ يارسول الله ــ لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

وكيف يهدى الله قوما لا يرجــون لقاءه ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمــأنوا بها .

وها هم ، ما منهم أحد يستطيع أن ينكر بلاغك ، أو يدعى جهلا بشىء من عقيدتك ، وقد بذلوا جهــدهم فى رَدّ دعوتك بسفــطة القول ، والتــلاعب باللفظ ، وما دروا أنهم بذلك قد أقاموا الحجة على أنفسهم مقتا لها ولمقت الله لهم اكبر .

فاعرض ــ سيدى يارسول الله ــ عن هؤلاء المشركين وول وجهك عن هــذا البلد الحرام حتى يقضى الله أمره .

انها الهجرة ــ اذا ــ يارســـول الله .

فاهجرهم ــ سيدى يارســول الله ،فليست الدعوة لهم وحــدهم ، ولا هى وقف عليهم ، انها للناس كافة ، وينبغى أن تشق طريقها اليهم كافة فلا يمنعهــا المستكبرون عن المستضعفين ليظلوا تحت نيرهم مستضعفين فينهموا لحــومهم ويكــرعوا دمــاءهم ويلقــوا بهم الى الجحيم .

شــهد الله الا لــوم عليك ، ولاتقصير إديك فقد أتممت البلاغ :

« فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ » .

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .

لقد رفض مشركو قريش أن يقروا الله بالوحدانية ، ثم ذهبــوا الى أبعــد ما يتصوره الشيطان من ألوان التحدي ، فقالوا :

« اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (١) .

ولو كانوا منصفين لقالوا :

اللهم ان كان هــذا هو الحــق من عنــدك فاهدنا اليه ، ووفقنا اليه واجعلنا مؤمنين .

هكذا ضلوا وصدوا عن سبيل الله ، ولجوا معاندين وويل أمة عزل أفرادهــا من علمائها ، واســتيأس علمــاؤها من صلاحها .

وماذا تفعل ــ يارسول الله ــ فى قوم لو أصعدهم ربك واحدا بعد الآخر الى السموات فطرقوها وشــــهدوا من جليل خلق الله مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر لقالوا : سحرنا محمد لتخضع له فيفعــل بنــا ما يريد .

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ » .

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » (٢) .

فأعرض عنهم ، صلوات الله وسلامه عليك ، ســيدى يارســــول الله انهم يريدون مالا يخطر لأحد من الناس على بال .

يريد كــل منهم كتــابا يخصــه وحده ...

يريد كل منهم أن يكون رســـولا .

« بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً » (٣)

وربك ــ وحده ــ أعلم حيث يجعل رسالته فتول عنهم فما أنت بملوم ، وانشر دعوتك فى الآفاق وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

فالى المدينة يا خير داع

مع صلوات الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته .

د/علي أحمد الخطيب

(١) الانفال ٣٢ .
(٢) الحجر ١٤ ــ ١٥ .
(٣) المدثر ٥٢ .

من مشاهد العظمة

في طريق الهجرة

من آن لآخر يحتاج الانسان الى النظر فى الماضى لياخذ من دروس التاريخ ما عساه يعينه على تفادى الأخطاء ، ويحفزه على فعل المعالى .

وما اعرف أن امة لها مثل تاريخ أمة الاسلام التى استطعت برجالها الى مستوى الانسان الحق القائم بمهمة الخلافة .

والحقيقة أننى كلما نظرت الى تاريخ سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أخذتنى نشوة فخر واعتزاز تدفعنى لأن أقول للعالمين ــ كل العالمين ــ :

« أولئك آبائى فجئنى بمثلهم !! » .

ولا يفيقنى من هذه النشوة سوى ذلك الفصام النكد بين هذا الواقع المر المخجل وبين ذلك التاريخ الحلو الرفيع ، وعندئذ أتذكر قول الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن الكواكبى رحمه الله :

« لقد مل آباؤكم من اطرائهم ، ولقد سمعتهم بالأمس يقولون : انكم ان كنتم تفخرون بنا ، فاننا لا نفخر بكم ، لأن المعالقة لا تلد أقزاما » .

حقا !! ان العمالقة لا تلد أقزاما ..

اننا ــ قبل أن نتفاخر بهم ــ محتاجون للتعلم منهم ، والتأسى بهم .

ان صفحة واحدة من صحائف تاريخهم البيضاء لتعطينا دروسا بليغة فى بناء المجد ومقومات العزة .

وان هذا البناء السامق الفريد الذى شيده الرسول ﷺ وأصحابه فى بضع سنوات ، وان هذه الحضارة التى أقامها أتباعهم ، ان هذا كله لهو نتيجة جهد مخلص دءوب ، وان من ورائه لرجالا ذوى عزائم ماضية وايمان متين ، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم .

لم يكن هذا البناء « حتمية مادية » اقتضتها طبيعة الواقع وضرورة التطور ، كما يحلو لبعض أن يفهمه وأن يفهمنا اياه ..

ولكنه كان جهد رجال اشتروا الآخرة بالدنيا ، وما هو أبقى بما هو فان ، رجال ــ ونساء ــ باعوا لله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فربحت تجارتهم ، رجال صدقوا الله ما وعدوه ، فحملوا الرسالة عن رضا ويقين ، وجابهوا قوى الباطل المتكاثرة فما ضعفوا وما استكانوا ، فأبى الله الا أن يجعلهم



للأستاذ عبد الرحمن عبد الحميد البر

الأولون وأن يمكن لهم في الأرض وأن يجعلهم للأجيال منارا وهدى يضيء الدرب للسالكين ويوضح الطريق للسائرين .

وقد آن لنا — بعد طول ضياع وتيه — أن ننظر في آثارهم مستبصرين ، وأن نسير على نهجهم مقتدين .

فتعالوا بنا ننظر الى صفحة من صفحات جهادهم وقف عندها التاريخ مندهشا متعجبا ، وهي صفحة الهجرة ، وحسبنا أن ننقل منها بضعة مشاهد كما هي — بلا تزويق ولا ترويق — ، وليحاول كل منا أن يأخذ الدرس والعبرة ، وأن يقارن الماضي بالحاضر وأن يحدد موقفه من حركة التاريخ كما حددها من قبل هؤلاء العظام الذين رووا شجرة الايمان بدمائهم ورعوها بمهجهم ، حتى رسخت فأثمرت وأينعت وآتت أكلها باذن ربها ، حضارة مؤمنة عاقلة دان لها الأولون والآخرون بالفضل ، عسى أن نترسم الخطا ونقتفي الأثر لنبلغ المنى الذي بلغوا ونقود حركة الحضارة كما قادوا .

هجرة صهيب بن سنان :

أول ما يطالعنا في هذه الصفحة : موقف صهيب بن سنان الرومي . الذي تتجلى فيه روعة الايمان وبهاؤه ، والذي عبر عنه هوية أولئك النفر من الصحب الكرام . وسيظل هذا الموقف شجى في حلوق أولئك الماديين الذين يزنون حركات التاريخ كلها بميزان المادة ، ويعتبرون الهجرة مجرد سعي الى وضع اقتصادي أحسن من ذي قبل ، وضرورة اقتضتها طبيعة المواجهة بين الغنى والفقر .

فقد كان صهيب روميا ، قدم الى مكة غلاما ، وعمل بصناعة السيوف ، فلما بعث رسول الله ﷺ كان صهيب من السابقين الى الاسلام .

ولما فرض الله الهجرة الى المدينة ضحى صهيب بكل ما يملك في سبيل اللحوق بكتيبة الايمان والانحياز الى الصف المسلم ، داخلا مع الله في تجارة لن تبور . فعنه — رضي الله عنه قال : —

قال رسول الله ﷺ « أريت دار هجرتكم ، سبخة بين ظهراني حرتين فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال :

« وخرج رسول الله ﷺ الى المدينة وخرج

---

١ — رواه البيهقي (ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » ج ٣ ص ١٧٣ ط ثالثة . مكتبة المعارف بيروت) — وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » ط ١٩٧٢ . دار الكتاب/بيروت . ج ٦ ص ٦٠ « رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم »

— ورواه أبو نعيم الأصبهاني في « حلية الأولياء » ط ثانية ١٣٧٨ هـ . دار الكتاب العربي بيروت/ ج ١ ص ١٥٢

— ورواه الحاكم في « المستدرك على الصحيحين » ط ١٣٩٨ هـ . دار الفكر/بيروت . ج٣ ص ٤٠٠ وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه على ذلك الذهبي في الذيل فقال « صحيح » .

معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج ، فصدني فتيان من قريش ، فجعلت ليلتي تلك أقوم ولا أقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه — ولم أكن شاكيا — فناموا ، فخرجت ، ولحقني منهم ناس بعد ما سرت بريدا ليردوني ، فقلت لهم : ان أعطيتكم أواقي من ذهب وتخلو سبيلي وتوفون لي ؟ ففعلوا ، فتبعتهم الى مكة ، فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أواقي ، واذهبوا الى فلانة فخذوا الحلتين .

وخرجت ، حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآني قال « يا أبا يحيى : ربح البيع » .

فقلت : يا رسول الله : ما سبقني اليك أحد ، وما أخبرك الا جبرائيل عليه السلام ، وروى الحاكم عن عكرمة قال :

« لما خرج صهيب مهاجرا تبعه أهل مكة ، فنثل كنانته ، فأخرج منها أربعين سهما فقال : لا تصلون الى حتى أضع في كل رجل منكم سهما ، ثم أصير بعد الى السيف ، فتعلمون أني رجل . وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم .

وروى أنس بن مالك نحوه : قال :

« ونزلت على النبي ﷺ

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ .

الآية . فلما رآه النبي ﷺ قال « أبا يحيى : ربح البيع » قال : وتلا عليه الآية » (٢) .

لكأني بصهيب رضوان الله عليه يضع الدليل القاطع على فساد عقل أصحاب التفسير المادي للتاريخ .. فأين هي المادة التي سيكسبها صهيب في هجرته والتي ضحى من أجلها بكل ما يملك ؟! هل تراه ينتظر أن يعطيه محمد ﷺ منصبا يعوضه عما فقده ، أو هل ترى محمدا يمنيه بالعيش الفاخر في جوار أهل يثرب ؟! .

اللهم انا نشهدك — ولا نزكي عليك الا ما زكيت — أن صهيبا ما فعل ذلك وما انحاز الى الفئة المؤمنة الا ابتغاء مرضاتك ، بالغا ما بلغ الثمن ، ليضرب لشباب الاسلام في التضحية مثلا عزيز المنال ، فهاهم يسيرون على الدرب ويقتفون الأثر .

هجرة آل أبي سلمة :

وهذا مشهد آخر يفوق المشهد السابق عظمة وجلالا ، انها أسرة مؤمنة باعت نفسها لله ،

---

٢ — رواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٣٩٨ .
وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .. واللفظ للحاكم .
— وهو في منتخب كنز العمال . بهامش مسند أحمد ط دار الفكر العربي ج ١ ص ٤٢٢ مع اختلاف يسير
— ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » ط دار التحرير للطباعة والنشر . ج ٣ ص ٦٢ .
— وأبو نعيم في الحلية ج١ ص١٥١ — وابن كثير في التفسير ط حلبي ج١ ص ٢٤٧
— وأخرج ابن مردويه نحوه من وجه آخر عن أبي عثمان النهدي (انظر ابن كثير في التفسير ٢٤٧/١)
— ومن طريق أبي عثمان النهدي أخرجه ابن هشام في السيرة ط محمد علي صبيح بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج٢ ص ٣٢٩ . وعنه نقل ابن كثير في البداية ج٣ ص ١٧٣ .

تتكون الأسرة من أب وأم وطفل ، أصابهم فى الهجرة ما أصابهم ، فتحطوا صابرين ، وهاجروا مؤمنين ، وجاهدوا صابرين :

انها أسرة تعطى القدوة وتضرب المثل لكل أسرة رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا .

وتعالوا بنا نسمع القصة على لسان أصحابها :

روى ابن اسحاق عن أم سلمة رضى الله عنها قالت :

« لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لى بعيره ، ثم حملنى عليه وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ثم خرج بى يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ــ (رهط أم سلمة) ــ قاموا اليه فقالوا :

هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟!

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه .

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد ــ رهط أبى سلمة ــ فقالوا :

لا والله : لانترك ابننا عندها ، اذ نزعتموها من صاحبنا .

قالت : فتجاذبوا بنى سلمة بينهم ، حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة .

قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى .

قالت : فكنت أخرج كل غداة ، فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنة أو قريبا منها !! ، حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى ، فرحمنى **فقال لبنى المغيرة :** ألا تخرجون هذه المسكينة . فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها .

قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك ان شئت.

قالت : ورد بنو عبد الأسد الى عند ذلك ابنى .

قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى ، فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة .

قالت : وما معى أحد من خلق الله .

قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ، حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار ، **فقال :** الى أين يابنت أبى أمية ؟

قالت : فقلت : أريد زوجى بالمدينة . **قال :** أو ما معك أحد ؟

قالت : فقلت : لا والله الا الله وبنى هذا .

قال : والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان اذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى اذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجرة ، ثم تنحى عنى الى شجرة فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى ، فقدمه ، فرحله ، ثم استأخر عنى وقال اركبى ، فاذا ركبت واستويت على بعيرى أتى ، فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى

المدينة ، فلما نظر الى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية ، فادخليها على بركة الله • ثم انصرف راجعا الى مكة »•

فكانت أم سلمة تقول :

« والله ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة »(٣)

كان عثمان بن طلحة مازال مشركا ولم يسلم الا بعد الحديبية •

أرأيتم أثر الايمان حين يمتزج باليقين فيجرى فى الدماء وتخالط بشاشته القلوب !! أسرة تفرقت !! امرأة تبكى سنة أو قريبا منها !! طفل خلعت يده وحرم من أمه فهو يئن صباح مساء !! ومع ذلك استمسكوا بالايمان ومضوا على المضى فى طريقه !

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ !! »

هجرة ضمرة بن جندب :

وهذا مشهد آخر ، يرينا ما كان عليه الصحب رضوان الله عليهم من سرعة فى امتثال الأمر ، كائنة ما كانت ظروفهم •

فقد فرض الله الهجرة على المؤمنين ، بحيث ان « كل من أقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من اقامة الدين فهو ظالم مرتكب حراما بالاجماع ••• » (٤)•

ومع أن الله أعفى من هذا الفرض المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا • مع ذلك فقد كان ضمرة بن جندب مريضا ، لكنه أراد أن يلحق بركب التوحيد الى أرض الايمان ، فطلب من أهله أن يحملوه الى رسول الله ﷺ فمات فى الطريق فوقع أجره على الله • وفى هذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما :

« خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا • فقال لأهله : احملونى ، فأخرجونى من أرض المشركين الى رسول الله ﷺ ، فمات فى الطريق قبل أن يصل الى النبى ﷺ فنزل الوحى

« وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٥) •

لقد رأى الرجل أنه موسر ، واذا فهو يستطيع الحيلة ، والآية انما أعذرت من لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا •

---

٣ ــ سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٢٢ ــ ٣٢٣ • ومنه نقل ابن كثير فى البداية ج٣ ص ١٦٩ ــ ١٧٠ وابن حجر فى « الاصابة فى تمييز الصحابة » ج١٢ ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ط مكتبة الكليات الازهرية١٣٩٦ بتحقيق د• طه محمد الزينى •ونقل غيرهما من أصحاب السير •

٤ ــ تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٤٢ •

٥ ــ قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » ج٧ ص ١٠ « رواه أبو يعلى ورواته ثقات » •

ــ ورواه ابن أبى حاتم مختصرا (انظر تفسير ابن كثير ١/٥٤٣) • كما ذكر ابن كثير فى المكان نفسه عن سعيد بن جبير من طريق ابن أبى حاتم أن الآية نزلت فى ضمرة بن العيص الزرقى الذى كان مصاب البصر •

انه احساس أملاه الايمان ، وفقه زكاه اليقين .

هجرة أم أيمن :

أما أم أيمن ، بركة — حاضنة رسول الله ﷺ وزوج حبه : زيد بن حارثة — فقد كان موقفها في الهجرة عميق الدلالة على مضاء العزيمة ، وقوة الارادة ، وعظمة الايمان ، فلقد قطعت رضي الله عنها رحلة الهجرة وهى تناهز الخمسمائة كيلو متر أو تزيد — على قدميها ، صائمة ، متحملة قيظ البيداء المتوهج ، حتى كادت تموت عطشا ، فسقاها الله عز وجل شربة ماظمئت بعدها في يوم شديد الحر أبدا .

روى أبو نعيم عن عثمان بن القاسم قال :

« خرجت أم أيمن مهاجرة الى رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ، وهى ماشية ليس معها زاد ، وهى صائمة في يوم شديد الحر ، فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش .

قال : وهى بالروحاء — أو قريبا منها — فلما غابت الشمس قالت : اذا أنا بدلو مدلى برشاء أبيض .

قالت : فدنا منى ، حتى اذا كنت بحيث أستمكن منه تناولته ، فشربت منه حتى رويت .

قالت : « فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش ، وما عطشت بعدها » (٦) .

موقف أسماء بنت أبى بكر :

ولست أقصد هنا موقفها من ساكنى الغار ، حين شقت نطاقها نصفين ، انتطقت بنصف وربطت الزاد بالآخر ، بل ان لها موقفا عظيما يدلك على شجاعة المؤمن وقوته واستهانته بالصعاب وتحمله للشدائد . كما أن لها موقفا آخر يدل على فطنة المؤمن وذكائه وحنكته .

أما الموقف الأول فترويه رضى الله عنها لنا فتقول :

« لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ابن هشام ، فوقفوا على أبى بكر ، فخرجت اليهم .

فقالوا : اين أبوك يابنت أبى بكر ؟!

قالت : قلت : لاأدرى والله اين أبى !

قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى .

قالت : ثم انصرفوا .. الخ » (٧) .

لقد صدقت أسماء فيما قالته ، فهى — حقا — لم تكن تعرف أين رحل أبوها وصاحبه بعد خروجهما من غار ثور ، ولكنها — دون أن تكذب — كتمت أمر مكثهما في الغار أياما ثلاثة، متحملة نصيبها من فحش الخبيث أبى جهل .

وانى لأراها تمسح عن وجهها أثر اللطمة النجسة ، وقلبها من أعماقه يفيض سخرية من هذا الباطل المتهافت ، وضحكا على هؤلاء

٦ — أبو نعيم في الحلية ج٢ ص ٦٧

٧ — السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٢٣٧ . وعنه نقل ابن كثير في البداية ج٣ ص ١٧٩ .

الصناديد الفارغين ، فقد انتصرت عليهم الصغيرة بذكائها .

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم

أما الموقف الثانى الذى يشع فطنة وذكاء وحسن تدبير فتحكيه لنا أيضا فتقول : « لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت : وانطلق بها معه .

قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره ، فقال والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : كلا يا أبت . انه ترك لنا خيرا كثيرا .

قالت : فأخذت أحجارا ، فتركتها ، فوضعتها فى كوة فى البيت ، كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده ، فقلت : ياأبت ، ضع يدك على هذا المال .

قالت : فوضع يده عليه

فقال : لا بأس ، ان كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا لكم بلاغ .

قالت : لا والله ما ترك لنا شيئا ولكنى قد أردت أن أسكن الشيخ بذلك » (٨) .

وبهذه الفطنة والحكمة سكنت الفتاة قلب الشيخ العجوز الضرير ، كما سترت أباها دون أن تكذب فان أباها قد ترك لهم ــ حقا ــ هذه الأحجار التى كومتها وطمأنت بها نفس الشيخ !!

وظلت أسماء مع اخوتها فى مكة حتى بعث النبى ﷺ زيد بن حارثة وأبارافع مولاه ، فاحتملا آل رسول الله ﷺ وآل أبى بكر الى المدينة

وبعد :

فهذا غيض من فيض من مشاهد العظمة فى طريق الهجرة التى لا تنقضى عبرها ولا تنتهى دلالاتها ، وحسبنا أن نتأمل هذه المشاهد ، وأن نأخذ منها العبرة والزاد ، عسى أن يتمثل شباب الاسلام هذه النماذج وأن يسترشدوا بها ولعل الله أن يرزقهم مضاء العزيمة وقوة الارادة وحب التضحية وانكار الذات ، ليرتفع شأن الدعوة ولتعلو راية الاسلام خفاقة على اقطار البسيطة فى يوم يفرح فيه المؤمنون بنصر الله ، عسى أن يكون قريبا .

والله اسأل ان يجمع امة الاسلام على كلمة سواء ، وأن يرزقنا الصدق والاخلاص فى القول والعمل . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر

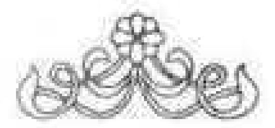
---

٨ ــ رواه احمد فى المسند من طريق ابن اسحاق ج٦ ص ٣٥٠ .
وابن اسحاق فى السيرة ج٢ ص ٣٢٨ . وعنه نقل ابن كثير فى البداية ج٣ ص ١٧٩ وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » ج٦ ص ٥٩ « رواه احمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحق وقد صرح بالسماع .

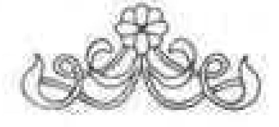
دراسات في القرآن

من الاعجاز العلمى فى القرآن

أكثر الناس فى القرآن الكريم



من نفحات السنة المباركة



قاعدة الشورى والقيادة الحربية

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

من الإعجاز العلمي في القرآن

قال تعالى في سورة النور :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ... » .

من الآية ٤١ .

وقال في سورة النور أيضا :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ .. » .

الآية ٤٣ .

البيان

لم يكن احد قبل نزول القرآن يعلم ان للطير ادراكات علمية ، وكل ما كان يعرفه الناس عنها ان ادراكها لا يتجاوز معرفة كيف تطلب الرزق وتسعى اليه ، وحنينها الى التوالد ، وتربيتها لذرياتها وغير ذلك مما هو الى الغرائز اقرب ، اما أن يصل أمرها الى معرفة الخالق والصلاة له سبحانه ، فذلك لم يعرف قبل نزول القرآن على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

فنحن حينما نقرأ الآية الأولى نعلم منها أنه تعالى يسبح له من في السموات والأرض ، وتسبح الطير وهي صافات — أي باسطات أجنحتهن في صفوف منتظمة في جو السماء .

وحتى لا يجنح أحد الى المجاز في فهم الآية ، بين الله سبحانه أن هذا التسبيح صادر منها عن علم بقوله :

« كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ » .

أى كل من ذكر من المسبحين من أهل السموات والأرض والطير قد علم كيفية صلاته وتسبيحه لله تعالى ، حسب لغته التى خلقه الله عليها ، فللملائكة لغتها في التسبيح والصلاة ، ولكل من الانس والجن لغاتهم في التسبيح والصلاة ، وللطير لغتها في التسبيح والصلاة أيضا .

وكما أن للانس لغات تتفاوت مقاصدها تبعا لتفاوت عباراتها ، فكذلك الطير لها لغة تتفاوت مقاصدها ، تبعا لتفاوت حركات أصواتها ، وكما أنها بهذه الأصوات عالية أو خفيفة يعرف بعضها مقاصد بعض ، فهى بهذه الاصوات أيضا تستطيع أن تؤدى التسبيح والصلاة لربها .

واذا كان الله تعالى قد أعطاها الادراك لمصالحها وشئونها ، فلا يصعب عليه سبحانه

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

أن يمنحها معرفته وتسبيحه والصلاة له ، بل إن حقه عليها أولى من حقها على نفسها ، فهو الذى منحها الحياة وأسبابها وعوامل بقائها ، فلهذا منحها ادراكا تعرفه به وتسبح وتصلى له على نوره .

ولقد وصل الأمر ببعضها الى النطق تقليدا للناطقين ، كما نراه فى الببغاوات وبحيوانات أخرى الى العمل ببعض الحرف كالقردة ، فقد قرأنا أن اليابانيين يدربونها على نسج الثياب فى الانوال اليدوية ، كما أن منها ما يدرب على مزاولة أنواع دقيقة من الرياضات ، وقضاء مصالح ربات البيوت ، فتقوم بذلك كله خير قيام ، وما ذاك الا لأن ادراكات فوق ما كان البشر يتصورونه عنها ، فلا غرابة فى أن يمنحها الله ادراكا تعرفه به ، وتسبح له وتصلى على نوره ، ولهذا ختم الله الآية بقوله سبحانه :

« وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ » .

فهذه الجملة ناطقة بأن التسبيح والصلاة منها وممن قبلها فعل من الأفعال ، وعما لكل صنف بحسبه ، وليس تسبيح دلالة فحسب .

ولقد وسع الله هذه الدائرة فى آية أخرى من القرآن العظيم ، اذ يقول سبحانه فى سورة الأنعام :

« وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم » (١) .

فمن هذه الآية عرفنا أن جميع الدواب والطيور أمم أمثالنا ، لها نظمها وادراكاتها ومعارفها التى تحفظ لها كيانها وتقيها شر الأخطار .

ووسعها مرة أخرى بقوله فى سورة ص :

« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ »(٢)

فقد دلت هذه الآيات على أن الجبال والطير يسبحن ويؤوبن مع تسبيح داود عليه السلام ، ويدل على أن ذلك من باب الحقيقة أنهما فى وقتين عينهما الله تعالى بقوله :

« بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ » .

وأنهما مقترنان بتسبيح داود عليه السلام فى هذين الوقتين ، ولو كان التسبيح منهما تسبيح دلالة ، لكان ذلك غير مشروط بتسبيح داود فيهما ، لأن تسبيح الدلالة عام فى جميع الأوقات .

وقصة الهدهد مع سليمان عليه السلام أغرب القصص فى بيان ادراك الحيوان لحق الله تعالى ، وفيها يقول الله تعالى فى سورة النمل :

« وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ

(١) الآية ٣٨ .

(٢) الآيات ١٧ ـ ١٩

أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » (١) .

فأنت ترى أن الهدهد قام برحلة استطلاعية فى مملكة سبأ وجاء منها بأخبار عجيبة لا علم لسليمان بها ، ولهذا قال له :

« أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ » .

وذكر له أن أخباره يقينية لا مجال للشك فيها ، خلاصتها أن مملكة سبأ تقوم على رأسها ملكة لها امكانيات عظيمة ، ولها عرش عظيم ، وأن أهل هذه المملكة يسجدون للشمس من دون الله ، وأن الشيطان زين لهم عقيدتهم ، فصدهم عن السبيل الأقوم ، فهم لقوة تأثير الشيطان عليهم لا يهتدون اليه ، وعاب عليهم تركهم لعبادة الله الذى يخرج المخبوء فى السموات والأرض ويعلم سرهم وجهرهم ،

فهذا ادراك فائق لشئون المملكة السبئية ، وادراك دقيق لما ينبغى لله من التوحيد والعبادة ، ومعرفة ناضجة لبعض شئون الله تعالى .

وهذه مملكة النحل تحكمها نحلة أنثى كبيرة الحجم تسمى « اليعسوب » وتدير شئونها بكفاءة فائقة ، وتأمر صنف (الشغالة) منها بصنع بيوت مسدسة الاضلاع متشابكة لا يستطيع أمهر المهندسين أن يصنع مثلها الا باستعمال الأدوات الهندسية ، أما النحل فانها تصنعها بأفواهها فى دقة تامة ، واختيارها الشكل المسدس دون غيره ، لأنه هو الشكل الهندسى الوحيد الذى تتعانق وحداته دون فراغ أو اختلال بينها ، فهذا برهان قوى على أن لها ادراكات عالية تستطيع أن تعرف بها الله وتسبح له ، والمثل كثيرة وحسبنا ما ذكرناه ، وقد جاء القرآن العظيم بكل هذا منذ أربعة عشر قرنا ، وقد عرف العلم أخيرا خطورة ادراكاتها التى وصلت الى حد الاحساس بالزلازل قبل حدوثها ، كما عرف يقينا أن للنبات عواطف وادراكات ، فقد اخترع مهندس أجنبى جهازا دقيقا للتسجيل ، استطاع أن يسجل به أحاسيس النبات والشجر اذا قطع منه جزء أو نقل من جواره فسيلة أو شجيرة ، فانه يبرز منه أنينا خافتا ، حزنا على ما قطع منه أو نقل من جواره .

وهناك من النبات أو الأزهار مايدور مع الشمس كيفما دارت كزهرة النبات المعروف باسم عباد الشمس ، ومنها ما ينكمش اذا لمسته

(١) الآيات ٢٠-٢٦ .

وينطوي بعضه على بعض ويسميه البستانيون (المستحية) أى التى تستحى من لمسها وتنطوى .

وهذه الذرة أم العجائب ، فهي تمثل هذا الكون فى حركته ودورانه وارتباط بعضه ببعض ، ففي الذرة نواة ، ويدور حول هذه النواة وينجذب اليها بشدة (الكترونات) فائقة السرعة ، وكذلك الكون تدور كواكبه حول شموسه ، فمن قدر على ذلك لا يعجز عن أن يجعل كل شيء يسبح بحمده ، كما قال سبحانه :

« وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » . الاسراء ٤٤ .

معجزة علمية قرآنية فائقة

ويقول الله تعالى فى سورة النور أيضا :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ » .

وازجاء السحاب سوقه وتسييره حيث أراد الله تعالى ، وفى هذا المعنى يقول النابغة الذبيانى :

انى اتيتك من اهلى ومن وطنى
ازجى حشاشة نفس ما بها رمق

ويقول أيضا :

اسرت عليه من الجوزاء سارية
ترجى الشمال عليها جامد البرد

وتأليف السحاب جمعه بعد انتشاره ليتصل ويتراكم بعضه فوق بعض .

والله الذى خلق كل شيء وهداه لما خلقه له ، سخر الشمس لتبخر الماء من مسطحاته الشاسعة فى أنحاء الأرض ، وهذا البخار ان بقى حولنا وكثف فهو الضباب ، وان ارتفع الى أعلى فهو السحاب ، وذلك قال العلماء : الضباب سحاب « أنت فيه » ، والسحاب ضباب لست فيه ، والركام المجتمع بعضه فوق بعض ، مأخوذة من ركم الشيء يركمه اذا جمعه وألقى بعضه فوق بعض ، والودق يطلق على البرق وعلى المطر ، ومن اطلاقه على البرق قول الشاعر :

اثرن عجاجه وخرجن منها
خروج الودق من خلل السحاب

ومن اطلاقه على المطر قول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها
ولا أرض أبقل أبقالها

ومعنى الآية : ألم تعلم ، أيها العاقل ، المتأمل فى آيات الله أن الله يسوق السحاب المتفرق ويجمعه بعضه الى بعض ، ويركمه بعضه فوق بعض ، حتى يصير ركاما عاليا يشبه الجبال فى منظره ، فتكون قاعدته الى أسفل وقمته الى أعلا ، وقد تعلو تلك السحب المتراكمة الى عشرين كيلو مترا ومن تلك السحب الركامية يخرج الودق — أى المطر أو البرق — وينزل الله من السماء (بمعنى الفضاء فكل ما علاك

ـــماء) ينزل الله منها ــ من سحب متراكمة تشبه الجبال بردا له لـــون الثلــج وبرودته ، ويكون صغيرا أو كبيرا حسـب مشـيئة الله تعالى ، فيصيب به من يشاء ابتلاء ، ويصرفه عمن يشاء رحمة .

« يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » والبرق ومضات ضوئية متتابعة تنبعث من بين السحب الركامية ، وسناء ضوؤه ، وفي هـذا المعنى يقول الشماخ .

وما كـادت اذا رفعت ســـناها
ليبصر ضـــوءها الا البصــير

والمعنى : يقرب ضوء برق السحاب ووميضه المتتابع أن يذهب بالأبصار لشـدته وتتابعه ؛ وبعـد هـذا العـرض والتحليل لمعظم الآية الكريمة نقول : كيف اسـتطاع محمد الأمي الناشيء في أمة أمية أن يعلم أن الســحاب يتكون على هيئة جبال ، ولم يكن في العالم من يعرف ذلك ، ولا سبيل الى معرفته الا بالطيران في الجو ، ومشاهدة جبال الســحاب الشاهقة الارتفاع ، وكيف استطاع معرفة أن السحاب هو مصدر تلك الومضات الكهربية التي تسمى البرق ، ومصدر هذا البرد الذي ينـزل مـع الأمطار ، لا سبيل له الى القطع بذلك والجرأة على اعلانه للعالمين ، الا الوحي الــذي نزل به الروح الأمين ، مؤيدا له من رب العــالمين .

ولقد ختم الله الآية بقوله « يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَـــارِ »

أي يأتي الله تعالى بأحدهما بعد الآخـر ، أو يزيد في أحدهما وينقص من مقابله ، أو يجعل الليل مظلما والنهار مضيئا ، ان في ذلك الذي في الآية من شئون السحاب وأمطاره وبـرقه وبرده ، وتقليب الليل والنهار ــ ان في ذلك كله لعظة بليغة لأهل البصائر النيرة ، والعقول الوضيئة يهدى الله عباده الى سواء السبيل .

وقد رأينا أن نختم مقالنا هذا بتعليق خبراء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية على هـذه الآية الكريمـة في التفســير المنتخب قـال الخبراء : تسبق هذه الآية ركب العلم ، فانها تتناول مراحل تكـوين الســحب الركـامية وخصائصها وما عرف عنها في العهد الأخـير ، من ان السحب الممطرة تبدأ على هيئة وحدات ، يتالفعدد منها في مجمـوعات هي الســحب الركامية التي تنمو في الاتجاه الراسي ، وترتفع قممها الى علو (١٥) او (٢٠) كيلـو مترا ، فتبدو كالجبال الشامخة ، كما أن هذه السحب هي وحدها التي تجود بالبرد وتشـــحن بالكهرباء ، وقد يتلاحق حدوث البرق في سلسلة تكاد تكون متصلة (اربعين تقريبا في الدقيقـة الواحدة) فيذهب ببصر الراصد ، وهذا هـو عين ما يحدث للملاحين والطيـارين الـذين يخترقون عواصف الرعد في المناطق الحارة ، وينجم عن فقد البصر هذا أضرار بليغة تشكل خطرا حقيقيا على الطيران وسط العواصـف الرعدية : أ هـ .

مصـــطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاســلامية

أكثر الناس في القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

جاء التعبير بقوله تعالى : أكثر الناس خلال تنزيل الآيات القرآنية فى عشرين آية فى القرآن ، وقد تنوع فيها الحكم على هذه الأكثرية من الناس :

فنفى عنهم العلم فى احدى عشرة آية جاءت بصيغة : أكثر الناس لا يعلمون .

ونفى عنهم الايمان فى أربع آيات : ثلاث منها جاءت بصيغة المضارع : « أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » وآية منها جاءت بصيغة اسم الفاعل « وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » .

ونفى عنهم الشكر فى ثلاث آيات جاءت بصيغة : أكثر الناس لا يشكرون .

ووصف أكثر الناس بالكفران فى آية جاءت بصيغة : فأبى أكثر الناس الا كفورا .

كما وصفهم بالنفور فى آية جاءت بصيغة : فأبى أكثر الناس الا نفورا .

واليك بيان كل نوع منها :

« أكثر الناس لا يعلمون »

١ ـ حول الساعة قال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

الأعراف ١٨٧ .

سبب النزول :

روى عن ابن عباس أن بعض اليهود قالوا : يا محمد أخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت الآية ، وروى عن الحسن وقتادة : أن قريشا

قالوا : يا محمد بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة فنزلت الآية ، وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة ، أو لأنها على طولها كساعة واحدة ، أو لأن حساب الخلق يقضى فيها في ساعة واحدة .

ومرساها : مصدر بمعنى الارساء ، والثبات الشيء الثقيل كارساء الجبل ، وأي شيء أثقل على خلق الله من الساعة التي تتكور لوقعها الشمس وتنتثر النجوم .

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يجيب سائليه انما علمها عند ربي ، فقصر علم وقت قيامها على الله ، وفي أكثر من آية في القرآن أخبر الله عن استئثاره بعلم الساعة في مثل قوله :

(إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ) :

وقوله :

« إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا » .

وقد سأل جبريل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : ليس المسئول عنها بأعلم من السائل ، فجبريل على سمو منزلته عند الله لا يعلم وقت قيام الساعة ، ويسأل رسول الله عن وقتها ، والرسول كجبريل ــ لا علم له بوقت قيامها .

وقد أخفى الله أمر قيامها ليكون ذلك حافزا على الطاعة وزاجرا عن المعصية ، وقد أكد الله أمر اخفائها بقوله : لا يجليها لوقتها الا هو) فلا يقدر على اظهار دقتها من حيث الاعلام عنه الا الله ثم وصف الساعة بالثقل على أهل السموات والأرض حيث يفنون عندها جميعا ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام ، أو ثقلها يكون على نفس السموات والأرض حيث تتشقق السموات . وتتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

وقد وصف الله يوم القيامة بالثقل في قوله :

(وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)

ووصف زلزلة الساعة بالعظمة في قوله : إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا) ، ووصف عذاب الساعة بالشدة في قوله :

(وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ)

وما أعظم ثقلها على قلوب الثقلين حين يرون أنهم صائرون الى الحساب فتدمى تلك القلوب خوفا من الله ومن عذاب الله .

وقد أكد الله اخفاءها في أسلوب قصر : لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) فقصر اتيانها على البغتة والمفاجأة .

وقد روى الحسن عن النبي ﷺ ــ أنه قال : والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك .

وفي قوله :

(يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا) .

تقديم وتأخير ، والتقدير : يسألونك عنها كأنك حفي بها أو يسألونك كأنك حفي بهم ، والحفي : البار اللطيف العشرة ، وذلك يوافق

مقالة قريش • لنبى ﷺ :ان بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة ؟ فقال الله لنبيه ﷺ : (يسألونك) اى كأنك صديق لهم بار بهم •

وقد يكون معنى الحفى المراد : الكثير السؤال الشديد الطلب من الالحاح والالحاف فى السؤال •

كقولهم : تحفى فى المسألة واستقصى البحث فيها ، والمعنى : يسألونك كأنك أكثرت السؤال عنها وبالغت فى طلب علمها ، والسؤال هنا عن حقيقة ثقلها ومقدار شدتها •

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) •

السبب الذى لأجله أخفيت معرفة وقت الساعة عن الخلق والقلة القليلة من الناس هم الذين يدركون حكمة كتمان الساعة ، وأن ذلك الكتمان يحمل المكلفين على المسارعة فى التوبة عند اقتراف الذنب حتى لا تفجؤهم الساعة قبل أن يتوبوا ، كما يحملهم على طاعة الله فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه حتى لا تبغتهم زلزلة الساعة فلا ينفعهم ساعتئذ توبة ولا ندم أو أن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم المختص وحده بعلم وقت قيامها وعلم ثقلها •

٢ ــ وفى قصة يوسف عليه السلام قال تعالى :

وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) •

يوسف ٢١ •

قيل : ان الذى اشترى يوسف هو العزيز الذى كان يتولى خزائن مصر ، واختلف فى اسم المرأة التى ورد ذكرها فى قصة يوسف عليه السلام ، فقيل : زليخا ، وقيل : راعيل •

ومعنى أكرمى مثواه : منزله ومقامه ، أى : اجعلى منزله عندك كريما حسنا ، وعلل ذلك الاكرام برجاءين :

(عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا) •

اى يقوم بما نحتاج من خدمات •

(أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) •

وذلك يشير الى انه كان حصورا لا يولد له وكما مكن الله ليوسف فأنعم عليه بالسلامة من الجب مكن له كذلك بأن جعل له مكانا فى قلب العزيز بعد خروجه من السجن فمكن له فى أرض مصر••

ثم أخبر الله عن يوسف أنه علمه من تأويل الأحاديث فأرسله الى الخلق بتبليغ التكاليف ودعوة الخلق الى الحق ، أو أن الله أوحى اليه بزيادات ودرجات تزداد يوما بعد يوم •

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ) اى أمر نفسه ، لأنه فعال لما يريد لا يدفع قضاءه دافع ولا يرد حكمه أحد فى الأرض ولا فى السماء •

أو غالب على أمر يوسف حيث ان أمر يوسف كان بتقدير الله ، وقد أراد اخوته به

السوء ، ولكن الله جعل له في ذلك الخير حيث دبر له بذلك الانتقال الى مصر على يد من أنجوه من البئر .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن الأمر كله بيد الله وأن تدبير الأمور بيد المدبر الحكيم والقلة من الناس هم الذين يدركون أن أمور الكون ومن فيه بيد الله الذى لا تخفى عليه خافية وهكذا نفى الله عن أكثر الناس علمهم بأن الله له الخلق والأمر فيما خلق يدبر الأمر وحده لا شريك له في تدبير ذلك الملك .

***

٣ ــ وجاء في حوار يوسف مع صاحبى السجن قوله تعالى :

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

يوسف ٤٠ .

نادى يوسف عليه السلام رفيقيه في السجن فهما صاحباه وان قلت مدة المرافقة ليبلغهما الدلائل والحجج التى تنطق بفساد عقيدة عباد الأصنام الذين يتوقعون حصول النفع والضرر منها ، وهى لا تنفع ولا تضر ، ولهذا كانت رسالة الأنبياء جميعا دعوة الناس الى البعد عن عبادة غير الله ، وأول هذه الدلائل جاء على صيغة الاستفهام الانكارى : أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار حيث ان كثرة الآلهة توجب فساد العالم (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) أما وجود الاله الواحد فهذا يقتضى حسن النظام ونفى الخلل في التدبير .

وهذه الأصنام التى يعبدونها من صنع أيديهم فهى مصنوعة لا صانعة فهى لا تأثير لها ولا نفع يرجى منها ولا ضرر يخشى ، أما الاله الواحد رب العالمين فهو صانع كل شىء .

فكأنه يسأل هؤلاء فينكر عليهم معتقدهم : أأرباب متفرقون في الشكل واللون والحجم مع أنها من صنع الناس خير أم الله الواحد القهار الصانع .

وان تعدد الآلهة يسوق الى حيرة الناس في أيها خليق بالعبادة ؟ ومن منها خلق الخلق ؟ ومن رزق الناس والطير وعوالم البحر والبر ؟ ومن يرسل الخير وينزل من السماء ماء فيحيى به الزرع والضرع والكائنات ؟ .

ان وجود اله واحد ينجى من الحيرة ويزيل الشك ، ويدل على أنه وحده المستحق للعبادة .

وقد عبر بقوله : (أأرباب) فوصف الأصناف بالربوبية لأنهم يعتقدون منها ذلك كما يزعمون ، أو عبر بذلك على سبيل الفرض على معنى أنها ان كانت أربابا : أفهى خير أم الله الواحد القهار ؟ .

والتفاضل بينها وبين الله على سبيل الفرض كذلك والمعنى لو سلمنا أنه يحصل منها ما يوجب الخير أفهى خير أم الله الواحد القهار ؟ .

ثم بين أنهم ما يعبدون من دون الله الا أسماء سموها هم وآباؤهم وما أنزل الله في شأن هذه التسمية حجة ولادليلا يدعو الى عبادتها ، ولم يأمر بشيء من ذلك ، وانما أمره الذى أوجبه على خلقه الا يعبدوا الا اياه ، لأنه الخليق بالتعظيم والاجلال ، لأنه المنعم وحده على خلقه .

وذلك الدين الذى يدعو الى عبادة المنعم هو الدين القيم الثابت الذى تدل عليه البراهين الكثيرة .

وقد قيل : ان عبدة الأوثان يعتقدون أن الاله هو النور الأعظم ، وأن الملائكة أنوار صغيرة ووضعوا على صورة تلك الأنوار هذه الأوثان ، فهم يعبدون هذا الذى تخيلوه ، ووضعوا له الأسماء ، وبعد أن بين الله أن (تخصيصه بالعبادة) هو الدين الذى استقامت عليه الأدلة والبراهين أخبر أن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك الدين هو الدين القيم لعدم علمهم بتلك البراهين التى تدل على أنه الدين القيم .

أو نفى عن أكثر الناس العلم كله حيث يعبدون أسماء سموها هم بعد أن أعرضوا عن كل برهان عقلى أو نقلى .

٤ ـ وحول علم يعقوب عليه السلام قال تعالى :

« وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

يوسف ٦٨ .

لقد طلب يوسف من اخوته بعد أن عرفهم ولم يعرفوه أن يؤتوه بأخ لهم من أبيهم وهو شقيق يوسف الوحيد ، فقالوا : (سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) ، وعادوا الى أبيهم يراودونه فى تحقيق ما طلب يوسف فأخذ عليهم أبوهم يعقوب ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام العهود والمواثيق ، وأمرهم أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة عند دخولها ، ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم تحقيقا لحاجة فى نفس يعقوب ، وبين المفسرون تلك الحاجة فى أنها خوفه عليهم من اصابة العين والحسد ، أو يقصدهم ملك مصر بشر .

وأخبر الله : أنه لذو علم للشيء الذى علمه اياه ، وقد يراد بالعلم هنا : الحفظ ، والمعنى : انه لذو حفظ لما علمناه ، أو المعنى : انه لذو علم لفوائد ما علمناه ، فهو عالم عامل بعلمه (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) مثل ما علم يعقوب ، أو لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة من العلم والمراد بأكثر الناس : المشركون فانهم لا يعلمون ارشاد الله لأوليائه الى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة من العلوم المختلفة .

٥ ـ وحول موقف منكرى نبوة محمد ﷺ ساق الله ـ عز وجل ـ احدى شبههم ورد عليها فى قوله تعالى :

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) .

النحل ٣٨ ، ٣٩ .

لقد قال منكرو البعث : ان الانسان اذا مات وتناثرت أجزاؤه بعد حين امتنع عوده بعينه فلا يبعث ، ومحمد ﷺ يقول بالبعث وهو قول باطل عندهم ومن يقول قولا باطلا لم يكن رسولا صادقا .

وقد اقسم المنكرون أن الله لا يبعث الموتى ، ورد الله عليهم بقوله : بلى ، وهذا يفيد اثبات ما بعد النفي ، والمعنى : بلى يبعثهم ، ثم أكد ذلك بالمصدر ، والمعنى : وعد بالبعث وعدا حقا (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) لأنهم يجهلون علم الله وقدرته على البعث الذى وعد به ، ويقولون كما قال آباؤهم :(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) .

ولا يعلمون أن الله وعدهم بالبعث (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أمور البعث ، (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله وأنكروا البعث وكذبوا وعده (أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) فى كل ما يقولون ولاسيما فيما أقسموا عليه بالله جهد أيمانهم أى جاهدين فى ايمانهم أنه لن يبعث الله من يموت .

وقد نفى الله العلم عن أكثر الناس فى هذا الموطن ، والمراد بأكثر الناس هنا ، أولئك الذين ينكرون البعث ويقسمون على ذلك ، ومرجع حكمهم الى ان الله لا يبعث الموتى جهلهم بقدرة القادر العظيم على احياء الموتى كما انشأهم من قبل حيث لم يكونوا شيئا .

يتبع

د محمد محمد خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقوى الله « وحسن الخلق »

جمع النبى — ﷺ — بين تقوى الله ، وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه .

وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه .

فتقوى الله توجب محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس الى محبته .

عن « الفوائد » — « نوفل »

من نفحات السنة المباركة

العدل

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله · امام عادل · وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل » الحديث : متفق عليه ·

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قال : « ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا : »

العدل : صفة من صفات ذى الجلال والاكرام وصف بها نفسه · وأمر بها عباده فقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » : النحل (٩٠)

وقال تعالى : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى » : الأنعام (١٥٢)

وقال تعالى : « وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » : المائدة (٨)

وقال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » : النساء (٥٨)

والعدل : هو التوسط بين الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها وليس هناك صفة نوهت بها الشرائع والأديان على اختلافها كهذه الصفة ولذلك أمر الله بها فى جميع كتبه وجاء بها جميع أنبيائه ورسله ·

ولا توجد هناك صفة تجعل لصاحبها بين الناس مكانة علية وفى قلوبهم منزلة رفيعة الا صفة العدل ·

لذلك قال رسول الله ﷺ لعمل الامام العادل فى رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد فى أهله مائة عام أو خمسين عاما : رواه أبو نعيم ·

وقال ﷺ : « عدل ساعة خير من عبادة

سبعين سنة » : رواه أبو نعيم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء : رواه أبو داود .

ولقد جعل الرسول ﷺ الامام العادل من الذين يشملهم الله تعالى يوم القيامة برحمته فلا يذوقون حرارة الموقف ولكنهم يستظلون تحت ظل العرش ويكونون في أمان من الفزع يوم القيامة .

بل يقفون على منابر من نور كما ورد في الأحاديث الشريفة ويروى أن الاسكندر سال حكماء بابل : أيهما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل ؟ قالوا : اذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة .

وقال بعض الحكماء : اذا رغب السلطان عن العدل رغبت رعيته عن طاعته .

وقيل : عدل السلطان أنفع للناس من خصب الزمان .

وقال الشاعر الحكيم .

فلم أر مثل العدل للمرء نافعا
ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

والعدل أساس الدين والملك ، وعمران الدنيا فلا يتوفر الدين ولا يقوم العمران ولا يستقيم حال مملكة الا اذا وجد عدل يامن به الخائف وينتصف به المظلوم . ويطمئن الى حمايته من ليس له ناصر ويأوي الى كنفه كل ضعيف وبائس ومحروم .

قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس : اتقوا ربكم ولا يظلم أحد منكم مؤمنا الا انتقم الله منه يوم القيامة : البخاري ومسلم .

والعدل أنواع : العدل بين العبد وربه : ايثار حق الله تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواه . وامتثال الأوامر واجتناب الزواجر .

قال تعالى : « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ » : النساء (١٣ — ١٤)

وقال تعالى : « وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » : الطلاق (٢ — ٣)

ثانيا : العدل بينه وبين نفسه : وهو أن يمنعها مما فيه هلاكها . وأن يلزمها القناعة في كل حال ومعنى . وأن يسلك بها سبيل الاتباع لا الابتداع وأن يجعل صراطها الكتاب والسنة :

قال تعالى : « فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » : النازعات (٣٧ — ٤٠)

ثالثا : العدل بين العبد وبين الخلق : فيبذل النصيحة لهم . وترك الخيانة لهم فيما قل أو كثر . وانصافهم من نفسه بكل وجه . وعدم الاساءة الى أحد بقول أو فعل لا فى سر ولا فى علن . والصبر على أذاهم والأخذ على أيديهم بمنعهم من الظلم : قال تعالى :

« خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ » : الأعراف (١٩٩) .

وقال ـ ﷺ ـ أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها :

« أوصانى بالاخلاص فى السر والعلن والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر . وأن أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى : الحديث (١) .

وقال تعالى :

« وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ » :

آل عمران (١٣٣ ـ ١٣٤) .

وعلى هذا فعدل العالم : تعليم الناس كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ونصحهم بالمعروف وابعادهم عن المنكر .

قال تعالى :

« فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » :

التوبة .

وقال تعالى :

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ »

آل عمران (١١٠)

وقال ﷺ : « خيركم من علم القرآن وعلمه » متفق عليه .

وان الملائكة لتصلى على معلم الناس الخير » (١) .

وعدل الحاكم : حكم بما أنزل الله فلا يميل الى هواه ولايحيف فى حكم ولايقرب جاهلا ظالما ليعاونه ولا جبارا ليبطش بالخلق قال تعالى :

« وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ » :

---

١ ـ الحديث أخرجه ابن قتيبة الدينورى فى عيون الاخبار فى كتاب الزهد ج ٢ ص ٣٦١ طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر « تراثنا » بلفظ :

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى عن الحسن ابن ذكوان ـ رفع الحديث الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال : (أوصانى ربى بتسع خصال ، وانى موصيكم بها .. الحديث)

١ ـ الحديث أخرجه الترمذى فى السنن بلفظ : « ان الله وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » وقال : حديث غريب .

سنن الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة ج ٥ ص ٥٠ رقم ٢٦٨٥ ط مصطفى الحلبى .

ابراهيم (٤٢) وقال تعالى :

« وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » :

النساء (٥٨) .

وقال عليه السلام : ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته : متفق عليه .

لهذا جعل الخليفة الأول الصديق ـ رضى الله عنه . هذه الكلمات أساس حكمه التى لم يغادر فيها حرفا الا حققه بكل دقة واتقان كما علمه الاسلام وكما أدبه صاحب الشرع العظيم فقد خطب الناس عندما تولى الخلافة فقال :

أيها الناس : « انى وليت عليكم ولست بخيركم فان كنت على حق فأعينونى وان كنت على باطل فقومونى . أعينونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيته فلا طاعة لى عليكم . الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه » .

ورحم الله عمر اذ يقول لأبى موسى الأشعرى وقد ولاه القضاء : آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك . ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى . واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .

وهكذا نجد أن تاريخ الاسلام كله لم يقم الا على العدل والمساواة بين الرعية مصداقا لقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » .

الحجرات (١٣) .

عرف المسلمون الأولون هذا المعنى الكريم وطبقوه على أنفسهم وعلى غيرهم تحقيقا لقوله تعالى :

« لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » .

الممتحنة (٨) .

وتنفيذا لما أمر الله تعالى به نبيه ﷺ :

« فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » المائدة (٤٢) .

وهكذا نجد الاسلام يتحرى العدل فى كل شىء ويجعله أساسا لكل ظفر وقد لزم العدل أولئك الذين هداهم الله فانتصروا وظفروا وبارك الله حياتهم وجعل القلوب متعلقة بهم حتى قلوب أعدائهم الذين كانوا يرونهم فى حكمهم أحنى عليهم من آبائهم وأبر بهم من أبنائهم فكانوا يؤثرون سلطانهم ويتمنون خلود حكمهم وبقاء دولتهم .

ولقد كان ذلك العدل شاملا خالصا لارياء فيه ولا سمعة ولم يكن باطلا مزيفا « ظَاهِرُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَبَاطِنُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ » لم يكن عدلا كالذى يتظاهر به المستعمرون من أهل الشرق والغرب الذين يمتصون دماء الأبرياء

ويأكلون أموالهم ويسلبونهم حريتهم ويحاولون أن يجردوهم حتى من انسانيتهم . كما يحدث أمام أعيننا فى هذه الايام .

ولقد نهت الشرائع كلها عن الظلم الذى هو ضد العدل فقال تعالى :

« لا تُشرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

لقمان (١٣) .

وقال تعالى :

« إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وإن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا » .

النساء (٤٠) .

ولقد بين القرآن الكريم عقاب الظالمين من الأمم السابقة فقال :

« فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » .

العنكبوت (٤٠) .

وقال تعالى :

« وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » .

هود (١٠٢) .

وقال تعالى :

«وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ . وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ . وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ » :

ابراهيم (٤٢ ــ ٤٥) .

ولقد نهى القرآن الكريم عن معاونة الظالمين والقرب منهم : فقال تعالى :

« وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ »

هود (١١٣) .

وقال تعالى :

« فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » .

هود (١١٦ ــ ١١٧) .

ووضح القرآن الكريم بأن الظالمين سيكونون حطبا لجهنم : فقال :

« وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » .

الجن ١٥ .

وأنه لايحبهم ولايشملهم برحمته فقال :

« إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » :
الشورى (٤٠) .

وقال ﷺ : « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » .

يقول الله تعالى :

« وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين »
رواه مسلم .

وقال ﷺ : ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم تـلا :

« وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القـرى وهي ظالمة » : متفق عليه .

ولقد بين الرسول ﷺ ان القضـاء للمرء والحكم لصالحه لايكون دليلا على أنه محـق ولا يبيح له أخذ مال أخيه فان القـاضي مجتهد يحكم بمقتضى ما تام عنده من الدليل وهو غير مؤاخذ عند الله انما المؤاخذ من يلبس عـلى القاضي ليأخذ أموال النـاس بغير حق فيأتي بشهود مأجورين يقولون مالا يعلمون ولذلـك قال ﷺ :

انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقتضي له على نحو ما أعلم فمن قضيت له بشيء من مال أخيه فانمـا اقتطع له قطعة من جهنم : متفق عليه .

وقال ﷺ : « من اغتصب قيد شبر مـن أرض طوقه من سـبع أرضـين يوم القيامة : متفق عليه .

وليعلم الظالم أنه لاشـفيع يوم القيامة :

قال تعـالى :

« مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ »
غافـر ١٨ .

وقال ﷺ : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سـفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ، متفق عليه .

وقال ﷺ :

لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرنـاء : رواه مسلم .

وليس الظلم قاصرا على أكل أموال الناس بالباطل بل الظلم يتعدى الى أكثر من هذا فمن كان عنده امرأتان ومال الى احداهما وأعطاها أكثر من الأخرى فقد ظلم قـال رسـول الله ﷺ :

من كان تحته امرأتان ومال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل .

ومن حرم بناته من الميراث أو أعطى بعض الأولاد أكثر من اخوته بدون رضاهم فقد جار وظلم .

قال ﷺ : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم متفق عليه .

ومن ضرب انسانا أو سبه أو قذفه أو اغتابه أو كذب عليه أو اعتدى على عرضه أو سـلبه حقه أو وضعه في مكان غيره أحق به منه فقـد ظلم .

ومن ارتشى أو قدم رشوة أو انتهك حرمات الله تعالى أو مال الى أحد الخصمين أو قـرب صاحب بدعة وغيره أفضل منه ، أو أنكر السـنة ، أو سب الصحابة فقد جار وظلم .

قال رسـول الله ﷺ :

أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع فقال :

ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار • رواه مسلم •

وقال ﷺ :

قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله • ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل • رواه أصحاب السنن •

وقال ﷺ : لايقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله (١) •

وقد كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه يطلب منه مالا يصلح به ما خرب في مدينته فكتب اليه عمر رضي الله عنه يقول له : قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام •

ولقد كتب بعض الملوك ••

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم يفضي الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وليس للظالمين فداء ولا نجاة •
قال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » •

الزمر (٤٨) •

فاللهم وفقنا للعمل بالعدل والاحسان • وجنبنا الزلل والخسران واعنا على سلوك صراطك المستقيم حتى نحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين : آمين •

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » •

« د • محمد محمود شعبان »

---

١ ــ الحديث اخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الاحكام ج ٤ ص ٨٩ من رواية طلحة ابن عبيد الله ــ (رضي الله عنه) ــ وقال : حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه • قال الذهبي : قلت: سنده مظلم فيه ، عبد الله بن محمد العدوى ، متهم • الباجوري

قوانين التقاضي في مصر في نطاق الشريعة الإسلامية

مادور الأزهر في مقاومة المبادئ الهدامة ؟

الدستور والشريعة الإسلامية

زار مؤخرا فضيلة شيخ الازهر « الشيخ جاد الحق على جاد الحق » المغرب بدعوة من جلالة الملك الحسن الثانى .

وقد اغتنمت (عكاظ) فرصة وجود فضيلة شيخ الأزهر فى المغرب فاجرى معه مندوبها فى الرباط الحديث التالى .

*** نحن نعرف ان الدستور المصرى يقول بالشريعة الاسلامية . باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع . وعلى مستوى مجلس الشعب (الهيئة التشريعية) تبذل جهودا لتطبيق الشريعة الاسلامية . الى اى مدى وصلت هذه الجهود .**

* الحقيقة التى يجب أن تكون واضحة ان قوانين مصر فى جملتها توافق الشريعة . فالقانون المدنى الصادر سنة ١٩٤٨ م والذى نفذ اعتبارا من عام ١٩٤٩ م توافق نصوصه فيما لا يقل عن سبعين بالمائة الشريعة الاسلامية . لا يخالفها فيه سوى النصوص التى تبيح الربا وعقود القرض . قانون العقوبات المصرى بكامله يدخل فى باب التعازير الشرعية .

كل قوانين التقاضى تسير فى نطاق الشريعة الاسلامية . لا ينقص التطبيق سوى ما أطلق عليه علماء المسلمين الحدود . فى باب العقوبات . وسوى ما يتعلق بتحريم الربا وعقود القرض وغيرها .

هذه الامور التى تخرج فى التطبيق عن نطاق الشريعة عنى الأزهر من سنوات طويلة بأن يستعد ووضع فعلا مشروعات قوانين . ثم قامت الحكومة منذ سنة ١٩٧٤ م بتشكيل لجنة فى محكمة النقض اشترك فيها كبار رجال القضاء مع علماء الأزهر ووضعوا قوانين الحدود فعلا . ثم مجلس الشعب منذ سنة ١٩٧٨ قام بتشكيل عدة لجان اشترك فيها علماء الأزهر ورجال القانون أيضا . وكل لجنة تخصصت بفرع من فروع القانون . وأعدت هذه المشروعات . وراجعها الأزهر بصفة

رسمية • وبعضها مازال تحت المراجعة • ونأمل ان شاء الله من مجلس الشعب الجديد أن يواصل خطواته نحو اصدار هذه القوانين •

دور الأزهر

❋ ما هو الدور الذى يضطلع به الازهر لنشر التعاليم الاسلامية داخل مصر اولا ، قبل ان أسألكم عن دوره على نطاق العالم الاسلامى ؟

❋ الأزهر يتبعه معاهد تقارب الآن نحو ١٥٠٠ معهد انتشرت فى جميع انحاء مصر • وله جامعة الأزهر التى تمثل التعليم العالى لها الآن حوالى ٣٢ كلية منتشرة فى انحاء مصر • الأزهر له هذا فى الداخل • وليس الأزهر فقط مؤسسة تعليمية وانما واجبه الأول هو الدعوة • ابناؤه وعلماؤه هم الذين يقومون بالدعوة فى الداخل اما عن طريق الأزهر ، واما عن طريق الأوقاف • لأن حكومة مصر تقوم بالانفاق على المساجد من كل نواحيها ، من حيث التعمير ، والأئمة ، اقامة الشعائر ، ومن حيث القائمين بالدعوة بهذه المساجد • وهؤلاء هم من علماء الأزهر الذين تخرجوا فيه • ويتبع الأزهر ، أو بالأصح يتبع مجمع البحوث الاسلامية قسم الوعظ الذى يباشر الوعظ على الوجه العام بالمساجد فى جميع انحاء القطر المصرى •

ومن حيث الخارج ، فمن المعروف أن الأزهر له بعثات تعليمية • فمثلا فى الصومال بعثة تعليمية منذ سنة ١٩٥٢ م ، وتتكون من نحو ١٦٠ عالما يقومون بتعليم نحو اربعة آلاف طالب فى معاهد أزهرية هناك تنفق عليها مصر • وله فى نيجيريا معهد يتبعه ، وله فى السنيغال • وفى الجملة ، فان لمصر ، من الأزهر فقط أكثر من خمسة آلاف عالم فى خارج مصر ، فى افريقيا وآسيا واوروبا وفى كل بلاد العالم • يقومون بواجبهم التعليمى والتثقيفى للمسلمين ثم الدعوة الى الاسلام •

تطوير الأزهر

❋ هناك رأى يتردد يقول ان القانون الصادر سنة ١٩٦١ بشأن تحديث الأزهر ، خرج بالأزهر عن الخط الذى كان يجب أن يسير فيه •

❋ القانون نظم وأدخل دراسات جديدة فى نظر هذا العصر • اذا رجعنا الى تاريخ الأزهر ، وباعتباره كان الجهة الثقافية الوحيدة المستمرة ، لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم الاسلامى ، كان يدرس الطب وكان يدرس الفلك ، وكان يدرس كل العلوم المعاصرة فى هذا الوقت ، ثم هجر تلك العلوم بعد أن نشأت بجانبه المدارس الأخرى • نحن نذكر أن محمد على أنشأ ، حكمه أنشأ مدارس متخصصة فى الطب ، وفى الهندسة ، وفى الحربية .. الخ • وكان الأزهر فى ذلك العصر هو مورد هذه المدارس الحديثة • كان محمد على يأخذ لبعوثه الى فرنسا طلبة الأزهر • حين يوجد أبناء وأحفادا وخوة لأى شخص لابد أن يشاركوه فى مهنته • وحين وجدت الجامعات

الدستور والشريعة الإسلامية

الحديثة ، والتعليم الحديث ، شارك الأزهر في هذا التعليم وحمل عنه بعض العبء ، فقد كانت الجامعات ، واقدم جامعة هي جامعة القاهرة ، وكانت تسمى الجامعة المصرية ، درست الطب والهندسة وغيرهما ، فخففت عن الأزهر بعض هذه الأعباء ، ونحن في زمن التخصص وهكذا اقتصر الأزهر على مهمته الاساسية ، بعد أن قامت الجامعات المذكورة وهذه المهمة هي الدراسات الخاصة بعلوم اللغة والشريعة .

فاذا جاءت الفرصة لمشاركة الأزهر في العلوم المعاصرة ، لا لأن مصر كانت في حاجة الى جامعة أخرى ، لأن فيها عدة جامعات ، وانما كان الهدف أن يتخرج من الأزهر عالم على نمط جديد ، يستطيع أن يقوم بالدعوة بأسلوب العصر ، فكان لابد من التفكير في أن يكون هناك الطبيب العالم ، والمهندس العالم ، والصيدلي العالم ، الذي يعرف أصول الاسلام وأصول لغته وأصول العلوم .

هذا هو الهدف من قانون ١٩٦١ م الذي أطلق عليه قانون تحديث أو تطوير الأزهر .

هذا قصد لا شك قصد حسن ، وان كانت الثمرة المرتجاة لم تظهر حتى الآن ، لأن العمل في مصر يستوعب الخريجين من كل هذه الجامعات ، سواء في الطب أو في غيره ، ولم يتيسر الآن استثمار المتخرجين من الكليات التي نطلق عليها الكليات العملية في الأزهر في الدعوة بالخارج ، ونرجو أن يتاح ذلك قريبا ان شاء الله .

التعاون بين الأوقاف والأزهر

*** ما مدى التعاون القائم بين وزارة الاوقاف المصرية والأزهر الشريف ؟**

* التعاون تام جدا ولا يوجد أية مفارقة أو أي تناقض ، لأن الوزارة تقوم في جملتها بالدعوة والأزهر هو الأساس في الدعوة ، فهو جزء منها في هذه الناحية ، لا تناقض اطلاقا، وانما منتهى التعاون .

استعادة الأوقاف

*** يتردد في الصحافة المصرية نفسها الحديث عن مطالبة الأزهر باستعادة الاوقاف الخاصة به .. الى اين انتهت هذه المطالبة ؟**

* حين صدر قانون انهاء الاوقاف سنة ١٩٥٢ م وصدر قانون الاصلاح الزراعي حدثت هناك بعض التطورات انتهت بسببها بعض الاوقاف التي كانت موقوفة على الأزهر، لكن الدولة قد تحملت عبء الأزهر كاملا ، فهي لا تكتفي بموارد الاوقاف الموجودة وانما تعطيه ما يكفيه وزيادة ، فهي في الماضي أيام أن كان للأزهر أوقافه المحددة ، كانت ميزانية الأزهر تقوم على هذه الاوقاف ، ثم تستكمل الدولة بعض الشيء ، اما الآن ، فان الدولة تقوم بكل متطلبات المصاريف .

والأوقاف في سبيل الاستعادة ، بمعنى ترتيبها وحصرها لتكون معروفة ، لأن القانون الذي صدر في سنة ١٩٥٢ م وقانون الحكم

المحلى كان قد وزع هذه الاوقاف على المحافظات وغيرها ، وقد أضاع أو طمس بعض معالم الاوقاف التى كانت موجودة . وهذا ما تقوم وزارة الاوقاف الآن بحصره من جديد ليكون معروفا وبالتالى يمكن معرفة أوقاف الأزهر .

الأزهر هيئة مستقلة

*** هذا الحديث يجرنا الى السؤال التالى :**

الى متى يتمتع الأزهر بالاستقلال

* الأزهر هيئة تعليمية وثقافية من الهيئات المصرية . له استقلاله الذاتى فى ادارة شئونه . والقانون يكسبه هذه الصفة ، ويجعل شيخ الأزهر هو صاحب الرأى فى كل ما يتعلق به . والأزهر يتحرك فى نطاق هذا المفهوم المقنن فعلا ، سواء فى داخل مصر كهيئة تعليمية وسواء فى خارج مصر كجامعة أساسية للدعوة الاسلامية .

مجمع البحوث الاسلامية

*** نعرف أن مجمع البحوث الاسلامية فى مصر عوض به ما كان يعرف بهيئة كبار العلماء ، فما هى رسالة هذا المجمع ، وهل ينهض حقا بما كانت تقوم به الهيئة المذكورة ؟**

* نعم كانت فى الازهر هيئة كبار العلماء أو جماعة كبار العلماء كما كانت تسمى ثم لما صدر قانون ١٩٦١ م استبدلت بمجمع البحوث . مجمع البحوث الاسلامية له اختصاصاته الكثيرة . من بينها أن له مجلسا ، هو الذى يضم العلماء الذين يتولون الامور العلمية فيما يختص بالبحوث الاسلامية ، ومن ضمن مهامه ما كانت تقوم به جماعة كبار العلماء .

مدونة الاحوال الشخصية

*** فى مصر الآن جدل سياسى ودينى حول مدونة الاحوال الشخصية ، خاصة فيما يتعلق بجانب المرأة ، ما رأى الازهر فى هذا الموضوع ؟**

* الجدل القائم يعتبر جدلا شخصيا لا موضوعيا . فقانون الاحوال الشخصية الذى صدر فى سنة ١٩٤٤ م صدر بموافقة شيخ الأزهر ، ومفتى مصر ، ووزير الأوقاف ، وهو قانون مستقى من الفقه الاسلامى بوجه عام ، ونحن فى مصر منذ سنة ١٩٢٠ م لا نكتفى بالاخذ بمذهب واحد ، وانما نأخذ من جميع المذاهب الفقهية المتعددة . أما فيما قبل سنة ١٩٢٠ م فقد كان العمل متصورا فى القضاء على فقه أبى حنيفة فقط . أما منذ سنة ١٩٢٠ م فقد صدرت عدة قوانين متلاحقة فى مسائل الاحوال الشخصية تأخذ بفقه مالك وفقه



ما دور الأزهر فى مقاومة المبادئ الهدامة ؟

الدستور والشريعة الإسلامية

الشافعى وفقه أحمد ما دام الأمر لا يخالف نصا مقطوعا به فى القرآن أو فى السنة .

الذين ينظرون الى القانون الأخير نظرة سيئة أعتقد أنهم غير محقين اذا عرفوا هذا المبدأ . لأنهم يتكلمون من منطلق ، نحن لا نقره الآن فى مصر .

مؤتمر السيرة النبوية

*** تستقبل مصر قريبا المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية .**
ما هى الأهداف المتوخاة من وراء استقبال مصر لهذا المؤتمر ؟

* تعلم أن المؤتمر الأول كان فى باكستان والمؤتمر الثانى كان فى تركيا ، والمؤتمر الثالث كان فى قطر . وقد عرضت قطر وهى التى تستضيف المؤتمر الثالث على مصر وعلى الأزهر استضافة المؤتمر ، وأرسلت بذلك وحين عرضت الأمر على السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رحب بذلك خدمة للسيرة والسنة النبوية الشريفة . وليس هناك أى هدف آخر سوى المزيد من الايضاح للسيرة والسنة النبوية .

فكر خاطىء

*** بمناسبة الحديث عن السنة والسيرة ، هناك بعض الدعوات المغرضة فى العالم العربى والاسلامى تقوم على تهميش السنة النبوية بدعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم .**

* لا شك أن هذا فكر خاطىء ، لأن من الذى أبلغ القرآن . أليس رسول الله ؟ أليس الله قد عهد اليه بالبيان ؟ فكيف يفارقون بين القرآن والسنة . ان ذلك فكر خاطىء لا شك ، ومن يقل به ، انما يصدم المسلمين فى أساسيات الاسلام .

دور الأزهر فى مقاومة المبادىء الهدامة

*** من المذاهب التى تغزو العالم العربى والاسلامى الشيوعية والبهائية والقاديانية ، الى أى مدى يبذل الازهر من جهد من جل مقاومة هذه المذاهب ؟**

* ان الأزهر يقوم بايضاح حقائق هذه المذاهب وله جولات سواء فى الصحف أو فى الكتب التى صدرت يبين فيها حقائق هذه المذاهب الباطلة التى تنافى الاسلام ويحذر المسلمين منها . وعلماؤه الذين ينتشرون فى مصر وفى الخارج ، وكما قلت عددهم يزيد عن الخمسة آلاف مبعوث ، هؤلاء يقومون بالبيان الصحيح لموقف هذه المذاهب من الاسلام أو موقف الاسلام من هذه المذاهب .

دعم القضايا العربية والاسلامية

*** لمصر فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك دور مهم فى دعم القضايا العربية**

والاســلامية ، نطمع فى المزيــد مــن الايضاح لهذا الدور ؟

** لا شك أن موقف مصر من فلســطين ومشكلتها منذ نشأت موقف ظاهر وواضح . لقد حملت عبء هذه القضية منذ كانت . وحين دخلت الجيوش العربية كان الجيش المصرى فى مقدمتها . ولعل الحوادث القريبة التى وقعت للفلسطينيين وموقف الرئيس محمد حســنى مبارك منها موقف واضح . لا نقول انه موقف مشكور من الفلسطينيين أو غيرهم . لأن مصر حين تتقدم بهذه المواقف انما تقوم بواجب تراه ملزما لها ألزمت نفسها به لأنهــا ترى أنهــا مسئولية أمام الله بوصفها شــعب مسلما .

ومازالت . وأظن أن هذا أمر واضح ، مازالت مصر تؤدى واجبها فى هذا المضمار بالطــرق السياسية والسلمية .

قضية شعب افغانســتان

** بالنسبة لموقف مصر المسلمة مــن قضية شعب افغانستان المسلم .

** أيضا . مصر لم تتخل عن أفغانستان وهى تســاندها وتدعمها ، وقد لا يكون من الخير الاعلان عن تفاصيل هذه المساعدات .

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها

علم لا يعمل به وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء .

ومالا لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه فى الدنيا ، ولا يقــدمه أمامه الى الآخرة .

وقلب فارغ من محبة الله والشوق اليــه والأنس به .

وبدن معطل من طاعته وخدمته .

ومحبة لا تتقيــد برضاء المحبــوب وامتثال أوامره .

ووقت معطل عن استدراك فارط ، أو اغتنام بر وقربة وفكر يجــول فيما لا ينفع .

وخدمة من لا تقــربك خدمته الى اللــه ، ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله ، وهو أســير فى قبضــته و لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشــورا .

واعظم هذه الاضاعات ، اضاعتان هما أصل كل اضاعة : اضاعة القلب ، واضاعة الوقت . فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة . واضاعة الوقت من طول الأمل .

فاجتمع الفساد كله فى اتباع الهوى وطول الأمــل والصــلاح كله فى اتبــاع الهــدى والاستعداد للقاء « والله المستعان »

عن « الفــوائد » ــ « بتصرف »

قاعدة الشورى والقيادة الحربية

تستخدم الدول عادة فى تنظيم جيوشها نوعين من انماط التنظيم يسمى الأول « التنظيم الرأسى » . والثانى « التنظيم الرأسى الاستشارى » (١)

أولا التنظيم الرأسى :

وهو أقدم أنواع التنظيم ، ففيه تمتد السلطة من القائد الى مرءوسيه عن طريق التسلسل القيادى ، وعن طريق هذا التسلسل تصدر تعليمات القادة وقراراتهم الى مرءوسيهم ، وترفع اليهم تقارير المرءوسين ومطالبهم .. وهذا النوع من التنظيم يرتب « مسئولية مباشرة » متسلسلة من أعلى الى أسفل ، ويقتضى ذلك منح كل رئيس أو قائد « السلطات الضرورية » التى تتناسب مع مسئولياته .

وقد يتميز هذا النوع من التنظيم بالبساطة والوضوح والتحديد ، وبالسرعة فى اتخاذ القرارات ، وسهولة عمليات المتابعة والرقابة ، فضلا عن الاقتصاد فى النفقات .

لكن يعيبه أنه يخلو من عنصر المستشارين أو المساعدين المتخصصين ، مما يلقى على القائد وحده عبء الدراسة والبحث والتخطيط واتخاذ القرارات فى كل المجالات التى يشرف عليها ، كما أنه يؤدى عادة الى تركيز السلطة فى يد شخص واحد ، فتتراكم عنده الأعمال وتزداد أعباؤه ويتعرض للوقوع فى الأخطاء .

هذا من وجهة نظر علم الادارة .

أما من وجهة نظر علم النفس ، فانه مهما كانت شخصية القائد ، « فان من الخطر أن يترك وحده للتصرف التام فى جميع شئون الجماعة ، ففى الانفراد بالسلطة معنى التحكم الفردى والتسلط كما أن من المحتمل أن ينحرف القائد عن أهداف الجماعة تحت تأثير ظروفه النفسية الخاصة ، كما أن الاعتماد التام على القائد الفرد يعرض الجماعة الى هزات عنيفة عند غيابه أو تغييره مما يؤثر فى استمرار خطة الجماعة » (٣)

(١) التنظيم الرأسى : Line Organization

والتنظيم الرأسى الاستشارى : Line And Staff Organization

(٢) د. محمد أبو العلا أحمد وآخر ـ علم النفس ص ٤٠٢

لواء ا.ح
محمد جمال الدين محفوظ

وأما التنظيم الرأسى الاستشارى :

فهو يوفر عنصر المستشارين أو المساعدين المتخصصين الذين يقدمون للقائد المشورة والنصح .. وبطبيعة الحال فإن عناصر المشورة تكبر أو تصغر بحسب حجم التنظيم . فعلى المستويات الكبيرة تتولى مهام المشورة أجهزة وإدارات متخصصة كالشئون المالية والبحوث والعلاقات العامة وغيرها ، أما على المستويات الصغيرة فيتولاها واحد أو أكثر من الخبراء أو المعاونين بحسب الأحوال .

وواضح أن هذا النمط من التنظيم يتميز على سابقه فى أنه يقيم قرارات القادة وخططهم على أسس من العلم والخبرة والتخصص . ويمكن التنظيم أو الجيش من أداء مهامه بطريقة أفضل .

الشورى فى الاسلام :

* والشورى فى الاسلام أمر مؤكد ، ومن علامات الايمان وقد سميت بها سورة من سور القرآن الكريم لأن الله تعالى جعلها من شأن المؤمنين . ومهد لذكرها بتمهيد خاص حين وصف المؤمنين بأنهم يستجيبون لله ، وبأنهم لا يقصرون فى فرائضه وأولها الصلاة . فاذا تم لهم ذلك فهم جديرون بأن يجعلوا الشورى قاعدة حياتهم وقانون أمرهم ، ولو أهملوا الشورى فيما بينهم لاختل شرط من شروط صلتهم بالله . قال تعالى : « **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** » (الشورى ٣٦ — ٣٨)

* وقد أمر الله تعالى رسوله بأن يشاور أصحابه فقال : « **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** » (آل عمران ١٥٩) وقد جرت سنته ﷺ على تطبيق مبدأ الشورى حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ »

ومع أنه عليه الصلاة والسلام معصوم من الخطأ وما ينطق عن الهوى ، فقد كان يشاور

أصحابه فى الأمور الحربية وغير الحربية ، لكى يعلمنا أن الشورى ركن من أركان المجتمع الاسلامى وأنها من عناصر الايمان ومن آيات الاستجابة لله . والباحث المدقق يستطيع أن يستخلص مبادىء الشورى وآثارها وفوائدها فيما يلى :

١ ــ الشورى فى الهيكل التنظيمى :

وأول ماتوجه اليه قاعدة الشورى فى الاسلام هو أن يكون نمط « التنظيم الرأسى الاستشارى » هو النمط السائد فى تنظيم الجيوش الاسلامية ، حتى تأتى قرارات القادة على جميع المستويات بعد دراسة وبحث وتقدير من قبل الخبراء والمتخصصين .

٢ ــ غرس وعى التخطيط ضرورة حيوية :

كذلك يوجه مبدأ الشورى الى أن غرس وعى التخطيط « ضرورة حيوية لاعداد قادة المستقبل » ، وان على كل قائد أن يغرس هذا الوعى وينميه فى نفوس مرؤوسيه عن طريق التعلم والملاحظة والتدريب والممارسة العملية :

*** التدريب على التفكير العلمى المنظم :**

فاذا جمع القائد مرؤوسيه ليشاورهم فى أمر من الأمور ، فقد وضعهم فى موقف يقتضيهم التفكير والتقدير وتقليب الرأى قبل أن يدلوا بآرائهم ، وبذلك يدربهم على العمليات العقلية التى يستخدم فيها الانسان عقله الذى يعد من أعظم نعم الله عليه .

والواقع أن الناس فى استخدام العقل درجات . فمنهم من يقصر ذلك على تحصيل المعارف . ومنهم من لا يكتفى بذلك بل يضيف اليه التأمل وتقدير احتمالات المستقبل ليس على أساس الرجم بالغيب ، ولكن على أساس من امعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية والاحاطة بكل أبعاد المشكلة والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر .

ولعل هذا هو الذى جعل علماء الادارة يعرفون التخطيط بأنه « عملية تصور لما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل » .

وهكذا تؤدى الشورى الى تدريب القادة على هذا النوع من التفكير المنظم الذى يكفل للعمل المقرر أسباب النجاح .

والاسلام قد جعل التأمل والنظر والتفكير أهم وظائف العقل وجوهرا لعبادة الله كما يفهم من قوله تعالى : « **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** » (يونس ١٠١)

كذلك فانه يعزى الى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا » (١) لا يوحى بضرورة التخطيط للمستقبل القريب فحسب ، بل للمستقبل البعيد أيضا وهو أرقى درجات التخطيط .

*** اشراك المنفذين فى التخطيط :**

والشورى تنطوى على تدريب الأفراد على المشاركة فى العمل وتوثيق الروابط بين المجتمع

(١) هذا الاثر يعزى الى عبد الله بن عمرو بن العاص ــ الباجورى .

المؤمن وقياداته على أساس مستوى أخلاقي رفيع .

فاشتراك المنفذين في عملية التخطيط من أهم دعائم الكفاية في الأداء وفي انجاز الأعمال وتحقيق الأهداف .

وليس من شك في أن هناك فرقا كبيرا بين أن تكتفي القيادة باصدار القرارات التي « يتعين » على المرءوسين تنفيذها ، وبين أن تحرص على اشراك هؤلاء المرءوسين في عملية التخطيط قبل أن تصدر قرارات التنفيذ . وواضح أن الأسلوب الثاني يحقق فوائد جمة :

١ — فهو يجعل المنفذين أكثر تفهما للأهداف التي يراد تحقيقها .

٢ — ويضمن اهتمامهم وحماستهم وايجابيتهم في تنفيذ الخطة التي « ساهموا » في وضعها .

٣ — ويضمن كذلك « واقعية الخطة » لأنها انبثقت من الطبيعة والواقع الميداني ومن فكر الذين سيناط بهم أمر تنفيذها . وهذا بالتالي يضمن الا تتعثر الخطة أثناء التنفيذ بسبب احتوائها على مهام « يصعب » تنفيذها . والواقع أن القيمة الحقيقية لأية خطة تكمن في واقعيتها وامكانية تنفيذها . وقد أجمع علماء الادارة والخبراء العسكريون على أن « الخطط ذات الشأن هي التي يكون لديها فرصة أكبر في التنفيذ ، وتأسيسا على هذا فان مسئولية اجهزة التخطيط لا تنحصر في مجرد وضع الخطط ، وانما يلزم أن تتأكد من أن هذه الخطط قابلة للتنفيذ بحيث تتحقق الأهداف المتوخاة » (١)

٣ — الشورى تدريب على المبادأة :

ثم ان الشورى تدرب القادة على المبادأة والتصرف السليم في المواقف التي تواجههم « دون الحاجة الى الرجوع الى القيادة العليا » ، وخاصة في المواقف المفاجئة أو التي لا تحتمل التأخير ، وذلك لأن مشاركتهم في مرحلة التخطيط تتيح لهم معرفة واسعة بنوايا القائد وأهدافه ، واحاطة وافية بجوانب الموضوع ، تمكنهم من اتخاذ القرار السليم في المواقف بهدى تفكيرهم وحده ، والواقع أن طبيعة الحرب الحديثة بايقاعها السريع ، أصبحت تتطلب سرعة فائقة في التصرف في مواقفها ، وذلك أمر لا يستطيعه ولا يحسنه الا من لديه دراية شاملة بأبعاد الموقف .

من اجل ذلك تحرص الجيوش الحديثة على اشراك أكبر عدد ممكن من المرءوسين في مراحل التخطيط عند التحضير للمعركة ، وطرح ما يهدى اليه التفكير من احتمالات للمواقف التي يتصور مواجهتها ، ومناقشة أساليب مواجهتها والتغلب عليها .

٤ — استشارة أهل الرأى :

والاسلام يوجه الى ما يضمن للقيادة الوصول الى المشورة الصالحة ، وذلك بأن يكون المستشارون من أهل الرأي الذين يصدر



(١) عبد الكريم درويش — اصول الادارة العامة

رأيهم عن سعة في المعرفة وعمق في التجربة والخبرة .

فليس كل انسان أهلا لأن يشاور ، وأن يستطلع رأيه .

وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : سئل ﷺ عن العزم فقال : « شاور أهل الرأى » (١)

والشورى تبدأ ممن ولي أمرا من أمور المسلمين ، باستشارة أهل الرأى حتى يكون قراره موفقا للصواب ومحققا للمصلحة العامة .

ومن هنا قال خليفة رسول الله ﷺ يوم تولى أمر الناس : « أيها الناس ، انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني، وأن أخطأت فقوموني » .

وقال عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه : « اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى » .

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد :

« احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا ، كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا ، فانه يوشك أن يورطك بمشورته ، فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل » .

٥ ــ الرأى امانة

ويقرر الاسلام ان ابداء الرأى « أمانة ومسئولية » ، وأن على من يستشار أن يقول رأيه « بصدق واخلاص » وفي ذلك يقول الرسول ــ ﷺ ــ « المستشار مؤتمن » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة) ويقول أيضا : « اذا استشار احدكم أخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبي جابر) .

ويعتبر الاسلام الانحراف عن الصدق والاخلاص في ابداء الرأى « من قول الزور » الذى أمر الله باجتنابه ، وقرنه بعبادة الأوثان في قوله جل شأنه :

« فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ » (الحج ٣٠) .

كذلك يحذر الاسلام من الامتناع عن ابداء الرأى ، ويعده من شهادة الزور ، فعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من كتم شهادة اذا دعي اليها كان كمن شهد الزور » (٢) .

---

(١) الحديث في مجمع الزوائد في كتاب العلم باب الاجتهاد د ج ١ ص١٧٨ بلفظ : عن علي قال : قلت يا رسول الله : ان نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرني . قال : شاوروا فيه الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه ... الخ قال الهيثمي : رواه الطبراني في الاوسط ورجاله موثقون من أهل الصحيح . الباجوري .

(٢) الحديث اخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الاحكام باب في الشهود ج ٤ ص ٢٠٠ طبع دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٢ سنة ١٩٨٢ بلفظ : عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ــ قال : (من كتم شهادة .... الحديث وقال : رواه الطبراني في الكبير والاوسط وفيه . (عبد الله بن شعيب ابن الليث فقال : ثقة مأمون ، وضعفه جماعة .. ا.هـ مجمع .

ومن ناحية أخرى يوجه الاسلام القادة الى أن يحسنوا اختيار المستشارين فيختاروا المخلصين الأمناء الصادقين ، يقول الرسول ﷺ : « ما بعث الله من نبي ، ولا كان بعده من خليفة الا له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا ، فمن وقي شرها فقد وقي (١) .. وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه ، واذا أراد به غير ذلك ، جعل له وزير سوء ، ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه »(٢) .

٦ ـ الأخذ بالمشورة الصالحة واجب

والاسلام لا يرضى عن القادة الذين يضربون عرض الحائط بآراء مستشاريهم ، ويوجب على القادة الأخذ بالمشورة الصالحة ، والنزول على الرأي الصواب ، كما فعل الرسول ﷺ مثلا في غزوة بدر حين نزل على رأي الحباب بن المنذر ومشورته ونقل الجيش الى حيث أشار ...

انظر الى قول الرسول ﷺ للحباب : « أشرت بالرأي » ، انه قول ينطوي على مغزى رفيع ـ فوق النزول على الرأي ـ هو الاشادة بالرأي الصواب وتكريم صاحبه ، وحفز همة الأفراد ـ بالتالي ـ الى التفكير وابداء الرأي والمشورة .. وقد روى الامام أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر : « لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما »

ـ وجوب تنفيذ الخطة بعد المشورة

وبعد المشورة يصبح تنفيذ الخطة واجبا ، فمتى استقر الرأي على أمر ما ، فلا محل للتردد أو المناقشة من جديد ، لأن من شأن ذلك تعطيل التنفيذ والفشل في تحقيق الأهداف ، وهذا التوجيه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى: **« فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين »** ، وقد حدث في غزوة أحد بعد أن استقر الرأي على لقاء قريش خارج المدينة وأخذ المسلمون في الاستعداد للخروج ، أن شعر القوم الذين دعوا الى الخروج أنهم استكرهوا الرسول على اتخاذ القرار بالخروج، فذهبوا الى بيته وأظهروا الرغبة في النزول على رأيه بالبقاء في المدينة .

لكن النبي صلى الله عليه وسلم حسم الموقف وقطع هذا التردد والاضطراب فقال : « ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته (درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم » .

للواء ا ح : محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) صحيح البخاري ـ كتاب الاحكام باب بطانة الامام . الخ لواء محمد جمال الدين محفوظ .

عضو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

(٢) الحديث في سنن ابي داود في كتاب الخراج ... الخ باب في اتخاذ الوزير ج ٣ ص ٣٤٥ رقم ٢٩٣٢ نشر وتوزيع محمد علي السيد حمص بلفظ عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذا اراد الله بالامير ... الحديث بلفظه. الباجوري



حول الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

كان القرن السابع الميلادى قبل قيام الدولة الاسلامية يشهد معارك عسكرية بين الدولتين الموجودتين آنذاك : فارس المجوسية والرومان الوثنية ثم المسيحية .

فما هو الهدف من قيام هذه المعارك بين الدولتين ؟

ان واحدة منها لم تدع أنها ذات رسالة تجاه شيء من القيم والاخلاق فهموم كلا الامبراطورين : كسرى وقيصر محصورة فى استعباد الرعية وامتصاص خيرات البلاد .

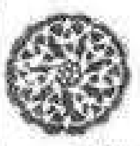
اذن هي حرب الصلف ، والتوسع ، والقهر والجبروت لا تهدف لشيء من القيم الحضارية سوى نزوات الاباطرة والاكاسرة ولومات الناس جميعا ، وعروا ... وجاعوا ...

أما الدولة الاسلامية فقد استخدمت الحرب كوسيلة من الوسائل الكثيرة التي توظفها فى تحقيق اهدافها وهي : نشر لواء التوحيد ، فقد ابتدأت الانسانية موحدة مؤمنة وعاشت البشرية فى طفولة حياتها راشدة بالايمان الصحيح الذى حمله سيدنا آدم معه وعلمه لأولاده حتى عبث الشيطان وصرف الناس عن هذا التوحيد الى الخرافات وذلك تبعا لتوعده منذ الازل : ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١) ، وضل الناس ونجح الشيطان فى غوايته فعبدوا الاصنام فارسل الله سيدنا نوحا ليعيد البشرية الى التوحيد النقى الذى هبط به آدم عليه السلام ، وعلمه لأولاده : وتعلمه أحفاده من بعد ... ثم كانت الاستحصامة الكبرى وتطهير الارض بالفيضانات التى علت قمم الجبال ، ومكث التوحيد بعد نوح عليه السلام ردحا ثم عبث الشيطان وضلت البشرية وجاء موكب الأنبياء يترى ليهدى الناس الى التوحيد النقى الخالص وفى كل مرة يتغلب الناس على الانبياء كانت السماء تتدخل بالخسف والزلزال ، والريح السموم والصرصر العاتية والحجارة السوداء والطير الأبابيل .. الخ .. حتى استقر أمر

---

(١) الحجر ٣٩ ـ ٤٠ .

● نقصد بـ « الاستراتيجية » : الاهمية ذات الوضع الخاص بالنسبة للموقع ، او الزمان او الخطة القريبة او البعيدة .. الكاتب .



للدكتور رءوف شلبى

اعادة البشرية الى التوحيد عن طريق التعليم والتأديب فكانت الدولة الاسلامية هى الموكلة من قبل الله العلى بهذه الوظيفة التى ستستمر مسئولة عنها الى قيام الساعة ... فكان الجهاد فى الاسلام ضمانا لتأدية هذه الرسالة وضمانا لبقاء هذه الامة معافة من البلاء ، والهموم والضنك فما من قوم تركوا الجهاد الا ذلوا وضاعوا .

وبهذا لا تكون الدولة الاسلامية دولة نوع من البشر بل هى دولة الناس جميعا لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى .

* فالجهاد ليس لحساب امبراطور يتحكم ويتنفذ ، ويتعالى على الناس ويتجبر ، ويحصد كسب الناس حصدا لشهواته ونزواته ...

* والجهاد ليس توسعا سياسيا للقهر والغلبة واذلال الشعوب وامتصاص خيراتها .

* وانما الجهاد ليتعلم الناس كيف يعودون الى نعمة التوحيد النقى وذلك اذا لم تجد معهم وسائل أخرى كثيرة فآخر الوسائل فى تبليغ الدعوة هو القتال .

* والقتال ليس همجية عاطفية يلجأ اليها لنزوةأو شهوة أو رغبة ولكنه قتال منهجى حضارى له أسسه وقواعده وتشريعاته ، ثم هو قتال مرتبط بأهداف الدولة الاسلامية ، ومرتبط بمبادئها فلا تنطلق عملية عسكرية الا اذا كان لها ميزان للباعث عليها ، وميزان للغاية التى تسير نحوها .

والذين يحاولون بعين الانصاف العلمى دراسة الحروب التى وقعت بالفعل فى الدولة الاسلامية الاولى يجدونها : ـــ

* حروبا دفعت اليها ضرورة حماية سيادة الدولة وتتمثل فى : ـــ

ـــ حماية ممتلكات الرعية التى نهبها كفار قريش عند الهجرة .

ـــ حماية الأفراد فى ذواتهم وأعراضهم فان تلك واحدة من مسئوليات الدولة المحترمة .

ـــ حماية مجتمع الدولة من عبث المفسدين الذين يحاولون تخريب المجتمع وتحريف اهدافه . وافساد أخلاقه ، والعبث باقتصادياته والاعتداء على ثقافاته .

هذا الى حروب تتصل بهذه السيادة وهى حروب التأديب فان الدولة ذات الاهداف والمبادىء اذا عاهدت أو أبرمت اتفاقات مع طرف آخر كان عليها انتلتزم بما عاهدت عليه اولا ، ثم كان عليها كذلك ان تؤدب الطرف الآخر اذا حاول التملص من اتفاقاته أو الاساءة اليها .

فبين حرب السيادة وحرب التأديب صلة فى أن كلا منهما يصور مقدار تمتع الدولة بالسيادة والحصانة فى ادارة شئونها وحماية اتباعها ، والحفاظ على كرامتها ، وشخصيتها الدولية .

* ثم حرب الاجهاض أو الحرب الوقائية ـــ وهى الحرب الثالثة ـــ عندما تسمع الدولة

عن تجمع عسكرى يريد الاغارة عليها من واجبها الفطرى والشرعى ان تبادر لاجهاض هذه التجمعات قبل الغدر والخيانة .

* ويلحق بهذه الحرب حرب الدفاع عندما يهاجم الاعداء حمى من محارم الدولة الاسلامية وجب على الدولة أن تجند كل امكاناتها لصد هذا الهجوم الغادر حتى ان المرأة ليجب عليها ان تخرج للقتال من غير اذن زوجها فان القتال الذى يفرض فرض عين تحين ساعته يوم ان تتحول الامة الى مدافعة عن وطنها وعقيدتها .

اولا : حرب السيادة :

وسيادة الدولة الاسلامية تتمثل فى نشر لواء التوحيد وبسط سلطانها الادارى على كل اتباعها ، ومن لوازم ذلك أن يحترم الطرف الأخر سيادة الدولة فى كل ما تدعو اليه من مبادىء ، وكل من ينتمى اليها بصلة ايمان أو تحالف ، فمن خرج على ذلك فهضم المسلمين حقوقهم أو اعتدى على ذواتهم أو اعراضهم، أو صد عن دين الله أو جاهر بالعداء لتعاليم الدولة وعقيدتها ومبادئها جردت له الدولة حملة عسكرية حسب قوانينها لتضع سيادة الدولة فى موضعها الدولى الموقر .

ومن الحروب الاسلامية التى وقعت تعبيرا عن احترام هذه السيادة مجموعة من الغزوات والسرايا التالية :

حماية املاك الرعية :

كانت قريش تعلم علم اليقين ان محمدا ﷺ لصادق وخاضت معه الحرب وهى تعلم أنه لصادق يروى المقريزى :

ان الاخنس بن شريق خلا بأبى جهل لما تراءى الجمعان ـ يوم بدر ـ فقال : أترى محمدا يكذب ؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الامين !!! لانه ما كذب قط ، ولكن اذا كانت فى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شىء بقى لنا (١) .

فأسباب الكفر لا ترجع الى شك فى النبوة، ولا لضعف فى البراهين ولا لعدم تصديقهم سيدنا محمد ﷺ بل ترجع الى فهم طينى عرقى ليس فى حسبان الدعوة منه شىء ... واذن فظلمهم لأهل الاسلام الذين هاجروا من مكة الى المدينة المنورة ظلم واضح سافر ، ونهبهم لاموال المسلمين الذين هاجروا عمل مشين ، وحق يجب ان يسترد ، وأمر ذلك واحد من مسئوليات الدولة الاسلامية ، ووجهة من وجهات ممارستها لسيادتها ، ولذلك نجد حرص النبى ﷺ على العمل لاسترداد حقوق المهاجرين من قريش الظالمة فقعد لتجارتها بالمرصاد وجرد لذلك مجموعة من السرايا :

ـ أولها سرية سيدنا حمزة بن عبد المطلب وكان أول لواء عقد فى الاسلام هو لواء حمزة على رأس سبعة أشهر من الهجرة وذلك ليلحقوا بعير قريش العائدة من الشام فبلغوا سيف

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٧٢ .

البحر واصطفوا للقتال وكان ابو جهل على رأس هذه القافلة في ثلثمائة راكب ، ولم يقع قتال لتوسط مجدى بن عمرو الجهني .

ـ ثم كانت سرية سعد بن أبي وقاص هي التالية في هذا الاتجاه وكان أول من رمى في الاسلام بسهم هو سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وأرضاه وكانت وجهته الى «الخرار» موضع بالحجاز لكنها لم تصادف أحدا فقد أفلتت العير .

ـ ثم كانت الغزوة الاولى التي قادها سيدنا رسول الله ﷺ لممارسته هذه السيادة واسترجاع حقوق المهاجرين واتجه بها نحو (ودان) : جبل بين مكة والمدينة يبعد عن الأبواء بنحو ستة أميال فخرج في شهر صفر على رأس أحد عشر شهرا من الهجرة ليعترض عير قريش ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يلق كيدا فوادع بني حمزة بن بكر على الا يكثروا عليه (يعينوا عليه) أحدا ، وكتب بذلك وثيقة ورجع بعد غيبة خمس عشر ليال وتسمى هذه الغزوة : غزوة الأبواء وغزوة ودان .

ـ وكانت الغزوة الثانية لهذا الغرض هي غزوة (بواط) من ناحية رضوى في (ربيع الأول) على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فخرج ﷺ يعترض عير قريش وعلى رأسها أمية بن خلف ومعه مائة رجل من قريش لكنهم أفلتوا فلم يلق عليه الصلاة والسلام أحدا .

ـ وكانت الغزوة الثالثة لنفس الهدف هي (غزوة العشير) : في جمادى الآخرة وقيل الاولى على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة. خرج عليه الصلاة والسلام ليعترض عير قريش حين خرجت من مكة تريد الشام ، فبلغ ﷺ ذا العشيرة ببطن ينبع فأقام بقية الشهر وليال مما بعده . وصالح بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ولم يلحق بالعير وهي في اتجاهها من مكة الى الشام فمازال ﷺ وسلم ينتظرها ليسترد حقوق المهاجرين من المغتصبين الظلمة حتى كانت أوبتها وكان حديث غزوة بدر الكبرى .

ـ وفي لحظات انتظار عير قريش حين تعود من الشام أرسل النبي ﷺ :

سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهي بستان لابن عامر قريبا من مكة وكان ذلك على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وكان عندها عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي يريد العراق ودارت معركة قتل فيها رائد القافلة عمرو بن الحضرمي وأسر فيها الحكم بن كيسان واستاقوا العير فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام فأوقف النبي ﷺ العير فلم يأخذ منها شيئا وأطلق سراح الاسيرين نظير اربعين اوقية للواحد منهما ، وفي هذه السرية نزل قول الله تعالى :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » (١) .

وفي هذه السرية سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين (٢) .

(١) البقرة ـ ٢١٧

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٥٨ .

ـ ثم كانت غزوة بدر الكبرى حين رجع أبو سفيان بالعير من الشام وهي الموقعة المنطية التي فرق الله تعالى فيها بين الحق والباطل في شهر نزل فيه الحق فأعز الله المسلمين والاسلام ودمغ الكفر وأهله وكسب المسلمون من هذه المعركة : ـ

(أ) غنائم تعوضهم عما فاتهم من أملاكهم في مكة التي اغتصبها الكفار .

(ب) أراحهم الله من رءوس الكفر فقد قتل أبو جهل فرعون هذه الامة ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والاسود بن عبد الاسد المخذومي ؛

وأسر عقبة بن أبي معيط وسهل بن عمرو والنضر بن الحارث .

ثم أمر رسول الله ﷺ بضرب عنق عقبة ابن معيط لانه مجرم حرب ومرتد يهودي الأصل جاء ذلك في السيرة الحلبية ـ الجزء الثاني ص ١٨٧ .

وقتل بلال بن رباح أمية بن خلف ، وقتل عمار بن ياسر ولد أمية بن خلف وكان يدعي عليا .

(جـ) أعلى الله كلمة الحق غيظ اليهود والمنافقون في المدينة في وجل .

(د) ازداد المسلمون ايمانا بصدق الدين وصدق النبوة وصدق الوحي .

ومن أخبار هذه المعركة :

(أ) ان القرشيين استقسموا بالازلام فخرج لهم سهم الناهي ومع ذلك خالفوا أزلامهم وخرجوا .

(ب) ان ضمضم بن عمرو رأى رؤيا ان وادي مكة يسيل دما من أسفله وأعلاه . ورأت عاتكة كذلك رؤيا أولها أهل الرأي عندهم بعدم المسيرة الى بدر وكان في مقدمة هؤلاء : أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبه أخوه ، وحكيم بن حزام ، وعلى بن امية بن خلف ، ولم يخرج أبو لهب لهذه الحرب تخوفا مما رأته أخته عاتكة بنت عبد المطلب .

(جـ) ولما نجا أبو سفيان بالعير اقترح عليهم العودة الى مكة وقال لهم : لا تجزروا أنفسكم أهل يثرب فرفض عمرو بن هشام ، وهو أبو جهل ، فقال أبو سفيان :

البغي منقصة وشؤم ، ان أصاب محمد النفير ذللنا .

واقتنع الاخنس بن شريق فرجع وذلك انه عندما حمى الوطيس سأل أبا جهل .

اترى محمدا يكذب فقال : لا ، فانخنس الاخنس ورجع ورجعت بنوعدي .

(د) بل ، ان النبي ﷺ عرض عليهم العودة بلا حرب فقد أرسل اليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لهم :

ارجعوا فانه ان يل الامر من غيركم أحب الى من أن تلوه مني ، وان أليه من غيركم أحب الى من أن اليه منكم فقال حكيم بن حزام : قد عرض نصفا فاقبلوه والله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال أبو جهل : والله لا نرجع .

(هـ) ولما أرسلت قريش بعثة استطلاع لحرز المسلمين رجعت تقرر ـ كما يقول حكيم

ابن حزام : والله ما رأيت جلدا ولا عددا ولا حلقة ولا كراعا ولكن رأيت قوما لا يريدون أن يئوبوا الى أهليهم ، قوما مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، زرق العيون كأنها الحصر تحت الجحف .

ومشى حكيم بن حزام في الناس لكي يرجعوا فوافقه عتبة بن ربيعة وأبى أبو جهل . وذلك من معنى قوله تعالى : ـ

« وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ » (١)

لقد كان قدرا من عند الله مقدورا ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

(و) ومن دلائل النبوة في هذه الغزوة : ما أخبر به النبي ﷺ عمه العباس بما استودعه العباس عند أم الفضل من الذهب عندما أراد أن يخرج الى الحرب مع قريش وقال لها : ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت .

يقول العلماء وأم الفضل من السابقات الى الاسلام بعد السيدة خديجة رضي الله عنها : أسلمت مع العباس سرا فقد كان العباس لا يحب أن يجاهر بمخالفة قومه (٢) .

ولم يزل استرداد حقوق المسلمين يشكل عنصرا من عناصر الاستراتيجية العسكرية بعد غزوة بدر فليست المسألة استرداد قدر من المال أو الضياع بقدر ما هي تحطيم تلك القوة التي تعتدي بجبروتها على الضعفاء الذين يخالفونهم في الدين والاعتقاد ، فقريش اتخذت من وثنيتها (ايديولوجية) تسير بسلوكها تجاه المسلمين الضعاف في مكة المكرمة ، فثبت في الملكة العسكرية عند المسلمين بعد قيام الدولة انه لابد من تحطيم هذه القوة الباغية سواء كانت قوة عسكرية أو قوة اقتصادية .

ولهذه الاستراتيجية الاسلامية أرسل النبي ﷺ بعد معركة بدر سرية زيد بن حارثة الى (القردة) في جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة وهي أول مرة يخرج فيها زيد أميرا ، فسار يريد صفوان بن أمية وكان في عير لقريش تريد الشام ونجحت السرية وأصابوا العير وأفلت صفوان وأعيان القوم معه فخمس النبي ﷺ الغنائم فبلغ خمسها عشرين الف درهم .

وكانت آخر سرية في تنفيذ استراتيجية استرداد حق المسلمين المهاجرين من قريش هي سرية زيد بن حارثة الى (العيص) بعد طلب قريش وهزيمتهم المنكرة ونكستهم الاخيرة في يوم الاحزاب فلم تعد لهم مهابة عسكرية بين القبائل ، ولم يعد لليهود بعد ذبح محاربيهم من بني قريظة رباطة جأش يعاونون بها قريشا على النبي ﷺ وعلى المسلمين والاسلام فصار الامر بينا بين جماعة المسلمين والكفار وصارت الغلبة والسيادة على امن الطريق بين مكة

(١) الانفال ٧ ـ ٨ .

(٢) راجع الحلبية جـ ٢ ص ١٨٨ ، ص ١٩٨ .

والشام تحت بريق السيف المسلم لا جبروت السيف المشرك .

وخبرها :

ان ابا العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص قادا عيرا لتجارة قريش في سواد العراق فأرسل النبي — ﷺ — زيد ابن حارثة في جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة ليأخذها غنيمة للمسلمين فما زالت حالة الحرب متأججة بين المسلمين والمشركين ومازالت أحداث عسكرية كثيرة تتلظى بين أحداث الخندق و (غزوة الغابة) فكيف تجرؤ قريش على تسيير تجارة لها وسط خط النار المتأجج .

وقد نجحت سرية زيد بن حارثة في أسر أبي العاص بن الربيع والمغيرة بن أبي العاص ، وظفرت بكل ما في القافلة من فضة وأموال ومتاع .

وكانت هذه آخر عملية في استراتيجية استرداد أموال المسلمين وحقوقهم من قريش فقد عقد بعد ذلك صلح الحديبية ثم دخلت قريش في دين الله أفواجا .

ومن أخبار هذه السرية : ان أبا العاص ابن الربيع استجار بزوجته الطاهرة السيدة زينب وكانت قد هاجرت الى المدينة المنورة فقبل النبي — ﷺ — جوارها وقال :

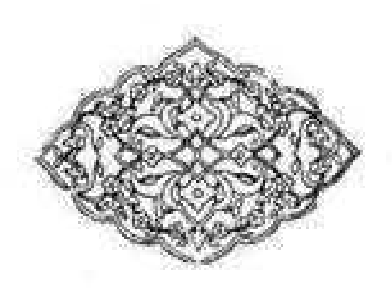
« المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم ادناهم ، وقد اجرنا من اجارت »

فكان هذا مبدأ اسلاميا على اساسه اجارت ام هانئ يوم فتح مكة رجلين من المشركين ، واجارت ام حكيم زوجها عكرمة بن ابي جهل .

ثم ان ابا العاص بن الربيع بعد أن عاد الى مكة واعطى كل ذي حق حقه أسلم وقدم المدينة مهاجرا فرد رسول الله — ﷺ — عليه زوجته زينب رضى الله عنها وارضاها وبذلك تتم عمليات استرداد حقوق المسلمين من قريش وتبدأ الدولة في استخدام سيادتها لحماية اموال المسلمين من الاغارة عليها أو نهبها .

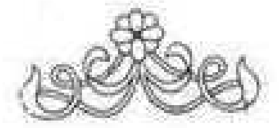
د / رءوف شلبى

رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر وجامعة قطر



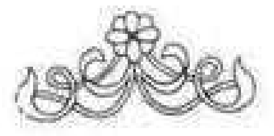
الإسلام في ضوء التاريخ

في مواجهة الاسلام العظيم



نحن والتاريخ "ديوان العبر"

من أعلام الأزهر



في مواجهة الإسلام العظيم

انتصر العالم الاسلامي في معركة حطين الخالدة على جيوش الصليبيين القوية العتيدة (في السبت الخامس والعشرين من ربيع الثاني ٥٣٨ هـ ـ الخامس من يوليو ١١٨٧م) ، واستعاد بعدها بيت المقدس من أيديهم بعد احتلالهم الغاشم لها احتلالا دام نحو نصف قرن من الزمان (٤٩٢ ـ ٥٣٨ هـ : ١٠٩٩ ـ ١١٤٤ م) .

وانتصر في معركة المنصورة الكبيرة (٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م) ، وهي التي أسر فيهــا لويس التاسع ملك فرنسا وهزم جيشه هزيمة منكرة .

وانتصر في معركة عين جالوت العظيمة على التتار (في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٩ هـ ١٢٦٠ م) .

وفتحت القسطنطينية في الثلاثين من مايــو عام ثلاثة وخمسين وأربعمائة وألف للميــلاد (٨٥٧ هـ) .

وانتشر الاسلام في كل مكان ، في الهـند والصين وجزر المحيط الهادى ، وفي افريقيـة وأوربا نفسها انتشارا هائلا كثيرا .. وأخذت الشعوب تدخل فيه بطريقة جماعية غير مألوفة

ففي عام ٣٠٩ هـ (ثلاثمائة وتسع للهجرة) : ٩٢١ م اتصل ملك الفولجا بالخليفة العباسي المقتدر بالله ، وبعث اليه المقتدر من يرشده الى الاسلام ، وأسلم هو وشعبه .

وفي عام ثمانية وثمانين وثلاثمائة للهجـرة (٩٩٨ م) عرض أهل البلغار على الخلافـة العباسية رغبتهم في دراسة الاسلام ليدخلوا فيه ، ولكن باباوات أوربا سبقوا المسلمين اليهم فاعتنقوا المسيحية .

وفي عام ستمائة وواحد وثمانين (١٢٨٢ م) أسلم أحد سلاطين المغول بأرض فارس ، وهو تكودار خــان (٦٨١ ـ ٦٨٣ هـ : ١٢٨٢ ـ ١٢٨٤ م) وذلك في عهـد السلطان قـلاوون بمصر (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ : ١٢٩٠ م) ، كما ذكر القلقشندي (١) .

---

(١) ١ ، ٦٥ ـ ٦٨ ، ٧ : ٢٣٧ ـ ٢٤٢ صبح الاعشى ، وراجع : المغول بين المسيحية والاسلام والمغول في ايران وهما لمصطفى طيبر .

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

وفى الرابع من شعبان من عام ستمائة وأربعة وتسعين (التاسع عشر من يونيو ١٢٩٥ م) اعتنقت الاسلام شعوب المغول فى عهد ملكهم غازان خان ، وصار هو الدين الرسمى لدولتهم . ودخل فيه فى يوم واحد من وجوههم مائة الف أو يزيدون ، وباسلامهم أخذ العالم الاسلامى يسترد جانبا من أمنه وطمأنينته على حاضره . وبدأ العلماء المسلمون يبنون من جديد مراكز الحضارة الاسلاميه التى سبق تدميرها، وأخذ ملوك المغول يرفعون المظالم عن كاهل الرعية يكفرون بذلك عما قدموا من سيئات فى حق الاسلام وشعوبه . وباسم الاسلام ضم تيمورلنك بعد ذلك البلاد الاسلامية التى ملكه ، وان كانت حروبه قد دمرت مرة أخرى المراكز الجديدة للثقافة الاسلامية . كما دمر الأتراك فى فتوحاتهم ما نشأ من مراكز أخرى ، ولكنهم حملوا مشاعل الاسلام الى قلب أوربا وبلغوا رسالته الى العالم المسيحى كما حملها الغزنويون من قبل الى الهند والصين .

وفى عام ألف وثمانمائة وثلاثة وستين كانت معركة تركيا الفاصلة مع الغرب أمام أسوار فيينا ، حيث ارتدت جيوشها مهزومة بعد الحصار الطويل الذى كانت قد فرضته على المدينة .

ومع ما أصابها من قبل ومن بعد من هزائم ، فقد بقيت حصنا للاسلام ودرعا يحمى حوزة المسلمين . وما موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية ـــ وحسبه ذلك فخرا عنا ببعيد .

ذهب اليه وفد يهودى من جمعية أحباء صهيون وعرضوا عليه بواسطة رئيس وزرائه تحسين باشا عروضا كثيرة مغرية ، هى :

١ ـــ يتعهدون بسداد جميع ديون الخلافة ، البالغة مائة وثلاثة وثلاثين مليون ليرة انكليزية .

٢ ـــ وبتأسيس اسطول بحرى تجارى للدولة يتكلف مائة وعشرين مليون فرنك فرنسى .

٣ ـــ وبتقديم قرض للخلافة بمبلغ خمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة .

على أن يسمح الخليفة لليهود بانشاء مستعمرة لهم بالقرب من بيت المقدس ، وبدخول فلسطين فى أى يوم من أيام السنة .

وكان جواب الخليفة المسلم هو ما نصه : يا تحسين . قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

١ ـــ ديون الدولة ليست عارا عليها ، فغيرها من الدول مثل فرنسا مدينة ، وذلك لا يضيرها .

٢ ـــ ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام .

٣ ـــ بيت المقدس افتتحها للاسلام عمر ابن الخطاب ، ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود ، ولا لخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحملها .



٤ ـ وأخيرا ، مرهم فليخرجوا من عندي ولا يحاولوا بعدها مقابلتي أو الدخول الى هذا المكان أبدا .

وخرج اليهود ليأتمروا مع الاستعمار على السلطان عبد الحميد ، فقامت الثورة عليه وأقصى عن عرش الخلافة ، وكانت الأموال التي أنفقوها في هذا المضمار هي السبب الرئيسي لكل ما حدث . ولكنه لقي ربه راضيا مرضيا .

وما أكثر ما صادف الاسلام من انتصارات وهزائم ، من آمال وآلام ، من أفراح وأحزان ، ومع المحن التي نزلت بشعوب الاسلام فلا تزال أوربا خائفة من يقظة المسلمين ، ومن قيام انطلاقة جديدة في بلاد الاسلام .

يقول غوستاف لوبون : « الحق أن اتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الأعداء ارهابا عدة قرون . وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس » .

هذا بتدارك الشاعر الايطالي في القرن الرابع عشر الميلادي يصيح في قومه قائلا : يا عجبا .

لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيبا بعد ديموستين (٣٨١ ـ ٣٢٥ ق.م) .

واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد هوميروس (عاش في القرن التاسع ق.م) .

فهل قدر علينا ألا نؤلف بعد العرب ؟ لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب . بل سبقناها أحيانا ، الا العرب .. فيالعبقرية ايطاليا الخاملة الخامدة ..

هذا بروتز مؤرخ الحروب الصليبية يقول : ليس في وسع الأدب الأوربي لذلك العهد ـ عهد حضارة الاسلام ـ أن يقدم مثالا يفضل مؤلفات العرب . ويكفي في هذا تصفح ما خلفه المؤرخون العرب . ومقارنة ذلك بأحسن ما أنتجه من التاريخ في أوربا (١) .

وهذا فيكتور هوجو شاعر فرنسا في القرن التاسع عشر الميلادي يقف مذهولا مبهورا أمام حضارة الاسلام في الأندلس . ممثلة في أثر من آثارها وهو قصر الحمراء الذي ظل مأخوذا بعظمته ، مما صوره في احدى قصائده الخالدة .

ويقف اقبال شاعر الاسلام على أطلال الحضارة الاسلامية في جزيرة صقلية ، ويغلبه التأثر فيبكي ويقول من قصيدة له :

ابك أيها الشاعر دما لا دمعا فهذا هو مدفن الحضارة العربية .

أوربا ضد الاسلام :

وتدمير أوربا لمعالم الحضارة الاسلامية في داخل وخارج بلادها رغبة منها في القضاء

(١) ٢١ تاريخ الادب الجغرافي العربي لكراتشوفسكي ـ ترجمة ونشر جامعة الدول العربية .

على التراث الاسلامي العريق . امر واضـح معروف .

وهذه هي نفسـية أوربـا وحقـدها على الاسلام وشعوبه . وفزعها وقلقها الدائم خوفا من قيام بعث جديد في العالم الاسلامي .

انها ترهب الأسد مكبلا بالأغلال . ومع ذلك تعمل بكل طاقاتها لمنع يقظته وليبقى راضيـا بأغلاله التي صنعتها هي بيديها له ..

(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (١)

النصرانية والوثنية معا ضد الاسلام :

واعجب العجب أن يمد الغرب المسيحي يديه الى الوثنية المادية والى الوثنيات الأخـرى ، يستعين بها في محاربة الاسلام وفي القضـاء عليه في بلاده وفي بلاد كانت اسلامية آمنة . مثل القرم والقوقاز وبخـارى وسمرقند وخوارزم . ومثل الفلبين وزنجبار وموزمبيق وغيرها . ثم يمد يديـه كذلك الى الصهيونيـة ويؤازرها . ويؤازرها معه كل معـاد للعـرب وحاقد على الاسلام (٢) من اليساريين وغـير اليساريين على السواء . وهذا كاسترو يمد السفير الاسرائيلي في بلاده . كما ذكرته صحف كوبا واذاعتها . وترجمته عنها صحفنا العربية ، فيقول له :

« .. على اسرائيل الا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعا اسلاميا دينيا حتى لا يجعل مـن حركتهم شعلة من نار الحماس الديني ، ممـا يجعل من المستحيل على اسرائيل أن تصـون كيانها . لأن الفداء اذا تملكته عقيدة دينيـة ، وبخاصة في المجتمعات الاسلامية . تلاشى أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية .

وسيعلم الناصح غير الأمين كاسترو أنـه هو ومن ينصحهم سـوف يبوءان بالخسران والذل المقيم باذن الله .

وهكذا تلتف جميع القوى العالمية في مواجهة الاسلام ترصـد حركاته وتتعـرف خطـواته وتتسمع همسـاته خوفا وقلقا . وجبنا وحذرا . وتحرص جميع وسائل الاعلام الصهيونية وغير الصهيونية على تـتبع أخباره وعلى تجسـيم



---

(١) ٣٢ و ٣٣ سورة التوبة .

(٢) غرض الصهيونية العالمية هو تمييع التراث العربي والاسلامي في منطقة الشرق الاوسط على الرغم من تمسكها هي بتراثها الديني الاسرائيلي (الصفحة الثالثة من جريدة الحياة البيروتية عدد ١٠ـ١١ـ ١٩٧٠) .

وليس في العالم كله دولة تخشى التحـركات الاسلامية بمثل ما تخشاه روسيا لانهـا بدون المناطق الاسلامية فيها لا تستطيع اقتصاديا ان تظل دولة كبرى (٣ الحياة ـ ١٥ـ١١ـ١٩٧٠) .

وغرض امريكا من نشاطها السياسي والثقافي والعلمي في منطقة الشرق الاوسط طيلة المائة عام الاخيرة هو تمييع المبادىء والعقائد الروحيـة والدينية التي يؤمن بها سكان المنطقة (٣ الحياة ـ ٢٥ـ١١ـ١٩٧٠) .

ويقول ايدن في مذكراته ص ٢٤٢ الطبعـة الانجليزية : ان امريكا راحت تنفق اموالها بسخاء في الخمسينات على نطاق مسرف لاعانة الشيوعية في منطقة الشرق الاوسط .

خطواته وكل خطوة يخطوها المسلمون ليلتفتوا الانظار في العالم الصليبي والشيوعي والصهيوني الى حركاته وخطواته • ويجتمع القادة بين الحين والحين للتخطيط لمستقبل الشرق الأوسط في غياب الأسد المحصور عن عرينه ؛ ولكنهم سوف يفاجأون في يوم من الايام باذن الله بما لم يكن لهم في الحسبان وبما لم يدر في خلدهم وتفكيرهم على طول الزمان • وصدق الله العظيم •

« إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ • كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » (١) •

«قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ • قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ » (٢)•

اذن كيف نصل الى الغد الذي نريده ونحلم بـــه ؟

نقول :

كان ماضي الاسلام يتركز في العقيدة الالهية المحمدية التي حملها في جوانحهم مسلمون يصنعون المعجزات بايمانهم •

أما حاضره اليوم فلا يعتمد على أساس • مسلمون •

ولكن أين العقيدة •

وعرب •

ولكن أين الايمان ؟

حاضرنا كحاضر العرب حين بدء نزول الرسالة مما يتحقق به قول الله عز وجل •

« قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ » •

وقول رسول الله ﷺ :« بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء»

ان الغد الذي نريده لن يكون لنا الا بالاسلام •

ولن نصل اليه الا اذا كنا مؤمنين بعد أن نكون مسلمين •

انه لا يمكن أن يكون غدا آخر مقطوع الصلة بماضينا لأن ذلك محال يأباه ديننا وتراثنا وتاريخنا وفكرنا من جانب ومحال الوصول به الى غاياتنا وأهدافنا من جانب آخر وفيه ما فيه من تفريق جهود المسلمين ودخولهم في دائرة التبدد بالصراع الطبقي والحرب الاجتماعية بين الناس من جانب ثالث • وقد فشلت وتفشل كل المحاولات لبناء غد للاسلام يرتكز على أصول غير اسلامية ، من وثنية ومادية الحادية ووجودية وعلمانية وغيرها من المذاهب السائدة اليوم ••

ولا يومن مفكرو الاسلام وعلماؤه شعوبهم اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم الا بشيء واحد في مقدورهم . وفي مقدورهم أن يفعلوه ، وهو سبيلهم الوحيد الى النجاح والنجاة لو فعلوه،

(١) ٢٠ و ٢١ المجادلة •

(٢) ٤٨ و ٤٩ سورة سبأ •

ذلك هو عودة اليقظه الاسلامية من جديد ، نسير بها على ضوء البعث الاسلامى الكبير الذى صنعناه من قبل ، صنعنا به أعظم حضارة فى أعظم حقب التاريخ ، الى ما ننشده من غايات كريمة فى الحياة •

وذلك كان محور دعوات أئمة الاسلام وأعلامه فى العصر الحديث فى كل مكان ، وهو يكمن فى أساسه فى القيام بتوعية اسلامية حقة يقوم عليها جيل جديد يسير على بصيرة من الأمر الى فجر النور ، الى كبد الحقيقة ، الى سنا الأمل الى مشرق البعث الذى يود نحو سبعمائة مليون مسلم فى شتى أنحاء العالم أن يبصروا فى طريقهم الى السلام والرفاهية والمجد والعزة والسيادة فى الارض ، فالبعث الروحى هو منطلقنا الى المجد ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح به أولها •

كان الامام محمد عبده فى ظلمات اليأس القاتلة وهو يرى بلاده تحتلها أعظم دولة فى عصره ، يقول لجمال الدين الافغانى :

ايها السيد ، أرى أن نترك السياسه ونذهب الى مجهل من مجاهل الارض لا يعرفنا فيه أحد ، ونختار من هذه الامه عشرة غلمان — اى فتيان او طلاب فنربيهم على منهجنا ، ونوجه وجوههم مقصدنا : فاذا اتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا يمضى بضع سنين الا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد فى سبيل الاصلاح ، ومن هؤلاء يرجى الفلاح •

ومغزى كلامه أن للتربية الاسلامية طاقتها الكبرى على العمل من أجل استعادة هذا المجد العريق ، ومن أجل الغد المشرق والمستقبل المأمول ، وهو ماكرر الدعوة اليه كاتب اسلامى مشهور هو محمد فريد وجدى فى كتابه « الاسلام فى عصر العلم »

عن طريق التربية الاسلامية الحقة يصبح بلوغ هذا الهدف ممكنا ، ويصير تبدل الحال حالنا اليوم الى حال أفضل امرا جائزا ، ولن يتم ذلك الا بالاسلام •

الإسلام وحده •

وتقرير اليقين بامكان الوصول الى ذلك فى نفس كل مسلم واجب شرعا ، واليأس من بلوغ هذه الغاية قنوط من رحمة الله •

وما أحب الى نفس كل مسلم أن يعود المسلمون بالاسلام الى قيادة العالم ، والى استعادة مجدهم القديم ، والى الحياة فى ظلال حضارة اسلامية جديدة •

والاسلام تلقيناه عن الرسول عن الروح الأمين ، عن رب العزة والخالق المهيمن على ملكوت السموات والارض ، ولقد نطق به كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد •

وهو فى أصوله الكبرى دين الأنبياء من قبل ، وشريعة التوحيد التى وصى الله بها أنبياءه ورسله •

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١)



« ووصى (١) بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون » .

الاسلام شريعة الله التى ارتضاها لخلقه واصطفاها لعباده .

« إن الدين عند الله الإسلام »(٢) .

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٣) .

«أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون » (٤) .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

(١) ١٣٢ و ١٣٣ البقرة .
(٢) ١٩ آل عمران .
(٣) ٨٥ آل عمران .
(٤) ٨٣ آل عمران .

قال زيد بن اسلم :
كان يقال : من اتقى الله أحبه الناس وان كرهوا .
وقال الثورى لابن أبى ذئب :
ان اتقيت الله كفاك الناس ، وان اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا .
وقال سليمان بن داود :
اوتينا مما أوتى الناس ومما لم يؤتوا ، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا ، فلم نجد شيئا افضل من تقوى الله فى السر والعلانية ، والعدل فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى .
وفى « الزهد » للامام أحمد ــ أثر الهى :
« ما من مخلوق اعتصم بمخلوق دونى الا تقطعت أسباب السموات والأرض دونه ، فان سألنى لم أعطه ، وان دعانى لم أجبه ، وان استغفرنى لم أغفر له .
وما من مخلوق اعتصم بى دون خلقى الا ضمنت السموات والأرض رزقه ، فان سألنى اعطيته ، وان دعانى أجبته ، وان استغفرنى غفرت له .
عن « الفوائد » ــ « نوفل »

نحن والتاريخ..

.. ديوان العبر -١-

للشيخ محمد حسام الدين

مما يلفت النظر — لدى الباحثين فى تطور الفكر الاسلامى المعاصر — كثرة ما نشأ بالهند فى هذين القرنين ، من مذاهب ، وفرق وآراء ، يجنح اغلبها الى الحدة : ايجابا ، او سلبا .

وان كثيرا من هذه الآراء له اثر واضح فى الاتجاهات الاسلامية ، وبخاصة فى منطقة الشرق الاوسط .

واهم ما تأثرت بـه المنطقـة مـن هـذه الاتجاهات فكر مدرستين : اولاهما : مدرسة اسلامية تقليدية ، نستطيع أن نسميها بمدرسة الفقه ، والحديث .

وهى المدرسة التى بدأها الامام الفاضل الشيخ احمد بن عبد الرحيم ، المعروف بشاه ولى الله الدهلوى ، المتوفى سنة ١١٧٦ هـ — ١٧٤٢ م .

وتعهدها من بعده أبناؤه ، وأحفاده ، وتلاميذه وكان لها شأن فى التاريخ السياسى الهندى على يد السيد أحمد البريلوى المتوفى



---

(١) رجعنا فى اثبات الاحداث التاريخيـة ، وفى كثير من التعليقات عليها فى هذا المقال الى مراجع باللغة العربية ، وبالانجليزية ، وقد ترجمنا مانقلناه من المراجع غير العربية ، واشرنا اليها .

وكان اهم المراجع :

١ — دائرة المعارف البريطانية
Ecyclopeadia Brilanica 1968.

٢ — تراث الاسلام
The legacy of Islam CHACHT - & Pross worth
فى اصله الانجليزى ، وترجمته الصادرة عن دار المعرفة بالكويت ١٩٧٨ .

٣ — Emergece of Palistan — CH-M-ALI- Palistan 1979.

٤ — Concepts of Muslim Culture in 196AL Pakistan 1970.

٥ — العقيدة والشريعة فى الاسلام — اجناس جولد تسهير — دار الكتاب المصرى ١٩٤٦ .

٦ — جامعة ديوبند الاسلامية — جمع محمد حبيب الله مختار — نشر جامعة العلوم الاسلامية — كراتشى — باكستان ١٩٨٠ م .

سنة ١٨٣١ م .

ولا تزال هذه المدرسة باقيــة حتى اليوم ، ممثلة فى مدرسة ديوبند « دار العلوم » ، وما يجرى على منهجها ، من مدارس ، وجمــاعات للعلماء بالهند ، وباكستان .

والمدرسة الثانية : مدرسة تتجه الى العقــل والتجديد بشــكل أكبر . وبحيث يستطاع تسميتها بمدرسة التطبيق العقلى .

فهى فى منحاها تنزع الى اســتخدام العقل على نطاق واسع لدى تطبيق الأحكام ، وهذه هى مدرسة عليكرة « جامعة عليكرة الآن » التى أسسها سيد أحمد خان ، وكــان مــن أبرز دعاتها سيد أمير على .

كما كانت آراء محمد اقبال الدينية موافقة لهذا الاتجاه .

وقد تطرف فى الرأى تبعا لهذه المدرسة عدد من المفكرين المسلمين بالهند وباكستان . برز منهم مؤخرا محمد أشرف فى باكستان .

والواقع أن طبيعة الهنــد الجغــرافية ، والسكانية تجعل منها مكانا ملائما لاحتضــان العديد من النحل والمذاهب ، والآراء الدينية ، المقبول منها ، والمردود .

فاتساع الرقعة ، واختلاف الأقاليم ، وتنوع الأجناس ، وخصائص الشــعوب فيها تجعل الســيادة عليها فكريا ، ومذهبيا ، ودينيا أمرا خارقا للعادة .

لذا كان أصدق ما توصف به الهند أنها خليط مرقش من المذاهب والنحــل ، والعقــائد ، والديانات .

وقد استغل الانجليز هذه الطبيعة فى الهند ، فجعلوها ، وما جاورها منبتا ، ومقر حضانة ، وابتداع للفرق الدينية الشــاذة ، من مثــل : القــاديانية ، وفروعها ، والبابية ، وفروعهــا أيضــا .

على أية حال كان ما يعنينا اليوم ، وفى هذا الموضــوع ، هو النظر فى العــلاقة بين آراء المدارس الهنــدية فى القرون الأخــيرة ، وبين الفكر الاسلامى لدى تناوله لعدد من القضايا المعاصرة .

ومما لا ريب فيــه أن العــلاقة بين هاتين المدرستين ، وبين الفكر الاســلامى المعــاصر قائمة ، وواضحة ، وأن الهنــد ــ بحــدودها القديمه ــ وبظروفها السكانية ، والاقتصادية ، والثقــافية ، والدينيــة كانت ــ ولا تزال ــ مركزا مؤثرا ، بل وشديد التأثير بين البــلاد الاسلامية .

فهى بحدودها القديمة تتصل اتصالا مباشرا بأفغانســتان ، وايران ، والصــين ، والبــلاد الاسلامية الواقعة تحت ســلطان روســـيا السوفيتية .

وكذلك جــزر ، وبلاد المحيط الهنــدى : ماليزيا ، وسريلانكا ، وتايلاند ، واندونيسيا ، والفلبين ، وجـــزر القمــر ، ومالديف ، ومدغشقر ، وجنوب ، وشرق أفريقيا .

ثم تتصل مرة أخرى بطريق غير مباشر بعدد من البلاد الاسلامية .

واذا أردنا أن نتعــرف على طبيعــة الآراء الاسلامية النابتة فى الهند فى الآونة الأخيرة ، وجب علينا أن نبحث عن المؤثرات التاريخية ، والاجتماعية ، التى تعرض لها المسلمون فى هذه

البقعة من العالم .

اننا اذا نظرنا الى التاريخ الاسلامى فى الهند نظرة عامة ، ألفينا أن أهم المؤثرات الدينية ، والفكرية هناك تستند الى عاملين :

أولهما : أن الاسلام التقى هناك بديانة كبرى قديمة ، شديدة المراس ، تمد جذورها الى أغوار التاريخ ، وتستكن طقوسها ، وتعاليمها ، وتتعمق وجدان أبنائها ، وهى الهندوسية .

ولئن تميز الاسلام بقدرته الفائقة على اذابة ما يعترضه من الثقافات والفلسفات ، بل والديانات ، ومحوها ، أو ازاحتها ، واخضاع حضارتها لحضارته .

الا أن الهندوسية كانت من نوع عنيد ، متحمس ، أبقى أهلها ــ الا قليلا منهم ــ على موقفهم ، فى ثقافاتهم ، وشعائرهم ، وتقاليدهم ، وفى مواجهة الاسلام .

وكان لهذا أخطر الأثر فى تاريخ الصدام الاجتماعى ، والدينى فى شبه القارة الهندية .

والعامل الثانى : أن المسلمين فى هذه العصور المتأخرة خضعوا ــ هناك ــ لاتجاهات الفكر والسياسة الغربية .

ووضعوا فى بوتقة الصراع والتفاعل بين المذاهب والآراء الفكرية ، قديمها ، وحديثها .

فقد رأى الانجليز أن المسلمين يمثلون العقبة فى سبيل استقرار الحكم لبريطانيا فى الهند .

فكانت السياسة الانجليزية على خطة تهدف الى تنحية المسلمين عن مكانتهم القيادية فى البلاد ، وتنبيه الثارات ، والأحقاد ضدهم ، واخضاع المبادىء الاسلامية هناك لمتطلبات العمل ، والأهداف الغربية .

موقفان شديدان اضطر المسلمون اليهما فى الهند : موقف المواجهة مع الهندوسية فى صراع طويل لم ينته بعد .

وموقف المواجهة مع الفكر والسياسة الغربية ، فى جولة لم تنته بعد أيضا .

ومن المؤسف أن نقرر أن العلماء المسلمين لم يظفروا فى أى من الموقفين بنصر حاسم ، وأن الأمر فى ساحة المواجهة لا يزال بين مد وجزر .

لقد دخل الاسلام الهند فى ثلاث موجات رئيسية :

موجة مبكرة تحمل التجار ، والعلماء ، والصوفية على السفن التجارية العربية الى هذه البلاد فى سواحلها الجنوبية .

وكانت لهم مستوطنات هناك لا تزال آثارها باقية حتى اليوم على سواحل (مالابار) .

وموجة أخرى عن طريق الفتح الاسلامى على يد محمد بن القاسم فى سنة ٧١٢ م ، وقد بعثه الحجاج بن يوسف الثقفى الى الهند ، ففتح منها بلاد السند ، وجزءا من البنجاب ، فانتظما فى سلك الخلافة الاسلامية فى عهد الأمويين .

وموجة ثالثة عن طريق ممرات أفغانستان الشمالية الشرقية ــ عبر جبال (الهيمالايا) .

وقد بدأت هذه الموجة بغزوات السلطان محمود الغزنوى ، الذى حكم فيما بين عامى ٩٩٨ و ١٠٣٠ م . وأصبحت (لاهور) قاعدة الامبراطورية الغزنوية فى الهند .

ثم انتقلت العاصمة الاسلامية بعد ذلك الى (دلهى) فى عهد السلاطين المماليك الغوريين .

ثم تتابعت الامبراطوريات . والدول الاسلامية هناك . بعد أن خضعت شبه القارة الهندية بتمامها لسلطان المسلمين .

وكان آخر الامبراطوريات الاسلامية بالهند امبراطورية المغول . الى أن أعلنت بريطانيا رسميا فى سنة ١٧٨٤ م اسقاطها وضم الهند الى الامبراطورية البريطانية .

فى هذا العمر الطويل للسلطان الاسلامى فى الهند من سنة ٧١٢ م . حتى سنة ١٧٨٤ م أى ما يزيد عن ألف عام . عاش المسلمون . والهندوس . على أرض واحدة . والتقوا فى المدن . والقرى . والمساكن . والأسواق . وفى ساحات القتال . واحتفل الأعياد . وفى وهاد الأرض . وعلى قمم الجبال .

وجرى التفاعل بين الطائفتين . فى مجالات العمل . والتجارب . والمعرفة . واتحدا فى مجالات اللغة . والموسيقى . والشعر . والفنون . وأساليب السعى للرزق . وطرق المعاش . وترك كل فريق آثاره فى حياة الفريق الآخر .

لكنه مع كل هذا بقى لكل طائفة مظاهرها المميزة . وهى مظاهر تؤكد انفصال كل طائفة منهما عن الأخرى .

لقد عاشت الأسر الاسلامية والهندوسية فى جوار قريب . ولعدة أجيال . ومع هذا فانه من اليسير أن تميز بينهما . وأن تتعرف على أى منهما لأول وهلة .

انك تستطيع أن تتعرف عليها من الثياب . ونوع الطعام . والأثاث . وترتيب البيت . ومن أسلوب الخطاب . وتعبير التحية . من الشكل . والهيئة . والمشاعر والأحاسيس البادية .

هذا التغاير الظاهرى يعكس أبعاد التغاير الداخلى . ويعبر عن المشاعر . والعقائد المستكنة لكل منهما .

واننا لا نستطيع أن نتصور وجود اختلاف عميز بين أتباع ديانتين هو أبين . وأشد حدة مما بين المسلمين . والهندوس .

فالمجتمع الهندوسى مجتمع مغلق يعتمد على نظام الطبقات الدينية . التى تقوم بينها فواصل قديمة متوارثة . ولكل منها مرتبة محددة فى السلم الطبقى الاجتماعى .

وعلى هذا كان واقعه ميلاد الفرد فى طبقة معينة هى التى تحدد له وضعه طول حياته .

وعلى كل طبقة أن تلزم مرتبتها بين الطبقات . فليس لها أن تطمح الى طبقة أعلى .

ذلك أن سمو الطبقة . وترتيب مكانها . وكذلك التقوى . والصلاح . وسلامة الطبع . وحسن الخلق . بل وما يقع على الفرد من مظالم اجتماعية . كل هذا قدر . وقانون سماوى محتوم .

والناس يجزون على أعمالهم بجمع حساب الفرد عبر الدهور . وتطاول الأحقاب فى خط تناسخ الأرواح .

فتثاب الأرواح . أو تعذب بما تحل فيه من أجساد على مدى الأزمان .

ومن هنا يطالب الدين تابعيه بتقديس بعض الحيوانات . لأن روح الانسان تحل فى أجسادها بالتناسخ .

فالأبقار في قداستها ومرتبتها اسـامية مساوية ـ في الاعتبار ـ للرهبان الهندوس (١) .

وهكذا نرى الفرد الهندوسي العادي يعيش مضطربا بين احابيل هذه المعتقدات الاجتماعية ، التي تزكي فيه روح الولاء لطبقته ، وتنظم عبادته ، وعمله ، وزواجه ، ومهنته ، وعلاقاته الأخرى .

وهو منذ طفولته مقيد بظروف ، ونظام ديني معقد ، له تعاليم غريبة ، ومعتقدات خرافية شديدة التشاؤم ، وأحكام يقضي بها على الناس ، والأشياء بالنجاسة ، ويفرض على الهندوسي مباعدتها ، والنفور منها .

هذا النظام الديني يحكم حياة الفرد حكما لا مراجعة فيه ، فيحدد له طبقته ، ويرسم له مسار نشاطه لا يتعداه اقتصاديا ، أو اجتماعيا .

وهو النظام الذي يربط بين الوحدات الطبقية ، في وحدة عضوية متينة ، تنتهي الى المجتمع الهندوسي العام .

ثم يطالب الفرد منذ ساعة الميلاد بالولاء لهذا المجتمع ، وقبول معتقداته قبولا مطلقا .

فالرجل الهندوسي ينظر الى الحياة من خلال معتقداته الدينية ، لا يخرج عنها .

والناس تتحد أوضاعهم ـ في نظره ـ وفقا لوقائع ميلادهم ، فاذا ولد امرؤ خارج حظيرة المجتمع الهندوسي ، فهو انسان نجس ـ في اعتبارهم ـ نجاسة حسية بمعناها الدقيق .

من أجل هذا فليس من المستغرب أن الهندوس لا يدعون لدينهم بين قوم آخرين .

وليس هناك من سبيل لمن ولد خارج مجتمعهم أن تكون له علاقة بهذا المجتمع الا بما يشبه خيطا ضعيفا رفيعا جدا يتمثل في نوع من التجرد ، والتحليل النفسي ، والفكر فيما وراء المادة .

وفي رياضة تستغل أقصى امكانات الجهاز العصبي للانسان ، وهي رياضة اليوجا ، في أشكالها العديدة .

فليس لغير الهندوسي أن يطمع في أن يكون له اي انتماء ـ بل أو أية مشاعر متخيلة بالانتماء ـ الى هذا المجتمع (٢) .

أما الاسلام فانه في أصوله يتناول مختلف جوانب الفكر ، والعمل الانساني .

ودعوته موجهة الى البشر جميعا ، بغض النظر عن الوانهم ، وأجناسهم ، ولغاتهم .

انه يدعو الى الايمان بالله .. اله واحد هو قيوم السموات ، والأرض ، الخالق ، الرازق ، الذي بيده ملكوت الكون كله ، واليه يرجع الناس ، فيحاسبهم على ما قدموا من عمل .

والايمان باله واحد ، والاخاء الانساني هما الأساس في تعاليم رسل الله الذين أرسلهم الى الناس يدعونهم الى الحق ، والعدل .

والمرء لا يكتسب بنسبة أو بواقعة ميلاده أي ميزة ، أو وضع تجاه غيره ، فالكل سواء .

وعلى المسلمين ان يبذلوا أقصى مايستطيعون لاقرار العدل في مجتمعهم ، ولو كلفهم هذا

(1) Emergence of Pakistan — CHAUDHRI M-ALI — 1979 — p. 2.

(٢) المصدر السابق ص ٢ .

تضحيات بالنفس أو بالمال .

ونصوص الاسلام لا تنتهي من تأكيد حق الانسان في حرية العقيدة ، وحرية العمل .

والمسئولية في الاسلام مسئولية مباشرة ، فاذا عاش قوم في جهل ، أو فقر ، أو فساد فليس لهم أن يلقوا اللوم على غيرهم ، أو على حياة سبقت لهم من قبل في أجيال مضت ، في عالم تناسخ الأرواح .

وعليهم أن يتحملوا مسئولية ما هم فيه : اليوم ، وغدا في الحياة الآخرة (١) .

هذه المبادىء الاسلامية العامة للنظام الاجتماعي فرضت على الهندوس بالقوة واقعا عمليا عبر التاريخ منذ بداية الفتح الاسلامي للهند على يد محمد بن القاسم سنة ٧١٢ م ، وحتى تاريخ النصر الذي ظفر به أحمد شاه العبدلي على اتحاد (ماراتاز الهندوسى) سنة ١٧٦١ م .

وفي خلال هذا العمر الطويل كانت الفتوحات الاسلامية – وقد استمرت لعدة قرون – في شبه القارة ، حتى تمت السيطرة عليها .

وكانت مواقف القتال امتدادا لحركات الانفصال تبدو للمسلمين والهندوس من زاويتين مختلفتين .

فكان المسلمون يرون ملوك هذه الفتوح ، وقادتها أبطالا مؤمنين ، يطهرون الهند من الفساد والمظالم .

يرون الذين ناهضوا الامبراطورية الاسلامية هناك عصاة مجرمين .

وعلى العكس من هذا كان الهندوس ينظرون الى هؤلاء الذين ناهضوا الامبراطورية الاسلامية فيرونهم أكثر الناس صدقا في الوطنية .

ثم ظهر البريطانيون في أفق الهند فرأوا من صالحهم أن يشعلوا نار الفتنة ، وأن يهيجوا الثارات بين أتباع هاتين الديانتين .

فعمدوا الى اعادة كتابة تاريخ الهند ، ليظهر المسلمون فيه ظلمة جبارين ، يسومون الناس ألوان الخسف ، والعذاب .

وليكون القصص التاريخي الهندي مثيرا للهندوس الذين يشكلون الكتلة السكانية الكبرى في الهند ، ودافعا لهم أن يحمدوا فضل الحكام الانجليز (٢) .

وكانت الفرصة مهيأة للانجليز لكسب هذه الكتلة السكانية الضخمة الى جانبهم ، واستغلالها ضد المقاومة الاسلامية ، وتغيير المعادلة الاجتماعية بينهم وبين المسلمين .

لقد كان المسلمون قادة الهند ، وكانوا مع هذا أقلية سكانية قدمت في جيوش فاتحة ، أو تبعا للجيوش الفاتحة ، ثم استقرت بالبلاد ، واستوطنتها ، وتبعها قوم من أهل البلاد ، اعتنقوا الاسلام ، واختلطوا بها .

ثم جرت عوامل التغيير في تركيبة المجتمع الهندي السكانية تدريجيا ، وعلى مر الزمان أصبح المسلمون ربع سكان الهند ، فهم في الشمال الشرقي ، والشمال الغربي يمثلون الأغلبية العظمى من السكان .

(١) المصدر السابق ص ٣ .

(٢) المصدر السابق .

لكنهم فى وسط الهند وجنوبه يتراجعون فيمثلون نسبة تتراوح بين ١٥ ، ٥ فى المائة من السكان .

ذلك لأن الحكام المسلمين لم يوجهوا من جهودهم الا قليلا لنشر الاسلام فى جنوب الهند (١) .

يقول راجاندا براساد ، وهو أول رئيس لجمهورية الهند بعد الاستقلال : « ان موقف الفاتحين المسلمين — فى عمومه — كان موقف التسامح ، وان الاسلام انتشر فى الهند بجهود القدوة من علماء الاسلام ، ومن الصوفية ، الذين كانوا يجوبون الهند ، من أطرافها الى أطرافها ، فيتعرضون لكثير من المصاعب والأخطار فى سبيل سعيهم لنشر الحقيقة » (٢)

لقد عاش المسلمون فى المدن والقرى بالهند ، وعملوا فى كافة الأعمال ، فكان منهم الحكام ، ورجال الادارة ، والجنود ، والمدرسون ، وملاك الأراضى ، والفلاحون ورجال المهن ، والصناعة ، والتجار .

وكان طبيعيا أن يعظم جانبهم فى ظل الحكم الاسلامى ، فى المجالات العسكرية ، والتشريعية ، والادراة المدنية .

وليس معنى هذا أن يكون الهندوس قد أبعدوا تماما عن التمثيل فى الادارة المدنية ، فقد اختصوا بالادارة المالية — فى غالب الأمر — فى ظل الحكومة الاسلامية ، كما عملوا فى الجوانب العسكرية ، فكان منهم قادة لجيوش تتكون جمهرتها من المسلمين .

ثم ان التجارة ظلت فى أصولها فى أيدى الهندوس أما ملاك الأرض الكبار فكانوا من الجانبين وكانت المدن مقسمة الى احياء يقيم الهندوس فى بعضها ، ويقيم المسلمون فى البعض الآخر .

لكن الأسر المسلمة ، والهندوسية كانت تمارس شئونها فى الحياة — غالبا — جنبا الى جنب .

وبالرغم من كل هذا فان حدة الفرقة ، ومظاهرها لم تختف عبر القرون .

فقد عمد الهندوس الى مزيد من التشدد ، فى قيودهم الطبقية ، واحتياطات النجاسة ، ليضيق مجال الاتصال بالمسلمين .

وكان هذا نوعا من الدفاع التلقائى عن سلامة مجتمعهم خلال القرون التى خضعوا فيها للحكم الاسلامى .

فقد حكموا بالنجاسة على أى طعام ، أو شراب ، أو أدوات ، اذا مسها مسلم (٣) .

لقد كان هناك مجتمع نباتى ، وآخر لا يتقيد بالنباتيات ، وكانت هذه الظاهرة عقبة فى سبيل اللقاء الاجتماعى بينهما .

لكن أكبر العقبات ، وأشدها حدة فى هذا السبيل ، تمثلت فى معتقدات الهندوس وقيودهم الطبقية ، فكانت بمثابة ستار حديدى يقسم أبناء الهند الى شعبين ، ويفصل بينهما .

انه لا أحد ينكر أن الهندوس بالرغم من هذه الظروف تأثروا بكثير من المبادىء الاسلامية .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق ص ٤
(٣) المصدر السابق ص ٤ .

لقد تفجرت بينهم حركات عديدة تدعو الى التوحيد ، وتؤكد أن الاخلاص والعمل الصالح هما سبيل النجاة ؛ لا ما ورثه المرء من حياة سابقة .

وكان كثير من الحركات يدعو الى الوحدة بين الديانات ، والى اتباع سبيل الحب ، والتآخي بين الناس .

كما أن السلوك والعادات الهندوسية تأثرت بأسلوب الحياة ، ونماذجها لدى النبلاء المسلمين ، بوصفهم النموذج الاجتماعي الأمثل .

وتأثر المجتمع الهندي بأنماط الثياب الاسلامية ، وأسلوب الرسم ، وهندسة البناء الفارسية المسلمة .

وبمرور الزمن تأثرت اللغة الأوردية ـ لغة الهند ـ بمفردات ، وتعبيرات عربية وفارسية ، جرى تطعيم هذه اللغة بها ـ في تطبيق رائع ، ومزج جميل .

وقد جرت محاولة للربط بين الديانتين في صورة مختارة منهما ، ابتدعها أكبر خان الامبراطور المغولي ، ليقدم بها دينا صناعيا يخدم السياسة والغايات الملكية .

لكن أسباب التقارب هذه لم تؤت ثمارا تجمع بين الشعبين ، وقد كان موت أكبر خان الذي حكم فيما بين سنة « ١٥٥٦ و ١٦٠٥ م » نهاية لمحاولته الدينية ، وايذانا برد فعل حاد عنيف ، بلغ أوجه في عهد آخر الأباطرة العظام من المغول في الهند « أورانجزيت » الذي عاش من « ١٦٥٨ حتى ١٧٠٧ م » فقد أعاد السيادة الدينية الاسلامية الكاملة ، والمذهب الحنفي بالذات الى ربوع الهند .

وكانت شمس الامبراطورية المغولية تؤذن بالمغيب ، فلم يكد يمضي على موت (أورانجزيب) وقت قصير حتى بدأ بناء السلطة بها يتهاوى ، ويتحطم ؛ فقد استقل حكام الولايات على أطراف الهند وتمتعوا بحكم ذاتي ، فلا يؤدون للحكومة المركزية الا مجرد رمز الولاء ، والاحترام .

وأصبحت الحكومة المركزية من الضعف ، والفتك بحيث تعجز عن أن تبسط سلطانها عليهم .

وزاد من شدة الموقف ، وحدة الصدام بين المسلمين والهندوس أن حكومة هندوسية اقتطعت عددا من الولايات الشمالية الشرقية للهند ، واستقلت بها تحت اسم « اتحاد مارانار » في مطلع القرن الثامن عشر .

وكان انتصار أحمد شاه دوراني عليها سنة ١٧٦١ م (١) ، واخضاعها للحكم الاسلامي مرة أخرى بمثابة كارثة دينية لدى الهندوس ، ضاعفت من مشاعر الكراهية للمسلمين .

في هذا الجو من الاضطراب والضعف دخل الانجليز الميدان طرفا ثالثا .

ومن قبل كانوا يعملون بالهند على مدى قرن ونصف لحساب شركتهم ، يأتمرون بأمر الحكومة الاسلامية ، في تواضع ، وخضوع .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

ويتقــدمون الى الأباطرة المغول ، والى حكام الولايات بالرجاء ٠

فلما استدارت الحوادث ، والأيام لصالح الانجليز فى منتصف القرن الثامن عشر عملوا خلال مائة ســنة من هــذا التاريخ على تفجير الامبراطورية الاســلامية ، ونسف بنائها من جذوره ٠

واستغلوا فى هذا السبيل جميع أسلحتهم : أسلحة الدبلوماســـية ، والقوة ، والغش ، والخديعة ، وسوء الأخلاق ٠

وهى الأسلحه التى عملت من قبل لمثل هذه الغاية فى مجال التجارة مع الهند ٠

وكان الهندوس بمنطق الاحداث والظروف ، وبحكم العلاقات التجارية حلفــاء للانجليز فى كل ما يفعلون ٠

فلما كسب الانجليز المعركة عملوا بكل قوة على ســحق المسلمين ، وتدميرهم تماما (١) ، وبخاصة فى الجانب المعنوى من حياتهم ٠

وكان على المســلمين ان يواجهوا موقفــا جديدا ، هو اشد من كل ماراوه ، او تصوروه من قبل ٠

هذا : والحديث ذو شجون ، وله بقيــة ٠

وبالله التــوفيق ٠

محمد حسام الدين

---

(١) EMERGENCE OF PAKISTAN



س : مــن المواطــن ا ٠ البهتيمى ــ القليوبية

وجب عليه الحج ولكنه مريض مرضــا مزمنا لا يستطيع معه الحج بنفسه ، فهل له ان ينيب غــيره ؟

ج : من وجب عليه الحج وعجز عن الحج بنفسه لمرض مزمن مثلا ، وجب عليه أن ينيب غيره ليحج عنه ، سواء دفع مصاريف من ينوب عنه أو تبرع النائب بالمصاريف ، وتسقط فريضة الحج عنه بأداء النائب .

س: من المواطن م ٠ س الطنطاوى ــ الغربية

لى جار اقام حظيرة ماشية بجوار حائط دارى ، ووضع خشب سقف الحظيرة على الحائط الــذى أملكه دون اذنى وفى غيبتى ، وتسبب عن ذلك تصدع البناء ٠ فما الحكم وبعد تهدم البناء هل للجار ان يعيد وضع الخشب ؟

ج : ليس للجار اقامة حظيرة بجوار حائط جاره ، ولا أن يفعل شيئا ما يضر بالجار فلا ضرر ولاضرار ، وليس له وضع خشب الحظيرة ولا غيره على الحائط الا باذن جاره والا كان متعديا أو ظالما .

وحيث انه قد تسبب عن فعله تصدع الجدار فهو ضامن له لأنه المتسبب فى تلفــه أمــا اذا انهدم الحائط فليس للجار اعادته ووضعه على الجدار ، لأنه كان ظالما بما فعله بوضعه الخشب على الجدار ، وسكوت صاحبه على ذلك لايكسبه حقا .

س : من المواطن ا ٠ ف ٠ عبد الرحمن

رضع من جدته أم والده مع عمتــه الصغرى ، فهل يجوز له ان يتزوج مــن بنت بنت عمته الكبرى ، علما بان الرضاع خمس رضعات ، وعمته الكبرى اخت ابيه من والده وليست شقيقة ٠٠٠ ما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب من جــدته أم والــده خمس رضعات ، صار ابنا لها وأخا لجميــع أولادها .

وعلى ذلك فلا يجوز له الزواج من بنــات أعمامه ولا من بنات عماته وان نزلوا ، ولا عبرة بأن عمته الكبرى أخت أبيه من الأب .

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

س : مـن المواطن ح · ر· ابراهيم
طلقت زوجتى قبل الدخول بها بقولى لها
انت طالق ، ثم راجعتها بقـولى لهـا :
راجعت زوجتى الى عصمتى ·

ومرة ثانية بعد الدخول بها قلت لها : انت
طالق وراجعتها ·

وفى المرة الثالثة قلت لوالدها : ابنتك
طالق · فما الحكم ؟

ج : بقولك لزوجتك قبل الدخول : أنت طالق،
يقع به طلقة واحدة بائنة بينونه صغرى ، ولا
تحل لك الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ·
وحيث انك دخلت عليها قبل أن تعقد عليهـا
فدخولك بها باطل شرعا ·
وكذلك الطلقتان اللتان أوقعتهما بعد الدخول
لا شىء فيهما ، حيث انها كانت أجنبية عنك ·
وعليك أن تعقد عليها عقدا جديدا بمهر جديد
وبرضاها ، وتبقى معك على طلقتين ·

س : من المواطن / ع · م · المصرى
الشرقية ·
توفيت امرأة عن : أخت شقيقة ، أخ لام
وهو فى الوقت نفسه ابـن عم شقيق ،
وابن عم شقيق آخـــر ، وأولاد أخت
شقيقة فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من
يعصبها أو يحجبها · وللاخ لأم السدس فرضا
لعدم من يحجبه ·

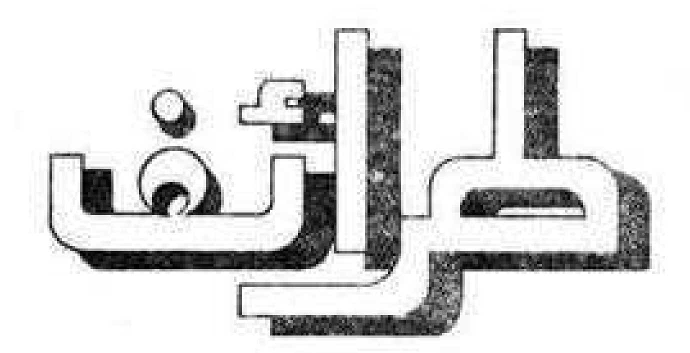
والبـاقى لابن العم الشـقيق والأخ لام
باعتباره ابن عم شقيق يقسم بينهما بالتساوى
ولاشىء لأولاد الأخت الشقيقة لأنهم من ذوى
الأرحام المؤخرين فى الميراث عـن أصـحاب
الفروض والعصبات ·

والله اعلم
عبد الحميد السيد شاهين

... مـن الجهل

الجاهل يشكو الله الى الناس وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو اليه فانه لو عرف ربه لمـا شكاه ، ولو عرف الناس لمـا شكا اليهم ، ورأى بعض السلف شاكيا ، فقال : ياهذا ، والله مازدت على ان شكوت من يرحمك الى من لا يرحمك ·





حقيقة العبادة

اتى اعرابى ابا جعفر بن محمد فقال له : هل رأيت ربك حين عبدته ؟ قال : لم اكن لاعبد شيئا لم اره .

فقال : كيف رأيته ؟ .

قال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ، بل رأته القلوب بحقائق الايمان .

لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات .

« هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ » .

الرازى والصبيان

حكى ابو على الرازى ، قال :

مررت بصبيان فى طريق الشام يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار :

فقلت : مهلا قد غبرتم .

فقال صبى منهم : ياشيخ أين تفر اذا هيل عليك التراب فى القبر .

فغشى على فأفقت والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون .

فقلت له : أعندك حيلة فى الفرار من التراب ؟ .

قال : أنا لا أعلم ولكن سل غيرى .

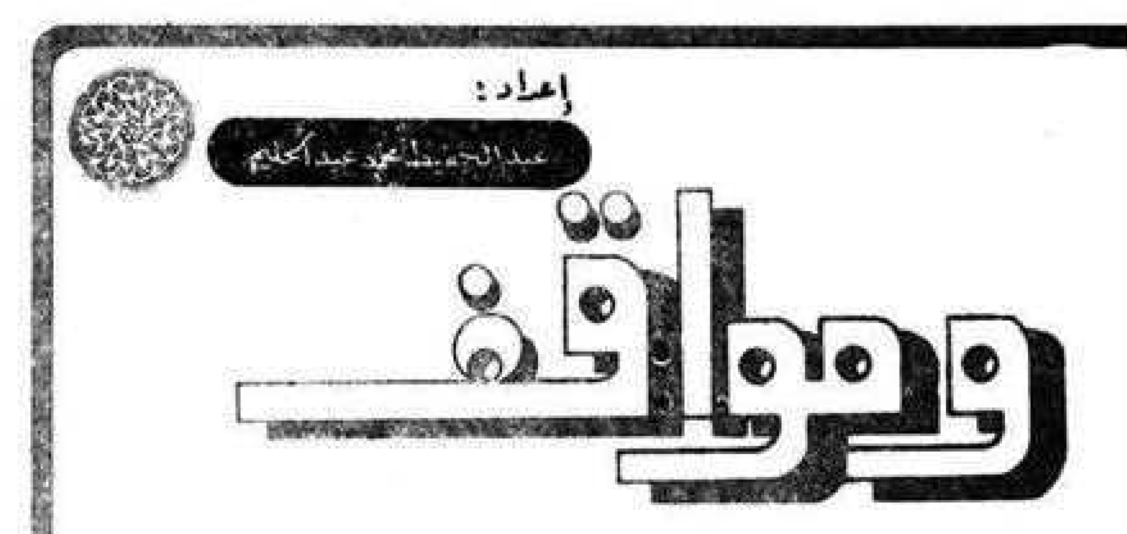
فقلت : ومن غيرك ؟

قال : عقلك !! .

قالوا ...

* ملاك الدين الورع ، وآفة الدين الطمع .

* من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه .



* ليس أخطر على الانسان من ادعاء ما ليس فيه ليس فقط خشية افتضاح أمره كما جاء فى قول عمرو بن العلاء :

من تحلى بغير ما هو فيه
فضحته شواهد الامتحان

وانما خشية مقت الله ــ عز وجل ــ : كما جاء فى بعض معنى قوله الكريم : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .

* لم يهلك أحد من مشورة .

حقا

يقول خالد بن معدان :

ما من عبد الا وله أربع أعين : عينان فى وجهه يبصر بهما أمور الدنيا . وعينان فى قلبه : يبصر بهما أمور الآخرة . فاذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين فى قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب .

كيف تكون النصيحة

يقول الامام الشافعى :

تعمدنى بنصحك فى انفرادى
وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فان النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

دعاء

اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا اماما ونورا وهدى ورحمة .

اللهم كن لنا ولا تكن علينا .

اللهم اختم بالسعادة آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا .

وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

من أعلام الأزهر

فى القرن الحادى عشر الهجرى

الشيخ أحمد هاشم المكاوى

الشهير بأحمد الأسيوطى

علم من رجال الازهر فى عهوده الاولى نهل من رحيق علومه وارتوى من بحور ثقافته ، ثم قام بالتدريس فيه لمدة خمسة عشر عاما حتى تطوع من قبل الازهر الشريف عندما لجأت اليه الحكومة العثمانية بطلب السفر الى مدينة جرجا بالصعيد الاوسط بمصر للاقامة بها واعادة تعميرها ، وافتتاح معهدها الدينى بعد خرابها وتوقف الحياة فيها بسبب ما ألم بها من وباء الطاعون سنة ٩٨٠ هـ ، ذلك الوباء الذى أهلك الحرث والنسل فى تلك المدينة اذ قضى على أربعة أخماس سكانها اما الباقى فقد هرب بعضه الى اقليم السلسلة ببلاد النوبة ثم واصل سيره حتى بلاد مالى بغرب افريقيا والبعض الآخر فر الى مدينة المحلة الكبرى حيث استقر بها .

ذلك هو الشيخ أحمد هاشم المكاوى الجد الاكبر لعائلة السيوطى (١) هناك والتى تنتسب اليه وأول مجدد لمعهد جرجا الدينى بعد توقفه عن مدارسة العلم والشريعة لما انحسرت الحياة عنها بسبب ما أصابها من ذلك الوباء الخطير فى ذلك الزمان .

مولـــده :

يذكر الحاج احمد عبد العزيز السيوطى (٢) وهو أحد أحفاد الشيخ أحمد هاشم المكاوى عن جده المذكور أن تاريخ مولده كان فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى بمدينة مكة المكرمة وهو من عائلة (آل أبو سريع) الـذين هم من أولاد الشيخ عنبر أحد أحفاد الامام الحسن السبطى رضى الله عنه ابن الامام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولما شب عوده تلقى العلوم الدينية على يد العلماء من أسرته بالديار الحجازية ثم رحل الى الديار المصرية حيث استأنف دراسته على يد علماء الازهر

---

(١) وهذه العائلة هى خلاف عائلة السيوطى التى ينتمى اليها الامام الحافظ جلال الدين أبى الفضـل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى الذى ينتسب الى مدينة أسيوط حيث كانت عائلته تقيم بها قبل نزوحها الى القاهرة .

(٢) هو وكيل نقابة الاشراف وصاحب مكتبة دار الهلال ومطبعتها بمدينة جرجا . .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الشريف ثم قام بالتدريس فيه .

نزوله جرجا ووفاته :

وأما تاريخ نزوله بمدينه جرجا فكان فى سنه ١٠٠٥ هـ الموافق سنة ١٦٠٥ م وقد اصطحب معه ثلاثمائة نفر من طلاب العلم من أبناء الصعيد ليكونوا نواة نشاط المعهد الدينى عند اعادة افتتاحه ، وقد اتخذ من المسجد العمرى العتيق مكانا لالقاء دروس العلم والدين فيه ثم تزايد عدد الطلاب حتى بلغ عدد من يتلقى العلم فى ذلك المعهد بعد ذلك نحو ستة آلاف طالب تقريبا ينمتون الى جنسيات مختلفه اذ كان منهم الاتراك والشوام والسودان والهنود ومن أهل العراق وغيرهم .

وبعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين توفى الشيخ أحمد هاشم المكاوى الى رحمة الله ودفن بتلك المدينة التى كان له شرف تعميرها بشخصه وعلمه .

كيف قام بذلك مع انه لم يكن مصريا :

انما كان ذلك ، لأن شريعة الاسلام تجعل المسلمين أمة واحدة بسبب وحدة العقيدة التى تجمعهم حتى ولو اختلفوا فى الجنس أو اللغة أو الاقليم أو غير ذلك مما يختلف فيه الناس فى وقتنا الحاضر ، لأن عنصر العقيدة الاسلامية يغلب هذه الاختلافات ويجعل المسلمين ، ليسوا اخوة فى الدين فحسب ، بل انه ليصهرهم فى بوتقة واحدة هى دولة الاسلام قال تعالى : (إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (١) .

وقال جل شأنه (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(٢)

ولهذا اقترن هذا التنظيم السياسى (اى الدولة) مع تكوين الجماعة الاسلامية الاولى عندما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى المدينة المنورة وصارت رابطة الفرد المسلم بدوله الاسلام هى رابطة قانونية بسبب كونه مسلما وهو ما نسميه بالجنسية فى زماننا المعاصر (٣) ، لذلك لم يكن هناك حرج فى ذلك الزمان أن ينتقل الشيخ احمد هاشم المكاوى صاحب الترجمة من موطنه الأصلى فى بلاد الحجاز فى يسر الى القاهرة ثم منها الى مدينة جرجا والاقامة بها دون أن تكون هناك عقبات تعترضه ، لأنه كان مسلما تابعا فى جنسيته لدولة الاسلام التى تتبعها مصر .

---

(١) الانبياء ـ ٩٢ .
(٢) آل عمران ـ ١١٠ .
(٣) كتاب احكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام ـ تاليف الدكتور عبد الكريم زيدان ـ الاستاذ بكلية الآداب جامعة بغداد ونشرته الجامعة المذكورة سنة ١٣٩٦ هـ ـ سنة ١٩٧٦ م ص ٦١ المبحث الثانى الجنسية فى الشريعة الاسلامية .

لمحة تاريخية عن مدينة جرجا :

كانت تلك المدينة حاضرة للاقليم المحيط بها في الصعيد الأوسط منذ عصور المصريين القدماء لكنها لم تكن معروفة بهذا الاسم حينئذ بل كانت تدعى (أباذو) وذلك في عهد الملك مينا (نارمر) أول ملوك الأسر المصرية القديمة .

وفي العهد الروماني أطلق عليها الرومان (داجرجر) نسبة الى الأمير داجرجر ابن الملك داجرج ثم دعيت بعد ذلك (دا جرجا) نسبة الى الاميرة (داجرجا) ابنة الملك (داجرجر)، ثم سميت (جرجى) في العهد القبطي خلال القرن الثالث والرابع الميلادى نسبة الى الأسقف (جرجى) الأريوسى الذى نفى اليها بسبب اعتناقه لعقيدة (التوحيد) التى كان ينادى بها الأسقف (آريوس)ومعارضته لنحلة التثليث التى اعتنقتها الدولة الرومانية والكنيسة القبطية منذ ٣٢٥ م اثر انعقاد مجمع (نيقيه)بواسطة الأمبراطور قسطنطين قيصر الرومان (١) .

ولما جاء الجيش الاسلامى في عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وحارب الرومان وطردهم من مصر أرسل قائده عمرو بن العاص فرقة من جنوده تحت امرة أحد أعوانه الى بلاد الصعيد فتم له ضمن ما فتح من مدن مدينة (جرجى) وأعجبه فيها معبد فرعونى ضخم فحوله الى مسجد تقام فيه الصلاة سماه بالمسجد العمرى نسبة الى اسم الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وكان ذلك عام ٢١ هجرية الموافق سنة ٦٤١ م ، وقد عنى به الولاة تبل الدولة الاسلامية اذ كانت مدينة جرجا عاصمة لأحدى تلك الولايات التابعة للديار المصرية (٢) فأقاموا له أربع منارات كان يتردد عليها الأذان للصلاة وتدرس فيه العلوم الاسلامية كما قدمنا واستمر على ذلك حتى حول النيل مجراه واخترق داخل المدينة عام ١١٧٢ هـ الموافق سنة ١٧٧٣ م فحطم ضمن ما حطم ذلك المسجد العمرى العتيق فأعيد مكانه بناء مسجد حديث صغير سمى باسمه وان كان يختلف عن المسجد القديم في حجمه ورسمه .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه أن الشيخ خالد بن عبد الله النحوى الشهير بـ (الأزهرى) صاحب متن النحو المعروف بالازهرية كان من مدينة جرجا (٣) .

عراقة معهد جرجا الدينى في دراسة العلوم الاسلامية :

يعتبر ذلك المعهد من أقدم المعاهد الاسلامية في الديار المصرية لانه منذ اعادة افتتاحه سنة ١٠٠٥ هـ بمعرفة الشيخ أحمد هاشم المكاوى يكون قد مضى عليه قرابة أربعة قرون حتى الآن

(١) كتاب جرجا بين القديم والحديث اعداد الاستاذين محمد فؤاد احمد عبد العال وفاروق محمود بلاش بمديرية التربية والتعليم بمحافظة سوهاج .

(٢) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى الجزء الاول ـ نشر دار الشعب .

(٣) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الالفى للازهر ـ مقال (الازهر المعجزة الرباط) لسماحة الشيخ عبد الله كنون .

كان خلالها يبث العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية لكل من انتظم فيه من طلاب العلم ، والاقبال على العلم طابع المسلمين منذ عصورهم الاولى فقد تميز المسلمون بحرصهم البالغ على طلب العلم واستمر ذلك الحرص خلال تاريخهم الطويل وكان الطالب المسلم حديد العزم قوى الارادة ذلك كل الصعوبات التى اعترضته ، ولم يكترث بالعقبات ولم يبال بالمخاطر ماكان ذلك الا استجابة للوحى القرآنى الذى آمن به و امتثالا لتوجيهات النبى ﷺ التى تحث على العلم وترفع قدره وقدر من يشتغل به .

قال الله تعالى : (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**) .

(**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**) سورة المجادلة ١١ .

(**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**) سورة طه ١١٤ .

ويقول رسول الله ﷺ فى أحاديث كثيرة نجتزىء منها الآتى (١) :

(**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**) متفق عليه .

(لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) متفق عليه .

(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة) رواه مسلم .

(اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له) رواه مسلم .

(من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) رواه الترمذى .

وقال : حديث حسن .

استمرار المعهد الدينى تحت اشراف أولاده وأحفاده :

لما قام ذلك المعهد العتيد بأداء رسالته العلمية والدينية أشرف عليه الشيخ أحمد هاشم المكاوى اذ قد صار شيخا له حتى توفى الى رحمة الله فقام أولاده وأحفاده من العلماء بشرف ملاحظته والعناية به و التدريس فيه ، ينفقون فى ذلك عليه من حر مالهم الخاص ، وعلى طلاب العلم فيه خصوصا الفقراء منهم ونذكر من هؤلاء العلماء .

١ ـ المرحوم الشيخ مكي وهو ابن صاحب هذه الترجمة .

٢ ـ المرحوم الشيخ على مكي ويقول عنه صاحب كتاب تاريخ النواحى والأرجا فى ذكر علماء جرجا أنه كان من أقران العلامة الشيخ محمد الامير الكبير وحرر على مجموعة ، وكان

---

(١) كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للامام محيى الدين ابى زكريا يحيى بن شرف النووى .

يرجع اليه بعض العلماء فى حل معضـــلات المسائل (١) .

٣ ــ المرحوم الشيخ أبو بكر مكى وقد ورد عنه فى الكتاب المشار اليه فيما سبق انه كـان اماما شهيرا وعالما كبيرا أدرك من علماء بلـدة الجمايذة المرحوم الشيخ عبد المنعم بن عبـد الرحمن الخياط والمرحوم الشيخ عبد الرحمـن ابن أحمد الخياط وغيرهما من أفاضل العلماء ، كما أخذ عنه كثيرون من أجلهم مفتى الصـعيد وقتئذ المرحوم العلامة الشيخ عبد الله عنانى والمرحوم العلامة الشيخ محمد بن أحمد المصرى الأمير ، وابن أخيه المرحوم العلامة الشيخ محمد على مكى (٢) .

٤ ــ المرحوم الشيخ محمد على مكى الذى تلقى العلم على يد عمه وأستاذه المرحـــوم الشيخ أبو بكر مكى .

٥ ــ المرحوم الشيخ أحمد على مكى وهـو شقيق المرحوم الشيخ محمد على مكى السابق الاشارة اليـه .

٦ ــ المرحوم الشيخ عبد الله محمد على مكى وقد أخذ العلوم على أفاضل علماء عصره نذكر منهم العلامة الشيخ حسن العدوى الحمزاوى والشيخ محمد ابراهيم الشهير بالابراشى وقد اشترك معه فى تصنيف بعض التآليف النحوية ومختصر ابن أبى جمرة وفى شرح الاحاديث النبوية فى بعض اجزاء من كتاب الامام البخارى

وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء ، وكان منهـم الشيخ محمد البغدادى من مدينة بغداد عاصمة بلاد العراق .

٧ ــ المرحوم الشيخ احمد محمد على مكى .

٨ ــ المرحوم الشيخ عبد المنعم محمـــد على مكى .

٩ ــ المرحوم الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن السـيوطى .

وهو اخر شيخ لذلك المعهد الدينى العتيـد قبل ضمه لادارة الازهر ، داوم على العنـاية به وتدريس العلوم الشرعية فيه حتى تـاريخ وفاته سنة ١٣٤٢ هـ وله مؤلفات كثيرة لكنهـا مازالت مخطوطة اطلع على بعضها المستشرق الألمانى بروكلمان وأعجب بها ونقل بعضامتها الى اللغة الألمانية .

وقد أحبه طلاب العلم وتلاميذه لغـــزارة علمه وسمو خلقه وعلو همته وسـماحة طباعه حتى مدحه بعض تلاميذه بالقصائد الشـعرية نجتزىء منها بالأبيات الآتية :

اصـل العـلوم وحافظ القـرآن
آل السيوطى شعلة الأيمـان

العلم دينهم والفضــل مشربهم
فاحفظ الهى صــائنو الاحســان
هم قــد بنوا للدين شـامخ معهد
يســـقى من الآيات والقـــرآن
ذكــــراه للعطشى رحيق ســـائغ
حلو المذاق لتــــائه ظمــــآن

---

(١) كتاب تاريخ النواحى والارجا فى ذكــر علماء جرجا لمؤلفه فضيلة المرحوم الشيخ محمد حامد الراغى من ٣٢٦ وهو مخطـوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (١) ــ ٢٤٨٧ .

(٢) المرجع السابق .

سكناه للمرضى دواء ناجع
يشفى عليل الحب والفرقان
ابناء جرجا يشهدون بفضلهم
بك ياسيوطى تسعد الارجاء
المعهد الدينى يشدو فرحة
وبدت على آفاقه الاضواء
لقد تفضل تسعة منهم على
برج الفضائل فالتقى الفضلاء
اليوم نذكر للسيوطى واجبا
نسل السيوطى كلهم كرماء
من ارض مكة اصله وشعاره
للناس دوما لا يرد دعاء

ولا يفوتنا أن نشير أنه انتظم فى جامعة الأزهر وتخرج منها فى زماننا المعاصر نفر من تلك العائلة التى حمل علماؤها شرف رسالة العلم والدين نذكر منهم المرحوم الشيخ عبد الحليم عبد الرحيم السيوطى ابن آخر شيخ لذلك المعهد قبل ضمه لادارة الأزهر الشريف وقد تخرج من كلية الشريعة وقام بالتدريس فى المعاهد الدينية والداعين الاسلاميين الشيخ عبد الوهاب عبد الرحيم السيوطى وشقيقه الشيخ حسين عبد الرحيم السيوطى وقد تخرجا من كلية أصول الدين ، والدكتور رمضان حافظ السيوطى الاستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ٠

ادارة الأزهر تتسلم المعهد الدينى :

بعد وفاة الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن السيوطى قامت ادارة الأزهر الشريف بضم المعهد الدينى اليها وكان ذلك عام ١٣٤٥ هـ وبذلك صار تحت اشراف الأزهر ليستأنف مسيرته المباركة رافدا جاريا مع باقى المعاهد الدينية الأخرى التى نبتت حوله من بقرته المباركة من اعدادية وثانوية ومعاهد البنات الأزهرية وحتى تكون برهانا شاهدا ودليلا ملموسا على ان الأزهر ومعاهده ظل وسيظل حارسا للدين ومعقلا للغة العربية وهاديا الى الصراط المستقيم ٠

(المستشار)
« محمد عزت الطهطاوى »

أصول المعاصى

أصول المعاصى كلها كبارها وصغارها ثلاثة : تعلق القلب بغير الله ، وطاعة القوة الغضبية ، والقوة الشهوانية ٠ وهى الشرك ، والظلم ، والفواحش٠
فغاية التعلق بغير الله شرك ٠٠ ، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل ، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة فى قوله «والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون » ٠

كمال الايمان

ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة ، ويتجنب المحظورات فحسب ، انما المؤمن هو الكامل الايمان ولا يختلج في قلبه اعتراض ، ولا يساكن فيما يجري وسوسة ، وكلما اشتد البلاء عليه زاد ايمانه ، وقوي تسليمه ، وقد يدعو فلا يرى للاجابة أثراً ، وسره لا يتغير لأنه يعلم انه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى ارادته ، فان اختلج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية الى مقام المناظرة ، كما جرى لابليس ، والايمان القوي يبين أثره عند قوة البلاء ، فأما اذا رأينا مثل يحيى بن زكريا تسلط عليه فاجر فيأمر بذبحه فيذبح ، وربما اختلج في الطبع أن يقول فهلاً ردعته من جعله نبياً ؟

وكذلك كل تسلط من الكفار على الانبياء والمؤمنين وما وقع رد عنهم ، فان هجس بالفكر أن القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفراً ، وان علم أن القدرة متمكنة من الرد وما ردت ، ويجوّع المؤمنين ويشبع الكفار ، ويعافي العصاة ويمرض المتقين ، لم يبق الا التسليم للمالك وان أمض وأرمض وقد ذهب يوسف بن يعقوب عليهما السلام فبكى يعقوب ثمانين سنة ولم ييأس ، فقال : « عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً » .

وقد دعا موسى عليه السلام على فرعون ، فأجيب بعد أربعين سنة .

وكان يذبح الأنبياء ولا ترده القدرة القديمة المطلقة ، وصلب السحرة ، وقطع ايديهم .

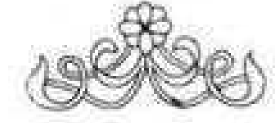
وكم من بلية نزلت بمعظم القدر ، فما زاده ذلك الا تسليماً ورضىً[١] ، فهناك يبين معنى قوله « ورضوا عنه » ، وههنا يظهر قدر قوة الايمان لا في ركعات ، قال الحسن البصري : استوى الناس في العافية فاذا نزل البلاء تباينوا .

---

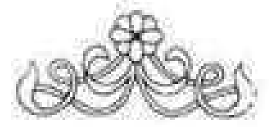
(١) صحيفة مشهورة .

شعر وشاعر

قصة الهجرة



صهيب علي   منهاج البردة



ابراهيم طوقان "شاعر فلسطيني"



خــواطر من وحي السمــاء تروود ... تفيض علينــا من سـنا وتجــود
معطــرة الأنسام نشوانة الصدى ... لهــا الكون سمع والزمان شـهيد
تجلت علينــا بعد عشر وأربــع ... مئينــا توالت همسهن رعود
فعــدنا الى أرجاء مــكة نلتقي ... بقنــا نذر من أهلهــا ووعيــد
وقد جــابه البــاغين فيها « محمد » ... بعــزم كحد السيف ليس يحيد
« ثلاثة عشر » كالحــات سـوافع ... تــكاد لهــا شم الجبال تميــد
يمـر قـذى في عين كـل مــكابر ... ويبــدي فيهــا بالهــدى ويعيد
وقد فـوق العــادون فيها سـهامهم ... ليمـــضي بها المختــار وهو صعود
فلما تغالى الشر واستوثق الــردى ... وما ثــم الا منــكر وحقــود
وأوشـك ركب الدهر أن يجمع الخطى ... لتشـهد سـهم البغي كيف يصيد
تولى رســول الله عنهم وحـوله ... من الله درع ــ لا ينال ــ شـديد

* * *

من الساريان الليل ؟ وسع خطاهما ... تسـيد بأرجاء الزمان عتيد ؟
تصـيح له الصحراء [illegible] ... قوافل في رجع الصـدى وجنــود
وتعلو عــلى صخر الرمال حوافر ... وتبرق بالنــور المقدس بيــد
« أبا بكر » يا نعـم الصـديق تحية ... اليك وصــونا بالوفــاء يشـيد
تخيـرك المختــار للرحلــة التي ... لهـــا يوم تذكار المواقف عيــد
وفــاء كما ترجو المعــالي ورحمة ... لهــا القلب نبع والحياة حـدود
وأنت عــلى الهادي ظلال وصــاحب ... أمين عــلى رغم العداة حميـد
تــرود وتخشى أن ينــال فتنثني ... بروحك ــ ان خان الطريق ــ تجود
فلا تحــزنن اليوم ان « محمــدا » ... لــه حــافظ من ربــه ومعيــد

صعب على



صعب على اقول : كان . وانت نبع العاطفات

اقول كان ؟ وكيف كنت .. وانت لى ماض وآت
انا لا احسك قد مضيت ولا اراك سوى حياتى
صعب على اخط اسمك فى سجل الذكريات

* * *

مازال نهر الحب يزخر بالمفاتن والجمال
ويشق قلب مدينتى العذراء فى جوف الليالى
مازال يدفق بالمنى متحديا سد المحال
ومراكبى تمشى عليه محملات بالغلال

* * *

ما زال شباكى يطل على الروابى والبطاح
وظلال صباحى تراقص فى الدجى خصر الرياح
وماتنى البيضاء تعلو الأفق* فاردة الجناح
وخطاى تركض فى جنون خلف قاطرة الصباح

* * *

قد التقى بالريح تبكى فى نهايات الطريق
ولربما حرم المسافر فى الليالى من رفيق
ولقد تغوص سفينة الأيام فى غور المضيق
لكن لى (شالا) و (عكازا) .. وطوقا للغريق .

* * *

انا عابد عشق التصوف لم يعد شىء لديه
انا لست أملك من فضائى غير ما ترنو اليه
ومن الهوا سوى الذى قد ضم عطرك فى يديه
انا ليس لى فى الأرض ركن غير ماتمشى عليه ..

* * *

اقول : كان ! وانت قد اوغلت فى روحى وذاتى
اقول : كان . ؟ ولم ازل اهديك احلى اغنياتى
اقول : كان ؟ لمن اصب الآن كؤوس المترعات ؟
صعب على اخط اسمك فى سجل الذكريات ..

---

* شيعت جنازة ، جلال محمد مصطفى ، نجل المستشار محمد مصطفى الورديرى ، والشاعرة جليلة رضا ، يوم الاربعا ، ٢٤ من ذى القعدة ١٤٠٤ - ١٩٨٤/٨/٢٢ .



فتانة من ذوات الحسن والعصم ... صيغت من الفضل والعلياء والكرم

كأنها فى نهار المجد شمس سنى ... أو نجمة فى سماء النبل والحكم

طافت على وفى اقبالها شفق ... من السنا يجلى حندس الظلم

وفى ملاحتها روض يضوع شذا ... قد فتح الورد فيه غير محتشم

يسبى اذا أغمضت من طرفها غاذا ... تلفتت أسفرت عن خمرة الديم

فقلت : من انت ؟ قالت وهى باسمة ... مالى حزينا غير مبتسم

انا الفضيلة من تهوى وتعشقها ... ورحت تنشدها فى الناس من قدم

وارسلت عبرة فوق الخدود جرت ... لم انتظرها جرت ممزوجة بدم

هذا لقاء وداع او وداع لقى ... قد تم فى عالم الاطياف والحلم

تلك الفضيلة ما أبغى سأنظمها ... من وحى طه رسول الواحد العلم

وابذل الحب والاشواق ملحمة ... فى مدح افضل خلق الله كلهم



للشاعر سليمان عبد الشافى العرب

فهــو الذى شرف الدنيا بطلعته ... وعالج الأنفس المرضى من السقم

شوق لحب رسـول الله يـدفعنى ... كالبحر يـدفع للشطـآن كل ظمى

ازجى صـلاتى لمولى مطهـرة ... وشرعة المصـطفى نهجى وملتزمى

وأبذل النفس فى احيـاء سـنته ... والمـال فى غير تقصـير ولاسـأم

محمد هو هادى الكون سـيده ... المصطفى المجتبى المبعـوث للأمم

فهـو الذى قدر المولى شـفاعته ... يوم القيـامه قبل اللـوح والقلم

من يفعل الخير خـيرا نـال فعلته ... وفـاعل الشر فى قـاع من الاثم

ياسيد الرسل ان يتمت فى صـغر ... وذقت شيئا مـن الالام والسـقم

ولم تنـل عطف ام الخـير آمنـة ... وغاب عنك أب فى عالم السـدم

فانما انت للأخلاق مدرســـة ... للحلم والصبر وقت الحرب والسلم

يـارب هذا شذا الأزهـار أنظمه ... فى حب طـه فـأتبع حبـه همى

واجعله خيرا اذا ذكـرت فى عمـل ... وان مشـيت لمشروع على قـدم

يارب فاكتب لنـا نصرا بشرعتـه ... واجعله نورا لنا فى حالك الظـلم

ويسر الخـير لـلاهلين قــاطبة ... بفضـل أشرف خلـق اللـه كلهم





شاعر فلسطيني
في ذكراه الثالثة والأربعين

حياته :

لا نعرف شاعرا عاش مأساة وطنه ، مثلما اتفق ذلك لأكبر شعراء فلسطين المعاصرين في عشرينيات وثلاثينيات القرن الحالي : ابراهيم عبد الفتاح طوقان .

وبنظرة سريعة على سيرة حياته ، تتبين منها العوامل التي ساهمت في تكوينه ، وأثرت ، بالتالي في شعره .

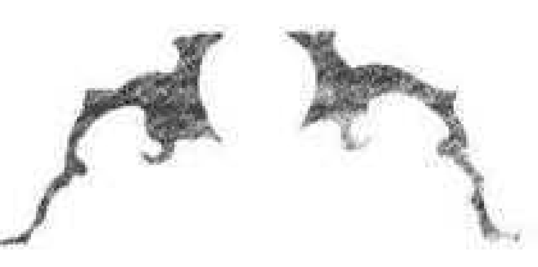
ولد ابراهيم طوقان عام ١٩٠٥ بمدينة (نابلس) بفلسطين ، وتلقى تعليمه الأولى بمدرسة الرشاد الغربية ، ثم انتقل الى (القدس) على أثر الاحتلال الانجليزي ، لاستكمال تعليمه بمدرسة المطران ، ثم التحق بالجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩٢٣ ، وحصل منها على شهادة الآداب عام ١٩٢٩ .

واشتهر أثناء فترة الدراسة بلقب (شاعر الجامعة) ، بعد اشتراكه في ندوات بيروت الأدبية ، مع كبار شعرائها من أمثال : بشارة الخوري (الأخطل الصغير) ، وأمين تقي الدين ، وجبر ضومط وغيرهم .

وقد ابتلى بداء وبيل في معدته وأمعائه ، جعله ينقطع عن الدراسة خلال فترات اشتداد وطأة المرض عليه ، وظل الداء ملازما له بعد تخرجه والتحاقه بالعمل في بلدية نابلس ، الأمر الذي جعله يتجه الى مصر لعرض نفسه على أطبائها . وبعد اجراء جراحة ناجحة ، بالغة الخطورة ، أطلق عليه الطبيب المعالج اسم : (المولود الجديد) ، لنجاته مما كان يتهدده ..

وفاضت شاعريته بالأبيات التالية شاكرا لله تعالى :

اليك توجهت ياخالقي
بشكر على نعمة العافية
اذا هي ولت .. فمن قادر
سواك على ردها ثانية ؟
وما للطبيب يد بالشفاء
ولكنها يدك الشافية



تباركت أنت مُعيد الحياة
متى شئت .. في الأعظم البالية

ونتبين تتمة حالته الصحية ، من قوله شاكيا — ومتندرا في ذات الوقت — من مرض (فقر الدم) :

وطبيب رأى صحيفة وجهي
شاحبا لونها .. وعودي نحيفا
قال لابد من دم لك نُعطيـ
ـه ، نقيا ملء العروق كثيفا
لك ماشئتَ ياطبيب ، ولكن
اعطني من دم .. يكون .. خفيفا !

هذا ، وقد عبّ ابراهيم من الثقافة الخالصة، واطلع على أمهات كتبها ودواوينها الشعرية ، وأكثر من تلاوة كتاب الله ، وكان يختمه في شهر رمضان من كل عام .

وعمل بمدرسة النجاح الوطنية بنابلس في الفترة ما بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٢ ، وانتقل للتدريس بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم بالمدرسة الرشيدية بالقدس .

وكان خلال تدريسه يبث الروح الوطنية النضالية في نفوس تلاميذه ، ومنهم الشاعر الجهير (عبد الرحيم محمود) ، الذي خر شهيدا على أرض المعركة في عام النكبة — سنة ١٩٤٨ — بقرية (الشجرة) ، قريبا من مدينة (الناصرة) .

وعند انشاء دار الاذاعة بالقدس التحق ابراهيم بها سنة ١٩٣٦ لتوجيه الرأى العام توجيها أدبيا وقوميا ، ولكن الصهيونية والاستعمار كانا له بالمرصاد ، فأقصته حكومة الانتداب عن العمل بالاذاعة ، بعد أربع سنوات من العمل بها .. وتصف شقيقته الشاعرة الكبيرة (فدوى طوقان) ملابسات ما حدث ، بقولها : « في الربيع الأخير من عام ١٩٤٠ ، وفي أكتوبر بالذات ، أقيل ابراهيم من عمله في الاذاعة ، لأنه كان في نظر تلك الجهات محرضا ، يتخذ من مركزه الكبير في الاذاعة أداة للعمل ضد المصلحة الصهيونية .. كم وكم ثارت الصحافة العبرية ضده ، وكم وجهت اليه أصبع الاتهام بسبب الأحاديث التي كان يكتبها ويذيعها » (١) .

وأثرت اقالته في نفسه تأثيرا عميقا ، فاتجه الى العراق لا متهان التدريس في دار المعلمين الريفية في « الرستمية » ، لمدة شهرين ، التي أن لاحقه المرض مرة أخرى ، فعاد الى نابلس، حيث قضى نحبه فيها في الثاني من مايو سنة ١٩٤١ عن عمر يناهز ستة وثلاثين عاما .

في اطار عصره :

يتبين لنا مما ذكرناه بايجاز عن سيرة

١ — مجلة الدوحة عدد ابريل سنة ١٩٨٤ ص ١٢٠ .

حياته ، أنه درج فى خضم الفترة التى شهدت ابتلاء فلسطين بالورم السرطانى الصهيونى الاستيطانى ، الذى أخذ يستشرى حثيثا فى كيانها ، مستهدفا التهام الأرض الفلسطينية ، وطرد شعبها منها ، بمساندة الاستعمار الانجليزى ، حين أصدر (بلفور) وعده المشئوم بانشاء وطن قومى اليهود فى فلسطين، على حساب شعبها ، ليصبح بمثابة دولة داخل الدولة ، فى أول الأمر ، وليسيطر عليها كلها بعد ذلك ، بأسلوب (المرابى) الذى :

يعيش بالسُّحت لا يرثى لذى وصب
ولا يبالى بغير الغُنم من أرب

يعطيك قرشا ، ويبقى ضعفه بدلا
كأنه عائش للسلب والكَرَب

كحالب الشاة ، يمرى ضرعها نهما
وطفلها قُربها .. يثغو من السغب

وكانت ثالثة الأثافى ، حينما أقرت (**عصبة الأمم) فى الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٢٢ صك الانتداب البريطانى على فلسطين ، على أساس وعد بلفور ، وبذلك تمت الرواية فصولا ، بتحالف الاستعمار مع الصهيونية ، على تصفية عروبة فلسطين ، مما حدا ببعض المنصفين من المفكرين الاوربيين الى شجب ما حدث ، ومنهم الكاتب الفرنسى (أوجين يونج) الذى يقول فى كتابه : (الاسلام وآسيا ــ أمام المطامع الأوربية) ــ وهو تتمة لكتاب : استعباد الاسلام : « لانفتأ هذه البلاد التعيسة ، (يعنى فلسطين) ، ترفع كل سنة ظلامتها الى لجنة الانتدابات فى جنيف ، ساخطة على الانتداب البريطانى ، فانه تحول فى الحقيقة الى ادارة استعمارية بحتة » .**

« وطلبت أن توضع موضع التنفيذ المادة الثالثة من صك الانتداب ، ونصها : « تعاهد الدولة المنتدبة ــ ما ساعدتها الاحوال ــ على تنشيط الاستقلال الذاتى المحلى » .. وشددت فى طلب انشاء حكومة مستقلة وطنية » .. ولكن .. دون جدوى .

وكان الصهيونى الانجليزى (هربرت صموئيل) هو أول مندوب سامى لبريطانيا فى فلسطين ، فعمل منذ اليوم الاول على نقل ملكية الأرض لليهود ، متخذا شتى الأساليب الملتوية، كاستيلاء حكومة الانتداب على أراضى العرب، وتمكين اليهود منها لاستغلالها ، ورفع قيمة الضريبة على الفلاحين العرب ، واصدار الأمر بسرعة تحصيلها منهم ، الأمر الذى اضطر

الكثيرين منهم ، من ذوى الفاقة ، الى التصرف فيها ، ببيعها لليهود . والأدهى من ذلك ، قيامه بفتح باب الهجرة أمام اليهود الوافدين من شتى أنحاء العالم على مصراعيه ، فموجات كثيفة متتابعة ، ليحطوا حط الجراد المنتشر على أرض فلسطين ، لاستنزافها .. متوسلين فى ذلك بالخديعة ، التى تبدو فى قول شاعرهم (مراد فرج) ، اذ يقول فى احدى قصائد ديوانه (القدسيات) (١) ، التى لا تحمل عنوانا :

ان اليهــود والعــربْ
قــرابة ثم نســب
ابنــاء عم .. جــدهم
هــو الخليــل المنتسب

الى أن قيول :

فحققــوا آمالنــا
وأكْــرمونا يا عــرب
انــا خطبنــا ودكم
فــلا تــردُّوا من خطب ..

ثم يضع « السم فى الدسم » ، فيقول مخاتلا فى القصيدة الحادية عشرة :

وأرض الله واسـعة فليست
(بتوموس) تقلها اتساعا !

وعمد المندوب السامى المذكور الى جعل اللغة العبرية لغة رسمية ، بجانب اللغتين : العربية والانجليزية ، وعين الكثير من اليهود فى حكومة الانتداب ، رؤساء للادارات المختلفة بها .

وحينما طفح الكيل وثار العرب على هذا الجور عام ١٩٢٩ ، وكبدوا الانجليز والصهيونيين خسائر فادحة ، عمدت بريطانيا الى امتصاص غضبهم ، فأصدرت (الكتاب الأبيض) ، الذى نص فى مجمله على تقييد هجرة اليهود وتملكهم للاراضى ، معترفا بأنه :

« لم يبق فى الوقت الحاضر شىء من الأراضى صالحا للزراعة أو لاستعمارمهاجرين آخرين ، عدا تلك التى أصلحت ، فمن الخطأ أن يظن أحد أن حكومة فلسطين (أى حكومة الانتداب) تملك مساحات واسعة من الأراضى الصالحة للاستعمار اليهودى » .

واذا كان العرب قد قابلوا صدور هذا الكتاب بعين الارتياب ، فان الصهيونية على الجانب الآخر ، سرعان ما ثارت عليه ، وأبطلت مفعوله ولم ينفذ منه حرف واحد .

شـعره

وعلى ذلك فقد انصهر ابراهيم طوقان فى بوتقة المحنة التى كان وطنه يجتازها ، فصدر

١ ـ طبع فى اكتوبر سنة ١٩٢٣ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ
عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

عنها في معظم نتاجه الشعري ، وأصبح ترجمانا صادقا في التعبير عن مشاعر السخط والثورة

التي تجتاح النفوس ٠٠ وعلى الرغم من أنه لم يعش ليشهد ختام المأساة الداوية عام ١٩٤٨

الا أنه كان على وعي واحساس شديدين ، بما انتهى اليه الأمر ٠٠ وستشف ذلك بجلاء

ووضوح ، من قوله متوجها بالحديث الى حكومة الانتداب البريطاني بسخرية مريرة :

قد شهدنا لعهدكم بالعداله
وختمنا لجُنْدكم ٠٠ بالبساله

وعرفنا بكم صديقا وفيا
كيف ننسى انتدابه ٠٠ واحتلاله؟!
وخجلنا من (لطفكم)حين قلتم
وعد (بلفور) نافذٌ ٠٠ لا محاله
كل (افضالكم) على الراس والعيـ
ـن ٠٠ وليست في حاجة للدلاله

وقد نبه شاعرنا الى ما يسببه النزاع والاختلاف بين زعماء وطنه ، في هذا المنعطف التاريخي الخطير ، فقال يخاطبهم ناقما ، وملتاعا ساخرا ، بقوله :

أنتمو المخلصون للوطنيه
أنتمو الحاملون عبء القضيه

انتم العاملون من غير قول
بارك الله في الزنود القويه
وبيان منكمو يعادل جيشا
بمعدات زحفه الحربيه

و (اجتماع) منكمو يردُّ علينا
غابر المجد ٠٠ من فتوح أُمَيَّه
ما جحدنا افضالكم ، غير أنّا
لم تزل في نفوسنا أُمْنِيَّه :
في يديكم بقية من بلاد
فاستريحوا ٠٠ كي لا تطير البقيه !

ويحدد برؤية واضحة ما توقعه — وأثبتته الأيام — حين قال مخاطبا ومحذرا (أخاه) العربي :

أمامك أيها العربي يوم
تشيب لهوله سود النواصي
فلا رحب التصور غدا بباق
لساكنها ، ولا ضيق الخصاص
لنا خصمان : ذو حول وطول
وآخر ، ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم ، فأتى وبالا
وإذلالا لنا ٠٠ هذا التواصي
مناهج للابادة ٠٠ واضحات
وبالحُسنى تُنَفَّذ ٠٠ والرصاص !

وحينما جد الجد ، واندلعت نيران الثورة المسلحة ، نراه في مواقف البذل والفداء ، ينتفض ثائرا ، ويسموا فكرا ويعلوا أفقا وتعبيرا ليتسنم ذروة الخلود ، فيقول بقصيدته الشامخة : (الفدائي) :

لا تَسَلْ عن سلامته
روحه فوق راحته

بذلته همومه
كفنا من وسادته
يرقب الساعة التى
بعدها هول ساعته

***

هو بالباب واقف
والردى منه خائف
فاهدئى يا عواصف
خجلا من جراءته
.. صامت لو تكلما
لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته
خلق الحزم أبكما

الى أن يقول بلوعة مدبية :

لا تلوموه ، قد رأى
منهج الحق مظلما
وبلادا .. أحبها
ركنها قد تهدما

ثم يطالعنا بدرة شعر كله ، التى يصف فيها (الشهيد) الذى بذل روحه بذل السماح من اجل وطنه ، فيقول :

عبس الخطب .. فابتسم
وطغى الهول .. فاقتحم
رابط الجأش والنهى
ثابت القلب والقدم

لم يبته الأذى .. ولم
يثنه طارئ الألم
نفسه طوع همة
وجمت دونها الهمم

الى أن يقول :

ربما غاله الردى
وهو بالسجن مرتهن
لم يشيع بدمعة
من حبيب .. ولا سكن
ربما أدرج الترا
ب سليبا .. من الكفن
لا تقل أين جسمه
واسمه فى فم الزمن
انه كوكب الهدى
لاح فى غيهب المحن

وهنا يخجل التحليل والتشريح ، انها أنفاس شاعر ملهم ، بثها فى تضاعيف شعره ، ولم يستطع الا أن يفعل ذلك ، لفرط ما حمل بين جوانحه من اللواعج والمعاناة وصدوره عن التجربة الشعورية العميقة .

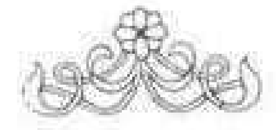
وبكلمة واحدة : لقد أضاء ابراهيم طوقان الدرب أمام المناضلين وعبّده ، ليس فى الوطن العربى وحده فحسب ، بل وفى كل بقعة من العالم ، ما برحت ترزح تحت الاستعمار والاستبداد .

يرحمه الله ..

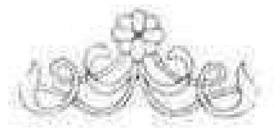
احمد مصطفى حافظ



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر



مجلة الأزهر من خمسين عاما



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن - للأجهوري

من العلماء الاجلاء الذين جاءت عقولهم بفيض عارم وبحر زاخر من العلوم والفنون الذين وقفوا أنفسهم لخدمة العلم واستقراء ما فيه من كنوز وذخائر الامام الهمام العالم البحر الفاضل النحرير الفهامه » (٢) عطية الله ابن عطية البرهاني الشافعي فقيه فاضل مصرير من أهل أجهور (بقرب القليوبية بمصر) تعلم وتوفى بالقاهرة · من كتبه « ارشاد الرحمن لاسباب النزول والنسخ والمتشابه من القرآن » و « كتاب الكوكبين النيرين في حل الفاظ الجلالين » و « حاشية على تفسير الجلالين » و « شرح مختصر السنوسي » في المنطق و « حاشية على شرح البيقونية » في مصطلح الحديث وغير ذلك · وكانت وفاته سنة ١١٩٠ هـ (سنة ١٧٧٦ م) ·

قال عنه صاحب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر الجزء الثالث صفحة ٢٦٥ انه أخذ عن الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوى ، وعن الشمس محمد الشماوى ، والسيد علي العزيز وعن غيرهم وتصدر في جامع الازهر لاقراء الدروس ، وورد عليه الطالبون وألف مؤلفات نافعة ـ منها حاشية على شرح منظومه في أصول الحديث ، وكان علم الفضل المشهور نتيجة الايام والدهور من لم تسمع الآذان ولم تر العيون بمثل تحقيقاته التي تتوضح الشمس للخاص والعام ·

وكان يأتي كل يوم الى الجامع الازهر صبيحة النهار ويحضر دروس الشمس ثم بعد الدروس يذهب الى الرواق .... رواق (الريافة) بالأزهر ·

والكتاب الذى نلقى بعض الضوء على تعريفه لقراء مجلة الأزهر هو « كتاب ارشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن » افتتحه بالحمد لله حمدا يوافى نعمه ،

---

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ١٥٢ عام ١١٤٧ علوم قرآن ·

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٥ ص ٣٢ ·

للأستاذ محمد عميرة علي

ويكافئ مزيده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ذي المآثر الحميدة وقال : وان أولى مايجب الوقوف عليه وأوجب ماتصرف العناية اليه ، علوم القرآن ولاسيما علم أسباب النزول ، وعلم الناسخ والمنسوخ مما هـــو منقول ، وان أشهر كتاب في أسباب النزول « كتاب الامام أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله الواحدي النيسابوري رحمه الله » وقد اختصره الامام الجعبري رحمه الله وزاد عليه علم الناسخ والمنسوخ ، ثم جاء بعدهمـا الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن الامام أبي بكر السيوطي رحمهما الله ، فألف في أسباب النزول كتابه الذي سماه كتـــاب « النقول » في أسباب النزول وذكر فيه أنـه يتميز عن كتاب الواحدي بستة أمور .

أولها : الاختصار .

ثانيها : الجمع الكثير فانه حـوى زيادات كثيرة على ما ذكره الواحدي .

ثالثها : عزو كل حـديث الى من خرجه مـن أصحاب الكتب المعتبرة كالكتب الستة وغيرهما مما ذكره .

قال : وأما الواحدي فتارة يورد الحـديث باسناده وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث ، وتارة يورده مقطوعا فلا يدرى هل له اسناد أم لا .

رابعها : تمييز الصحيح من غيره والمقبـول من المردود .

خامسها : الجمع بين الروايات المتعارضة .

سادسها : تنحية ما ليس من أسباب النزول ، وقد ســــألني من تجب عـلى اجابتـه ولا تسـعني مخـالفته حفظـه الله ووفاه ، وزاد في مجده وعلاه ، ان أجمع في كتاب مقاصد ماذكره الائمة الثلاثة مراعيا في ذلك الاختصار ، بحذف الاســانيد وترك التكرار ، مع ما ذكره الامام (أبو القاسم محمد الكرماني رحمـه الله) من علم متشابه القرآن ، في كتابه المسمى « بالبرهان ومع ما زاده عليه الامام شــيخ الاسلام (زكريا الانصاري) في كتابه المسمى « بفتح الرحمن » ومع ذكر فضل سور وآيات لها شأن ، فلما رأيت هذا الأمر مقصدا عليا من مقاصد الدين ، ومطلبا سنيا من مطالب المتفهمين والمخلصين اهتممت بمطلوبه وأجبته لمرغوبه وان كنت لست أهلا لذلك سلك الله بنا وبه أحســن المسالك ، وسميته « ارشـاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن » .

وتكلم رحمه اللـه على اسـباب نزول كل سورة بمفردها ، وبعد الفراغ منها تكلم على الآيات المنسوخة منها ، ثم تكلم على المتشابه فيها ثم اختتم بما تيسر من فضلها من كتـاب « التذكار » للامام أبي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي رحمه الله ، ثم ترجم كل نوع من ذلك بفصل بعد ترجمة كل ســورة ـ

الفصل الاول : في أسباب نزولها .

الفصل الثاني : في المنسوخ منها .



الفصل الثالث : فى المتشابه منها .

ثم خاتمة فى فضلها . وقال ونذكر قبل ذلك مقدمة تشتمل على فوائد مناسبة للمقصود جعله الله خالصا لوجهه الكريم وفتح على من تلقاه بقلب سليم وقال مما سنذكره فى الاخراج عن غير الواحدى ، فان من « اللباب » وما فى يده نسبه لقائله لدفع الارتياب . وان قولهم نزلت الآية فى كذا يراد به تارة أنه سبب النزول وتارة انذلك داخل فى معنى الآية ، وان لم يكن السبب ، ويشترط فى السبب ان نزلت الآية ايام وقوعه ليخرج ما ذكره الامام الواحدى فى سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به فان ذلك ليس من أسباب النزول فى شىء ، بل هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضية لذكر قصة نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك ، ذكر ذلك فى « لباب النقول » .

وقال فى المقدمة أول ما نزل وآخر ما نزل : وتقسيم السور باعتبار الناسخ والمنسوخ أربعة أقسام ، وترتيب السور المكية والمدنية بحسب النزول أما أول ما نزل فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ فقال ما أنا بقارىء قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد فأرسلنى فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد فقال : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ.خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ.اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ » .. الخ .

وقال ان آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » وعاش النبى ﷺ بعدها تسع ليال ، وذكر السيوطى رحمه الله فى كتابه الذى سماه بالتحبير فى علم التفسير عن ابن عباس بينها وبين موت النبى ﷺ أحد وثمانون يوما .. الى آخر ما ذكر من الروايات .

وأما النسخ فهو قسمان : نسخ الشرائع وموضعه أصول الدين ، ويعرف بأنه ابتداء شريعة دل على انتهاء السابق ، ونسخ الاحكام وموضعه اصول الفقه ويعرف بأنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع التراخى .

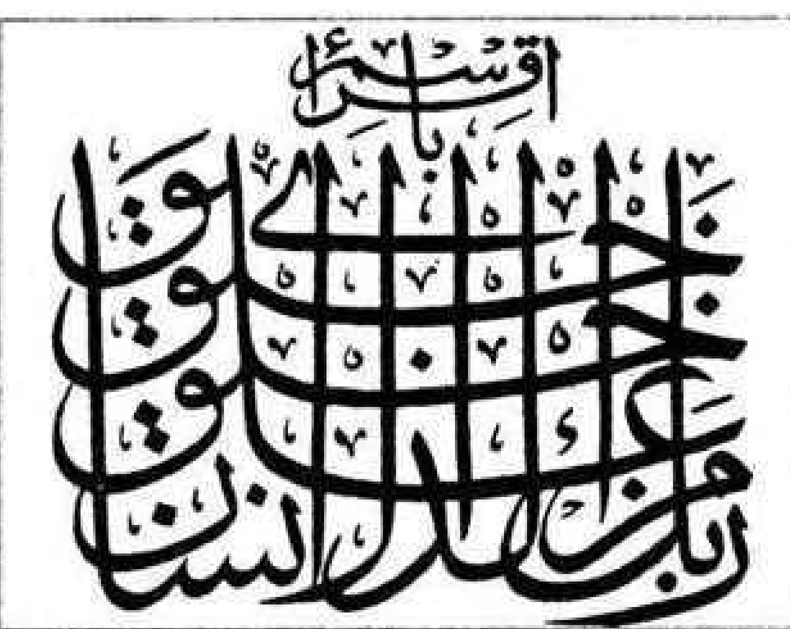
وأركان النسخ خمسة ، ناسخ ، ومنسوخ ، ومنسوخ به ، ومنسوخ عنه ، ونسخ ــ فالناسخ هو الله ، والمنسوخ حكمه المنتهى ، والمنسوخ به خطابه الدال عليه وتسميته ناسخا مجازا ، والمنسوخ عنه المكلف ، والنسخ ازال الخطاب . ثم استطرد فشرح شروطهم .

قال وأما السور باعتبار الناسخ والمنسوخ فهى أربعة أقسام : قسم ليس فيه منسوخ ولا ناسخ ثلاثة وأربعون نذكر منها الفاتحة ــ ويوسف ــ ويس ــ والحجرات ــ والرحمن ــ والحديد ــ الخ ، وقسم فيه منسوخ وناسخ

خمسة وعشرون منها : البقرة ــ وآل عمران ــ والنساء ــ والمائدة .. الخ . وقسم فيه منسوخ فقط أربعون منها : الانعام ــ والاعراف ــ ويونس ــ وهود ــ والرعد ــ والنحل ــ والاسراء .. الخ . وقسم فيه ناسخ فقط ستة : الفتح ــ والحشر ــ والمنافقون ــ والتغابن ــ والطلاق ــ والاعلى .

وأما ترتيب السور بحسب النزول وهو العمدة في معرفة التقدم والتأخير وان لم يكن على ترتيب المصحف ، فقال جابر بن يزيد المكيات ست وثمانون والمدنيات ثمان وعشرون . وتحدث رحمه الله في كل سورة عن المتشابه فيها وفي فضلها . وقال في فضل سورة الفاتحة اعلم ان الصحيح تفضيل بعض القرآن عن بعض كما نقله القرطبي عن كثيرين لظواهر الأحاديث الواردة في ذلك كقوله ﷺ «يس قلب القرآن . وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن وآية الكرسي سيدة آي القرآن . وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . وأن التفضيل راجع لذات اللفظ . فان ما تضمنه قوله تعالى « والهكم اله واحد » وآية الكرسي . وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص في الدلالات على وحدانية الله تعالى وصفاته ليس موجودا مثلا في « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » وروى البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلا أعظم سورة في القرآن « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » قال بعضهم انما كانت أم القرآن أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ، ولذلك سميت أم القرآن وقرر جماعة من العلماء ما تضمنته فاتحة الكتاب من العلوم ، وأنها مشتملة على علوم القرآن بعبارات مختلفة ذكرها السيوطي في الاتقان وقررها الامام محمد بن جزي الكلبي في مقدمة تفسيره فقال : سورة الفاتحة جمعت معاني القرآن كله فكأنها نسخة مختصرة ، وكأن القرآن كله بعدها تفصيل لها ، وذلك لانها جمعت الالهيات في الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . والدار الآخرة في مالك يوم الدين . والعبادات كلها من الاعتقاد والاحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في اياك نعبد ، والشريعة كلها في الصراط المستقيم ، والانبياء وغيرهم في قوله الذين أنعمت عليهم . وذكر طوائف الكفار في غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

ونهج الشيخ الاجهوري رحمه الله طريقة في جميع سور القرآن على هذا المنوال الى أن ختم في بيان التجويد وموضوعه وفائدته وغايته ، وقال : التجويد معناه في اللغة التحسين يقال : هذا شيء جيد أي حسن واصطلاحا تلاوة القرآن باعطاء كل حرف حقه ومستحقه على حسب ما أنزل الله على نبيه ، وموضوعه الكلمات القرآنية . وفائدته الفوز بسعادة الدارين ، وغايته صون اللسان عن الخطأ فيما نزل من القرآن . وهو واجب بالكتاب والسنة ، قال ابن الجزري التجويد فرض على كل مكلف . وقال رحمه الله انما قلت التجويد فرض لأنه متفق عليه بين الأئمة . بخلاف الواجب . فانه مختلف فيه . اما وجوبه بالكتاب فقوله « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » قال المفسرون أي ائت به على تؤدة وطمأنينة وتأمل . ورياضة اللسان على القراءة بترقيق المرقق وتفخيم



المفخم وقصر المقصور ومد الممدود ، واظهار المظهر ، وادغام المدغم ، واما وجوبه بالسنة فقوله ﷺ (اقرأوا القرآن بلحون العرب وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجئ أقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلب من يعجبهم شأنهم) رواه مالك في كتابه الموطأ والنسائي في سننه .

ويآخر النسخة تعليق يقول : هذا ما تيسر جمعه للعلامة الحبر الهمام الشيخ عطيه الأجهوري وهذه النسخة نقلت من النسخة التي أملاها الشيخ بفمه وقرأتها عليه رحمه الله تعالى على مر الزمان .

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة يوم السبت رابع عشر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ١١٨١ من الهجرة .

ويوجد بمكتبة الأزهر عدة نسخ من هذا الكتاب اقدمها التي عرفناها ، وتحتاج من العلماء والباحثين المهتمين بدراسة هذا الفن مراجعتها ومقابلتها وتمحيصها واستقرائها واستخراج ما فيها من كنوز علمية رائعة وصلت الى مراقى الكمال من علماء أفنوا حياتهم في خدمة العلم ونشر الحضارة الاسلامية العريقة .

والنسخة في مجلد بقلم معتاد بخط اسماعيل البلبيسي سنة ١١٨١ هـ مجدولة بالمداد الأحمر **والازرق وبصفحتها الاولى زخرفة ذهبية في ٢٠٨ ورقات ومسطرتها ٢١ سطرا .**

هذا وبالله التوفيق ..

محمد عميرة على

مدير دار الكتب الازهرية





للأستاذ طه حبيب

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ونحن فى بداية عام جديد للهجرة المحمدية ينبغى علينا أن نقف وقفة مع النفس لنرى مـا فعلته لدينها فى عامها الماضى هل اضاءت شمعة من تعاليم الاسلام الحنيف فهدت بها الضال وردت الشارد ؟

هل نادت بمبدأ من مبادىء الشريعة الاسلامية ـ وما أكثرها ـ والتى نسيناها فى سبيل سراب خادع من زخرف الحيـاة ومباهجها ؟

هل فعلت شيئا من احسان فاحيت بذلك سنة نادى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟..

لقد جاءت الديانات السماوية لاسعاد البشرية ، ونظرة واحدة الى الشريعة الاسلامية وما اشتملت عليه من مثل عالية ونظم سامية تدلك على سعة مداها وعطائها فى سخاء .

ثم اين مسلمو اليوم ؟...

هل وجدوا سلاما وامنا فى بديل مـن تلك الشريعة ؟..

واذا لم يجدوا ، فماذا هم قائلون للـه الذى اختار لهم اكرم دين وأيسر شريعة ، وأرادهم خير أمة ؟ انا لله وانا اليه راجعون ...

يقول الأستاذ طـه حبيب [1]

متى يستيقظ المسلمون لدينهم

لقد استحوذ الجمـود على المسـلمين ، واستكانوا للراحة ، وشملهم الكسـل ، حتى تقدمت الأمم وتأخروا ، واستيقظ النـاس وناموا . تركوا كل طريق نافع من طرق العلم والعمل ، بينا أصغر الأمم قد نهضت تبحث فى

(١) لضيق المقام اقتصرنا ببعض الفقرات دون المساس بنص الكاتب المنشور هنا

شئونها ومايرقيها علميا وعمليا ، حتى تتخذ لها مكانا بين الأمم الحية .

غير أن أحدا لم يكن يظن أن تصل الحال بالمسلمين الى الغفلة عن دينهم ، وهو الداعي الى الحق ، والموصل للسعادة . ولكن للأسف الشديد غفل المسلم عن دينه ، وعن الاسترشاد بتعاليمه ، وهذا هو علة تأخره وتقدم غيره .

ترك المسلم الأخذ بآداب الاسلام ، حتى أصبح بعيدا عنها ، وأجنبيا منها . نسى المسلم قواعد دينه واستهان بها ، ولو أنه تمسك بما دعا اليه الدين من خلق حسن ، وتباعد عما نهى عنه من خلق قبيح ، لما كانت تلك حاله ، ولما تقدم الناس وتأخر !

سها المسلم عن تعاليم دينه فجهلها ، وظن لجهله أن الخير كل الخير في تقليد الاجنبي فقلده ، وليته قلده في أخلاقه الحسنة ، وفي تمسكه بعاداته وقوميته ، ومحافظته على دينه وآدابه ، ولكنه قلده في الضار دون النافع ، وفي القبيح دون الحسن .

بهرته بهارج المدنية واستولت على نفسه ، حتى ظن أن المدنية في عدم التدين ، ولوتدبر ، لعلم أن المدنية لا تسمو الا بالدين ، وأن الفخر والجاه والمروءة ، اذا لم تعتصم بالدين فهي هباء ، غالى بعضهم في ذلك حتى ساءت حاله ، وكان من أثر ذلك أن وهت قوة الدين في نفوس البعض من الناس ، حتى وصل الأمر الى أسوأ الأحوال ، وأصبحوا — الا الخاصة منهم — في غيابة من الجهل بدينهم ، ساهين لاهين عن تعلمه ، وعن الأخذ بأوامره ، حتى ضرب الجهل بجرانه فيهم ، وأخذهم من كل مكان ، فالأغنياء منهم يقذفون بأولادهم في بعض مدارس التبشير ، ويتذرعون في ذلك بأن معاهد التربية في القطر تعلم البيئة التي لا تتناسب وأوساطهم ، والمتوسطون من الناس يقلدونهم في ذلك ، والجميع غافلون عما نجم من هذا الشقاء المستور بثوب السعادة ظاهرا ، وما هو الا تعاسة وبؤس ، وغم وهم ، وبلاء وشقاء ، فان الناشئة هم رجال ونساء المستقبل ، فاذا نبتوا على الجهل بالدين وعدم المعرفة به ضاعت أخلاقهم ، ولا أمة دون خلق (وانما الأمم الأخلاق) .

غفلوا عن هذا وجهلوا أو تجاهلوا ما ينشأ عليه الطالب في هذه المدارس ، وما يتلقاه فيها من بعض التعاليم التي تنافي دينه وتبعده عنه حتى ساءت العقبى ، وأصبح حديث الدين بين بعض أبناء الأمة وبناتها ، حديثا ثقيلا على الأسماع ، يعرضون عنه ولا يستمعون اليه . والويل لمن دعا الى أمر ديني ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر . الويل له ، لأنه في نظرهم الفاسد الجامد البعيد عن (اللياقة) وعن الذوق ، جامد يتكلم بالشيء العتيق ، ويدعو الى الشيء البالي القديم ! .

ينشأ الطالب في بعض هذه المعاهد ، على جهل بدينه ، لأنه لا يتلقى تعاليمه ، ولا يستمع لنصائحه وارشاداته

ولوفقه هؤلاء الذين يرسلون أولادهم لما ينشأ عن صنيعهم من المفاسد ، لما أباحوا لأنفسهم ارسال أولادهم الى هذه المعاهد بحال . ولكن ما الحيلة والكثير من بعض الطبقات أصبح بعيدا عن العلم بالدين ، جاهلا

بتعاليه ، ومن جهل شيئا عاداه ؟! ولو أن هؤلاء الذين يرسلون أولادهم التفتوا لما عليه حال غير المسلمين من تمسك بالدين ، وقارنوا بين حال الكنائس وحال المساجد ، لقضت عليهم مروءتهم ونخوتهم بالابتعاد عن هذا الصنيع السيء .

لو تأمل المسلم في شأن غيره ، فهو لا شك عالم بعد قليل من النظر أن تسليم أبنائه لهذه المعاهد لا نتيجة له الا أن يكونوا غير متدينين بالدين الاسلامي . ولو نظر في الناشئة لعلم أن روح الدين قد فقدت منها ، فلا عبادة لله ، ولا حياء من الناس .

انظر الى شبابنا في الطرقات ، في المشارب، في الملاهي ، في المقاهي ، تجدهم مكدسين يتزاحمون بالمناكب . وانظر الى محلات العبادة ، وهي المساجد ، فانك لا تكاد تظفر الا بالطفيف من هذه الجموع الحاشدة ، وما سبب ذلك الا الاستهانة بالدين ، لأنهم لم يتعلموه ، فلم يتمكن في نفوسهم . انظر الى الشابات في أكثر المحلات العمومية ، تجد البهرجة والزينة التي لا يحلها دين ، ولا تسمح بها مروءة ، وكل هذا من فقد العامل الديني في النفوس !

ان هذا الفساد العام لا سبب له الا جهل غالب الاباء والأمهات بالدين ، فالمنزل — وهو المدرسة الأولى — خلو من الارشادات الدينية ومن تاريخ النبوة ، وما قام به السلف الصالح من فضائل الأعمال . فالطالب يعلم من تاريخ « نابليون » الكثير ولا يعلم من تاريخ الرسول الا القليل . والطالب يعلم من تاريخ « لوثر » وغيره من رجال أوربا الشيء الكثير ، ويجهل الجهل كله فضلاء الرجال من المسلمين . فعمر وفتوحاته ، وعلي وفقازه[1] ، وعمرو بن العاص وما كان عليه من سياسة ، والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من كبار الرجال مجهولون لدى أبنائنا ، ولدى الكثير من آبائهم .... - - - - - - - - - .

لو عني المسلمون بواجب الأمر بالمعروف وقاموا بالدعوة الى الرشد والنهي عن الغي مثل ما قام سلفهم الصالح ، لكانت الحال غير الحال . ولكن وا أسفاه علينا فان كثيرا من الناس قد بعد عن تعلم الدين كما قلنا . وارتكسوا في الجهل به ارتكاسا هو أشبه بالجاهلية الأولى .

فواجبنا الآن هو الدعوة الى الاسترشاد بالدين حتى يفيء الناس الى الشرع ، ويثوبوا الى أحكامه . وحسبنا التمادي في الترك ، فقد بانت المغبة ، وظهر ظهور الشمس أن ترك فضيلة الأمر بالمعروف أوجب ما نحن فيه الآن وما نشكوا منه .

وحبذا لو أن الحكومة السنية ضاعفت عدد الوعاظ حتى يكثر عددهم في المدن والقرى ! فنحن الآن أحوج ما نكون الى هذا ، لأن العدو ليس على الباب فحسب بل في وسط الصفوف ، فان لم يتدارك المسلمون الأمر كان الخطب مدلهما . فلنكثر من الوعاظ الدينيين . وليرشد كل منهم ما أمكنه الى العمل بالحق ، وقول الصدق ، وتبيان أصول الدين ومحاسنه ، ومزاياه وفضائله .

(١) لعلها : وفقاره .... مجلة الأزهر

ولنعمد جميعا الى الدعوة الى الدين كما كان يدعو السلف الصالح . تدعو اليها كان عليه الرسول الأعظم ﷺ من حسن الشيم وعظيم المكارم ، ونبين أن من أعماله أنه قام بالدعوة وحده ، حتى ملأ الكون نورا ، وعمت هدايته الخلق في المشارق والمغارب . نعلمهم أن ذلك المبعوث الأعظم لم يترك فضيلة الا دعا اليها ، ولا رذيلة الا نهى عنها ، وأن من اتبع دينه وأخذ بما دعا اليه كان له الفوز الأعظم ، ومن نأى وأعرض باء بالخسران المبين . نعلمهم ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من صدق في العزيمة واخلاص في العمل . نعلمهم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نالوا في سبيل المحافظة على الدين ما لا قبل لهم به ، وأن الرجل منهم كان يضرب ويعذب ويلقى في الرمضاء وقت الظهيرة ليقول كلمة الكفر فلم يقلها ، وأن البعض مات من شدة العذاب ولم يظفر منه أعداء الدين بمنال ، وأن البعض ترك وطنه الى وطن آخر في سبيل تلك المحافظة على الدين .

نعلمهم أن عزة الدين كعزة النفس بل أقوى، فكما يجب على الشخص المحافظة على النفس، كذلك يجب عليه المحافظة على الدين والذب عنه . نعلمهم أن المال عرض زائل ، وأن الدين هو الباقي ، وأن المرء بدينه ومروءته لا بماله ونشبه ، وأن من فقد دينه فقد فقد مروءته ونفسه ، وكان شخصا عاطلا من كل فضيلة ، لا ينفع أحدا ولا ينتفع به أحد . نعلمهم أن الدين أساس الفضائل ، وأن الدين وحده كان السبب في العظمة والمجد لأسلافنا ، وأن أبا بكر رضي الله عنه أنفق ماله في نصرة الدين ، وعثمان ابن عفان لم يأل جهدا في نيل الفضيلة بصرف ماله في سبيل الدين ، وأن السيدة خديجة رضي الله عنها صرفت كثيرا من مالها في سبيل الدين وحفظ أصحابه ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم لم ينالوا ما نالوه من سؤدد ورفعة يتحدث بها الناس جميعا الا بالدين ، وتمسكهم بارشاده وتعليمه ، فقد فتحوا الفتوح وعمروا الممالك بفضل تمسكهم بدينهم الذى هو عماد كل خير ، وأن الدين ليس سلعة تباع وتشترى، وانما الدين يقين بالله واذعان له ، وهو أساس الفضيلة .

نرشدهم الى أن النبى ﷺ كان أعظم الناس جاها ، وكان أعظم الناس منزلة وكان أعظم الناس خلقا ، ولم يكن يعنى بالمال ، ولا كان في شأنه كثير المال ولم يحتفظ بعد بعثته ﷺ بمال ، ولم يجد المال سبيلا الى نفسه الشريفة . وكذلك كان أصحابه لايعنون الا بالفضائل ، ولم تجد المادة اليهم سبيلا ، وقد عظم شأنهم ، وحسن حالهم ، وقد أتاهم المال بكثرة بفضل الدين والعلم ، والخلق والعمل الصالح . فما كان المال وحده بالذى يكسب مجدا ويكفى لربح فضيلة . وان من العار الذى لا يماثله عار أن يفكر المسلم في المال قبل الدين ، أو يفرط في بعض فرائض الدين للمال . ومن الخسران الذى لا يشبهه خسران أن يترك المرء دينه للمال لأن ذلك وأد للفضيلة .

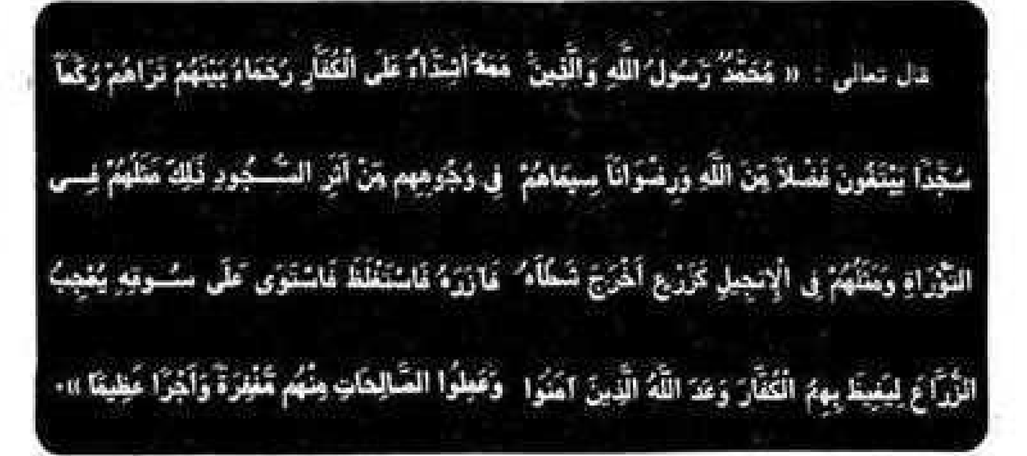
فمن هذا الذى سفه نفسه ورضى بخسران الدنيا والآخرة من أجل المال ؟

نعلم المسلمين آباء وأبناء ماحاز المسلمون الأولون من الفضائل ، وما ورثوا من مجد بفضل الدين . نعلمهم أن العزة لله ولدين الله ، لا للمال ولا للنوال ، وأن الانسان الفاضل بدينه وخلقه يواتيه الله بالمال من حيث يدرى ولا يدرى ، بل ان الانسان بدينه وخلقه يميزه الله على غيره ، ويجعل له السلطان عليهم . وهاهم أولاء صحابة رسول الله لم يكونوا من أصحاب الأموال ، وقد أفاء الله عليهم المال ، وأغدق عليهم الرزق والعطاء ، وملكهم الأراضى والدور ، وجعلهم الحكام على الناس ، فكان منهم مع فقرهم فى المال أمراء الجند وقواد الجيوش ، وكان منهممع هذا الأمراء والوزراء ، ومنهم القضاة والرؤساء ومنهم ومنهم ... الى ما لا قبل للعدد بحصره ، وكل ذلك بفضل دينهم وتمسكهم به ، وجعل المال عرضا غير مقصود . نرشدهم الى ذلك ، ونسرد عليهم من سير الصحابة والتابعين ما فيه مزدجر لقوم لا يعقلون ، فضلا عن مسلمين يسترشدون .

نرشدهم الى أن المسلم الحق هو الذى يؤمن بربه ايمانا صادقا ، ويذعن بأن الله واجب الوجود يجب له كل كمال ، وأن من الكمال الواجب لذاته ألا يكون له شريك ، وألا يكون له ولد ولا صاحبة ، وأنه يتنزه عن أن يحل فى جسد ، أو يتصل اتصالا جسمانيا بمخلوق مهما علت منزلته ، وان الأنبياء والمرسلين كلهم عبيده ، وكلهم نشأ بقدرته ، ومحتاج فى وجوده وبقائه اليه . فعيسى مثل موسى وغيره : عبد من عباد الرحمن ، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وأنه كغيره من بقية الرسل ليس له من الأمر شىء ، وأنه وكل المخلوقات كلهم مفتقر الى الله فى وجوده وبقائه ، وكل ما أظهره الله على يديه من معجزات فهو باذن الله وارادته وقدرته ، وأنه لا يقدر على الاتيان بأى واحدة منها لولا تأييد الله له فلا أبوة ولا بنوة ، لأن كل ذلك نقص يستحيل على الله ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه وتعالى عما يشركون .

اذا عرف المسلم هذا على البساطة لا يكاد يفهم الوهية لغير الله ، ولا يمكنه اجابة داع يدعوه الى غير التوحيد . واذا عرف المسلم ما كان من أمر الرسالة والدعوة ، وما كان من شأن المسلمين حين البعثة ، واجابتهم داعى الرسول ﷺ ، حيث دعاهم الى ما يحييهم ، عرفوا أن الخروج من الدين يستوجب الهلاك فى الدنيا والآخرة : أما فى الآخرة فالخلود فى النار ، وأما فى الدنيا فخروج عن الانسانية ، والبواء بالخسران العظيم ، وأن الخارج عن دينه يصبح فاقد الأهلية فى كثير من التصرفات ويترتب على خروجه من دينه أن تبين امرأته منه ، وان عاشرها بعد ذلك فأولاده منها غير ثابتى النسب ، وأنه مع هذا يجلب السبة والعار لنفسه وعائلته وقريته .

اذا أنشأنا النشىء على معرفة محاسن الاسلام ومزاياه ، وأفهمنا العامة ما يجب عليهم له ، وجعلناهم يدركون الحق بأسلوب بسيط لا عوج فيه ولا تعقيد ، وأيقظنا فيهم



وازع الدين ، وسلكنا بهم طريق الحكمة ، وأوضحنا لهم ما فى عقيدة الاسلام من معارف وما فيها من حكم ، وما اشتملت عليه من أنواع الفضائل ، لاستيقظ المسلمون لدينهم ، وأمنا على الكبير منهم والصغير ، ولما استطاع مغرر جاهل من تجار الأديان أن يؤثر فيهم ، لأنهم يستطيعون أن يردوا شبه زيغه ، وأن يكبحوا جماحه بالحجة بفضل ما علموا .

لو رشدنا وأرشدنا لكان لنا من حسن ايمان المؤمنين وصدق اسلام المسلمين ما يجعلنا فى مأمن من المحن ، وأمان من الاحن ، ولباء تجار الأديان بالفشل . بل لو سار المسلمون على الصراط السوى الذى دعانا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم لقلت أو عدمت الجرائم ، وأمن الناس على أنفسهم وأديانهم ، وأموالهم وأعراضهم ، ولما استطاع انسان أيا كان أن يطلب الى أحد من الدهماء تغيير دينه أو تبديل عقيدته ، بل لما وسعه المقام بينهم ، لأنهم بالعلم بما دعا اليه الرسول يعلمون أن الدين عند الله الاسلام ، وأنه لم يدع فضيلة من الفضائل ولا خلقا كريما الا ودعا اليه ونهى عن ضده . يعلمون أن من اتبع أوامره كان من الناجحين ، وأن من حاد كان من الهالكين .

وفقنا الله جميعا لما يحب ويرضى .

طه حبيب

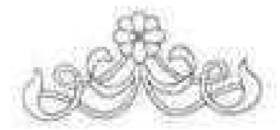
مجلة نور الاسلام

المجلد الرابع ١٥

عبد الفتاح حسين الزيات

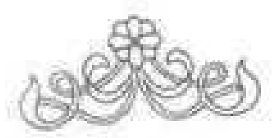
اللغة والأدب والنقد

الـوقف "اقسامه"

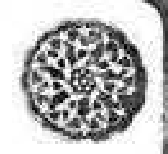


اسم الفاعل

هل تجمع "معيشة" على "معائش"؟



مراجعات موسمية في الثقافة الاسلامية



الوقف

أقسامه

ينقسم الوقف الى ثلاثة أقسام :

الأول : اضطرارى ، ويكون عند قطع النفس .

الثانى : اختبارى ، ويكون لاختبار شخص هل يحسن الوقف أولا كأن يقال : كيف تقف على المنقوص او المختوم بتاء التأنيث ؟

الثالث : اختيارى ، وينقسم الى اقسام

(أ) استثباتى ، وهو الواقع فى الاستثبات والسؤال المقصود به تعيين مبهم — فرد — كأن يقال : منو ؟ لمن قال : أعجبت برجل — أو جماعة — كأن يقال : أيون ؟ لمن قال : جاءنى جماعة ، وأيين ؟ لمن قال : صاحبت رفقة او استمتعت بهم (١) .

(ب) وانكارى ، وهو الواقع فى سؤال مقصود به انكار خبر المخبر أو كون الأمر على خلاف ما ذكر .

فان كانت الكلمة منونة حركنا التنوين بالكسر وأشبعنا الكسر بالياء المنتهية بهاء السكت — نحو : أزيدنيه ؟ بضم الدال — لمن قال : جاء زيد — وبفتحها — لمن قال : رأيت زيدا — وبكسرها لمن قال : مررت بزيد .

وان لم تكن الكلمة منونة — أتى بالمد المجانس لحركة آخر الكلمة — كأن يقال : أعثمانوه ، وأعثماناه ، وأحذاميه لمن قال : جاء عثمان ، ورأيت عثمان ، ومررت بحذام — وحروف الاشباع هذه تسمى حروف انكار .

(د) وتذكرى ، وهو المقصود به تذكر باقى القول فيؤتى فى آخره بمدة مجانسة لحركة آخر الكلمة ، كأن يقال : ونحنو ، وأنتا ، وأنتى (٢) فان لم يقصد التذكر لم يأت بالمدة المجانسة .

---

(١) أى تأتى عند السؤال عن الفرد المرفوع بضمة مشبعة بالواو — وعن المنصوب بالفتحة المشبعة بالألف — وعن المجرور بالكسرة المشبعة بالياء — وعن الجماعة بالواو والنون رفعا ، وبالياء ونون جرا ونصبا — كما مثلنا .

(٢) الواو والياء هنا يسميان حرف تذكار والالف تسمى الف التعايى — قال صاحب القاموس « فى باب الالف اللينة » : والف التعايى بأن يقول : ان عمر ثم يرتج عليه فيقف قائلا : ان عمرا فيمدها مستمدا لما ينفتح له من الكلام .



للدكتور عبد العظيم الشناوى

(د) واما ترنمى ، كالوقف فى قول جرير :

أقلى اللوم عاذل والعتابن
وقولى ان أصبت لقد أصابن

(هـ) واما غير ذلك وهو المقصود دراسته ، ويعرف : بأنه قطع النطق عند آخر الكلمة لغير ما ذكر .

ويقابل الوقف ، الابتداء ــ والابتداء عمل فيكون الوقف استراحة من ذلك العمل ، ويتفرع عن قصد الاستراحة فى الوقف ثلاثة مقاصد فيكون لتمام الغرض من الكلام ، ولتمام النظم فى الشعر ، ولتمام السجع فى النثر .

ويأتى الوقف فى جميع أقسام الكلمة .
اما الحرف فلا يوقف عليه الا بالسكون

ــ قال ابن يعيش :

فالحرف الموقوف عليه لا يكون الا ساكنا كما أن الحرف المبدوء به لا يكون الا متحركا وذلك لأن الوقف ضد الابتداء ، فكما لا يكون المبدوء به الا متحركا فكذلك الموقوف عليه لا يكون الا بضده وهو السكون .

وأما الوقف على الأسماء والأفعال فله أحكام وهى :

١ ــ السكون .
٢ ــ الروم .
٣ ــ الاشمام .
٤ ــ الزيادة .
٥ ــ الابدال .
٦ ــ الحذف .
٧ ــ النقل .

الوقف على المقصور

المقصور قسمان : منون وغير منون .

فالمنون تسقط ألفه فى الوصل لسكونها وسكون التنوين بعدها نحو قولك رأيت فتى يحمل عصا فى يده .

فاذا وقفت عليه جئت بالألف ــ تبعا لأكثر العرب فقلت هذه عصا وجاء فتى وانما كان الوقف عليها بخلاف الياء فى نحو قاضى لخفتها ــ .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٩٠) الا تراهم يفرون من الياء والواو الى الألف اذا كانت العين قبل واحدة منهما مفتوحة (١) . وفروا

(١) وذلك نحو غزا ورمى ، فانهم فروا من الواو فى غزا والياء فى رمى الى الألف لانفتاح العين قبلهما ــ وكذلك يفرون منهما الى الالف فى نحو قال وباع فالالف فى قال أصلها الواو وفى باع أصلها الياء .

اليها فى قولهم : قد رضاونها (١) وقال الشاعر (زيد الخيل) :

اق كل عام مأتم تبعثونه
على محمر ثوبتموه وما رضا (٢)

وقال طفيل الغنوى :
ان الغنوى اذا نها لم يعتب

ويقولون فى فخذ ــ بكسر الخاء ــ فخذ ــ بسكونها ــ وفى عضد ــ بضم الضاد ــ عضد ــ بسكونها ولا يقولون فى جمل جمل ولا يخففون لأن الفتح أخف عليهم والألف أ هـ .

وفى ألف المقصور المنون الموقوف عليها ثلاثة مذاهب : ذكرها أبو حيان فى الارتشاف ونسبها لأصحابها فقال :

والمقصور المنون يوقف عليه بالألف ، وفيه مذاهب : أحدها : أن الألف بدل من التنوين (٣) واستصحب حذف الألف المنقلبة وصلا ووقفا (أى كما حذفت الألف الأصلية فى الوصل حذفت فى الوقف) وهو مذهب أبى الحسن (الأخفش) والفراء والمازنى وأبى على فى التذكرة .

والثانى : أنها الألف المنقلبة لما حذف التنوين عادت مطلقا ، وهو مروى عن أبى عمرو والكسائى والكوفيين وسيبويه فيما قال أبو جعفر الباذشى .

والثالث : اعتباره بالصحيح ، فالألف فى النصب بدل من التنوين وفى الرفع والجر هى بدل من لام الفعل ، وذهب اليه أبو على فى أحد قوليه ونسبه أكثر الناس الى سيبويه ومعظم النحويين أ هـ .

واختار المذهب الثانى وأيده السيرافى ــ قال ابن يعيش : وبعضهم يزعم أن مذهب سيبويه أنها لام الكلمة فى الأحوال كلها ، قال السيرافى : وهو المفهوم من كلامه ، وهو قوله « أما الألفات التى تحذف فى الوصل فانها لا تحذف فى الوقف » (٤) ، ويؤيد هذا المذهب أنها وقعت رويا فى الشعر فى حال النصب نحو

---

(١) أصلهما : رضى ونهى . بالبناء للمجهول ففتحت الضاد والهاء ليتوصل الى قلب الواو فى رضى والياء فى نهى الفا فرارا من الواو والياء ــ وهذه لغة فاشية فى طىء ــ .

(٢) الشاهد فيه فتح الضاد لتنقلب الواو الفا ــ وذلك لخفة الألف والفتحة ــ والشاهد فيما بعده فتح الهاء من نهى المبنية للمجهول لتنقلب الياء الفا ــ ومعنى لم يعتب لم يجب مرضيا لمن نهاه بانتهائه . يقال عتب يعتب اذا سخط ، واعتب يعتب اذا صار الى العتبى وهى الرضا .

(٣) وعللوا ذلك بأن التنوين واقع بعد الفتحة عند الوصل وشأن هذا التنوين أن يقلب الفا عند الوقف ــ كما فى نحو رأيت زيدا ــ والتنوين فى المقصور واقع بعد الفتح فى أحوال الاعراب كلها مثل موقع تنوين زيدا المنصوب ــ وقالوا أن قلب التنوين الفا فى المقصور أولى لأن فتحة « زيدا » عارضة اعرابية ــ والفتحة فى المقصور لازمة ــ أقول : والمذهب الثانى أولى لما ذكره السيرافى .

(٤) جـ ٢ ص ٢٩٠ .

قوله (١) :

وربّ ضيف طرق الحيّ سرى
صادف زادا وحديثا ما اشتهى

فألف « سرى » هنا روى ، ولا خلاف بين أهل القوافي أن الألف المبدلة من التنوين لا تكون رويا اهـ .

وقوى هذا المذهب أيضا الرضي فقال :

وأيضا فانها تمال في حال النصب كقوله تعالى :

(وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) .

وامالة ألف التنوين قليلة — وأيضا تكتب ياء ، وألف التنوين تكتب ألفا .

وثمرة هذا الخلاف تظهر في الاعراب : فعلى أن الألف منقلبة عن اللام يعرب المقصور بحركات مقدرة عليها لأنها محل الاعراب ، وعلى أنها بدل من التنوين يعرب بحركات مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين .

وأما المقصور غير المنون . نحو : أعلى . وسكرى ، والفتى — فألفه في الوقف هي التي كانت في الوصل بلا خلاف — لأنه ليس معنا تنوين حتى تبدل منه الألف .

هذا ولا يجوز حذف ألف المقصور في الوقف الا اضطرارا .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٩٠) : لم تحذف الألف الا أن يضطر شاعر فيشبهها بالياء لأنها أختها وهي قد تذهب مع التنوين قال لبيد حيث اضطر (٢) .

وقبيل من لكيز شاهد
رهط مرجوم ورهط ابن المعل

يريد المعلى — اهـ .

لغات أخرى في الوقف على المقصور

ما ذكرناه من الوقف على المقصور بالألف هو الأكثر والأعرف .

وقد جاء عن بعض العرب قلب الألف عند الوقف همزة ، أو واوا ، أو ياء .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٥) : وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلا ، وهذه حبلا ... فهمز لقرب الألف من الهمزة ... وسمعناهم يقولون : هو يضربها فيهمز كل ألف في الوقف ... فاذا وصلت لم يكن هذا — اهـ .

وقال في قلب الألف ياء ، أو واوا (جـ ٢ ص ٢٨٧) : وذلك قول بعض العرب في أفعى

---

(١) هذه أبيات من الرجز المشطور للشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والاستشهاد ، على أن الألف من المقصور لام الكلمة لأنها وقعت رويا — وليست مبدلة من التنوين في الوقف لأنها لو كانت كذلك ووقعت رويا لجاز أن تقع الألف المبدلة من التنوين في الاسم المنصوب في الروى أيضا — وكان يقع مثل رأيت زيدا مع مثل رأيت الفتى في قصيدة واحدة — وهو مما لا يقول به أحد فثبت أن الألف في سرى لام الكلمة — كالألف في اشتهى — وانما قالوا رويا في حال النصب ليكون ردا على المذهبين الآخرين .

(٢) قال الأعلم : الشاهد فيه حذف ألف المعلى في الوقف ضرورة تشبيها بما يحذف من الياءات في الأسماء المنقوصة نحو قاض وغاز وهذا من أقبح الضرورة لأن الألف لا تستثقل كما تستثقل الياء والواو وكذلك الفتحة لأنها من الألف — ولكيز قبيلة من ربيعة وهم لكيز — بضم ففتح — بن أفصى بن عبد القيس .. وصف مقاما فاخر فيه قبائل ربيعة بقبيلته من مضر . ومرجوم وابن المعلى سيدان من لكيز — وقوله « قبيل » مبتدأ و « من لكيز » صفته ، و « شاهد » خبره ، و « رهط مرجوم ورهط بن المعل » بدل منه .

الوقف "أقسامه"

أفعى ، وفي حبلى : حبلى ، وفي مثنى : مثنى ــ (بإسكان الياء عند الوقف في الجميع) فهذا وصلت صيرتها ألفا ، وكذلك كل ألف في آخر الاسم ، حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس ، وهي قليلة فأما الأكثر والأعرف فأن تدع الألف في الوقف .

وأما طيء فزعموا أنهم يدعونها في الوصل على حالها في الوقف .. حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب .. (أى أنهم يقلبون الألف ياء في الوقف والوصل) وزعموا أن بعض طيء يقول : أفعو (في أفعى) لأنها أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء وتبدلان مكان الألف أيضا وهن أخوات ــ اهـ .

الوقف على المختوم بتاء التأنيث
وبيان حكمها (١)

يوقف على تاء التأنيث بالتاء الساكنة فيما يأتي .

أولا : اذا كانت متصلة بالفعل : نحو : قامت . وأذعت . ورمت .

ثانيا : اذا كانت متصلة بالحرف : نحو : ثمت ــ ربت ، ولات . عند الجمهور ووقف الكسائي على « لات » بالهاء ووقف الباقون بالتاء .

وقال ابن مالك : ويجوز عندى أن يوقف بالهاء على « ربت » و «ثمت» قياسا على قولهم في « لات » : « لاه » واعترض عليه حفيده : بأن الوقف بالهاء على « لات » ليس قياسا فكيف يقاس عليه .

ثالثا : اذا كانت في اسم وقبلها ساكن صحيح أو ياء ساكنة : نحو : أخت ، وبنت وكيت وكيت ، وذيت وذيت (٢) .

ويوقف عليها بالهاء ساكنة ان كان قبلها حركة سواء كانت في مفرد نحو شجرة ، واقامة . أم في جمع نحو : بررة ، وقادة ، للفرق بين الوقف عليها وعلى التاء الأصلية ويقل الوقف عليها بالتاء .

قال سيبويه : وزعم أبو الخطاب أن ناسا من العرب يقولون في الوقف طلحت ــ بالتاء الساكنة ــ .

وقال ابن يعيش : على أن من العرب من يجرى الوقف مجرى الوصل فيقول في الوقف : هذا طلحت . وهي لغة فاشية حكاها أبو الخطاب . ومنه قولهم وعليه السلام والرحمت ، ومنه قولهم . بل جوزيتها

---

(١) كتاء المبالغة في نحو نابغة وراوية . وتاء زيادة المبالغة . كعلامة . وفروقة .

(٢) يكنى عن الحديث : بكيت وكيت . وذيت وذيت ــ بفتح التاء وكسرها ــ والفتح اشهر وهما مخففتان من . كية وكية . وذية . وذية ــ بتشديد الياء ــ وليس فيهما حينئذ الا البناء على الفتح . ولا يقال : كان من الامر كيت بل لابد من تكررها وتكرر ذيت لانها كناية عن الحديث والتكرير مشعر بالطول ــ ا هـ الأشموني .

كتمر الدجيقت . (١) وأنشد قطرب (٢) :

الله نجــاك بكفى مســلمت
من بعـد ما وبعـد ما وبعـدمت
صـارت نفوس القوم عند الغلصمت
وكـادت الحـرة أن تـدعى أمت

وكل ذلك اجراء الوقف مجرى الوصل فأما قوله : وبعدمت : فالمراد بعد ما فأبدل الألف في التقدير هاء فصارت بعدمه وقد أبدلت الهاء من الألف — قال الشاعر :

قـد وردت مـن أمكنـه
من هـا هنـا ومن هنــه

يريد هنا ثم أبدل الألف هاء لتوافق بقية القوافي وشجعه على ذلك (٣) شبه الهاء المقدرة بتاء التأنيث وكانت هذه اللغة من قبيل اجراء الوقف مجرى الوصـل — أ هـ جـ ٩ ص ٨١ .

ومن ذلك قول بعضـهم : يا أهـل سـورة البقرت : واجابة آخر له على لغته بقوله : ما أحفظ منها ولا آيت .

وكـل تاء تأنيث كتبت في المصحف « هاء » وقف عليها جميع القراء بالهاء . وان رسـمت « تاء » فمنهم من يقف بالهاء مراعاة للأصـل كابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، ومنهم مـن يقف بالتاء مراعاة للرسم العثماني : كنـافع وابن عامر وعاصم وحمزة .

ومما التزم رسمه بالتاء في القرآن كل امرأة ذكرت مع زوجها في القرآن وقد جاءت مـع زوجها سبع مرات — وهي — **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ** — **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ** — **قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ** — **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ** — **امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ** — **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ** .

وكلمة شجرة رسمت بالتاء مرة واحدة — في الآية — **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ** — وكلمة رحمة رسمت بالتاء سبع مرات — ولو تتبعت القرآن الكريم لوجدت كثيرا رسم بالتاء .

---

(١) هذا البيت من الرجز المشـطور . وقد نسبه ابن بري في أماليه على الصحاح لسـؤر الذئب ضمن أبيات كثيرة وقبله :

ما ضرها أما عليها لو شـفت
متيمـا بنظـرة واسـعفت

وبعده :

قطعتهـا اذا المهـا تجوفت
مـآزقا الى ذراهـا اهـدفت

والجوز — بفتح الجيم : — الوسط . والتيهاء المفازة التي يتيه فيهـا السـالك . والمجفة — بفتحات — الترس . والمها البقر الوحشي مفرده مهاة . وتجوفت : دخلت . والمآزق : المضايق . وذراها بفتح الذال — ناحيتهـا . واهدفت مـن الاهداف وهو الدنو من الشيء واستقباله — يصف نفسه فيقول "رب مفازة يضل سالكها ملسـاء لا معالم فيها قطعتها في الوقت الذي تهرب فيه الابقار الوحشية الى مخابئها .

(٢) نسبت هذه الابيات في شرح التوضـيح الى أبي النجم العجلي و « ما » في قـوله « من بعدما » يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون كافة مسوغة لبعد أن يليها الفعل . لأن من حق بعد أن تضـاف الى المفرد لا الى الجمـل وقد كرر « بعدما » لقصـد التهويل وحينئذ يجوز أن تكون الثانية والثالثة توكيدا للأولى من توكيد المفرد بالمفرد ويجوز أن تكون كل واحدة منها مضافة الى فعل مثل المذكور (صـارت) والغلصـمة : رأس الحلقوم .

(٣) أي على قلب الهاء المنقلبة عن الألف تاء في قوله « ما » .

الوقف "أقسامه"

وان كان قبلها ألف ساكنة فإن كانت فى مفرد أو فى جمع تكسير — فالأرجح الوقف بالهاء أى أنحكمها حكم التى قبلها — قالوا : لأن الألف فى مثل هذا أصلها الحركة — وهذا ظاهر فى الألف الأصلية كفتاة وقضاة — فألفهما منقلبة عن ياء مفتوحة .

أما فى الزائدة — كألف قبحراة — فلا — لأنها ليست منقلبة عن غيرها — ولعلهم عللوا للغالب .

وان كانت الألف الواقعة قبل تاء التأنيث فى جمع مؤنث سالم وما أشبهه وهو اسم الجمع «كأولات وما سمى به تحقيقا كعرفات ، أو تقديرا كهيهات فالأرجح الوقف بالتاء — (ولم يذكر سيبويه غيره قال — كما قالوا فى تاء الجمع قولا واحدا فى الوقف والوصل) جـ ٢ ص ٢٨١ .

ومن الوقف بالهاء قولهم : كيف الأخوة والأخواه — وكرواية بعضهم حديث دفن البنات من المكرمات — هكذا : دفن البناه من المكرمه — وسمع هيهاه (١) ؛ وأولاه — ونقل بعضهم أنها لغة طيىء — وقال فى الافصاح :

شاذ لا يقاس عليه — هذا وأكثر من وقف بالتاء يسكنها ولو كانت منصوبة منونة .

قال : والظاهر ان هؤلاء (الواقفين بالتاء) لا يقولون فى النصب « رأيت امتا » كزيدا بالف بل « رأيت امت » كما فى قوله « وكادت الحرة أن تدعى امت » ، وذلك لحمله على « أمه » بالهاء فانه هو الأصل فى الوقف — أ هـ جـ ٢ ص ٢٩٠ .

وبعضهم — وهو قليل — يقف بالتاء منونة ويقلب التنوين الفا فيقول (رأيت فتاتا) كما يقف على المنون المنصوب المجرد من التاء — أ هـ صبان .

عبد العظيم الشناوى

---

(١) فى المفصل وشرحه : أن هيهات فيها لغتان فتح التاء وكسرها فمن فتح جعلها مفردا ووقف عليها بالهاء ، ومن كسر جعلها جمعا ووقف عليها بالتاء ومثل هيهات فى احتمال الوجهين « استأصل الله عرقاتهم » والمراد أصلهم فمن فتح التاء فى عرقات جعلها مفردا ووقف بالهاء ، ومن كسر جعلها جمعا ووقف بالتاء — وقال الرضى : وقال بعض النحاة : ان مفتوحة التاء مفردة وأصلها هيهية قلبت الياء الاخيرة الفا ، والتاء للتأنيث ، فالوقف عليها بالهاء — وأما مكسورة التاء فجمع لمفتوحة التاء كمسلمات فالوقف عليها بالتاء وكان القياس هيهيات كما تقول : قوقيات فى جمع قوقاة لكنهم حذفوا الألف لكونها غير متمكنة كما حذفوا الف هذا وياء الذى فى المثنى — والمضمومة التاء تحتمل الافراد والجمع فيجوز الوقف عليها بالهاء والتاء وهذا كله تخمين بل لا مانع أن نقول : التاء والالف فيها زائدتان ولا منع أيضا من كونها فى جميع الاحوال مفردة مع زيادة التاء فقط .

ونقول : فتح التاء نظرا الى أصله حين كان مفعولا مطلقا والكسر للساكنين لان أصل البناء السكون وأما الضم فللتنبيه بقوة الحركة على قوة معنى البعد فيه اذ معناه : ما أبعده — وكان القياس بناء على الوجه الاخير أن لا يوقف عليها الا بالهاء وانما يوقف بالتاء فى الاكثر تنبيها على التحاقها بقسم الافعال من حيث المعنى أ هـ .

اسم الفاعل

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالي

من الأمور البدهية المسلم بها أن الفعل يدل على الفاعل بمعناه ومفهومه لأنه حدث والحدث لا يصدر إلا عن فاعل فلابد لكل فعل من فاعل أو ما ينوب عنه إما ظاهرا أو مضمرا فاشتق منه اسم يدل على الحدث والحدوث وفاعله هو ما يسمى في الاصطلاح باسم الفاعل . فاسم الفاعل اسم مشتق من مصدر الفعل المتصرف المبني للمعلوم للدلالة على من وقع منه الحدث أو قام به ، أو بتعبير آخر ليدل على الحدث والحدوث وفاعله .

فقولنا : ليدل على الحدث جنس يشمل جميع الأوصاف والأفعال ، وقولنا : والحدوث فصل يخرج الصفة المشبهة نحو ، حسن وبطل وشريف وشهم وجواد وشجاع ، واسم التفضيل نحو أكرم وأعظم وأرحم وأشجع وأحكم وأعقل ، وأسمى وأرقى وأقوى وأعلى فإنهما لا يدلان على الحدوث ، وإنما يفيدان الثبوت والدوام ، وقولنا : وفاعله يخرج اسم المفعول نحو : محمود ومعلوم ، ومنصور ، ومظلوم ومكتوب ومحفوظ ، ومكرم ومعظم ومحترم ، ومنتقد ، ومستحسن ومستهجن ومستورد ومستقبل فإنه يدل على من وقع عليه الحدث لا من وقع منه ، ويخرج الفعل أيضا لأنه صيغ من المصدر ليدل على الحدث والزمان بالوضع لا على فاعل معين ، وإن كان يدل على نسبة الحدث إلى فاعل ما غير محدد ، فدلالته على الفاعل إنما هي دلالة التزام . ويخرج كذلك أسماء الزمان والمكان نحو : مخرج ومنزل ومرمى ومصير وموقف وموعد ومنتظر ومختبر ومعترك ومتوضأ ومفترق ومفتتح ومنطلق ومنحدر ، ومستوصف ومستودع ومستشفى ومستنبت إذ أسماء لزمان الخروج والنزول والرمي والمصير والوقوف والوعد والانتظار والاختبار والاعتراك ، والتوضؤ والافتراق والافتتاح والانطلاق والانحدار ، والاستيصاف والاستيداع والاستشفاء والاستنبات فإنها إنما اشتقت للدلالة على

اسم الفاعل

ما وقع فيها لا لما وقع منها أو قامت به .

صوغ اسم الفاعل وأوزانه : يصاغ اسم الفاعل من مصدر الفعل المتصرف الثلاثي مفتوح العين في الماضي على وزن (فاعل) بكسر العين وزيادة ألف بعد الفاء لازما كان ؛ كغذا الوادي بمعجمتين بمعنى سال فهو غاذ وذهب فهو ذاهب وجلس فهو جالس وخرج فهو خارج وسجد فهو ساجد ، وقنت فهو قانت وقام فهو قائم ، قال تعالى :

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) أو كان متعديا ، نحو غذا اللبن الصبي أي أشبعه ، أو غذا طفله باللبن أي أطعمه ورباه به فهو غاذ وضرب فهو ضارب وفتح فهو فاتح وأكل فهو آكل وصنع الآلة فهو صانع وحلب البقرة فهو حالب وكتب وحفظ فهو كاتب وحافظ وسرق فهو سارق وملك فهو مالك وجمع فهو جامع وحكم فهو حاكم وحرث الأرض فهو حارث ، وعبد ربه فهو عابد ، كما يجيء على (فاعل) أيضا من فعل مكسور العين المتعدي كحفظ فهو حافظ وعلم فهو عالم وركب فهو راكب ، وسمع فهو سامع ، وحمد الله فهو حامد وشرب الدواء فهو شارب ، وأمن عدوه فهو آمن ورحم الضعيف فهو راحم .

وقد يستغني (فعل) بفتح العين اللازم عن صيغة (فاعل) بغيرها من الصيغ ، فيتركون القياس المطرد وهو وزن (فاعل) ويستعملون أوزانا أخرى ، منها مثلا (فعل) بفتح الفاء وسكون العين كشيخ ، وعزّ للرجل السرى الشريف في قومه ، ومنها (أفعل) بسكون الفاء وفتح العين نحو أشيب ، (وفيعل) بفتح الفاء وكسر العين بينهما ياء ساكنة نحو : طيب ولين ، و (فعيل) بفتح الفاء وكسر العين مع المد مثل : عفيف ، وخفيف ، وانما يصح هذا الاستغناء اذا لم يستعمل له قياس مطرد ، أما اذا استعمل له قياس وسمع غيره فلا يصح الاستغناء بما سمع عن الأصل ، نحو : مال يميل فهو مائل ، وسمع منه أميل ، فلا يستغنى به عن الوزن القياسي ، وهو مائل ويقل مجيئه على (فاعل) من (فعل) مضموم العين نحو طهر فهو طاهر القلب ، ونعم فهو ناعم ، وفره الفرس فهو فاره وكذلك من (فعل) مكسور العين اللازم ، نحو حاذر وفارح ، وجزع فهو جازع وسلم فهو سالم ، وندم فهو نادم وأسف فهو آسف ورغب فهو راغب ، وانما قياس الوصف (اسم الفاعل) من (فعل) بكسر العين اللازم (فعل) بفتح الفاء وكسر العين فيما دل على عرض ، وهو المعنى القائم بالذات غير الثابت فيها نحو : أشر وبطر وفرح وكسل وسره ونهم . وجاء منه شذوذا فعل بفتح فسكون ، وفعيل بفتح فكسر ممدود نحو كهل وسقيم ومريض و (أفعل) بفتح الهمزة والعين وسكون الفاء فيما دل على لون أو وصف ظاهر في البدن يعيبه أو يزينه نحو أحمر وأسود وأبيض وأزرق وأخضر وأصفر وأشهب وأحور وأحوى وألمى وألى وأعين ، أعرج وأعور وأعمش وأجهر ، وأعمى وأبتر ، وأرعن وأحمق وأخرق وأحنف .

و (فعلان) فيما دل على امتلاء نحو ،

شبعان وسكران وريان ، أو على خلو البطن أو حرارة الباطن ، نحو عطشان وظمآن وصديان ، وقياس الوصف من (فعل) مضموم العين (فعيل) بفتح الفاء وكسر العين ممدودة و (فعل) بفتح الفاء وسكون العين كثيرا نحو ، جميل وعظيم وشريف وظريف ، وطويل وقصير وقريب وبعيد وخبيث ولئيم ورخيص وحليم ، ونحو ، ضخم وشهم وسهل ، ومنها بقلة (أفعل) بفتح وسكون وفتح نحو خرش أي خشن فهو أخرش ، و (فعل) بفتحتين ، نحو حسن وبطل ، و (فعال وفعال) بضم الفاء وفتحها نحو شجاع وفرات وجبان وجسواد وحصان . و (فعل) بضمتين ، نحو جنب وجبك ، و (فعل) بكسر الفاء وضمها نحو عفر فهو عفر ، وغمر فهو غمر و (فعال) بضم الفاء وفتح العين مشددة نحو وضؤ فهو وضاء أي وضيء أو مشرق ، و (فعل) بكسر الفاء وفتحها وكسر العين نحو ، خشن فهو خشن ، و (فعول) نحو حصور من حصرت المرأة فهي حصور ملازم للبناء للمجهول فالتمثيل به لفعل مضموم العين باعتبار أصله واذا عورض بأن أصل المبني للمجهول متحد ومضموم العين هنا لازم فالجواب ، أن المبني للمجهول قد يأتي من اللازم سماعا نحو جن وبهت وحم وفلج وزكم ونحوها من الأفعال الملازمة للبناء للمجهول مع التصور . وقد أجاز ابن الحاجب مجيء الوصف من الثلاثي مضموم العين أو مكسورها على وزن (فاعل) مجيئا مطلقا ، ووافقه ابن مالك اذ قال : ويأتي اسم الفاعل من الثلاثي المجرد موازن فاعل ، وأبو علي الفارسي فقال : ويأتي اسم الفاعل من الثلاثي مجيئا واحدا مستمرا ، فأجازوا أن تصوغ الوصف من حسن وشرف وفرح ومرض وكرم وغضب وطال وقبح ، وهي كلها أفعال ثلاثية عينها مضمومة أو مكسورة والفعل لازم : على وزن فاعل ، فتقول : حاسن وشارف وفارح ومارض وكارم وطائل الآن أو غدا ، وكذا بقية الأفعال، ومن ذلك قوله تعالى : (**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**) وذلك على أساس أن المقصود به افادة التجدد والحدوث لأن وزن (فاعل) مصوغ أصلا للدلالة على ذلك المعنى أما بقية الأوزان عدا (فاعل) فانها مشتركة في الاصل بين الحدوث والثبوت والدوام فمتى قصد بها الثبوت والدوام فهي صفات مشبهة وان لم تضف الى مرفوعها أو تنصبه على التشبيه بالمفعول به ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة فانهم أرادوا بها أن يصفوا بالمعنى الثابت ، فاذا ما أريد بها معنى الفعل والجريان عليه ، أي الحدوث والتجدد صارت اسم فاعل وأتوا بالصفة جارية عليه وتحول الى وزنه : فقالوا طائل الآن كما يقال يطول الآن ، وكارم اليوم كما يقال يكرم اليوم ، وحاسن غدا كما يقال يحسن غدا ، ومثل ذلك قوله تعالى : (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**) وقولهم : أنت سيد لأنه قصد به الصفة الثابتة غير المتجددة ، أي أنك من الموتى وان كنت حيا، وأنك دائم السيادة مستقر فيها ، فاذا ما قصد أنك ستموت أو ستسود قيل : مائت ، وسائد ، ويقال : هذا جواد ، اذا ثبت واستقر له الوصف فاذا قصد حدوث الجود قالوا : جائد،

كما يقال فلان مريض اذا ثبت واستقر به المرض ، فاذا قصدوا أن المرض سيعتريه قيل : أنه مارض غدا وكذلك يفعلون في مثل غضبان وغاضب ، وجميل وجامل ، وبخيل وباخل ، وكريم وكارم ، وجبان وجابن ، وغمر وغامر

وأطلق كثير من المتقدمين القول بمجيء الوصف من الثلاثي اللازم مكسور العين أو مضمومها على (فاعل) وعلى غيره بحسب السماع فيكون اللفظ مشتركا بين اسم الفاعل والصفة المشبهة .

ومنهم من يمنع صوغه من فعل مضموم العين على فاعل البتة ، ويقول : ان ما ورد منه على هذا الوزن انما هو من لغة أخرى فيكون من تداخل اللغتين . وربما هجرت اللغة المصوغ منها الوصف ، واستعمل اسم الفاعل مع اللغة الأخرى المستعملة نحو طهرت المرأة فهي طاهر وفره الدابة فهي فاره فاسم الفاعل هنا (طاهر ، وفاره) مصوغ من طهرت المرأة وفره الدابة بالفتح فيهما وهي اللغة التي هجرت ، لا من طهرت وفره بالضم وهي اللغة التي مازالت مستعملة ويأتي الوصف من الثلاثي اللازم مكسور العين أو مضمومها . وهو لازم بالوضع . على أوزان أخرى كثيرة غير ماذكر منها : حرام وجواد ورخيص وسخن وملح وسمج وعلج وونج ، ومن الافعال الدالة على اللون أو الصفات الخلقية ــ المشعرة بعيب أو حلية يجيء الوصف على (أفعل) كلاميا : نحو أسمر وأشتر ، وأسحم ، وأكمت ، وأشهب وأصهب ، وأحور وأقنى وألمى وأعين ، وأحمق وأرعن وأعمش وأجهر وأعجم وأعجف وأبتر .

ويأتي الوصف دالا على الكثرة والمبالغة مدحا أوذما على وزن (فعلة) بضم الفاء وفتح العين ، وهو قياسي من الثلاثي نحو حطمة وهمزة ولمزة ولعنة ، ومما سمع منه ايضا عذلة وهزأة وسخرة ولؤمة وحمدة وسبية وسؤلة ولججة (كثير اللجاج) وصرعة وعليه الحديث الشريف (ليس الشديد بالصرعة) ومنها هذرة وأكلة وشربة وعرقة قال صاحب القاموس في مادة (عرق) : وأما عرقة كهمزة فبناء مطرد في كل فعل ثلاثي كضحكة .

ويأتي الوصف أيضا من الثلاثي على أوزان أخرى عديدة ، نحو مدره ومسقر حرب (مفعل) بكسر الميم فيهما ، وحليم وخبير (فعيل) ، وعجزت المرأة تقدمت في السن فهي عجوز (فعول) ، وعقرت المرأة قومها أى آذتهم فهي عقرى (فعلى) ، وعاد البعير عودا أى هرم فهو عود (فعل) وسقط الجنين من بطن أمه فهو سقط (فعل)مثلث الفاء ، وملك على الناس فهو ملك (فعل) ؛ وصقلته التجارب فهو صقيل (فعيل) . وجاء منه أيضا طاعون وناطور وفاروق وهاضوم وساكوت ، وسلف الشيء مضى فهو سلف (فعل) ، ومن تلك الأوزان المتنوعة (فعال) نحو شراب ، و (فعلان وفعلان) بضم الفاء وفتحها نحو عريان وسكران ، و (فعل) نحو : هذا شراب مر ، و (فعل)كبطل ، أى زوج ، و (فعل) بكسر الفاء نحو ، هذا مكان خلو أى خال ، و (فعول)

نحو هذا رجل جزوع . قال تعالى (إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ

الْخَيْرُ مَنُوعًا) ، وضوى الصغير فهو ضاوى (فاعول)وكل هذه الأوصاف الواردة على هذه الأبنية والأوزان المختلفة هى صفات مشبهة اذ القصد منها فى الأصل الثبوت والدوام لا الحدوث ، فاذا ما أريد التجدد والحدوث صارت اسم فاعل حقيقة ، وتحول أوزانها حينئذ الى (فاعل) وتشاركه فى جميع أحكام ، وتعطى كل خصائصه تقنهم ، وحسن وفرح وضجر ، وكريم وشريف وطويل وأبتر تصير ، ناعم وفارح وحاسن ، وضاجر ، وكارم وشارف وطائل وباتر الآن أوغدا كما أشرنا الى هذا فيما سلف • أما اسم الفاعل من الثلاثى أو غيره فلا يعود صفة مشبهة الا بتوفر شرطين.

أولهما : أن يراد الثبوت والدوام لا الحدوث اى أن يكون القصد الوصف بالمعنى المستقر الثابت •

وثانيهما : أن يضاف الى مرفوعه اضافة حسنة كالصفة المشبهة أو ينصبه على التشبيه بالمفعول به ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة ، نحو طاهر القلب ، وضامر البطن وراجح العقل ، ومعتدل القامة ومنطلق اللسان ومستنير الفكر •

ويمكن أن تقول : طاهر قلبه ، وطاهرُ القلب وطاهر القلبَ ، وطاهر قلبا ، ومعتدل قامته ومعتدل القامةِ ومعتدل القامةُ ومعتدل قامةً وكذلك يفعل هذا فى باقى الأوصاف المذكورة •

فان تخلف شرط من هذين الشرطين بقى اسم الفاعل على حاله يعمل عمل مضارعه تعديا ولزوما متى استوفى شروط عمله المبينة فى مبحث (عمل اسم الفاعل) كما سيأتى •

والفرق بين (فاعل) وغيره من تلك الصفات ، أن الأصل فى (فاعل) قصد الحدوث والتجدد ، وقصد الثبوت والدوام معه طارىء، ولهذا فلا يكون (فاعل) صفة مشبهة الا اذا وجد ما يدل على خروجه عن الأصل واستعماله فى افادة الثبوت وذلك باضافته الى مرفوعه أو نصبه على شبه المفعولية معرفة والتمييز ان كان نكرة • أما غير فاعل من سائر الأوزان فمشترك فى الأصل بين الحدوث والثبوت فاكتفى فى اعتباره صفة مشبهة بقصد الثبوت فقط دون الشرط الآخر وهو الاضافة الى مرفوعه أو نصبه على شبه المفعولية معرفة وعلى التمييز لأن هذا من خصائص عمل الصفة عمل الصفة فلاحاجة اليه •

« يتبع »

احمد حسن عبد العواض هلالى





هل تجمع "معيشة" على "معائش"

للدكتور محمد زين العابدين سلامة

قرأ نافع بن أبي نعيم « وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَائِشَ » (١) والقياس كما قال علماء الصرف « معايش » لأن حرف المد في المفرد أصلي ، وما كان كذلك امتنع قلبه همزة في الجمع ، وانما يهمز اذا كان زائدا ، نحو : مدائن وصحائف ووظائف (٢) .

قال المازني : « فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة (معائش) بالهمز فهي خطأ ، فلا يلتفت اليها ، وانما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ، ولم يكن يدري ما العربية ؟ وله أحرف يقرؤها لحنا نحو من هذا » (٢) .

وفي كتاب السبعة لابن مجاهد أن خارجة بن مصعب هو الذي روى هذه القراءة عن نافع ، ثم يحكم ابن مجاهد على القراءة بالغلط (٣) .

أما ابن جني فيتمشى كلامه مع المازني فيقول : « وانما كان همزها خطأ عنده ، لأنها لا تخلو من أن تكون جمع « معاش أو معيشة أو معيش » فقد قال رؤبة :

اليك أشكو شدة المعيش

يريد المعاش ، وكل واحد من هذه فعينه متحركة من الأصل ، فأصل معاش « معيش » وأصل معيشة « معيشة » أو « معيشة » على مذهب الخليل ، وأصل معيش « معيش » مكسور العين ليس غير ، وليس في الآحاد اسم على وزن « مفعل » بضم العين . ثم قال : واذا كان الأمر كذلك فحق « معاش ومعيش ومعيشة » الا تهمز في الجمع ، لأنه قد كانت عينه متحركة في الأصل ، فاذا احتاج الى حركتها في الجمع حركها ولم يقلبها ،

---

(١) الأعراف ١٠ ، وانظر غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي ١٣١ ـ المكتبة التجارية ، واتحاف فضلاء البشر في قراءات الاربعة عشر للدمياطي ١٢٣ ـ المطبعة البهية .

(٢) المنصف لابن جني على كتاب التصريف للمازني ١ ـ ٣٠٧ ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٤ ـ ٢٧١ .

(٣) كتاب السبعة في القراءات ٢٧٨ ـ دار المعارف بمصر .

واحتملت الحركة لأنها قوية وهى من الأصل وقد كانت متحركة فى الواحد ، وانما يهمز فى الجمع حروف المد واللين التى لاحظ لها فى الحركة فى الواحد ، نحو ألف « رسالة » وياء « صحيفة » وواو « عجوز » اذا قلت : رسائل وصحائف وعجائز » (١) .

ويؤيد المبرد رأى أستاذه المازنى فيقول : « من قرأ (معائش) فهمز فانه غلط ، وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع بن أبى نعيم ولم يكن له علم بالعربية ، وله فى القرآن حروف قد وقف عليها » (٢) .

وابن خالويه يقول : « من همز هذه الياء فقد لحن ، وقد روى خارجة عن نافع همزه وهو غلط . » (٣) .

ويقول عن القراءة الزجاج : « جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ولا أعلم لها وجها الا التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغى التعويل على هذه القراءة » (٤) .

وفى لسان العرب : فجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ (٥) .

والطبرى فى تفسيره جعلها شاذة (٦) .

ثم توالت أقوال العلماء بتلحين نافع ورد قراءته وتضعيفها عبر العصور (٧) .

وبعد : فنافع لم ترو عنه هذه القراءة وحده ، فقد رويت عن الأعرج عن شيخه عبد الرحمن بن هرمز ، وزيد بن على ، والأعمش ، وابن عامر (٨) وكلهم ثقات ، فابن عامر عربى صراح ، وقد أخذ القرآن عن عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ قبل ظهور اللحن ، وأم المسلمين فى الجامع الأموى سنين كثيرة ، وكان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يأتم به ، وجمع بين الامامة والقضاء ومشيخة الاقراء بدمشق (٩) والأعرج من كبار قراء

---

(١) المنصف ١ ــ ٣٠٨ ــ ٣١٠ ، وانظر مجلة مجمع اللغة العربية جـ ٣٤ ص ١٢٤ .
(٢) المقتضب ١ ــ ١٢٢
(٣) اعراب ثلاثين سورة من القرآن ٢٩ .
(٤) البحر ٤ ــ ٢٧١
(٥) لسان العرب مادة «عيش» وانظر العربية بين أمسها وحاضرها د . ابراهيم السامرائى ٧٩ ــ من منشورات وزارة الثقافة بالعراق ــ سلسلة دراسات رقم ١٥٩ سنة ١٩٧٨ م .
(٦) انظر تفسيره ١٢ ــ ٣١٧ .
(٧) انظر شرح الشافية ٣ ــ ١٨٩ ، والمفصل ٣٨٣ ، والكشاف ٢ ــ ٥٤ ، والمثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ١ ــ ١٥ ت الشيخ / محمد محيى الدين .
ط ١ ، مصطفى الحلبى ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ليحيى ابن حمزة العلوى ١ ــ ٢٢ .
ط ١ ، مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٤ م .
(٨) البحر ٤ ــ ٢٧١ .
(٩) البحر ٤ ــ ٣٢٩ ، والقواعد النحوية ــ مادتها وطريقها لعبد الحميد حسن ١٦٠ ــ مطبعة العلوم سنة ١٩٤٦ م ، والتيسير فى القراءات السبع للدانى ٥ ــ تصحيح / أوتو برتزل ــ طبعة استانبول ، وطبقات القراء لابن الجزرى ١ ــ ٤٢٣ ــ ٤٢٥ نشر / ج . برجستراسر ــ دار الكتب العلمية ببيروت .

التابعين (١)، وزيد بن على من الفصاحة والعلم بالمكان الذى قل أن يدانيه فيه أحد (٢) والأعمش وهو من الضبط والاتقان والحفظ والثقة بمكان (٣) .

أما نافع فهو من القراء السبعة الأعلام ، يصفه ابن الجزرى بأنه ثقة صالح صدوق ، كما قرأ على سبعين من التابعين ، وهم من الفصاحة والضبط والثقة والصدق بالمحل الذى لا يجهل ، وفيه يقول أنس بن مالك : قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له : قراءة نافع ، قال نعم ، ويصفه قالون بأنه من أطهر الناس خلقا ، ومن أحسن الناس قراءة ، وكان زاهدا جوادا ، صلى فى مسجد النبى ﷺ ستين سنة (٤) فهو « من أكابر القراء السبعة قدرا ، وأفخمهم شأنا» (٥) وقراءته « أوثق القراءات وأصحها سندا ، وأفصحها فى العربية » .

ومع هذا فعلماء النحو قد غلطوا هذا القارىء الثبت نافع بن أبى نعيم فى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ ، على أساس مقاييسهم التى لا يجب أن تثبت أمام هذه القراءة المتواترة ، ولذلك يقول ابو حيان : « فوجب قبول مانقلوه الينا ، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة فى مثل هذا » (٦) ولهذا كان موقف الكوفيين غير هذا الموقف الذى وقفه نحاة البصرة ، فلذلك تحرج الفراء من أن يدلى بدلوه مع البصريين ويقول بمثل قولهم ، ومن أجل هذا نراه يقول : « فربما همزت العرب هذا وشبهه ، يتوهمون أنها « فعيلة » لشبهها بوزنها فى اللفظ وعدة الحروف ... وقد همزت العرب « المصائب » وواحدتها « مصيبة » شبهت بـ « فعيلة » لكثرتها فى الكلام »(٧) وقد حكى أبو عمر الجرمى أن ذلك جائز (٨) . ولم تكن هذه الكلمة ــ معائش هى الوحيدة التى همزت وخولف فيها القياس الذى ذكره الصرفيون ، فلقد همزت العرب « منائر » و « مزائد » و «مصائب » وقياسها : مناور ومزاود ومصاوب (٩) ، وقال ابن السكيت : « ويقال : أصابتهم مصيبة ، فالجمع مصاوب ومصائب »(١٠).

وعلى هذا فقراءة نافع لها مثيلاتها ، كما أن لها وجها فى العربية ــ الذى ذكره الفراء ــ ونقلت طبقة بعد طبقة من القراء الفصحاء ، وهم فى الضبط والتحرى والأمانة بالمكان الذى لايجارى ، واذا فـ « معائش » ليست غلطا ولا خطأ ولا لحنا ، ويلتفت اليها بحيث يكون لها استعمال ، لأنه يتبين لنا مما ذكره ابن جنى فى فاتحة « المحتسب » أن ما يدعى من القراءات

(١) طبقات القراء ١ ــ ٢٨١ ، ١ ــ ٣٣٠ .
(٢) مجلة المجمع جـ ٣٤ ص ١٢٥ .
(٣) مجلة المجمع جـ ٣٤ ص ١٢٥ .
(٤) طبقات القراء ٢ ــ ٣٣٠ ــ ٣٣٤ .
(٥) المثل السائر ١ ــ ١٥
(٦) البحر ٤ ــ ٢٧١ .
(٧) معانى القرآن ١ ــ ٣٧٣ ــ ٣٧٤ ، وانظر البحر ٤ ــ ٢٧١ ، ومجلة المجمع جـ ٣٤ ص ١٢٤ ــ ١٢٥ .
(٨) رسالة الملائكة للمعرى ١٧٥ ــ ت/ محمد البندى ــ ط ١، مطبعة الترقى بدمشق .
(٩) انظر الخصائص ١ ــ ٣٢٨ ــ ٣٢٩ .
(١٠) اصلاح المنطق ١٤٠ ــ ت / شاكر وهارون ــ ط ٢ ، دار المعارف بمصر .

شاذا هو وجه قوي في القراءة ، وهو جدير بالوقوف عنده والأخذ به ، على أنه معبر عن طريقة في الأداء لجماعة من الناس ، وأن أصحاب هذه الشواذ من ثقات العلماء (١) .

ويقول ابن خالويه الذي سبق ووصف قراءة « معائش » بأنها غلط : « من العرب من يهمز ما لا يهمز تشبيها بما يهمز » (٢) ، كما يقول عن القراء السبعة في أول كتابه « الحجة في القراءات السبع » : « وبعد فاني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة ــ مكة والمدينة ودمشق والكوفة والبصرة ــ المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم قد ذهب في اعراب ما انفرد به من حرف مذهبا من العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار » (٣) .

يقول ابن حزم في هجومه على علل النحاة وقياسهم ــ الذي على أساسه ردت قراءة « معائش » ــ : « وانما الحق من هذا أن هذا سمع من أهل اللغة الذين يرجع اليهم في ضبطها ، ومع عدا هذا ــ مع أنه تحكم فاسد متناقض ــ فهو أيضا كذب ، لأن قولهم كان الأصل كذا فاستثقل فنقل الى كذا ... شيء يعلمه كل ذي حس أنه كذب لم يكن قط ، ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت الى ما سمع منها بعد ذلك (٤) » .

فلا يصح الطعن على العربي أو رميه بالخطأ واللحن ، أو تقديم القياس النظري على المادة اللغوية المسموعة ، وفي هذا يقول ابن ولاد ردا على المبرد : « ان كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب ، فهذا رجل يجعل كلامه في النحو أصلا وكلام العرب فرعا ، فاستجاز أن يخطئها ان تكلمت بفرع يخالف أصله » . ويقول :

« الذي للغوي أن يفعله أن يمثل ويحتل لما جاء عن العرب ، فاما أن يرده فليس ذلك له (٥) » .

وعلى هذا يجب الوقوف عند المادة اللغوية المسموعة عن العرب ولا نغيرها ، كما لا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النحوي النظري ، فهناك من الكلمات ما يصح في القياس ولكنه لم يسمع ، يقول ابن ولاد : « لا ينظر الى القياس فقط دون ما تتكلم به العرب ، فان العرب يمتنعون من التكلم بالشيء وان كان القياس يوجبه ، ويتكلمون بالشيء وان كان القياس يمنعه » . ويقول : « سبيل النحويين اتباع كلام العرب اذا كانوا يقصدون الى التكلم بلغتهم ، فاما أن يعملوا قياسا ــ وان حسن ــ يؤدي الى غير لغتها فليس ذلك لهم ، وهو غير ما بنوا عليه صناعتهم » (٦) .

---

(١) انظر العربية بين أمسها وحاضرها د/ابراهيم السامرائي ٧٥ ــ مع مقدمة المحتسب .

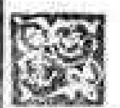
(٢) اعراب ثلاثين سورة من القرآن ٨٥ ــ مطبعة دار الكتب سنة ١٩٤١ م .

(٣) الحجة ٣٧ ــ ٣٨ ــ ط ١، مطبعة دار الشروق ــ بيروت سنة ١٩٧١ م .

(٤) نظرات في اللغة عند ابن حزم د/ سعيد الافغاني ٤٤ ــ طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ . وانظر البحث اللغوي عند العرب د/ احمد عمر ١١٤ ــ مطبعة اطلس ــ مصر .

(٥) البحث اللغوي عند العرب ١١٢ .

(٦) نفسه ١١٢ ــ ١١٣ .



مراجعات موسمية في الثقافة الإسلامية

من عاداتنا الطيبة في شهر رمضان بث الثقافة الاسلامية على نطاق واسع . وقد اتيح لها ـ وقد تعددت وسائل الاعلام في حياتنا الحاضرة من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية بجانب الوسيلة العتيقة « الكتاب » ـ أن تصل الى وفرة وافرة في تناول الافكار والمعلومات الدينية مبسوطة في موضوعات متعددة وأجناس فنية شائقة ، فهناك القصة والمقالة والقصيدة في الصحيفة ، والتمثيل والأناشيد والذكريات في الاذاعة . وكل هذا ـ لو أحسن القصد والاداء ـ يعطى مساحة واسعة من الثقافة الاسلامية التي تفيض على قلب الصائم وعقله فيوضا تسبح به في السموات وتدنيه من الملا الاعلى .

ولقد تابعت ـ على قدر الطاقة ـ مانشر وأذيع . وتلقيت تلك الثقافة متفتح القلب متيقظ الذهن مفعم الرجاء في نهضة رائدة ، ووثبة في تمثل الحقائق الدينية والشريعة الاسلامية من منظور قريب ومسموع واضح .

ولم أتخذ موقف الناقد الراصد أو الخائف على الثقافة أن يدخل فيها ما ليس منها أو يشتط القلم أو اللسان فيعكر صفو الآمال المنشودة في وسائل الاعلام وما يراد لها من نجاح وفلاح وازدهار . الا حين رأيت الاخطاء تأتي بقصد وغير قصد مما بعث في نفسي القلق وفي عيني الأرق وحدثتني فطرة التسامح أن أغض الطرف وأترك الأمر لغيري أو أقول :

موسم يمر وينقضي وقلت في نفسي ان السامعين والمشاهدين والقراء قد يقفون على الصواب فيتخذونه مكسبا لهم ، ويعرفون مواطن الخطأ بأنفسهم أو بمخالطيهم فيتقون بمعلوماتهم ، وفي ذلك رضا النفس ، وتأكيد المخزون من الدراسة والقراءة ، وينتهي الامر للثقافة الاسلامية سيرة وعقيدة وشريعة وثمرة تتمثل في فعل الخيرات وترك السيئات . ولكن حمل الى البريد رسالة من صديقي الشاعر سيد عبد الرءوف سيد ومن أسيوط يوجه نظرى فيها الى خلل في بعض ما نشر وأرفق بالرسالة قصاصة من صحيفة بها مقال مثير يتحدث فيه



للأستاذ السيد حسن قرون

كاتبه عن « الحكم الاسلامي » والتوقيع « د. محمد أحمد خلف الله » وقرأت المقال فحركني .. ولما كنت لا أعرف الصحيفة التي نشرت راسلت صديقي طالبا منه تعيين تلك الصحيفة ، فجاءني رده مصحوبا بتعليق نجله المهندس الزراعي عبد الرءوف سيد ، يقول فيه : قصاصة دكتور خلف الله ليست من الأهرام ، بل من جريدة الأهالي « حزب التجمع » وقد نشرت من حوالي شهر « ولم يحدد تاريخ النشر تماما . ويغلب على ظني أن النشر كان في رمضان ، والعنوان العام « دردشة دينية » والعنوان الخاص أو الفرعي « الاسلام عقيدة وشريعة » والأستاذ سيد وابنه أحسنا بي الظن ورأياني أهلا للرد وتبيين الخطأ من الصواب ، ووجدت نفسي مكلفا أن أتتبع ما نشر وما شوهد على السواء فالأمر ليس مقصورا على الدكتور خلف الله ، فأخذت أجمع ما تبقى عندي من صحف ومجلات وكتب صدرت في رمضان تتحدث عن مزايا الصيام والقيام والصدقات وتعاطف المسلمين .. وزكاة الفطر .

وأول ما نبتدي به مقال الدكتور محمد أحمد خلف الله ، فهو الذي أثار المشكلات ودعانا الى تبادل الرسائل ، وهو كاتب يكتب بطريقة المتحررين الذين يحملون الافكار الوافدة رائده والدكتور محمد أحمد خلف الله غير الدكتور محمد خلف الله أحمد — رحمه الله — فالأول الذي نحن بصدده — أطال الله بقاءه وجعل الشهرة جزاءه — مجدد . أما المرحوم محمد خلف الله أحمد فهو محافظ مستنير : أكمل دراسته في لندن بعد تخرجه في دار العلوم ورجع بزوجة انجليزية وعقل شرقي مسلم ، ودراساته وكتبه تنم عن وعي بثقافته الاسلامية الصافية بجانب بحوثه الأدبية واللغوية ، وكان عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فرعى الطلاب كما رعى ندوة الأدب بالاسكندرية ومنهم الشاعر عبد العليم القباني . وهذا تنبيه مني حتى لا يختلط اسم باسم والاتجاه باتجاه ، فيقع القاريء في دوامة نحن لا نريدها له . ومن عجيب أمر الدكتور محمد أحمد خلف الله — أطال الله بقاءه — أنه يفسر القرآن تفسيرا جغرافيا واقتصاديا حسب أي لفظ يقع عليه من القرآن الكريم ، لأن دوافع التجديد من مطلبه ذلك . فمنذ وقت ليس ببعيد قرأت له مقالا بمجلة « العربي » سلك فيه هذا المسلك . جعل القرآن يتأثر بالبيئة القرشية ، فالقرآن حين يذكر التجارة انما يتأثر بحال القرشيين فقد كانوا تجارا .. ولا يمكن أن يشذون قوله

فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

تعالى من سورة الصف : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ • تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » دليلا على سيطرة البيئة فى القرآن الكريم لسبب لايخفى هو أن التجارة أمر طبيعى فى حياة الناس فى المدن والقرى ، وفى السهل والجبل ، وفى البر والبحر وفى البادية والحضر ، ولو طبقنا نظريته على سائر ما جاء فى القرآن لجعلناه فلكيا ، وملاحيا وزراعيا ، وحربيا ، وتاريخيا وهكذا ، ولو فطن لفهم كما فهم الأسلاف أنه صالح لكل زمان ومكان ، وفى

عصرنا الحديث اتجه كثير من المستشرقين لتسليط الأضواء على آياته الكونية ليعرفوا مدى مسايرته للعلم الحديث ، وتبعهم بعض المحدثين من المسلمين •• ولكن الدكتور محمد أحمد خلف الله أجدب ولما يمض عليه الا أعوام منذ تحدث عن القصص فى القرآن الكريم ، ولذا اتخذ موقفه التجديدى ليلفت الأنظار اليه •

وأعود الى القصاصة لأقف على ما فى مقاله من الجدة والطرافة والتطور ، ولا مانع من دق الطبول وتوزيع النشرات الحاملة لاسمه وعمله حتى يعرف العالم العربى والاسلامى أن هناك كاتبا مجددا ، فنريحه من التعب وهتب الشهرة — فماذا قال الدكتور عن « الاسلام عقيدة وشريعة » ؟ خيل اليه أنه مبتكر حين فرق بين مفهوم القدماء ومفهوم المحدثين ، لأن القدماء قالوا : ان الاسلام عقيدة وشريعة « وأقاموا دراستهم الدينية على هذا الاساس ، فدرسوا العقيدة فى كتب التوحيد وعلم الكلام •• ودرسوا الشريعة فى كتب الفقه •• ويمضى

المحدثون من أصحاب الجماعات الدينية المعاصرة على أن « الاسلام دين ودولة » وافق الكاتب على اتجاه الأقدمين ، وجعل لهم سندا من الكتاب والسنة ولم يوافق على رأى المحدثين واصطنع المنهج المنطقى ليعطى رأيه سمة من الاقناع المبنى على المقدمات ، لانجعل مقولتهم « الاسلام دين ودولة » تحتمل الجدل ، وفرع على ذلك « أن تكون الاسلام دينا من الأمور التى نص عليها القرآن الكريم « ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ » « ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ » وأن كون الاسلام دولة ليس له أساس من القرآن الكريم من حيث ان الدولة فى القرآن الكريم فى شأن تداول المال وتداول الأيام ، ولم ترد أبدا فى غير هذين ، ولم ترد أبدا فى المعنى الذى يراد من الدولة فى امتحنا هذه .. » .

ومضى على هذا المنوال ينسج نسيج العنكبوت ، فجعل الحكم الذى ورد فى القرآن الكريم يراد به « الحكم القضائى » والرجل حريص على أن يوفى البحث حقه فاعترض على نفسه بأن « الرسول ﷺ كان رئيس الدولة ، وأجاب بأنه كان يمارس هذه السلطة بتفويض من الله باعتباره نبيا ورسولا » .

وانتهى الى أن «الدولة نشأت عندما نشأت الخلافة والخلافة اجتهاد بشرى وليس وضعا الهيا » .

وما دام الكاتب المفكر يريد أن يجادل فلنجادل ، ولن نحيد عن المبدأ الاسلامى وهو الجدال بالتى هى أحسن ، ولو أنى أكره الجدال وأراه من الأسباب التى فرقت بين المسلمين وقد نهى القرآن عنه الا أنى مساير المثل « مكره أخاك لابطل » وقد اعترف الكاتب بأن الاسلام دين وأيد رأيه بآيتين من القرآن الكريم فما مصير هذا الدين بعد غياب من جاء به ؟ وأعتقد أن الكاتب لا يخالفنى فى بقائه مادامت السموات والأرض ودليلى ودليله قوله تعالى :

« ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ »

لأن القرآن يحوى منهج الدين وما فائدة بقاء القرآن ان لم يعمل بمنهجه : ان الدستور الذى يضعه البشر لا قيمة له ان لم يكن مصدر القوانين التى تنفذ وتنظم الحياة بين الحاكم والمحكوم : أيراد من القرآن أن يكون موقوفا على تلاوته فى سرادقات المآتم والتبرك به فى المحافل ؟ واذا قبل الكاتب أن يكون الاسلام شريعة بجانب أنه دين فما موقف الشريعة من الحكم ؟ أنجعل الشريعة مقصورة على الحكم القضائى فقط ؟ واذا امتنع من حكم عليه عن تنفيذ ما أدين به فمن الذى يلزمه بالتنفيذ ؟

اتفقنا على أن الاسلام عقيدة فمن الذى يدافع عن العقيدة ، واتفقنا على أن الحكم القضائى هو المراد من الآيات القرآنية فمن ينفذ أحكام القضاء ؟ اذن لابد من شرطة ورجال جيش ، وكيف يتم ذلك ان لم يكن لهما رئيس عام ؟

ومادامت الشريعة وأحكامها لاتنفذ الا برجال تسميهم الحكومة : فالدين الاسلامى « دين ودولة » .

ولقد غالطنا الكاتب مغالطة مكشوفة ، لأنــه قصر معنى الــدولة ــ كما جاءت فى القرآن الكريم على « تداول المال وتداول الايام » ولكن اللغة تكشف المخادعة وتظهر الحقيقة وتضــع الأمر فى نصابه ، فماذا تقول كتب اللغة ؟ ان أصغر معجم مثل « مختار الصحاح » يــورد المادة « دول » وفى أولها « الدولة » ويوضح المعنى ، الدولة فى الحرب أن تــدال احــدى الفئتين على الأخرى يقال : كانت لنا عليهــم الدولة بفتح الدال والجمع الدول بكسر الدال والدولة بضم الدال فى المال يقال : صار الفىء دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا .

والجمع دولات ودول . ويقول عمرو بن العلاء الدولة بضم الدال اسم الشىء الذى يتداول به بعينه ، والدولة بالفتح الفعل . وبعضهم أراحنا فقال : هما لغتان بمعنى واحد . والادالــــة الغلبة . هكذا فى كتب اللغــة فمــا تقول كتب

التفسير ؟ قال تعالى : « إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » (١٤٠ من سورة آل عمران) .

يقول الزمخشرى فى تفسير « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » بعد اعرابها : المراد بالايام أوقات الظفر والغلبة ، نداولها نصرفها بيــن الناس ندبل تارة لهؤلاء ، وتارة لهؤلاء كقولــه وهو من أبيات الكتاب :

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويــــوما نسر .

ومن أمثال العرب « الحرب سجال » والآية نزلت فى موقعة أحد فهى تتحدث عن هزيمــة المسلمين وجراحاتهم ومن ثم يقول ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم فى معنى هذا التداول « أى نديل عليكم الاعداء تارة وان كانت لكــم العاقبة لما لنا فى ذلك من الحكمة » ومامعنى لكم العاقبة ؟ معناها الغلبة والانتصار وتثبيت أســس الدولة الناشئة . وقد جاءت كلمة « الدولة » فى شعر دريد بن الصمة حين تحدث عن حيــاة قبيلته وانها فى حرب مستمرة فيها النصر وفيها الهزيمة « مناياننا ودولة آخرينا » واللغة كائن اجتماعى تأخذ مسيرتها فى تطور الأحــداث والأعراف ، فقصر استعمالها على تداول المال وتداول الايام خداع للقــراء ، وتمــويه على القائلين بأن الاسلام دين ودولة . وقد جاءت العبارة فى القرآن عامة كأنها المثل الذى يضرب لكل شبيه .

ومن المغالطات المتعمدة قوله ان الدولة نشأت حين نشأت الخــلافة ، ولــو قرأت الســيرة النبوية بوعى ثاقب والتاريخ الاسلامى بــروح محايد لرأيت معالم الدولة الاسلامية واضحة على عهد النبوة ، فبعد فتح مكة سنة ثمــان من الهجرة بدت تلك المعالم فقد دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكان أن أصــدر النبى قراره بتولية « عتاب بن أسيد الأموى » واليا على مكة ، وفى عام الوفود ســنة تســع من الهجرة أرسل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولاته على حواضر الدولة مثل اليمن وحضرموت ونجد ودومة الجندل . وبم حكم هؤلاء الولاة ؟

أكانوا قضاة فقط ؟ لقد كان بجانب الولاة قضاة وسعاة لجمع أموال الزكاة ودعاة ينشرون الدين ويعلمون الناس الفرائض والسنن ويقرئونهم القرآن ، فالدولة اذن كانت قائمة حين تولى الخلفاء أمرها ، ومصطلح الخلافة والخليفة ليس من ابتكار الصحابة ولا من تولى الخلافة منهم ، انما القرآن الكريم خاطب الرسول وخاطبهم معه فى قوله تعالى :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٥٥ سورة النور) وقد تحقق لهم هذا الوعد بالأسس التى قررتها تلك الآية الكريمة بأنهم مؤمنون صادقو الايمان وموحدون لا يعرف الشرك سبيلا الى قلوبهم ومعترفون بنعمة الله عليهم يترجمونها اخلاصا فى أداء العبادات وحسن التعامل وتجنب للمعاصى وما يغضب الله . قال علماؤنا من السلف الصالح أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه ، اقتتلوا بعد ما كانوا اخوانا وزال عنهم الخوف . قالوا : والآية دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين . لأن المستضعفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم رضى الله عنهم .

ولمعرفتهم بأوامر الله ونواهيه وطاعتهم لله ورسوله قالوا وقد اختاروا أبا بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أرتضاه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ وليس الدين هو الصلاة فحسب ، وهى المأمور بقيام أبى بكر بها أثناء مرض الرسول بل رمز للتقوى وعماد الدين . وليس المقصود بحديثهم أنه يأتى بتشريع من عنده يوافق الدنيا دون الدين .

وقد تحصل لنا بهذا ثلاثة مفاهيم للحكم الاسلامى : — الاسلام دين وشريعة ، الاسلام دين ودولة ، الاسلام دين ودنيا ، والمعنى واحد فكلها مسميات لشىء الاسلام الذى جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

والدكتور محمد أحمد خلف الله من « الأمناء » تلمذة للشيخ أمين الخولى رحمه الله وكان عليه أن يتبع منهجه فى التجديد ، فيسمى الأشياء بأسمائها لأن الشيخ أمين الخولى فى مقاله « الدين والحياة » — نشر بمجلة العربى سنة ١٩٥٨ وأعيد نشره فى أغسطس ١٩٨٤ — يذكر أن « من خصائص الاسلام تأدية تجدد الحياة المستمر وهو ما نجده واضحا فى مثل لفت الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن كان يولهم الحكم على الجهات النائية من الحجاز بعد ما تكون المجتمع الاسلامى ، اذ كان يسألهم كيف يتصرفون فيما لا يجدونه مما تعلموه من شريعته ، حتى يجيبوا بأنهم سيأخذون بفهمهم التحول عما عرفوه ، وكذلك كان يفعل الذين خلفوه فى الدولة » .

وهذا كلام لا يحتاج الى بيان ، فالدولة قامت فى عهد الرسول بوجه أصحابه للحكم والتصرف فى الأحكام بالرأى فى ضوء ما تعلموه من شريعته



لكن الدكتور يكتب وعينه تنظر الى المقولة الأوربية من فصل الدين عن الدولة ، وهذا تطويق لا نرى له وجها الى النظام الاسلامى ، وكذلك أرى أن الجدال فى الحكم الاسلامى بتلك المقولات لا يأتى بفائدة ، ولا ينتظم المسلمين فى قوانين موحدة ، انما يجمعهم الرجوع الى الشريعة الاسلامية مثبتين الى قوله تعالى من سورة الحشر : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فلا يخاف الدكتور من تطبيق الشريعة الاسلامية فهى لا تقطع يد سارق الافكار المستوردة ، وينبغى أن يمتنع عن كل ما يوجب الخلاف فالذى المسلمين جامع فيه وله مندوحة فى طرائق التفكير التى تدنيه من الناس ولا تبعده عنهم والدين النصيحة وقد فعلت .

(ب)

وقد قرأت فى ٢٣ من رمضان ١٤٠٤ هـ مقالا فى الأهرام للاستاذ محمد كمال الدين مراقب البرامج الدينية بالتليفزيون تحت عنوان « بين الزكاة والصدقة » وقد راجعت المقال أكثر من مرة وانتهت دهشتى بالكاتب وأخيرا عرفت أن الكاتب فى حاجة الى دراسة الفقه الاسلامى ولا سيما الزكاة ، وتذكرت الدكتور على محمد حسن العمارى ، فقد قرأت له مقالا وأظنه فى رمضان منذ نيف وعشرين سنة يقرر فيه أن الناس يفتون فى أمرين خطيرين : الدين والطب فما أن تعرض مسألة دينية ولو كانت موضع خلاف العلماء حتى تجد من يتطوع للافتاء وهو لم يعرف أسماء كتب الفقه ، وكذلك اذا شكا أحد الناس من علة وجد عند من حضره وصف الداء وتقديم الدواء . وقارئ مقال « بين الزكاة والصدقة » قد لا يهمه أن يعرف الفرق بين زكاة الفطر وزكاة المال ولكن جمهورا كبيرا يحب الثقافة الاسلامية ويود فى معطياتها ، والكاتب أراد أن يهتم بالعظات والثواب من اخراج زكاة الفطر ولا يتعرض للاحكام حتى يتجنب الزلل ولكنه أبى الا أن يميز بين الاشياء ، فبعد أن ذكر تاريخ فرض الزكاة ونوه بهما فى الاسلام والديانات السابقة قال : وهناك فرق بين الزكاة وسائر الصدقات الاخرى ، فالزكاة لها وقت معلوم فى شهر رمضان وقبل صلاة عيد الفطر ولها كم معلوم من مال أو تمار يخرجه رب الاسرة عن كل فرد فى أسرته بمقدار قد يصل فى زماننا الى جنيه عن كل فرد وهذا الكلام خاص بزكاة الفطر ولاشك فى أنها صدقة فرضها النبى — صلى الله عليه وسلم — طهرة للصائم وليست هى الزكاة المفروضة من الله والتى هى ركن من أركان الاسلام الخمسة ، والكاتب جعلها الزكاة فى الاسلام (ووقتها رمضان ، وأنا لا أتجنى عليه فهو جعل فى مقابلها الصدقة فقال : والصدقة كالزكاة طهرة للمرء يقول تعالى فى كتابه الكريم : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (١٠٣ سورة التوبة) .

وهذه الآية نزلت فى شأن «زكاة المال» وزكاة المال هى الركن الثالث من أركان الاسلام وليس وقتها رمضان ، بل لكل نوع من الزرع والنعم والعين وعروض التجارة وقت تحدده كتب الفقه ، وما ذكره الكاتب من الزرع وال

فالله يقول : « **وآتوا حقه يوم حصاده** » وليس من اللازم أن يكون في رمضان ، وأنا لا أستطيع هنا أن أفصل ما جاء في كتب الفقه في هذا المقال فهذا يحتاج الى كتاب، ولكنى أشير الى أن زكاة الفطر أو صدقة الفطر من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما زكاة المال فهى تشريع الله عز وجل .

ولو راجع حروب الردة في أوائل حكم أبي بكر رضى الله عنه لعرف ماجرى بين الخليفة ومانعى الزكاة فهو يعلن :

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقاتلتهم على منعها « والعناق أنثى المعز التى لم تبلغ سنة » .

ومانعو الزكاة يقولون : لسنا ندفع زكاتنا الا الى من صلاته سكن لنا — يعنون النبى محمدا — صلى الله عليه وسلم — ، فهم لا يدفعونها لأبى بكر . ويقول العقاد في « عبقرية الصديق » أبوا أن يدفعوها وإن علموا أن دفعها فريضة من فرائض الدين فهم لم ينكروا الفريضة ولكنهم — أنكروا الجباة . من فصل (اسلامه) .

فاطلاق هذه الآية على الصدقة بمعنى التبرع عدول عن الفهم الصحيح ، وخلط الأمر بين زكاة الفطر وزكاة المال يوقع في الحرج ، فالمسلمون المالكو النصاب يخرجون الزكاة عن أموالهم من أى نوع من الانواع التى عينها الشرع ، أما زكاة الفطر فالواجب فيها صاع من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الاقط أو الأرز أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا ، وقد اختلف في تحديد وقتها فجوز جمهور العلماء تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين وأرجو الرجوع الى كتب الفقه ففيها الشفاء لكل من أراد التبحر في فهم الاحكام .

(د)

وفي مجلة الازهر أنا موقف ، فقد جاء في عدد شوال ١٤٠٤ هـ مقال للدكتور محمد محمود شعبان بعنوان « الأمانة سر الفلاح » وهو مقال يقرأ لثمرته وفائدته ، ووجدت من الأمانة « أن أشير الى خطأ غير متعمد وقع فيه فضيلة الدكتور ، تحدث عن أمانات الناس المعروفة واستشهد بقوله تعالى » : « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** » (النساء ٥٨) وعلق على ذلك بقوله : « وذلك لما أخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الكعبة من عثمان بن مظعون وأراد العباس عم النبى ﷺ أن يأخذه ليضم الى نفسه « سدانة الكعبة » مع « سقاية الحاج » فنزلت الآية الكريمة فسلم النبى — صلى الله عليه وسلم — المفتاح الى عثمان فكان ذلك سببا في اسلامه » وقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — « خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم » فهى في ذريته حتى اليوم .

واضطراب الخبر وتغيير اسم صاحب المفتاح جعل المعنى المراد غريبا على الذهن ، ينتظر الثقافة والتصحيح ، وصديقى من أهدى الى عيوبى فلا يغض هذا التصحيح من فضيلة الدكتور ، ومعرفة الانساب والشخصيات هنا لازمة .

وأبادر فانفي أن يكون عثمان بن مظعون من سدنة الكعبة ، وأنفي تأخر اسلامه فهو من السابقين والمهاجرين الى الحبشة ثم المدينة وتوفي بعد ثلاثين شهرا من هجرته الى المدينة بعد أن حضر غزوة بدر ، وكان أول من دفن في البقيع ، فلم يعش رضى الله عنه حتى يرى فتح مكة وهو من « بني جمح » ويجتمع مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في « كعب ابن لؤي » .

أما عثمان صاحب المفتاح فهو من « بني عبد الدار » وعبد الدار بن قصي كانت له وظائف أبيه قصي كلها من سدانة ولواء وسقاية الحاج والرفادة ودار الندوة فنازع أبناءه أبناء أخيه عبد مناف ثم استقرت الاوضاع على أن تكون دار الندوة وسدانة البيت واللواء لبني عبد الدار ولبني عبد مناف الرفادة وسقاية الحاج وتولى ذلك هاشم بن عبد مناف ، وفي زمن النبوة آلت سقاية الحاج الى العباس بن عبد المطلب بعد أن عجزت أموال أبي طالب أخيه عن الوفاء بنفقاتها فتركها للعباس لثرائه .

ولا مانع من ذكر الخبر كما أورده ابن اسحاق ورواه عنه ابن هشام في السيرة النبوية

وفيها من الرواة احدى نساء بني شيبة من بني عبد الدار .

قال ابن اسحاق : وحدثني محمد بن جعفر ابن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن ثور عن صفية بنت شيبة « من بني عبد الدار » أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت « الكعبة » فطاف سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا « عثمان بن طلحة » فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها .. ثم وقف على باب الكعبة ، وخطب خطبته المشهورة التي منها :

« ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج .. » « يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » . ثم جلس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام اليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يارسول الله ــ صلى الله عليك ــ اجمع لنا الحجابة « السدانة » مع السقاية ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعي له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان « اليوم يوم بر ووفاء » .

وأنا لا أزيف الرواية التي وضع فيها العباس مكان علي ، ولكني اعتمد على رواية ابن هشام لثقتي بروايته ورواية ابن اسحاق وماتناولته في هذا المقال من حديث عن الاسلام دين وشريعة وعن الفرق بين زكاة الفطر وزكاة المال وتحرير الخبر في شان عثمان بن طلحة المراد من كل ذلك مراجعات أرجو أن تكون قد وضحت المبهم ووضعت الامور في نصابها . والله الموفق .

السيد حسن قرون

الإسلام
الأمس والغد



ترجمة : علي المقلد
عرض وتعليق : أ. د. طه مصطفى أبو كريشة

ـ ١ ـ

(الاسلام : الأمس والغد عنوان) الترجمة العربية لكتاب اشترك فى تأليفه باللغة الفرنسية كل من : محمد اركون والمستشرق الفرنسى لوى غارديه .

ويقوم الكتاب على ثلاثة أقسام رئيسية هى : التاريخ ـ الفكر ـ الحياة ، واحتوت الأقسام فى عرض موضوعاتها على ثلاثة عشر فصلا يليها ملحق فى نهاية الكتاب .

وجاء القسم الخاص بالتاريخ فى خمسة فصول :

الأول : عن الاسلام وأمة النبى ﷺ .

والثانى : عن التنوع ضمن الوحدة .

والثالث : عن الاسلام وقيمه الدينية .

والرابع : عن معالم فى خدمه التاريخ فى العهد الكلاسيكى .

والخامس : عن هذه المعالم فى عصور الانحطاط والتجديد والبعث . وتولى كتابة هذا القسم المستشرق لوى غارديه .

وجاء القسم الثانى الخاص بالفكر فى أربعة فصول ، من الفصل السادس الى الفصل التاسع ، وعالجت الموضوعات الآتية على الترتيب : كيف الكلام عن الاسلام ـ مفهوم الاسلام ـ اسلام الأمس واليوم ـ الاسلام فى مسيرة التنمية ... وهذا القسم بقلم محمد اركون .

أما القسم الثالث الخاص بالحياة فقد جاء فى أربعة فصول ، من الفصل العاشر الى الفصل

الثالث عشر ، وتناولت هـذه الموضـوعات : المسلمون فى العالم ــ الهوية الاسـلامية ــ الدين والمجتمع والتـاريخ ــ الكلى المجـرد والكلية العيانية ، وكتب هـذا القسم محمـد أركون أيضا •

ثم جاء عقب هـذا القسم ملحق بقلم لوى غارديه ، وبه ينتهى الكتاب •

وقد صدر النص الأصلى لهذا الكتاب باللغة الفرنسية ، وقامت دار التنـوير ببيروت بنشر ترجمته الى العربية فى هذه الطبعـة التى بين أيدينا سنة ١٩٨٣م •

— ٢ —

وتحت عنوان « التاريخ » حضور الاسـلام منذ البدايات الى عصرنا الحاضر يأتى الحديث عن القسم الأول فى هذا الكتاب •

(١) وفى الفصل الأول منه يتحـدث المؤلف تحت عنوان : الاسـلام وأمة النبى ﷺ عن مجموعة من النقاط الجزئية هى :

* **الرسـالة المزدوجة للاسلام :** وفى هـذا يبين أن للاسـلام رسالة دينية تقوم على توحيد الله تعالى ، ونبذ عبادة الأوثان ، ومحاربتها فى كل محاولة للشرك بالله •

وله أيضا رسالة أممية جماعية ، ويعنى بذلك أن للاسلام رسالة فى الحياة الاجتماعية ، حيث يتولى اقامة هذه الحياة فى ضـوء الدعوة الى الوحدانية الالهية (٨) •

* **أسس فلسفة سياسية واجتماعية :** وفى هذا يبين مبادىء الاسلام فى الجانب السياسى وفى الجانب الاجتماعى ، وفيما يتصل بالسياسة يذكر المؤلف أن المبـادىء القرآنيـة الآمرة بفلسفة سياسية معينة قليلة عددا ومختصرة ، ويذكر من ذلك ماورد فى سورة النساء فيمـا يتعلق باطاعة الرسـول وأولى الأمر فى الآيـة رقم ٥٩ « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** » والآية ٨٠ « **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** » •وكذلك يشير الى ما ورد فى سـورة آل عمران فيمـا يتصل بمبدأ الشورى فى الآية ١٥٩ « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** »

أما الجانب الاجتماعى فى الحياة الاسـلامية فان المؤلف يشير الى أن القرآن الكريم أفاض فى هذا الجانب أكثر من الجانب السياسى ، ثم يذكر من المبادىء الخاصـة بالتعـامل بعض الأمثلة التى منها : الزواج والأسرة ، أوضاع المرأة ، الارث والوصية ، ولاية الفقراء والأيتام الشهادة أمام القاضى ، الوظيفة الاجتماعيـة للملكية الفردية ، تحريم كل أنواع الربا ••الخ ثم يشير المؤلف الى أن الأحاديث النبوية فى هذا المجال كثيرة ، وهى توضـح تطبيق المعـانى القرآنية (٩) •

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى بيـان تعـاليم القرآن ، ويذكر أنها تشمل مجالات أربعـة :

الأول منها : خاص بالعقائـد الثابتـة وهى

خمسة : الايمان بالله الواحد الأحد ، والايمان برسالة الأنبياء وكتبهم ، والايمان بالملائكة ، والايمان بالبعث ، والايمان بقضاء الله وقدره .

والمجال الثانى : خاص بالعبادات المتمثلة فى الصلاة وصوم شهر رمضان ، والزكاة ، والحج وهنا يذكر أنه الى جانب هذه الفرائض الفردية توجد واجبات أو فرائض اجتماعية ، مثل الجهاد فى سبيل الله لكى تسود على الأرض تعاليم القرآن ، ومن أجل الدفاع عن الأمة عندما تهاجم .

والمجال الثالث : خاص بالقواعد الأخلاقية: وهى قواعد ثابتة فى أساسها ، وقد تخضع للضرورات عند تطبيقها ، فالقتل مجرم ، لكنه ليس كذلك فى الحرب العادلة أو فى حالة الدفاع المشروع عن النفس .

أما المجال الرابع : فهو مجال المعاملات :

والقرآن الكريم يضع أساسها الثابت ويحدد تطبيقها ، وتطبيق الشريعة منوط بالعلماء أو الفقهاء ، وعليهم فى كل عصر استنباط الأحكام التى تحل المشكلات العارضة فى ضوء تعاليم القرآن ، وهذا هو الاجتهاد ، ثم يشير المؤلف الى أنه فى هذا المجال نجد أن القرآن والسنة والقياس والاجماع هى أسس مصادر الحق (١٠) وكذلك يشير الى أن المدارس الفقهية المشهورة أربعة ، وهى تمثل مذاهب أهل السنة ، هذا الى جانب مدارس أخرى تمثل الأقليات مثل المدارس الشيعية والخوارجية ، وهى كلها مدارس يحكمها اطار واحد هو



« المؤمنون اخوة »..

وهو نفس الاطار الذى يحكم المسلمين مهما اختلفت أجناسهم ومواطنهم وطبقاتهم وثقافاتهم ولغاتهم ومصائرهم التاريخية (١٢)

خطر الفتنة والشر الذى يجب تفاديه : وهنا يذكر أنه اذا كان المبدأ العام الذى يجمع بين المسلمين هو مبدأ الاخوة المشار اليه ، فان النزاعات والحروب الداخية التى قامت بين المسلمين هى أشد البلايا وأعنف الفتن التى صبت على الأمة الاسلامية ، فالفتنة الكبرى هى الفتنة التى تمزق الامة ، ومن واجب أولى الأمر تفادى الفتنة ، واذا بدأت الأزمة فعليهم المسارعة الى اخمادها ، ومثل هذا ليس ممكنا الا اذا جهد المسلمون فى علاقاتهم الشخصية بالسعى اليه دائما وباصرار ، ان « السلام »

من أسماء الله الحسنى ، وهو تحية الاسلام ، ومطلوب من المؤمن الحق أن يسالم اخوانه ، وأن يكون فى سلم مع نفسه .

وفى مجال سلام المسلم مع اخوانه ، يتعرض المؤلف لكثير من الجوانب التى نهى عنها الاسلام بحسبانها رذائل تؤدى الى تفريق المسلمين ، والى تقويض العلاقات الاخوية فيما بينهم ، ومن ذلك الغيبة والنميمة وقولة السوء والفرية والتجسس ، ويقدم من الآيات القرآنية قول الله تعالى :

« وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » الحجرات ١٢ .

وفى مجال سلام المسلم مع نفسه ، فان على المسلم أن ينظر الى نفسه على أنه عبد الله ، وعليه أن يحارب الرذائل النفسية مثل البغى والتكبر والحسد ، وهذه المحاربة هى الجهاد الأكبر ، وما الحرب الا الجهاد الأصغر ، ذلك لان الالتزام بأوامر القرآن يتطلب مجهودا مستمرا ودائما ، ولكن هذا المجهود وحده هو الذى يقيم حدود الله وحقوق الناس على الأرض ، وبهذا تؤدى أمة (محمد ـ ﷺ ـ رسالتها بأمانة .

حقبة الهجرة وسنوات المدينة ، وفى هذا المجال يتعرض المؤلف فى ايجاز سريع لمجموعة من أحداث الاسلام فى صدره الأول مثل الهجرة من مكة الى المدينة ، وكيف كانت مبدأ التاريخ للتقويم الاسلامى .

ومثل المؤاخاة بين المسلمين فى المدينة ، وسياسة النبى ـ ﷺ ـ مع اليهود .

ومثل غزواته ضد المشركين .

ومثل اتخاذ بيت المقدس قبلة للصلاة ، ثم تحويل القبلة بعد ذلك الى الكعبة .

ويتعرض المؤلف الى سياسة الاسلام نحو اليهود والنصارى ، ويذكر أن القرآن الكريم يشير الى موسى (عليه السلام) بأنه كليم الله والى عيسى (عليه السلام) بأنه المسيح وكلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه وقد ولد من غير أب كآدم ، وهو ليس ابن الله ولا الله ، بل عبده ، واليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه ، بل شبه لهم ، وهو لم يمت بل رفعه الله اليه ، لكن مع هذا فان اليهود والنصارى رفضوا تقبل الرسالة القرآنية .

ويورد المؤلف فيما يتصل بهذه العلاقة قول الله تعالى :

« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » المائدة ٨٢ .

ويعقب على ذلك بأن القرآن كان قاسيا فى حق اليهود ، بينما لم يكن كذلك فى حق النصارى (١٦) ومن جانبنا لانجد مسوغا للتعقيب بالقسوة وعدمها فى مجال يصف فيه القرآن الواقع لهؤلاء وهؤلاء ، ان القسوة توجد اذا كان هناك افتئات والصاق لأمر غير موجود بالفعل أما والأمر على خلاف ذلك ، فان

ذكر الواقع حينئذ يكون هو الانصاف بعينه ، وان كان انصافا لايرفع لليهود مقاما فى نظر القرآن !!

ويختم المؤلف هذه الفقرة بأن الهجرة أدت الى وحدة المهاجرين والأنصار ، وأن رابط الايمان الدينى حل محل روابط الدم ، الذى كان سائدا فى الجاهلية قديما .

المثال المحدد الواقع وراء التاريخ : ويعنى المؤلف بذلك الصورة التى ستكون عليها أمة الاسلام فى الأرض ، وهو يرى أن الاسلام ينظر الى ذلك نظرة مثالية ، ويكون أمام المسلم المثل الأعلى الذى ينشده ، ويحاول الوصول اليه دائما ، ويعمل مخلصا على أن يجسده فى حياته الجماعية والاجتماعية والشخصية والعلائقية .

والأمة الاسلامية فى مجموعها عبر الصعود والهبوط ، لم تتخل عن النزوع نحو هذا المثال المحدد باستمرار ، ويظل الماضى فى نظرها ضمانا للمستقبل ، وهذا الماضى يتمثل بالذات فى مرحلة دولة المدينة ، وخصوصا عصر النبى ـ ﷺ ـ من الهجرة الى وفاته ، فهذه الفترة تعد فى نظر المسلمين مصباحا ينير الطريق ، ونقطة ارتكاز أو مرجع ، يمكن أن يلبى احتياجات الساعة . والتباعد الذى نراه بين هذا المثل الأعلى المحدد وبين الواقع المعاش هو الذى يعطى قيمة كبيرة لفكرة الاصلاح التى يقوم بها المصلحون بين الحين والحين (١٨) .

الولاء المزدوج : ويقصد المؤلف من ازدواج الولاء ، أن الأمة الاسلامية فى مجملها ، ورغم اختلافاتها الداخلية ، عرفت كيف تحتفظ بولاء مزدوج .

أولهما : الولاء للقرآن الكريم ، فالقرآن الكريم هو معجزة الاسلام .

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

الاسراء ٨٨ .

وهو يحمل فى ذاته آية اعجازه وهو موضع تبجيل وتمجيد عظيمين ، وسوف يظل احترامه حيا وعميقا ، ومع حفظه يظل مقروءا ومسموعا ومرتلا .

وقد جانب المؤلف التوفيق هنا حين خلط بين نظرة المسلمين الى السنة بوصفها المصدر الثانى فى التشريع الى جانب القرآن الكريم ، وبين نظرتهم الى النبى ـ ﷺ ـ وتوقيرهم له التوقير الذى يليق به بوصفه خاتم الانبياء والمرسلين ، فالولاء الذى أشار اليه المؤلف ليس هو الولاء الذى يعرفه المسلمون فقد ذكر أن الولاء الثانى هو ولاء المسلمين لشخص النبى ـ ﷺ ـ ولآل بيته ، ولكن لانظن أحدا من المسلمين يفصل بين النبى ـ ﷺ ـ وبين السنة التى تركها لتكون مصدر الهدى بعد القرآن الكريم . (٢٠) .

(ب) وتحت عنوان (**التنوع ضمن الوحدة : العائلات الروحية**) يأتى الحديث عن الفصل الثانى من هذا القسم ، وفيه يتناول المؤلف عدة نقاط هى :

بدايات التصدع : تحت هذا العنوان يتحدث المؤلف عن المذاهب والطوائف التى

تمثل الاتجاهات المذهبية والسياسية للمسلمين وقد وقـع المؤلف فى خطـأ هنـا حين ذكر أن « الاسلام الواحد بكتابه المقدس وبمعتقداته الاساسية انقسم الى عدة مدارس أو طوائف روحية » ذلك لأن الطوائف والمذاهب لم تكن تقسيما للاسلام ، بحيث ترى اسلاما هنـا واسلاما هناك ، وانما الأنسب للواقع أن تعد هذه التقسيمات سمات للمسلمين الذين كان لهم فكر أو اتجـاه مذهبى أو سياسى معين فالقرآن الكريم لـم ينقسم ، والمعتقدات الأساسية ثابتة ثبات مصدرها واذن فلا مجال لتوحيد الحديث عن الاسلام والمسلمين فى آن واحد ، فالمسلمون ليسوا دائما عنوانا مطابقا لجوهر الاسلام ، والنظرة المنصفة هى تلك التى تنظر الى المسلمين فى اطار اقترابهم من هذا الجوهر أو ابتعادهم عنه ، وليست تلك التى تنظر الى الاسلام من واقع رؤاها المتعددة للمسلمين فى كل زمان ومكان ، فذلك هو الخطر الحقيقى الذى يشوه جوهر الاسلام حين تقع العين على طائفة بعيدة كل البعد عن التطبيق الحق لمـا جاء به الاسـلام .

الفرق : يتحدث المؤلف هنـا عن نشـأة الفرق بين المسلمين ، وفى مقدمة ذلك يتحدث عن أهل السـنة والشـيعة ، وعن محـاولات التوفيق بينهما ، كذلك يؤرخ للخوارج ودعوتهم وفى مجال الحديث عن أهل السنة يسجل أنهم يشكلون الأكثرية المتزايدة عبر العصور ، وهم الاكثر تمثيلا للافكار الغالبة فى الاسلام ، وهم أيضا الاكثر احتراما للواقع والأحـداث ، اذ جهد الفقهـاء والعلمـاء السـنيون فى تكييف المبادىء مع مقتضيات الزمان والمكان .

وفى حديث المؤلف عن الشـيعة يتنـاول العقيدة الشيعية حول الامامة وحـول محبـة الأئمة ، ويعرض للفرق المتعددة التى تنضوى تحت المذهب الشيعى وفى مقدمتها الاماميـون الذين يمثلون الاكثرية داخل الشيعة ، أمـا حديثه عن الخوارج فيتناول دعوتهم المتشددة ويذكر المراحل التى مرت بها هذه الدعوة والتى تتلخص فى مسلك العلانية ومسلك الدفـاع ومسلك التضحية ومسلك التستر ، وهـذا المسلك الاخير يعنى أنـه يجب على من يذهب مذهبهم أن يخفى انتماءه للاسلام ، اذا كـان يعيش ضمن المسلمين الذين ينحرفون عـن العقيدة الحقة ، والمنتمون الى هـذا المذهب عليهم أن يتكتلوا ضمن جماعات صغيرة مستقلة بدون امام ولا خطبة جمعة ، لان خطبة الجمعة حيث يجب ذكر الخليفة أو الامام الحاكم لها فى الاسلام معنى سياسى (٢٦ ــ ٣٤) .

السنة وروح الاصـلاح :

وفى هذا يذكر المؤلف أنه باسم الاصـلاح الضرورى ، ومن أجل العـودة الى مبـادىء الاسلام الأساسية والعيش فيها ، حصلت داخل الدولة الاسـلامية انقلابات على الحـكم ، وتغييرات كثيرة فى الأسر المالكة ، كما حصلت حركات تجديدية كثيرة ، ويشير فى هذا الصدد الى حركة المرابطين فى القرن الخامس الهجرى والى الحـركة الوهابيـة فى العصر الحديث ، التى كـان لهـا تأثير ملحوظ على الحركة الاصلاحية العربية المعاصرة ، ويذكر المؤلف ان

ذلك كله قد حصل داخل السنة نفسها ، ودون أن تتفسخ وحدتها المرنة ، وكانت المناداة بالعودة الى الينابيع ضمن التأكيد على المناداة بالله الواحد الأحد دون هوادة أو مهادنة من أى نوع ومع الانقياد لحرفية الكتاب المطلقة (٣٥ — ٣٨) .

وفى تفسير عبارة « التنوع ضمن الوحدة » يذكر المؤلف فى نهاية هذا الفصل أن التنوع حدث مع وجود أساس موحد للجميع ، وفى ذلك يقول ان كل فرقة فى جميع الأحوال تشارك وفقا لأسلوبها فى تكوين أمة النبى ﷺ .... هذه الوحدة الأعمق من كافة التنوعات ، نجدها ونجد رمزها واشارتها فى الحج الى مكة ، حيث يشترك كل سنة مسلمون من كل جنس وعرق ومن كل البلاد ، ومن كل النزعات السياسية أو الدينية ، ويرتدى الحجيج جميعهم نفس قطعة القماش الأبيض غير المخاطة (لباس الاحرام) غنيهم وفقيرهم ، رئيس الدولة والشحاذ السنى والخارجى والشيعى ، يطلقون نفس الأدعية والتلبيات ، والاستسلام لله ... ان الحج يوحى باحساس قوى بالتماسك وبالوحدة » (٤٠) .

ثم يذكر المؤلف ملحقا يبين فيه أن هناك فرقا هامشية يكفرها الفقهاء وعلماء الدين فى الأمة الاسلامية ، وهى فرق تعنى التفرقة بكل معانيها الذميمة ، ومن هذه الفرق الفرقة اليزيدية التى تؤمن بالثنائية المانوية والمزدكية وهم يشكلون احدى طوائف الأقليات فى العراق ومنها البابية والبهائية والقاديانية ، فهذه الفرق منها ماشك فى وحدانية الله ، ومنها ما دعا الى قرآن جديد ونبى جديد !!

(جـ) ويتناول المؤلف فى الفصل الثالث من كتابه « الاسلام من حيث قيمه الدينية » ..

وفى صدر هذا الفصل يعرض المؤلف للركن الأول من أركان الاسلام وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم يتبع ذلك بالحديث عن عدة جوانب فى الاسلام ، شارحا لها ومعرفا بها ، منها :

الايمان :

وهو يعنى الاطمئنان والثقة ، والايمان شهادة ، انه الاقرار بالشهادة فى أعماق النفس انه الشهادة المعلنة أمام الناس بالقول والفعل.

وهنا يتطرق المؤلف الى الحديث عن علماء علم الكلام وتعريفاتهم للايمان ، فيذكر مذهب الخوارج والمعتزلة ، ومذهب الحنفية والماتريدية ومذهب الأشاعرة ، وكذلك يذكر مواقفهم من مرتكب المعصية وما دار حول ذلك من خلاف مبسوط فى كتب التوحيد والعقائد . (٤٣) .

الاسلام :

ويذكر المؤلف أن الاسلام يعنى التسليم لله ، والطاعة أوامره والبعد عما نهى عنه ، والايمان الحق لايمكن آلا أن يؤدى الى التسليم الذى يتطلبه الاسلام . والاسلام الحق والايمان الحق يتضمنان النية الصادقة فالأعمال المادية تظهر الانسان مسلما أمام الناس ، أما النية فتعطى هذه الأعمال قيمة



أمام الله ، والنية الصادقة سبيل الى الاخلاص الذى يعنى الاتجاه الى الله عن قصد . وهو مطلوب من كل مسلم ، لانه ركيزة الاسلام الحق (٤٥) .

الأسماء الحسنى :

فى هذا المجال يشير المؤلف الى عدد أسماء الله الحسنى والى منزلة ترديدها مع تأمل معانيها ، ويذكر أن ذلك يؤدى الى تأصيل روحانية الاسلام - التى على كل مؤمن مخلص أن يتحمل مقتضياتها ، وهذه الروحانية تتغذى بالفضائل الأخلاقية الى جانب ما توحى به العبادات ، فأركان الاسلام ليست مجرد واجبات شرعية ، وانما لكل منها معناه وصداه الروحيان اللذان ينزعان الى تكميل وتعميق صلة المسلم بخالقه (٤٨) .

حب الله ـ الصوفية :

وفى هذا الجانب يعرض المؤلف لتاريخ التصوف ولتيارات الرفض والقبول لهذا الاتجاه ، ولأشهر أعلامه المتصوفين . ويخلص من عرض كل ذلك الى أن أى تاريخ للفكر الاسلامى يتجاوز الحديث عن الصوفية هو حديث مجتزأ ناقص ، ومع ذلك فان الحكم على الحياة الايمانية فى الاسلام من خلال الصوفية وحدها لايعطى حتما حقيقيا مطابقا لنواقع ولحقائق الاسلام .

لكن لماذا لقيت الصوفية معارضة وصلت فى بعض الأحيان الى حد اراقة الدماء ؟

يجيب المؤلف عن ذلك بأن سبب هذه المعارضة راجع الى المغالاة والى الاسراف اللذين وقع فيهما كثير من رجال التصوف وبصفة خاصة فيما يتصل بشعار الوحدة والحلول ، وقد كانت هذه المعارضة من القائمين بها نوعا من الدفاع الذاتى تمارسه الجماعة المهددة فى أصولها التى أقرها الله بفضل سمو الرسالة التى جاء بها الرسول والتى كونت الأمة وأسستها (٤٨ ـ ٥٣) .

ثم يستطرد المؤلف الى الحديث عن الطرق الصوفية ودورها فى التأثير على الجماهير مشيرا الى انها فى مجملها حافظت على الايمان الاسلامى وعلى القيم الروحية المنبثقة عنه ، وكانت تعبيرا عن حاجة عاطفية فى نفوس الجماهير المؤمنة ، لكن التجاوزات التى وقعت فيها هى التى سلطت عليها هجوم المعارضين لها وبخاصة عند أولئك الذين قاموا بحركات اصلاحية تجديدية ، تدعو الى تخليص الاسلام من كل ماينافى التوحيد الخالص لله (٥٤) .

وبعد . فليس ما ذكر فى هذا الفصل كافيا للابانة عن قيم الاسلام الدينية . وهذا أمر واضح للقارىء المسلم ، لكنه ليس بمثل هذا الوضوح عند غيره من القراء ، ومن هنا يبدو القصور الذى وقع فيه المؤلف ، وهو قصور فيه خطورة عندما يظن البعيدون عن الاسلام أن هذا المعروض هو كل ما فى الاسلام من قيم .

(د) وتحت عنوان (معالم فى خدمة التاريخ ـ فى العهد الكلاسيكى) :

يأتى حديث المؤلف فى الفصل الرابع من

هذا الكتاب ، الذى يلقى فيه الضـــوء على التاريخ الاسلامى القديم ، وما مر فيه مـن أحداث كبار :

المصدر الأول :

وفيه يذكر المؤلف أن عصر دولة المدينة يعد العصر الذهبى النموذجى للاســـــلام ، وفى اشارات عابرة يشير المؤلف الى بعض الجوانب فى سيرة النبى ــ ﷺ ــ ، وفى سيرة الخلفـــاء الراشدين رضوان الله عليهم ، وبخاصــــــة ماحدث فى أيامهم من فتوحات كبرى فى العراق وفارس والشام ومصر ، بجانب ما حدث مـن اضطرابات وصدامات داخلية (٥٨) .

يلى ذلك الحديث عن العصـــور السياسية الاسلامية من القرن السابع الميـــلادى حتى القرن الثالث عشر ، ويـرى المؤلف أن هــذه الحقبة من الزمن هى حقبة التمم .

وفى مقدمة الحديث عن هذه العصور يأتى الحديث عن الدولة الأمـوية ، وفيـه يعرض المؤلف لاتساع الفتوحات الاسلامية فى عهدها شرقا وغربا ، وهو اتساع يمتـــد من حدود الصين حتى حدود مراكش واسبانيا وجنوبى فرنسا ، كما يشير الى وضع الأقليات غـــير المسلمة فى ظل الاسلام فى البـلاد المفتوحة ، ويذكر أن النصـــارى واليهـود بتنظيماتهم الطائفية وشرائعهم قبلوا (ذميين) داخـــل الأمة الاسلامية ، كمـا بدأت الآداب والتآليف الدينية المسيحية واليهودية باللغة العربيـــة ترى النـور .

أما نظام الدولة الادارى فقـد استقرت الادارة وتركزت فى كـل مكان ، ودخلت ضمن قواعد الحقوق الشرعية الاسلامية التى كانت سائدة فى المدينة عادات وأعراف مأخوذة عـن البلدان المفتوحـة ، وكثـر الداخلون فى دين الاسلام وكثر عـــدد الذميين فى الدواوين وادارات الدولة .

كما يشير المؤلف الى ازدهار الأدب والعلوم الدينية ، وظهور الترجمات الأولى الى العربية من السريانية للنصوص الفلسفية الاغريقية (٦٠ ــ ٦٣) .

وينتقل الى الحديث عن الدولة العباسية ، وكيف استولت على الحكم من الأمويين وكيف توالت عليها عصور القوة والضعف ، ثم يبدى بعض الملاحظات العامة من خـلال العرض ، ويذكر من ذلك أن مطلع الحقبة العباسية كـان عصر الترجمـات الكبـرى ، التى أعانت على نهضة علمية شاملة ، اغتنت منهـــا الثقافة الاسلامية دون أن تفقد معها أصالتها . ومـن ذلك أن الموالى أصبحـــوا مواطنيـــن كاملى الحقوق ، وقد قاموا بدور يعد من الدرجـــة الأولى فى تاريخ الدولة العباسية ، لكنهم بعـد قليل أصبحوا خطرا عليها ، حين صاروا قـوة استطاعت أن تنفصل بدويلات انفصالا كاملا ، وحين صاروا أيضا القوة المسيطرة على الخليفة العباسى فى مقر خلافته .. ومـن الملاحظـات الفارقة بين العباسيين والأمويين أن البـلاط الأموى كان أقرب الى البداوة بينما كان البلاط العباسى يموج بالأبهة وشتى مظاهر اللهـو ، مما جر فى بعض الأحيان الى ثورات واضطرابات شعبية .. ويضيف المؤلف الى هذه الملاحظات

أن الحضارة الاسلامية كانت أظهر فى المدينة أكثر منها فى الريف نظرا لتأخر فتح المدارس القرآنية فيه ، أو لعدم تحولها لكل القرى (٦٢ ــ ٦٨) •

ومن الحديث عن الدولة العباسية ينتقل المؤلف الى الحديث عن المغرب والأندلس ، ويعرض فيه لفتح الأندلس ، وكيف استولى عبد الرحمن الداخل ــ الذى نجا من العباسيين ــ على الحكم فى قرطبة ، ثم يذكر ما كان فى قرطبة من حضارة مزدهرة فى الآداب والفنون والعلوم ، الى جانب تلك الانقسامات الداخلية من أجل الصراع على الحكم فى مراحل متعددة من مراحل الحكم فى الاندلس (٧٠) •

ويعقب الحديث عن الأندلس ، حديث عن الحروب الصليبية ، وعن عملية الاسترداد التى قام بها المسيحيون فى الأندلس • فأما الحروب الصليبية ، فقد انتهت حملاتها فى نهاية القرن الثالث عشر حيث قضى المسلمون على الصليبيين فى مصر قضاء نهائيا •

ويشير المؤلف الى أنه كان من نتائج الحروب الصليبية ولفترة محددة ، العودة الى تماسك الاسلام وتقويته •

ويختتم المؤلف هذا الفصل بعنوان : « مجتمع منفتح » والانفتاح صفة يطبعها على المجتمع الاسلامى خلال هذه الحقبة من الزمان ويشرح ذلك بأن العواصم الاسلامية فى الشرق والغرب كانت مراكز اشعاع علمى كونى ، وفى هذه الحقبة صدرت مؤلفات كبرى فى مجالات العلوم والفلسفة والأدب ، والفنون ومختلف علوم الدين • وقد كثرت المجالس العلمية المفتوحة التى كان يلتقى فيها المثقفون والعلماء فيتبارون فى مناظرات فكرية وأحاديث وحوارات فى كل فن ، وكان يشارك فى هذه المجالس ذميون من اليهود والمسيحيين • هذه اللقاءات بين العلماء والباحثين جعلت من المجتمع الاسلامى فى عصره الكلاسيكى مجتمعا منفتحا ، يقبل فيه العابرون من كل صوب ونوع ، وكان حب السفر طاغيا فى المجتمع الاسلامى ، وكتب الرحلات تدل على حرص المسلمين على الموضوعية العلمية الخالصة ، كما تدل على ولعهم بالغريب والعجيب ، وينقل الأساطير عن البلدان المجهولة والى هذه الحقبة تنتمى دقائق الجغرافى المقدسى ، وكتاب البيرونى عن الهند وعلومها وحضارتها (٧٣) •

(٨) وينتقل المؤلف فى الفصل الخامس من الكتاب الى الجزء الثانى من معالم التاريخ ، وهو جزء يتصل بمرحلتى الانحطاط والتجديد والبعث • أما مرحلة الانحطاط فتشمل الحقبة من القرن الرابع عشر الى آخر القرن التاسع عشر ، ومن نهاية القرن التاسع عشر حتى الآن تمتد حقبة التجديد والبعث •

وعن مرحلة الانحطاط يصدر المؤلف الحديث عنها بهذا السؤال : بأى المعانى نتكلم عن الانحطاط ؟ ويجيب بأن هذا المجتمع الحيوى جدا فى العصر الكلاسيكى المنفتح جدا بالنسبة الى زمنه تحول فى العصور التالية الى مجتمع مغلق منكمش على نفسه ، حيث تراجع البحث العلمى والفلسفة والبحوث الدينية التى ازدهرت ازدهارا كبيرا فى الماضى ، أمام التفاسير والتأويلات ويذكر المؤلف أن هناك ظروفا سياسية واقتصادية جديدة ضاغطة جدا

أدت الى انغلاق المجتمع الاسلامي على نفسه . ويضيف الى ذلك الدور الذى قام به الاستعمار فى توفير جو من الكراهية ضد المسلمين ، مما أدى الى ازدياد الجهالات وسوء الفهم للاسلام حتى وصل الى نقطة خطرة ، وجدنا فيها كثيرا من العلماء الغربيين يصفون الاسلام بأنه يعنى التعصب واحتقار العلم والغاء المجتمع المدنى ، ويعقب المؤلف على هذه الافتراءات بأن ذلك ظلم عجيب وأفكار مسبقة لاتبررها حالة العالم الاسلامى أيام رينان الذى تبنى اشاعة هذه الجهالات ، ان ذلك جهالة غريبة لتاريخ الزمن الماضى وقصور نظر عجيب غريب .

ومن الأسباب التاريخية التى فتحت باب التدهور ما أشار اليه المؤلف من استيلاء المسيحيين على أشبيلية فى الأندلس ، واستيلاء المغول على بغداد ، وكل من هذا وذاك حدث خلال قرن واحد هو القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى ، فقد فتحت هاتان الهزيمتان فى تاريخ الشعوب الاسلامية ثغرة ظلت تتفاقم فيما بعد . فقد أدى سقوط أشبيلية الى عنف قساوة المنتصرين ضد المسلمين ، مما جعل الكثيرين منهم يفضلون الهجرة بأعداد كبيرة نحو شمال أفريقية .. وكذلك كان لسقوط بغداد أمام جحافل المغول وقع فى نفوس الناس أشد أثرا من سقوط أشبيلية ، ويذكر المؤلف أنه على الرغم من الأثر السيء للغزو المغولى ، فان هذا الغزو لم يكن على حساب الاسلام عدديا ، اذ سرعان مادخل الغزاة فى الاسلام وأعلن الاسلام دين الدولة من قبل خان المغول وحكم المغول والاتراك المغول وذرياتهم المسلمة فى أفغانستان والهند (٧٥ ــ ٨٠) .

ويتابع المؤلف الحديث عن الممالك الاسلامية خلال هذه الحقبة من الزمان ، فيتحدث عن امبراطورية المغول فى الهند وأفغانستان ، وعن امبراطورية ايران ، وعن مراكش ، وعن وضع الاسلام فى افريقيا السوداء وكذلك يتحدث عن الاستعمار وعن أثره فى الانحسار السياسى والاقتصادى والثقافى فى بلدان الاسلام ، وهنا يذكر أن عنف الصدمة أيقظ الضمائر ، حين قامت حركات اصلاحية تجديدية فى كثير من البلدان الاسلامية ، وكان التجديد الثقافى هو أولى مظاهر التجديد الى جانب ما واكبه من الدعوة الى الاصلاح الدينى ، فقد أخذت البلدان الاسلامية تعى ماضيها المجيد ، وقوتها الكامنة ، وما ينتظرها من مستقبل زاهر ، وهذا ما يؤكد حضور الاسلام فى قلوب المسلمين ووجدانهم ، ان الأجيال الجديدة فى البلدان الاسلامية مازال تهفو الى اشباع تعطشها بأية وسيلة الى الكرامة والعدالة ، ولكنها قد تعى يوما ما أن العودة الى الذات ، الى الايمان العميق هو الذى يفتح أمامها الدرب الحق الأصيل . (٨٠ ــ ٩٢) .

وهنا يأتى تساؤل المؤلف : هل سيتم ذلك فى اطار احترام القيم الموروثة وتجديدها ؟ أو فى اطار علمانى يدمج بين السياسى والروحى ؟ أو فى اطار اسلام محافظ شديد المحافظة ؟ وهذا ما يعالجه القسمان الثانى والثالث من الكتاب وهو موضوع المقال القادم ان شاء الله .

« يتبع »

أ . د طه مصطفى أبو كريشة

أنباء وآراء

معرض دولي للحضارة الاسلامية ..

افتتح المعرض الدولي للحضارة الاسلامية الذي يقام في « المتحف الوطني » الماليزي بـ «كوالالمبور» مما يتيح الفرصة لمواطني ماليزيا لمشاهدة أعمال ثقافية هامة يرجع تاريخها الى العصر الذهبي للاسلام . وهذا هو أول معرض من نوعه في آسيا ، وسيستمر لمدة مائة يوم وتعرض خلاله حوالي ألف قطعة من المعروضات التي لاتقدر قيمتها بثمن والتي أعارها ستة عشر متحفا من احدى عشرة دولة من بينها متحف (توبكابي سارا) باسطنبول ، وثلاثة متاحف في لندن .

وتوضح الأعمال المعروضة مدى التقدم العلمي الذي احرزه الدارسون والمفكرون المسلمون الأوائل ومن هذه الأعمال كتب ومخطوطات للعالم ابن سينا في العلوم الطبية .

مصر والجامعة الاسلامية بباكستان

صرح الدكتور حسين حامد رئيس الجامعة الاسلامية بباكستان أن الحكومة المصرية وافقت على ارسال عشرين عضوا من أعضاء هيئة التدريس من جامعة الازهر والجامعات المصرية الأخرى الى باكستان كل عام .

ويقول فضيلة الدكتور محمد محمود مزروعة أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة اسلام أباد الاسلامية بباكستان : ان الجامعة الاسلامية بكلياتها الشرعية وأصول الدين واللغة تعد امتدادا لجامعة الأزهر وتأثيرها في العالم الاسلامي ، كما أنها تربط الباكستان بمصر برباط الاخاء والتعاون .

افتتاح مركز اسلامي في اريزونا

افتتح مؤخرا المركز الاسلامي في مدينة «تمبي» بالقرب من «فينكس» بولاية أريزونا الأمريكية . ويضم المركز مسجدا ومدرسة لتحفيظ القرآن وسكنا للامام والمدرسين .
وأقيم المركز الاسلامي ليقوم بنشر الاسلام وتصحيح المفاهيم المشوهة عن الاسلام في أذهان بعض الغربيين .

يعتنقون الاسلام

أفادت الأنباء أن ألفا وخمسمائة شخص قد اعتنقوا الاسلام دفعة واحدة بولاية صباح

إعداد: حسن على رزيق
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام

فى ماليزيا . وقد أقام المجلس الاسلامى بالولاية احتفالا كبيرا بهذه المناسبة حضره رئيس وزراء الولاية ووزير الشباب والرياضة بالحكومة المركزية وعدد من المسئولين بالدولة ، وقد أفادت الدراسات أن البلاد هناك تشهد عديدا من المعتنقين للاسلام يوميا .

تدريس الاسلام فى جميع المدارس الألمانية

تفيد بعض الانباء أن ميشيل ميلدين ممثل الكنيسة البروتستانتية بالمانيا أعلن أن الكنيسة تؤيد فكرة تدريس المواد الاسلامية فى المدارس الألمانية وأضاف ممثل الكنيسة : انه بعد ثلاثة أعوام سيكون كل عشرة تلاميذ فى الصف الأول الابتدائى بمدارس المانيا من بينهم على الأقل تلميذ مسلم . وأنه لايجب أن نعزل أطفال المسلمين عن بقية التلاميذ فى المدارس الألمانية لأن ذلك ليس فى صالح المجتمع الألمانى .

ومن المعروف أنه يوجد فى المانيا أكثر من سبعمائة ألف طفل فى مرحلة الدراسة الابتدائية معظمهم من الأتراك الذين تعمل أسرهم فى المانيا الغربية .

تدريس اللغة العربية بافريقيا الوسطى

قررت جمهورية افريقيا الوسطى تدريس اللغة العربية والدين الاسلامى بالمدارس الحكومية .

هذه هى المرة الأولى التى تدرس فيها هذه المواد بجمهورية افريقيا الوسطى وصرح الحاج محمد عبد الحميد من اهالى البلاد بأن غالبية بلاده من المسلمين ، وانهم فى حاجة الى العون المادى والعلمى من بلاد العالم الاسلامى حتى يتم تنفيذ البرامج العلمية التى تعمل على نشر اللغة العربية فى البلاد .

انشاء معهد لتخريج الكوادر الاسلامية

تجرى الأمانة العامة للغرف التجارية لدول العالم العربى والاسلامى اتصالات مع المسئولين فى الدول العربية والاسلامية والأمانة العامة لمؤتمر وزراء خارجية الدول العربية والاسلامية للعمل على انشاء معهد لتأمين تخريج الصفوف البشرية الاسلامية . وتأتى هذه الخطوة بناء على توصية مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى بنجلادش للتأمين على المؤسسات والمجمعات الاسلامية بحيث لا تتعرض الدول الاسلامية لأى نقص فى مجال الخدمات البشرية .

المركز الاسلامى الافريقى

انهى المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم

أنبـاء وآراء

دورته التدريبية لمعلمي اللغة العربية والتربية الاسلامية داخل السودان وخارجه ·

اقيمت الدورة بمدينة « بلانتايرى » عاصمة ملاوى واشترك فيها معلمون من مـــلاوى وزمبابوى وزامبيا وموزمبيق · ومن الجــدير بالذكر أن المركز الاسلامي بالخرطوم يقــدم خدمات اسلامية لمعظم دول افريقيا الاسلامية وبقره السودان ·

المجلس الاسلامي بالقدس يطلب وقف الاعتداءات الاسرائيليــة عــلى الامــاكن المقدسة

* طلب المجلس الاســلامي الاعلى بالقدس ، تدخل الأمم المتحـدة في الخــلاف القائم بشأن ضابط بوليس اسرائيلي وضـع العلم الاسرائيلي على مكتبه بنقطة البوليس الموجودة في منطقــة جبل المكبر حيث يوجـد المسجدان الأقصى والصخرة ، الامـر الــذى يخالف حياد المنطقة ·

رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس يحذر من الارهابي الاسرائيلي « كاهانا »

اعلن سماحة الشيخ ســعد الــدين العلمي ، رئيس المجلس الاســلامي الاعلى في القدس انه سيكون اول مــن يصــطدم بـــ « كاهانا » وعصــابته اذا اقتحم ساحة الحرم الشريف ·

وقد وجه نداء دعــا فيه المسلمين في الأراضي الفلسطينية الى ضرورة الوجود الــدائم في ســاحات المســجد الاقصى لمواجهة اى احتمال لاقتحام المسجد ·

زيادة المنح الدراسية لابناء العالم الاسلامي

* أعلن الدكتور الأحمدى ابو النور وزير الأوقاف ، أن وزارة الأوقاف تسعى — الآن — الى زيــادة عــدد المنح الدراسية لابناء العالم الاســلامي ، في قاراته الخمس ، وكذلك زيادة المطبوعات الاسلامية بلغات العالم المختلفة تلبيــة لاحتياجات كافة المسلمين في بلاد العالم·

توحيد الاعياد الاسلامية

*تبحث لجنة الشئون الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المنبثقــة من منظمــة المــؤتمر الاسلامي خلال الفترة من ٢٢ الى ٢٥ سبتمبر وضع تقويم هجرى موحد لبــداية الشــهور القمرية وتوحيد الأعياد للعالم الاسلامي كله ·

كذلك تبحث اللجنــة دعم التعــاون الفني والتدريب المهني والبحوث بين الدول الاســلامية ودعم التعاون في مجال الاتصالات الســلكية واللاسلكية ·

صندوق لتحفيظ القرآن بالشرقية

* تقــرر انشــاء صــندوق لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الشرقية لرفع مستوى معيشة المحفظين وصرف حوافز مجزية لهم · صرح بذلك الأستاذ رفعت

الهبرسى رئيس المجلس الشعبى المحلى للمحافظة ·

انشاء كلية اسلامية وتربوية بالصـــومال

---

* صرح فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهـر بان اللجنة المشكلة من الجـانب المصرى والســودانى قد انتهت مـن دراسـة الاحتياجات اللازمة للبدء فى تصميمـات المبانى المقترحة واعداد الكلية للدراسة ·

* يبحث المجلس الاعلى للشـــئون الاسلامية عقد عدة مؤتمرات اسـلامية داخل مصر وخارجها ، تسـتهدف انهـاء الحرب بين ايران والعراق ·

السيد /مصطفى السـيد محمـد ـ التل الكبير ـ الاسماعيلية ·

ليست الكتابة فى المجلة قاصرة على افراد معينين بل عليك أن ترسل لنا بعضا من كتاباتك واذا كانت صالحة للنشر نشرت ـ وعن كيفية الاشتراك فى المجلة عليك الاتصال بالعنـوان التالى :

القاهرة ـ ادارة توزيع الاهرام ـ شـارع الجلاء

السيد / محجوب عطية سليمان ـ السودان ـ أم درمان ·

المجلة لا توزع كتبا مجانية غير هديتهـــا الشهرية مع كل عـــدد ونسـتطيع ان تتصـل بمقابلة الدكتور الامين العـام لمجمع البحوث الاسـلامية ـ القاهرة ـ ادارة الأزهر ـ بهذا الشأن ·

---

* ردود خاصة :

الى السيد الفاضل الاستاذ بهاء المصرى :
نرجو إلقاء المزيد على موضـوعكم "الألمـان يهتمون بالشريعة الاسلامية" فإن الموضوع فى حاجة الى استيعاب اشمل ·

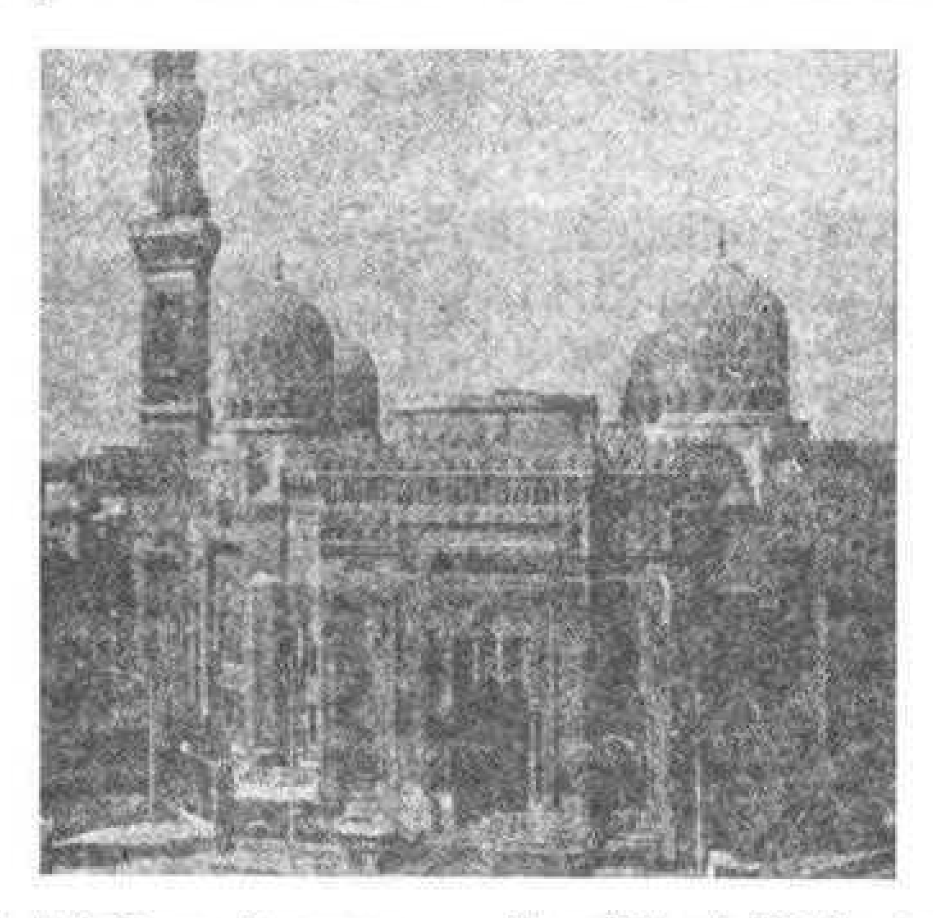
والى السيد الاستاذ محمود محمد عبده الشارود ـ أجا ـ دقهلية ·

تعتذر المجلة لسيادتكم لعدم نشرهـــا تمثيليات حتى تتم دراسة موضوع النشر ·

الى السيد وزير الأوقاف ·

السلام عليكم ورحمة الله · وبعـد :
فنتيجة لمعاناة الجمـاهير ، تم اقتـراح الاستاذ الصـحفى عبد السلام داود ـ فى الأخبار ـ بتاريخ ١٩٨٤/٨/٣ صـدر قرار سيادتكم أن تستغرق الخطبة خمس عشرة دقيقة فقط ·

ويبدو أن اقتراح الاسـتاذ عبد السـلام داود ، ومن يطالب بمثل طلبه قد بنى على أن الخطب التى تلقى بالمساجد جميعها سـواء ، أو انها تتناول موضـوعات أصـبحت معلومة فلا داعى للاطالة فيها ·



وليس الأمر كذلك يا سيادة الوزير ، فان الخطبة تختلف من حال الى حال ومن مشكلة الى أخرى ، وكلما كانت المشكلة من ذات البيئة والخطيب يتناولها في ضوء الشرع ازداد تعلق المستمع بلا ضجر أو شكوى .

وهذا القرار — بهذا الزمن — يقيد الخطيب ولا يعطيه حرية التعبير التى تستوعب المشكلة .

هذه واحدة .

ثم كيف يذهب السيد وزير الأوقاف الى هذا التحديد ، ويجعله مثالنا ، فهل لذلك أصل تستوى معه جميع الموضوعات فيما تتطلب من زمن ؟

وهل لنا ان نطمع فى أن ينظر السيد وزير الأوقاف الى قراره مرة أخرى فلا يقيد ميول المصلين لخطيب له جمهوره بهذا الزمن ؟(١)

شعبان على حسين (طارق الديرى)

---

(١) تلقينا هذه الرسالة من السيد صاحب التوقيع ، وقد أعدنا صياغة مضمونها بقدر الامكان ، وبقدره — أيضا — حافظنا على الأصل أو مضمونه .. مجلة الأزهر .



بسم الله الرحمن الرحيم

تلقى رئيس التحرير الرسالة التالية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعــد :

فنحن حملة « العالمية مع تخصص التدريس » من الاربعينـات والخمسينات ، قد انتسبنا الى هذا القسم وشعورنا العام الذى أكده

لنا المسئولون من أساتذتنا أن اجازة « العالمية مع تخصص التدريس » معادلة تماما للماجستير ، وكانت المواد العلمية التى تدرس فى هــذا

القسم شاملة للمواد العربية والشرعية ٠٠ الأمر الذى أكد فى نفوسنا أن تلك الاجازة انما هى « الماجستير » أو معـادلة له ، بل ان ادارة

الامتحانات تعطى تصديقا رسـميا بذلك لحملة هــذه العالمية ، وذلك لاقرار المجلس الأعلى للأزهر لهـذه المعادلة بنـاء على قرار لجنـة المعادلات فى مايو ١٩٥٩ ٠

ولقد مارسنا العمل بالتدريس أكثر من خمسة عشر عاما ، وقد سبق للأزهر الشريف ان اباح لمن يحمل هذه الاجازة وله انتاج علمى ومضى عليه هذا الوقت ان يتقدم بانتاجه العلمى لمعادلته بالماجستير وسمح لمن تتوفر له هذه الشروط أن يسجل رسالة الأستاذية : الدكتوراه ٠ وقد تقدم فعلا كثير من الزملاء ونالوا الدكتوراه بهذه الشروط ، ولم يحدث أن تبين خسارة للجامعة او للأزهـر من هذا الباب ، بل كان العكس هو الصحيح بسبب مباشرة هؤلاء الأساتذة للتعليم على كافة مستوياته مما قدم للجامعة أساتذة من طراز فريد ٠

ولقد كتب الأستاذ الزميل الفاضل عبد اللطيف محمد حشـاد : ويبسط هذه القضية بعدد ذى الحجة ١٤٠٤ هـ بمجلة الأزهر ٠ نقول ، ونحن نناشـد امامنا الأكبر ومدير الجامعة : نقول :

ما على الجامعة من حرج اذا هى يسرت لنا هذا الأمر ، ووضعت من الشروط ما تراه كفيلا بضبط العمل وجديته وفرضت ما شاءت من رسوم ٠ حرصـا على الانتفاع بخبرتنا : وهى خبرة أعطيناها أجيالا متابعة من أبنـائنا ، فان أدينـا الواجب فنعم الكسب للجامعة ٠

والله ولى التوفيق ٠

جابر منصور مغربى « من العلماء »




فهرس العدد



الموضوع	الصفحة

شعر وشاعر

من التراث

اللغة والادب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية
الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا



بسم الله الرحمن الرحيم
الى السادة راغبى الاشتراكات فى :
« مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لـــدى قطـــاع الاشتراكات :
مؤسسة الأهرام ـ شـــارع جلاء ـ القاهرة ٠

وفيما يلى قيمة الاشتراك ٠
* جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك سنويا ٠

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى ٠٠
«بالبريد الجوى»
١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها ٠

* باقى دول العالم ٠
٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها ٠

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسســـه الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة ٠

The source of energy is provided by air driven from the lungs which propagates sound waves resulting from vibrations of the vibrating bodies which are the vocal bands. These are situated at the top of the wind pipe to maintain a well sustained propagating air column.

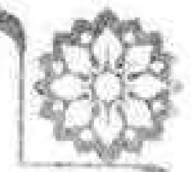
In the oral cavity - the mouth, is the tongue which is the muscular organ of resonation. The tongue being highly anchored at its end acts both as a resonator and articulator. The mechanism of articulation is also carried out by the lips to add in the exact sound ejections of the different letters of speech. The crucial importance of the tongue and the two lips in the exact acoustic characterisation of utterance is understood.

Different languages have different phonetic difficulties, and certainly the Arabic Language ranks among the most precise in its phonetic characters. The proper use and practice of the organs of utterance and their harmonic function renders speech easy and facilitated.

The topic verse quoted from Surat Al-Balad mentioning the lips and tongue is a reminder from Allah of the superfluous blessings upon man. The eyes mentioned in the verse are another blessing; so anatomically and functionally complicated that necessitates their consideration under another heading.

Praise be to Allah, the Creator, the Merciful, the All Mighty. We pray to Him to help us use our body organs to His satisfaction.





CONTEMPLATING ON A QURANIC VERSE

BY:
MAHMOUDSAYED AHMAD

Have we not made for him a pair of eyes?
and a tongue and a pair of lips?
(Surat Al-Balad, XC, 8-9)

The second part of this verse is duely considered by reflecting on the mechanisms of speech and utterance. Let us consider that critical part of the human body called the mouth and its anatomical contents. Besides several vital functions the mouth performs, it undertakes the process of utterance.

The operation of utterance requires three basic fundamental elements for its completion. These are firstly a source of energy; secondly a vibrating body, and thirdly a resonator.

REFERENCES:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kifani Library - Cairo Printed, 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Couziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

The period from Badre to Uhud was approximately thirteen months from Ramadan of the second year after Hijrah to Shawal of the third year. Certainly the most salient aspect of this period was the conclusive decision of Koraysh to revenge their defeat at Badre and to put an end to the increasing strength, influence and stability the Muslims had achieved since their Hijrah to Al-Madina. The clans of Koraysh began to perceive that Muslims formulated a strong challenger to their superiority of the whole Arab tribes.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.



dent west of Al-Madina to the sea coast. Since the economic and social structure of Koraysh was dependent on trade convoys, they decided to travel north taking the route of Najd east of Al-Madina. Safwan Ibn Umayah was in charge of the first trade convoy travelling by this route. On hearing such news, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent a contingent of hundred men under the command of Zayd Ibn Harithah who intersected the camel convoy at Al-Qardah in Najd, and was able to capture the camels, the first taking of Muslims from Koraysh.

All these events since the defeat of Koraysh at Badre accumulated the distressing situation and drove Koraysh to the inevitable adamant decision to confront the Muslims in wide scale armed combat. They prepared, planned and marched out from Mecca with the intention to conquer and subdue the Muslims at Al-Madina. Then was the battle of Uhud, named after the mountain of Uhud at the outskirts of Al-Madina.

Between Badre and Uhud, several social traditions were prescribed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The most important was the prayers of Eid Al - Fitre after Ramadan and Eid Al-Adha during Haj. Such tradition certainly has great influence and psychological impact on Muslim coherence and validity. Such traditions are still practiced by Muslims in masses all over the world.

During that period Fatimah daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was married to Ali Ibn Abi-Taleb.

two hundred of the companions to engage the raiding group. Abu Sufyan and his men retreated and fled towards Mecca throwing behind them their possessions and supplies; with no actual combat taking place.

The encounter of Khatafan came about when the Prophet (prayers and peace form Allah upon him) received news that Bani Thalaba and Muhareb from Khatafan gathered under the leadership of Dauthur Ibn Al-Harith and prepared to raid Al-Madina. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went out to engage them with four hundred muslims. When the insurgents heard of the Muslim march, they escaped into the mountains with no confrontation.

The march to Bahran was against Bani Suleym who desired to attack Al-Madina. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched with three hundred men. Bani Sulaym dispersed and no combat took place.

The victory at Badre and the several minor incidents that followed which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) headed in person had widespread repercussions among the Arab tribes particularly those around Al - Madina. They started to realise that the Muslim presence at Al-Madina was well established. Defeating Koraysh at Badre, expelling Banu Qaynuqaa from Al-Madina, pursuing Abu Sufyan, and marching out to encounter all tribes that entertained the idea of raiding Al-Madina. These successful events crowned the Muslims with more confident solidity, and certainly rooted their faith and belief to follow the path of "Jehad" to establish the words of Allah as supreme

The clans of Koraysh faced the problem that the road north to Damascus was blocked by Muslim presence at Al-Madina and affected their influence over the Arab tribes resi-

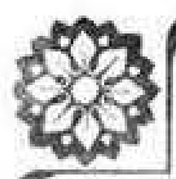
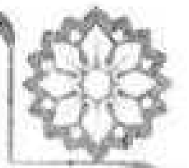


upon him) besieged them in their fortifications for fifteen days. They finally succumbed to defeat, and asked for liberation leaving Al-Madina with their women and children.

The death of Kaab Ibn Al-Ashraf from Banu Al-Nadeer a man of high position among all Jewish clans was an outstanding enemy to Muslims, and always spoke openly in obscene vulgar language against Islam and Muslims. After the battle of Badre, he was markedly distressed and went to Mecca to meet with the defeated clans of Koraysh. He motivated

Koraysh and influenced them in urgency and insistence to retaliate their defeat by another confrontation in armed conflict with Muslims. When Kaab returned to Al-Madina he schemed and conspired to cause dispute among Muslims, and spoke with disrepute about Muslim women. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputised Mohammad Ibn Mussalamah Al-Ansari to kill Kaab Ibn Al-Ashraf for his very vicious and poisonous intrigue against Muslims.

The incedent of Al-Saweyq came about when Abu-Safyan Ibn Harb who did not witness Badre was very distressed for the disgraceful defeat Koraysh had suffered on the hands of Muslims. He vowed that he will not wet his hair untill he defeats Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) and his friends. He rode out with two hundred horsemen to Al Madina. He arranged to meet chieftains of Jewish clans to plot against Muslims. Huyaii Ibn Al-Akhtab of Banu Al-Nadeer refused to meet him; he met Sallam Ibn Mishkum and councelled with him. Abu Sufyan then sent some men who burned some houses and palms at the outskirts of Al-Madina and killed two Ansari men. On hearing the news, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) rode out with

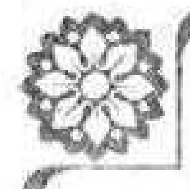
BETWEEN BADRE AND UHUD

By , Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

After the battle of Badre, the second major confrontation between Muslims and Koraysh was the battle of Uhud which took place during Shawal of the third year after Hijrah. The intervening months between the great Badre and the battle of Uhud witnessed several events of importance that had their imprints in the times that followed.

Following the triumphant victory of Muslims at Badre, the Jewish clan of Banu Qaynuqaa resident at Al-Madina were the first to strain relations with Muslims by infringing upon previous agreements. They humiliated an Ansari woman indecntly, and killed a man from Al-Ansar. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) summoned their leaders and addressed them in warning not to violate the agreement between the Jews and Muslims previously negotiated and contracted. They answered with insolent insurgent replies, defying the Muslims and challenging them in battle.

They fortified themselves and openly carried arms in offensive attitude. The prophet (prayers and peace from Allah

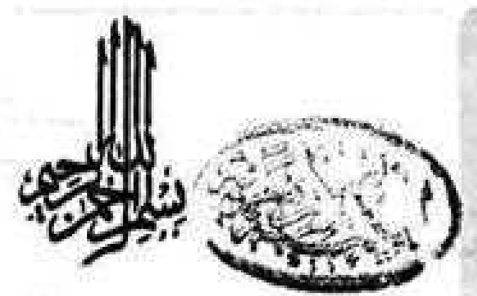


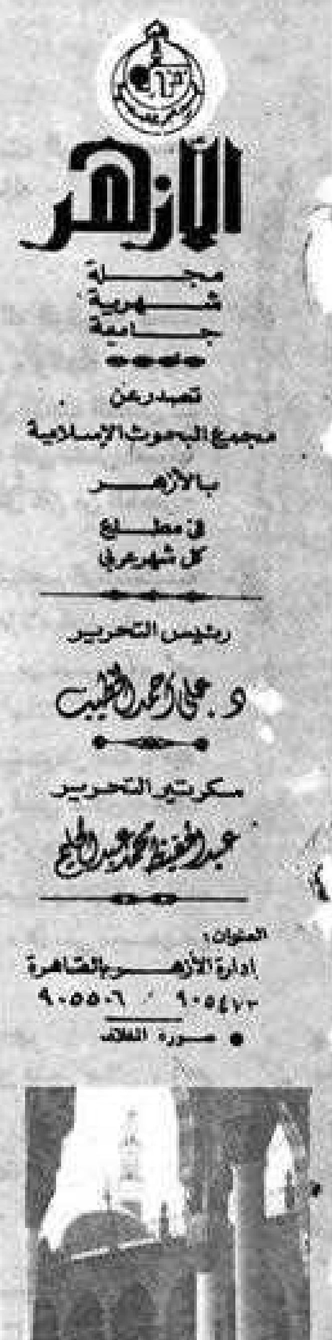

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION









صَفر.. والنسيء

كان النسيء هو العامل الأول والأخير الذى افسد التاريخ العربى ، وشوهه شهورا واعواما قبل الاسلام ·

وكان صفر فى مطلع الشهور التى حملت وزر النسيء وتفشت فيه ـ أول ما تفشت ـ الوانه وضروبه ·

ولقد اتحدت عوامل ثلاثة ، تداخلت ـ فى وحدة صماء لتكون القاضية على سلامة التاريخ العربى فى الجاهلية،فَضَلَّت أعوامه سواء السبيل ، وفقدت أيامه معالم الزمن ·

ان المذاهب الوثنية فى العقيدة الجاهلية ·· الى العدوان ··فالأمية ·

الجزء الثانى السنة السابعة والخمسون

* صفر ١٤٠٥ هجرية *

* نوفمبر ١٩٨٤ ميلادية *

كل كانت ـ سلبا او ايجابا ـ هي عناصر تلك الوحدة الصماء التي عربدت في تـاريخ القوم حتى طمـرت معالمه ٠

المذاهب الدينية :

ومذاهب القوم الدينية الأساسـيـة في تلك الوثنيـة جعلت الجاهليين ثلاث جماعات هي : الحُمْس والطُّلس ، والحِلَّة ، نضيف إليها ما نستطيع ـ ان شاء الله ـ ان نجعله فئة من مذهب الحمس ـ ان لم نعده مذهبا رابعا تُمَثِّلُهُ طائفة « البُسْـل » التي تنتمي أصولها الى قريش،فان قريشا ومن جاورت او صاهرت ، كُلٌّ كان من الحمس٠

وانت واجد ـ بمشيئة الله ـ خطاك في البحث عن المذاهب الرئيسـيـة الثلاثة (١) ،فهذا ما وفقني الله ـ سبحانه ـ اليه لمعرفة هؤلاء البسـل :

البسـل ـ جميعا ـ هم بنو عـوف بن لؤي بن غـالب بن فهـر،وفهر هو قريش ، وليس من فهر إلا قرشي ، وليس قرشي الا من فهر ٠

كل ما في الأمر أن هذا البطن من وَلَدِ عوف بن لؤي لم يستوطن مكة ، فقد استقر عوف ـ في احدى سفرياته بأرض غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان ، فأتاه ثعلبة بن سعد وطلب اليه الاقامة بهذه البلاد ، ونشأت بين الرجلين أخوة كـان يقرها عرف القوم حينئذ فحمل عوف ـ الى نسبه ـ نسب ثعلبة واحتفظ وأولاده بالشَّبَق ، وكان الأمر هذا معلوما في قريش كما هو معلوم « في بني ذبيـان من غطفان بن قيس عيلان » ٠

قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي :

« ٠٠٠٠ أما عوف فدخلوا في بني ذبيان من غطفان بن قيس عيلان ، وهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان » (٢) ٠

ولك أن تقول : وهم أيضا بنو مرة بن عوف بن لؤي بن غالب بن فهر ٠

وسكن القوم بالهَبَاءَة من أرض غطفان ، وعرفوا بـ « الهبـاءات » (٣) وصاروا سادة في غطفان ٠

---

١ ـ راجع لابي جعفر بن حبيب ـ المحبر ص ١٧٨ ـ ١٧٩ منشورات دار الآفاق الجـديدة ـ بيروت ٠

٢ ـ انظر لابن حزم ـ جمهرة انساب العـرب ص ١٣ طبع دار المعرفة مصر ١٩٧١ ٠

٣ـ راجع بلسان العرب مادتي : بسل وهبا ٠

هؤلاء هم البسل ، تستطيع ان شئت أن تجعلهم مذهبا وثنيا رابعا ، أو فرعا أحمسيا نبت بتلك البلاد البعيدة عن مكة .

وارتضت المذاهب الثلاثة الأولى بنسيء يواطيء — أي يوافق — عدة أربعة أشهر حرمها الله — سبحانه — لكنها شاءت أن تغير فيها وتبدل ، فاذا أراد الله سبحانه الأشهر الأربعة أن تكون : ذا القعدة ، وذا الحجة والمحرم ثم رجب الذي بين جمادى الآخرة وشعبان ، رأى القوم ان تكون الأشهر أربعة ولو دارت في السنة كلها .

فأما البُسْل فأرادوها ثمانية أشهر عرفت بـ (البَسْل) (١) قال العلامة ابن كثير في تفسير قوله تعالى : « ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ » هذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية — تحرمه ، وهو الذي كان عليه جمهورهم الا طائفة منهم يقال لهم : البسل كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقا وتشديدا » .

وقال — رحمه الله — في السيرة النبوية :

« ... وفيهم كان البَسْل ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويُؤَمِّنونهم أيضا » (٢) .

ولم أعثر على تعيين بأسماء الاربعة الزائدة على الاربعة الاصلية المعروفة .

وعلاقة الجانب الديني بالنسيء واضحة أمامنا ، فانها — كما ترى — منطلقة أساسا بالأشهر الحرم ومتعلقة بها . والأشهر الحرم كانت — ولن تزال — وعاء دينيا لشعيرة الحج أو العمرة .

ومع أولوية العلاقة بين المذاهب الدينية والنسيء فانه ينبغي أن نسارع الى مصادرة استنتاج لقارىء يرى أن رؤساء هذه المذاهب في القبائل كان لكلِّ جماعة منهم اجتماع معين يحدد سنويا أمر النسيء ، ثم يتفقون في النهاية عليه.

لا ، فان الواقع خلاف ذلك .

فانهم — جميعا — كانوا يرتضون بما يقرره النَّسَأَة من أسرة معينة توارث أولادها اعلان النسيء ، ولا نستثني من ذلك الا جماعة البسل ، فانه واضح أنه كان لهم قرارهم الخاص على الوجه المتقدم (٣) .

---

١ — البسل — بضم الباء : القوم ، وبفتحها هو هذا التحريم .

٢ — راجع لابن كثير — السيرة النبوية ٩٢/١ مطبعة عيسى البابي الحلبي (١٣٨٤) .

٣ — انظر لمعرفة قبائل : الحمس والحلة والطلس تاريخ اليعقوبي ٢١٣/١ مطبعة الغرى بالنجف ١٣٥٨ .
وراجع لابن حبيب البغدادي — المحبر ص ١٧٨ — ١٧٩ .

صفر.. والنسيء

العدوان :

وهذا العنصر كان أساسا خلف التلاعب بحرمة الأشهر الحرم واستطاع ــ فعلا ــ وعلى مدى أكثر من قرنين أن يطيح بتلك الحرمة ، ويخلى الطريق لأطماعه .

كانت القبائل العربية فى صبغتها العامة ، ان لم نقل كلها تستطيل مدة الأشهر الحرم ، خاصة ما تعاقب منها ، وهى الثلاثة :

ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، اذ كان لها قدسيتها فى النفوس وكان لها استجابة ذاتية عند العرب جميعا فى وجوب أن تكون الأرض ــ أرض الجزيرة ــ آمنة : لا يرتفع فيها سلاح ، ولا تقع فيها غارة ، ولا يطالب أثناءها بثأر ، لذا كانت الأشهر الحرم حجر عثرة أمام رغبات المعتدين ، ومن يريد النهبة والغارة ، اذ كيف يتأتى ذلك ، وقد ألقى السلاح ، ونبذ القتال .. ؟
لكن ، اذا أمكن ، والحال هذا ، اتخاذ قرار بتأجيل التحريم انفسح الطريق أمام من يريد فيمضى لمقصوده من بغى وثأر وعدوان .

واستطاع القوم تحقيق رغبتهم ، البسوا قد غيَّروا فى الدين ما هو أجل من ذلك وأعظم ، وابتدعوا فيه ما ليس منه ، وغيروه من توحيد خالص الى شرك أثيم ،ونصبوا حول الكعبة ثلاثمائة وستين وثنا ، وسطا بعضهم على المحرمات فتزوج بامرأة أبيه ، ونبذ بعضهم الرحمة فوأد البنات .

فهل كان للأشهر الحرم ــ فى نفوس القوم ــ ما يجعلها فوق التوحيد أو المحرمات ؟ !

الأمية :

وبتكرار النسيء على مدى لا يقل ــ بحال ــ عن قرنين من الزمن ، وباختلاف ألوانه بين أصحاب الأشهر الأربعة أنفسهم .. الى جانب أصحاب الثمانية .. ... وما صاحب ذلك من تقديم وتأخير ، والقوم أميون ليس لديهم

ضبط عن طريق التدوين الخَطِّيّ ، صارت الأمية ثالثة الأسباب في وقوع الخلط وعدم الضبط وضياع الميقات .

حتى اذا استعجم عليهم التوقيت لجأوا الى أخبث الناس ذمة القائلين :

« لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ » (١) . ... لجأوا إليهم

ليضبطوا لهم الحساب فأضلوهم عنه شر ضلال ، وأوقعوهم في « الكبس » الى جانب النسيء ، فيقومون — في كل ثلاث سنوات بتأخير شهر معين ، وليكن السابع مثلا مقابل أن يستمر الشهر الذى يسبقه مدة شهرين ، أى يزيدون شهرا قبل الشهر السابع فيجتمع النسيء والكبس معا ، اذ « تأخير » السابع نسيء ، وزيادة شهر قبله « كبس » وذلك ليحتفظوا بالخريف ما أمكن زمنا لشعيرة الحج (٢) .

الناســئون :

أول من عرف التاريخ من النَّسَأَة كانوا من « كِنْدَة » قال الأزرقي — رضى الله عنه : « لأنهم كانوا — قبل ذلك — ملوك العرب من ربيعة ومضر » (٣).

وقد سطع التاريخ على كندة في القرن الرابع للميلاد ، ويعتبر « حجر آكل المُرار » بانى مجد تلك الدولة في أواسط الجزيرة العربية ، وبلغت هذه الدولة أقصى قوتها في عهد حفيده « الحارث » الذى أقام عرش الحِيرَة نحو سنة ٥٢٩ م . ولسنا نعلم — على وجه اليقين — متى تلاشت تلك الدولة ، ويعتبر « نونوسوس » أول من ذكرها من المؤرخين الاجانب دعاها باسم Kind ynoi أى كندة وذكر أنها قبيلة Maddynoi أى مَعَدّ ، وانتهى مُلْكُ كندة على يد « المنذر الثالث » من أمراء لخم عام ٥٢٩ م أى نفس العام الذى نصب فيه الحارث نفسه على عرش الحيرة (٤) .

ولسنا نشك في أن نَسَأَة كندة ظلوا ينسأون والدولة لهم . ثم انتقلت منهم الى صهر لهم هو « مالك بن كنانة » من مضر ، فكان أول النسأة من المضريين ،

١ — آل عمران — الآية (٧٥)
٢ — راجع للاستاذ عبد الحميد لطفى — الشهور العربية (بحث بالعدد ٨٨ ص ٣٥ من مجلة الثقافة السنة الثانية ، اول شعبان ١٣٥٥ هـ ٢/٩/١٩٤٠ م .

٣ — الازرقي — اخبار مكة شرفها الله ص ١٢٥ مصور عن الطبعة الاولى .
٤ — راجع د. جواد على — تاريخ العرب قبل الاسلام ٣/٢١٧ ود. فيليب حتى — تاريخ العرب مطول ١/١١٤ ، ١١٥ .

فكان ينسأ وهو بين ظهرانى الكنديين ، ثم نسأ ثعلبة بن مالك ، ثم الحارث بن مالك بن كنانة ، ويبدو أنه أول من لقب بـ « القَلَمَّس » ثم نسأ بعده ولده سرير بن القلمس .

ثم انتقلت النسأة الى بنى فقيم ، قال ابن كثير ــ رضى الله عنه : « قال ابن اسحاق : وكان النسيء فى بنى فُقَيْم بن عدى بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر » .

ويتحدث ابن اسحاق عن أول الناسئين ومن بعده من بنى فُقَيْم فيما نقله ابن كثير : فيسميه القَلَمَّس قال ابن اسحاق : « وهو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدى ، ثم قام بعده ابنه عبّاد ، ثم قلع بن عباد ، ثم أمية بن قلع ، ثم عوف ابن أمية ، ثم كان آخرهم أبو ثمامة : جنادة بن عوف بن قلع بن عباد ابن حذيفة ، وهو القلمس ، فعلى أبى ثمامة قام الاسلام » (١) .

والقلمس ، كما نرى ، انما هو لقب ، وهو فى معناه اللغوى يعنى : السيد العظيم ، والكثير الخير والعطية ، والداهية البعيد الغور من الرجال .. (٢) الخ .

وهكذا نجد النسيء ضاربا فى عمق الجاهلية الى أكثر من ثلاثة قرون ــ على الأقل ــ قبل بعثة رسول الله ــ ﷺ ــ يدلك على هذا مباشرة هذه السلالة من الأجيال وذلك يعنى أنه وثيق الصلة بعصر طروء الوثنية التى استورد أصنامها عمرو بن لحى الخزاعى فى القرن الثالث الميلادى .

كيفية التنسيء :

ونقدم صورة لتنسيء القوم :

قال الأزرقى ــ رحمة الله عليه :

وكان أهل الجاهلية يسمون المحرم:صفر الأول ، وصفر:صفر الآخر ، فيقولون :

١ ــ راجع لابن كثير ــ السيرة النبوية ١/٩٦

٢ــ انظر المادة فى لسان العرب

صفران ، وشهرا ربيع ، وجماديان ورجب وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، فكان ينسأ (الناسىء) (١) الأنساء سنة ويترك سنة ليحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التى ليست بمحرمة وكان ذلك من فعل ابليس ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسنا ، فاذا كانت السنة التى ينسأ (الناسىء)(١) فيها يقوم فيخطب بفناء الكعبة ، ويجتمع الناس اليه يوم الصَّدَر (٢) فيقول :

« يأيها الناس ، انى قد أنسأت العام صفرا الأول ، يعنى المحرم » فيطرحونه (٣) من الشهور ولا يعتدون به ، ويبتدئون العدة ، فيقولون — لصفر وشهر ربيع الأول : صفرين ، ويقولون — لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأولى :

شهرى ربيع ، ويقولون — لجمادى الآخرة ولرجب : جماديين ، ويقولون — لشعبان : رجب ، ولشهر رمضان — شعبان ، ويقولون — لشوال : شهر رمضان ، ولذى القعدة : شوال ، ولذى الحجة : ذا القعدة ، ولصفر الأول — وهو المحرم الشهر الذى نسأه : ذا الحجة فيحجون تلك السنة فى المحرم ويبطل من هذه السنة شهرا » (٤) .

فاذا كان العام التالى هذا حرموا المحرم — وهو الشهر الذى وقع حجهم فيه ، ثم يستمرون على عد الشهور عدتها ، فاذا حجوا فى هذا العام الثانى وقع حجهم أيضا فى المحرم ، وبذلك يحجون فى كل شهر حجتين ثم ينسأ فى السنة التالية قال الأزرقى :

« فينسأ صفر الأول — فى عدتهم هذه ، وهو صفر الآخر فى عدتهم المستقيمة — حتى تكون حجتهم فى صفر أيضا حجتين ، وكذلك الشهور كلها حتى يستدير لحج فى كل أربع وعشرين سنة الى المحرم الذى ابتدءوا منه الأنساء .

يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين » (٥) .
ويرى الامام ابن كثير :

١ — اللفظ بين القوسين مقحم ليتضح المعنى .
٢ — يوم الصدر : هو الرابع من أيام النحر يصدر فيه الناس عن مكة الى اماكنهم .
٣ — حديث الامام الأزرقى مستمر
(٤ — ٥) الامام الأزرقى ص ١٢٦ — ١٢٧

« .... أن النسيء حاصل بدون هذا ، فانهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاما يحرمون عوضه صفرا ، وبعده ربيع وربيع الى آخر السنة بحالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ، ثم فى السنة الثانية يحرمون المحرم (أى يعيـــدون الأمر الى نصابه (١)) ويتركونه على تحريمه ، وبعده صفر وربيع وربيع الـى آخرها (**يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ**) اى فى تحريم أربعة أشهر من السنة الا انهم تارة يقدمون تحـريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية ، وهو المحرم ، وتارة ينسئونه الى صـفر » (٢) .

وما ذهب اليه الامام ابن كثير يرده ــ عندي ــ ما يترتب على رأيــه هذا رحمه الله ــ من عدم دوران المحرم فى السنة كلها ودورانه فيها مقرر معروف .
قال الامام الســـندى ــ رضى الله عنه :

« .... فينتقل المحـرم من شـهر الى شـهر حتى جعلـوه فى الســنة كلها .... » (٣) .
والله أعلم

حتى اذا كانت السنة العاشرة أعلن رسول الله ــ ﷺ بوحى من ربه ــ صحة تاريخها فقـال ــ عليه الصلاة والسلام ــ يوم عرفة فى حجة الوداع :
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله الســموات والأرض

السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجـة ، والمحـرم ، ورجب مضر الــذى بين جمـــادى وشعبان » (٤) .

وبالله التوفيـق ...

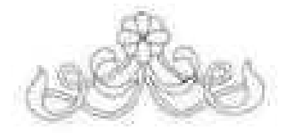
د/ علي أحمد الخطيب

---

١ ــ ما بين القوســين مقحم للايضـــاح .
٢ ــ تفسير ابن كثير ٢/٣٥٧ .
٣ ــ حاشية السندي على صحيح البخـــارى ٣/٧٤ الطبعة البهية ١٢٩٩ هـ .
٤ ــ صحيح البخارى ــ باب حجة الوداع .

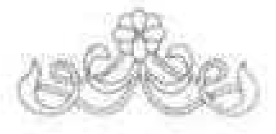
دراسات فى القرآن والسنة

الوعد الحق والنبوءة



أكثر الناس .. فى القرآن

من أعلام التفسير البيانى



أفضل الجهاد وأفضل الهجرة



الوعد الحق والنبوءة التى نعيش فى واقعها

قال تعالى فى سورة النور

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا .. » الآية ـ ٥٥ .

تمهيد

فى جو صاخب بالوثنية ، حالك الظلام بالجاهلية ، معتم الفكر بانتشار الأمية .

فى هذا الجو الرهيب كلف الله نبيه محمدا ﷺ بالدعوة الى الحق « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ » .

فيمارس النبى دعوة الله سرا فيتقبلها أفراد قليلون من الضعفاء وأبناء الأثرياء على مهل وفى تريث ، وحينما ذاقوا حلاوتها اشتد تمسكهم بها وحبهم لها ، واشتركوا فى الدعوة اليها سرا حذرين خائفين .

وبعد ثلاث سنين من الدعوة سرا أمر الله نبيه ورسوله أن يجهر بدعوته بين عشيرته الأقربين ، ثم بين الناس أجمعين ، فدعا قومه الى حقيقة دين ابراهيم الذى يزعمون أنهم على دينه ويفخرون بأنهم من ذريته ، وأفهمهم أنه يقوم على التوحيد ونبذ عبادة الأوثان .

ولكنهم رفضوا دعوته قائلين « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ » لكن محمدا ﷺ صبر على رفضهم وصابر ، وبين لهم أن الأوثان كبيوت العنكبوت « وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

وأنها مقدور عليها وليست بقادرة ، فكيف يتخذونها آلهة وهى بهذا الهوان والضعف .



لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

فلم يكترثوا بنصحه ، وأمعنوا فى العكوف عليها ، وتقديم القرابين لها ، واعتقاد صدور النفع والضر عنها ، وظلوا يقولون «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» .

وحينما أمعنوا فى اصرارهم على الكفر بالحق ، بالغ فى تهوين آلهتهم ، وسفه عقولهم وعقول آبائهم ، فاستعملوا الاستهزاء فى مواجهته ، والعنف فى مواجهة المؤمنين من حوله ، وكلما اشتدوا فى مواجهته ﷺ عاملهم باللين تارة وبالوعيد أخرى ، مبلغا فى ذلك قرآن ربه ، فعقدوا معاهدة بينهم على مقاطعته ومن يناصره من قرابته ، وسجلوها فى صحيفة ألصقوها بالكعبة لتكتسب القداسة عندهم .

فانحاز النبى ﷺ الى شعب أبى طالب عند جبل فاران ، وانحاز معه بنو هاشم وبنو المطلب ، ومكثوا فيه ثلاث سنين حتى جهدوا من آثار تلك المقاطعة وأكلوا أوراق الشجر ، ثم نهض جماعة من عقلائهم فمزقوا تلك الصحيفة الظالمة ، وعاد النبى ﷺ الى مكة بمن كانوا معه ، ولكن قريشا لم تنزع عن ايذائهم الذى مارسته بعد الاستعلان بالدعوة لمدة عشر سنين .

ولما هاجر النبى ﷺ وأصحابه الى المدينة ، لاحقوهم بالايذاء والقتال والحجر على من لم يهاجر منهم .

(الوعد بالاستخلاف والتمكين فى ضباب الخوف واليأس) .

قال أبو العالية : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعد ما أوحى اليه ــ أى بعد ما أمر بالجهر بالدعوة ــ خائفا هو وأصحابه ، يدعون الى الله سرا وجهرا ، ثم أمر بالهجرة الى المدينة وكانوا فيها خائفين ، يصبحون ويمسون فى السلاح .

فقال رجل : يارسول الله . أما يأتى يوم علينا نأمن ونضع السلاح ، فقال ﷺ **« لا تلبثون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة » (١)** وأنزل الله هذه الآية وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب ، فوضعوا السلاح وأمنوا :

قال النحاس : فكان فى هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله ﷺ ، لأن الله تعالى أنجز ذلك الوعد .

(بيان الاعجاز فى هذه الآية العظيمة) .

قد عرفت الحرج الذى كان فيه النبى ﷺ وأصحابه من أهل مكة ، ولم يقتصر الأمر على

(١) الاحتباء الجمع بين الظهر والساقين عند الجلوس بتطويق الساقين بالذراعين ، والمراد بالحديدة السلاح .

ذلك ، بل كانوا محاصرين بالعرب المشركين من كل جانب ، ومحاطين باليهود حول المدينة وهم أهل خيبر وبنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وسواهم .

ومن وراء هؤلاء وأولئك النصارى والوثنيون في بقاع الأرض ، كما يعيش بينهم منافقون لهم مواقف أليمة سجلها القرآن والسنة عليهم .

وفي هذا الجو القاتم يبشر الرسول أصحابه بأنهم لا يلبثون الا زمنا يسيرا حتى يأمنوا ويضعوا السلاح ، ويجلس الرجل منهم في الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديدة ، فلا دروع ولا سهام ولا غير ذلك من وسائل الحرب التي كانت متبعة وقتئذ .

ولا يكتفي بذلك ، بل يبلغ الناس أن ربه أوحى اليه أنه سيستخلف المسلمين في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وأن يمكن ويثبت لهم دينهم الذي ارتضاه لهم ، فلا يستطيع أحد مهما كان سلطانه أن يمحوه من الأرض ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم الذي يعيشون فيه أمنا وطمأنينة .

فكيف يجرؤ داعية أن يبلغ الناس هذه الوعود البعيدة المدى ، ولا قبل للخيال بتقبلها، فما لم يكن هذا الداعية واثقا من ربه وموعودا منه ، فانه لا يستطيع أن يقامر بمركزه وبدعوته بمثل تلك الوعود التي ستقابل بالتكذيب من خصومه قطعا ، ويخشى أن تقابل بالشك ان لم تقابل بالتكذيب ممن آمن به ، اذ يقولون : كيف كيف يحقق أهل المدينة ومن هاجر اليها من المسلمين بزعامة محمد وظروفهم مع العالم على النحو الذي حكيناه ، فهي تحكي اليأس وتنادي بالقنوط .

لكن هؤلاء المؤمنين عرفوا محمدا بالصدق والامانة قبل الرسالة ، وعرفوه بهما أكثر وأكثر بعد الرسالة والمعايشة ، وعرفوا أن الله معه في أمره كله ، فصدقوه وآمنوا بصدق ما أخبرهم به عن ربه واثقين مطمئنين ، وعاشوا حتى عاينوا تحقيقه ، ورأوه وعدا مفعولا ، فقد رأوا معظم الجزيرة العربية يدين بالاسلام في عهده ﷺ بعد أن ذلت قريش ودالت دولة الأوثان في مكة ، وعلت راية الاسلام فوق كعبتها تودوي من فوقها صوت المؤذن : الله أكبر الله أكبر .

وتحقق قوله ﷺ لخباب بن الأرت بمكة في ذروة العذاب مسليا مصبرا والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون أخرجه الامام مسلم .

وهكذا استخلف الله المسلمين على مكة وأرض العرب ، كما استخلف بني اسرائيل على أرض الكنعانيين (باقليم ايلياء) بقيادة يوشع بعد موسى عليهما السلام ، وهي الأرض المباركة التي دعاهم موسى الى دخولها بما حكاه الله بقوله « **يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** » .

فلما امتنعوا عن دخولها مدعين أن أهلها جبارون ولا يستطيعون قتالهم ، وقالوا له «**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ**» حرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون في

الأرض ، وبعدها فتح بهم يوشع أريحا وغيرها ، وقد صقلتهم العقوبة ونشأ بينهم جيل صالح ، وتحقق بذلك وعد الله لهم ، ولكن الله تعالى قد نزعها منهم مرة بعد أخرى فى عهود مختلفة بعدما أشركوا وأفسدوا فى الأرض وعبدوا آلهة الشعوب من حولهم ، وسوف تتكرر هذه العقوبة كلما بغوا فى الأرض وفقا لوعد الله « **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** » .

ما هى حدود الأرض الموعودة للمؤمنين

لقد وعد الله المؤمنين الصالحين — فى هذه الآية — وعدهم أن يستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولم يبين لهم الأرض التى سوف يستخلفهم عليها .

وقد ذهب العلماء فى تفسيرهم مذهبين ، فمن قائل : انها الأرض التى استولى عليها الخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ ، نقل النقاش عن الضحاك أنه قال : هذه الآية تتضمن خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، لأنهم خير من آمن وعمل الصالحات ، وقد قال ﷺ « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » .

والى هذا الرأى ذهب ابن العربى فى كتابه (أحكام القرآن) .

وقال : قال علماؤنا هذه الآية دليل على صحة خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ، وأن الله استخلفهم ورضى أمانتهم وكانوا على الدين الذى ارتضى لهم ، فاستقر الأمر لهم ، وقاموا بسياسة المسلمين ، وذبوا عن حوزة الدين ، فنفذ الوعد فيهم ، وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ، ولا يكون فيما بعدهم رضى الله عنهم : انتهى كلام ابن العربى بتصرف يسير .

وحكى النقاش هذا القول عن ابن عباس رضى الله عنهما ، واحتج أصحاب هذا القول بما رواه سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : (سمعنا رسول الله ﷺ يقول « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » .

قال سفينة لسعيد بن حمدان راوى هذا الحديث عنه : أمسك عليك : خلافة أبى بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين ، وخلافة عثمان ثنتى عشرة سنة ، وخلافة على ستا) وبهذا تم العدد ثلاثين كما أخبر النبى ﷺ .

ومن قائل ان الآية وعد للأمة الاسلامية بملك الأرض كلها وسيطرتهم عليها ، واستشهدوا بقوله ﷺ « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » .

واختار ابن عطية فى تفسيره هذا الرأى ، حيث قال : والصحيح فى الآية أنها فى استخلاف الجمهور ، واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها ، كالذى جرى فى الشام والعراق وخراسان والمغرب : أ هـ .

ونحن نرجح عموم هذا الوعد المؤكد بالقسم للأمة الاسلامية ، بأنها ستملك الأرض كلها ، ولا يمكن تخصيصه بعصر الخلفاء أو غيرهم الا بخبر المعصوم ، فوجب الأخذ بعمومه وأماراته ظاهرة فيما يملكه المسلمون اليوم فى شتى بقاع الأرض ، وسوف يتحقق المزيد

حتى يتم وعد الله الذى لا يتخلف بمشيئة الله تعالى .

واحتج الماوردى لعمومه بما رواه بسليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما على ظهر الأرض بيت حجر ولا مدر الا ادخله الله كلمة الاسلام ، بعز عزيز أو ذل ذليل ، أما بعزهم فجعلهم من أهلها ، وأما بذلهم فيدينون بها » أى يخضعون لها وهم على دينهم .

من بركات هذا الوعد التنبؤ بفتح الفرس

وكان من بركات هذا الوعد الالهى لعباده المؤمنين ما أخرجه البخارى بسنده عن عدى ابن حاتم قال « بينا أنا عند رسول الله ﷺ ، اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتى اليه آخر فشكا اليه قطع السبيل .

فقال ﷺ يا عدى هل رأيت الحيرة ؟

قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها .

فقال : ان طالت بك حياة لترين الظعينة (١) ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله .

قلت فى نفسى : فأين دعار (٢) طيىء الذين سعروا (٣) فى البلاد ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل ملء كفيه ذهبا أو فضة ، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى يارب ، فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وعن يساره فلا يرى الا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة :

ـ قال عدى رضى الله عنه : رأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ : يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد من يقبله .

والتنبؤ بفتح مصر

فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » أخرجه الامام مسلم .

وقد تم فتح الفرس ومصر وغيرهما من الأقطار العديدة التى أظلها الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين .

سؤال هام وجوابه

قد يقول قائل : ما بالنا نرى الاسلام لم

---

(١) هى المرأة فى هودجها .

(٢) دعار جمع داعر وهو الخبيث الفاسق .

(٣) أى أوقدوا نيران الفتنة .

يمتد الى جميع أطراف الأرض حتى الآن ـ كما وعد الله ورسوله ـ وأن بعثات التبشير تؤثر على بعض المسلمين في البلاد المتخلفة فتجعلهم يرتدون ، وأنهم عرضة لغزوات المستعمرين من الخارج ، وفتنهم بالمؤامرات من الداخل فهم لا يأمنون على أنفسهم .

والجواب أن الله تعالى مكن للمؤمنين الصالحين من الاتساع العريض في أرضه في زمن قليل كانوا فيه معتصمين بحبل الله ، مجتمعين غير متفرقين ، عاملين بقوله تعالى « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » وبقوله « خُذُوا حِذْرَكُمْ » وكانوا حريصين على تبليغ الدعوة ، لا يغفلون عن مؤامرات أعدائهم ، ولا يقصرون في اظهار البأس لهم ، حتى خافهم أعداؤهم وانكمشوا في بلادهم .

وكان السلف الصالح يحسنون الدعوة الى دينهم في غزواتهم أو في رحلاتهم التجارية ، حتى دخل في الاسلام أمم كثيرة ، بفضل الجد وصدق اللقاء ووحدة الأمة ، واعداد العدة ، واجادة الدعوة لله ، ابتغاء مرضاة الله ، لا لجمع المال والحرص على الدنيا .

ولما قصر الخلف فسلكوا سبيل الفرقة والتقصير في الدعوة والعدة أصابهم ما أصابهم ، فلابد لهم من العمل بكتاب الله ، ليأخذ وعد الله مداه الواسع العريض .

لابد لهم من الاجتماع وعدم التفرق ، وتقوية أجهزة الدعوة ، وعمل مصرف لها يشترك في تأسيسه جميع الدول الاسلامية تحت اسم « الدفاع عن الاسلام » أو أي اسم آخر « كصندوق الدعوة الى الله » ، ولابد من ترجمة معاني القرآن الى مختلف اللغات ترجمة سليمة تحافظ على معانيه وأهدافه .

فان الاسلام يبهر عقول علماء الغرب ومثقفيهم في عصرنا هذا ، اذا عرفوا عقائده السديدة ومبادئه الرشيدة ممن يرشدهم اليه ، لابد للأمم الاسلامية من العمل بهمة وبذل وسخاء ، فان هذا الدين هو اكسير الحياة والشفاء لهذه الانسانية المعذبة .

وقد وعد الله به جميع عباده ، فحققوا أيها الغر الميامين وعد الله بالعمل بكتاب الله ، فان هذا الوعد انما أعطاه الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات .

وهو مشروط بأنهم يعبدونه لا يشركون به شيئا ، ومقترن بانذار في نهاية الآية ، وذلك في قوله تعالى « وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » أي ومن كفر النعمة بعد هذا الاستخلاف وتمكين الدين والأمن بعد الخوف فأولئكم هم الفاسقون .

وليعلم المسلمون انهم على وعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقاء هذا الدين حتى تقوم الساعة .

فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة او حتى يأتي امر الله » .

فانهضوا أيها المسلمون من سباتكم ، واستعيدوا بصدق الايمان والاخلاص في العمل مجدكم وعزكم ، واياكم والفرقة « فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » الاهل بلغت اللهم فاشهد .

مصطفى محمد الحديدي
عضو مجمع البحوث الاسلامية



أكثر الناس..

في القرآن الكريم

٢

٦ ـ وعد الله في سورة الروم أن الروم الكتابيين سيغلبون الفرس المجوس ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقال تعالى :

(الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم ١ ـ ٦ .

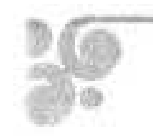
(الم) يرى بعض المفسرين أن من هذه الحروف (أ ل م) وأمثالها تألف القرآن الذى عجز العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، وأتبع ذلك بمعجزة الاخبار بالغيب وهو نصر الكتابيين على المجوس ، والمراد بالأرض في قوله : (أَدْنَى الْأَرْضِ) أرض العرب ، لأنها المعهودة عندهم ، وشاء الله أن يغلب الروم الفرس بعد تغلب الفرس عليهم ليتفكروا ويتذكروا أن ذلك بأمر الله (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ) (وَمِن بَعْدُ) الغلب .

ويوم يقع ذلك ويغلب الروم الكتابيون الفرس المجوس يفرح المؤمنون من المسلمين بتغلبهم على الوثنيين المشركين ، وقد وقع ذلك وغلب المسلمون المشركين في بدر ، وقد فرح المؤمنون (بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ) فالنصر بيده لمن أراد نصره (وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) .

(وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) وهذا مصدر مؤكد لنفسه ، لأن ما قبله في معنى الوعد ، كأنه قيل وعد الله وعدا بأنهم سيغلبون ولن يخلف الله وعده (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وعده وأنه لا يخلف وعده .

وهكذا نفى الله علم ما ذكر من الاخبار بالغيب في أن الروم سيغلبون وينتصرون بعد هزيمة الفرس لهم وأنه يوم يتحقق نصر الروم على الفرس يتحقق نصر المسلمين على المشركين ، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك ، وأراد بالكثرة المشركين .

أما المؤمنون وهم قلة فانهم يعلمون أن الله



سينصرهم ، لأنه وعد المؤمنين النصر ولن يخلف الله وعده .

* * *

٧ ـ الدين القيم دين الفطرة .

حول ذلك يقول الله تعالى :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم ٣٠ .

بعد أن بين الله في الآية السابقة على هذه أن المشركين اتبعوا أهواءهم فأشركوا استجابة لتلك الأهواء على الرغم من ظهور دلائل الوحدانية أمام أبصارهم وبصائرهم ولكنهم عميت أبصارهم وبصائرهم بعد ذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يقيم وجهه للدين ، وعبر بالوجه عن الذات كما قال في آية أخرى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وأراد ذاته .

والمعنى : أقبل على الدين ، ومل عن كل شيء غيره فلا تجعل في قلبك غيره (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) والزم فطرة الله ، وهي التوحيد وقد فطر وخلق الله الناس عليها حين كانوا ذرا في ظهر آدم ، وسألهم : (الست بربكم) ؟

فقالوا : بلى (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قيل : ساق الله قوله : (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) لتسلية النبي ﷺ حيث لم يؤمن قومه ، على معنى أنهم خلقوا أشقياء ، وقدر الله لهم الشقاوة ، ولا تبديل لما قدر الله .

وقيل : ان الوحدانية راسخة في قلوب الجميع حتى لو سئل أحد من المشركين : من خلق السموات والأرض ؟ لقالوا : الله ، فلا تغيير ولا تبديل لما في القلوب من الاعتراف بأن الخالق هو الله : فهم لو تركوا وما خلقوا عليه لما تركوا الدين الحنيف وقد قال النبي ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه (ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) اشارة الى الدين الذى أمر الرسول ﷺ باقامة الوجه له .

أو الاشارة الى لزوم الفطرة التي يراد بها الملة ، فذلك هو الدين الذى لا عوج فيه ولا انحراف .

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن ذلك هو الدين المستقيم فيصدون عنه وهكذا نفى الله عن أكثر الناس العلم بأنه الدين المستقيم على الرغم من أنه دين الفطرة التي فطر الله الخلق عليها .

والقلة من الناس هم الذين يؤمنون بأنه دين الحق .

* * *

٨ ـ وحول رسالة محمد ﷺ قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)سبأ ٢٨ .

بين الله في الآية رسالة محمد ﷺ من حيث

عمومها لجميع الناس على اختلاف ألوانهم وأقطارهم ولغاتهم تقودهم الى الحق ، وتشدهم الى الايمان ، وتكفهم عن الكفر ليتحقق ما وعد الله المؤمنين من البشارة بجناته ورضوانه ، وتزجر العصاة ، وترهبهم من غضب الله وجحيمه الذى أعده لمن جحد وكفر **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** أن محمدا ﷺ أرسل الى الناس كافة ، وذلك الجهل وتلك الغفلة تحمل أكثر الناس ممن أراد الله لهم الضلال ولم يشرح صدورهم للحق أن يتوهموا فى غيهم والقلة المؤمنة هى التى تعلم أن خاتم النبيين بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا .

* * *

٩ ــ وحول الرد على ما زعم مترفو مكة من أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا أن المؤمنين من أتباع محمد ﷺ هانوا عليه لما حرمهم من تلك الطيبات قال تعالى **(قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** سبأ ٣٦ .

أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لأولئك المترفين الهائمين فى الضلال ممن فسدت آراؤهم وتفكيرهم : ان الله يبسط الرزق لمن يشاء وأن يبسطه ، ويقدر على من يشاء أن يقدره عليه ، فلا تدل سعة الرزق وضيقه على أن ذلك مرتبط برضاء الله أو سخطه فقد يوسع على الجاحد ، ويضيق على المؤمن كما ترى ارادته وتقتضى مشيئته ، ثم استدرك فقال : **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** ذلك فيزعمون أن مرجع البسط الى تشريف الله وتكريمه لمن بسط لهم ، ومرجع التضييق الى اهانة الله لمن ضيق عليهم ، ونسوا أن الله قد يستدرج من بسط لهم ليتمادوا فى طغيانهم ، ثم ينكل بهم فى الدنيا أو الآخرة أو فيهما معا .

وقد يبتلى من يضيق عليهم ليشتد صبرهم على الابتلاء فيضاعف ثوابهم .

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) .

وهكذا نفى الله عن أكثر الناس ممن خفيت عليهم حكمة الله وما أكثرهم ، نفى عنهم علمهم بأنه وحده الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء لحكمة تراها ارادته والقلة المؤمنة هم الذين يعلمون أن ضنك العيش وخصوبته يرجعان الى مشيئة الله دون اختصاص بما تكون فيه عقيدة الانسان من ايمان أو كفر أو طاعة وعصيان .

١٠ ــ وحول موقف المجادلين فى آيات الله بغير حجة يقول الله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) غافر ٥٦ ، ٥٧ .

بين الله في هذه الآية السبب الذي حمل الجاحدين على أن ينكروا نبوة محمد ﷺ من حيث جدلهم الباطل الذي لم يعتمد على حجة أو دليل ، وكان السبب في موقفهم وجدالهم يرجع الى الكبر الذي ملأ صدورهم حتى كانت صدورهم ظرفا للكبر الذي ألهب أحقادهم لأنهم يرون أنهم لو سلموا بنبوة محمد ﷺ لكانوا تحت يده وأمره ونهيه جميعا لا فرق فيهم بين سيد ومسود لأن النبوة فوق الملوك والرياسات على اختلاف سلطانها ، وهم لا يرضون الخضوع لتلك النبوة التي ينقاد لها الناس جميعا حتى الملوك ، وما هم ببالغي ما أرادوا ، ولابد أن يصيروا يوما تحت أمرك يا محمد .

فاستعذ بالله ، والتجيء الى حماه من كيد من يجادلك من المشركين أو اليهود وهو السميع بما يقولون وتقول ، والبصير بما تفعل ويفعلون .

وبعد أن ساق موقف المنكرين وجدالهم بغير سلطان وحجة قدم الدليل المفحم للمنكرين على أن القادر على الأقوى والأعظم قادر على الأضعف والأقل ، فبين أن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس ، وهم لا ينكرون أن خالق السموات والأرض هو الله

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ، وكان الخليق بهم أن يقروا ويعترفوا بأن القادر على خلقهما قادر كذلك على اعادة الانسان الذي خلقه أولا .

ومن عجب أن هذا الدليل على قوته صار بحيث لا يعلمه أكثر الناس ، وأراد بأولئك الأكثر من ينكرون البعث والنشر .

وهكذا يتبين أن الذين يجادلون في آيات الله ودلائل قدرته بغير حجة ولا دليل لم يحملهم على ذلك الجدل والانكار غير الكبر والجهل والحسد والتعصب الأعمى لآراء سادتهم الذين ملأ الحقد قلوبهم ، وما أكثر الحاقدين الجاهلين الذين أعماهم الجهل عن رؤية الحق وانكار البعث (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم)

وهكذا نفى الله عن أكثر الناس علم ما لا يجهله أحد غير المعاندين الغافلين الذين قصرت أنظارهم وانساقوا وراء أهوائهم وأحقادهم .

١١ ــ وحول تصف منكرى البعث فيما طلبوا والرد عليهم ، قال تعالى :

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » الجاثية ٢٥ ، ٢٦ .

لقد أنكر الجاحدون أن المحيي والمميت

٩

هو الله فى الآية السابقة وقالوا ان الاحياء والامانة فعل الدهر فيما حكاه الله فى قوله :

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ، وبين فى هذه الآية أنهم اذا تليت عليهم الآيات الواضحة وسيقت اليهم الدلائل الناطقة بالحق ــ ومن جملة ماجاءت به البعث ــ لم يكن لهم من شىء يتمسكون به الا ان يقولوا : « ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين » فى أنا سنبعث بعد الموت ، وقد سمى هذا القول حجة ، لأنهم ساقوه مساق الحجة والدليل .

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأن الله يحييهم من العدم ابتداء ثم يميتهم بعد انقضاء آجالهم ــ لا كما يدعون من أنهم يحيون ويموتون بفعل الدهر ــ ثم يجمعهم بعد أن يصيروا رميما الى يوم القيامة الذى لا ريب فيه أى فى الجمع ، لأن من قدر على الخلق والايجاد والابداع الأول قادر على الخلق الثانى والاعادة للجزاء « ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ » أن شكو بم مرجعها فرط الجهل وقصر النظر فى ادراك دلالة وجود الانسان والحيوان والنبات والارض وكل ما عليها والسموات وما فيها وما بين السماء والأرض من كواكب ومواد وعوالم أفلا يدل كل ذلك على وجود الاله القادر الحكيم الذى أوجدهم حيث لم يكونوا شيئا ، وهو القادر على ايجادهم وبعثهم ثانيا .

وهكذا نفى ــ سبحانه ــ العلم عن أكثر الناس ، وأراد أولئك الذين ينكرون البعث « ويقولون نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » وما أكثر الجاهلين ضعاف النظر والعقل والرأى الذين ينكرون على الله قدرته على احياء الخلق ثانيا وجمعهم يوم القيامة حيث السؤال والحساب والجزاء .

يتبع

د/ محمد محمد خليفة



من أعلام التفسير البيانى :



أبو السعود العمادى

حياته ، منهجه فى التفسير

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن

تقـــديم :

تعرض لتفسير القرآن الكريم علماء كثيرون ، فى القديم والحديث ، وهم مع مع وحدة الهدف الا أن كل واحـد منهم وجه عنايته فى تفسيره الى الفن الذى برع فيه .

فالفقيه اهتم باستنباط ما فى الآيات من احكام فقهية .

والحكيم اظهر كنوز الحكمة وبـدائع الآيات الكونية .

والبليغ عنى بابراز بـلاغة القـرآن الكريم ، وكشف أسراره البيانية .

ومن العلماء الذين اتجهوا فى تفسير القرآن الكريم وجهة بيانية ، مبرزين اعجازه فى بديع نظمه ، وعجيب تأليفه ، ومظهرين سمو الفاظه وعلو تراكيبه : شيخ الاسلام أبو السـعود محمد بن محمد بن مصطفى العمـادى (١) فى تفسيره العظيم : « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .

وسنلقى فى هذا البحث الضوء على حيـاة أبى السعود ، ومنهجه فى تفسيره .

اولا : معالم حياته :

ولادتـــه :

ولد أبو السعود فى التاسع عشر من صـفر سنة ٨٩٨ هـ فى قرية قريبة من القسطنطينيـة تسمى « اسكليب (٢) ، وذلك فى عهد السلطان العثمانى « بايزيد الثانى » الذى تولى عرش

(١) أبو السعود كنيته ، والعماد لقب ابيه ، وهو فى الاصل : الابنية الرفيعة ، والعمـــاد قلعة شمالى الوصل . ينظر حاشية السفا على تفسير أبى السعود : ١ ــ ١١ .

(٢) ينظر العقد المنظوم فى ذكر افاضل الروم . هامش وفيات الاعيان : ٢ ــ ٢٨٢ .

الخلافة العثمانية سنة ٨٨٦ هـ ، بعد وفاة السلطان محمد الفاتح ، وشهد حكم السلاطين سليم الأول ، وسليمان القانوني ، وسليم الثاني ، وهذه الفترة يعتبرها المؤرخون عصر القوة في تاريخ الدولة العثمانية .

أسرته :

ولد أبو السعود لأسرة مشهورة بالعلم والفضل والتقوى ، فوالده هو العالم العارف الشيخ محيي الدين محمد بن مصطفى ، الذي جمع بين العلم والعمل ، وأحبه السلطان بايزيد الثاني حتى اشتهر بين الناس بشيخ السلطان، وبنى له زاوية بمدينة القسطنطينية ، وكان الأكابر يذهبون الى بابه ، ويأتيه الوزراء وقضاة العسكر لزيارته (١) .

وأمة سليلة بيت علم وفضل ، فهي بنت أخي العلامة علاء الدين علي القوشجي الذي برع في شتى العلوم ، وله فيها مصنفات عديدة (٢) .

وفي هذا البيت الزاخر بالعلم والفضل نشأ أبو السعود ، وقد مهد له في مهده الصواب ، وسخر له أبيات الخطاب ، وتربى في حجر العلم حتى ربا ، وارتضع ثدي الفضل الى أن ترعرع وحبا ، ولازال يخدم العلوم الشريفة ، حتى رحب باعه ، وامتد ساعده واشتد اتساعه (٣) .

شيوخه :

تلقى أبو السعود العلم على أعلام عصره ، ولقد كان والده أول شيوخه وأكبرهم أثرا فيه ، حيث تعهده منذ نشأته بالتربية والتعليم، وشرح له كثيرا من أمهات الكتب ، ومما نقل عن أبي السعود قوله : قرأت على والدي حاشية التجريد للسيد الشريف الجرجاني من أول الكتاب الى آخره مع جميع الحواشي المنقولة عنه ، وقرأت عليه شرح المفتاح ، وشرح المواقف له أيضا (٤) .

ومن شيوخه أبو المعالي عبد الرحمن بن علي المؤيد ، وأبو الفضائل محمد بن محمد ، وهما من كبار الشيوخ في هذا العصر (٥) .

وهو كثير الثناء على شيوخه ، عظيم التبجيل لهم ، مما يدل على تواضعه في تلقي العلم ، وتخلقه بأخلاق العلماء .

وظائفه :

عمل أبو السعود في التدريس لفترة طويلة، وتنقل بين عدة مدارس ، ثم قلد قضاء « بروسة » ثم نقل الى قضاء القسطنطينية، ثم الى قضاء العسكر في ولاية « روم ايلي » ودام عليه ثماني سنوات ، ثم سلم اليه زمام

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية هامش وفيات الاعيان : ١ ـ ٢٨٣
(٢) السابق : ١ ـ ١٧٧ والنور السافر : ٢٣٩
(٣) العقد المنظوم : ٢ ـ ٢٨٢
(٤) السابق : ٢ ـ ٢٨٢
(٥) السابق : ٢ ـ ١٤٤

الفتوى ، فصار مفتى « الدولة العثمانية ، وشيخ الاسلام فيها ، وذلك فى شعبان سنة ٩٥٢ هـ ، وظل فى هذا المنصب الرفيع نحوا من ثلاثين سنة الى أن لقى ربه » (١) .

ولقد كان منصب الافتاء أعلى المناصب الدينية والقضائية فى الدولة العثمانية ، اذ خضعت كل الهيئات القضائية والدينية بعد السلطان سليم الأول لسلطة المفتى ، بوصفه شيخ الاسلام ، وكان السلاطين شديدى الحرص على تأييد سلطته ، وكانوا يفزعون اليه كلما حزبهم أمر (٢) .

ومن هنا ندرك مدى المكانة التى تهيأت لأبى السعود بولايته منصب الافتاء ، ولاريب فى أن بقاءه فى هذا المنصب ثلاثين سنة حتى انتقل الى جوار ربه ، دليل أكيد على ما كان يتمتع به من تعظيم وتقدير .

علمه وفضله :

احتل أبو السعود مكانة سامقة فى العلم ، وتبوأ رتبة سامية فى الفضل ، فكان رحمه الله فقيها أصوليا مفسرا شاعرا عارفا باللغات العربية والفارسية والتركية ، وكان يكتب جواب الفتوى على منوال ما يكتبه السائل ، واقعا على لسان العرب والعجم والروم من المنثور والمنظوم (٣) . « فان كان السؤال منظوما كان الجواب منظوما ، وان كان السؤال نثرا كان الجواب مثله ، وان كان بلغة العرب فالجواب بلغة العرب ، وان كان بلغة الترك فالجواب بلغة الترك ... وهكذا مما يشهد للرجل بسعة أفقه ، وغزارة مادته » (٤) .

وقد أطنب مترجموه فى الثناء عليه فقال اللكنوى : شيخ كبير وعالم نحرير ، لا فى العجم له مثيل ولا فى العرب له نظير ، انتهت اليه رياسة الحنفية فى زمانه وبقى صدة العمر فى الجلالة وعلو الشأن .... (٥) . وقال عنه متوق : كان من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها ، وضربت له نوبة الامتياز فى مشارق الأرض ومغاربها ، تفرد فى ميدان فضله فلم يجاره أحد ، وضاقت عن احاطته صدور الحصر والحد .... (٦) .

ومما أخذ عليه ميله الزائد الى أرباب الرياسة ، والاكتراث بمداراة الناس ، ولعل مما يؤكد هذا ما ذكره فى مقدمة تفسيره من مغالاة فى مدح السلطان سليمان ، واسراف فى خلع الألقاب عليه .

وهذا لا يقلل من شأنه وفضله ، ولا يضعف من جهوده فى خدمة الدين والعلم ، ويكفيه أنه استطاع مراجعة قانون الأراضى فى أوربا ، وأخذ فيه بمبادىء الشريعة الاسلامية ، ونجح وهو شيخ الاسلام فى أن يطوع القانون

---

(١) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٨٣ ــ ٢٨٦
(٢) الاتراك العثمانيون وحضارتهم : ١٠٦ ــ بروكلمان .
(٣) معجم المؤلفين : ١١ ــ ٣٠١
(٤) التفسير والمفسرون : ١ ــ ٣٤٦ د . محمد حسين الذهبى .
(٥) الفوائد البهية :٨١ .
(٦) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٨٩

الادارى فى الــدولة العثمانيــة للشريعــة الاسلامية (١) •

نثره وشــعره :

ملك أبو السعود زمام التعبير بالعربيــة نثرا ونظما ، حتى تعجب معاصروه من ذلــك ،قال الشيخ قطب الدين المفتى : اجتمعت بــه وهو قاضى اسطنبول سنة ٩٤٣ هـ ، فرأيتــه فصيحا ، وفى الفن رجيحا ، فتعجبت من تلك العربية ممن لم يسلك ديار العرب ، ولا محالة أنها من منح الرب (٢) • وكان رحمــه اللــه واسع التقرير سائغ التحرير ، يلتقط الدر من كلمه ، ويتناثر الجوهر من حكمــه ، اذا نثر تراه بحرا زاخرا ، واذا نظم قلد جيــد البيان درا فاخرا ••• (٣) •

وله بعض الرسائل الأدبية ، ومنها رسالــة أرسلها الى أحبابه يقول فيها : وأمــا حــال البعاد ، من آلام النأى والبعاد ، وما دهمه من تباريح الشوق والغرام ، واعتراه من لواعج الوجد والأوام (٤) مذغاب طلعتكم عن العين ، ونعب بيننا غراب البين ، وزمت الركاب للرحال، وانبت من بيننا حبل الاتصال ، فلا يحيط بها نطاق التحرير ، ولا يعلمها الا العليم الخبير(٥) ونلحظ فى هذه الرسالة شيوع الســجع ، والجناس وغيرهما من فنون البديع ، ودوران الجمل حول معان متقاربة ، وهى لا تخرج عن الطريقة السائدة فى هذا العصر •

ولأبى السعود شعر كثير فى أغراض مختلفة ومن جيد شعره قصيدته فى رثاء الســلطان سليمان القانونى ، ومطلعها :

أصــوت صاعقــة أو نفخة الصور
والأرض قد ملئت من نقر ناقــور
أصــاب منها الورى دهيــاء داهية
وذاق منها البرايا صعقة الطــور

وهى قصيدة طويلة فيها تصوير لما أصاب الناس والبلاد من هول بموت سلطانهم ، وبيان لمكانته فى قلوب المسلمين ، وحديث عن أخلاقه، وجهاده العظيم فى رفع راية الاسلام •••(٦)•

وشعر أبى السعود لا يخلو من عيوب فى شكله، كما أنه ضعيف العاطفة ، محدود الخيال ولكنه اذا قورن بما قيل من شعر فى عصره فانه يحتل مكانة جيدة •

آثــــاره :

عمل أبو الســعود منذ ســن مبكــرة فى التدريس ، وولى القضاء ، وارتقى منصــب الافتاء ، وكانت هذه الأعمال سببا فى قلــة مصنفاته ، وقد ذكرت له كتب التراجم عددا من الرسائل والكتب ، أهمها : (٧)

١ ــ تحفة الطلاب فى المناظرة •
٢ ــ رسالة فى المسح على الخفين •

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ١ ــ ٤٨٩
(٢) النور السافر : ٢٤٠ •
(٣) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٩١
(٤) الاوام بالضم : شدة العطش وحره
(٥) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٩٢
(٦) تنظر القصيدة كاملة فى حاشية السقا : ١ــ٢١
(٧) ينظر العقــد المنظوم : ٢ ــ ٢٩٠ ، ومعجم المؤلفين : ١١ ــ ٣٠٢

٣ ـ رسالة فى مسائل الوقوف .
٤ ـ رسالة فى تسجيل الأوقاف .
٥ ـ قصة هاروت وماروت .
٦ ـ بعض الحواشى على الكشاف .
٧ ـ حاشية على العناية من اول كتاب البيع من الهداية .
٨ ـ بضاعة القاضى فى الصكوك .
٩ ـ تهافت الأمجاد فى فروع الفقه الحنفى
١٠ ـ رسالة فى البنج والحشيش وتحريمهما
١١ ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، وهو تفسيره الجليل الذى سنعرض له بالتفصيل .

ومن التأمل فى مصنفاته نجد أكثرها فى الفقه وأمور القضاء فهى تتلاءم مع طبيعة الاعمال التى تولاها ومارسها .

وفاته :

ظل أبو السعود فى منصب الافتاء مكرما مهابا ، يفتح أقفال المشكلات ، ويسهل طرق المعضلات ، الى أن لقى ربه فى الثلث الأخير من ليلة الأحد ، خامس جمادى الأولى سنة ٩٨٢ هـ (١) .

وذكر الشيخ رشيد رضا أنه توفى سنة ٩٨٣ هـ ، وذكر الشهاب الخفاجى أنه توفى سنة ٩٨٥ هـ (٢) وهذا غير صحيح لأنه توفى فى حياة السلطان سليم الثانى وهو قد توفى فى الثامن عشر من رمضان سنة ٩٨٢ هـ (٣) أى بعد وفاة أبى السعود بفترة وجيزة .

وقد وهم صاحب النور السافر حين قال : ان وفاته كانت فى شهر جمادى الآخر سنة ٩٥٢ هـ وذلك لأنه من الثابت أن أبا السعود قلد منصب الافتاء فى عهد السلطان سليمان وعاش بعد وفاته ، والسلطان سليمان توفى سنة ٩٧٤ هـ (٤) .

ومما هو جدير بالتنبيه عليه ، أن الطبعات المتداولة من تفسير أبى السعود كتب عليها أنه توفى سنة ٩٥١ هـ وهذا غير صحيح كما بينا ، والصحيح ما ذكرنا أولا .

ونظرا لمكانة أبى السعود فقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان وخلق لايحصون كثرة ، ودفن بجوار مرقد أبى أيوب الأنصارى ، وصلى عليه فى الحرم صلاة الغائب ... (٥) .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منازل الصديقين بما قدم للاسلام والمسلمين ...

وقد رثاه كثيرون ، منهم صاحبه السيد مصطفى بن السيد حسن الذى رثاه بقصيدة جاء فيها :

شمس البلاد وصدرها ورئيسها
مفتى الأنام وواحد الأقطاب

(١) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : ٣ ـ ٣٦ .
(٢) ينظر تفسير المنار : ١٢ ـ ١٤٧ ، وحاشية الصفا : ١ ـ ١٠ .
(٣) الكواكب السائرة : ٣ ـ ١٥٦
(٤) النور السافر : ٢٣٩ ، والفوائد البهية : ٨٢ ، والاعلام : ٧ ـ ٢٨٨ .
(٥) العقد المنظوم : ٢ ـ ٢٨٨ ، والنور السافر : ٢٤١ .

قد كنت بحرا للشريعة لم تزل
تلقى لنا در الكلام عجاب
ما لعلم الا ما حويت حقيقة
وعلوم غيرك في الورى كسراب
أمسيت جارا للكريم وجاره
في جنة ومكارم وشراب
يارب روح روحه بسعادة
وكرامة في جنة وثواب (١)

ثانيا : تفسير أبي السعود ومنهجه :

تفسير أبي السعود المسمى « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » يحتل مكانة عظيمة في مكتبة التفسير ، وهو يعد ثاني تفسير تناول القرآن الكريم من الناحية البيانية بعد تفسير « الكشاف » للزمخشري ، وسنبين فيما يلي سبب تأليف هذا التفسير ، ومنهجه ومكانته .

سبب تأليفه:

يحدثنا العلامة أبو السعود في مقدمة تفسيره عن البواعث التي جعلته ينهض لعمل تفسيره فيقول ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلات ـ القرآن الكريم ـ أساطين ائمة التفسير في كل عصر من الأعصار ... أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني ، وتشييد المباني وتبيين المرام ، وترتيب الأحكام ... وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابداء خباياه الفائقة ، ليعاين الناس دلائل اعجازه ، ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه ... فدونوا أسفارا بارعة ، جامعة لفنون المحاسن الرائعة ... لا سيما « الكشاف » و « أنوار التنزيل » ... فان كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي احراز ، كأنه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز ... ولقد كان في سوابق الأيام ... أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما ... يدور في خلدي أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق ، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق ، وأضيف اليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق ... وأسلك خلالها بطريق الترصيع ماسنح الفكر العليل ... وسمح به النظر الكليل من تحقيقات ... وتدقيقات ... وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون ، في خزائن المكنون ، ماتطمئن اليه النفوس وتقر به العيون ... وأهديها الى الخزانة العامرة ... لجناب السلطان ... سليمان خان ... (٢)

فهذا النص يبين دافع أبي السعود على تأليف تفسيره ، وهو يتلخص في رغبته في تصنيف تفسير يجمع درر « الكشاف » للزمخشري ، و « أنوار التنزيل » للبيضاوي وغيرهما من الكتب القيمة ، ويضيف الى ذلك ما يسمح به نظره ، ويجود به عقله من

(١) تنظر القصيدة كاملة في النظوم : ٢ ـ ٣٠٢

(٢) تفسير أبي السعود : ١ ـ ٤ ، ٥

تحقيقات وتدقيقات ، ويرتب هذه المادة على نسق بديع ، يبرز أسرار التنزيل ويظهر عظمة الكتاب الجليل ، ويهديها الى الخزانة السلطانية .

تحقق رغبة أبى السعود :

ظلت رغبة أبى السعود تراوده ، وكان يتردد فى الاقدام على تحقيقها ، ثم شغلته أعمال القضاء فترة من الزمان ، وتولى منصب الافتاء فزادت أعماله ، وتضاعفت مسئولياته ، ومع كل هذا فقد عزم على انفاذ بغيته ، واخراج أمله الى حيز الوجود .

ويحكى أبو السعود هذا فى مقدمة تفسيره فيقول : وكنت أتردد فى ذلك (١) بين احجام واقدام ... ومضت السنون ... فابتليت بتدبير مصالح العباد ، برهة فى قضاء البلاد ، وأخرى فى قضاء العساكر والأجناد ، فحال بينى وبين ما كنت اخال ، تراكم المهمات وتزاحم الأشغال .. وكنت أقدر فى نفسى أن أنتهز نهزة من الدهور ... وأتصدى لتحصيل ماعزمت عليه ... حتى بدا لى ما لم يخطر بالبال ... أمرت بحل مشكلات الأنام ... فلقيت معضلة طويلة الذيول ، وصرت كالهارب من المطر الى السيول ، فجعلت أتمثل بقول من قال :

لقد كنت أشكوك الحوادث برهة
واستمرض الايام وهى صحائح

الى أن تغشتنى ــ وقيت ــ حوادث
تحقق أن السالفات منائح

فلما انصرمت عرى الآمال ، عن الفوز بفراغ البال ، ورأيت الفرصة على جناح الفوت ... ودنا الأجل من الحلول ، وأشرفت شمس الحياة على الأفول ، عزمت على انشاء ما كنت أنويه ... ناويا أن أسميه عند تمامه .. « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » ... متضرعا الى رب العظمة والجبروت فى أن يعصمنى من الزيغ والزلل ... (٢) .

وتروى الكتب أنه بلغ فى تفسيره الى سورة « ص » وأرسل هذا القدر الى السلطان سليمان فى شعبان سنة ٩٧٣ هـ ، وبعد ذلك تيسر له تمامه فأرسله الى السلطان بكماله ... (٣).

ومن هذا نرى أنه لم ينجز تفسيره مرة واحدة ، ولكنه كان يقتنص الفرصة تلو الأخرى ليكمل مشواره مع كتاب الله الكريم .

منهج أبى السعود فى تفسيره :

سلك أبو السعود فيه مسلكا دقيقا يتضح مما يلى :

١ ــ **الاهتمام بذكر المناسبات** ، فغالبا ما يبرز المناسبة بين الآية وما قبلها ، وفى بعض المواضع يبين ارتباط الجمل فى الآية ، وقد يوضح تلاؤم الفاصلة مع ماتقدم فى الآية (٤).

٥

---

(١) اسم الاشارة راجع الى ما حكاه من رغبته فى تفسير جامع ...
(٢) تفسير أبى السعود : ١ ــ ٥ ، ٦ .
(٣) كشف الظنون : ١ ــ ٦٧ ، والعقد المنظوم : ٢ ــ ٢٨٩ .
(٤) ينظر البلاغة فى تفسير أبى السعود : ٤٧٦ ــ ٤٩١ . مخطوطة بكلية اللغة العربية

٢ ـ الاهتمام بالمسائل النحوية ، فكثيرا ما يعرض لاعراب الكلمات ، ويبين مواقع الجمل ، واذا كانت الكلمة أو الجملة محتملة لأكثر من اعراب ذكره ، ويوضح المعنى على كل اعراب ، وقد يرجح اعرابا منها ، ويذكر علة الترجيح (١) .

٣ ـ الاهتمام الفائق بالمباحث البلاغية ، والعناية التامة بابراز أسرار التعبير القرآني ، فلقد تأمل أبو السعود كتاب الله الكريم ، بعقل دقيق وحس مرهف ، ونظر ثاقب ، فوقف عند الفاظه مبينا دقة مواقعها ، وروعة دلالاتها ، ونظر في تراكيبه موضحا براعة نظمها ، وعظمة أسرارها واجتهد في الكشف عن بدائع النظم القرآني ، فجاء تفسيره مرآة تتجلى على صفحتها دلائل الاعجاز ، وتسطع على جبينها شواهد الفضل والامتياز ، ومن دلائل عنايته بهذه الناحية أنه قد يذكر في الآية أكثر من عشر نكات بلاغية (٢) .

ويمكننا أن نقول : ان تفسير أبي السعود جاء تطبيقا بارعا لمسائل البلاغة في ظلال القرآن الكريم ، والناظر في تفسير أبى السعود يدرك أنه أملم أثر خالد من آثار البلاغة التطبيقية ، التي تقوم على تحليل الأساليب تحليلا دقيقا ، يكشف عن ابداعها الفني ، وقيمها الجمالية ، وعوامل تأثيرها في النفوس .

٤ ـ قلة اهتمامه بعرض القراءات القرآنية وذكر الأحكام الفقهية ، واذا عرض لشيء من ذلك ففي ايجاز وبقدر ما يوضح المراد .

٥ ـ الاقلال من ذكر الاسرائيليات التي ملأت كثيرا من كتب التفسير ، وفي بعض المواضع يصرح ببطلانها .

وفي ذكر قصة « هاروت وماروت » يحكي ماقيل في شأنهما من اسرائيليات ثم يقول : وهذا مما لاتعويل عليه ، لما أن مداره رواية اليهود ، مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل (٣) .

وهذا مما يحمد لأبي السعود ، ويضاعف من مكانة تفسيره .

٦ ـ ذكر آراء العلماء منسوبة الى أصحابها أو غير منسوبة ، والاهتمام بمناقشتها ، وبيان الراجح منها بالدليل ، وعلى سبيل المثال ، في تفسير قوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين » يقول : « رهين » قيل : هو فعيل بمعنى مفعول ، والمعنى كل امرىء مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح ، فان عمله فكه ، والا أهلكه ، وقيل : بمعنى الفاعل ، والمعنى كل امرىء بما

(١) تفسير أبي السعود : ١ ـ ٣٦ ، ٤ ـ ١٥٢ ، ٨٧ .
(٢) السابق : ١ ـ ٥٢ ، ١٤١ . وغير ذلك .
(٣) السابق : ١ ـ ١٣٨ ، آية : ١٠٢ . البقرة

كسب راهن أى دائم ثابت ، وهذا أنسب بالمقام ، فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ... .

وقد ناقش أبو السعود كثيرا من آراء الزمخشرى والبيضاوى مناقشة تظهر مدى الاهتمام بالتدليل على مايذهب اليه من آراء (١) .

وعلى الجملة فمنهج أبى السعود فى تفسيره يتسم بالدقة والوفاء بالمقصود ، ولم يخرج فى تفسيره الى ابحاث جانبية الا ما كان متصلا بمضمون كلامه فى الآية .

وهناك بعض المآخذ التى وجهت الى تفسيره ومنها : ذكره فى آخر كل سورة حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضلها ، وما لقارئها من الأجر عند الله ، مع أن معظمها موضوع باتفاق أهل العلم (٢) وروايته لبعض القصص من طريق الكلبى عن أبى صالح ، مع أن الكلبى متهم بالكذب (٣) .

ولاشك أنه تابع فى هذا من تقدمه من المفسرين ، وهو لايقلل من قيمة تفسيره ، بجانب مميزاته العديدة .

مكانة تفسير أبى السعود :

حظى تفسير أبى السعود بمكانة عظيمة بين كتب التفسير ، ونال شهرة واسعة لدى العلماء وطلاب العلم ، نظرا لدقة مباحثه ، وغزارة مادته ، وبعد عن التطويل فى المباحث الجانبية .

وقد أثنى عليه المتقدمون والمتأخرون ، فصاحب العقد المنظوم يقول : وقد أتى أبو السعود فى تفسيره بما لم تسمع به الأذهان ، ولم تقرع به الآذان ، فصدق المثل السائر ، كم ترك الأول للآخر (٤) .

وصاحب الفوائد البهية يقول : وقد طالعت تفسير أبى السعود وانتفعت به ، وهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل متضمن لطائف ونكات ، مشتمل على فوائد واشارات (٥) .

وصاحب كشف الظنون يقول : وقد انتشرت نسخه فى الأقطار ، ووقع له التلقى بالقبول من الفحول والكبار ، لحسن سبكه ، ولطف تعبيره ، فصار يقال له خطيب المفسرين ، ومن المعلوم أن تفسير أحد سواء بعد الكشاف والقاضى لم يبلغ الى ما بلغ من رتبة الاعتبار والاشتهار ، والحق أنه حقيق به ... (٦) .

وبين الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مكانة تفسير أبى السعود فقال : ولقد تلقفه

(١) السابق : ٨ ـ ١٤٩ ، آية ٢١ ـ الطور .
(٢) ينظر البلاغة فى تفسير أبى السعود : ٥٢٨ ـ ٥٤٦ .
(٣ ، ٤) التفسير والمفسرون : ١ ـ ٣٤٩ ، ٣٥١
(٥) العقد المنظوم : ٢ ـ ٢٨٩
(٦) الفوائد البهية : ٨٢
(٧) كشف الظنون : ١ ـ ٦٧ .

الناس منذ بروزه بالاعتناء ونظروا اليه بالاعجاب فشاعت نسخه الخطية شرقا وغربا وملا برامج التعليم فى معاهد البلاد الاسلامية قاطبة ...(٤) .

وأثنى عليه الدكتور محمد حسين الذهبى فقال : والحق أن هذا التفسير غاية فى بابه ونهاية فى حسن الصوغ وجمال التعبير ، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد اليه ، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، وشهد له كثير من العلماء ، بأنه خير ما كتب فى التفسير (٥) .

وما سبق من ثناء العلماء وغيره مما لم نذكره يدلنا على المكانة الجليلة لتفسير ابى السعود . ومما لا شك فيه ان ابا السعود بنظراته البيانة الدقيقة فى تفسيره يقف فى مصاف كبار العلماء الذين اسهموا فى ايضاح دلائل الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ، والكشف عن اسرار لغتنا العربية المجيدة ، التى تنزل بها الوحى الالهى على خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم .

د . الشحات محمد عبد الرحمن

(٤) التفسير ورجاله : ١١٣ .

(٥) التفسير والمفسرون : ١ ـ ٢٤٧




السنة .. علما وحياة

مخالطة الناس

للأستاذ/ على أحمد على الزيدى

قال عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه :
« ... (١) خالط الناس ، ودينك لا تَكْلِمَنَّه »

قال الامام شهاب الدين ابن حجر العسقلانى:

« هذا الأثر وصله الطبرانى فى « الكبير » من طريق عبد الله بن باباه . عن ابن مسعود قال : خالطوا الناس وصافوهم بما يشتهون ، ودينكم لا تَكْلِمُنَّه واخرجه ابن المبارك فى كتاب « البر والصلة » من وجه آخر عن ابن مسعود بلفظ : « خالقوا الناس ، وزايلوهم فى الأعمال » وعن عمر مثله لكن قال : ... وانظروا الا تكلموا دينكم » .

❋ ❋ ❋

الاسلام دين جامع ، وكيان كامل يتمثله المؤمن فى أعماقه وصار فؤاده عن حب له ، وشغف به ، وتقدير لمقوماته .

والمسلم مؤتمن على هذا الدين ؛ فانه وديعة الله فى قلبه ، ان شاء عُنِيَ بها وحافظ عليها فأداها — الى ربه سبحانه — على خير حال .

وان شاء تلاعب بدينه وانتقص منه فظمن وديعة ربه وخان أمانته ، وجعل دين الله هُزُءَةً بين النـاس .

والمسلم — كأى انسان-أكثر حـاجة الى المجتمع منه اليه ، إذ يندر جـدا أن يكـون للمجتمع حاجة الى انسان — بعينه ، وانمـا يكون ذلك حين يتميز انســان — وحـده — بتخصص دقيق فريد تشتد حاجة الانسانيـة اليه ، مثل هذا — اذا لقى ربه — تكون صدمة المجتمع فيهجليلة ، ورزؤه عظيمـا ، وتظـل

(١) صحيح البخارى — كتاب الادب . الكلم : الجرح وزنا ومعنى .

مصيبته جائحة ينوء بها المجتمع الى أن يحين حينُ الله ، فيملأ فراغه عالم .

ومن هنا كانت المصيبة في فقد النبي ﷺ أعظم ، اذ لا نبي بعده .

* * *

المسلم — إذاً — في حاجة الى المجتمع لسد حاجته ، ولكي تجد حياته — في دنياه — سبيلها الى عيش يَتَسَلَّمُ — بقدر الامكان — من المشقة،والى صداقة يسلم بها من السأم ، والى أكثر من علاقة لتشيع الطمأنينة — في نفسه — من أجل الزوجة او الأبناء،ثم ينبغي الا ننسى أننا نعيش قرنا يَأْرِزُ العالم فيه بعضه الى بعض بسرعة مذهلة حتى ليكاد يكون العالم وطنا واحدا .

والمسلم — خاصة — ليست علاقته بالمجتمع الانساني قاصرة على الأخذ والعطاء ، ولا العمل ذي « المقابل » وحده .

ان المسلم مطالب بـ « إضافة » خارجة عن مبدأ « المقابل » وهذه الاضافة تتمثل في أمرين :

(أ) في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .

(ب) وفي ممارسته الشخصية لهذا المبدأ بداية من أدنى الأشياء وانتهاء بمستوى الذروة من الايمان .... من ممارسة إماطة الأذى عن الطريق إلى التبسّم للناس إلى ذروة حب الله ، والحب في الله .

* * *

والأثر الشريف تجرى فيه أصول ثلاثة ، هي : الدين ... المخالطة ... الناس .

فأما « المخالطة » فتنتشر بين الناس في عديد من العلاقات التي ينبغي علينا تحديد بعضها ابتداء بالقرابة وانتهاء بالمصاحبة ، فهي القرابة : والصق الأقرباء الزوجة والولد ثم تتسع الى ما شاء الله ، فالجوار ، فالزمالة والصداقة ، والمعاملة والمصاحبة (١) ، والمعرفة الخ .

وأما الناس ، فأنت واقع بينهم على أصناف تختلف من حيث الخُلُق ... والثقافة ... والتدين ... والصنعة ... والوطن .

وأما الدِّين في الأثر الشريف فهو الاسلام ...

الاسلام الذي يجب ان تتمثله في ضمير كيانك كله حتى تصير « اسلاما متحركا » وحتى تكون « شخصية اسلامية » متميزة ، تعلن عن نفسها في غير كبر ، وتعتز بكيانها بكل عزة ...

(١) المصاحبة مجرد لقاء شخصين او اكثر في امر ، ولو اختلفت نظرة كل منهم اليه او تباغضوا فيه ، من هنا صح ان تقول — لصديقك،وقد مر امامكما عدوّله ، تقول له:هذا صاحبك .

للناس منها بشاشة الوجه ، وجمال السريرة ، وحب النفع لهم وجمال المـــرح فيهم دون انقبـــاض عنهم ، أو تجهم لهم ، أو تكبـر عليهم .

بهذا نخالط الناس ونتبسط معهم ، ونتلاقى بهم اجتماعيا ووجدانيا دون أن نُنْقِصَ مـن ديننا ، أو نجرحه لحساب هـذا أو ذاك ، أو نتنازل عـن شـخصيته أمـام أحـد : نمتنع عما نهانا عنه ديننا ، لأن ديننا منعنـا عنه ، ونُقْبِلُ على ما أباحه لنا باعتزاز بـه ، وفرح له .

* * *

وأولى الناس عندى بلفت أنظارهم الى هذا الأثـر الشريف أهـل التمثيـل .. المسرحى والسينمائى فـان منهم من يتجـاوز قـدره ويتناسى قيم الدين ومقـدساته ، فيرسـل النكات فيها ، يغفر الله لنا ولهم ويهـدينا وإياهم سـواء السبيل ، وفى هذا الحقل منهم كَلْمٌ للدين أى كَلْمٍ ، فأسماء الله الحسـنى ، وأوامر الدين ينبغى أن تكون فى دائرة جليلة القدر فى نفوسهم تحفظ وتصان لا أن تهـدر ويستضحك بها .

وهـذا الأثـر الجليـل جـامع لقـانون « الدبلومـاسية الاسـلامية » كلها وبخاصـة لمن يمثل دولته الاسـلامية خارج أرضـها فالدبلوماسى المسلم الذى يمثل بلدا اسلاميا فى أوربا أو أمريكا أو غيرهما ينجح كل النجاح اذا تحرك بشخصية اسلامية تعكس باعتزاز — فى نفوس من يتعامل معهم — قيم بلده وروحها وأصالتها .

وهو يمثل شخصه فقط ويسفر عن جـوهر نفسه ليس غير عندما يقيم عشـاء غربيـا مختلطا ، أو يحتسى خمرا ، أو يسمح بها ، أو يلبى دعوة من هذا القبيل ، اذ لا شىء مـن هذا كله له من مقومات البلاد الاسلامية (١) نصيب .

روى الامام أحمد — فى الزهد — بسـنده الى ابى سلمة .

قال : لم يكن اصحاب رسـول الله ﷺ متحرفين (٢) .. وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ، ويذكرون أمر جاهليتهم، فاذا اريد أحدهم على شىء من دينه دارت محاليق عينيه كأنه مجنون (٣) .

« على الزيدى »

(١) انظر للوزير المفوض : محمد حسنى عمر بك — القانون الدبلوماسى . المطبعـة الأميرية عام ١٩٤٦ .. ولعل ما فيه من أوضاع قد تغيرت الى أحسن — الكاتب .

(٢) كأنه يريد : متشـــددين ، أو متزمتين . نفى عنهم ذلك .. رضوان الله عليهم .

(٣) الامام أحمد بن حنبل — الزهـد ص ٢١٥ ار عمر بن الخطاب للنشر بولكلى — الاسكندرية .



أفضل الجهاد وأفضل الهجرة

عن أم أنس قالت : قال رسول الله ﷺ (عليك بالصلاة فانها افضل الجهاد ، واهجرى المعاصى فانها افضل الهجرة) .
رواه الطبرانى فى الكبير .

سبب الحديث :

عن أم أنس قالت : يارسول الله ، جعلك الله فى الرفيق الأعلى من الجنة وأنا معك ، علمنى عملا قال : عليك بالصلاة فانها أفضل الجهاد ، واهجرى المعاصى فانها أفضل الهجرة .

ما يشتمل عليه الحديث :

١ ــ معنى الهجرة .
٢ ــ أول هجرة فى الاسلام .
٣ ــ هجرة الرسول الى الطائف .
٤ ــ الهجرة الى المدينة .
٥ ــ الهجرة الى الله ، وهجرة السيئات أفضل الهجرة .
٦ ــ اقام الصلاة أفضل الجهاد .

البيان

١ ــ معنى الهجرة :

الهجرة من الهجر ، ضد الوصل ، وقد غلب على الخروج من أرض الى أرض ومن بلد الى آخر وترك الأولى للثانية .

والهجرة فى الاسلام : خروج المسلم من أرض مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينه الى أرض يمكنه فيها القيام بالشعائر الاسلامية .

٢ ــ أول هجرة فى الاسلام :

حينما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على أن يحميهم ، ويمنعهم مما هم فيه ، قال لهم : (لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) .

فخرج بعض المسلمين حينئذ الى أرض الحبشة فرارا بدينهم ، وكانت هذه أول هجرة فى الاسلام .

وحين يتعرض المسلم للفتنة ، أو يغلب على أمره ، فلا يستطيع اقامة الشعائر ، أو يتعرض لفقده دينه أو هلكته ، فان الهجرة تكون واجبة ، ذلك لأن الدين اذا فقد أو غلب عليه لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض ، اما اذا بقى الدين وقوى شأنه وارتفعت أعلامه ، وقامت فى المجتمع دعائمه ورسخت



للأستاذ محمد صابر البرديسى

في الأفئدة عقيدته فان كل شيء يعود الى أقوى مما كان عليه .

٣ ـ هجرة الرسول الى الطائف :

لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه أبو طالب وزوجته خديجة بنت خويلد ، ويفقد من حوله ممن كان في الظاهر حاميا لـه ومؤنسـا .

ولما نالت قريش من النبي ما نالته من الأذى خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، ويدعوهم الى ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى .

ولما وصل ﷺ الى الطائف جلس الى نفر من ثقيف ، وأبلغهم دعوته ، ودعاهم الى الله ، فردوا عليه ردا منكرا ، وأغلظوا له القول ، ثم أغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه ، ولم يرجعوا عنه حتى وصل الى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة فكفوا عنه ثم استراح ﷺ في ظل شجرة ، وقد انهكه التعب والجراح فرفع يده الى السماء يدعو بهذا الدعاء .

(اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملكته أمري ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

ولما رأى صاحبا البستان (ابنا ربيعة) حالته هذه ، تحركت الشفقة في قلبيهما ، فدعوا غلاما لهما « نصرانيا » يقال له « عداس » فأرسلا اليه قطفا من العنب في طبق فلما وضع عداس العنب بين يدي الرسول ﷺ وقال له « كل » ، مد الرسول ﷺ يده قائلا « بسم الله » ثم أكل ، فقال عداس متعجبا : والله ان هذا الكلام ، ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول :

ومن أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني من نينوى (١) فقال الرسول ﷺ من قرية الرجل الصالح ، يونس بن متى ؟ فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه » (٢) .

ثم عاد رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة الى مكة روى البخاري ومسلم عن عائشة (رضى الله عنها) أنها قالت لرسول الله ﷺ : يارسول الله : « هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ، فقال : (لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ،

(١) قرية بالموصل .

(٢) من سيرة ابن هشام بتصرف ١ / ٤٢٠ .

اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم ، يجبنى لى ما أردت ، فانطلقت « وأنا مهموم » على وجهى ، فلم أستفق الا « بقرن الثعالب » فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال : ان الله عز وجل ، قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت ، قال : فنادانى « ملك الجبال » وسلم على ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بأمرك ، فما شئت ؟ ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين .

فقال رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا .

٤ ـ الهجرة الى المدينة :

ما من رسول دعا الى توحيد الله وعبادته الا عاداه قومه وآذوه ، وبسطوا فيه وفيمن آمن به أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وأرادوا أن يحملوه على الخروج من وطنه هو ومن آمن به .

ولقد أخذ البلاء يشتد على المسلمين من المشركين ، فضيقوا عليهم وتعبثوا بهم ، وألحقوا بهم الأذى والضرر ، فشكا أصحاب رسول الله ﷺ ذلك اليه ، واستأذنوه فى الهجرة فقال : « قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب (المدينة) فمن أراد الخروج فليخرج اليها » فهاجر كثير اليها .

فتتابع المسلمون فى الهجرة الى المدينة فلم يبق بمكة الا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلى أو من لا يستطيع الهجرة لحبسه أو مرضه أو ضعفه عن الخروج .

ورأت قريش أنه قد صارت لرسول الله وأصحابه بالمدينة منعة وقوة فخافوا من خروج رسول الله وأن يكون قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا فى دار الندوة (وهى دار قصى ابن كلاب) (وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها) .

وبعد مناقشات قرروا قتله ، فأخبره الله بذلك ، وأمره بالهجرة ، فامتثل الرسول ﷺ للامر .

وصل رسول الله ﷺ « قباء » وأقام فيها بضعة أيام وأسس النبى ﷺ هناك « مسجد قباء » وهو المسجد الذى وصفه الله بقوله « لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ » الآية .

ثم واصل سيره الى المدينة ، فالتف من حوله الأنصار وأقام فيها وأسس فيها دولة الاسلام .

يقول أنس ـ رضى الله عنه : شهدت رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة فما رأيت يوما قط أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا .

٥ ـ الهجرة الى الله وهجرة السيئات افضل الهجرة :

المؤمن الصادق هجرته تكون خالصة لله وحده ، يبتغى بها مرضاة الله ورسوله ، صفت بها نفسه ، واطمأن لها قلبه ، وتمحصت هجرته لوجه الله الكريم .

المؤمن يعيش حياته فى هجرة الى الله ورسوله ، يهاجر الى الله بعلمه ، ويهاجر الى الله بعمله الخير ، بل ان عبادته كلها تتسم بالهجرة الى الله والانابة اليه ، والاتصال به ، فهو مهاجر الى الله فى كل ميادين الحياة .

والهجرة فى ميادين الحياة ، والهجرة من بلد الفتنة والشرك ، الى بلد الطاعة ، والهجرة لصالح الاسلام والمسلمين ، والهجرة لملاقاة العدو ، هذه هجرات لا تنقطع ، وتسد مكان الهجرة فى الأجر ولا ينقطع أجرها الى قيام الساعة ، يقول الرسول ﷺ (ان الهجرة لا تنقطع مادام الجهاد) (١) .

وقال ﷺ (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية) (٢) .

ولئن كانت الهجرة قد فاز بها الأولون ، ولم يعد بعد الفتح لمكة هجرة الى المدينة فان هناك نوعا آخر من الهجرة لم يغلق بابها وهى أساس كل هجرة وروحها ، وهى هجرة القلوب ، عن الفحش والمنكر ، ولهذا يوصى رسول الله ﷺ أم أنس وايانا فيقول لها : « واهجرى المعاصى فانها أفضل الهجرة »

والمعاصى ، عصيان الله ورسوله ، ترين على قلوب أصحابها فتغلقها (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٣) .

ولا ثمرة فى اسلام بأذى ، ولا فى ايمان بفحشاء ومنكر ، ولا فى هجرة ببغى وعتو وغلظة ، قال رسول الله ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من آمنه الناس على أعراضهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) (٤) .

فالهجرة هجرتان : احداهما التى وعد الله عليها الجنة فى قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) (٥) .

فكان الرجل يأتى النبى ﷺ ويدع أهله وماله ، لايرجع فى شىء منه ، وينقطع بنفسه الى مهاجره ، وكان النبى ﷺ يكره أن يموت الرجل بالأرض التى هاجر منها ، وقال حين قدم مكة « اللهم لا تجعل منايانا بها » فلما فتحت مكة صارت دار اسلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة ، قال الرسول ﷺ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) (٦) أى يسدان مكانها فى الأجر » .

والهجرة الثانية : من هاجر من الأعراب وجاهد وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر ، وليس

(١) رواه احمد .
(٢) رواه احمد والنسائى .
(٣) سورة المطففين آية ١٤ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) التوبة : آية ١١١ .
(٦) رواه احمد والنسائى .

يداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة ، وهـو المراد بقوله ﷺ « لا تنقطـع الهجـرة حتى تنقطع التوبة) .

وقوله ﷺ (ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبـولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فاذا طلعت طبع على كل قلب ، بما فيه ، وكفى الناس العمل) (١) .

فالهجرة بمعنى الجهاد بأوسع معانيه هجرة لا تنقطع ، ولا ينقطع أجرها ، وستبقى الـى قيام الســاعة .

اقــام الصــلاة أفضــل الجهــاد :

الصــلاة عبادة روحية وجســدية ، وكانت أفضل الجهاد لأن كل العبادات فى جــوف الصلاة ، فيها شهادة التوحيد ، وفيها الصبر ببعـد المصلى عن كـل شراب وطعــام وشهوة وفيها الزكاة بالوقت الــذى ينفقـه المصلى بما يستغرق وضوءه وصلاته ودعاءه ، وفيها الحج باستقباله الكعبة التى جعلها الله مثابة للناس وأمنا .

وقد التزم رسول الله ﷺ السجود وألزمه أمته ، فكان يرى ساجدا آناء الليل وأطراف النهار ، ولما خوطب فى ذلك قــال : (أفــلا أكون عبدا شكورا) (٢) وطلب منه ربيعة بن كعب دعوة تنجيه من النار فأرشده الى كثرة السجود ، وقال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ســاجد » (٣) .

وصــلاة تجمع هذه المزايا لا شك أن فضلها كبير وثوابها عظيم قال ﷺ .

أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتســل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنـه شىء ، قالوا لا يبقى من درنه شىء ، قــال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحــو الله بهن الخطايا) (٤) .

لقد أعطانا الحديث الشريف معطيات جمة أهمها :

« ان الصلاة أفضل العبادات لأنها تنتظمها وتحتويها بما فى ذلك جهاد العدو لأنها روحـه ووقوده ، ومدده ، تمده بالصبر حتى النصر .

وان هجرة المعاصى أفضــل الهجرات كلها بعد الهجرة من مكة الى المدينة فى ابانها فى عهد رسول الله ﷺ قبل الفتح .

والمسلمون اليوم فى حاجة الى الهجرة الى الله بامتثال أمره واجتنــاب مــا نهى عنه والى العمل الجاد المخلص ، والتضـــحية بالنفس والمال وكل عزيز فى سبيل الله ، حتى يتحقــق لهم الفوز والنصر .

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٥) .

والله المـوفق ..

محمد صابر البرديسى

وددنا لو ان الكاتب اورد مصدر الحديث .

(١) أخرجه الامام أحمد وابن كثير فى التفسير من رواية الامام أحمد وسنده حسن .

(٢) أخرجه مسلم ٢١٧١ ، ٢١٧٢ طبعـــة الحلبى .

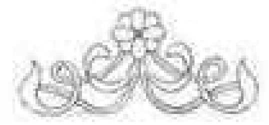
(٣) مسلم عن أبى هريرة .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

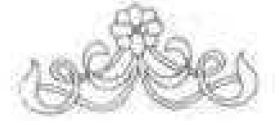
في الشريعة

حول طفل الأنابيب



نحن والتاريخ.. ديوان العبر

الزكاة أداة للنهضة الاجتماعية





حول طفل الأنابيب

نشرت مجلة الوعي الاسلامي في عددها رقم ٢٣٨ الصادر في شوال ١٤٠٤ هـ يوليو ١٩٨٤ مقالا لأستاذنا الفاضل الشيخ بدر المتولي عبد الباسط تحت عنوان « طفل الانابيب » .

ولقد كان الحديث فيما مضى عن مثل هذا الموضوع من قبيل الترف العلمي اذ كانت مثل هذه الامور من قبيل الافتراض . أما وقد أصبح الأمر حقيقة علمية ملموسة فلا بد اذا من بيان رأى الاسلام فيها وفيما يستجد من مثلها من قضايا ذات تأثير على حياة الناس .

ولفضيلة الباحث من الأساتذة الذين لرأيهم وزنه وتقديره .

ذكر أستاذنا في مقاله أنه « استطلع آراء أهل الذكر وهم الأطبــاء ، وتبين له أن تلقيح البييضة خارج الرحم له ثلاث صور :

أولاها : أن تؤخذ البييضة من المرأة وتلقح بماء زوجها ثم تعاد الى رحمها ويلجأ الى ذلك اذا كان هناك انسداد في قناة (فالوب) يمنع وصول البييضة من المبيض الى الرحم .

وذكر فضيلته أن هذه الصورة مباحة حيث ان البييضة لقحت بماء الزوج وأعيدت الى نفس المرأة . ولا شبهة في نسب الطفل الى كل من الأب والأم . وان كان لفضيلته تحفظ على هذا العمل حيث يرى وجوب الاحتياط حفاظا على الانساب وخوفا من وقوع خطأ — كما هو مشاهد في المختبرات . والخطأ في غير الانساب قد يحتمل ، أما في الانساب فخطره كبير ، وضرره عظيم اذ يترتب عليه نسبة طفل الى غير والديه ، وما يتبع ذلك من حل ما حرم الله ، وحرمة وما أحل الله ، وأخذ حق ليس له من ميراث وغير ذلك من أحكام . وهذا التحفظ من أستاذنا الكبير نؤيده فيه ونؤكد عليه .

ثانيتها : أن تؤخذ البييضة من مبيض امرأة وتلقح بماء غير زوجها سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة وتعاد البييضة بعد التلقيح الى رحمها .

وهذا العمل محرم اذ لا علاقة بين صاحبة البييضة وبين الرجل صاحب الماء ومع هذه الحرمة فلا تأخذ حكم الزنا من وجوب الحد لعدم وجود صورة الزنا ، وان كانت تستوجب التعزير الشديد لكل من اشترك في هذه العملية سواء في ذلك المرأة والرجل والطبيب

وهذا الرأى من الوضوح بمكان .

ثالثتها : أن تؤخذ البييضة من مبيض امرأة وتلقح بماء زوجها وتوضع في رحم امرأة أخرى هي زوجة للرجل نفسه صاحب الماء . تتربى البييضة في رحمها حتى يكتمل نموها ويولد الطفل . وانما يلجأ الى ذلك اذا كانت الزوجة الأولى سليمة المبيض ولكن رحمها غير مهيء للحمل .



للأستاذ محمد محمد عباسى

ويرى فضيلته أنه لا حرمة فى هذه الصورة لوجود علاقة مشروعة بين الرجل وبين كل من صاحبة البييضة وصاحبة الرحم .

وينتهى فضيلته الى أنه لا شبهه فى ثبوت نسب الطفل الى أبيه حيث انه زوج لكلتا المرأتين ، والفراش قائم بينه وبينها .

ولكن الى من ينسب من ناحية الأم ؟

هل ينسب الى صاحبة البييضة ؟

أم الى صاحبة الرحم ؟

ويرى فضيلة الباحث أن الطفل ابن لمن حمله مستدلا على ذلك بقول الله تعالى : « إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ (١) » وكيفية الاستدلال أن هذا نص قطعى الدلالة والثبوت خاصة أنه جاء على صيغة الحصر .

ويقول الله تعالى : «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ (٢) » وصاحبة البييضة ما أحست بوهن فيه ولا مشقة .

ويقول الله تعالى « وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا » (٣) .

وليست صاحبة البييضة كذلك .

واعتبر فضيلته صاحبة البييضة كالدجاجة تبيض ولكن لا ينسب فرخها اليها بل الى الدجاجة التى حضنته .

وذكر أن البييضة الملقحة انما نمت وتغذت بدم التى حملتها وتحملت آلام الحمل وآلام المخاض فلا تقبل أن ينسب الولد لغيرها .

وبناء على ذلك يأخذ الطفل كل أحكام الولد بالنسبة لأمه التى حملته وتنسب اليها : غيرتها وترثه .

وتأخذ كل أحكام الولد بالنسبة للنفقة والحضانة وامتداد الحل والحرمة الى أصول الأم وفروعها وحواشيها الى غير ذلك من الاحكام .

أما صاحبة البييضة فقد تأخذ أحكام الأم المرضع حيث ان علة التحريم من الرضاع عند الحنفية هى الجزئية أو شبهتها . وهذا الطفل فيه جزئية من صاحبة البييضة فوجب حرمة الرضاع .

وصرح فضيلته بأنه لا يستريح الى هذا الرأى ويرى أن دور صاحبة البييضة هدر لا يترتب عليه أحكام .

وقاس ذلك على ما لو غذت المرأة طفلا رضيعا بدمها بالطرق المعروفة الآن — نقل الدم — حيث لا تترتب عليه أحكام الرضاع .

وكل ما فى الامر أن صاحبة البييضة لا تخرج عن كونها زوجة أب وما وراء ذلك أمر موهوم أكثر مما هو مظنون .

هذا ما انتهى اليه فضيلة الباحث .

ونظرا الى خطورة الامر ، وما قد يترتب

(١) الآية رقم ٢ من سورة المجادلة .
(٢) الآية رقم ١٤ من سورة لقمان .
(٣) الآية رقم ١٥ من سورة الأحقاف .

عليه من نسبة طفل الى غير أمه في الحقيقة ، واهدار أمومة حقيقية ، فانني أعرض على فضيلته ما هو معلوم من حقائق علمية مؤكدة راجيا منه اعادة النظر في الموضوع :

منها أن البييضة الملقحة هي أصل الجنين تحمل صفات كل من الأب والأم فهي اذا أساس بنيته وتكوينه ، ونجد الجنين انما يكون بتوالد الخلايا التي تحمل نفس الصفات الوراثية للخلية الأولى التي تكونت من البييضة وماء الرجل .

فالبييضة كالبذرة للنبات والرحم الذي يستقبلها كالأرض التي توضع فيها البذرة تساعدها على النمو بما تمدها به من غذاء فكيف تهدر علاقة صاحبة البييضة بالجنين ، وهو دور محقق ومؤكد وليس موهوما ولا مظنونا ؟ .

ثم اليست هذه الصورة شبيهة بما هو معروف في علم النبات بالتطعيم وهو أن يؤخذ غصن من شجرة ويوضع بطريقة خاصة في ساق شجرة أخرى من نفس الفصيلة ، وبعد فترة يلتئم الغصن مع الشجرة ويصبح جزءا منها تمده بالغذاء فينمو ويثمر ويظل محتفظا بكل صفاته الأصلية مع بقاء الشجرة التي وضع عليها على حالها . وقد يكتسب الغصن الوافد على الشجرة بعضا من صفاتها ، ولكنها صفات لاتنال من جوهره ، ولا تغير من طبيعته ، وهذه هي شبهة الجزئية .

ومن هنا نرى أن صاحبة البييضة هي الأم الحقيقية فينسب اليها ويرثها وترثه الى غير ذلك من الأحكام . ومن حملت تكون كالمرضع التي تغذي وترعى وتحضن وتثبت لها الآثار المترتبة على الرضاع من حرمة الزواج بأصولها وفروعها . لأن كلا من المرأتين « من حملت ومن أرضعت » غذت الطفل احداهما بدمها والأخرى بلبنها .

واما استدلال فضيلة الباحث بالآيات القرآنية فمردود . اذ أن الآية الاولى « إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ » انما جاءت ردا على من يظاهرون من زوجاتهم ــ بتشبيه الزوج بالام في الحرمة ــ بأن الامومة ليست قولا باللسان ، وانما هي حقيقة واقعة ترتب عليها أحكام معينة .

ونحن نقول ان صاحبة الرحم وصاحبة البييضة أم غير أن احداها أم من النسب وهي صاحبة البييضة ، والأخرى كالأم من الرضاع وهي صاحبة الرحم .

والحصر في الآية ليس حصرا حقيقيا بدليل أن هناك أمهات لم تلد . وهي الام من الرضاع «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ » (١) « وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ » « وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ »(٢) ولكل أحكام خاصة بها .

وقول الله تعالى « وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ » وقوله

(١) الآية رقم ٢٣ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٦ من سورة الاحزاب .

« حَمَلَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا » انما جاء لبيان سبب تخصيص الأم بالرعاية والاحسان ، وليس لبيان حقيقة الامومة .

والتنظير بالدجاجة التى تحضن البيض بأنها أم تنسب الفراخ اليها بعيد كل البعد عما نحن فيه ، فليس هناك آثار تترتب على على هذا النسب ، ومع ذلك اذا كان فى البيض الذى تحضنه الدجاجة بيضا لطيور أخرى كالبط والحمام ، هل تنسب البطة أو الحمامة الى الدجاجة .

واذا قيل ادعاء فهل هذا نسب صحيح ؟

والقول باهدار دور صاحبة البييضة بحيث لا يترتب عليه أحكام يحتاج الى نظر :

وذلك اذا أخذت بييضة من امرأة ما ولقحت بماء رجل غير زوجها ، ثم وضعت فى رحم امرأة أخرى هى زوجة الرجل صاحب الماء « وهذه الصورة لم ترد من بين الصور التى ذكرها أستاذنا » هل نستطيع أن نقول بجواز هذه الصورة ؟ واثبات النسب الى صاحبة الرحم .

أعتقد أن ذلك محرم كل التحريم .

وقياس دور صاحبة البييضة على دور المرأة التى تغذى طفلا رضيعا بدمها بالطرق المعروفة بنقل الدم ، حيث لا تترتب عليه أحكام الرضاع . قياس مع الفارق حيث ان البييضة ليست تغذية للجنين ، وانما هى أساس بنيته وتكوينه .

وانطلاقا من القاعدة الأصولية المقررة ــ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، يكون القول بتحريم هذه الصورة ــ لوجود الاشتباه فى نسب الطفل الى الأم ــ أقرب الى الاحتياط لاسيما فى أمر يمس كيان الانسان ووجوده .

وهناك صور عديدة أخرى للتلقيح الصناعى غير ما ذكره فضيلة الباحث وتحتاج الى بيان حكم الله فيها .

والبحث فى نظرى يحتاج الى بيان مناط الحل والحرمة فى التلقيح الصناعى .

هل هو فى وجود علاقة مشروعة بين الرجل وصاحبة البييضة ؟

أو بين الرجل وصاحبة الرحم ؟

أو بين الرجل وبين الاثنتين ؟

وأرى أن اشتراط العلاقة المشروعة بين الرجل وصاحبة البييضة على أن تكون هى صاحبة الرحم هو شرط الحل والجواز درءا للمفاسد واحتياطا للانساب .

وقد جاء فى المجلد التاسع من الفتاوى الاسلامية الصادرة عن دار الافتاء المصرية الفتوى رقم ١٢٢٥ فى التلقيح الصناعى ردا على استفسار تلقته الدار عن حكم الله فى التلقيح الصناعى عامة . وفى بعض صور معينة منه .

وانتهت الفتوى الى جواز التلقيح الصناعى اذا دعت داعية لذلك كان يكون بواحد من الزوجين ما يمنع حدوث الحمل بالطريق الطبيعى ، وأباحت الفتوى من الصور المستفسر عنها صورة واحدة ، وهى ما اذا كان تلقيح بييضة الزوجة بماء زوجها دون شك فى استبداله أو اختلاطه بماء غيره ثم اعادة هذه البييضة بعد التلقيح الى رحم نفس الزوجة .

وما عدا ذلك من الصور التى وردت و الاستفسار فهى محرمة اما لأنها فى معنى الزنا واما درءا للمفاسد التى تحملها .

ولما كانت قضية الأنساب من القضايا الهامة التى أولاها الاسلام كل الرعناية ، وحافظ عليها من العبث ، وصانها من الضياع .

وفى سبيلها حرم التبنى لما فيه من دخول عنصر غريب عن الأسرة يستبيح منها ما حرم الله عليه ، ويأخذ منها ما لاحق له فيه ، كما حرم الزنا وجعل له من العقوبات ما يصل به الى الرجم عند الاحصان ، وطالب المسلمين بالحزم وعدم التهاون فى تنفيذ العقوبة متى ثبتت الجريمة بشروطها المعروفة فى كتب الفقه ودعا الى أن يشهد الناس هذا العذاب .

« وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

بينما دعا الى العفو عن القصاص فى القتل ورغب فيه بعد ثبوت الجريمة وصدور الحكم بالقتل « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ » (٢) .

لما كانت قضية الأنساب لها كل هذا الاهتمام ، وكان موضوع التلقيح الصناعى ذا صلة وثيقة بها فقد أصبح أمره لا يحتمل الخلاف فى الرأى خاصة بعد أن أصبح التقاء العلماء والباحثين وتبادل الرأى أمرا ميسورا وانها لفرصة مواتية لنطالب مجمع البحوث الاسلامية (وهو معقد الأمل وموئل الرجاء فى حل مشكلات العصر) أن يخصص دورة من دوراته لبحث هذا الموضوع الهام الخطير قبل أن يستفحل الخطر ويستشرى الشر ونسمع فى بلادنا الاسلامية مانسمعه فى غيرها عن افتتاح بنوك لحفظ نطف الرجال ابتغاء نجابة النسل أو غير ذلك من الاغراض كما هو متبع فى تهجين الحيوانات وهى صور شبيهة بما كان فى الجاهلية من أنكحة باطلة حرمها الاسلام وقضى عليها . على أن يدعى الى هذا المؤتمر الجامع كل الباحثين والمتخصصين فى المؤسسات العلمية ذات الصلة بهذا الموضوع عسى أن ينتهى المؤتمر الى اجماع أو شبيه يضمن للمسلمين سلامة السلوك واستقامة الحياة

والتقصى والتهاون فى بيان رأى الاسلام فى هذه القضايا اصبح امرا غير مقبول ولا مستساغ .

نسأل الله لعلمائنا التوفيق والسداد ولامتنا الاسلامية الهداية والرشاد .

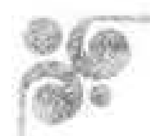
والله ولى التوفيق

محمد محمد عباس

---

(١) الآية رقم ٢ من سورة النور .

(٢) الآية رقم ١٧٨ من سورة البقرة .



نحن والتاريخ .. ديوان العبر

- ٣ -

مع القصة الباكية

للشيخ محمد حسام الدين

عندما تنبه المسلمون الى ما يجرى لهم في الهند على يد شركة الهند الشرقية الانجليزية كان الزمام قد أفلت من أيديهم ، وكانت الغفلة قد طالت بحيث تمكن الانجليز من السيطرة على نواصي الأمور ، واصبح للشركة قوات أوربية مقيمة بالهند ، بل وقوات من ابناء الهند أنفسهم ومن المسلمين ، تهيمن بها الشركة ، وتحكم البلاد .

وفي سنة ١٨٥٧ م انتفضت القوات الاسلامية التابعة لجيش شركة الهند الشرقية في البنغال ، لأسباب كثيرة ، من أهمها : أن الشركة تتخذ من الاجراءات ما يهدر حقوق المسلمين ، ولا يراعى المشاعر الاسلامية .

ومن ابسطها : انها تقدم الطعام للجيش مخلوطا بدهن الخنزير (١) .

واتسعت هذه الانتفاضة حتى غطت شمال وشرق البلاد ، وتوحدت الحركة الاسلامية بقيادة بقايا الأباطرة المغول في دلهى .

لكن الانجليز — بعد معارك عنيفة في مواقع عديدة — انتصروا بقواتهم ، ومعداتهم الأوربية ، وسقطت دلهى في أيديهم مرة أخرى سنة ١٨٥٧ م (٢) .

وكانت هذه الهزيمة من أشد الكوارث على المسلمين ، فقد انتهى بها الأمل في بقاء السلطان الاسلامى في الهند .

وفي أعقاب هذه الانتفاضة(٣) أعلن الانجليز انهاء حكم الأباطرة المغول ، وضم الهند الى البرلمان والامبراطورية البريطانية ، لتصبح أغلى جوهرة في التاج البريطاني (٤) .

وسارع الانجليز بعد ذلك الى تنحية

(١) دائرة المعارف البريطانية .
(٢) المصدر السابق .
(٣) وهى الانتفاضة التى اشتهرت بانتفاضة « سيبوى » يراجع تراث الاسلام — شاخت ص ٢٠٥ جـ ١ « عالم المعرفة » ١٩٧٨ م الكويت .
(٤) دائرة المعارف البريطانية .

القيادات الاسلامية عن ادارة الشـــئون فى البلاد ، وكانوا يتولونها فى مختلف الجوانب : السياسية ، والعسكرية ، والمدنية .

وعمد الانجليز الى تدمير الشـــخصيات الاسلامية البارزة تدميرا ماديا ومعنويا .

ثم الى تدمير الطبقة المتوسطة ـ فى المجتمع الاسلامى ـ وهى التى كانت تدير الأعمـال المالية ، والمهن العامة الحرة ، وتمسك بزمـام المجتمع الهندى .

وكان الانجليـز على معرفــة بأن حــرارة الايمان لا تخبو فى قلوب المؤمنين ، وأن وقدته تظل كامنة فى الجوانح تدعو الى المقاومة .

ومن ثم فقد وضعوا فى خطتهم أن يعملوا على سـحق المجتمع الاسـلامى ، وتجريدة ماديا ، ومعنويا (١) .

لقد عبر هنتر (٢) عن رأى الانجليز ، فكتب فى سنة ١٨٧١ م يقول :

« ان المسلمين فى الهند كانوا ، ولا يزالون مصدر الخطر الحقيقى ، والدائم على السلطان البريطانى فى الهند .

وانهم ـ لسبب أو لآخـر ـ يرفضـــون خطتنــا ، ويعتزلون نظامنا هنــاك ، وان التغييرات المرنة التى نجريها فى الهند ، والتى يتقبلها الهندوس فى ترحيب ، وسرور ، ينظر اليها المسلمون على أنهـا من أفسـد النظم وأشدها خطرا عليهم » (٣) .

لقد كانت الاجراءات التى اتخذتها شركـة الهند الشرقية « البريطانية » منذ سنة ١٧٥٧م معبرة عن نوايا الانجليز تجاه المسلمين .

ففى هذا التاريخ وقعت معركة « بلاسى » بين قوات الشركة والســلطان سراج الـدولة حاكم البنغال المغولى ، وهــزم الســلطان ، وأقامت الشركة سلطتها فى هذه الولاية .

وبعد ذلك بقليل فى ســنة ١٧٦٣ م قـام السلطان المغولى الضعيف « شاه علم » الثانى بمنح عائدات الأرض بالولايات الشـــمالية الهندية لشركة الهند الشرقية ، فمكن للشركة فى هذه الولايات ، وأعطاها ســلطة قــانونية على مساحة واسعة من البلاد (٤) .

وكانت اجراءات الشركة فى هــذه الــولايات جامحة مثيرة للقلق الاسلامى .

فلما صدر قرار الحـكومة البريطانيــة فى ١٨٥٧ م بضم الهنـد الى البرلمـان والتـاج البريطانى كانت اجراءات الحـاكم العـام الانجليزى بالهند منذ هذا التاريخ ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر تستهدف قلب أوضاع المجتمع الهنـدى ، وتغيير الظروف للمجتمـع الاسلامى هناك ، لتنتهى أحواله الى أسـوأ حـال (٥) .

لقـد احتفظ الانجليز لأنفسهم فى الهنـد بالمناصب العليـا القيــادية فى المنـاصب

---

(1) Emergence of Pakistan — P. 6.

(٢) مؤرخ بريطانى .

(3) Emergence of Pakistan — P. 6.

(٤) راجع دائرة المعارف البريطانية ـ وتراث الاسلام ـ شاخت ـ ص ٢٠٥ جـ ١ ـ ترجمة السمهودى ـ عالم المعرفة ١٩٧٨ الكويت .

(5) Emergence of Pakistan — CH-M-Ali — LAHOR 1979.

العسكرية ، والتشريعية ، والادارية المدنية .

وكان المسلمون من قبل ، فى عز الدولة الاسلامية يسيطرون على هذه الوظائف .

لكنهم لم يكونوا يحتكرونها لأنفسهم تماما ، ويركزونها فى أيديهم كاملة كما فعل الانجليز .

وكان الوضع الاجتماعي والاقتصادى لهذه القيادات الاسلامية العالية يعتمد على هذه الوظائف الحكومية .

فلما فقدوها فقدوا الوضع الاجتماعى ، بل وفقدوا وسيلة كسب المعاش .

أما الهندوس — وكانوا فى ظل الحكم الاسلامى يعملون فى الوظائف الثانوية من المناصب الادارية ، والعسكرية ، والمدنية — فقد أخذوا يتقدمون ليملئوا الوظائف التى تركها البريطانيون لأبناء الهند .

وكان أمرهم على ما وصفه أحد الكتاب الهنود بقوله : « لقد تدفق الهنود الى المناصب الرسمية ، يتمتعون بها دون قيود ، شاكرين للانجليز أصحاب هذا الفضل العظيم » (١) .

ولم تقف عقائد الهندوس تجاه الأجانب ، وفى التمييز بين الطبقات ، حائلا بينهم ، وبين الانجليز أصحاب الفضل عليهم .

بل ان الأمر كان على العكس من هذا ، فقد استغلت هذه العقائد لاعلاء طبقة الانجليز وتمييزها بين طبقات الناس فى الهند .

وعندئذ وقع المسلمون بين شقى الرحى : بين الطبقة الانجليزية العالية ، وطبقة الهندوس

وقد تسلمت زمام الحكم ، وكثيرا من الشئون الرسمية ، والاجتماعية .

ولم تكن المشكلة أن ينزل المسلمون الى مضمار السباق ، وعلى قدم المساواة مع الهندوس فى شئون الحياة .

ولكن المشكلة أن المسلمين حجبوا عن حلبة السباق مع غيرهم ، وأبعدوا عن المضمار فلا يصلون الى الأعمال العامة .

وعندئذ تحولوا فى الهند الى شعب بغير مستقبل ، شعب لا يعرف له مصيرا ، وقد حمل من عناصر المراقة ، والأصالة ، ونبيل التقاليد ما يجعل الذل قاسيا عليه .

ثم عمل الانجليز منذ مطلع القرن التاسع عشر على احلال الثقافة الأوربية ، محل الثقافة الاسلامية بالهند .

وبدأوا بابعاد اللغة الفارسية ، وكانت هى اللغة الرسمية للبلاد أيام الحكم الاسلامى .

وظلت كذلك فى عهد الانجليز حتى صدرت توصيات مستر زاخارى ماكاولاى — رئيس مجلس مستشارى الحاكم العام فى الهند فى الفترة من ١٨١٣ — ١٨٣٥ — (٢) .

بشأن التعليم ، وجاء فيها : « انه يجب أن تهدف الى ايجاد طبقة متعلمة ذات دم هندى ، ولون هندى ، ولها ادراك ورأى انجليزى ، وهى كذلك انجليزية فى السلوك والفكر » (٣) .

وأخذت هذه السياسة طريقها الى الواقع ، ففى سنة ١٨٣٥ صدر اعلان الحاكم العام بأن

(١) المصدر السابق .

(٢) Encyclopaedia Britanica.

(٣) Emergence of Pakistan.

اللغة الانجليزية منذ هـذا التاريخ هى لغـة التعليم ، والقضاء بالبـلاد ، وهى اللغـة الرسمية فى دوائر الحكومة (١) .

وكان رد الفعل لهذا القرار لدى الهندوس هينا ، فان الأمر لديهم لا يعـدوا أن يكـون تبديل لغة أجنبية ، بأخرى أجنبية أيضا ، ولذا فقد سـارعوا للانتقال الى الانجليزية ، وبكل ترحيب .

أما المسلمون فقد رأوا أن القرار يحمـل أخطارا بعيدة المدى عليهم ، وهو فى رأى كثير من أولى الرأى منهم انما يهدف الى القضـاء على الثقافة الاسلامية ، والى فصل المسلمين عن تراثهم ، وتعاليم دينهم ، بل والى تحريف هذه التعاليم .

ونأى المسلمون بالهند آنئـذ عن الثقـافة الانجليزية ، وكانت النتيجة أنه فى الفترة من سنة ١٨٨٠ حتى سنة ١٨٨١ كان عدد الطلاب الهندوس فى المـدارس الانجليزية العـالية ٣٦٦٨٦ طالبا ، وكان الطلاب المسلمون بهـا ٣٦٣ طالبا فقط (٢) .

واتجه الانجليز بعـد ذلك الى تعـديل القانون ، وكان الشريعة الاسـلامية قـانون البلاد ، فيما عدا قواعد الأحوال الشخصية ، فقد كانت تترك لكل طائفة هندية ، لتحكم فى مسائلها ، وفق عقائدها ، ونظمها الخاصة .

فحلت القوانين ذات السمة الاوربية محل الشريعة الاسلامية ، وصدر قانون العقوبات الهندى سنة ١٨٦٠ م ، ثم قانون المرافعات المدنية والجنائية سنة ١٨٦١ (٣) .

ثم صدر القانون « الانجليزى الاسلامى » ليطبق فى شئون الأحوال الشـخصية على المسلمين .

وكذلك صدر فى سنة ١٨٦١ قانون يعيـد تنظيم القضـاء ، وينشىء محـكمة عليـا ، ومجلسـا أعلى للنظر فى التشريعات .

ولم يكن للمسلمين نصيب فى هذه المناصب القضائية والتشريعية الكبرى (٤) .

وكان من أثر هذه القوانين أن أبعد الفقهاء والأصوليون ، والقضاة المسلمون عن مجـال العمل القضائى الا فى قليل مما يتصل بشئون الأحوال الشخصية . فكان فى هذه القوانين تدمير لرجال الفقه والشريعـة فى المجتمـع الاسلامى .

ثم أخذ الانجليز فى مصادرة الاقطاعات ، والأراضى المؤجرة من الدولة لكبار الشخصيات الاسلامية فى الولايات المختلفـة ، فى ظـل الحكم الاسلامى ، وكذلك أخذ الانجليـز فى مصادرة الأراضى الموقوفة على وجوه الخير ، وأغراض البر ، والتعليم ، وتحول دخل هذه الأراضى الواسعة الى خزانة الحكومة (٥) .

فلما انتزعت أراضى الأوقاف ، والاقطاعات،

(١) Encyclopaedia Britanica.

(٢) Emergence of Pakistan.

(٣) دائرة المعارف البريطانية .

(٤) المصدر السابق .

(٥) Emergence of Pakistan.

والايجارات الثابتة ، تحول كثير من كبــار الأثرياء المسلمين الى فقراء معدمين ، والــى عمال زراعيين ، واختنق التعليم الاسلامى ، وتهاوت الطبقات الوسطى فى المجتمع الى الفقر والحاجة ، والمذلة •

فى هذه الفترة الأليمة من تاريخ الاسلام فى الهند ، وفى العقود التى تلت سنة ١٨٥٧ سنة الهزيمة النهائية ، كان المجتمع الاسلامى يتجرع الغصص ، ويعانى الارهـاق ، وآلام العزلة والضياع •

وكان فى نفس الوقت يتشبث بطبائع العزة ، فخورا شديد الكبرياء فلا يتعاون مع المحتل ، عظيم الحزن فلا يتكيف مع الظروف الجديدة ، مشحون العاطفة بالماضى فلا ينساه حين يخط للمستقبل •

وكان الهندوس على العكس من هـذا : كانوا فى طريقهم الى الامـام فى جميع المجالات •

ونهضـت منهم طبقـة من مـلاك الأرض الكبار ، وكان مما يسر لهم هـذا التـوال أن اللورد كرونويلز الحاكم البريطانى فى البنغال أصدر فى سنة ١٧٩٣ قـرارا بتثبيت قيمـة الضريبـة التى تجبى عن الأرض الزراعيـة الحكومية ــ وكـانت ضريبـة زهيـدة ــ ، وبتمليك هذه الأرض لزارعيهـا ، وكانوا فى جمهرتهم من الهندوس (١) •

فنشأت طبقة أورستقراطية جديدة فيهم ، بالاضافة الى طبقة التجار الأثريـاء منهم ، وكانوا خبراء التجارة منذ العهد الاسلامى •

ولما فتحت أبواب التعليم الانجليزى اقبلوا عليه فى شغف ، ففتح لهم طريق التقـدم الى الوظائف الرسمية ، والمراكز الاجتماعية العالية فى مجالات الطب ، والصيدلة ، والهندسـة ، والصحافة ، والتدريس ، وغيرها •

ونهضت بهذا طبقة متوسطة هندوسـية تمسك بزمام الأمور فى الهنـد تحت امـرة الحكومة البريطانية •

ففى سنة ١٨٧٨ م كان الذين يمسكون بزمام الوظائف العامة ممن يحملون الدرجات الجامعة ٣١٥٥ من الهندوس ، يقـابلهم ٥٧ رجلا من المسلمين (٢) •

وكان للافكار السياسية الانجليزية أثرهـا فى تنبيه الوعى الهندوسى ، وقيـام الدعوة الى القومية الهندوسية ، بل والى تزايد هذه الدعوة ، والحماس لها ، فكانت عاملا مـن عوامل القـوة ، والتضـامن فى المجتمـع الهندوسى •

فى هذه الساعات الرهيبة ، المظلمة فى حياة المجتمع الاسلامى فى الهند ، ولد رجل عظيم ، وقائد شجاع هو السيد أحمد خان ، فـرأى ما نزل بالمسلمين من كوارث ، وما صـاروا اليه من حال مريع سىء •

وأدرك بذكائه مدى الصعوبات فى طـريق الصعود بالمسلمين مـرة أخـرى ، ورأى أن الخطوة الأساسية فى هذا الاتجـاه يجب أن تبدأ باستعادة الثقة ، وتبادلها بين المسلمين والانجليز •

(١) دائرة المعارف البريطانية .

(٢) Emergence of Pakistan.

وأيقن أن أى خطة لانهاض المسلمين لا تراعى هذا الأساس سوف تكون عملا ، أو بناء يدخل فى دائرة سوء الظن ، فيلقى به الانجليز ، وبأصحابه الى البحر .

ورأى كذلك أن أول عمل حيوى لترقية المسلمين يجب أن يبدأ باصلاح نظام التعليم الاسلامى ، ليفتح لهم النوافذ إلى المعارف العلمية الجديدة ، فتكون سبيلهم الى أن يتبوأوا مكانهم اللائق بهم فى رحاب الهند الجديدة .

وصمم السيد أحمد خان على تنفيذ برنامجه المزدوج ، المكون من شقين :

اصلاح التعليم ، والتعاون وتبادل الثقة مع الحكام الانجليز .

وبالرغم من المعارضة العنيفة التى أبدتها الكثرة الغالبة من القوى الاسلامية ، المحافظة فقد مضى السيد أحمد خان الى خطته .

فأسس جمعية علمية للنهوض بالتعليم ، وأنشأ المدارس الحديثة ، وأصدر الصحف الاسلامية من مثل صحيفة : « تهذيب الأخلاق » وكان لها رواج عظيم ، وصدى واسع يتردد باللغة الأوردية .

واجتهد للاصلاح التشريعى ، ولتصنيف الكتب التاريخية وإصدارها التى تصل الحاضر بالماضى ، وتضع الحقائق التاريخية بين أيدى الأجيال الجديدة .

وكان أعظم انجاز له هو تأسيس « الكلية الاسلامية الانجليزية الشرقية » فى عليكره سنة ١٨٧٧ م .

وكانت أمنيته أن تكون هذه الكلية نواة لجامعة اسلامية ، لكن هذه الأمنية لم تتحقق الا بعد وفاته باثنين وعشرين عاما (١) ، عندما نمت هذه الكلية ، وأصبحت الجامعة الاسلامية فى عليكره .

كانت هذه الكلية عند نشأتها مجرد معهد تعليمى : مجرد نموذج للعمل الجماعى ، والحركة الجماعية لاصلاح مناحى الحياة الاسلامية : اجتماعيا ، واقتصاديا ، وسياسيا ، وفكريا ، ودينيا : مجرد نموذج يحمل رسالة الاصلاح للمجتمع الاسلامى بجميع طوائفه .

ثم دعا السيد أحمد خان الى عقد « مؤتمرات للتعليم الاسلامى » فى أنحاء الهند ، فاستجاب المسلمون لهذه الدعوة ، وعقدت مؤتمرات بالفعل فى مواقع عديدة بالولايات المختلفة .

وكان أعظم ما أثمرت عنه هذه المؤتمرات هو ايقاظ روح العمل ، والاعتماد على النفس لدى المسلمين .

---

(١) توفى السيد احمد خان فى عام ١٨٩٨ م

فقامت حركة لبناء المدارس فى أنحاء الهند على نظام كلية عليكره .

لقد كان السيد أحمد خان عميق الرؤيـة ، بعيد النظر ، فاعترف له الجميع بالعظمة ، حتى العلماء والفقهاء الذين اتهموه أحيانا بأنه يخرج عن الأصول الاسلامية فى آرائه الدينية (١) اعترفوا له كذلك .

وما من شك فى أن ثقافة السيد أحمد خـان الواسعة ، وهمته العالية ، وروحـه المتوقدة حماسا وتصميما ، وما أشاعه من طموح ، وأمل لانهاض المسلمين فى الهند بعث الثقة فى أنفسهم .. وأنار السبيل للتنظيم والعمل المتعاون فيما بينهم ، وفتح الابواب والنوافذ على الثقافة العـالمية الجـديدة ، وهيأ الفرصة للتقـدم الاقتصادى .

لقد وقف السيد أحمد خان حياته للعمل الاسلامى ، ولترقية المسلمين ماديا ، ومعنويا .. ومع هذا كان بعيدا عن التعصب الدينى .

وكان له أصدقاء كثيرون من الهندوس يعمل متعاونا معهم فى المجالات الاجتماعية العامة ، وكان منهم من يعمل فى كليـة عليكره ، وكانت الكلية ذاتها مفتوحة للطلبة الهندوس .

لكنه كرجل دولة : كرجل أمة : لم يكن يجهل أخلاقهم ، ومكونات عقائدهم ، وفطرتهم .

ولم يفقد الادراك للفرق الشاسـع بـين المجتمعين الاسلامى ، والهندوس فى مجالات التعليم والاقتصاد .

وكان على علم بـأن الهنـدوس يسـبقون المسلمين بنحو خمسين عاما فى مجال التعليم .

ويسبقونهم أيضا بمراحل كثيرة فى سـوق المال ،وآفاق ادارة الأعمال ، وفى الخبرة بالعمل الحكومى ، وبالمهن الحرة كالطب ، والهندسة ، والمحاماة ، والصحافة وغيرها .

وكان السيد أحمد خان على معرفة بالمشاعر الدفينة للهندوس تجاه المسلمين ، وعندما قامت حركة هندوسية فى سنة ١٨٦٧ لاحلال اللغـة الهندية المكتوبة بحروف « دفناجريه هنـدية » محل اللغة الأوردية التى تحمـل كثيرا مـن التراث الاسلامى والهندوسى معـا ، وتكتب بحروف عربية ، تأكد للسيد أحمد خـان أن هذين المجتمعين لا يمكن أن يعيشا معا كأمة واحـدة .

وقال : «اننى مقتنع بـأن هذين المجتمعين لا يجتمعان أبدا على عمل مشترك فى صـدق واخلاص ، وأن بواعث الصدام والكراهيـة التى قد تراها اليوم هينة ضعيفة فيما بينهمـا سوف تزيد على الأيام وتتضـاعف آثارها ، وبخاصة لدى الطبقات المتعلمة » (٢) .

(١) نرجو أن ييسر الله لنا أن نعـرض آراءه الدينية ونناقشها ، ونوضح آثارها فى المجتمعات الاسلامية .

(2) Emergence of Pakistan. p. g.

وفى سنة ١٨٨٥ دعا الانجليز الى عقد مؤتمر قومى هندى يشترك فيه كبار رجال الرأى فى البلاد كل عام تحت اشراف الحاكم العام الانجليزى ، لينظر المؤتمر فى المسائل الادارية، والسياسية ، والاقتصادية العامة ، فيوصى الى الحكومة بشأنها .

هذا المؤتمر تطور وعظم شأنه فيما بعد حتى أصبح اكبر ، وأقوى منظمة سياسية مؤثرة فى الهند .

وكانت اجابة السيد أحمد خان لدعوة الانجليز أنه يعارض المؤتمر ، ويدعو المسلمين الى مقاطعته .

واستجاب المسلمون لرأى السيد أحمد خان، وجانبوا المؤتمر لعدد من السنوات .

ففى دورته لسنة ١٨٨٥ م فى بومباى لم يشترك فيه من المسلمين الا رجلان ، فى مقابل سبعين عضوا من الهندوس .

وفى دورته لسنة ١٨٨٦ م فى بومباى أيضا ، كان عدد أعضائه اربعمائة وأربعين عضوا ، لم يكن بينهم سوى ثلاثة وثلاثين عضوا مسلما (١) .

ولم تكن مناهضة السيد أحمد خان للمؤتمر فى دوراته الأولى راجعة الى اسـ... منه لخضوع ذوى الرأى فى البلاد لرأى الحاكم العام الانجليزى ، أو راجعة الى معارضة منه للنظم والاشكال الديموقراطية فى الحكم .

لم تكن هذه هى أسباب المناهضة للمؤتمر ، فان السيد أحمد خان كان مقتنعا بأن التعاون مع الحاكم الانجليزى هو مفتاح العمل السياسى فى الهند فى تلك الفترة ، وكان من أكثر الناس ترحيبا بالنظم والمؤسسات الديموقراطية .

وقد جاء فى بعض كتاباته : « اننى قوى الايمان بالاسلام ، وبان تعاليمه الأساسية تعارض الحكم الفردى ، ولاتقبل نظام الوراثة المطلقة للحكم ، وانما تقر نظام الانتخاب »(٢)

لكنما عارض السيد أحمد خان هذا المؤتمر لما رأى فيه من خطر على المسلمين فى الهند .

هذا : والحديث موصول .

وبالله التوفيق .

محمد حسام الدين

(١) Emergence of Pakistan. p. g.

(٢) Encyclopaedia Britanica.





الزكاة

أداة للنهضة الاجتماعية

للدكتور عبد الله مبروك النجار

من أهم السمات التى تحدد مشروعية الزكاة فى الاسلام ، أن اثرها لايقتصر على رعاية حقوق الفقراء ، والقيام بمصالح المجتمع ، من خلال تشريع محكم يضمن للفرد حقه فى العمل والكسب ، ويحفظ للمجتمع واجبه عليه فى المعونة والتضامن ، بل يتجاوز ذلك لتكون الزكاة وسيلة لترشيد تداول المال فى المجتمع على النحو الذى يحفظ امنه ويحقق آماله واداة للنهضة الاجتماعية والرقى الانسانى ، بما تكفله من وسائل تحقق ذلك المقصد ، وبما تتيحه لكثير من الطاقات البشرية من فرص النمو والارتقاء لتمارس دورها فى الحياة سعيا فى مناكب الارض بالاصلاح والعمران ، هذا بجانب أنها تقى المجتمع شر الحقد القاتل والانحراف المقيت الذى قد يقضى على امنه ويضيع اموال الناس فيه .

جاءت مشروعية الزكاة فى الاسلام لتكون طريقا يوصل الى كمال التنعم بالمال ، ليؤدى رسالته فى الحياة ويكون كما أراد الله ، أداة بناء ، ومصدر عطاء ، وسفير سلم بين الاغنياء والفقراء ، وقامت على أساس صحيح من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ﷺ ، وانعقد عليها اجماع الأمة فهى ركن من أركان الاسلام ، وأمر معلوم من الدين بالضرورة ، بل هى فرض فى كل شرائع السماء ، والالتزام بها حكم يقترن بمعنى التعبد ، وهذان الامران ينبغى النظر اليهما بشىء من الاهتمام ، لأن وجودهما فى الزكاة ، يقرر حقيقة تدفع عن شريعة الله تقولا يحاول أن ينال منها ، حين يزعم أن نظام الزكاة فى الاسلام قد يدفع فئة من المجتمع الى الكسل والبطالة اعتمادا على ما سيحصلون عليه من مصارفها ، ولا شك ان هذا زعم خاطىء ، وتصور باطل لان الحق سبحانه حين شرع الزكاة ، وضع الضوابط المحددة ، التى تضمن تحقيق ثمار المشروعية فيها على أكمل وجه ، بحيث لا يكون لمثل هذا الزعم معها ادنى وجود ، وقبل ان نبين ضوابط استحقاق الزكاة

فى الاسلام ينبغى أن نبين أمرين على درجة كبيرة من الاهمية ينبغى النظر اليهما فى هذا الخصوص .

أولهما : أن الزكاة فريضة فى كل شرائع السماء:

لم يكن أمر مشروعية الزكاة قصرا على الاسلام وحده ، بل هى فريضة اجتماعية فى كل شرائع السماء ، لا يتحقق اخاء انسانى الا بها ، ولا تقوم حياة طيبة الا بآدائها ، جاءبها الرسل والانبياء قبل سيدنا محمد ﷺ كما حكى القرآن الكريم ، فقد مدح الله اسماعيل عليه السلام فى سورة مريم بقوله « **وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** » (١) .

وذكر عن عيسى عليه السلام « **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** » (٢) وفى وصايا الله لبنى اسرائيل قوله تعالى « **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** » (٣) ، وتحدث القرآن الكريم عن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام فقال « **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ** » (٤) ، كما قال فى أهل الكتاب عامة « **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** » (٥) ، وعلى هدى تلك السنة القويمة ، جاء الاسلام فجعلها فرضا من فرائضه الهامة وقرنها فى عدة آيات بالايمان والصلاة اهتماما بشأنها ، وبيانا لخطرها ، قال تعالى « **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** » (٦) ، وقال تعالى : « **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** (٧) ثم هدد اصحاب الاموال اذا هم قصروا فى حقوق الفقراء ، قال تعالى :

« **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** » (٨) ، وعلى هذا النحو كانت الزكاة أمرا مقررا فى الاسلام وفى كل رسالات السماء ، ومن ثم كان كل عمل يستهدف جحودها والاستخفاف بأمرها عملا لا يستهدف الاسلام وحده بل يكشف عن تمرد طائش على كل قيم السماء ، ويفصح عن استخفاف سافر بأمر جاء به جميع الأنبياء .

(١) سورة مريم ــ آية ٥٥
(٢) سورة مريم ــ آية ٣١
(٣) سورة البقرة ــ آية ٨٣
(٤) سورة الانبياء ــ آية ٧٣
(٥) سورة البينة ــ آية ٥
(٦) سورة البقرة ــ آية ٤٣
(٧) سورة الذاريات ــ آية ١٩
(٨) سورة البقرة ــ آية ٢٧٦

جاء تشريع الزكاة في الاسلام على نحو ماورد في الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الامة ، ليتسنى أداؤها ، ويستمر القيام بها ، فيخرج الغنى القدر الواجب عليه للفقير اذا توافرت شروط الأداء ، ويلاحظ في هذا الصدد أن تشريع الزكاة قد جاء كاملا متكاملا ، يراعى جانب الفقير ، ولا يهضم حق الغنى فكانت مصدر خير لهما معا وللمجتمع ككل ، ومن يتتبع مسائل الزكاة في كتب الفقه يلمس ذلك التوازن بين الفئتين ، فالقدر الواجب على الغنى قليل بالنسبة لماله الذى تجب فيه الزكاة ، وقد راعى الشارع في اكتساب النصاب مقدار ما بذل فيه من عناء وما اقترن به من مشقة ، فاذا كان المال يحتاج في تثميره الى انفاق وجهد كالزرع يسقى بالآلة ففيه نصف العشر ، فان كان يسقى بالسماء وبفعل الطبيعة ففيه العشر (١)، وهذا القدر لا يجب الا بعد اكتمال النصاب في كلتا الحالتين خاليا من الديون ، ونفقات المزكى ومن يعولهم من أصحاب النفقات الواجبة ، وبعد أن يحول الحول على اكتمال النصاب ، كما ينبغى أن يكون المال المأخوذ من أوسط المال لا من خياره ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن أخذ كرائم أموال الناس ، وذلك حتى لا يكون في تشريع الزكاة ما يبعث في حياة الاغنياء الاحساس بالغبن ، فقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذا الى اليمن ، قال له : « اياك وكرائم أموال الناس ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب » (٢) فقد دل هذا الحديث الشريف على انه لا يجوز للمصدق أخذ خيار المال ، لأن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الاجحاف بالمالك الا برضاه (٣) ، وهى مع مراعاتها لجانب الغنى أيضا استهدفت جانب الفقير ايضا مع وجوبها له ، حيث يتكرر الوجوب في كل عام ، وفي أنواع كثيرة من المال كالذهب والفضة والمواشى وقد يتكرر ذلك الوجوب عند الحصاد في زكاة الزروع والثمار، كما أن عائد الزكاة يصرف لعديد من أصحاب الحاجة وكثير من المعوزين على نحو ما ورد في آية المصارف ، كالفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين وفي سبيل الله ، الامر الذى يدل على اتساع دائرة الخير فيها لتراعى جانب الاغنياء ، وتكلا برعاية الله ورحمته حاجة الفقراء .

ثانيهما : انها تقترن بمعنى التعبد :

والزكاة مع كل تلك المعانى الجليلة تعتبر ركنا من أركان الاسلام وأمرا جاء عن الشارع سبحانه ، ويجب الامتثال له ، لأن الالتزام به يدخل في اطار الامور التى تعبد الحق بها عباده ، ومثل هذه الامور ينبغى أن يتقيد العقل فيها بدائرة الايمان ، حتى لايتطاول على حكم من أحكام الله ، ولأن اطلاق العنان لعمل العقل كثيرا ما يجر صاحبه

(١) راجع بداية المجتهد ـ حـ ١ ص ٢٥٦

(٢) رواه الجماعة . راجع نيل الاوطار للشوكاني ـ حـ ٤ ص ١٣٠

(٣) نفس المرجع ـ ص ١٣١

الى مجال الغرور المهلك والاستخفاف بقيم الدين ، وفي ذلك ما لايخفى من الضياع والهلاك

.. في مجال الزكاة أراد الحق سبحانه أن يبرز لعباده هذا المعنى ، ليكون هديا ونبراسا يسترشد به المؤمنون عند تناول قضايا الاسلام بالدراسة ومنها مشروعية الزكاة ، ليربأ قوم بأنفسهم عن الطعن في دين الله ، ويترفعوا بآدميتهم عن التهكم على أحكام الله، فضرب للناس مثلا بنوعين من التعامل في المال

الاول : يخفى عليه زيادة محسوسة يراها الحس ويدركها العقل ، ومع هذا الادراك قرر الحق سبحانه أن تلك الزيادة بوار ونقص على نحو ما في الربا ، قال تعالى : « **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** » (١) .

والثاني : ينقص المال نقصا حسيا ظاهرا ، يقتضيه اخراج جزء منه ،وهذا النقص مدرك بالعقل ومشاهد بالحس ، ومع ذلك قرر الحق سبحانه وتعالى ، أن مايراه الناس نقصا حاصلا من اخراج قدر من المال في الزكاة ليس كما يقع تحت تصور العقل بل هو على خلاف ما يراه ويدركه ، لأنه زيادة ونماء وبركة . قال تعالى : « ويربى الصدقات » (٢) ، فالامر اذا لا ينبغى أن يقف الانسان به عند حدود فكره هو ، لأن هناك أمرا أعظم من هذا وهو الامتثال لحكم الله ، والاذعان له بواجب العبودية ومن أبسط واجبات الاذعان لله أن لا ينصب الانسان من عقله حكما على الله ، بل يخضع عقله وقلبه لحكم الله ، لأن معنى التعبد ولا يمكن أن يحيط بسره عقل ، وهو وثيق الصلة بالزكاة ، لأنها مرتبطة بالمال وهو من أعظم النعم بلاء وفتنة وقد أرشد الحق سبحانه عباده الى هذا المعنى بقوله « **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ ، وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** » (٣) ، ومن خلال هذا المعنى ينبغى النظر الى كل أمور التشريع ومنها الزكاة .

تشريع منزه عن الشبهة :

وقد اقتضت حكمة المولى تبارك وتعالى ، اختلاف الناس في القدرة وتفاوتهم في الملكات، وجرت سنته في خلقه بذلك ، قال تعالى :

« **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** » (٤) ، فاختلاف الناس موجود في كل زمان وحاصل في كل مكان ، ومن مظاهر ذلك الاختلاف أن يوجد الغنى ومعه الفقير ، ويكون القوى ومعه الضعيف ، ليؤدى ذلك التباين في الملكات مهمة اجتماعية في الحياة تحقق عطف الغنى على الفقير ، ورعاية القوى للضعيف ، فكان تشريع الزكاة تقنينا منظما

(١) سورة البقرة ــ آية ٢٧٦
(٢) سورة البقرة ــ آية ٢٧٦
(٣) سورة الروم ــ آية ٣٩
(٤) سورة هود ــ آية ١١٨

لذلك التلاحم الانسانى فى أدق صوره ، وجاء متوائما مـع سنة الله فى خلقه ، وعلاجا يلائم مقتضى الفطرة من خلال رعايتها لجانب الفقر فيه والفقـر ظاهرة لا يخلو منها مجتمع .

وهذه الظاهرة غالبا ما تكون هى البيئـة الصالحة لاحتضان الجريمة ، ونمو المـرض ، والخطر فيها عند قيامه لايقف عند حـد بل قد يمتـد لينال من المصالح الرئيسـية فى حياة الناس ، فيمس عددا من الحقوق التى يقـوم عليها كيان المجتمع .

والجريمة حين تحدث لا تقف عند التعـدى على المال بالغصب والسرقة ، بل تتعـدى هذا المجال لتاتى على حياة النـاس ، وتـودى بأعراضهم ، ومن ثم كان اهتمام الاسـلام بعلاج تلك الظاهرة الخطيرة كفيلا بنزع الغل من قلوب الفقراء والنهوض والأخـذ بيدهم على طريق الحياة القويمة ، ان لم يكن بالانتاج والعمل . فبحماية المجتمع من شرور قـد تقع منهم ، وتوجيه طاقته كلها الى النفع العـام دون خوف يبعثه عـدد من المارقين عليـه ، وانشـغال بمراقبة فئـة من العابثين فيـه .

الفقر ظاهرة لا يستهان بها :

ولما كان الفقر ظاهرة اجتماعية توجد فى كل مجتمع ، فقد قرر الشارع ذلك وكفل له علاجا يضمن النهوض بالفقراء . ويكفل لهذه الطاقات التى قد تعطلها الفاقه أن تكون عناصر صالحة للعطاء ، ومثل تلك السيـاسة الشرعية القويمـة ينبغى أن تحسب للاسلام لا عليه ، لأن حدوث الفقر فى حياة أى فرد غالبا ما يأتى على غير مقتضى ارادته ، ومثل هذا الذى قدر عليه رزقه وغلبه زمانه بأمر لا حيلة له فيه يكون جديرا بالمساعدة وحريا بصرف مال الزكـاة له وذلك ما يقرره الشرع ويذعن له العقل ، ومن ثم فانك تجد لجانب المساعدات فى كل دول العالم حظ كبير فى سياسة عملها ، ولم نسمع من يصرخ بصوته مقررا أن ذلك سيخلف عددا من العاطلين فيها ، فالأمر هنا ظاهر الوضوح فى أن المراد بالتهجم لا يستهدف الزكاة . وانما يقصـد الدين الذى قرر الزكاة .

لقد فطر الله الانسان على حب المال ، فهو لهذا لا يدخر وسعا فى سبيل تنميته وتحصيله ليحقق فى نفسه طموح تملكه والاقتـدار به ، وهو قد لا يستطيع الوصول الى ذلك لمرض يصيبه أو عاهة تحدث له ، أو عجز يقع فيه أو يتم يحصل له ، أو وفـاة زوج أو عـائل ، وأصحاب مثل تلك الظروف يكـونون أهـلا للعطف وموئلا للرحمة ، لأن حجب المساعدة فى مثل تلك الظروف قـد يدفع ببعضـهم الى الهـلاك .

وقـد يؤدى بالبعض منهم الى ارتكـاب الجريمة ، وما أعظم ما يترتب على ذلك من خطر ، ولهذا كان فى دفعه بالتشريع مصلحة للفرد وللجماعة معا ، وكـانت الزكـاة اداة للوصول الى تلك المصلحة .

يتبع

د. عبد الله مبروك النجار



رَوَى الإمام أحمد بن حَنبَل فِي "الزّهد".. قال:

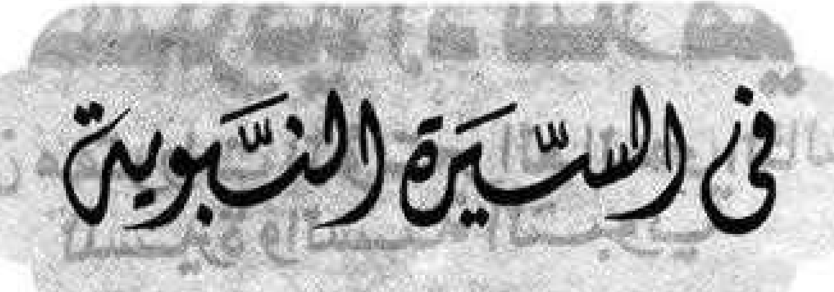
كتبَ صالح بن عبد الرحمن وصاحب له قد ولاّهما عمر بن عبد العزيز شيئاً من أمور العِراق..

فكتبا إلى عمر يعرضان عليه أن النّاس لا يصلحهم إلاّ السّيف... فكتب إليهما:

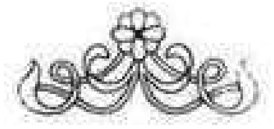
خَبيثين مِنَ الخَبثِ، رديئينِ من الرّدِئ تعْرضان إلىّ بدماء المسْلمين.

ما أحدٌ مِن النّاسِ إلاّ ودمكما أهون عليّ مِن دمِهِ

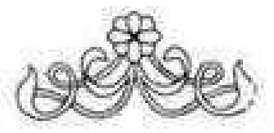
الزُهد ص ٢٩٧



العسكرية الاسلامية



حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية





العسكرية الإسلامية

في مقررات المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية

عقد المؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية (١) في الدوحة عاصمة دولة قطر خلال الفترة من ٥ ـ ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م ، وحضر المؤتمر واشترك في أعماله ٢٦٧ من الوزراء والعلماء وكبار المسئولين عن الشئون الاسلامية والقضاء الشرعي والافتاء في العالم الاسلامي والمشتغلين بأمور الدعوة والدراسات والفكر الاسلامي الذين وفدوا عن سبع وأربعين دولة .

وضمانا لتيسير أعمال المؤتمر ولكي يتسع وقته لمناقشة الأبحاث العديدة التي قدمت له والتي بلغت ثلاثة وسبعين بحثا ، فقد انبثقت عن المؤتمر أربع لجان هي : لجنة السنة مصدرا للتشريع ومنهاجا للحياة ، ولجنة التربية والشباب ، ولجنة الدعوة والاعلام ، ولجنة التراث والمصادر .

وقد عكف المؤتمر من خلال هذه اللجان الأربع على دراسة الأبحاث المقدمة وانتهى من هذه الدراسة باصدار توصياته التي وجهها الى العالم الاسلامي .

العسكرية الاسلامية لأول مرة :

ولأول مرة في مؤتمر عالمي يعقد في دولة اسلامية يتم بحث موضوع عسكري وكان ذلك من منطلق الجوانب العسكرية في حياة الرسول ﷺ التي شاركت ببحث عنها في أعمال المؤتمر ، كما اشترك أيضا الأخ الاستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب والأخ الاستاذ الشيخ عبد اللطيف زايد ..

وكانت توصيات المؤتمر في مجال العسكرية الاسلامية كما يلي : ـ

يوصي المؤتمر بتعميق معاني التربية الجهادية في نفوس شباب الأمة الاسلامية وذلك بما يلي : ـ

١ ـ اعتماد العقيدة العسكرية الاسلامية

(١) عقد المؤتمر الأول في اسلام اباد بالباكستان سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) وعقد المؤتمر الثاني في استنبول بتركيا سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)



لـواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

ـ دون غيرها ـ فى الجيوش الاسلامية والعمل على اصدار كتب فيها ، وتطبيق اصولها فى التدريب والتعليم والسلوك العسكرى ، مع الاهتمام بانتقاء الضباط من العناصر المؤمنة حرصا على القدوة الطيبة ، واختيار العلماء المخلصين لتولى الارشاد فى الجيش والحرص على بناء المساجد فى ثكناته ومعسكراته .

(ب) ادخال التدريب العسكرى فى المدارس والمعاهد والجامعات لاعداد الشباب عسكريا وتعويدهم الطاعة والانضباط والنظام والحرص على اقامة معسكرات سنوية لهم .

(جـ) العمل على اصدار موسوعة عن التاريخ الحربى الاسلامى طبقا للمنهج العلمى وتخصيص جوائز سنوية لأحسن البحوث فى جوانب العسكرية الاسلامية والتأكيد على تدريس مادة الدعاية النفسية فى الكليات المختلفة .

دراسة العقيدة العسكرية الاسلامية .

وقد ناديت على صفحات هذه المجلة الغراء منذ سنوات بضرورة دراسة العقيدة العسكرية الاسلامية فى المعاهد والكليات العسكرية الاسلامية ، وكان ذلك فى سلسلة من المقالات تحت عنوان « نحو عقيدة عسكرية اسلامية » لأنه من المؤسف أن يدرس العسكريون فى بلاد العرب والاسلام النظريات الحربية الاجنبية وأعمال القادة الاجانب والتاريخ العسكرى للدول الاجنبية ولا يدرسون النظريات الحربية الاسلامية وأعمال القادة المسلمين والتاريخ الحربى الاسلامى .

ومن يدرس تاريخ هذه الأمة ، يكتشف السر وراء ذلك ، ويدرك أنه قد أريد بها أن تبعد عن كل ما هو أصيل فى حياتها ، فشن عليها أعداؤها حربا حضارية استهدفت طمس معالم حضارتها ومنع قيامها من جديد .. فلقد قامت هذه الحرب الحضارية ضد هذه الأمة بعد أن عاشت عصورا زاهرة كانت خلالها أمة قوية مرهوبة الجانب وصاحبة حضارة أشعت نورها على الانسانية جمعاء فى كل مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية ، وكان ذلك بفضل استمساكها بدينها ووحدتها وبفضل عامل الجهاد الذى لم يبخل عليه أجدادنا الأوائل بأموالهم وبأنفسهم .

ويوم تخلى المسلمون عن الجهاد ، وأقبلوا على الدنيا وزينتها غافلين عن الخطر المحدق بهم ، ضاع وجودهم وكيانهم فتمكن العدو منهم ، وسعى بكل قوته نحو طمس معالم الحضارة الاسلامية ، وفرض التبعية على العرب والمسلمين فى كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفى المجالات العسكرية أيضا .



* ولعل أخطر النتائج التى تترتب على أن يقصر العسكريون فى بلاد العرب والاسلام دراستهم على ما عند الدول الأجنبية من نظريات حربية وأعمال القادة والتاريخ الحربى ، هو ترسيخ الفكرة الخبيثة الهدامة بأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات حربية ولا قادة ولا تاريخ عسكرى يستحق الدراسة .

* هذا على الرغم من أن التاريخ ـ وهو شاهد لا ينازع ـ قد سجل للعسكرية الاسلامية انجازات رائعة ، هى فى واقعها حقائق دامغة تدحض كل افتراء على فن الحرب الاسلامى (١) .. لقد استطاعت العسكرية الاسلامية تحقيق الانجازات التالية على سبيل المثال : ـ

١ ـ تأمين الدعوة وقيام الدولة الاسلامية وتأمين سلامتها لكى تؤدى دورها لصالح البشرية .

٢ ـ بلوغ الفتوحات الاسلامية فى أقل من مائة عام حدود الصين شرقا وشاطىء الأطلسى غربا .

٣ ـ تمكين الأمة الاسلامية « الناشئة » من ادارة دفة الحرب فى جبهتين عظيمين فى وقت واحد وفى مواجهة أعظم قوتين عالميتين فى ذلك الوقت هما فارس وبيزنطية والانتصار عليهما وهذا مثل فى التاريخ الحربى لم تبلغه أعرق الأمم وأقواها .

٤ ـ اتقان العرب ـ أبناء البادية ـ ركوب الأساطيل وفنون الحرب فى البحار وانتصارهم فى المعركة البحرية على أقوى أساطيل زمانه وهو أسطول بيزنطية حتى قال ابن خلدون :

« ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) وان أساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من صقلية الى تونس ، والرومان والصقالبة والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية ، ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضريت (٢) عليهم كضراء الأسد على فريسته » .

٥ ـ فتح الطريق لتأسيس الحضارة الاسلامية وفتوحاتها العبقرية لخير البشرية فى ميادين العلوم الطبيعية والانسانية ، فأصبح العرب ـ بعد أن كانوا أقل حضارة من الفرس والروم بخاصة ـ قادة للحضارة العالمية ، فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر جابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعيات ، وأبو بكر الرازى فى الطب ، وابن سيناء فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ والخوارزمى فى الرياضيات وعشرات غيرهم ..

* وثمة أمر لا ينبغى أن يغيب عن أذهاننا حين نعتمد على غيرنا فى المجالات الحربية ،

---

(١) « فن الحرب » اصطلاح عسكرى يحتوى على جميع المسائل المتعلقة باعداد وادارة شئون الحرب (Military Art)

(٢) ضرى (بفتح الضاد وكسر الراء) عليه : اى لزمه او أولع به .

وهو أن الدول الأجنبية تحرص ــ بطبيعة الحال ــ على أن تكون لها أسرارها الخاصة بها في كافة المجالات العسكرية سواء في النواحي النظرية أو التطبيقية ، وعلى ذلك فهي لا تقدم للدارسين أو الطالبين من غير أبنائها من العلم العسكري أو العتاد الحربي ، إلا ما يكون العلم به أو العمل به لا يضر بمصالحها الاستراتيجية ، أو ما يكون قد تقادم به العهد ، أو أصبح متخلفا عن مقتضيات العصر .

النقص الشديد في كتب العسكرية الاسلامية :

والأمر الذي نلاحظه هو أن المكتبة العربية والاسلامية تفتقر افتقارا شديدا الى المراجع التي تتناول العقيدة العسكرية الاسلامية ونظرياتها ومبادئها وقوانينها .

وفي يقيني أن هذا العجز يرجع الى السبب الذي ذكرته آنفا وهو محاولة أعداء الأمة الاسلامية طمس معالم الحضارة الاسلامية .. ومن ذلك على سبيل المثال دعوى أن الاسلام قام بالسيف ، فان من أهداف هذه الدعاية المغرضة فرض نوع من الحساسية حول تناول الجوانب العسكرية في الاسلام بحيث يؤثر الكتاب المسلمون المتخصصون تجنب دراستها من وجهة النظر الفنية .

ويبدو هذا النقص الشديد في كتابات العسكريين العرب والمسلمين واضحا اذا ما عرفنا أن ما كتب عن الامبراطورية الرومانية مثلا منذ عصر النهضة حتى اليوم قد بلغ عدة آلاف من الكتب .

التهوين من قيمة العسكرية الاسلامية في كتب الغرب :

* والملاحظ أيضا أن ما كتبه العسكريون الأجانب حول العسكرية الاسلامية قليل بحيث لا يتجاوز عدد أصابع اليد ، ويفسر لنا ذلك شاهد من الغرب هو الجنرال جون باجوت جلوب في كتابه (الفتوحات العربية الكبرى) فيقول :

« ان أوروبا ظلت قرونا طويلة تعتبر الفتوحات الاسلامية كوارث رهيبة ، ولم يكن ثمة مسيحي يود أن يذكره الناس بها ، وليس المؤرخون الا بشرا ، ولذا تثبط عزائمهم اذا لم يجدوا من يقرأ لهم ، فلقد كتب سيمون أوكلي وهو أحد المؤرخين الانجليز الأوائل الذين أرخوا الفتوحات العربية بعض كتبه العظيمة وهو رهن السجن في كمبردج وفاء لدين عليه ، ولم يكن دخله من بيع كتبه كافيا لتمكينه من اعالة أسرته ! » .

* وحتى أولئك الباحثين الأجانب (١)



---

(١) انظر المصادر التالية على سبيل المثال :
ــ صفحة ١٩٩ الى ٢٠١ من كتاب
The Ensyclopedia of Military History
(By Ernest Dupuy & Trevor N. Dupuy)
ــ وصفحة ٤٢ الى ٤٦ من كتاب
The Arabs A Short History
(By Philip K. Hitti)
ــ وصفحة ١٢٠ الى ١٢٢ من كتاب
War Through The Ages
(By Lynn Montross)

الذين تناولوا الأعمال العسكرية الاسلامية نرى منهم من يدعى أن الاسلام كان متخلفا فى المجال العسكرى ، وانه لم يضف جديدا الى فن الحرب ، ومن أراد منهم أن يبدو موضوعيا

فى دارسته نراه يركز كثيرا على الدوافع المعنوية النابعة من الايمان وقوة العقيدة . ولا يتناول الجوانب الفنية للمعارك من زاوية العلم العسكرى وفن الحرب التى تزخر بها معارك الاسلام حقيقة . فمثلا يقول الشير مونتجمرى :

« ان أهم مميزات الجيوش الاسلامية لم تكن فى المعدات أو التسليح او التنظيم ، بل كانت فى الروح المعنوية العالية النابعة من قوة ايمانهم بالدعوة الاسلامية وفى خفة الحركة التى ترجع الى مهارتهم فى سرعة التحرك بالجمال والخيل ، وأيضا فى قوة احتمالهم وجلدهم نتيجة لحياتهم الصعبة فى الصحراء التى تعودوا عليها .. على أن هناك عوامل اخرى شاركت فى نجاح زحفهم غير العادى ، ذلك الزحف الذى كان عبارة عن نجاح تلو النجاح ، فقد كان العرب يندفعون نحو القتال تحركهم أقوى دوافع الحرب الا وهو الايمان والعقيدة ، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعا ، فالكثيرون منهم وخاصة فى المراحل الأولى للفتوحات الاسلامية ، كانوا يؤمنون ايمانا راسخا بالدعوة الاسلامية ويتحمسون لها ويغارون عليها ، وأدى هذا الى اعتناقهم مبدأ سلبيا هو « الجهاد فى سبيل الله » وقد تغلغل هذا المبدأ فى قلوب أتباع الرسول .

فهل يقبل العقل أن تكون الشجاعة وقوة العقيدة وراء انتصارات المسلمين فى العمليات الحربية دون أن يكون معهما شىء من الكفاية الحربية فى القيادة والقتال ؟ .. ثم هل يقبل العقل أن يكون من المسلمين رواد فى كل نواحى العلوم الطبيعية والاجتماعية ، ولا يكون منهم رواد فى فن الحرب ؟

* ثم نتساءل عن النتيجة العامة التى تستخلص من سجل الفتوحات الاسلامية فى القرن الأول الهجرى :

أليست هذه النتيجة هى أن « العسكرية الاسلامية » قد انتصرت على « العسكرية الفارسية » وعلى « العسكرية البيزنطية » ؟.

لكننا مع ذلك نرى بعض المؤرخين يحاول أن يهون من عظمة العسكرية الاسلامية ومن كفاية المسلمين الحربية ومن قيمة انتصاراتهم ، فيعلل سرعة الفتح الاسلامى باندفاع الغرائز الحربية المتأصلة فى المسلمين منذ الجاهلية التى تدفعهم الى السلب وأعمال القرصنة ، ويضيف الى ذلك ضعف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ..

وفى ذلك يقول الأستاذ عباس العقاد (١) :

« ومايزال الأكثرون من المؤرخين المحدثين يستعظمون على العرب أن يغلبوا الفرس والروم ، ويحسبون هذه الغلبة » شيئا قد

(١) عبقرية خالد : المقدمة (البادية والحرب)

حصل وكان ينبغى الا يحصل ، لولا أنها فلتة لا يقاس عليها ، ومصادفة لا تقبل التكرار .. وبعضهم يلتمس العلة فيقول : انما هي وهن الدولتين ومصابهما بالخور والانحلال ، أو يلتمس العلة فيقول : انها عقيدة المسلمين القوية وافتقار الفرس والروم الى مثل هذه العقيدة .. وكل أولئك تعليل ناقص من كل نواحيه .. » ثم يفند العقاد هذه التعليلات الى أن يقول : « فمهما يهرب هؤلاء المؤرخون من الحقيقة ، فلا محيص لهم من الرجوع اليها لفهم الغلبة الاسلامية أو فهم الهزيمة الفارسية والرومانية ، وهذه الحقيقة هي أن المسلمين أيضا كانوا أخبر بالفنون العسكرية من أهل فارس والروم ، وكانوا أقدر على تنفيذ الخطط العسكرية التي تنفعهم من قواد تينك الدولتين ، وأن البادية العربية سواء في عصور الجاهلية أو صدر الاسلام ، لم تكن من الجهل بفن الحرب بتلك الحالة التي توهمها المؤرخون الأوربيون ، بل معظمهم المؤرخين عامة ، ولا نحاشى منهم العرب والمسلمين » .

النظريات العسكرية الاسلامية :

وقد تناولت في بحثي الذي شاركت به في أعمال المؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية بعض النظريات العسكرية الاسلامية ... على سبيل المثال لما تحتويه المدرسة العسكرية الاسلامية من نظريات ومبادىء وقوانين وآداب تشمل كل مجالات العلم العسكرى وفن الحرب ، وقد عرضت النظريات التالية

١ ـ عقيدة الجهاد باعتبارها جوهر الاستراتيجية العسكرية الاسلامية .

٢ ـ نظرية الردع التي تتأسس على اعداد القوة التي ترهب العدو وتخيفه من عاقبة عدوانه .

٣ ـ نظرية التأهب والاستعداد القتالي (المرابطة) .

٤ ـ نظرية التطوير وملاحقة العصر .

٥ ـ نظرية الاسلام في القيادة واعداد القادة .

٦ ـ نظرية الاسلام في الحرب النفسية .

٧ ـ نظرية الاسلام في التدريب على القتال .

٨ ـ نظرية الاسلام في الجندية والانضباط والتقاليد العسكرية .

٩ ـ نظرية الاسلام في المخابرات الحربية .

١٠ ـ نظرية الاسلام في الأمن ومقاومة الجاسوسية .

وانى لاحمد الله تعالى ان جاءت توصيات المؤتمر معبرة خير تعبيرعما ننادي به ونأمل فيه ، وهو أن يدرس العسكريون في بلاد العرب والاسلام نظرياتهم الاسلامية الأصيلة في شئون الحرب واعمال أجدادهم من القادة العسكريين » والتاريخ الحربي الاسلامي ، وبذلك يحطمون اسوار التبعية التي حاصرتهم مستهدفة قطعهم عن امجادهم ومقوماتهم الأساسية ، ثم ينطلقون نحو التطور والتقدم لبناء القوة الذاتية لأمتهم .

لواء محمد جمال الدين محفوظ

حول الاستراتيجية (1)

العسكرية الإسلامية

— ٢ —

حماية أموال المسلمين من النهب : —

كما أن الدولة الاسلامية مارست حقوقها المشروعة فى استرداد حقوق المهاجرين المالية والمعنوية والادبية التى اعتدت قريش باغتصابها فان الدولة الاسلامية كذلك مارست حقوقها فى الحفاظ على اموال رعاياها من الاعتداء عليها بالنهب أو السرقة أو الاغارة العسكرية ولـذا فقد خاضت عدة معارك عسكرية ولهذا الغرض .

من هذه العمليات العسكرية ما يلى : —

غزوة دومة الجندل :

فى الخامس والعشرين من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة ، فقد خرج رسول الله ﷺ الى دومة الجندل لأن جمعا من (الضافطة) — الذين يجلبون الميرة والمتاع الى المدن فهم كالمكارى الذى يكرى ليحمل الامتعة قد أثاروا ذعرا وشغبا وظلما لمن مر بهم وتجهزوا لنهب أطراف المدينة ، وهم يستأنسون فى همجيتهم هذه الى دنوهم من قيصر الروم لأنهم على أفواه الشام يحرسون له الحدود ، فهم يستندون على بنى جلدتهم بقيصر الروم فهو خلق فاسد ومزاج عكر ، وتفكير أرعن ، وأنانية مرذولة فندب رسول الله ﷺ الناس لحربهم .. لكنهم هربوا فهم كقطاع الطرق أو الخفافيش لا تظهر الا فى الظلام وكان من نتائج هذه الغزوة ، **تأمين الطريق ، وموادعة عيينة بن حصن الفزارى .**

وغزوة الغابة أو ذات قرد — بضم القاف والراء أو بفتحهما — وقد اختلف العلماء فى تاريخها ويرجح البخارى أنها كانت بعد خيبر ويرى ابن عبد البر أنها كانت بعد غزوة بنى لحيان من السنة السادسة ، والذى يهمنا أن النبى ﷺ خرج ليعيد الى المسلمين أموالا اغتصبها عبد الرحمن بن عيينة ابن حصن ومعه أربعون فارسا من بنى عبد الله ابن غطفان وقيل ان الذى أغار على سرح

---

(١) الاحاديث الشريفة فى هذا البحث مصدرها كتب السيرة — فيما يبدو .. مجلة الازهر



المدينة هو عبد الله أخـوه وقتلوا ابن أبى ذر الغفارى (١) .

وأدرك سلمة بن الاكـوع رضى الله عنـه القوم الذين سرقوا السرح أو اللقاح فجعـل يرميهم بالنبـل ويقول : ــ

خـذها وأنا ابن الأكـرم
واليـوم يـوم الرضـع

والمقصود من يوم الرضع يوم هـلاك اللئيم ــ وقد استنقذ منهم جميع اللقاح ... قـال سلمة فلحقنا رسول الله ﷺ والخيـل عشار فقلت يارسول الله ان القوم عطـاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنقذت مافى أيديهم من السرح ... ، وفى مسلم عن سـلامة : ما خلفت من شىء من لقـاح رسول الله ﷺ الا خلفته وراء ظهرى واستلبت منهم ثـلاثين بردة (٢) .

ثم كانت سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة الفـزارية بناحيـة وادى القرى ، كانت فى رمضان سنة ست ، وسببها أن زيدا خرج فى تجارة الى الشـام ومعـه بضائع للصحابة رضوان الله عليهم فخـرج عليه ناس من بنى بدر من فزارة فضربوه ومن معه حتى ظنوا أنهم ماتوا وأخذوا ما كان معه من الاموال فتحامل زيد حتى قدم المدينة فكان لابد للدولة الاسلامية من ممارسـة حقـوق سيادتها بالحفاظ على كرامة رعاياها وأموالهم فجند سيدنا رسول الله ﷺ سرية بقيادة زيد ابن حارثة نفسه وشاء الله أن صبحوا القوم وهم نيام فأحاطوا بهم وقتلوهم تقتيلا حتى أم قرفة وخطورة هذه المرأة أنهـا تضرب فى الامثلة العربية للمنعة والقوة فقد كان يعلـق فى بيتها خمسـون سيفا لخمسين فارسا كلهم لها محرم حتى قالت العرب : ــ

« أمنع من أم قرفة » .

« أعز من أم قرفة » .

ولقد استخدمت هذه المرأة جاهها وعزهـا فراحت تشيع فى الناس سبابا عن رسول الله ﷺ (٣) ومن خير هذه السرية مزيد صـدق النبوة فى كل ما أخبرت به فقـد كـان النبى ﷺ يقول لقريش : أرأيتم ان قتلت أم قرفة ؟ فكانوا يقولون : أيكون ذلك ؟ وها هو قد كان والحمد لله الذى صدق وعـده ونصر عبـده وهزم الكفار وحده .

ومن العمليات العسـكرية التى مارسـت استراتيجية حماية أموال المسلمين من النهب والغصب سرية كرز بن جابر القرشى الفهرى الى ذى الجدر فى شوال سنة ست ذلك : ان نفرا من عرينة قدموا على النبى ﷺ فأسلموا ــ تظاهرا ثم استوبأوا المدينة فأمر بهم رسول

(١) امتاع الاسماع حـ ١ ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩
(٢) راجع مسلم كتاب الجهاد باب غزوة ذى قرد ، وراجع المعاد حـ ٢ ص ٢٧٨ .
(٣) امتاع الاسماع حـ ١ ص ٢٧٠ .

الله ﷺ الى لقاحه وكان سرح المسلمين بذى الجدر ناحية قباء على ستة أميال من المدينة المنورة فكان هؤلاء النفر المرائى بالاسلام بالسرح حتى سمنوا وصحوا فقلبوا شكر النعمة الى نقمة فغاروا على اللقاح فاستاقوها فلما لحق بهم حارس اللقاح « يسار » مولى رسول اله ﷺ أخذوه فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه حتى مات وانطلقوا بالسرح فأقبلت امرأة من بنى عمرو ابن عوف فلما رأت يسارا رجعت الى قومها فأخبرتهم فحملوه حتى قباء فبعث رسول الله ﷺ فى أثرهم عشرين فارسا واستعمل عليهم كرز بن جابر الفهري فأسروهم جميعا وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة وكان رسول الله ﷺ قد خرج فى غزوة الغابة التى كانت تنفيذا لسياسة حماية أموال المسلمين فنفذ فيهم رسول الله ﷺ نفس سنيعهم فقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف (١) وفيهم نزلت هذه الآيات :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ٣٣ المائدة .

حماية أفراد الرعية المسلمين :

سيادة الدولة تتمثل فى أن يكون لممتلكاتها ولرعيتها ولمبادئها حرمة عند غيرها من الأمم فالذين يحترمون الدولة الاسلامية هم الذين يحترمون ممتلكاتها وممتلكات رعيتها ويحترمون كذلك أفراد رعيتها وسفراء رئيسها ، ويقدرون تعاليمها ومبادئها .

والدولة المحترمة هى التى تجعل من وظيفتها احترام سيادتها فلا تسمح لأحد أن يعتدي على شيء مما هو داخل فى سيادتها .

ومنذ القرن السابع الميلادى والنبى ﷺ يضع استراتيجية سيادة الدولة على رعيتها واملاكهم وأعراضهم واحترامهم واحترام مبادىء الدولة ودستورها وتعاليمها موضع التنفيذ الجاد الحازم الحاسم الذى لا يقبل الدنية البتة .

قد يكون بعض الزعماء فى العصر الحديث يتشدق بشعار سيادة الدولة لكنه ــ فعلا ــ قزم أمام خصوم الدولة اذ يترك لهم اجزاء من أرض الدولة ويخفى ذلك عن شعبه ويضلله بالخطب الرنانة والاعلام الذى يعمى العقل والمشاعر ثم هو بعد ذلك مارد على شعبه جبار على رعيته فكأنما هو مطبق حقيقى لقول الشاعر : ــ

أسد على وفى الحرب نعامة
فتخاء تنفرق من صفير الصافر

وبذلك يفهم ان ادراك سيادة الدولة بصورة

---

(١) امتاع الاسماع ط ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣

جادة وصادقة لن يكون الا في الظل الاسلامي الذي مارس بالفعل كيفية فرض سيادة الدولة على جميع الخصوم ، واحداث المعارك العسكرية التي اتخذت من حماية أفراد المسلمين استراتيجية لها تظهر في عديد من السرايا والغزوات منها : ـ

١ ـ غزوة السويق :

وقعت بعد عشرين شهرا من الهجرة بعد بدر فقد أصابت حرب بدر جماعة المشركين بتلف في التفكير اذ قد قتل صناديد قريش وكبارها حتى ان ابا سفيان حرم الدهن (١) على نفسه حتى يثأر من نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام فركب في مائتي رجل وذهب الى بني النضير ودخل على سلام بن مشكم اليهودي فسقى أبا سفيان خمرا وتحدثا في امر الثأر ، وفي السحر خرج أبو سفيان فوجد رجلا من الانصار يعمل في حرث له فقتله خوفا من ان يبلغ رسول الله ﷺ بمقتل معبد بن عمرو ـ هذا كما علم أن أبا سفيان فقد عقله فحرق بيتين بالعريض ... فرأى النبي ﷺ انه لابد من تأديب أبي سفيان فخرج في أثره فجعل أبو سفيان من هول ما لحقه من الرعب يتخفف من أحماله فجعل هو وأصحابه يلقون جرب (٢) السويق ـ وهي الأوعية التي تحفظ طعامهم المصنوع من الحنطة والشعير ـ فجعل المسلمون يأخذونها ولذلك سميت غزوة السويق (٣) .

وفر أبو سفيان ورجع والرعب يملأ قلبه هلعا وموتا .

غزوة بني لحيان :

في ربيع الأول سنة ست وكان مهمتها أن تثأر لأصحاب الربيع ، ذلك أن بني لحيان جعلت فرائض وعاطيا لعضل والقارة ـ وهم رحم من بني الهون بن خزيمة ـ ان استدرجوا لهم نفرا من أصحاب النبي ﷺ ليقتلوهم ثأرا لمقتل سفيان بن نبيح الهزلي ويبيعوا سائرهم الى قريش فيربحوا مالا ، ويساعدوا قريشا على الأخذ بثأرها .

فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من عضل والقارة ـ وتظاهروا باعلان الاسلام وقالوا : يارسول الله : ان فينا اسلاما فاشيا فابعث معنا نفرا من اصحابك يقرئونا القرآن ويفقهونا في الاسلام فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من القراء قيل ستة وقيل عشرة وأمر عليهم مرثد بن ابي مرثد الغنوي وقيل بل أمر عاصم بن ثابت فخرجوا حتى اذا كانوا بماء لهذيل يقال له الرجيع قريبا من الهدة لقيهم مائة في أيديهم السيوف فجد الصحابة القراء رضي الله عنهم ليقاتلوهم فقالوا : أنريد قتالكم ، ولا نريد الا أن نصيب منكم من أهل

---

(١) أي العطر ، ويبدو ـ والله أعلم ـ ان ذلك كناية عن تحريم الترف على نفسه.راجع للتجيرمي ـ أيمان العرب في الجاهلية ... مجلة الازهر.

(٢) جمع جريب

(٣) راجع الحلبية جـ ٢ ص ٢١١ راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٠٦

مكة نعطيكم عهد الله وميثاقه لانقتلكم فأبى مرثد بن أبى مرثد ، وعاصم بن ثابت أعطاهم ميثاقا ورماهم عاصم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى كسر رمحه ثم كسر غمد سيفه

وقاتل حتى استشهد فأرادوا قطع رأسه وحملها الى قريش فأرسل الله عليه الدبر فحمته فلم يستطيعوا الاقتراب منه فقالوا اتركوه الى الليل حتى يهجع الدبر — النحل فبعث الله سيلا فاحتمله فذهب به فلم يقدروا عليه ، وكان منذ أسلم قد نذر لله ألا يمس مشركا وألا يمسه مشرك فوفى لله فوفى الله له .

واما خبيب بن عدى فقد بيع الى حجير بن أبى اهاب بثمانين مثقالا من الذهب وقيل اشترته ابنة الحارث من عامر بن نوفل الذى قتل مع المشركين يوم بدر فحبسوه حتى تنتهى الاشهر الحرم وكان من أخباره أن الجارية (١) رآته وهو يأكل عنبا وما فى الأرض يومها حبة عنب واحدة فعلمت أنه رزق رزقه الله فأسلمت ثم قتل مصلوبا بعد الاشهر الحرم (٢) .

فهل ستترك الدولة الاسلامية أفرادها هكذا تعبث بهم نزوات الكفار ، وتجار الشرف ؟

لقد جهز رسول الله ﷺ لهذا غزوة بنى لحيان لحماية المواطن المسلم فان حرمته فى دمه وفى عرضه وفى ماله مسئولية الدولة ، فخرج رسول الله ﷺ اليهم فلم يجدهم فقد هربوا خوفا وندما وحسرة .

ومن آثار هذه الغزوة أن النبى ﷺ دعا دعاء العودة من السفر آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة على الأهل .

اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرة منك ورضوانا (٣) .

وكانت سرية زيد بن حارثة الى حصن وراء وادى القرى فى جمادى الاخرة وذلك أن دحية الكلبى سفير النبى ﷺ الى قيصر الروم قد اعتدى عليه الهنيد بن عارض فأخذ ما معه من اموال وملابس حتى اضطره الى أن يسير بسمل ثوب ، فبعث رسول الله ﷺ زيدا على خمسمائة رجل معه لتأديب الهنيد واسترداد أموال دحية والنصرة لكرامته وشرفه .

ونجحت السرية فقتل الهنيد وولده واستاق زيد ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومائة أسير ما بين امرأة ورجل ، فأدركه بعض المسلمين منهم وذهبوا الى رسول الله ﷺ يطلبون منه فك الأسارى وعودة المال وعفا الله عما سلف فأرسل معهم النبى ﷺ سيدنا على بن أبى طالب الى زيد بن حارثة أمير الجيش ففعل

---

(١) اسمها ماويه مولاة حجين بن ابى اهاب انظر الترجمة رقم ٧٢٧١ — اسد الغابة — ا مطبعة الشعب وراجع فتح البارى لابن حجر = ٧ / ٢٩٣ ط الاميرية ١٣٠٠ .

(٢) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٧٦

(٣) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

ما أمر به النبى عليه الصلاة والسلام .

وغزوة مؤتة :

كانت تطبيقا لاستراتيجية سيادة الدولة فيما يتعلق بالحفاظ على كرامة أفرادها وسفراء رئيسها ، ذلك : أن الحارث بن عمير الأزدى سفير رسول الله ﷺ أخذه ، شرحبيل بن عمرو الغسانى وضرب عنق الحارث بن عمير فاشتد ذلك على النبى ﷺ وندب الناس لحرب شرحبيل حرب سيادة لحماية رعايا الدولة الاسلامية واحترام سفراء رئيسها وسافر الجيش بقيادة جعفر بن أبى طالب ثم خلفه أثناء المعركة زيد بن حارثة ثم خلفه بعد استشهاده ، عبد الله بن رواحة ثم خلفهم خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينقذ السرية من كثرة جيوش الكفر التى بلغت مائة وخمسين ألفا مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين ، ولا شك أن خطة الانسحاب التى نفذها خالد بن الوليد كانت خطة فريدة فى التاريخ لأنها استطاعت أن تلقى الرعب فى جيش الكفر وتنجو بقلة قليلة من الخسائر .

اما فى العصر الحديث فقد شاهد التاريخ بعض خطط الانسحاب العشوائى التى كانت تقدم خطة الدعاية العسكرية التى كان يموه بها على الشعوب ويزعمون أنهم فى معركة حربية .

هكذا مارست الدولة الاسلامية نمطا من أنماط العمليات العسكرية التى تقوم استراتيجيتها على المحافظة على سيادة الدولة ، فى ممتلكاتها ، وسفرائها ، ورعاياها ، ومبادئها وتعاليم دستورها المعصوم .

وبذلك يتقرر أن جميع قضايانا المعاصرة فى امس الحاجة الى مثل هذا الايمان بالسيادة فى جدية لا تضيع وسط بريق الاعلام وضجيج الدعاية وتعمية السياسيين .

والسؤال الآن : هل هناك دولة فى العصر الحديث لا تمارس استراتيجية حرب السيادة ؟؟

مع الفارق الكبير بين سيادة الدولة الاسلامية التى هى للناس جميعا رحمة وعدلا ، وسيادة دولة استعمارية لا تؤمن الا بالقيم التى تعتل الشعوب لها خدما وعبيدا .

حماية المجتمع من العابثين والمفسدين :

كان خصوم الدعوة الاسلامية فى حنق شديد على المسلمين كلما جاء نصر الله والفتح وكانوا يترجمون خدعتهم هذه فى اشاعات كاذبة لمحاولة اطفاء نور الله ، وتشويه صورة المجتمع الاسلامى الطاهر ، النقى ، اليقظ . وقد سبق أن عرفنا كيف ان ام قرفة كانت تستغل جاهها ومنعتها لتكيل للمسلمين وللنبى ﷺ عديدا من السباب والشتائم فبين الكفر وسوء الادب علاقة طبيعية . ولقد كان على شاكلة ام قرفة بعض من المرضين وأصحاب الهوى والشهوة الذين يشيعون الأكاذيب

والاشاعات لتخذيل الشعور النبيل الذي يتمتع به ابناء المجتمع الاسلامي الذي قام وسط أكوام من ركام الانحرافات العقيدية والاخلاقية والانسانية .

فهل سيقف المجتمع الراقي النقي المساق مكتوف اليدين أمام صفاقة أهل الهوى والانحراف ؟؟

لقد أخذت العمليات العسكرية في حسابها الاستراتيجي أن تحمي المجتمع الاسلامي من هؤلاء الضعاف في الخلق والفكر .

ومن هذه العمليات العسكرية ما يلي :

ـ ان عصماء بنت مروان من بني أمية كانت تصر على أن تؤذي رسول الله ﷺ وتعيب الاسلام وتحرض على المسلمين فنذر الصحابي الجليل والبطل الضرير عمير بن عدى ابن خرشة الاوس الخطمي لئن رد الله رسوله ﷺ من بدر منتصرا ليقتلنها .

فلما رجع النبي عليه الصلاة والسلام بنصر الله وعمت فرحة النصر جميع المسلمين جاءها البطل الضرير « عمير » وكانت نائمة والليل ساج قد أرخى سدوله وحولها أولادها نيام فنحى صبيانها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها ثم أتى صباحا فصلى الصبح مع النبي ﷺ فلما انصرف نظر اليه النبي ﷺ وقال : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يارسول الله ؟ فقال النبي ﷺ نصرت الله ورسوله ياعمير . فقال : هل على شيء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عنزان . وقال ﷺ لأصحابه : اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدي . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انظروا الى هذا الأعمى الذي شرى ـ باع نفسه ـ في طاعة الله تعالى . فقال رسول الله ﷺ : لا تقل الأعمى . ولكنه البصير . فلما رجع عمير وجد بنيها في جماعة يدفنونها . فقالوا : ياعمير أنت قتلتها ؟ قال : نعم . فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو اقتلكم .

يقول علماء السيرة : فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمة ومدح حسان شاعر صدر الاسلام سيدنا عمير بن عدي ـ رضي الله عنهما .

وعلى نفس الوتيرة نذر سالم بن عمير بن ثابت احد البكائين من بني النجار ، أن يقتل اليهودي الردىء أبا عفك وقد كان شيخا من بني عامر بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض على عداوة النبي ﷺ ورفض الدخول في الاسلام وأشبع الادب الجاهلي شعرا مسموما ضد النبي عليه الصلاة والسلام وضد الدعوة والمسلمين . فخرج اليه سالم بن عمير في ليلة صائفة نام فيها أبو عفك بالفناء في بني عمرو

ابن عوف فوضع السيف على كبده فقتله فصاح عدو الله فتركه سالم رضى الله عنه والتف حوله نفر من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه بيته فمات (١) •

وكان كعب بن الاشرف اليهودى رجلا ، ثريا يستخدم ثراءه وشعره ضد الاسلام ونبيه ﷺ وجماعة المسلمين ، بل كان يريد أن يشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فعندما ذهب اليه المسلمون يطلبون ميرة شرطها بتقديم رهن من نساء المسلمين لكى يشيع فى الناس كذبا ـ افكا مبينا ـ حول عرض المسلمين وشرفهم فجهز رسول الله ﷺ سرية للخلاص منه وجعل عليها محمد بن مسلمة . ونجحت السرية فوضع محمد بن مسلمة معوله وهو سيف دقيق قصير ماض فى سرته حتى انتهى الى عانته فصاح اليهودى صيحة أسمعت جميع آطام اليهود فأشعلوا نيرانهم ، واحتز عسكر السرية رأس كعب واحتملوه ، وأتوا رسول الله ﷺ وقد كان يصلى بالبقيع فلما بلغوه كبروا فكبر النبى ﷺ ثم قال : أفلحت الوجوه ؟ فقالوا : وجهك يارسول الله ، ورموا رأس كعب بين يديه ، فحمد الله على قتله ثم قال ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه (٢) •

وكانت هذه الاستراتيجية فقها معروفا فى العمليات العسكرية المحدودة ، كما كانت ضبطا لنزوات اليهود وشياطينهم من الفاسدين من عرب قريش ، وقد قنن هذه الاستراتيجية سيدنا رسول الله ﷺ عندما غذا محيصة بن مسعود على ابن (سنينة) فقتله لانه كان سبابا ولعانا وهمازا للنبى ﷺ والمسلمين فجعل أخوه (حويصة) يضربه ويقول : أى عدو الله اقتلته ؟ اما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ••• !!

فقال « محيصه » : والله لو أمرنى بقتلك الذى أمرنى بقتله لقتلتك ، قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها قال : والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة •

فجاءت يهود الى النبى ﷺ يشكون له ذلك فقال ﷺ : انه لو قر كما قد قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم الا كان السيف (٣) •

غير أن الذى يجب أن يلاحظ ويفهم جيدا ان هذا النوع من العمليات العسكرية لا يجوز التصرف فيه بالراى الشخصى او الاجتهاد العنفوانى ، أو الحمية الطائشة ••••• فذلك حق رئيس الدولة واولو الأمر ••

يتبع

د / رءوف شلبى

---

(١) راجع السيرة الحلبية جـ ٣ ص ١٥٨ راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٠٣
(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٢٢ راجع الحلبية جـ ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ •
(٣) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٠ وعلى هذا المنوال قتل أبو رافع راجع زاد المعاد .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسن القاياتي

هو حسن بن محمد بن عبد الجواد بن عبد اللطيف القاياتي .

والحديث عن امثاله لا تفى به عجالة من حيث انه شخصية متنوعة المواهب فالشيخ موسوعة علمية فريدة بل دائرة معارف بعيدة الاغوار متعددة الجوانب حتى غدا من اعلام عصره ادبا وعلما فهو اديب علماء الجيل وعالم ادبائه بحق .

والذين أتيحيت لهم فرص الوقوف على ثراثه يجدون أنفسهم أمام نبع فياض فى كل مجال أعمل فيه فكره وقلمه فقد امتد أفق الشيخ مع امتداد المعرفة فى كل مجالات الحياة .

ولد الشيخ الجليل فى قرية القايات من أعماق محافظة المنيا ونشأ فى أسرة حظيت بنصيب موفور من العلم والعمل ونالت من الأزهر الشريف حظا من العلم والمعرفة أحلها مكان الصدارة والقيادة والريادة فى صعيد مصر تجمع القلوب على توحيد الله وتنشر العلم والمعرفة حتى غدت الأزهر الشريف ممثلا فى آباء الشيخ يسعى نوره فى دنيا الناس على أرض الله ليعم القرى والمدن .

مولده : ولد الشيخ « حسن » فى قرية القايات مركز العدوة ـ مغاغة ـ سابقا ـ محافظة المنيا عام ١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٢ ميلادية .

وفى هذه الفترة شهدت مصر انتفاضة الشعب وراء الزعيم أحمد عرابى والتى كان فى طليعة ابطالها والد الشيخ وعمه الشيخ « أحمد عبد الجواد » فكان حظهما النفى الى بيروت ،

وكأن الله أراد للشيخ الايفتح عينيه على والده وأن تستقبل أذناه أحاديث الوطنية ويتغذى بلبانها أول عهده بالحياة .

وقد بدأ الشيخ حياته فى عصر الكتاتيب التى أسهمت بجهد مشكور فى تحفيظ القرآن الكريم والاهتمام بتعليم مبادىء القراءة والكتابة والخط والحساب والاملاء ، فأتم

للأستاذ خلف عقل أحمد شريف

الشيخ حفظ القرآن الكريم وأضاف الى ذلك اجادة القراءة والكتابة .

وما أن شب عن الطوق حتى التحق بالأزهر الشريف طالبا من طلاب العلم النابهين ليصل مسيرة آبائه الذين كانوا من علمائه العاملين فشب الشيخ وقد مزج بين حظه الموفور من علوم الأزهر الشريف ومعارفه ، وما هيأته له فطرته الأدبية ، فغدا نبعا فياضا من ينابيع الادب شعره ونثره وقد أوتى من أسرار البيان ما يثير الحماس ويلهب المشاعر ويذكى معانى الوطنية فى نفوس الطليعة واذا كان الغالب على الأدباء أن يجيدوا فى احد طرفيه فان الشيخ قد أستبطرق الأدب شعره ونثره وأجاد فى كليهما اجادة وقعت بهما على قدم المساواة أمام عبقريته النادرة حتى قال فيه ابن عمه وخطيب ثورة ١٩١٩ الشيخ مصطفى أحمد عبد الجواد القاياتى . فى ذلك المعنى :

فاذا نظمت فاحرفا من فضة
واذا نثرت فلؤلؤا منثورا

وقد كان من عطاء الشيخ ديوانه المطبوع وآخر مخطوط الى ثروة كبيرة أمد بها الصحف والمجلات مثل :

الأهرام والمصرى والرسالة والأزهر والاثنين الى غير ذلك من الصحف والمجلات التى واكبت مسيرة حياته .

وان اهتمام الشيخ باللغة وآدابها قد أضفى على أسلوبه من الرونق والجمال ما جعله متميزا على أساليب أترابه بل جعله يعلن عن قائله دون توقيع أو تعريف .

فقد غاص فى أعماق اللغة وعنى بمكنونها حتى أثرى من شواردها ونوادرها ما جعله نسيج وحده وفريد عصره فى هذا المجال .

ومثل هذا الطراز من العلماء والادباء كسب كبير تفيد من تراثه الاجيال وتنتفع بنظراته اكمام المعرفة فى كل مجال . لذلك حظيت مقالاته وقصائده باهتمام بالغ من الصحف والمجلات على أن الشيخ لم يكن من هواة الشهرة ولا من الساعين اليها لأنه لم يعمل لها .

وقد اختير مصححا فى دار الكتب فعضوا للمجمع اللغوى ، واذا عرف الشيخ بأنه موسوعة علمية جمعت من كل بستان فان شاعريته طوفت فى جميع الأغراض من غزل ووصف ومدح وهجاء وسياسة ووطنية فلم يحرم من آرائه المجال السياسى حيث اختير



عضوا لمجلس النواب ليكون صاحب الرأى الأرشد الذى يتميز بروح التمسك بالحق والانتصار للعدالة والسهر على قضايا الامة .

وفى وقت عصيب كانت الكلمة فيه مستبسلا تمثل سخاء التضحية وصدق الفداء .

واذا كانت الشجاعة فى الحق هى الوسام الذى يميز المسلم فمن أولى به من العلماء .

والشيخ سليل طليعة منهم وقفوا حياتهم على الدعوة الى الله والجهاد فى سبيله متمثلا فى

الدفاع عن الوطن دون مبالاة بتعذيب أو تشريد حتى كان نصيب والده وعمه الشيخ

احمد عبد الجواد النفى خارج البلاد لتأييدهما ثورة عرابى .

وكان حظ تربه وابن عمه الشيخ مصطفى القاياتى من ذلك أوفى لانه لسان ثورة ١٩١٩ يخطب الجماهير بأسلوب من سحر البيان يلهب المشاعر ويشحذ الهمم ويذكى روح الوطنية ويجمع الجماهير على حب الوطن والفتدائه .

فى مثل هذه الدرجة التى رواها الأزهر من نبعه المتدفق شب علمنا وأديبنا الشيخ حسن القاياتى الذى أبلى أحسن البلاء وجاهد أصدق الجهاد فى ميادين العلم والأدب والسياسة .

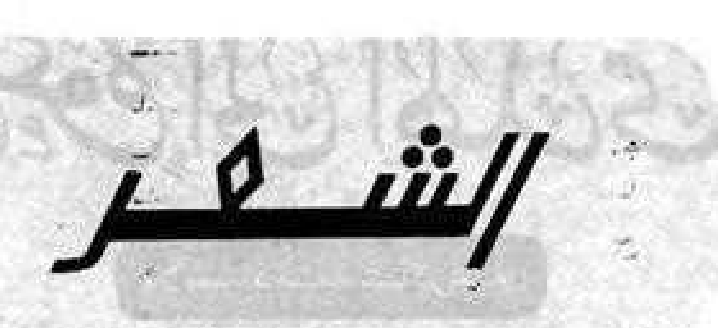
وعاش يحمل راية الآباء والاجداد مواصلا مسيرتهم فى الدعوة الى الله والدفاع عن الوطن فى لوحات فنية من الأدب الرفيع والكلمة الموحية .

ويعد الشيخ علما من أعلام الأزهر وفارسا من فرسانه البواسل الذين اتخذوا من اقلامهم سلاحا ماضيا بما أتيح لهم من المعرفة المتقنة لفن الكلمة وأسرار اللغة وسحر البيان .

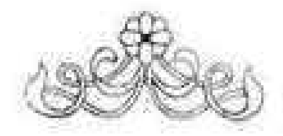
هذا هو الشيخ حسن القاياتى احد أعلام الأزهر الذين اعتزت بهم اللغة وفاخر بهم الأدب .

والأمل كبير فى اساتذتنا الفضلاء القائمين على مجمع البحوث ان يقدموا للأجيال تعريفا واضح المعالم لعالمنا الجليل وأديبنا الأريب تقديرا لجهود الموهوبين ووفاء للأزهر الشريف وعرفانا بفضله وتذكيرا بعطائه السخى والله ولى التوفيق .

خلف عقل

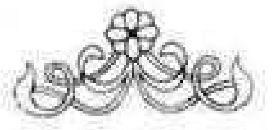


دعوة الى الهدى



شجرة جرداء بين أشجار خضراء

الطائر الأسير







للأستاذ سعد شاكر على

قم للذى فطر السماء مصليا ... ومسبحا بالليل والإشراق

واحمده أنْ أعطاك رزقا واسعا ... أو كنت فى عسر وفى إملاق

وانظر إلى ملكوت ربك دائما ... وتأمل الآيات فى الآفاق

فى الشمس والأنهار والقمر الذى ... يبدو هلالا فانتهى بمحاق

فى الأرض تسكنها خلائق جمة ... ويمدها الرحمن بالأرزاق

فى الطير فى جو السماء محلقا ... والحوت كيف يعيش فى الأعماق

فى الماء ذا عذب وذلك مالح ... والسحب ذات الرعد والإبراق

فالفكر فى الآلاء نور ساطع ... لا تكفرن بنعمة الخلاق

لاتأتين نقيصة أبدا ولا ... تركن إلى الجهال والفساق

أخلص لربك دينه تنل الرضا ... واستكملن فضائل الأخلاق

شجرة جرداء

بين أشجار خضراء

للأستاذ محمد عبد الخالق ندا

وجـرداء نابية فى الشـجر ... وقفت أسرح فيهـا البصر

عليهـا الكآبة قـد خيمت ... ولاح عليهـا الاسى والضجر

يمـر النسـيم بهـا عابثـا ... فـلا حس يبدو بها أو خبر

وتنصرف الطير عنهـا ازورا ... را فـلا ظـل يعطفها أو ثمر

وهـل يألف الطير الا الحيـا ... ة ونـورا لطلعتهـا قـد بهر

يغـرد ما شـاء فى نشـوة ... ويهتف للحسـن أنى ظهـر

**

سُلِبْتِ الحيـاة وسـحر الحيـا ... ة فماذا وقـوفك بين الشجر

وسـيان عنـدك لفح الهجيـ ... ـر وخفق النسـيم اذا ما خطـر

اذا ما تجهـم صرف الـزما ... ن نبا الانس عنك وولى السحر

تذكـرنى بمصيـر الحيـا ... ة وأن الحيـاة مجال العبـر

**

لَزِمْتِ السـكوت ويا طالمـا ... سرى منك وحى يثير الفكـر

وأبـداك المـوتُ ظـل الفنـا ... ء بظل الحياة البهى الأغـر

وكـل حيـاة الى غـاية ... يحول الوجود ويفنى العمـر

الطائر الأسير

أطلقوني فقد سئمت الاسارا ... وكرهت الأقفاص سجنا ودارا

واكسروا حولي الحصار وفكوا ... انما الحر لايطيق حصارا

لست أرضى الحياة فى قفص الأسر ... ولو كان فضة أو نضارا

لست أرضى بالحبس فهو هوان ... ثلة الحبس تقتل الاحرارا

زينوا ماتشاءون حولى وبثوا ... لى الزرابى ثم اغرسوا الأزهارا

وضعونى فى الدار زينة ركن ... واجعلونى للزائرين مزارا

وانقشوا الاسم فى اطار جميل ... بئس الاسم الذى يصير شعارا

وانثروا الحب لى جمانا ودرا ... لست ممن يورثون عقارا

فطعامى فى السجن نتن كريه ... يترك البطن ان أكلت دمارا

وحياتى فى الأيك حرا طليقا ... هى حلمى اذا أردت خيارا

لست أنسى أيام أن كنت فرخا ... زغب الريش اسكن الأوكارا

ألقط الحب من فم الأب رطبا ... لم أكن بعد أعرف المنقارا

لست أنسى أبى هناك وأمى ... حين حطا يزقزقانى وطارا



للأستاذ عزت شندي موسى

اذ يهبان في البكور خماصا	ويعودان يحملان ثمارا
يطعمانى ويوثرانى بعطف	رب غر لايفهم الايثارا
لمت انس عشى الدفء وقد قمت	برأسى لارقب الاطيارا
ثم أحْسُو الندى زلالا نديا	واذا شئت اشرب الأمطارا
كم نشقت للعبير في الروح زهرا	ومع الأسر كم نشقت غبارا
ذاك عشى ولست أرضى لعشى	ذا بديلا ولا أريد غيارا
نشر الصائد الخؤون شباكا	واحتوانى فما استطعت فرارا
لم يدعنى او يستجب لندائى	بل مضى بى وزاد بى استئثارا
وأتى بى وباعنى بزهيد	من متاع وَأبْخَسَ الأسعارا
فتهاوى النظار عندى وكل	حام حولى وأمعن الانظارا
ليس منهم من أجهد العقل في	دقة خلقى او سبح انبهارا
ليس منهم من رق لى وحبانى	بحنان او حطم الاسوارا
هم طغام بلا نظام يروحون	تقالا ويقبلون حيارى
ويضيعون وقتهم في نقاش	غير مجد ويخلقون حوارا
ضربوا النبل بالجهالة نحوى	ثم القوا بمرقدى الأحجارا
وافتقدت الهدوء والانس والنور	وماعدت المح الاقمارا
نذكر الايك والمروج ونهفو	لرباها ونذكر الانهارا
كل طير له عزاء بطير	لهف نفسى والجار يرثى الجارا
تلك اقدارنا وسبحان بار	قد برانا وقدر الاقدارا

العلوم الكونية

التركيب الذرى للمادة

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ » آل عمران ١٩٠ .

« وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » يونس ٦١ .

مقـــدمة :

ان ايماننا بخالق هذا الكون العظيم لا يجب أن يكون ــ فقط ــ شهادة ننطقها باللســان ولكن يجب أن يتعدى حدود ذلك الى عقيــدة راسخة فى النفس يستتبعها سلوك نابع من تلك العقيدة . وان كانت هذه العقيــدة يجب أن تكون راسخة بالفطرة السليمة النقية يزيدها العلم والعمل ايمانا ويقينا .

ومن الامور التى استفاض فيهـا العلم ــ وقطع العلماء فيها أشواطا طويلة فى استكشاف حقائقها المثيرة ــ تركيب المادة ، أو بصـورة أدق ، التركيب الذرى للمادة ــ .

ولنتأمل معا بعض الحقائق العلمية المجردة بصورة مختصرة ومبسطة فى هـذا المجــال ولنحدق بأبصارنا وندقق بأفئدتنا فيما يسرد لنرى هذه العظمة اللانهائية للخالق الــذى لا اله غيره وكيف أحكم ما صنع بقدرة رائعــة لا تقبل القياس .

فلنحاول جاهدين بما أوتينا من مقــدرة على الشعور والقياس ان نتتبع ما تظهره هذه التفاصيل الكشفية المبسطة ، ولتكن نياتنــا جميعا فى ذلك هى التفكير فى آيات الكــون العظيمة منفذين بذلك أمر الله عز وجل بالتفكر

فى خلق السموات والأرض عسى أن يهدينــا سواء السبيل وأن ينفعنا بهذا العلم وأن يثيبنا بهذا التفكر والتدبر فى آياته العظيمة .

تركيب الذرة :

تتكون أى مادة فى الكون من ذرات ، والذرة جسيم متناهى الصغر يتكون لأى مادة أوليــة من نواة ذات شحنة موجبة والكترونات سالبة الشحنة تحيط بهذه النواة .

تقدر شحنة الالكترون الواحـد بحـوالى ٤٫٨ × ١٠ ^-١٠^ وحدة كهروستاتيكية وهـذا الالكتـــرون يـزن مـا يقــارب ٩٫١ × ١٠ ^-٢٨^ جرام .



للمهندس محمد ابراهيم حسين

وتتركز كتلة الذرة فى هذه النواة موجبة الشحنة الكهربائية .

وتحدد الشحنة الكهربائية الموجبة لهذه النواة بعدد البروتونات التى تتكون منها وهذا العدد يعرف بالعدد الذرى للعنصر ، وهو عدد يمثل ترتيب العنصر من حيث مكانه مع العناصر المختلفة الأخرى .

وعلى سبيل المثال فان عنصرا مثل « الليثيوم » عدده الذرى = ٣ يعنى ان له ثلاث وحدات كل منها شحنة كهربائية موجبة ، وبذلك تتكون ذرته من ثلاثة الكترونات .

ويلاحظ ـ نتيجة لوجود الشحنة الموجبة والشحنة السالبة فى نفس ذات الذرة الواحدة للعنصر عن تكون قوى تجاذب تعمل بين النواة موجبة الشحنة الكهربائية وبين هذه الالكترونات سالبة الشحنة الكهربائية .

مدارات الالكترونات :

وهذه الالكترونات السالبة المحيطة لنواة الذرة موجودة فى مستويات أو مدارات لها كمية طاقة محددة لكل مدار أو مستوى .

وكلما اقترب تواجد الالكترون من النواة

كلما كان أكثر ارتباطا بها بسبب قوى التجاذب بين الشحنة السالبة للالكترون والشحنة الموجبة للنواة ، وبالتالى فان طاقة الربط بين الالكترون والنواة تكون أكبر فى هذه الحالة .

ويعنى ذلك مباشرة أن الالكترون الاقرب للنواة يحتاج لطاقة أكبر لازالته ـ عن مداره ـ عن الالكترون الأبعد من النواة .

وعن طريق علم ميكانيكا الكم أمكن تحديد السعة القصوى لكل مستوى طاقة معين من « عدد الكترونات » فيكون المدار الأول الأقرب للنواة لا يحتوى الا على (٢) الكترون والذى يليه (٨) الكترونات ثم ١٨ ثم ٣٢ وهكذا .

وبهذا التحديد العددى الدقيق جدا للعدد الأقصى للمحتوى من الالكترونات لكل مدار فان ذرة مثل « ذرة الليثيوم » التى تحتوى على ٣ شحنات كهربائية موجبة ، أو التى عددها الذرى ٣ وتحتوى بالتالى على ٣ الكترونات ، يكون المدار الاول القريب من النواة ٢ الكترون والمدار الذى يليه ويعتبر المدار الأخير أو الخارجى فى هذه الحالة يحتوى على الكترون واحد .

وكذلك « ذرة الصوديوم » التى تتكون من ١١ الكترون يكون توزيع الكترونها كالآتى :

(٢) الكترون فى أقرب المدارات من النواة ، ثم ٨ الكترونات فى المدار الذى يليه (حيث

سعته القصوى ٨ الكترونات) ثم باقى الالكترونات وهو الكترون واحد فى هذه الحالة فى المدار الثالث ويعتبر فى هذه الحالة المدار الخارجى لذرة الصوديوم .

وتحدد الخواص الكيميائية لأى ذرة أساسا اعتمادا على عدد الالكترونات فى المدار الخارجى ، لأن هذه الالكترونات تكون أضعف الالكترونات ارتباطا بنواة الذرة وبالتالى أكثرها تعرضا للمؤثرات الخارجية. وبهذا المفهوم فان الارتباط بين الذرات أو التفاعلات الكيميائية المختلفة يكون عن طريق الالكترونات الموجودة فى المدار الخارجى للذرة .

وبتعريض الذرة للاشكال المختلفة للطاقة سواء كانت حرارية أو اشعاعية فانه اعتمادا على كمية الطاقة التى تتعرض لها الذرة ـ يمكن تحريك الالكترون من مدار أو مستوى طاقة الى مستوى طاقة آخر حيث يكون فيه أقل ارتباطا بالنواة وكلما ازدادت الذرة تعرضا لكميات من الطاقة الخارجية كلما ازداد عدم استقرار الذرة وتجعلها (قائمة) فى الحالة النشيطة .

وفى حالة خروج الكترون من مداره فى الذرة تتحول الى جسيم يسمى « الأيون » ذا شحنة موجبة ويمكن أن يتحول مرة أخرى لحالة التعادل بجذب الكترون من الالكترونات الطليقة القريبة .

وتحول الذرة من الحالة المستقرة الى الحالة غير المستقرة يصاحبه انبعاث موجات كهرومغناطيسية لها كمية طاقة محددة وتساوى الفرق بين طاقة ربط الالكترون لمداره فى الذرة الذى كان يحتله والذرة مستقرة وبين طاقة ربط هذا الالكترون والذرة غير مستقرة .

النـــواة :

نواة الذرة لها تركيب معقد جدا وتحتوى أساسا على « بروتونات ونيوترونات » والبروتون : جسيم موجب الشحنة الكهربائية وله كتلة = ١٫٠٠٧٥ وحدة كتلة ذرية ❋ ونسبة كتلة البروتون الى الالكترون = ١٨٤٠ .

والنيوترون عبارة عن جسيم متعادل كهربائيا وليست له شحنة كهربائية وكتلته ١٫٠٠٨٩ وحدة كتلة ذرية وهى تقريبا تعادل كتلة البروتون .

وتعتبر النواه أصغر حوالى مائة ألف مرة فى أبعادها عن الذرة ككل فحيث أن نصف قطر الذرة حوالى $\frac{1}{\text{مائة مليون}}$ سنتيمتر

❋ وحدة الكتلة الذرية تساوى ١٫٦٦ × ١٠ ـ ٢٤ جرام .

يكون نصف قطر النواة حوالى ١ / عشرة ملايين مليون سنتيمتر الى ١ / مليون مليون سنتيمتر .

في حين أن الالكترون يبلغ نصف قطره حوالى ٢,٨ / عشرة مليون مليون سنتيمتر .

وتركز كتلة الذرة في هذه النواة موجبة الشحنة الكهربائية .

وبصفة جامعة فان مجموع عدد البروتونات والنيوترونات في النواة للذرة يسمى :

(رقم الكتلة) ويحدد عدد البروتونات في النواة شحنة الذرة وهو — عدديا — يساوى الرقم الذرى للعنصر أما عدد النيوترونات فيساوى رقم الكتلة — الرقم الذرى .

خاتمة :

هذا مختصر وهو قليل من فيض ما اكتشفه الانسان مما كان يجهل من خلق الله العظيم وما كان يجهل — ومازال يجهل — فهو أعظم وأعظم .

فما هو الا قليل قليل من خلق لا نهائى وان حجم ما نعلم الى ما لا نعلم انما هو قطرة في محيط لا نهائى أليس هذا اعجاز بكل المقاييس ؟ ان كلمات الاتقان والجودة والدقة والاحسان لتقف جميعا عاجزة عن التعبير أمام هذه الصورة البالغة من التكوين . هذا الحجم الضئيل جدا بالقياس يخضع لهذه الدقة المتناهية في التصميم والتكوين .

كل شيء بقدر . . . . شحنات كهربائية سالبة وموجبة . . . كميات طاقة محددة ومقدرة . . . . أعداد من جسيمات غاية في الصغر محددة ثابتة . . . . كتل ثابتة متناهية الصغر تتحرك وتقوم بوظيفتها في تكوين الخواص وفي التفاعل مع الكتل الاخرى . . . . موجات كهرومغناطيسية لها كمية محددة من الطاقة مقدرة تقديرا . . . . جسيمات متعادلة الشحنة تشكل مع جسيمات موجبة الشحنة مجموع معقد يمنح الخاصية للمادة .

والله انه لخلق مقدر تقديرا رائعا دقيقا تقشعر منه جلود الذين يؤمنون أما المجادلون فقد ختم الله على قلوبهم . أليس أجدر بنا بعد ذلك كله أن نتبع الخالق العظيم فيما أمرنا به وأن ننتهى عما نهانا عنه وأن نعرف حقيقتنا بالمقارنة بهذه المنظمة الالهية الرائعة وأن نقدر حجمنا في هذا الكون التقدير السليم .

ألم يكفنا تضييع لحقوق الله والعباد ؟ ألم يحن الوقت لكى نتبع الصراط السوى الذى جعله الله لمن اهتدى ..

محمد ابراهيم حسين



"حـــقا"

ما أصدق قول الامام الشافعي ــ رضى الله عنـه ــ ٠

يا أهل بيت رسـول اللـه حبكم
فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القـدر أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

فقد قال الله ــ عز وجل ــ لحبيبه المصطفى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ، وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ » ٠

قـالــوا..

* لا تأمن من كذب لك ، أن يكذب عليك ٠

* من اغتاب عندك غيرك ، يغتابك عند غـيرك ٠

* النفس الأمارة بالســوء : أنانيــة فى سلوكها فردية فى تصرفاتها تعمل لذاتها معبـرة عن رغباتها ، غير مراعية حقوق غيرها ٠

* الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله ٠

* الحكيم الصالح لايخادع أحدا ، والعاقل الكامل لايخدعه أحد ٠

"هـل تعـلـم"

* ان اول قاض بالكوفة سليمان بن ربيعة الباهلى الذى جلس اربعين يوما لا يأتيـــه خصم ٠

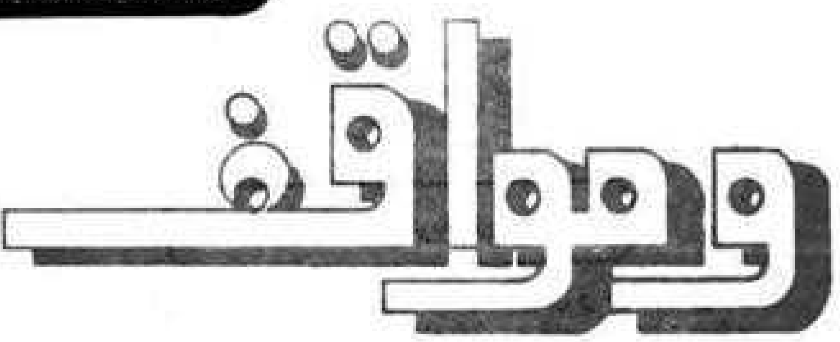
* واول قاض بالبصرة ابو مريم بن صبيح

* واول قاض بالشام ابو الدرداء



إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



* واول قاض بفلسطين عبادة بن الصامت

"ويل"

ويل لصاحب الدنيا يموت ويتركها ، وتغره ويامنها ، وتخذله ويثق بها ، وتخونه ثم يقبل عليها .

وويل للمغترين بالدنيا وقد أرتهم ما يكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون .

"فكأنا ألف حازم"

قيل لرجل من عبس :

ما أكثر صوابكم .

قال : نحن الف رجل وفينا حازم واحد ونحن نشاوره فكأنا الف حازم .

"فذلك الذى أبكانى"

قال يونس بن محمد المكى :

زرع رجل من أهل الطائف زرعا ، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق فدخلنا عليه نسليه فبكى وقال : والله ما عليه أبكي ولكني سمعت الله — تعالى — يقول : « كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (١) .

فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذى أبكانى .

دعاء

اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك فيه .

صر : برد شديد . والآية من سورة آل عمران (١١٧) .



الإسلام يحث على العمل

للأستاذ محمد فريد وجدى

كفى بالعمل شرفا أن يأتى فى المرتبة التالية للايمان فى قوله تعالى :
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) ٠
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا)٠

وحيث ان العمل هو المقياس الصحيح لقيمة الانسان ، فقد أولاه الاسلام عناية خاصة ٠ وذلك بالامر به والحث عليه ٠

وقد جاءت اعمال الرسل السابقين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام من لدن آدم الى خاتم النبيين محمد ﷺ تطبيقا عمليا لهذا المبدأ السامى : مبدأ العمل ٠ فلم يكن واحد من الرسل عاطلا عن العمل ، فقد كان آدم حراثا (١) ، ونوح نجارا وداود حدادا ومحمد ﷺ راعيا للغنم ، ثم تاجرا للسيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ قبل البعثة ٠

والانقطاع والتبتل والقعود عن العمل فى سبيل العبادة شىء لايقره الاسلام ولا يقبله ، فانه (لا رهبانية فى الاسلام) ، ولأن الاسلام دين حركة وحياة فقد نهى عن التواكل نهيا قاطعا وجعل العمل من كمال الايمان يرقى الى مرتبة العبادة ٠

ورجال الاسلام واعلامه السابقون عرفوا شتى انواع العمل واتقنوها فقد عرفوا الزراعة والصناعة والتجارة والفنون ٠ عرفوا الترجمة وعلوم الكيمياء والتحنيط ٠ عرفوا كل ذلك ومارسوه عملا فسادوا غيرهم ٠ ومقياس الحضارة والتقدم والرقى عند اية أمة هو العمل ، فنحن نرى فى واقع اليوم أمما كثيرة سادت غيرها لأنها عملت ، واخرى بادت ـ ولو معنويا ـ لانها قعدت وتواكلت ٠

فحرى بمسلمى اليوم أن يعملوا حتى ينهضوا ويعيدوا مجد آبائهم الأولين٠ فقد جعلهم القعود اتباعا بعد ان كانوا سادة وجنودا بعد أن كانوا قادة ٠

قال الأستاذ محمد فريد وجدى :



للاستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

يخيل لبعض المسلمين أن التقرب الى الله تعالى ينحصر فى الانقطاع عن أعمال الدنيا والتفرغ للعبادات كالصلاة والصوم وما الى ذلك ، وما دروا أن الله تعالى يتقرب اليه بكل عمل مباح قصد به اسداء الخير لجهة خاصة أو للناس كافة ، متى تمحضت فيه النية خالصة للخير ، وأريد به وجه تعالى ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان المسلم ليؤجر فى كل شيء حتى فى اللقمة يرفعها الى فى امرأته » . وهذه ميزة للاسلام جعلت منه دينا مدنيا يصلح لكل زمان ومكان ، ولكل أمة ، فى أى عهد من العهود الانسانية .

لقد فتح المسلمون الأولون الأرض بعمل دائم مستمر ، وحفظوها تحت سلطانهم بجهد عظيم متواصل ، فلو كانوا اكتفوا بما يجبونه من خراجها ، وجزية أهلها لوقعوا فى شر حالات البطر ، كما حدث للرومانيين حينما أمنوا أعداءهم ، وأثروا من أموال مقهوريهم ، ولكن المسلمين عفوا عن أموال الناس ، وأكبوا على الأعمال فنالوا من ورائها ثروة لم تكن لأمة غيرهم ، فمنهم من اشتغل بالتجارة فكانوا أبرع أهلها فى سائر أقطار العالم ، ومنهم من زاول الصناعة فبلغوا منها شأوا لا يزال مضرب الأمثال الى اليوم ، وعملوا فى الزراعة فأوجدوا فيها الأساليب التى يجرى عليها الأوربيون الى هذا العهد ، كما اعترف بذلك العالم الاجتماعى (درابر) وغيره .

ونظروا أيضا فى العلوم والفلسفات وترجموها الى لغتهم ، وتوفروا على الاشتغال بها نشرحوها وزادوا مادتها ، واكتشفوا علوما جديدة ، ولم يهملوا الفنون والصناعات فوصلوا منها الى حدود بعيدة لم تكن معروفة من قبلهم ، ولم يهملوا حتى الكماليات من الأمور ، فاقتبسوا ضروب الأعمال الزخرفية ، وانتهوا منها الى نهايات لاتزال تعتبر من الابداعات الفنية .

ولم يهملوا حتى الرحلات القصية ، فبلغوا الى أقصى ما بلغه من سبقهم من الفنيقيين واليونانيين والرومانيين ، وعادوا بمعلومات ثمينة عن الأمم والممالك ، دونوها فى كتب لا يزال يستهدى بها الأوروبيون فى تدوين معارفهم الأرضية والجغرافية .

ولم يقصروا حتى فى البحث عن المعادن ، فحفروا المناجم واستخرجوا منها ما استكن فى بطن الأرض من الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس ، وأنشأوا لها المسابك فنقوها مما علقت به مما ليس منها ، وصنعوا منها ما احتاجوا اليه من الأوانى والآلات .

وتفرغ رجال منهم للغة فجمعوها ونقدوها وألفوا فيها المعاجم ، ووضعوا لها نحوا وصرفا ، ودرسوا نثرها وشعرها فصاغوا علوما



خاصة بها ، تبحث فى درجات دلالاتها وفى محسنات ألفاظها ، وفى جزالة معانيها ، وفى أوزان قريضها .

ومما يدهش أنهم لم يهملوا حتى العلوم السحرية والطلسمية والسيميائية وغيرها مما كان يشتغل به الأقدمون على غير هدى ، فدونوها وبينوا رموزها ، وكشفوا مساتيرها .
هذا عجيب من أمة قامت بالدين ، واضطلعت بنشر دعوته بين العالمين . ولكن متى أدرك الباحث أن الاسلام نفسه يعد من الخير والتقرب الى الله تعالى كل بحث ونظر واستقصاء فى كل شيء ، متى أخلص الانسان لله فى الاشتغال به ، وقصد به النفع العام أو الخاص . اذا أدرك الباحث هذا الأصل الاسلامى بطل تعجبه ، وأمكنه أن يعلل تسارع المسلمين الى اقتباس كل ما عثروا به . والى بذل الوسع فى حذقه وترقيته الى أقصى مايصل اليه الامكان .

ومما يثبت هذا من الآيات القرآنية قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ » وقال عن المؤمنين العاملين :

« وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ » اعتبر عملهم هذا قربة منهم . وزاد الله على هذا فأمر بالانسياح فى الارض وطلب الخير بذلك ، فقال تعالى :
« فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ » .

سن الله بهذه الآيات للمؤمنين سنة الانتشار فى الأرض ، والتماس فضل الله . وفضل الله ليس قاصرا على التجارة ، ولكنه يشمل الزراعة والصناعة والعلوم والفنون ، وكل ما يصدق عليه أنه فضل الهى ، فندب الله الناس بذلك الى الأخذ عن الأمم . وقد جرى النبى ﷺ على هذه السنة بالعمل فى وقعة الأحزاب ، وذلك أنه لما بلغه أن قريشا قد جمعت الجموع لحربه ، واتفقت مع قبائل مجاورة لها ومع اليهود النازلين قريبا منهم ، وتقصدته بجيش عرمرم ، أخذ رسول الله يستعد للقائهم ، فقال له سلمان الفارسى :

يارسول الله اننا اعتدنا فى بلادنا فى مثل هذه الأحوال أن ننشىء الخنادق حول مدننا ، تعطل بها حركات العدو . فبادر النبى ﷺ الى الأخذ بهذه الوسيلة الدفاعية ، وكان العرب يجهلونها ، وندب أصحابه لحفر الخندق ، واشترك بنفسه معهم ، وكان يحمل التراب على عاتقه . فكان أخذه بما صلح من وسائل الحرب وفنونها عن قوم كانوا يعبدون النار لاشكيعتبر سنة عملية سنها لقومه ليأخذوا بما يصلح من فنون الأمم وصناعاتها مع عدم الاعتداد بمعتقداتها .

وقد أعد الله نفوس المسلمين الأولين لاساغة هذا الاقتباس بما كشفه لهم من الحقائق

الاجتماعية ، فقال لهم فى محكم كتابه : « هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » فبين لهم بهذا أن الاستواء بين الفريقين محال، وعدم الاستواء يفضى الى تفضيل أحدهما على الآخر فى ثواب الآخرة وثواب الدنيا أيضا .

وكشف لهم بقوله تعالى : « وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » وبقوله : « وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا » . انهم فى حاجة الى العلم وأنهم مطالبون بالتزود منه لدينهم ودنياهم . وأرشدهم النبى ﷺ الى أن العلم يتصيد من كل مظنة ولو من المشركين ، فقال : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها » وفى حديث آخر : « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت » .

فهذا الاعداد لنفوس المسلمين للاخذ عن الغير دفع بهم الى تناول كل ما وجدوه من العلم والفلسفة ، ولم يكتفوا بما كان شائعا منه ، فعمدوا الى مكتبات الأمم فترجموا أمهات الكتب ونشروها فى بلادهم ، وزادوا مادتها بفضل جهودهم .

ومن العوامل المنهضة سنه سنة التخصص فى العلوم والفنون ، لأن المتخصص فى بعضها يستوعب من مسائلها ما لا يستطيعه الآخذ من كل منها بطرف ، فيستطيع أن يفتح لها مجالات جديدة ، وأن يزيد مادتها بما يفتح عليه من كشف مساتيرها ، فقال تعالى :

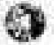
« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

وقد ضرب النبى ﷺ مثلا عمليا كان نبراسا لكل من أتى بعده ، وعاملا قويا فى انهاض الهمم ، وذلك أنه مر على قوم يأبرون نخلا ، أى يضعون من الطلع المستخرج من ذكوره على الأعضاء المولدة للثمر من اناثه ، فقال لهم ﷺ : لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلما جاء وقت الاثمار لم يثمر فأخبروا رسول الله بذلك فقال لهم : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

هذا الأدب النبوى العالى سن للناس سنة الرجوع الى الخبراء والعمل بارشاداتهم .

وهذه المجموعة من الآيات والأحاديث ، كانت عوامل رئيسية للنهضة العلمية والفنية البعيدة المدى التى دخل فيها المسلمون الأولون فى سنين معدودة ، وكانت سببا لمصير ثروة العالم اليهم . وان دينا يعتبر كل عمل يقصد به الخير ووجه الله قربة يتقرب بها اليه تعالى سواء أكان علميا أو فنيا ، هذا الدين جدير بأن يندفع أهله فى كل مجال من مجالات النشاط العقلى والعملى ، وأن يبلغوا منه أقصى مايقدر القائمين من الكفاية والتبريز . وهذا هو الذى حدث للمسلمين ، فقد أخذوا كل علم وفن عن الأمم التى اختلطوا وبرزوا فيها جميعا ، فكان علماؤهم أوسع علماء الأرض علما ، وأطباؤهم أعلى أطباء الأرض كعبا ، والمتغلون منهم بسائر الفروع العلمية أئمة يرجع اليهم فى حل معضلاتها ، وفك معمياتها ، وكان صناعهم وفنانوهم أرفع ذوقا وأصنع يدا من جميع نظرائهم فى الأرض .

يغلو بعض الباحثين المصريين فى تعليل



٥

فَسْئَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

هذه النهضة الاسلامية العجيبة ، وهذا التفوق الباهر الذى ناله المسلمون فى العلوم والفنون فى سنين معدودة ، ويعزونهما الى العناصر الأجنبية التى اعتنقت الاسلام كالفرس والروم والديلم الخ . ويتغابون عن أن هذه الأمم كلها كانت عند بعثة النبى ﷺ فى دور تدهور مستمر عقب دور من النهوض كانت فيه منذ قرون طويلة . فكيف يعقل أنهم بعد اضاعة استقلالهم ، وزوال دولتهم يكسبون حياة جديدة ليست من الاسلام ترفعهم من تدهورهم وتوجد لهم نهضة قوية خلافا للسنن المعروفة بين البشر فى مثل هذه الأحوال ؟

لاشك فى أن هذا البعث الجديد لهم ولجميع العناصر المكونة للأمة الاسلامية كان ببركة الاسلام ، وحكمة تعليمه ، فهو الذى وحد بين هذه الأمم كلها بعد أن خلعها من جنسياتها . وجردها من جميع الفوارق التى كانت سببا فى نزاعاتها ، وصاغ منها أمة عالية حلاها بروح منه يبلغها أقصى مراتب الكمال الأدبى والاجتماعى والعمرانى .

ولو كان الأمر غير ما ذكرناه للفظت بنية الاسلام هذه النهضة ، وحالت بين الآخذين به وبينها ، ولو جد هؤلاء المجددين وبين المحافظين نزاع يفضى الى قتل الأولين واخماد حركتهم كما حدث فى كل أمة قبل الاسلام ، ولكن المقرر تاريخيا أن الأمة الاسلامية اندفعت فى هذه النهضة موحدة الأجزاء ، متكافئة الأعضاء ، وأن خلفاء المسلمين ووزراءهم وعلية علمائهم وقادتهم فى كل بلد اسلامى كانوا ينشطون هذه الحركة المدنية بأنفسهم وأموالهم وليس يعقل أن يندفع الكافة فى تيار يحرمه عليهم دينهم الذى كان فى أرفع درجات سلطانه .

وها نحن اليوم وجميع عناصر العالم الاسلامى فى دور نهضة قوية ، فلم لا يحرمها علينا المحافظون ورجال الدين ، أستغفر الله ! بل هم قد أصبحوا فى مقدمة الداعين لها كما كان عليه أوائلهم من قبل . فلا شك أن شبهة أعداء الاسلام داحضة ، وتعليلاتهم لنهضة المسلمين الأولى ساقطة ، ولله الحمد فى الأولى والآخرة .

محمد فريد وجدى





مشكل إعراب القرآن

لابن حموش (1)

للأستاذ محمد عميرة على

توالى مكتبة الازهر التعريف بما لديها من نوادر المخطوطات للعلماء الافاضل الذين أوقفوا حياتهم لخدمة العلم فى مختلف فنونه ، وجادت عقولهم بخضم كبير من العلوم ، فكانت ميراثا يتداوله الابناء عن الآباء تغذية للعقول وتربية للنفوس . فانعم بذاك الميراث الخالد .

ومن العلماء الأجلاء الذين برزوا فى علوم القرآن والعربية الشيخ مكى حموش .

وهو « مكى (٢) بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الاندلسى القيسى ، ابو محمد : مقرىء ، عالم بالتفسير والعربية ، من أهل القيروان . ولد فيها سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) . وطاف فى بعض بلاد المشرق وعاد الى بلده ، وأقرأ بها . ثم سكن قرطبة سنة ٣٩٣ هـ وخطب وأقرأ بجامعها وتوفى فيها سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) .

له كتب كثيرة منها : « مشكل اعراب القرآن » و « الكشف عن وجوه القراءات وعللها » و « الهداية الى بلوغ النهاية » و « بضعة أجزاء من سبعين جزءا فى معانى القرآن وتفسيره » و « التبصرة فى القراءات السبع » و « المنتقى فى الاخبار» أربعة أجزاء و « الايضاح فى الناسخ والمنسوخ » ... الخ

وقالت عنه « انباه الرواة على أنباه النحاة » الجزء الثالث ص ٣١٣ » أنه حسن الفهم جيد الدين كثير التاليف فى علوم القرآن والعربية ، سافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، واختلف فى مصر الى المؤدبين بالحساب ، ثم رجع الى القيروان واستكمل بها علومه ، ثم نهض الى مصر ثانية بعد أن

٥

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص — ٢٧٧ — عام ٤٢١٦٩ مكتبة الشيخ العروسى .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٨ ص ٢١٤ .

أكمل القراءات بالقيروان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة .

وكانت له رحلات متعددة الى أن قدم الأندلس وجلس للاقراء بجامع قرطبة ، فانتفع به جماعات من الناس . ونزل أول ما قدم قرطبة فى مسجد النخيلية فى الروافين عند باب العطارين ، فأقرأ به ، ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبي عامر الى الجامع الأزهر ، وأقرأ فيه حتى انصرفت دولة آل عامر ، فنقله محمد بن هشام المهدى الى المسجد الجامع بقرطبة ، واقرأ فيه مدة الفتنة كلها . وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا ، مشهورا بالصلاح واجابة الدعوة .

ونقدم للقراء كتاب « مشكل اعراب القرآن » افتتحه مؤلفه رحمه الله بعد الحمد والثناء على نبيه ﷺ قال : انى رأيت افضل علم صرفت اليه الهمم وتعبت فيه الخواطر وسارع اليه ذوو العقول علم كتاب الله تعالى ذكره ، اذ هو الصراط المستقيم والدين المبين والحبل المتين والحق المنير . ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب فى تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته وأفضل ما القارىء اليه محتاج معرفة اعرابه ، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالما من اللحن فيه ، مستعينا على أحكام اللفظ به مطلعا على المعانى الذى قد يختلف باختلاف الحركات متفهما لما أراد الله به من عباده ، اذ بمعرفة حقائق الاعراب تعرف أكثر المعانى وتنجلى الاشكال فتظهر الفوائد ، ويفهم الخطاب ، ويصح معرفة حقيقة المراد ، وقد رأيت أكثر من ألف الاعراب طول بذكره ، لحروف الخفض وحرف الجزم وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول واسم ان وخبرها فى أشباه لذلك يستوى فى معرفتها العالم والمبتدىء ، وأغفل كثيرا مما يحتاج الى معرفته من المشكلات ، فتعمدت فى هذا الكتاب الى تفسير مشكل الاعراب وذكر علله وصعبه ونادره ليكون خفيف المحمل سهل المأخذ قريب المتناول لمن أراد حفظه والاكتفاء به ، فليس فى كتاب الله اعراب مشكل الا وهو فيه منصوص ، أو قياسه موجود فيما ذكرته فمن فهمه كان لما هو أسهل منه مما تركت ذكره اختصارا أفهم ، ولما لم نذكره مما ذكرت نظره أبصر وأعلم .

ولم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو الخافض والمخفوض والفاعل والمفعول والمضاف والمضاف اليه والنعت والمنعوت فى أشباه لهذا ، انما ألفناه لمن شد أطرافا منه وعلم ظواهره وجملا من عوامله وتعلق بطرف من أصوله .

ثم تكلم المؤلف عن « مشكل اعراب الاستفتاح » فقال : كسرت الباء من « بسم الله » لتكون حركتها مشبهة لعملها . وقيل كسرت ليفرق بين ما يخفض ولا يكون الا حرفا نحو الباء واللام . وبين ما يخفض وقد يكون اسما نحو الكاف . وانما عملت الباء وأخواتها الخفض . لأنها لا معنى لها الا فى أسماء فعملت الاعراب الذى لا يكون الا فى الأسماء وهو الخفض .

وكذلك الحروف التى تجزم الأفعال انما عملت الجزم لأنها لا معنى لها الا في الأفعال ، فعملت الاعراب الذى لا يكون الا في الأفعال وهو الجزم ، وحذف الألف من الخط في « بسم » لكثرة الاستعمال وقد حذفت للزوم الباء هذا الاسم . فان كتبت « بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الخالق » حذفت الألف من الخط أيضا عند الأخفش والكسائي . وقال الفراء لا تحذف الا في بسم الله فقط . فان دخلت على اسم غير الباء من حروف الخفض لم يجز حذف الألف عند أحد . نحو قولك ليس اسم كاسم الله ، وقولك لاسم الله حلاوة ، وموضع « بسم » موضع رفع عند البصريين على اضمار مبتدأ تقديره البدء بسم الله ، والباء على هذا متعلقة بالخبر الذى قامت الباء مقامه أو نحوه . ولا يحسن تعلق الباء بالمصدر تقديره البدء ثابت أو مستقر بسم الله الذى هو مضمر لأنه يكون داخلا في صلته فيبقى الابتداء بغير خبر **... الخ**

ثم تحدث عن « مشكل اعراب سورة البقرة » فقال « الم » احرف متقطعة محكية لا تعرب الا ان يجز عنها أو يعطف بعضها على بعض فيكون هذا ألف وألفك حسنة . وفي الكتاب ألف ولام وعين . وموضع « الم » نصب على معنى اقرأ « الم » ويجوز أن يكون موضعها رفعا على معنى هذا « الم » أو ذلك . أو هو . ويجوز أن يكون موضعها خفضا على قول من جعله قسما .

والفراء يجعل « الم » ابتداء وذلك الخبر تقديره عنده حروف المعجم . يا محمد ذلك الكتاب وأنكره الزجاج وذلك في موضع رفع على اضمار مبتدأ أو على الابتداء وتضمر الخبر . وذا اسم مبهم مبنى . والاسم عند الكوفيين الذال . والألف زيدت لبيان الحركة وللتقوية . وذا بكماله هو الاسم عند البصريين . وجمعه أولا . واللام لام التأكيد دخلت لتدل على بعد المشار اليه . وقيل دخلت لتدل على أن . ذا . ليس بمضاف الى الكاف وكسرت اللام للفرق بينها لام الملك . واذا قلت ذلك أي في ملكك . وقيل كسرت لسكونها وسكون الألف قبلها . والكاف للخطاب لا موضع لها من الاعراب لأنها لا تخلو أن تكون في موضع رفع أو نصب او خفض . فلا يجوز أن تكون في موضع رفع لأنه لا رافع قبلها ، وليست الكاف من علامات المضمر المرفوع . ولا يجوز أن تكون في موضع نصب اذ لا عامل قبلها ينصبها ولا يجوز أن تكون في موضع خفض لأن ما قبلها لا يضاف وهو المبهم . فلما بطلت الوجوه الثلاثة علم أنها للخطاب لا موضع لها في الاعراب . والكتاب بدل من ذا أو عطف بيان أو خبر ذلك . الى آخر ما ذكره في سورة البقرة .

وقال في « مشكل اعراب سورة آل عمران » قوله تعالى « الم » مثل « الم » ذلك . فأما فتحة الميم فيجوز أن تكون فتحت لسكونها وسكون اللام بعدها . ويجوز أن تكون فتحت لسكونها وسكون الياء قبلها ، ولا ينوى عليها الوقف . ويجوز أن تكون فتحت لأنه نوى عليها الوقف فالقى بها حركة

ألف الوصل المبتدأ بها . كما قالوا : واحد اثنان ثلاثة أربعة فألقوا حركة همزة أربعة على الهاء من ثلثه وتركوها على حالها ولم يقلبوها تاء عند تحركها اذا النية فيها الوقف . وقال ابن كيسان . ألف الله . وكل ألف مع لام التعريف ألف قطع بمنزلة قد . وانما وصلت لكثرة الاستعمال فمن حرك الميم ألقى عليها حركة الهمزة التي بمنزلة القاف من قد من الله ففتحها بفتحة الهمزة . وأجاز الأخفش كسر الميم لالتقاء الساكنين وهو غلط لا قياس له لثقله .... الخ .

وسار المؤلف في شرحه لمشكل اعراب القرآن على هذا النهج الى أن ختم كلامه بقوله :

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » وأصل الناس عند سيبويه اناس والألف واللام بدل من قال ابن الأنباري الناس جمع لا واحد له من لفظه . الابل والخيل والغنم لا واحد لهذه الجموع من ألفاظها . والانس ليس لواحد الناس قال ووزن الناس من الفعل فعل .

وأصله نسى من نسيت . فأخرت العين وقدمت اللام فصار في الحكم نسيا فصارت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

قال : وقال بعض النحويين الناس أصله الاناس فسهلت الهمزة وأبدل نون من لام التعريف الساكنة وادغمت في النون التي بعدها فصارت نونا مشددة كما قال عز وجل « لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي » يريد لكن أنا : قال : وقال الفراء يبطل هذا الجواب . قوله « ملك » بدل من رب أو نعت ، قوله : « من الجنة والناس » . خفض عطف على الوسواس أي من شر الوسواس والناس . ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوس في صدور الناس . انما يوسوس الجن . فلما استحال المعنى حملته على العطف على الوسواس .

وورد قوله في آخر كتابه أنه تم بمشكل اعراب القرآن بحمد الله تعالى وعونه في شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة وستمائة والنسخة بمكتبة الأزهر في مجلد بقلم معتاد قديم ينقصها صدر الخطبة وبها آثار رطوبة وأكل أرضة وتقطيع في ٢١٤ ورقة ومسطرتها ٢١ سطرا .

ولقدم النسخة قامت مكتبة الأزهر باستنساخ هذا الكتاب في يوم السبت أول شهر ربيع الثاني سنة ست وستين وثلاثمائة وألف موافق للثاني والعشرين من شهر فبراير سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف بقلم المعتمد على الفرد الصمد محمد قناوي محمد وذلك نقلا من النسخة المخطوطة سالفة الذكر .

وهذا تعريف مبسط لكتاب « مشكل اعراب القرآن » في فن من أرقى فنون البحث وهو فريد في نوعه . وفي مكتبات العالم . نبسطها للعلماء والباحثين . وندع لهم استخراج ما فيها من كنوز علمية دقيقة قولا يستطيع القارىء العادي تذوقها وفهمها .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل

محمد عميرة علي

في اللغة والأدب والنقد

الوقف على المنون | اسم الجمع

اسم الفاعل

الرمز في الأدب الصوفي | الإسلام والأمس والغد



الوقف على المنون

ان كان المنون مختوما بتاء التانيث او متصورا فقد عرفنا حكمه آنفا وان كان غير ذلك فاشهر اللغات وأفصحها ان يبدل التنوين الفا بعد الفتحة اعرابية — كرايت خالدا — او بنائية — كايها (١) وويها لانه لا يستثقل الألف .

وربيعة تجيز حذف التنوين والوقف بالسكون فتقول : رأيت خالد — باسكان الدال قال الاعشى :

الى المرء قيس أطيل السرى
وآخذ من كل حى عصم (٢)

وان وقع التنوين بعد ضمة أو كسرة فالفصيح والأشهر حذفه والوقوف بالسكون على آخر الكلمة . فتقول : جاء خالد — ومررت بخالد — باسكان الدال فيهما — وانما لم يقلبوا التنوين واوا بعد الضمة ، وياء بعد الكسرة — كما قلبوه ألفا بعد الفتحة — لأداء ذلك الى الثقل فى موضع الاستخفاف .

قال سيبويه (ج ٢ ص ٢٨١) : أما كل اسم منون فانه يلحقه فى حال النصب فى الوقف الألف كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف منه أو زيادة فيه لم تجىء علامة للمنصرف فأرادوا أن يفرقوا بين التنوين والنون (٣) .

فاما فى حال الجر والرفع فانهم يحذفون الياء والواو لأن الياء والواو أثقل عليهم من الألف فاذا كان قبل الياء كسرة وقبل الواو ضمة كان أثقل ، وقد يحذفون فى الوقف الياء التى قبلها كسرة وهى من نفس الحرف نحو

---

(١) ايها بالنصب وبالفتح أمر بالسكوت ١ هـ قاموس وفى المختار واذا سكته وكففته قلت : ايها عنا واذا اردت التبعيد قلت : ايها بفتح الهمزة بمعنى هيهات . . ١ هـ وويها : اغراء ويكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ؛ يقال : ويها يا فلان للاغراء والتحريض .

(٢) السرى : السير ليلا . والحى القبيلة ، والعصم مفعول آخذ وهو بضمتين جمع عصام ويطلق فى الاصل على وكاء القربة وعروتها ، والمراد به هنا العهود ، بمعنى انه يأخذ من كل قبيلة يمر بها عهدا الا يؤذوه لان له فى كل قبيلة اعداء ممن يكره ممدوحه فيخشى الأذى منهم فيأخذ العهد ليصل الى ممدوحه سالما وموضع الاستشهاد فالبيت « عصم » وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة التى تجيز تسكين المنصوب المنون فى الوقف .

(٣) أى انهم قلبوا التنوين الفا للفرق بينه وبين النون الأصلية فى الكلمة والملحقة بالأصلية فى حسن ورعشن : فنون حسن هى الأصلية اللازمة للكلمة ونون رعشن زائدة للالحاق وليست علامة للمنصرف فهى التنوين .



القاضى فاذا كانت الياء، هكذا فالواو بعد الضمة أثقل عليهم من الكسرة لأن الياء أخف عليهم من الواو .

فلما كان من كلامهم أن يحذفوها وهى من نفس الحرف كانت ههنا يلزمها الحذف اذا لم تكن من نفس الحرف ... فأما الألف فليست كذلك لأنها أخف عليهم الا تراهم يفرون اليها فى مثنى ونحوه . ولا يحذفونها فى وقف .

وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون : هذا زيدو : وهذا عمرو ، ومررت بزيدى وبعمرى. جعلوه قياسا واحدا فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف . أ هـ .

قال ابن يعيش : وهذه اللغة فى القلة كلغة من قال : رأيت زيد . وذلك لأننا أبدلنا فى النصب من التنوين لخفة الألف والفتحة ولا يلزم مثل ذلك فى الرفع والجر لثقل الواو والياء . أ هـ .

الوقف على « إذًا » وكتابتها

أما فى القرآن الكريم فأجمعوا على كتابتها والوقف عليها بالألف .

وأما فى غير القرآن الكريم ، فذهب الجمهور الى أنها يوقف عليها بالألف لشبهها بالمنصوب المنون .

وذهب بعضهم ومنهم المازنى والمبرد الى أنه يوقف عليها بالنون ، لأنها بمنزلة « أن » و « لن » واختار هذا الرأى ابن عصفور .

وتبع هذا كتابتها بالألف عند من وقف عليها بالألف ، ورسمها بالنون عند من وقف عليها بالنون .

وعن المبرد : أشتهى أن أكوى يد من يكتب « اذن (١) » بالألف لأنها مثل « أن . ولن » ولا يدخل التنوين الحروف .

وفصل بعضهم فقال : ان ألغيت كتبت بالألف لضعفها وان أعملت كتبت بالنون لقوتها ــ وقد نسب الأشمونى هذا الرأى الى الفراء تبعا لصاحب الهمع فى باب الوقف ــ ونسب اليه عكس هذا الرأى تبعا لصاحب المغنى ، فى باب النواصب . لأنها عند الغائها تلتبس باذا الشرطية فتكتب بالنون منعا لهذا اللبس . وعند اعمالها لا تلتبس فتكتب بالألف .

وقال الأشمونى : وينبغى أن يكون هذا الخلاف مفرعا على قول من يقف بالألف ،

(١) لأنه يقف عليها بالنون .

وأما من يقف بالنون فلا وجه لكتابتها عنده بغير النون . اهـ .

الوقف على المؤكد بنون التوكيد الخفيفة

اعلم أن نون التوكيد الخفيفة تأخذ في الوقف حكم التنوين ، فتقلب ألفا بعد الفتحة ، وتحذف بعد الضمة والكسرة .

قال سيبويه : (جـ ٢ ص ١٥٥) : وذلك لأن النون الخفيفة والتنوين من موضع واحد ، وهما حرفان زائدان . والنون الخفيفة ساكنة كما أن التنوين ساكن . وهى علامة توكيد كما أن التنوين علامة المتمكن فلما كانت كذلك أجريت مجراها في الوقف . اهـ .

فاذا وقفت على النون التى قبلها حرف مفتوح قلبتها ألفا فتقول في اضربن وادعون وارمين عند الوقف : اضربا ، وادعوا . وارميا ، ومن شواهد سيبويه على ذلك قول الأعشى :

فاياك والميتات لا تقربنها
ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا (١)

وقول النابغة الجعدى :

فمن يك لم يثار باعراض قومه
فانى ورب الراقصات لاثارا (٢)

وقول ليلى الأخيلية :

تساور سوارا الى المجد والعلا
وفى ذمتى لئن فعلت ليفعلا (٣)

واذا كان قبل النون ضم أو كسر حذفتها عند الوقف ـ كما حذفت التنوين في قولك ـ جاء خالد ـ ومررت بخالد .

فتقول في : ياهند اخشين ـ بكسر الياء . ويا رجال اخشون ـ بضم الواو ـ عند الوقف : ياهند اخشى ، ويارجال اخشوا ـ بحذف النون واسكان ما قبلها كما قلت في مررت بخالد ، وجاء خالد .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ١٥٥) « وقال الخليل اذا كان ما قبلها مكسورا أو مضموما ثم وقفت عندها لم تجعل مكانها ياء ولا واوا . وذلك قولك للمرأة وأنت تريد (النون) الخفيفة : اخشى ، وللجميع وأنت تريد النون

---

(١) قال الأعلم : الشاهد فيه ادخال النون الخفيفة على قوله فاعبدن لأنه أمر فأكده بالنون وأبدل منها ألفا في الوقف كما يبدل من التنوين في حال النصب ، يقول هذا حين عزم على الاسلام ومدح النبى عليه السلام ثم غلب عليه الشقاء فمات على دينه قبل لقائه صلى الله عليه وسلم .

(٢) قال الأعلم : الشاهد في قوله : لأثارن بالنون الخفيفة والبدل منها على ماتقدم يقول : من لم ينتصر لأعراض قومه بالهجاء فقد انتصرت لأعراض قومى ، وأراد بالراقصات الابل لأنها ترقص في مشيها وانما أراد سيرها في الحج فذكرها تعظيما لها في تلك الحال ـ ا هـ .

هذا البيت من القصيدة المشهورة التى مدح بها النابغة النبى صلى الله عليه وسلم فأعجب بها ودعا له بخير وبشره بالجنة ومطلعها :

خليلى غضا ساعة وتهجرا
ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

(٣) قال الأعلم : الشاهد في وله ليفعلن بالنون الخفيفة والبدل منها على ما تقدم تقول هذا للنابغة الجعدى في مهاجاتها له . والمساورة المواثبة والمغالبة والسوار ـ بتشديد الواو ـ الطلاب لمعالى الامور الذاهب بنفسه نحوها . تريد سيدا من أهلها عارضة النابغة مفاخرا له ـ ا هـ .

الخفيفة : اخشوا ، وقال : هو بمنزلة التنوين اذا كان ما قبله مجرورا أو مرفوعا اه .

ويونس لا يحذف النون الخفيفة عند الوقف بل يقلبها واوا بعد الضم وياء بعد الكسر — قياسا على قلبها ألفا بعد الفتح .

قال سيبويه : وأما يونس فيقول : اخشيي واخشوو (١) يزيد الياء والواو بدلا من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة . فقال الخليل : لا أرى ذلك الا على قول من قال : هذا عمرو . ومررت بعمري (٢) ، وقول العرب على قول الخليل . اه (ج ٢ ص ١٥٥) .

واذا وقفت على نحو قولك للمرأة اضربن ، ولجماعة الذكور : اضربن قلت للمرأة : اضربي وللجماعة : اضربوا — برد ياء المخاطبة وواو الجماعة لأنهما حذفتا لسكونهما وسكون النون الخفيفة فلما حذفت النون لضم وكسر ماقبلها ردتا — كما رددنا لام نحو عصا المحذوفة لالتقاء الساكنين في الوصل عند الوقف لذهاب التنوين .

قال سيبويه :

واذا وقفت عندها (النون الخفيفة) وقد أذهبت علامة الاضمار التى تذهب اذا كان بعدها ألف خفيفة أو ألف ولام رددتها كما ترد الألف التى فى هذا مثنى ، كما ترى اذا سكت وذلك قولك للمرأة وأنت تريد (النون) الخفيفة : اضربى ، وللجميع : اضربوا (٣) ، وارموا ، وللمرأة : ارمى ، واغزى فهذا تفسير الخليل . وهو قول العرب ويونس — اه . (ج ٢ ص ١٥٥) .

واذا وقفت على نحو : ياهند هل تضربن ، ويا قوم هل تضربن . قلت : ياهند هل تضربين، وياقوم هل تضربون — وذلك لأن النون وقعت فى المثال الأول بعد كسر ، وفى المثال الثانى بعد ضم فحذفت — كما عرفنا سابقا فرجعت الياء والنون فى المثال الأول ، والواو والنون فى المثال الثانى (٤) لأن سبب الحذف وهو النون الساكنة قد زال عند الوقف .

وعلى رأى يونس نقول : ياهند هل تضربى، ويا قوم هل تضربوا : يقلب النون ياء فى الأول وواوا فى الثانى (٥) .

قال سيبويه : واذا وقفت عند النون الخفيفة فى فعل مرتفع لجميع رددت النون

---

(١) الواو الثانية مبدلة من النون وليست واو الجماعة ولذلك لم تأت بألف بعدها وهى فى نسخة سيبويه بألف ، وهذا خطأ .

(٢) اى لغة ازد السراة الذين يقلبون التنوين مطلقا حرفا مجانسا للحركة التى قبلها من ضم وكسر وفتح — وتقدم ان هذه لغة ضعيفة — ولذلك قال سيبويه : وقول العرب ما قال الخليل .

(٣) فياء المخاطبة وواو الجماعة كانتا محذوفتين لوجود النون الساكنة فلما حذفت ردتا — وذلك كلام مثنى فانها حذفت فى الوصول لوجود التنوين فلما ذهب فى الوقف رجعت اللام .

(٤) لأن اصل المثال الأول قبل التوكيد : ياهند هل تضربين — فلما اكد بالنون الخفيفة حذفت النون ثم الياء — والمثال الثانى أصله : تضربون — فلما اكد حذفت النون ثم الواو .

(٥) لأن يونس فى مثل هذا لا يحذف النون بل يقلبها واوا بعد الضم وياء بعد الكسر .

التى تثبت فى الرفع وذلك قولك وأنت تريد الخفيفة هل تضربين وهل تضربون .. وينبغى لمن قال بقول يونس فى اخشى واخشوو اذا أراد الخفيفة أن يقول هل تضربوا بجعل الواو مكان الخفيفة كما فعل ذلك فى اخشى لأن ما قبلها فى الوصل مرتفع (١) اذا كان لنفصل فى الجميع ، ومنكسر (٢) اذا كان للمؤنث ولا يرد النون (٣) مع ما هو بدل من الخفيفة كما لم تثبت فى الصلة لأن نون الجميع ذاهبة فى الوصل كما تذهب فى المجزوم ا هـ .

حكم هاء الضمير فى الوصل والوقف

اعلم أن هاء الضمير المتصل ــ اما أن تكون لمؤنث نحو : الحديقة دخلتها أو لمذكر نحو : الدرس فهمته ، والكتاب أعجبت به .

فان كانت لمؤنث وجب وصلها بالألف لأنها ملتزمة الفتح مطلقا (٤) فتقول المقالة قرأتها وأعجبت بها ، وأحب أن تقرأها ، لتأخذ منها عبرة ــ ولا تحذف هذه الألف بل تبقيها وصلا ، ووقفا ــ قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٩١) . ولا تحذف الألف فى المؤنث فيلتبس المؤنث بالمذكر .

وذكر فى التسهيل أنه قد يحذف ألف ضمير الغائبة منقولا فتحه الى ما قبله اختيارا فى الوقف : كقول بعض طىء ــ كما حكى الفراء ــ بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به (٥) ــ بفتح الباء ــ يريد بها ــ فحذفت الألف ونقلت فتحة الهاء الى الباء ــ ا هـ أشمونى .

واستشكل بعضهم قوله اختيارا : لأنه يقتضى جواز القياس عليه مع قلته ورد عليه بأن معنى قوله اختيارا ــ وقوعه فى النثر ، ولا يلزم من وقوعه فى النثر جواز القياس عليه فكم لفظ شاذ وقع فى النثر ــ ولا ينبغى القياس عليه (٦) وان كانت الهاء لمذكر ، فان كان قبلها ساكن : نحو : منه ، وعليه ــ فالذى عليه أكثر العرب أنهم لا يأتون فى الوصل بالواو والياء الساكنين فلا يقولون : منهو . وعليهى . لثقل الواو والياء ، ولكون الهاء

(١) اى قبل النون ضم .
(٢) اى قبل النون كسر كما هو ظاهر .
(٣) اى لا يرد نون الرفع مع الحرف الذى هو بدل من النون الخفيفة (وهو الواو فى هل تضربوا والياء فى هل تضربى على رأى يونس) لأن نون الرفع لاتجامع نون التوكيد فى الوصل بل تقول : هل تضربن بضم الباء للجماعة وبكسرها للمؤنثة شأنها شأن نون المجزوم اذا قلت اضربن بكسر الباء للمؤنثة وبضمها للجماعة ــ كما عرفنا سابقا واذ عرفنا ان نون الرفع لاتجامع نون التوكيد فى الوصل والوقف . فكذلك لاتجامع ما هو بدل منها على مذهب يونس .

(٤) سواء كان قبلها حركة أم سكون كما مثلنا .
(٥) هذا موضع الشاهد ــ ومن ذلك ايضا قوله ــ لست فى لخم اخالفه ــ بفتح الخاء ــ أراد: اخالفها فنقل حركة الهاء الى الفاء بعد سلب حركتها وحذف الألف ــ ا هـ تصريح .
(٦) مثل خرق الثوب المسمار ورجاء بن حيوة . واستحوذ الخ .
فالثوب مرفوع والمسمار منصوب . مع أن القياس هو العكس . والواو فى حيوة يجب قلبها ياء قياسا . وفى استحوذ يجب النقل وقلب الواو الفا قياسا .

لخفائها كالعدم ، فكأنه يلتقي ساكنان إن قالوا ذلك ، ولم يحذفوا الألف من عليها ومنها — وإن كان كاجتماع الساكنين أيضا — لخفة الألف .

قال الرضي : فهذا نظير تركهم في الأكثر قلب التنوين في المرفوع والمجرور حرف لين في الوقف وقلبهم له ألفا في المنصوب .

وقليل من العرب يتبع هاء المذكر الساكن ما قبلها في الوصل بالواو والياء وجمهور النحويين يستحسنون حذف الصلة مادام قبل الهاء ساكن مطلقا (لين وصحيح) ولكن سيبويه يرى اختيار حذف الصلة إن كان قبل الهاء ساكن لين — وإثبات الصلة بعد الهاء إن كان قبلها ساكن صحيح قال (جـ ٢ ص ٢٩١) .

فإذا كان قبل الهاء حرف لين فإن حذف الياء والواو في الوصل أحسن لأن الهاء من مخرج الألف . والألف تشبه الياء ، والواو تشبهها في المد وهي أختهما . فلما اجتمعت حروف متشابهة حذفوا . وهو أحسن وأكثر . وذلك قولك : عليه يافتى . ولديه فلان ، ورأيت أباه قبل ، وهذا أبوه كما ترى : وأحسن القراءتين « **وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** » و « **إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ** » و « **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ** » و « **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ** » والإتمام عربي — ثم قال فيما قبل الهاء فيه ساكن صحيح .

وقد يحذف بعض العرب الحرف الذي بعد الهاء إذا كان ما قبل الهاء ساكنا . لأنهم كرهوا حرفين ساكنين بينهما حرف خفي نحو الألف . فكما كرهوا التقاء الساكنين في أين ونحوها كرهوا أن لا يكون بينهما حرف قوى . وذلك قول بعضهم : منه يافتى ، وأصابته جائحة . والإتمام أجود لأن هذا الساكن ليس بحرف لين والهاء حرف متحرك (١) أ هـ .

وإن كان قبل الهاء متحرك نحو : بِهِ ، وغلامه فلابد من الصلة إلا أن يضطر شاعر كقول حنظلة بن فاتك (٢) .

وأيقن أن الخيل إن تلتبس به
يكن لفسيل النخل بعده آبر

أراد أن يقول بعده هو فحذف الواو ضرورة .

(١) قال السيرافي : فصل سيبويه بين الهاء التي قبلها واو أو ياء ساكنة أو ألف فاختار فيها أن تحرك ولا توصل بحرف نحو عليه ، والتي عصاه وخذوه واختار في الهاء التي قبلها ساكن غير الألف والياء والواو — أن توصل بالواو نحو منهو آيات وأصابتهو جائحة — واختار أبو العباس (المبرد) حذف الصلة في منه وأصابته ، ولم يفرق بين حرف اللين وغيره — وهذا هو الصحيح — أ هـ .

وقال الرضي عن رأي المبرد : هو الحق إذ شبه التقاء الساكنين في الكل حاصل وعليه جمهور القراء نحو (منه آيات) (فيه آيات) ولو عكس سيبويه لكان أنسب ، لأن التقاء الساكنين إذا كان أولهما لينا أهون منه إذا كان أولهما صحيحا أ هـ جـ ٢ ص ٣٧ شرح الشافية .

(٢) هذا البيت من شواهد سيبويه في « باب مايجوز في الشعر ولايجوز في الكلام » جـ ١ ص ١١ قال الأعلم : أراد بعده هو ، فحذف الواو ضرورة . والبيت يتأول على معنيين : أحدهما — وهو الأصح — أن يكون وصف جبانا ، فيقول أيقن أنه إن التبست به الخيل قتل فصار ماله إلى غيره فكع (أي : جبن) وانهزم ، والمعنى الآخر أن يكون وصف شجاعا ، فيقول ، قد علم أنه إن ثبت وقتل لم تتغير الدنيا بعده وبقي من أهله من يخلفه في حرمه وماله فثبت ولم يبال بالموت . وفسيل النخل صغاره واحدته فسيلة ، والآبر . المصلح له القائم عليه — أ هـ .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٩١) : فان كان الحرف الذى قبل الهاء متحركا فالاثبات ليس الا كما تثبت الألف فى التأنيث لأنه لم تأت علة مما ذكرنا فجرى على الأصل الا أن يضطر شاعر فيحذف كما يحذف ألف معلى ا هـ .

وبعد : فهذا حكم الصلة عند وصل ضمير المذكر أما عند الوقف فلابد من حذف الصلة والوقف على الهاء ساكنة فتقول : مررت به . وذهبت اليه . واصفح عنه الخ بحذف الصلة واسكان الهاء فى الجميع — قال سيبويه ذاكر الحكم مع التعليل (جـ ٣ ص ٢٩٢) .

واعلم أنك لا تستبين الواو التى بعد الهاء ولا الياء فى الوقف ولكنهما محذوفتان . لأنهم لما كان من كلامهم أن يحذفوا فى الوقف مالا يذهب فى الوصل على حال نحو ياء غلامى . وضربنى (١) — الا أن يحذف شىء ليس من أصل كلامهم كالتقاء الساكنين — ألزموا الحذف هذا الحرف الذى قد يحذف فى الوصل : ولو ترك كان حسنا وكان على أصل كلامهم — فلم يكن فيه فى الوقف الا الحذف حيث كان فى الوصل أضعف ا هـ .

وقال الرضى — ناقلا رأى سيبويه وتعليله مع التوضيح :

هذا الذى ذكرناه كله حال الضمير الغائب المفرد المذكر فى الوصل ، فاذا وقفت عليه فلابد من ترك الصلة سواء كانت ثابتة فى الوصل نحو : بهى . ولهو ، اتفاقا ، ومنهو وعليهى ، عند بعضهم ، أولا ، نحو منه وعليه عند الأكثرين ، وذلك لأن من كلامهم أن يحذفوا فى الوقف مالا يذهب فى الوصل نحو ضربنى وغلامى ، فالتزموا حذف هذا الحرف الذى ثبت حذفه فى الوصل كثيرا ، نحو عليه ومنه ، ولابد من اسكان الهاء فى الوقف سكن ما قبله أو تحرك — ا هـ شرح الشافية جـ ٢ ص ٣٠٩ .

وقال ابن يعيش (جـ ٢ ص ٨٧) فاذا وقفوا على هذه الهاء فليس الا الحذف والوقوف عليها غير موصولة لأنهم قد يحذفون فى الوقف ما يثبتونه فى الوصل والصلة فى الهاء ضعيفة لأنها ليست من الكلمة على الصحيح من المذهب ، ويختار (٢) حذفها فى الوصل اذا كان قبلها ساكن فلذلك لزم الحذف ا هـ .

ولعلك بعد هذا النقل عن جهابذة العلم أدركت أن الوقف بحذف الصلة واجب ولا ينبغى الأخذ بالرأى المنسوب الى الشاطبى من جواز الاتيان بالصلة فى الوقف اذا كان قبل الهاء ساكن ، وقد نقل هذا الرأى عنه الشيخ خالد فى التصريح ، والشيخ الصبان فى حاشيته على كتاب الأشمونى — برغم اطلاق

---

(١) هذه الياء لاتحذف فى الوصل الا عند التقاء الساكنين لأنه ليس من كلام العرب التقاء الساكنين — كما ذكر سيبويه — وملخص كلام سيبويه أن العرب اذا كانت تحذف فى الوقف — للتخفيف مالا يحذف فى الوصول — فحذفها لما يحذف فى الوصول وان كان ضعيفا — الزم — ولعل عبارة الرضى المذكورة بعد قول سيبويه تزيدك ايضاحا .

(٢) فى الاصل ولايختار باثبات « لا » وهو خطأ — لأن من رأيه اختيار الحذف فى الوصول اذا كان قبلها ساكن — تبعا للجمهور .

ابن هشام والأشمونى من وجوب حذف الصلة فى الوقف ــ قال الشيخ خالد : واحترزنا بقولنا : وكان ما قبلها متحركا من أن يكون قبل الهاء ساكن ثابت أو محذوف للجزم أو للوقف فانه يجوز حذف صلتها فى الاختيار واثباتها فتقول : منه ومنهو . وعنه وعليهى . ولم يدعه ، ولم يدعهو . ولم يرمه ولم ترمهى .

وادعه وادعهو ، وارمه ، وارمهى . قال الشاطبى وفى غير ذلك لا يجوز اثبات الصلة اذا كانت واوا أو ياء وقد أخذ بهذا الرأى من ألف فى هذا الفن حديثا ــ ولا شك أنه رأى غير مقبول وغير منقول .

وغريب من الشاطبى أن يحكم بوجوب حذف الصلة عند الوقف على الهاء التى قبلها متحرك مع أن هذه الصلة واجبة فى الوصل ــ كما عرفنا ــ وبجواز الاتيان بها بعد الهاء التى قبلها ساكن مع أن الاختيار حذفها فى الوصل ــ يخيل الى أنه لو عكس رأيه لكان له وجه مقبول .

هذا : ويجوز فى الضرورة الاتيان بالصلة عند الوقف كما فى قول رؤبة بن العجاج :

ومهمه مغبرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه

فانه وقف على الهاء مضمومة موصولة بالواو .

وأحب أن تعرف أن هذا ليس خاصا بالهاء ــ وانما يجوز لك الاتيان بالصلة آخر القوافى للترنم مطلقا وقد عقد سيبويه بابا سماه « هذا باب وجوه القوافى والانشاد » قال : أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون ومالا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت وذلك قوله (امرىء القيس) .

*** قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلى (١) ***

وقال فى النصب ليزيد بن الطثرية :

فبتنا تحيد الوحش عنا كأننا
قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا (٢)

وقال فى الرفع للأعشى :

*** هريرة ودعها وان لام لائمو ***

هذا ما ينون فيه ، ومالا ينون فيه قولهم لجرير :

*** أقلى اللوم عاذل والعتابا ***

قال فى الرفع لجرير :

متى كان الخيام بذى طلوح
سقيت الغيث أيتها الخيامو

(١) قال الأعلم : الشاهد فيه وصل اللام فى حال الكسر بالياء للترنم ومد الصوت ، وانما ذكر سيبويه هذا الباب عقب الوقف ليرى الفرق بين القوافى واواخر الكلام ــ ا هـ .

(٢) قال الأعلم : الشاهد فيه اثبات الألف فى حال النصب كما تثبت الياء فى الجر والواو فى الرفع للترنم الا أن الألف تثبت ولاتحذف الا على قول من حذفها فى الكلام فقال : رأيت زيد ، ولقيت خالد ، وهى لغة ضعيفة ــ وصف أنه خلا بمن يحب بحيث لايطلع عليهما الا الوحش ومعنى تحيد : تنفر ا هـ .

الوقف على المنون

وقال في الجر لجرير أيضا :

أيهـــات منزلنـــا بنعف ســـويقة
كانت مبـــاركة من الايـــامى (١)

وانما الحقـــوا هذه المدة في حروف الروى لأن الشـــعر وضع للغنـــاء والترنم فالحقـــوا كان حرف الذى حركته منه ــ ا هـ (٢) .

ومن الشواهد في بابنا قول الشـــاعر :

تجـاوزت هنـدا رغبـة عن قتـاله
الى ملك اعشـــو الى ضــوء نــاره

وقول غيـلان الرمعى :

يتبعـن ثـــــبها لان من ضريـره
من المهـارى رد في حجــــوره (٣)
يستوعب البـــوعين من جـــريره
من لــد لحييـــه الى منحـــــوره

الخ الأبيات .

حكم الميم المتصلة بالضمائر وصلا ووقفا

اعلم أن بعض العرب قد يلحق بهـــذه الميم في الوصل واوا أو ياء اذا كانت للجمع فيقول ــ عليكمو . وبهمى . وبعضهم لا يلحق فيسكن الميم .

فمن لم يلحق الصلة في ميم الجمع وصـــلا فلا كلام في الوقف عليها بالاسكان ومن ألحقها وصلا أوجب حذفها في الوقف أيضا لأن ما كثر حذفه في الوصل من الواو والياء وجب حذفه في الوقف . نحو منه وعليه ــ ا هـ .

الرضى شرح الشـــافية جـ ٢ ص ٣٠٩ .

أما ميم المثنى فلابد من اثبات الألف وصلا ووقفا : فتقول : عليكما . وبهما . ولديهما .

قال سيبويه ــ واذا كانت الواو والياء بعد الميم التى هى علامة الاضمار كنت بالخيـــــار ان شئت حذفت وان شئت أثبت فـــان حذفت أسكنت الميم فالاثبـــات عليكمـــو ، وانتمـــو ذاهبـــون ، ولد يهمى مال فاثبتوا كمـــا تثبت الالف في التثنيـــة اذا قلت عليكمـــا وانتمـــا ولديهما .

وأما الحذف والاسكان فقولهم : عليكم مال . وانتم ذاهبون ، ولديهم مال .

واذا وقفت لم يكن الا الحذف ولـــزومه اذ كنت تحذف في الوصل ــ ا هـ جـ ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

عبد العظيم الشناوى

---

(١) قال الأعلم : أيهات : لغة في هيهات ومعناها بعد الشىء ــ والنعف ــ بفتح النون ــ ما ارتفع من الوادى وانحدر عن الجبل ، وسويقة ــ بصيغة التصغير ــ موضع بعينه ــ وقوله كانت مباركة من الايام ــ أى كانت الايام التى جمعتنا ومن نحب فاشبعها لما جاء بعد ذلك ــ ا هـ .

(٢) ثم ذكر سيبويه ما يقابل الترنم والأوجـــه الواردة فيه فليرجع اليها من يريد .

(٣) أى تتبع الأبل جملا . ثبها . حديد القلب .. والضرير : النفس وشدتها . يقال : ناقة ذات ضرير اذا كانت شديدة النفس لاتتعب .. مـــن المهارى : الابل المهارى بفتح الراء وكسرها وتشديد الياء بعد الكسر أيضا جمع مهرية نسبة الى مهرة ابن حيدان ابى قبيلة من اليمن . رد في حجوره أى في كرم أمهاته يريد انه من نسل ابل كـــــرام . يستوعب البوعين .. يريد أن طول الحبل الذى هو مقوده من لحييه الى موضع نحره مقدار باعين والمنحور : هو النحر .



اسم الفاعل

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

اما صوغ اسم الفاعل من غير الثلاثى المجرد فيكون على وزن مضارعه المبنى للمعلوم مع زيادة ميم مضمومة فى أوله مكان حرف المضارعة وكسر ماقبل آخره مطلقا ولو تقديرا نحو معتل ومحتل ومرتد ومختار ومنقاد ومحتاج سواء أكان مكسورا أصلا فى المضارع نحو منطلق ومكرم ومجتهد ومنتصر ومستغفر ومستعين او كان مفتوحا فى المضارع ، كمتقدم ومتاخر ومتعلم ومتقاعد ومتخاصم ومتعاون ومتنافس، واما ماجاء من أسماء الفاعلين من غير الثلاثى بضم ما قبل آخره نحو منتن بضم التاء اتباعا للميم ، او بكسر الميم بدل ضمها نحو مغير ومريد ومفيد ومبين او بفتح ماقبل آخره ، نحو محصن من أحصن ، ومسهب من أسهب بمعنى كثر كلامه دون تفكير وروية فان كان أسهب بمعنى الفصاحة والعقل فاسم فاعله مسهب بكسر الهاء على الاصل ، ومما جاء بفتح ماقبل الاخر شذوذا أيضا ملفج من الفج بالهمزة والفاء والجيم وزن (افعل) بمعنى افتقر وصار مفلسا .

وأما نحو مختار ، ومحتال ، ومنقاد ومنحاز ومرتاد ومرتاب ومشتاق ومعتاد فيستوى فيه اسم الفاعل واسم المفعول ، والتفريق بينهما يكون بتقدير حركة ماقبل الآخر فان قدرت كسرة فاسم فاعل أو فتحة فاسم مفعول . كما شذ أيضا مجىء الفاعل من (أفعل) الرباعى على وزن (فاعل) لا على وزنه الأصلى (مفعل) نحو . أيفع الغلام فهو يافع . وأورس الشجر اى اخضر فهو وارس . وأعشب المكان بمعنى نبت فيه العشب ونما فهو عاشب . وأمحل البلد أى قحط فهو ماحل . وأورق الشجر أى ظهر ورقه فهو وراق وأملح الماء فهو مالح وأغضى الليل . أى أظلم فهو غاض ، وقد جاء . مورس ، ومعشب وممحل . ومورق ومملح ومغض على الأصل ولكنه قليل ، ومن هذا القليل قولهم : أوقرت النخلة اذا كثر حملها فهى موقرة بالفتح والكسر وقد جاء ذلك اما مراعاة للأصل الثلاثى وعدم الاعتداد

بالزيادة ، واما لمجيء لغة أخرى في فعله وهي (فعل) مفتوح العين . وان كانت قليلة الاستعمال ، فيكون استعمال (فاعل) مع هذه اللغة من باب تداخل اللغتين أي صوغ اسم الفاعل من الثلاثي قليل الاستعمال مع رباعيه المزيد بالهمزة والكثير الاستعمال ، ففي نحو أيفع الغلام فهو يافع فان يافعا مصوغ من يفع لا من أيفع . وأعشب المكان فهو عاشب ، فعاشب من عشب لا من أعشب ، وأمحل البلد فهو ماحل فانه من محل لا من أمحل ، وان كان الثلاثي منه قليل الاستعمال كما سلف ويرى بعضهم أن (فاعل) هذا ليس اسم فاعل للفعل المذكور معه بل هو نسبة اضافية بمعنى ذو الشيء أو صاحب الشيء فقولهم : أمحل البلد فهو ماحل أي ذو محل وأعشب الوادي فهو عاشب أي ذو عشب ، وأورق الشجر فهو وارق أي أنه ذو ورق ، كما يقال : رجل لابن وتامر ، أي ذو لبن وذو تمر ؟.

اسم الفاعل والصفة المشبهة : توجد علاقة وثيقة ورابطة قوية بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به كما يوحي قولهم في تحديد مفهوم الصفة المشبهة : انها الصفة المشبهة باسم الفاعل .

فبينهما وجوه شبه عديدة : فهما يشتركان في الدلالة على الحدث وفاعله وفي شرط الاعتماد لعمل كل منهما عند التجرد من أل وفي التذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فالصفة تؤنث وتثنى وتجمع جمعا سالما مذكرا ومؤنثا فتقول في حسن وطويل حسنه وطويله ، وحسنان وطويلان وحسنتان وطويلتان ، وحسنون وطويلون وحسنات وطويلات . كما تقول :

راكبة وقائمة وراكبان وقائمان . وراكبتان وقائمتان . وراكبون وقائمون . وراكبات وقائمات ، وكلاهما وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثي وغيره وصالح أن يكون نعتا لأن النعت المفرد لايصح الا بالوصف المشتق وشبهه كما يشير لذلك قول ابن مالك : وانعت بمشتق كصعب وذرب .. وشبهه . وأن يقع حالا مفردة فالحال المفردة لايصلح الا بالوصف المشتق غالبا . أو مايمكن أن يؤول بالمشتق كما أفاد ذلك صاحب الألفية في قوله: الحال وصف فضلة منتصب . وقوله أيضا :

وكونه منتقلا مشتقا ..
يغلب لكن ليس مستحقا

وكلاهما مشتركان في العمل فالصفة المشبهة تعمل النصب في واحد فقط كما يعمله اسم الفاعل المعدى لواحد ، وكان حقها الا تعمل النصب لمخالفتها الفعل وعدم جريانها عليه ولكونها مصوغة من فعل قاصر . ولكنها لما أشبهت اسم الفاعل المتعدى عملت عمله ؛ فترفع السببي وتنصبه على التشبيه بالمفعول ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة وجره بالاضافة نحو محمد جميل وجهه ، وجميل الوجه ؛ وحسن وجها ، وحسن الوجه ، وهشام كريم خلقه ، وكريم الخلق ، وكريم خلقا ؛

وكريم الخلق أما اسم الفاعل فلانه مصوغ من الثلاثي وغيره المتعدي واللازم فانه يعمل عمل فعله المصوغ منه تعديا ولزوما فيرفع على الفاعلية المضمر والظاهر ان كان من اللازم ، نحو اسماعيل جالس على الأريكة ، أو جالس أخوه ، وابراهيم سافر ابنه ، وينصب مفعولا به واحدا ان كان مصوغا من متعد لواحد نحو ، مسعود حافظ درسه ، ومؤد واجبه وينصب مفعولين أو اكثر ان صيغ من متعد لأكثر ، نحو ، طارق معط الفقير صدقة ، وسائل جاره معونة ومانع الثرثار استرسالا في الحديث ، وسعد معلم اخوانه العاقبة مأمونة والأستاذ مخبر طلابه المسألة يسيرة الحل لكنه يخالف الفعل في جواز اضافته للمنصوب نحو، احمد كاتب الرسالة ، وناشر الرواية ، ومسجل الحديث ، والمعلم مانح المجتهد جائزة ، والقائد معلم جنوده المعركة ضارية .

كما انه يمكن تحويل كل منهما الى الآخر ، فاسم الفاعل اذا قصد به الثبوت والدوام ،

وأضيف الى مرفوعه أو نصبه على التشبيه بالمفعول به إن كان معرفة وعلى التمييز إن كان نكرة فانه يصير حينئذ صفة مشبهة يأخذ حكمها ويعامل معاملتها مع بقائه على وزنه. فلا يكون صفة مشبهة الاباستيفاء هذين الشرطين ، أن يراد به الثبوت والدوام ، وأن يضاف الى مرفوعه أو ينصبه على ما ذكر ، نحو طاهر القلب وضامر البطن وراجح العقل ، ومعتدل القامة ومنطلق اللسان ، ومستقيم السيرة ، أو ضامر البطن ، أو ضامر بطنا ، ومنطلق اللسان أو لسانا وهكذا ولا فرق في ذلك

بين اسم الفاعل من الثلاثي أو من غيره ، كما يتضح من الأمثلة .

فان فقد شرط من هذين الشرطين السالفين بقي كما هو اسم فاعل يعمل عمل مضارعه المصوغ منه تعديا ولزوما متى استوفى شروط العمل الخاصة به المبينة في مبحث (عمل اسم الفاعل) الذي سيأتي .

كذلك فان الصفة المشبهة اذا أريد بها الحدوث والتجدد فانها حينئذ تصبح اسم فاعل تعطى حكمه وتعامل معاملته . وتعمل عمله بشروط لكنها لاتبقى على وزنها بل يتحتم أن تحول الى وزن (فاعل) نحو فارح وحامد وكارم ومارض وغاضب وطائل اليوم أو غدا ومنه قوله تعالى : (**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**) وتخالف الصفة المشبهة اسم الفاعل في عدة امور :

١ ـ انها لا تصاغ الا من اللازم وضعا نحو ، أشر ، وجشع وشهم وكريم وحسن وظريف وشهم ، أو اللازم قصدا نحو بكر ضارب الاب مضروب الغلام . واسم الفاعل يصاغ من المتعدي واللازم معا .

٢ ـ أنها تكون للزمن الماضي المتصل بالحاضر الثابت المستقر كحسن الوجه ، دون الماضي المنقطع او المستقبل فلا يجوز أن يقال : هو حسن الوجه أمس ، ولا غدا واسم الفاعل يصاغ للأزمنة الثلاثة .

اسـم الفـاعـل

٣ ـ أنها قد تكون جارية على المضارع . أي موافقة له في حركته وسكونه بمعنى مقابلة حركة بحركة وسكون بسكون سواء اتفق نوع الحركات أو اختلف فاتفاقها في النوع ليس بشرط نحو . شاخص الديار وضامر البطن ونازح الوطن ومعتدل القامة ومستقيم السلوك . ومحترف الزراعة . وتكون غير مجارية له . وهو الغالب في المصوغة من الثلاثي نحو حسن وجميل وعظيم وشهم وبطر وغضبان . واسم الفاعل لا يكون الا مجاريا لمضارعه .

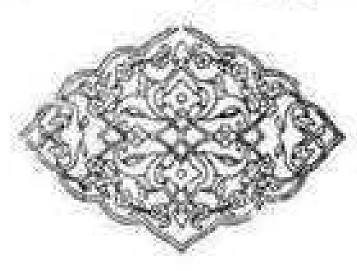
٤ ـ أن منصوبها لايجوز أن يتقدم عليها لأنها فرع اسم الفاعل في العمل فلا يصح أن تقول حاتم الوجه حسن بخلاف منصوب اسم الفاعل فيجوز تقديمه عليه فيصح أن تقول : زيد عمرا ضارب .

٥ ـ أن معمولها لا يكون الا سببيا أي اسما ظاهرا متصلا بضمير موصوفها . أما لفظا نحو سليمان حسن وجهه واما معنى نحو صالح حسن الوجه فالوجه معمول للصفة (حسن) وهو سببي لأنه اسم ظاهر متصل بضمير الموصوف معنى . أي الوجه منه أي من صالح . وهذا رأي البصريين . وقال غيرهم : لاحذف هنا وأن (ال) في الوجه عوض عن الضمير المضاف اليه . وهذا رأي الكوفيين لكن يرد عليهم . أن الضمير قد جاء مصرحا به في قول الشاعر :

رحيب قطاب الوجه منها رقيقة ..
بجس الندامى بضة المتجرد

فالضمير في منها عائد على الموصوف المقدر (هي) اي المرأة التي يتحدث عنها مع أن المعمول وهو الوجه متصل بال وتختص الصفة المشبهة بامور أخرى كثيرة تخالف فيها اسم الفاعل لاداعي للافاضة فيها ولاحاجة لسرد تفاصيلها ، فالفائدة من وراء ذلك محدودة بل تكاد تكون معدومة مما يؤدي الى اضاعة الوقت بلا طائل فليرجع اليها من شاء في مصادرها من امهات كتب العربية ، وهي متاحة لمن يرغب ، ميسورة لمن يهوى ويريد ، والله سبحانه ولي التوفيق والهادي الى اقوم طريق .

أحمد حسن عبد العواض هلالي





إسم الجمع

للدكتور خالد عبد الحميد السيد أبو جندية

النحو العربي دقيق ، يحدد الفروق بين المصطلحات المختلفة ، ولذلك فهو يقسم الاسم الى مفرد ومثنى وجمع .
ويعرف المفرد بانه مادل على واحد او واحدة كرجل وامرأة وكتاب
ويعرف المثنى بانه : ما ناب عن اثنين اتفقا في الوزن والحروف بزيادة اغنت عن العاطف والمعطوف كالمحمدان ، والزيدين .
ويعرف الجمع بانه : مادل على اكثر من اثنين أو اثنتين .

وهو في هذا التقسيم يخالف كثيرا من اللغات الأجنبية الأخرى حيث أنها قسمت الاسم الى قسمين فقط هما : المفرد والجمع ، ذلك أن الجمع في نظرها هو مادل على اكثر من واحد .

وان كان القرآن الكريم . وبعض الشواهد العربية ـ أحيانا ـ تطلق الجمع على ما يدل على الاثنين كما في قوله تعالى (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) (1) وقوله (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) (2)
وكقول أبي ذؤيب في رثاء ابنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون :

العين بعدهمو كان حداقها
سملت بشوك فهي عوراء تدمع

فاطلق الجمع في قوله (حداقها) على الاثنين .

ثم يستمر النحو في دقته وتحديده فيقسم الجمع الى أقسام :

أولها : جمع المذكر السالم وهو مادل على أكثر من اثنين بزيادة معينة : واو ونون في حالة الرفع ، وياء ونون في حالتي النصب والجر . وهذه الزيادة أغنت عن عطف المفردات المتماثلة .

(1) الآية ٧٧ الانبياء .

(2) الآية ٤ التحريم .

وثانيها : جمع المؤنث السالم وهو مادل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء فى آخره ، تغنى عن عطف المفردات المتشابهة .

وثالثها : جمع التكسير وهو مادل على ثلاثة فأكثر وله مفرد يشاركه فى معناه وفى أصوله ، مع تغيير حتمى يطرأ على صيغة الجمع .

ورابعها : اسم الجنس الجمعى وهو ما يدل على الماهية ويفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء .

وخامسها : اسم الجمع وهو مادل على جمع ولم يكن على أوزان الجموع . وقد خبط الناس فى هذا النوع (١) . ولم يضعوا له الفواصل الدقيقة التى تفصله عن الجمع واسم الجنس الجمعى ذلك أنهم قد انصبت عنايتهم الى الجموع المختلفة فأهملوا هذا النوع ، فرأيت هنا أن أوضح هذه الفروق ، وأن أحاول أن استنبط له قاعدة عامة تندرج تحتها أوزانه وأمثلته ، وأن أتبين أحكامه .

ومن تتبعنا لكتاب سيبويه ، ومن مطالعاتنا فى كتب النحو نستطيع أن نقول : ان اسم الجمع هو : كل اسم دل على أكثر من اثنين أو اثنتين ، وليس بجمع ، ولم يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء .

فهذا الاسم اذن ليس بجمع لأنه لم يأت على وزن خاص بالجمع ولا غالب فيه ، أو كان على وزنه ، ولكن مفرده لم يأت على وزن نظيره مما يجمع على هذا الوزن ، ولم يطرد على وزن واحد ، وعومل فى اللفظ معاملة المفرد فى خبره ووصفه وتصغيره والنسب اليه ، سواء أكان له من لفظه ما يشير الى مفرده ، أو لم يكن له مفرد أصلا .

وعلى هذا فاسم الجمع قسمان :

القسم الأول : ماليس له من لفظه مفرد نحو : قوم ، ونفر ، وذود (٢) وأهل ، ورهط (٣) ، وبشر ، وغنم (٤) ، فهذه كلها أسماء جمع لأن مدلولها مدلول الجمع ، ولفظها لفظ المفرد .

وأما (نسوة) فاختلف فيه ، فذهب سيبويه والمبرد (٥) الى أنه اسم جمع لأن معناه الجمع ، ولكنه يعامل معاملة المفرد فى اللفظ ، ولأنه لا مفرد له من لفظه .

وذهب أبو حيان الى أنه جمع قلة (٦) لأنه على وزن (فعلة) وهى من أوزان القلة .

والرأى الأول هو الأقرب ، لأن (فعلة) يكون جمعا لما كان على (فعل) أو (فعل) أو (فعل) أو (فعال) أو (فعال) أو (فعيل) وليس نسوة كذلك لأنه لا مفرد له من لفظه أصلا حتى يقال انه على هذه الأوزان .

وكذلك اختلف فى (ابل) فالمشهور والأكثر فيها أنها اسم جمع لأنه لا واحد له من لفظه ، ولأنه ليس على وزن خاص من أوزان الجموع .

---

(١) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصفدى ١٢٦/١ .
(٢) الكتاب ٦٢٤/٣ .
(٣) الكتاب ٦١٦/٣ وشرح لامية العجم ١٢٦/١ .
(٤) المقتضب ٢٩١/٢ .
(٥) الكتاب ٦٢٤/٣ والمنتخب ٢٩١/٢ .
(٦) البحر المحيط ٢٩٩/٥ .

قال صاحب اضاءة الراموس (وصرح بأن الابل من أسماء الجموع أقوام مالهم حصر كأبي حيان ، وابن مالك ، وابن هشام ، وابن عصفور ، وابن اياز ، والأزهرى وابن فارس ، وابن سيدة ، والجوهرى ، والزبيدى والزمخشرى وغيرهم) (١) •

وفى قوله (وابن سيده) نظر ذلك أن ابن سيده يرى فى (ابل) رأيا آخر فيقول :

(الابل اسم واحد يقع على الجميع ليس بجمع ولا اسم جمع) (٢) وكنا نود أن يحدد لنا ابن سيده حقيقته ولكنه لم يفعل •

القسم الثانى من أسماء الجموع ما كان له من لفظه ما يشير الى مفرده • وله أوزان اتفق عليها وأخرى اختلف فيها • أما الأوزان المتفق عليها فهى :

١ ــ فعل : كخادم وخدم ، وضائن وضأن ، وماعز ومعز ، وغائب وغيب ورائح وروح وقاعد وقعد قال الشاعر :

فكانى مما أزين منها
قعدي يزين التحكيما

واهاب واهب ، واديم وادم ، وافيق وأفق ، وبعيد وبعد ، وعمود وعمد (٣) •

٢ ــ فعل : كظربان وظرب (٤) •

٣ ــ فعل : كعبد وعبد ، وسمره وسمر •

٤ ــ فعله : كصاحب وصحبه ، وفاره وفرهة ، وأخ وأخوة وظئر وظؤورة (٥) •

٥ ــ فاعل : كبقر وباقر وجمل وجامل ، قال سيبويه (ومثل ذلك : الجامل والباقر لم يكسر عليهما جمل ولا بقرة والدليل عليه التذكير والتحقير وأن فاعلا لا يكسر عليه شئ• (٦)) •

٦ ــ فعالة : كصاحب وصحابه وقريب وقرابة •

٧ ــ فعاله : كجمل وجماله (٧) •

٨ ــ فعلان : كصنو وصنوان ، ومرجانة ومرجان (٨) •

٩ ــ مفعله : كشيخ ومشيخه وسيف ومسيفه(٩) •

١٠ ــ مفعولاء : كشيخ ومشيوخاء ، وعير ومعيوراء ، وأتان ومأتوناء ، وعلج ومعلوجاء (١) • •

فواضح أن هذه الأوزان كلها لم تأت على أوزان الجموع مع دلالتها على الجمع فهى أسماء جمع ولكن هل يأتى اسم الجمع على وزن الجمع ؟

يأتى اسم الجمع أحيانا على وزن من أوزان

(١) اضاءة الراموس لابن الطيب الفاسى ج ٤ الورقة ٣٧٤ مخطوط • وانظر المقتضب ٢/٣٤٧ والمصباح (ابل) ١/٢ •

(٢) المخصص ٧/٢ •

(٣) سيبويه ٣/٦٢٥ ــ ٦٢٦ المقتضب ٢/٢١٨ المخصص ١٤/٦٢١ ــ ابن يعيش ٥/٧٨ التسهيل ٢٨٠ •

(٤) التسهيل ٢٨٠ ــ الارتشاف ١/١٢٤ •

(٥) سيبويه ٣/٦٢٤ ــ ٦٢٥ المخصص ١٤/١٢١ •

(٦) سيبويه ٣/٦٢٥ •

(٧) ينظر هذا الوزن والذى قبله التسهيل ٢٨١ •

(٨) التسهيل ٢٨١ •

(٩) الارتشاف ١/١٢٤ شرح الشافية ٢/٢٠٤ •

(١٠) الارتشاف ١/١٢٥ شرح الشافية ٢/٢٠٤ التسهيل ٢٨١ سيبويه ٤/٢٦٤ •

الجمع ، ولذلك لابد أن يتبين فيه علامة أخرى توضح لنا حقيقته من ذلك :

معز ومعيز ، وقاطن وقطين ، وعازب وعزيب وضرس وضريس وكلب وكليب وغاز وغزى (١) أى ما كان على (فعيل) فهذا الوزن يأتي عليه الجمع نحو : حمار وحمير . فما الذى يميزه عن الجمع ؟

لقد أجاب السهيلي عن ذلك فقال (انه لو كان جمعا له واحد من لفظه لجرى على قياس واحد كسائر الجموع وهذا يختلف واحده فحجيج واحدة حاج ، وعبيد واحده عبد ، وبقير واحد بقرة ومعيز واحد ماعز .. الى غير ذلك) (٢) .

كما أجاب عن ذلك ابن مالك ففصل فقال بأنه يكون جمعا (ان أنث كعبيد ومحير واسم جمع ان ذكر تكليب وحجيج) (٣) .

ومما جاء على وزن الجمع أيضا سرى وسراة ، أى ما كان على (فعله) وقد ميزه سيبويه عن الجمع بقوله (ويدلك على هذا قولهم : سروات ، فلو كانت بمنزلة فسقه أو قضاة لم تجمع . ومع هذا أن نظير فسقة من بنات الياء والواو يجيء مضموما) (٤) فهو يستدل على أنه ليس جمعا بشيئين .

أحدهما : أنهم يقولون : سروات . في جمعه ولا يقولون في فسقه فسقات .

والثاني : أنه لو كان جمعا مكسرا لكان حقه أن يقولوا سراة ، لأن لامه معتلة ، كقولهم غزاة ورماة .

كانت هذه هي الأوزان التي اتفق العلماء على كونها أسماء جمع . وهناك أوزان أخرى توقفوا عندها وتساءلوا : ترى هل هي أسماء جمع ؟ أو جمع ؟ أو اسم جنس جمعي ؟

فمن الأوزان التي تردد فيها العلماء بين كونها جمعا أو اسم جمع وزن (فعل) كركب وصحب ، وطير ، وسفر ، وعوذ ، ورجل وواحدها : راكب وصاحب ، وطائر ، وسافر ، وعائذ ، وراجل .

فقد ذهب الجمهور الى كون هذا الوزن اسما للجمع (٥) . وذهب الأخفش والفراء الى انه جمع تكسير . فاذا صغر على مذهبهما رد الى الواحد وصغر عليه ثم لحقته الواو والنون ان كان مذكرا ، والألف والتاء ان كان مؤنثا ، فتقول رويكبون ، ورويكبات (٦) .

وقد رد على الأخفش بردود كثيرة لعل من أكملها ما ساقه ابن يعيش في قوله :

أولا : أن المسموع في تصغير (ركب) (ركيب) قال الشاعر :

وابن ركيب واشعون رحالهم
الى أهل نار من أناس باسودا

---

(١) سيبويه ٥٧٦/٣ ــ ٦٢٦ المخصص ١٢١/١٤ ــ ١٢٢ .
(٢) الروض الانف ١٧١/١ .
(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٧٣/٢ رسالة .
(٤) الكتاب ٦٢٥/٣ .
(٥) الكتاب ٦٢٤/٣ والارتشاف ١٢٤/١ والتسهيل ٢٨ .
(٦) اللسان (ركب) و (صحب) وشرح الشافية ٢٠٣/٢ والتسهيل ٢٦٧ والمخصص ١٢٠/١٤ وشرح الجمل لابن عصفور ٥٤٣/٢ والمنصف لابن جني ١٠١/٢ .

وقال أحيحة بن الجلاح :

بنيه بعصبة من ماليا

اخشى ركيبا أو رجيلا عاديا

وهذا نص في محل النزاع اذا لو كان جمعا مكسرا لرد الى الواحد ثم صغر .

الثاني : أن الجمع المكسر مؤنث وهذه الأسماء مذكرة تقول : هو الركب ، وهذا السفر .

الثالث (١) : أن (فعلا) لا يكون جمعا مكسرا لفاعل ونحوه ، لأن الجمع المكسر حقه أن يزيد على لفظ الواحد ، وهذا أخف من بناء الواحد فلا يكون جمعا مكسرا .

الرابع : أن هذه الأبنية لو كانت جمعا مناعيا لاطرد ذلك فيما كان مثله وأنت لا تقول في جالس جلس ، ولا في كاتب كتب (٢) .

وهذه ردود طيبة لولا أن قوله (ان الجمع المكسر حقه أن يزيد على لفظ الواحد) لنا عنده وقفه . ذلك أننا وجدنا جموعا كثيرة تقل ألفاظها عن ألفاظ مفردها ومع ذلك فهي جموع تكسير منها (فعل) في جمع (فعله) كغرفة وغرف (٣) و (فعل) في جمع (أفعل) كحمر وأحمر (٤) ، و (فعل) في جمع فاعل كعوذ وعائذ (٥) .

والحق في هذا أن (فعل) انما هو اسم جمع (لفاعل) وليس جمعا له لأن نحو (ركب) لم يخرج عن قاعدة اسم الجمع فهو في مدلوله جمع ، وفي لفظه يعامل معاملة المفرد كما أنه لم يأت على وزن من أوزان الجموع . فينبغي ادخاله في حظيرة اسم الجمع ولا سيما أنه اضطرب النقل عن الاخفش في هذه المسألة فبينما ينقل بعض النحاة عنه الرأى السابق . نرى آخرين ينسبون اليه القول بأن جميع أسماء الجموع التي لها آحاد من تركيبها كجامل وباقر وغيرها انما هي جمع وليست باسم جمع ، وهم الرضى (٦) وصاحب الخزانة (٧) . أما أبو حيان (٨) فقد حقق النقل في هذه المسألة فقال (.. وان لم يقترن بتاء التأنيث ولا ياء النسب مفرده فهو اسم جمع نحو : ركب وصحب .. والمنقول عن الأخفش أنه جمع . وذكر الأخفش في (الأوسط) أن قول الجمهور في (ركب) أنه من هذا الباب . ثم قال : وما أراه في القياس الا مطردا ، قد قالوا : صائم وصوم ونائم ونوم ، وشاهد وشهد وزائر وزور ، وأنه يصغر على لفظه . ثم قال : وان صغرت شيئا من هذا على واحده فهو جائز على قبحه .. انتهى .

أما الفراء فانه يرى أن كل ماله مفرد من لفظه فهو جمع سواء كان اسم جمع أو اسم جنس .

---

(١) وفي المخصص ١٢١/١٤ ان الزجاج قد احتج لسيبويه بهذا الاحتجاج والذي بعده .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٧٧/٥ — ٧٨ .
(٣) كتاب سيبويه ٥٧٩/٣ .
(٤) الكتاب ٦٤٤/٣ .
(٥) الكتاب ٦٣٢/٣ .

(٦) شرح الكافية ١٧٨/٢ — اما في شرح الشافية فنسب اليه القول الاول كما سبق .
(٧) خزانة الادب للبغدادي ٣٨٣/٤ الشاهد ٨٨١ .
(٨) ارتشاف الضرب ١٠٤/١ — ١٠٥ .

ويرد عليه بما رد على الأخفش ويزاد : أن اسم الجنس له علامته المميزة وهو أنه يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء وليست أسماء الجموع التي لها واحد من لفظها كذلك .

ومن هذه الأوزان أيضا (فعله) و (فعلى) نحو : صبي وصبية ، وحجل وحجلى فقد ذهب الجمهور الى كون هذين الوزنين انما هما لجمع التكسير . وذهب ابن السراج الى كونهما اسمى جمع لعدم اطرادهما (١) .

والاقرب أن يجعل (فعله) جمع قلة ، و (فعلى) جمع كثرة لأنهما من أوزان الجموع .

ومن ذلك أيضا قولهم (البلنصى) فقد اختلف الناس فيه فذهب قوم الى انه اسم جمع واحده (البلصوص) (٢) قال سيبويه (ومن ذلك البلنصى ، لأنك تقول الواحد البلصوص) (٣) وقد ارتضى ذلك الرأي أبو حيان وصاحب اللسان (٤) . وقال قوم : ان (البلنصى) هو واحد (البلصوص) (٥) . وذهب آخرون الى أن (البلنصى) جمع للبلصوص على غير قياس لأن قياس جمعه بلاصيص . أو البلصوص جمع البلنصى لأن قياس جمعه بلانص وقد نص على ذلك الخليل (٦) وابن قتيبة (٧) . وقيل : البلنصى الانثى والبلصوص : الذكر (٨) .

والأقرب من هذه الآراء كلها هو الرأي الاول الذي يقول بأن البلنصى هو اسم جمع البلصوص ، لأن البلنصى ليس على وزن الجموع المعهودة . والذي يدل على أن البلصوص هو المفرد والبلنصى هو اسم جمعه قول الشاعر

والبلصوص يتبع البلنصى .

ولا داعي أن نتكلف القول بأن (البلنصى) انما هو جمع على غير قياس خاصة وأنهم عاملوا البلنصى معاملة المفرد بدليل انهم جعلوه مفردا تارة وجمعا تارة أخرى .

ومن هذه الامثلة أيضا (عراعر) (١٠) فقد قال فيه أبو زيد انه جمع عرعرة . قال الفارسي : يعني اسم الجمع . وقيل هو جمع واحده عراعر (١١) بالفتح .

(١) التسهيل ٢٦٨ والتصريح ٣٠٤/٢ والهمع ١٧٨/٢ .
(٢) البلصوص : طائر صغير قصير المنقار والرجلين كثير الصياح . الارتشاف ١٢٥/١ واللسان (بلص) .
(٣) الكتاب ٣٢٠/٤ .
(٤) الارتشاف ١٢٥/١ واللسان (بلص) ٣٤٤/١ .
(٥) المرجعين السابقين .
(٦) اللسان (بلص) .
(٧) الاقتضاب ٦٦/٢ .
(٨) الارتشاف ١٢٥/١ والتسهيل ٦٦/٢ والاقتضاب ٦٦/٢ .
(٩) ينظر هذا البيت في اللسان (بلص) والاقتضاب ٦٧/٢ .
(١٠) هو الشجر الذي يلجأ اليه في السنة المجدبة اللسان (عرا) .
(١١) اللسان (عرا) ٢٩١٩/٤ .

ومنها (أروى) فهى اسم جمع عند بعض اللغويين (١) والنحويين (٢) واحده أروية (٣) وقيل هو جمع كثرة على غير قياس (٤) .

ومنها : فلك ودلاص وهجان وقد اختلف فيها أيضا فذهب الخليل وسيبويه في دلاص وهجان الى أنهما جمعا هجان ودلاص شبهوا هجانا ودلاصا الواحد منهما بفعيل ، فكما يجمع فعيل على فعال ككريم وكرام جمعوا فعالا على فعال ففعال في المفرد ككتاب وفي الجمع كرجال .

وقالا في (فلك) ان ضمة الفاء فيه في الجمع بمنزله ضمة حاء (حمر) وضمته في الواحد بمنزلة ضمة (برد) ولم يجعل من باب المشترك لوجود تثنيته في كلامهم (٥) .

وذهب الجرمي الى ان هجان ودلاص يجرى مجرى المصدر لجريه بلفظ واحد في الواحد والمثنى والجمع (٦) .

وذهب آخرون الى ان هذه الألفاظ أسماء جموع وأنه لاتغيير فيها مقدر فيكون اذ ذاك من قبيل المشترك بين المفرد والجمع وصحح هذا الرأى ابن مالك (٧) .

وقيل ان الفلك اسم مفرد يذكر ويؤنث (٨)

والاولى أن نجعل هذه الألفاظ من قبيل اسم الجمع ، فانها وان كانت على أوزان الجموع الا أنه لا مفرد لها من لفظها . فان قيل أنه قد اتحد فيها لفظ المفرد والجمع . قلنا ان التفريق بينهما حينئذ يوقع في لبس ولا يعرف الا بالقرائن وعلى فرض أن لها مفرد قد اتحد مع الجمع في لفظه فأين التغيير الذى حدث بين المفرد والجمع ؟ فان قيل : انه تغيير مقدر قلنا ان هذا تكلف لاداعي له لأننا اذا جعلناها من باب اسم الجمع خرجنا من هذا التكلف .

ومما اختلف فيه أيضا قولهم : تؤام وتؤام . وظئر وظؤار ورخل ورخال فعند سيبويه أن تؤام وظؤار ورخال جموع وعند غيره هى اسم جمع (٩) .

وهناك ألفاظ أخرى وقع فيها خلافهم فبعضهم جعلها من قبيل اسم الجنس الجمعى وبعضهم جعلها من قبيل اسم الجمع .

منها قولهم : كماة وكما وجباة وجبا . فذهب الخليل (١٠) ويونس وابو زيد (١١) الى ان كماة وجباة (١٢) اسما جمع واحدها كمء وجبا . وعلل سيبويه كون (كماة) اسم جمع بأنها تصغر على لفظها فتقول : كميئة .

---

(١) كابن منظور في اللسان (روى) .

(٢) كابن مالك في التسهيل ٢٨١ وابو حيان في الارتشاف ١/١٢٥ .

(٣) والاروى انثى الوعول .

(٤) اللسان روى ٣/١٧٨٧ .

(٥) سيبويه ٣/٥٧٧ — ٦٣٩ — شرح الشافية للرضى ٢/١٣٥ — اللسان (فلك) ٥/٣٤٦٥ الهمع ٢/١٨٥ .

(٦) شرح الشافية ٢/١٣٥ — ١٣٦ .

(٧) التصريح ٢/٣٠٠ والهمع ٢/١٨٥ والتسهيل ٢٦٧ .

(٨) الهمع ٢/١٨٥ .

(٩) سيبويه ٣/٦١٧ وشرح الشافية ٢/٢٠٦ .

(١٠) ينظر العين للخليل ٥/٤٢٠ حيث قال : الكماة نبات ينقض الارض فيخرج كما يخرج الفطر واحدها كما ، والجمع الكماة . وينظر أيضا سيبويه ٣/٦٢٤ .

(١١) الارتشاف ٢/٦٣ — ٦٤ .

(١٢) الجباة هنة بيضاء كأنها كمء ولا ينتفع بها اللسان (جبا) .

اسم الجمع

وذهب أبو خيرة الى أن (الكما) اسم جنس جمعي واحده الكماة كتمر وتمرة (٤)

ومما يؤيد القول الاول في هذا ما نقله صاحب اللسان وصاحب الاقتضاب في قولهما (وقال منتجع كمء للواحد وكماة للجميع فمر رؤبة فسألاه ، فقال : كمء للواحد وكماة للجميع كما قال منتجع) (٥) .

ومنها الألفاظ التي جاءت على وزن (فعلاء) كشيء وأشياء قال ابن (٦) سيده (أشياء زعم الخليل أنها لفعاء ، وزعم أبو الحسن أنها أفعلاء . قال الفارسي : اذا كانت أشياء (لفعاء) مقلوبة عن فعلاء فهو اسم للجمع كقصباء وطرفاء (وحلفاء) (٧) .

وقد تابع أبو حيان الفارسي في عد هذه الألفاظ من أسماء الجموع (٨) .

وذهب كثير من النحاة الى كون هذه الأسماء من قبيل اسم الجنس الجمعي ، ويفرق الجمع من الواحد بالوصف فيقال : عندي طرفاء كثيرة وطرفاء واحده (٩) .

والرأي الأحق بالقبول في هذا هو رأي جماهير النحاة وهو أن نجعل هذه الألفاظ من قبيل اسم الجنس الجمعي لانها أسماء نبات يخلقها الله دفعة واحدة كالشجر والنخل فهي تدل على الماهية ولا تدل على الآحاد كقوم ونفر . ولأنه يفهم هذا من كلام سيبويه الا تراه يقول (لما كانت تقع للجميع ولم تكن أسماء كسر عليها الواحد ارادوا أن يكون الواحد من بناء فيه علامة التأنيث كما كان ذلك في الأكثر الذي ليس فيه علامة التأنيث ويقع مذكرا نحو : التمر والبر والشعير وأشباه ذلك) (١٠) ويقول (ولم يجيئوا بعلامة سوى العلامة التي في الجميع ليفرق بين هذا وبين الاسم الذي يقع للجميع وليس فيه علامة التأنيث نحو : البسر والتمر (١١) فتشبيهه لهذه الأسماء بالتمر والبر والشعير . وأن علامة التأنيث الذي فيه تشبه علامة التأنيث فيها يشعر بأن هذه الأسماء عنده من قبيل اسم الجنس . ولا سيما أنه لم يشبهها بنسوة . أو بلفظ آخر من ألفاظ اسم الجمع .

ومما يشير الى كون هذه الاسماء من قبيل اسم الجنس الجمعي ان بعض اللغويين قد حكى لها مفردا مقترنا بالتاء . قال : طرفة ، وقصبه وحلفة . فهذا يقوى كونها اسم جنس جمعي حيث ميز بينها وبين مفردها بالتاء .

يتبع

د / خالد عبد الحميد ابو جندية

---

(٤) الاقتضاب ٢/ ٦٣ — ٦٤ .
(٥) اللسان (كما) ٥/ ٣٩٢٦ والاقتضاب ٢/ ٦٣
(٧) المخصص ١٦/ ٦٣ .
(٧) الحلفاء من الاغلاث ، والطرفاء شجر والقصباء جماعة القصب المخصص ١٦/ ٦٣ .
(٨) الارتشاف ١/ ١٢٤ .
(٩) شرح ابن يعيش ٢/ ٨٠ وشرح الشافية ٢/ ١٩٨ — ١٩٩ .
(١٠) سيبويه ٣/ ٥٩٦ .
(١١) سيبويه ٣/ ٥٩٧ .



للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

أصبحت الرمزية مذهبا من مذاهب الفن الأدبى على يد بعض الأدباء الفرنسيين الذين أصدروا بيانا الى القراء يوضحون فيه الهدف من مذهبهم قالوا فيه :

ان هدفهم من هذا الاتجاه الذى لم يعهده الناس هو تقديم تجربة جديدة تؤدى فيها الكلمات دلالات وجدانية ، وتلبس الفكرة المجردة ثوبا حسيا ملموسا .

كان ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر .

ولم يلبث ان تاثر بهذا الاتجاه تأثرا متفاوتا أدباء الشرق فى وطنهم العربى أو فى وطنهم المهاجرى الجديد .

ولكن الحق — الذى يجب أن يقال — هو أن هذا الاتجاه ليس وليد البيئة الفرنسية فى القرن التاسع عشر كما يشير البيان السابق ، ولكنه مسبوق باتجاه صوفى قديم ، حتى لقد نسبت الرمزية الى الصوفية فى كثير من الأحيان . فالصوفية هم من أسبق الأدباء الذين عرفوا الرمز أسلوبا يعبرون به عن مكنونات ضمائرهم وعن أذواقهم ومعارفهم التى يضنون بها ويغارون عليها .

والرمز — أيضا كأداة من أدوات التعبير ليس فنا مستحدثا ، ولكنه وسيلة مألوفة . عبر عن ذلك المرحوم العقاد حين قال :

انه شىء فى طبيعة الانسان ، وهو مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية وهى حالة الاضطرار والعجز عن الافصاح ، فلم يرمز الانسان قط وهو قادر على التصريح والتوضيح ، ولم يجد كلمة واضحة لمعنى واضح ثم آثر عليها الالتواء شغفا بالالتواء .

نقلا عن كتاب أفيون الشعوب .

وفى هذه العبارة اشارة لما يجب أن يكون عليه الرمز من عدم الجنوح الى الغموض والابهام الذى يصبح معه النص الأدبى ضربا من الأحاجى والألغاز ..

وللدلالة على أن الرمز فن قديم فى الأدب العربى صوفيا أو غير صوفى . كتاب « الملاحن » الذى وضعه العلامة اللغوى « ابن دريد » وقال فى مقدمته :

هذا كتاب ألفناه ليفزع اليه المجبر على اليمين فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف

ما يظهره ليسلم من عادية الظالم ويتخلص من حيف الغاشم •

ثم قال :

وأصل اللحن أن تريد الشيء فتوري عنه بقول آخر •

معنى الرمز :

أشار « ابن دريد » في عبارته تلك الى مفهوم للرمز ، وللرمز في اللغة وسائل • منها :

الايماء والاشارة بالأطراف المختلفة كالعين واليد والشفتين ، ومن ذلك قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام •

« قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا » ومن ذلك قول الشاعر العربي القديم :

اشارت بطرف العين خيفة اهلها
اشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت ان الطرف قد قال مرحبا
واهلا وسهلا بالحبيب المتيم ••

ويقرب الزمخشري في كتابه « أساس البلاغة » مفهوم الرمز الى المفهوم الاصطلاحي فيقول : رمز اليه ، وكلمة رمزا بشفتيه وحاجبه وكتيبة رمازة أي تموج من نواحيها • قال ساعدة بن جؤية :

تحميهم شهباء ذات قوانس
رمازة تأبى لهم ان يحربوا

وتقول : شتان بين منازلة الرمازة ومنازلة الرمازة •

فتفسيره لمعنى كتيبة رمازة يوحي بمدى ما يموج به الرمز من معان ويندرج تحته من أسرار •

وقد اصطلح الأدباء على أن الرمز وسيلة التعبير عما لا يمكن أداؤه بواسطة التصريح ، وفي هذا المعنى يقول الأستاذ الدكتور مصطفى ناصف في كتابه الصورة الأدبية :

« الرمز لمحة من لمحات الوجود الحقيقي ، يدل عند الناس ذوي الاحساس الواعي على التعبير عنه بغيره ، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي ، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته •• » •

ويدخل في نطاق الرمز كل ما يشير الى المعنى المقصود ويوضحه من وسائل التعبير المجازي كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية ، وان كان هناك فرق بين هذه الالوان المجازية وبين الرمز ، ففي الاستعارة ــ مثلا ــ لابد من وجود قرينة تمنع من ارادة المعنى الأصلي ، أما الرمز فانه يسمو عن القرينة ، لانه يفيض بمعان واسعة ودلالات متعددة ترتفع عن مجرد المشابهة والمشاكلة التي تراها بين طرفي التشبيه • وهكذا •

الرمز الصوفي :

ولعل تفسير الرمز بأسلوب الصوفية أنفسهم أنسب للموضوع الذي نحن بصدده :

فالطوسى يقول « الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به الا أهله ، سواء كان هذا اللفظ غزلا أو غير غزل » .

ومن الرموز التى لا تنحو منحى الغزل اجمال المعنى الجزيل فى لفظ قليل ، ويدخل فى نطاق ذلك على وجه التمثيل حكم ابن عطاء الله السكندرى التى يقول عنها الدكتور أبو الوفاء التفتازانى فى كتابه عن ابن عطاء الله « ولحكم العطائية من حيث هى مصنف صوفى خاصة واضحة هى الرمزية ، وابن عطاء الله فى استخدامه لأسلوب الرمز متابع للصوفية فيما عمدوا اليه من اخفاء أذواقهم عن طريق استعمال الألفاظ والاصطلاحات الخاصة أو دمج كثير من المعنى فى قليل من اللفظ ، وهذا ما جعل كثيرا من الشراح يتهيبون شرحها لما تنطوى عليه من أسرار ومكنونات » .

الاشارة والرمز :

ويفرق الصوفية بين الاشارة والرمز ، وان كان المفهوم العام يجمعهما عند الأدباء ، **ولكن لدقة هذا الأسلوب عند الصوفية جعلوا له أصولا وقواعد حتى ورد عنهم قولهم : « علمنا كله اشارة فاذا صار عبارة خفى » . أى خفى سره وغمض معناه ، وهذا يعنى أن الاشارات والرموز أصبحت لديهم القاعدة المرعية فى التعبير ، كما أصبحت العبارات الواضحة غريبة فى ميدانهم .**

والاشارة كما يقول « ابن عجيبة » فى كتابه ايقاظ الهمم « هى تغزلاتهم وتلويحاتهم بذكر ليلى وسلمى وذكر الخمر والكئوس والندامى وكذكر الأقمار والنجوم .

وأما الرمز فهو ايماء وأسرار بين المحبوب وحبيبه لايفهمها غيرهما ، ومنها فى القرآن فواتح السور ، وفى الحديث قول النبى ﷺ : ان عبدا خيره الله بين ما عنده وبين زهرة الدنيا فاختار ما عند الله . ففهم أبو بكر رضى الله عنه رمز النبى ﷺ عن نفسه بهذا العبد .. وقال : بل نفديك بأنفسنا يارسول الله .

ويقول ابن عجيبة : والناس فى ادراك ذلك أقسام :

فمنهم من لا يفهم شيئا .

ومنهم من يفهم المقصود بعد سماع الاشارة .

ومنهم من يفهم المراد فور تلقى الاشارة أو يجد المشار اليه أقرب من الاشارة وهم أهل الفناء .

والواقع أن هناك علاقة وثيقة بين الاشارة والرمز والتلويح والتعريض والتورية وألوان المجاز فكلها تشير الى مدلولات خفية عن طريق أبعد من صريح العبارة وظاهر اللفظ .

دوافع الرمز :

ودوافع الرمز قد تكون نفسية أو موضوعية ، وأستعين بتعليل رواد الصوفية أنفسهم :

فابن عربى يقول فى تعليله ايثار الرمز : « انما قصدت الى هذا الأسلوب لأنه تتوافر معه الدواعى النفسية التى تجعل النفوس



الانسانية أكثر اقبالا على مايقرأ أو يسمع اصحابها وأشد قبولا له واجتذابه(١)واصغاء اليه : وهذا لأن النفس تكون أكثر تشوقا وتطلعا لما يحتاج الى اعمال الذهن وكد الخاطر وبذل المجهود .

أما ابن الفارض فيرى أن الرمز يشير الى اللطافة والرقة والدقة مما يجعله أكثر اتساعا للحقائق الروحية والدقائق العلية من العبارة الصريحة . وهذا حق فكم من اشارة أغنت عن عبارة وأحيانا يكون الصمت أبلغ من الكلام .

أشار الى رأى ابن الفارض الدكتور محمد مصطفى حلمى فى كتابه عن ابن الفارض .

الا أن الدافع الأهم عند الصوفية هو القصد الى صون جلال ما يشعرون به من حب ووجد أو ما يدركونه من الهامات ومعارف ومشاهدات ، وذلك أن العلم فى رأى الصوفية ثلاثة أنواع ، اوضحها الشعرانى فى كتابه « اليواقيت والجواهر » . بقوله : العلوم انواع :

(أ) علم العقل وطريقة التأمل والنظر والاطلاع ، وعلامته انك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم .

(ب) وعلم الأحوال وطريقة الذوق وعلامته — ان كان مكتسبا — أن يدخل فى ميزان المعقول ، وان كان موهوبا لا تقبله العقول غالبا .

(جـ) وعلم الأسرار وطريقة الالهام ، وعلامته أنه ان أخذته العبارة يسمج ويبعد دركه عن الأفهام وربما رمى صاحبه بالكفر والمروق من الدين كما ورد عن بعضهم

يارب جوهر علم لو ابوح به
لقيل لى انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمين دمى
يرون اقبح ما يأتونه حسنا

وهذا ما جعل الغزالى — احيانا يؤثر التلويح على التصريح والاشارة على العبارة حين قال :

وكان مما كان مما لست اذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وجعل بعضهم يسكت عن الكلام ويقول :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد

لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

والطريق الذى حصل الصوفية به على علم الاسرار هو الحب . فقد اوصلهم الحب لله الى المعرفة الكاملة واليقين الحق . حين أحبوا الله حبا ملك عليهم جوارحهم . كما أحبوا النبى ﷺ حبا شديدا ، ومنهم من صرح فى أشعاره بهذا الحب ومنهم من آثر التلويح والرمز .

المحبة الصوفية : لقد أصبحت المحبة الصوفية

مقاما يتمرسون به ويقيمون فيه ويستشعرون فيه اللذة والأنس والصفاء والنقاء . وحفلت كتبهم ورسائلهم وأشعارهم بالتعبير عن هذا المقام فى أساليب مختلفة تدل على تقدم راسخة فيه . وقد استطاعوا على حد تعبير الدكتور محمد مصطفى حلمى — « أن يحددوا ماهية الحب ويكشفوا عن طبيعته فى معانيه العامة الانسانية من ناحية وفى معانيه الخاصة الالهية من ناحية أخرى » .

ووضعوا للمحبة تعريفات متعددة ، وهى وان كانت كثيرة الا أن اصحابها يتفقون على مؤداها ومرماها ، كما يتفقون على الصبغة التى اصطبغت بها وفى الطابع الذوقى الذى هو خط مشترك بينها .

فالمحب — فى رأى ابى سعيد الخراز — يتعلل الى محبوبه بكل شىء ولا يتسلى عنه بشىء ، ويتتبع آثاره ولا يدع استخباره .

ويقول عن المحبة : « من أعطى من المحبة شيئا فلم يعط مثله من الخشوع فهو مخدوع . ومعنى ذلك أن المحبة تقتضى الانقياد والطاعة، وطريقها عند الصوفية معروف ، وهو أن يصفى الانسان نفسه ويحول بينها وبين ما ينزل بها الى المستوى الدنىء ، وأن يأخذ نفسه بالمجاهدة والتهذيب حتى يصل الى غاية كريمة يتكشف له من خلالها ألوانا من المعارف والمشاهدات والفيوضات لا تتكشف لغيره من الناس .

وعلى ذلك فالحب — عند التسترى — « هو معانقة الطاعة ومباينة المخالفة » والمحبة — فى رأى الجنيد — « هى دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب » أما المحبة عند الشبلى فهى تعنى الغيرة .

وعند ابن عطاء هى ما يترجم عنه بقوله : —

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى .
ولم يك يدرى : ما الهوى ؟ أحد قبلى
فأورق أغصانا وأتبع صبوة
وأعقب لى مرا من الثمر المحلى
وكل جميع العاشقين هواهم
اذا نسبوه كان ذاك من الاصل

ومعنى ذلك أن محبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله .

وربما أدت المحبة الى هتك الأسرار وكشف الأستار كما يقول أبو الحسين النورى فى تعريفها . ولكنها قد تكون بمعنى الفناء — كما يعبر عن ذلك أبو يعقوب السوسى — بقوله : « حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه اليه » .

او كما يقول المحاسبى « المحبة ميلك الى الشىء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه » .

ويعبر عن هذا المعنى أيضا أبو عبد الله القرشى قائلا « حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء » .

وغنى عن القول أن نذكر روعة هذا الحب وأثره وفعله في النفوس والأرواح ، حتى حرك أشجان شعرائهم واطلق عقال ألسنتهم وأوحى اليهم بمعان عذاب ، فحلقوا بأغاريدهم الرائعة بخواطر لا تخطر على البال . وحتى أصبح هذا الحب المثالى باعثا قويا على التمسك بالاخلاق الفاضلة ووسيلة من أقوى الوسائل لتهذيب السلوك ، وحتى أصبح الجمال الحسي في نظرهم مظهرا للجمال المعنوى ووسيلة اليه .

وقد اهتدى الى هذه النظرة الصوفية المثالية للجمال شعراء كثيرون لم يكونوا صوفيين :

منهم النقاد الذى استشهد له الدكتور عبد العزيز الدسوقى في كتابه «جماعة ابولو» بهذه العبارة « سميت احدى قصائدى بالغزل الفلسفى تحديا للضيق العقيم الذى يزعم أننا نتنزل لاستهواء الحبيب ، والحق أن الغزل تعبير عما نشعر به حين نرى الوجه الجميل والخلق القويم ، وبعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوى عليه من الأسرار حين تنظر الى الوجوه الجميلة ، فلماذا يحرم علينا أن نمثل هذا الشعور ؟ » .

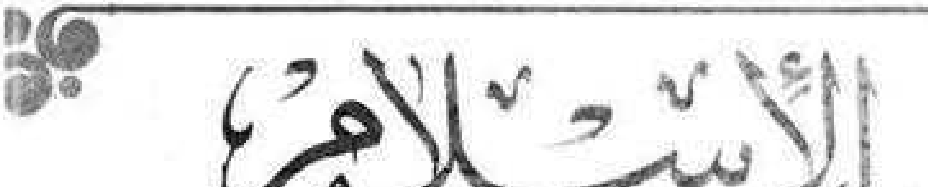
وربما وجدنا ما يشبه ذلك لدى الفلاسفة القدماء ، فأفلاطون يذكر « أن المحب يتدرج في طريق وصوله الى الله من تعلقه بشخص محبوبه الى تعلقه بجميع الأشخاص الجميلة ، ثم يتدرج من حب الاشخاص الى حب الأفكار الكلية والمبادىء العامة حتى يصل الى معرفة الصور ثم الى الجمال المحض أى الله»

ومن هنا كان لأشعار الصوفية عن الحب روعة خاصة ، وهذا هو ما يعبر عنه الدكتور محمد غنيمى هلال في كتابه المدخل الى النقد الادبى بقوله :

« كان لاشعار الصوفية ومعانيهم الغزلية روعة وجدة لا سبيل اليها الا بتجاوز الجمال الحسى ، وكانت في اشعار الصادقين منهم في عاطفتهم الروحية معان ذات وجهين ، فظاهرها منصرف الى الوسيلة في الجمال الحسى ، وباطنها مقصود به الغاية في الجمال الخالد ، وهكذا كان هذا النوع من الغزل الصوفى ظاهرة عنى بها فلاسفة الصوفية وشعراؤهم ، وهو يعبر عن مبادىء وعقائد عاش لها هؤلاء الصوفيون ، وكانوا يعبرون عن عقيدتهم وايمانهم لانهم ادخلوها في مبادىء الدين عن طريق التأويل » .

هذا وقد تطور الرمز الصوفى تطورا ملحوظا عبر العصور . تطورا له حديث خاص ان شاء الله تعالى .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى



الأمس والغد

تأليف : محمد أركون، لوى غارديه
ترجمة : على المقلد
عرض وتعليق
أ . د . طه مصطفى أبو كريشة

تقديم :

تحت هذا العنوان عرضنا فى عدد شهر المحرم للقسم الأول من هذا الكتاب .

وكان عن تاريخ الاسلام ، وعما فيه من قيم روحية ، وعن الصحوة الاسلامية التى بدت بشائرها فى ارجاء كثيرة ، تنادى بضرورة العودة الحقة الى الاسلام ، حين اخذت البلدان الاسلامية تعى ماضيها المجيد ، وقوتها الكامنة ، وما ينتظرها من مستقبل زاهر .

وقد طرحنا فى ختام ذلك المقال تساؤل المؤلف عن كيفية هذه العودة وهو « هل سيتم ذلك فى اطار احترام القيم الموروثة وتجديدها ؟ أو فى اطار علمانى يدمج بين السياسى والروحى ؟ أو فى اطار اسلام محافظ شديد المحافظة » .. وقد كتب هذا القسم المستشرق الفرنسى : لوى غارديه .

هذا التساؤل هو ما يعالجه القسمان الثانى والثالث من هذا الكتاب ، وهما من كتابة (محمد أركون) ، وفى مقال هذا العدد نعرض لتلك المعالجة . التى لا تحدد اجابة واحدة بقدر ما تعرض للواقع الحاضر الذى يضم التيارات التى تنبع من ورائها هذا التساؤل .

— ١ —

أما القسم الثانى من الكتاب فهو بعنوان (الفكر : كيف الكلام عن الاسلام اليوم ؟) وفصوله من السادس الى التاسع من جملة فصول الكتاب .

** فى الفصل السادس يصدر المؤلف حديثه بالآية الكريمة (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الشورى ١٣[1] .

وفى بداية هذا الحديث يقول المؤلف « من أجل تحديد شروط امكانية قيام فكر اسلامى متحرر ومحرر ، نطرح السؤال : كيف يمكن الكلام عن الاسلام اليوم ؟ » .

ثم يقول ان التساؤل ملح وان الاجابات عنه تتعدد وفقا للحالة السياسية والاقتصادية والثقافية ، ومع ذلك فانه يحدد مجال البحث فى نقاط أربع هى عناوين فصول هذا القسم وهذه النقاط هى : مفهوم الحداثة ــ مفهوم الاسلام ــ اسلام الأمس واليوم ــ الاسلام فى سباقه مع التطور .

ثم يعرض فى بقية حديث هذا الفصل لمفهوم الحداثة ، وماذا يعنى ؟ من وجهة نظر الفكر الغربى ، ويستخلص من كلامه أن الحداثة تساوى حركة النهضة وحركة الاصلاح الدينى التى تغلبت فى الغرب على انقاض القرون الوسطى التى يطلق عليها العصر الوسيط .

فماذا كان من أثر هذا التحديد الزمنى لمفهوم الحداثة ؟ يقول المؤلف انه كانت له آثار أكثر ظلما فيما يتعلق بالحضارة العربية والاسلامية من جانبين .

اولهما : أن هذه الحضارة طرحت ظلما ضمن ظلمات العصر الوسيط المظلم عند الغربيين .

وثانيهما : أن الحضارة الاسلامية تعرضت لهجمات شرسة ، قادتها الأهواء المغرضة التى خلفتها عملية الاسترداد الأسبانية فيما بين القرنين السابع والثانى عشر الميلادى ، وكانت النتيجة اغفال كثيرين من المؤلفين العرب والمسلمين فى هذه الفترة ، وكذلك تجاوز حقبة تاريخية مضيئة خاصة بالعرب والمسلمين ، وهى حقبة لها دخل كبير فى الحضارة الغربية ، ومن التجنى تنحيتها حين يؤرخ لهذه الحضارة .

واذن فليس غريبا بعد ذلك أن يزداد سخط العرب والمسلمين حين يكتشفون أن تاريخهم المجيد يدرسه الغربيون تحت الاسم المهين الذى وضعوه لحقبة من تاريخهم (العصر الوسيط) ، مع أن « ثورة الحداثة الفكرية والعلمية والتقنية فى الغرب انطلاقا من القرن السادس عشر تجد أصولها فى الجهد الخلاق للفكر وللعلم العربيين ، خلال العصر الذهبى ، بل ان الثورة الاجتماعية ذاتها ، وبواكير الديموقراطية قد تحققت أو دونت فى

(١) جاء رقم الآية فى الكتاب (١٢) والصواب ما أثبتنا .

القرآن وفي سنة النبي ﷺ وفي نهج الصحابة » (١٠١) .

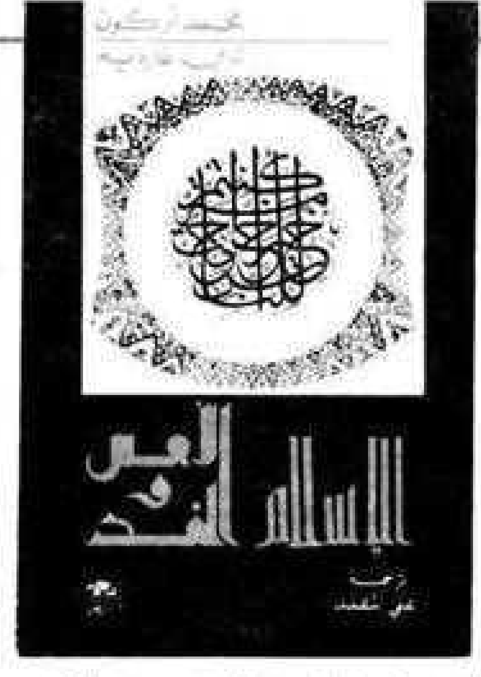
ويكمل المؤلف هذا التحديد التاريخي للحداثة بتحديد فلسفي يميز بين نوعين من الحداثة هما : الحداثة المادية والحداثة الفكرية .

فالحداثة المادية تدل على التحسينات التي أدخلت على الاطار الخارجي للوجود الانساني ، أما الحداثة الفكرية فهي تتضمن المناهج وأدوات التحليل التي تجعل العقل يعمل في مجال أكثر ملاءمة للواقع ، وبين هذين النوعين صلة مباشرة ذلك لأن الاستفادة من الحداثة المادية مرهونة تماما بنوعية ما تحقق من الحداثة الفكرية .

ومن هذا التحديد الفلسفي للحداثة وما يشير اليه من معنى التغيير والتحسين ، يذكر المؤلف في نهاية هذا الفصل ان في الاسلام ما يكفي لاحداث التغيير في العالم الى ما هو أحسن وأجدى ، ذلك لأنه « بالامكان ان طبقنا تعاليمه بدقة ، أن نتفادى كل الضلالات ، وكل أزمات الحضارة الغربية المزعومة ، بل وبالعكس بناء حضارة مثالية بالنسبة الى البشرية جمعاء » (١١٣) .

*** وتحت عنوان « مفهوم الاسلام »**

يقدم المؤلف في الفصل السابع اشارة موجزة الى حقيقة الاسلام في جانب العقيدة وجانب السلوك ، مبينا دوره في حياة الفرد ، ويذكر



في مقدمة هذا الحديث أنه قد حدث خلط كبير عند كثير من الذين يعنون بدراسة الاسلاميات ، ذلك حين لم يستطيعوا الفصل بين المعالم الحقيقية للاسلام وبين الواقع الزمني لحياة المسلمين ، ويرى أن هذا الخلط قد أدى الى أن يدخل تحت كلمة (اسلام) كل ما هو حاصل فعلا في أي بلد يمثل المسلمون فيه غالبية السكان ، مما أدى في نهاية المطاف الى تكوين صورة مشوهة للاسلام تتفق مع أهداف المسيحية الغربية ذات الرسالة التبشيرية .

أما حديثه فيما يتعلق ببيان مفهوم الاسلام في الجوانب التي ذكرناها فانه يشير فيما يتصل بالعقيدة الى ما هو مودع في القرآن والسنة مما يكون قوى أخلاقية ذات



جذور راسخة فى نفوس المسلمين ، وفيما يتصل بالسلوك فانه يشير الى دور التشريع ودور القواعد الفقهية فى تنظيم هذا السلوك .

اما فيما يتصل بحياة الفرد فى ظل الاسلام فان المؤلف يركز على كون الاسلام لا يقيم حاجزا بين الفرد وبين توجهه الى الله سبحانه وتعالى ، كما يشير الى أن كل مسلم يتمتع بحرية مبدئية فى أن يكون لنفسه سلوكه وتدينه بالرجوع مباشرة الى القرآن والى السنة النبوية وان كان ذلك فى اطار لا يخرجه عن الاجماع (١١٦ ــ ١٢٩) .

بقى أن نشير أن حديث المؤلف فى هذا الفصل حديث غائم غامض تشوبه عجمة التعريب ، وغرابة الألفاظ المولدة ، مما باعد بين ظاهر العنوان ومضمون الأفكار ، وربما كان ذلك عائدا الى لغة المترجم لا الى فكر المؤلف .

** * والفصل الثامن عنوانه « اسلام الأمس واليوم »** وفيه يشير المؤلف الى الحركات الاسلامية المعاصرة فى مختلف البلاد الاسلامية ، وبصفة خاصة فى تلك الدول التى اتخذت منهجا سياسيا بعيدا عن الاسلام ثم عادت اليه بعد حين ، ويقدم المؤلف فى هذا الفصل نماذج من أفكار بعض زعماء هذه الحركات ، ومن فكر بعض المفكرين الاسلاميين الذين لا ينتمون الى حركة بعينها ، وفى هذه النصوص نرى تقديما مركزا لمنهج الاسلام فى قيادة الفرد وقيادة الجماعة، مع الاشارة الى أن ما حل بالمسلمين من ضعف ومن تسلط الأمم الأخرى عليهم ، انما كان بسبب بعدهم عن قيم الاسلام ، وليس لأمر آخر راجع الى ذات الاسلام ، وشواهد التاريخ تثبت أن المسلمين كانوا قادة الأمم عندما تمسكوا به ونفذوا تعاليمه ، ثم تخلت عنهم هذه القيادة بمقدار ما ابتعدوا عن منهج الاسلام .

ويستنبط المؤلف من خلال النصوص التى قدمها أن تعاليم اسلام الأمس موجودة ومستمرة فى واقع اسلام اليوم ، أى فى واقع فكر من ينادون اليوم بضرورة الرجوع الى جوهر الاسلام ، لتتحقق القوة المسلمين ، ويعود المجد للاسلام (١٣١ ــ ١٤٨) .

** * اما الفصل التاسع وهو الاخير فى هذا القسم فعنوانه « الاسلام فى مسيرة التنمية »** وفيه يشير المؤلف الى موقف العلماء المسلمين المعاصرين تجاه القضايا الاقتصادية والفكرية والسياسية ، ففى الجانب الاقتصادى يذكر المؤلف أن علماء المسلمين يتنادون بتميز الاسلام فيما يتصل بالملكية الفردية ، وأنها ميزة لا تبلغ سموها النظرية الرأسمالية والنظرية الشيوعية ، فالاسلام فريد فى بابه ، اذ كل شىء ملك لله ، والانسان يحمل مسئولية الافادة من الأموال التى تقع بين يديه من أجل خدمة الجماعة .

وفى الجانب الفكرى يعرض المؤلف لأولئك المفكرين الذين برزوا فى المجتمعات الاسلامية

منادين بفكر علمانى يرحب بكل فكر غربى وافد ، مشيرا فى الناحية المقابلة الى أولئك العلماء المسلمين الذين وقفوا ضد هذا الاتجاه ، ناظرين اليه على أنه غزو فكرى تجب مقاومته ، كما يقاوم الاستعمار العسكرى ، مؤكدا على أن هؤلاء لا يرفضون كل فكر وافد ، لأنه وافد وانما يرفضون الجانب الذى يتصادم مع دعوة الاسلام وتعاليمه وأخلاقياته وفيما عدا ذلك فان الاسلام يرحب بكل علم يساعد على تقدم الانسان ، وعلى افادته من ثروات هذا الكون .

أما الجانب السياسى بمعنى فان المؤلف يشير الى تلك التجارب السياسية المقتبسة من الشرق أو الغرب ، والتى حاولت بعض البلدان الاسلامية تطبيقها ، فأخفقت فى الوصول الى غاياتها التى تعود بالنفع الى مجموع الجماهير ، وهنا يذكر المؤلف كيف يستغل الدين لترويج مثل تلك الأشكال السياسية ، الأمر الذى يؤدى الى رد فعل لدى الملتزمين بأصول الدين .

وفى نهاية الفصل ينادى المؤلف بضرورة ايجاد فكر حديث يجمع بين الأوصاف الاسلامية وأوصاف الحداثة دون تناقض مع ضرورة استعادة كل فكر محترم موروث ، وابعاد الأخطاء والأساطير التى ثبت خطأها بالبحوث العلمية الحديثة ، هذا مع القيام بدون تحفظ بتحمل كل العواقب النظرية والتطبيقية التى تستدعيها المعرفة العلمية (١٤٩ ـ ١٦٠) .

ـ ٢ ـ

ومن القسم الثانى من الكتاب ينتقل المؤلف الى القسم الثالث ، وهو آخر أقسامه ، ويعنون هذا القسم بعنوان « الحياة » ويأتى تحته بفصول أربعة ، من الفصل العاشر الى الفصل الثالث عشر من مجموع فصول الكتاب .

* أما الفصل العاشر فعنوانه «**المسلمون فى العالم**» : وفيه يبين وضع العالم الاسلامى وسط الثقافات والأنظمة والعادات والتقاليد فى عالم اليوم ، وكذلك يبين عن الدور الذى ينتظر أن يقوم به الاسلام بالنسبة لمستقبل هذا العالم .

وفى البدء يكشف المؤلف عن التزايد السكانى العددى بالنسبة للمسلمين ، وهو تزايد ليس مقصورا على نمو المسلمين أنفسهم وتناسلهم ـ وانما هو تزايد يتجاوز ذلك الى من يدخلون فى الاسلام وينتقلون من أديان أخرى اليه ، وكذلك هو تزايد ليس مقصورا على بلاد المسلمين فحسب وانما هو تزايد أيضا فى داخل البلاد التى تدين بغير الاسلام ، وهو تزايد ملحوظ بصورة ظاهرة فى بعض هذه البلاد بحيث تؤدى كثرة المسلمين فى فرنسا الى أن يكون

الاسلام هو الديانة الثانية بعد الكاثوليكية ، ويؤدى الحضور الاسلامى فى بلجيكا الى أن تعترف به الدولة اعترافا رسميا ضمن الديانات الرسمية ، وهو اعتراف له أهمية تاريخية فى بلد عريق فى تراثه المسيحى .

أما عن وضع الاسلام فى عالم اليوم فان المؤلف يشير الى أن الحديث عن الاسلام فى عالم الغرب يثير لديهم الشكوك وخيبة الأمل وربما توجسا من مستقبل يخافونه، أو من غلبة متوقعة منتظرة ، لأن الاسلام بقيمه وأخلاقه قادر على هذه الغلبة المتوقعة وكذلك فان المسلمين ما يزال يرسب فى أعماقهم ما قام به الغربيون نحوهم فى قرون عديدة ماضية ، صدروا فيها الكراهية تصديرا للمسلمين ، وفوق ذلك فان عصرهم القريب أو المعاصر فيه دلائل كثيرة على ما أثاره الغرب من مشاكل وقلاقل فى بلدان المسلمين ، وهى مشاكل تبدو فى ظاهرها سياسية ، لكنها فى حقيقة الواقع تنعكس بقسوة على الحياة الدينية .

واذن فهناك ثروة بشرية اسلامية فى تزايد مستمر وهناك ثقافة اسلامية عميقة الجذور ، باسقة الفروع ، ممتدة النمو ، لكن اليقظة المشهورة فى العصر الحاضر فى كل من هذين تواجهها معوقات ، تحاول الوقوف فى وجهها ، وتثبط من عزمها ، ذلك لأن كثيرا من تلك البلدان التى تزايد سكانها ، هى فى الواقع متأخرة تأخرا ظاهرا فى أساليب حياتها المادية ، اذا ما قورن ذلك بما لدى العالم اليوم من تقدم هائل فى وسائل الحياة ، هذا الى جانب أنه ليس هناك توجيه حسن لطاقات الشباب المسلم ، الذى يشكو من البطالة فى أغلب هذه البلدان .

واختلاف المستوى المادى من حيث امتلاك وسائل الانتاج ووسائل التصنيع بين العالم الاسلامى والعالم الغربى ، أدى الى اختلال خطير فى التوازن .

فالعالم الاسلامى يقدم للعالم الغربى المواد الخام ثم يستردها فى صورة أدوات معقدة علميا لا يستطيع أن يستوعبها استيعابا كاملا مفهوما ، الأمر الذى يؤدى الى التمزق على المستوى الفردى والجماعى .

ترى هل الوضع المادى الحاضر للعالم الاسلامى اليوم هو انقلاب لوضع آخر كانوا عليه فى عالم الأمس ؟ لقد كانوا بالأمس العالم القوى بثقافته وبحضارته المادية ، وغيرهم كان هو المتلقى منهم ، أما اليوم فقد انعكست الصورة فى مجالهم المادى لقد أصبح غيرهم مالك الحضارة ، وأصبحوا هم الذين يتلقونها فى اعجاب متزايد ، وحسد وحنين بالغ ، ودلائل مثل هذا الوضع تظهر من خلال كل سلوك تحدى فى اللباس والمطبخ والأثاث ، المدن والأعمال الثقافية والمؤسسات .

وهنا يأتى الدور الذى يمكن أن يقوم به الاسلام حين تتأكد شخصيته بمعالمها البارزة ،

ذلك لأنه يستطيع حينئذ أن يمنع اكتساح هذه الحضارة بصورها المتعددة لكل ما يميز الشخصية المسلمة • (١٦٧ — ١٧٠) •

** ❋❋ وفى الفصل الحادى عشر يتحدث المؤلف عن هذه الشخصية الاسلامية تحت عنوان « الهوية الاسلامية » •**

وفى بداية الحديث يتحدث المؤلف عن صعوبة التحديد اذا ما نظرنا الى البلاد العربية والاسلامية ، وما نراه من اختلاف فيما بينها فى الموقع واللغة والحكم ، والاتجاه المذهبى والتجارب التاريخية ، لكن هذه الصعوبة تزول اذا دار البحث عن الشخصية الاسلامية فى نطاق الواقع الاجتماعى والمحصول الثقافى ، لأن هذا هو الصورة المستمرة التى تشكل مظهر الاسلام منذ بدايته حتى الآن قبل مجىء هذه الأنظمة القومية التى ترتكز على حدود سياسية جامدة •

لكن المؤلف هنا جانبه التوفيق حين أشار الى أن الاسلام يتسع لكل العادات ويرحب بكل التقاليد التى يمارسها الافراد والجماعات سواء فى ذلك ما كان قديما متوارثا ، أو ما كان جديدا مستحدثا ، وموطن الخطأ هنا أن هذه العادات والتقاليد قد يناقض بعضها بعضا ، وقد تتصادم فى الوقت ذاته مع حقائق الاسلام الثابتة ، التى اليها المرجع فى قبول أو رفض ما يجد من عادات وتقاليد ، واذن فليس الواقع الاجتماعى ، ولا الواقع الثقافى المتولد عن ذلك دليلا قطعيا لا يرد على تحديد معالم صورة الشخصية الاسلامية فى كل حين (١٧٢) •

واذا نحينا الحديث عن العادات والتقاليد جانبا ، فاننا نرى المؤلف يحاول أن يستشف مظاهر الشخصية الاسلامية فى جوانب أخرى عقائدية وتعبدية وسلوكية ، ويخص بالذكر الالتزام بأركان الاسلام من خلال الحضور الدائم للقرآن الكريم ، ليس من خلال الأفراد فحسب ، وانما كذلك من خلال وسائل الاعلام بجميع أنواعها •

وفيما يتصل بالسلوك الدنيوى فان المؤلف يجعل من ملامح الشخصية الاسلامية ما يلتزم به المسلم فى حياته من جميع جوانبها ، بما أقره الفقهاء من قواعد وأصول استنبطوها من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن حياة الصحابة •

ومرة أخرى يجانب التوفيق المؤلف هنا وهو يعرض لمدى احترام المسلم لسلوكه المستمد من أصول الدين ، ذلك حين يذكر أن هناك من مظاهر النشاط الدنيوى ما يثير القلق ، ويدلل على ذلك على سبيل المثال ما قامت به باكستان من تطبيق الحدود الشرعية وما صدر كذلك فى بعض البلدان من قانون يلزم باعدام المرتد عن الاسلام • ولا ندرى ما الذى يثيره ذلك من قلق ، ولماذا ؟ (١٨٠) • فالمعروف أن الاسلام ليس عقيدة فحسب ، وانما هو عقيدة وشريعة ، واعتقاد مترجم عنه

السلوك ، والتزام بكل المبادىء وليس بأخذ بعض الكتاب دون بعض ، وهذا ما يعطى للشخصية الاسلامية تكاملها ، ولن يكون التخير والالتقاط معطيا صورة حقيقية لهذه الشخصية بحال .

ويستطرد المؤلف بعد ذلك الى بيان أن هناك اسلاما مكتوبا في الكتب واسلاما معاشا في حياة الجماهير ، ويذكر أن بينهما تباينا شديدا في عالم اليوم . لكن كان الأجدر بالمؤلف بدلا من هذا التقسيم أن يشير الى أن هناك اسلاما واحدا من حيث التدوين في مصادره مع قصور في التطبيق يكون كبيرا أحيانا وقليلا في أحيان أخرى ، فمن القصور كما ذكرنا سلفا أن يؤخذ الاسلام من الواقع المعاش للجماهير فحسب مع ما هم عليه من تسلط العادات والتقاليد والأحكام والخرافات (١٨٢) .

والحق أن حديث المؤلف عن ملامح شخصية الاسلامية ليس وافيا ولا مبينا كل الابانة ، وهو نقص خطير بالنسبة للقارىء غير المسلم الذى لا يستطيع أن يفصل بين جوهر الاسلام وبين الحياة الواقعية للمسلمين ، بل يسعده أن يرى الاسلام من خلال هذا الظاهر ان كان ممن [illegible] ـداء للاسلام .

** وفي الفصل الثاني عشر يتحدث المؤلف عن العلاقة بين « الدين والمجتمع والتاريخ » . وفيه يذكر أن هناك من غير شك علاقة وثيقة بين الدين وبين المجتمع الذى يدين بهذا الدين ، فالدين وسيلة لاصلاحه ولتغييره الى واقع أحسن ، ومن خلال هذا التغيير عبر السنين يتكون التاريخ الذى قد يصبح يوما مثلا متقدما تنظره الأجيال الحاضرة وتستنير به في سبيل ايجاد القدوة والمثل المحتذى أو من جهة أخرى في سبيل ايجاد النظير الذى يجب أن ينحى وأن لا يتكرر مرة ثانية .

وفي هذا المجال يستطرد المؤلف الى بيان ما قامت به بعض الجماعات الدينية في المجتمعات الاسلامية من محاوله للتغيير في المجتمع من واقع فهمها الخاص للدين ، ومن خلال استلهامها للتاريخ في حركات أخرى مشابهة ، مشيرا الى ما وقعت فيه هذه الجماعات من تطرف انزلقت اليه بسبب التفاوت الشديد بين الناس في عادات الحياة .

ويقف المؤلف وقفة متأنية عند وضع المرأة في المجتمع المسلم وكيف يعمل القائمون على أمر الدين على المحافظة الشديدة بالنسبة للمرأة ووظيفتها في المجتمع من خلال القواعد الدينية وليس من خلال ما استقر لدى الذين عاملوا المرأة معاملة فيها قهر وتسلط من واقع الأعراف والتقاليد ، ويشير المؤلف الى أن العلماء الذين يقفون ضد كل ما يمس كرامة المرأة المتدينة ليسوا متزمتين ، وانما هم

يحاولون تدبير حماية لتوازن اجتماعي يعتبر لازما في الرؤية الاسلامية (١٩٧) .

ويعرض المؤلف للحياة الدينية الخاصة بالمرأة ، وكيف تتوقف عن القيام بالصلاة والصيام عندما تنزل بها دورة الدم الشهرية وقد أشار الى أنها تلزم باعادتهما ، وهذا خطأ منه ، فالقضاء انما هو بالنسبة للصوم لا للصلاة كما هو معروف .

وقد عقب على حياة المرأة الدينية بأن لها مكانا جانبيا هامشيا في العقيدة ، لكن لا نظن أن مثل هذا الاعفاء الوقتي يكون سببا وجيها لأن توصف بهذا الوصف الذي أورده فيما يتصل بالعقيدة ، وهو وصف فيه كثير من الجور والمبالغة ، فضلا عن الدلالة على قلة فهمه للاحكام التي صانت المرأة من الاختلاط ، وحددت لها حدودا معينة في اللباس ، وفي ترتيب مكانها عند حضور الصلوات في المساجد . ان ذلك ليس انتقاصا مفزعا كما يوحي به كلام المؤلف ، وانما هو تنظيم سلوكي من واقع ما أمر به الدين ، وليس من واقع رؤى ذاتية ابتدعها الفقهاء من عند أنفسهم .

** ويختم المؤلف كتابه بالفصل الثالث عشر تحت عنوان « الكلي المجرد والكلية العيانية »** يعني بذلك الصورة المثالية في التصور والصورة الملموسة في عالم الواقع ، وهو تعبير مقتبس من اطلاقات الفلاسفة .

وهذا الفصل فصل سريع متعجل ، والذي يعنينا منه ما طرحه المؤلف من تساؤل قد يلقى به المعاصرون في وجه من يدعون الى الاصلاح الاسلامي اعتمادا على الموروث من مبادئ الاسلام هذا التساؤل هو : ما الذي يفيد المسلمين المعاصرين من الدعوة الى احياء الماضي مع أنهم في واقعهم في حاجة ماسة الى آلة اقتصادية فعالة ، والى فكر سياسي ثوري يعمل على اللحاق بركب التقدم ؟

ويجيب المؤلف عن هذا التساؤل بأنه من الحيوي بالنسبة للاسلام أن يحاول الافادة من كل فكر حديث لا يتصادم معه ، ومن التجارب الحديثة الممارسة ، وذلك دون انفصال عن الجذور الاسلامية التي تحدد ملامح الشخصية المسلمة (٢١٠) .

* أما ملحق الكتاب فهو تعقيب من (لوي غارديه) على ما عرضه (محمد اركون) في القسمين الأخيرين من الكتاب عن حاضر الاسلام من خلال الفكر والحياة .

لقد أحس لوي غارديه من كلام محمد اركون شيئا من النظرة القاتمة التي نظر بها الى حاضر المسلمين اليوم ، وقد رد عليه بأن المشاكل الحالية لا ينبغي أن تشكل حاجزا وغشاء يفقد الأمل في عودة اسلام قوي ، لا يخشى الحداثة ، لأنه يوجهها توجيها يتلاءم معه بحيث تسير جنبا الى جنب مع القيم الايمانية المخلصة .

ثم قال « ان الحضارات الاسلامية ان عرفت كيف تظل وفية مخلصة لأفضل ما عندها من ايحاء ، فستبقى مؤهلة جدا لأن تقدم الكثير للثقافة الكونية في أيامنا » (٢٢٠) وهو تعقيب يغنيني عن التعقيب .

أ . د طه مصطفى أبو كريشة



الفتاوى

زخارف ... ودية

س : من المهندس د. شوقى .

رجل زخرف منزله بزخارف مصنوعة من الجبس مركبة على واجهة المنزل ـ سقطت بسبب العوامل الجوية على فتاة عمرها (١٨ سنة) تصادف مرورها تحت المنزل فى ذلك الوقت ، وتوفيت بعد نقلها الى المستشفى .

فهل هذه الواقعة قتل خطأ او قضاء وقدر ؟

وهل تجب فيها الدية ؟ ... واذا وجبت فهل يكون الورثة ملزمين بدفع هذه الدية حيث ان صاحب العقار قد توفى بعد وفاة الفتاة ؟ وماهى قيمة الدية بالجنيه المصرى ؟ وهل الفتاة كالكبيرة فى الدية ؟ .. ما الحكم فى كل ذلك ؟

ج : الدية تثبت لورثة الفتاة المتوفاة مخطأ المدعى عليه أو تسببه فى موتها ، لعدم مراعاته لتلك الزخارف التى مضى عليها زمن ، وذلك بازالتها أو صيانتها .

وموت المدعى عليه لا يسقط هذه الدية عن عاقلة المدعى مهما طال الزمن ، اذ ان الحق لا يسقط الا بالأداء أو الابراء ، وعلى هذا فيجب على عاقلة المدعى عليه من عصبته أن يشتركوا فى دفع دية الفتاة الى ورثتها ، ودية الصغيرة كدية الكبيرة .

ومقدارها ستة آلاف درهم فضة مضروبة فى ٣/١٢ ، ومقدار ذلك بالجرامات ثمانية عشر ألف جرام وسبعمائة وخمسون من ألف عيار (٩٠) مضروبة فى ثمن جرام الفضة من السبائك غير المشغولة ... على أن تقسط الدية على ثلاث سنوات ... وبالاضافة الى ذلك يجب على ورثة المدعى عليه أن يؤدوا عنه كفارة القتل الخطأ ، باطعام ستين مسكينا ، أو قيمة ذلك وهى حوالى خمسين جنيها مصريا على أن توزع على ستين مسكينا .

حق الشفعة

س : من السيدة س عباس .

آل منزل الى ابنى القاصر واخوته لأب بطريق الميراث عن والدهم ، وتمت القسمة عن طريق القضاء . وتسلم كل منهم نصيبه فى المنزل . واخوة ابنى القاصر لأب يريدون أن يبيعوا نصيبهم الى شخص أجنبى .

فهل يكون لابنى القاصر حق الشفعة



إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

فى هذا البيعة . وما الحكم ؟

ج : الشفعة حق واجب للشريك ثم للخليط فى المنافع ثم للجار .

وحيث تمت القسمة عن طريق القضاء، فالطفل الموصى عليه يستحق الشفعة فيما يباع من هذا المنزل من اخوته بطريق الجوار ، ويثبت هذا الحق بطلب منه ان كان بالغا وبطلب وصيه ان كان قاصرا .

وقد جعل القانون للجار حق المطالبة بالشفعة بأصل الثمن فى مدى ستة أشهر من البيع الصحيح .

يمين ومصيف

س : من السيد / ع . احمد اسماعيل العباسية .

رجل حلف على المصحف بالا يذهب الى المصيف هذا العام ، وبعد المداولة رأى أن المصيف مهم بالنسبة لاولاده ويريد أن يصيف . فماذا يفعل ؟

ج : هذا يمين ... « لا يـ . . ـه طلاق » وانما يلزم الحالف به كفارة يمين . اذا ما صيف وهى اطعام عشرة مساكين ... لكل مسكين خمسون قرشا على الأقل .

الحج مع نسوة ثقات ..

س : من السيدة ع ... الحسن

اريد ان احج وليس معى محرم ولكن يوجد معى مجموعة من النساء الفضليات يجوز ذلك .. وما الحكم ؟

ج : لا يجوز لك شرعا أن تذهبى الى أداء الحج الا بمحرم ، وحيث انه لم يوجد معك محرم فيجوز لك الحج مع مجموعة نسوة ثقات

طلاق

س : من السيد / ا .. عبد الواحد . جاءت قريبة زوجتى للعلاج واقامت فى بيتى . وبعد مدة طلبت من زوجتى ترحيلها فابت فحلفت على زوجتى مهددا بقولى : اذا لم ترحل قريبتك فانت طالق ثم رحلت عن البيت بعد الاتصال باهلها . فما الحكم

ج : هذا يمين معلق ، وحيث ان الحالف كان يريد به التهديد وحمل الزوجة على رحيل قريبتها من المنزل فلا يقع به طلاق .

ميراث

س : من السيد / احمد عبد الغفار . توفى عن : ابن أخ شقيق ، بنات اخ شقيق ـ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لابن الأخ الشقيق تعصيبا، ولاشىء لبنات الأخ لأنهن من ذوات الارحام المؤخرات فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله اعلم ..



أنباء وآراء

٣٠٠ عالم إسلامي يشتركون في المؤتمر العالمي لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان

* بمناسبة مرور عام كامل على تطبيق الشريعة الاسلامية في السودان اشترك ثلاثون عالما ومفكرا اسلاميا في هذا المؤتمر الكبير من جميع أقطار العالم الاسلامي ، كما حضره عدد من المفكرين المسيحيين المعنيين بالدراسات الاسلامية .

وقد مثل مصر في هذا المؤتمر العالمي كل من الدكتور الأحمدي أبو النور وزير الاوقاف

الذي ألقى كلمة مصر في المؤتمر ، والدكتور محمد السعدي فرهود رئيس جامعة الأزهر ،

والدكتور عبد اللطيفخليف نائبرئيس الجامعة والدكتور الحسيني هاشم أمين عام مجمع

البحوث الاسلامية والدكتور عبد الصبور مرزوق .

انخفاض الجريمة بالسودان

فند الرئيس السوداني جعفر نميري مزاعم المشككين في تطبيق الشريعة الاسلامية في السودان . وقال الرئيس السوداني في كلمته أمام المؤتمر الاسلامي الأول بالخرطوم في ذكرى مرور عام على تطبيق الشريعة الاسلامية ان تطبيق الشريعة ساهم في انخفاض الجريمة

بنسبة أربعين في المائة خلال العام الأول بعد أن كانت البلاد تشهد جريمة سرقة كل ستة

ساعات، وجريمة قتل كل ساعة ، وجريمة اغتصاب كل عشر ساعات .

وأوضح الرئيس السوداني : أن تطبيق الشريعة لم يفرق بين المواطنين فيالسودان،فلم تهدم كنيسة أودير او تحرم صلاة أو تكتم حرية . اننا لم نفرق بين وزير وخفير .

وقال الرئيس السوداني : ان بالجنوب أكثر من مليون مسلم وأقل من مليون مسيحي . بينهم وحدة دم وتمازج وتاريخ . ولم يزدنا



الاسلام الا ايمانا بحريه الأديان . والاسلام لا يفرض دينا على أحد .

إجراءات إسلامية فى الباكستان

أصدر الرئيس الباكستاني بيانا رئاسيا يدعو المسلمين الى اداء الصلوات الخمس فى حينها كما تامرهم بذلك شريعة الله .

وقال الرئيس ضياء الحق فى احتفال اقيم فى مدينة « رو البندى » بمناسبة يوم الاستقلال انه سيتم تعيين رجال دين فى كل حى من أجل حث الناس على الذهاب الى المساجد لأداء الصلاة .

رابطة إسلامية جديدة

قرر الاتحاد الاسلامى الدولى للعلوم والتكنولوجيا والتنمية الذى يتخذ من جدة مقرا له . انشاء رابطة اسلامية لمعاهد الابحاث

أرسل الاتحاد استمارات استفتاء الى ثمانمائة معهد للابحاث فى جميع انحاء العالم الاسلامى لاستطلاع ارائها . وطلب معاونتها من اجل تكوين الاتحاد الجديد .

وطبقا للخطط الموضوعة سيدرس الاتحاد المشاكل العلمية فى الدول الاسلامية وتنسيق العمل وتطوير الأبحاث والتنمية فى مجال العلوم والتكنولوجيا .

مصر تشارك فى مؤتمر الدول الإسلامية

تشارك مصر لاول مرة ، بعد قرار عودتها الى منظمة المؤتمر الاسلامى ، فى مؤتمر الدول الاسلامية المنعقد بنيويورك وذلك لبحث حرب العراق — ايران الذى تدخل عامها الخامس .

الطب الإسلامى والصحة النفسية

استضافت مدينة استنبول بتركيا المؤتمر العالمى للطب الاسلامى . وقد شارك فى هذا

المؤتمر مجموعة من العلماء والبــاحثين مــن مختلف الدول الاســلامية والعربية بالاضافة الى الهيئات الاسلامية الــدولية فى أوربــا وأمريكا .

ناقش المؤتمر موضوعات عدة تتعلق بالطب الاسلامى وعلاقته بالصحة النفســية وقــد

اشترك فى المؤتمر وفد من الجمعية الاســلامية للصحة النفسية برئاسة الدكتور جمال ماضى

ابو العزائم الذى القى بحثا بعنوان : « الوقاية والعلاج من خلال الهدى الســلامى » . كذلك

القى الدكتور طه بعشر وزير الصحة الســودانى السابق وخبير الصحة العالمية بحثــا عــن : « الصحة النفسية فى الاسلام » .

أخطــار الغزو الفكرى يناقشهــا المــؤتــمر الاسـلامى بالكويت

* صرح الأستاذ احمد فراج الامين العــام لمنظمة الاذاعات الاسلامية بأنه فى ديســمبر القادم ــ ان شاء الله ــ سوف يعقد مؤتمر اسلامى كبير بالكويت يدرس مظــاهر الغزو الفكرى للمجتمع الاسلامى .

وقد تم تشكيل لجنه تحضيرية بتوجيه مــن الشيخ ناصر صباح الأحمــد وكيــل وزارة الاعلام ، يرأسها الدكتور عبد العزيز منصور مدير عام اذاعة الكــويت لبحث الترتيبــات اللازمة لعقد المؤتمر .

مشــروع قــــرار إسلامى لسحب قوات "موسكو" من أفغانستان

تتقدم منظمة المؤتمر الاسلامى التى تضم ٤٥ دولة مشروع قرار الى الجمعية العامة للامم المتحدة تدعو الاتحاد السوفيتى الى ســحب قواته فورا من افغانستان .

وقد وافقت لجنة افغانستان المنبثقة عــن المؤتمر الاسلامى على مشروع القــرار الذى اعدته باكستان والذى يطــالب الســوفييت بالانسحاب الفورى من افغانستان .

التضــامن الاســلامى

انهى المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقــد فى اسلام اباد بباكستان اعماله . وقد ناقش المؤتمر موضوع التضامن الاسلامى بين شعوب الامة الاسلامية وبخاصة فى هذه الايام التى يهاجمنا فيها خصوم الاسلام لتفكيك وحــدة الشعور الدينى بين المسلمين . وقــد اعــد المؤتمر عدة توصيات فى هذا الشان منها :

ـ الدعوة الى بناء جسور من المودة بين الأمم على أساس الاسلام .

ـ التيقظ لمخططات الدول الاجنبيه . والاهتمام بوسائل التعليم والاعلام فى الدول الاسلامية .

ـ عقد مؤتمرات دولية بين المفكرين فى العالم الاسلامى لتهيئة مناخ الوحدة .

بحوث فى الاقتصاد الاسلامى

أنشأ المصرف الاسلامى الدولى للاستثمار والتنمية بالقاهرة مركزا للاقتصاد الاسلامى للبحوث والدراسات والاستشارات والتدريب .

يهدف المركز الى اعداد بحوث أساسية وتطبيقية تساهم فى تطوير كعمل المصرف الاسلامى . واعداد دراسات جدوى للمشروعات الاستثمارية فى شتى قطاعات الاقتصاد المصرى بما يتمشى مع منهج التنمية الذى تسير عليه الدولة باعتبار أن الاستثمار يشكل جوهر عمل المصارف الاسلامية .

وسيقدم المركز الاستشارات الفنية والشرعية لقطاعات المصرف المختلفة والمؤسسات النقدية الاسلامية فى مصر والعالم الاسلامى .

مركز إسلامى بواشنطن

سوم الرابطة الاسلامية الدولية بالولايات المتحدة باقامة ثانى مركز اسلامى بالعاصمة الأمريكية بواشنطن يتكلف احد عشر مليون دولار يضم المركز مسجدا للمسلمين الامريكين ? ومستشفى ، وينتهى العمل به فى نهاية ١٩٨٠ م .

موسوعة إسلامية

بحث فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر مساهمة جامعة الأزهر فى اعداد الموسوعة الدينية الاسلامية التى تصدرها رئاسة الأوقاف التركية وصرح الأستاذ كمال اسماعيل رئيس العلاقات العامة بجامعة الأزهر أن الدكتور فرهود وعد الوفد التركى ـ الذى زار القاهرة ـ بتقديم كافة التسهيلات والمراجع اللازمة لهذه الموسوعة .

كلية الدراسات الإسلامية

تقرر إنشاء أول كلية اسلامية فى العاصمة الصومالية « مقديشو » تختص الكلية الجديدة

◄

بتدريس العلوم الدينية واللغة العربية لأبناء الصومال ينتظر أن يقوم بالتدريس فيها أساتذة من جامعة الازهر .

مؤتمر هيئة التدريس بالأزهر

تم عقد المؤتمر الأول لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر فى قاعة الامام محمد عبده ، وقد بحث المؤتمر سبل النهوض بالتعليم الأزهرى والنظر فى تعديل قانون الجامعة ولائحتها التنفيذية ، وكذلك الموضوعات التى تهم أحوال وأوضاع هيئة التدريس والطلاب بالجامعة . كما ناقش المؤتمر دور الجامعة فى الدعوة الاسلامية ، وحل الأزمات الفكرية والنفسية التى يتعرض لها المجتمع وتوجيه الرأى العام فى القضايا والأوضاع والقيم فى مصر .

معهد لتخريج أئمة المساجد

تم انشاء معهد اسلامى لتخريج ائمة المساجد فى مانيلا عاصمة الفلبين اطلق عليه معهد الدراسات الاسلامية - يقوم بتدريس الفقه الاسلامى والفلسفة الاسلامية الى جانب اللغة العربية والتاريخ الاسلامى .

الجامعة الإسلامية بالفلبين

وقع البنك الاسلامى للتنمية فى جده اتفاقية يقدم بموجبها منحة قيمتها اكثر من مليون دولار لاستكمال بناء بعض منشئات جامعة المخدوم الاسلامية بالفلبين . ويأتى توقيع هذه الاتفاقية تمشيا مع سياسة البنك التى تهدف الى دعم المشروعات الاسلامية فى الدول الاعضاء وبخاصة فى مجال التعليم .

سينمائى عالمى يشهر إسلامه فى القاهرة

* اشهر المنتج السينمائى العالمى زالكوفيتش اسلامه أمام فضيلة الامام الاكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والمعروف أن المنتج السينمائى من اصل قوقازى ، وقد أعلن أنه غير اسمه الى محمد الجنيد .

* كشف تقرير الحزب الحاكم فى افغانستان فى اجتماعه الرابع عشر عن الحاجة الماسة الى تعزيز قوة الدفاع السوفيتية الافغانية بخمسين الف جندى .

سارعت موسكو الى تحقيق مطالب هذا العزيز .

آراء

اهتم بعض الناس بالخبر التالى، وهو مضمونه فاعجه أحسن اعداد وتلقاه الناس منه بعنوان (رسالة من الله) وقد أحالته المجلة الى السيد / أحمد الباجورى بلجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية . فكتب عنه ما يراه القارىء عقب تلاوته لهذا النص .

أورد العلائى فى تفسير سورة يوسف عليه السلام (١) ان الله انزل فى صحف ابراهيم عليه السلام ما معناه :

« من العزيز الحميد . الى من هرب من العبيد . سلام عليكم . هذه رسالتى اليكم .

بما اختصصتكم به من نور العلم . وذكاء الفهم . فأول نعمى عليكم انى أخرجتكم

من العدم الى الوجود . وأمددتكم بالجود . وأنشات لكم الأبصار فأبصرتم . والاسماع

فسمعتم . والألسنة فنطقتم . والقلوب ففقهتم . والعقول ففهمتم . وأشهدتكم على

أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم . ولكن بعد الاقبال أدبرتم . وبعد الاقرار أنكرتم .

ونقضتم عهودنا وغيرتم . ومع ذلك ياعبادى فلا يوحشنكم ذلك منا . ولا يبعدنكم ذلك عنا .

فان عدتم عدنا . وزدنا فى الكرم وجدنا . فمن عثر أقلنا . ومن قطع وصلنا . ومن تاب

نيلنا . ومن نسى ذكرنا . ومن عمل قليلا شكرنا . نعطى ونمنح . ونجود ونسمح .

ونعفو ونصفح . كرمنا مبذول . وسترنا مسبول . عبدى أنظر الى السماء وارتفاعها .

والشمس وشعاعها . والكواكب وأنوارها . والأرض وأقطارها . والأمواج وبحارها .

والفصول وأزمانها . والأوقات واتيانها . وانظر الى ما هو ظاهر وكامن . ومتحرك

وساكن . وانظر الى القائم والقاعد . والراكع والساجد . وما غاب وما حضر . وماخفى

وما ظهر . الكل يشهد بجلالى ويقر بكمالى ويعلن بذكرى ولا يغفل عن شكرى . عبدى:

اذكرك وتنسانى . وأسترك ولاترعانى . فوعزتى لو أمرت الأرض لا بتلعتك من حينها

ولو أمرت البحار لأغرقتك فى مياهها . ولكن أحميك بقدرتى . وأمدك بقوتى . وأؤخرك

الى أجل أجلته . ووقت وقته . فوعزتى لابد لك من الورود على والوقوف بين يدى . أعدد

عليك أعمالك وأذكرك افعالك . حتى اذا أيقنت البوار وقلت لا محالة انك من أهل النار .

(١) ورد الحديث فى كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس ص ٣٨٦ واللواء الاسلامى عدد الحجة ١٤٠٢ هجرية ص ٧٤ .

أنبـاء وآراء

أوليتك غفراني • ومنحتك رضواني • وغفرت لك الذنوب والأوزار • وقلت لك ياعبدي • لا تحزن • ياعبدي فمن أجلك سميت نفسي الغفار »

« وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وكتب الاستاذ أحمد الباجوري يقول (١) :

١ ـ تغير الضمير فيه مثل قوله : ونقضتم عهودنا ••• فلا يوحشنكم ذلك منا ، وهذا يدل على المشاركة مع الله ـ جل جلاله ••• الخ

٢ ـ ورود هذا الأثر في كتاب (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) كما أشار مرسله •

وكتاب نزهة المجالس تحدث عنه محدث المغرب : عبد الله محمد الصديق الغماري فقال :

« كتاب الشيخ عبد الرحمن الصفوري يحرم النظر فيه الا لعارف بالحديث ، لأنه محشو بأحاديث موضوعة وأخرى واهية ، وبكثير من الخرافات الاسرائيليات ، وفيه نزر يسير من الأحاديث المقبولة ما بين ضعيف منجبر وحسن ، أما الحديث الصحيح فوجوده في هذا الكتاب نادر جدا ، لهذا لما جمعه مؤلفه الصفوري المذكور ، وأظهره للناس ، وتناقلوه عنه بالشام ، لأنه كان مقيما هناك نهاه محدث الشام برهان الدين الناجي عن ذلك ، ونصحه بالرجوع عنه ، ومازال به حتى أظهر التوبة وقال :

اني رجعت عنه •

ثم بعد مدة عاد الى اظهاره ثانيا ، فكتب البرهان الناجي الى مصر يسألهم عن الكتاب المذكور هل تجوز قراءته وتداوله لمن لا معرفة له تميز بين الصحيح والسقيم ، ونقل منه عدة أحاديث بعثها مع السؤال ليجاب عنها ، فأجابه الحافظ السيوطي موافقا له على ما قال : الا في بضع أحاديث أطلق عليها الناجي أنها لم ترد ، فبين الحافظ السيوطي أنها واردة ، وان كان اكثرها ما بين ضعيف وموضوع ، والحاصل أنه لا تجوز قراءة نزهة المجالس الا لخبير بعلم الحديث يستطيع أن يميز بين الصحيح والحسن والضعيف والواهي والموضوع والله تعالى اعلم •

(١) من مقال في مجلة الاسلام اسئلة حديثية وأجوبتها عدد رمضان ١٣٥٤ هجرية الموافق عام ١٩٣٥ ميلادية .

رأى فى خبر

نشرت جريدة « الميل » الانجليزية فى عددها الاسبوعى هذا الخبر « ديلوماسى ايرانى قام بذبح نعجة داخل حديقة منزله .. !! »

هل فى هذا الخبر مايثير .. ؟ ومع هذا فان الصحافة البريطانية اهتمت به فجعلته فى أولى صفحاتها وتحت عنوان :

مذبحة فى بيت دبلوماسى

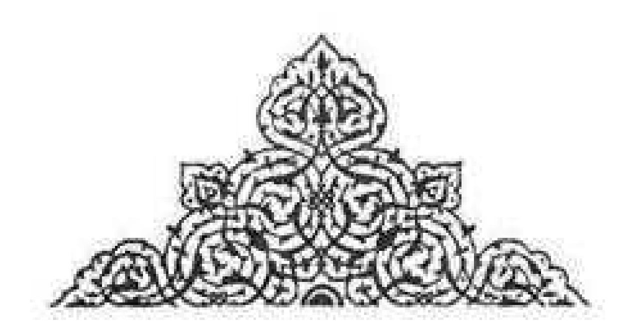
ثم قام التليفزيون البريطانى بنقل التفاصيل وفى اليوم التالى لنشر هذه التفاصيل ، طلبت الخارجية البريطانية اعتذارا رسميا من الدبلوماسى الايرانى على (جريمته) هذه التى جرت أمام عيون جيرانه .

وكتب معلقا على هذا الخبر الاستاذ صلاح منتصر مدير تحرير الاهرام يقول : ـ

بقطع النظر عن كون الدبلوسى ايرانيا .. أو غير ايرانى .. فانه مسلم على أى حال .. ونحن نسأل أين هذه المشاعر المرهفة الرقيقة الحساسة لدى بريطانيا ازاء عشرات المذابح الانسانية التى ترتكب علنا ضد المسلمين فى كل بلاد الدنيا .

والمجلة تسأل : أين الرأى العام البريطانى هذا من مذابح صابرا وشاتيلا ؟ وأين هم مما يحدث فى لبنان للمسلمين ؟

وأين هذه المشاعر الرقيقة ازاء ما يحدث للمسلمين فى أفغانستان وأثيوبيا والفلبين ، والبقاع ـ فى البلوى ـ كثير .





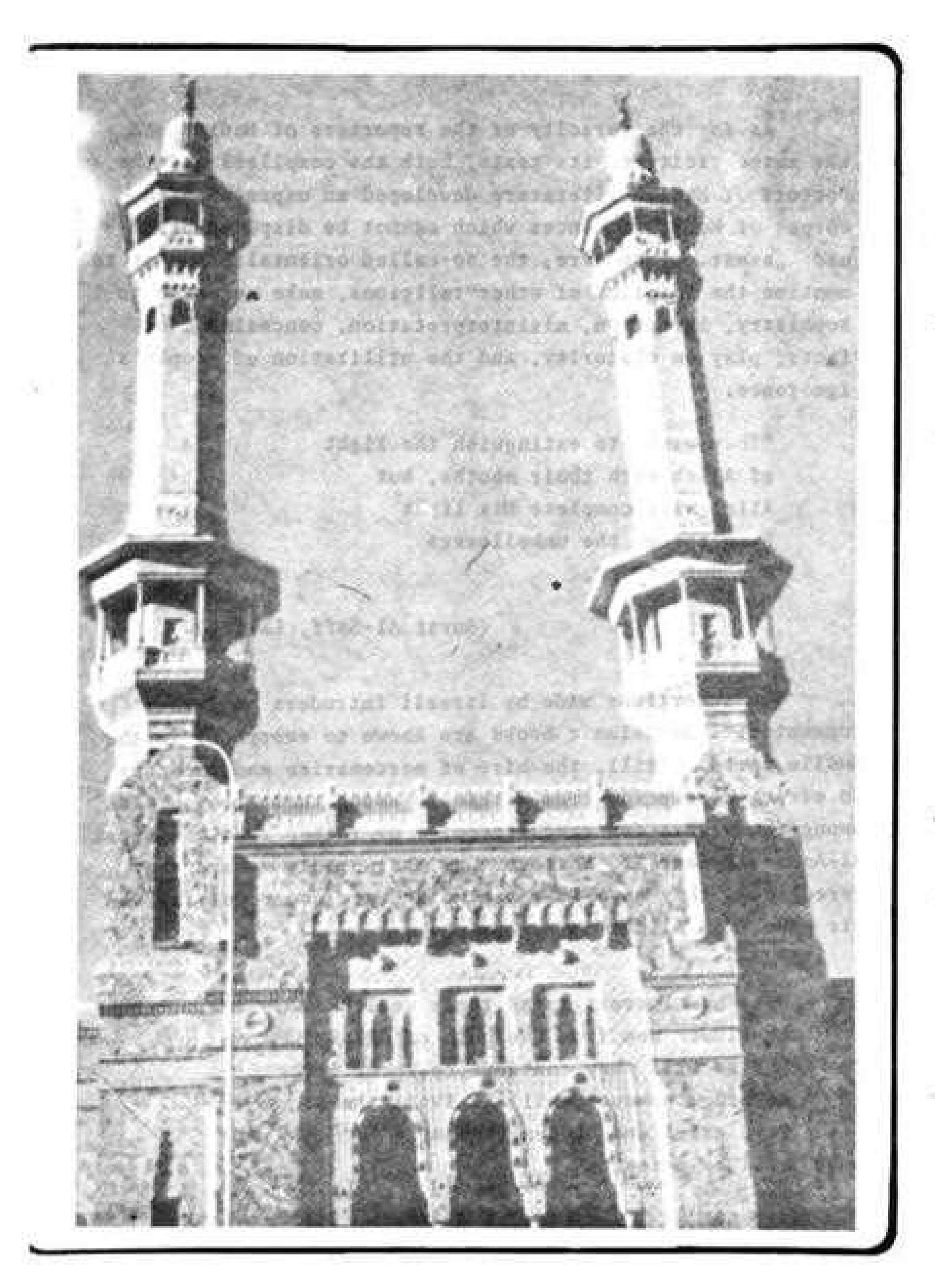
فهرس العدد

الموضـــوع	الصفحة
● صفر ٠٠ والشيء للدكتور علي العبد الخطيب	١٦١

دراسات قرآنية

في الشريعة

الموضـــوع	الصفحة



As for the veracity of the reporters of Hadith and the autheticity of its texts, both the compilers and the Doctors of Hadith literature developed an unprecedented corpus of Hadith Sciences which cannot be disputed or argued against. From here, the so-called orientalists, not to mention the fanatics of other religions, make recourse to sophistry, invention, misinterpretation, concealment of facts, play on obscurity, and the utilization of people's ignorance.

"They want to extinguish the light
of Allah with their mouths, but
Allah will complete His Light
Even though the unbelievers
May detest it".

(Surat Al-Saff, LX1, 8).

The insertions made by Israeli intruders in famous commentaries of Islamic books are known to everybody in the Muslim world. Still, the hire of mercenaries and traitors to effect corruption from within is among their tools. Alas, among these were few graduates of - or rather rebels against Al-Azhar Al-Sharif. Whatever was the worldly reward they were given, they have left behind and are now receiving their due from Allah.

"The unbelievers spend their wealth
to hinder men from the path of Allah
And so will they continue to spend it.
Nothing, however, will it avail them
save grief and at length they
will be defeated".

(Surat Al-Anaam, VIII, 36).

tion to Muhammad, blessed be he, by Archangel Gabriel. They attribute to the Prophet, blessed be he, a number of abnormities, tricks or relations in an ill-judged attempt to undermine the esteem he deserves.

Any good reader of the Qur'an and any unbiased student of history or philosophy and beliefs can support the right on the side of Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah, and expose the abnormity of such purposive antagonists and the ungodliness of their fakes. In addition, scientific discoveries, historical investigations, and literary studies have been surely refuting their nonesensical claims.

Then comes their attack on the validity of the Sunna as an essential source of Muslim creed, law and morality. They want it to be discarded on the ground that the Qur'an is sufficient, being itself the Word of Allah. On the other they throw doubts upon the veracity of the reporters of Hadith and the authenticity of its texts.

All over the world, Muslims are unanimous in the belief that the Sunna is the living comprehension, interpretation, and practice by the Prophet, blessed be he, under the eyes of Allah, of the Right and the Good in the Holy Qur'an. This makes it incumbent on Muslims to obey him, follow his honest example, and hold him in due reverence. On the other hand, there would be no point in abandoning the original teachings of the guided master for the uninformed endeavours of whomsoever else.



So, Satan, who has been given respite until the Day of Resurrection, will to the end of life continue to drive his votaries with the reins and blinkers of their own lusts and ignorances.

All along its march, the war against the Sunna has had the following targets, namely, the person and character of the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah; the tenets of the Creed; the train of disciples, particularly

prominent and admirable figures; and, last but not least, the propagation of the call. The leaders of this war have always been: fanatics who belong to opponent camps; and, the race of evil-mongers who find themselves only in circumvention and corruption. The weapons and strategies have always been the same, the difference being only in the peculiarities of each age. Among them are communication, under different colours or institutions, with the aim of unteaching; connection with non-Islamic interests; and intrusion under the veil of belief to effect corruption from within.

It is not the intention, however, to trace this ungodly conflict in its historical or doctrinal features, even though this is worthwhile. Therefore, rather than focus on names, schools or battles, let us concentrate upon some important objectives of the war against the Sunna.

First of all, they deny the Prophethood of Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah. They produce groundless reasons inspired by their prejudices, and refer to them as the origin of the call. They deny the revela-



The War Against The Sunna

BY : SOLIMAN BARAKAT

The war against the Sunna dates back, without the least exaggeration, to the prime of the call to Islam by Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah. Having a Mission to carry out, and being himself sent as a mercy for the creation, he did not want this war, and did not deserve it, either.

However, neither the conquest of Mecca in his life, nor the widespread of the Faith after his death has snuffed out this malicious spirit.

"If your God has willed it,
He could have made mankind one nation.
But they will not cease to differ.
Except for those whom Allah has shown
Mercy on."

(Surat Al-Anbiya, XXI, 107).

Besides, "Alien was Islam when it started, and alien will it be again in the end," the Prophet, blessed be he, is reported to have said.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah,
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo, Printed, 1980.

4. Hayyat Mohammad,
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira,
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th. Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail/Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983, Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

On the following day, the Prophet (prayers and peace from Állah upon him) summoned all the men of Uhud and marched out to follow the army of Koraysh in order to show and expose potential strength and ability; and also to prevent Koraysh from entreating the idea of raiding Al-Madina. When they reached a place called Hamraa Al-Assad, the army of Koraysh heard of their march and hurried to Macca to avoid armed conflict with the marching Muslims.

The events that took place during the battle of Uhud offers a lesson of great experience to all Muslims at all ages From that we should learn that all deeds and actions must be honestly and purely for the cause of Allah, and not for any worldly gain or renown. Also that obedience must be given to those we place as our seniors and those in whom we place our confidence.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah,
   3rd. Edition, 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen,
   24th. Edition, 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

yers and peace from Allah upon him) was taken behind the ranks in the company of Abu-Bakre, Omar Ibn Al-Khattab, Ali Ibn Abi Taleb, Al-Zubier Ibn Al-Awam, Al-Harith Ibn Al - Samah and some others. The rest of the Muslims discovered that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was still alive; they regained their fighting spirits and firmly stood their grounds in battle against the squandering attacks of Koraysh, fiercely directed to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who suffered severe distress. One man Ubii Ibn Khalaf attacked the Prophet, but h (prayers and peace from Allah upon him) took a spear and hit the man who later on died. Blood was freely running from the wounds on his face, and Fatimah came to care for her father's wounds. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ascended a big rock and saw some men from Koraysh higher up on the mountain; he ordered Omar Ibn Al-Khattab and others to stone them down. The men ar‹ ınd the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) suffered severe wounds, and some died.

The battle of Uhud suddenly ended withou ›xact definition of the victor; it was as the situation a peared Koraysh. However, the Muslim army did not submit defeat or retreat from the battle ground. Abu Sufyan climbed a high place on the mountain and Shouted "A day for a day and the war is even; we meet at Badre next year". The Korayshian army left the battle ground and returned on the way to Macca without entering Al-Madina to verify, ascertain and confirm their supposed victory. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) burried the dead at the battle ground at Uhud; they numbered over seventy men. The Muslim army tired, exhausted, and in low spirits returned to Al-Madina.

tain saw the retreat of Koraysh, and the spoils of battle were being collected; they left their very strategic posts to come down and share the spoils. Only their leader Abdul lah Ibn Gubayer and few others remained as instrusted by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) before the battle started. This very serious and strategic mistake on the part of the archers, fully exposed the rear of the Muslim army to be raided by horsemen of Koraysh. The leader of the horsemen Khalid Ibn Al-Walid took that opportunity and quickly raided the rear of the Muslim army. There was sudden perplexity and non-cohesion in the ranks of the Muslim army; and Koraysh retrieved ground and gathered initiative and began to gain the superiority in battle. Musab Ibn Umayer carrying the flag of Muhagereen was killed, and Ali Ibn Abi Taleb carried the flag, after him. The rumor spread that prophet (prayers and peace from Allah upon him) was killed; and then there was real perplexity, confusion, chaos and marked depression in the ranks of the Muslims. Some Muslims left the battlefield in despair and despondency after hearing the rumor, others stood their ground and continued to fight bravely and in confidence of what they believed as the Right and the Word of Allah; even if the Prophet had died. Among those were Anas Ibn Al-Nadre, Abu Talha Al-Ansari, Saad Ibn Abi Waqqas, Abu Deganah Samak Ibn Kharsheh, Ziadah Ibn Al-Harith an several others.

Koraysh was pushing hard for a final victory to revenge the defeat at Badre. The Muslims inspite of the tremulous situation, stood their ground around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who received several wounds on his face, inspite of being very bravely protected and shielded by the men around him. The Prophet (pra-

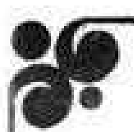
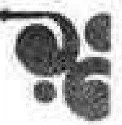
Ibn Azeb, and several others; and allowed Samorah Ibn Gundab and Rafie Ibn Khadij who were at the age of fifteen years. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave final instructions and the battle started.

At the start seven men from Koraysh from Bani Talhah were killed by Muslims in sword fights. The horsemen of the Korayshian army raided the Muslim positions three times and in all three, they were defeated by the archers. After that both legions met in fierce sword fight combat. The Korayshian women beat the drums and sang war songs to encourage the men. During the chaos and confusion of battle, Hamza Ibn Abdel-Mutaleb was killed by Wahshii, an Ethiopian slave who was very clever at throwing spears as Ethiopians do in battle. Before his death, Hamza was fighting with unequalled bravery in the ranks of Muslims and inflicting heavy losses in the ranks of Koraysh. He was killed treacherously with prearranged planning between Wahshii and his master Gubayer Ibn Mutaam, and Hind Bent Utbah in return of his freedom from slavery and reward in money. After Hamza fell dead, Hind Bent Utbah filled with hatred and revenge, opened his abdomen and cut a piece of his liver to chew and spit. The most hideous and atrocious act of human conduct that signifies the extreme hatred against what Hamza represented; namely, the new creed of Islam, the Message of Allah; and Bani Hashim the Korayshian clan of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

At that stage of events, the Muslim army was gaining ground and defeating the army of Koraysh who was retreating rapidly leaving behind them the dead, the wounded, and the spoils of battle. When the archers stationed at the moun-

go out of Al-Madina and encounter the enemy. They remained to persuade and influence the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) till he followed their opinion. During Jumma prayer on the 10th Shawal, words of encouragement and advice were given, and he entered his room, and put on his armour, and prepared for battle. Feeling that they might have forced the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to their opinion, these youngesters accepted to remain and receive Koraysh in battle inside Al-Madina. However, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) told them that it was not befitting to remove the battle dress till Allah judged between him and his enemies. He (prayers and peace from Allah upon him) gave the flag of Muhagereen to Musab Ibn Umayer, the flag of Al-Khazraj Ansars to Al-Habab Ibn Al-Munther, and the flag of Al-Aws Ansars to Ussayd Ibn Al-Hadeer. The Muslims Marched out of Al-Madina in one thousand men.

At the outskirts of Al-Madina, Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool returned with three hundred of his followers, leaving the Muslim army seven hundred men. These men marched to reach the mountain of Uhud and made their back to the mountain. The archers were placed on the mountain behind the army with specific instructions not to depart from their strategic places under any condition. Their appointed leader was Abdullah Ibn Gubayer. The duty of these archers was to engage the horsemen of Koraysh and prevent them from participating in the battle. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) refused several Muslim youngesters to engage into battle because of their young age, among whom were Abdullah Ibn Omar, Usama Ibn Zaid, Zaid Ibn Thabet, Al-Baraa

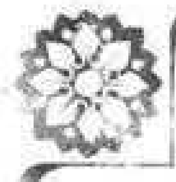
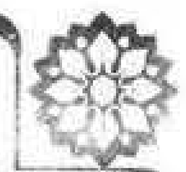



The Battle Of Uhud

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

The disasterous defeat of Koraysh at Badre and the events that followed drove Koraysh to confront the Muslims in a wide scale armed conflict. They prepared, planned and marched out of Macca in three thousand men with the intention to conquer and subdue the Muslims at Al-Madina. The financial support of the expedition was obtained from the camel convoy of Abu Sufyan that was saved prior to the battle of Badre. The clans of Koraysh gathered with the owners of the Camel convoy, their followers, and men from other tribes of Kenanah and Tuhamah. Koraysh marched out of Macca in full armour with their women to support the dignity and arrogance of the men in battle. The arm of Koraysh was headed by Abu Sufyan Ibn Harb accompanied by his wife Hind Bent Utbah Ibn Rabieah.

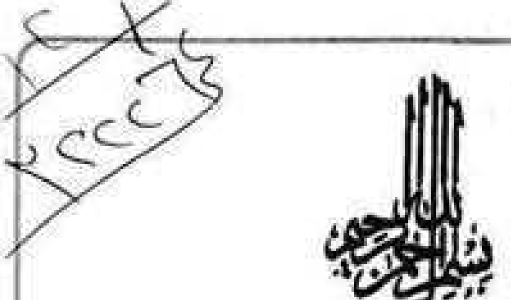
The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) heard of the march of Koraysh from a message send by his uncle Abbas Ibn Abdel-Mutaleb who did not accompany Koraysh. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gathered his companions and informed them; and was of the opinion to remain in Al-Madina and await Koraysh. This was also the opinion of the senior elder members of Muhagereen and Ansar, and also the opinion of Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool. However, the younger groups of Muslims were of the opinion to

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION



لهذا الشهر العظيم

لهذا الشهر العظيم منزلته فى نفوس المسلمين ، وله اشعاعه فى أفئدتهم ، فانه شهر نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه آنس الوجود بمولده ، وفيه لحق بالرفيق الأعلى على خير وسلام ٠

وكان لابد لمشاعر المسلمين أن تشبع حاجتها من ضياء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ونوره الذى بسطه على امة الاسلام خير الأمم ٠٠ خير الأمم لاقرارهم ان الله اله واحد ، وان محمدا خاتم الرسل ، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله ٠ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ٠

لأشواق المسلمين نقدم باقة من خير حديث المعاصرين ، وأخرى من لآلى الأئمة الأقدمين تعريفا وتشريفا وتكريما للنبى العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ٠

د/ على أحمد الخطيب

الجزء الثالث السنة السابعة والخمسون

* ربيع الاول ١٤٠٥ هجرية *

* ديسمبر ١٩٨٤ ميلادية *



الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد حسين الحليج

العنوان :
ادارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* صورة الغلاف



فى ذكرى مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

مولد أمة

اختص الله مكة بولادة طفل لا ككل الأطفال .

طفل يتيم فى بنى هاشم لكن ولادته أشاعت السرور فى عشيرته وجيرتها ، بل رضى به أهل مكة جميعا .

ولقد صاحبت ولادة هذا اليتيم ارهاصات واشارات الى أن امة جديدة سيتغير بها وجه التاريخ قد ولدت ، وسترتفع بها الانسانية وترضى ، بعد أن كانت البداوة قد سيطرت عليها ، والأخلاق الذميمة قد فشت فيها ، وتمكنت من قلوبها وعقولها الأساطير والخرافات ، فدانوا بها ، وعبدوا الأوثان ، وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية ، بل كانت مردية .

فكانت ولادة هذا اليتيم نورا أضاء حياتهم ، واهتدت به أفئدتهم ، عاش بينهم صادقا ، صدوقا ، أمينا ، طاهرا مطهرا ، لا يرفث ولا يفسق ، فقد طهره وأدبه ربه .

هذا اليتيم الذى حباه ربه بكل تكريم ، فقد اختاره رسولا للانسانية كلها ، وجعل كتابه اماما ، ودينه للناس جميعا .

تمر بنا اليوم ذكرى ولادته ﷺ فنذكر بذلك ميلاد أمة ، انخلعت به وبقيادته من الفرقة والشتات ، والخصام والاقتتال الى وحدة تقود وتسود .

نذكر ولادته ﷺ فنستحضر سيرته لنتبعها كما أمر الله « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ » .

ونذكر خلقه لنقتدى به « وانك لعلى خلق عظيم » .

ونذكر استغراقه فى مهمته التى كلفه الله بها ، لنأخذ عنه الاخلاص فى العمل ومضاء العزيمة ، ألم يقل لعمه أبى طالب « والله لو وضعوا الشمس فى



بقلم فضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق

يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركتـه حتى يظهـره الله أو أهلك دونـه » .

نذكر انسانيته فى التعامل لنسير على ما عهد به الينا من حـق وعـدل ، فنرتفع بالعدالة ، ونترفع عن الدنايا ونتوب عن الخطايا ، ونعتصم بحبـل الله الذى جاء به هذا النبى .

لقد تبدل قومه برسالته خلقا آخر ، فتوحدوا بعد فرقة ، واكتسـبوا انسانية افتقدوها فى مجتمعاتهم ، وتخلوا فى ظلها ، وعلى هديهـا عن أنـانية مفرطة سيطرت عليهم ، فقد استناروا بالاسلام ، فأنار الله قلوبهم وحـاربوا دفاعـا عن دينهم ، فما وهنـوا لما أصـابهم فى سبيل الله ، وما ضـعفوا وما استكانوا ، وانما واصلوا نصرة الحق ، حتى رفعـوا راية القـرآن ، وبه توحدت صفوفهم ، وتآلفت قلوبهم وقال الله فى شأن ذلك لرسـوله صـاحب الذكرى ﷺ :

« لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » .

فى ذكرى مولده نذكر قول الله فى شأنه « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

فلم لا نقتدى به ﷺ فتسود بيننا الرحمة والرأفة ، فتتجـاذب قلوبنـا وتتجـاوب معها أعمالنا فى مرضاة الله وعلى هدى القرآن طاعة لله ولرسوله .

ألا تشدنا هذه الذكرى الى فحص واقعنـا نحن الأمة التى ولـدت بميـلاده ؟



فتنـــأى بأمتنا عمـــا فرق جمعها ، وبدد ثرواتها ، حتى اعتمدت على غيرها في كل شئون حياتها ومقدرات صونها .

كيف بهذه الأمة التي جعلها الله شاهدة على كل الأمم وقد تفرق عقـــدها وتمزق جسدها ، فأحرقت رصيدها من وحدة الكلمـــة ، وقـــوة الوحـــدة حتى استهان بها الذئاب من حولها ، واستأسدت الثعالب عليها ، بل وولغت الكـــلاب في عرضها كيف بأمة الاسلام وقد صمت آذانها عن قول الرســول ﷺ صـــاحب الذكـــرى :

« لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

كيف بهذه الأمة وقد أعرضت عن قول صاحب الذكرى ﷺ .

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منـــه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر » .

اليست هذه دعوة لأن يكون مجتمع المسلمين قائما على المودة والرحمـــة ، فأين هذه الدعوة مما شاب هذه الأمة من شتات الأمر ، وافتراق الكلمة وهجـــر القرآن ودعوته ، وترك السنة واحياء البدعة ، حتى التبست أمورها ، وانفـــرط عقـــــدها .

وفي ذكرى مولده ﷺ ينبغي أن ندرس ســيرته وســنته ونعلم كل ذلك أولادنا وأن نحفظ القرآن ونحافظ عليه . نعم : ينبغي أن نتحدث عنه من قلوبنا وليس بألسنتنا فإن حديث القلب دافع الى العمل ، ونافع في المستقبل .

في ذكرى مولد الرسول : ﷺ على المسلمين أن يتجاوزوا خلافاتهم ، وأن يجمعوا أمرهم وأن يتآخوا ، فأمة الاسلام لا تعرف الشعوبية التي تتقاتل مـــن أجلها ، والتي أثارها ويثيرها أعداء المسلمين فاشـــتعلت العصـــبيات القبليـــة والعرقية ، وأشعلت حروبا أهلكت البلاد والعباد .

يا قومنا : أجيبوا داعي الله ، واتخذوا من هذه الذكرى حافزا لجمع الكلمة وتناسى الاحقـــاد والخلافات . « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْـــوَى وَلَا تَعَـــاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » .

يا قومنا : ان أرض المسلمين تنتقص وأن شعوب المسلمين تطارد وتضطهد ، فاجمعوا أمركم ووحدوا كلمتكم ، يصلح الله لكم أعمالكم ، ويحق بكم الحق ، ويرفع عنكم النقمة ، وتتحقق لكم وحدة الأمة التى عبر عنها القرآن : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » .

ف ذكرى مولد الرسول ﷺ :

« أدعو ولاة الأمر ف المسلمين : ملوكا ورؤساء وأمراء وعلماء أن يرتفعوا فوق الخلافات والعصبيات ، وأن يسعوا جادين الى وقف هذه الحروب الدائرة بين المسلمين ، وأن يتفرغوا لتخليص البلاد الاسلامية مما حاق بها من احتلال ، فهذه القدس وفلسطين تناديهم وهذه أفغانستان ف حاجة الى العون ف جهادها ضد أولئك الذين استباحوا حرماتها فأهلكوا الحرث والنسل ، « **وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ** » .

فلتحفل مساجدنا ونوادينا بالدعوة الى الاصلاح والصلاح وصولا الى الفلاح « **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** » .

ولندع الى نبذ الخلاف ، وجمع الكلمة ، ولنأخذ شريعة الله لنا حكما ومنهاجا .

لقد رفع الله ذكر الرسول ﷺ فلنرفع ذكره بالعمل بشريعته ففيها الرشاد والاصلاح والعدل والفلاح « **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** » .

« اللهم ونحن ف ذكرى مولد رسولك ﷺ ، اجمع شمل هذه الأمة ، واشدد على قلوب عصبة من أوليائك تجتمع بهم وعليهم الكلمة فقد غفلت الأمة عن نصحك « **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** » .

ف ذكرى مولدك يا رسول الله اذكر أمتك بقول الله سبحانه ف القرآن « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » صدق الله العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

المجتمع الفاضل فى رسالة

البشير النذير

قال الله تعالى فى سورة الاحزاب « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » (١) .

البيان

فى ذكرى ميلاد الرسول ﷺ يحلو الحديث عن أسمى المبادىء ، فان من الوفاء لأبى الزهراء ﷺ أن نرفع من رسالته على طريق الحياة مصابيح تضىء للبشرية الغياهب ، وتجلو للناس الخفايا ، وتبصرهم بحل المشكلات وانشاء المجتمع المثالى الفاضل .

ومن الوفاء أن ننثر على سمع الزمان ، ما أدته رسالته من النجدة للبشرية العاثرة ، والانقاذ للانسانية المعذبة ، بما جاءت به من العقائد السليمة ، ودساتير السلوك القويمة ، وتخليص للعقول من محابسها ، وتحكيمها فيما عز وهان ، بالدليل والبرهان « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » (٢) .

ولد نبينا محمد ﷺ فى وقت أظلمت فيه ليالى الفتن ، واشتدت ضروب المحن ، وعجز الناس عن وضع القوانين التى تحكمهم ، وعن اقامة الحكومات التى تقيم موازين العدل بينهم ، وقد اشتبه الحلو بالمر ، والتبس النفع بالضر ، وضل الناس فى معرفة سبيل الهدى ، فاحتكموا فى أمورهم الى الهوى ، وبلغ من ظلمة الالتباس على الناس ، أنهم عبدوا الأوثان ظانين أنهم أحسنوا ، ووأدوا البنات صغيرات خيفة العار معتقدين أنهم لم يجرموا ، واقتتلوا لأوهى الأسباب وأدنى العلل ، وشربوا الخمر فدعتهم الى العدوان مفاخرين ، وسفك الدماء مستهترين ، فهى أم الكبائر وأساس الفساد للضمائر ، تزين الاثم على أنه نجدة وشهامة ، وعزة وكرامة .

وكانت الروابط بين الناس مفككة ، فلا دين يجمعهم ، ولا حكمة تضم شملهم ، والحرب بين النصرانية الناسخة واليهودية المنسوخة شديدة الأوار ، محتدمة الجدال ، وقد

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة ق : ٣٧ .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

دخلهما التغيير والتبديل ، وفقدنا كل سند يربطهما بأصل التنزيل ، والعالم من شرقه الى غربه ، يموج بالفتن ، وتجتاحه المحن .

الا وان الله رحمان رحيم ، فلا يترك عباده حيارى يتخبطون فى ليل الأحداث ، ويرتكسون فى ظلمات الأضاليل ، فلهذا اختار لهم من خير الأرومات العربية يتيما كفله ورباه ، وأدبه وزكاه ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، بعثه هاديا ورسولا الى الناس أجمعين « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » (١) فغير وجه الزمان ، واستبدل بعبادة الأوثان عبادة الديان ، وبشريعة الكهان شريعة الرحمن ، وبالشرائع المحرفة المبدلة ، شريعة صادقة عادلة ، وبمنهاج الحرب والنار ، دستور السلام والنور ، وبظلم الانسان للانسان العدل والأمان ، واستبدل بفرقة الناس وحدتهم ، وبسيرهم مع الشهوى اتباعهم للهدى ، فسادت السكينة والاخاء ، وعم الأمن والرخاء ، وتوحدت القلوب بعد فرقة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأمما وشعوبا ، فعم الصفاء وساد الأمن والرخاء .

وكيف لا يصلون الى كل ذلك ، وقد جاءهم بمناهج الهية ، ودساتير ربانية ، تستتبع تلك الغايات السامية ، لقد أرشدهم الى وهن الأوثان ، وعجزها عن حماية نفسها من الحدثان ، وبرهن لهم على وحدة الصانع ، وأهاب بالعقول أن تنظر فيما أبدعه من الروائع ، لتعلم أن الكون يفسد بتعدد الآلهة ، وأعلمهم أنه تعالى منزه عن الأولاد والزوجات ، وأنه على أعمال العباد رقيب شهيد ، فاستيقظت العقول النائمة ، وعلم الناس أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ، وحاسبوا أنفسهم فى كل ما يأتون وما يذرون .

أمرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق فاجتمعوا ، وأصبحوا كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، ونهضوا بالعبء وهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، فامتد بجهادهم سلطان الاسلام وعم نوره الأقطار فى أقصر زمان .

أمرهم بالعدل والاحسان ، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر ، فارتفعت كلمة العدل والرحمة ، والمعروف والعفة ، وأصبح الضعيف فيهم قويا حتى يؤخذ له بحقه ، والقوى فيهم ضعيفا حتى يؤخذ منه الحق ، تقام فيهم الحدود على السيد والمسود ، وعلى الشريف والوضيع ، لا يقبلون فى حدود الله شفاعة ،

(١) سورة الانبياء : ١٠٧ .

ولو كان الجاني من الأشراف ، ألم يقل النبي ﷺ لمن شفعوا في شريفة سرقت « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

أمرهم بطلب الرزق بالوسائل الشريفة فاتجروا برا وبحرا ، وأنشأوا البساتين والمزارع ، والمتاجر والمصانع ، وتعددت أسباب أرزاقهم ، وتنوعت وسائل خيراتهم .

أمرهم أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة حتى لا يؤخذوا من ضعف أو على غرة ، فأنشأوا الجيش الاسلامي اقوى دعامة للحق ، وأمنع حصن ضد الأعداء المتربصين ، وانشأوا السفن الحربية وسلحوها بالمدافع منذ أول العهود الاسلامية الزاهرة ، فنصروا بالقوة تارة وبالرعب أخرى ، وما ردت لهم راية ماداموا بحبل الله معتصمين .

أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام والعفاف ، والاحسان الى الصديق والعدو والقريب والبعيد ، أمرهم بالمودة وحفظ العهود ، ورعاية الجار ، والتعاون في السراء والضراء ، ومحاسبة النفس قبل محاسبة القضاء .

أمرهم بالصدق والأمانة ، ورعاية حقوق الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ، والمؤمن والكافر ، والقريب والبعيد ، أمرهم بذلك كله وبغيره من الصالحات فامتثلوا ، وكانوا أئمة وقادة ، في تواضع وحكمة ، وشهامة وهمة ، فرضي الله عنهم أجمعين ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

ألا وان رسالة الاسلام كل يوم جديدة ، ينطق بها القرآن على سمع الزمان ، وينشرها الدعاة والمرشدون في المعاهد والمساجد ، والمجتمعات والنوادي ، وبذلك بقيت تعاليمه غضة ناضرة ، زاهية زاهرة ، تنعش القلوب والأرواح ، وتسري في القلوب والأفئدة ، فتدب فيها الحياة ، وتسبح الله وتسعى الى هداه ، ولن يصلح أمركم أيها المسلمون في الحياة ، الا بالعمل بكتاب الله ، ذلك السجل الالهي الخالد الذي لا تفنى عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، والخبر اليقين عن عاقبتكم ، هو الفصل ، وما هو بالهزل ، من أخذ به سلم ، ومن عمل به هدي الى صراط مستقيم ، هو المعجزة العلمية التي نبهت العقول وصرفتها الى النظر في الآيات ، ليس فيه كهانة كاهن ، ولا شعوذة مشعوذ ، ولا سحر ساحر ، ولا مجال فيه لطعن طاعن ، هو الحجة الباقية على الزمان ، الرافعة لشعار العلم والعرفان ، المؤيدة بكل ما يكشف عنه العلم على مر الزمان .

ألم يتحدث عن الكونيات منذ أربعة عشر قرنا حديث الحق ، فأيد حديثه الكاشفون بعد حين ، ولسوف يعلمون من خفاياه ما يجهلون ، فبأي حديث بعده يؤمنون .

وحسبك في اعجازه غير هذا أنه جاء به نبي أمي زكت اخلاقه ، وكملت سجاياه ، ووثق من مستقبل أمته ، فتحدث عنه حديثا أيده الزمان ، وكان على نبوته أوضح برهان .

التنبؤ بفتح بلاد كسرى

أخرج الامام البخاري بسنده عن عدي بن

حاتم قال (بينا أنا عند رسول ﷺ) اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل .

فقال : « ياعدى . هل رأيت الحيرة » ؟

قلت لم أرها وقد أنبئت عنها .

فقال : « ان طالت بك حياة لترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا الا الله » .

قلت في نفسي : فأين دعار (١) طيء الذين سعروا في البلاد ؟ (٢) « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ؟

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : « كسرى بن هرمز » ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة ؛ ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى يارب ، فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وعن يساره فلا يرى الا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

قال عدى رضى الله عنه ، فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت ، لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم ـ ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد من يقبله » .

التنبؤ بفتح مصر

وعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فان لهم ذمة ورحما » أخرجه الامام مسلم .

الى غير ذلك من التنبؤات التى تحققت والتى سوف تتحقق ، ومن أهمها بقاء رسالة الاسلام الى قيام الساعة ، فقد قال ﷺ « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله » وتلك بشرى ببقاء دين المجتمع الفاضل ما بقيت الدنيا .

شهادة الغربيين المنصفين للاسلام

١ ـ قال الكاتب الانجليزى الأشهر ـ توماس كارليل ـ في كتابه (الأبطال) لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر ، أن يصغى الى ما يقال من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى أداها ذلك الرسول ، مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا ، لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا (٣) ، خلقهم الله الذى

٥

(١) دُعّار ، جمع داعر ، وهو الخبيث الفاسق .
(٢) من سَعّرَ النار ، أشعلها .
(٣) كان عدد المسلمين كذلك منذ قرنين من الزمان تقريبا ، وقتما كان الفيلسوف توماس كارليل حيا ، أما الآن فهم يبلغون خمسمائة مليون تقريبا .

خلقنا ــ الى أن قال ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، فما الناس الأبله مجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها الا تخلق .

ثم قال : ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وماشاكل ذلك ، فما الذى يبنيه بيت ، وانما هو تل من الأنقاض ، وكثيب من أخلاط المواد ــ نعم ــ وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا (١) : يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فتنهدم .

شهادة الكونت هنرى الفرنسى

وقال الكونت هنرى الفرنسى : لسنا محتاجين فى اثبات صدق نبوة محمد الى أكثر مما يأتى .

١ ــ كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، كما لم يسترشد فى دينه بمرشد سبقه .

٢ ــ وكان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة .

٣ ــ ومع كونه أميا جاء ومعه قرآن يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثله لفظا ومعنى .

٤ ــ وهو سر من الأسرار لا يدركه الا من صدق بأنه من عند الله .

٥ ــ ولا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة حقا ، وما بقى فيه فكر خاص به .

٦ ــ وما كان يميل الى الزخارف والاستكبار والبخل ، انه كان يحلب شاته بنفسه ، ويجلس على التراب ، ويرتق ثيابه ونعله بيده ، وكان قنوعا خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول رسالته فى المال ، وكل ما يأتيه منه كان يتصدق به ، وبلغ من السلطان غايته ، ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب : الى غير ذلك مما ذكره هذا المنصف الذى لم يعمه الحقد ولا التقليد .

شهادة المسيو دينيه الفرنسى

بلغ هذا الكاتب سبعين سنة من العمر ، قضى شطرا منها فى البحث العميق ، والمقارنة بين المسيحية والاسلام ، ثم هداه الله الى الاسلام ، ومما قاله فيه : هذا الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا أو ما الى ذلك من الأشكال ، أما فى المسيحية ، فان لفظ (الله) تحيط بمدلوله فيها تلك الصورة الآدمية ، لرجل شيخ طاعن فى السن ، قد بانت عليه دلائل الشيخوخة والانحلال ، فمن تجاعيد بالوجه غائرة ، الى لحية بيضاء مرسلة مهملة ، تشير

(١) كان ذلك فى أيام الكاتب ، أما الآن فقد تجاوز أربعة عشر قرنا .

فى النفس ذكرى الموت والفناء ، ونسمع القوم يصيحون : يحيا الله . فكيف لا يخشون على هذا الهرم الهلاك ويطلبون له الحياة ، أما الله فى دين الاسلام فلم يجرؤ أى مصور أن يصوره ، لأن الله لم يخلق الخلق على مثاله ، فانه ليست له صورة ولا حدود محصورة .

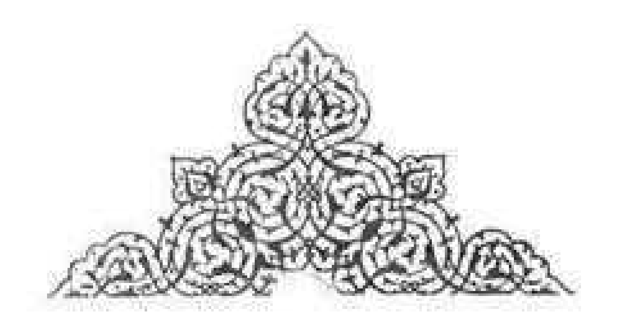
ثم يقول : ان الشريعة الاسلامية ساوت بين الناس ، ولم تفرق بينهم الا بعلو الهمة ومكارم الأخلاق ، فهذا بلال الحبشى أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين ، فاذا سمعوه سعوا الى الصلاة ، مع ما عرف به العرب من التفاخر بالأحساب والأنساب .

ثم يقول : ان الحركات والاشارات فى الصلاة الاسلامية ، ذات سهولة ونبالة لم يسبق لها مثيل فى صلاة غيرها ، كما أنها لا تدعو الوجوه الى التظاهر والتكلف ، ولا تدعو العيون الى الشخوص نحو السماء، واستنزال الدموع الكاذبة ، مما يفعله غيرهم أمام القديسين .

ثم يقول : ان العقيدة الاسلامية لا تقف عقبة فى سبيل التفكير ، وكما أن الاسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح لجميع العقليات والمدنيات ، فكما يهيج نفس الرجل العملى فى أسواق لندن — حيث الوقت هناك من ذهب — يأخذ بلب الفيلسوف الروحانى الى آخر ما ذكره هذا الفيلسوف الذى ذاق حلاوة الايمان .

ايها المسلمون : هذا دينكم فمجدوه ، فانه صفو الحياة ، وكلمة الله « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » (١) .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية



(١) سورة النساء : ٦٩ .

من حديث القرآن الكريم

عن النبي صلى الله عليه وسلم

— ١ —

في الذكرى العطرة لمولد النبي ﷺ ، نعود في اجلال وتوقير عظيمين ، الى القرآن الكريم ، ونقف في رحابه خاشعين ، نقرأ فيه آيات الله البينات ، التي تتصل بالحديث عن النبي ﷺ ، لنتأمل بعضا من جوانب شخصية من اختاره الله سبحانه وتعالى — رحمة للعالمين ، وخاتما للأنبياء والمرسلين .

وبداهة فان حديث القرآن الكريم عن النبي ﷺ حديث يتقدم كل حديث يؤخذ من مصدر سواه ، فهو من قول رب العالمين ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ وهو شهادة ممن اصطفاه ، وكفى بالله شهيدا .

والحديث هنا حديث غايته ارسال ومضة من شعاع ، واشراقة من ضياء ، وقبس من نور ، لأن ماعدا ذلك فوق طوقه ، وأبعد عن متناوله ، وحسبه مع هذه الغاية أن يرنو بالبصر الى مصدر الشعاع والضياء والنور ، وأن يستقبل بالبصيرة ما توحي به الذكرى ، وما تسخو به على القادمين ليستظلوا بظلها الظليل في واحة الحياة .

— ٢ —

* من هذه الجوانب التي نقف عندها في رحاب القرآن الكريم ، جانب يعود بذاكرتنا الى الماضي البعيد ، الى زمن أبي الأنبياء ابراهيم — عليه السلام — ، ذلك حين وقف متجها الى ربه خاشعا داعيا ، قائلا في ضراعة ورجاء : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » البقرة ١٢٩ .

وحين نتلو هذا الدعاء ، فاننا نتذكر استجابة الله تعالى لدعاء نبيه ابراهيم — عليه السلام — ، وهي استجابة سجلها القرآن الكريم في حديثه عن النبي ﷺ ، ذلك حين امتن الله تعالى على عباده بنعمة الرسالة المحمدية ، التي جعلتهم أهلا لتلقي كلمات الله وآياته عليهم ، فأنقذتهم مما كانوا فيه من جهل وضلالة ، وأخرجتهم من الظلمات الى النور ، وأنشأت منهم خلقا آخر زكيا طاهرا نقيا ، وهذا ما نقرأه في هذه الآيات :

« لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

للاستاذ الدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » آل عمران ١٦٤ .

« كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » البقرة ١٥١ .

« هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » الجمعة ٢ .

وإذا كان النبي ﷺ اجابة لدعاء توجه به ابراهيم — عليه السلام — الى ربه ، فانه كان — عليه الصلاة والسلام — تحقيقا لبشرى جاءت من بعد ذلك وقريبا من مولده ، على لسان عيسى — عليه السلام — ، وهي بشرى صريحة معلنة ، واجه بها بني اسرائيل في حديث معرف بذاته ، جمع بين كونه مكلفا بالتبشير بها ، وبين كونه رسولا من عند الله اليهم ، ومصدقا لما أنزل على موسى — عليه السلام — من كلمات ربه ، وذلك حديث هذه الآية « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » الصف ٦ .

— ٢ —

❋ ❋ ومن الماضي في حديث القرآن الكريم عن النبي ﷺ نصل الى الحاضر الذي واكب مبعثه وما تلا ذلك من حياة ... وحديث القرآن الكريم هنا حديث يستحضر لنا صورة تلك الحياة ، كأنها ماثلة مشهودة أمام البصائر والأبصار .

(١) ومن مشاهد تلك الحياة مشهد الوحي يتنزل على النبي ﷺ بأول آيات الله ، وفيها نرى أمرا بالقراءة باسم الله ، وهو أمر مكرر ، يوحي بتلك النقلة التي ستنقل هذه الأمة ، لتتعلم الكتاب والحكمة بعد أن كانت في ضلال مبين ، وفيها كذلك توجيه الى معرفة الله سبحانه وتعالى ، الخالق الأكرم الذي علم الانسان ما لم يعلم . أما هذه الآيات التي كانت أول خطاب فهي : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » العلق ١ — ٥ .

من حديث القرآن الكريم

(ب) واذن فهناك رسالة منتظرة ، وهناك مسئولية كبرى في الطريق ، وكانت أول آيات الوحي ايذانا بالبداية التي لها مابعدها . ومن ثم جاء الأمر الالهي الذي يعد النفس اعدادا لتحمل أعباء هذه الرسالة وتلك المسئولية ، فكان توجيهه سبحانه وتعالى لنبية ﷺ توجيها نحو التعبد الخالص في خلوة روحية ، يسكن فيها الكون ، ويخشع فيها الوجود ، لأن ذلك هو الطريق الذي ينشيء النفس انشاء جديدا ، ويزودها بزاد يمنحها القدرة الروحية التي تعينها على تحمل صعاب وشدائد منتظرة على طريق ابلاغ الدعوة .

وهذا الجانب الذي يتصل بالاعداد النفسي والروحي للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو ما يحدثنا عنه القرآن الكريم في هذه الآيات « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا . إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا . إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا . وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا . رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا . وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا » المزمل ١ ــ ١٠ .

(ج) فاذا حان وقت الانذار بالدعوة والجهر بها ، جاء الوحي من عند الله بأوامر توجه النبي ﷺ توجيها شاملا موافقا لمقتضيات هذه المرحلة وملابساتها الطارئة ، وفي هذه الأوامر الربانية ، نرى الأمر بالنهوض والانذار ، وبتعظيم الله سبحانه وتعالى وتكبيره دون سواه ، والأمر بالتطهر ظاهرا وباطنا ، وبالتخلق بالصبر على الأذى ، مع الاعراض عن حماقة المشركين وجهالاتهم ، والاستعانة عليهم بالتسبيح والتحميد لله الواحد القهار .. وذلك التوجيه هو حديث هذه الآيات من كتاب الله « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ » المدثر ١ ــ ٧ .

« فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » الحجر ٩٤ ــ ٩٩ .

(د) ولقد حدث من المشركين ايذاء حقا ، ايذاء حسي ، وآخر معنوي ، وكان من هذا المعنوي ما قاموا به من التشكيك في القرآن الكريم الذي تحداهم وأعجزهم . فهم تارة يشككون في مصدره زاعمين أنه ليس من عند الله ، وانما هو تعليم وتلقين من مصدر بشري .

وتارة أخرى يزعمون أنه من تأليف النبي ﷺ وكتابته ، آخذا مادته مما عرفه من كتب السابقين ، ومما تلقفه من معارف اللاحقين المعاصرين ... وقد سجل القرآن الكريم في حديثه عن النبي ﷺ كل تلك المزاعم ، ورد عليها الردود الدامغة التي تكشف سذاجة الزاعمين وزيف دعاواهم ، وتلزمهم في الوقت نفسه بالحجة والدليل أنه كتاب رب العالمين .

فمن الآيات التي سجلت زعمهم نسبة القرآن الى مصدر بشرى أعجمى ، مع الرد عليهم بالحجة القاطعة قوله تعالى « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » النحل ١٠٣ .

ومن الآيات الأخرى التي سجلت زعمهم وادعاءهم أن القرآن من تأليف النبي ﷺ وكتابته قوله تعالى « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » الفرقان ٤ — ٦ .

ولقد فات المشركين في غمرة الافك والزعم والادعاء أن النبي ﷺ عاش بينهم ما عاشه من عمر لا يقرأ ولا يكتب ، فما كان من قبل تاليا لكتاب ، وما كان خاطا له بيمين ومن هذه الحقيقة في حياة النبي جاء الرد الالهى عليهم « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » العنكبوت ٤٨ — ٤٩ .

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » الشورى ٥٢ .

ومن الايذاء المعنوى أيضا ما قصدوا من ورائه احراج النبي ﷺ ، فقد طلبوا منه الاتيان بمعجزات حسية ، حتى يؤمنوا به ويصدقوه ، كأنهم لم يكفهم ما جاء به من معجزة القرآن الكريم ، وقد جاء تسجيل ذلك في آيات بينات تكشف ما هم عليه من تخبط وتردد ، وتبين أنهم قد أغلقوا منافذ العقل حتى لا يفكر ولا يتدبر في حقيقة الرسالة ، وفي الغاية التي جاءت من أجلها ، وتلك الآيات هي قوله تعالى : « وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا

من حديث القرآن الكريم

أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا » الاسراء ٩٠ — ٩٣ .

(هـ) والى جانب هذه الصور من محاولات الايذاء المعنوى ، فانهم من جانب آخر قاموا بالطعن فى شخصية النبى ﷺ حتى يصرفوا الناس عن الايمان به وتصديقه ، ولقد كان الطعن هنا قائما على وصفه بصفات تتعارض مع حقيقة النبوة ، ومن ذلك وصفهم له تارة بأنه شاعر ، وتارة أخرى بأنه كاهن ، واذن فليكن شأن الناس معه شأنهم مع الشعراء والكهان .. وقد نفى الله تعالى عن نبيه هذا الزعم ، فى آيات بينات تؤكد بعد القرآن الكريم عن أن يكون شعرا أو كهانة ، يقول تعالى « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ » يس ٦٩ .

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » الحاقة ٣٨ — ٤٣ .

— ٤ —

* * ومن حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ وموقف المشركين منه ومن الدعوة ، تطالعنا فى هذا الحديث القرآنى آيات أخرى تتحدث عن النبى ﷺ مع صحابته ، الذين آمنوا به وصدقوه وآزروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه وهى آيات تكشف عن مدى الحب العميق ، الذى أحب به المؤمنون نبيهم وأحب به النبى — عليه الصلاة والسلام — أصحابه .

(أ) ان صورة المؤمنين مع نبيهم ، ومع بعضهم بعضا ، صورة وضاءة يشيع فيها خلق المودة والرحمة ، المبنى على الحب والتعاطف ، ولقد غذى كل ذلك فيهم ايمان عميق بالله سبحانه وتعالى ، ايمان غايته ابتغاء الفضل والرضوان من رب العالمين . وهذا ما يحدثنا به القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » الفتح ٢٩ .

(ب) ولقد علم القرآن الكريم المؤمنين أسلوب التخاطب مع رسول الله ﷺ وهو أسلوب قائم فى جوهره على التوقير والتبجيل ،

وعلى السلوك المهذب الرشيد ، فهم اذا تحدثوا اليه وخاطبوه ، فعليهم أن يتكلموا بصوت خفيض هادىء ، لا ينبغى بحال أن تعلو نبرته على صوت النبى ﷺ ، ولا يحسن أن يكون جهرا بالقول كما يجهر بعضهم لبعض « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » الحجرات ٢ — ٣ .

وكذلك فانهم اذا كانوا جالسين مع النبى ﷺ فى مجلس من المجالس ، فان عليهم أدبا ينبغى أن يلتزموا به ، وهو الا يفارقوا هذا المجلس من غير استئذان بالانصراف ، والالتزام بهذا الأدب عنوان على الايمان الصادق الذى يعمر القلوب ، ودليل على التوقير الذى تتحلى به النفوس . وكذلك فانهم اذا نادوا النبى ﷺ ، فعليهم أن ينادوه بما يتفق مع مقام النبوة ومنزلة الرسالة ، وليس كما ينادى بعضهم بعضا .

وحديث القرآن الكريم حول هذا الجانب من السلوك نقرؤه فى قوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » النور ٦٢ — ٦٣ .

وفى منزل الرسول ﷺ ينبغى أن يكون لهم أيضا سلوك فيه حفاظ على المشاعر ، وحفاظ على الحرمات وحفاظ على الحقوق الخاصة فى الراحة والتخفف من أعباء الكلفة وأخذ الحيطة . ان هذه التربية القرآنية للمؤمنين فى سلوكهم مع النبى ﷺ حين يكون فى بيته وبين أهله ، تحدثنا عنها هذه الآيات « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ

أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما » الاحزاب ٥٣ .

(جـ) أما حديث القرآن الكريم عن المودة والرحمة ، والرأفة والشفقة التي يكنها النبي ﷺ لصحابته ، فان ذلك ما سجلته آيات بينات ، فيها اشادة بتلك العاطفة ، واعلاء لذلك الاحساس الرهيف ، وفيها شهادة من رب العالمين على هذا الخلق العظيم الذي زود به نبيه ، وأودعه في ظاهره وباطنه ، وفي شعوره وسلوكه .

ومن هذه الآيات ما يشير الى خلق الرحمة التي تخلق بها النبي ﷺ ، وجعلته لينا رفيقا حليما مع صحابته ، وهي رحمة مستمدة من رحمة الله رب العالمين ، الذي كان من رحمته بعباده أن أرسل اليهم رسوله ليهديهم الى صراطه المستقيم ، وليكونوا في رحمة الله هم فيها خالدون « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر » آل عمران ١٥٩ .

ومن هنا جاء امتنان الله تعالى على المؤمنين بنعمة ارسال النبي ﷺ اليهم مزودا بهذه الصفات العظيمة الجليلة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » التوبة ١٢٨ .

وهي صفات مدح الله تعالى بها نبيه ، وأقسم على عظمة ما عليه من خلق قويم .

« ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم » القلم ١ ــ ٤ .

وهي شهادة من رب العزة تشير الى أن النبي ﷺ له من كل خلق قويم أسماه وأسناه ، وأحمده وأرضاه ، وأرفعه وأعلاه . ولقد كان ــ عليه الصلاة والسلام ــ في كل ما يصدر منه من خلق مع صحابته المؤمنين انما يترجم في مسلك عملي ما أمره به رب العالمين في قوله « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون » الشعراء ٢١٥ ــ ٢١٦ .

ــ ٥ ــ

* * ومن حديث القرآن الكريم عن النبي ﷺ حديثه عن الغاية الكبرى من رسالته ، فهو رحمة من الله للعالمين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » الأنبياء ١٠٧ وهو بشير لمن أطاع الله بالجنة ، ونذير من النار لمن عصاه « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » البقرة ١١٩ .

« وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » الفرقان ٥٦ .

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا

وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا • وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا » الأحزاب ٤٥ ــ ٤٧ •

وهو ﷺ مرسل بالهدى الذى ينقذ الناس من الضلال ويخرجهم من الظلمات الى النور « هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا » الفتح ٢٨ •

« وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » الشورى ٥٢ ــ ٥٣ •

وهو ــ عليه الصلاة والسلام ــ قدوة للناس فى أخلاقه ، وأسوة حسنة فى عبادته ، والاقتداء به يوصل الى رضا الله سبحانه وتعالى والى الفوز فى اليوم الآخر بجنات النعيم « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » الأحزاب ٢١ •

« قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » الأنعام ١٦١ ــ ١٦٢ •

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » يوسف ١٠٨ •

ــ ٦ ــ

* وبعد .. فهذا جانب من حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ لم تهدف فيه الى احاطة واستقصاء ، وانما كان وتوقفنا ــ كما قلنا فى البدء ــ تقديما لومضة من شعاع ، واشراقة من ضياء ، وقبس من نور ، ذلك لأن كتاب الله تعالى هو النور الذى جاءنا من رب العالمين « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا » النساء ١٧٤ •

« قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ » المائدة ١٥ •

والنبى ﷺ هو السراج المنير « وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » الأحزاب ٤٦ •

ونحن فى ذكر مولد النبى ﷺ ، ان تذكرنا ذلك النور كله ، واستضأنا به فى دياجير هذه الحياة ، فاننا سوف نمتلك نورا يكون هداية لنا من ضلال ، واخراجا لنا من ظلمات ، ومغفرة لنا من خطايا وذنوب « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » الحديد ٢٨ •

ومن غير هذه المصادر لا يلتمس أحد شعاعا من نور « وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ » النور ٤٠ •

أ• د طه مصطفى ابو كريشة

من وحي المولد

في سورة الضحى من سور القرآن الكريم المكية ثلاث آيات تشير بإيجاز الى مراحل حياة النبي محمد ﷺ هي :
« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى • وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى • وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » ! •

وأنا في هذا الاتجاه سأحصر نفسي في الآية الأولى : فقد وقفت حيالها طويلا ، وتأملتها مليا مدققا ، وانتقلت من القرن العشرين الى القرن السادس الميلادي ، وانكشفت لي الجزيرة العربية بمدرها ووبرها وعشت في مكة وسمعت ما دار حول مولد اليتيم ، ودار في نفسي حديث حول اليتم وقلت : ان محمدا حين ولد لم يكن اليتيم الوحيد في مكة ، ولم يوصف أحد منهم بهذا الوصف ، ولكن الوصف لزم محمدا منذ ولادته الى أن بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، وقد يقال له ذلك وهو المختار لرسالة السماء ، والداعي الى الله ، والنذير البشير ، والعلم المفرد الذي يشار اليه بالبنان ، والمؤسس لأعظم دولة ايمانية فيما يسمى بالعصور الوسطى •

وكان أن نظرت فوجدت أن معاصريه لم يخطئوا حين خصوه بتلك الصفة ، فهو الوحيد الذي تعرض والده للذبح نتيجة نذر جده عبد المطلب ، ونجا الوالد بأعجوبة بفتوى عرافة يثرب التي جعلت نجاته بضرب القداح بينه وبين الابل تبدأ بعشرة ثم تزاد حتى تستقر القداح عليه أو على الابل ، وكان أن استقرت القداح على مائة منها ، ومن ثم كانت ديته أو فداءه ، وهذا الفتى الذي نجا أخذه والده من يده ، وزوجه من خيرنساء قومها « آمنة بنت وهب » ثم رحل الفتى للتجارة ولم يعد ودفن في يثرب •• ثم كان مولد ابنه محمد ﷺ • فتلك الأحداث المتلاحقة هي التي دعت البيت الهاشمي وسائر بطون قريش أن تنعته باليتيم • والا فقل لي لم لم يوصف حمزة والعباس عماه بما وصف به ؟ لقد مات عبد المطلب وكل منهما لم يبلغ مبلغ الرجال • لقد رضع محمد وحمزة معا من ثويبة جارية أبي لهب •

وروى عن العباس — رضي الله عنه أنه قال : أذكر مولد رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها ، فجيء بي حتى نظرت اليه ، وجعل النسوة يقلن لي : قبل أخاك فقبلته •

للأستاذ السيد حسن قرون

ومعروف أن عبد المطلب مات وعمر حفيده محمد ثماني سنين ، فيكون عمر العباس احدى عشرة سنة . فهو في العرف والفقه يتيم ، لأن اليتيم — كما تعلم — من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال (١) ، وما يقال عن العباس يقال عن حمزة ولم يوصف أحد منهما باليتم . والأمر كما ذكرت آنفا ، فالأحداث المتلاحقة التي صاحبت مولده هي التي صنعت هذه الصفة .

ولقد استرضع في بادية بني سعد فغاب عن أهله فلهجوا بذكره وتحدثوا عن حياته ، وحنوا اليه حنينا شديدا ذكرهم بموت والده في الغربة وعطفوا عطفا فيه كلام عن اليتيم واليتم .

كان رضيعا تلك البادية ترضعه حليمة السعدية ، وقد لقي منها ومن زوجها واخوته من الرضاع ما جعله ينمو نموا طبيعيا ، فلما فطمته بعد سنتين عادت به الى أمه بمكة ، وفي نيتها أن تعود به من حيث أتت لما لمسته من بركة وطالع السعد بمحضره ، وترجت أمه أن ترسله معها بعيدا عن وباء مكة فقبلت الأم .. وعلى مدى غيابه عند مرضعته كان الحديث عنه في بني هاشم لاينقطع ، والحنين اليه يكبر يوما فيوما .. ومكة والبادية في تنافس محمود في رعايته والعناية به .

وتذكر كتب السيرة أن حليمة قالت حين شرفت بأخذه معها : « قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة الا وقد عرض عليها فتأباه اذا قيل لها : انه يتيم، وذلك انا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ »

وهذا الكلام لا يعطي أن هذا اليتيم فقير ولكنه يصف حالة ، ولم تدر المراضع أن أم هذا الصبي لم توصف بالفقر ، وأن جده كان صاحب عير قريش — رئيس الغرفة التجارية كما تحدث عنه أحد المعاصرين — مازال موسعا عليه في الرزق ، فالرجل الذي نحر مائة من الابل فداء ابنه ، والذي نحر مائتي ناقة استردها من أبرهة في حادث الفيل في عام واحد تقريبا لا يعد فقيرا ، ولايضن بالنفقة على ابن عبد الله ، وعبد الله كان أحب ولده اليه وقد مات غريبا وترك بعده وليدا فكيف يكون موقف الجد السخي من ولده ؟

لكن العادة جرت أن الوالد هو القائم بالنفقة ، وللبادية نظرة غير نظرة أهل القرى، وقريش كانت تحنو على اليتامى ولا تشعرهم باليتم في الجاهلية والاسلام ، فما بالك برجل عظيم مثل عبد المطلب ذاق اليتم وذاق حنان العم ؟

---

(١) في الخبر عن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه : .. لايتم بعد احتلام .

من وحي المولد

انظر الى محمد وقد مضى نحو مجلس جده وقد فرش له فلا يقربه أحد . يقول ابن اسحاق :

وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له ، فكان رسول الله ﷺ ـ يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب : دعوا ابنى فو الله ان له لشأنا ، ثم يجلس معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

وقال قوم من بنى مدلج لعبد المطلب ـ وهم أهل قراسة ـ :احتفظ به ، فانا لم نر قدما أشبه بالقدم التى بالمقام منه (مقام ابراهيم) فقال عبد المطلب لابى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء. فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأم أيمن ـ وكانت حاضنة محمد ـ يابركة (وهذا اسمها) لا تغفلى عن ابنى ، فانى وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان أهل الكتاب يزعمون أن ابنى هذا نبى هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا قال : على بابنى ، فيؤتى به اليه ، وكان يقربه منه ويقبله ، ويدخل عليه اذا خلا واذا نام .

وأغلب الظن أن الزمخشرى حين فسر اليتم بغير المعهود كان ينظر الى ما يلقى محمد فى طفولته من عناية ورعاية وتفاؤل يجعلهم يقولون تارة : ان له لشأنا ، وتارة أخرى يقولون : انه ليؤنس ملكا ، وتارة ثالثة يذكرون أنه « نبى هذه الأمة » فكان من تفسيره لقوله تعالى : «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » ؟ أن قال : « ومن بدع التفاسير أنه من قولهم : (درة يتيمة) ، وأن المعنى : ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك » ؟

والعبارة واضحة فمحمد ﷺ لا مثيل له بين قريش ، وانه انفرد بشمائل وفضائل لا توجد فى أحد من الناس فهو الدرة اليتيمة التى لا مثيل لها ، وقد انتقل بنا الزمخشرى فى كشافه الى معنى بعيد ، من فقد الوالد الى فقد النظير والمثيل . وقد جاء هذا الفهم البعيد فى همزية البوصيرى التى مطلعها .

كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ما طاولتها سماء ؟

فقد قال ولحظ « الدرة اليتيمة » والخطاب لليتيم :

لم تزل فى ضمائر الكون تختا
رلك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل الا
بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار
انت فيه اليتيمة العصماء

الشاهد فى البيت الأخير فاليتيمة العصماء هى الدرة اليتيمة التى نوه بها الزمخشرى ،

والغريب أن البوصيرى كرر هذا الاداء فى قصائده ومنها (اللامية) التى عارض بها كعب ابن زهير وسماها «ذخر المعاد فى وزن بانت سعاد » .

يقابل البشر منه بالندى خلق
ذاك على العدل والاحسان مجبول
من آدم ولحين الوضع جوهره المكنو
ن فى أنفس الأصداف محمول
فللنبوة اتمام ومبتدا
به وللفخر تعجيل وتاجيل

والشاهد فى البيت الثانى «الجوهر المكنون» والبيت الثالث يشير الى النبوة لمحمد أولا وآخرا بمعنى أن نبوته قبل أبى البشر آدم ، فهو مبتدأ وخاتمة .

وليس بدعا فى الاداء الأدبى أن يعبر عن النبى المختار بالدرة اليتيمة ونحن اليوم نستخدم كلمة اليتيمة فى الجمعة الأخيرة من رمضان لأنها لا تكرر فنقول : « الجمعة اليتمية » .

والقرآن الكريم يجعل محمدا ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ نورا وسراجا ، يقول الله تعالى : « قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ » (١٥ سورة المائدة) والنور هو محمد كما يقول النسفى . ويقول عز وجل :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » (٤٥ ــ ٤٦ سورة الأحزاب) والسراج المنير هو محمد وهو منير بالقرآن ، فاذا وصفناه بالدرة اليتيمة لا نكون مبتدعين فى التفسير ولا مغالين فى التكريم . ويتم محمد ﷺ يقع تحت الحكمة الالهية ، فالأب والأم ماتا فى شرخ الشباب ، وكأنهما لم يوجدا الا ليوجد هو .

وهذا اليتم صان الله محمدا عن عقابيله ، فقد وجد العناية والرعاية والحب والحنان فى كل مكان ، فى بيت أبيه وفى بادية بنى سعد وفى كفالة جده ثم عمه .

وكتب السيرة تذكر أن جده استقبل البشارة بمولده هشا بشا ، ذهب الى آمنة حين دعته فأخذ الوليد وانطلق به داخل الكعبة يعوذه ، وكان مما قال :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
اعيذه بالبيت ذى الأركان
اعيذه من كل ذى شنآن
من حاسد مضطرب العنان

وتحكى أمه عن حمله فتقول : انها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : انك حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع الى الأرض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمدا .

ويتلقاه عمه الزبير بن عبد المطلب فيجلسه على حجره ويرقصه ويغنى له :

محمد بن عبد م
عشت بعيش انعم

من وحي المولد

ودولـــــة ومغنم
في فـرع عـز أسـنم
مكـــرم مـــعظم
دام سـجيس الأزلم

« دام سجيس الأزلم » معناها أبد الدهر وقد لعب في طفولته وانطلق مع لداته سواء في مكة أو في البـادية أو في يثرب لا يزجـره زاجر ، ولايفزعه عابر ، قالوا : ــ والروايـة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت بـه الى أخـواله (أخوال جده عبد المطلب)بني عدي بن النجار تزورهم به في يثرب ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين ، فنزلت به في دار النابغة فأقامت به عندهم شهرا فكان رسول الله ﷺ يذكـر أمورا كانت في مقامه ذلك . لما نظر الى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال : كنت الاعب أنيسة (جارية من الأنصار) على هذا الأطم ، وكنت مع غلمان من أخوالي نطير طائرا كان يقع عليه، ونظر الى الدارفقال : هنا نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنت العوم في بئر عدي بن النجار .. » فانظر الى تلك الحياة الفطرية التي ينطلق فيها الطفل مع أترابه ، فهو يلاعب انيسة ويطـير طائرا ويسبح في البئر فيحسن السباحة مع أن هذه الزيارة كان القصد منها زيارة قبر والـد محمد، فمحمد منذ كان في بطن أمه جنينا الى أن صار الى أبي طالب لم تصادفه الوجـوه الكالحة ، ولم يضطر يوما الى الجلوس الى موائد اللئام أو معاشرة الطغام .

ولما صار الى كفالة أبي طالب وجد منه أبـا حانيا ومن زوجه فاطمة بنت أسد بن هاشـم أما رءوما ، وكـان بين العم وابن الأخ حب متبادل تترجمه الأعمال الى واقـع محمود ، فكان أبو طالب اذا رأى عائفا أو ذا فراســة ينظر الى محمد غيبه عنه ، ويحرص الحرص كله أن يراه بجانبه .

يقول ابن اسحاق ان أبا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله ﷺ فرق له وقال : واللــه لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا، فخرج به معه .

قال الطبري : كان محمد ــ يومها ــ ابن ثنتي عشرة سنة . فهذه الصبابة من الطفـل وتلك الرقة من العم يضرب بهما المثل ، وقـد استمر هذا التعاطف بينهما الى أن بعث اللــه محمدا رسولا فكان أبو طالب يفخر ويجعـل الفخر كله لمحمد . يقول :

اذا اجتمعت يومـا قريش لمفخـر
فعبد منـاف سرهـا وصميمها
وان حصلت أشراف عبد منافهـــا
ففي هاشــم أشرافهـا وقـديمها
وان فخـرت يوما فـان محمـدا
هو المصطفى مـن سرها وكريمها

فمحمد سر السر يريد أنه أشرف الشرفاء

وأكرم الكرماء ، اليه يرجع الفخار ، ونحوه تتجه الأنظار . فالدرة اليتيمة أعدت بعناية الله لحمل الرسالة وأداء الامانة اعدادا لا نجد لهوصفا يحيط بها أوضح وأصدق من قولـــه تعالى

« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » ؟

ويسأل النبى ﷺ وقد بلغ ما أنزل عليه من بعض أصحابه بالمدينة عن بدء أمره ، فيقول لهم :

أنـا دعـوة أبى ابراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر .

أما دعوة ابراهيم فالله يقول فى شأنها :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

(الآيات ١٢٧ — ١٢٩ سورة البقرة) .

وأما بشرى عيسى فيقول الله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ » .

(٦ سورة الصف)

وفى حديثـه عن أمه ورضاعه فى بنى سعد رمز الى الاعداد لحمل الرسالة ونشر الدعوة فى ربوع الشام .

وقد تناقلت الاجيال دعـوة ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام ، فحملت عملها فى الجزيرة العربيـة ، فسجعت الكهان وتحدث المقيم والظاعن عن النبى المنتظر ، وتنافست قبائل فى هذا المجد ، فظهر اسم محمـد فى قبائل مثـل تميم واسد وسليم طمعا فى النبوة ولكن اللـه يعلم حيث يجعل رسالته ، فكان المختار لها محمد بن عبـد اللـه القرشى الذى خاطبه الله بعد أن فتر الـوحى بقولـه :

« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » .

السيد حسن قرون



في موكب البشارات بمبعث النبي

"صلى الله عليه وسلم"

لم يكن مجيء النبي – صلى الله عليه وسلم – الى هذا العالم أمرا عاديا لا تلتفت اليه الأذهان ولا تنتبه له العقول .

ولكنه كان شيئا فريدا خارقا فى تاريخ الانسانية يتفق وجلال الرسالة التى اختير لها وسمو الهدف الذى بعث من أجله . فلا بد ان تشير اليه بشارات سابقة ، وتتحدث عنه الكتب السماوية ، وتبشر به دعوات الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم اللهليأخذوا بأيدى الناس من الظلمات الى النور .

وقد أراد الله أن يكون هذا المبعوث الذى سعد بهالعالم هو خاتم هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، وأن تكون رسالته التى جاء بها هى الرسالة التى اختارها الله لتكون دين الناس جميعا ، وأن تكون أمته هى الأمة المرحومة وهى خير الأمم ...

ولقد أشار القرآن الكريم فى مواضع متفرقة الى أن النبى – صلى الله عليه وسلم – ورد ذكره فى الكتب السابقة . فمن ذلك : حين دعا موسى عليه السلام وقومه ربهم قائلين :

« وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ » قال الله تعالى لهم : « قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ – الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الأعراف ١٥٦ ، ١٥٧ وفى سورة الصف جاء على لسان عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام « يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ » الصف ٦ .

والذين قرءوا التوراة والانجيل قبل البعثة وتفهموا ما فيهما جيدا – قبل أن يحرف ما فيهما – فطنوا الى أوصاف نبى آخر الزمان

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

فيها وتشوفوا له ، بل استطاع بعضهم أن يحدد موعده ومولده ومبعثه ومهاجره ونسبه وقومه وأصحابه وأنصاره . وتوارث العلماء بالكتابين هذه المعلومات الدقيقة . حتى لعبت السياسة والحسد دورهما فكتم العلماء ماكتموا وأظهروا ما أظهروا وغيروا ما غيروا .

وتأثر كثير من الناس بما كان يتناثر على ألسنة الأحبار من اليهود والنصارى من صفات النبي ﷺ ، وتشوقوا اليه وارتقبوا مبعثه ، بل أن بعضهم أعد نفسه أو ولده ليكون ذلك النبي المرتقب .

المتحنفون في بلاد العرب :

وظهر — لذلك — بين العرب من عرفوا بالمتحنفين الذين كانوا يبحثون عن الحق في الجاهلية ويتوقعون ظهور نبي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، ويأخذ بأيدي الناس الى حياة أفضل مما كانوا عليه من شرك وضلال وفساد .

ومن شواهد ذلك ما يقصه ابن اسحاق في سيرته قائلا : « اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ، فخلص منهم أربعة نجيا . ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل ، وهم ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل . فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولايضر ولا ينفع ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء .فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم .. » هؤلاء المتحنفون نما الى علمهم ما كان يتحدث به علماء اليهود والنصارى من أخبار حول النبي الذي يبعث في آخر الزمان وأن أوانه قد دنا وأن نوره أوشك أن يشرق وأنه سوف يكون في تلك البيئة العربية القرشية .

المتمنون

حتى لقد تطلع أمية بن أبي الصلت الشاعر الى أن يكون هو هذا النبي ، وأعد نفسه لذلك، فتنسك ولبس المسوح وهجر الخمر ، وكان شاعرا مجيدا ، فكان شعره يدور حول معاني البعث والنشور والجنة والنار والدعوة الى الاله الواحد ، فلما بعث النبي ﷺ حسده وكفر بكل ما كان يدعو اليه ، ويقول بعض العلماء : انه هو الذي نزل فيه قوله تعالى :

« وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ — وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

«فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» الاعراف ١٧٥ ، ١٧٦ .

ومن أعد ابنه ليكون نبي آخر الزمان ما يقصه علينا كتاب «خير البشر بخير البشر» لابن ظفر الصقلي الحموي المتوفى سنة ٥٦٥ هـ وهو من العلماء المحققين الأعلام له مؤلفات عدة قيمة . قال : «روى أن سفيان بن مجاشع ابن دارم احتمل ديات دماء كانت بين قومه فخرج يستعين فيها ، فدفع الى حي من تميم ، فاذا هم مجتمعون الى كاهنة لهم ، فأتاهم فحياهم ثم جلس اليهم ، فسمع الكاهنة تقول: العزيز من والاه ، والذليل من خالاه ، والموفور من مالاه ، والموتور من عالاه .

فقال سفيان : من تذكرين لله أبوك ؟

فقالت : صاحب حل وحرم ، وهدي وعلم وبطش وحلم ، وحرب وسلم ، رأس رءوس ، ورايض شموس ، وساحي بوس ، وماهد وعوس ، وناعش متعوس .

قال سفيان : من هو لله أبوك ؟ قالت : نبي مؤيد ، قد أتى حين يوجد ، ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود ، بكتاب لا يفند ، اسمه محمد .

قال سفيان : لله أبوك أعربي أم أعجمي ؟ قالت (١) :

والسماء ذات العنان ، والشجر ذات الأفنان انه لمن ولد عدنان . فقدك ياسفيان» فأمسك سفيان عن سؤالها . ثم انه ولد له ولد فسماه محمدا لما رجاه من أن يكون هو المبعوث .

وقد أشار ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة» في ترجمة محمد بن سفيان هذا الى المحمدين الذين أسماهم آباؤهم محمدا قبل بعثة رسول الله ﷺ ، طمعا في أن ينال كل منهم شرف النبوة ، وهم :

محمد بن عدي بن ربيعة ، ومحمد بن أحيحة ومحمد بن حمران بن مالك الجعفي ، ومحمد بن خزاعي بن علقمة ، وقال في اسناد هذا الخبر : أخرجه أبو نعيم وأبو موسى .

وذكر ابن الأثير أيضا في ترجمة محمد بن عدي ما فحواه : روى عبد الملك بن أبي سوية المنقري عن جد أبيه خليفة ــ وكان خليفة مسلما ــ قال : سألت محمد بن عدي بن ربيعة ابن سعد بن سوارة بن جشم بن سعد : كيف سماك أبوك محمدا ؟ فضحك ثم قال : أخبرني أبي عدي بن ربيعة قال : خرجت أنا وسفيان بن مجاشع بن دارم ويزيد بن ربيعة وأسامة بن مالك بن العنبر زيد ابن جفنة ، فلما قربنا منه الى شجرات وغدير ، فأشرف علينا ديراني فقال : اني أسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد ، فقلنا : نعم : نحن قوم من مضر ، قال : أي المضريين ؟ قلنا : من

(١) فسر ابن ظفر غريب هذا الخبر فقال . خالاه : برىء منه ــ رأس رءوس : سيد سادة ــ ساحي بؤس : مذهبه ــ ماهد وعوس : الوعس من الرمل مايشق السير فيه ــ والمتعوس العاثر . . وقدك : يكفيك .

خندق ، قال : انه يبعث وشيكا نبى منكم فخذوا نصيبكم منه تسعدوا . قلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . قال : فأتينا ابن جفنة فقضينا حاجتنا من عنده ثم انصرفنا ، فولد لكل منا ابن فسماه محمدا . أخرجه ابن منده وأبو نعيم .

لقد تطلع كل منهم أن يكون ابنه النبى المبعوث ، ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وليست النبوة بالتمنى ولكنها فضل الله يؤتيه من يشاء .

***

لقد اختار الله نبيه قديما ، جاء فى الأخبار الصحيحة عن العرباض بن سارية عن النبى ﷺ قال : « انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمجندل فى طينته » رواه أحمد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم قالوا : يارسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » رواه الترمذى — المنتخب من السنة جـ ١ ص ٥٣ .

واختار له الأرحام الطيبة والأصلاب الطاهرة فمازال يتنقل بينها حتى هيأ الله التقاء عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بآمنة بنت وهب فى زواج مبارك ميمون كان ثمرته ذلك المولود الذى أشرقت الدنيا بطلعته وتزينت السماء بغرته وخرت الأصنام على وجهها لهيبته ورجمت الشياطين بالشهب لدعوته .

حول كتاب ابن ظفر :

فاذا ما تصفحنا الكتاب الذى أشرت اليه آنفا ، وهو كتاب « خير البشر بخير البشر » وجدنا مؤلفه قد اعتنى فيه بالبشريات التى سبقت مولد النبى ﷺ ، ومنها ما يتصل بالكتب السماوية وما يتصل بأخبار الأحبار الذين كانوا يقرءون الكتاب ، وبما أخبر به الكهان الذين كانوا يسخرون الجان ، وبما أخبر به الجن أنفسهم عن رسالة خير البشر .

وقد اعتمد ابن ظفر فى مؤلفه — فى مناقشة أخبار الكتب السابقة — على ما استخرجه من تلك الكتب التى فى أيديهم واطمأنوا بأنفسهم على ما فيها بعد أن لعبت أقلامهم فى محتوياتها وعبثت بمضمونها فى محاولة لاخفاء ما جاء فيها من نصوص صريحة قاطعة بأوصاف النبى ﷺ .

فقد بقيت على الرغم من ذلك جملة يمكن للفطن منها أن يفهم ما ترمى اليه .

وقال ابن ظفر فى ذلك ، بعد أن ساق من الشواهد ما ساق : « فهذه جملة عظيمة فى البشارات بمحمد ﷺ جاءت فى كتب الله مجيئا لا يدفعه أهل الكتاب ، وحكيناه عنهم بالتراجم التى رضوها واختاروا تسطيرها فى كتبهم فلا يدعون علينا فيها تحريفا ، وهى على تحققنا أنهم حرفوها وحذفوا منها



ما كتموه مستقلة بدفع المعتدين ونفع المهتدين ان شاء الله » .

واكتفي مما ساقه ابن ظفر في كتابه بشاهد من مختلف الشواهد : « جاء في كتاب أشعيا اشارات حول مكة والبادية وما يكون من شأنهما . قال فيها :

« بحق أقول لكم لأعطين البادية كرامة لبنان وبيت المقدس وتشقها مياه وقصور وأسواق في أرض الفلاة ، وأجعل هناك طريقا حراما لا يمر به أنجاس (١) الأمم بل يكون هناك طريق المخلصين » وعلق على ذلك بقوله :

« فهذا صريح في ملك العرب وما أحدثه ملوكها في البلاد المقفرة من الآبار والمصانع والقصور وهو نص في ذكر الحج وأهله » .

ولنا في اسلام عبد الله بن سلام الذي نزل في حقه قول الله تعالى « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » الأحقاف ١٠ .

وفي اسلام سلمان الفارسي وقصته التي وردت في مختلف كتب الصحاح والسيرة دليل قوي على ما كانت تحمله الكتب القديمة من أخبار عن النبي ﷺ عرفها الأحبار حق المعرفة ،وكتمها منهم من كتمها وأذاعها من أذاعها .

ذلك أن النبي ﷺ كان استجابة صريحة لدعوة سيدنا ابراهيم — عليه السلام — الذي قال « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » البقرة ١٢٩ .

وكان تصديقا لنبوة موسى وبشارة عيسى عليهما السلام .

ان في هذه الأخبار والنبوءات دليلا على عظمة الرسول الخاتم فلابد أن تتقدم البشارات بين يديه معلنة قدوم هذا النبي مختار الله ومصطفاه ، ومشيرة الى جلال ذلك القادم الذي سيحطم الاصنام ويبدد الاوهام ويدعو الى دين الحق والسلام ، الدين الذي يرفع من قيمة الانسان ويعلي قدره بما تضمنه من مبادىء سامية ومثل عليا وأخلاق رفيعة .

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا » الفتح ٢٨ .

عبد الحفيظ فرغلي القرني

(١) وفي الحق ثمة طريق بأرض الحجاز لايمسها الا المطهرون .. مجلة الأزهر .

من تاريخ الاحتفال بمولد المصطفى

"صلى الله عليه وسلم"

للعقيد مصطفى البنا

الحمد لله رب السموات والأرض وما بينهما .. الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه العادون .. لا نحصى ثناء على ذاته هو سبحانه كما أثنى على نفسه جل وجهه وتعالت عظمته .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم الرسل والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين .. وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره الى يوم الدين .

(وبعد ..) ..

ففى ليلة من ليالى ربيع الأول عام الفيل كان العالم بأسره على موعد مع الضياء والنور فقد أشرقت شمس سيد الأنام نبى الهدى الذى أرسله الحق سبحانه يوم كانت الانسانية فى حيرتها وعذابها وضعفها وظلامها تكبو فى طريقها حينا وتنهض آخر ليس لها طريق مرسوم ولا هدف معلوم والناس يومئذ يدين أكثرهم بعقائد باطلة ويعيشون على غير نظام ، لا يجمعهم جامع ، ولا ينظم سلوكهم قانون رادع وقد انصرفوا الى حروبهم وعدوانهم فلم يمدوا أبصارهم الى ما يطهر النفوس ويزكيها ، ويقوى الجماعات وينميها . وشب هذا المولود الكريم فى تلك البيئة الضالة المنحرفة فلم يتخلق بأخلاقها ، ولم يسلك طريقها ، ولم يحضر لقومه سامرا ، أو يغش لهم ناديا حتى اكتملت قوته ، واستوت فطرته ، فاضطلع بأكبر رسالة تنقذ الدنيا من عثرتها ثم تغرس المدنية فتمتد باسقة فروعها وارفة ظلالها تعم الشعوب جميعا .

ان هذه المدنية التى جاء بها ذلك المولود الأمى عليه أفضل الصلاة والسلام لا تترك فضيلة الا شرعتها ولا رذيلة الا أبعدتها وبينت أن الأمور التى ترفع الدولة والتى تخصصها أمور هى قواعد صادقة حاقة والمنعة لا محالة .

من تاريخ الاحتفال :

علق (١) النبي ﷺ بالقلوب فَحُوتْهُ شغافها، وبالنفوس فطمست آثاره ، وباتت تنتظر أيامه لتحتفل بأجمل ذكريات الوجود ، ولا شك أن الاحتفال بتلك الذكرى العطرة الشريفة قد صار عادة عامة .

والمشهور أن المحدث لها هو أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين التركمانى الجنس الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب « اربل » أحدثها فى أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس فقد ولاه السلطان صلاح الدين على (اربل) وتوفى سنة (٦٣٠هـ) وكان سخيا صاحب خيرات كثيرة .. ينفق على الاحتفال بالمولد مبالغ طائلة ففى تاريخ « ابن خلكان » أنه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات أو خمس ، له قبة منها والباقى للأمراء وأعيان دولته ، وكانوا يزينون هذه القباب فى أول شهر « صفر » بأنواع الزينة الفاخرة وتمتلىء بمظاهر البهجة والسرور ، فاذا كان قبل « المولد » بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغانى ، حتى اذا جىء بها الى الميدان يشرعون فى نحرها ويتم طهى ألوان الطعام المختلفة . فاذا كانت ليلة المولد أعمل السماعات بعد أن يصلى المغرب فى القلعة ، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شىء كثير .. ويسير بركاب له شكل خاص فاذا كانت صبيحة يوم المولد يتم عرضه الجند ، وتوزيعه الخلع بعد ذلك على الفقراء الى آخره وكان الناس يأتون هذا الموسم ...... من بلاد متعددة .

والاحتفال بالمولد فى مصر منذ بدايته يشابه ما كان يحدث فى أربل فى البعض الكثير منه فالقباب تنصب أو تنصب خيام من النسيج الجميل تابعة للحكومة ووزاراتها وبعض الموسرين ، ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الأول يسمعون فى بعضها وعظ الوعاظ وذكر أرباب الطرق المعروفة ، وكان شيخ مشايخ الطرق الصوفية يقيم بخيمته مأدبة كبيرة فى مساء اليوم الحادى عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجهاء ، ويكون الاحتفال الأكبر فى الليلة الثانية عشرة فى خيمته ، فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الأمراء والوزراء حتى ما انتظم جمعهم حضر عزيز مصر بحاشيته فقرئت بين يديه (قصة المولد) وتدار بعد قراءتها أكواب الشراب المحلى و (صوانى) الحلوى الجافة ، ثم ينصرف العزيز الى خيمته .

وبايجاز يتولى هو ونائبه الاشراف على مراسم الحفل واستعراض مواكب الطرق الصوفية .

وقد مرت السنوات وتطورت مراسم تلك

---

(١) علق الشىء بالشىء تعلق ـ بكسر اللام فى الماضى وفتحها فى المضارع ، وهى عين الفعل ـ استمساك به .

الاحتفالات الى أن وصلت للأسلوب الذى يحتفل به الان بهذه الذكرى العطرة .

وقد استحسنت جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد فى مشارق الأرض ومغاربها :

منهم من يجتمع لقراءة قصته ﷺ فى المساجد فى اليوم المحدد لتلك الذكرى ، ومنهم من يجعل لحفله دعوة خاصة فى بيته وهذه لا تتقيد بجعلها فى تاريخ الميلاد النبوى الشريف .

وقد أنكر البعض هذا الاحتفال ولكن الكثير من العلماء أيده واعتبره بدعة حسنة ، لأن هذا الاحتفال انما هو شكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور فى مثل اليوم الذى ولد فيه ، وبما يكون فيه من الصدقات والأذكار .

فتوى السيوطى وابن حجر :

ألف « الجلال السيوطى » رسالة أسماها « حسن المقصد فى عمل المولد » وعده بدعة حسنة فى جواب من سأل عن : حكمه شرعا ؟ وعرفه بقوله :

هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر — من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ فى مولده — من الآيات ، ثم يمد لهم سماط فيأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك ..

وذكر — رحمه الله — أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله :

أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك فقد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد فى عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا .

ثم بين أن الحافظ خرجه على حديث الصحيحين فى « صيام عاشوراء » شكرا لله تعالى على انجائه موسى نبيه — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واغراق فرعون .. قال :

فيستفاد منه الشكر لله على ما من به فى يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد هذا فى نظير ذلك من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصدقة والصيام والتلاوة ، وأى نعمة أعظم من بروز هذا النبى المبعوث رحمة للعالمين فى ذلك اليوم ؟

وعلى هذا فينبغى أن — يتحرى اليوم ذاته فمن لم يستطع يمكن أن يقوم بعمل المولد فى أى يوم من الشهر .

وتوسع قوم فنقلوه الى أى يوم من أيام السنة .

وأما ما يعمل فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفيد الشكر لله تعالى .

فأما الاجتماع والخيام والأنوار والزينة واظهار البهجة والسرور بذكرى مولد الهدى والنور وخروج الدنيا من ظلماتها فهو فى نفسه من المباحات المقرونة بالمستحبات والمندوبات بشرط أن يخلو من البدع والمنكرات وأن لا يعد من الشعائر الدينية والعبادات ..

رؤية معاصرة :

ونحب أن ننوه الى أنه — وان كان يمكن

أن يحدث فى بعض الاحتفالات التى يقوم بعملها العوام بعض المنكرات كالرقص وغيره — فان هذا لا يجعل الاحتفال بهذه الذكرى العطرة (بدعة) يجب التخلص منها وانما يحملنا على توعية هؤلاء وتوجيههم ومنعهم من الاستمرار فى تلك الأخطاء دون مساس بمبدأ الاحتفال ذاته ، ولنسق مثلا منطقيا من أدلة المعارضين فيما أجمعوا هم على أن فاعلها يثاب على نيته وأعنى بها : (الوسائل التى يقوى بها أمر الدين والدنيا) كالمستشفيات والمدارس وغيرها .. فاذا تصورنا أن احدى المدارس أخطأ فيها بعض المدرسين .. أو احدى المستشفيات ... جانب عدد من أطبائها طريق الصواب فى العلاج أو انعدمت — عندهم بعض الأحاسيس المطلوبة فيهم ..

فهل تغلق هذه المدارس وتهدم تلك المستشفيات وتصبح بدعة وضلالة ، أم نقوم المعوج فيها ؟!

نعتقد بل نقرر — أن الصواب أن نقوم المعوج واذا لزم الأمر أبعد المخطىء ولكن تستمر الدراسة ويستمر المستشفى فى رسالته وعطائه ..

كذا حالنا فى الاحتفالات بتلك المناسبة الشريفة .

واقع جماهير المسلمين :

والشاهد أنه برغم بدء معارضتها منذ نشأتها من البعض الا أنها تزداد عاما بعد عام .

حتى ليحتفل بها حول أعز البقاع وأحبها فى قلوب المسلمين ليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام ، وكأن الغالبية العظمى من المسلمين قد استفتت قلوبها واقتنعت بأنه من حقها أن تحتفل بهذه الذكرى العطرة فتجزل العطاء والعمل ، وتقوم الليل وتزيد من النوافل ايفاء لحق نبيها ﷺ وشكرا لله تعالى ، واعترافا بما من به على خلقه من عظيم نعمته ، وليس أمام العلماء الا أن يصححوا بعض المفاهيم حتى تخرج تلك الاحتفالات بالمظهر المطلوب والورع المنشود خالية مما يعكر صفوها من منكر أو مكروه .

وأضيف أخيرا بأنه فى اعتقادى لو أن بارىء السموات والأرض — الحق جل شأنه الذى لا تعد نعمه علينا ولا تحصى — لم يمن علينا الا ببعث الهادى البشير لكانت هذه المنة وحدها عند من وهب البصيرة وألهم الادراك .. تستوجب أن نسعد ونبتهج ونصلى ونسبح ونحسن ونتصدق بل لا أكون مبالغا اذا قلت أن نسجد طوال عمرنا شكرا لله وتسبيحا بحمده على هذه النعمة ثم نبعث يوم القيامة ولم نؤد الى الله من حقه علينا الا الجزاء اليسير قدر طاقتنا البشرية .

اللهم أعد هذه الذكرى علينا وعلى المسلمين كافة باليمن والبركات ، وشفع فينا نبيك وحبيبك ومصطفاك يوم المشهد العظيم ، واجعلنا ممن يحشر فى زمرته وتحت لوائه وآته يارينا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة انك لا تخلف الميعاد .

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا المصطفى على خير ما تحب وترضى ..

مصطفى البنا

الإسلام ونبيه

صلى الله عليه وسلم

في نظر المنصفين من علماء الغرب

للمستشار محمد عزت الطهطاوي

رغم الحملة الشعواء الضالة على الاسلام ونبيه فى بلاد الغرب ـ هذه الحملة التى تهزأ بالحق والضمير ولا يقرها شرع ولا دين ـ فانا نرى كثيرا من علمائهم وكتابهم احبوا الاسلام وناصروه ، وهم ـ وان كانوا اصنافا شتى من المفكرين لكنهم لم يؤمنوا ايمان العجائز ولم يتابعوا متابعة العاجزين ، ولم يقعوا فريسة للتغرير والتضليل او الاكراه بل فكروا وتدبروا ودرسوا الاسلام دراسة واعية خصوصا فى منابعه الصافية وهى القرآن الكريم وتفاسيره المعتمدة ، والسنة النبوية المطهرة فوجدوا فيه الدواء والشفاء والغذاء والضياء فلجأوا الى رحابه مطمئنين والى ساحته مذعنين .

ذلك ان اشراق الاسلام على الأرض كان قوة من قوى الخير لها فى (عالم المعانى) ما لاكتشاف . البخار والكهرباء فى (عالم المادة) اذ هو قائم على معرفة الحقيقة وكراهية الباطل ، ورسالة نبيه ﷺ الى الناس تمثل مرحلة من مراحل التطور فى الوجود الانسانى فهى دعوة كبرى للتحرر العقلى والمادى من طواغيت البشر وتفتيح للاعين والآذان وتجلية للبصائر والأذهان قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا) سورة النساء ١٧٤ .

وهؤلاء المفكرون ينقسمون الى فريقين :

١ ـ فريق أعلن اسلامه فى غير لبس ولا مراء وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته الجديدة ثم أخذ يدعو اليها مكرسا وقته وجهده لنشرها خصوصا بكتاباته .

٢ ـ وفريق آخر أحب الاسلام ومدحه ولا يعلم الا الله ماذا أسر فى نفسه ، وعن



ذلك النفر يقول أحد المفكرين الغربيين (١) .

(انني أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبيا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشيء عن التغيير تآمرا على منعهم من اظهار معتقداتهم) .

وينعى المستر « جون ويستر » الانجليزى على بني جنسه موقفهم من الاسلام فيقول :

« يظهر أن الغرب قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الاسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها » .

أما « السير أرشيلد هاملتون » ــ الذى تسمى باسم عبد الله أرشيلد بعد اسلامه ــ فيقول .

« لا يوجد دين أسيء فهمه وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسيء فهم الاسلام وهوجم مع أننا نجد الاسلام هو المرشد للانسانية الى الحق والصواب في حياتها اليومية المعاصرة » (٢) .

الكونت هنرى دى كاسترى :

كان من كبار الموظفين الفرنسيين بالجزائر وقت احتلال فرنسا لها ، وقبل استقلالها ؛ يقول ــ عن قصة تفكيره في دراسة الاسلام :

انه وقت أن كان يسير ممتطيا صهوة جواده ، ويسير خلفه ثلاثون من فرسان عرب الجزائر الأقوياء فخور بمركزه يملؤه الغرور ، وفجأة وجدهم يقولون له ــ في شيء من الخشونة ، في كثير من الاعتداد بالنفس : لقد حان موعد صلاة العصر ، ودون أن يستأذنونه فى الوقوف ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين الى القبلة (قبلة الاسلام) ودوت في أرجاء الصحراء كلمة الاسلام الخالدة (الله أكبر) فثاب الى نفسه ونظر الى هؤلاء الفرسان المسلمين بكثير من الاكبار والاعجاب ، لأنهم اتجهوا الى الله وحده بكل كيانهم دون أن يبالوا به ، وعندئذ بدأ في دراسة الاسلام ، وتغيرت فكرته الموروثة عنه فرأى من واجبه أن يعلن عما اهتدى اليه في كتابه الذى أصدره باسم (الاسلام خواطر وسوانح) وفيه يشرح خواطره التي نجتزيء منها بالآتى (٣) : ــ

اولا ــ فكرة التوحيد :

يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبى محمد ﷺ من مطالعة التوراة والانجيل اذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث ، وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته ، فظهور اعتقاده

---

(١) هو اللورد هيدلى وقد ذكر ذلك عنه في كتاب « أوروبا والاسلام » للمرحوم الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) « كتاب في الدعوة الى الاسلام بين غير المسلمين » لكاتب هذا المقال .

(٣) المرجع السابق .

بالتوحيد دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته وهو بذاته أكبر دليل على حقيقة رسالته وأمانته فى نبوته .

ثانيا — عن صدق الرسول وسمو رسالته يقول :

لقد دأب كثير من أعداء الاسلام ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما ، ورغم الوضوح الظاهر فى صدقه ، وفى سمو الرسالة الاسلامية فان هؤلاء الأعداء لا يزالون يبدأون ويعيدون فى ترداد التشكيك فيهما مع أن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى ،آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار فى جمالها ، وكفى رفيع عبارتها لاقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها ، وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب بعض الآيات من سورة مريم .

ثالثا — عن الوحى النازل على نبى الاسلام يقول :

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه فظنوا أن تلك الفترات التى يغيب فيها الرسول عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقا فى الملأ الأعلى انما هى فترات مرضية أو هى الصرع ، ورغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستندا الى الاختلاف الكلى بين أعراض الصرع وأعراض الوحى فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة ، فقد كانت انفعالات الوحى تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم أن به جنة وهو رأى باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية ، وليس من الناس من عرفت عنه أحواله فى حياته كلها مثل نبى الاسلام فلقد وصل المحدثون عنه الى انهم كانوا يعدون الشعر الأبيض فى لحيته ، ولو كان مريضا لما خفى مرضه على أحد .

لقد كانت حالته فى انفعالاته وتاثراته مثل تلك التى قال عنها نبى بنى اسرائيل فى وصفها (لقد شعرت بأن قلبى انكسر بين أضلعى وارتعشت حتى العظام فصرت كالنشوان لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة) .

رابعا — عن وفاة الرسول (ﷺ) يقول :

ذكر الرسول الفقراء ساعة احتضاره لأنه لم يرغب طول حياته فى المال ، بل كلما جمع اليه شىء منه أنفقه فى الصدقات حتى اذا كان آخر يوم له فى الحياة الدنيا قصد الى المسجد وخطب الناس فحمد الله ثم قال (أيها الذين تسمعون قولى ان كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى فليضربه وان كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى ، وان كنت سلبت أحدا ماله فاليه مالى يقتص منه وهو فى حل من غضبى فان الغل بعيد عن قلبى) .

ثم نزل عن المنبر وصلى بجماعة المسلمين ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من ازاره وطلب منه ثلاثة دراهم دينا له فأداها على الفور قائلا (لخزى الدنيا اهون من خزى الآخرة) ثم دعا لمن حارب معه فى احد وسأل الله لهم الرحمة والمغفرة ، ثم أوصله الصحابة الى بيته حيث اشتد عليه المرض ومعالجة سكرات الموت حتى توفى (١) •

القس ميشون :

يقول هذا القس ان من كان يدخل فى الاسلام من الأمم التى فتحها المسلمون ، ورفرف عليها علم الملة المحمدية (٢) انما يدخله بعد أن عرف مزايا هذا الدين واتسامه بالصدق والبراهين المنطقية واتفاقه مع العقل وعدم رضاه عن التقليد الأعمى والحاحه الدائم على النظر فى آيات الكون ، فهو كالبضاعة الجيدة يعرضها التاجر أمام المشترين واثقا من أنها ترضى أصحاب الأذواق الجيدة منهم ، وليس مثل سواه من الأديان التى يقول أصحابها انها فوق مدارك العقول ، لأن الله الحكيم لا يكلف عباده الا بما يعقلون ولا يكلفهم بمالا يعقلون •

ان المسلمين كانوا بعد فتحهم للبلاد يتركون الناس أحرارا فى معتقداتهم بعد أن يبلغوهم دين ربهم عملا بقوله تعالى : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) سورة البقرة ٢٥٦ •

وعندما كانوا يعرضون عليهم الاسلام يمتثلون قول ربهم (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) سورة النحل ١٢٥ •

فان لم تجد معهم الدعوة بالحسنى تركوا لمصيرهم وترك أمرهم الى خالقهم عملا بقوله سبحانه : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) سورة يونس ٩٩ ، ١٠٠ •

ولم يسلك المسلمون الفاتحون سبيل الاكراه لثقتهم أن الاسلام ينساق الى النفوس ويمرق الى القلوب لما فيه من أسباب الهدى والاطمئنان ولا أدل على ذلك من بقاء اليهودية والنصرانية فى بلادهم وحرية أهلها فى معابدهم وعباداتهم وأملاكهم وأرزاقهم وذلك أمر مشاهد ملموس حتى اليوم (٣) •

---

(١) كتاب أوروبا والاسلام للمرحوم الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود .
(٢) يقصد الملة الاسلامية .
(٣) كتاب « نافذة على الايمان » تأليف فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

ول ديورانت : صاحب كتاب (قصة الحضارة) الموسوعة التاريخية الضخمة ، أشاد بفضل النبى محمد ﷺ وأنه باعث الحضارة الاسلامية فيقول (اذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا : ان محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ فلقد رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله .

كانت بلاد العرب حين بدأ الدعوة صحراء جدباء تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عديدها متفرقة كلمتها وتركها عند وفاته أمة موحدة متماسكة ، كبح فيهم جماح التعصب والخرافات وأقام فوق اليهودية والمسيحية والوثنية دين بلاده القديم دينا سهلا واضحا قويا ، وصرحا خلقيا قوامه البسالة والعزة القومية واستطاع فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة وأن يبقى الى يومنا هذا أمة ذات قوة وشأن عظيم فى نصف العالم .

أما عن حياة هذا النبى ﷺ فكانت غاية فى البساطة فمساكنه كلها كانت من اللبن ، وسقفها من جريد النخل وطعامه الأساسى التمر وخبز الشعير ، وكان اللبن وعسل النحل كل ما يستمتع به من الترف فى بعض الأحيان .

وعن معاملته يقول : كان النبى لطيفا مع العظماء ، بشوشا فى أوجه الضعفاء ، عظيما مهيبا أمام المتعاظمين والمتكبرين ، متسامحا مع أعدائه ، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان وكان يرفض أن يوجه اليه شىء من التعظيم الخاص ، ولم يكن ينفق على أسرته الا القليل من المال رغم ما كان يرد اليه من الفىء وغيره من الموارد ، أما ماكان ينفقه على نفسه كان أقل من القليل وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال ، ومع ذلك كان مرهف الحس الى أقصى حد لا يطيق الروائح الكريهة ولا الأصوات العالية (1) عملا بما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**) سورة لقمان ١٩ .

السيرتوماس أرنولد :

ألف ذلك العلامة كتابا أسماه (الدعوة الى الاسلام) فيه يسوق الأدلة والبراهين على أن الاسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم أعداؤه ومن هذه البراهين : ــ

١ ــ اسلام بعض قواد الصليبيين قبل موقعة حطين أى قبل انكسار شوكتهم فى هذه المعركة بل كان وهم فى أوج قوتهم مما يدل على أنهم أسلموا عن طريق الاقتناع الذى هو الطريق الى الاسلام دائما .

٢ ــ اسلام المغول فى وقت كانوا فيه المتغلبون على العرب بل وعلى غير العرب .

٣ ــ انتشار الاسلام فى الملايو وأندونيسيا والفلبين دون أن تطأ هذه البلاد قدم جندى عربى واحد ولكن عن طريق التجار وغيرهم

(1) كتاب « محمد الانسان والرسول » اعداد محمد عبد العزيز .

الاسلام ونبيه

وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأى سيف كان يجبر هؤلاء الصليبين العتاة وهؤلاء المغول الجبابرة على الاسلام ؟

ولكن كل ما نقوله ان الذى جعلهم يسلمون هو سماحة الاسلام وعظمته ، هذا بجانب ان الله سبحانه وتعالى ينهى عن استعمال الشدة فى نشر الدين تطبيقا لقوله تعالى (لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) سورة البقرة ٢٥٦ .

كما يقول سبحانه (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) سورة النحل ١٢٥ .

اما استخدام السيف فلا مجال له فى نشر الدين اللهم الا فى حالة الدفاع عنه فهذا أمر واجب يقره العقل قبل الدين (١) .

جوستاف لوبون :

يقول هذا المفكر : ان للاسلام وحده الفخار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد فى أنحاء العالم ، فالاله الواحد المطلق الذى دعا اليه الاسلام منزه عن شريك له ، وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، وفى التوحيد سر قوة الاسلام ، وهو من أكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيبا للنفوس ودعوة الى العدل والى التسامح ، وفى الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب .

والاسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة وهذا التسامح (٢) .

وبعد

فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق الى المجتمع الأمثل وتؤمن بأن هذا المجتمع لايوجد الا فى اطار الاسلام وفى هدى نبيه محمد ﷺ ، لقد عرفت البشرية المجتمع اليونانى ، والرومانى ، والفارسى والهندى ، وعرفت المجتمع الغربى الحديث الذى شكلته الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والمسيحية الغربية ، والذى أنتج مناهج مختلفة ونظما ومبادىء متناقضة تخبط فيها العالم المعاصر حتى أفلست رغم حضارته المادية السامقة وذلك لخلوها من الروح الانسانى والايمان المطلق بعقيدة التوحيد .

كذلك عرفت البشرية العهد الاسلامى الزاهر الذى لم يسبق له مثيل ، ثم مضت فترة وبقى عليها الآن أن تعود الى تجربة المنهج الاسلامى من جديد وهو المنهج القادر وحده على العطاء لأنه قائم فى أساسه على الايمان بالله الواحد الأحد رب السموات والأرض ، ذلك الايمان الذى يولد الحب والرحمة والعدل والحرية فى كل الأمم والشعوب ولا يفرق بين طوائف البشر .

قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) سورة الصف ٩ .

محمد عزت الطهطاوى

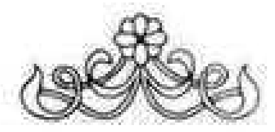
---

(١) كتاب « الدعوة الى الاسلام » للسير توماس ارنولد ترجمة ابراهيم حسن وآخرين .

(٢) كتاب « صفحات مضيئة من تراث الاسلام » تأليف الاستاذ أنور الجندى .

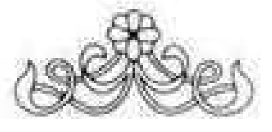
الرسول صلى الله عليه وسلم

فى باقة من حديث الأئمة الأقدمين



المختار من "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"

المختار من "الشمائل للترمذى"



المختار من "وفاء الوفا" للسمهودى

المختار من "الشمائل للترمذي" مطعمه ومشربه

"صلى الله عليه وسلم"

(باب ما جاء فى صفة أكل رسول الله ﷺ)

قال الترمذى رضى الله عنه : (١)

المقصود بيان الأخبار الواردة فى صفة أكله ﷺ . والأكل بفتح الهمزة وسكون الكاف ادخال جامد من الفم الى البطن ، سواء كان بقصد التغذى أو غيره . وخرج بالجامد المائع فادخاله ليس بأكل وانما يسمى شربا ، والأكل بضم الهمزة اسم لما يؤكل . والمراد من الباب بيان بعض آداب أكله ﷺ .

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا الفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بنُ سُلَيْمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ ابنَ مَالِكٍ يَقُولُ : أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِتَمْرٍ فَرَأَيْتُهُ يَأْكُلُ وَهُوَ مُقْعٍ مِنَ الجُوعِ » .

قوله (أتى رسول الله ﷺ بتمر) أى جيء . والتمر بفتح التاء وسكون الميم ثمر النخل المجفف .

قوله (فرأيته يأكل وهو مقع من الجوع) ومقع بمعنى متساند الى الوراء من الضعف

---

(١) هو ابو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى منسوب الى بنى سليم « بالتصغير » قبيلة من عيلان كذا ذكر ابن عساكر .

وقال ابن السمعانى: ابن شداد بدل ابن الضحاك ؛ قال: هو البوقى نسبة الى « بوغ » قرية من قرى (ترمذ) كنيته ابو عيسى .

ولد سنة تسع ومائتين فى الثالث عشر من رجب كذا نص عليه جمع منهم المستغفرى والنجارى وابن ماكولا . قيل ولد أكمه . وتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين فيكون عمره سبعين سنة .

وكان يضرب به المثل فى الحفظ .

قال المروزى قال الترمذى : كنت فى طريق مكة وكنت كتبت جزءين من احاديث شيخ فمر بنا ذلك الشيخ فذهبت اليه وانا اظن ان الجزءين معى ولكنى حملت معى غيرهما ثم سألت الشيخ ان يسمع لى فأجابنى فأخذت الجزءين فاذا هما بياض فتحيرت فجعل الشيخ يقرأ فرأى البياض فى يدى فقال لى اما تستحى فقصصت عليه القصة وقلت انى احفظهما فقال : اقرأ فقرأت ما على الولاء فما اخطأت فى حرف منهما فقال الشيخ ما مر بى مثلك قط .

كان رحمه الله أحد الأئمة الاعلام ، وحفاظ مشايخ الاسلام و « جامعه »

والمصنف تلميذ ابى عبد الله محمد بن اسماعيل (البخارى) وشاركه فى بعض شيوخه مثل قتيبة ابن سعيد ، وعلى بن حجر ، وابن بشار ، والدارمى ونظرائهم .

(●) باختصار مع المحافظة التامة على الاصل.

الحاصل له من الجوع . وليس فى هذا ما يدل على أن الاستناد من آداب الأكل ، لأنه ﷺ انما فعله لضرورة الضعف . وليس المراد فى الحديث بالاقعاء النوع المسنون فى الجلوس بين السجدتين ، ولا النوع المكروه فى الصلاة وهو الجلوس على الليتيه ناصبا فخذيه . وانما المراد به مجرد الاستناد .

(باب ما جاء فى صفة خبز رسول الله ﷺ)

أى باب بيان الأخبار الواردة فى صفة خبز رسول الله ﷺ ، والخبز بضم الخاء وسكون الباء الشيء المخبوز فى النار ، وبفتح الخاء اصطناعه . وفيه أن خبزه ﷺ كان من شعير فى غالب الأوقات وأنه لم يأكل خبزا مرققا الى أن فارق الدنيا .

« حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالاَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْن جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِى إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَٰنِ بْنَ يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » .

قوله (من خبز الشعير يومين متتاليين) بقول الشعير خرج البر ، وفى رواية البخارى « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » ، ويؤخذ منه أن المراد هنا اليومان المتتاليان بلياليهما . وبقوله متتابعين خرج به المتفرقين .

قوله (حتى قبض رسول ﷺ) اشارة الى استمراره على تلك الحالة مدة اقامته بالمدينة الى أن فارق الدنيا ، ولا ينافى ذلك انه كان يدخر لعياله قوت سنة لأنه انما كان يفعل ذلك لا على وجه الشبع بل على وجه المؤنة .

« حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيُّ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا هُوَ وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمُ الشَّعِيرَ » .

قوله (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا هو وأهله لا يجدون عشاء) قوله كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، أى يقضى اياما متتابعة بلياليها جائعا ، أى أنه كان يرضى بجوعه هو وأهل بيته عند عدم وجود شيء ، ولا يسأل غنيا ولا فقيرا من أصحابه شيئا ، اذ لو علم هؤلاء بحاجته لبذلوا الجهد فى تقديم تلك الحاجة اليه استبقاء على ايثاره على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . وهذا يدل



على فضل الرضا بالفقر وتجنب السؤال حتى مع الجوع والحاجة . وقوله لا يجدون عشاء بفتح العين وهو ما يؤكل فى الليل ، أو ما تقاربه من آخر النهار ، أو ما يؤكل آخر النهار بعد الزوال .

قوله (وكان أكثر خبزهم الشعير) اى أقراص الشعير ، وهذا يدل على ما كان عليه ﷺ من ستر حاله عن أصحابه لشرف نفسه وفخامة منصبه ورأفته بهم ورحمته وعلو همته ومزيد حشمته . وقد قال « لقمان » لابنه وهو يعظه ـ يابنى ان افتقرت يوما فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله عز وجل ولا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم ـ .

« حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْبَأَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ يَعْنِي الْحُوَّارَى ، فَقَالَ سَهْلٌ : مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . فَقِيلَ لَهُ : هَلْ كَانَتْ لَكُمْ مَنَاخِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ مَا كَانَتْ لَنَا » .

قوله (انه قيل له أكل رسول الله ﷺ النقى يعنى الحوارى) قوله انه قيل له أى قال له بعضهم على وجه الاستفهام . وقوله أكل رسول الله ﷺ بحذف همزة الاستفهام وفى نسخة باثباتها . وقوله النقى يعنى الحوارى أى الخبز المنقى من النخالة ، أى المنخول دقيقه . وقوله يعنى الحوارى بفتح الراء تفسير من الراوى أدرجه فى الخبر وهو بضم المهملة وفتح الواو والراء وتشديد الواو وآخره ألف تأنيث مقصورة مأخوذة من الدقيق ينخل مرارا فهو خلاصة الدقيق (١) وأبيضه اذ هو من التحوير الذى هو التبييض .

قوله (فقال سهل مارأى رسول الله ﷺ النقى حتى لقى الله عز وجل) فيه اجابة من الراوى بنفى الرؤية مع أنه سئل عن الأكل ، لأن نفى الرؤية أبلغ . وقوله حتى لقى الله عز وجل أى حتى فارق الدنيا ، لأن الميت بمجرد خروج روحه يكون بصدد ملاقاة ربه ، اذ الحائل بين الله والعبد هو التعلقات الجسمية ، وهذه تنتهى بالموت .

قوله (فقيل له هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ) أى فقال بعضهم لسهل هل كانت لكم معشر الصحابة من المهاجرين والأنصار مناخل فى زمن رسول الله ﷺ ، والمناخل واحده منخل وهو اسم آلة على غير قياس اذ القياس كسر الميم وفتح الخاء ، وهو ما يغربل به الدقيق ليخرج منه النخالة ونحوها .

قوله (ما كانت لنا مناخل) فيه مطابقة الجواب للسؤال ، وهذا ينفى وجود المناخل

---

(١) الحوارى : اى الدقيق الأبيض المنخول الخالى من النخالة ومن غيرها والذى نسميه الآن « العلامة » ويصنع منه الخبز الأبيض وفاخر الأطعمة .

في العهد المحمدي كله . وهي انما اتخذت بعده .

قوله (كيف كنتم تصنعون بالشعير) أي بدقيقه ، علما بكثرة نخالته والمواد الغريبة فيه .

قوله (كنا ننفخه فيطير منه ما طار) قوله كنا ننفخه أي ننفخ فيه ، والنفخ ارسال الهواء بالفم الى الشيء ويجوز أن يكون النفخ بآلة . وقوله فيطير منه ما طار ، أي يطير منه ما خف كالقشر والتبن والقش ، ويبقى ما فيه رزانة كالدقيق .

قوله (ثم نعجنه) أي نهيئه خبزا .

« حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ ، رَبَّنَا » .

قوله (كان رسول الله ﷺ اذا رفعت المائدة من بين يديه) فيه اشعار بأن الحمد يطلب بعد الفراغ من الأكل ، وانكر ابن الحاج البسملة على كل لقمة وقال : وان كان هذا حسنا فالتمسك بالسنة أحسن منه ، وهي التسمية أولا والحمد آخرا . والمراد بالمائدة هنا السفرة وشبهها مما يوضع عليه الطعام ويصان من الأرض ، لا خوان الخشب المعد لذلك الذي يستعمله الناس اليوم ، وقد تطلق المائدة على الطعام نفسه كما قال تعالى : (نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا) . وقوله من بين يديه أي من أمامه أي عند فراغه من الأكل وان لم يكن الرفع ضروريا .

قوله (يقول الحمد لله) ويقول أي رافعا صوته للتعليم ، وان كانت سنة الحمد الاسرار به كما قال علماؤنا . وقوله الحمد لله تقدم الكلام عليها .

قوله (حمدا كثيرا طيبا) أي خالصا من الرياء والسمعة التي لا تليق بجنابه تعالى .

قوله (مباركا فيه) أي حمدا ذا بركة لا تنقطع .

قوله (غير مودع) أي غير متروك بل الاشتغال به دائم من غير انقطاع كما أن نعمه سبحانه وتعالى متوالية علينا لا تنقطع عنا طرفة عين .

قوله (ولا مستغنى عنه) والضمير اما عائد على الحمد أو على الله وعلى الاحتمالين ، فالمعنى أنه لا يستغنى عنه بل يحتاج اليه كل أحد لبقاء نعمته واستمرارها .

قوله (ربنا) وهو اما بالرفع فيكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره أنت أي اسمع حمدنا ودعاءنا ، واما بالنصب على أنه منادى أي ياربنا اسمع ، واما بالجر بدل من لفظ الجلالة أو من الضمير المجرور بعن ويؤيده رواية الدارمي لهذا الحديث « ولا مستغنى عن ربنا » .

« حَدَّثَنَا هَنَّادٌ وَمَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ سَعِيدِ

ابْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » .

(قوله) قال قال رسول الله ﷺ ان الله ليرضى عن العبد) أى يثيبه ويرحمه ، فهو احسان مخصوص واكرام عظيم يتلقى عبده به ، وهذا اذا كان أكله على وجه العبادة وللقيام بحق البدن .

قوله (أن يأكل الأكلة) بفتح الهمزة ويجوز ضمها ، ورواية الضم لا تلائم هنا . ومعناها على الفتح المرة من الأكل ، أما على الضم فهى اللقمة .

قوله (فيحمده) لأن الحمد شكر على النعمة وأنها ولو قلت تستدعى الشكر عليها طلبا للمزيد منها واستدرارا لرضا الله تعالى ، الذى هو أشرف أحوال أهل الجنة للحديث (أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا) .

قوله (أو يشرب الشربة فيحمده عليها) وأو للتنويع لا للشك ، والشراب مثل الطعام فى أن الحمد بعده يرضى الرب .

(باب ما جاء فى قدح رسول الله ﷺ)

أى باب بيان الأخبار الواردة فى صفة قدح رسول الله ﷺ ، والقدح بالتحريك ما يشرب فيه ، وهو اناء لا صغير ولا كبير وجمعه أقداح ، وكان له ﷺ قدح يسمى « الريان » ، وآخر يسمى « مغيث » ، وقدح مضبب بسلسلة من فضة فى ثلاثة مواضع وآخر من زجاج ، وقدح من عيدان أى خشب النخل .

« حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الأَسْوَدِ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ طَهْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَدَحَ خَشَبٍ غَلِيظًا مُضَبَّبًا بِحَدِيدٍ فَقَالَ يَا ثَابِتُ هَذَا قَدَحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » .

قوله (قال أخرج الينا أنس بن مالك قدح خشب غليظا مضببا بحديد) أى مشدودا بضباب من حديد ، جمع ضبة وهى حديدة عريضة يجمع بها الخشب وتمنعه من الانفصال والتفرق ، وفى بعض النسخ بجر غليظ ومضبب .

قوله (فقال يا ثابت هذا قدح رسول الله ﷺ) ثبت فى الصحيح أن قدح النبى ﷺ الذى كان عند أنس هو قدح جيد عريض أى طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وهو العود الخالص ، وقال بعض أرباب السير أصله من النبع وقيل من الأثل يميل الى الصفرة ، وفى الصحيح أيضا أن القدح انصدع فسلسل بعضه ببعض بحديد كما فى هذه الرواية ، وفى رواية البخارى عن عاصم الأحول أن القدح سلسل بفضة .

(باب ما جاء في صفة فاكهة رسول الله ﷺ)

أي باب بيان الأخبار الواردة في صفة فاكهة رسول الله ﷺ ، والفاكهة ما يتفكه به أي يتنعم ويتلذذ بأكله رطبا كان أو يابسا ولا يتداوى به كتين وبطيخ وزبيب ورطب وعنب ، وفي « القاموس » الفاكهة الثمر كله .

« حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الْفَزَارِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ الْقِثَّاءَ بِالرُّطَبِ » .

قوله (كان النبي ﷺ يأكل القثاء بالرطب) والقثاء بكسر القاف وتشديد المثلثة وفتحها ممدودا ، نوع من الخيار ، وقيل هو اسم جنس لما يشمل الخيار والعجور . والرطب ثمر النخل اذا نضج قبل أن يتتمر . وأكل كل منهما بالآخر ، دفعا لضرر كل منهما اذا أكل على حدة واصلاحا له بالآخر ، لأن القثاء بارد رطب مسكن للعطش منعش للقوى الفطرية مطفىء للحرارة الملتهبة نافع لأوجاع المثانة وغيرها وفيه جلاء وتفتيح . والرطب حار رطب يقوى المعدة الباردة » .

« حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيُّ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ هِشَامِ ابْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ الْبِطِّيخَ بِالرُّطَبِ » .

قوله (قالت كان رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب) والبطيخ بكسر الباء وتشديد الطاء ، نوع من اليقطين لا تعلو سيقانه بل تمتد على الأرض ، ثمره حلو بارد . والرطب ثمر النخل اذا نضج قبل أن يتتمر وهو حار ، وحكمة أكله ﷺ البطيخ بالرطب أنه بجمعهما يحصل الاعتدال بين البارد والحار ، وقد أشار لذلك في خبر صحيح بقوله « ويكسر حر هذا برد هذا » أي وبالعكس ، هذا يدل على أنه ﷺ كان يراعى في أكله صفات الأطعمة واستعمالها على مقتضى قانون التغذية على الوجه الطبى .

(باب ما جاء في صفة شراب رسول الله ﷺ)

أي باب بيان ما جاء من الأخبار في صفة شراب رسول الله ﷺ . والشراب ما يشرب من المائعات ، يقال شربت الماء وغيره من باب علم ، ومصدره شرب بالفتح والضم والكسر ولكنه بالفتح مصدر قياسي وبالضم والكسر مصدران سماعيان .

« حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ أَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحُلْوَ الْبَارِدَ » .

قوله (كان أحب الشراب الى رسول الله ﷺ **الحلو البارد**) برفع أحب ونصب الحلو والبارد صفة . وقيل بالعكس ، والمراد بالحلو البارد الماء العذب البارد لما روى عن أبي داود « كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا . » ،

وهي عين بينها وبين المدينة يومان . واستعذاب الماء لا ينافى الزهد ولا يدخل فى الترفه المذموم ، بخلاف تطييبه ، فقد كرهه مالك لما فيه من السرف . وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه ، وشربه فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق ، واخلاص الشكر للمنعم ، من غير أن يكون فيه اشعار بتكلف بخلاف المآكل ، ولذا كان ﷺ يستعمل أنفس الشراب لا أنفس الطعام غالبا . ويحتمل أن يكون المراد بالحلو البارد الماء الممزوج بالعسل ، قال ابن القيم : فان فيه من حفظ الصحة مالا يهتدى اليه أفاضل الأطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ، ويغسل خمل المعدة ، ويجلو لزوجتها ، ويدفع عنها الفضلات ، ويفتح سددها . ويحتمل أن المراد به المنقوع فيه تمر أو زبيب وكان ﷺ يشرب اللبن تارة خالصا وتارة يجعله مجيعا اى مخلوطا بتمر . وفى البخارى أنه ﷺ دخل على أنصارى فى حائط له (١) وهو يحول الماء (٢) فقال له ان كان عندك ماء بات فى شن (٣) والا كرعنا (٤) ، فانطلق الرجل للعريش فسكب فى قدح ماء ثم حلب عليه من داجن (٥) ، فشرب ﷺ » .

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عُمَرَ هُوَ ابْنُ أبى حرملة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مَيْمُونَةَ ، فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَى يَمِينِهِ وَخَالِدٌ عَنْ شِمَالِهِ ، فَقَالَ لِي الشَّرْبَةُ لَكَ فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا ، فَقُلْتُ مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَبَنًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرُ اللَّبَنِ » .

قوله (دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد ابن الوليد على ميمونة) قوله أنا وخالد بن الوليد ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو سليمان قائد قريش فى واقعة « أحد » ، أسلم فى صفر سنة ثمان ، وشهد غزوة « مؤتة » ، وفتح مكة ، وكان عامل اليمن . وقاتل أهل الردة بأمر ابى بكر وأرغمهم على العود للاسلام ، وافتتح طائفة من الأمصار ، لقب بسيف الاسلام . له ثمانية

(١) الحائط اى البستان .
(٢) وهو يحول الماء اى يروى البستان .
(٣) الشن القربة تعلق وفيها الماء طول الليل او فى الظل نهارا ليبرد الماء .
(٤) كرعنا : وفعله كرع بكسر الراء اى من باب نعم ومعناه تناول الماء من موضعه .
(٥) داجن : اى حلوب من الضأن او المعز .

عشر حديثا روى له الشيخان وعنه ابن عباس وقيس بن أبي حازم وجماعة . مات سنة احدى وعشرين « بحمص » ، وقيل بالمدينة .
وقوله على ميمونة بنت الحرث بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال العامرية الهلالية ، أم المؤمنين ، وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ . لها ستة وأربعون حديثا ، روى لها الشيخان وعنها ابن عباس ويزيد بن الأعصم وجماعة . توفيت سنة احدى وخمسين .

قوله (فجاءتنا باناء من لبن) أى باناء مملوء لبنا .

قوله (فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمنه وخالد عن شماله) أى فشرب من الاناء المملوء باللبن . وقوله وأنا على يمينه وخالد عن شماله ، أى والحال أنى على يمينه ، وخالد عن شماله . وتعبيره بعلى فى الأول ، وعن فى الثانى للتفنن ، الذى هو ارتكاب فنين فى التعبير مع اتحاد المعنى ، وهما هنا بمعنى واحد ، وهو مجرد الحضور .

قوله (فقال لى الشربة لك) أى لأنك صاحب اليمين ، وقد ورد « الأيمن فالأيمن » رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن عن أنس قاله فى « جمع الوسائل » .

ويستفاد منه تقديم الأيمن ندبا ولو صغيرا .

قوله (فان شئت آثرت بها خالدا) أى لأن خالدا أكبر من ابن عباس سنا .

وقول النبى ﷺ فان شئت آثرت بها خالدا ، لا يدل على ندب الايثار وانما يدل على أن الحق فى ذلك للمخلوق ، فله اسقاطه . ثم فى نسبة المشيئة اليه تطييب لخاطره ، وتنبيه له على تفضيل الايثار ، لأنه أولى له ، لأن ذلك مقتضى الأدب مع الكبير .

قوله (فقلت ما كنت لأوثر على سؤرك أحدا) أى ما كنت لأفضل بسؤرك أحدا ، أى أحدا آخر . والسؤر بضم السين وسكون الهمزة ما بقى من الشراب فى الاناء ، والمعنى لا ينبغى أن أقدم أحدا على تناول ما بقى من شرابك غيرى ليفوز به ، لما فيه من البركة . ولا يضر عدم ايثاره غيره ، ولهذا أقره النبى ﷺ ، وانما قصد النبى ﷺ بتفويض الايثار لابن عباس ، لرئاسة خالد فى قومه ، وشرف نسبه ، وقرب عهده بالاسلام ، فأراد تطييب خاطره وتألفه بذلك . وقد نقل عن بعض الصحابة أنه لما أقرع النبى ﷺ بين رجل وولده فى الخروج للجهاد ، أصابت القرعة الولد ، فقال له أبوه آثرنى ، فقال الولد يا أبت لا يؤثر بالجنة أحد أبدا ، فأقره النبى ﷺ على ذلك مع أن بر الوالدين متأكد .

ويؤخذ من هذا الحديث : أن من سبق الى مجلس عالم أو كبير وجلس بمحل لا ينتقل منه لمجىء من هو أفضل منه ، بل يجلس ذلك الجائى حيث ينتهى به المجلس ، ولا ينتظر قيام أحد ولو أن المكان الذى يجلس فيه دونه .

قوله (ثم قال رسول الله ﷺ من أطعمه الله طعاما فليقل) أى ندبا مؤكدا .

قوله (اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه) الظاهر أنه يأتى باللفظ المذكور وان كان

وحده بل وان كان امرأة رعاية للفظ الوارد وملاحظة للعموم . والجمع هنا فى الضمير لعاشر المسلمين أو الآكلين .

قوله (ومن سقاه الله عز وجل لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) فيه أنه لا خير من اللبن بالنسبة لكل أحد ، وبالنسبة لكل شراب ، ولكل طعام ، حتى الثريد واللحم وان كان سيد الادام كما سبق .

وحكمة الدعاء حين الطعام والشراب اسناد ذلك الى الله تعالى ورفع مدخلية غيره فى ذلك .

(باب ما جاء فى صفة شرب رسول الله ﷺ)

وجاء فى نسخة صحيحة اسقاط لفظ صفة ، والقصد بيان الأخبار التى فيها كيفية شربه ﷺ ، والشربيتثليث الشين وسكون الراء معناه حقيقة المص ، ويطلق على غيره مجازا وقد قرىء فى قوله تعالى (**فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**) بالحركات الثلاث لكنه بالكسر شاذ ، اذ هو فى معنى النصيب أشهر قال تعالى (**ولها شرب يوم معلوم**) . والفرق بين هذا الباب والذى قبله أن المراد هنا كيفية شربه ﷺ قائما ، أو قاعدا ، أو على مرات ، أو غيره لا بيان صفة المشروب الذى مر فى الباب السابق .

« **حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَنبأنَا عَاصِمٌ الأَحْوَلُ وَمُغِيرَةُ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ** » .

قوله (أن النبى ﷺ شرب من زمزم وهو قائم) قيل كان الشرب فى حجة الوداع . وقوله من زمزم اسم للبئر المعروفة بالحرم المكى ، وليس بينها وبين الكعبة الا المطاف ، سميت بذلك لأن هاجر أم سيدنا اسماعيل لما تفجرت لها العين وفاض ماؤها قالت لها زمى زمى ، أى أمسكى ، وقيل غير ذلك . وقوله وهو قائم وهذا الحديث صحيح وفى « مسلم » وغيره أن النبى ﷺ نهى عن الشرب قائما ، لأن فيه ضررا وآفات : منها أنه لا يحصل به الرى التام ، ولا يستقر الماء فى المعدة فلا يستطيع الكبد استقباله وتوزيعه على الأعضاء ، وفى الشرب قائما نزول الماء بسرعة الى المعدة وهو أمر يخشى منه أن يبرد حرارتها ، وعلى هذا فان رسول الله ﷺ ما فعله الا لبيان الجواز فليس مكروها فى حقه بل فى حق غيره وواجب عليه ﷺ .

« **حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَقَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ** » .

(**فائدة**) هذا الحديث والذى قبله عما لابن عباس ومعناهما واحد وان اختلفا فى العبارة وفى السند .

« **حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وَقَاعِدًا** » .

المختار من

الشفا بتعريف حقوق المصطفى

تقديم الاستاذ
احمد حسن كفافى

قال رضى الله عنه (١) .

القسم الاول فى (تعظيم العلىّ الاعلى لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا)

---

(١) ترجمة القاضى عياض :

نسبه : هو ابو الفضل عياض بن موسى بـن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبى ، السبتى الغرناطى المالكى :

مولـده : ولد بسبتة فى المغرب فى شهرشعبان سنة ستا وسبعين واربعمائة . فهو سبتى الدار والميلاد ، اندلسى الاصل ، فان اصوله نشأوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس .

وظائفه : كان قاضى سبتة بالمغرب مدة طويلة، ثم نقل الى غرناطة فى سنة احـدى وثـلاثين وخمسمائة ، ولم يطل امده بها ثم ولى قضاء سبتة ثانيا .

مكانته العلمية : كان بحرا فى العلوم النقليـة والعقلية اديبا بليغا . وفى طبقات ابن فرحـون لعلماء المالكية : انه كان اما فى الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر مـن تاليفه ثلاثين تاليفا جليلا . وانشد من شعره :

الله يعـلم انى منذ لم اركم ... كطائر خانه ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم ... وان بكن بعدكم حين جناحين*%
وقال انظر الى الزرع وخاماته ... يحكى وقد ماست امام الرياح
كتيبـة خضراء مهـزومة ... شقائق النعمان فيها جـراح

مؤلفاته : له مؤلفات كثيرة : منها شرح مسلم ، و (مشارق الانوار على صحاح الآثار) فى شكل الاصول الثلاثة الموطأ . البخارى . مسـلم فى جزءين كل جزء خمس واربعمائة صفحة من القطع الكبير رتبه على حروف المعجم : مثل شكل الاسماء والكنى والانساب والمواضع فى كل حرف من حروف الهجاء فى الكتب الثلاثة . وختمه بباب فى الجمل التى وقـع فيها التصحيف او وقع فيه طمس الى تغيير وماجاء من الوهم فى الكتب الثلاثة فى حـرف من القرآن . وباب فى الفاظ جمل يحتاج الى تعريف صوابها والباب الثالث والاخير فى الحاق مابتر من الحديث او بيض للشك فيه او لعلة او نقص منـه فى هذه الكتب والكتاب فريد فى نوعه .

ومنها الشفا فى تعريف حقوق المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وله شروح .

وفاته : كانت وفاته يوم الجمعة بمـراكش فى جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسمـائة .

(*) كذا بالاصل ، ولفظ"جنى"كتب بالاصل الفا وهو من الجناية يريد ان البعد حين وقع جر موتا بعده فكان جناية جرت جناية .

لاخفاء على من مارس شيئا من العلم ، أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والأقلام .

فمنها : ما صرح به تعالى فى كتابه ، ونبه به على جليل نصابه ، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه ، وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله — هو الذى تفضل وأولى ، ثم طهر وزكى ، ثم مدح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاء ، الأوفى فله الفضل بدءا أو عودا ، والحمد أولى وأخرى .

ومنها : ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال ، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الكريمة ، والفضائل العديدة ، وتأييده بالمعجزات الباهرة ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البينة التى شاهدها من عاصره ، ورآها من أدركه ، وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت أنواره علينا ﷺ كثيرا .

حدثنا القاضى الشهيد أبو على الحسين بن محمد الحافظ قراءة منى عليه قال : نا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا : نا أبو يعلى البغدادى قال : نا أبو على السنجى قال : نا محمد ابن أحمد بن محبوب نا أبو عيسى سورة الحافظ قال : نا اسحق بن منصور ، نا عبد الرزاق أنبأنا عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل : أبمحمد تفعل هذا ؟ .

فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال : فارفض عرقا .

الباب الاول فى ثناء الله تعالى عليه ، واظهار عظيم قدره لديه .

اعلم أن فى كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى ﷺ وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك فى عشرة فصول :

الفصل الاول : فى ما جاء من ذلك مجىء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى : (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**) الآية .

قال السمرقندى : وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضى أبو الفضل وفقه الله تعالى :

اعلم الله تعالى المؤمنين ، أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ، ويتحققون مكانه ، ويعلمون صدقه وأمانته ، فلا يتهمونه بالكذب ، وترك النصيحة لهم ، لكونه منهم ، وأنه لم تكن فى العرب قبيلة « الا ولها على رسول الله ﷺ ولادة »أو قرابة « وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى : **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ** .

وكونه من أشرفهم ، وأرفعهم ، وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة ، وأثنى عليه بمحامد كثيرة ، من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم فى دنياهم وأخراهم ، وعزته عليه ، ورأفته ورحمته بمؤمنهم .

قال بعضهم أعطاه اسمين من اسمائه رءوف رحيم ، ومثله فى الآية الأخرى قوله تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ) الآية وفى الآية الأخرى (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ) الآية ، وقوله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ) الآية .

وروى عن على بن ابى طالب — رضى الله عنه — عنه ﷺ فى قوله تعالى : من أنفسكم قال : نسبا وصهرا وحسبا ، ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح .

قال ابن الكلبى : كتبت للنبى ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ) . قال : من نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا .

وقال جعفر بن محمد : علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكى يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته (١) فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم فى الصورة (٢) وألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه الى الخلق سفيرا صادقا ، وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى :

(مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) وقال الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) قال ابو بكر بن طاهر : زين الله تعالى محمدا ﷺ بزينة الرحمة فكان كونه (٣) رحمة ، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شىء من رحمته فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى يقول : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ : فكانت حياته رحمة ومماته (٤) كما قال ﷺ حياتى « خير لكم وموتى خير لكم » وكما قال عليه الصلاة والسلام : اذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا .

وقال السمرقندى : : رحمة للعالمين يعنى للجن والانس ، وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ، ورحمة للكافر بتأخير العذاب .

---

(١) من خدمته ، اى خدمة المولى عز وجل بمزيد الطاعة . . مجلة الازهر .

(٢) اشارة الى قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : انى لست كهيئتكم ، قال الامام المراغى محمد — صلى الله عليه وسلم — لم يكن من البشر الا بقدر ما ادى الرسالة للبشر . ا هـ .

(٣) اى ذاته .

(٤) اى ومماته رحمة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو رحمة للمؤمنين والكافرين ، اذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة .

وحكى أن النبى ﷺ قال لجبريل — عليه السلام : هل أصابك من هذه الرحمة شىء ؟ قال : نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل على بقوله : ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق فى قوله تعالى : (فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) . أى بك انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد ﷺ .

وقال الله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية .

قال كعب وابن جبير : المراد بالنور الثانى هنا محمد ﷺ وقوله تعالى : مثل نوره أى نور محمد ﷺ .

وقال سهل بن عبد الله المعنى : الله هادى أهل السموات والأرض ثم قال : مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الأصلاب كمشكاة صفتها كذا .

وأراد بالمصباح قلبه ، والزجاجة صدره : أى كأنه كوكب درى لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة أى من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة .

وقوله : يكاد زيتها يضىء أى تكاد نبوة محمد ﷺ تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الآية غير هذا والله أعلم .

وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع (نُورًا وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين .

وقال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) . ومن هذا قوله تعالى :

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) السورة . شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب ، قال ابن عباس رضى الله عنهما شرحه بالاسلام ، وقال سهل : بنور الرسالة ، وقال الحسن ملاه حكما وعلما ، وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس .

(وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ)

قيل : ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة ، وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية ، وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى، وقيل : عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك . حكاه السمرقندى (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) قال يحيى ابن آدم بالنبوة ، وقيل اذا ذكرت ذكرت معى فى قوله : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وقيل فى الآذان (١) « ونكتفى من هذا الفصل بذلك خشية الاطالة » .

***

واعلم أن حرمة النبى ﷺ بعد موته وتوقيره،

(١) مابين القوسين من كلام المقدم .

وتعظيمه لازم كما كان حال حياته ﷺ وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه ، وسنته وسماع اسمه ، وسيرته ، ومعاملة آله وعترته ، وتعظيم أهل بيته ، وصحابته .

« قال أبو ابراهيم التجيبي : واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ، ويخشع ، ويتوقر ، ويسكن من حركته ، ويأخذ في هيبته واجلاله : بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، ويتأدب بما أدبنا الله به — وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين — رضي الله عنهم :

حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا : نا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال : نا أبو الحسن علي بن فهر ، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج ، نا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب . نا يعقوب بن اسحق ابن أبي اسرائيل ، ابن حميد قال :

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ . فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوما فقال : (**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**) الآية ، ومدح قوما فقال : **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ** الآية ، وذم قوما فقال : (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ**) الآية وأن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال :

يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال تعالى : (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ**) الآية .

وقال مالك : وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب أفضل منه قال : وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان اذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه . فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه .

وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب . ذلك على جلسائه . فقيل له يوما في ذلك فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون ، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد تسأله عن حديث أبدا الا يبكي حتى ترحمه ، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ الا على طهارة . وقد اختلفت اليه زمانا فما كنت أراه الا على ثلاث خصال : اما مصليا . واما صامتا . واما يقرأ القرآن . ولا يتكلم فيما لا يعنيه . وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل . ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم . وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ . ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر

عنده النبى ﷺ بكى حتى لا تبقى فى عينيه دموع . ولقد رأيت الزهرى وكان من اهنأ الناس وأقربهم فاذا ذكر عنده النبى ﷺ فكأنهما عرفك ولا عرفته ، ولقد كنت آتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبى ﷺ بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه . وروى عن قتادة أنه كان اذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل . ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم ؟ فقال : قال الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**) . وحرمته حيا وميتا سواء .

وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى ﷺ خشع .

وكان عبد الرحمن بن مهدى اذا قرأ حديث النبى ﷺ أمرهم بالسكون . وقال (**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**) ويتأوله أنه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله . « ويكفى ذلك خشية الاطالة » .

***

الباب الأول من القسم الرابع فى بيان ما هو فى حقه ﷺ سب أو نقص من تعريض أو نص :

اعلم ـــ وفقنا الله واياك ـــ أن جميع من سب النبى ﷺ ، أو عابه ، أو ألحق به نقصا فى نفسه ، أو نسبه أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو عرض به ، أو شبهه بشىء على طريق السب له ، أو الازدراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه ، والعيب له فهو ساب والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان ، أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه او تمنى مضرة له ، أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ، ومنكر من القول وزورا ، أو عيره بشىء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة ـــ رضوان الله عليهم الى علم جراء.

قال أبو بكر بن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبى ﷺ يقتل ، وممن قال ذلك مالك بن أنس ، والليث وأحمد واسحق وهو مذهب الشافعى .

قال القاضى أبو الفضل : وهو مقتضى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولا تقبل توبته عند هؤلاء .

وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه . والثورى

(١) التعقيب ـــ بين القوسين ـــ للمقدم .

وأهل الكوفة ، والأوزاعي في المسلمين . ولكنهم قالوا : هي ردة .

وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك . وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه ﷺ أو برىء منه أو كذبه .

وقال سحنون — فيمن سبه : ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبين في الباب الثاني ان شاء الله تعالى .

ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار . وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره .

وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي ابن أحمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه .

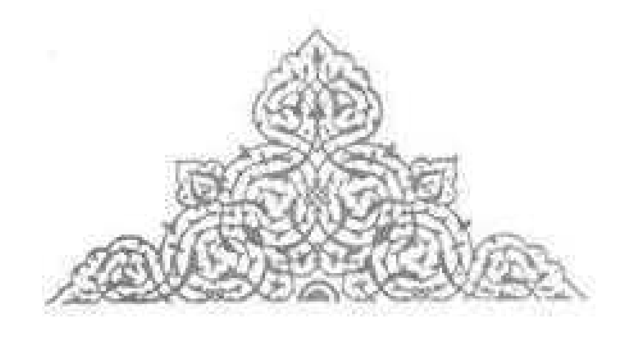
قال محمد بن سحنون : أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر . والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الأمة القتل . ومن شك في كفره وعذابه كفر (١) .

واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي ﷺ صاحبكم .

وقال ابو سليمان الخطابي : لا اعلم احدا احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما .

وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل . وحكمه عند الأمة القتل . كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره .

احمد حسن كفافي



(١) انظر لابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم .

المختار من وفاء الوفاء

للسمهودى

خصائص مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض فضائلها

تلك هو عنوان الفصل السابع من كتاب « وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ﷺ » .

وقد صنفه « الشيخ نور الدين على بن أحمد السمهودى » نزيل المدينة المنورة ، وعالمها ، ومفتيها ، ومدرسها ، ومؤرخها ، الشافعى ، المتوفى بها سنة ٩١١ تسعمائة واحدى عشرة من الهجرة .

يقع الكتاب فى أربعة أجزاء ، ويدور موضوعه حول سيرته ﷺ غير أن المدينة المنورة قد أخذت بأوفى نصيب ، وبخاصة ما يتعلق بأسمائها ، وفضائلها ، ومسجدها النبوى ، ثم ما كان يحيط به من الدور والعمران ، وماجد عليه من أحوال مختلفة فى عصور مختلفة والكتاب يزدحم بالموضوعات المهمة زيادة على ما ذكرنا .

ولقد وكلت الى « مجلة الأزهر الشريف » أن أتخير من هذا الكتاب شيئا ، فراقنى جميعه ، ولكن وجدت أن أحسن ما يختار — فى نظرى — بمناسبة ميلاده — عليه الصلاة والسلام — ذلك الفصل الذى يفصل الحديث فى خصائص مدينته وبعض فضائلها .

ان المؤلف يكثر من الاحالة فى كلامه على ما تقدم أو ما سيأتى ، لذا رأيت من التيسير على القارىء أن أبين كل موطن أحال عليه ، مدللا على مكان الكلام من صلب الكتاب ، ظنا منى بأننى اربط أجزاء الموضوع ، أو أن هناك من يهتم بمراجعة الكتاب ودراسته .

وبعد ، فيقول المؤلف عن فضائل المدينة :

هى كثيرة لا تكاد تنحصر ، وها أنا أذكر ما حضرنى منها الآن ، وان شاركتها مكة فى بعضه ، فأقول ، وبالله التوفيق :

الخاصة الأولى :

أنه ﷺ خلق من طينتها** وكذا أبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — وأكثر الصحابة والسلف ممن دفن بها .

الثانية :

اشتمالها على البقعة التى انعقد الاجماع

(*) الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م بالمدينة المنورة — حققه الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

(**) كنا نود لوساق المؤلف هنا دليلا ، فالله أعلم

تقديم الدكتور
حامد ابراهيم الخطيب

على تفضيلها على سائر البقاع ، كما تقدم تحقيقه*.

الثالثة :

دفن أفضل الأمة بها ، والكثير من الصحابة الذين هم خير القرون .

الرابعة :

أنها محفوفة بأفضل الشهداء الذين بذلوا نفوسهم فى ذات الله بين يدى نبيه ﷺ فكان شهيدا عليهم . ونقل عياض فى المدارك ، وابن الجوزى فى منسكه ، أن مالكا كان يقول فى فضل المدينة :

هى دار الهجرة والسنة ، وهى محفوفة بالشهداء ، وبها خيار الناس بعد رسول الله ﷺ .

الخامسة :

أن الله — تعالى — اختارها دارا وقرارا لأفضل خلقه وأكرمهم عليه ﷺ .

السادسة :

أن الله تعالى اختار أهلها للنصرة والايواء.

السابعة :

أن سائر البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت هى بالقرآن ، كما هو مروى عن مالك ، ورفعه ابن زبالة من طريقه .

الثامنة :

أن الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الاسلام ، حتى مكة المشرفة ، وجعلها مظهر دينه القويم .

التاسعة :

ما ذكره عياض من الاتفاق على وجوب الهجرة اليها قبل فتح مكة ، ووجوب سكناها لنصرة النبى ﷺ ومواساته بالأنفس ، قال : ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الاقامة بمكة بعد الفتح ، ورخص له فى الاقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه .

العاشرة :

أنه يبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها ، على ما نقله عياض فى المدارك عن مالك فى ضمن أشياء فى فضل المدينة ، قال : وهذا

(*)تقدم قول المؤلف ص ٢٨ من الكتاب قد انعقد الاجماع على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة ، حتى على الكعبة المنيفة ، وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد .

ليعرف القارىء الكريم أن الهوامش المرقمة من عمل المحقق ، أما هوامش النجوم فمن عملى .

لا يقوله مالك من عند نفسه .

الحادية عشرة :

ماتقدم في الأسماء من تسميتها بالمؤمنة والمسلمة ، وان ترتيبها المؤمنة ، وأنه لا مانع من أن الله خلق ذلك فيها (*) .

الثانية عشرة :

اضافتها الى الله تعالى في قوله : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً » (١) على ما تقدم في الأسماء ، وقد جاءت الأرض غير مضافة الى الله تعالى والمراد بها مكة ، وذلك في قوله تعالى : « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ (٢) » (**) .

الثالثة عشرة :

اضافة الله اياها الى رسوله بلفظ البيت في قوله : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ (٣) » على ما تقدم في الأسماء (***) .

الرابعة عشرة :

اقسام الله تعالى بها في قوله « لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٤) » على ما سبق في الأسماء (****) أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بك ، و « لا » زائدة للتأكيد ، ويدل عليه قراءة الحسن والأعمش « لأقسم » .

الخامسة عشرة :

أن الله بدأ بها في قوله : « وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ (٥) » فمدخل صدق هي ، ومخرجه مكة كما تقدم (*****) مع أن القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع . فان قيل : التقديم للاهتمام بأمر المدخل ، قلنا : في الاهتمام به كفاية .

السادسة عشرة :

تسميتها في التوراة بالمرحومة ونحوه ،

---

(١) من سورة النساء من الآية ٩٧ (٢) من سورة الانفال الآية ٢٦ .

(٣) من سورة الانفال من الآية ٥ .

(*) ذكر في ص ٢٠ من الكتاب انها سميت بالمؤمنة لتصديقها بالله حقيقة ، أو مجازا لاتصاف أهلها بذلك .

(**) ذكر في ص ١٠ ان المراد بأرض الله في الآية هي المدينة وهو قول مقاتل والثعلبي .

(***) بعد ان ذكر هذه الآية في ١٢ ، قال : قال المفسرون : أي المدينة ، لانها مهاجره ومسكنه .

(٤) من سورة البلد من الآية ١

(****) ذكر في ص ١٢ ان من اسمائها « البلد » ثم ذكر الخلاف في المراد بالآية ، أهي مكة أم المدينة .

(٥) من سورة الاسراء من الآية ٨٠

(*****) جاء في ص ٢٢ انه من اسمائها مدخل صدق ، ثم ذكر قول بعض المفسرين : ان (مدخل صدق) هي المدينة ، و (مخرج صدق) هي مكة ، وسلطانا نصيرا هم الأنصار .

(******) ذكر في ص ٢٣ : من اسمائها « المرحومة » ، نقل من التوراة ، سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين ، ومحل تنزيل الرحمة .

(*******) جاء في ص ١٣ : من اسمائها « الحبيبة » ، لحبه لها - عليه السلام - ولقوله : اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .

(********) قد ذكر هذا الحديث وغيره في ص ٥٢ ، وانه كان اذا اقبل عليها يسير اتم السير ويقول : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا .

ومخاطبة الله اياها كما تقدم ﷺ

السابعة عشرة :

دعاؤه ﷺ بحبها كمكة واشد ، وتسميتها بالحبيبة وغيره مما تقدم ﷺ ودعاؤه أن يجعل الله له بها قرارا ورزقا حسنا .

الثامنة عشرة :

تحريكه ﷺ دابته او ايضاعها اذا أبصر جدرانها عند قدومها ، وانه كان اذا أقبل من مكة فكان بالأثاية (١) طرح رداءه عن منكبيه وقال « هذه أرواح طيبة » كما تقدم ﷺ.

التاسعة عشرة :

اهتمامه ﷺ بأمر الدعاء لها بالبركة وغير ذلك .

العشرون :

تحريمها على لسان أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه اكراما له ، وكونه لاجزاء فيها على القول به دليل عظيم حرمتها حيث لم يشرع فيها (جابر) .

الحادية والعشرون :

تأسيس مسجدها الشريف على يده ﷺ، وعمله فيه بنفسه ، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون .

الثانية والعشرون :

اختصاصها بالمسجد الذى أنزل الله فيه « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ (٢) » .

الثالثة والعشرون :

كون ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة ، وفى رواية « ما بين منبرى وهذه الحجر » يعنى حجره ﷺ ، وسيأتى بيان أن ذلك يعم مسجده ﷺ على ما هو المشهور بين الناس فى تحديد المسجد الشريف ، ولهذا قال بعضهم : هذا المسجد هو المسجد الذى لا تعرف بقعة فى الأرض من الجنة غيره .

الرابعة والعشرون :

كون منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة ، وأن قوائمه رواتب فى الجنة ، وفى رواية « ومنبرى على حوضى » .

الخامسة والعشرون :

ما ورد فى مسجده الشريف من المضاعفة

(١) الاثاية : موضع بين مكة والمدينة فيه مسجد نبوى ، او بئر دون العرج عليها مسجدنبوى
(٢) من سورة التوبة من الآية ١٠٨
(ﷺ) سيذكر مفصلا فى ص ٤١٦ ، ومنه حديثه ــ عليه السلام ــ : صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فى ماسواه من المساجد الا المسجد الحرام

الآتى بيانها •

السادسة والعشرون :

حديث « من صلى فى مسجدى هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبرىء من النفاق » رواه الطبرانى فى الأوسط •

السابعة والعشرون :

ما سيأتى أن من خرج على طهر لا يريد الا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة ، وأن الخارج اليه من حين يخرج من منزله فرجل تكتب حسنة ورجل تحط خطيئة •

الثامنة والعشرون :

أن اتيان مسجد قباء يعدل عمرة كما سيأتى•

التاسعة والعشرون :

حديث « صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة فى المدينة كألف صلاة فيما سواها ع فسائر أفعال البر كذلك كما قيل به فى مكة ، وبه صرح أبو سليمان داود الشاذلى فى الانتصار ، ثم رأيته فى الاحياء ، قال : ان الأعمال فى المدينة تتضاعف ، قال ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا » الحديث ، ثم قال : فكذلك كل عمل بالمدينة بألف انتهى ، وقال ابن الرفعة فى المطلب : وقد ذهب بعض العلماء الى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة ، والصلاة بمكة أفضل من الصيام ، مراعاة لنزول فرضيتها (١) ، انتهى •

قلت : ويؤخذ من هذه العلة أن كل عبادة شرعت بالمدينة فهى بها أفضل منها بمكة : وللك أن تعد هذا خاصة مستقلة •

الثلاثون :

حديث « لا يسمع النداء فى مسجدى هذا ثم يخرج منه الا لحاجة ثم لا يرجع اليه الا منافق » •

الحادية والثلاثون :

تأكد التعلم والتعليم بمسجدها كما سيأتى•••

الثانية والثلاثون :

اختصاصه بمزيد الأدب وخفض الصوت ،

(*) قد فصل ذلك فى ص ٤٢٤ وما بعدها ، وذكر من الأحاديث والآراء كثيرا •

(**) تفصيل ذلك فى ص ٨٠٠ وما بعدها ، وفيه خلاف كثير ، أهو مسجد قباء ، أو مسجده فى المدينة •

(١) يريد أن الصلاة شرعت بمكة فيكون فعلها بها أفضل من الصيام بها ، وأن الصيام شرع فى المدينة ففعله بها أفضل من الصلاة بها •

(***) من جملة ما ذكره فى ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ « من جاء مسجدى هذا لم يأته الا الخير يتعلمه ، أو يعلمه ، فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله » •

لكونه بحضرة سيد المرسلين (١) . واختصاصه عند بعضهم بمنع أكل الثوم ونحوه من دخوله ، لاختصاصه بملائكة الوحي .

الثالثة والثلاثون :

أنه لا يجتهد في محرابه ، لأنه صواب قطعا ، فلا مجال للاجتهاد فيه حتى باليمنة واليسرة ، بخلاف محاريب المسلمين ، والمراد مكان مصلاه ﷺ ، قال الرافعي : وفي معناه سائر البقاع التي صلى فيها ﷺ اذا ضبط المحراب ، قلت : وفي ضبطه بغيرها عسر أو تعذر .

الرابعة والثلاثون :

أن ما بين منبره ﷺ ومسجد المصلى روضة من رياض الجنة ، وهذا جانب كبير من هذه البلدة .

الخامسة والثلاثون :

حديث « أحد على ترعة من ترع الجنة » وحديث « أحد جبل يحبنا ونحبه » .

السادسة والثلاثون :

حديث « ان بطحان على ترعة من ترع الجنة » .

السابعة والثلاثون :

وصف العقيق بالوادى المبارك ، وأنه ﷺ يحبه ، وفي رواية « ويحبنا ونحبه » .

الثامنة والثلاثون :

حثه ﷺ على الاقامة بها*** .

التاسعة والثلاثون :

حثه على اتخاذ الأصل بها **** .

الأربعون :

حثه على الموت بها ، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أو هما *** .

الحادية والأربعون : حرصه ﷺ على موته بها **** .



(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ من سورة الحجرات من الآية ٢ .

(***) راجع ص ٣٩ وما بعدها ، ومن ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من صبر على لأوائها وشدتها ، كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة والمراد بالاصل ــ المال .

(****) بيان ذلك في ص ٤٩ .

وما بعدها ، ومنه قوله ــ عليه السلام : من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة .

(****) في ص ٤٨ وما بعدها جملة من الأحاديث حول هذا ، ومنه : « المدينة مهاجرى ، ومنها مبعثى وبها قبرى » . على انه ان لم يكن تجوز في قوله: « ومنها مبعثى » ، حدث ما يشكل ، لان البعثة من مكة ، والانطلاقة من المدينة .

الثانية والأربعون :

كون أهلها أول من يشفع لهم ، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والاكرام كما تقدم *

الثالثة والأربعون :

بعث الميت بها من الآمنين على ما سيأتي**

الرابعة والأربعون :

أنه يبعث من بقيعها سبعون ألفا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب ، ومثله في مقبرة بني سلمة ، وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفئوها في الجنة.

الخامسة والأربعون :

بعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس .

السادسة والأربعون :

شهادته ـ أو شفاعته ﷺ لمن صبر على لأوائها وشدتها .

السابعة والأربعون :

وجوب شفاعته ﷺ لمن زاره بها .

الثامنة والأربعون :

استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف ، ويقال : انه مستجاب عند الأسطوان المخلق ، وعند المنبر ، وفي زاوية دار عقيل بالبقيع ، وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ، واستجابة الدعاء بمسجد الاجابة ومسجد السقيا وبالمصلى عند القدوم ، وعند بركة السوق في يوم العيد ، وعند أحجار الزيت وبالسوق ، لما سيأتي*** عند ذكره هذه الأماكن من ورود ذلك عنه ﷺ .

التاسعة والأربعون :

كونها تنفي خبثها .

الخمسون :

كونها تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة .

الحادية والخمسون :

الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم .

(*) قد أفاض في ص ٤٧ ، ٤٨ وما بعدهما ، وانظر الحديث السابق : من مات بالمدينة .

(**) فصل ذلك في ص ١٣٤٥ وما بعدها ، ومنه الحديث : « من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

(***) راجع ص ١٠١٤ وما بعدها من الكتاب ، لأن فيه قولا طويلا .

الثانيـة والخمسون :

من أرادها وأهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء وفي رواية أذابه الله في النـار ، ويؤخذ من ترتيب الوعيد على الارادة مساواة المدينة لحرم مكة في هذا ، وفيه قال تعـالى : « وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ » (١) الآيـة ، ويتمسك للمساواة أيضا بقوله ﷺ « كما حرم ابراهيم مكة » فقول ابن مسعود : ما مـن بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبـل الفعـل الا مكة وتلا الآية مشـكل ، وأيضـا فالهم العارض الوارد من غير عزم لا مؤاخذة بـه مطلقا بالاتفاق ، وأما الثابت الذى يصـحبه التصميم فالعبد مؤاخذ به بمـكة وبغـيرها ، وانما خصوصية الحرم تعظيم العذاب لمن هم فيه لجرأته ، ولذا روى أحمد في معنى الآيـة باسناد صحيح مرفوعا « لو أن رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين (٢) لأذاقه الله عـذابا اليمـا » .

الثـالثة والخمسون :

الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثا ، وتقدم(٭) تفسير الحديث بالاثم مطلقا ، وأنه دال على أن الصغيرة بها كبيرة : وللوعيد الشديد في ذلك ، لأنها حضرة أشرف المرسلين ﷺ ، وسوء الأدب على بسـاط الملك ليس كالاساءة في أطراف المملكة .

قال بعض السلف : اياك والمعصـية فان عصيت ولابد فليكن في مواضـع الفجـور ، لا في مواضع الأجور ، لئـلا يتضـاعف عليك الوزر ، أو تعجل لك العقوبة .

فان قيل : هذا قول بتضعيف السيئات في الحرم ، والراجح خـلافه ، لقـوله تعـالى « وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا (٣) » .

قلنا : تحرير النزاع أن القائل بالمضـاعفة أراد مضاعفة مقدارها : أي لا العدد ، فـان السيئة جزاؤها سـيئة ، لكن السـيئات قـد تتفاوت عقوبتها باختلاف الأشخاص والأماكن، كما أن تقدير كل أحد بما يليق في الزجـر ، فجـزاء السيئة مثلها ، ومن المماثلة رعاية ما اقترن بها مما دل على جرأة مرتكبها ، ولا تكتب الا واحدة ، والله أعلم .

الرابعة والخمسـون :

الوعيد لمن لم يكرم أهلهـا وأن اكـرامهم وحفظهم حق على الأمة ، وأنه ﷺ شفيع ـ أو شهيد ـ لمن حفظهم فيه .

الخامسـة والخمسـون :

حديث « من أخاف أهل المدينة فقد أخـاف ما بين جنبي » .

---

(١) من سورة الحج من الآية ٢٥ .

(٢) عدن ابين ـ على الاضافة ـ جـزيرة باليمن ، اقام بها أبين ، وعدن لاعة : قرية بقربه .

(٭) ذكر في ص ٤٦ ان في الصحيحين في تحريم المدينة : « فمن احدث فيها حدثـا اوآوى محـدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والنـاس اجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامـة صرفـا ولاعدلا » .

(٣) من سورة الأنعام من الآية ١٦٠

السادسة والخمسون :

حديث « من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مشرب جفوة (١) » وانه « لا يخرج أحد منها رغبة عنها الا أخلف الله تعالى فيها خيرا منه » كما في حديث مسلم؛ قال المحب الطبري : فيه اشعار بذم الخروج منها ، وذهب بعضهم الى انه مخصوص بمدة حياته ﷺ ، فأما بعد وفاته فقد خرج نفر كثير من كبار الصحابة ، وذهب آخرون الى أنه عام أبدا ؛ قال الطبري : وهو ظاهر اللفظ : نعم هو مخصوص بالمستوطن ، لا من نوى الاقامة بها مدة ثم ينقلب (٢) الى وطنه .

السابعة والخمسون :

اكرام الله لها بنقل وبائها وتحويل حماها * .

الثامنة والخمسون :

الاستشفاء بترابها ، ومما تقدم في ثمارها ** .

التاسعة والخمسون :

عصمتها من الطاعون .

الستون :

عصمتها من الدجال ، وخروج الرجل الذى هو خير الناس ــ أو من خير الناس ــ اليه منها ، وقوله له : أشهد أنك الدجال ، وانه لا يسلط عليه بآخرة الأمر ، وبهذا تتميز على مكة ، والسر فيه أن سيد المرسلين ــ وهو حجة الله على العباد ــ بالمدينة .

الحادية والستون :

ما في حديث الطبراني من قوله ﷺ « وحق على كل مسلم زيارتها » .

الثانية والستون :

سماعه ﷺ سلام من سلم وصلاة من صلى عليه عند قبره الشريف ، ورده عليه .

الثالثة والستون :

اختصاصها بملك الايمان والحياء ،

---

(١) مشرب جفوة ــ على زنة اسم المفعول ــ أى خالطه الجفاء .

(٢) ينقلب : يرجع ويعود .

(*) قال في ص ٥٦ : وفي مسلم حديث عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ « قدمنا المدينة وهي وبيئة ، فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله ــ صلى عليه وسلم ــ شكوى أصحابه ، قال : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها الى الجحفة ثم ذكر روايات أخرى للبخارى وغيره » .

(**) من ذلك قوله ــ عليه السلام ــ في ص ٦٧ : « غبار المدينة شفاء من الجذام » ، وقوله ص ٧٠ : « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم تضره شيء حتى يمسى » ، ثم أورد أحاديث في المعنى بروايات أخر و (لابتاها ــ حرتاها) .

(***) جاء في ص ١٤ قوله ــ عليه الصلاة والسلام : « المدينة قبة الاسلام ودار الايمان » « الايمان يأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » ، والمراد يلجأ ويعتصم .

كمـا تقدم في الأسماء

الرابعـة والستون :

كون الايمـان يأرز اليها

الخامسـة والستون :

اشتباكها بالملائكة وحراستهم لهـا .

السـادسة والستون :

كونها أول أرض اتخذ بها مسجد لعـامة المسلمين في هذه الأمة .

السابعة والستون :

كون مسجدها آخر مساجد الأنبياء ، وآخر المساجد التي تشد اليها الرجال ، وكونه أحق المساجد أن يزار كما سيأتي (**) .

الثـامنة والستون :

كثرة المساجد والمشاهد والآثار بهـا ، بل البركة عامة منبثة بها ، ولهذا قيل لمالك : أيمـا أحب اليك المقام هنا يعني المدينة أو بمكـة ؟ فقال : ههنا ، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين في اقل من ساعة ؟ .

التاسـعة والستون :

ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية ، على ما تقدم في الأسماء (***)

السـبعون :

طيب العيش بها ، على ما تقـدم هنـاك أيضا (***) .

الحـادية والسبعون :

استحقاق من عاب تربتها للتعزيز ، فقد أفتى مالك فيمن قال « تربة المدينة رديئة » بـأن يضرب ثلاثين درة ، وأمر بحبسـه ، وكـان له قدر ، وقال : ما أحوجه الى ضرب عنقه ، تربة دفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة ؟

الثانيـة والسبعون :

الوعيد الشديد لمن حلف يمينا فاجـرة عند منبرها .

الثـالثة والسبعون :

استحباب الدخول لها من طريق والرجوع ◄

( ) انظر الحديث في الهامش السابق .

( ) قد ذكر في ص ١٥ ؛ كثيرا من الأحاديث في هذا المعنى . ومنه قوله ـ صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثـة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحـرام ، والمسجد الاقصى » .

(***) انظر ص ١٦ ، ١٧ ففيهما اقـوال عديدة حول ذلك .

(****) نقل من صحيح البخاري في ص ١٠٠٦ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس » الى روايات أخر .

فى أخرى ، لما سيأتى فى مسجد المعرس (١) .

الرابعة والسبعون :

استحباب الاغتسال لدخولها .

الخامسة والسبعون :

استحباب الدعاء والطلب من الله الموت بها .

السادسة والسبعون :

أنها دار اسلام أبدا ، لحديث « ان الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدى هذا » .

السابعة والسبعون :

أنها آخر قرى الاسلام خرابا ، رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية فى الاسلام خرابا المدينة » .

الثامنة والسبعون :

تخصيص أهلها بأبعد المواقيت وأفضلها ، تعظيما لأجورهم .

التاسعة والسبعون :

ذهب بعض السلف الى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة ، وهى مسألة عزيزة ، وممن نص عليها ابن أبى شيبة فى مصنفه فروى عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون أنهم بدءوا بالمدينة قبل مكة ، وأن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدءون بالمدينة ، وفى المناسك الكبير للامام أحمد رواية ابنه عنه : سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة ، فذكر باسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا : اذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة ، فاذا قضيت حجك فامرر بالمدينة ان شئت ، وعن ابراهيم النخعى ومجاهد : اذا أردت مكة للحج والعمرة فاجعل كل شىء لهما تبعا ، ثم روى أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدءون بالمدينة اذا حجوا ، يقولون : نبدأ من حيث أحرم رسول الله ﷺ . قلت : وهذا أرجح لتفضيل ميقات المدينة ، واتيان المدينة أولا وصلة اليه ، مع ما فيه من البداءة بزيارة النبى ﷺ وايثارها ، ولعله السبب عند من بدأ بالمدينة ممن تقدم ذكره من التابعين كما قال السبكى . ونقل الزركشى عن العبدى شارح الرسالة من المالكية أنه قال : المشى الى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس ، انتهى . والخلاف فيما اذا لم تكن المدينة على طريقه ، لأن مأخذ من رجح البداءة بمكة المبادرة الى قضاء الفرض ، ولهذا قال الموفق ابن قدامة : قال أحمد : واذا حج الذى لم يحج قط — يعنى من غير طريق الشام — لا يأخذ على طريق المدينة ، لأنى

(١) المعرس — بزنة المكرم — هو والتعريس بمعنى النزول ليلا .

أخاف أن يحدث به حدث ، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره ، قال السبكي : وهو في العمرة متجه ، لامكان فعلها متى وصل ، وأما الحج فله وقت مخصوص فاذا كان متسعا لم يفت بمروره بالمدينة شيء .

قلت : ومع ذلك فهو في الفرض ، ولهذا قال في الفصول : نقل صالح وأبو طالب : اذا حج للفرض لم يمر بالمدينة ، لأنه ان حدث به حدث الموت كان في سبيل الحج ، وان كان تطوعا بدأ بالمدينة ، انتهى . وممن نص على المسألة أيضا الامام أبو حنيفة على ما نقله أبو الليث السمرقندي ، وقال : ان الأحسن البداءة بمكة .

الثمانون :

اختصاص أهلها في قيام رمضان بستة وثلاثين ركعة ، على المشهور عند الشافعية ، قال الرافعي والنووي : قال الشافعي : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة ، منها ثلاث للوتر ، قال أصحابنا : وليس لغير أهل المدينة ذلك ، لشرفهم بمهاجر رسول الله ﷺ وقبره ، ثم قال الرافعي : وسبب فعل أهل المدينة ذلك أن الركعات العشرين خمس ترويحات ، وكان أهل مكة يطوفون بين كل ترويحتين أسبوعا (١) ، ويصلون ركعتي الطواف أفرادا ، وكانوا لا يفعلون ذلك بين الفريضة والتراويح ولا بين التراويح والوتر ، فأراد أهل المدينة أن يساووهم في الفضيلة ، فجعلوا مكان كل أسبوع ــ أي مع كل ركعتيه ــ ترويحة ، فحصل أربع ترويحات . ستة عشر ركعة ، انتهى .

ونقل الروياني في البحر هذا السبب عن الشافعي . وقال القاضي أبو الطيب الطبري : قال الشافعي : لا يجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فضلهم على سائر البلاد ، انتهى . وحاصل التوجيه أن الحسد في الخير مطلوب ، وهو في الحقيقة (غبطة) كما حسد المهاجرون ــ لما لم يكن لهم ما يتصدقون به ــ الأنصار فقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور (٢) ، فأثبت أهل المدينة هذا العدد بضرب من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة ، وقد تشارك البلدان في الفضائل حتى اختلف في تفضيل كل منهما على الأخرى ، وجعل لأهل المدينة ما يحصل به ثواب الاعتمار والحج ، وامتازت المدينة بالمهاجر والقبر ، فجعل لأهلها طريق الى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع اقامتهم بها ، ولعله لو لم يشرع لهم ذلك لحملتهم الرغبة في الخير على الانتقال الى مكة ، وسكنى المدينة مطلوب ، وأما غيرهم فليس له شيء من هذا الفضل ، فكيف يتأتى له مساواة أهل مكة ؟ فلم يشرع لهم ذلك ، هذا ، واجماع أهل المدينة حجة عند مالك ، والقيام بهذا العدد بالمدينة

(١) يريد سبعة أشواط
(٢) يعني ذهب الأغنياء بالثواب ، لانهم يتمكنون من الصدقة بسبب مالهم ، وهي مستوجبة للأجر ، ولا يستطيعها الفقراء .
* أي غبطوهم

باق الى اليوم الا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء ، ثم يأتون آخر الليل فيقومون بستة عشر (١) ركعة ، فوقع لهم خلل في أمر الوتر نبهنا عليه في كتاب « مصابيح القيام ، في شهر الصيام » وكنت قد ذكرت لهم ما يحصل به ازالة ذلك ، ففعلوه مدة ، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الأمر كما كان ❋ .

الحادية والثمانون :

زيادة البركة بها ، على مكة المشرفة ، وقد قدمنا حديثا يشير الى أن المدعو به لها ستة أضعاف ما بمكة من البركة ، والمصرح به في الأحاديث « ضعفي ما جعلت بمكة من البركة » وفي بعضها « مثل ما جعلت بمكة من البركة ومع البركة بركتين » .

الثانية والثمانون :

نقل عن مالك أن خبر الواحد اذا عارضه اجماع أهل المدينة قدم اجماعهم ، ولهذا روى حديث خيار المجلس ثم قال : وليس لهذا عندنا حد معلوم ولا أمر معمول به ، لما اختص (٢) به أهل المدينة من سكناهم مهبط الوحي ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، فمخالفتهم تقتضي علمهم بما أوجب ترك العمل من ناسخ أو دليل راجح ، والمحققون على أن البقاع لا أثر لها في ذلك ، وقد بلغ ابن أبي ذئب — وهو من أقران مالك — مخالفته للحديث فأغلظ في ذلك لأن العصمة انما تثبت في اجماع جميع الأمة ، ويؤخذ من كلام مالك اختصاص ذلك بعمل أهل ذلك العصر من أهل المدينة (٣) .

الثالثة والثمانون :

حديث النسائي والبزار والحاكم واللفظ له « يوشك الناس أن يضربوا أكباد الابل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة » وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقد كان ابن عيينة يقول : نرى هذا العالم مالك ابن أنس ، انتهى . قال الزركشي : وفيما حكاه عن سفيان نظر ، لما في صحيح ابن حبان أن اسحاق بن موسى قال : بلغني عن ابن جريج أنه كان يقول : نرى أنه مالك بن أنس ، فذكرت ذلك لسفيان بن عيينة فقال : انما العالم من يخشى الله ، ولا نعلم أحدا كان أخشى لله من العمري ، قال التوربشتي في شرح المصابيح : يعني عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، كان من عباد الله الصالحين المشائين في بلاده وعباده بالنصيحة ، بلغنا أنه كان يخرج الى البادية ليتفقد أهلها شفقة عليهم وأداء لحق

(١) كذا ، وحق العربية أن يقول « بست عشرة ركعة » .

(٢) هذا تعليل لتقديم اجماع أهل المدينة .

❋ انظر في ذلك ص ٥٢ وما بعدها من الكتاب فهناك اكثر من حديث بالدعاء للمدينة .

(٣) لان أهل ذلك العصر هم الذين شاهدوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا مايفعلون ومايتركون ، فاذا اتفقوا على فعل شيء أو تركه دل على انه لم يكن في الصحابة من يخالف ذلك ، والا لوجد من يعمل على غرار عمل المخالف من الصحابة .

النصيحة فيهم ، وقد أخرج الترمذي الحديث وحسنه ، وتكلم ابن حزم فيه ، ثم قال : ولم يتعين هذا في مالك ، لأنه كان في عصره جماعة لا يفضل على واحد منهم ، وكان بالمدينة من هو أجل منه كسعيد بن المسيب : فهذا الحديث أولى به . وقال ابن عيينة : ولو سئل : أي الناس أعلم ؟ لقالوا : سفيان الثوري ، قال ابن حزم : وان صح هذا الحديث فانما يكون اذا قرب قيام الساعة وأرز الايمان الى المدينة وغلب الدجال على الأرض خلا مكة والمدينة ، وأما حتى الآن فلم يأت صفة ذلك الحديث ، لأن الفقه انقطع من المدينة جملة ، واستقر في الآفاق ، انتهى . ولا يخلو عن نزاع .

الرابعة والثمانون :

تحريم نقل أحجار حرمها وترابه كما سيأتي بيانه * .

الخامسة والثمانون :

لو نذر تطييب مسجد المدينة وكذا الأقصى ففيه تردد لامام الحرمين ، لأنا ان نظرنا الى التعظيم المختصاهما بالكعبة ، أو الى امتياز الكعبة بالفضل فلا ، وكلام الغزالي في آخر باب النذر يقتضي اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه ، لا في غيرهما من المساجد ، والامام طرده في الكل ، وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغي أن لا يتوقف فيما لو نذر تطييب القبر الشريف .

السادسة والثمانون :

اذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء بذلك وجها واحدا ، وفي وجوب الوفاء في زيارة قبر غيره وجهان ، قاله ابن كج ، وأقره عليه الرافعي والنووي وغيرهما .

السابعة والثمانون :

قيام مسجدها مقام المسجد الأقصى كالمسجد الحرام فيما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف في الأقصى ، فان الأصح لزومه به ، وأجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه فعل ذلك بالأقصى ويجزيه بالمسجد الحرام .

الثامنة والثمانون :

الاكتفاء بزيارة قبر رسول الله ﷺ لمن نذر اتيان مسجد المدينة ، كما قال الشيخ أبو علي تفريعا على القول بلزوم اتيانه كما قاله الشافعي والبويطي وعلى أنه لابد من ضم قربة الى الاتيان كما هو الأصح تفريعا على اللزوم ، وعلله الشيخ أبو علي بأن زيارته ﷺ من أعظم القربات ، وتوقف في ذلك الامام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه ، قال : وقياسه أنه لو تصدق في المسجد أو صام يوما كفاه ، وفيه نظر ، على أن الصحيح مانص عليه في المختصر من عدم لزوم الاتيان ، وان كان اللزوم أرجح دليلا ، ورجح الرافعي تفريعا على اللزوم ضم صلاة أو اعتكاف ، وكذا اذا نذر اتيان الأقصى ، فان

---

* قد فصل ذلك في ص ١١٤ ، وفيه خلاف بين الحرمة والكراهة ، فراجعه .

نفس المرور لما لم يكن فى نفسه مزية انصرف النذر الى ما يقصد فيه من القرب وبهذا يترجح ما قاله الشيخ أبو على ، لأن اتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره .

التاسعة والثمانون :

قال ابن المنذر : اذا نذر أن يمشى الى مسجد الرسول والمسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعة ، ومن نذر أن يمشى الى بيت المقدس كان بالخيار : ان شاء مشى الى المسجد الأقصى ، وان شاء مشى الى المسجد الحرام ، لحديث أن رجلا قال للنبى ﷺ : انى نذرت ان فتح الله عليك مكة أن أصلى فى مسجد بيت المقدس ، قال ﷺ « صل هنا ، ثلاثا » انتهى . ويعلم مما تقرر فى اجزاء مسجد المدينة عن الأقصى فى الاتيان والصلاة اجزاؤه هنا كالمسجد الحرام ، والذى اقتضاه كلام البغوى تصحيح عدم لزوم المشى فى مسجد المدينة والأقصى ، وهو الذى رجحوه .

التسعون :

قوله ﷺ فى أحاديث تحريمها « ولا يحمل فيها سلاح لقتال » .

الحادية والتسعون :

قوله فيها أيضا « ولا تلتقط لقطته الا لمن أشاد بها (١) » .

الثانية والتسعون :

اذا قلنا بضمان صيدها وقطع شجرها فالصحيح أنه يسلب الصائد كما يسلب قتيل الكفار ، وهذا أبلغ فى الزجر من الجزاء (٢) .

الثالثة والتسعون :

جواز نقل ترابها للتداوى .

الرابعة والتسعون :

ظهور نار الحجاز التى أخبر بها ﷺ مما حولها ، لأنها للانذار ، فاختصت ببلد النذير ، ثم لما بلغت الحرم وكان محرمه المبعوث بالرحمة خمدت وطفئت ، على ما سيأتى * .

الخامسة والتسعون :

دعاؤه ﷺ بالبركة فى سوقها .

السادسة والتسعون :

ما سيأتى فى سوقها من أن الجالب اليه كالمجاهد فى سبيل الله ** .

السابعة والتسعون :

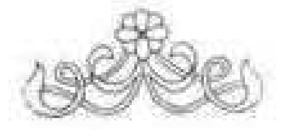
أن المحتكر فيه كالملحد فى كتاب الله ** .

الثامنة والتسعون :

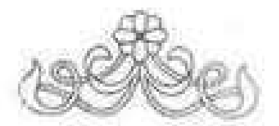
ما سيأتى فى بئر غرس من أنه ﷺ « رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة ، فأصبح على بئر غرس »



محمد عليه الصلاة والسلام



من معجزات القرآن



سطع النــور

محمد عليه الصلاة والسلام

في ذكرى مولده الكريم

شمس تخالف شمس الناس ·· أم عجب ؟ ... ام وجه (احمد) عنه شقت الحجب ؟

لا البدر يفضله ، لا الشمس تحجبه ... والنجم يبعد خزيا ·· كيف يقترب ؟

كل الانام جميعا دون رتبته ... هيهات تسمو الى عليائه الرتب

وكيف يظفر انسان برتبته ... وهو الشفيع اذا ما اشتدت الكرب ؟

يبغى النجاة فرادى كل من بعثوا ... لكن نبى الهدى للمسلمين اب

***

يارب (احمد) كم اسديت عارفة ... من بحر فضلك ·· كم تعطى وكم تهب

ارسلت (احمد) بالقرآن تكرمة ... للعالمين لينأى عنهم العطب

فالجهل والبغى والأهواء مطلقة ... والناس فى غفلة ··· كل له نصب

لا الحق حق ، ولا الاعراض قد حفظت ... ولا تحكم الا السمر والقضب

فجاء (احمد) مصباحا بدعوته ... تحنى لها الشمس راسا ثم تحتجب

***

ياجامع الفضل الوانا وقد عجزت ... وتعجز – الدهر – عن احصائه الكتب

أنت الامام لنا · بشرى لامتنا ... امامها النور ·:· تستهدى به الشهب

الناس توصف بالالفاظ ان مدحت ... ودون حقك يعيا اللفظ والأدب

يدعو اناس من الدنيا زخارفها ... ويترك الجم ما ارجو وارتغب

سبحان من اودع الايمان قلبكمو ... فهان عندك ما تشقى به العصب

للأستاذ احمد قاسم أحمد

كم ذا لقيت من الأهــوال منفــردا ... هــذا فؤادك جيش فى الوغى لجب

كم خضت حــربا فما زلت لكم قــدم ... فكنت طودا تهــاوى حــوله النوب

ولا تهيب يـوم الـروع ملحمــة ... كنت المقــدم والساحات تصطخب

وكم حميت من الشـجعان ذا درق ... بالسـيف ضربته كالنـار تلتهب

وقفت يوم « حنين » .. اذ غـدا عجبا ... ان تشـهد النـاس قد أغـراهم الهـرب

فصحت صـيحة حـق اسمعت وعلت ... انى النبى وما فى قـولتى كـذب

فثاب من تركـوا الميـدان واجتمعـوا ... بالصـدق حـولك حتى جـاءك الغلب

ويوم « بدر » وفى « أحد » و « خيبر » اذ ... لاقى اليهـود من الاسـلام ما يجب

صـحائف المجـد والايمـان مشرقـة ... قد خطهـا قـائد بالحـق معتصب

لله دعـوته ، فى الليـل غـزوته ... يسعى النهـار وطـول الليـل يقترب

***

ان رمت علمـا فان الله علمـه ... اعظم بعلـم من الرحمن يكتسب

عـلم تفيض من الأمى ابحـره ... ودون قطرته ما تمطـر السـحب

أو رمت خلقـا فان الله عظمـه ... وليس بعـد امتداح الله مطلب

فاملأ فؤادك دومـا مـن محبتـه ... فانهـا الـروح والريحـان والقـرب

***

وددت انظم للأجيـال سـيرته ... نظمـا تسـير به الاعجـام والعـرب

يبقى ويخـلد فى الافواه مؤتلفـا ... وليس تضـعفه الأزمـان والحقب

لكن ذلك فى الآمـال اصـعبها ... انى المقـل فـاين الـدر والـذهب

ومحمــد ــ آية ــ « الرحمن » كاملة ... فى الخلق والخلق فاعجـز ايهـا الأدب



سائل الأفق عن سناه ... أي صبح على محياه أسفر ؟
الهلال الوليد ضوا مرآة فسبحان من براه وصور
زورق في غياهب الموج يبدو ... ورجاء في ظلمة اليأس يظهر
هلل المسلمون حين رأوه ... واحتلاه الشرق الجريح فكبر
تتلاقى العيون حول سناه ... شاخصات بكل طرف محير
ضارعات المنى الى الله تهفو ... عليه أن يكون بالنصر بشر
وشوادي الطيور حامت على الروض تغاديه بالنشيد المعطر
ضج في سمعها الغداة هتاف الكو ... ن ينساب بين ناي ومزهر
ودعاء الوجود كبر لله فهزت أصداؤه كل مظهر
نشوة تغمر الحياة لذكرى ... يزدهي مجدها الأنام ويبهر
هي صوت التاريخ فلتسمع الدنيا ... لصوت من السماء تحدر
هجرة المصطفى ورجع صداها ... عظة من مواعظ الحق تؤثر
من ترى ذلك الغريب بأرض ... هي أوطانه وبالأهل تزخر ؟
أنكرته والحق فيها غريب ... ليس بدعا أن يستباح وينكر
دبرت غدرها وليس بمجد ... غادرا كيده اذا الله دبر
أرهف الليل سمعه لخطاه ... هامسات بما يخاف ويحذر
واحتواه الظلام سرا من الله عليه عن العناية تسهر
كاد اشراقه يدل عليه ... بمحيا في فحمة الليل أقمر
والفضاء الفسيح ينبىء عنه ... بعبير يفوح منه وعبهر
عميت عين متقنية عن الغا ... ر لولا رعاية الله أبصر
شد عزم الصديق من رجفة الخوف بعزم على المخاوف أمير
رب أنت النصير ان عقني الأهل ومن يعتصم بحبلك ينصر
وطن الحق موطني فلك الأمر كما شئت والقضاء المقدر
من ترى ذلك الذي غير التاريخ فتحيا وهز كسرى وقيصر ؟
من ترى الفارس الذي زلزل الأرض ، وفي كفه اللواء المنشر ؟

للدكتور حسن جاد

من ترى الفاتح الذى طالع الوادى يجيش من الضراغم بزأر ؟

ترجف الأرض والجبال لمرآة   وترتج من خطاه وتذعر

ذاك أم القرى طريدك بالأمس ، ومن يصطبر على البأس يظفر

ان للحق ساعة يقهر الباطل فيها مهما طغى وتجبر

اسمعى يا شعاب مكة هذى   هتفة النصر للنبي المؤزر

واشهدى يا سماها : زلزل الشرك ودوت فى الأفق : الله أكبر

أيها الشرق هذه قصة المجد   فلا يزدهيك مجد مزور

هجرة الحق عبرة لو نعيها   وهى درس السماء لو نتدبر

هى رمز لنصرة الحق مهما   طال بالظالم المدى وتنمر

وعلى التضحيات والصبر عنوا   ن وللعزم والارادة مظهر

ومثال الفداء فى كل عصر   والصمود الصلب الذى ليس يقهر

ومنار لأمة تتسامى   ولشعب يريد أن يتحرر

يانصير الحقوق قم فانظر اليوم ،   ترى الحق يستباح ويهدر

شرعة الغاب أصبحت تحكم الدنيا بناب مخالب الفتك أصفر

لا تبالى بمنطق الحمل الوداع النصاح فى شراها غضنفر

يانبى الاسراء مسراك فى القدس مشى الرجس فى ثراه المطهر

واستبد الذئاب بالمسجد الاقصى   وداسوا محرابه والمنبر

والأذان القدسى قد خنقته   ضجة اليوم بالنعيب المنكر

وكان المآذن الشم أيد   لفلسطين بالشكاية تجأر

نظرة منك يامحمد تحيى   عزمات كانت تفل وتبتر

مددا من هداك يجمع شمل العرب،   والمسلمين صفا موزر

ومضة من سناك تجلى دجى الليل وتجلو وجه السلام المعفر

نفخة من رضاك تجبر كسرا   كل كسر بنفخة منك يجبر

رب ثبت على الطريق خطانا   وأنر دربنا فلا نتعثر

ويخير الورى نبيك وفقنا   ويسر من أمرنا ما تعسر

---

(١) كتب الشاعر قصيدته فى هجرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وحتى لا ينتظر القارىء مناسبتها فى العام القادم بمشيئة الله – رأت المجلة أن تسارع باهدائها اليه ·

من حديث النفس

فى ذكرى النور

للأستاذ شوقى محمود أبو ناجى

عتبت على نفسى .. ولا زلت اعتب ... وأقلقها هم ممض معذب
تمادت فما الفت على الفى راحة ... وهامت بدنيا الناس لا تتهيب
واعجبها علم تقدم مظهرا ... معالم ظلت تختفى وتحجب
ودانت لها الذرات تفعل فعلها ... لتهدم ما شادت سنون وتخرب
تبارت عقول العلم تنسج عالما ... جميلا من الاحلام يغرى ويعجب
وقد عصرت هذى العقول وسهدت ... عيون لكى يرتاح عان معذب
فهل كان الا للمتاعب سعيهم ؟ ... تعاد بها للناس ناب ومخلب
كان نبيا لم يقم بهداية ... ليرجع غى او ليهدأ متعب
وتنصب رايات .. وتحيى محافل ... ويصرخ فى الذكرى بليغ ويخطب
وتقرأ آيات من الذكر فى شجى ... ليطرب قوم للجمال ويصخبوا
وتلك قلوب القوم غلف كأنهم ... خلوا من جلود تقشعر ليرهبوا
نعم وجميل ذكر من نبه الورى ... وايقظهم من غفلة فتغلبوا
عليه صلاة الله أيه الذى ... بيمناه يطوى الكون نعم المؤدب
وارسله بالنور والحق داعيا ... بشيرا .. ونور الحق اسنى وأرحب
فارشد ضلالا .. ووحد امة ... لتهدى انسانية تتعذب
لتهدى انسانية ضل سعيها ... واعوزها هاد يحن ويحدب
طوت جنبى الدنيا وباتت سجينة ... تحن الى طعم الهدوء وتطلب
وهل يطمئن القلب الا بذكره ؟ ... الا ان ذكر الله للمرء اطيب
فهل يوقظ النوام صرخة هاتف ... تنذير وعريان وفى عطفه أب ؟
فان لنا منه لعزا وهمة ... ترد دعاة الشر مهما تالبوا
ويرتفع اسم الله .. الله اكبر ... بصوت مدو فى العوالم يطرب

من معجزات القرآن

شعر جليلة رضا

هى ليلة .. مرت على كأنها عام وعام
الكون فيها كان اخلد للسكون وللظلام
والبرد . والبرد المفزع كان يمتص العظام
لكنما نام الجميع ولم أزل أنا والسقام
يقظين .. لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام

وطغت سيول الثورة الغضبى على قلبى ونفسى
ومضيت اصرخ فى اسى وكان بى أطياف مس
وانا الوح باليدين وبالسواعد فوق راسى
واصيح فى هذا الوجود وقد تجمد كل حس
يا كم احس مرارة فى الذكريات .. ويا لتعسى !

واذا بصوت من بعيد هاتف يدنو اليا
من عمق عمق اللا نهاية جاءنى يسرى نقيا
ينساب كالينبوع فى كلى ويجرفنى عتيا
ويهيب بى ... « هيا اقرئى شيئا من القرآن .. هيا
ومضيت اقرا آية الكرسى ، اتلوها مليا

ومضت على هنيهة كالدهر لم اتكلم
ماخوذة ، مازلت اصغى للرنين على فمى
وكأن حبلا شد من طرق ضياء .. مظلم !
وانا كبحر عربدت كل المشاعر فى دمى
لكن شيئا فى دمى .. ما كنهه ؟ .. لم اعلم !

وظللت وحدى فى الدجى ابكى باعماق السكون
احسست ان الله فى قلبى ، واحزانى تهون
وهتفت : « عفوا انت ادرى بالعباد .. ومن نكون ؟
عفوا .. فانت خلقتنا يارب من ماء وطين .. »
.. هى ليلة ، فى العمر ، لن تنسى على مر السنين

سطع النور

للأستاذ أحمد محمد الديب

سطع النور فى ربوع الحياة ... وتجلى بأحكم الآيات

مولد الهادى يوم سعد ونور ... يوم اشراق فائض البركات

جاء للناس كى ينير طريقا ... لنفوس تعانق الظلمات

جاء يدعو بحكمة وعظات ... جاء يهدى عقولنا الغافلات

حارب الشرك والشرور ، ودعانا : ... ربكم واحد على الصفات

ربكم واحد فلا تعبدوا رب ... بالسواه وحاربوا المغريات

واطيعونى اننى رحمة من ... ربكم تهديكم الى الجنات

وانشروا العدل بينكم وابعدوا عن ... نزعات الشيطان والهمزات

لا تميلوا لا تجبنوا لا تحيفوا ... لا تهيموا لا تفعلوا السيئات

وحدوا صفكم وكونوا بناء ... شامخا يحصن بأسكم كل عات

وازرعوا الحب بينكم وانزعوا نب ... تا لضغن وجاهدوا الشهوات

واغرسوا ارضكم حنانا وصفحا ... واتركوا البغى فالردى للبغاة

واطلبوا العلم تنهضوا ترتقوا ، بل ... تبلغوا اقصى المجد والغايات

من رأى منكم منكرا فليزله ... بجهاد بوثبة العزمات

لا تعيشوا الا اسودا اباة ... وقساة على رقاب العداة

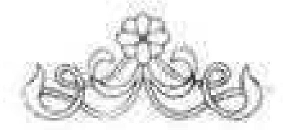
عاونوا الناس وامنحوهم امانا ... بشروهم بأجمل البشريات

دعوة من محمد اشرقت نو ... را فعم السنا جميع الجهات

مولد الهادى عيد خير ويمن ... فسلام عليه فى صلواتى

جوانب إسلامية

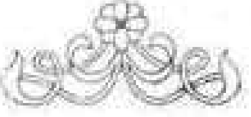
المحرمات من النساء



الزكاة أداة للنهضة الاجتماعية

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

الغزو الفكري وموقفنا منه



الاعلام الاسلامي

... مع النمل

المحرمات من النساء

قال الله تعالى في سورة النساء (٢٢ ــ ٢٤) :

« وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ (١) إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً (٢) وَمَقْتًا (٣) وَسَاءَ (٤) سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ (٥) اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ (٦) عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ (٧) أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ (٨) وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ (٩) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » .

١ ــ سبق .
٢ ــ منكرا قبيحا شنيعا .
٣ ــ المقت أشد البغض .
٤ ــ طريقا مذموما . وساء وبئس فعلان من أفعال الذم .
٥ ــ جمع ربيبة : بنت الزوجة من غير الزوج .
٦ ــ فلا اثم ولا ذنب .
٧ ــ زوجات ، مفرده زوجه .
٨ ــ من ظهوركم .
٩ ــ المتزوجات .

المحرمات في هذه الآيات الكريمة ثلاثة أنواع :

(أ) محرمات بالنسب .

(ب) محرمات بالرضاع .

(جـ) محرمات بالصهر .

(أ) فالمحرمات بالنسب سبع (١) :

١ ــ الأم :

تشمل أمك التي ولدتك ، وجداتك من جهة الأب أو الأم وان علون .

٢ ــ البنت :

ويراد بها : كل أنثى كنت لها أصلا ، فيدخل

(١) النسب : مايشترك في الانتساب اليه افراد معينون .

فى ذلك بنت الصلب ، وبناتها ، وبنات الأبناء وان نزلن .

٣ ـ الأخت :

تعم الأخوات الشقيقات ، ولأب ، ولأم .

٤ ـ العمة :

أخت أبيك شقيقة كانت أو لأب أو لأم أو عمة أبيك كذلك .

٥ ـ الخالة :

أخت أمك ، أو أخت جدتك لأبيك أو أمك ، شقيقة لهؤلاء أو لأب أو لأم .

٦ ـ بنت الأخ :

وبناتها وبنات أبنائها وبنات بناتها وان نزلن

٧ ـ بنت الأخت :

وبناتها وبنات أبنائها ، وبنات بناتها وان نزلن تقرأ ذلك فى قوله تعالى : « **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ** »

(ب) المحرمات بالرضاع سبع :

الأم :

١ ـ اذا أرضعت المرأة طفلا حرمت عليه ، لأنها أمه .

٢ ـ وكذلك أمها .

٣ ـ وأم زوجها صاحب اللبن لأنهما جدتاه .

٤ ـ وألحقت السنة بالأم أختها ، لأنها خالة الطفل .

٥ ـ وأخت زوجها صاحب اللبن ، لأنها عمته .

٦ ـ وبنات بنيها وبناتها ، لأنهن بنات أخوته وأخواته .

٧ ـ الأخت : وتشمل :

١ ـ الأخت لأب وأم :

وهى التى أرضعتها أمك بلبان أبيك سواء أرضعتها معك ،أم ولدت قبلك أم بعدك وتحرم على الأب لأنها بنته

٢ ـ الأخت من الأب دون الأم :

وهى التى أرضعتها زوجة أبيك . وتحرم على الأب لأنها بنته .

٣ ـ الأخت من الأم دون الأب :

وهى التى أرضعتها أمك بلبان رجل آخر وتحرم على الآخر لأنها بنته . يدل على ذلك .

المحرمات من النســاء

قوله تعالى : « وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ » .

(د) المحرمات بالصهر أربع :(١)

١ ـ زوجة الأب :

المراد بها المرأة التي عقد عقدها أبوك أو جدك وان علا فمتى عقد أحد من أصولك على امرأة فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها أبدا .

٢ ـ أم الزوجة :

بمجرد عقدك على امرأة ـ دخلت بها أم لم تدخل ـ تحرم عليك أمها ، وأم أمها وان علت .

٣ ـ بنت الزوجة :

اذا دخلت بامرأة حرمت عليك بنتها من غيرك وتسمى هذه البنت ربيبة (٢) وكذلك بنت بنتها وان نزلت .

٤ ـ زوجة الابن :

بمجرد عقد الابن أو ابن الابن وان نزل ـ من الصلب أو من الرضاع على امرأة ـ تحرم على أبيه وجده وان علا . أما حرمة زوجة الابن من الصلب فلقوله تعالى :

« وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ » .

وأما حرمة زوجة الابن من الرضاع فلقوله عليه الصلاة والسلام :

« يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »

الجمع بين الأختين :

يحرم على الزوج أن يتزوج أخت زوجته مادامت زوجته معه سواء كانت أختا شقيقة أم لأب ، أم لأم ، وسواء كانت أختا من النسب أم من الرضاع لقوله تعالى : « وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » .

ومن أسلم ومعه أختان يختار واحدة منهما ويفارق الأخرى .

قال رجل : يارسول الله اني أسلمت وتحتي أختان ، قال : (طلق أيتهما شئت) .

المتزوجات :

ويحرم على الانسان أن يتزوج امرأة على عصمة غيره لقوله تعالى :

« وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » .

---

(١) يراد بالصهر : القرابة التي جدت بسبب الزواج .

(٢) ووقع الاجماع على ذلك حيث كانت ربيبة أي مربوبة للرجل زوج أمها ... مجلة الأزهر .

والمعتدة فى حكم المتزوجة فيحرم زواجها فى عدتها .

مازاد على الأربـــع :

ثبت بالكتاب والسنة أن الرجل اذا كان فى عصمته أربع نســوة يحرم عليه مازاد عـلى ذلك من الحرائر .

قال الله تعالى فى سورة النســاء :

« فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا »

فأفادت الآية اباحة تعدد الـزوجات الى أربع فقط مع وجوب العدل بينهن فى القسم والنفقة والكسوة والسكن وحسن العشرة واذا خيف الجور وجب الاكتفاء بواحدة .

وفى الموطأ أن رجلا من ثقيف أسلم وعنده عشر نسوة فقال له رسول الله ﷺ :

(أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن) .

واذا طلق زوج الأربع واحدة منهن طلاقا رجعيا فليس له أن يتزوج واحدة غيرها حتى تنتهى عدة التى طلقها واذا طلق احدى الاربع طلاقا غير رجعى فله أن يتزوج واحدة غيرها بلا انتظار انقضاء العدة عند مالك والشافعى .

المشــركات :

يحرم على المسلم أن يتزوج امرأة تشـــرك بالله تعالى ففى ســورة البقرة (٢٢١) .

« وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ » .

المشـــركة :

الكافرة التى تعبد غير الله تعالى أو تشرك معه غيره فى العقيدة والعبادة وزواجها حرام مادامت مشركة لأن عقيدتها وأعمـالها تفضى بها وبمن يحاكيها الى النار .

وهى تربى أولادها على عقيدتها وأخلاقهـا والله جل شأنه يدعو عبـاده الى العقـائد والخصال التى تؤهلهم لرضاه وتطهرهم مـن الآثام وتفضى بهم الى الخلد فى جنات النعيم فالمشركة تحارب الله بالدعوة الى ضد ما يدعو اليه . فالمؤمنة خير من المشركة ولو أعجبتنـا الأخيرة حسبا ونسبا وجمالا ومالا .

تلك هى تعاليم الدين الاسلامى التى تعالج الموضوعات الاجتماعية التى يقابلها الفرد ونود أن يجد كل فرد فى هـذا الموضـوع ما يصله صلة روحية وثيقة بدينه ويبصره بان يعـالج مشكلات المجتمع ومشكلات الأفراد علاجـا يحقق لهم الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .

بقلم

مستشار / فوزى كامل محمد سليم

الزكاة

أداة للنهضة الاجتماعية

٢

ضوابط استحقاق الزكاة :

والحق سبحانه حين شرع الزكاة لتكون وسيلة لتحقيق تلك المصالح ، لم يشأ ان يترك أمرها دون تحديد يعصم حصيلتها من الضياع ، فوضع ضوابط استحقاقها ، حتى لا ينحرف الناس بها عن أداء المهمة التي شرعت من أجلها وحتى لا يكون ناتج الزكاة كما مهملا من المال يستغل في غير ما أمر الشارع به او يبعثر هنا وهناك وفقا لما يمليه الهوى فارتفع بها عن الاستغلال غير الرشيد وأغلق الباب امام الادعياء والكسالى حتى لا يتخذوا منها ذريعة لتنفيذ رغبة او تحقيق مآرب ، فاورد النص الواضح في القرآن الكريم ليحدد مصارف الزكاة .

ويبين شروط استحقاقها ، حتى لا يستغل النص الكريم في غير ما ورد ، ولا شك ان مجال الاختصاص بهذا الجانب يرجع الى دافعي الزكاة وأوليائه فكان منوطا بهم وحتى لا يركن أدعياء استحقاق الزكاة الى انحصار المسئولية عنهم امام الله واقتصارها على أولياء الامور في التحري عن المستحق والوقوف على مدى أحقيته ودرجته في الاستحقاق ، أدخل الحق سبحانه الآخذين للزكاة في المسئولية عن ترشيد انفاق مال الزكاة ، حتى لا يستغل واحد من الناس قدرته فى تزوير مظهره ، فيدعي صفة تجعله أهلا للاستحقاق وهي ليست فيه فجعله عند خفاء حاله على دافعي الزكاة آكلا لمال محرم ، حيث أخذ من مال الله جزءا لا يستحقه وقد يضيع بتصرفه غير المشروع هذا فرصة على فقير أو مسكين هو أجدر بالصرف منه ، وبالتالي يكون قد أخذ حق غيره .

ضوابط استحقاق الزكاة — اذا — ترجع الى الغني والفقير ، الدافع للزكاة والآخذ لها ، وينبغي بيان ذلك بشيء من التفصيل .

اولا : الضوابط المقررة لدافعي الزكاة :

وحتى تؤدي الزكاة رسالتها في اصلاح المجتمع وبنائه ، قرر الحق سبحانه لدافعي الزكاة الحدود التي تسهل لهم أداء تلك الرسالة النبيلة ، فحدد لهم مصارفها ، وطلب منهم التثبت من توافر صفة الاستحقاق في

للدكتور عبد الله مبروك النجار

آخذها ، وتلك المهمة يختص بها دافعو الزكاة وأولياء الامور الذين يعطون عليها •

١ – الالتزام بمصارف الزكاة :

جاء النص على تحديد مصارف الزكاة في قول الله تبارك وتعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (١) وعلى هذا النحو بين الحق سبحانه بالنص بالواضح والتفصيل المحدد ، الحالات التى تستوجب استحقاق الزكاة ، والآية الكريمة أشارت الى عدد من المستحقين ، يظهر من خلال النظر فيها انهم من ناحية استبانة حالهم ينقسمون الى قسمين :

أولهما : صنف حاله واضح وأمره ظاهر ، وهم في النص الكريم ، العاملون على الزكاة ، والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، وأصحاب هذه الحالات أمرهم واضح ، ومن ثم فانهم لايحتاجون في بيان حالاتهم الى زيادة توضيح •

فالعامل على الزكاة معروف بصفته ووظيفته وأصحاب الرقاب معرفون ان وجدوا •

والمؤلفة قلوبهم ، ممن يرجى منهم دفع الأذى عن المسلمين حالهم واضح ، وكذلك الامر بالنسبة للصرف في سبيل الله على المجاهدين ومصالح المسلمين (٢) ، لوضوح أمره ويسر معرفته ، وابن السبيل الذى انقطعت به الاسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله أمره غير خاف ، ومن ثم فان أصحاب تلك الحالات يعطون من الزكاة لمجرد قيام تلك الاوصاف فيهم بالوضوح الذى لا يحتاج الى زيادة بيان •

ثانيهما : صنف يحتاج أمره الى زيادة بيان واثبات صفة ، وهم الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، اما الغارم فانه لا يعطى من الزكاة بمجرد دعواه لأن أمره لا يمكن استيضاحه من مظهره ، ولهذا فقد قرر الفقهاء أنه لا يعطى من مال الزكاة الا اذا اثبت وجود الدين عليه وأن يكون دينه في طاعة وفي غير اسراف وان يكون في أمر ضرورى (٣) ، ومن المؤكد أن هذه الشروط تحدد مركزه في الاستحقاق ، فأمره لا يثير صعوبة ، وأما الفقراء والمساكين فان أمرهم يحتاج الى بيان ، حيث جعل الشارع علة الصرف لهما هى الفقر ، والمسكنة ، وهما كثيرا ما يثيران الاشتباه والخلط ، لأن كثيرا ممن يألفون التسول غالبا ما يتفننون في الظهور بمظهر الفقر والمسكنة ، فمنهم من

(١) سورة التوبة – اية ٦٠
(٢) راجع في هذا المعنى ، سبل السلام للصنعانى – جـ ٢ ص ١٤٥
(٣) بداية المجتهد – جـ ١ ص ٢٦٨

يتمارج ومنهم من يتمامى ، ومنهم من يزعم أنه قد خرج من المستشفى وليس معه أجرة القطار ولا ثمن الخبز ، الى غير ذلك مما يراه الناس في كل وقت ، الامر الذي يجعل الوقوف على حقيقة وضعهما شيئا عسيرا في معظم الاحوال ، وهو وان كان يسيرا الى حد ما بالنسبة للمسكين لأن شدة حاجته قد تفصح عن أمره ومن ثم فان ظروف مدعي المسكنة قد تدل على وضعه ، الا أن الامر يبقى بالنسبة للفقير على ما هو عليه من ابهام وغموض ، في هذه الحالة قرر الفقهاء أن على الامام أن يتحرى عن حالهم ، ثم يصرف لهم مايستحقونه في الزكاة ، فاذا ظهرت حقيقة أمرهما ، وثبت خلاف ماصرف لهما به ، فان المزكي يسترد منهما ما أخذاه (١) ، وذهب بعض الفقهاء الى أن للمزكي أن يضمنه ما أخذ عند تلفه وعلم القابض أن ما أخذه زكاة (٢) ، ويتضح من خلال رأي الفقهاء مدى حرص الاسلام على حماية مال الزكاة لتحقق غايتها في بناء المجتمع السليم .

وقد حدد الحق سبحانه مصارف الزكاة على هذا النحو المفصل وأمر بالالتزام بهذا التحديد ، ولا شك أن في امتثال أمر الله ، ما يحفظ مال الزكاة ، ويضمن تحقيق رسالتها في النهوض بالمجتمع على أكمل وجه .

٢ ـ التثبت من صفة الاستحقاق :

مال الزكاة لاينفق عبثا ، وانما هو محكوم بضوابط دقيقة تمنع وجود فئة من المتعطلين الذين لا يعملون ، اعتمادا على ما سيأخذونه، وهم قادرون على العمل ، لأن الصرف محدد لفئات معينة تستحقه ، وهذا الاستحقاق يستند الى علة ينبغي أن تتوافر ، وتوافر العلة يحتاج الى بيان وتثبت ، ولهذا أرشد الشارع دافعي الزكاة، والقائمين بذلك أن يتحروا عن وجود علة • الاستحقاق في آخذ الزكاة ومنها وجود الفقر أو المسكنة مع عدم القدرة على العمل لأن القوى المكتسب بحرفته في حكم الغنى ، فلا يكون أهلا للزكاة ، وهذا لا يكون الا عند عدم العلم بوجود علة الاستحقاق ، فان كان يعلمها فلا وجوب للتحرى في تلك الحالة (١) .

ومما يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن على ابن الخيار أن رجلين حدثاه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما النظر ، وفي رواية أخرى « فرفع فينا النظر وخفضه » فرآهما جلدين ، فقال : « ان شئتما أعطيتكما، ولاحظ فيهما لغني ولا لقوى مكتسب (٢) ، ووجه الدلالة في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ لم يعط هذين الرجلين بمجرد طلبهما . بل قلب فيهما النظر ، وتقليب النظر علامة على التحرى ودليل عليه ، وفي هذا ما يدل على

---

(١) الهداية ـ شرح بداية المبتدى للميرغناني الحنفي ـ جـ ١ ص ١١٤

(٢) راجع : العروة الوثقى ـ للشريف محمد اليزدي ـ جـ ٢ ص ٣٨

(١) راجع : الهداية ـ نفس المكان السابق .

(٢) رواه احمد وقواه ابو داود والنسائي ـ راجع : سبل السلام ـ جـ ١ ص ١٤٦

مشروعيته ، كما أنه ضروري لحفظ مال الله ، واعطاء المال لمن يستحقه فعلا ، ولما كان حفظ مال الله ، واعطاء المال لمن يستحقه أمرين واجبين ، فان مايتحقق به ذلك يكون واجبا ، ومن ثم يكون التحرى مشروعا على الوجوب، ولا يخفى ما يؤدى اليه ذلك من حفظ المجتمع ممن يأنسون الكسل طمعا فى مال الزكاة وهم قادرون على العمل ، ومن المقرر أن الزكاة لا تجب لغنى ولا لقادر مكتسب ، ولا لقريب ، ولا لأحد من بنى هاشم (١) .

ثانيا : الضوابط المقررة لآخذى الزكاة :

ولما كانت قدرة البشر محدودة فى الوصول الى مدى الاستحقاق الفعلى ، الأمر الذى يجعل عددا من الادعياء يفلتون من الحكم الصحيح عليهم فيأخذون الزكاة وهم غير أهل لاستحقاقها وهؤلاء لم يتركهم الشارع ، بل بين لهم أن ما حصلوه مال حرام ، يستوجب آكله عقاب الله،هذا فى حال عدم استحقاقهم، وحتى فى حال الاستحقاق فان الاستغناء عن الزكاة بالعمل المثمر وعفة النفس . خير وأحب عند الله ، ومن ثم يمكن تحديد الضوابط المقررة لآخذى الزكاة فى نقطتين .

١ ـ تحريم المال المأخوذ بغير حق :

وحتى لا يستمرىء كثير من ادعياء الفقر أكل أموال الزكاة وهم قادورن على العمل والعطاء بين لهم الحق سبحانه وتعالى ان عملهم هذا ينطوى على مخالفة تستوجب العقاب ، لأن أكل أموال الفرد بالباطل جريمة كبرى تستأهل العقاب من الله سبحانه ، وهى محرمة،فمن باب أولى يكون أكل مال الله الذى هو مال الجماعة وحق المحتاجين والضعفاء ، اشد حرمة وأحرى بالعقاب ، وبهذا الحكم حمى الشارع سبحانه الزكاة ممن يريدون أن ينحرفوا بها عن مسارها الصحيح طمعا فى مال لا يستحقونه ، وفى هذا ما يحمى المجتمع من مدمنى الكسل وراغبى البطالة .

٢ ـ التعفف عن مال الزكاة بالعمل :

كما خاطب الشارع سبحانه هؤلاء الذين يتطلعون الى اكتساب المال من هذا الطريق ، وهم غير أهل له بأن لهم فى السعى والعمل فلاح ونجاح وخير اكثر مما يروقهم من الطمع فى مال الزكاة .

وقد ورد فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة كثير من الآيات والاحاديث التى تدل على وجوب العمل والسعى ، وتبين أن اليد العليا خير من اليد السفلى .

أ ـ فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى : « فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »(٢) ، ويقول تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

(١) الهداية ـ نفس المكان السابق .

(٢) سورة الملك ـ آية ١٥ .

وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ (١)» ولا يخفى ما تدل عليه هاتان الآيتان الكريمتان وغيرهما من الأمر بالسعى فى مناكب الارض بالزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى، والابتغاء من فضل الله ٠

ب ــ وفى السنة النبوية :

ما روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ لأن يحتطب احدكم حزمة على ظهره ، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه (٢) وعن حكيم بن حزام ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ ﷺ ــ قال :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » (٣) ٠

ولا يخفى مايدل عليه ذلك الحديث الشريف من وجوب التعفف عن مال الزكاة وبيان خير اليد المتصدقة على اليد الآخذة ٠

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ لايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » (٤) ، والحديث يدل على قبح كثرة السؤال ، وعن المقداد بن معد يكرب ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ ﷺ ــ قال :

« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من عمل يده وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (٥) ٠

٠٠ وعلى هذا النحو ، أرشد الاسلام الفقراء الى الاقبال على العمل قبل أن يمدوا يدهم بالسؤال ، ليكونوا طاقات منتجة وقوة فعالة فى حياة المجتمع بعد أن بين وضع هؤلاء الذين يقتعون من الحياة بالعيش عالة على حساب المجتمع دون ان يكونوا اهلا لاستحقاق مال الزكاة ٠

٠٠ وبهذا تكون الزكاة وسيلة للنهضة الاجتماعية والارتقاء الانسانى ، وهو معنى فيما اردت ان ابرزه فى هذا المقال ، والله اعلم وهو الموفق والمعين ٠

د عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة الجمعة ــ آية ١٠ ٠
(٢) رواه البخارى ــ راجع سبل السلام ــ جـ ١ ص ١٤٤ ٠
(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى ــ سبل السلام ــ جـ ١ ص ١٤٤ ٠
(٤) سبل السلام ــ جـ ١ ص ١٤٤ ٠
(٥) رواه البخارى ــ راجع : رياض الصالحين ــ ص ٢٤٨ ــ دار الحديث ٠

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

٣

للدكتور رءوف شلبى

ثالثا : استراتيجية التأديب

استراتيجية حرب التأديب لصيقة باستراتيجية حرب السيادة ، لأن الدولة ذات السيادة المحترمة هى التى تحترم عهودها وتجعل الخصم يفىبعهوده ، ويحترم مواثيقه معها .

لأن عدم احترام الخصم للمعاهدة يرجع الى عامل عدم الاكتراث بالدولة النظير : وأى دولة تفرط فى تأديب ناكث عهودها تكون دولة ضعيفة فاسدة لا تستحق الحياة ولا يستحق شعبها الاحترام والبقاء .

ولقد حرصت الدولة الاسلامية منذ لحظة توقيعها معاهدات أو مواثيق أن تلتزم هى بالتطبيق الفعلى الواضح لمعاهداتها ومواثيقها كما أنها كانت حريصة كل الحرص على تأديب كل من يخرج على معاهداته ومواثيقه معها ، ويظهر ذلك بجلاء فى استراتيجية العمليات العسكرية مع اليهود فى بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ، ثم فى فتح مكة على نحو ما سنعرضه بما يناسب طبيعة هذه الدراسة كما يلى : ـ

غزوة بنى قينقاع : تقوم استراتيجية هذه المعركة على عمل سياسى سبق أن قام به النبى ﷺ مع اليهود عندما قدم ـ ﷺ ـ المدينة مهاجرا من مكة المكرمة فقد عقد معاهدة أمن وسلام ودفاع مشترك بين المسلمين وبين اليهود والحق كل قوم بحلفائهم وجعل بين المسلمين واليهود أمانا وشرط عليه الصلاة والسلام عليهم شروطا منها : ـ

*** الا يظاهروا عليه احدا من الأعداء .**

فلما قدم منتصرا من (بدر الكبرى) بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين المسلمين من العهد والذمة فجمعهم النبى ﷺ بسوق بنى قينقاع وهم أهل صناعة وحرفة صياغة للذهب وقال لهم :

« يامعشر يهود ، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فوالله انكم لتعلمون أنى رسول الله ؟

فقالوا : يامحمد ، لا يغرنك من لقيت انك قهرت قدما اغمارا لا تجربة لهم فى الحروب ،

وانا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا •

فبينما هم على ماهم عليه من اظهار العداوة ونبذ العهد وسوء الأدب في الحديث جاءت امرأة رجل من الانصار الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ في حلى لها فجاء أحد بنى قينقاع من الشباب الماجن المستهتر المستخف بالقيم والأخلاق فحل درعها من ورائها وهي لا تشعر فلما قامت بدت عورتها فضحك اليهود في السوق •

وكان ذلك علامة على بدء استخفاف اليهود بالعهد الذي عاهدوا عليه فلم يتحمل المسلمون هذه الفعلة ، لأن عرض المسلمين مصان وشرفهم محفوظ ومقدس فتبع الغلام اليهودي الماجن شاب مسلم فقتله فاجتمع عليه يهود السوق وقتلوا الشاب المسلم ونبذوا العهد وتحصنوا في حصونهم •

فالمسألة اذن :

ــ اظهار الكراهية للنصر الذي تفضل الله به على المسلمين في يوم بدر •

ــ تحقير العسكرية الاسلامية ، وتحقير قدرة المسلمين على مواجهة اليهود في عمل عسكرى •

ــ تطاول على عرض المسلمين •

ــ ثم مجاهرة بنبذ العهد ومخالفة لنصوص الاتفاقية المبرمة بينهم وبين المسلمين •

فهل تترك الدولة الاسلامية هذا المتعاظم المتعالى على الحق وعلى القيم وعلى العهود والمواثيق ؟

كان لابد من تأديب هؤلاء الفراعنة اليهود فكانت غزوة بنى قينقاع في شوال بعد بدر من نفس العام ــ وقيل في صفر سنة ثلاث من الهجرة ، فحاصرهم الجيش الاسلامي لمدة خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وخضعوا لسيادة الدولة الاسلامية فربطوا وكتفوا فتشفع فيهم حليفهم عبد الله ابن أبى بن سلول سيد المنافقين فأمرهم أن يجلوا عن المدينة فأجلاهم محمد بن مسلمة الانصارى ، وقيل عبادة بن الصامت وأخذ رسول الله ﷺ سلاحهم ودورهم ورحلوا الى (أذرعات) فلم يلبثوا قليلا حتى أهلكهم الله جميعا (١) •

غزوة بنى النضير : تنفيذ المعاهدات في الوقت العصيب أمر يظهر ايجابية طبائع الشعوب أو السلبية فيها على حقيقتها ، ولقد عقد النبى ﷺ معاهدة الأمان والدفاع المشترك مع اليهود أول أن قدم المدينة وسورة البقرة كانت تترى بفضائحهم التاريخية وجرائمهم الأخلاقية وأفاعيلهم الخسيسة تجاه الله جل جلاله وتجاه الأنبياء من بنى جلدتهم ، وهو أمر كاف في التردد لابرام اتفاق مع قوم هذا طبعهم وتلك جبلتهم ، ولكن الاسلام حسب منهجه يرخى

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٠٥ الحلبية جـ ٢ ٢٠٩ زاد الماد جـ ٢ ص ١٩٠ •

العنان حتى تظهر طبائع الاشياء للعيان فلا يكون بعد رؤية العين حاجة الى برهان أو دليل.

وقد كشف بنو النضير عن قبح وجدانهم الطبيعي وفساد قلبهم الفطرى الذى مسخه الله فكأنهم القردة والخنازير وذلك عندما ذهب اليهم رسول الله ﷺ فى ديارهم يطلب منهم - حسب بنود الاتفاقية المبرمة بينهم - أن يساعدوه فى دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية فقالوا : نفعل اجلس حتى نطعمك ثم خلا بعضهم الى بعض وأشار عليهم حيي بن أخطب أن يقتلوه فيطرحوا عليه حجرا كبيرا من فوق البيت الذى كان يجلس تحته ﷺ ، وانتدبوا لذلك عمرو بن جحاش اليهودى الخسيس وهيأ الخنزير اللعين الحجر ليلقى به على النبى ﷺ فجاء الوحى الأمين وأعلمه بما هموا به فنهض ﷺ سريعا ومضى الى المدينة، فلما أبطأ لحق الصحابة وكان النبى ﷺ قد بعث فى طلب محمد بن مسلمة رضى الله عنه فأعلمهم النبى ﷺ بما تآمروا عليه ، وأمر محمد بن مسلمة أن يذهب اليهم ليقول لهم : ان رسول الله ﷺ يقول لكم : اخرجوا من بلده فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من العدو وقد أمهلهم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه .

وأخذوا يتجهزون فهم يعرفون أنه النبى الخاتم حقا وأن الله ناصره عليهم لكن حيي بن أخطب قال : انا لا نخرج فليجمع ما بدا له وذلك بناء على دسيسة من عبد الله بن أبى بن سلول سيد النفاق ووعدهم ان ينصرهم بألفين من المقاتلين فسمعوا له وتحصنوا فى الحصون ولكنهم فى النهاية انهزموا وأجلاهم محمد بن سلمة رضوان الله عليه فخرجوا ليس معهم الا النساء والذرية (١) .

غزوة بنى قريظة :

لليهود دور بارز فى تأليب قريش على النبى ﷺ :

* فقد خرج اليهودى كعب بن الأشرف الى مكة بعد بدر يرثى قتلى قريش ويحرض قريشا على قتال الاسلام والمسلمين .
* كذلك خرج الراهب الفاسق أبو عامر وكان رأسا فى الأوس ثم ترهب وصار عدوا لدودا للاسلام والمسلمين - خرج الى قريش يمنيها بالمساعدة ان حاربت محمدا ﷺ .
* كذلكخرج - للسبب نفسه - وفد رفيع المستوى من اليهود على رأسه .

- سلام بن ابى الحقيق .
- حيى بن أخطب .
- وابن قيس الوائلى .

ورحلوا يغرون كفار قريش بحرب النبى ﷺ ، فقال : لهم أبو سفيان : مرحبا وأهلا ، أحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم أخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها وتحالفوا وتعاقدوا - وقد الصقوا أكبادهم بالكعبة - ألا يخذل بعضهم بعضا ، ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقى منهم رجل ، ثم قال أبو سفيان : يامعشر يهود أنتم أهل

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٨١ الحلبية جـ ٢ ص ٢٦٧ زاد المعاد جـ ٣ ص ١٢٧/١٢٨

الكتاب الأول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نحن ومحمد . أديننا خير أم دين محمد ؟ فقالت يهود : اللهم انتم أولى بالحق منه .

فهذه عدة مخالفات واضحة من اليهود تناقض بنود الميثاق الذى أبرموه مع المسلمين وترتب عليه إن جمعت قريش أحابيشها وأحزابها وسارت فى جيش جرار تريد حرب النبى ﷺ .

* يضاف الى هذا انه عندما وصلت الاحزاب الى المدينة المنورة ان حيى بن اخطب أتى كعب بن أسد سيد بنى قريظة ليكونوا مع قريش على محمد ﷺ فقال له كعب بن أسد : انك رجل مشئوم وقد شأمت قومك حتى أهلكتهم فارجع عنا لكن حيى مازال به حتى لان كعب ونقض العهد وشقوا الكتاب الذى كتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم واستدعى رؤساء اليهود وهم : —

— الزبير بن باطا .

— ونباش بن قيس .

— وعزال بن سموئل .

— وعلقمة بن زيد .

— وكعب بن زيد .

وأعلمهم بنقض العهد وهمت بنو قريظة بفعل ايجابى فأرادوا أن يغيروا على المدينة لكن الله كان يحرس المدينة فلم يفلحوا .

ولكن نباش بن قيس استرجل فى عشرة من اليهود وراح يريد المدينة ففطن اليهم نفر من الصحابة فرموهم حتى هزموهم فلما علمت حصون بنى قريظة بالواقعة خافوا وظنوا انه البيات فلما من الله على المسلمين بالنصر وجاءت الرياح فاكفأت قدور قريش ، وقطعت حبالها ، وخلعت قلوبهم من صدورهم خوفا ورعبا وهرب ابو سفيان لا يلوى الا على نفسه ، كان لزاما على الدولة الاسلامية أن تؤدب أولئكم الذين تعودوا الخيانة ونقض العهد ، فكان فيهم حكم حليفهم « سعد بن معاذ » رضى الله عنه فقتل جميع العسكريين وسبيت نساؤهم وذراريهم وانتهت خرافة : انهم — أى اليهود — أهل الحرب .

ومن أخبار هذه الغزوة التى بلغت فيها القلوب الحناجر وصدق الله فيها وعده ونصر عبده ﷺ وهزم الاحزاب وحده — عبر كثيرة من دلائل النبوة الخالدة .

ذلك أن النبى ﷺ — والمسلمون فى هذا الضيق — يبشرهم بفتح قصور الشام وقصور كسرى ، وقصور اليمن .

يقول المقريزى :

... فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربة فذهبت أولها برقة الى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة الى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق وكسر الحجر عند الثالثة ، فقال ﷺ : انى رأيت فى الأولى قصور اليمن ثم رأيت فى الثانية قصور الشام ، ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن وجعل يصفه لسلمان ، فقال : صدقت والذى بعثك بالحق ان هذه لصفته وأشهد أنك رسول الله ، فقال

رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي ياسلمان لتفتحن الشام ، ويهرب هرقل الى أقصى ملكه ، وتظهرون على الشام ، ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ولتفتحن هذا المشرق ، ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده (١) .

لو لم يكن محمد ﷺ حقا رسول الله الخاتم كيف له وهو في موقف عبر وصفه الله في القرآن بقوله : (بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) كيف به وهو محاصر من كل جانب يسوق خبر هذه الفتوح هكذا شرقا وغربا ... ؟ !

فأما سلمان فقد جاء من بعيد وهو يبحث عن النبي الخاتم الذي تعلم صفته من الرهبان والأحبار .

وأما نحن فها نحن نرى أن جميع هذه المناطق التي بشر بها النبي ﷺ قد فتحها الله للمسلمين .

أفلا يجب علينا أن نطيع رسول الله ﷺ في كل ما جاء به من عند ربه عسى الله أن يرفع عنا البلاء الذي حل بأجيالنا ؟

فتح مكة :

لم يعرف التاريخ في القديم وفي الحديث دولة أبرمت اتفاقية ثم أحاطتها بالاحترام والرعاية ولم تتحايل على فسخها أو الخروج عليها غير الدولة الاسلامية ، فانها اذا عاهدت أوفت ، فان من تعاليمها : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ (٢) » .

بل ان احداث الهجرة لتجعل الوفاء بالعقود صفة يتيمة لسيدنا محمد ﷺ اذ أن ما فعله قومه معه مع انهم يعلمون أنه على الحق لم يخرجه عن طبعه الشريف والتزامه بالأمانة وصدقه بالوعد فجعل أسرارهم وأماناتهم عنده — وهم عازمون على قتله — في محل الحفظ والصون والوفاء ، ولذا خلف سيدنا على بن أبي طالب ليرد الامانات الى أهلها .

معاهدة الصلح :

التى عقدها سهيل بن عمرو عن قريش مع النبي ﷺ وضعت الحرب بين الفريقين عشرة أعوام ، فقد كانت قريش بعد هزيمة الاحزاب في جدب اقتصادى ونكسة عسكرية لما تفق بعد منها فلا طاقة لها على الحرب ، وبعد اعدام اليهود العسكريين من بني قريظة لم يعد هناك ثقة متبادلة بين أحد من اليهود وواحد من كفار قريش فقد وقع بين المعسكرين شك وفقدان ثقة الى حد عدم امكان الاتفاق بينهما على عمل عسكرى بعد هذا .

وكان المفروض في قريش أن تلتزم بنصوص المعاهدة فتحترم حلفاء رسول الله ﷺ من (خزاعة) لكن رعونة بعض الشباب الجاهلى الذي يعجب ببريق السيف عندما يكون وحده ولا يقدر ثقل سيف الفارس المبارز له راحوا يدسون الدسائس تحايلا على نقض صلح الحديبية فقد هجا شاعر من بكر يسمى « أنس

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٢٣ راجع الحلبية جـ ٢ ص ٣١٤ .

(٢) النحل

ابن زنيم الديلى » سيدنا رسول الله ﷺ فسمعه غلام من (خزاعة) فضربه فشجه ولم يمت .

فالأمر محصور بين بكر حليفة قريش ، وخزاعة حليفة رسول الله ﷺ فهو أمر داخلى بين قبيلتين لا يجوز لأحد الحلفاء حسب نصوص معاهدة الحديبية أن يعين على الحليف الآخر .

لكن مجموعة للشباب القرشى الأرعن اتخذت من هذه الحادثة الصغيرة تكأة فعاونوا بكرا على خزاعة فأمدوهم بأبطال شداد من قريش هم : —

* **صفوان بن أمية .**
* **ومكرز بن حفص بن الأخيف .**
* **وحويطب بن عبد العزى .**
* **وشيبة بن عثمان .**
* وسهيل بن عمرو الذى وقع المعاهدة عن قريش ، وأجلبوا معهم ارقاءهم ، وبيتوا مع بكر ثم باغتوا خزاعة ليلا وهم آمنون فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجلا لم يكونوا أصلا من المحاربين ثم ساقوا النساء والأطفال حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء وقيل حتى انتهوا بهم الى أنصاب الحرم .

ولما أدركت قريش فعلة صبيانها ندموا وعرفوا أنهم ارتكبوا أمرا خارقا لمعاهدة الصلح فقالوا لأبى سفيان : هذا أمر لابد له من أن يصلح ، فاتفقوا على مسيرة أبى سفيان لرسول الله ﷺ ليزيد فى الهدنة ، ويجدد العهد .

كان ذلك من أمر قريش المعتدية ، بينما سار عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة حتى دخلوا المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه فقام ينشد شعرا وأخبره الخبر واستصرخه فقام ﷺ وهو ، يجر ثوبه ويقول :

« لانصرت ان لم انصر بنى كعب مما انصر منه نفسى » فكان فتح مكة حرب تأديب لناكثى العهد ، فان الدولة ذات السيادة الموقرة لابد وأن تضع امكاناتها كلها موضع التنفيذ عندما يحل الوفاء بالميثاق الذى قطعته على نفسها .

فالدولة المحترمة لا تتحايل على نقض معاهداتها ، كذلك لا تتحايل على التنصل من تأدية واجباتها المنصوص عليها عند اللزوم .

ومن أخبار هذه الغزوة أن النبى ﷺ عفا عن كل القرشيين وقال : « **اذهبوا فانتم الطلقاء** » (١) .

وهى أول مرة فى التاريخ يعامل فيها مجرمو الحرب معاملة حسنة ، لأن المنهج الاسلامى عندما ترتفع راية الاسلام فوق سارية النصر يجب أن يستتبع ذلك عفو عما فات (٢)، ومعاملة طيبة فمن أساء بعد ذلك أخذ بما فعل .

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٥٧ وما بعدها الحلبية جـ ٣ ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) تختلف مع الكاتب فى قوله : (لأن المنهج الاسلامى ... (الى) ... عفو عما فات) فان فقهاء الأمة بينوا ان الامام مخير فى اشياء ... مجلة الأزهر

وكل عمل سياسي أو عسكري معاصر اذا نجح لا ينبغي أن يعلن عن اسلامه الا اذا كانت النتائج متفقة مع طبيعة الدعوة وانها رحمة للعالمين فالدعوة لا تصدر حربا ولا رعبا ولا ثورة ولكنها ترسل بالهدى والتقوى والعفو والسماح والنور .. !

ومن أخبارها كذلك : ان سيدنا أبا بكر رضي الله عنه رأى في الليلة التي أصبح فيها بالجحفة ـ ان النبي ﷺ لما دنوا من مكة خرجت عليهم كلبة فلما دنوا منها استلقت على ظهرها فاذا أطباؤها تشخب لبنا . فذكرها أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ : (ذهب كلبهم) بفتح الكاف واللام يعني : (شرهم) ، واقبل درهم ، هم سائلوكم بأرحامكم ، وانتم لاقون بعضهم ، فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه (١) .

والملاحظ في غزوات التأديب وهي اللصيقة جدا باستراتيجية سيادة الدولة في الحفاظ على حقوقها وكرامتها ومعاهداتها ، ان النبي ﷺ هو الذي قاد بنفسه هذه الغزوات لأنه ﷺ كان الطرف المباشر في عقد هذه المعاهدات ان مع اليهود ، أو مع قريش .

ومعنى قيادته العسكرية لهذه الغزوات :

(أ) انه ﷺ يشهد التاريخ انه وفي بالمواثيق وحقوقها .

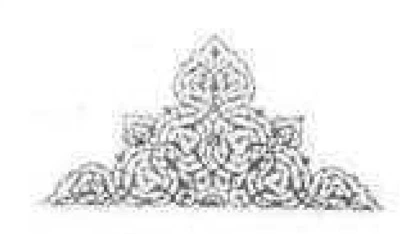
(ب) وان الخصوم هم الذين نقضوا عهودهم ..

(جـ) وان سيادة دولته المسئولة عن القيم الحضارية العليا للانسان استعملت حقها في تأديب من خرج على عهده وميثاقه .

(د) وانه تولى ذلك بنفسه تأكيدا للمبدأ الاستراتيجي لهذه العمليات العسكرية لتكون لمن سياتي ـ من بعد ـ نبراسا لمن يلتزم من حكام المسلمين بالتمسك بتعاليم الاسلام في حماية القيم الحضارية وسيادة الدولة الاسلامية .

يتبع

د / رءوف ـ شلبي



---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٦٨

الغــزو الفــكــرى
ومــوقــفــنا منه

لا شك أن غزوا فكريا غربيا قد غزا العالم الاسلامى بجانب الغزو السياسى والعسكرى . وهذا الغزو الفكرى وقف سندا للاستعمار الأوربى وللمصالح الاجنبية فى بلاد الاسلام .

وامتد أثر هذا الغزو فى كل جوانب حياتنا العامة والخاصة على السواء ، وشمل كل ركن من أركان عالمنا الاسلامى الممتد من باكستان الى مراكش . وقد نشأ بسبب الغزو الفكرى الصليبى الاسلامى العربى ، طبقات جديدة من أبنائها أصبحت لا ترى الحياة الا بمنظار الغرب وثقافاته وفلسفاته وفكره . وترى ان فكر بلادها وتراثها بل دينها عبء ثقيل يجب طرحه والتحرر منه . ومن هذا المنطلق الغريب ، وهو خضوعها الكامل للثقافة الغربية وغزوها الفكرى لنا ، أصبحنا نجد من يقول : انه لايقرأ كتابا عربيا أو مقالا لكاتب عربى وكان طه حسين يقول : « اننى أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية » . وأصبحنا نجد كذلك من يصف ــ مع أعداء الدين ــ الاسلام العظيم بأنه دين رجعى ، ومن يتحدث عن قطع يد السارق بأنه عمل « بربرى » ، ومن يقول من المبعوثين العرب الى جامعات العالم : انه لم يستطع الدفاع عن قضية الحدود الاسلامية وعدالة تشريعها أمام الشباب فى الغرب وفى أمريكا ممن يتصورون ذلك عملا منافيا للانسانية ، كأن الانسانية وحدها عندهم انما هى فى مثل فلسفة التفرقة العنصرية وفلسفة الجنس ، وفلسفة التهديد الذرى للحضارة والحياة .

ما أكثر الكتاب العرب اليوم الذين يرددون كالببغاوات أن الثقافة الاسلامية تراث متخلف وفكر غريب يجب أن ترمى كتبه الصفراء فى النار ، ومن يقترح لنتخلص من هذا التراث الكتابة بالحروف اللاتينية مثل صنع تركيا ، أو اتخاذ العامية لغة لنا كما كان يدعو سلامة موسى ، وتلميذه لويس عوض .. وهدفهم وهدف من يوحون اليهم بذلك هو قطع صلتنا بماضينا وحاضرنا جملة ، والارتماء فى أحضان أعدائنا ليكملوا الاجهاز علينا ، وقطع صلتنا بالاسلام جملة .

ومن ينادى بأن العرب تلاميذ الاغريق وعلمهم امتداد للعلم الاغريقى ، وأن الثقافة الاسلامية لا يمكن تصورها بغير الثقافة اليونانية الرومانية .

ان الذين يزعمون بالباطل من المتعصرين والمستغربين ان الاسلام خصم للعلم والعقل وأنه دين الغيبيات وأنه سبب ضعف المسلمين

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

اليوم ، هم طوائف كثيرة من أعداء الاسلام من صليبيين وماركسيين وصهيونيين ومن أذنابهم من أبنائنا وشبابنا الذين ألقينا بهم فى أحضان خصومنا باسم العلم والثقافة ، وفاتنا أن العلم فى الغرب موجه ، وأنه فى كل مجالاته يقف نفسه أولا لحرب الاسلام وشعوبه .

ونود أن نسأل مع العقاد : هل يؤمن عقل الانسان بالدين فى هذا العصر ، ويرى دينا أحق بالايمان به من الاسلام ؟

طوائف وطبقات كثيرة من كتابنا تنطق اليوم بيننا بلسان الثقافة الغربية ، وتعبر عنها تعبيرا كاملا ، وهى لذلك تعادى الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية التى تقف فى مواجهة طغيان الغزو الفكرى المسيحى لعقولنا . وصارت هذه الطبقات تؤمن مع الأوربيين بأن بدء النهضة الحديثة فى العالم العربى بالحملة الفرنسية الى مصر والشرق العربى ، كأن العرب لم يعرفوا التقدم الا فى ظلال الغرب وبعد اتصالهم بثقافته وحضارته .

ويضاعف من خطر هذا الغزو الفكرى عمل الجامعات والكليات والمدارس الأجنبية فى بلادنا ، وتأثر المبعوثين من شبابنا الى الغرب بالفكر الأوربى المسيحى المعادى للاسلام وللعرب ، وذلك طيلة قرن ونصف من الزمان ، ثم جهل شبابنا بالثقافة الاسلامية ومصادرها وتراثها جهلا تاما ، الا ما يعرفونه عنها من مطالعاتهم لكتب المستشرقين .

ونجد مثل هذه الآراء الغربية مبثوثة فى كتابات كتابنا المعاصرين وفى مؤلفاتهم .. ودع عنك كتابات الشعوبيين المنتسبين الى العرب بالباطل ، ومن بينهم أمين الريحانى وجبران ، وكذلك سلامة موسى وساطع الحصرى ، ولويس عوض والتصبى وسواهم ممن تذيع بيئات المبشرين آراءهم فى كل مكان وبكل قدراتها .

ولقد صارت مذاهبنا الأوربية والنقدية والفنية والفكرية والعلمية صدى للعقل الغربى وحده ، وصقلت جامعاتنا هذه المناهج الأوربية الفكر بالأسلوب العربى واحتفظت بها ، وتبعتها فى الاحتفاء جامعاتنا الاسلامية كذلك ، وخضعت مناهجنا التربوية التعليمية لهذا الطابع الأوربى خضوعا تاما ، وأصبحت محتاجة الى الترقيع يوما بعد يوم حتى قرأنا مؤخرا على لسان عربى كبير أنها صارت مستعصية على الترقيع ، ومن عجب أن صحفنا ومجلاتنا العربية اليوم لا تختص برأى أو فكر أو كاتب الا اذا كان تعبيرا كاملا عن الثقافة الغربية .

والمنصفون من المستشرقين يعدون ذلك منا طرحا لشخصيتنا الفكرية ذات الطابع العربى . وحينما زار المستشرق شارل بيلا الفرنسى هذه البلاد سأله صحفى عربى :



ـ ماذا تقرأ ؟ الأدب العربي القديم أم الحديث ؟

ـ فأجابه : القديم وحده .

ـ فقال له الصحفي : ولماذا لا تقرأ الأدب العربي الحديث ؟

ـ فأجابه : لأنه أدب غربي مكتوب بحروف عربية .

وصدق حقا في ذكر الحقيقة ، وما أقل من يذكر الحقيقة وحدها من المستشرقين . فان كثيرا من أدبنا المعاصر ما هو الا ترجمة حرفية لآداب غربية منشورة في كتب أو مجلات مختلفة ، ومنذ سنوات ثارت قضية أدبية هنا ، فقد اتهم كاتب كتب مقالا في النقد بأن مقاله ترجمة حرفية لفكرة من كتاب غربي .

وألفت النظر هنا الى أن أكثر كتابنا الكبار ممن تأثروا بالثقافة الغربية بدأوا حياتهم خصوما للاسلام والثقافة الاسلامية ، ولما قرأوا ما قرأوا عنهما في كتب المستشرقين عجبوا وعادوا الى المصادر الاسلامية يقرأونها ويتأثرونها ، وكتبوا بعد ذلك عن الاسلام والسيرة كتبا خوالد ، ومن هؤلاء : هيكل والعقاد وطه حسين ومنصور فهمي وسواهم :

وفي هذا المقام أذكر أن المؤتمرات الاسلامية التي تعقد في بلاد كثيرة اليوم ، كروسيا ، وكندا ، والولايات المتحدة ، وكينيا ، واليابان ، وسواها ، ليس لها من هدف الا تزييف المفاهيم الاسلامية ، وتضليل الفكر الاسلامي المعاصر ، وتفسير الاسلام تفسيرا خاطئا يجنح به الى الخضوع التام للفكر الغربي وللمذاهب الغربية .

وهذه صحيفة عربية يومية تخصص صفحة كاملة لمؤتمر الدين الاسلامي المعقود في اليابان ، وقد بحث هذا المؤتمر ـ كما تقول الصحيفة ـ في تعاون الأديان لخدمة السلام ؛ ومثل المسلمين فيه لبناني لعله أحد أساتذة الجامعة الامريكية .

لقد ركز الجهد على التوعية ، وربطها بحقائق الوضع الحضاري الانساني ، وتفادي التعويل على تفرق الشرق الروحي كبديل للتفوق المادي ، والسعي لتطوير القيم الروحية .

وهذا كلام واضح في مغزاه كل الوضوح ، فهناك توعية ، وهي مربوطة بحقائق الوضع الحضاري الانساني ، وهناك تطوير للقيم الروحية ، أي قيم الاسلام الذي يمثله الدكتور المسلم . وهناك كذلك انكار لنظرية تفوق الشرق الروحي ؟ أي ليس الشرق اليوم أستاذا في مسائل الدين وفهمه ، بل ان الغرب صار هو معلمنا في هذا الجانب من جوانب حياتنا أيضا ، فله أن يفسر وأن يوجه الأديان كما يشاء ، وعلينا الامتثال والطاعة والخضوع ، اذ أن الهدف من ذلك سام ونبيل وهو خدمة السلام .. ويقول بيان الدكتور المسلم أيضا ، وهو البيان الذي نشرته صحفنا العربية بحسن نية : « لقد أوجد المؤتمر فرصة انفتاح جديد بين أديان الشرق الأوسط وأديان الشرق الأقصى الحلولية . ومعنى ذلك أن الاسلام يجب أن يصافح البوذية مثلا ويقر بها دينا من الأديان وان كانت دين وثنية ، أي أن

يقترب الاسلام في مفهومه التوحيدي من البوذية في مفهومها الوثني الحلولي باسم التعاون بين الأديان ، وبمثل هذا الروح أيضا دارت مناقشات مؤتمر النهضة العربية الذي دعت اليه جامعة لوفان البلجيكية حول مستلزمات التكيف مع العصر الحديث ، ودارت كذلك مناقشات المؤتمر الاسلامي المعقود في روسيا ، والمؤتمر الذي عقد في كينيا وكندا وغيرها .

ومن العجب أن هذه المؤتمرات يدعى اليها أناس معروفون يستخدمون بين الحين والحين لمثل هذا التوجيه الروحي الجديد ، ولكن الله من ورائهم محيط ان علينا التبشير بالمحتوى الفكري والتشريعي للرسالة الاسلامية — على صعيد الفرد والجماعة ، واستعادة وجودنا الحضاري مرة أخرى .

وقد ساعد هذا الغزو الفكري جميع قوى الاستعمار القديم والجديد على ما صنعه بنفسه وبوساطة أذنابه بيننا من تدمير لكل جوانب الحياة الاسلامية النقية في مختلف بلاد الاسلام .

فلقد أخضعنا لماديته ولالحاده ولفلسفاته في السلوك والأخلاق والعادات والطعام والشراب واللباس ، وذاعت فينا أفكار الجنس ، وخرجت المرأة المسلمة من البيت وقيل لها ان لك حقوقا سياسية ، وكثر الاختلاط والرقص والأزياء الفاضحة والاصطياف على الشواطيء الخليعة والتحلل من أعباء الأسرة والتردد على النوادي الليلية والانطلاق مع الشهوات العارمة ، وفتحت بيوت البغاء وحانات للخمور وشاعت المخدرات بكل أنواعها ، ولسان الحال مع ابى نواس وبيته المشهور .

وكنت فتى من جند ابليس فارتمى
بى الحال حتى صار ابليس من جندى

وذاع الجنس والعري في السينما والمسرح العالمين وفي الاعلانات الصحفية .

وقد انتقل الينا الاقتصاد الغربي الربوي وطبق وحده في بلادنا بدلا من المذاهب الاسلامية في الاقتصاد ، وأصبح متغلغلا في جميع حياتنا ، وتردد الناس في موقف الدين من ذلك كله ، وأخذ بعض علمائنا يفتون بحل الاقتصاد الربوي بحجة الضرورة والمصالح المرسلة ، وهذا خطأ وأي خطأ فالاسلام كل لا يتجزأ ، ولابد أن يتمسك المسلم بنصوص دينه كلها كاملة غير منقوصة ، وهذا عالم فرنسي « جاك أوستروى » يقول في كتابه « الاسلام أمام التطور الاقتصادي » المنشور في باريس عام ١٩٦١ ، وذلك في الصفحة الثانية عشرة بعد المائة : « ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، واذا ماوجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده ، فهو أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الروسية والغربية .

واننا نقف في جهل تام بعظمة الأفكار الاقتصادية في الاسلام ، وياليتنا ندرس ونبدأ مرة جديدة في تطبيقها ، ليتنا نجد ولا نهزل فالحياة للجادين المثابرين .

مفاسد الغرب في بلادنا اليوم اكبر من أن تحصى أو تعالج على أساس من التلفيق

والترقيع .. لابد من الرجوع الى الاسلام جملة وتفصيلا لنبدأ صفحة جديدة فى حياتنا فى سبيل بعث اسلامى اكبر .. ينقذنا من الغرب ومن أفكار الغرب ومن أساليبه ومناهجه التى دخلت فى كل شىء ، وطبقناها فى كل جانب من حياتنا ، وصار لها أثرها فى اضعاف قدرة الجيل الجديد للمسلم على العمل وتحمل المسئولية . ولقد تغيرت الموازين التى يوزن بها الانسان العربى ، وبعد أن كان التزامنا بالدين هو المقياس الاول ، أصبح هذا المقياس الآن هو الالتزام بالحياة والحضارة الغربية ، وقد كان اللورد كرومر الحاكم الانجليزى فى مصر فى أوائل القرن العشرين يردد ذلك ويقول: « ان المسلم غير المتخلق بالأخلاق الأوروبية لايصلح لحكم بلاده » . ومعنى ذلك أنه لابد أن يفكر بأفكار الانجليز وينتقل الى أسلوبهم فى كل شىء ، وأن يصبح مسلما بالاسم وغربيا أوربيا بالفكر والسلوك والعمل ، ليمنحه هؤلاء الغربيون الاستقلال والحرية ، ولذلك عمد كرومر آنذاك الى ابعاد علماء الأزهر عن جميع وظائف الدولة ، وقصر مجالهم على التدريس فى الأزهر ، والامامة فى المساجد .

ولقد فرض الاستعمار الغربى حكما مسيحيا محضا على شعوب اسلامية كثيرة فالمسلمون فى قبرص وغانا ونيجيريا والسنغال وأوغندا وتشاد هم الغالبية الكبرى للسكان ، ولابد لهم مع ذلك من أن يحكموا بحاكم مسيحى ووزراء مسيحيين ، وسياسة اضطهاد المسلمين فى كل مكان يقف من ورائها الاستعمار سواء فى زنجبار أم الهند أم الفلبين أم الحبشة بل سياسة ابادتهم فى روسيا والصين وتوابعهما هى من صنع يديه وفكره وتدبيره ، ولم تأمن تركيا مكر الاستعمار الغربى الا بعد أن سارت على السياسة التى فرضها عليها ، وهى قطع صلتها بالاسلام والمسلمين جملة من حيث قوانين الدولة والتزاماتها ..

وكانت الخلافة العثمانية آخر معقل اسلامى يستند على القاعدة الفكرية للاسلام كأساس للتقنين ومصدر للتشريع وأيديولوجية اسلامية كاملة مستقلة الطابع . كما كانت مظهرا للوجود الدولى للاسلام كرسالة وللمسلمين كأمة . وأصبح تاريخ المسلمين منذ سقوط الخلافة معروفا بالتبعية والضياع والتخلف ، فقد أقصى الاسلام القاعدة للتربية وللتقنين عن مناهج التعليم ، وعن دنيا الانسان المسلم فى مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكان آخر خطوة فى ذلك الغاء نظام الأسرة الاسلامى واستبداله بقانون للاحوال الشخصية فى كثير من بلدان العالم الاسلامى . وهكذا حجر المسلمون على دينهم ورسالة ربهم حتى لا يكون للاسلام شىء من التطبيق فى مختلف مجالات حياتهم .

وفى ظلال هذه الفوضى فى بلاد الاسلام زاد نشاط مراكز التخريب فى بلادنا وفى مقدمتها الصهيونية ، والماركسية ، وحركة الاستشراق والتبشير وقيام مذاهب جديدة بيننا باسم الاسلام :

فالصهيونية أمرها وخطرها وعداؤها للعرب وللاسلام ، الأمس واليوم وغدا ، مما لا يحتاج الى مزيد من البيان ، وأمامنا مأساة

فلسطين العربية الشهيدة أو الجريحة . وغايتها الصهيونية اقامة امبراطورية يهودية تكون قلب العالم ولو على حساب العرب والاسلام وبلاد المسلمين ، ويكون مركزها القدس ، وتتحكم في اقدار العالم الاقتصادية والسياسية بعد أن تسيطر على الشرق الأوسط وعلى موارده

الاقتصادية الهائلة ، وكان هذا حلمهم من قديم وعملوا له بجد منذ مؤتمر بال اليهودى عام ١٨٩٦ م ، وهذا مناحيم بيجن اليهودى المتطرف يقول : مهمتنا هي محق الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة العبرية مكانها .

والماركسية ومحاولتها التسلل الى عقول المسلمين من أشد الأخطار التى تجابه الاسلام اليوم ، وبخاصة أن الغرب المسيحى يفسح لها المجال في بلاد الاسلام لتعيث فيها اليوم فسادا بعد أن واجهه صمود الاسلام حيال طغيان الاستعمار والصهيونية وحركات الاستشراق والتبشير .

وعمل الماركسية في اعلان الحرب على الاسلام وفي تدمير حصونه في بلادها وخارج بلادها ، وفي تحطيم معنويات المسلمين . معروف مشهور .

عداؤها للدين جملة ينطق به أقوال زعمائها، فالدين عند لينين أفيون الشعوب وهو خطر على الحضارة ، وشعار ماركس أن فكرة الاله من بقايا القرون الوسطى المظلمة ، ويردد ستالين أن فكرة الله خرافة ، وتكرر برافدا في عددها الصادر في ٢٦ أبريل من عام ١٩٤٩

قولها : نحن نؤمن بثلاثة : ماركس ولينين وستالين ، ونكفر بثلاثة : الله والدين والملكية الخاصة . هذا كله مع أن أعظم رجال البحث العلمى في أوربا كانت نفوسهم مشربة بالشعور الدينى العميق .

أما عداء الشيوعية للاسلام خاصة فهو مشهور ، فالاسلام عند كليموفتش في كتابه « الاسلام » المطبوع في موسكو عام ١٩٥٦ هو في جوهره مازال ولا يزال عدوا للعلم والفتح الاسلامى في رأى كتابها ليس أكثر من

غزوات بدوية لاقتناء كنوز المتمدنين من الشعوب ، والقرآن صورة لهذا التراث البدوى في الفكر والحياة وقد ركزت وسائل الاعلام هجومها على الاسلام لأنه أكثر الاديان صمودا في وجه الطغيان ، وافترت الماركسية الاكاذيب تلصقها به ، واضطهدت اتباعه اضطهادا شديدا ، وفي البيان الذى أصدره أحد مؤتمراتهم عام ١٩٢٣ قالوا : ان بداخل روسيا ثلاثين مليونا من المسلمين يحافظون على عقائد باطلة ، وخرافات من العصور الوسطى لها صلة بالدين ، وعلينا القيام بالخطط والتدابير الواجب عملها لازالة هذه العقائد الباطلة .

ان الماركسية هذا المصطلح الغربى الذى ينتسب الى ماركس ، نجد لها اشتقاقا لغويا عربيا معناها أوضح تفسيره ، وكأنها من قولنا « أركسوا في الضلالة » أى سقطوا فيها وترددوا



فى هوتها السحيقة التى لانجاة منها أبدا ، والله عز وجل يقول « **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** (١) ٠

هذا هو منهج الماركسية التى تقوم اليوم بغزو جديد مذهبى للعالم الاسلامى ، ومآل هذا الغزو كغيره الفشل والهزيمة لأنها لا سبيل لها فى مجتمع الاسلام الحريص على القيم والدين والحضارة حرصه على أعز ما تملكه الانسانية من مقتنيات ، فكل المشاعر الانسانية السامية لا يمكن أن توجد فى ظلال الالحاد ، وكل القيم والفضائل ورفاهية الانسان وسلامه لا يمكن الحصول عليها الا من طريق الدين ،

انه ليس فى العالم كله دولة تخشى التحركات الاسلامية بمثل ما تخشاها روسيا ، لأنها بدون المناطق الاسلامية فيها لا تستطيع اقتصاديا أن تظل دولة كبرى (٢) ٠

ولكن الاسلام أقوى مما تظن روسيا ، وايمانه قريب باذن الله ٠

وأما الاستشراق فحركة أوربية جديدة قامت للعمل ضد الاسلام ، وجميع المستشرقين يعملون فى دوائر المخابرات الخارجية فى كل بلاد الغرب هم وتلاميذهم ، وحركتهم تهدف الى نقل كنوزنا العلمية والثقافية والحضارية الى الغرب أولا ، والى اعطاء تفسيرات جديدة للاسلام وحركته التاريخية وفق أهواء الصهيونية والصليبية ثانيا ٠

والى مراقبة العالم الغربى مراقبة شديدة ، وملاحظة تطور الفكر الاسلامى وكتابة التقارير عنه اولا باول للدوائر الاستعمارية والمخابرات ثالثا ٠

والى تربية جيل من المثقفين العرب وفق اذواقهم ومناهجهم وافكارهم اخيرا ٠ ومن ثم فالافتراء على الاسلام وتاريخه وحضارته وائمته وعلومه وثقافاته ليس بالشىء الجديد ولا زلنا نعانى من بعض الكتاب الماركسيين منه الشىء الكثير

د٠محمد عبد المنعم خفاجى



(١) ٨٨ النساء ٠

(٢) ٣ الحياة البيروتية عدد ١٥/١١/١٩٧٠ ٠

الإعلام الإسلامي
الأسس والمبادئ

"الحلقة الأولى"

للأستاذ حسن على محمد العنيبسى

*** مقدمة تمهيدية :**

العالم الاسلامى يواجه ــ اليوم ــ حربا ضارية من الشرق والغرب على السواء ، وتتمثل هذه الحرب فى بسط النفوذ السياسى والاقتصادى من الدول الكبرى على بلادنا الاسلامية ، وقد يأخذ هذا النفوذ شكل المعونات الاقتصادية ، والعسكرية والبعثات التعليمية ، والهيمنة الاعلامية عن طريق التدفق الاعلامى الرهيب من الغرب الى البلاد النامية .. !!

وأشد ما يفزعنا ــ هذه الايام الى جانب تلك الحرب على الاسلام ، ما يحدث ــ اليوم ــ بين المسلمين أنفسهم من فرقة وتقاتل .. ، وكأنهم لم يسمعوا هدى السماء « **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** »(١)

والعالم اليوم يغزو الفضاء ويتسابق فى تكنولوجيا التصنيع فى شتى مجالات الحياة ، أما نحن بلاد العالم الاسلامى ــ فمازال غرقى فى الأمية الأبجدية ، فى وقت يطفو فيه على السطح مصطلح « الأمية الكمبيوترية »(٢) مع أن الاسلام ينادى بالعلم ويحث عليه ويرفع شأن العلماء « **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** » (٣) .

فاذا ما انتقلنا الى مجال الاعلام نجد أنه دائما ــ فى العالم الغربى يعكس مجتمعه بصورة أمينه وينقل ما فيه من قيم ومبادىء وأسلوب حياة وطريقة تفكير ، بينما الاعلام فى كل أو جل بلاد المسلمين لا يعبر عن واقع المجتمع الاسلامى ولا يعبر عن القيم والمبادىء والاتجاهات للانسان المسلم ، انما هو نقل عن الغرب فى كل شىء ، وتوشك أن تضيع الهوية الاسلامية فى الزحام .. !!

لقد استغل أعداء الاسلام معاناة المسلمين ، ومتاعبهم الداخلية ، وأزماتهم الاقتصادية ليثبتوا ــ كما يتوهمون ــ أن الاسلام غير

٥

---

(١) آل عمران ١٠٣ .
(٢) مصطلح يقصد به عدم الالمام بلغة الكمبيوتر وكيفية استخدامه .
(٣) العنكبوت ٤٣ .

صالح للحياة وأن على الفكر الاسلامى أن ينحسر عن الساحة فلا يدرس الا على أنه تراث أو بقايا حضارة ذوت .. !! ، واستغلوا فى ترويج هذه الدعاوى الباطلة وسائل الاعلام المتعددة قديمها وحديثها ، حتى أفلام الجنس والعرى .. !

* كل هذا .. والمسلمون .. لا هون .. غافلون ، لا يدرون ما يحاك لهم بليل ، أستغفر الله بل منهم عقلاء يعرفون جيدا ما وراء الأكمة لكنهم تلاميذ نجباء لأساتذة ضالعين فى الكيد للاسلام .. ثم ماذا بعد ؟.. لابد من يقظة تجعلنا ندرك خطورة الموقف فى صراع العقائد والمبادىء على الساحة الدولية الآن .. !

*وهكذا نستورد نظريات الاعلام من الشرق مرة ، ومن الغرب مرة أخرى لتعمل وفقا لها مؤسساتنا الاعلامية فى بلاد المسلمين مما يجعلنا لاندهش مما نشاهده فى برامج « التليفزيون » أو نقرؤه فى الصحف أو نسمع فى « الراديو » ، فقد اختلط الحابل بالنابل ، وهكذا تضيع معالم الشخصية المسلمة فى هذا الزحام العجيب .. !!

* وأستطيع أن أزعم أنه ــ حتى الآن ــ لم تقدم لنا المكتبة العربية (١) بحثا علميا متخصصا فى (فن الاعلام فى الاسلام) أو (علم الاعلام الاسلامى) أو « التصور الاسلامى للاعلام » ، فعلى مدار ثمانى سنوات من البحث والتنقيب والمراجعة فى الدراسات الاعلامية لم يصادفنى كتاب واحد يمكن أن يستهدى به الباحث حينما يضع اطارا للعمل الاعلامى فى الاسلام .

* وأستطيع ــ كذلك ــ أن أرجع هذا الزعم لسببين : ــ

أولهما : ان الباحث والدارس والكاتب فى هذا الميدان ــ الاعلام الاسلامى قد تخصص فى دراسة الاعلام الغربى ونظريات الاعلام الغربى ونظريات الاعلام الحديثة ــ شرقية كانت أم غربية ــ ثم اتجه مشكورا الى الاهتمام بالاعلام الاسلامى ، لكنه لم يتوفر له القدر الكافى من الثقافة الاسلامية التى تعينه على الفحص والاستنباط والمقارنة والموازنة من مثل : علوم القرآن ، والفقه والالمام الوافر بالحديث النبوى الشريف ، والتأمل الفاحص للسيرة والتاريخ الاسلامى، وهذه العلوم ضرورية وأساسية لمن يتصدى للكتابة فى هذا الموضوع .. !

ولهذا : فانك ترى معظم البحوث التى كتبت فى الاعلام الاسلامى فى الأونة الأخيرة ــ جاءت وكأننا نعيش فى أمريكا أو أوربا ، وذلك لتأثير الدراسات الاعلامية الغربية فى هؤلاء الباحثين ولهم عذرهم فى ذلك ، وقد ترى الباحث يقدم لك آيات قرآنية ولا يربطها جيدا

---

(١) أستطيع أن أذكر عشرات الكتب فى هذا الشأن ، لكنها مشوشة وغير دقيقة أو تنبع من تصور يبعد قليلا عن المفهوم الاسلامى للاعلام وقد عرض الكاتب لبعض هذه الكتب على صفحات « الأزهر » وقد أثبت ما احتوت عليه من قرب أو بعد عن الحقيقة .

بقضايا الاعلام فى المجتمع الاسلامى وكان مجرد ذكر الآيات القرآنية فى سياق يتحدث فيه عن الاعلام يقدم لنا اعلاما اسلاميا .. !!

* **وثانيهما :** يمثل الوجه الآخر للعملة ، فقد تجد المتخصص فى الفقه والسيرة والحديث وعلوم القرآن وآداب العرب والاجتماع والحضارة . الخ ، لكنك لن تجد من بين هؤلاء من لديه فكرة كافية عن نظريات الاعلام فى العالم وأماكن القوة فيها ومواطن الضعف منها ، ولذا فانه لا يرى الاعلام الاسلامى الا فى كتب الوعظ والخطابة .. ، اما أن تجد لدية تصورا عن كيفية التعامل مع وسائل الاعلام الحديثة وصناعة الأخبار ، والتسويق والاعلان ، والدعاية الدولية وحرب الكلمات والعقائد .. فانى أشك فى هذا كثيرا حيث لا تجد فعلا .. !

وهذا ما دعانى الى الحديث فى هذا الشأن مع أحد الاساتذة الافاضل بجامعة الأزهر بشأن المناهج الدراسية فى كليات الدعوة وأصول الدين حين كانت لا تأخذ بعين الاعتبار فى مناهجها دراسات الاعلام وعلم النفس الاجتماعى وفنون الدعاية الدولية والاتصال بالجماهير .. الخ

* **لهذين السببين :** ـ كانت الفجوة حينئذ كبيرة ، وكان ماتراه من قصور فى التصور للعمل الاعلامى لدى الاعلاميين الاسلاميين.. وان كنا نطمع فى المزيد من هذه الدراسات حتى يستقيم للاعلام الاسلامى مضمونه ويؤتى ثمره ..

الاطار العام للبحث فى الاعلام الاسلامى

والباحث فى الاعلام الاسلامى لابد أن يتناوله من خلال اطارين : ـ

* **الاطار الاول : اطار تاريخى (تاريخ الاعلام فى الاسلام) .**

وفى هذا الشأن يتفحص السيرة جيدا ، بعين دارس الاعلام ، منذ أن وقف النبى ﷺ على جبل الصفا ونادى فى قومه بالدعوة وحتى يومنا هذا .

والباحث فى هذه الفترة حين يتناولها عليه أن يضع فى الاعتبار التطور الذى طرأ فى مضمون « الرسالة الاعلامية » و « المواقف الاعلامية » وفى « أساليب وأشكال الاتصال بالجماهير » الى جانب تطور الوسيلة الاعلامية نفسها من المناداة فى الاسواق وحتى عصر « الفيديو » اليوم .. !!

وهذا الاطار أساسى وضرورى لطلاب الاعلام الاسلامى وللعاملين فى ميدان الاعلام الاسلامى فى كل بلاد المسلمين .. ليعرف أين هو من الاعلام غير الاسلامى .. وبضدها تتميز الأشياء .. !

* **الاطار الثانى اطار فلسفى ويتناول المنهج الاسلامى فى الاعلام**

وفيه يتناول الباحث الاسس والمبادىء ، والقواعد العامة للعمل الاعلامى فى الاسلام ، وقد تتنوع هذه المبادىء بتنوع الوسائل الاعلامية غير أنها تشترك جميعا فى أسس مشتركة سوف نعرض لها ، ونحن ـ ان شاء الله تعالى ـ سوف نتناول هذا الاطار الثانى على صفحات ـ الأزهر الغراء ـ وندع الاطار الاول بعض الوقت .

وهذا الاطار الثانى يمكن أن نتناوله من خلال منظورين : ـ

※ المنظور الاول : ونتقدم من خلاله لمحات سريعة لواقع البحوث والدراسات فى الاعلام الاسلامى ، كذلك نشير أيضا الى واقع العمل الاعلامى الحقيقى ومدى قربه أو بعده عن المفهوم الاسلامى للاعلام . والحديث من خلال هذا المنظور أمر أساسى لنعرف الى أين تسير معاهد وكليات الاعلام فى بلاد المسلمين، ولنعرف ـ أيضا ـ مقدار الهوة الموجودة بين بحوث الاعلام فى بلاد المسلمين وواقع المسلمين الفعلى .. ؛ ولنعرف كذلك دور وسائل الاعلام فى بلاد المسلمين ومدى القرب أو البعد عن التصور الاسلامى للعمل الاعلامى وربما يفسر لنا هذا بعض الغموض فى سير العمل الاعلامى .

※ المنظور الثانى : ونقدم من خلاله تحديدا لبعض المصطلحات الهامة مثل مفهوم الاعلام الاسلامى ، الاعلام الدينى ، الدعوة ، الدعاية ، والمنظور الثانى يعد محور بحثنا فى هذه الدراسة ان شاء الله تعالى ـ اذ نقدم من خلاله أيضا الاسس والمبادىء العامة للاعلام الاسلامى من كتاب الله الكريم التى تسطرها معانيه الخالدة ، وأحاديث نبيه العظيم ﷺ مستفيدين ـ فى ذلك ـ من تخصصنا ، ثم واقع عملنا فى وسائل الاعلام ، الى ما يفتح الله به علينا من جديد الرأى .

وحسبى أن أضع لبنة أرجو بها تمام البناء .

وكما اتفقنا منذ البداية فى خطة البحث نبدأ معا بالمنظور الأول : ـ

اولا ـ (أ) واقع بحوث ودراسات الاعلام الاسلامى : ـ

أسلفنا القول أن بحوث الاعلام الاسلامى اذا قورنت بغيرها من العلوم الانسانية تعتبر قليلة متواضعة ، بل هذا القليل ـ فى بعض الأحيان ـ غير دقيق ، الى جانب عدم الاتفاق على المصطلحات بين الباحثين مما يشوش مدلولات الألفاظ ويؤدى الى الخلط بين المفاهيم .

وقد أتيح لى أن أتابع ما تقوم به بعض كليات الاعلام الاسلامى والدعوة ومعاهدها من بحوث ودراسات فى الاعلام الاسلامى ؛

※ فلم أجد ما أنشده فيها !!

ولدينا فى القاهرة ـ مثلا ـ فى كلية الاعلام قسم الدراسات العليا حيث لا تجد أكثر من خمس رسائل علمية لنيل (الماجستير) ؛ وثلاث أو أربع لنيل (الدكتوراه) ، فضلا عن الخطأ فى نظرتهم الى الاعلام الاسلامى حيث نجد معظم هذه الرسائل تناقش الاعلام الاسلامى على أنه (اعلام دينى) ، وكم نبهنا لهذا الخطأ ولكن دون جدوى .. !

أما اذا تأملنا المناهج الدراسية لمرحلة (البكالوريوس) فى نفس الكلية فانك لا تجد فيها أثرا للفكر الاسلامى ، ولا تجد آية واحدة من كتاب الله تعالى فى هذه المناهج ..!!؛

لكنك تجد خليطا يدرس مما هو فى كليات أخرى - فمثلا - تجد المدخل فى علم السياسة من كلية الاقتصاد ونظم سياسية ودستورية أيضا ، وتجد من كلية التجارة الاحصاء ، وادارة المؤسسات ، ومن كلية الآداب اللغة العربية وآدابها ، والترجمة ومن معهد السينما ، (السيناريو) وكتابة النصوص • !! كل هذا جميل ولكن أين ثقافتنا الاسلامية ؟ أليست هذه الكلية تخرج اعلاميين يعملون فى مجتمع اسلامى •• ؟! أم أن هؤلاء الخريجين سوف يعملون فى (مونت كارلو) ؟!

ونعجب من هذا اذا وجدنا أن معاهد الاعلام فى « الاتحاد السوفيتى » تجعل من صلب مناهجها الدراسات والبحوث الشيوعية ويدرسون (ماركس) ، و (انجلز) ، و (لينين) هؤلاء لأن الاعلام السوفيتى يرتكز الى (الأيديولوجية الشيوعية) ويدعو لها ••!!

واذا كان هذا هو الحال فى كلية الاعلام عندنا ، فهل نلوم الصحفى الذى يبحث عن (خبطة صحفية) (١) بقطع النظر عن اتفاقها أو اختلافها مع الاسلام وطيفسر لنا هذا سرا مما نراه ونسمعه فى برامج الراديو والتليفزيون ؟ من هنا فان أول مشكلة فى العمل الاعلامى الاسلامى هى مشكلة (الكوادر العاملة) من الاعلاميين الاسلاميين •

*** جامعة الأزهر وقسم الاعلام الاسلامى •• !**

لما كان هذا هو الحال فى كلية الاعلام جامعة القاهرة ، كان من الأهمية بمكان أن يكون فى بلدنا معهد اعلامى اسلامى ، يقدم لنا رجل الاعلام الاسلامى •

وكانت لفتة طيبة من جامعة الأزهر أن تسارع الى انشاء هذا القسم بكلية اللغة العربية ونحن أحوج ما نكون اليه ، وقد نمي الى علمي أن • • **ثمة من يفكر** فى الغاء هذا القسم •• !! كيف بالله •• ؟!

ألا يرون ما يحدث على الساحة الاعلامية فى بلدنا وبلاد المسلمين •• ؟! اننا نريد الصحفى المسلم والمذيع المسلم ورجل العلاقات العامة المسلم ، ألا يرون ما هو فى الصحف من كذب وافتراء - بين حين وآخر ؟ ألا يشاهدون التليفزيون ويستمعون الى الراديو •• ! ؟

ان قسم الاعلام الاسلامى أمر ضرورى فى جامعة الأزهر وأتمنى أن يستقل بنفسه ليصبح كلية للاعلام الاسلامى بعد أن نتدارك النقص الذى يشوب القسم الآن والذى سوف أشير اليه ••

بداية •• قبل افتتاح هذا القسم كنت أتمنى أن تكون هناك دراسة متكاملة عن الآتى : -

- ماذا نريد من قسم الاعلام الاسلامى ؟•

- أين هيئة التدريس ؟

- مواصفات الطالب الذى يسمح له بالدراسة فى هذا القسم •

---

(١) الخبطة الصحفية اصطلاح متعارف عليه بين الصحفيين على السبق الصحفى الكبير ذى القيمة الخبرية الهامة •

الاعلام الاسلامى

– المناهج التي يدرسها الطالب ونوعيتها .

– التدريب العملى .

– التعاون مع المؤسسات الصحفية والاذاعية والاعلامية عامة وامثل الطرق للتعاون .

– الامكانيات المالية والمادية اللازمة .

ولكن عند انشاء هذا القسم ، أعتقد أن المسألة تمت دون تخطيط ودون دراسة .. وهكذا حالنا .. !!

لقد تم انشاء قسم الاعلام بشكل ارتجالى ، والدليل .. أنك لا تجد فى هذا القسم معملا صحفيا ، ولا (استديو) تدريب لقسم الاذاعة .. !!

أما هيئة التدريس فقد استعان القسم بأساتذة من كلية الاعلام جامعة القاهرة..!! ، ثم استعان بأهل الخبرة العاملين فى مجال الاعلام .

* ومع خالص ما بذلوا من جهد كريم لا نستطيع أن نقول :

انه الجهد الذى يقدم الاعلامى المسلم المناسب لعصره ، ولقد يكون ثمة عذر مقبول جدا لأن التجربة فى البداية ، والدراسات الجادة فى الميدان نادرة والمتخصصين فى الاعلام الاسلامى قلة ، بل يكاد يكون بعض المتخصصين فى الاعلام – بصفة عامة – لا رابطة له بالاسلام .. !! ، ولكن الجهد والمثابرة المخلصة يمكن أن تأتى بنتائج كريمة .

* ومن هنا فاننى أكرر النداء : لا تغلقوا قسم الاعلام الاسلامى ولكن ابحثوا كيف نطوره .. وكيف نوفر له هيئة تدريس لها علم بالاسلام وعلم بالاعلام ونظرياته .. ثم العمل على تخريج جيل من طلبة الكلية يتولى المسئولية فحاجتنا الى هذا القسم قوية وملحة .. ! ، وأرجو أن يتم لى اللقاء بالمسئولين لتناول هذا الموضوع بافاضة .

(ب) واقع العمل الاعلامى فى بلاد المسلمين : –

يصرخ العقلاء من الناس فى بلادنا من وسائل الاعلام ، وقد يدفع الحماس بعضهم الى رفع قضية ضد وسيلة ما من هذه الوسائل لأنها قدمت ما يخدش الحياء ، أو ما يشجع على ارتكاب جريمة من الجرائم .. الخ – ولكن لماذا يحدث هذا .. ؟!

أولا : لوسائل الاعلام وللاعلام – عموما – وظائف يعرفها باحثو الاعلام مثل :

الاخبار – التثقيف – التنمية – الترفيه ، وتختلف نسب هذه الوظائف من دولة لأخرى وفقا لظروفها الاقتصادية والاجتماعية فمثلا فى دول أوربا قد يصل الترفيه الى نسبة ٨٠٪ من مجموع نسب هذه الوظائف ، وذلك لأن

البقية ص ٤٣٤

علوم كونية

الماء والكائن الحي

للمهندس محمد إبراهيم حسين

« أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » الآية ٣٠ سورة الانبياء .

الماء هو الوسط العام للحياة ففيه تتم التفاعلات الكيميائية التى تجرى فى الأغشية الحية ، اذ تشمل جزئيات تطفو على الماء أو توجد فوق أغشية سطحية مغمورة فيه . بل كثيرا ما تشمل هذه التفاعلات جزئيات الماء نفسه ، ولا عجب فى ذلك فلقد جعل الله من الماء كل شىء حى .

نسبة توزيع الماء فى الجسم :

والأنسجة الدهنية والعظام هى أقل أنسجة الجسم احتواء على الماء اذ تبلغ نسبة الماء فيها حوالى ٢٥٪ من وزنها وتعتبر هذه الأنسجه أقل نشاطا من بقية أجزاء الجسم بالنسبة للتفاعلات الكيميائية .

وعلى النقيض من الأنسجة الدهنية قد يبدو أن الدم أعلى أنسجة الجسم فى نسبة احتوائه على الماء ، لأنه سائل ولكن هذا غير صحيح فان أنسجة الجسم باستثناء الدهن والعظام تحتوى على نسبة من الماء تتراوح بين ٧٠ و ٨٥٪ من وزنها ويحتوى القلب على ٨٠٪ من وزنه ماء وكذلك الكليتين على الرغم من أنها أنسجة صلبة .

والحقيقة أن طبقة خلايا « المخ » هى أكثر أنسجة الجسم احتواء على الماء اذ تحتوى على ٨٥٪ من وزنها ماء وبالرغم من ذلك فالمخ ليس سائلا وذلك لأنه على الرغم من نسبة الماء العالية فى نسيج خلايا المخ الا أن هذه الأنسجة مكونة من خلايا متماسكة ثابتة فى مكانها على عكس خلايا الدم غير المتماسكة وغير الثابتة المكان فانها تسبح منفردة فى هذا السائل فالدم يتحرك حاملا الخلايا فى تياره .

المـاء والكائن الحى

وظيفـة الـدم :

ولو كانت وظيفة الدم تنحصر فى حمـل الخلايا الدموية من مكان الى آخر محملة بما عليها من مواد لقام أى سائل آخر بمثل هذه الوظيفة ولكن الدم يؤدى وظـائف أخـرى كثيرة لا يمكن لسائل آخر أن يقوم بها عـلى الوجه الذى يؤدى به الدم وظائفه وذلك لما يحتويه من نسبة كبيرة من الماء ، فالماء كمذيب يفوق جميع المواد الأخرى فهو يذيب مجموعة كبيرة من المواد المختلفة دون أن يؤثر تأثيرا كبيرا على جزئياتها أثناء عملية الذوبـان ونتيجة لذلك فان الدم بما يحويه من نسبة ماء كبيرة لا يحمل فى دورته خلايا فقط بـل يحمل أيضا أنواعا كثيرة من المـواد المـذابة ما بين أمـلاح وسـكريات و (أنزيمـات) و (هرمونات) وغيرها وهو دور عظيم يقوم به الماء الموجود فى الدم اذ يحمـل العـديد من المواد الذائبة المختلفة يمكن من اجـراء هـذه التفـاعلات الكثيرة المختلفـة يسمح للأنسجة الحية بكل هذه الحرية الكيميائية .

ولو انتقلنا من الماء كمكون أساسى للخلايا الى وظيفة الماء فى حفظ حرارة الجسم الحى اذا تعرض الجسم لظروف ترفع من درجـة حرارته كأن يبذل مجهودا زائدا أو ترتفـع حرارة الجو كما يحدث صيفا .

ولمواجهة هذه الزيادة فى الحرارة فاننا نملك على سبيل المثال غددا عرقية تفرز العـرق بصفة مستمرة على سطح الجلد فيتبخر الماء ويتحول من حالة السيولة الى الحالة الغازية .

وبخار الماء يحتوى على طاقة أكبر من الماء السـائل اذا كانا فى درجة حرارة واحدة ومـن ثم فلابد من مزيد من الحرارة لتحويل العرق السـائل الى بخار .

ولما كانت الحرارة هى أكثر أنواع الطـاقة شيوعا فان العرق يلتمسـها من الجلـد لأنـه أقرب مكان اليه وبهذه الطريقة يستطيع الكائن الحى أن يتخلص من الحرارة الزائدة فيتبخر العـرق فيبرد الجلد أى يسـتنفد (١) بعض حرارة الجسـم ، ويحدث ذلك فى الاوقات التى يبذل فيها الكائن نشاطا زائـدا أو الأيـام الشديدة الحرارة أما فى الأيام الباردة فيقـل العرق ويقل تبعا لذلك فقدان العرق .

وهناك طريقة أخرى لتنظيم درجة حرارة الجسم يقوم بها الدم فالجزء من الجسم الذى له نشـاط كيميائى كبير ترتفع درجة حرارته أكثر من بقية الجسم والجزء الملامس للهواء البارد المحيط بالجسم تنخفض درجة حرارته عن الجسم **والدم هو الذى يسوى بين هـذه الاختـلافات فى الحـرارة** فى أثنـاء سريانه فيمتص الحرارة عند مروره فى الانسـجة الباردة مثل الجلد وبهذا فالدم يبرد الكبـد ويدفء الجلد .

---

(١) بالدال المهملة .

The Living River by Isaac Asimov.

ترجمة د . محمد صدقى عبده ١٩٧٤ .

وفى الأيام الحارة يتخلص الجسم من حرارته ببطء فى الهواء الدافىء المحيط به ويعوض الجسم ذلك بتوسيع الأوعية الدموية فى الجلد وذلك بأن يرخى العضلات الدقيقة فى جدران هذه الأوعية الدموية وبانبساط هذه الأوعية تحمل كمية أكبر من الدم وبذلك يتعرض مقدار أكبر من حرارة الدم للهواء الخارجى وتلك محاولة لتعويض بطء فقدان الحرارة .

ولهذا السبب يحمر الوجه فى اليوم الحار ، أو بعد عمل أو تمرين شاق حيث يتولد فى عضلاتك مقدار من الحرارة أكثر من العادى وعلى العكس عندما تنخفض درجة الحرارة الى أقل من المعتاد تزداد سرعة فقدان الجسم لحرارته ويكون على الجسم أن يعوض ذلك واحدى الطرق هى أن تنقبض الاوعية الصغيرة فتضيق وبهذه الطريقة يسحب الدم من الجلد فيقل مقدار الحرارة التى يمكن فقدها فى الهواء الخارجى وهذا هو السبب لحدوث الزرقة نتيجة البرد .

ولمعرفة دور الماء فى التحكم فى درجة الحرارة عن طريق العرق والدم يجب أن نعرف أن فقدان الحرارة الذى يستطيع حمله مقدار محدد من الماء هو فى الماء أعلى من أى مادة أخرى بنفس المقدار .

وهذا ما يسمى بـ « الحرارة النوعية » للمادة أى كمية الحرارة التى يمكن أن تحملها مادة معينة ، فالحرارة النوعية للماء أكبر من أى مادة أخرى .

وبينما يمتص الدم الحرارة المتولدة من التفاعلات الكيمائية فى الكبد والعضلات ترتفع حرارته الى درجة أقل مما لو كان مكونا من سائل غير الماء كما تنخفض حرارة الدم الى درجة حرارة أقل عندما يفقد حرارته بمروره فى الجلد .

فالارتفاع غير العادى للحرارة النوعية للماء يساعد الدم على مساواة الحرارة بمقدرة كبيرة ، وللماء تأثير مماثل على الجو فالحرارة النوعية لمياه المحيط أعلى منها فى تربة الأرض وعلى ذلك فحرارة المحيط ترتفع بتأثير حرارة الصيف بدرجة أقل من درجة حرارة الأرض وتنخفض بدرجة أقل بتأثير برودة الشتاء . وأيضا كما أن الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة الماء اكبر منها لرفع درجة حرارة سائل آخر فكذلك الحرارة اللازمة لتبخير قدر محدد من الماء أكبر منها لتبخير سائل آخر أى أن الحرارة الكامنة لتبخير الماء اعلى منها لأية مادة أخرى . ونظرا للبطء فى تبخير الماء أو العرق من سطح الجلد مثلا فان الحرارة التى تفقد مع هذا البطء فى التبخير تكون اكبر من الحرارة التى تفقد فى حالة تبخير أى سائل آخر سريع التبخر . وعلى ذلك فان عملية العرق ما كانت لتقوم بهذا الدور الفعال لتنظيم درجة حرارة الجسم أو تبريدها اذا ما تكون العرق من سائل آخر غير الماء . ومن هذا نرى أهمية هذا السائل الذى يتكون منه الدم والعرق بصفة رئيسية الا وهو الماء :

ذوبان وحمل للمواد والعناصر .. .. ..

توفير حرية كيميائية للانسجة الحية ....

الماء والكائن الحي

حرارة نوعية أعلى من أي سائل آخر

حرارة كامنة للتبخير أعلى من أي سائل .. .. ..

عملية ضبط لدرجة حرارة الجسم عند ارتفاعها بدقة متناهية وتلقائية وأتوماتيكية بالغة الرقي .. .. ..

اننا أمام صورة بالغة العظمة لاحسان الخلق ، صورة لا يمكن مقارنتها بصورة أخرى شبيهة ، فاذا كانت هذه هي كل الصورة فهذا شيء عظيم ، ولكنها قطرة في محيط من الصورة الكاملة ، محيط ملىء بالقطرات الرائعة التي لا تقارن في قوتها ودقتها واعلانها عن الخالق جل وعلا ......

الله سبحانه وتعالى الذى أحسن كل شيء خلقه ليس كمثله احسان .

هذا الاحسان البالغ الذى ندرك بعض ملامحه في هذا النظام الثابت الدقيق المحكم الذى لا تشوبه شائبة ، والله اننا لو شكرنا هذا الخالق ــ جل علاه ــ كل (ثانية) على نعمة من نعمائه علينا ما أوفيناه حقه فما اكبر ما بنا من جحود !! ؟ !

الاعلام الاسلامي بقية

المواطن الأوربي يكد ويكدح ، ومن هنا يحتاج الى ساعات للترويح عن نفسه ..

بينما في الدول الاسلامية نجد المخطط الاعلامي سار على نفس الطريقة الأوربية وزاد عليها مثلا في بعض الدول الترفيه يصل الى ٨٠٪ من ساعات الارسال التليفزيوني و ٨٥٪ من البث الاذاعي و ٧٥٪ من مساحات الصحف وناهيك عما هو في (السينما) و (المسرح التجاري) وأشرطة (الفيديو) . هذا ، بينما نجد نسبة البرامج الدينية في تليفزيون احدى الدول الاسلامية تبلغ ٣٪ فقط من مجموع ساعات الارسال ، و ١٣٪ من مجموع ساعات البث الاذاعي وحوالى ١,٦٪ من مساحات الصحف اليومية .

ثانيا : ان هذه الوسائل الاعلامية العاملة في بعض بلاد المسلمين ليست في أيدى متخصصين بدليل أن نسبة الحاصلين على مؤهلات اعلامية في بعض هذه الأجهزة لا تتجاوز ٢,٥٪ من مجموع العاملين فلا عجب أن تنحرف الرسالة الاعلامية عن هدفها مادام القائم بالاتصال على غير بصيرة بالهدف والوسيلة .. !!

واذا ما انتقلنا الى واقع الاعلام الدولي الاسلامي ، نجد ان لكل دولة اسلامية أسلوبا خاصا قد يتعارض تماما مع الدولة المجاورة لها ، وقد (يتشاتم) اعلام دولتين مما يؤدى الى تمزيق وبعثرة الرأى العام الاسلامي ، ولهذا لا نجد (رأيا عاما اسلاميا) قويا في المحافل الدولية .. ! ، واكتفى بهذه اللمحات وفي المقالات القادمة نلتقي وبداية القضية محور البحث ..

حسن علي محمد العنيمي

.. مـع النـمـل

للأستاذ محمد صابر البرديسى

عن أبى هريرة (رضى الله عنـه) عن النبى ﷺ قال :

(قرصت نملة نبيـا من الأنبيـاء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله اليه ، أن أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟ . فهلا نملة واحدة ؟ (1) .

سبب الحـديث :

أن ذلك النبى مر على قـرية أهلكهـا الله بذنوب أهلها فوقف متعجبا فقال : يارب فيهم صبيان ودواب ، ومن لم يقترف ذنبـا ، ثم نزل تحت شجرة فلدغته نملة ، فأحـرق الكل ، فقيل له ذلك .

وذكر صاحب الفيض القدير أن ذلك النبى هو : داود عليه السـلام .

***

أولا ـ اللغـة :

١ ـ قرصت = لدغت .

ثانيا :

ما يشتمل عليه الحديث (٢) النمـل والحشرات والحيوان والطير أمم أمثالنا . لكـل أمة منها لغتها وعلمها واحسـاسها وتنظيماتها .

البيـان

١ ـ النمل والحشرات والحيوان والطير أمم أمثالنا :

ما من دابة تدب على سـطح الأرض ، وما من كائن حى يعيش فى هذه الدنيا ، من

(1) أخرجه البخارى ومسلم

(٢) رواه ابن جرير .

٥ مع النمل

طير يطير في الجو ، أو حشرة تختبىء في الأرض ، أو حيوان يعيش في الفلاة كل أمم أمثالنا في الخلق والموت والبعث ، والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها ، ويهيىء لها رزقها .

قال تعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) (١).

ثم ان الأمم كلها من الدواب والطيور وغيرها سوف يحشرون الى ربهم ، فينصف بعضها من بعض ، ويؤخذ من الجماء للقرناء ثم يقول لها « كوني ترابا وقال عبد الله ابن الامام أحمد في مسند أبيه يروى عن عثمان (رضي الله عنه) .

أن النبي ﷺ قال : (ان الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة) فحشر الدواب بعثها يوم القيامة قال تعالى : (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) .

وعن أبي ذر « رضي الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذا انتطحت عنزان فقال رسول الله ﷺ « أتدرون فيم انتطحتا ؟ .

قالوا : لا ندري ، قال : لكن الله يدري وسيقضي بينهما) .

٢ ــ لكل من هذه الأمم لغتها ونظامها :

ان الانسان ليس مفردا في هذا الكون الفسيح ، بل حيثما امتد به النظر ، أو طاف به الخيال يرى من خلق الله ، ماله طبائع شتى وصور وأشكال وأحجام متعددة ويلتقون جميعا في أنهم يتوجهون الى الله ، ويسبحون بحمده وتقواه ، فالطير في الفضاء تسبح بحمد الله ، ونقيق الضفادع تسبيح لله ، هذه الأمم لا تكون مماثلة لنا الا اذا كانت لها روابط معينة تحيا بها ، ووسائل مميزة للتفاهم فيما بينها ، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات ، ويجتهد علماء هذه الأنواع في ادراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها ، والنمل من بين الحيوانات جميعا يمتاز بأكثر من خصيصة ، وقد يكون الوحيد منها ــ كالانسان ــ يدفن موتاه ، ومن مظاهر مجتمعه المترابط قيام النمل بمشروعات جماعية ، فيقيم الطرق الطويلة والكباري « الجسور » الكبيرة في أناة ومثابرة ، ولا يكتفي النمل بالعمل نهارا فقط وانما يعمل أيضا في الليالي القمرية ولا يعتكف الا في الظلام تحدث أحد العلماء الباحثين في « الاذاعة المرئية » عن أمة النمل فأوضح أن النمل يتمتع بعادات خارقة تدل على أن له تفكيرا سليما لأنه يتصرف تصرفا حكيما للحفاظ على حياته وسلامته ، وذكر أن بعض الهيئات رصدت مبالغ ضخمة لتصوير بعض ما يقوم به النمل من أعمال ومن ذلك الأعمال

---

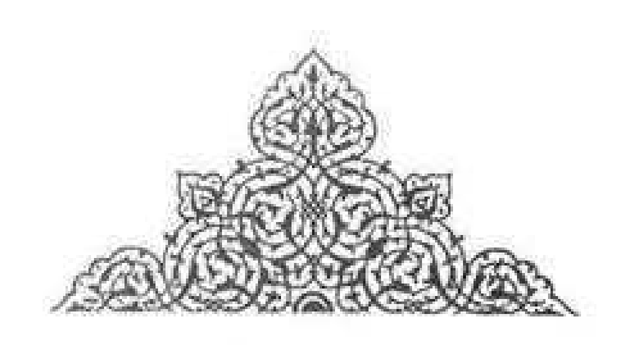
(١) الأنعام آية ٣٨

الهندسية الخارقة فقد حشد جمع كبير لتصوير (فيلم) عن احدى الكباري (الجسور) التى يعمد النحل الى اقامتها على بعض الأنهار مما يقتضى تخصيص عدد من المصورين يرصدون حركات النحل وما يقوم من أعمال فى الليل والنهار لاتمام هذا الجسر ، وغير خاف ما يلزم هذا العمل من فن وعلم وسهر وصبر .

والنحل كما أشار الحديث الشريف الذى صدرت به هذا المقال كائن حى ، فهو حساس وبعضه شديد الحساسية ، ويستخدم وسائل متعددة للمحافظة على حياته من هجوم وحروب . والانسان وهو قمة الكائنات الحية الموجودة على الأرض استطاع مما أوتى من عقل وفكر أن يستخدم كل الوسائل المتاحة للحفاظ على حياته ، بل واستحدث أسلحة فتاكة وذرية ليستخدمها فى حملاته الدفاعية والهجومية ، وهذا كله من معطيات العقل .

ويؤكد العلماء أن الحيوانات تقوم بتصرف مماثل لتحافظ به على حياتها ، بل وتتخذ وسائل دفاعية وأخرى هجومية ، ولكنها دائما تقتصر فى حروبها على ما خلق فيها ، كالقرون والحوافر ، والأنياب ، ويندر منها ما يستخدم أجساما خارجية عنده للدفاع عن نفسه كالقردة .

محمد صابر البرديسى





للبوصيرى فى مولد الرسول
"صلى الله عليه وسلم"

ليلة المولد الذى كان للدين سرور بيومه وازدهاء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار مالم تنله النساء
مولد كان منه فى طالع الكفر وبال عليهم ووباء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

نصيحة

سئل بعض الحكماء أى الأمور أشد تأييدا للعقل وأيها أشد اضرارا به ؟

فقال : أشدها تأييدا له ، ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت .

وأشدها اضرارا به ، ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

حقا

قال محمد بن يزيد النحوى : أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة ، فوسع لى وكرهت أن أضيق عليه فانقبضت فأخذ بعضدى وقربنى الى نفسه ، وقال :

« لا يضيق سم الخياط بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين » .

المفتى المكى

قال ياقوت الحموى : بلغنى أن رجلا جاء الشافعى برقعة فيها :

سل المفتى المكى من آل هاشم
اذا اشتد وجد بامرىء ماذا يصنع ؟

قال .. فكتب الشافعى تحته :

يداوى هواه ثم يكتم وجده
ويصبر فى كل الأمور ويخضع

فأخذها صاحبها وذهب بها ، ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت ، الذى هو الجواب :

فكيف يداوى والهوى قاتل الفتى
وفى كل يوم غصة يتجرع

فكتب الشافعى — رحمه الله تعالى — :

فان هو لم يصبر على ما أصابه
فليس له شىء سوى الموت أنفع

للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



السؤال عن الأمير

قال الأسود بن أبي يزيد :

كان الوفد اذا قدموا على عمر — رضوان الله عليه — سألهم عن أميرهم . فيقولون : خيرا .

فيقول : هل يعود مرضاكم ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : هل يعود العبد ؟

فيقولون : نعم .

فيقولون : كيف صنيعه بالضعيف .. هل يجلس على بابه ؟

فاذا قالوا لخصلة منها لا عزله .

قالوا ..

* لا سلطان الا بالرجال ، ولا رجال الا بمال ، ولا مال الا بعمارة ، ولا عمارة الا بعدل .

* ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى .

* رب قريب أبعد من بعيد ، وبعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .

* ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده .

* يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم !

* مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

* ما المبتلى الذى قد اشتد به البلاء ، بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء !

دعاء

الحمد لله رب العالمين ، أسالك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والعصمة من كل ذنب ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم .

الفتاوى

الخطأ على المنبر

س : من السيد/س.ت. عبد الحميد

اذا أخطأ الخطيب على المنبر فى آية من القرآن الكريم أو فى الحديث الشريف . هل يجوز لأحد الحاضرين أن يرده .. ؟

ج : الخطيب اذا أخطأ وهو يخطب فى قراءة القرآن الكريم كان على الحاضرين أن يصحح له أحدهم الخطأ بالرفق والحسنى ، حتى لا يكون هناك تشويش فى المسجد ...

وكذلك يصحح له الحديث اذا كان الخطأ يغير المعنى ..

حكم الاسلام فيمن يقول لمسلم : أنت كافر

س : من السيد / أ . السنى .

ما رأى الاسلام فيمن يقول لمسلم أنت كافر ، أو يكفر أحد العلماء ؟

ج : لا يجوز للمسلم أن يكفر مسلما ، فان فعل فهو آثم اثما عظيما ليس له عند الله الا التوبة النصوح بالندم على ما فعل والعزم المؤكد على الا يعود الى مثله ، للحديث الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فان كان كما قال والا رجعت عليه » رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

وعلى من قال ذلك أن يعود الى من آذاه بهذا القول ليغفر له ما صدر منه من اثم وتكفير .

حكم الكى بالنار

س : من السيد / س . أبو اسماعيل

مريض ذهب الى كثير من الأطباء ولكن دون جدوى فنصحه بعض الناس بالكى بالنار فان فى ذلك شفاء له من دائه فهل يجوز له ذلك ؟ .

ج : رسولنا ﷺ يقول : « تداووا فان لكل داء دواء » وقد قام المريض بعرض نفسه على عدد من الأطباء وباشروا علاجه بالوسائل الطبية المختلفة ...

ولما كان النبى ﷺ قد ورد عنه ما يفيد أن « آخر الدواء الكى » وأن ذلك صدر منه عليه الصلاة والسلام على سبيل العادة ، فانه لا يؤخذ بهذا الا بقرار من أساتذة مختصين فى

إعداد الاستاذ عبد الحميد شاهين

الطب بأن الكى لا يهلك المريض أو يضر بصحته ، وذلك لقول النبى ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » ولقول الله تعالى « **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** » .

بينونة كبرى

س : من السيد / ع ـ الحماقى .

رجل حلف على زوجته ثلاث مرات متفرقات بقوله لها : أنت محرمة على (زى) امى واختى ـ وزى بالعامية المصرية بمعنى (مثل) وكان يقصد الطلاق بهذا القول .. فما الحكم ؟

ج : باليمين الثالث بانت الزوجة من زوجها بينونة كبرى ، لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ... فاذا طلقها الثانى أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للزوج الأول بعقد ومهر جديدين وبرضاها .

س : من السيد / ع . مبروك ...

اننى مريض بمرض نفسى وعصبى دخلت بسببه المستشفى المختص ، ولظروف المعيشة اخرجنى أهلى قبل تمام العلاج ولا أزال أتردد على مستشفى الأمراض النفسية للعلاج بالعقاقير ولعمل جلسات كهربائية .

ولكن تنتابنى احيانا نوبات صرع أفقد فيها الوعى فاقول لزوجتى أنت طالق فى أثناء ذلك .. وقد وقع منى ثلاث طلقات فى هذه الحالة .. فما الحكم ؟

ج : الطلاق من المسلم حال فقدان وعيه لا يقع لحديث : « لا طلاق فى اغلاق » وعلى ذلك فلا تقع الطلقات الثلاث .

ميراث

س : من السيد / الدسوقى .

توفيت امرأة عن : أولاد اخوات شقيقات ذكور واناث فقط . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : مادام لا يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ، والمذكورون جميعا من ذوى الأرحام ، فان التركة تقسم على أولاد الأخوات الشقيقات للذكر ضعف الأنثى ، كأنهم أولاد أخت واحدة .

س : من السيد / احمد عبد اللطيف .

توفيت امرأة عن : زوج ، أب ، اخوة أشقاء ، وتركت منقولاتها ومصاغها وللزوجة مؤخر صداق قبل الزوج . فكيف توزع هذه التركة ؟

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر الصداق ويضاف الى المنقولات والمصاغ ويعد الجميع تركتها : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى للأب تعصيبا . ولا شىء للاخوة الأشقاء .

والله اعلم ..

حقوق الجوار في الإسلام

للأستاذ محمد فريد وجدى

ان من أنبل المقاصد وأسمى الغايات للشريعة الاسلامية · عمومها وشمولها · ذلك أن الدين الاسلامى آخر الأديان · وشريعته خاتمة الشرائع ، ولذلك جاءت تعاليمه للناس كافة ، لا فرق فى ذلك بين أمة وأمة أو بين جنس وجنس · أو لون ولون ·

وبتعبير أدق · جاءت الشريعة الاسلامية لتصحح مسار الحياة الانسانية · وفى سبيل ذلك سار رسول الله ﷺ فى دعوته لدين الله ·

وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ·

ويقول سبحانه (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)

ويقول تعالى (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ·

تلك سماحة الاسلام مع أهل الديانات الأخرى · والتطبيق العملى لتعاليمه دليل ذلك ·

وفى أعمال السابقين الأولين من المسلمين ما يدعو الى الاعتبار والانبهار من تطبيقهم لتعاليم الاسلام فى مسألة الجار ومراعاة حقوق الجوار وغيرها والسنة المطهرة ضربت فى هذا الجانب بسهم وافر ·

قال مجاهد : كنت عند ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ ، وغلام له يسلخ شاة فقال : ياغلام · اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، قال ذلك مرارا ، فقال الخادم : كم تقول هذا ؟

فقال له ابن عمر : ان رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه)·

قال الأستاذ محمد فريد وجدى

تقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

لقد وضع الاسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الاسلامية جمعاء أسرة واحدة مترابطة الآحاد ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لحمة ، فشرع التعاون في الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساسا لمدينته الفاضلة .

فقال تعالى : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هذا التعاون الا دعا اليها وحث عليها . ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبناء المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا يجد التداعى سبيلا اليه بحال من الأحوال لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره .

فأول حجر وضعه النبى ﷺ فى بناء صرح حقوق الجوار قوله : « **لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه** » ومراده أنه لا يتم له ايمان حتى يتحقق فيه هذا الشرط ، وهذا أمر فى منتهى الخطورة . فان الايمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة ، فاذا كان اكتمال هذا الايمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فانه لا شك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضنا بنفسه وطلبا لنجاتها .

قسم النبى ﷺ الجيران الى ثلاثة أقسام :

فقال : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم . وأما الذى له حقان فالجار المسلم : له حق الجوار وحق الاسلام . وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » .

حقا ان هذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فان تسوية حقوق الجوار حتى على المشركين لم يقل به قبل الاسلام مصلح فى الأرض . ويفهم من هذا أن الاسلام انما يراعى فى الآداب الاجتماعية ما يشمل الانسانية كلها ، وهذا غاية ما ترمى اليه المدنية .

فالانسان لا يخلو وهو يعيش فى مدينة أن يكون له جيران من ذوى ملل مختلفة ، يبادلهم المعاملات ، فهل أبيحت للمسلم معاملتهم وحرمت عليه مجاملتهم ؟ لا ، بل أوجب عليه الاسلام أن يسوى بينهم وبين أخوانه المسلمين فيها .

وقد حث النبى على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم . والأكل معهم حتى الاصهار اليهم . وقد وجد أصحاب الأديان من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة فى وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ،

وأقوم سبل الانسانية .

قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة ، فقال : ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مرارا . فقال الخادم : كم تقول هذا ؟ فقال له : ان رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودي جارا ولم يفرق بينه وبين اخوانه في الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم ، لا شك في أنه فعل ذلك حتى لا يسبق الى ذهن خادمه أن يستثنيه من حقوق الجوار ليهوديته فامره أن يبدأ به ، ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبى من التشديد في وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

ومن أشد ما يلفت المسلمين الى العناية بحقوق الجيران أن جعل النبى ﷺ شهادتهم علامة على الاحسان والاساءة لمن أراد أن يعرف منزلته عند الله . روى عبد الله بن عمر فقال « قال رجل : يارسول الله كيف لى أن أعلم اذا أحسنت ، أو أسأت ؟ قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت ».

فتأمل في هذا وانظر هل يطيق رجل سمع هذا الحديث أن يسمع ذم جيرانه له دون أن يبلغ منه التأثير مبلغه ؟ وهل يتأثر منه ولا يحاول أن يحسن من سيرته حتى يستحق أن يمدحه جيرانه ؟

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعنته ، وان استنصرك نصرته ، وان استقرضك أقرضته ، وان افتقر عدت عليه ، وان مرض عدته ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه ، واذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها . ثم قال : أتدرون ما حق الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله » :

ان هذا حديث جامع في حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة منها الا أحصاها ، فلعل من الناس من يخيل اليه قياسا على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فان هذه الحقوق طبيعية يؤدى اليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الانسانية لو تجردت من شبح الحيوانية ، وأثرة البهيمية . فاليك بيان ذلك خصلة خصلة :

أمن علو الهمة التي يجب أن يتحلى بها كل رجل أن يستعين بك جار لك على أمر نزل به فتأبى عليه الاعانة ،وأن يستنصرك على لص طرقه أو حيوان ضار داهمه فتوليه ظهرك وتدعه فريسة لما نابه ، وأن يستقرضك دريهمات يستعين بها على شأن من شئونه فتضن بها عليه ، وأن يفتقر ويجوع أهله فلا تمده بمعونة ، وأن يمرض ويحتاج للمواساة فلا تعوده ، وأن يموت فتبخل عليه بخطوات قليلة ، وأن يناله ما يفرحه فلا تهنئه بكلمة ،

وأن يصاب بنازلة فتترفع عن تعزيته ، وأن تستطيل عليه في البناء لتحجب عنه الهواء والشمس ، وأن تؤذيه فلا ترفع بتضرره وزنا ، وأن تخص أهلك بالطيبات من الرزق ولا تبالي به وبأولاده الصغار فلا تشركهم معك ؟ ثم لا يكفيك أن تعد هذا تقصيرا فتلتمس له حجة من مقتضيات الحياة العصرية ؟ هل الحياة العصرية لا تستقيم الا اذا كان قوامها التقاطع وغلظ الكبد ، والشح المطاع ، وجمود القلب وقلة الانسانية ؟

كان الأولى بك أن تقول : ان الحياة العصرية قد جهلت هذه الواجبات الأولية فوقعت في شر ما تجنيه الجماعات على نفسها ، وهو حقد الفقراء على الأغنياء ، وحسد المحرومين للموهوبين ، وتوقع بعض الناس دوائر السوء ببعض ، وهذه العلل كلها تشكو منها أوروبا المتمدنة جد الشكوى ، بل هي لم تهدد في كيانها بشيء كما تهدد من هذه الناحية .

وكما بين الاسلام حقوق الجوار على أتم وجه كما رأيت ، حرم ايذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الايذاء مبطلا للأعمال الصالحة .

فقد قيل لرسول الله ﷺ : ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها ؟ فقال عليه السلام : « هي في النار » .

ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن ايذاء الجار قول النبي ﷺ : « ان انت رميت كلب جارك فقد آذيته » . فأخذ المسلمون بهذا الأدب وجروا على سنته ، فكانوا يتحرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله .

فيروى أن رجلا جاء الى ابن مسعود ، رضي الله عنه — فقال له : ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي ، فقال له : اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ؛ فان التغابي عن أذى الجار ربما أداه للندم والرعوى ، مصداقا لقوله تعالى : « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » ، ولكنه لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعا في بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران الى أحدهما والبعض الآخر الى الثاني ، فحسما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر في أصغر دائرة فينصح المجني عليه بالصبر .

وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبي ﷺ فقد روي أنه جاءه رجل يوما يشكو جاره فقال له النبي : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة ، فكان يأمره بالصبر ، فلما جاءه الرابعة ، قال له : اطرح متاعك في الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون : لعنة الله ! فأثر ذلك في قلب جاره المتاكس ، فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود !

وروى الزهري أن رجلا أتى النبي ﷺ فجعل يشكو جاره ، فأمر النبي أن ينادى على باب المسجد « الا ان أربعين دارا جار » .

قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا ، وأومأ الى

أربع جهات . وانما جعل النبى ﷺ هذا النداء جوابا على شكوى الرجل لأن فيه ايذانا بخطورة حرمة الجوار حتى انها لتمتد الى أربعين دارا ، ومن يكلف بمراعاة حق أربعين لا يجوز له أن يضيق ذرعا بحق واحد . وهذا الضرب فى الزجر من أبلغ أساليب التأديب التى لا تؤثر الا عن النبى ﷺ .

وفى تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعاها للاعتبار فى مراعاة حقوق الجوار ، فقد روى انه بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس هو فى ظل داره ، فقال : ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما . ودفع اليه ابن المقفع ثمن الدار قائلا له : لا تبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفار فى داره ، فقيل له : لو اقتنيت هرا ! فقال : أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى . هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الاسلام ، فالق عليه نظرة عامة ثم قابل بينه وبين ما نراه وما نسمعه اليوم من أحوال الجيران . فأما تناكرهم فحدث عنه ولا حرج ، فقد يسكن عشرة عمارة واحدة فلا يعرف بعضهم بعضا ، فما ظنك بمن يسكنون عمارات أخرى ؟

وأما ضروب الأذى فمما لا يستطاع حصره ، فمن أصغره وأخفاه تربص الشبان خلف الشبابيك بالمنظارات المعظمة ليروا ما يدور خلال دور الجيران مما لا يحبون كشفه لأحد ، حتى ليضطروهم الى اقفال شبابيكهم وحرمان أنفسهم من شعاع الشمس ونورها الضروريين لصحة الأبدان . ومن اظهر الأذى وأضره القاء القمامات أمام أبواب الجيران ، واطلاق العنان للأطفال وقت الهجير يقلقون راحة القائلين بضوضائهم ، ووقت الأصيل يثيرون التراب بكراتهم .

فاذا تركت المدن وانتقلت الى الأقاليم رأيت هذه الحال السيئة ، ولكن فى شكل آخر ، وأظهره تنابذ النسوة بسبب تناقش الأطفال ، وتداخل الرجال فى هذه المنازعات ، فتارة يقف الأمر عند التشاتم ، وطورا لا ينحسم الشر الا بالتلاكم .

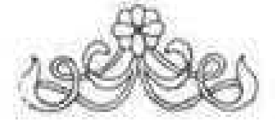
اما فى الغيطان فان حقوق المجاورة لا تراعى الى حد بعيد . فيجور الجار على أرض جاره أو يترك ماشيته ترعى برسيمه فى غفلته ، أو يماكسه فى رى زرعه ، أو يسد عليه طريق الصرف لا لعذر غير حب المشاكسة . فهؤلاء كلهم لو ذكروا بما ورد فى الاسلام من وجوب مراعاة حقوق الجيران ، ووقفوا على هذه الوصايا القيمة التى لم يترك النبى ﷺ وجها من وجوه البيان الا حلاها بها .

قلنا لو ذكروا بهذا كله لأثر فيهم أبلغ تأثير ، وقد عملت ادارة المعاهد الدينية فى حدود ميزانيتها على تدارك هذا النقص ، فأرسلت بعشرات الوعاظ الى الأقاليم ، والآمال معقودة ، على ابلاغهم الى المئين الكثيرة ليعم الناس النور الذى يحملونه اليهم ، والله ولى المحسنين .

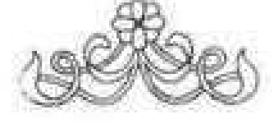
محمد فريد وجدى



الازدواج اللغوي



اسم الجمع



الازدواج اللغوى

قديما وحديثا

ظاهرة الازدواج اللغوى قديمة قدم اللغات ، فقد اقتضت سنة الله تعدد انماط التعبير وتلون طريقة الأداء ، قال تعالى :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم » (١) والاختلاف ليس مقصورا على التباين بين اللغات كالعربية والألمانية مثلا « بل يشمل ايضا الاختلاف الذى يكون فى اللغة الواحدة ، وبين افراد اللهجة الواحدة » (٢) الا ان هذا الاختلاف بين لونى الأداء تختلف طبيعته من عصر الى عصر ، وكذلك العلاقة بين طرفيه ، وسنحاول ــ بمشيئة الله ــ القاء الضوء على هذه الأمور فى هذا البحث .

مفهوم الازدواج اللغـوى :

المقصود بالازدواج اللغوى ــ هنا ــ ثنائية التعبير ، أو وجود لونين للأداء أحدهما فصيح والآخر دونه ، وقد شاع هذا المصطلح بهذا المفهوم فى مؤلفات بعض المحدثين (٣) ،

ولو تأملنا ما ورد فى المعاجم العربية بخصوص هذه المادة لأمكننا ايجاد علاقة واضحة بين مفهومه اليوم وما ورد بشأنه ففى اللسان (٤) مثلا : « الزوج خلاف الفرد ، يقال زوج أو فرد ، ويقال : هما زوجان للاثنين ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيان وهما سواء .

والافتعال من هذا الباب : ازدوج الطير ازدواجا فهى مزدوجة ... وازدوج الكلام وتزاوج أشبه بعضه بعضا فى السجع أو الوزن ، أو كان لاحدى القضيتين تعلق بالأخرى ، « ومزدوج الثمر : النبات الذى يحمل نوعين من الثمار مختلفى الصفات أو مختلفى موسم النضج » .

هذا بعض ما ورد فى هذه المادة بين دفتى المعجم العربى ، ولا ريب فى أن العلاقة واضحة بين مفهوم الازدواج اللغوى المقصود فى بحثنا ، وبين ما ورد فى المعاجم فقد أشار اللسان الى أن ازدواج الكلام يطلق اذا كان لاحدى القضيتين تعلق

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢٢ .
(٢) المستوى اللغوى د. محمد عيد ٣٩ .
(٣) مستويات العربية المعاصرة فى مصر د. السعيد محمد بدوى ٢٠ ، فقه اللغة د. وافى ٢
(٤) اللسان مادة (زوج) ٢/١٨٨٤ وما بعدها ، القاموس ١/١٩٢ .

للدكتور عبد المنعم عبد الله محمد
مدرس أصول اللغة بجامعة الأزهر

بالأخرى ، والتعلق قائم بين نمطي التعبير والثنائية في الكلام ، كما أن المعجم الوجيز قرر أن مزدوج الثمر هو النبات الذى يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات ، والازدواج اللغوى بثنائية (التعبير التي تمثله المستويات اللغوية يتسم بهذه المغايرة في الصفات). وقد يتسع مفهوم الازدواج لينضوى تحته كثير من الألوان الأدائية أو الأنماط المختلفة للتعبير ، أو اللهجات قبل الاسلام ، والعاميات بعد الاسلام ، وان كانت في النهاية تؤول اليه ، فالأنماط المعبر بها اما فصيحة أو غير فصيحة .

وقد اختلف مفهوم الازدواج من عصر الى عصر ، ففي الجاهلية ــ مثلا ــ لم يكن لونا التعبير على طرفي النقيض ، غاية الأمر أنه « كان في الجزيرة العربية نمطان متقابلان من الأداء ، أحدهما واضح بين ، والآخر ليس بهذه المنزلة من الوضوح والبيان » (١) .

ولا ريب في أن اللون الواضح البين هو ما أطلقوا عليه اللغة النموذجية الأدبية المشتركة التي لاكتها الألسنة في الأسواق الأدبية والمحافل العامة نظما ونثرا ، والثاني ــ دون الفصيح ــ يمثل اللهجات العربية المختلفة في هذه الفترة ، وهذه لم يتطرق اليها اللحن ، « ولم يكن في الجاهلية البتة ، وكل ما كان في بعض القبائل من خور الطباع وانحراف الألسنة فانما هو لغات لا أكثر » (٢) كما أنه لا يمكننا أن نلغى عن هذا النمط الذى هو في الحقيقة أنماط متعددة صفة الوضوح والبيان جملة وتفصيلا « وانما نعنى أن أداء بيئة ما بين فيها لا محالة لكن البيئات الأخرى لا تتمثله تمثلها ، وذلك راجع الى أن كل بيئة قد التزمت أعرافا خاصة في الأداء » (٣) ، ومن ثم حصر بعض المحدثين (٤) الازدواجية قبل الاسلام في مستويين : فصيح ، ودون الفصيح .

فاذا ما انتقلنا بمفهوم الازدواج اللغوى الى ما بعد الاسلام وجدنا له كنها آخر يتمثل في وجود لونين من الأداء ، أحدهما : اتسم بالسلامة اللغوية ، والآخر لم يلتزم ذلك ، حيث شاع فيه اللحن ، ومن هنا اختلف مفهوم الازدواج في هذه الفترة عن ذى قبل ، فالمستوى الثاني هنا ليس دون الفصيح رتبة ، ولكنه منه على النقيض نتيجة الاختلاط بالأعاجم وغير ذلك من الأمور التي سنتعرض لها ، يؤكد ذلك الجاحظ في تقريره « ولأهل المدينةالسن ذلقة ، وألفاظ حسنة ، وعبارة جيدة ، واللحن في عوامهم فاش ، وعلى من

٩

(١) الاعراب سمة العربية الفصحى / د. محمد البنا ١٣ .
(٢) تاريخ آداب العرب / الرافعي ١/٢٣٧ .
(٣) الاعراب سمة العربية الفصحى / ١٣ .
(٤) مستويات العربية المعاصرة في مصر/ ٢١ .

٥ الازدواج اللغوى

لم ينظر فى النحو منهم غالب ويمكن أن ينسحب هذا المفهوم لمدلول الازدواج اللغوى بهذه الماهية على عصور العربية كلها بعد ذلك . فاذا تتبعناه فى عصرنا الحديث وجدناه ينطبق — تماما — على الفصحى والعامية وما بينهما من تغاير وتباين .

وقد عدد بعض الباحثين المحدثين أنماطا كثيرة بين هذين المستويين . وصل بها الى خمس مستويات على هذا النحو :

١ — فصحى التراث :

فصحى تقليدية غير متأثرة بشىء نسبيا .

٢ — فصحى العصر .

فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص .

٣ — عامية المثقفين :

عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة المعاصرة .

٤ — عامية المتنورين :

عامية متأثرة بالحضارة المعاصرة .

٥ — عامية غير متأثرة بشىء نسبيا لا بالفصحى ولا بالحضارة المعاصرة .

وخصص الباحث لكل مستوى طائفة معينة ودائرة خاصة تتعامل به . الا اننا لا نرى فى هذه التنوعات المختلفة التى عددها الباحث الا لونين فقط هما لب القضية :

الفصيح والعامى . فالفصحى لها سماتها وطبيعتها وأنظمتها . والعامية لها خصائصها التى تدور فى فلك التلقائية وعدم الاطراد .

وعلى ذلك فاننا نستطيع القول بأن الازدواج اللغوى فى عصرنا يدور أساسا حول التزام قواعد الفصحى أو عدم التزامها .

وهكذا تغير مدلول مصطلح الازدواج اللغوى من عصر الى عصر . فماذا عن دلائل هذا الازدواج عبر العصور وملامحه ؟ هذا ما سنحاول القاء الضوء عليه .

اولا — الازدواج اللغوى قبل الاسلام :

تبين لنا مما تقدم أن الازدواج اللغوى قبل الاسلام تمثل فى وجود اللغة الأدبية المشتركة فى جانب . واللهجات العربية المتنوعة فى جانب آخر . واذا كانت السلامة والدقة اللغوية توافرت فى كلا الجانبين فان كل مستوى من هذين المستويين كان له ما يميزه عن الآخر .

أما عن دلائل الازدواج اللغوى فى هذه الفترة فهى كثيرة ومتعددة تنبعث من بطون كتب التراث بمثابة « الاشارات السريعة المتناثرة بما يسمى بلهجات العرب » (١) وبناء على تلك اللهجات الواردة فى كتب الأقدمين أمكن الحكم بوجود الازدواج اللغوى فى هذه الفترة .

ولو أردنا دليلا ثانيا على هذا الازدواج لتبين لنا أن فصاحة قريش تعد بمثابة الدليل على هذا الازدواج . فحينما ينقل السيوطى عن أبى نصر الفارابى أن قريشا « كانت

---

(١) لهجة البدو فى الساحل الشمالى لجمهورية مصر العربية / د . عبد العزيز مطر . تصدير أنيس ص هـ

أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها ابانة عما في النفس » (١)، كما ينقل ابن فارس قوله : « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، وذلك لأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب ، واختار منهم محمدا ﷺ فجعل قريشا قطان حرمه وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب » (٢) .

نفهم من هذين النصين أن قريشا أفصح العرب ، ومن ثم نستشف شيئا آخر وهو أن هناك مستوى آخر دونها في الفصاحة ، وهذا هو الازدواج الذى نحن بصدد التدليل عليه.

ولو أردنا دليلا ثالثا لطالعتنا الظواهر اللهجية المتعددة التى أشار اليها كثير من اللغويين في محاولة وصفهم للغة قريش بأنها ارتفعت في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء » (٣) . ولا ريب في أن سمات المستوى الثانى – دون الفصيح – واضحة في تلك الظواهر اللهجية التى ميزت لهجات تلك القبائل المختلفة ، فالعنعنة ، والتلتلة ، والكشكشة ، والكسكسة ، والعجرفية ، والتضجع ، وغير ذلك ما هى الا سمات ومظاهر للمستوى الثانى من الازدواج اللغوى ، وليست هذه المظاهر أو السمات بقليلة ، بل هى كثيرة قسمها بعض الباحثين (٤) بحسب ألقابها ونسبتها الى ذويها الى ثلاثة أقسام :

(أ) لهجات منسوبة الى أصحابها ولها لقب تعرف به كالعنعنة .

(ب)لهجات منسوبة وليس لها لقب .

(ج) لهجات غير منسوبة وليس لها لقب .

ولو تتبعنا النوع الأول في كتب التراث لوجدناه من الكثرة بمكان ، ويكفينا للتدليل على وجود الازدواج اللغوى ، كما أن كل مظاهره تدور في فلك واحد وهو ابدال بعض الحروف من بعض حيث اختلاف اللهجات .

واذا أردنا أدلة أخرى لاثبات هذه الازدواجية لوجدنا المشترك والمتضاد والمترادف دلائل قوية على وجود هذه الظاهرة فمن « الأسباب الرئيسية لوقوع المشترك في اللغة وجود كلمة هى هى من حيث اللفظ عند أكثر من قبيلة مع الاختلاف في المعنى أو الاستعمال في كل من هذه القبائل ، فاذا ما حدثت وحدة بينها اكتسب اللفظ أكثر من معنى من القبائل التى كانت تستعمله ...

(١) المزهر ٢١١/١ .
(٢) المزهر ٢١٠/١ .
(٣) مجالس ثعلب / القسم الأول ٨٠ : ٨١ .
(٤) انظر : تاريخ آداب العرب ١٤٠/١ : ١٦٦ ، وأيضا اللهجات العربية / د. ابراهيم نجا ٨١ .

ومن ذلك (السرداح) و (السردحة) بمعنى الناقة الطويلة ، وقيل الشديدة التامة ، ويكون معناه الجماعة من شجر الطلح الواحدة سرداحة ، والأرض : المستوية والبعيدة وهذا اللون من الألفاظ موجود فى العربية ومن الناس من أوجب وقوعه لأن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية ، فاذا وزع لزم الاشتراك (١) ووقوعه أما من واضعين ، بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين فى افادته المعنيين ، ولا ريب أنه بذلك دليل من أدلة الازدواج .

أما المتضاد ، وهو لون من الوان المشترك فانه أيضا يثبت هذه الظاهرة ، « فالناهل فى كلام العرب العطشان ، والناهل الذى شرب حتى روى ، والسدفة فى لغة تميم الظلمة ، والسدفة فى لغة قيس الضوء ، وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة » (٣) ، ويمكننا أن نضيف الى ذلك ظاهرة المترادف حيث دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد ، وهذه الظاهرة ما كانت الا نتيجة تعدد القبائل العربية ، وتعدد اللهجات الخاصة بها فقد « يحدث أحيانا أن يدخل فى اللغة مجموعة من اللهجات المحلية المتباينة ، كل منها ببعض ثروتها من المفردات ، وفيها ما يتفق مع بقية اللهجات ، كما أن فيها ما يختلف ، فيظل هذا المختلف جنبا الى جنب فى نطاق هذه اللغة الواحدة ، وهو ما حدث لكثير من لغات العالم الكبرى ومن بينها العربية » (٤) ، وقد أفصح السيوطى عن سببين لوجود هذا اللون نقلا عن أهل الأصول ، أحدهما ــ أن يكون من واضعين وهو الأكثر ، بأن تضع احدى القبيلتين أحد الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر باحداهما الأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ، ويخفى الواضعان ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر ،

والثانى ــ أن يكون من واضع واحد وهو الأقل .

ولو تأملنا فى سببى نشأة الترادف عند الأصوليين كما نقلها السيوطى لتبين لنا أن الأول منهما هو المشهور الذى اعتمد عليه الباحثون ، وهو بهذا المضمون يعد دليلا على وجود الازدواج اللغوى .

وهكذا تعددت دلائل الازدواج اللغوى ، ويمكن أن يضاف اليها أيضا ما ورد بين ثنايا مصنفات العربية (١) من حديث حول معرفة مختلف اللغة ، تداخل اللغات ، توافق اللغات الحوشى والغريب والشواذ والنوادر المطرد والشاذ ، الردىء والمذموم ، الضعيف والمنكر ، معرفة المفاريد .

هذ الأبواب اللغوية تدل بما لا يدع مجالا للشك على وجود نمطين للأداء قبل الاسلام .

أما عن الظواهر التى ميزت كل نمط عن

(١) المزهر ١/٣٦٩ .
(٢) المزهر ١ / ٣٨٩ : ٣٩٠ .
(٣) كلام العرب ١٠٤ .

(٤) انظر فى هذه الظواهر : الخصائص ، المزهر ، فقه اللغة لابن فارس .

الآخر ، فانه ينبغي لنا أن نقرر في بادىء الأمر أن هذا الازدواج بشطريه كان متسما بالسلامة اللغوية ، ودليلنا على ذلك ما قرره ابن جني من أن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » (١) وأيضا « باب اختلاف اللغات وكلها حجة » (٢) ، ويضرب مثالا على ذلك قائلا : « الا ترى أن لغة التميميين في ترك اعمال (ما) يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين في اعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ، ويخلد الى مثله ، وليس لك أن ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها ، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير احداهما فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنسابها ، فأما رد احداهما بالأخرى فلا ، هذا حكم اللغتين اذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين ، أو كالمتراسلتين ، فأما أن تقل احداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا ، فانك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياسا ، الا تراك لا تقول : مررت بك ، ولا المال لك ، قياسا على قول قضاعة : المال له ، ومررت به ، ولا تقول : أكرمتكن ، ولا أكرمتكن قياسا على لغة من قال: مررت بكن ، وعجبت منكن ... الى أن يقول فاذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا ، وعلى هذا ، فيجب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها ، الا أن انسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين ، فأما ان احتاج الى ذلك في شعر أو سجع فانه مقبول منه غير منعي عليه ، وكذلك ان قال يقول : على قياس من لغة كذا كذا ، ويقول على مذهب من قال كذا كذا ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وان كان غير ما جاء به خيرا منه ، نخرج من هذا بأن نمطي التعبير فيما قبل الاسلام لا غبار عليهما بالنسبة للسلامة والدقة اللغوية ، أما سمات كل نمط على حدة ، فيمكن اجمالها فيما يلي :

(١) اللغة النموذجية الأدبية المشتركة :

هي لغة عامة مشتركة بين جميع القبائل (٣) تتسم بالسهولة والرقة « والاعراب والبيان والفصاحة ، لأن العرب أجمعين كانوا يتفاهمون بها ويلوذون اليها » (٤) .

ومن ثم خلت هذه اللغة من الظواهر اللهجية الخاصة ، ويمثل ذلك الرافعي (٥)

(١) الخصائص ٢٥٧/١ .
(٢) الخصائص ٢ ـ ١٠ : ١٢ .
(٣) مستويات العربية المعاصرة ٢٢
(٤) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٣ بتصرف
(٥) تاريخ آداب العرب ١٣٥/١١١ .

الازدواج اللغوى

بقوله : « لأن هـذه اللغات جـرت من أول عهدها على اندماج النوع الأدنى منها فى النوع الأرقى ، واستمر ذلك بين العـرب ، فكلمـا انتشرت لغة أو لغات لقوم دون قوم تعاورها كل ،وبهذا جعلت القبائل تـدرج فى سـبيل الوحدة اللغوية العامة التي تقضى بها سـنة الحياة » .

من هذه السمات التى اتصـفت بها اللغـة المشتركة النموذجية الأدبية يمكننا أن نجمـع تلك الخصائص فى تقرير بعض المحـدثين (١) حيث عرفها بأنها هى التى « تتجرد من المزايا الاقليمية ، وتتمتع بالخصـائص اللغـوية العامة ، والتى يستطيع بها أصحاب اللهجـات جميعا أن ينتجعوها ويتكلموا بها دون حـرج أو تصعب ، لأن خصائص تلك اللغة لم تجنح الى التفريق المبنى على العصبية للهجة معينة ، ولذلك لا ترى الألسـنة صعوبة فى النطق بها ، ولا الأفواه مشقة على التعود عليهـا » تلكم كانت معالم وملامح المستوى الأول .

(ب) اللهجات العربية المختلفة :

هذا النمط من التعبير يلتـزم السـلامة اللغوية والدقة أيضا الا أنها أقـل فصـاحة وجزالة وسهولة من المستوى الأول فهى « لغة الخطاب والتعامل ، ولابد أن يكون التطور قد أحدث فيه آثاره فى كثير من جوانبه ، ومنهـا الجانب الاعرابى ... فقد نسبت الى هذيل وطىء وقيس وأسد وأهل الحجاز أعـراف لغوية ، لكن اللغة الأدبية التى انتهت الينا من هذه البيئات لغة مشتركة لا تفصح عن عـرق كل منها » (٢) ، ولما كان هذا المستوى اللهجى وثيقة الصلة بالحياة المتطورة المتجدد كـان دائم التطور من جانب وأقل فصاحه من جانب آخر لأن الفرد يستخدم لهجة قبيلته المحليـة « أصواتا ومفردات وتركيبات ، وقد تعرضـنـا لنماذج عديدة أفصحت عن سـمات هـذا المستوى ودلت على أنه « أقرب ما يكـون الى ردود الأفعال ، يتسـم بالسرعـة فى الأداء ، وتقوم فيه الكلمة مقام الجملة ، والاشـارة مقام العبارة البليغة ، وقد يكون الصمت فيـه أبلغ من كل كلام » (٣) .

تلكم كانت ملامح الازدواج اللغوى قبـل الاسلام .

فمـاذا عن المرحلة التى أعقبت انتشـار الاسـلام .

---

(١) اللهجات العربية ــ د . نجا ٢٣ : ٢٤

(٢) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٢ باختصار

(٣) المعجم الوجيز مادة (ل ح ن) ص ٥٥٤ .

اسمُ الجمعِ

للدكتور خالد عبد الحميد السيد

احكام اسم الجمع :

لم يضع النحويون لاسم الجمع احكاما بعينها يمكن الرجوع اليها ، وانما ذكروا نتفا منها عرضا ، لا على سبيل انهـا من احكامه ، وانما على انها من علاماته كان يقولوا ان من علامة اسم الجمع أن يصغر وان ينسب اليه على لفظه .

ونريد الآن ان نتبين هذه الأحكام .

جمعه :

ونبدأ هذه الأحكام بهذا التساؤل اذا كان اسم الجمع يدل على ما يدل عليه جمع القلة (٢) ، وكانت جموع القلة يقاس جمعها عند الأكثرين (٣) . فهل يقاس جمع اسم الجمع أيضا ؟

الذى يظهر من كلام سيبويه أنه لا ينقاس جمعه . والذى يظهر من كلام غيره جواز جمعه (٤) . ففى التسهيل (يجمع اسم الجمع وجمع التكسير غير الموازن (مفاعل) أو (مفاعيل) أو (فعلة) أو (فعلة) لما يثنيان له جمع شبههما من مثل الآحاد (٢) فجمعه لاسم الجمع وللجمع فى حكم واحد يفيد أنه مقيس جمعه مثل الجمع .

والأولى فى ذلك ما ذهب اليه سيبويه لأن هذه الجموع جاءت على خلاف القياس الذى ينبغى أن يجيء عليه الجموع . فأهال جمع (أهل) وقياسه أن يكون جمع (أهلاه) و (أراهط) جمع (رهط) وكان ينبغى أن يكون جمع (أرهط) وهو غير وارد (٦) . وحتى اذا



(١) المخصص ٦٣/١٦ وشرح الشافية للرضى ١٩٩/٢ .
(٢) مجموعة شروح الشافية للجاربردى وغيره ٩٣/١ .
(٣) الهمع ١٨٣/٢ .
(٤) الارتشاف ١٢٣/١ والهمع ١٨٤/٢ .
(٥) التسهيل ٢٨٢ .
(٦) سيبويه ٦١٦/٣ ـ ٦١٧ شرح ابن يعيش ٧٢/٥ ـ ٧٣ شرح الشافية للرضى ٢٠٤/٢ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

قيل أنه قد ورد فى اللغة (أرهط) كما قال الشاعر :

وفاضح مفتضح فى ارهطه

وقول رؤبة :

وهو الذليل نفرا فى ارهطه

فانه يكون حينئذ جمعا للجمع لا جمعا لاسم الجمع •

تصغيره والنسب اليه :

اسم الجمع — كما سبق — يصغر على لفظه ، وعلل سيبويه ذلك بأنه (بمنزلة الواحد الا انه يقع على الجميع) (١) ، وعلل لذلك فى شروح الشافية بأنه (بمنزلة جمع القلة حيث لم يختص بالكثرة) (٢) والتعليل الأول أولى لأن جمع القلة وان يصغر على لفظه لقرب القلة من معنى التصغير ، فهو يصغر أيضا على بناء واحده ثم يجمع السلامة فتقول فى أكلب أكيلب أو كليبات •

فيصغر على لفظه سواء جاء من تركيبه واحد كراكب وراجل وركب ورجل فتقول : ركيب ورجيل • أو لم يجئ فتقول فى قوم ونفر قويم ونفير •

وان كان اسم الجمع مؤنثا لحقته التاء عند تصغيره فتقول فى ابل وغنم : أبيلة وغنيمة (٣) •

وأما الأخفش — كما سبق — فانه يرد نحو : (ركب ورحل) الى الواحد ثم يصغره على لفظه ، ثم يلحقه الواو والنون اذا كان لمذكر ما يعقل ، فان كان للمؤنث أو لما لا يعقل جمع بالألف والتاء فتقول رويكبون رجيلون ورويكبات ورجيلات•

ولكن لو جمع شيء من اسم الجمع ، فكيف نصغره ؟

ان كان قد جمع جمع قلة فانه يصغر على لفظه فتقول فى نحو : أقوام وأنفار ، أقيام وأنيفار ، وان كان قد جمع جمع كثرة نحو : الأراهط فانك ترده الى مفرده ثم تصغره ثم تضيف اليه علامة جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم — كما سبق — فتقول رهيطون (٤) •

وكذلك تنسب الى اسم الجمع على لفظه سواء كان له من تركيبه واحد نحو : ركب أو لم يكن نحو : ابل وقوم فتقول : ركبى وابلى وقومى • وعلل سيبويه ذلك بأنه (لم يكسر له واحد وان كان فى معنى الجميع) (٥) •

وان جمعت اسم الجمع أتيت بواحدة فنسبت اليه كما تقول فى النسبة الى نساء نسوى ، لأن واحده نسوة ، وهو اسم جمع • وكذا تقول فى أنفار وأنباط نفرى ونبطى (٦) • وانما يرد حينئذ الى الواحد لأن أصل المنسوب اليه والأغلب فيه أن يكون واحدا (٧) •

(١) الكتاب ٢/٤٩٤•
(٢) مجموعة شروح الشافية ١/٩٣ •
(٣) المقتضب ٢/٢٩١ وابن يعيش ٥/٢٣ •
(٤) كتاب سيبويه ٢/٤٩٤ وابن يعيش ٥/١٢٣•
(٥) الكتاب ٢/٣٧٨ •
(٦) الكتاب ٢/٣٧٩ •
(٧) شرح الشافية للرضى ٢/٨٠ •

تأنيثه وتذكيره :

ذكر أكثر علماء العربية أن اسم الجمع اذا كان لما لا يعقل لزمه التأنيث (٢) كابل وغنم فتدخله الهاء اذا صغر ــ كما سبق .

ولكن ابن الأنباري في البلغة (٣) والبطليوسي في الحلل (٤) قد ذكرا أن (الذود) من الابل يذكر ويؤنث وان كان أكثره مؤنث . ومن تذكيره قولهم :

الذود الى الذود ابل

وأما اسم الجمع الذي يكون للعقلاء فبعضه مذكر كقوم ورهط . وبعضه يجوز تذكيره وتأنيثه كالركب والصحب . قال الشاعر

مع الصبح ركب من احاظه مجفل (٥)

واذا وقع اسم الجمع فاعلا أو نائب فاعل جاز تأنيث فعله وتذكيره مطلقا اذا كان معربا ؛ لأنه فمعنى الجماعة ، والجماعة مؤنث مجازي . قال تعالى (**وقال نسوة** (٦)) وقال (**كذبت قبلهم قوم نوح**) (٧) أما اذا كان مبنيا (كالذين) فانه لا يقال فيه : قالت الذين (٨) .

العدد مع اسم الجمع .

العدد له أحكام خاصة مع الألفاظ المختلفة . فما حكمه مع اسم الجمع ؟

ان كان اسم الجمع لمن يعقل كالقوم والنفر . فحكمه حكم المذكر مع العدد . فتقول عندي ثلاثة من القوم وأربعة من النفر . وان كان لما لا يعقل فحكمه حكم المؤنث كالجامل والباقر .

واذا وقع اسم الجمع مميزا للثلاثة الى العشرة وما بينهما خفض (بمن) اتفاقا فتقول : لقيت عشرة من القوم قال تعالى (**فخذ أربعة من الطير**) (٩) .

واذا كان الجمع يضاف اليه العدد من الثلاثة الى العشرة فهل يعامل اسم الجمع نفس المعاملة ؟

الحق أن العلماء لهم في ذلك ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول :

اجازته على قلة . وهو ظاهر كلام ابن هشام تبعا لابن عصفور .

المذهب الثاني :

أنه مقصور على السماع وهذا مذهب الأكثرين .

المذهب الثالث :

التفصيل فان كان مما يستعمل للتليل فقط

(٢) المقتضب ٢/٢٤٧ ــ شرح الكافية للرضي ٢/١٧١ ــ الف باء ١/٢٤٢ ــ ٢٤٣ اللسان (غنم) والمصباح ١/٢ .
(٣) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٧٢ .
(٤) الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل ٣١٠ .
(٥) شرح الكافية للرضي ٢/١٧١ .
(٦) يوسف ٣٠ .
(٧) الحج ٤٢ وآيات اخرى .
(٨) التصريح ١/٢٨٠ .
(٩) البقرة ٢٦٠ .

اسم الجمع

نحو : نفر ورهط وذود جاز ، وإن كان يستعمل للقليل والكثير كقوم ونسوة لم يجز وهذا الرأى حكاه الفارسى عن المازنى (١) .

والذى تميل اليه النفس من هذه المذاهب هو المذهب الثانى لقلة ما جاء من ذلك كقوله تعالى (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ (٢)) وقول الشاعر :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود
لقد جار الزمان على عيالى

بين الجمع واسم الجمع :

وبعد أن تبينا حقيقة اسم الجمع ووقفنا على أحكامه بقى علينا أن نفرق بينه وبين الجمع فاذا كان الجمع منه سالم ومكسر ، والمكسر منه ما يدل على القلة ومنه ما يدل على الكثرة فان اسم الجمع لا يلتبس بالجمع السالم ذلك أن للسالم علامة تميزه عن غيره من الجموع ومن أسماء الجموع . كما أن جمع الكثرة لا يلتبس باسم الجمع لاختلاف الدلالة

فى كل منهما ذلك أن جمع الكثرة يتناول ما فوق العشرة واسم الجمع يتناول ما تحتها فاختلفا، فلم يبق الا التفريق بين جموع القلة واسم الجمع . فيفرق بينهما بأن جمع القلة يكون له مفرد يوافقه فى أصل اللفظ دون الهيئة وفى الدلالة عند عطف أمثاله عليه كرجال ، له واحد يوافقه فى الحروف الأصلية دون الهيئة ويقال فيه : قام رجل ورجل ورجل ، أو يوافقه فى اللفظ والهيئة مع المخالفة فى التقدير ــ كفلك ــ عند الأكثرين . فانه فى حالة الافراد نظير (قفل) وفى حالة الجمع نظير (رسل) بخلاف اسم الجمع فانه يأتى ولا واحد له من لفظه بل له واحد من معناه (كالابل) فواحدها البعير . أو يكون له من لفظه ما يدل على مفرده ولكنه فى الحقيقة ليس مفردا له .

وعلى هذا ففى قول كثير من النحاة ان اسم الجمع يكون له ــ أحيانا ــ مفرد من لفظه كركب فواحده راكب فى قولهم هذا تسامح ، فان راكبا فى الحقيقة ليس واحدا لركب وانما هو يدل على واحده . لأنه لو كان كذلك لكان نحو : (ركب) جمعا على غير قياس لأن أهم ما يميز اسم الجمع أنه لا مفرد له من لفظه . ولعل هذا هو الذى دعا الأخفش والفراء أن يقولا ان نحو : ركب وصحب وجامل وباقر وغيرها مما له مفرد من لفظه أنها جموع قلة لا أسماء جمع .

ولعل عبارة سيبويه فى هذا هى المحررة حيث قال (هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ، ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود الا أن لفظه من لفظ واحده ، وذلك قولك : ركب وسفر ، فالركب لم يكسر عليه راكب ..) (٣) فقوله (لم يكسر عليه واحده) يشعر بأن نحو : راكب وسافر ليسا بمفردين لركب وسفر ، وانما هما مفردان لجمع آخر

---

(١) ينظر الخلاف فى التصريح ٢/٢٧٠ .
(٢) النمل ٤٨ .
(٣) الكتاب ٢/٦٢٤ .

بدليل أنه قال بعد ذلك (ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود) أى هو بمنزلته فى شيئين فى كون كل منهما اسم جمع ، وفى كون كل منها لا مفرد له ، من لفظه ، وأما نحو راكب وسافر فهو شيء يشير للمفرد وليس بمفرد .

وانني لأتساءل اذا كان اسم الجمع يعامل معاملة المفرد فى كل شيء ، فهو مفرد فى اللفظ وفى الوزن وفى سائر الأحكام اللفظية ، فكيف يكون للمفرد مفرد ؟

ان الفرق بين راكب وركب ، أن راكب مفرد لفظا ومعنى ، وركب مفرد لفظا جمع فى المعنى ، اذن ففيه شائبة الافراد فكيف يجعل له مفرد .

وقد حقق ذلك الرضى فقال (فان قيل فنحو : ركب فى راكب ، وطلب فى طالب وجامل وباقر فى جمل وبقر داخل فيه اذ آحادها من لفظها كما رأيت ـ أخذ راكب ـ مثلا ـ وغيرت حروفه فصار (ركب) قلت : ليس راكبا بمفرد ركب وان اتفق اشتراكهما فى الحروف الأصلية ، وانما قلنا ذلك لأنها لو كانت جموعا لهذه الآحاد لم تكن جمع قلة لأن أوزانها محصورة بل جموع كثرة وجمع الكثرة لا يصغر على لفظه بل يرد الى واحده .. وهذه لا ترد نحو : ركيب وجويمل وأيضا لو كانت جموعا لردت فى النسب الى آحادها ولم يقل ركبى وجاملى وأيضا لو كانت جموعا لم يجز عود الضمير الواحد عليها .. انتهى (١)) .

اذن (فراكب) لم يوضع فى الأصل ليكون مفردا (لركب) وان اتفق اشتراكهما فى الحروف ، وانما وضع ليكون مفردا لألفاظ أخرى جاءت على أوزان الجموع هى :

ركاب وركوب وركبان (٢) ، وصاحب أيضا جمعه : صحابة وصحابة (٣) ، وسافر جمعه سفار (٤) ، وباقر ليس جمعا لبقرة لأن الباقر انما هو جماعة البقر مع رعاتها وكذلك (جامل) ليس مفرده (لجمل) لأن الجامل هو جماعة الجمال مع راعيها (٥) .

وهكذا فى بقية الأمثلة ، فعبارة سيبويه يمكن أن تفهم على أنه لم يكسر عليه واحده ، أى : لأن هذا الواحد كسر فى جمع آخر جاء على أوزان الجموع .

ومن الفروق الواضحة بين الجمع واسم الجمع انه اذا كان اسم الجمع يشارك الجمع فى المدلول ـ كما سبق ـ فانه يخالفه فى اللفظ ذلك أن اسم الجمع يعامل فى اللفظ معاملة المفرد فيصغر وينسب اليه على لفظه ويعود اليه الضمير مفردا كقول الخطيئة .

فان تك ذا مال كثير فانهم
لهم جامل ما يهدأ الليل سامره

ويخبر عنه ويوصف بالمفرد .

ومن الفروق بينهما أيضا أن الجمع انما يأتى على صيغ وأوزان خاصة به نحو عباديد وشماطيط ، أو غالبة فيه نحو : أعراب وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد

(١) شرح الكافية ٢/١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٢) اللسان (ركب) ٣/١٧١٢ .
(٣) اللسان (صحب) ٤/٢٤٠٠ .
(٤) اللسان سفر ٣/٢٠٢٤ .
(٥) اللسان (بقر) ١/٣٢٤ .

اما ظاهرا واما تقديرا فالمغايرة الظاهرة اما بالحركات كأسد وأسد ، واما بالحركات والحروف كقلم وأقلام . والتغيير المقدر كهجان وفلك (٢) أما اسم الجمع فهو بخلاف ذلك . فتجيء أوزانه على حسب أوزان الأسماء المفردة (٣) كانت هذه كلها فروقا بينهما من حيث اللفظ . ولكن هل يمكننا أن نضع لهما فرقا من ناحية المعنى ؟

يمكننا أن نفرق بينهما من حيث الدلالة بأنه اذا كان الجمع موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف كمساجد وأبابيل فان اسم الجمع موضوع لها ليدل عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه كقوم ورهط (٤) .

ونظرا لاشتراك الجمع واسم الجمع في الدلالة على الجمع فقد رأينا بعض علماء اللغة يطلقون الجمع على اسم الجمع باعتبار المعنى . ففي اللسان (الصحب : جمع الصاحب مثل راكب وركب) (٥) وفي مكان آخر (والسفر جمع سافر) (٦) وفي موضع ثالث (وكان في المدينة تسعة رهط ، فجمع ولا واحدا له من لفظه) (٧) والمطرزى في المغرب يقول (السفر المسافرون جمع سافر كركب وصحب في راكب وصاحب) (١) كما رأينا مثل ذلك في المختار (٢) والخزانة (٣) وغيرها . ولهذا قال صاحب التاج (وأهل اللغة يطلقون الجمع على ما يدل على جمع ولو لم يقتضيه القياس كأسماء الجموع وأسماء الأجناس الجمعية (٤)) .

أقول : وفي هذا كله رد على من ادعى اتفاق العلماء على أن نحو : رهط ونفر اسم جمع وهو الرضى (٥) . وممن نقل خلافا في ذلك صاحب المصباح حيث قال (وقيل : اسم الجنس .. وكذلك اسم الجمع نحو قوم ورهط من جموع القلة) (٦) .

اسم الجمع واسم الجنس الجمعي :

وهناك نوع آخر من الكلم يشارك اسم الجمع ــ أحيانا ــ في دلالته على الجمعية وهو ما يطلق عليه اسم الجنس الجمعي وهو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء نحو: ثمرة وثمر أو بالياء نحو : رومي وروم .

وعلينا أن نميز هذا النوع أيضا عن اسم الجمع فهناك فروق واضحة بينه وبين اسم الجمع ذلك أن هذا النوع موضوع في أصله للحقيقة والماهية فهو صالح للقليل والكثير فيقع

---

(٢) الهمع ٢/١٨٤ .
(٣) شرح الجمل لابن عصفور ٢/٥٤٢ .
(٤) مجموعة شروح الشافية للجاربردى وابن جماعة وآخرين ١/٩٣ وشرح لامية العجم ١/١٢٦ ــ ١٢٧ .
(٥) اللسان صحب ٤/٢٤٠٠ .
(٦) اللسان سفر ٣/٢٠٢٤ .
(٧) اللسان رهط ٣/١٧٥٣ والآية ٤٨ النمل .

(١) المغرب في ترتيب المعرب ص ٢٢٦ .
(٢) مختار الصحاح رهط ٢٥٩ والصحاح (رهط) .
(٣) الخزانة ٤/٢٨٣ .
(٤) تاج العروس (سفن) ٩/٢٣٦ .
(٥) شرح الشافية ٢/٢٠٤ .
(٦) خاتمة المصباح المنير ٦٩٥ .

التمر على التمرة والتمرتين والتمرات . وكذا الروم بخلاف اسم الجمع فهو موضوع في أصله للدلالة على مجموع آحاد معينة فلا يقع على الواحد والاثنين .

هذا هو الفرق بينهما من حيث الدلالة والمعنى . وهناك فرقان واضحان بينهما من حيث اللفظ .

أولهما : أن اسم الجنس لابد له من واحد بخلاف اسم الجمع فقد يكون له واحد . وقد يكون له ما يشبه الواحد ـ كما تقدم .

وثانيهما : أن اسم الجنس يفرق بينه وبين واحدة بالتاء أو بالياء بخلاف اسم الجمع (٧) .

ويبدو أن سيبويه لم يكن يفرق بين اسم الجنس الجمعى وبين اسم الجمع . فانه بعد أن جعل لاسم الجنس الجمعى بابا جعل عنوانه (هذا باب ما كان واحدا يقع على الجمع ويكون واحده على بنائه من لفظه الا أنه مؤنث تلحقه هاء التأنيث ليتبين الواحد من الجمع) وذكر فيه حلقة وحلق وفلكة وفلك (٨) . نجده يكرر ذلك في باب اسم الجمع الذى جاء عنوانه (هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود الا أن لفظه من لفظ واحده) فبعد أن ذكر فيه أفيق وأفق وعمود وعمد يقول : ومثل ذلك حلقة وحلق وحلق وفلكة وفلك) (١) وقد تبعه في هذا جماعة منهم الزمخشرى في المفصل (٢)وابن سيده في المخصص (٣) وابن مالك في التسهيل (٤) . يقول أبو حيان (وقد أورد ابن مالك رحمه الله في أسماء الجموع جملة ما بينه وبين المفرد تاء التأنيث وياء النسب ، وأصحابنا لا يسمون هذا النوع اسم جمع ، بل يسمونه اسم جنس) (٥) .

نخلص من كل ذلك الى ما نص أنه يمكن أن يوضع لاسم الجمع قاعدة عامة تحصر مفرداته المتفرقة ، وتكون حكما بين النحاة الذين اختلفوا فيه . وهى أن كل ما دل على جمع ولم يكن على وزن الجمع . أو كان على وزنه ولكنه، عومل في اللفظ معاملة المفرد ولم يطرد مفرده على وزن واحد . ولم يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء . كل ما كان كذلك فهو اسم جمع سواء كان له من لفظه ما يدل على مفرده . أو لم يكن .

٢ ـ أن لاسم الجمع احكاما أغفلها كثير من النحاة أو ذكروها عرضا منها : انه لا ينقاس جمعه ـ وأنه ينسب اليه ويصغر على لفظه الا اذا جمع ـ وأنه يؤنث غالبا اذا كان لما لا يعقل ، فان كان لمن يعقل فبعضه مذكر وبعضه مؤنث ـ وأنه مع العدد يذكر ان كان لمن يعقل والا كان مؤنثا ـ وأنه اذا وقع مميزا جر بمن اتفاقا وأضيف اليه العدد على خلاف .

(٧) شرح الكافية للرضى ٢/١٧٨ وشرح الشافية له ٢ / ١٩٤ ـ ١٩٥ والصفدى على لامية العجم ١/١٢٦ ـ ١٢٧ والارتشاف ١/١٠٢ ـ ١٠٤ .

(٨) الكتاب ٣/٥٨٢ ـ ٥٨٣ .

(١) الكتاب ٣/٦٢٤ ـ ٦٢٥ .

(٢) شرح ابن يعيش للمفصل ٥ / ٧٧ ـ ٧٨ .

(٣) المخصص ١٤/١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٤) التسهيل ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٥) ارتشاف الضرب ١ / ١٢٥ (رسالة) .

٣ ــ أنه يمكننا أن نضع الفروق الدقيقة التى تفصل اسم الجمع عن الجمع واسم الجنس الجمعى .

٤ ــ أن نحو : راكب وصاحب ليسا بمفردين لركب وصحب وانما يدلان على مفرده .

٥ ــ أن بعض اللغويين والنحويين يطلقون لفظ الجمع على اسم الجمع لاشتراكهما فى الدلالة .

٦ ــ أن سيبويه لم يفرق بين اسم الجمع واسم الجنس الجمعى وتابعه فى هذا آخرون

٧ ــ انه قد اضطرب النقل عن الأخفش فى مسألة (ركب) و (صحب) .

٨ ــ أن نحو (طرفاء وقصباء) انما هو من قبيل اسم الجنس الجمعى لا من قبيل اسم الجمع .

أهم المراجع

١ ــ الكتاب لسيبويه بتحقيق عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢ ــ المقتضب للمبرد . بتحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

٣ ــ المخصص لابن سيده ط المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر بيروت .

٤ ــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك بتحقيق محمد بركات نشر دار الكتاب العربى سنة ١٣٨٧ ، سنة ١٩٦٧ م .

٥ ــ ارتشاف الضرب لابى حيان رسالة من مصطفى النحاس الى كلية اللغة العربية بالقاهرة .

٦ ــ شرح الكافيه للرضى دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٩٧٩ .

٧ ــ الغيث المسجم فى شرح لامية العجم لصلاح الدين بن ايبك الصفدى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ .

٨ ــ مجموعة شروح الشافية للجاربردى وابن جماعة وآخرين ط بيروت .

٩ ــ شرح جمل الزجاجى لابن عصفور بتحقيق صاحب ابو جناح نشر وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٢ . .

١٠ ــ المصباح المنير ط المعارف .

١١ ــ اضاءة الراموش لابن الطيب الفاس مخطوط بدار الكتب ٣٩٦ لغة تيمور .

١٢ ــ همع الهوامع لجلال الدين السيوطى تصحيح بدر الدين النعسانى ط أولى ١٣٢٧ هـ .

١٣ ــ الف باء لابى الحجاج يوسف البلوى ط عالم الكتب بيروت ١٢٨٧ هـ ٠

١٤ ــ الروض الأنف لعبد الله بن احمد السهيلى بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط شركة الطباعة الفنية ٠

١٥ ــ المنصف لابن جنى بتحقيق ابراهيم مصطفى وغيره ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٥٤٠

١٦ ــ خزانة الأدب للبغدادى ط المطبعة الميمنية سنة ١٢٩٩ هـ ٠

١٧ ــ شرح الكافية الشافية لابن مالك بتحقيق أحمد الرصد ــ رسالة الى كلية اللغة العربية ٠

١٨ ــ التصريح على التوضيح لخالد الأزهرى ط عيسى البابى الحلبى ٠

١٩ ــ شرح الشافية للرضى بتحقيق محمد نور الحسن وآخرين ط حجازى بالقاهرة

٢٠ ــ لسان العرب ط دار المعارف بتحقيق عبد الله الكبير وآخرين ٠

٢١ ــ العين للخليل بن أحمد بتحقيق مهدى المخزومى والسامرائى دار الرشيد للنشر ٠

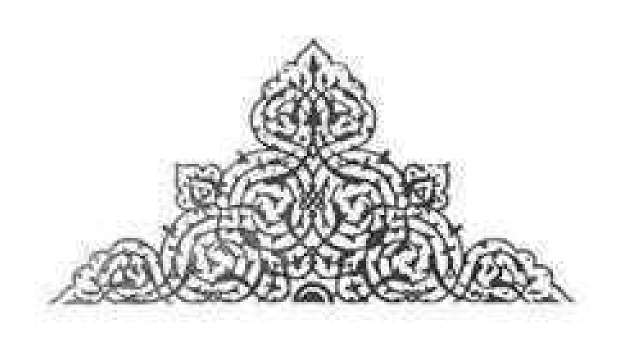
٢٢ ــ المغرب فى ترتيب المعرب لناصر المطرزى ٠ دار الكتاب العربى بيروت ٠

٢٣ ــ شرح المفصل لابن يعيش عالم الكتب بيروت ٠

٢٤ ــ الاقتضاب لابن السيد البطليوسى تحقيق مصطفى السقا الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ٠

٢٥ ــ البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الانبارى ٠

٢٦ ــ الحلل فى اصلاح الخلل من كتاب الجمل بتحقيق سعيد عبد الكريم سعودى ٠ دار الرشيد للنشر ٠



أنباء وآراء

٩٠٫٠٠٠ دولار ثمن مصحف مخطوط من القرن السادس عشر

أ ٠ ب :

* تم في مزاد علني في لندن بيع عدة نسخ قديمة للقرآن الكريم ومخطوطات اسلامية نادرة ، والأجزاء التي بيعت من القرآن الكريم مخطوطة من القرن السادس عشر بحوالي ٩٠٫٠٠٠ دولار كما بيعت نسخة أخرى بسعر ٤٤٠٠ جنيه استرليني ٠

قناة تليفزيونية عربية في هولندا

لأول مرة ستشهد هولندا قناة تليفزيونية توجه برامجها باللغة العربية ٠ فقد وافقت وزارة الثقافة والاعلام الهولندية على التصريح بانشاء قناة تليفزيونية باسم « أرابيسكو فيديونت » تكون مستقلة تماما وتعرض فقرات وبرامج عربية مع التصريح بالترجمة ٠ سواء بأسلوب (الدوبلاج) (١) أو الكتابة على الشاشة باللغة الهولندية أو أى لغة أخرى ٠

تدير القناة التليفزيونية الجديدة شركة تمارس النشاط الثقافى والاعلامى بهدف التعريف بالحضارة العربية القديمة والمعاصرة ٠

والمعروف أن عدد المصريين في هولندا سبعة آلاف من بين مائة وستين ألف عربى ٠ كما يوجد في هولندا أكثر من نصف مليون مسلم ٠ والقناة التليفزيونية باللغة العربية تعتبر الأولى من نوعها في شمال أوربا كلها ٠

المركز الاسلامى الافريقى

شهدت القاهرة المؤتمر الحادى والعشرين لمجلس امناء المركز الاسلامى الافريقى ٠ استمر المؤتمر خمسة أيام ٠

يقوم المركز ومقره الخرطوم بتدريس المواد الدينية المتخصصة لأبناء الدول الافريقية والعربية وقد ضم المجلس وفودا من السودان والسعودية والكويت والامارات وقطر ومصر ٠

وفى ختام جلسات المؤتمر صدرت قرارات عدة أهمها :

ــ بدء الدراسة بكليات الدعوة والدراسات الاسلامية والتربية التابعة للمركز اعتبارا من يوليو القادم ٠

إعداد الأساتذة :
أحمد عبد الرحيم السايح
حسين على رزيق
عبد الفتاح السيد عبد السلام

ـ تقرير ميزانية المركز وقدرها ستة ملايين دولار لاستكمال كليات المركز ، واقامة ثلاث دورات تدريبية للمعلمين .
ـ عقد حلقات دراسية باللغة الانجليزية لتعريف الشباب الافريقى بالاسلام .
ـ عمل دراسات ميدانية عن التعليم الاسلامى وأوضاع المسلمين فى افريقيا .

مجلة اسلامية فى لندن

تصدر مع بداية السنة القادمة مجلة اسلامية . تهدف الى نشر الدعوة والثقافة الاسلامية والقيام بدور تربوى فى أوساط الأسر المسلمة فى أوربا وربطها بجذورها الدينية والثقافية والتاريخية والاجتماعية .. وستهتم المجلة ـ التى ستصدر شهريا اعتبارا من شهر يناير المقبل ـ بالقرآن الكريم ، وشرح آياته البينات بعدد من اللغات الحية ، وابراز محاسن التشريع الاسلامى ، ومناقشة الآراء الفقهية فى الاسلام . كما ستخصص المجلة ابوابا لتوعية الطفل المسلم ، وتعليم الخط العربى الى جانب العديد من الأبواب والصفحات التى تتناول كل ما يهم الانسان المسلم .

مجلة اسلامية طبية

أصدرت وكالة الصحافة الاسلامية فى لندن مجلة طبية باللغة الانجليزية تحت اسم « المجلة الطبية للعالم الاسلامى » يرأس تحريرها الدكتور عادل السبكى .

يقول رئيس التحرير : ان أهداف هذه المجلة : تزويد الطبيب المسلم الممارس وحديث التخرج بمعلومات (اكلينيكية) منتظمة . لتكون وسيلة لنشر الأبحاث العلمية الأصلية فى مجال الطب . وأيضا من بين أهداف المجلة توثيق المساهمات الطبية الاسلامية سواء أكانت تاريخية قديمية أو معاصرة . كما تسعى المجلة للمساهمة فى محاولات وضع ميثاق أخلاقى اسلامى لمهنة الطب .

مجلة « وادى النيل »

* تقرر أن تصدر مجلة التكامل المصرى الجديد باسم « وادى النيل » فى بداية العام القادم .
يرأس تحرير « وادى النيل » أنيس منصور .

انشاء مؤسسة اسلامية بلندن

قرر المجلس الاسلامى بلندن انشاء مؤسسة لوحدة العمال المسلمين المهاجرين بلندن

٧

أنباء وآراء

لكى تكون نواة تعمل على توحيد التجمعات الاسلامية فى بريطانيا ودول أوربا الغربية .

صرح بهذا السيد سالم عزام السكرتير العام للمجلس الاسلامى الأعلى . وقال : ان المجلس يعمل على حماية حقوق العمال المهاجرين ضد التميز الاقتصادى والسياسى والثقافى الذى يتزعمه جماعات الضغط الصهيونى وعملائه .

* انتجت هيئة الآثار المصرية اكثر من « فيلم » تسجيلى عن متاحفها الاسلامية ، وبعض المساجد المعروفة لعرضها بمختلف البلاد الاسلامية .

المؤتمر الأول للمراكز الاسلامية

اختتمت فى العاصمة الأردنية « عمان » مؤخرا ؛ اعمال المؤتمر الاول للمراكز الثقافية الاسلامية فى مختلف دول العالم . ناقش المؤتمر التحديات التى تواجه الدعوة الاسلامية على الصعيد العالمى ، وطرق التغلب عليها عقد المؤتمر تحت اشراف وزارة الأوقاف الاردنية .

توصيات المؤتمر العالمى الأول لتطبيق الشريعة

أكد البيان الختامى للمؤتمر العالمى لتطبيق الشريعة الاسلامية بالسودان على ضرورة نبذ التناحر والشقاق بين الدول الاسلامية وطالب باتباع شرع الله وتطبيقه فى دول العالم الاسلامى . ودعا علماء المسلمين وفقهاءهم الى الاجتهاد منها الأمور التى جدت على واقع المسلمين فى مجالات الحكم والاقتصاد والبنوك . وفيما يلى توصيات المؤتمر :

– دعا المؤتمر كل المسلمين دولا وشعوبا أن يقيموا شرع الله فيهم ، وأن يتواصوا بينهم بالحق ، ويتعانوا على البر والتقوى .

– دعوة فقهاء المسلمين وعلمائهم للعمل على سد الفجوة الماثلة بين الاجتهاد العلمى ومتطلبات التطبيق فى سياق المعاصرة وبخاصة فى نظام الحكم .

– ضرورة عقد المؤتمر بصفة دورية تأكيدا لسنة التناصح والتآزر بين المسلمين لخدمة قضاياهم » .

– دعا المؤتمر الشعب والحكومة السودانية الى المضى قدما فى الأخذ بتطبيق شرع الله فى أرضه .

* ترجمة معانى القرآن الى اللغة البولندية :

استغرقت فترة الترجمة لمعانى القرآن الى اللغة البولندية (١٥) عاما ، وقام بالترجمة مستشرق بولندى بجامعة وارسو ، وأشرف الأزهر الشريف على الترجمة والمراجعة وسوف تصدر الطبعة الأولى خلال شهور قليلة ان شاء الله تعالى .

* وكالة الأنباء الفرنسية : –

* زيادة عدد السكان المسلمين الى ٨٥٪ فى السنغال :

أظهرت آخر احصائيات السكان فى السنغال

أن عدد المسلمين هناك قد أصبح يمثل ٨٥٪ من أبنـاء السـنغال .

والمعروف أن الدستور السنغالى ينص على أن الدولة علمانية ، الا أن الدين الاسـلامى يمثل عـاملا هاما فى تنظيم المجتمع السنغالى وفى سير حياته السياسية .

* وكالات الأنباء :

* باكستان تدعو الى الصلاة :

بدأ الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق حملة من أجل حث أفراد الشعب على الانتظام فى أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها .

وقال الرئيس الباكسـتانى أنه ينبغى أن يلتزم الباكستانيون بالصلاة من أجل تحقيـق الأهداف الأساسية فى النظـام الاسـلامى .

وقد أعلن عن تعيين «دعاة الى الصلاة» مهمتهم اقناع أفراد الشعب بأداء الصلاة فى أوقاتها .

* وجه الدكتور يوسف علاء الدين لقمان رئيس منظمة تحرير جزر (مين سوتالا) نداء الى مسلمى الفلبين أن يلتزموا بالاخـلاص فى الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا .

تولى الدكتور يوسف لقمان رئاسة المنظمـة عقب موت رئيسها السابق هرون الرشـيد لقمـان .

قوائم الكسب غـير المشروع

اعلنت دار الافتاء ان « القوائم المالية » التى يشارك فيها المواطنون ويتبنـاها احـد المكاتب بالقاهرة حرام : ولا يجوز التعامل بها شرعا .



وجـاء فى البيـان :

ان هذه القوائم عملية ابتزاز لأموال الناس واستيلاء عليها بطرق غير مشروعة وبالتـالى يكون التعامل بها غير جائز شرعا .

وطالب البيـان ولاة الأمـور فى الـدولة ان يشددوا الرقابة لمنع هذا التعامل المحـرم شرعا والـذى يغـرى السـذج من النـاس بالاشتراك فيه املا فى ثراء مريب وكسب غير مشروع .

ودعت دار الافتاء فى بيانها كافة المسلمين ان يستثمروا اموالهم بالطرق المشروعة عملا بالحديث الشريف « دع ما يريبك الى مـالا يريبك » .



وقد تمكنت مباحث مكافحة الاحتيال بأمن القاهرة من القبض على صاحب الشركة الوهمية الذى استطاع ــ من خلالها ــ ان يكون ثروة تبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات عن طريق بيع قوائم وهمية للثراء السريع مقابل حصول المشترك على قائمة منها نظير دفع خمسة جنيهات ومعها صورتها ثم يقوم بدوره بتوزيع هذه القائمة على مشتركين جدد وتوريد الثمن بحوالة بريدية عن طريق « متوالية حسابية » معقدة تبدأ بشراء المشترك للقائمة المكونة من اربعة اسماء ثم يرسل خمسة جنيهات الى صاحب الاسم رقم (١) المدون فى الاستمارة ، ثم يدون اسمه هو فى الخانة رقم خمسة ، ثم يتوجه الى مكتب الشركة ، ومعه الاستمارة التى اشتراها « وكعب الحوالة » التى أرسلها للمشترك رقم (١) وايصال تسجيل الحوالة ويحصل من المكتب على أربع قوائم جديدة يقوم هو بتوزيعها على مشتركين آخرين ليحصل على ٢٠ جنيها منهم ، وتتحقق نتيجة هذه العملية الحسابية عندما يتدرج اسم المشترك فى الارتفاع من رقم (٥) الى رقم (١) فيبدأ المشتركون فى ارسال المبالغ اليه وقيمتها (٥١٢٠) جنيه ٠

وواضح فى هذه العملية الحصول على اموال بلا سند شرعى مما يجعلها حراما قطعا

من خير ما كتب (١) :

الأستاذ / عبد العزيز خميس :

ان الانسان من الممكن ان يتسامح فى اشياء كثيرة ، الا ان يهان فى عقيدته ، او يمتلكه الاحساس بأن عقيدته باتت مهددة بالخطر ٠

٠٠ ٠٠ ٠٠ ونذكر هنا ان مسجد عمر بن الخطاب مهدد بسبب الحفريات التى يصر عليها اليهود دون اى اعتبار لاحترام مشاعر المسلمين فى فلسطين المحتلة وفى العالم اجمع ٠

اما فى لبنان فتكفينا للتذكرة بمذابح صبرا وشاتيلا التى لا تخرج عن كونها مؤامرة بين فصائل الكتائب المارونية المشهورة بتعصبها الاعمى ، وبين قوات الاحتلال الاسرائيلية التى تحتل العاصمة اللبنانية بيروت فقد سهلت فصائل جيش الدفاع الاسرائيلى عملية دخول الكتائب الى المخيمين اللذين يضمان آلاف اللاجئين الفلسطينيين وبعض اللبنانيين ، المسلمين ، واتاحت لهذه الفصائل ارتكاب المذبحة تحت حمايتها وبعلمها ، وهو ما فضحته الصحافة العالمية فى حينه ٠

روز اليوسف العدد ص ٣٦
١٨ صفر ١٤٠٥
١٩٨٤/١١/١٢

* ٠٠٠ الأستاذ حسن الأمين :

ان تعزيز التربية الدينية والقومية فى مناهج التعليم يقوى الأساس لبناء الفرد

وتقويمه واعداده اعدادا سليما ليفوز بخير الدنيا ونعيم الآخرة .. وكيف بالله اذا أهملنا هاتين المادتين فى مناهج التعليم نرجو خيرا لجميع ابنائنا وبناتنا ، وهم رجال الغد ، وامهات المستقبل .

ان الأبناء فى مطالع نشأتهم ، يملكون من قوى التفتح ، واشواق العلم والتلقى ، ما يسمح بغرس بذور الفضائل والأخلاق الدينية ، واستنبات جذور الانتماء والأصالة القومية . والواجب التربوى يقضى ان نبدأ منذ طفولتهم ، بتغذية مداركهم ورى مشاعرهم بسلسل من تعاليم الدين السمحة ، ابتداء من تحفيظهم ما تيسر من القرآن الكريم ، ومن تحبيبهم بالقول والأسوة الحسنة فى عمل الخير واقامة الشعائر ومن الالمام بالحقوق والواجبات والمحافظة عليها .

٢ صفر ١٤٠٥
الأخبار ١٩٨٤/١٠/٢٦

* الاستاذ احمد بهاء الدين :

لماذا لا تفكر كل جامعة ، فى وسيلة لكى تطبع وتنشر للجمهور المهتم ، عددا تختاره من الرسائل المتميزة التى تمنحها درجة الماجستير والدكتوراه ، والتى لها صلة بمشاكل حياتنا ـ ان اطلاع الناس على هذه الرسائل اعظم دعاية لجامعاتنا وأبلغ رد على الزعم بانها لا تخرج لنا أى متفوقين من شبابنا الجدد وهو امر غير صحيح بالقطع ، ولكن القائلين بذلك لا يبذلون الجهد للتعرف على

هؤلاء الشباب النوابغ .
٧ من صفر ١٤٠٥
الأهرام ٣١ /١٩٨٤/١٠

الأستاذ / محمود بيومى .

اهتمت دول العالم الاسلامى بالصحافة الاسلامية .. فعقدت العديد من المؤتمرات التى صدرت عنها مجموعة من التوصيات التى تستهدف دعم حركة الاعلام الاسلامى بانشاء وكالات للأنباء الاسلامية ومعاهد لتخريج المحررين القادرين على العمل فى هذا الحقل الاعلامى المتخصص .

وقد اصبح للصحافة الاسلامية اليوم دور اساسى فى احياء تراثنا الاسلامى بما فيه من قيم أخلاقية وما يمثله من حضارة انسانية ودراسة لقضايا العصر .

وعلى الأخص القضايا التى لها صلة بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية دراسة تحليلية تكشف عن جميع جوانبها وتحيط الرأى العام الاسلامى بحقيقة هذه القضايا وما يتطلبه الوضع من توجيه وارشاد .

فالدور الحقيقى لوسائل الاعلام الاسلامى .. هو تعريف القارىء بحقائق الدين الحنيف وتوجيه الأجيال واعدادها الاعداد الروحى السليم المستمد من القرآن والسنة النبوية وتنقية الثقافة الاسلامية من الثقافات الملحدة بهدف الحفاظ على الشخصية الاسلامية بعيدا عن تيارات الفساد والانحراف .

الجمهورية ١١ من صفر ١٤٠٥
١٩٨٤/١١/٤

فهرس مجلة الأزهر

الشعر

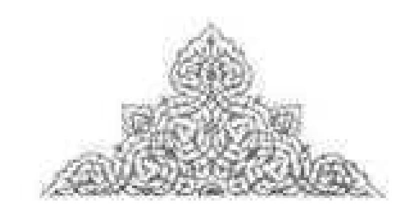
جوانب اسلامية

الموضـــــــوع | **الصـــفحة**

مراجعة وعنــاوين داخليــة
الاستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

of good hope. The banner which is raised on this road says, "Good deeds speak louder than empty words". Make sure of this obvious spontaneous Islamic rule. It assures that good deeds are based primarily on the availability of sincere good intentions. Without good intentions nothing is accepted. Our hope in Allah's mercy and forgiveness does not fade. This hope, unique in its kind, is to be promoted by good deeds. You have to take the initiative by yourself as well, because the time of the mortal end is unknown. This limited time had been made unknown to offer man ample opportunity for repentance and to work hard to achieve the basic reality of hope.

Being hopeful in Allah's generosity is not important. More important, however, is to be practical. You have to laud God, praise at heart your cherisher, Creator, and Sustainer for His countless gifts. Think and loudly pronounce that Allah is ever greatest, Rejoice and be confident that salvation is certain. Fill your heart with endless hymns of hope, so-long as you are tracing the blessed steps indicated in the Quran and the Prophet's Sunnah; the immortal constitution.



toss its supporter down to hell. However, hope is not rejected so long as its path is righteousness and God's obedience.

Accurate analysis of the two previous concepts shows two kinds of people with two different ways of thinking.

As for the first group, sorrowfully the prevailing one, satisfy their worldly needs; and to enjoy all pleasures of life. They are deviating from their actual responsibilities. They neglect their intuitive aspirations. Non-believers, on achieving their secular aims forget or deliberately ignore God's words; that life sooner or later will end; that every creature, be it young or old, poor or rich, strong or weak, will be brought before God on the Day of Resurrection. Instead of being ready for such a day as this, they remain delaying their repentance.

They are committing the most horrible mistake. They are deceiving themselves when they stick to that false, unreasonable, unballanced, irrelevant, understanding of hope. It becomes, therefore, an Islamic and humanitarian duty to reject that kind of hope based on disillusion. Then, what kind of hope are Muslims required to follow and which course do they take? It is revealed to them both in Quranic verses and Prophetic Hadeeth. Man was created to worship Allàh faithfully. Neither his ancestors nor his progeny will be of any use to him. The only hope widely illustrated in practicing good deeds. He is valued according to the degree of righteousness he occupied regardless of his fortune or ownership.

Therefore, it becomes clear that following the words of Allah and avoiding His do-nots is the only safe road

Hope In The Quranic Prospective

A Two_Faced Coin

By

Magdy Abdel - Hamid Basheer

One candle can light up darkness, and so can a meager light of hope change the course of life both for an individual and for society. It can also help shape the image of a new generation with high values and great principles. Hope in such a case as this becomes the source from which every desponded drives creative energy which enables him to be a pious, correct and hope loving person. In the light of this comprehensive conception of hope , however, we are faced with questions that are frequently asked. What from a Quranic point of view is hope? Does Islam accept it or reject it? To what extent are Muslims allowed to hope? Do their hopes take the form of imaginative whirlings or an endless chain of reverie that are delicately wrapped in fantasies and illusions?.

Essentially, the whole process of religious thinking is mainly based on good hope. It is visioned in accordance with human nature as composed of good and evil, right and wrong, virtue and vice. In spite of this large scope of hopes, Islam advocates a highly spiritual theory that gives hope a real significance in the life of a Muslim when it is supported by industrious hard work. Hope is not accepted in so far as it performs falseness that will

property secretly and without right, so that it does not apply to spoliation and misappropriation though these are virtually incrimnated acts. Larency involves that

a) The stolen thing(s) must be in custody;

b) The thief enters the place of custody and removes the property secretly and without the owner's consent; and,

c) The thief leaves the place carrying the stolen object with him.

Jurists have narrowed down the cases wherein hand amputation is to be carried out. Once the conditions are not all fulfilled, "ta'zir" replaces "hadd".

Far severer than the penalty for larceny is that for armed attack upon people with the aim of robbery. It consists in execution, crucifixion, amputation of hands and feet on alternate sides, and banishment from the land, that is, dispersing the offenders in different parts of the land, or putting them in prison, where they cannot resume their evils.

Anyway, the door is open to repentance, in which case and ju gir by appearance and leaving the inward to Allah, the pe al, is to be dropped, but the loot must be restored.

(To be continued)

N.B. Reproduced from an essay in Arabic by the late Sheikh M. Abu Zahra.

and that for not-proven accusation of adultery. Unless the accuser brings four witnesses, he/she must be flogged fourscore whip strokes, and in no way be allowed to give testimony. Still, he/she shall be cursed in this life and in the Hereafter and taste woeful chastisement, unless he/she repents and makes amends. That is, his/her penalty is both material and moral and in the two abodes. However, he is not liable to penalty who accuses an adulterer. Again, a slandering slave incurs half the penalty of a freeman, while the latter incurs it whole even though he slanderss a slave.

If a man accuses his wife of adultery but has no witnesses other than himself, he can swear by Allah four times that his charging her is true and then he makes a fifth oath invoking Allah's curse upon himself if he is telling a lie. However, it averts punishment from her if she swears four times by Allah that his charge is false, and makes a fifth oath invoking the wrath of Allah upon her if it were true. This is termed "li'an", i.e. self-curse. Should the accused woman admit her sin, she must be stoned to death. Otherwise, the man and his wife must be separated, not to be married again to whosoever else. If a child be born, and the husband deny his parentage of it, the child belongs to its mother. In case the husband retracts his accusing her, neither he nor she can get married again.

The penalty of larceny is to cut off the thief's hand, male and female alike. However, this penalty is strictly confined to the act of taking somebody else's

menace to morality, faith, security, property and progeny; and a ruler must not show mercy to their doers.

No vengeance on a killer can be parallel his crime as capital punishment. Indeed, this "qissas" is a deterrent, and an aggressor will certainly think a dozen times before he ventures his own life in a moment of anger or recklessness. If the victim is a Muslim, and the murder is unintentional, a blood fine must be delivered to his/her custodian. If he/she is not a Muslim, but from a people at war with Muslims, his/her life goes for nothing. If he/she belongs to a community bound by a treaty with Muslims which provides for a blood fine, then it must be paid. In all these cases, however, the killer has to free a slave in atonement of the offence he has caused. In case this is not possible, he must fast for a period of two consequetive months. This act of atonement is termed "kaffarah".

Punishment for "zina", i.e. adultery or fornication, differs according to the sinner. The married party shall be stoned to death. The unmarried shall be given a hundred strokes of a whip. Should he or she be a slave, the sinner receives only half this penalty. In addition, the woman guilty of fornication - and of lesbianism.- must be confined within the walls of her house. As for the man, he has to suffer banishment for a year. By such an extension of requital, both society and the culprit get temporary protection from each other. As for homosexuals among men, the two parties must be killed..

In face of the penalty of "zina", emerges the penalty of unfounded slander against the honour of the chaste,

which arise unprecedently, are left to discretionary rectification, termed "ta'zir", to be decided by learned Muslim jurists. However, the verification of a crime does not justify the violation of the sinner's rights or dignity.

Underlying the execution of penalty, are the three principles of duty, public interest and justice. By duty is meant the necessity to put into effect the Divine Commamandment that crime shall be penalized. By public interest is meant the achievement of a lawful benefit for individual and society, and averting misconduct. By justice is meant that penalty shall be parallel to crime.

Mischief can be unintentional. The error may be in the doing of an action, which results in an unexpected or unintended injury. Or, the action itself may arise from a mistaken motive, and as a result of doing it correctly it befalls an innocent victim. Still, the doer may be irresponsible, being unaware, short of discerning, or in any way defective in mind or body. In this case, no "hadd" or "qissas" is to be applied to him other than a suitable compensation or propitiation to the injured person or his/her custodian, and, sometimes, a lighter sentence than that passed against a voluntary misdeed.The "diyya", i.e. blood fine is an example of the penalty of a purely unintentional act of killing. In case the mischief-maker or his custodian is unable to pay it, the government has to bear it.

The penalties expressly stated in the Holy Qur'an and those actually applied in the Sunna are those for murder, adultery and fornication, slander, larceny and, marauding, wine-drinking, and apostasy. They are all

Penalty In The Islamic Law

By

Soliman Barakat

It is sad that most Islamic countries have abandoned the Shari'a of Islam to the so-called positive law, especially in the penal code. No wonder, the recent generations are unaware of the existence of the blessed corpus of Divine regulations and guide lights in the field of law, and are misled by the delusion that, being unfit for the times, Shari'a has to be set aside. On the other hand, the positive law has proved far from satisfactory, whether as protective or as remedial.

According to the Islamic penal code, a crime is an outrage against both faith and morality, God and man alike. Punishment is inflicted upon a sinner on ground of an incriminated act on his part directed against life, religion, property, mind and progeny. A crime is, however, either a positive commission of an evil, or a negative ommission of an obligation. Such atrocities as murder, adultery, apostasy, larceny and drinking wine, all have expressly stated penalties taken from the Qur'an and the Sunna. A common term for a penalty is a "hadd" or "qissas". In no way is it to be replaced, extenuated or aggravated. Ommissions and minor sins, in addition to crimes

24th. Edition, 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library , Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo. Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

ayl summoned men from Bani Selim from the clans of Raal and Zakwan who answered his call and gathered in great numbers and killed all the Muslim group in a severe battle where the Muslims were greatly out numbered. Only two men survived; Kaab Ibn Zaid and Amre Ibn Ummayah who were not within the group at the time of battle. Both men reported to Al-Madinah.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was severely distressed when he heard of the news of both incidents of Al-Ragiee and Maoonah. The impact of the two incidents initiated the jews at Al-Madinah to try to gain ground and suppress the prestige and influence of Muslims. On the other hand several Anti-Muslim tribes from around Al-Madinah also wished that the reputation of Muslims would terminate. This was also invoked by the jews resident at Al-Madinah and in particular Bani Al-Nadeer. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was wise and alert to all that and in supreme diplomacy survived the challenge.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous prophet.

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition, 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusini Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen

Thabet did not trust the words and promises of Huzayl, and refused surrender. A fight started and Assem, Merthid, and Khalid were killed by the men of Huzayl who numbered over one hundred. The remaining three were taken prisoners Khubayb Ibn Addii, Zaid Ibn Dathanah, and Abdullah Ibn Tareq; and were lead to Macca to be sold to Koraysh there. Abdullah Ibn Tareq refused the compulsion and was killed by Huzayl on the way. The remaining two men Khubayb Ibn Addii and Zaid Ibn Al-Dathanah were taken to Macca and sold there to men from Koraysh. Banu Al-Harith bought Khubayb to kill him in revenge of Al-Harith whom khubayb had killed at Badre; and Safwan Ibn Ummayah bought Zaid to kill him in revenge of Ummayah Ibn Khalaf who was also killed at Badre. Both Khubayb and Zaid were killed in cold blood in front of grand populous of Koraysh in Macca; an outragous act of hatred an enmity to Muslims.

Soon after this incidence, one of the chieftains of Bani Amer called Amer Ibn Malek came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) who invoked him to Islam. Amer Ibn Malek did not accept and did not reject and requested that some Muslims be sent to the tribes of Najed to summon them to Islam and that they will be protected by Bani Amer. Upon this request, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent seventy men who marched out of Al-Madinah till they reached the well of Maoonah. There they sent a letter with an envoy Haram Ibn Milhan to Amer Ibn Al-Tofayl chief of Bani Amer. When Haram reached Amer, Amer took the letter and killed Haram in cold blood; and summoned the tribe of Bani Amer to kill the rest of the Muslim group. They refused to participate, and so Ibn Al-Tof-

the dwellings of Bani Assad, he raided them unexpectedly and they dispersed running away in the mountains. The Muslims collected the spoils, the camels and cattle left behind without encountering any opposition. They kept one fifth to Allah and the Prophet and divided the rest between them as prescribed by the Sharia'a; then they returned to Al-Madinah. Certainly such event promoted the prestige of Muslims.

Following this, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received news that Khalid Ibn Sufyan Ibn Nubayeh Al-Hazli at Arana near the mountain of Arafat, was gathering men to wage war on Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Abdullah Ibn Anis Al-Gahny and sent him alone to intrigue and Kill Khalid Ibn Sufyan. When Ibn Anis met Khalid, he schemed and plotted in conversation, and killed Khalid when they were alone, and went back to Al-Madina. The gathering men dispersed without confrontation with Muslims.

During the second month of Safar of the fourth year after Hijrah, the famous incident of Al-Ragiee took place. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent six men Merthid Ibn Abi Merthid, Khalid Ibn Al-Bakeer, Khubayb Ibn Addii, Zaid Ibn Al-Dathanah, Abdallah Ibn Tareq, and Assem Ibn Thabet who was appointed as their leader to teach the Islamic doctrines to the tribes of Uddal and Al-Qarrah upon their request. When the men reached the valley of Ussafan near Macca, the tribe of Huzayl were informed of their presence and followed them. The group of six men feeling that they were pursued climbed a mountain near Al-Ragiee between Ussafan and Macca. The men from Huzayl promised them safe conduct if they descended. The leader of the group Assem Ibn

narrated that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) never at any prior stage of his life indulged in drinking intoxicating liquors; plain water and milk were his favourite drinks. The prohibition of intoxicating drinks was also accompanied by the prohibition of gambling, and also all superstitious practices. This prohibition came through Quranic revelation.

> "O ye who believe
> Intoxicants and gambling,
> Dedication of stones and
> Divination by arrows
> Are an abomination of Satan's handiwork
> Eschew such abomination, that ye way prosper.
>
> (Surat Al-Maida, V, 93).

During that period, some social events took place. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Hafsah Bent Omar Ibn Al-Khattab who was a widow after the death of her husband Khunays Ibn Huzafah Al-Sahmy. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also married Zainab Bent Khuzaimah Ibn Al-Harith from Bani Hilal, previous wife to Abdullah Ibn Gahshe who died at Uhud. Zainab died two months after mariiage.

At the start of the fourth year after the Hijrah, the tribe of Bani Assad gathered to wage war on Muslims at Al-Madina. On hearing the news of their gathering under the leadership of Tulaiha and Salama sons of Khuwaylid from Bani Assad; the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Aba Salamah Ibn Abdel - Assad Al-Makhzoumi to lead hundred and fifty men to march to Bani Assad and subdue them. When Aba Salamah reached

Events After Uhud

By

Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR

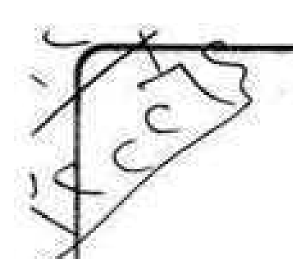
The repercussion of the outcome of the battle of Uhud resulted in undermining the Muslim mastery and authority at Al-Madina, which had been well and progressively established since the Hijrah. This encouraged and entreated alien non-muslim groups at Al-Madina and Arab tribes at large to challenge and dispute Muslim dominance. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was acutely aware of that and was active in acquiring news and information of Al-Madina inhabitants, and distant Arab tribes. It was mandatory that Muslim prestige and regnancy should be reinstated and ascertained. The Muslim society apprehensive of the situation continued to lead a normal life awaiting developments.

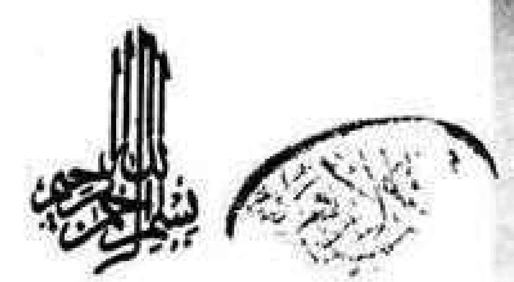
During the remaining months of the third year after Hijrah, one of the most important Islamic doctrines was sanctioned by Divine command through Quranic revelation. That was the prohibition of intoxicating drinks which was very popular at that time among the Arabs, and constituted a social menace. This prohibition was very gradual, and when it became utterly prohibited, the Muslims resigned to the Divine Command with willing adherent obedience and conforming dutifulness. It is

AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION







خالدة لا تموت ، انها تستمد خلودها من جمالها ، والجمال محبوب يتعشقه الناس ، ويسعون اليه حتى يتمثل فى حياتهم ممارسة طيبة للحياة ، وتخفيفا لما يطرأ عليها من بشاعة .

حتى الذين يحملون قدرا من التقبح يستهويهم الجمال ، ويتمنونه ، قد تلتوى نفوس البعض منهم إزاءه فينكر جمال الجميل ، أو يغض منه ، لكنه سرعان ما يعلم — فى مرارة — أنه أسرع بكشف قبحه دون أن يلحق بالجمال مكروه .

كذلك ينتقل الجمال من « المشاعر » ليمارس الحياة فتغدو به الحياة جميلة ... أروع ما تكون !!؟

الجزء الرابع * السنة السابعة والخمسون

* ربيع الآخر ١٤٠٥ هجرية *

* يناير ١٩٨٥ ميلادية *



مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد العليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* صورة الغلاف



المشاعر الجميلة

أليس الله جميلا يحب الجمال !!؟

وحق للجمال أن يكون محبوبا فمن ذا الذى يكره الجمال ...؟!

من ذا الذى لا يشيد بالجمال فى الرحمة والاحسان والعطف والحب والبشاشة والعدل ....؟ !!

من ذا الذى لا يزرى بالقبح فى القسوة ، والاساءة ، والنفور والكراهية، والعبوس ، والظلم ...؟ !!

كل منا هو هذا وذاك .

فليس انسانا من يحقد على الجمال : فيزرى بالرحمة ، ويزدرى الاحسان ، ويكره العطف ، ويبغض الحب ، ويمقت العدل ، فان معالم الانسانية فى الرحمة والاحسان والعطف والسماحة والحب والعدل ، ومن كل ينبثق الجمال .

وكان رسول الله ﷺ فى القمة من المشاعر الجميلة الا ترى كيف أشار بالرحمة حتى فى القصاص .

ولاشىء يسفح هذه المشاعر مثل الدم ....

سبحان الله ... انه ليقبض من الرحمة ما يبسط الرجاء فلا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما ومن عجب أن الارض التى تمص اى سائل لا تمتص الدم المسفوح، ولاهى تنشفه (١).

انه فوقها أبدا لعنة على الظالمين ،

هو وثيقة الابادة لمشاعر الجمال .

الا ما اجمل الحب فى الانسانية ، واجمل الانسانية فى السلام.

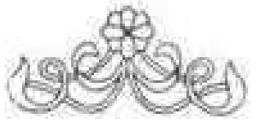
د/ على أحمد الخطيب

---

(١) انظر للجاحظ البيان والتبيين ٢٧٦/١ ط ثالثة ١٣٨٨ نشر الخانجى ولابن قتيبة ـ عيون الاخبار ١٣/٣ . وراجع الحيوان للجاحظ/٢ ١٣٦ و ٢٠١/٤ .

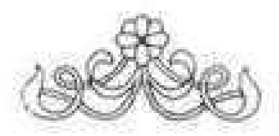
دراسات قرآنية

التثليث ينافي التوحيد



أكثر الناس في القرآن الكريم

وصايا القرآن الكريم بأمهات الفضائل



الإجزاء في معرفة الأجزاء

التثليث

ينافى التوحيد

قال تعالى فى سورة المائدة : «لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد » · من الآية ٧٣ ·

وقال سبحانه فى سورة مريم : «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدًّا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا » · الآيات ٨٨ ــ ٩٠·

البيــــان

اطلعت (١) على محاضرة سبق للبابا شنودة القاؤها فى الكتدرائية المرقسية ، تحت عنوان: « التثليث والتوحيد » ، وما كان لى من حاجة الى التعقيب عليها ، لولا أنهـــا توزع بين المسلمين ، ويستشهد فيها بالقرآن الكريم بغير حق ، فلهذا كتبت تعقيبى هذا احقاقا للحق ، ومنعا للالتبـــاس على النـــاس ، والله خير الشاهدين ·

لقد حاول البابا فى محاضرته أن يجعـــل التثليث توحيدا ، فاذا هى « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب » ·

يقول البابا فى أول محاضرته : ان مشـــكلة الذين يحـــاربون التثليث أنهم يفصـــلونه عن التوحيد ، ويظنون أن التثليث المسيحى لون من الشرك أو تعدد الآلهة ، ولكننا كمسيحيين نقول : اننا نؤمن باله واحـــد لا شريك له ، ولا نؤمن اطلاقا بثلاثة آلهة لا عـــلاقة لهـــا بالمسيحية اطلاقا ، فالمسيحيون يؤمنون باله واحد لاغيره ·· بل يرون أن الايمان بأكثر من اله أمر يتنزه عنه حتى الشيطان) ·

هكذا قال البابا :

ولكننا نقول له أن المسيحية بعـــد مؤتمـــر « نيقية » المعقود فى سنة ٣٢٥ رفضت جميع

(١) نص المحاضرة موجود بادارة المجلة ·

AL - Nour. P. Box 985
Colorodo springs. CO. 80.

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

الأناجيل الناطقة بوحدانية الله تعالى وتنزهه عن الصاحبة والولد ، وأن عيسى عبد الله ورسوله من البشر ، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم ، ومنها انجيل برنابا وانجيل الأبيونيين ، وانجيل فرقة الشمشاطى أسقف انطاكية سنة ٢٦٠ م ، وانجيل فرقة الأريوسيين المشهور بالموحد ، وكان قسيسا فى كنيسة الاسكندرية ، وتشيع لأريوس كثيرون فى الاسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية وحكم مجمع نيقية بطرده وتكفيره ، الى غير ذلك من الأناجيل الموحدة ، وقد أربى عدد الأناجيل على سبعين انجيلا متخالفة فى عباراتها وفى عقيدتها ، ولو كان انجيل السيد المسيح الذى أنزله الله عليه موجودا لما اختلفت ولما تعددت .

ولما انعقد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ، أقر من هذه الأناجيل أربعة فقط : (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) ، لأن دعاة التثليث رأوا فيها التصريح ببنوة عيسى لله ، فجعلوه الأقنوم الثانى مع تصريحها بأنه انسان ، ومع أن البنوة مجازية ، فقد جاء فى الأناجيل : من أطاع الله كان ابنا لله ومن عصاه كان ابنا للشيطان ، وأضافوا اليهما أقنوما ثالثا هو الروح القدس ، واخترعوا عقيدة الثالوث الموحد ، ولما ثار خلاف فى ألوهيته وقدمه بعد مؤتمر نيقية ، انعقد مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م وقرروا ألوهية روح القدس ، مع أنه ملك ومخلوق ، ولله فى خلقه شئون .

وبعد هذين المؤتمرين (نيقية سنة ٣٢٥ والقسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م) أصبح الثالوث عقيدة لهم ، وحاربوا غيرهم من الموحدين ، حتى قضوا عليهم ، وبخاصة بعد أن أقر هذه العقيدة مؤتمر القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م .

قانون الايمان وميثاقه فى مؤتمر نيقية

وضع هذا المؤتمر ميثاقا للايمان عند المسيحية ، وقضى بأن مخالفته تقتضى الحرمان والكفر . يقول هذا الميثاق : (نؤمن بالله الواحد الأب ، مالك كل شىء ، وصانع كل ما يرى ومالايرى ، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله بكر الخلائق كلها ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها ليس بمصنوع ، اله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شىء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس وصار انسانا ، وحملت به مريم ، وولد من مريم البتول فأوجع وأولم وصلب فى أيام بيلاطس الملك ، ودفن وقام فى اليوم الثالث من بين الموتى ، ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى

للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بالروح الذي يخرج من الأب والابن وبه كان يتكلم الأنبياء ، والتخطيس الذي هو غفران الذنوب، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين) (١) .

تناقض هذه العقيدة

فهذا الميثاق الذي يبنون عقيدتهم عليه ، ناطق بالتثليث ، ومتناقض ينفي بعضه بعضا ، واليكم البيان :

(١) لقد نص الميثاق على أن الله رب وهو الأب ، وأن المسيح وهو الابن وقد ولد من أبيه ، وأن الروح القدس رب ثالث خرج من الأب والابن ، وبه يتكلم الأنبياء ، فكيف يقول البابا انهم لا يقولون ان الآلهة ثلاثة ، وهو ثابت في صلب عقيدتهم المقررة في مجمع نيقية، وكيف تكون الثلاثة واحدا في عقيدتهم ، وكل واحد منهم رب كامل الربوبية ؟

(٢) تنص هذه الوثيقة صراحة على ان الأب الرب الأول مالك كل شيء ، وصانع ما يرى ومالا يرى ، وأن الابن الرب الثاني بيده أتقنت العوالم كلها ، وأنه خالق كل شيء ، فكيف يوصف بذلك وهو وصف أبيه ، وما فائدة وجوده بالنسبة لأبيه المنعوت بأنه صانع مايرى ومالا يرى ، فهل ولد من أبيه لتحصيل الحاصل أو لتحصيل مالم يحصل ، فان كان لتحصيل الحاصل فذلك محال ، وان كان لتحصيل مالم يحصل ، فهذا مخالف لما جاء في الميثاق من أن الله (الأب كما تقولون) مالك كل شيء ، وصانع ما يرى ومالا يرى ، كما أنه تجريد لله تعالى مما هو حقه وحده .

(٣) ما فائدة وجوده مع أبيه مع زعم أن كليهما رب خالق ومالك ، أهو لمعاونة أبيه في خلق ما يرى ومالا يرى أم هو لميراث أبيه بعد موته ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ ، فانه تعالى ليس بحاجة الى من يعينه ، فهو يقول للشيء كن فيكون ، وهو حي لا يموت .

(٤) انكم تعتقدون أن الله تعالى صانع ما يرى وما لا يرى ــ كما جاء في الميثاق ــ وهذا يقتضي أن يكون المسيح مصنوعا لله ، لأنه مما يرى بجسده ، ومما لا يرى بروحه ، وهذا يناقض عقيدتكم المبنية على أن المسيح رب غير مصنوع .

(٥) انكم تقولون ولد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلها ، وهذا يقتضي انه مخلوق وحادث ، والرب يستحيل عليه الحدوث .

(٦) وتقولون : انه جزء من جوهر أبيه ، والاله الحق لا يتجزأ ، ولا يطلق عليه جوهر ولا عرض « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

(٧) ان قانون الايمان لديكم ينص على أن

---

(١) تحفة الأريب للرد على أهل الصليب ، للقسيس الاسباني (انسلم تورميدا) الذي أسلم وسمى نفسه عبد الله الترجمان ، لانه كان يقوم بالترجمة في ميناء تونس ، بين العرب والاجانب بعد اسلامه .

المسيح الرب نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، وصار انسانا حملته أمه مريم، فكيف يتجسد الاله ويكون جنينا صغيرا في رحم امرأة ، وكيف يتسع رحم امرأة لخالق السموات والارض ، وكيف قدرت على أن تحمل رب الكون كله في بطنها ، ومن الذى كان يدير شئون الملك والملكوت التابع لربوبية هذا الابن وهو في بطن أمه ،وكيف استسغتم أن الابن الرب الثانى حبس نفسه في رحمها ، وحوله الدم والبول والروث ، تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا .

(٨) ان قانون الايمان لديكم يقول ان المسيح ــ عليه السلام ــ حوله الروح القدس الى جسد وصيره انسانا في بطن أمه ، ومعنى ذلك أن الرب الثالث (روح القدس) هو الذى انتزع منه ربوبيته (البنوية) وحوله الى جسد انسان لا ربوبية له ولا قدرة له على خلق كل شيء واتقانه، كما يقول الميثاق، فكيف استسغتم أن يقوم روح القدس بعملية التحويل هذه في الرب الثانى (الابن) مع أن أباه موجود ، ومع أن روح القدس منتزع من الاب والابن وجزء منهما ومتأخر في الوجود عنهما ، وكيف يتفق هذا مع قول الميثاق ان الأب مالك كل شيء وصانع كل ما يرى ومالا يرى ، وكيف يقوم بهذا التحويل ومهمة روح القدس قاصرة على تبليغ الوحى الى الأنبياء ، وأن به يتكلمون ؟ .

(٩) كيف استقام لديكم أن الرب ينزل من السماء ، ليحشر في رحم امرأة ، حتى اذا ولدته اتهمها أقرب الناس اليها فضلا عن الأباعد ، قائلين « مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا » ثم يعيش هذا الاله حبيسا في جسد انسان لا حول له ولا قوة ، يتعرض للايذاء والطرد والمطاردة ، وينتهى أمره عندكم الى الصلب ووضع الشوك على رأسه ، والبصق في وجهه وتجريعه الخل رغما عنه وقتله ، وأن ذلك كله من أجل خلاصهم من الخطيئة ، كيف استقام ذلك كله ، وهو يستطيع أن يخلصهم بهدايتهم أو بالعفو عنهم والغفران لهم ، بدلا من أن يحملهم على ارتكاب أكبر جريمة في الأرض ، هى قتل الاله (الابن) وأين كان أبوه والروح القدس وقت ارتكاب هذه الجريمة في الاله (الابن) وهو من جوهر أبيه وبيده أتقنت العوالم كلها ، وليس بمصنوع كما زعمتم ، فما أشد هذا التناقض .

هل يعقل أحد أن يقتل انسان فاضل ولده في سبيل العفو عن خدمه المسيئين ــ مع أنه لاذنب له في شأنهم ، وهو يستطيع أن يسامحهم في تقصيرهم في خدمته .

(١٠) الم يقرأوا في جميع اناجيلهم أن المسيح لم يكن راضيا عن عملية الصلب ، وكان يستغيث بالهه صارخا وهو على الصليب « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى ؟ ويصور متى مأساة المسيح في انجيله فيقول عقب ذلك « فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى ايليا ، وللوقت ركض واحد منهم ، وأخذ اسفنجة وملأها خلا ، وجعلها قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا اترك لنرى هل يأتى ايليا ليخلصه ، فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح اصحاح ٢٧ فقرة

(٤٦ ــ ٥٠) .

ومن هذه النصوص نعلم أن يسوع (المسيح) عليه السلام ، لم يكن راضيا عن صلبه ، المزعوم ، ولهذا كان يعيب على الله ويسائله : لماذا تركتني لمن يعذبونني ويسخرون مني ويقتلونني ، وأنه ربا خالقا كما زعموا ، ولهذا لم يستطع أن يخلص نفسه من أعدائه ، وأنه غير الله تعالى وليس ابنا له كما اعتقدوا ولا متحدا معه كما زعموا ، وانما هو بشر فحسب .

أما نحن فعقيدتنا فيه أنه بشر رسول ، وأنه كما قال تعالى « **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** » .

(١١) جاء في الميثاق أن المسيح من جوهر أبيه ، وهذا يقتضي قدمه كأبيه ، وذلك مناقض لما جاء في الميثاق نفسه من أنه (بكر الخلائق كلها ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها)أي أنه حدث بعد أن لم يكن ، وكان ميلاده قبل العوالم ، فانتفى بذلك وصف القدم الأزلي الواجب للاله الحق .

(١٢) وجاء في هذا الميثاق أيضا أن السيد المسيح عليه السلام ، قام من بين الموتى في اليوم الثالث من دفنه ، ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، فأين التوحيد من هذا الميثاق الذي يجعل لله ابنا يجلس بجانبه ، بعد قيامه بتمثيلية الخلاص المزعوم ، فهل هذا توحيد ؟ وبعد فهذا الذي قلناه هو تحليل لعقيدة التثليث بالأسلوب الهادىء الذي دعانا الله اليه بقوله « **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** »وما دعانا اليه الا نشرتكم التي وزعتموها على المسلمين وغيرهم ، بما يخالف عقائد المسلمين ، فكان لابد من ازالة الالتباس على الناس ، ولكم دينكم ولنا دين ، والله تعالى يفصل بين عباده يوم الدين .

(حقيقة هامة غفلوا عنها)

* هناك حقيقة عظمى غفل عنها المسيحيون جميعا ، وهي أن الارض بما فيها وما عليها لا تساوي ذرة ولا قطرة ، بالنسبة الى ملكوت الله في سماواته وأرضه ، وملايين مجراته وملياراته شموسها وكواكبها ، فلماذا خص الله أرضنا هذه بأن يختبيء هو أو ابنه في رحم فتاة ــ على اختلاف ما يقولون ــ ليخلص عباده فيها من آثامهم وخطاياهم ، ولم يصنع مثل ذلك بالنسبة الى عباده المكلفين في الكواكب الأخرى ؟ فهل ظنوا أنه لا يوجد في ملك الله مكلفون بعبادته سوى أهل هذه الأرض ، وهل الملكوت كله خلق من أجل أرضنا هذه ؟ وهل الجنة التي جعلت للمتقين من عباده خاصة بالمتقين من أهلها ، انها جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين من أهل السموات والارضين جميعا ، قال تعالى « **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** (١) وقال في شأن تعدد

(١) سورة آل عمران ــ الآية ١٣٣ .

الأرض وأنها مثل السموات في تعددها ، « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ (١) لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

ويقول ابن عباس ان فيها مكلفين مثلنا ، فالله تعالى أفسح الجنان وجعلها في عرض السموات والأرض ، ليسعد بها المتقون من كل أرض ، ويقول سبحانه في العابدين من أهلهما وتكليفهم « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ » (٢) ويقول « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » (٣) .

ويقول « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (٤) هكذا يقول القرآن ويسبق به ركب العلم ، ولكنكم لا تفكرون في هذا الملك العريض ، وتخضعون لميراث ورثتموه وعشتم في جوه ، ولم تحاولوا الخروج من ضبابه الى الصحو وصفائه ، والى الشمس وضحاها .

سؤال بلا جواب

في الصفحة الثالثة من المحاضرة البابوية، قرأت هذا السؤال : توجد في سورة المائدة آية تصم المؤمنين بالثالوث بالكفر ، فما رد قداستكم ؟

فأجاب البابا بقوله (في سورة المائدة ٧٣ « لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » ونحن لا نقول كما في سورة المائدة ، نحن نقول : ان الله واحد ، ونحارب من يقول ان الله ثالث ثلاثة — قال البابا — ومن أحسن التشبيهات التي أسوقها للثالوث والوحدانية الانسان نفسه ، فهو خلق على صورة الله ، فهو ذات انسانية لها عقل ولها روح ، فالذات والعقل والروح يكونون انسانا واحدا ، وهو ذات انسانية واحدة ، وكذلك الأب والابن والروح القدس ، ولايستطيع أحد أن يقول : ان الله ليس له عقل وليس له روح) — كذلك قال البابا في محاضرته .

(ونحن نقول)

ان هذه الاجابة زادت وحدة الثالوث تعقيدا على تعقيد ووصفت الله بأقوال لا يقولها سواهم ، واليكم البيان .

يقول البابا انهم يحاربون من يقول ان الله ثالث ثلاثة — نعم انهم يفعلون ذلك للرد على المسلمين ، ولكنهم يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة ، فانهم يقولون باسم الأب والابن والروح القدس ، وأما قولهم ان هذا الثالوث اله واحد فينقضه ميثاق الايمان عندهم ، وقد

---

(١) سورة الطلاق — الآية الأخيرة .
(٢) سورة الرعد — ١٥ .
(٣) سورة النحل — ٤٩ .
(٤) سورة الشورى — ٢٩ .

جاء فيه أن الابن انفصل من أبيه وصار ربا خالقا لكل شيء ، ونصه « ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، اله حق من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شيء ، الذي من أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وصار انسانا وحملت به مريم » الخ فهذا اله ثان مع الاله الأب باعترافكم ، انفصل منه بعد أن لم يكن ، والله في غير حاجة اليه ، لأن الله هو خالق الأرض والسماء — كما يعترف به الميثاق وكما تعترفون ، فكيف يلد خالقا آخر ، وقد خلقهما الله وحده ، والله حي لا يموت فهو غير محتاج الى ابن يشاركه أو يرثه من بعده .

ويقول ميثاقكم « ونؤمن بالروح الذي يخرج من الأب والابن ، وبه يتكلم الأنبياء » فهذا اله ثالث من وظائفه الاتصال بالرسل ، وقد انفصل عن الأب والابن ، وكل منهم اله كامل الألوهية باعتراف ميثاقكم ، فكيف عقلتم أن هذه الآلهة الثلاثة المنفصلة اله واحد ، وكان الأقرب لعقيدتكم أن تسموا هذا الثالوث (شركة الآلهة المتحدة) بل قد حدث مثل هذا ، اذ تسمونها العائلة المقدسة .

اما قولك : من أحسن التشبيهات أن الله خلق الانسان على صورة الله ، والانسان ذات انسانية واحدة مكونة من ذات وعقل وروح ، فكذلك الاله الواحد مكون من ذات هي الأب ، وعقل هو الابن ، وروح هو الروح القدس ، ولا يستطيع أحد أن يقول : ان الله ليس له عقل وليس له روح أما قولك هذا فقد خالف الحق وجانب الصواب وبيان ذلك أن الله ليس من البشر حتى يكون على صورتهم ، بل هو خالق البشر فكيف يشبه بهم ، ومن أين جئتم بهذا المدعى المخالف لبدائه العقول ، تعالى الله عما تقول علوا كبيرا ، « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » كما قال تعالى ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك : واذا كان الملائكة منزهين عن الجسدية والمادية ، فكيف استقام عندكم أن يكون الله جسدا ، ومن عجب أن يرى هذا التشبيه في سفر التكوين ، ويؤخذ منهم مأخذ التسليم الكامل ، مع أن التوراة فقدت بأسفارها في الأسر البابلي .

قد يقول قائل لقد جاء في الحديث النبوي الشريف « ان الله خلق آدم على صورته » والجواب أن معناه أن الله تعالى خلق آدم على صورته التي خلقها من تراب متطور حتى صار صلصالا فنفخ فيه الروح ، ولم يخلقه من الخلية المتطورة كما زعم داروين وأتباعه ، ولا من النطفة المتطورة كما هو الشأن في أولاده ، فالضمير في صورته على آدم لا على الله تعالى والغرض من هذا الحديث بيان نشأة آدم بدقة ، وسد الباب أمام التأويلات والافتراضات والمزاعم « أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ » ولقد رددنا على نظرية داروين بالأدلة القاطعة في الجزء الثاني من كتابنا « اقباس من نور الحق » ويا ليت النص الموجود في سفر التكوين كذلك ، بل فيه التصريح بأنه على صورة الله ، تعالى الله أن يشبه عباده الذين خلقهم ، وهم لعظمته

يسجدون .

وبهذا البيان سقط ما ذكرتموه من تشبيه الله بآدم في أن له تعالى عقلا كعقل آدم وروحا كروح آدم وذاتا كذات آدم .

كما أن التعبير بأن لله عقلا وروحا تعبير كريه موروث عن الفلسفة اليونانية ، والصواب وصفه تعالى بالعلم والحياة ، وحياته وعلمه ذاتيان وهما فوق مستوى العقول والمفاهيم ، وليس من حقنا أن نتعرف مصدر الحياة في الله تعالى ، وأما اضافة الروح اليه — جل وعلا — في آيات من القرآن ، كما في قوله في حق آدم عليه السلام « فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » (١) وكما في قوله في شأن المسيح وأمه عليهما السلام « وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا » (٢) فهي اضافة ملكية (٣) ، أي من الروح التي يملكها الله وحده وينفخها في عباده ، ابتداء من آدم الى جميع ذريته ، ومنهم المسيح عيسى ابن مريم ، وخلقه بغير أب ليس بأعجب من خلق آدم بلا أب ولا أم ، ولا من خلق حواء من أب بغير أم .

عقل الله (اللوقوس)

تحت هذا العنوان يقول البابا (واضح أن الروح القدس هو روح الله ، ولا مشكلة في ذلك ، أما الكلمة (اللوقوس) فكيف أنه عقل الله وذكر البابا كلاما لا يحل المشكلة ، وهي أن عيسى عليه السلام عقل الله ، فهو كلام أجوف ليس فيه من المعقولية شيء ، فكيف يكون عيسى عقل الله وهو يصرخ على الصليب مناديا الله « ايلي ايلي لما شبقتني » ، وكيف يكون عقل الله واليهود يسقونه الخل ويضعون الشوك على رأسه ، وكيف يكون عقل الله وهو عاجز عن انقاذ روحه حتى لفظها صارخا ، وكيف يكون ذلك فداء وتخليصا للخطايا وهو واقع بغير رضاه حتى شكا الى الله : الهي الهي لماذا تركتني ، وكيف يكون عقل الله ، وأنتم ترعمون مع هذا كله بأنه صعد بعد ثلاثة أيام وجلس على كرسي الألوهية بجانب أبيه كما جاء في الميثاق المقدس عندكم .

وبعد فروح القدس ليس روح الله كما زعمتم ، وانما هو جبريل عليه السلام ، وهو عبد من الملائكة المقربين عباد الله ، والله تعالى حي حياة ذاتية عالية المستوى لا سبيل لجميع العقول أن يدركوا كنهها ، وانما يدركون آثارها ، وليس الله تعالى بحاجة الى جبريل في حياته ، ولكنه تعالى خلقه لمهمات كونية عليا بالاضافة الى السفارة بينه تعالى وبين أنبيائه ورسله ، وقد رد الله على من زعم أن الملائكة أولاد الله بقوله في سورة الأنبياء « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

(١) سورة الحجر — ٢٩ .
(٢) سورة التحريم — ١٢ .
(٣) كما تقول : أعطيته من مالي .

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ » ٢٦ ــ ٢٩ ٠

واللوغوس عندكم هو الكلمة ، وكلمة الله عندكم هي عيسى ابن مريم وحده ، ومع هذا تصفونه بأنه عقل الله ، ومقتضى هذه الدعوى أن الله تعالى نقل عقله من ذاته الى عيسى ابن مريم بعد أن انفصل من جوهر أبيه ، كما تقدم بيانه في ميثاقهم ، فيا للهول أن تقتصر كلمة الله على عيسى ابن مريم وحده فلا حق له في أن يصدر كلمة بايجاد شيء بعد أن أعطى ابنه حق الربوبية والايجاد وأعطاه عقله ، وهذه المقتضيات جريمة في حق الله الذي اعترفتم له في أول ميثاقكم الصادر في مؤتمر نيقية ، بأنه مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى ٠

استدلالات حائرة وغير منتجة

يستدل البابا على عدم اشراكهم بقوله تعالى في سورة المائدة « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا » وعقب ذلك بقوله : وهنا عرض الطوائف الثلاثة اليهود والذين أشركوا والنصارى) يريد بذلك أن فصلهم عن الذين أشركوا يدل على أنهم صنف آخر غيرهم ٠

ونحن نسأل البابا : لماذا لم يكمل النسق القرآني عن القسيسين والرهبان الذين مدحتهم الآية فاقرأ معي « ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٠ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ٠ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ » (٨٣ ــ ٨٦) فالآية في الذين آمنوا منهم وصاروا مسلمين ، ولذا عبر عنهم بصيغة الماضي بقوله « الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ» أي قالوا ذلك قبل أن يسمعوا ما أنزل الى الرسول وتفيض عيونهم دمعا مما عرفوه من الحق ويقولوا آمنا ويصبحوا مسلمين ٠

ومادمت تستشهد بالقرآن على أنكم لستم مشركين ، ويتبين خطؤكم في الاستشهاد بترككم بقية النسق القرآني ، فماذا تقولون في وصفكم بالاشراك بالله في قوله تعالى « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا

« فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » فقد دعتكم الآية الى ترك عبادة المسيح وغيره وأن لا تشركوا بالله شيئا ، وقد نص ميثاق الايمان الذى أقره مجمع نيقية لدينكم ، على ربوبية كل من الاب والابن والروح القدس ، وسمى هذه الشركة توحيدا ، مع توغلها فى الاشراك ، وأكثر من هذا انكم حصرتم هذه الشركة كلها فى السيد المسيح ، فجعلتموه أبا وابنا وروح قدس ، ولهذا تعبدونه وتتقدمون له القرابين ، ولقد نعى عليكم القرآن هذه (اللخبطة) وكفرها فقال « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا .. » سورة المائدة من الآية ١٧ ، ولم تلتفتوا الى أنه كان يستغيث بالله وهو مصلوب كما زعمتم قائلا « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى لهذا العذاب والهوان ، وكان يصرخ بأعلى صوته حتى أسلم الروح « وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ » « مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ » تلك عقيدتنا فى شأن المسيح الرسول عيسى ابن مريم ، وأنتم وشأنكم فى عقيدتكم ، وأمرنا وأمركم كما قال الله جل وعلا: « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » .

نقائض أخرى فى عقيدتكم

ومن عجب أنكم تمرون بما ينقض عقائدكم فى كتبكم بعيون ناعسة أو متناومة ، فيفوتكم درك الحق بهذا التجاهل .

لقد جاء فى الاصحاح الرابع من انجيل متى (أن السيد المسيح كان ابليس يمتحنه ويجربه) فلو كان ابن الله أو الله كما زعمتم لما جربه ابليس ، لأنه لا يوسوس ولا يجرب الا البشر، ولا سلطان له على الألوهية ، فاقرأوا معى ما قاله انجيل متى : (ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك لكى لايصطدم بحجر رجلك قال له يسوع : مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك ، ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا، وأراه ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك هذه جميعا اذا سجدت لى ، قال له يسوع : اذهب ياشيطان ، لأنه مكتوب : للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد ، (١) ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه) الاصحاح الرابع — فقرات ٥ — ١١ فكيف يكون الها أو ابن اله ويسلط عليه الشيطان ، وكيف يسايره ولا يعرفه الا أخيرا حينما طلب منه السجود ، وكيف يعرف الشيطان ممالك العالم ومجدها ، ولا يعرفها ابن الله الا بعد

---

(١) هذا النص ينفى بوضوح مازعموه من وحدة الثالوث فقد اعترف المسيح بأن السجود والعبادة منه ومن غيره لايكونا الا لله وحده ، وهذا واقع فى أن المسيح عبد يسجد لله كغيره من سائر عباده وليس مثل الله كما زعم البابا ، وليس ابنه كما زعمت الاناجيل الاربعة .

أن كشف الشيطان عن بصره فرآها ، واطمعه في ملكها لكي يسجد له ، هكذا قال انجيلكم ولا تستطيعون نفيه ولا تأويله .أسأل الله تعالى أن يشرح صدور عباده لمعرفته ، حتى يؤمنوا به على ما ينبغي له جل وعلا ، فهم في تقليد آبائهم دون تفكير كما قال تعالى « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ » .

حصيدة المحاضرة والهدف من نشرها

وبعد فقد قرأت هذه المحاضرة التي سبق للبابا القاؤها ، وقرأت فيها دفاعه عن التثليث ومحاولة جعله توحيدا ، فوجدت فيها فكرة الألوهية لديهم تائهة في وديان الغموض والحيرة ، وليس في وسعهم أن يحلوا ما فيها من العقد المستحيلة الحل ومنها الوحدة الثلاثية أو ثلاثية الوحدة التي عميت عليهم فتاهوا في استحالتها حائرين.

وقد جاء في الصفحة الأخيرة من النشرة المشتملة على هذه المحاضرة بالخط العريض (امتحنوا كل شيء ، تمسكوا بالحسن) ومغزى هذا الاعلان مفهوم وواضح ، وفي أسفل هذه الصفحة ما يلي (اذا كانت لك رغبة صادقة لمعرفة الحق الالهي في قراءة الانجيل ، ترسل لك نسخة مجانية اذا قطعت هذا الكوبون وأرسلته الينا) هكذا كتبوا والهدف منه واضح لا يحتاج الى بيان .

ونحن نقول : عندنا العهدان القديم والجديد ، ولقد قرأناهما وعرفنا منهما كيف ضيعتم الحق الالهي ـ حق التوحيد المطلق النظيف من تلك التناقضات التي ورثتموها عن أسلاف أعدموا أناجيل التوحيد ، وورثوكم أناجيل متناقضة ، قطعت عنكم المدد الالهي الذي يضيء لكم سبيل الحق ، ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم .

عقائد متشابهة

كانت المسيحة في أول عهدها نقية من أدران الوثنية كما تركها السيد المسيح بعد أن توفاه الله ورفعه اليه ، فلما اختلطت بالشعوب الوثنية تأثرت بها في عقائدها .

يقول المستشار محمد عزت الطهطاوي في كتابه (محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن :

(كان بالاسكندرية مدرسة فلسفية يتزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي ، واليه تنسب الأفلوطينية الحديثة ، وكانت آراء هذه المدرسة تتلخص فيمايلي (١) أن الله هو منشيء الأشياء ولا يحتاج الى موجد (٢) أن العقل هو أول شيء صدر عنه كأنه يتولد منه (٣) ومن العقل انبثقت الروح ، فمن هذا الثالوث يصدر كل شيء ، وقد نشأ بطريرك الاسكندرية في هذه البيئة التي انتعش فيها مذهب أفلوطين لذلك لم يكن عجبا منه عند تواجده في مجمع نيقية ، أن يكون من المدافعين بشدة عن عقيدة التثليث ، وتكرر منه ذلك في المجمع القسطنطيني الأول حتى صارت عقيدة وقرارا لكل من المجتمعين ، سرت بعد ذلك الى جميع الكنائس كاثوليكية وأرثوذكسيةوبروتستانتينية ومما ساعد بطريرك الاسكندرية على اعتناق

فكرة الثالوث ، أن معتنقى الدين المسيحى تعذر عليهم أن يتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم قديما ، ومغروس فى قلوبهم ، فكان فى مدينة طيبة المصرية ثلاثة آلهة — آمون — وموت وختو — ورع مظهر الشمس ، ثم قال الأستاذ الطهطاوى : ولقد جاء فى كتاب المستر وليم أوكسلى (مصر وعجائب أرض الفراعنة) أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوزوريس ، كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريبا ، أى أنه ولد بالروح ، وكان والده ووالدته الها واحدا بثلاثة أقانيم ، وأنه بعد أن قتل وقطع جسمه قطعا عاش ثانية، وانتهى المؤلف الى القول بأن الديانة المسيحية، هى نوع مما كان يعتقده القدماء ، واستشهد المؤلف بصور وكتابات قال انها كانت موجودة فى قصر أنس الوجود) راجع كتاب (محمد نبى الاسلام ‥) للطهطاوى ص ٧٨ — ٧٩

ثم عقد المستشار الطهطاوى مقارنتين بين عقائد المسيحيين حاليا وعقائد الوثنيين من البراهمة الهنود ، وكذا عقائد البوذيين ، وسنكتفى هنا بالمقارنة الأولى ، لأن الثانية تشبهها تماما ، واليك البيان

عقائد الوثنيين الهنود فى كريشنه	عقائد المسيحيين فى عيسى
(١) كريشنه هو المخلص والفادى والمعز والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس — الأب والابن والروح القدس	(١) يسوع المسيح هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس — الاب والابن والروح القدس ٠
(٢) ولد كريشنه من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها	(٢) ولد يسوع من العذراء مريم التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها
(٣) مجدت الملائكة ديفاكى والدة كريشنا ابن الله وقالوا : يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة ٠	(٣) فدخل اليها الملاك وقال : سلام عليك ايها المنعم عليها ٠ الرب معك ٠
(٤) عرف الناس ولادة كريشنا من نجمه الذى ظهر فى السماء ٠	(٤) لما ولد يسوع ظهر نجمه من المشرق ، فعرف الناس محل ولادته ٠
(٥) لما ولد كريشنه سبحت الارض وأنارها القمر وترنمت الارواح ، وفرحت ملائكة السماء ورتل السحاب انغاما ٠	(٥) لما ولد يسوع رتل الملائكة فرحا وسرورا ورتل السحاب انغاما مطربة ٠

(٦) كان كريشنه من سلالة (ملوكانية) ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر ٠

(٦) كان يسوع المسيح من سلالة ملكية ، ويدعونه ملك اليهود ، ولكنه ولد بحال الذل والفقر بغار في فلسطين ٠

(٧) لما ولد كريشنة اضاء الغار بنور عظيم ، وصار وجه ايفاك امه يرسل أشعة نور ومجد ٠

(٧) لما ولد يسوع المسيح اضاء الغار بنور عظيم اعيا بلمعانه عيني القابلة ، وعيني خطيب امه يوسف النجار٠

(٨) ومن بعد ما وضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة ولادته فكلمها وعزاها ٠

(٨)قال يسوع لامه وهو طفل : يامريم انا يسوع ابن الله كما اخبرك جبرائيل الذى ارسله ابي اليك جئت لخلاص العالم ٠

(٩) وعرفت البقرة ان كريشنا اله وسجدت له ٠

(٩) وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له ٠

(١٠) وامن الناس بكريشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له الهدايا من صندل وطيب ٠

(١٠) وامن الناس بيسوع المسيح ٠

(١١) وسمع نبي الهنود (نارد) بمولد الطفل الالهي كريشنه وزاره في (كركول) وفحص النجوم فتبين له انه مولود الهي يعبد

(١١) ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في عهد (هيرودوبس) الملك اذا المجوس من المشرق جاءوا الى اورشليم قائلين اين المولود ملك اليهود ؟

(١٢) ان كريشنه انبثق من الاله براهما الذى كان قبل الوجود ، حيث خلق العالم وسمي نفسه الخالق وكريشنا هو الذى خلص بني الانسان بتقديم نفسه للصليب فداء عنهم، ومن ثم يصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين ، وعلى قميصه صورة قلب انسان معلق ، وهناك اله آخر انشق من الالهبراهما موكل بالخراب والدمار ٠

(١٢) أن الاب هو الاصل ، والابن هو الكلمة التى تجسدت في المسيح ، وان اعدام المسيح صلبا كان لتكفير خطيئة آدم الازلية بعد ان اكل من الشجرة ، فانتقلت الخطيئة الى ذريته جيلا بعد جيل ، والى جميع نسله ، حتى افتداهم المسيح وخلصهم من هذه الخطيئة بقتله وصلبه ، وهناك اقنوم ثالث ضمن ثالوث الاله هو روح القدس ٠

راجع كتاب (محمد نبي الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن) ص ١٥٢ — ١٥٤ للمستشار الطهطاوي .

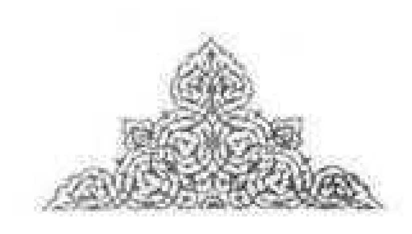
وبعد .

فمن المخلص من هؤلاء ، أهو كريشنه ، أم هو بوذا أم هو عيسى ، الواقع أن هذه دعاوى باطلة ، فلا يخلص الانسان من خطاياه الا التوبة النصوح ، قال تعالى « وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا » سورة الاسراء ١٣ — ١٥ .

وقال سبحانه في سورة النساء « وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا » ١١٠ وقال فيها أيضا « مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا » ١٢٣ وقال في سورة الأنعام « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » فالتوبة تمحو الحوبة ، ومن لم يتب وأصر على المعصية عوقب بها ولايجد له من دون الله وليا ولا نصيرا « يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا » . فكرة البنوة لله وفكرة المخلص فكرة وثنية استنكرها الاسلام بشدة في مواضع كثيرة .

ومنها قوله تعالى « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا . لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا » أي شيئا منكرا فظيعا « تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا . وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا . لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا » ومن كان كذلك فلا يحتاج الى ولد يعينه « وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا » عابدا كان أو معبودا فيلقى كل جزاءه العادل ، نسأل الله الهداية لعباده ،

مصطفى محمد الحديدي الطير



أكثر الناس
في القرآن الكريم
٣

وكما نفى الله العلم عن أكثر الناس فيما قدمنا من الآيات القرآنية نفى الله عن أكثر الناس الايمان فى ثلاث آيات فى كتابه الكريم جاءت بصيغة المضارع ، وفى آية جاءت بصيغة اسم الفاعل ، وتلك هى الآيات التى انتفى فيها الايمان عن أكثر الناس فى مواضعها المختلفة فى القرآن .

١ ـ قال تعالى :

« أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » .

قال الله فى الآية السابقة على هذه : مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . ثم ذكر فى هذه الآية : من كان على بينة من ربه ، وقد حذف الجواب ، وتقدير الكلام : أفمن كان على بينة من ربه لمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس له فى الآخرة الا النار .

أما من كان على بينة من ربه ، فقيل : هو النبى ﷺ ، وقيل : من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ، وهذا هو الذى يناسب قوله فى الآية : أولئك يؤمنون به فمجىء ذلك بصيغة الجمع (أولئك) يبعد أن يكون المراد ـ بمن كان على بينة من ربه ـ محمدا ﷺ .

والمراد بالبينة : البرهان الذى يدل على صحة الدين الحق .

والضمير فى يتلوه يرجع الى البيان والبرهان الذى هو معنى البينة .

والشاهد : القرآن ، وقيل : جبريل

والضمير فى قوله منه يعود الى الله .

ومن قبله كتاب موسى أى ويتلو ذلك البرهان من قبل مجىء القرآن كتاب موسى فى دلالته على الدين الحق .

وهكذا تتلاقى فى صحة هذا الدين : البينات العقلية وشهادة القرآن بصحته ، وشهادة التوراة .

وقد وصف كتاب موسى وهو (التوراة) بأنه امام أى يرجعون اليه فى معرفة الدين والشرائع كما وصفه الله بأنه رحمة ؛ لأنه

للاستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

يهدى الى الحق فى الدين والدنيا ، فكان سببا للرحمة .

أطلق اسم الرحمة عليه .

وقد وصف الله أولئك الذين كانوا على بينة بأنهم يؤمنون به ، ومن يكفر به من الأحزاب والطوائف المختلفة فالنار موعده ، ويدخل فى الأحزاب اليهود والنصارى والمجوس وقد روى سعيد بن جبير عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال : لا يسمع بى يهودى ولا نصرانى فلايؤمن بى الا كان من أهل النار .

(فلاتك فى مرية) من صحة هذا الدين ومن أن القرآن نازل من عند الله ، وقد قالوا : انه مفترى ، وانكروا نزوله من عند الله .

أولاتك فى مرية من أن موعد الكافر الذى يكفر به النار .

والخطاب فى قوله : فلاتك (عام) .

(انه الحق من ربك) أى القرآن هو الحق الذى جاء من ربك أيها الانسان ، أو أن موعد الكافر النار حق من ربك والخطاب فى قوله من ربك (عام) كذلك .

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بأن القرآن الذى وصف بأنه جاء من قبله كتاب موسى اماما ورحمة وانزله الله على محمد ﷺ رحمة للعالمين .

وما أكثر الذين لا يؤمنون بذلك القرآن من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الوثنيين وعباد الكواكب والطبيعة ومن لا يؤمنون بالله ، ومرجع عدم ايمانهم الى تصور نظرهم أو عنادهم ، أو استكبارهم .

والقلة التى أراد الله لها الخير هى التى آمنت بأن القرآن الذى جاء به محمد ﷺ هو من عند الله .

٢ ــ القرآن حق

قال تعالى : ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الرعد .

اختلف المفسرون فى تفسير أوائل السور المبدوءة بحروف المعجم من نحو : الم ، الر المر ، ص ، ن ، ق حم عسق وأمثالها :

فقال بعضهم : انها اسم للسورة ، وقال البعض : انها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله وقال البعض : أن المراد أنه من هذه الحروف وأمثالها جاء القرآن الذى أعجز العرب وهم الفصحاء أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله ، فلم تكن الحروف التى تألف منها ذلك المعجز خارجة عن الحروف التى عرفها العرب، وجاشت بها بلاغة فصحائهم .

وقال عطاء فى تفسير (المر) أن معناها : أنا الله الملك الرحمن ، فالهمزة مأخوذة من (أنا) واللام من الله ، والميم من الملك والراء من الرحمن ، ويكون الأصل على هذا : أنا الله



الملك الرحمن تلك آيات الكتاب ، ثم اختزلت عبارة : أنا الله الملك الرحمن في (الر) ، (وتلك) اشارة الى آيات الكتاب ، والمراد بالكتاب : الكتاب الكامل الذى عرف من بين الكتب السماوية بهذا الاسم (الكتاب) ، ويراد به جميع القرآن ، أو الذى نزل منه حتى نزول هذه الآية .

وهذا الكتاب الكامل (الذى أنزل اليك من ربك الحق) أى أنه الحق الثابت وحقيته كحقية الكتب السماوية قبل أن يعبث فيها التحريف في أنها كذلك تحمل الحق الثابت ، لأنها من عند الله ، فهذا الكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب .

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك الحق المبين ، لأنهم لم يتأملوا فيه حيث أعماهم عنادهم عن النظر والتأمل .

وما أكثر من لم يؤمن بذلك الحق من اليهود والنصارى والملاحدة وقلة قليلة من الناس هي التى تؤمن بحقية ذلك الكتاب وما اشتمل عليه من عقيدة وتشريع وقصص وأخبار الأمم السابقة وما حاق بها حين كذبت رسل الله الذين أرسلوا بالدعوة الى عبادة الواحد سبحانه .

٣ ــ وحول مجىء الساعة قال تعالى :

(إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) غافر ٥٩

بعد أن بين الله سبحانه في الآية السابقة على هذه أنه لا يستوى الأعمى والبصير بمعنى الغافل والمتبصر ، ولا يستوى الذى يعمل الصالحات بمعنى المحسن (والمسىء) بين في هذه الآية أن الساعة حيث يكون جزاء الجميع على ما عملوا في دنياهم (آتية لا ريب فيها) أى في مجيئها لاجماع رسل الله وكتبه التى نزلت قبل القرآن على أن الساعة حق ، ولمجىء أكثر من آية في القرآن تعد وتتوعد بأن مجيئها حق حيث يلقى المؤمن الذى عمل الصالح ثواب الله ويحيق بالمسىء والجاحد عقاب الله .

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)أى لا يصدقون لأن عقولهم ضعفت ــ فلم تدرك غير الواقع المحسوس ، أما الأمور الغيبية فلا يؤمنون بها مهما حدث بها رسل الله ونطقت بها كتب الله التى أنزلها على من اصطفى من الرسل والمراد بأكثر الناس : الكفار بالبعث والقيامة وما أكثرهم .

والقلة من الناس هم الذين يؤمنون بأن الساعة آتية لا ريب فيها ليتحقق بمجيئها وعد الله للمحسن ووعيده للمسىء .

٤ ــ وحول موقف المشركين أو اليهود بعد اخبارهم بقصة يوسف عليه السلام قال تعالى مخاطبا رسوله محمدا ﷺ :

(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) يوسف ١٠٣ .

قيل : المراد بأكثر الناس في الآية : اليهود وذلك لأنهم أرادوا اختبار نبوة محمد ﷺ

فسألوه عن قصة يوسف عليه السلام وعلقوا ايمانهم بمحمد ﷺ على اخبارهم بتلك القصة فلما قص الله قصة يوسف على نحو ما عرف اليهود في التوراة كذبوا فيما وعدوا فلم يسلموا وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحرص على اسلامهم لأن في اسلامهم وهم الكتابيون ما يؤيد دعوته أمام الوثنيين ٠

وقال ابن عباس : المراد بأكثر الناس في هذه الآية : أهل مكة وفي ذكر قصة يوسف عليه السلام تسلية لمحمد ﷺ حيث كان يحزن أشد الحزن على قومه القرشيين حينما يقع منهم ايذاء له أو لأصحابه فقص الله قصة يوسف عليه ليرى فيها كيف آذى الاخوة أخاهم ليتخذ من ذلك العزاء له ولأصحابه ، ثم ليرتقب نصر الله الذي نصر يوسف على اخوته ، ثم ليعفو عنهم كما عفا يوسف عن اخوته حين قال لهم : لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ٠

ورأى ابن عباس في أن المراد بأكثر الناس هنا أهل مكة يؤيده أن سورة يوسف مكية الا آية ١ ، ٣ ، ٧ فهي مدنية وآية وما أكثر الناس مكية ٠

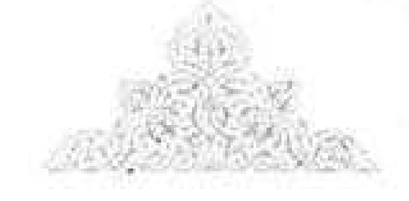
ومعنى الحرص الذي جاء في الآية طلب الشيء بأقصى ما يمكن من الاجتهاد ، وكان رسول الله ﷺ حريصا كل الحرص على اسلام قومه ، وقد خاطب الله رسوله بأنه مهما حرص وبالغ في الحرص على ايمانهم فان أكثرهم لايؤمن (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) وكثيرا ما أوضح الله لرسوله أن مهمة رسالته التبليغ فحسب حتى لا يحزن على موقف قومه من دعوته فقال الله لرسوله :

(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) (إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ) (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) ٠

وقيل : المراد بأكثر الناس : العموم ، فأكثر الناس غير مؤمنين بما يدعو اليه محمد ، وما أكثرهم من اليهود والنصارى والمجوس ومن لايؤمن بوجود الله فاولئك جميعا لا يؤمنون برسالة محمد عنادا وتعنتا وضلالا عن الحق٠

وقد أكد عدم ايمانهم بالجملة الاسمية والباء (الصلة) التي تدل على التوكيد في قوله : بمؤمنين) ٠

د٠ محمد محمد خليفة



وصايا القرآن الكريم

بأمهات الفضائل

قال تعالى « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » •

وقد سيقت هذه الآيات الكريمة بيانا من الله تعالى لما أحله وحرمه مما يتعلق بالاعتقاد والتشريع والاخلاق ، أو القول والعمل •

وجاء ذلك اثر اقحام المشركين ورد ما افتروه من تحليل وتحريم ، واقامة الدليل القاطع على بطلان ضلالاتهم وأباطيلهم •• وكل ما أثاروه من شبه كانت نتيجة العقيدة الضالة ، فجاءت هذه الآيات لتحرر العقول من الشرك في العقيدة والشرك في القول والعمل ، وتطلقها من آسار الوثنية المظلمة الى الايمان بالله رب العالمين ، حتى يكون السلوك العملي على أساس من العقيدة الصحيحة وحتى يكون الدين كله لله •

وتنقسم هذه الوصايا الى قسمين :

قسم يتصل بعلاقة الخلق بخالقهم •

وقسم يتصل بعلاقة الخلق ببعضهم مع بعض :

اما القسم الاول : الذى يتصل بعلاقة الخلق بخالقهم ، فيقوم على الأصل الاول في الدين وهو : التوحيد ، وذلك في قول الله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » وسر التصريح بعنوان الربوبية دون غيره مع الاضافة الى ضميرهم في قوله : « أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ •• » أن في تذكيرهم واشعارهم بأنه تعالى رب لهم ومالك لأمرهم • ومربيهم ومتصرف في حياتهم وموتهم تصرفا مطلقا في كل هذا أقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهوا عنه •

وفي النهي عن الاشراك بالله : توجيه الى عبادة الله وحده لا شريك له : « فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ

للدكتور أحمد عمر هاشم

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » لأنه سبحانه لا يقبل من العبد عملا أشرك فيه سواه .

قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه (١) ويقول : « يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم فان الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال الا ما خلص له ، ولا تقولوا هذه لله وللرحمة ، فانها للرحمة وليس لله منها شيء ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم فانها لوجوهكم وليس لله منها شيء (٢) .

وفي الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك » .

وفي النهي عن الشرك بالله توجيه الى العبادة والاستعانة به وحده فلا يسأل الانسان غير ربه ولا يستعين بمخلوق سواه ولا يشرك في الاستعانة به أحد .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال : ياغلام اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

واذا كان النهي عن الشرك بالله يعني هذين الامرين من العبادة لله وحده ، والاستعانة بالله وحده فقد جمع هذان الامران معا في قوله تعالى في فاتحة الكتاب الكريم : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

وقد حذر القرآن الكريم من الشرك ومن عاقبته الاليمة ونهايته الوخيمة فبين أن من

---

١ ــ الحديث أخرجه الامام النسائي في سننه في كتاب الجهاد باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ج ٦ ص ٢٥ طبع دار الفكر ــ بيروت الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م بلفظ : عن أبي امامة الباهلي قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ــ فقال : ارأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا شيء له » ثم قال : ان الله لايقبل من العمل .... الحديث » واللفظ له » ..

٢ ــ رواه البزار باسناد لا بأس به والبيهقي عن الضحاك بن قيس وهو مختلف في صحبته ا هـ الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ج ١ ص ٥٥ باب ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا له . الباجوري .

جعل مع ربه الها آخر سيكله اللـه الى الذى أشركه معه وهو لا يملك ضرا ولا نفعا لأن الله وحده هو مالك كل شيء ، ولذا فنهاية من أشرك احدا مع ربه أن يقعد « مذموما » على اشراكه « مخذولا » ، لان الله لا ينصره قال تعالى : « **لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا** » وفيما رواه الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى اما آجلا واما غنى عاجلا » رواه أبو داود والترمذى من حديث بشير بن سليمان .

٢ ــ **وأما القسم الثانى** :وهو ما يتصل بعلاقة الخلق بعضهم ببعض فهو نوعان أحدهما يتعلق بالعمل ، والآخر بالقول .

أما ما يتعلق بالعمل : فمنه ما يتصل بالوالدين : « **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** » .

ومنه ما يتصل بالأولاد : « **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** » .

ومنه ما يتصل بالمال : « **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** » .

ومنه ما يتصل بحرمة النفس : « **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** » .

ومنه ما يتصل بالكيل والميزان : « **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » .

(ب) وأما ما يتعلق بالقول : « **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** » .

ثم ختم هذه الوصايا كلها بتوحيد القلوب وجمعها حول دين الله والتمسك بكتابه والاعتصام بحبله ، فيقول : « **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » .

الوصية بالوالدين

ونلاحظ أن الله سبحانه فى سياق تعداد المحرمات ، خالف فى التعبير بالنسبة للوالدين فلم يقل ولا تسيئوا الى الوالدين بل قال : « **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** » .

« فمن المعلوم ان الامر بالشيء يستلزم النهى عن ضده فذكر الامر وقصد لازمه ولم يقصد بهذا التعبير الا المبالغة فى وجوب مراعاة حقوق الوالدين لانه لو قال « ولا تسيئوا اليهما » ما كان هذا كافيا فى القيام بحقهما، فمجرد ترك الاساءة لا يفى فى جانبهما وان مجيء الوصية بالوالدين عقب الوصية بالله ليدل على بالغ أهميتها ، قال تعالى فى سورة الاسراء : « **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا**

وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا » .

وقال تعالى : « أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ » وقال « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » .

وفى السنة الشريفة توضيح لهذا المكانة العظيمة للوالدين وبيان بأن برهما أحب العمل الى الله بعد عبادته سبحانه .

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى ـ ﷺ : أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال :

الصلاة على وقتها قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين قلت ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » متفق عليه :

ولمنزلة الوالدين عند الله تعالى لم يقصر الله برهما فى حال حياتهما بل جعله ممتد الأواصر حتى بعد موتهما روى الامام أحمد بسنده عن مالك بن ربيعة الساعدى قال : بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يارسول الله هل بقى على من بر أبوى شىء بعد موتهما أبرهما به ؟ .

قال : « نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك الا من قبلهما فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما » رواه ابوداود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان .

رزقنا الله مثوبة بر الوالدين ورحم الله والدينا والمسلمين اجمعين .

حقوق الأولاد

ثم انتقلت الآيات بعد الوصية بالوالدين الى الوصية بحقوق الأولاد وفى التعبير بقوله : « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ » أى لا تقتلوهم بالوأد من أجل فقر ناجز موجود وتلاحظ بينه وبين التعبير فى سورة الاسراء بقوله : « **خشية املاق** » أى فقر متوقع وان كان هناك بعض الآراء ان التعبير الاول مثل الثانى ولكننا نرى أن قوله : « من املاق» أى فقر حال فأبطل الله سببيه هذا العمل ، حيث ضمن أرزاق الآباء والأبناء معا وقدم الآباء هنا فقال « نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ » . واما فى الآية الثانية : فلما كان الفقر متوقعا بسبب وجود الاولاد قدم الاولاد فقال : « **نحن نرزقهم واياكم** » . .

وفى السنة الشريفة بيان للنهى عن ذلك وتوضيح لثل هذه الجريمة الشنيعة ففى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ، قلت يارسول الله اى الذنب اعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت : ثم أى ، قال :أن تزنى بحليلة جارك » .

صيانة العرض

ثم تأتى الوصية بالعرض والشرف الانسانى من قوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » .

وجاء النهى هنا عن الفواحش بصيغة الجمع ليشمل التحذير جميع أنواع الفاحشة كما فسرته الآية « مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » أى ما يقع منها علانية كما هو شأن أراذلهم وما يفعل فى السر باتخاذ الأخدان كما هو شأن أشرافهم .

وفى النهى عن قربانها زيادة فى التأكيد والمبالغة فى التحذير منها ولأن قربانها يدعو الى مباشرتها .

وفى سورة الاسراء نهى عن الزنا ومقاربته فى قوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » .

وورد فى السنة الشريفة بيان خطورة هذا الذنب وعظمه .

روى ابن أبى الدنيا بسنده عن الهيثم بن مالك الطائى عن النبى ﷺ قال : « ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له » .

وعن ميمونة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا » . فاذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب » رواه أحمد .

وقال العلامة أبو السعود فى تفسير سورة الأنعام : وتوسيط النهى عنها « أى الفواحش » بين النهى عن قتل الأولاد والنهى عن القتل مطلقا .. باعتبار أنها مع كونها فى نفسها جناية عظيمة فى حكم قتل الأولاد فان أولاد الزنا فى حكم الأموات ..

حرمة النفس

ثم تأتى بعد الوصية بالعرض الوصية بالنفس الانسانية وبيان حرمتها بعد الوصية بالعرض فى قوله تعالى : « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » وهى النفس الانسانية التى حرم الله الاعتداء عليها لكونها معصومة بالاسلام أو بالعهد .

وما قوله : « الا بالحق » فهو الذى أمر الشرع به كالكفر بعد الايمان ، أو الزنا بعد الاحصان ، أو قتل النفس المعصومة أو الاعتداء على جماعة المسلمين فحينئذ تهدر عصمة النفس الانسانية .

وفى سورة الاسراء بيان لهذه الوصية واحترام للنظام الالهى الذى قرره الاسلام حتى بالنسبة لولى القتيل فليس له الاسراف فى القتل : « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا » .

وفى السنة الشريفة بيان وتفصيل لهذه الوصية منها ما ثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وما رواه أصحاب السنن : « لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » . تلك خمس وصايا بينة لأصحاب العقول واضحة كالشمس فى رائعة النهار يفهمها كل انسان ويعقلها جميع الخلق ، فهى من الوضوح بمكان بحيث تقضى

بها بديهة العقول ، ولذا ختمت الآية الكريمة بقول الله تعالى: « لعلكم تعقلون » أى لعلكم تستعملون عقولكم فى فهم هذه الوصايا وادراك أهميتها فى الدين .

وهكذا نرى أن هذه الوصايا السابقة تضمنت : ١ ــ العقيدة ٢ ، ٣ الاسرة أصولا وفروعها « الآباء والابناء » ٤ ــ العرض ٥ ــ النفس .

المال

بعد هذا تتجه بنا الوصايا الالهية الى « المال » وكيفية استخدامه والتعامل الاجتماعى النظيف الذى لا تشوبه شائبة ما .

وتبدأ الوصية بمال اليتيم ، لأنه ضعيف الحال فنبه عليه ، وصرح بالنهى عن قربان ماله مبالغة فى النهى عن أكله الا بالطريق الأحسن كالحفظ والتثمير الى أن يصبح بالغا رشيدا قال تعالى : « **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** » كذلك حذر الله تعالى الوصى من سوء التصرف فى مال اليتيم بتبديل الخبيث من ماله بالطيب من مال اليتيم أو يأكل المال مضموما الى ماله موضحا أن هذا اثم كبير فقال تعالى : « **وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** » .

ومحافظة على مال اليتيم أمر الله تعالى اذا بلغ اليتيم ــ الا يسلم له ماله الا بعد اختباره للتحقق من حسن تصرفه فيه ، ونهى عن أكله « اسرافا » بصرفه فى غير الوجوه الصحيحة المشروعه ولو على اليتيم نفسه ، « وبدارا » بالاستعجال فى التصرف فى ماله حيث كانت فيه منفعة فيخشى الوصى فواتها اذا كبر اليتيم وأخذ ماله . كما بين أنه لابد من زيادة الحيطة فى المحافظة على المال بحيث لو كان غنيا فليعف عن الاكل من المال ولو كان فقيرا فليأكل بالمعروف وحتى عند دفع الأموال الى اليتيم لابد من أن يشهد الولى عليها لتتم براءة الذمة .

قال تعالى : « **وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** » .

وبين الله تعالى جزاء من يأكل أموال اليتامى ظلما بأن هذا يجرهم الى النار وبئس المصير :

« **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** » .

ثم تتدرج بنا الوصايا الالهية الى بناء اقتصادى سليم وحياة اجتماعية مثالية لا تصدع فيها من أثر الخيانة ولا احتكار فيها من أثر الجشع وشح النفس بل انها معاملة تظللها الأمانة بما فى وسع البشر « **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » .

وفى سورة الاسراء ورد مثل هذا النهى : « وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .

وفى سورة المطففين : « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ « فأحسنوا الكيل بعد ذلك » رواه ابن ماجه وابن حبان والبيهقى .

(ب) ما يتعلق من هذه الوصايا بالقول وذلك فى قوله تعالى : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ » ان العدل من أهم أسس المجتمع الاسلامى وبدونه تصبح الحياة فوضى لا استقرار ولا أمان فيها واذا كانت هذه الوصية تنص على العدل فى القول حكومة أو شهادة أو غير ذلك فانه مطلوب فى الامر كله قال تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

وحرم الله تعالى الظلم وبين عاقبته الوخيمة فى قوله تعالى : « مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ » .

وبين الرسول ﷺ نهاية الظلم يوم القيامة فى قوله « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم .

واذا كانت فضيلة العدل وسطا فى الامور بين الافراط والتفريط ، فان الاسلام يحرر هذه الفضيلة من آفة الافراط كالمحاباة والمحسوبية، لقرابة وغير ذلك فقال تعالى : « وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ » .

ومن آفة التفريط التى تؤدى الى التقصير بسبب الكراهية فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ - أى « ولا يحملنكم » شَنَآنُ قَوْمٍ - أى شدة بغضكم لهم » - عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

الوفاء بالعهد

ثم يأتى بعد ذلك : « الوفاء بالعهد » فى قوله تعالى : « وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا » .

والعهد نوعان : عهد مع الله ، وعهد مع الناس .

اماعهد الله فهو الالتزام بشرعه وما عاهد المسلم ربه عليه من الايمان والنذور .

وأما العهد الذى مع الناس فيكون بالتمسك بالالتزامات الصحيحة التى ينبغى التمسك بها بينهم فى سائر العلاقات والمعاملات قال تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا » .

وقال : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ »

وقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » .
ونقض العهد ليس من سمات المؤمنين ، لأنه يعمل على اهتزاز الثقة وتمزيق العلاقات بل ان نقض العهد من علامات النفاق وفى الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا أؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » .

واعتناء بأهمية العهد وتأكيدا للوفاء به جاء ، التعبير القرآنى الحكيم بتقديمه على الفعل « وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا » .

ولما كان الناس تجاه هذه الوصايا بحاجة الى تفكر وتذكر وبحث واجتهاد وفى تحرى وجه الصواب والوقوف على أسس الاعتدال فيها ختمها الله تعالى بخطاب يحث على ذلك فى قوله : « ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

خاتمة المطاف

أما نهاية المطاف بالنسبة لتلك الوصايا فهو اشارة الى جميع ما ذكر وتركيز لشريعة الله بما يتعلق منها بالأمر والنهى وتوجيه للاعتصام بحبل الله حتى لاتدب الفرقة بين المسلمين .

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » .

قال تعالى : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » .

بقى سؤال : هل هذه هى كل الفضائل التى يدعو الدين اليها ؟ وكل الوصايا التى يجب مراعاتها ؟ .

والجواب على ذلك : أن هناك فضائل أخرى وأخلاقا كثيرة ولكن الآيات الكريمة اقتصرت على أمهات الفضائل وأسس الاخلاق وغير هذه يندرج تحتها على طريق الاجمال عقيدة وشريعة وأخلاقا .

وفى ختام هذه الوصايا بيان اجمالى بها وبغيرها من الفضائل والوصايا التى لم تذكر ضمن المتلو عليهم وذلك فى قوله : « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي .. » حيث أضاف الرسول ﷺ الصراط الى ضميره ومعنى هذا انتسابه اليه من جهة السلوك والقول ، والعمل وهذا يفيد أن مالم يرد ذكره هاهنا ، وما كان مفصلا من الأوامر والنواهى يتعلق به عليه الصلاة والسلام وهو قائم على العمل به ومستمر على مراعاته ولنا به أسوة حسنة : « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

وفى تعليل الاتباع باضافة الصراط الى الرسول ﷺ لا الى الله فى هذا لفتة حكيمة فان التعبير الشريف أراد أن يوجهنا الى بيان سلوك الرسول ﷺ ، وفيه دعوة الى اقتداء الناس به وعندئذ يتضح لديهم أنه صراط الله تعالى : « مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » .

البقية ص ٥٢٤

كتاب

الإجزاء في معرفة الأجزاء

يسعد مجلة الأزهر أن تقدم هذا التحقيق لكتاب « الاجزاء في معرفة الأجزاء » الذى يسجل جهدا كريما في الدراسات القرآنية ، قام به فضيلة الاستاذ الشيخ « ابراهيم عطوه عوض » من علماء الأزهر الشريف المهتمين والساهمين في ميدان هذه الدراسات الجليلة وقد عنى المحقق ـ جزاه الله خير الجزاء ـ أن يصدر تحقيقه بمقدمة يتبعها بترجمة لمؤلف الكتاب قبل أن يبسط أمام القارىء نص الكتاب ، تقديرا منه وتعريفا بالمؤلف .

نسأل الله سبحانه كريم النفع به وجزيل الثواب لكل من سعى الى نشره وعمل للتعريف به .

مجلة الأزهر

تمهيد المحقق :

قال تعالى : « وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً » .

الحمد لله الذى انزل القرآن هدى ورحمة وبشرى للمسلمين (سبحانه) انزله بأجزل لفظ وأعذب اسلوب ، فاعجزت بلاغته البلغاء، وأعيت حكمته الحكماء . كيف لا « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (1) .

وأصلى افضل الصلاة وأتمها على هادى الأمة ونبى الرحمة سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ وآله وصحبه وشرف وكرم وسلم وبعد .

فان احياء الكتب التى جادت بها قرائح أسلافنا السابقين وتفجرت بها ينابيع مواهبهم ، فانسابت في كل جانب من جوانب التعريف بهذه الشريعة الخصبة السمحة ، فكانت لهم مؤلفات رائعة شفت عن مدى

(1) فصلت ٤١ ـ ٤٢ .

للأستاذ إبراهيم عطوة

شماختها وكشفت عن كثير من نواحى عظمتها ان احياء هذا التراث الفذ لواجب فى مقدمة ما يجب على العلماء ، ولقد كان اهتمامهم بالمصدر الاول للتشريع (القرآن الكريم) فى المكانة الاولى من عنايتهم ، اذ كانوا يعتقدون أن الطاعة الحقيقية لله ،انما تكون بدراسة كتابه والعكوف على تفهم مراميه ، وادراك اشاراته وتحليل عباراته ، مما مكن لهم من أن يكتشفوا فيه كل يوم عن جديد يزداد به المؤمنون ايمانا على ايمانهم ، فتدفع بهم الثقة الى متابعة المزيد من الدراسة والتحليل. ومن ثنايا هذه الدراسة الفاحصة المتعمقة أخرجوا للناس مؤلفاتهم ، لا يبغون من ورائها جزاء ولا شكورا ، انما يريدون بها وجه الله . وحمل الناس على التمسك بكتاب الله الذى « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (١) .

وبهذا وجدت البشرية المعذبة ما يأخذ بساعديها الى رحاب السعادة الأبدية . وفى الوقت ذاته ظفرت بما يحقق لها غاياتها ، ويسد حاجاتها ، وينهض بمتطلباتها فى هذه الحياة الراهنة .

ولقد قدر الله لهذه الكنوز الدفينة بعد أن طال عليها الامد فى زوايا النسيان أن ترى النور على يد المحققين من علماء الأزهر الشريف بمجمع البحوث الاسلامية وبمجلة الأزهر الغراء فوق أرضنا الطيبة التى قام بها الأزهر يحمل شموس الهداية . فتضىء لبنى الدنيا ، فيرى الناس الطريق الواضحة فيندفعون اليها مستبصرين بعد أن كانوا فى ظلمات الجاهلية والجهالة تائهين.

ولما كانت المكتبة الاسلامية على وفرة محتوياتها وضخامة ذخائرها قد خرجت من عقالها ، وبعثت من مرقدها فى عصرنا الحاضر .

ولما كانت رسالة هذه المكتبة هادية مرشدة لأبناء الاسلام على المستوى العالمى كان لابد من اتحافها بكنز آخر من تلك الكنوز المكنونة فى علوم القرآن الكريم ذلك الكنز هو :

كتاب الاجزاء فى معرفة الاجزاء .

لمؤلفه الامام ابراهيم بن عمر الجعبرى — رحمه الله

وهو كتاب ناهيك به من كتاب فى خصوص هذا الباب صيغ فى أسلوب ممتع جذاب . وعبارة ميسرة تأخذ بالألباب يسير القارىء له فى رياض رحبة الظلال . دانية القطوف . جميلة المرأى . حلوة المذاق . جمعت ما

(١) سورة الاعراف آية ١٧٠ .

نسقه السابقون . وزيد عليها ماكمل بهجته وأغنى عن النظر فى سابقتها . ولا غرو يخرجه مؤلفه فى صورة متكاملة .

وها أنا ذا أمسك القلم عن الوصف والبيان تاركا مؤلفه الجعبرى يعرب عن كتابه بلسانه قال :

وبعـــد :

فلما دعت الحاجة الى تجزئة التنزيل كما دل عليه الدليل ـ تبادرت اليه أئمة القرآن فى كل زمان وتداوله الخلف عن السلف . وها أنا قد أوردته على نحو ما تقلدته . جامعا شوارده شارحا موارده . وفى أوراق قليلة تشتمل على معان جليلة . ورتبته . على ثلاثة أبواب .

الاول : فى تجزئة النبى عليه الصلاة والسلام والاصحاب .

والثانى : فيها باعتبار كسور الحساب .

والثالث : فيها بنسبة أوقات الأحقاب .

وصدرته بمقدمة فى عمدة الكتاب وسميته الاجزاء فى معرفة الأجزاء« والله المسئول فى بلوغ المأمول .

ترجمة المؤلف بقلم المحقق

هو الامام الحافظ الحجة الثبت الشيخ ابراهيم بن عمر بن خليل بن ابى العباس العلامة الأستاذ ابو محمد الربعى الجعبرى السلفى بفتحتين نسبة الى طريقة السلف محقق حاذق ثقة كبير .

مولده ووفاتـه

ولد سنة أربعين وستمائة أو قبلها تقريبا بربض قلعة جعبر . وتوفى ثالث عشر من رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة .

ثقافته

قرأ (للسبعة) على أبى الحسن على الوجوهى صاحب الفخر الموصلى ، و (للعشرة) على المنتخب حسين بن حسن التكريتى صاحب ابن كدى بكتاب در الافكار، ومن ثم لم تقع له بالتلاوة عن كل من العشر الارواية واحدة وروى القراءات بالاجازة عن الشريف الداعى . وروى الشاطبية بالاجازة عن عبد الله بن ابراهيم بن محمود الجزرى.

تلاميذه

قرأ عليه القراءات العشر شيخنا (٢) أبو بكر بن الجندى وبلغنى أن الشيخ عمر بن حمزة

(١) غاية النهاية لابن الجزرى «بتصرف» .

(٢) اذا أطلق المؤلف "شيخنا" فمراده شيخ ابن الجزرى .

العدوى قرأ عليه ، وقرأ عليه أحمد بن نحله سبط السلموسى ، ومحمد المطرز ، والقاسم المغربى ، وابراهيم البطبكى الشاهد وقرأ عليه بعض القرآن بالقراءات واجازه بالباقى شيخنا ابو المعالى بن اللبان وابراهيم احمد الضرير الشامى ، وقرأ عليه أيضا الصائم المصرى شيخ القرم ، واستوطن بلد الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وللامام باع واسع فى علم اللغة والنحو والصرف والتفسير ، وتوجيه القراءات وعلومها . كعلم الآى والفواصل والرسم .

وله شروح على كتب المتقدمين منها :

شرح حرز الأمانى ووجه التهانى . يقع فى مجلدين كبيرين مخطوط بدار الكتب يسمى « كنز المعانى » .

وشرح على كتاب (عقيلة اتراب القصائد فى أسنى المقاصد)فى رسم القرآن الكريم يسمى « الأبحاث الجليلة على العقيلة » .

وكتاب النفيس فى علم الآى يسمى « حسن المدد فى معرفة العدد » .

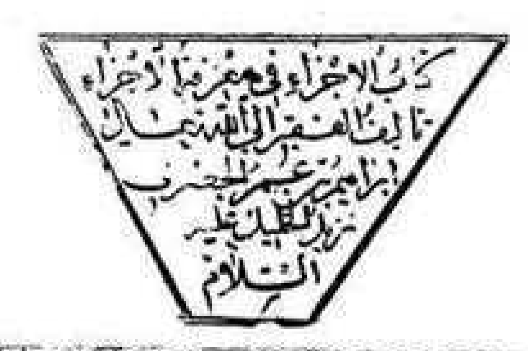
ولكتاب الاجزاء . وهو هذا الكتاب . الى غير ذلك من المصنفات الكثيرة .

الخـــلاقه

كان رحمة الله عليه ورضوانه على جانب كبير من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة: كان خلقه القرآن العظيم وحديث رسول الله ﷺ فما كان يغفل عن تعهدهما والاشتغال بهما .

وكان من أبرز صفاته التى عرف بها الحلم والتواضع واحتمال المشاق والصبر والصيام، وقيام الليل فى الطاعة والورع والأدب الجم مع شيوخه وطلابه ومن يعرف ومن لا يعرف ومحبته للعلماء وذوى الفضل والتنويه بذكرهم . وعدم تناول أحد بما يسىء ، وعدم التفاخر بعلمه ومزاياه . والى جانب ماذكر ما اتصف به من الكرم والمروءة والبذل والسخاء والزهد فى متاع الحياة الدنيا . وغير ذلك من الصفات الكريمة التى لم تجتمع لأحد من اهل زمانه . وقد شهد له القدماء بالحفظ والمعرفة التامة والذهن الحاد والذكاء المفرط وسعة الاطلاع فى كثير من الفنون .

فجزى الله المؤلف خير الجزاء . وانزله منازل الصديقين والشهداء . ونفعنا الله وسائر المسلمين بعلمه . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما وسعه علم الله العظيم .



كتاب الاجزاء في معرفة الاجزاء
تأليف الفقير إلى الله تعالى
ابراهيم بن عمر الجعبري
نزيل الخليل عليه
السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الكتاب نجوماً وجعله للدين معالم ورسوماً
ورفعنا بالمتكلمين إذ كان بهم رجوماً وصلواته على سيدنا محمد
الذي أقام منار الإسلام مرفوعاً وعلى أمته أركان الإيمان عليه
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وبعد فلما دعت حاجة
المعجزة التنزيلية كما دل عليه الدليل وشاد رتبته أئمة
القرآن في كل زمان وتداوله الخلف عن السلف [illegible]
أوردته على نجوم ما نقلته سماعاً شوارده وشارعاً موارده
في أوراق قليلة تشتمل على معان جليلة ورتبته على ثلاثة أبواب
الأول في تجزئة النبي عليه الصلاة والسلام والأصحاب وثانيها
فيها باعتبار ذكر الحساب وثالث فيها باعتبار ذكر الكلم
وثالث فيما جنسه أوقات الأحزاب وصدرته بمقدمة
في علوم الكتاب وسميته الإجزاء في معرفة الأجزاء والله المسؤول
في بلوغ المأمول مقدمة وهي في الإسناد ومعنى الجزء و
الحزب ودليل التحزيب جل ما ذكره في هذا الكتاب رويته عن
الشيخ أبي محمد يوسف البغدادي عن أبي محمد القاسم المرزوقي عن
أبي محمد المرادي عن أبي الحسن علي بن محمد عن أبي
داود عن الشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني بسنده المتصل
بمن ينتهي إليه والجزء البعض فكل بعض من القرآن سورة أو آية
أو كلمة يسمى جزءاً واصطلاحاً بعض ما والتسمية من الطريقة الجمع
فكل جمع من أحدها يسمى حزباً واصطلاحاً يماثل المقابلة
بهذه الاعتبارات فيراد منا الجزء في قسميه ولما كان حفظ
القرآن جملة متعذراً وتكراره بجملة شاقاً وكان ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الكتاب نجوما ، وجعله للدين معالم ورسوما ، رفقا بالمكلفين انه كان بهم رحيما ، وصلواته على سيدنا محمد الذى قوم منار الاسلام تقويما . وعلم امته اركان الايمان تعليما . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . وبعد .

فلما دعت الحاجة الى تجزئة التنزيل كما دل عليه الدليل . تبادرت اليه أئمة القرآن فى كل زمان وتداوله الخلف عن السلف وها أنا قد أوردته على نحو ما تقلدته . جامعا شوارده . شارعا موارده . فى أوراق قليلة تشتمل على معان جليلة . ورتبته على ثلاثة أبواب .

الاول : فى تجزئة النبى عليه الصلاة والسلام والأصحاب .

والثانى : فيها باعتبار كسور الحساب .

والثالث : فيها بنسبة أوقات الأحقاب .

وصدرته بمقدمة فى عمدة الكتاب وسميته (الاجزاء فى معرفة الأجزاء) . والله المسئول فى بلوغ المأمول .

(المقدمة . وهى فى الاسناد ومعنى الجزء والحزب ودليل المجزئين)

جل ما أذكره فى هذا الكتاب رويته عن الشيخ أبى اسحاق يوسف البغدادى عن أبى محمد القسم اللورقى عن أبى عبد الله محمد المرادى عن أبى الحسن على بن هذيل عن أبى داود عن الشيخ أبى عمر وعثمان بن سعيد الدانى بسنده المتصل بمن ينتهى اليه.

والجزء :البعض ، فكل بعض من القرآن سورة أو آية أو كلمة يسمى جزءا .

واصطلاحا بعض مساو لقسميه .

والحزب : لغة الجمع ، فكل جمع من احدهما يسمى حزبا .

واصطلاحا : جمع مسائل لمقابله باحد الاعتبارات فيرادف الجزء فى قسميه .

ولما كان حفظ القرآن جملة متعذرا وتكراره دفعة شاقا ، وكان ذلك من قبيل تكليف ما لايطاق أباح الله تعالى ورسوله لكل انسان تجزئته بحسب الامكان ، وكان الأسهل على القراء والاعدل فى الاقراء أن يكون الأجزاء على السواء لأنها كمراحل السائرين . ومنازل الحائين . بقوله تعالى « **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** » « **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** » « **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** » . « **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** » .

وبرواية عائشة — رضى الله عنها — (كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن فى أقل من ثلاث) .

وقول ابن عمر رضى الله عنه (استأذنت النبى — ﷺ — فى أشياء فقال اقرأ القرآن فى ثلاث فقلت : يارسول الله زدنى فقال : انه لا يفهمه رجل قراه فى أقل من ثلاث).

ولهذا قال عبد الله من قراه فى أقل من ثلاث فهو راجز هذا كهذ الشعر ونثرا كنثر الدقل .

● الاجزاء فى معرفة الأجزاء

وقول قيس بن صعصعة : يارسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال : فى كل خمس عشرة فقال : انى أجدنى أقوى من ذلك فقال : فى كل جمعة .

وقال سعيد الأنصارى يارسول الله أقرأ القرآن . فى ثلاث ؟ قال : نعم ان استطعت .

وقال أوس ـ لأصحاب النبى ، ﷺ : (كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث سور ، وخمسا ، وسبعا ، وتسعا ، واحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، والمفصل من ق الى آخره) .

فان قيل : فقوله تعالى : « الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» ثم للمجزئين .

قلت : المراد تجزئة النقض لقوله : أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. يتبع .

ابراهيم عطوة

وصايا القرآن الكريم "بقية"

ومعنى : « وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » اى لا تتبعوا الاديان المتفرقة المختلفة أو سبل البدع وطرق الغوايات فتفرقكم عن السبيل المستقيم الذى لا عوج فيه وهو الاسلام . « ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

وهكذا تسمو بنا الوصايا الالهية من فضيلة الى أخرى ومن خلق الى خلق حتى تتركز كلها فى الشريعة مجتمعة وفى الصراط المستقيم فيأمر الله باتباعه ، ويردف الأمر بالنتيجة وهى الوصول الى تقوى الله تعالى فيتقى العبد غضبه وعذابه وناره وعقابه . ويفوز برضاه ورحمته وثوابه وجنته وذلك هو الفوز العظيم .

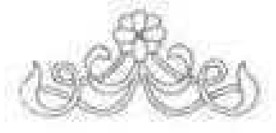
ولا يخفى ما فى آخر كل آية من التنسيق البليغ والحكمة العالية حيث يتدرج بالانسان من قوله تعالى : « .. لعلكم تعقلون » الى « ... تذكرون » الى « ... تتقون » ان هذا الترتيب الرائع ليطلعنا على سلم الهداية الالهية تدرجا بالانسان من العلم والمعرفة من طريق العقل والبحث الى درجة أسمى هى التذكر والتدبر الى درجة اسمى هى تقوى الله تعالى .

فالانسان اذا عقل تفكر ثم تذكر اى اتعظ فاتقى محارم الله تعالى . وفقنا الله الى العمل بالقرآن وهدانا الى صراطه المستقيم .

د. أحمد عمر هاشم

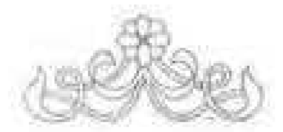
الحديث الشريف والسيرة النبوية

جزاء معاداة أولياء الله تعالى



حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

من الوثائق الاسلامية الأولى



جزاء معاداة أولياء الله تعالى وأفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى

عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ان الله ــ عز وجل ــ قال : « مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ عَبْدِى الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » .

« رواه البخارى »

راوى الحديث : هو أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، قدم على النبى ﷺ مهاجرا اثر غزوة خيبر ، سنة سبع من الهجرة ، ولازمه حتى لحق بربه ، روى عنه الحديث فأكثر ، وروى عن كبار الصحابة وروى عنه كثير من التابعين ، أكثرهم سعيد بن المسيب ، صهره ، والأعرج مولاه ، وكثير غيرهما .

وكان من أوعية العلم ، ومن كبار ائمة الفتوى ، مع الجلالة والعبادة والتواضع وكان من أحفظ الصحابة ، وروى عن ابن عمر أنه قال : يا أبا هريرة أن كنت لألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه .

توفى سنة ٥٨ من الهجرة النبوية ودفن بالبقيع (١) .

« الشرح »

هذا الحديث قبس عظيم من نور النبوة ، وأصل فى السلوك ، والتقرب الى المولى ــ تبارك وتعالى ــ والوصول الى معرفته ومحبته وطريقه ، وهو من الأحاديث الالهية

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى ٢٥/١ فتح المبين لشرح الاربعين للهيتمى ١٣١ .

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

لأنه من كلام الله تبارك وتعالى ، غير أنه ليس له حكم القرآن رواه النبي ـ ﷺ ـ عن جبريل ـ عليه السلام ـ عن ربه ـ عز وجل .

ولما كان هذا الحديث يحتوى على جزاء من يمادي أولياء الله ، وأفضل ما يتقرب به الى الله ، ينبغى أن أوضح الولي وشرطه ، وكراماته ، وموقف العلماء منها ، فأقول وبالله التوفيق :

من هو الولي ؟

ان الولي هو من تولى الله بالطاعة ، والتقوى ، فتولاه الله بالحفظ والنصرة من الولي ، وهو القرب والدنو ، فالولي هنا القريب من الله تعالى ، لتقربه اليه باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، والاكثار من نوافل العبادات ، مع كونه لا يفتر عن ذكره ولا يرى بقلبه غيره ، لاستغراقه فى نور معرفته ، فلا يرى الا دلائل قدرته ، ولا يسمع الا آياته ، ولا ينطق الا بالثناء عليه ولا يتحرك الا فى طاعته ، وهذا هو المتقي مصداقا لقوله تعالى (**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**) (١) .

شرط الولي :

قال العلماء : يشترط فى الولي أن يكون محفوظا (٢) ، كما يشترط فى النبى أن يكون معصوما ، وكل من كان للشرع عليه اعتراض ، فهو مغرور مخادع .

قال الامام القشيري : المراد بكون الولي محفوظا أن يحفظه الله تعالى من تماديه فى الزلل والخطأ ، فان وقع فيهما يلهمه الله التوبة ، فيتوب منهما ، والا فهما لا يقدحان فى ولايته .

وقال الفاكهاني ـ رحمه الله ـ من حاربه الله أهلكه .

وقال غيره : ايذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كأكل الربا ـ عافانا الله تعالى من ذلك ، فمن والى أولياء الله تعالى أكرمه الله ، ومن عادى أولياء الله أهلكه الله .

قال أبو تراب النخشبي ـ رحمه الله ـ من ألف الأعراض عن الله صحبته الوقيعة فى حق أولياء الله » (٣) .

وقد دل الحديث الالهي هذا : أن عدو ولى الله عدو لله تعالى ، فمن عاداه كان كمن حاربه . نعوذ بالله من الانكار والحرمان .

(١) « جامع كرامات الاولياء » للنبهاني ١/١٤ سورة الانفال من الآية ٣٤ .

(٢) يبدو أن المراد أن يوفقه الله فلا يكله الله الى نفسه وليس بمعنى الا تقع منه معصية .

(٣) « فتح المبين لشرح الاربعين » لابن حجر الهيتمي ٢٦٩ .

هل يعلم الولى ولايته ؟

كان الامام ابو بكر بن فورك ــ رحمه الله يقول : « لا يجوز ذلك لأنه يسلبه الخوف ، ويوجب له الأمن » .

وكان الاستاذ أبو على الدقاق ــ رحمه الله ــ يقول بجوازه ، وقال الامام القشيرى هذا هو الذى نؤثره ونقول به «وليس ذلك بواجب فى جميع الأولياء حتى يكون كل ولى علم أنه ولى واجبا ، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ، كما يجوز ألا يعلم بعضهم ، فاذا علم بعضهم أنه ولى كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها ، وليس كل كرامة لولى يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء .

وقال بعضهم يجوز أن يبلغ الولى الى حد يمنع أن يسقط عنه الخوف ، ولكن الغالب خلافه وكذا قال السرى السقطى : لو أن أحدا دخل بستانا فيه أشجار على كل شجرة طير يقول بلسان فصيح : السلام عليك ياولى الله، فلو لم يخف انه مكر لكان ممكورا به » .

فان قيل : هل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تتغير حاله ؟ فيه خلاف مبنى على خلاف ، وذلك أنه اختلف هل يشترط فى الولاية حسن الموافاة أم لا ؟ فمن شرط ذلك لم يجزه ، ومن لم يشترط أجازه ، ولكن الغالب على الولى فى أوان صحوه صدقه فى أداء حقوقه لله ، والشفقة على الخلق فى جميع أحوالهم ، ودوام تحمله عنهم ، وابتدائه بطلب الاحسان من الله اليهم من غير التماس منهم ، وترك الطمع بكل وجه فيهم ، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، ودوام حزنه وغير ذلك (١).

« كرامات الأولياء وحكمها »

ذهب أهل السنة الى جواز الكرامات لأولياء الله ، ومنهم امام المتكلمين الباقلانى وامام الحرمين ، والغزالى ، والقشيرى ، والطوسى فى « قواعد العقائد » والنسفى والبيضاوى فى « طوالعه » و « مصباحه ». وقال الشيخ ابو الوليد بن رشد فى «أجوبته» : ان انكارها، والتكذيب بها بدعة وضلالة ، يثبتها فى الناس أهل الزيغ والتعطيل ، الذين لا يقرون بالوحى والتنزيل ، ويجحدون آيات الانبياء والمرسلين.

والدليل على جوازها وقوعها اذ لو لم تكن جائزة لما وقعت ، وثبت ذلك بالكتاب السنة ، والآثار المسندة ، وهاهى قصة أهل الكهف ، وقصة الخضر مع سيدنا موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ وقصة ذى القرنين ، وما أخبر الله فى مريم من وجود فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، وقصة آصف بن برخيا مع سيدنا سليمان فى احضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف الى غير ذلك كثير .

روى الشيخان من حديث جريج : أن رسول الله ﷺ قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم

(١) « الرسالة القشيرية » ١٥٩ ، « جامع كرامات الاولياء » ١ـ٢٧ ، « اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر » ١٥٦/١ .

محدثون ، فان يك فى أمتى أحد منهم فعمر بن الخطاب .

وأنكر المعتزلة الكرامات وكذا أبو اسحاق بناء على أن امام الحرمين فى الارشاد يميل الى قريب منهم .

وحجتهم بأن الخوارق لو ظهرت على يد غير الأنبياء لالتبس النبى بالمتنبى والجواب على هذا : بأن النبى يتميز بالتحدى ودعوى النبوة .

واذا أراد الله ــ تعالى ــ ان يوالى عبده فتح عليه باب ذكره ، فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه الى مجالس الأنس .

وقد استشكل وقوع المحاربة ، وهى مفاعل من الجانبين ، مع أن المخلوق من أمر الخالق .

والجواب : أنه من المخاطبة بما يفهم ، فان الحرب تنشأ عن العداوة وغاية الحرب : الهلاك ، والله تعالى لا يغلبه غالب ، فكان المعنى تقدير من لاهلاكى اياه ، فأطلق الحرب ، وأراد لازمه ، أى أعمل به ما يعمله العدو المحارب . وكأن المعنى فيه ما اشتملت عليه تلك المعاداة من المعاندة لله بكراهة محبوبه ، ومن ثم لما وقع ذلك لابليس حين أبى عن السجود المأمور به لآدم أهلكه الله هلاكا لاشفاء له أبدا ، وفى ذلك انذار الى كل من عادى وليا لله بأنه محاربه ، فاذا أخذه على غرة كان ذلك بعد الاعذار بتقديم الانذار .

وينبغى أن يعلم أن جميع المعاصى محاربة لله ــ تعالى ــ ومن ثم قال الحسن : « يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة ، فان من عصى الله فقد حاربه ولكن كلما كان الذنب اقبح كان أشد محاربة لله تعالى ، ولهذا سمى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله، لعظم ظلمهم بعباده وسعيهم بالفساد فى بلاده .

قال الشيخ تاج الدين بن الفاكهانى : فى هذا تهديد ، لأن من حارب الله أهلكه ومن كره من من أحب الله ، فقد خالف الله وعانده ومن عانده أهلكه .

وروى الامام أحمد فى كتاب « الزهد » . أن الله تعالى قال لموسى بن عمران حين كلمه : اعلم أن من أهان لى وليا فقد بارزنى لمحاربته ، وآذانى وعرض نفسه ، ودعانى اليها ، فأنا أسرع شىء الى نصرة أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقدم أو يظن الذى يغازينى أن يعجزنى .

وهذا تهديد شديد لمن يؤذى أحدا من أولياء الله ، وان الخائض فى هذا الوادى المتضمن بسالكه الى المهالك ، انما يضر نفسه ، ولا يلحق الولى شىء من ذلك .

ونسب الى الامام أبى الحسن الأشعرى أنه قال « لحوم العلماء مسمومة » .

وان لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ومن ذاقها مات .

المعجزة والكرامة :

قال الامام أبو اسحاق الاسفراييني : المعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى ، كما أن المحكم لما كان دليلا للعالم فى كونه عالما لم يوجد الامن يكون عالما . وكان يقول : الأولياء لهم كرامات شبه اجابة الدعاء ، فأما

جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا .

وقال الامام ابو بكر بن فورك : المعجزات دلالات الصدق ، ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه فى مقالته ، وان أشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حاله ، فتسمى كرامة ، ولا تسمى معجزة . وان كانت من جنس المعجزات للفرق .

وكان رحمه الله يقول : من الفرق بين المعجزات والكرامات : أن الأنبياء عليهم السلام مامورون باظهارها ، والولى يجب عليه سترها واخفاؤها . والنبى ﷺ يدعى ذلك ويقطع القول به ، والولى لا يدعيها ، ولايقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا .

وقال عبد الغنى النابلسى : كرامة الاولياء حق : والكرامة هى أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح .

وقال القاضى أبو بكر الأشعرى ان المعجزات تختص بالانبياء ، والكرامات تكون للاولياء كما تكون للانبياء ، ولا تكون للاولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها ، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وانما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط منها لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولى لا يدعى النبوة ، والذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهذا القول الذى نعتمده ونقول به بل ندين به .

وان الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا ﷺ لأن كل من ليس بصادق فى الاسلام لا تظهر عليه الكرامة ، وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته اذا لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة .

وقد تكون الكرامة اجابة دعوة أو اظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة (١) ومن أجل الكرامات التى تكون للاولياء دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصى (٢) والمقصود من الكرامات زيادة اليقين فى التوحيد . ومن أمثلة ما روى أن عتاب بن بشير ، وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج كما روى أنه كان بين يدى سلمان وأبى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح .

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من زهد فى الدنيا أربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا فى ذلك ظهرت له الكرامات .

وهكذا نرى كثيرا من الآثار الدالة على وقوع الكرامات لصحابة رسول الله ﷺ ومن

---

(١) « المقلاة » للعاملى ٢١٢ ، « الرسالة القشيرية » ١٥٨ ــ ١٥٩ .

(٢) الرسالة القشيرية ١٦٠ ، « لطائف المنن » لابن عطاء الله السكندرى ٥٨ وما بعدها ، « جامع كرامات الاولياء » للنبهانى ٢٨/١ ، ٤٨ .

أراد المزيد فليرجع الى كتب دلائل النبوة .

وقد كثرت الكرامات بعد الصحابة ، وان ظهورها لا يدل على الأفضلية بعد زمن الصحابة لأن ايمان الصحابة كان قويا ولأن الزمان الاول كثير النور لايفتقرون لزيادة ، ولو حصلت لم تظهر لاضمحلالها فى شمس النبوة بخلاف من بعدهم (١) .

بم يكون التقرب الى الله .

أحب شيء يتقرب به الى الله تبارك وتعالى انما يكون بأداء الفرائض ، سواء أكان فرض عين أم فرض كفاية مثل الصلاة ، وأداء الحقوق الى أربابها ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبر الوالدين والجهاد ، واقامة الحرف والصنائع وغير ذلك من سائر المفروضات .

والفرض أحب الى الله تعالى من أداء النوافل لأن الفرض اكمل من حيث أن الامر به جازم ، متضمن للثواب على فعله ، والعقاب على تركه ، وروى أن ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة .

ثم ان الفرض كالأصل والأساس . أما النفل كالبناء على ذلك الاساس وأيضا فان الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر ، واحترام الآمر به وتعظيمه بالانقياد اليه ، واظهار عظمة الربوبية ، وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل .

وان العبد الذى شرفه الله بالقرب اليه ، المؤذن بمزيد رفعته ، وتأهيله الى المقام الآتى هذا العبد ما يزال يتقرب اليه بفعل التطوعات من جميع أصناف العبادات :

ظاهرها كتلاوة القرآن ، اذ هو من أعظم ما يتقرب به ، روى الترمذى : « ما تقرب العباد الى الله ــ عز وجل ــ بمثل ما خرج منه يعنى القرآن .

وقال عثمان رضى الله عنه : « لو طهرت قلوبكم ماشبعتم من كلام ربكم » .

وقال بعض العارفين لمريد : « أتحفظ القرآن قال : لا ، فقال : واغوثاه يا لله مريد لا يحفظ القرآن فبم يتنعم ؟ فبم يترنم ؟ فبم يناجى ربه عز وجل » .

وباطنها : مثل الزهد والورع ، والتوكل ، والرضا وغيرها من سائر أحوال العارفين ، سيما محبة أولياء الله وأحبابه فيه ، ومعاداة أعدائه . أخرج أبو داود : أن لله أناسا ماهم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يارسول الله من هم ؟ قال : قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون أذا خاف الناس ، لا يحزنون اذا حزن الناس ، ثم تلا هذه الآية (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

(١) « جامع كرامات الأولياء » ٣٧/١ ، « الطبقات الكبرى » للشعرانى ١٤/١ ، « اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر » ١٠١/٢ .

وأخرج أحمد : « لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ، ويبغض لله ، فاذا أحب لله ، وأبغض لله ، فقد استحق الولاية من الله

قال القشيري : قرب العبد من ربه يقع أولا بايمانه ، ثم باحسانه ، وقرب الرب من عبده مايخصه به في الدنيا من عرفانه ، وفي الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه وامتنانه ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق . وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص ، وبالتأنيس خاص بالاولياء (١)

علامة محبة الله :

ان الدليل على محبة الله تعالى أن يبغض المرء نفسه لأنها مانعة له من المحبوب ، فاذا وافقته نفسه في المحبة أحبها لا لأنها نفسه بل لأنها تحب محبوبه .

هل يجاب الولي الى سؤاله ؟

يقرر الحديث أنه يجاب الى سؤله : والله لئن سألني شيئا من أمور الدنيا والآخرة لأعطينه كما وقع لكثير من السلف وغيرهم ولئن استعاذني لأعيذنه مما يخاف وهذا حال الحبيب مع محبوبه . وهذا ايذان بأن من تقرب بمامر لايرد دعاؤه وبأن الكمل يطلب منهم الدعاء كثيرهم وقد لايجاب الولي الى سؤاله لعلم الله أن الخير له في غيره مع تعويضه له خيرا منه اما في الدنيا أو الآخرة . وفي الخبر : ان من عبادي المؤمنين من يريد بابا من العبادة فأكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده .

وقال الامام الشويري : ان الاجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة ، وتارة قد تقع الاجابة ، ولكن بغير عن المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة أو أصلح منها .

(وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن) أي ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي اياهم في قبض نفس المؤمن ، كما في قصة موسى — عليه السلام — وما كان من لطمه عين ملك الموت ، وتردده اليه مرة بعد أخرى وأضاف تعالى ذلك لنفسه ، لأن ترددهم عن أمره (يكره الموت) لمافيه من الألم العظيم (وأنا أكره مساءته .

وقال غيره : لما كانت مفارقة الروح الجسد لا تحصل الا بألم عظيم جدا . والله تعالى يكره أذى المؤمن — أطلق على ذلك الكراهة . ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة الى طول الحياة ، لأنها تؤدي الى أرذل العمر ، وتنكيس الخلق ، والرد الى أسفل سافلين .

وبعد فاللهم ردنا اليك ، واوقفنا على بابك اجعلنا لك وفيك ومعك ارضنا بخدمتك ، طهر بواطننا من غيرك ، لا ترنا حيث نهيتنا ، لا تفقدنا حيث أمرتنا ، لنذ قلوبنا واسرارنا بقربك ، وقربنا الى طاعتك اللهم آمين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) حاشية الشيخ على الدابغي على فتح المبين ٢٧٠ . جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٣٥١ ومابعدها .

حول
الاستراتيجية العسكرية الإسلامية
٤

للدكتور رءوف شلبى

الحرب الوقائية

فى الدولة الاسلامية الأولى التى اسسها سيدنا محمد ﷺ وضعت استراتيجية تفرق جموع المحتشدين للحرب ضدها قبل الزحف أو اتمام الصفوف للحفاظ على سلامة الدولة ، وكان يجب ان تكون هذه الاستراتيجية سنة مسنونة بعد ان طبقها سيدنا ابو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

والدولة الاسلامية عندما أخذت باستراتيجية حرب الوقاية وضعت هذه الحرب فى اطار التشريع العام للعمليات العسكرية مع اختلاف الوانها ودوافعها : وهو الا يقتل شيخ ولا امرأة ، ولا طفل ولا راهب فى صومعته الا ان يشترك فى القتال بحرب أو رأى ولا يهلك حرث ولا نسل .

فدائرة القتال محدودة بالعساكر المقاتلين فقط لأن العمليات العسكرية ليس الدافع اليها الانتقام من أحد بل المقصود منها تأديب التلميذ الشريد ، والعبد الآبق والرأس العنيد ، انها كعصا المعلم يصلح بها حال الطالب البليد .

واستراتيجية حرب الوقاية فى الاسلام هى من قبيل حرب الدفاع ، لأنها حرب للتجمعات المضادة قبل أن تتحرك للعمل العسكرى .

والفاحصون لأسباب السرايا والغزوات يجدون معظمها خاضع لهذه الاستراتيجية مثل غزوة غطفان وبنى سليم وغزوة ذات أمر بنجد ، وغزوة ذات الرقاع ، وغزوة بنى المصطلق وغزوة خيبر ، وغزوة ذات السلاسل، ثم غزوة تبوك .

وكان بين هذه الغزوات التى قادها النبى ﷺ بنفسه بعض السرايا التى تحركت تحت شعار استراتيجية الحرب الوقائية للدولة والدعوة والمجتمع الاسلامى .

وسوف نعرض لها بالكيفية التى تتلاءم مع طبيعة العرض فى هذه الدراسة ان شاء الله .

غزوة غطفان وتسمى غزوة قرارة الكدر فقد بلغ النبى ﷺ أن جمعا من غطفان وسليم تجمعوا عند قرارة الكدر وكان ذلك التجمع أثر بدر الكبرى واثر غزوة السويق وفيها أهينت قريش وأذل الله الكفر فلم تترك الدولة الاسلامية هذا التجمع ينتظم ليتحول الى جيش محارب فخرج اليهم رسول الله ﷺ على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة فى شهر شوال ، فأخذ عليهم الطريق فتفرقوا فى شعب الجبال فأرسل النبى ﷺ نفرا من أصحابه فى أعلى الوادى ثم التقوا به ﷺ فى بطن الوادى ونجحت الغزوة فى هدفها وهو : تفريق الجمع وظفر المسلمون بالغنائم فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة وكانوا مائتى رجل (١) .

ــ ثم كانت غزوة « ذى أمر » بنجد على رأس خمسة وعشرين شهرا فى شهر ربيع الأول كما ذكر الواقدى ، وذلك أن بنى ثعلبة ابن سعد، وبنى محارب بن خصفة بن قيس قد تجمعوا عند « ذى أمر » يريدون أن يصيبوا من المسلمين شيئا ، وكان داعيتهم لهذا التجمع دعثور بن الحارث من بنى محارب فوافاهم الجيش الاسلامى فهرب الاعراب فوق الجبال ثم جدت أحداث نتج عنها اسلام القوم وذلك أن الله سبحانه وتعالى أصاب الناس بمطر كثير فذهب النبى ﷺ لحاجته فأصابه المطر فخلع ثوبه ونشره على شجرة ليجف ثم اضطجع تحتها فبادر دعثور وأقبل مشتملا على السيف حتى قام على رأس المصطفى ﷺ وقال :

يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله ، ودفع جبريل فى صدر دعثور فوقع السيف من يده فأخذه النبى ﷺ وقام به على رأسه وقال له : من يمنعك منى اليوم ؟ فقال دعثور : لا أحد ، وأسلم وحلف لا يكثر عليه جمعا أبدا ثم ادبر فأعطاه النبى ﷺ سيفه فأتى قومه ودعاهم الى الاسلام وفيهم نزلت آيات من سورة المائدة : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » ١١ ــ المائدة (٢) .

ونجحت الغزوة التى أبعد من « استراتيجيتها » لأنها لم تفرق فقط جموع المحاربين ولكنها حولتهم الى فئة المسلمين .

ــ غزوة بنى سليم ببحران موضع بالحجاز بينه وبين المدينة ثمانية برد كانت فى جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا لأنهم تجمعوا ببحران بقصد عمل عسكرى ضد المسلمين فخرج اليهم رسول الله ﷺ فى ثلثمائة رجل فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم .

ومعنى هذا الحدث العسكرى أن بنى سليم حاولوا التجمع ثلاث مرات : ــ

مرة عقب بدر .

ومرة فى بحران .

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٠٧ الحلبية جـ ٢ ص ٢١٢ .

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١١ الحلبية جـ ٢ ص ٢١٢ .

ومرة عند ذي أمر (١) .

وبهذا تظهر أهمية استراتيجية حرب الوقاية لحماية الدولة من أمثال هؤلاء المتهورين .

ــ غزوة ذات الرقاع : وتسمى كذلك غزوة الأعاجيب ، وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة .

وسميت بغزوة ذات الرقاع لواحد من هذه الأسباب : ــ

١ ــ لأنها كانت عند جبل فيه بقع حمر وبيض وسود كأنها فى مرأى العين رقاع .

٢ ــ أو لأنهم رقعوا راياتهم .

٣ ــ أو لأنها كانت عند شجرة تسمى بذات الرقاع .

٤ ــ أو لما أورده البخارى من طريق أبى موسى قال : ــ

خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ... فنقبت أقدامنا ... وكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا (٢) .

وحديثها كما رواه برهان الدين الحلبى : أن جموعا من غطفان قد تجمعوا لمحاربة النبى ﷺ فخرج اليهم عليه الصلاة والسلام فى أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة وسار اليهم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحداً ووجد نسوة فأخذهن ثم بقى بعد ذلك جمعا فخاف بعضهم بعضا أى خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم غارون أى غافلون حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف (٣) ولم يحدث فى هذه الغزوة قتال وتفرق القوم دون كيد .

ــ غزوة دومة الجندل ــ بضم الدال قال الجوهرى : الصواب الضم وأخطأ المحدثون فى الفتح

وهى بلدة على مقربة من دمشق تبعد عن المدينة بخمس عشرة ليلة وهى أقرب الى تبوك .

وقعت هذه الغزوة فى ربيع الأول سنة خمس من الهجرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعا كثيفا بها يريدون الدنو من المدينة فخرج اليهم رسول الله ﷺ فى ألف رجل من المسلمين فلما جاءهم الخبر تفرقوا وقد تركوا رعاتهم وماشيتهم فأصاب منها المسلمون ما أصابوا ، وهرب ما هرب (٤) .

ــ غزوة المريسيع ويقال لها غزوة بنى المصطلق ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق بمعنى رفع الصوت ، والمريسيع اسم لماء من مياههم مشتق من رسعت عين الرجل اذا دمعت وهو ماء فى ناحية قديد .

وخبرها ان سيد بنى المصطلق : الحرث ابن ضرار جمع جمعا لحرب رسول الله ﷺ : من قدر عليهم من العرب ومن قومه فلما سمع النبى ﷺ بذلك أرسل من يستطلع له جلية الأمر فذهب بريده بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج الأسلمى فأتى بخبرهم

٥

(١) الحلبية جـ ٢ ص ٢١٣ امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٢ .

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٨٨ راجع البخارى جـ ٥ ص ١٤٥ الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الحلبية جـ ٢ ص ٢٧١ .

(٤) راجع ابن سعد فى الطبقات جـ ٢ ص ٦٣ امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٩٤ الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٧ .

فندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم وخرجوا للغزو في شعبان سنة خمس من الهجرة ، ودارت معركة حامية فلم يفلت من المشركين واحد وقتل منهم عشرة رجال وأسر الباقي وغنمت الابل والشاء ولم يقتل من المسلمين الا واحد خطأ هو هشام بن صبابة .

* ومن أخبار هذه الغزوة اسلام جويرية بنت الحارث وزواج النبي ﷺ منها .

وأنها كانت بركة على قومها فقد جعل رسول الله ﷺ صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق .

* ومنها اخبارها ما نزل من القرآن الكريم بصدق زيد بن أرقم في نقله لرسول الله ﷺ من مقالة رأس النفاق ابن سلول وقد قال النبي ﷺ: وفت اذنك ياغلام وصدق الله حديثك . والذي نزل :﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ (١) .

* وقد أسلم الحارث بن ضرار رضي الله (٢) عنه فتم النصر للغزوة بأمور كثيرة : —

— انهاء تجمع عسكري مضاد .

— تحويل حصيلة كبيرة لاقتصاد المسلمين .

— ثم تحويل الجمع المحارب الى فئة المسلمين .

— وكشف ما كان في صدور المنافقين .

— غزوة خيبر ، وسميت خيبر على اسم رجل من العماليق يسمى « خيبر » وهو أخو يثرب الذي سميت باسمه مدينة يثرب قبل الاسلام .

ومعنى خيبر في اللسان العبري :الحصن ، وقيل لها (خيابر) لاشتمالها على حصون عدة ، وكانت هذه الغزوة في شهر صفر سنة سبع من الهجرة ، ونقل عن الامام مالك أن خيبر كانت سنة ست ، والسبب في غزوها راجع الى علة طويلة في التخطيط اليهودي السري ضد الاسلام ، فبعد أن صفى رسول الله ﷺ معسكر بني قريظة من المقاتلين عوفيت المدينة المنورة تماما من ضواحيها من اليهود فقد رحل بنو قينقاع وأهلكهم الله جميعا ، ثم رحلت بنو النضير ، وقضى على المقاتلين من بني قريظة وكانت هذه العمليات التأديبية كافية للعقلية اليهودية في أن ترجع الى الحق الذي تعرفه لكنهم يهود أصحاب التيه ، والبقرة ، وقتلة الانبياء فلم يرعووا بعد الذي وقع لهم .. وهو قد وقع كما جاء في كتبهم على أنه علامة صدق النبوة الخاتمة ، فسار ابن نويرة الأشجعي اليهودي حتى وصل الى خيبر وأعلم سلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، ويهود بني النضير ، ويهود خيبر بأن رسول الله ﷺ قد قتل جميع محاربي بني قريظة بالسيف فقرر سلام بن مشكم أن يجمع كل اليهود في خيبر ، وتيماء ، وفدك ، ووادي القرى وان يغزو محمدا في عقر داره على الا يجلبوا معهم أحدا من العرب فهي مواجهة يهودية صرفة أمام الاسلام وحده .

ولما كانت الدولة الاسلامية الاولى يقظة واعية لكل ما يدور حولها فقد أسرعت لمباغتة هذا الحشد اليهودي الحقود فاستنفر رسول

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٥٥ الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٨ زاد المعاد جـ ٣ ص ٢٥٧ .

(٢) الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٨ .

الله ﷺ المخلصين فى الجهاد ومنع طالب الغنيمة من الاشتراك فى هذه الحرب وقال : لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد واما الغنيمة فلا • وبعث ﷺ مناديا ينادى : لا يخرجن معنا الا راغب الجهاد •

ولما أشرف النبى ﷺ على خيبر علّم أصحبه دعاء جامعا فقال ﷺ قولوا :

اللهم رب السموات السبع وما أظلت •

ورب الارضين السبع وما أقلت •

ورب الشياطين وما أضلت •

ورب الرياح وما ذرت •

فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها • ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ثم قال : ادخلوا على بركة الله (١) •

وظن اليهود ـ لعائن الله عليهم أجمعين ـ أن رسول الله ﷺ لن يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم ، وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا صفوفا ويقولون : هيهات هيهات ... محمد يغزونا لكن الله جل شأنه عمى عليهم فخرج النبى ﷺ حتى نزل بساحتهم ودارت المعارك حصنا حصنا حتى رضخت يهود الى الصلح على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد • ودفع لهم الارض مزارعة على النصف ، وذلك بعد أن غنم المسلمون منهم مغانم كثيرة عدها علماء السيرة فى كتبهم (٢)•

ومن أخبار هذه الغزوة :

* أن عيينة بن حصن أقبل بأربعة آلاف من غطفان مددا لليهود على المسلمين فأرسل اليه النبى ﷺ أن يرجع وله نصف ثمر خيبر فابى أن يتخلى عن حلفائه فبعث الله على غطفان الرعب فخرجوا هاربين من الرعب فخل عدو الله •

* وأن يهوديا من حصن النطاة أمن وأسلم ودلّ المسلمين على عورات الحصن فسهل الله به فتح خيبر للمسلمين •

* ونهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء وعن كل ذى ناب ومخلب ، وقد خالف ابن القيم فى تحريم متعة النساء فى هذه الغزوة وقال انها حرمت فى غزوة الفتح (٣) •

* وغضب رسول الله ﷺ لا ختراق صفية بنت حيى وغيرها الطريق الذى كان فيه قتلى خيبر لما فى مرأى ذلك من الم على نفوسهن ، وتزوجها رسول الله ﷺ فصارت اما من أمهات المؤمنين •

* وفيها أن زينب ابنة الحارث اليهودية ذبحت عنزا لها وطبختها وسمتها فتناول النبى ﷺ الذراع ، وتناول بشر بن البراء مثلما ، وانتهش رسول الله ﷺ ثم ازدرد وقال : كفوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى أنها

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣١٠ الحلبية جـ ٣ ص ٣٢ •

(٢) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣١٩ـ٣٢٠ الحلبية جـ ٣ ص ٣٠ وما بعدها زاد المعاد جـ ٣ ص ١٤٣ •

(٣) راجع زاد المعاد جـ ٣ ص.٢٤٣ ، امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣١٧ راجع البخارى جـ ٥ ص ١٧٩ •

مسمومة ، فقال بشر بن البراء ، والله يا رسول الله وجدت ذلك من أكلتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها الا كراهية أنغص عليك طعامك فلم يرم بشر من مكانه حتى تغير ثم مات .

ودعا رسول الله ﷺ زينب وقال : لم سممت الذراع ؟ قالت : من أخبرك ؟ قال الذراع ، قالت : قتلت أبي وعمي وزوجي ، ونلت من قومي ما نلت ، فقلت : ان كان نبيا فستخبره الشاة ، وان كان ملكا استرحنا منه ، وقد اختلفت الآثار في نهايتها (١) .

ومن أخبارها كذلك أن النبي ﷺ استمر في العمليات العسكرية حتى ذهب الى وادي القرى حيث تجمعت فلول من اليهود مع قلة ضعيفة من العرب فكانت غزوة ذات القرى فدعاهم النبي ﷺ الى الاسلام فأبوا فقاتلهم حتى انهزموا وفتحت وادي القرى عنوة وغنم المسلمون ما فيها ، فلم يسع يهود تيماء وفدك الا ان صالحوا رسول الله ﷺ فصالحهم على الجزية وأقامهم النبي ﷺ على أموالهم (٢).

غزوة تبوك : وتسمى غزوة العسرة وهي آخر غزوة غزاها النبي ﷺ وهي تمثل العين الساهرة على حماية الدولة من أي خطر : قريبا كان أم بعيدا ، جليلا كان أم حقيرا بعدت شقته ام سهلت ، فان العقلية الاسلامية يقظة دائما لأنها تحرس في سبيل الله .

والذي يفحص العمليات العسكرية بعد غزوة الخندق وهي حرب دفاعية بالدرجة الاولى يجد أن قريشا خرجت من غزوة الاحزاب وأنا أقترح أن يتفق على اصطلاح في السيرة النبوية : بأن نطلق على هذه الغزوة « غزوة الاحزاب » ساعة أن يكون الحديث دائرا مع قريش ، وأن نطلق عليها « غزوة الخندق » ساعة أن نتشرف بالحديث عنها في جانب سيدنا رسول الله ﷺ والصحابة الميامين ، وذلك لأن الوصف يتتبع الموصوف فقريش تحزبت ، والنبي ﷺ وجماعة المسلمين تخندقوا ... على كل حال خرجت قريش من غزوة الأحزاب بغضب من الله أتبعه قحط وجدب انهار بعدهما اقتصاد قريش وتحطم كيانها وضعضع من همتها وفل من ارادتها فكان من اثر ذلك موافقتها على صلح الحديبية وكانت من قبل هي التي تركب الصعب والذلول من أجل قتال الاسلام ونبيه ﷺ والمسلمين معه .

وكان من آثار هذا الصلح المجيد :

* أن تفرغت الدعوة للاعراب عن طبيعتها دبلوماسيا » فراحت وفود السفراء شرقا وغربا تحمل رسائل النبي ﷺ الى الملوك والرؤساء ومن بينهم رسالة الى قيصر الروم فأقر بالنبوة لسيدنا محمد ﷺ وحبسه الباطل الذي يتربع على عرشه ونخير قساوسته وجحودهم الحق الذي يكتمونه ويعرفون انه ظاهر لا محالة ، وبذلك نطق هرقل وقال : لئن كان ليملكن ما تحت قدمي هاتين .

* أن تفرغت العسكرية الاسلامية لتطهير

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٢٢ زاد المعاد جـ ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٢١_٣٢٢ راجع زاد المعاد جـ ٢ ص ٢٥٥ .

الأرض الاسلامية من اليهــود فكانت غزوات عدة وسرايا أنهت حلف اليهــود فى « خيبر » « وتيماء » ، « وفدك » ، « ووادى القرى »، ودخلت يهود فى ظل الدولة الاسلامية تعمــل عندها بأجر لا سيادة لها ولا سيف ، ولا ثقل فى الاقتصاد ، ولا فى الحياة الاجتماعية فهم جالية تعيش فى أمن مــا دامت لا تخــون ولا تغدر .

* وكانت فرصة ليراجــع العرب فيهــا أنفسهم ويحاســبوا تصرفــاتهم ويتفكروا فى جدية نقية فى أمر الدين وكيف نشأ ثم ترعرع وهم كالماء الراكد لا يزيده الزمــن الا تعفنــا بينما عبير الاسلام يطير عبقا ملء الكون الذى ينتشر فى كــل ســهل ومنتج صــباح كل يوم ومشرق كل شمس .

اذن هرقل أو قيصر الروم يعرف أن محمدا ﷺ صادق ، وتعرف قساوسته أنه قــد جاء بالوحى الصادق والدين الأخير ولكن ايمانهم به سيحولهم الى عامة فى الناس لا ملك لهم ولا رياسة ، ولا تسلط ، ولا كبرياء ، ولا شراهة ، استبداد لا ... لا .

وكان أبو عامر الراهب الفاســق يحاول أن يثير هرقل ضــد الاســلام والمسلمين فبنى مسجد الضرار ، وراح يطلب من هرقل جيشا يحارب به الاسلام فى المدينة ، ولم يرعو بعد الهزائم الكثيرة التى لحقت باخوانه ورفاقه من المنافقين واليهود ... ولم تغفل عين الدولــة الاســلامية عن هذا الدس الخسيس ، والنهج الارعن ، فما أن علم النبى ﷺ أن جمــوعا كثيرة بالشام تريد الزحف الى المــدينة حتى استنفر ﷺ الناس ، وخالف عادته ﷺ ولم يور بل حدد جهة الغزوة .

وكان من أهمية هــذه الغــزوة فضــلا عن العسكرية الوقائية أنها فضحت النفاق ووضعت حدا له ووضــحت معنى التبعية لهذا الدين وأنها ليست فى الصلاة خلف النبى ﷺ فحسب بل هى السمع والطاعة لله ولرسول الله ﷺ فى المنشط والمكره ، فى العسرة وفى الرخاء .

ثم كانت كذلك درسا فى معنى التوبة ، وأن الله تعالى لا يقبل الكذب على رسوله ﷺ ، ويتوب عمن تخلف ولو بغير عذر الا أنه صدق مع رسول الله ﷺ ، فالمجتمع الاســلامى : رئيسا وأمة لا تعرف قنوات الاتصال بينهم الا الصدق ، والمودة ، والمعاونة ، والعفو عنــد الاساءة والسماح عند القدرة (١) .

وخرج النبى ﷺ فى شهر رجب مــن العام التاسع الهجرى والناس فى جدب وعسرة ومع هذا تبرع ابو بكر بكل ماله ، وعمر بنصف ماله، وعثمان جهز مائة فرس وحمل على تسعمائــة بعير وقدم عشرة آلاف دينار ، وخرج ﷺ فى جيش كبير مهيب حتى وصل تبوك فلم يجــد جمعا ، لكنه ﷺ أمن حدود الديار الاسلامية فصالح صاحبأيلة (القدس) وأهل جــرباء وأهل أزرح وأهل تيماء ، ثم قدم المدينة ﷺ فى رمضان فأمر بهدم مسجد الضرار .

ومن أخبار هذه الغزوة :

* الخطبة الجامعة للنبى ﷺحين أصبح فى تبوك وتعتبر ـــ كما أوردها المقريزى فى أمتاع

(١) راجع بالتفصيل كتابنا الدعوة الاسلامية فى عهدها المدنى الباب الثالث .

الاسماع ــ دستور للعلاقات الرفيعة بين المسلمين فى احترام اعراضهم ، ودمائهم ونسائهم وأموالهم .

فقد سار رسول الله ﷺ فلما أصبح بتبوك جمع الناس ثم قال :

أيها الناس أما بعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنن محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الانبياء وأشرف القتل قتل الشهداء ، وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير الاعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة . ومن الناس من لا يأتى الجمعة الا نزرا ، ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا .

ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب . وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما ألقى فى القلب اليقين ، والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم . والسكر كى من النار .والشعر من ابليس ، والخمر جماع الاثم .والنساء حبالة ابليس والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المال أكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وانما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع والأمر الى آخره ، وملاك العمل خواتمه . وشر الرؤيا رؤيا الكذب ، وكل ما هو آت قريب . وسباب المؤمن فسوق ، وقتل المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه . ومن يتال (١) على الله يكذبه . ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله . ومن يتتبع السمعة يسمع الله به . ومن يصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه . اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، أستغفر الله لى ولكم .

وطاف على ناقته بالناس وهو يقول : يا أيها الناس يد الله فوق يد المعطى ، ويد المعطى الوسطى ويد المعطى السفلى . أيها الناس ! فتغنوا ولو بحزم الحطب . اللهم هل بلغت ! ثلاثا . فقال له رجل من بنى عذرة ــ يقال له عدى ــ : يارسول الله ! أن امرأتين لى اقتتلتا ، فرميت فأصبت احداهما فى رميتى ؟ (يعنى ماتت) ، فقال له :تعقلها ولا ترثها .

وبعد :

فان هذه الاستراتيجية العسكرية لم تكن نشاطا عسكريا مؤقتا بل كانت قاعدة فقهية يجب ان يلتزم بها حكام الدولة الاسلامية من بعد رسول الله ﷺ ، وهذا هو السر الذى جعل سيدنا ابو بكر ــ رضى الله عنه ــ يقول فى مانعى الزكاة : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.اهـ

رءوف شلبى

من الوثائق الإسلامية الأولى

وثيقة حلف بين سكان المدينة

للأستاذ محمود محمد رسلان

هذه الوثيقة ذكر من أمرها ابن هشام — رضى الله عنه — نقلا عن ابن اسحاق الذى قال : وكتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم (١)

وكان ذلك قبل الاذن بالقتال وأخذ الجزية ممن أبى الاسلام .

كانت الوثيقة عهدا نبويا ذكره ابن اسحق بدون اسناد فى نحو أربع صفحات (٢) ، وذكره مسندا — فى كتاب الأموال — أبوعبيد القاسم ابن سلام اللغوى الفقيه الاديب عن الزهرى بسند جيد وأورده ابن كثير — رضى الله عنه فى البداية والنهاية (٣) وقدمه محققا فى « مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة » الدكتور محمد حميد الله (٤) .

وتعد هذه الوثيقة النبوية الشريفة من أولى الوثائق الاسلامية لمالها من دلالة على حنكة الرسول — صلى الله عليه وسلم — لجمع الكلمة واقامة وحدة فعالة تكون فيها الحيطة للدولة الناشئة لحسن الزود عنها والترابط بين مواطنيها ، وتقدمها كاملة برواية أبى عبيد رحمه الله . قال (٥) أبو عبيد :

(هذا كتاب رسول الله ﷺ بين المؤمنين وأهل يثرب)

(وموادعته يهودها ، مقدمه المدينة)

— حدثنى يحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح قالا : حدثنا الليث بن سعد قال حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه

٣

---

(١) ابن هشام — سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ٢ — ١١٩ طبعة الشعب .

(٢) ٢ — ١١٩ ، ١٢٣ نفس المصدر .

(٣) ٣—٢٢٤ ، ٢٢٦ بيروت .

(٤) ص ٣٩—٤٧ ط ثالثة ١٣٨٩ دار الارشاد .

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام — كتاب الاموال ص ٢٦٠ دار الفكر ط ٢ ثانية ١٣٩٥ .

قال : بلغنى أن رسـول اللـه ﷺ كتب بهذا الكتاب :

« هذا الكتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين : قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم ، فحل معهم وجاهد معهم (*) . انهم أمة واحدة دون الناس . والمهاجرون من قريش ــ قال ابن بكير : ربعاتهم قال أبو عبيد والمحفوظ عندنا رباعتهم (١) ــ يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى (٢) وقال عبد الله بن صالح : ربعاتهم، وهم يفدون عانيهم (٣) بالمعروف والقسط بين المؤمنين والمسلمين ، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحرث بن الخزرج على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالقسط والمعروف بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو النبيت على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا (٤) منهم أن يعينوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وان المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى وابتغى منهم دسيعة ظلم أو اثم (٥)، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن ايديهم عليه جميعه . ولو كان ولد أحدهم لايقتل مؤمن مؤمنا فى كافر (٦) ولا ينصر كافرا على مؤمن (٧) ، والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس : وأنه من تبعنا من اليهود فان له المعروف والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصر عليهم ، وأن سلم المؤمنين واحد ، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن فى

(*) قال محققه الشيخ محمد خليل هراس : يعنى بهم كل من هاجر الى المدينة من سائر العرب مسلما .

(١) يقال : فلان على رباعة ــ بكسر الراء ــ اذا كان واقدهم وتقييمهم . ويفتح الراء ان جعل مصدرا : اى على شأنهم وعادتهم من احكام الديات والدماء .

(٢) معاقل جمع مفرده معقلة ، والمعقلة ــ هنا : الدية .

(٣) : الاسير جمعه عناة ــ بزنة قضاه .

(٤) المفرح : المثقل بالدين .

(٥) دسيعة ظلم : عطية ظلم .

(٦) يعنى لا يجوز لمؤمن ولى دم أن يقتل مؤمنا فى كافر .

(٧) كذلك لا يجوز لمؤمن ان ينصر كافرا على مؤمن عصبية ، وانما تكون النصرة للحق مطلقا ومن كان مؤمنا حقا رضى بالحق له او عليه ...

« مجلة الازهر »

قتال فى سبيل الله (٨) ، الا على سواء وعدل بينهم وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هذا وأقومه . وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا يعينها على مؤمن ، وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا فانه قود (٩) ، الا أن يرضى ولى المقتول بالعقل . وأن المؤمنين عليها كافة . وأنه لا يحل لمؤمن اقر بما فى هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه . فمن نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه الى يوم القيامة لايقبل منهصرف ولاعدل(١) وأنكم ما اختلفتم فيه من شىء فان حكمه الى الله تبارك وتعالى والى الرسول ﷺ . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين (٢) . وأن يهود بنى عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين (٣) لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم، الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ (٤) الا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الحرث مثل ما ليهود بنى عوف ،وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، الا من ظلم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وأنه لا يخرج أحد منهم الا باذن محمد ﷺ ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصيحة والنصر للمظلوم . وأن المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فان أمره الى الله والى محمد النبى ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وأنهم اذا دعوا اليهود الى صلح حليف لهم فانهم يصالحونه ، وان دعونا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الا من حارب الدين ، وعلى كل أناس حصتهم من النفقة .

وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة ، وأن بنى الشطبة بطن من جفنه ، وأن البر دون الاثم فلا يكسب كاسب الا على نفسه وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وابره . لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن ، الا من ظلم وأثم ، والى أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن . »اهـ

ولقد أتبع أبو عبيد رحمه الله هذه العهدة بشرح أجلى عن محتواها وحدده وبخاصة فيما كان غريبا على المطالع أو كان يطمع بشأنه فى ايضاح ، فقال :

« ولا يجير مشرك مالا لقريش » يعنى اليهود الذين كان وادعهم يقول : فليس من

(٨) اى لا يجوز لمؤمن — فى الحرب — أن يسالم غير المؤمن الا على صلح وهدنة متفق عليهما .

(٩) اى قصاص .

(١) قيل : الصرف : الفريضة ، والعدل : النافلة — ولابى عبيد اختيار حسن .

(٢) تعنى الجملة الشريفة وجوب مشاركة يهود المدينة فى نفقات الحرب اذا دهم العدو المدينة المنورة .

(٣) تجد شرحا لها بنهاية المقال من كلام أبى عبيد رضى الله عنه .

(٤) اوتغ نفسه : أهلكها .

موادعتهم أن يجيروا أموال أعدائه ولايعينوهم عليه » اهـ

وفيما قدم د / رءوف شلبي من دراسة قيمة لحروب رسول الله ﷺ يتبين أهمية هذا الشرط ، فمعنى أن يحمى يهود المدينة أموالا لقريش أنهم يغتصبون المؤمنين أموالهم ، ولقد قامت أكثر من مطاردة من المسلمين لعير قريش بغية استرداد أموالهم .

قال أبو عبيد :

ومن اعتبط مؤمنا قتلا فهو قود :

الاعتباط أن يقتله بريا محرم الدم ، وأصل الاعتباط في الابل تنحر بلا داء يكون بها .

وقال ــ رضي الله عنه :

« ولا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا أو يؤويه »

المحدث : كل من أتى حدا من حدود الله عز وجل ، فليس لأحد منعه من اقامة الحد عليه ، وهذا شبيه بقوله الآخر : من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره .

وقوله :

« لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

حدثنا هشيم عن رجل سماه عن مكحول قال : الصرف : التوبة والعدل الفدية قال أبو عبيد : وهذا أحب الى من قول من يقول : الفريضة والتطوع لقول الله تبارك وتعالى : « ولا يؤخذ منها عدل » فكل شيء فدى به شيء فهو عدله .

قال أبو عبيد :

« وان يهود بني عوف أمة من المؤمنين » انما أراد نصرهم المؤمنين ومعاونتهم اياهم على عدوهم بالنفقة التي شرطها عليهم ، فأما الدين فليسوا منه في شيء الا تراه قد بين ذلك فقال : لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم .

وختم ــ رضي الله عنه ــ كلمته بشأن هذه العهده فبين أنها كانت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

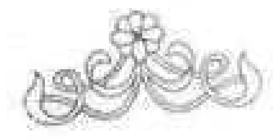
« .. قبل أن يظهر الاسلام ويقوى ، وقبل ثلاثفرق : بنو القينقاع ، والنضير ، وقريظة، ان يؤمر باخذ الجزية من اهل الكتاب وكانوا فاول فرقةغدرت ونقضت الموادعة بنو القينقاع، وكانوا حلفاء عبد الله بن ابي بن سلول رأس المنافقين) فاجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة، ثم بنو النضير ، ثم بنو قريظة .

محمود محمد رسلان

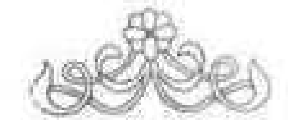


مع الإسلام

المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري



مع التاريخ ... والقصة الباكية



من أعلام الأزهر

المذهبية الإسلامية و التغيير الحضاري

تأليف د. محسن عبد الحميد

(المذهبية الاسلامية والتغير الحضـارى) عنوان الكتاب الذى صدر عن سلسلة « كتاب الامة » التى تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى دولة قطر «عدد جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ » وهو من تأليف الدكتور محسن عبد الحميد استاذ التفسير والفكر الاسلامى الحديث فى جامعة بغداد .

ويقع الكتاب فى مائة وثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط ، ويشمل ثلاثة عشر فصلا هى بالترتيب .

تحديد المصطلح ــ المذهبية الاسلامية بين الوحى والفكر ــ والمذهبية الاسلامية ونمطها الخاص ــ مذهبية شاملة ــ المذهبية الاسلامية ودور الانسان فى التغيير ــ المذهبية الاسلامية والنظرة الشمولية للانسان ــ المذهبية الاسلامية وجوهر الانسان ــ المذهبية الاسلامية والمجال الغيبى ــ المذهبية الاسلامية والحل المرحلى ــ المذهبية الاسلامية وقضية المستضعفين ــ المذهبية الاسلامية والمصطلح الحضارى ــ المذهبية الاسلامية والقومية ــ المذهبية الاسلامية وأزمة المثقفين .

* فى الفصل الاول (تحديد المصطلح) يقدم المؤلف توضيحا لما يقصده من عبارة « المذهبية الاسلامية » وبين يدى ذلك يذكر أن كثيرا من الكتاب الاسلاميين يستعملون عبارة « الفكر الاسلامى » أو « الفكرة الاسلامية » بمعنى الاسلام ، وهؤلاء فى نظر المؤلف مخطئون « لأنه اذا صح اطلاق معنى « الفكر الاسلامى » على ما أنتجه الفكر المسلم ، فانه لا يصح أن يستعمل للدلالة على الوحى الالهى للاسلام ، حتى لا يؤدى ذلك الى الخلط بين الوحى والفكر .

والى جانب هؤلاء ، فهناك من يستعمل كلمة « المذهبية » للدلالة على ما ذهب اليه الاسلام فى أمور الكون وخالقه والحياة والانسان ، ويرى المؤلف أن هذه اللفظة يمكن أن تتحول الى اصطلاح يحقق هدف الاسلاميين من اطلاقهم لفظ « الفكر الاسلامى » بالمعنى الشامل للاسلام كتابا وسنة .

كذلك يرى المؤلف أن عبارة « العقيدة

عرض وتعليق
أ.د. طه مصطفى أبو كريشه

الاسلامية » لا تغنى هنا ، لأنها تشمل الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر فقط بينما « المذهبية الاسلامية » تشمل العقيدة الاسلامية وتشمل غيرها من الكليات التى ارتضاها الاسلام فى العالم المادى لضبط حركته ، سواء فى الحياة عموما ، أو فى المجتمع أو داخل عالم الانسان من حيث هو فرد .

— ٣ —

** وفى الفصل الثانى (المذهبية الاسلامية بين الوحى والفكر) يذكر المؤلف انه لابد من وضع فاصل بين ما هو وحى الهى ، وبين ما هو جهد بشرى أو فكر بشرى لمسائل تدور حول الوحى الالهى وتفسيره وشرحه .. وفى رأيه أن تسمية الوحى وما حوله من فكر ، بالفكر الاسلامى ، خطأ كبير — وهو خطأ شجع أصحاب المذاهب المادية على تسمية الوحى والفكر معا باسم « التراث » ، وعلى النظر اليهما معا نظرة زمنية مرتبطة بالماضى فحسب، مع أن الوحى يمثل الحقيقة الأزلية التى لا ترتبط بالزمن ، ولا تخضع له .

وهنا يكشف المؤلف عن دور الدارسين الماديين ، من خلال مؤلفاتهم المتعددة ، التى جاءت تحمل فى عناوينها كلمة « التراث » اذ جمعوا فى هذه المؤلفات بين الوحى والفكر فى نظرة واحدة متساوية ، طبقوا من خلالها فلسفتهم المادية ، التى تنادى بضرورة التغيير، ذلك حين أخذوا ببعض الجوانب من التراث دون بعض ، وهى الجوانب التى يرون فيهما مشابه مما يدعون اليه من المساواة أو العدل الاجتماعى حتى يوهموا الناس بأنه لا خوف من المذاهب المادية التى تهدف الى مثل ذلك ، بغض النظر عما فيها من الحاد . وهذا هو التلفيق الذى قد يخفى على الكثيرين من ذوى النية الحسنة ، وهو من غير شك تلفيق مرفوض ، لأنه يضحى فيه بالاسلام ، بينما يعمل على تمهيد الطريق أمام تلك المذاهب لتصل الى قلوب أمثال هؤلاء . وكذلك لكى تعيش فى أرض الاسلام قيم تتعارض مع أصوله الى جانب تلك التى آثروها بالرضا خدمة لأهدافهم المادية .

— ٤ —

** وفى الفصل الثالث « المذهبية الاسلامية ونمطها الخاص » يذكر المؤلف أن كل مجتمع انسانى له حضارته الخاصة به ، وهى حضارة يشكلها التطور التاريخى للأمم فى العقيدة والثقافة والادب والفن والأعراف والتقاليد . واذا أريد الحفاظ على أى حضارة، فان ذلك يكون من خلال اجراء تغيير فى الاطار الخاص بها حتى لا تفقد خصائصها وتذوب فى حضارات أمم أخرى .

والمجتمع الاسلامى ، مجتمع صاغه الاسلام منذ أربعة عشر قرنا صياغة حضارية ، انطلقت من مذهبية فى الكون والحياة والمجتمع . ولذلك فان أى تخطيط للتغيير الاجتماعى لابد أن

يجرى فى اطار الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، حتى تحافظ الحضارة الاسلامية على اسسها وخصائصها ولا تنحرف وتسقط أمام حضارات أخرى .

ولقد أثبت التاريخ أن الامة الاسلامية رفضت محاولات اسقاطها النهائى أمام الامم الأخرى وحضاراتها ، لأن نمطها يختلف عن النمط الحضارى الاسلامى فى جذوره وخصائصه وتطوره . وذلك على الرغم من غزو الحضارة الغربية لقيمها وحياتها وسلوك أفرادها ، وهو غزو كان يهدف الى تفجير المجتمع الاسلامى من الداخل ، واحداث التغيير على أسس هذه الحضارة الغازية .

ويرى المؤلف انه على الرغم من عدم السقوط النهائى ، فان هناك حالة خطيرة من الضياع والحيرة والانفصام ، بحيث لو استمرت لجعلت الخروج السريع من الفوضى الحضارية فى حكم المستحيل ، واذا لم يكن هناك خروج سريع فان ذلك سيمكن الاعداء من الاحاطة بالامة الاسلامية من كل جانب .

واذن فما الحل ؟ يرى المؤلف أن هناك حلين مطروحين فى الساحة الاسلامية .

احدهما : يقوم على ضوء المذهبيات المادية ، وفيه عزل كامل للاسلام عن مجتمعه من حيث هو دين . وفيه كذلك قطع للامة عن ماضيها ، وايجاد لأمة أخرى بعقائد وقيم جديدة ، ومن ثم فهو حل مرفوض ..

اما الحل الثانى : فهو الذى يقوم فى اطار المذهبية الاسلامية الشاملة ، التى تميز الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم ، ولا مناص من الأخذ القاطع بهذا الحل ، الذى هو طريق الاسلام الحق . وهذا لا يعنى الوقوف عند الماضى ، فالاسلام من حيث هو وحى ، هو ماض وحاضر ومستقبل وهو حركة دائمة ، تدعو الى التجديد الدائم ، لتحقيق الأمانة الكبرى فى تحقيق خلافة الله على الأرض ولن يكون ذلك الا بتسخير قوى المادة فى ظل التوجيه الاسلامى ليتحقق صلاحها والانتفاع بها ، ذلك لأن هذه المادة فى غياب التوجيه الاسلامى ، قد صنعت منها المدمر فى تلك المجتمعات الغربية ، والشواهد على ذلك كثيرة فى الماضى القريب والحاضر المشاهد .

— ٥ —

** وفى الفصل الرابع (مذهبية شاملة). يعرض المؤلف لنظرة الاسلام الى الكون والمجتمع والانسان فنظرته الى الكون قائمة على أساس دقته وتناسقه وتوازنه وغائيته ، وكل شىء فيه يقوم على التكامل والتعاضد لا على التضاد والتناقض .

ونظرة الاسلام الى المجتمع قائمة على أساس الوحدة البشرية ، وافضل الناس عند الله أتقاهم ، وهم لم يخلقوا عبثا ، ولم يتركهم الله سبحانه وتعالى يتخبطون فى الأخطاء حسب مصالحهم وأهوائهم ، وانما ارتضى لهم اصول انظمة حيوية فطرية ، وردت فى نصوص دقيقة محكمة .

اما نظرته الى الانسان فهى قائمة على انه خليفة الله المكرم فى أرضه ، يتحرك ويعمل فى اطار القوانين المادية ، فى داخل التزام حقيقى بعبادة الله سبحانه وتعالى .

وحول نظرة الاسلام الى الكون وما فيه من ماديات يطرح المؤلف سؤالا ، ما موقف الاسلام من العلوم الانسانية الحديثة ؟ وما موقفه من العلم فى صورته المادية ؟ وهل يأخذه دون تردد أو مناقشة ؟

وفى الجواب عن ذلك يذكر المؤلف أن العلوم الانسانية الحديثة وان كانت قد تحركت فى الاتجاهات التى رسمتها الفلسفة المادية الا أنه من الممكن أن ينتشلها المنهج التغييرى الاسلامى من الجانب الماضى ، ويعيد اليها توازنها ، لتصطبغ بالصبغة الاسلامية .

أما العلم المادى ، فان تسخيره بأوسع مجال ممكن فى بناء حياتنا الجديدة ، يتفق تماما مع ما يريده الاسلام من الحركة فى الحياة واستعمار الأرض ، وبناء الحضارة وتحقيق الخلافة ، على أن ينحى من هذا التسخير ما انحرف نحوه الغرب عن طريق المادة ، بصورة أدت الى الحاق الضرر بالمجتمع الانسانى فى قيمه وأخلاقه ، وعقيدته وتقاليده، ان المادة فى ظل التوجيه الاسلامى سوف تخدم الانسانية خدمة أنفع لها من تقديم اختراعات جديدة ، فالمجتمع فى حاجة الى توجيه رشيد أكثر من حاجته الى اختراع جديد ..

— ٦ —

* وفى الفصل الخامس (المذهبية الاسلامية ودور الانسان فى التغيير) بين المؤلف أن الانسان هو مدار الحركة الحضارية فى الاسلام وهو خليفة الله فى أرضه ، مصداقا لقوله تعالى : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » البقرة ٣٠ .

وقوله تعالى « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ » الانعام ١٦٥ .

ويقوم الانسان بهذا الدور التاريخى من خلال عقله وشعوره وتأمله وطاقاته الكثيرة التى زوده الله تعالى بها . وآيات القرآن الكريم صريحة فى اعطاء هذا الدور للانسان ، وكذلك فان حياة النبى ﷺ وحياة صحابته الكرام والأجيال الأولى من المسلمين تمثل هذه القضية تمثيلا واضحا . وان نظرة متأنية على صفحات التاريخ ترينا كيف قام الانسان المسلم بدوره فى مختلف المجالات ومن ثم كان بين أيدينا الآن هذا الرصيد الكبير من آثار المسلمين الذين قدروا أمانة استخلافهم وتمكينهم فى الأرض حق قدرها ، وهو الأمر الذى يرد كل محاولة تشكك فى المجهود الذى بذله وقام به أبناء الاسلام .

واليوم — قياسا على ما سلف — اذا كنا نريد بناء حضارة انسانية قوية فان علينا أن نبرز مكانة الانسان فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وأن نكرمه تكريما يحترم آدميته ، ويشعر فى ظله بالأمن النفسى والاجتماعى ، حتى يستطيع أن يستغل طاقاته من خلال حريته فى خدمة المجتمع ورقى الانسان ، ذلك لأن الانسان الذى يسلب الكرامة والأمن لا ينتظر منه أن يشارك فى صنع الحياة الكونية الراقية ، وان شارك فبقدر ضئيل غير مذكور .

●

— ٧ —

** وفى الفصل السادس (المذهبية الاسلامية والنظرة الشمولية للانسان) يبين المؤلف أن الاسلام اختلف فى نظرته الى الانسان عن نظرة الأديان والمذاهب الاجتماعية الأخرى . ذلك لأن الكنيسة نظرت للانسان من حيث هو كائن روحى ، وكان هذا رد فعل عنيف على حيوانية ومادية النظرة الرومانية .

و « الماركسية » جردت الانسان من شموليته وجعلته سلوكا متغيرا فى ضوء تغير أدوات الانتاج ، مجبرا على ذلك السلوك ، مسلوب الارادة ، ومن ثم جعلت الانسان أسير العامل الاقتصادى .

و « الداروينية » نظرت الى الانسان من زاوية حيوانية ، انطلاقا من التشابه الظاهرى فى القانون الواحد الذى خلق الله تعالى به الانسان وسائر الحيوانات ، وانتهت من وراء ذلك الى أن الانسان حيوان اجتماعى متطور .

أما « الفرويدية » فانها نظرت الى الانسان من زاوية حيوانية تجعل الجنس أساس حركة الانسان وسلوكه ، وبذلك عملت على تحطيم الأسرة من خلال الفوضى الجنسية فى الحضارة الحديثة ومن خلال الانحرافات المتلاحقة ، التى سببت أمراضا نفسية معقدة .

ومما سبق يتضح مدى الاختلاف بين هذه المذاهب والاتجاهات فى فهم الانسان وتوجيهه ، ومن ثم فقد عجزت جميعها أن تقود المجتمع الانسانى الى السعادة والتوازن ، لأنها كلها لم تنظر الى الانسان نظرة شمولية ، تشمل حياته الروحية والمادية .

وهذا الشمول الذى افتقدناه فى تلك المذاهب والآراء هو ما نجده فى ظل المنهج الاسلامى ، فالاسلام دين الله ، خالق هذا الانسان ، وهو العليم بما أودعه فيه من أسرار الحياة ، وهو كذلك العليم بحركتها وضوابط توازنها فى وحدة متناسقة لا يستطاع أن ينفصل فيها جزء عن جزء .

— ٨ —

** وفى الفصل السابع (المذهبية الاسلامية وجوهر الانسان) يتحدث المؤلف عن الدوافع الفطرية التى أودعها الله فى التكوين الانسانى ، مبينا أنها دوافع لا يمكن أن تتبدل مع الزمن ، مصداقا لقول الله تعالى « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » الروم ٣٠ .

لكن هذه الدوافع وان كانت فطرية ، فانه يمكن تهذيبها وتوجيهها فى ظل مذهبية متناسقة، حتى تتحرك تحركا صحيحا مستقيما ، ولا تنحرف الى انحرافات خطيرة ، وأمراض نفسية وجنسية واجتماعية .

وقد حاولت بعض مناهج التغيير أن تتجاهل هذه الدوافع وأن تنفى ما عند الانسان من غرائز ، فلم يتحقق لها ما تصبو اليه وظل الانسان فى أعماقه أسير تلك الغرائز ، وان حاول أن يبدو فى الظاهر أنه قد ألغاها من حياته الغاء ، وذلك على النحو الذى حاولته

بعض اتجاهات النصرانية فى مراحل تاريخها .

أما الاسلام فانه نظر الى الانسان من حيث هو جوهر أصيل ، له رغبات ذاتية فطرية لابد أن تشبع وأن تحل مشاكلها فى ظل منهج ربانى ، لذلك نجد أن الشريعة الاسلامية تعالج مشاكل الغرائز الانسانية المتنوعة من مبدأ الاعتراف بوجودها ، مع توجيه كل واحدة منها توجيها لا يتصادم مع المبادىء الاسلامية التى تسعى الى الارتقاء بالانسان ، وذلك حتى لا يبقى الانسان تائها يعانى من الانفصام فى جانبه الروحى ، ولا يتجه الى الهبوط الحيوانى فى جانبه المادى .

واذا كنا اليوم فى مفترق الطرق ، فان علينا أن ندرك هذه الحقائق الفطرية فى كيان الانسان ، عندما نخطط للتغيير من خلال مخطط الاسلام وحده ، وليس من خلال مؤسسات التربية فى الحضارة الحديثة .

— ٩ —

* وفى الفصل الثامن (الذهبية الاسلامية والمجال الغيبى) يتناول المؤلف المجال الذى لا يقع تحت حواس الانسان فى هذا الكون ، والذى لا يستطيع أن يتوصل فيه بنفسه الى اليقين ، وهذا المجال هو عالم الغيب .

وقد وضع الله تعالى فى كتابه الكريم الحقائق التى تتصل بهذا المجال ، وعلى الانسان فى اطار الحقائق الالهية التى وضعت أمامه ، أن يسلم بالتفصيلات الغيبية ، مادام قد آمن باله الكون ، وأدرك غاية وجوده ، وحقيقة عبادته ، ولذلك فقد دعا سبحانه وتعالى الى الايمان بالغيب ، وجعله من أمارات صدق اليقين ، فى قوله « ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » البقرة ٣ .

والعقل الانسانى — على الرغم من طاقاته الكبيرة — طاقة محدودة ، والدليل على ذلك آراء المفكرين والفلاسفة فى تلك القضايا الغيبية ، اذ هى أفكار مضطربة متصارعة ، ومتضادة ساذجة فى كثير من الأحيان .

من هنا فان العقل الانسانى حين يعرف قدره ، ويتجه الى العمل فى كشف أسرار عالم المادة ، فاننا نراه ينتج ، ويثمر ثمرات منظورة يحقق الانسان من خلالها خلافته على الأرض . وعلى العكس من ذلك عندما يتجاوز قدره ، ويدعى المعرفة المطلقة فى حل أسرار الغيب ، هنا نراه يتوه ويضل ، وقد ينتهى الى الالحاد والانحراف .

وهذا ما وعته الحضارة الاسلامية ، حين اتجهت فى علومها اتجاها تجريبيا محضا ، كان من نتيجته ذلك التقدم الكبير فى علوم الحياة ، مع انقاذ الحضارة الانسانية من العموميات الوصفية التى ورثتها من الحضارة اليونانية .

— ١٠ —

* وفى الفصل التاسع (الذهبية الاسلامية والحل المرحلى) يتناول المؤلف جانبا من المشاكل العارضة ، التى نشأت فى المجتمع الاسلامى وكان للعلماء المسلمين دور فى معالجتها من خلال اتجاه خاص فرضته كل مشكلة على حدة ، ويذكر المؤلف أنه من الخطأ

◄

أن تتخذ أمثال هذه الاتجاهات ، على أنها علاج يطبق في كل زمان ومكـان ، دون مراعـاة للظروف التي تفرق بين مرحلـة ومرحلـة ، ويضرب مثلا على ذلك ما قام به علماء الكلام في اتجاههم العقلي والمنطقي ازاء البحـوث الفلسفية في عصرهم . وموطن الخطأ هـو تحويل الرأي الاجتهادي الخاص الى العقيدة القاطعة ، التي يحاول أصحابها أن يفرضوها على غيرهم فرضا ، ولو عن طريق العنف .

ان تدارك مثل هذا الخطأ لا يمكن ان يحدث الا من خلال نظرة شاملة تستوحي المبادىء الكلية للاسلام ، متجاوزة النظرة الضيقة ، التي ترتبط بشخص قام باصلاح في فترة معينة ، أو ترتبط بجماعة تتخذ لنفسها منهجا سلوكيا معينا . فالاسلام بنظرته الشاملة نحو الكون والمجتمع والانسان كفيل بمواجهة المـذاهب المادية المتنوعة ، والدخـول معهـا في صراع شامل يهدف الى اصلاح الحضارة الانسانية ، وانتشالها من الأزمة الخلقية التي تمر بها .

— ١١ —

** وفي الفصـل العـاشر (المذهبيـة الاسلامية وقضية المستضعفين) يبين المؤلف أن من أعظم أهداف الاسلام انقاذ الشعوب المظلومة الكادحة من ظلم الطغاة الظـالمين ، الذين استلبوا حقوق الجماهـير الغفيرة مـن أممهم ، وقضوا على انسانيتهم وآدميتهم .

ويقيم المؤلف الدليل العملي على ذلك مـن سيرة الخلفاء الراشـدين والأمـراء العادلين والعلماء الربانيين عبر التاريخ الاسلامي كله ، حيث وقفوا ضد كل انحراف يمكن أن يركـز القوة والثروة في أيدي طبقة مترفة ، قليـلة العدد ، تحاول أن تنحرف بتوجيهات الاسلام عن وجهتها العادلة في الحياة .

لكن هذا الجـانب المشرف في التـاريخ الاسلامي ، لم تخل له الساحة دائما تماما ، وانما ظهر في فترات أخرى من يشـوه هـذه الصورة المشرقة بسيرته اللاهية التي لا تتفق أبدا مع عدالة الاسلام وصفائه .

واذا كنا في عصر كثرت فيـه دعـوات تطالب بتحقيق كرامة الجمـاهير الكـادحة المحرومة ، فاننا جديرون بأن نكون أول مـن يحقق ذلك من خلال عدالة الاسلام ، التي لا تقر طغيان طاغ ، ولا ظلم ظالم ولا بغي معتد جائر . وفي الكتـاب والسـنة ، وفي اجتهادات الفقهاء المخلصين ، ما يقيم المعالم الراشدة لهذه العدالة المنشودة ، للمستضعفين على ظهر هذه الأرض .

— ١٢ —

** وفي الفصل الحـادي عشر (المذهبية والمصطلح الحضاري) يتحـدث المؤلف عن فوضى المصطلحات الكثيرة ، المسـتخدمة في مجال الحضارة ، ويحذر من محاولة استعارتها عند الحديث عـن الاسـلام اذ أن ذلك لـن يفيد الاسلام بشيء وانما سوف ينفع المذاهب المادية التي تتشدق بأمثال هذه المصطلحات .

ومما أشار اليه من فـوضى المصـطلحات الحضارية ألفاظ مثل (اليمين — اليسار — الديمقراطية — رجال الـدين — الصراع — الثورة ..) الى آخر ما يدور في هذا الفلك .

ويسقط المؤلف حجة من يدعو الى اتخاذ هذه المصطلحات بدعوى أن علماءنا الأول ، لم يحجبوا أنفسهم عن مصطلحات عصرهم الوافدة ، ويذكر أن هؤلاء الداعين فاتهم الخلاف بيننا وبين أسلافنا العلماء ذلك لأن أولئك العلماء كانوا واعين باسلامهم كل الوعي ، عارفين بحقائقه معرفة دقيقة ، أما المنادون بذلك اليوم فقل منهم من يتجاوز القشرة أو السطح في معرفته بالاسلام ، وهنا مكمن الداء ، حيث يتحول الاسلام على أيديهم الى دراسات سطحية مشوهة ، جافة الروح ، ليس فيها شيء من حلاوة الايمان ، ولا من رصيده الذي يصنع حاجزا يمنع الانزلاق عند انحراف هذه المصطلحات ، أو عند اقترابه من الحديث عنها تحت مظلة الاسلام •

— ١٣ —

❋ وفي الفصل الثاني عشر (المذهبية الاسلامية والقومية) يذكر المؤلف أن الاسلام استنكر العصبية الجنسية والقبلية ، لأنها تسبب الفرقة ، وتولد البغضاء ، وتهدم المجتمعات ، وتسقط الحضارات •

والاسلام — بديلا عن ذلك — يقيم رابطة الاخاء البشري ، من خلال أسس ثلاثة تجمع الناس حولها •

أولها : أساس الاسلام الذي يجعل المؤمنين اخوة « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » الحجرات ١٠ •

وثانيها : الدين عامة « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ** » آل عمران : ٦٤ •

وثالثها : الانسانية البشرية العامة « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** » النساء ١ •

ولقد عاش المسلمون في ظل اخوة الاسلام أحقابا متطاولة ، وعاش معهم غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى في أمن وأمان ، لا يعكر صفوه الا ما يأتي من خارجه ، ومن المتألبين عليه •

من هنا فان أي حديث عن القومية يتجاهل الأساس الاسلامي هو حديث ينتهي الى الاخفاق ، ذلك لأن القومية سوف تفتقد في مضمونها الجوهر الذي يوحد بين الاجناس والشعوب في اطار رباني ينحي جانب العصبية القائمة على العرق والجنس والتاريخ ••

— ١٤ —

❋ أما الفصل الثالث عشر والاخير فهو عن (المذهبية الاسلامية وأزمة المثقفين) وفيه يتحدث المؤلف عن ثقافة الأجيال الحاضرة ، مبينا أن هذه الأجيال معزولة عن الثقافة الاسلامية عزلا يكاد يكون كاملا ، وذلك نتيجة لسيطرة الثقافة المادية والعلمانية سيطرة تامة على مؤسساتنا الجامعية والتعليمية ، ودوائرنا الثقافية والاعلامية ، التي غدت تفكر وتخطط لتغيير الحياة في المجتمع الاسلامي بمعزل عن الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ، وهذا أمر واضح في كثير من الدراسات الجامعية وغير الجامعية حيث نرى فيها اما تجاهلا كاملا للاسلام ، واما جهلا مركبا به وبحضارته وقضاياه ••

ومن أجل أن يخرج هؤلاء من « أزمتهم الثقافية » فان عليهم أن يدرسوا الاسلام

دراسة شاملة ومختصة فى ضوء منهج علمى موضوعى ، بعيد عن المناهج المسبقة والمصطلحات المادية التى تتنافى مع الاسلام .. فالمسلم الحق يفرض عليه ايمانه أن ينطلق فى فكره من خلال أصول دينه ، لا من خلال الثقافات المادية والاتجاهات العلمانية التى تصطدم مع الاسلام فى قواعده وأصوله .

— ١٥ —

* وبعد . فان مما يحمد عليه المؤلف هذا الوعى العميق باتجاهات الاسلام وباتجاهات الفكر المعاصر ، حيث رصد هذا الأخير رصدا عرف من خلاله أهدافه ومراميه ، ومن ثم كان هذا التحذير الذى بدا فى كل فصول الكتاب على ايجازه البادى عليه فى مثل هذا الموضوع الكبير .

لكنا مع هذا نختلف مع المؤلف فيما أراد احداثه من مصطلح « المذهبية الاسلامية »

فالحق أننا لسنا فى حاجة الى تقديم الاسلام تحت أى مصطلح من المصطلحات ، اذ يكفى أن نقدم الاسلام على أنه « اسلام » وكفى ، بدلا من تلك الألفاظ الاشتقاقية التى تحتاج منا الى اقامة الحجج والبراهين على أبعادها ومفهومها ، والدليل على ذلك أن المؤلف لم يزد فى كل القضايا التى عرض لها — عن رأى

الاسلام فيها ، ولو أننا حذفنا كلمة « المذهبية » وأبقينا كلمة « الاسلام » بصيغته التى جاء بها ، لما تغير عرض كل فصل من الفصول فى شئ .

أما المحاذير التى أشار اليها المؤلف فى الفصل الأول والثانى ، فانها محاذير لا خوف منها الا لدى من يجهلون الاسلام ، ويقرأونه من خلال مؤلفات الماديين ، واعتقد أن الأمر بالنسبة اليهم لن يتغير اذا جئنا بهذا المصطلح الجديد « المذهبية الاسلامية » وأطلقناه على كل ما فى الاسلام من الوحى والفكر .. وقد أتساءل تساؤلا ليس له من هدف خفى : أين تكون اذن كلمة « الاسلام » تحت ظل شيوع هذا المصطلح الجديد ،ان قدر له أن يشيع كما يأمل صاحبه الغيور ؟ ..

اننا فى الحق بحاجة الى التقليل من المصطلحات أكثر من حاجتنا الى الاضافة أو

التبديل ، وذلك حتى يشمخ « الاسلام » منارة عالية تعلو فوق كل جهد بشرى يستوحى

الاسلام فى دراسته ، وفى معالجته للحياة .

واختتم هذا التعقيب بالختام نفسه الذى ختم به المؤلف كتابه « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ » آل عمران ٧ .

أ . د طه مصطفى أبو كريشه

مع التاريخ
.. والقصة الباكية

للشيخ محمد حسام الدين

كانت معارضة السيد احمد خان لاشتراك المسلمين فى المؤتمر القومى الهندى « حزب المؤتمر فيما بعد » راجعة الى ما رآه من خطر على المسلمين ان تعلقت به آمالهم ، او شغلوا به .

وقد رأى هذا السياسى الرائد أن شكل المؤتمر ، وطبيعة تكوينه تجعل منه بناء هندوسيا ، أو هيئة سياسية هندوسية خالصة .

ومادام الهندوس قد سبقوا فى مجالات الثقافة ، والثروة ، والخبرة السياسية ، والعمل الحكومى ، فان منطق الأمور أن يكون هذا التنظيم السياسى مطيتهم لتحقيق مطالب مجتمعهم الخاص ، بغض النظر عن مطالب المجتمع الاسلامى .

وصدقت رؤية الرجل ، فقد كان المطلب الأول للمؤتمر لدى انعقاده هو : « تهنيد الهند » Indianization ، أى اتاحة الفرصة لأبناء الهند ليتولوا مزيدا من الوظائف العليا ، ومزيدا من السلطة الادارية بالبلاد ، وليكون لهم اشراف على الحكم بالولايات عن طريق المجالس النيابية المحلية .

هذه المطالب فى جانبها العملى التطبيقى تعنى زيادة التمكين للهندوس من زمام الأمور بالهند .

ولقد كانوا على معرفة بهذا ، فأعدوا أنفسهم لهذه المهمة ، وكانوا على اهبة لتولى الوظائف القيادية بدربتهم ، وتمكنهم من الثقافة الغربية .

أما المسلمون فكانوا بعيدين عن تناول نصيبهم من هذه الوظائف بمقدار بعدهم عن الثقافة واللغة الانجليزية المشروطة لها .

وكان السيد أحمد خان على معرفة بحاجة



— مراجعنا الاساسية لهذا المقال هى :
1 — Encyclopeadia Britanica Art India.
2 — Emergence of Pakistan — Chaudri-M-Ali- Lahore.
٣ — تراث الاسلام — شاخت وبوزورث ترجمة عالم المعرفة — الكويت .

المسلمين الشديدة الى الثقافة ، والدربة العملية ، والادارية المعاصرة ، وعلى معرفة أيضا بحاجتهم الى تدعيم بنائهم الاقتصادى .

ومن هنا جاء اصراره على أن يبدأ المسلمون بتوفية حاجاتهم الأولية ، وأن يجمعوا أمرهم ، وجهودهم للعمل لها فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخهم .

وكان يرى أن اشتغال الجمهرة الاسلامية بالعمل السياسى ، ثم التنافس على مقاعد المجالس النيابية يبدد طاقتهم فى هذا الوقت ، ويصرفهم عن جد الأمور ، وعن البناء وتوفية الحاجات الضرورية .

بل وقد يؤدى نشاطهم السياسى المتزايد الى صدام بينهم وبين الحكام الانجليز ، فى وقت المسلمون أحوج ما يكونون فيه الى جو الاستقرار والعمل .

وكان من رأيه أيضا أن التعليم يفتح بابا للسيادة العملية ، فاذا كان الانجليز يملكون السيادة العليا فى البلاد ، فان هناك سيادة أخرى واقعية ، وعملية يمارسها من يمسك بزمام الوظائف الحساسة ، ذات الأثر الأجتماعى والاقتصادى .

هذه حقيقة يدركها من يشارك فى الحياة العملية لمجتمع تشيع فيه الأمية مثل مجتمع الهند ، وتتكون جمهرته من الفلاحين ، ومالكى الأرض ، والتجار .

فى مثل هذا المجتمع الزراعى يقوى نفوذ من يمسك بزمام الوظائف العامة الحساسة .

وعلى سبيل المثال فان مهندسى الرى الذين يتولون توزيع مياه الرى فى القنوات العامة فى بلد مثل الهند لهم تأثير واضح فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية لسكان الريف .

ففى أيديهم منح الفرصة للتنمية لبعض المناطق الزراعية على حساب المناطق الأخرى اذا مالوا ، وهكذا أغلب من يتولون الوظائف الحساسة .

فاذا تخلف المسلمون فى مجالات التعليم والثقافات المعاصرة عجزوا عن تناول الوظائف العامة ، ثم لا يغنيهم عنها أن ينشطوا فى مجال المنافسة النيابية .

هذا : فضلا عن أن مجال الوظائف العامة باب من أبواب التنمية للمجتمع الاسلامى اذا تقاصرت أو ضاقت مجالات الزراعة والتجارة بنمو الأجيال .

وفى الحقيقة أن أهم ما صرف الرجل عن هذا المؤتمر هو ما كان يتوقعه بل ويكاد يراه رأى العين مما ينتظر المسلمين من مهالك ومتالف ان هم دخلوا مع الهندوس فى مجال المنافسة على المقاعد النيابية فى انتخاب مشترك عام مفتوح .

لقد كان الرجل على يقين من المذابح الرهيبة التى تنتظر المسلمين خلال المعارك الانتخابية العامة .

ومن أجل هذا أخذ يطالب بأن يكون للمسلمين انتخاب خاص يجرى بينهم ولا تتعلق به الطوائف الأخرى ، فيكون لكل طائفة عدد محدد من المقاعد بالمجالس النيابية .

وفى سنة ١٨٨٣ م خطب فى المجلس

التشريعى (١) فقال : « انه قبل أن نستعير النظم الانجليزية للمجالس النيابية يجب أن نتذكر الفوارق بين الهند وانجلترا فى الشئون السياسية والاجتماعية .

فالهند قارة تسكنها شعوب كثيرة ، ذات ديانات ، وعقائد ، وعناصر مختلفة ، يقوى فيها نفوذ القيادات الدينية ، ويتحكم فيها نظام الطبقات .

أما بلاد الانجليز فان وحدة العنصر بين أبنائها ، ووحدة العقيدة ، ووحدة النظم الاجتماعية تجعل منها أمة واحدة .

والهند بلد لم يبلغ من الثقافة العصرية مبلغا ينقل الناس لمعانى التقدم والمساواة بين القطاعات المختلفة من سكانه .

بل وانه على العكس من هذا تتميز فيه الأجناس والطبقات بعضها عن بعض ، ويحتد الصراع بين المذاهب والأديان .

لذا فان تطبيق النظام الانتخابى بشكله العام المطلق على مختلف المستويات بالهند ينطوى على خطر عظيم .

ان هذا النظام يسمح لمجتمع الأغلبية أن يتخطى حاجات الأقلية ، ويهمل مصالحها .

ثم يأتى جهل العامة من الأغلبية فيضغط على الحكومة لتتخذ من الاجراءات ما يجعل الفوارق الطبقية والعنصرية أكثر حدة من ذى قبل . » (٢) .

لقد كان من رأى السيد أحمد خان أن الانتخابات العامة فى شكلها المطلق تجنى على المسلمين فى الهند ، وتزيد أوضاعهم سوءا .

وقد تحولوا الى مجتمع أقلية ، ضعيف ، فقير ، متخلف ، بعد أن كانت بأيديهم السيادة والقيادة للمجتمع الهندى بكامله .

وعندما توفى الرجل سنة ١٨٩٨ كان قد ترك وراءه جماعة اسلامية واعية ، ممن التفوا حوله ، وشاركوه الرأى : جماعة تخطو فى مجالات التعليم المعاصر ، وتتمتع بمراكز اقتصادية أفضل من المراكز الاقتصادية التى كان عليها المسلمون فى أعقاب الاحتلال ، تهادن الانجليز وتقاوم سيطرة الهندوس .

وبدأ القرن العشرين ، وأجرى الانجليز نظام الانتخاب العام للمجالس النيابية بالهند .

وكان السباق بين المسلمين والهندوس — حين كانت السلطة بيد الانجليز — محصورا فى المجالات الاقتصادية ، والعلمية ، والاجتماعية .

فلما فتح باب التمثيل النيابى أخذت المسائل السياسية تحتل المكانة الأولى فى مضمار المنافسة ، فتوقد الحمية ، وتثير المشاعر ، وتبعث المخاوف ، والصراع المستكن بين المجتمعين ، ليظهر على السطح ، ويستعلن فى جو مفتوح .

وكان من آثار الديموقراطية أن زادت حدة الصراع فى الهند بين المسلمين والهندوس .

◄

١ — هو مجلس انشاه الانجليز بالهند ، يعين أعضاؤه اختيارا ، وتمثيلا للطوائف المختلفة فى مشروعات القوانين قبل اصدارها .

2 - Emergence of Pakistan p. 11

ولو أن المغالبة ظلت محصورة في مجالات الكثرة العددية ، أو في جوانب الثقافة والثروة والنفوذ لأمكن ايجاد حوار بين الطائفتين ، أو الوصول الى حلول وسط تهيىء جو الأمان فيما بينهما ، على الرغم من الحقيقة الواضحة ، ــ آنئذ ــ وهي أن الهندوس يسبقون المسلمين بمسافات بعيدة في ميادين الاقتصاد ، والثقافة ، وأنهم يرون هذا التفوق حقا طبيعيا لهم ومن ثم وطنوا العزم على أن يحتفظوا بهذا السبق ، وأن يمضوا في تحسين أوضاع مجتمعهم •

ثم جاءت الديموقراطية لصالحهم ، لأنها تعنى حكم الأغلبية ، واذا كانت الأغلبية فيهم وراثة على الأجيال في فئة من الناس ، وكانوا يتمتعون بميزات التفوق ، وامتلاك السلطة الادارية في الدولة ، ــ ويسيطرون على الصحافة ، والاعلام ، ومقاليد الثروة ، والتنظيم السياسي •

اذا كان الأمر على هذا الحال تقضى على الأقلية بأن تظل راسفة في قيود الخضوع والضعة الا أن يشاء الله •

وفي مفاتح القرن العشرين اخذت الأهداف التي يرمي اليها أبناء الهند تتضح ، واخذت الأصوات الحرة فيهم تطلب بالحكم الذاتي ، فيتردد صداها في بلاد الانجليز •

وكان ميزان القوى في العالم قد بدأ يهتز بعد أن اضطربت شئون الدول الاسلامية الكبرى في الشرق •

وبعد أن دخلت الخلافة العثمانية ، وكذلك الامبراطورية الصفوية في فارس مرحلة المحاق •

وبدأت نذر الحرب العالمية العامة ، وتلقى الكبرياء والصلف الأوربي ضربة جعلته يتطامن ويتعقل ، بعد أن انتصرت اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥ م ، واتجهت بريطانيا الى اعطاء الشعوب في مستعمراتها صورا من الحكم الذاتي •

ووافق الانجليز على اجراء الانتخابات للمجلس التشريعي الهندي في العاصمة : « دلهي » ، وللمجالس التشريعية الفرعية بالولايات •

ونهض المسلمون بالهند يطالبون بأن تجرى الانتخابات لجميع المجالس التشريعية على نظام يفصل بين المجتمع الاسلامي ، وغيره من المجتمعات الهندية ، بحيث يخصص للمسلمين من المقاعد في هذه المجالس ما يتناسب مع أهميتهم السياسية ، وعطائهم ، وتاريخهم في الهند •

وتقدم أغاخان في سنة ١٩٠٦ بخطاب الى الحاكم العام البريطاني جاء فيه : « ان تعداد المسلمين في الهند يصل الى اثنين وستين مليون (١) نسمة وفق احصاء السكان لسنة

---

١ ــ هذا العدد يمثل تعداد المسلمين بالهند الكبرى ١٩٠١ بما يشمل الان باكستان وبنجلاديش ، وكشمير • ولاريب أن هذا العدد قد تضاعف اليوم اضعافا كثيرة • وان مسلمي الهند الحالية وحدهم يبلغون هذا العدد أو ما يقرب منه • عدا سكان باكستان وبنجلاديش وكشمير •

١٩٠١ م ، فهم يمثلون حوالى ربع ، أو خمس سكان الهند •

هذا العدد السكانى يفوق تعداد أى دولة أوربية فيما عدا روسيا ، وانه فى ظل أى نظام انتخابى ينبغى رعاية الحقيقة ، وهى أن قيمة المجتمع الاسلامى لا تقاس بقوته العددية وحدها ، وأنه ينبغى أن تضاف اليها أهميته السياسية ، وقيمة عطائه فى بناء الامبراطورية الهندية والدفاع عنها •

وانه ليس من المقبول على الاطلاق أن يخضع اسم المرشح المسلم للجنة العليا الانتخابية التى شكلتها الحكومة ، لتوافق على ترشيحه أو لا توافق •

فمن المؤكد أن هذه اللجنة ــ وهى هندوسية ــ لن توافق على ترشيح من لم يكن متعاطفا مع الهندوس فى جميع المسائل ذات الأهمية لديهم » (١) •

وفى نهاية سنة ١٩٠٦ وجه نواب سليم الله خان الدعوة لاجتماع فى « دكا » يحضره كبار رجالات المسلمين فى الهند ، ليتدارسوا الشئون الاسلامية ، ولينظروا فى تكوين رابطة عامة لهم •

وأسفر هذا الاجتماع الاسلامى التاريخى فى « دكا » عن تشكيل الرابطة الاسلامية فى الهند « حزب الرابطة فيما بعد » ، واختيار أغاخان أول رئيس لها •

وكانت مهمتها حماية الحقوق السياسية ، وغيرها من حقوق المسلمين فى الهند •

وأصبحت الرابطة هى الهيئة المعترف بها لتمثيل المسلمين سياسيا هناك منذ هذا التاريخ •

وكانت مطالبة المسلمين باجراء انتخابات منفصلة مثار غضب الهندوس ، وموضع معارضتهم ، فأصدر المؤتمر الهندى فى سنة ١٩٠٩ قرارا بمعارضة اجراء أى انتخابات منفصلة بالهند ، تقوم على أساس دينى •

وكانت الطبقة العالية بين الهندوس تشتد فى المطالبة بانتخاب موحد ، تحتفظ به بالهيمنة على زمام الأمور بالهند •

أما الطبقة الدنيا من المجتمع الهندوسى فكانت تؤيد اجراء انتخاب منفصل على أساس طبقى لتنال نصيبها من التمثيل النيابى بنسبتها العددية ، لكن مطالبهذه الطبقة ــ وهى فى أدنى درجات السلم الاجتماعى ــ لم تكن تظفر من الانجليز بشىء من العناية •

فى هذا الجو العام نهضت مجموعة من المسلمين والهندوس تدعو الى قومية هندية عامة •

وكان من أبرز قادة المسلمين فى هذه المجموعة السيد ــ محمد على جناح ؛ فقد عمل مع جوبال كريشنا رأس الجناح الهندوسى المعتدل ، الذى كان يدعو قومه الى التعقل والحكمة لدى معاملة المسلمين ، وينادى بالاصلاح الاجتماعى العام ، وبالعمل الدستورى الذى يؤدى الى الرقى ، وينتهى الى القومية الهندية العامة ، تساميا عن النزعات الطائفية •



1 — Emergence of Pakistan, p. 22.

كما كان يدعو الى تثقيف الطبقات الدنيا من المجتمع ، تهذيبا لها ، ولتنزع عن نفسها مشاعر التطرف والعنف الهندوسى .

وعلى العكس من مجموعة المعتدلين ، كانت مجموعة المتطرفين الهندوس بقيادة تيلاك .

وكانت تطالب بالحكم الذاتى للهند ، وتشجع حركات العنف ضد الانجليز ، وتحيى العنصرية الهندوسية ، وتتغنى بتاريخ وأمجاد الخارجين من الهندوس على الامبراطورية الاسلامية ، والمنشقين عليها أيام الحكم الاسلامى .

واستمر الخلاف بين هذين التيارين : تيار التطرف ، وتيار الاعتدال عددا من السنين ، وتنوعت صور الخلاف ، وأساليب الجدل بين المجموعتين ، وبقى كل طرف منهما على موقفه .

ولم تهدأ مظاهر الصراع الطائفى ، أو يستقر التوازن بين المجموعات المختلفة الا بعد فترة طويلة ، عندما اقتنعت جماعات من المسلمين والهندوس بامكان قيام قومية هندية عامة تشمل جميع أبناء وطوائف الهند .

وأخذ هذا الاتجاه يشق طريقه فى المجتمع شيئا فشيئا ، الا أن مثيرات العنف الهندوسى كان تعوق تقدمه ، وامتداده كلما ثارت .

وبالرغم من أن التطلعات العامة لتحرير الهند ، واحياء القومية الهندية كانت تؤيد قيام مواطنة بين المسلمين والهندوس الا أن التعصب الهندوسى كان أسرع ما يكون الى الظهور اذا اصطدمت مصالح الطائفتين .

وتفجرت الحرب العالمية الأولى ، وسارعت الهند بجميع طوائفها لتأييد بريطانيا فى هذه الحرب .

وكان أمراء الهند ، ومهراجاتها ، واثرياؤها أكثر الناس استباقا الى تأييد الحلفاء ، فتدفقت أموالهم اسهاما فى المجهود الحربى البريطانى .

وانضوى تحت العلم الانجليزى جيش كثيف من أبناء الهند ، قوامه مليون رجل ، توزعتهم ميادين القتال .

وشهدت فترة الحرب العالمية الأولى تقاربا بين الرابطة الاسلامية والمؤتمر الهندى ، أى بين المسلمين والهندوس بفضل جهود السيد محمد على جناح ، وكان يلقب ـ وقتئذ ـ بسفير الوحدة .

وقد توصل فى سنة ١٩١٦ بمدينة « لكنو » الى اتفاق بين الطائفتين سمى فيما بعد باتفاق « لكنو » .

هذا الاتفاق يمنح الولايات نوعا من الحكم الذاتى ، ويقرر للمسلمين نسبة ٣٣٪ تمثيلا ، ومشاركة فى الحكومة المركزية .

كما يقرر لهم نسبا تتراوح بين ٥٠ ، ٤٠ ، ٣٣ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ١٥٪ تمثيلا فى حكومات ومجالس الولايات ، على تفصيل يراعى الكثافة السكانية لكل طائفة بكل ولاية .

وقد وجه الكتاب والصحفيون ، والمفكرون

المسلمون نقدا شديدا لهذا الاتفاق ، وأخذوا عليه أنه رفع النسبة قليلا للتمثيل الاسلامى بالولايات التى يشكل المسلمون فيها أقلية سكانية ، وخفض من أكثريتهم فى الولايات التى يمثلون فيها أكثرية سكانية . فلم يخرجوا بهذه الزيادة عن وضع الأقلية .

ونبه الكتاب والصحفيون الى أن الاتفاق أغفل التطلعات والآمال الاسلامية فى أن يكون للمسلمين تمثيل فى الحكومة والمجالس النيابية ، يكافىء أهميتهم السياسية ، وعطاءهم للهند .

والحق أن السيد ـ محمد على جناح حقق بهذا الاتفاق انجازا عظيما ، فى اطار الظروف من حوله ، وأنجى المسلمين من مصير رهيب ، وصدام مهلك ينتظرهم فى أجواء الانتخابات المشتركة العامة ، واستخلص لهم من براثن الأغلبية الهندوسية الحاقدة اعترافا بنسبة من المقاعد النيابية ، والادارية .

وأخذت الأحداث العالمية تتوالى مسرعة أثناء الحرب .

وبدا واضحا من تحركات الحلفاء ، وسياستهم ومعاهداتهم أنهم يقومون بتمزيق أوصال الخلافة الاسلامية التى يتولاها آل عثمان ، بل ويتجهون لتدمير تركيا نفسها .

ورأى المسلمون فى الهند فى هذه السياسة اتفاقا أوربيا ، وتدبيرا غربيا للقضاء على قوى الاسلام السياسية ، والعسكرية المتمثلة فى دولة الخلافة .

فتحركت القيادات الاسلامية هناك معبرة عن مخاوفها ازاء موقف الحلفاء من الخلافة الاسلامية ، واستثارت كوامن القلق لدى جموع المسلمين ، فاشتعلت العواطف الدينية ، وجاشت النفوس بمعانى العزة ، وتهيأت للتضحية بالأرواح والأموال .

وكان من أبرز الحوادث التى هزت جنبات الهند فى مواجهة السياسة الانجليزية تجاه الخلافة الاسلامية حدثان .

أولهما : أن السيدين ـ محمدا ، وشوكت على ـ وهما من قيادات المسلمين آنئذ ـ دعوا الى مقاطعة الانجليز ، ثم الهجرة من الهند الى بلد تحترم فيه الحقوق والمشاعر الاسلامية .

فتحركت جموع الناس مهاجرة الى أفغانستان ، وباعت ما أمكن بيعه من أموالها ، وتركت مساكنها ، وممتلكاتها الثابتة وانضوت فى مسيرة عامة خروجا من الهند .

وبلغ عدد الذين ركبوا الطريق من بشاور الى أفغانستان ، عبر ممر خيبر ، خلال شهر واحد ، هو شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ ، ثمانية عشر ألف شخص .

ورأت حكومة أفغانستان أن امكاناتها تعجز عن استقبال هذا السيل المتدفق الهادر من المهاجرين ، فأغلقت حدودها ، وحالت بينهم وبين دخول أراضيها .

وانقلبت هذه الجموع راجعة ، بعد أن فقدت كل شيء حتى الأمل ، وبعد أن خلعت جذورها من الهند .

وتساقط افرادها فى الطريق جوعا ، وظما ، واعياء ، ويأسا ، وضاقت جنبات ممر خيبر بمقابرهم .

هذا : وللحديث بقية ، والله المستعان ..

محمد حسام الدين

من أعلام الأزهر
فضيلة الشيخ
أحمد مصطفى المراغى

حديثنا اليوم عن عالم قد أوتى من القوة العلمية والتفوق مايجعله مصدرا حيا ومثالا يقتدى .

اشتهر — رحمه الله — بالذكاء والفصاحة والطلاقة وسمو الفكر وشدة البأس والاقدام وصلابة الرأى والاخلاص ولأسرته بريق ولمعان وماض مجيد فلهم فى بطون التاريخ فصول ، منهم علماء أسمعوا الدنيا نداءهم ولقنوا العالم تعاليمهم .

وأستاذنا تروقك طلعته وسمته ويعجبك علمه وأدبه اشتعل رأسه شيبا وتوضح بياض لحيته على وجهه المستنير تحت عمامته الكبيرة المفخمة ولم يكن المشيب ولا السن ليحولا دون نشاطه الدائب فقد كافح ونافح عن آرائه ووجهات نظره وكان فيما ألقاه من محاورات ومحاضرات جذابا متفكها مع سماحته وبشره وصفاء قلبه ولقد كان منذ شبابه مثالا للوداعة ونبل الخلق محبيا يألف ويؤلف مستبشرا بالحياة ذا جد حميد ومزاح رقيق .

رأى — فى تفسير القرآن الكريم — أن الناس فى (مسيس الحاجة الى وضع تفسير للكتاب العزيز يشاكل حاجة الناس فى عصرنا فى أسلوبه وطريق رصفه ووضعه ، ويكون دانى القطوف سهل المأخذ يحوى ماتطمئن اليه النفس من تحقيق علمى تدعمه الحجة والبرهان وتؤيده التجربة والاختبار ويضم الى آراء مؤلفه آراء أهل الذكر من الباحثين فى مختلف الفنون التى ألمع اليها القرآن على نحو ما أثبته العلم فى عصرنا »

ووضع الشيخ تفسيرا للكتاب العزيز أسماه : « تفسير المراغى » وفى مقدمته بحث مستفيض فى تاريخ التفسير ومذاهبه وأعلامه وتقرا فيه مذهب الشيخ واتجاهه فى التفسير .

حياته : هو من مواليد بلدة المراغة محافظة

للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوي



سوهاج ولد في العاشر من أكتوبر عام ١٨٨٣ .

التحق بالأزهر الشريف وتخرج منه سنة ١٩٠٩ م واشتغل بالتدريس بمعاهد عديدة منها كلية غوردون بالخرطوم وعمل أستاذا ورئيسا لقسم البلاغة بكلية « دار العلوم » حتى أحيل الى المعاش عام ١٩٤٣ وأنعم عليه برتبة « البكوية » تقديرا لمجهوداته العلمية . وكانت وفاته في ٩ من يوليو سنة ١٩٥٢ م .

مؤلفاته :

تفسير القرآن الكريم ويقع في ثلاثين جزءا ، طبع حتى الان ست طبعات ابتداء من عام ١٩٤٦ م

ويدرس في أندونيسيا ، وماليزيا والبلاد العربية وكان بعض أهل أندونيسيا وماليزيا يأتون الى منزله بحلوان ويأخذون صورا لمنزله ويزورون قبره احتفاء به الى الآن .

ومن مؤلفاته أيضا : تهذيب التوضيح المقرر على القسم الثانوى بالمعاهد الدينية في الجيل الماضي ووضع في البلاغة عدة كراسات تشتمل على علومها مكتوبة بخطه الجميل المنمق كذلك عثرنا على مخطوطين من مخطوطاته :

الاول :

(الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية لسيدي عبد الوهاب الشعرانى) رضى الله عنه وعنا آمين .

والثاني :

ويبدو أنه تعليق على كتاب (الاشاعة لأشراط الساعة تأليف الامام العالم المتقن الامام الكبير أبى عبد الله الشهير بالبرزنجى) عفا الله عنا وعنه بمنه وكرمه آمين .

واختار طريقا سهلا سلسا تلمس فيه الاديب المتذوق للطائف اللغة ونوادرها وتستشعر فيه نزعة المحافظة المتأصلة المتفتحة ، وكان يخشى على اللغة من جراء اقتحام الألفاظ الدخيلة عليها ، كذلك كان تأليف الصرف منبثقا من بنية



من أعلام الأزهر

العربية الفصيحة ، وموضوعاته فى أصـــول الحروف أوزيادتها موضوعات مقيسة بشواهد العربية وآراء العلماء مثل موضوعات النحـت والقلب والابدال والزيادة واذا كان الـــوقت يطالبنا الايجاز ويحول دون التفصل والاستيفاء فمن حق هذا العالم أن نذكره بالمؤلفات والآثار التى خلفها فى ميدان العلم .

ولقد نشر له كثير من المقالات العلمية والادبية فى مجلة الأزهر المجلد الثامن المحرم ســـنة ١٣٥٦ هـ ص ٦٩٣ يتحدث فيها عن الحسـبة فى الاسلام .

جزى الله شيخنا الجليل كفاء ما قـــدم ، وان ذكراه لباقية فى نفوسنا مضيئة فى سرائرنا حين نستوحش ونتعزى بها حين تحزبنا الهموم

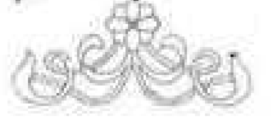
وكم نود لو تفضل أبناء أستاذنا وأصــــدقاؤه وذريته بنشر كتبه ومقالاته ومخطوطاته لينتفع بها الناس ونحن نعلم أن لكل امرىء مادحـــا وقادحا ولكننى لا أذكر أننى رأيت اثنين يختلفان فيه ، ومايتجادل صاحبان فى خلقه وأدبه ومروءته وحسب المرء أن يكون أنس اخوانه فى حيـاته وأن يحيا حياة طيبة فى أنفسهم بعد مماته ولعل ما أوجزته عن حياة شيخنا الازهرى وفيمـــا سردته سردا من آثاره المختلفة ما يبرز أظهر صفاته العلمية وهى صفات مؤثرة فى تاريخ العلم ومن أكثرها نفعا لنمائه وازدهاره وأحقها بثناء الأجيال التى تنتفع بتراثه .

رحم الله استاذنا رحمة واسعة ونفعنا بعلمه الغزير ورأيه الأصيل فلقد قضى حياته عالمـــا معلما ومتعلما مكافحا منافحا وهذا أقصى مايصل اليه العالم الضليع فى التوجيه والتبصير .

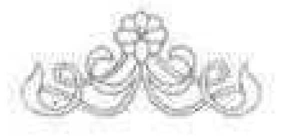
محمود عبد الرازق عقباوى

مع الشعر

الشاعر العظيم



حطـــام ... شجـرة الليمون



الشاعر العظيم

بزغت عبقرية شماء ... وهنا كان البدء والانتهاء

(توزر) و (الشابية) اللحن في أنـ ... ـغامه ترهى تونس الصماء

وهنا كان المهد والموطن الحر ... وشعب له السنا والسناء

وهنا أحلام الصبا والشباب الـ ... ـغض ، والدنيا ، والمنى البيضاء

يا أبا القاسم النبيل ، قم اشهد ... موكبا حوله الورى لك جاءوا

فنجوم الدنيا هنا ، وأبو القا ... سم فينا وسط النجوم ذكاء

يا أبا القاسم الذى هز كل الـ ... ـناس ، في رمسك الصفي السماء

لك المجد بالخلود ، وذكرا ... ك بها للشعب التليد انتماء

يا أبا القاسم الحياة حوالينـ ... ـا ، ومن بعدما ذهبت ، هباء

أيها الشاعر النبيل تناديـ ... ـك ، حبيب الى القلوب النداء

أيها العبقرى من هز وجدان ... الجماهير شعره والحداء

وعصاميا عاش الحياة طموحا ... رافع الرأس دأبه الكبرياء

وبآلام الشعب سرت تغنى ... توقظ الشعب والدجى أنواء

كان للطغيان الرهيب أحابيـ ... ـل ، وللشعب ثورة ومضاء

وأغاريدك الفصاح تثير الـ ... ـشعب ، والشعب في يديه اللواء

شعر محمد عبد المنعم خفاجي

كان ما كان ايها الأصدقاء ... كان ما كان ايها الأصفياء

شاعر غنى الحب فاهتزت الدنـ ... ـيا ، وغنت لشعبه العلياء

وانا القائد الشجاع يقود الـ ... ـثورة الكبرى ، والجموع ولاء

والجماهير هتف ، وابو القا ... سم اشعاره بهن الغناء

تونس اى ، يا دار ودى وقومى ... نحن ما عشتنا اخوة اوفياء

ابدا نحن فى الشدائد صف ... ابدا نحن فى الخطوب الفداء

وعلى الدهر سوف نبقى اودا ... ء ، ويبقى لنا الهوى والاخاء

وتظلين عزة وفخارا ... وعلى الأفق منك انت الضياء

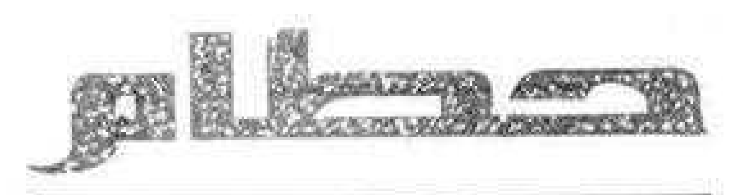
يا ابا القاسم اصطفتك ابوللو ... وابو شادى الفذ والشعراء

شعرك الثائر الجليل صداه ... سكرت فى الحانه الأصداء

خالدا تحيا ، والخلود يصافيـ ... ـك ، وتلتف حولك الشهداء

ويحييك كل من رضى اللـ ... ـه عليهم ، والرسل ، والانبياء

ولك المجد والجلال ، والنصـ ... ـر بك اليوم دولة ولواء



صدى تجربة عاناها صديق شاعر حطمته امرأة

ولقيت الصديق ذات مساء ... ومحياه غائم بالشقاء

واجم عانقت كآبته الليل ... عناق الظلماء للظلماء

ساهم الطرف ليس فيه بريق ... غير ومض لدمعة خرساء

كدت أنساه بعدما فرقتنا ... عاديات النوى وطال التنائي

قلت : ياشاعرا ، ساخت له الدنـ ... ـيا زمانا صدوى الأصداء

كيف لف الظلام أنس لياليك ... وقد كان ساهر الأضواء !!

وأغاريدك التى كم شجتنا ... غالها صمت وحشة نكراء

لذت بالصمت والخمول وماكنـ ... ـت جديرا بعزلة وانطواء

قال لى الشاعر الحزين وقد هدأ ... ت أساه وزدت فى البرحاء :

لا تسلنى عن محنتى وشقائى ... قدر خطه يراع القضاء

ماحتيال الفتى اذا قضى الأمـ ... ـر وأعيته حيلة الأذكياء ؟

لا تقل : أين موهباتى وفنى ؟ ... أين شعرى ؟ وأين عذب غنائى ؟

صوحت أيكتى واقفر روضى ... وربيعى طواه ليل الشتاء

قلت : ان الآلام ملهمة الفن ... ومجلى قرائح الشعراء

للدكتور حسن جاد

والأسى الفذ شعلة العبقريا ... ت وسر النبوغ فى البؤساء

قال : قد تقحم الخطوب اذا جلت ... وترمى الفحول بالاعياء

كيف يشدو مغرد فوق أيك ... عششت فيه بومة الأرزاء ؟

لا تقل لى : وراء كل عظيم ... من بنات الحياة احدى النساء

مثل سائر ويارب قول ... سار فى الناس وهو محض الهراء

قل من تحفظ المودة منهن ... وتحدو مواهب النبهاء

كم امانت حواء من عبقرى ... ولكم أخملت من العظماء

رب بان بنى فلما دعته ... هدمت ما أقامه من بناء

« أتعس الناس فى البرية زوج ... عبقرى لزوجة رعناء »

« همه غير همها فاذا ما ... طار سحت عليه باب السماء »

كلما رام بالطموح خلودا ... جذبته الى حضيض الفناء

واذا ما سما لقمة مجد ... انزلته من قمة العلياء

واذا حاز سمعة أو فخارا ... أمعنت فى تهكم وازدراء

واذا أبدع الغناء اعارت ... شدوه اذن صخرة صماء

اعذب اللحن عندها صرخة البوم ... وانجى الغناء رجع العواء

انا من حطمته روحا وقلبا ... فانا ميت مع الاحياء

وانا ذلك الحطام الذى لم ... تبق فيه منى سوى أشلاء

ضاع عمرى ما بين غامر يأس ... منهم وخادع من رجاء

خطأ بعت فيه كل حياتى ... وكفانى بخيبة وشقاء

فعلى العمر ألف ألف سلام ... وعلى الموهبات ألف عفاء

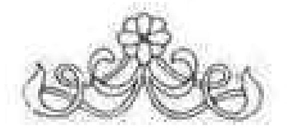
شجرة الليمون

للشاعرة جليلة رضا

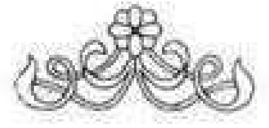
قتلوك ياليمونتى الحسناء
حرموك فى فصل الربيع .. الماء
فوقفت فى البستان عارية المنى
تتوسطين غصونك الجرداء
وحضنت شباكى الفسيح ضريرة
تتلمسين بحجرتى الأحياء
واطل وجهك من خلال ضلوعه
جهم الملامح ، عابسا ، مستاء
ليمونتى الجرداء : لا لاتخجلى
ما ضاع حسنك فى الرياض هباء
أن الدمامة والجمـال كليهمـــا
يتبادلان الأخذ والاعطاء
فالموت قد أعطاك سحرا غامضا
يضفى عليك قداسة عذراء
والموت قد أعطاك حزنا قاسيا
متوحشا يستوقف الشعراء
ليمونك الغالى عصرت رحيقه
وصنعت منه لعلتى دواء
انا لست باكية عليه بقدر ما
ابكيك انت ضريرة صماء
أختاه ! لاتزنى الوفاء بروضة
نسيتك وازدهرت شذا وسناء
فلرب عشب تحت جذعك غائر
يبغى لأجلك أن يموت فداء
واذا رأيت الناس أكثر قسوة
وأشد من هذى الرياض عداء
يكفيك أن هناك قلبا واحدا
مثلى يشاطرك الشتاء .. شتاء
ولقد تصب الشمس فوقك نارها
لكن روحك .. تكشف الأجواء



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر



مجلة الأزهر من خمسين عاما :



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن

"للسهيلي"

هو الحافظ العلامة البارع : ابو القاسم وابو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن اصبغ بن الحسين • ويكنى ايضا ابا الحسن الاندلسى •

ولد سنة ٥٠٨ هـ ١١١٤ م وتوفى سنة ٥٨١ هـ ١١٨٥ م ونبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه اليها واكرمه فاقام يصنف كتبه الى أن توفى بها • وهو صاحب الأبيات التى مطلعها •

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع
أنت المعد لكل ما يتوقع ٠٠ (٢)

من كتبه « الروض الأنف » فى شرح السيرة النبوية لابن هشام و « التعريف والاعلام » فيما أبهم من القرآن من الأسماء والاعلام و « الايضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين » و « نتائج الفكر • قال عنه صاحب « تذكرة الحفاظ » أخذ القراءات عن أبى داود الصغير سليمان بن يحيى ، وأخذ بعضها عن أبى منصور أبى الخير وسمع من عبد الله بن معمر والقاضى أبى بكر بن العربى وشريح بن محمد وأبى عبد الله بن مكي • وأجاز له أبو عبد الله ابن أخت غانم وناظر فى كتاب سيبويه على ابى الحسين بن الطراوه وسمع منه كثيرا من كتب الأدب (وعمى) وهو ابن سبع عشرة سنة حمل الناس عنه وصنف • وكان اماما فى لسان العرب •

* يتوقد ذكاء ، وقد استدعى من مالته الى مراكش ليأخذوا عنه • سمع منه أبو الخطاب ابن دحية وجماعة • وقال ابن دحية كان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف • حتى نمى خبره الى صاحب مراكش فطلبه وأحسن اليه • وأقبل عليه وأقام بها نحوا من ثلاثة أعوام •

وأما سهيل المنسوب اليها فقرية قريبة من بلد مالته سميت بالكوكب سهيل لانه لا يرى من جميع بلاد الأندلس الا من جبل مطل على هذه القرية • وقال بلغنا أن السهيلي ولى قضاء الجماعة • فحمدت سيرته • كذا وجدت على ظهر كتاب فرائضه أنه ولد بأشبيليه •

قال أبو جعفر بن الزبير كان السهيلي واسع

---

(١) مكتبة الازهر رقم خاص ١٩٨ عام ٤٤٨٣

(٢) الاعلام للزركلي جزء ٤ صفحة ٨٦ •

للأستاذ محمد عميرة على

المعرفة غزير العلم نحويا متقنا لغويا . عالما بالتفسير وصناعة الحديث عارفا بالرجال والأنساب . عارفا بعلم الكلام . وأصول الفقه . حافظا للتاريخ القديم والحديث . ذكيا نبيها صاحب اختراعات واستنباطات مستغربه .

والكتاب الذى نقدمه للقراء هو كتاب التعريف والاعلام فيما أبهم فى القرآن قال فى أوله :الحمد لله الذىعلم آدم الأسماء وشرف بعلم دينه العلماء وقال : انى قصدت أن أذكر فى هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه القلم من نبى أوولى أو غيرهما من آدمى أو ملك أو جنى أو بلد أو شجر أو كوكب أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقله للاخبار والعلماء الأخيال ذا النفوس من طلاب العلم الى معرفة مثل هذا وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة ، واذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر ابهم اسمه فى كتاب وكذلك أهل كل صناعة يعلون بأسماء أهل صناعتهم ويرونه من نفيس بضاعتهم فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا فى معرفة ماأبهم فيه ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنه مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر رضى الله عنه عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعنى الا مهابته وذكر الحديث .

وقال عكرمة طلبت اسم الذى خرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة . فهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم ونفاسته عندهم والله عز وجل يعظم الأجر فى تعريف ذلك ويجزل الأجر ويحفظنا فى جميع أحوالنا .

وتحدث المؤلف عن بعض الآيات من كل سورة لبيان ما أبهم فيها . فمن سورة الحمد قوله تعالى : « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » هم الذين ذكرهم الله فى سورة النساء حين قال : « فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ » الآية ، وانظر الى قوله « وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » واجمع بينه وبين قوله « صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » تجده شرحا له لأن الصراط الطريق ومن شأن سالك الطريق الحاجة الى الرفيق ولذلك قال تعالى : « وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اللهم الرفيق الأعلى .

أنظر الى قوله عليه السلام « خير الرفقاء اربعة » تجده ينظر الى قوله سبحانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فذكر أربعة . فصل .

ومن ذلك قوله : « غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » هم اليهود والنصارى . جاء ذلك مفسرا عن النبى ﷺ فى حديث عدى بن حاتم وقصة اسلامه ويشهد لهذا التفسير قوله سبحانه فى اليهود ، « وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ » وقال فى النصارى « قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا

كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ » وسميت اليهود بيهوذا بن يعقوب انتسبوا اليه عند بعض الملوك لسبب يطول ذكره . ثم عربته العرب بالدال ، وسميت النصارى بناصره قرية بالشام كان أصل دينهم منها .

وقال فى سورة البقرة قوله سبحانه : « فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ » وأول من سجد من الملائكة اسرافيل ولذلك جوزى بولايته اللوح المحفوظ .

قال محمد بن الحسن النقاش . وكان اسم ابليس قبل أن تبلس من رحمة الله تعالى عزازيل وقال النقاش كنيته أبو دوس . وقوله « اسكن أنت وزوجك الجنة » زوجه حوا بالمد وأول من سماها بذلك آدم حين خلقت من ضلعه . وقيل له من هذه ؟ قال امرة قيل وما اسمها ؟ قال : حوا . قيل ولم ؟ قال لأنها خلقت من حى وكنيته آدم الذى كنته بها الملائكة أبو البشر . وقيل كنيته أبو محمد ، كنى بمحمد عليه السلام خاتم الأنبياء ، واهبط آدم عليه السلام بسرنديب من الهند بجبل يقال له بوذ واهبطت حوا بجده وأهبط ابليس بالأبلة واهبطت الحية ببيسان وقيل بسجستان وسجستان أكثر بلاد الله حيات لولا العربد تأكلها ويفنى كثير منها لأخليت سجستان من أجل الحيات ــ قاله أبو الحسن المسعودى والشجرة التى نهى عنها قيل هى الكرم . ومن قال هذا يقول الخمر منها ولذلك حرمت . وقيل هى السنبلة . ومن قال هذا يقول لما تاب الى الله وتاب الله عليه . جعلت غذاء لذريته . ومنهم من يقول هى شجرة التين . ولذلك تعتبر فى الرؤيا بالندامة لأكلها من أجل ندم آدم عليه السلام على أكلها .

وقوله سبحانه وتعالى « يابنى اسرائيل » هو يعقوب بن اسحاق وسمى اسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر الى الله فسمى اسرائيل . اى أسرى الى الله تعالى أو نحو هذا . فيكون بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافق للعربى وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السريانى والعربى أو يقاربه فى اللفظ . الا ترى أن ابراهيم تفسيره . أب راحم لرحمته بالاطفال ، ولذلك جعل هو وساره زوجته كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة ، وسارة امرأته هى بنت هارون بن تارح فى قول القتبى والنقاش . ولو صح هذا القول لكانت بنت أخيه ، وقد كان نكاح بنت الأخ على عهده محرما . الا ترى لقوله سبحانه وتعالى : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » الآية . والى هذا رجع النقاش ونقض قوله الأول واحتج بهذه الآية .

وهاران أخو ابراهيم هو والد لوط عليهما السلام . وقال الطبرى : سارة هى بنت هارون ابن ناحور ، يعنى هاران الأكبر عم هاران الأصغر ، فهى بنت عم ابراهيم عليه السلام وبها سميت مدينة حران الى آخر ما ذكر من سورة البقرة . وانتقل ــ رحمه الله ــ الى سورة آل عمران فى قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ » . الآية . هما النعمان بن عمرو والحارث ابن يزيد ، قالا للنبى ﷺ حين دخل عليهم

بيت المدراس ودعاهم الى الله عز وجل ، قالا : ان ابراهيم كان يهوديا ونحن على دينه فحاكمهم الى التوراة فأبيا عليه وكتما ما قالا فنزلت الآية .

وقال فى سورة الأنفال قوله تعالى : « وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ » . هذا القائل هو النضير بن الحارث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . وقوله عز وجل : « وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ » الآية . كان الشيطان فى ذلك وهو يوم بدر متصورا على صورة سراقة بن مالك ابن جشم المدلجى ، وانما تمثل على صورة سراقة لأن قريشا حين خرجوا الى بدر خشوا من بنى مدلج ، وكانت بينهم ترات فخشوا أن يكون بينهم ما يشغلهم عن حرب النبى ﷺ ، وكان سراقة سيد بنى مدلج ، فتمثل الشيطان به وقال : انى جار لكم ولم يزل يتراءى لهم فى تلك الغزوة حتى هزمهم الله عز وجل فرآه الحارث بن هشام ناكصا على عقبيه يفر . فصاح به اثبت سراق . فقال : انى أرى مالا ترون .

وقال فى سورة الجمعة قوله عز وجل « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا » الآية . وانما تذكر هذه الآية لما فيها من التعريف باسم صاحب التجارة ولمن كانت العير فذكر أهل التأويل وأهل الحديث أن دحية بن خليفة الكلبى قدم من الشام بعير له تحمل طعاما وبرا ، وكان الناس اذ ذاك محتاجين فانفضوا اليها وتركوا رسول الله ﷺ يخطب وبقى معه اثنا عشر رجلا وجاء ذكر اسماء الباقين معه فى حديث مرسل رواه أسد بن عمرو الدوسى بن أسد . وفيه أن رسول الله ﷺ ، لم يبق معه الا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود فى أحد الروايتين . وفى الرواية الأخرى عمار بن ياسر وفى مراسيل أبى داود ذكر السبب الذى ترخصوا من أجله لأنفسهم فى ترك سماع الخطبة . وقد كانوا خلقا لفضلهم الا يفعلوا . فقال ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة فتأولوا أن قد قضوا ما عليهم فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة وهو الحديث . وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبى ﷺ يوجب أن يكون صحيحا والله اعلم . وقد فسر اللهو ها هنا بالطبل .

وقال فى سورة المنافقين قوله عز وجل « هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا » . قالها عبد الله ابن أبى بن سلول . وقال لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ » يعنى نفسه الأذل فكان هو الأذل ورسول الله ﷺ الأعز . وقال هذه المقالة فى غزوة بنى المصطلق ورفعها الى النبى عليه الصلاة والسلام زيد بن أرقم وكان غلاما . فلما أنزل الله السورة أخذ رسول الله ﷺ باذنه وقال هذا الذى وفى الله تعالى باذنه .

ومن سورة أبى لهب . أبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب ولما كان اسمه اسما كاذبا من حيث أضيف الى العزى ذكره

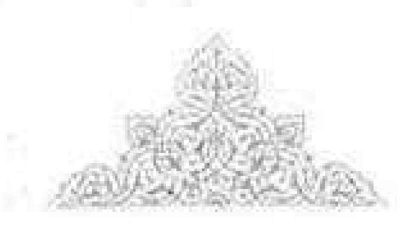
الله عز وجل بالكنية دون الاسم لأن الله يقول الحق وهو يهدى السبيل . فان قيل ان كنيته أبو لهب واللهب ليس بابن له فالجواب أن الله تعالى خلقه للهب واليه مصيره . الا تراه قال « سيصلى نارا ذات لهب » والعرب تكنى بالابن وما لصق بالمكنى ولزمه كقول النبى عليه الصلاة والسلام فى على أبو تراب .

وفى ابى هريرة أبو هريرة لهرة كانت معه تلازمه ولأنس أبو حمزه لبقلة كان يختبيها وهى الحرف . والعرب تقول للاخضق أبو ادراص للعبه بالادراص . وهى جمع درص والدرص ولد الكلبة أو ولد الهرة ونحو ذلك ويقول للذئب أبو جعدة والجعدة الخروفة لأنه كان يحبها والقرآن نزل بلسان القوم . وكانت كنيته أبا لهب . تقدمت لما يصير اليه من اللهب . فكان بعد نزول السورة لا يشك مؤمن أنه من أهل النار . بخلاف غيره من الكفار فانهم كانوا يطمعون فى ايمان جميعهم الا ابالهب وامرأته وهى أم جميل بنت حرب بن أميه عمة معاوية واسمها العوارسه .

وختم كتابه بقوله رضى الله عنه كان املائى لهذا الكتاب على سائل سألنى عن هذه الأسماء المبهمة فى القرآن املاء مما حفظته قديما وحديثا . مطالعة ودرسا . فى كتب التفسير والأخبار . ومسندات الحديث والآثار ، فما حفظت لفظه أوردته كما حفظته . ومنه ما اختلفت ألفاظ الرواة فلم أتتبع جمعها ، ولكن لخصت المعنى متحريا . وللصواب فى تلك الأنحاء متوخيا . وأضربت عن الاسناد لما رويته من ذلك مختصرا اذ كان الكتاب جوابا لسائل وعجالة لمستفهم . لكنى أحلت فى أكثره على المواضع التى منها أخذت والدواوين التى طالعت . وكذا ما أوردت فيه من الأنساب فهو موجود أيضا فى كتب السير وأنساب العرب المشهورة عند أهل الأدب . فلم احتج الى الاستشهاد على ما ذكرته بأكثر مما أوردته وأحلت عليه .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم ، بخط طرين محمد سنة ٧٤٣هـ ، بها آثار رطوبة وأكل ارضة وترميم فى ٥١ ورقة ومسطرتها تسعة عشر سطرا ، وتوجد نسخة اخرى منها فى مجلد بقلم معتاد ، بخط على الجيزى الطائفى سنة ١٠٢٩ هـ ، بهامشها حواش ، فى ٦٤ ورقة ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا .

محمد عميرة على



واجب الشباب نحو ربهم

* للأستاذ محمد فريد وجدى *

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

من سنن الله فى الكون ان شباب اليوم رجال الغد فى تسيير دفة الأمور فى الدولة . وليس فى هذا بدعة ولكنهـــا سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة اللـــه تبديلا .

وقد مضى على اولى الامر زمـن كانوا يظنون ان اهم ركـائز اعـداد الشباب انما هو فى تعلم القراءة والكتابة فقط ناسين او متناسـين ان اهم ركيزة هى ركيزة التدين ، وصلة الشباب بربهم ومعرفتهم بخالقهم حتى يكون الايمـان سابقا على العمل .

لابد للشباب خصوصا فى هـــذا الزمان من تسلح دينى وخلقى يحفظه من النفس الامارة بالسوء ويقيـه نزعات الوسواس الخناس .

لابد لشباب اليـوم مـن توثيق صلتهم بربهم من غير افراط او تفريط ، وبدون شطط او تهويل .

لابد لشباب اليوم من فهم صحيح لدينهم فهما ينأى بهم عن سوفسطائية عرجاء ، وبيزانطية عوجاء .

يقول الكاتب ــ رحمه الله :

ان قلنا واجب الشباب نحو ربهم ، كـان معنى ذلك واجبهم نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا فى كل أمر .

فان الله جل وعز لم يكلفنا الا بما فيــه صلاحنا وفلاحنا ، وتكاليفه أيا كانت عبادات أو آدابا ، المقصود بها تربيتنا تربية عـالية ، واعدادنا لرجولة صـحيحة ، وايصـالنا الى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا المرجوة مـن

طريق العلم والعمل والفضيلة .

مضى الزمان الذى كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو تقييدا للحرية الصحيحة ، أو حرمانا للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لامحدى لها عنه .

واذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع لى المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحى هذا الأمر الجلل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل ان الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الانسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل حاسم لا قيام لها بعده من طريق العلم الطبيعى نفسه لا من طريق العلوم الدينية ، فقد توصل العلم الى احالة المادة الى قوة أى الى اثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . وبزوال هذه العقبة الكأداء من طريق العقل الانسانى انفتحت أمامه باحة لاحد لها الى عالم القوى التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة .

نعم ان زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعى ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال الطبيعى بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الانسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، واعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتمحيص الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يخيل للعلماء أنهم أدركوا حدود كل شىء ، وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكما لا يقبل المراجعة ، ولا يحتمل التشكيك .

يقول قائل :وما تأثير كل هذا فى تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : فى ذلك أبلغ تأثير ، فانه بعد أن كانت تعتبر المادة مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما ، والمحتملات التى تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عند حد . واذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذى طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فاليك على عجل :

قال الدكتور (فيلبون) فى مجلة (العلم والحياة) صفحة ٤٥١ من مجلة سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة (قوة) ؟ هذه المسألة المحيرة لاتزال سرا من أسرار المستقبل » .

وقال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة فى صحة المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها الى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصرى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا فان الصرح

العلمي الذى كان لا يرى صدوعه الاعـــدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت المتناقضات والمحاولات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفـاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك النـاس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون هل الأصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور ؟ ».

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضي (لوسيان بوانكاريه) وهو :

« لا توجد لدينا نظريات كبـرى الآن يمكـن قبولها قبولا تاما ، ويجمـع عليهـا المجربون اجماعا عاما ، بل يسود اليوم عـالم العلـوم الطبيعية نوع من الفوضى » .

وعقب عليه الأسـتاذ (جوستاف لوبون) بقوله :« من حسن الحظ لا شيء أكثر ملاءمة للترقي العلمي من هذه الفـوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لانراها ، والحجـاب الذى يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالـة أو الناقصة التي توجبها علينا تقاليد العلـم الرسمي (تأمل) ، فلا يمكن عمل خطوة للامام الا بعد أن نتفكك عرى الآراء السابقة .

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير ســقوط صرح المادة كان بليغـا الى أقصى مـا يمكن تخيله بفعل تنادي العقيدة في القوة التى تنحل اليها المادة الى العقيدة في روحانيتها ، فيكون ثمرة هذا الهدم والبناء في مصلحة الروح من كل وجه ؟

هذا ما يبدو صريحا من أقوال أقطاب العلم، فقد جاء في دائرة معـارف القـرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب عليها ما يأتي :

« على هذا فجميع الفروض التى فرضت للآن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث . فماذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عـن المـادة ، وهي تتفاوت في صـلاحيتها كوسـائل للترتيب والتحليل ، لا تستطيع أن تزعم أنها الحقيقة المطلقة . وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها الا تسهيل وتعميمصفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتما الا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها » .

ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصـل بقولها :

«وعلى هـذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللا أدري الذى هو عبارة عـن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فان المذهب الذى يرمي اليه علمـاء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل ، كما فكر في ذلك (لبنتز) الى وجود روحاني (تأمل) طبيعته كطبيعـة الوجود الذى يتجلى لوجداننا . والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هي أن تعرفه : هـل الوجود مؤلف من ذرات روحية متميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبـل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلـة والمعلول العام » ؟

نقول :ان أثر تدهور الصرح المادى كـان بعيـدا الى حـد أن حلت الروح محلهـا في التعليلات العلمية الطبيعية كما ترى ، فهـل

بعد هذا اهابة بالعاطفة الدينية الى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟ .

الانسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب ، فكما يألم الجسد ان قطع عنه المدد المادي ، كذلك تألم الروح ان قطع عنها المدد الروحاني . وحرمان الجسد من مقوماته يفضي الى تحلل وظائفه والى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدي الى الحيلولة بين اشراقاتها وبين صاحبها ، وفي تلك الحيلولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب، وغلظ الشعور ، والسقوط الى الحيوانية الباحتة ، بل الى ما هو أسفل منها . فتجد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحاني يستبيح ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنايا ، والانغماس في الخسائس ، والخوض في المقاذر ، ظنا منه أن في هذه الاباحة الجنونية سكنا لنفسه الجامحة ، ومتنسما لقلبه المحترق، ولكنه لا يزداد الا هلعا على هلع ، ولايزال يعالج هذه النيران المستعرة في باطنه حتى ينتهي أجله ، ويذهب الى حيث يذهب التائهون .

ماذا تتطلب أعصى للعقول على الخين بعد أن ألقى الالحاد سلاحه كما يرى على رءوس الأشهاد ؟ وماذا ننتظر أن ترى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهي الى روح ، وأن الروح هي أصل الخلق ومنتهاه ؟

فهلم ننقذ أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن باخضاعها لسلطان الروح ، حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شهواتنا الى حيث تفقدنا كرامة الانسانية، وشرف العمل على اقامة دولة المدنية الفاضلة في الأرض .

عمل الانسان لاقامة دولة الروح هو في الحقيقة خدمة لنفسه وللانسانية وللعلم وللمدنية « إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا » فان الله غني عن العالمين . فان كلفنا الله بطاعته فانما يكلفنا بما يحيينا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وغرائزنا الفطرية « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ».

محمد فريد وجدى



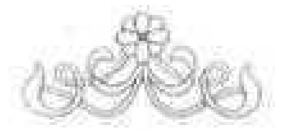
منوعات علمية

الاعلام الإسلامى



الشمس

طرائف ... ومواقف



اليهود بين الحق والقوة

الاعلام الاسلامى

الأسس والمبادئ

٢

عرضنا فى الحلقة الماضية تحليلا لواقع العمل الاعلامى فى بلاد المسلمين من حيث الدراسة فى الجامعات ومعاهد الاعلام ، ثم من حيث الممارسات فى ميدان العمل الاعلامى من خلال الوسائل الاعلامية المختلفة ، ثم حصلنا على نتيجة مفادها أن البلد المسلم لا بدله من اعلام اسلامى فالاعلام كما يرى « أوتوجروت » (١) هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير .. !!

* بداية :

وقبل أن نبدأ المسيرة فى هذه الصفحات ، أود أن أشير الى خطأ شاع بين الباحثين فى مجال الاعلام الاسلامى على وجه الخصوص ويتمثل هذا الخطأ فى الخلط بين بعض المفاهيم والمصطلحات .. لدرجة أنك قد لا تجد باحثين اثنين قد اتفقا على مفهوم واحد ، محدد ، مقنن لحد من الحدود اللغوية أو أداة من أدوات البحث .. !!

وعلى سبيل المثال — لا الحصر — ثمت كلمات شائعة لدى الباحثين فى مجال الاعلام مثل : اتصال ، اعلام ، دعوة ، دعاية ، تبليغ .. الى هذه المصطلحات التى تجد لكل باحث ازاءها رؤية واستخداما مختلفا .. ونحن نرى أن الاستخدام المتسرع للألفاظ الفضفاضة التى تتسع وتضيق وفقا لمتغيرات معينة قد يخرج الباحث عن مقصده ويجعله يتوه بعيدا عن غايته .. !!

ولهذا فانك قد تجد كتابا كاملا يحمل عنوان « الاعلام الاسلامى » ، فاذا ما تناولته بعناية ودققت النظر فيه وجدته كتابا عن « الدعوة » لا « الاعلام » ، وقد تجد باحثا أو كاتبا من جامعة الازهر يريد أن يحدثك عن (الدعوة) .. وفنونها فى العصر الحديث فاذا به يحدثنا عن « الدعاية » .. ومرد ذلك عدم تحديد المصطلحات منذ البداية .. الى جانب ما ذكرنا آنفا .. !

لهذا — ينبغى — قبل أن نمضى فى هذه الدراسة — أن نحدد بعض الألفاظ والمصطلحات حتى لا يلتوى بنا القصد ، ونضل سواء السبيل .

(١) أحد الاعلام الالمان ويعتبر رائد المدرسة الالمانية فى الاعلام .

للاستاذ حسن على محمد العنيبسى

تعريفـــــات :

١ ـ الاتصال : كلمة اتصــال مترجمــة من الكلمة الانجليزية Communication ، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Communis ومعناها الشىء المشترك .

فاذا ما عدنا الى الاصول اللغوية العربيــة للكلمة من واقع معاجمنا العربيــة نجـد ان : الكلمة من الفعل (وصل) ، (يصل) وقد زيـد الفعل بالألف وتاء الافتعال فاصبح فعــلا خماسيا (اتصل) وعلى هذا نف « الاتصال » مصدر « اتصــل » .

وفى المصباح المنير :

وصلت اليه (أصل) وصولا ، و (وصــل) الخبر بلغ ، وصلت المرأة شعرها و (استوصلت) .. سألت أن يفعل بها ذلك ، (وصلت) الشىء بغيره وصلا (فاتصل) به (١) .

ـ وفى (معجم اللغات) :

كلمة Communication ، وتعنى الاتصال والمخابرة والابلاغ ونقل المعلومات وهى مـن الفعل أوصل أى أبلغ (٢) .

ـ والاتصــال ـ اصطلاحا ـ يعنى نقــل المعلومات والآراء والاتجاهات من مصدر الى متلق للتأثير عليه من أجـل هـدف ما يـراد تحقيقه (٣) .

ـ والاتصــال عمليــة ديناميكية مستمرة ومتغيره تحتوى على عناصر متعددة ، كما أنه عملية معقدة .. لا يمكن عزل عامل فيها عن آخر الا افتراضا للدراسة ، ولذا فان كثيرا من علماء الاعلام يميلون الى استخدام كلمة (اتصال) بدلا من كلمة (اعلام) لأنها أى (الاتصــال) اكثر شمولا ودقة فى التعبير وكلمة « اتصال » تحتوى على « اعلام والدعوة والدعاية .. » الــخ .

٢ ـ الاعــلام :

ـ قد تلتقى كلمتا : « اعلام » و « اعلان » فى بعض مفرداتهما معنى ـ ، لكن يبقى ـ فى النهاية ـ فاصل دقيق بين المعنيين فى البعض الآخـر من هذه المفـردات ، ففى المصـباح المنير (٤) :

يقال (علمته) و « علمت » به ، وأعلمتــه الخبر ، وأعلمته به ، وتجد فى (علن) الامــر (علونا) من باب قعد ـ أى ظهر وانتشر فهو

---

(١) ، المصباح المنير ، مادة وصل .

(٢) ، معجم اللغات الوسيط ، جمروان السابق طاولى ـ بيروت ، ص ١٢٩ .

3-Everte Rogers, Communicaion of innvation, Acrosscultural, Newyourk Free press. PP 20 - 23.

(٤) راجع مادتى : علم ، علن بالمصباح المنير للفيومى .

« عالن » و « علن » و « علين » •
وهكذا نلاحظ أن المادة الأخيرة تفيد الذيوع الذى قد لا تفيده بعض مفردات الأولى •

وفى المحيط (١) :

(علن) الامر - أظهره وفى لسان العرب(٢) ــ علن الشىء « علونا » اذا شاع والاعلان « فى الاصل اظهار الشىء ، وفى حديث الهجرة لا تستعلن به ولسنا بمقرين له » ••

ويقول الراغب الاصفهانى « الاعلام (بالميم) اختص بما كان باخبار سريع ، « والتعليم » اختص بما يكون بتكرير وتكثير ، وفيه أيضا : علن : العلانية ضد السر ، وأكثر ما يقال ذلك فى المعانى دون الأعيان (٣) •

والاعلام ــ اصطلاحا ــ هو •

تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات •

والدكتور ابراهيم امام فى هذا التعريف يرى ان الاعلام يعنى « الاخبار » بقصد تكوين « رأى » وليس لمجرد الاخبار السريع كما يذهب الى ذلك الراغب الاصفهانى ، وبطرس البستانى •

ونحن نميل الى التعريف اللغوى لابن منظور الذى يرى أن الاعلام يعنى « الاظهار » وليس مجرد عملية اخبارية وانما هو عملية اتصالية لكل أنشطة المجتمع وللحياة اليومية وتبادل المعرفة بين الناس والاعلام ، وان نجا « لكن من الزيف » فى بعض عملياته وبعض مراحل تاريخه فانه « كعلم »مقنن على أسس ، لم يسلم من الفكر الصليبى أو اليهودى (٤) ، ومن هنا كانت الحاجة الى جهود الباحثين فى مجال الاعلام الاسلامى •

ــ المدرسة الالمانية ومفهوم الاعلام :

يرى الباحث الاعلامى « أوتوجروت » ان الاعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت (٥) ونحن ــ ازاء « اعلام اسلامى » ينبغى أن تكون لنا نظرة علمية فى أى تعريف نتناوله حتى ننتهى الى تعريف جامع مانع يتفق وحقيقة ما نتناوله •

٢ ــ الدعــوة :

مصدر دعا بالشىء ، يدعو ــ دعوا ، ودعوة ودعاء ودعوى ، فالدعوة مصدر أيضا لما يتطرق اليه الفعل فى نحو : دعاه الى الدين

(١) راجع المــادة للفيروزابادى بالقــاموس المحيط •
(٢) راجع المادة لابن منظور فى اللسان •
(٣) راجع مادتى علم وعلن بالمفردات فى غريب القرآن للاصفهانى •
(٤) راجع للدكتور عمارة نجيب : مصــدر سابق ، ص ١٦ •
(٥) عبد اللطيف : الاعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٢٣ • (٦) راجع مادة (دعا) فى اللسان ، والمعجم الوسيط •

والى المذهب ، أى حثه على اعتقاده ، ومن معانى (الدعوة) النداء للمشاركة فى شىء والتجمع على شىء و (دعا الرجل) ناداه ، وتداعى القوم أى دعا بعضهم بعضا ، « والداعية » الذى يدعو الى دين أو فكرة من قوله تعالى : « وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » ومنه أيضا قوله تعالى : «يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ » .

الدعــوة الاسلامية :

والدعوة الاسلامية مصطلح يقصد به بيان الحق وابلاغه بهدف الى اشراك الناس فى خير الاسلام وهداه ، وقد يراد به الاسلام نفسه .. فدعوة الاسلام ، أو الدعوة الى الله ، هى دعوة الحق كما قال تعالى : .. « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ » فالدعوة منهج يقوم على بيان الحق والخير ، والهدى وكشف وسائل الباطل وأساليبه ومنهج الزيغ بكل الطرق والوسائل والمناهج التى يجمعها قوله تعالى : « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (١) .

ـــ وتعريف الدكتور عمارة هذا اقرب الى الاعلام منه الى الدعوة ، فهو يرى ـــ ونحن معه ـــ أن الدعوة أشمل من الاعلام، ولكن بمفهومه الذى بين أيدينا للدعوة يكون الاعلام أكثر شمولا ، وهو ما يتعارض مع ما هو متفق عليه منذ البداية . فالاعلام من ادوات الدعوة ووسائلها من وجهة نظرنا . وليس هو أشمل منها ولكن أود أن أقول .. اذا كان مفهوم الدعوة هو تبصير الناس بالحق ، وتوضيح جوانب العبادات ومحاربة الباطل .. وحسب فان الاعلام فى هذه الحالة أشمل وأوسع لأنه يقوم بكل هذا الى جانب القيام بمهامه الأخرى مثل وظيفة الاخبار ، وظيفة التثقيف ، وظيفة الترفيه .. الخ .

وبهذا أيضا يصبح الفارق كبيرا بين الاعلام الدينى والاعلام الاسلامى ، فالذى أراه أن الاعلام الدينى جزء من الاعلام الاسلامى وليس مرادفا له .. وقد يتلاقى الاعلام الدينى مع مفهوم « الدعوة » فيتفق المصطلحان .. فان الاعلام الدينى يقتصر على تبصير الناس بالحق والحث على مكارم الاخلاق ، ويعنى بتوضيح الفرائض ويتوجه الى جمهور المسلمين عامتهم وخاصتهم .. وخصوصا من بلغ سن الرشد أو الحلم ، اما الاعلام الاسلامى فانه يتوجه الى الجميع مسلمين وغير مسلمين صغارا وكبارا يتناول جميع الامور الدينية والدنيوية ..

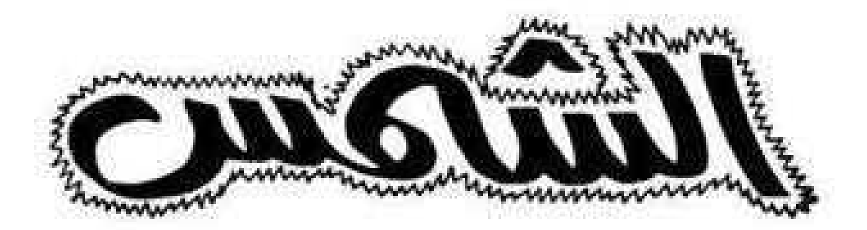
والاعلام الاسلامى كما يهتم بتوضيح العقائد يهتم بنشر الاخبار وفقا لأسس ومبادىء سوف نوضحها ، وكما يهتم ببيان الحق للناس يهتم بالعلوم الكونية والتكنولوجيا العصرية .

وندع الحديث عن مفهوم الاعلام الاسلامى الىموضعه من هذه الدراسة .

حسن على العنيسى

---

(١) راجع د. عمارة نجيب ، فقه الدعوة والاعلام ، دار الكتاب الاسلام ط اولى ص ١٦ ، ص ١٧ .



« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ » .

(١٩٠ آل عمران)

« وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

(٣٨ يس)

من منح الله العظيمة لعباده ذلك العقل البشرى الذى اختص الله به الانسان ، فميزه به على سائر المخلوقات وجعله اداة لرفع شأنه على ظهر البسيطة ، كما جعله عاملا للتكليف والحساب للانسان .

وقد أمر الله الانسان أن يستخدم عقله فى التفكر والتدبر فى خلق السموات والأرض ، وما بينهما وخير الناس من فكر ودبر ، وهؤلاء وصفهم الله عز وجل بأنهم من أولى الالباب وهو وصف تقدير وثناء لهم منه عظمت قدرته .

والتفكر والتدبر يجب أن يقترن بالعلم وليس فقط بالخيال أو الرؤية السطحية للأمور . وقد منحنا الله فى حياتنا نعمة عظمى نراها كل يوم ، فى الصباح تشرق علينا وفى نهاية اليوم تغرب بانتظام واقتدار لا يمكن تقديرهما مهما كان النظام دقيقا بل ان انتظامها فى ذلك قد سجل فى صورة توقيتات محددة مسبقا ، يعرفها البشر جميعا فى جميع أنحاء الأرض ، فهى ذلك النجم الجبار الذى يحقق هذه التوقيتات جميعها فى سكون وعظمة رهيبة تثير اعجاب أولى الألباب .

فلنتدبر سويا بعض الحقائق العلمية المبسطة عن هذا النجم الساطع فى سمائنا لعلنا نتلمس مما جزءا ضئيلا جدا من عظمة الخالق الذى خلق كل شيء بدقة وابداع ليس لهما مثيل .

مقدمة :

يقيم فى مركز المجموعة الشمسية أكبر وأهم عضو فيها نجم متوسط يعرف بالشمس . وتبلغ كتلة الشمس ٩٩,٨ فى المائة من الكتلة الكلية للمجموعة الشمسية ، ولهذا فهى تسيطر بجاذبيتها على الارض والكواكب الأخرى وتحفظ كل كوكب يدور حولها فى مداره . ولقرب الشمس منا أمكننا التوصل الى ملاحظات تفصيلية عنها تدلنا على العلم بشيء عن النجوم الأخرى البعيدة عنا والتى لا

للمهندس محمد إبراهيم حسين

تستطيع أن ترى منها سوى « نقط » مضيئة في أكبر « التلسكوبات » .

وتأثير الشمس على الأرض ذو اهمية مباشرة بالنسبة لنا ، فهي ليست مصدرا للضوء والحرارة فحسب ، فان كل نوع من النشاط يجرى على الارض يمكن أن يعود سببه الى الطاقة التي تصل الينا بواسطة الاشعاع الشمسي .

فالطاقة المستمدة من مساقط المياه أو من الرياح ، وكذا الوقود الذي نوقده ، والغذاء الذي نتغذى به كل هذه يمكن ارجاع أصولها الى المصدر الكبير للطاقة ، الا وهي الشمس .

سمات عامة للشمس :

الشمس كرة هائلة من الغاز يبلغ قطرها ٨٦٤ الف ميل وتبلغ كتلتها ٣٣٣ الف مرة قدر كتلة الأرض ، وحجمها أكبر ١٫٣٠٠٫٠٠٠ مرة من حجم الأرض فكثافتها لذلك ــ وهي ١٫٤١ من كثافة الماء ــ أقل من كثافة الارض التي هي ه‍ره من كثافة الماء .

والجزء من الشمس الذي نراه في السماء ــ أي الجزء المرئي من سطحها ــ يسمى « الكرة الضوئية » وهذا السطح غازي حقا وليس بصلب كسطح الأرض . فالكرة الضوئية مرئية لأنها المنطقة الخارجية من الشمس حيث الضغط عال بدرجة كافية ودرجة الحرارة مرتفعة ارتفاعا كافيا ولذا تشع ضوءا أبيض ، ولما كانت الكرة الضوئية غير منفذة للضوء ، فقد أخفت عن أنظارنا الجزء الداخلي من الشمس .

وتعلو الكرة الضوئية منطقتان من الغاز متميزتان تميزا واضحا أما المنطقة التي تعلو الكرة الضوئية مباشرة ، والتي تمتد الى ارتفاع يقدر بحوالي خمسة آلاف الى عشرة آلاف ميل فهي الكرة اللونية التي نستطيع رؤيتها أثناء الكسوف الكلي للشمس وذلك لبضع ثوان قبل أو بعد اختفاء قرص الشمس بتمامه . فأثناء هذه اللحظات التي تمر سريعا يخفي القمر الكرة الضوئية شديدة الاضاءة ويسمح بملاحظة الكرة اللونية المائلة الى الاحمرار .

وفي الواقع فان اللون الضارب الى الحمرة هو الاصل في هذه التسمية : (الكرة الملونة) ومن الكرة اللونية تمتد الهالة الشمسية الى ملايين الأميال من الغاز الخفيف جدا وهناك « صحيحة » يستنبط منها أن كثيرا من الكواكب ومنها الأرض تدور فعلا داخل حدود هذه الهالة .

الطيف الشمسي :

اذا اختبر طيف ضوء الشمس بواسطة جهاز الحصول على الأطياف (الاسبكترومتر) رؤى



الشمس

أنه طيف متصل مكون من مجموعة مرتبة من الألوان التى تبدأ بالأحمر وتنتهى بالبنفسجى وتتخلل ألوان الطيف آلاف من الخطوط الرأسية المظلمة موزعة فى الطيف من أوله الى آخره فى مواضع على نسق معين ٠

وقد فسر وجود هذه الخطوط بأنها أطوال موجية امتصت من ضوء الشمس بواسطة العناصر الكيميائية الغازية الموجودة فى جو الشمس ٠

وقد كشفت الدراسات الطيفية للجزء المرئى من الطيف الشمسى أن به ستة وعشرين ألف خيط من هذه الخطوط كل منها لابد أن ينتج عن عنصر أو مركب كيميائى معين ٠ وقد أمكن التعرف على هذه العناصر بمقارنة الطيف الشمسى بأطياف الاشعاع التى نحصل عليها فى المعمل للمواد المعروفة على سطح الأرض ، وقد اتضح أنه يوجد بالشمس ٦٧ عنصرا بدرجة وضوح كافية من العناصر الموجودة على الأرض فالخطان الموجودان فى منطقة الأصفر ـ مثلا ـ ينشآن عن عنصر الصوديوم ، والخطان شديدا الظلمة فى البنفسجى هما نتيجة لوجود الكالسيوم فى جو الشمس ٠

أما الشريطان المظلمان فى الاحمر القانى فهما نتيجة امتصاص لضوء الشمس بتأثير الاكسجين الموجود فى جو الأرض ٠

والطيف الشمسى غير قاصر على الجزء المرئى منه ، ولكن توجد منه أشعة غير مرئية أى لا تراها العين ، فهناك أطوال موجية يزيد طولها عن الأشعة الحمراء وتسمى الأشعة دون الحمراء أو ما قبلها ، كما توجد أطوال موجية يقصر طولها عن الأشعة البنفسجية وتسمى الأشعة فوق البنفسجية أو ما بعدها ٠ وتتميز الأشعة دون الحمراء بتأثيرها الحرارى ، فاذا سقطت على « ترمومتر » حساس رفعت درجة حرارته ٠ كما تتميز الأشعة فوق البنفسجية بتأثيرها على الألواح « الفوتوغرافية » وتأثيراتها الكيميائية ٠

ويلاحظ أن الغلاف الهوائى للارض ينفذ ضوء الشمس المرئى وقليلا من الأشعة دون الحمراء القريبة من الأحمر وقليلا من الأشعة فوق البنفسجية القريبة من البنفسجى ولكنه يمتص الأطوال الموجية الكبيرة من الأشعة دون الحمراء كما يمتص الأطوال الموجية القصيرة من الأشعة فوق البنفسجية ٠

الاشعاع الشمسى :

بالنسبة لمقدار ما تشعه الشمس من ضوء وحرارة فى الفضاء فقد قدر هذا المقدار من الطاقة من قياس تأثيرها الحرارى عند سطح الأرض مع التجاوز عما يمتصه جو الأرض من الطاقة ٠ ولكن اذا عمل حساب هذا الامتصاص لوجدنا أن الأرض يصلها سعران من الحرارة لكل سم٢ من سطحها فى الدقيقة الواحدة ٠ ولكن نظرا لكبر بعد الارض عن الشمس فما يصل السم٢ من سطح الارض

يمثل كسرا ضئيلا جدا من الطاقة الصادرة من الشمس .

ولا يجاد مقدار الطاقة الكلية علينا أن نحسب مساحة سطح كرة نصف قطرها يساوى نصف قطر مدار الأرض مقداره بـ « السنتيمترات » المربعة ، ويمكننا بعدئذ أن نضرب هذه المساحة في كمية ما يقع على « السنتيمتر المكعب » من طاقة .

هذه المساحة تقدر بـ ٢٫٨ مضروبا في « عشرة سبعا وعشرين » مرة من السنتيمترات المربعة . لذا ، فالاشعاع الكلى الصادر من الشمس الذى يسقط على سطح هذه الكرة = (٢ × ٢٫٨ × ١٠ ^٣٣) = (٥٫٨ × ١٠^٣٣) سعرا في الدقيقة وهذا الرقم يمثل الطاقة الكلية الصادرة من الشمس . وهى تكافىء (٥ × ١٠^٣٣) قدره حصان بمقياس القدرة أو كمعدل بذل طاقة حوالى (٤ × ١٠^٢٦) وات .

وبعد ...

فان هذا قليل من كثير بل قليل جدا مما خلق الله سبحانه وتعالى ونظم ودبر وقدر كيف قدر ، واستطاع عقل الانسان الذى هو خلق من خلق الله ايضا ان يزيح الستار عن بعض هذه الاسرار ليكشف كم كان هذا العقل جاهلا من قبل وكم سيبقى جاهلا امام قدرة الله وعلمه وخلقه .

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ » فنتبعه ونتبع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم شاكرين نعمائه مستديمين حفظه وآلائه .

محمد ابراهيم حسين





على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقف أعرابي على قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :

قلت فقبلنا ، وأمرت فحفظنا ، وقلت عن ربك فسمعنا .. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا ، فما بقيت عين إلا سالت .

نصيحة

لا تكن ممن إذا سأل الحق ، وإذا سئل سوف ، وإذا حدث حلف ، وإذا وعد أخلف . ولا تنظر نظرة حسود ، ولا تعرض إعراض حاقد .

"في تأديب الصغار"

قال بعض حكماء المسلمين :

من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

وقال ابن عباس – رضي الله عنه –: من لم يجلس في الصغر حيث يكره ، لم يجلس في الكبر حيث يحب .

وقال حكيم : ما أشد فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم .

وقال صالح بن عبد القدوس شعرا :

وإن من أدبته في الصبا
كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا
بعد الذي أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى في ثرى رمسه

وقال آخر :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا
فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده :

ليكن أول إصلاحك ولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت .

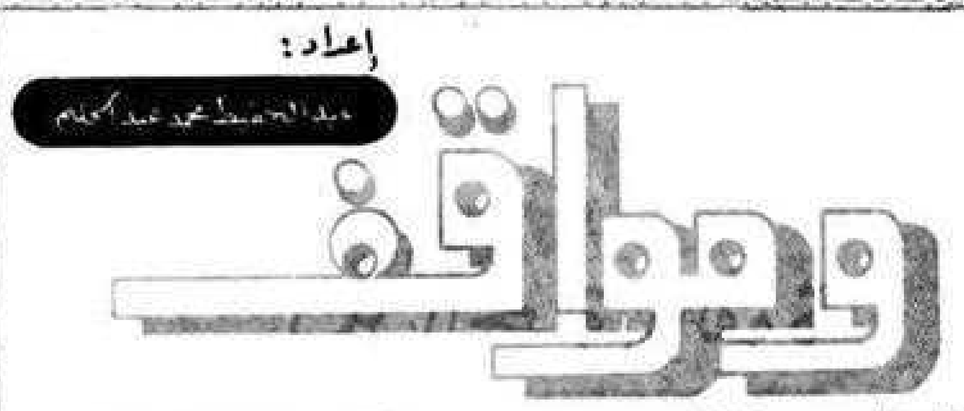
شر الخصال

روى القالي في « أماليه » عن الأصمعي أنه قال :

تقول العرب : لا ثناء مع الكبر ، ولا صديق لذي الحسد ، ولا شرف لسيء الأدب .

إعداد :

عبد الحميد محمد عبد الحكيم



وكان يقال : شر خصال الملوك : الجبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عند الاعطاء .

"هى الدنيا"

سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء ، تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ، ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها .

قال الشاعر :

لحا الله دنيا يصبح المرء آمنا
اذاها ويمسى فى الضريح موسدا
وما الحمق الا ان تفكر فى غد
وانت رهين الموت لا تضمن الغدا

قالوا

* لا يترك الناس شيئا من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم ، الا فتح الله عليهم ماهو أضر منه .

* لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجىء التوبة بطول الأمل .

* مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

* من أطاع هواه أعطى عدوه مناه .

* لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه .

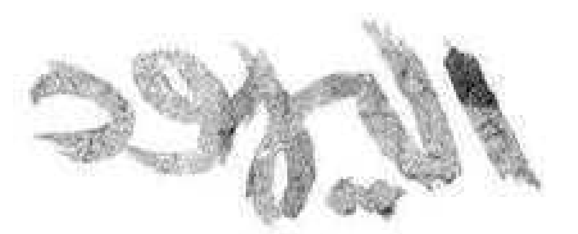
* الزاهد من يقيم زهده بفعله والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه .

حقا

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر اتى بعد عسر
وفرج كربة القلب الشجى
وكم امر تساء به صباحا
وتاتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما
فثق بالواحد الصمد العلى

دعاء

اللهم بك توسلت ، ومنك سالت ، وفيك لا فى سواك رغبت، لا اسأل منك سواك ، ولا اطلب منك الا اياك .



بين الحق والقوة

الحق سلطة ادبية تخول للانسان عمل شيء او اقتناء شيء او استعماله وهو ضد الباطل .

ومصدر حق (حقا) بمعنى وجب و « استحق » « الشيء » استوجبه و « احقه » « أوجبه » والجمع « حقوق »

ومن المعنى الاشتقاقي « للحق » يتبين لنا ارتباطه « بالواجب » وملازمته له وهذا صحيح من ناحية أن كل حق ينتج واجبا وقد يتولد عن الحق عدة واجبات مثل (حق الملكية) الذي يوجب على صاحبه أن يحتفظ بحقه فلا يفرط أو يتهاون فيه ، وأن يستخدمه فيما يعود عليه وعلى الجماعة بالفائدة كما يوجب على الغير احترام هذا الحق وعدم الاعتداء عليه بالسرقة أو النهب أو الاغتصاب .

وتنقسم الحقوق من حيث التمتع بها الى :

١ ــ حقوق طبيعية : وهي حقوق منحت للانسان من بدء نشأته وهي عامة يتمتع بها كل الناس ــ كحق الحياة ــ وحق الحرية وحق التملك .

٢ ــ حقوق قانونية : وهي الحقوق التي تمنح للانسان بمقتضى قانون بلاده كحق « الشفعة » وهذا النوع من الحقوق يختلف عن سابقه في أنه ليس حقا عاما وانما يتمتع به من له الحق فيه طبقا للقانون كالجار أو الشريك .

وفي أصل الحق ونشأته اختلفت الآراء فـ (روسو) يرى أن أساس الحقوق « العقد » أو « الاتفاق » .

في حين يقول « هوبز » ان « الحكومة » هي الأساس ، ودليله على ذلك أن الفرد لا يتمتع بحريته وملكيته الا برضى وقبول منها .

وبينما يرى الاشتراكيون أن أساس الحقوق « الحاجة » ــ فالانسان في نظرهم تقدر حقوقه بقدر احتياجاته .

كذلك نرى من يقول ان « القوة » هي أساس الحق ، وان الانسان يقدر حقه بقدر ما يأنس في نفسه من قوة وهو لا يعترف بأي حقوق لغيره الا بقدر ما لهذا الغير من القوة .

واليهود على هذا الرأي الأخير ويبدو ذلك واضحا من قولهم عن الحق : انه فكرة مجردة

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

قائمة على غير أساس وهى لا تدل على أكثر من « أعطنى ما أريد لكى أبرهن لك على أنى أقوى منك » (١) .

وهم يقولون ان قانون الطبيعة يقضى بأن : « الحق يكمن فى القوة » ودليلهم على ذلك ان الذى كبح الوحوش المفترسة التى تسميها الناس عن الافتراس وحكمهم حتى الآن هو خضوعهم فى الطور الأول من حياتهم للقوة الوحشية العمياء ثم خضوعهم بعد ذلك للقانون وما القانون فى حقيقته الا القوة ذاتها مقنعة فحسب (٢) .

ويدعون لاشاعة هذا المبدأ قائلين : ان خير النتائج ما ينتزع بالعنف والارهاب لا بالمناقشات الأكاديمية (٣) .

وقد ترك هذا المفهوم للحق أثره على فكر وسلوك زعمائهم فنجد « بن جوريون » يردد نفس المعنى قائلا : « ان الأغبياء وحدهم الذين يفتشون عن (المنطق) فى التاريخ (٤) .

ولذلك كان من رأيه أن « القوة » هى التى ستخلق الحقائق المادية فى فلسطين ، وهى التى ستقرر فى النهاية الطرف الرابح فى الصراع العربى الاسرائيلى .

ومن هذا المنطلق بدأ فى اعداد فرق مسلحة أطلق عليها اسم « الهاشومير » * لتساند مطالبهم فى فلسطين ، وجعل لها شعارا هو « بالدم والنار سقطت اليهودية ، وبالقوة والنار سوف تقوم ثانية » .

وكانت هذه الفرق نواة جيش الدفاع الاسرائيلى — « الهاجاناه » .

وقد ظل مبدأ القوة « مسيطرا عليه حتى بعد قيام دولة اليهود فى فلسطين ، ففى سنة ١٩٤٨ طلب منه « الكونت برنادوت » وسيط الأمم المتحدة أن يترك العرب يعودون الى ديارهم فكان رده عليه .. سنفعل كل شيء حتى لا يعودوا أبدا » (٥) .

وفى مقدمته لكتاب « تاريخ الهاجاناه » الذى أصدرته المنظمة الصهيونية سنة ١٩٥٤ يقول — موجها كلامه للعرب الذين تمسكوا بأرضهم فى فلسطين المحتلة .

« اننا سنقول للعرب : ابتعدوا ، فاذا لم يوافقوا وقاوموا فسنبعدهم بالقوة » .

فالقوة والارهاب والعنف هى محور التفكير اليهودى وهى مفتاح فهم العقل اليهودى .

---

* أى الحراس .

المراجع :

(١) الخطر اليهودى — محمد خليفة التونسى ص ١٥١

(٢) الخطر اليهودى — محمد خليفة التونسى ص ١٤٧

(٣) الخطر اليهودى — محمد خليفة التونسى ص ١٤٦

(٤) ممنوع من التداول — محمود عوض ص ٣٧ .

(٥) الصهيونية والعبقرية — احمد يوسف القرعى ص ٢٢

ولقد بلغ ايمانهم بالعنف الى درجة اعتباره العامل الرئيسى فى قوة الدولة ، لأنه فى نظرهم يحزز « الفزع » الذى يولد الطاعة . لذلك كان شعارهم (كل وسائل العنف والخديعة) وهم يرون أن التمسك بهذا الشعار لا تمليه المصلحة فحسب وانما يتطلبه الواجب والنصر ، وحسبهم أن يعرف عنهم أنهم صارمون فى كبح كل تمرد .

ومن مظاهر تطبيق هذا الشعار فى الأراضى المحتلة نجد العنف متمثلا فى توقيع العقوبات الجماعية على سكان أى منطقة يقع فيها حادث مقاومة ضدهم باعتبارهم محتلين ، وتشمل هذه العقوبات نسف الدور والمنازل والاعتقال بالجملة وفرض حظر التجول لمدة أيام والقيام بعمليات انتقامية بواسطة منظماتهم المتطرفة وتنفيذ أحكام الاعدام ضد كل من يرتابون فى تعاونه مع أعضاء حركة المقاومة العربية .

أما الخديعة فتبدو فى محاولة اضفاء الشكل القانونى على اجراءات شاذة تستهدف نزع ملكية السكان العرب لأرضهم بواسطة مجموعة من القوانين الجائرة مثل (قانون الامن العام) لسنة ١٩٤٩ » وهو يخول لوزير الدفاع صلاحية الاعلان عن أى مساحة من الأراضى على أنها منطقة « أمن » وبذلك يمنع السكن فيها والدخول اليها وبصدور الاعلان يحق للحاكم العسكرى فى المنطقة طرد سكانها اذا لم يغادروها بعد أربعة عشر يوما من اعلانهم بأمر الخروج منها . وغالبا ما تختار مناطق الأمن فى المساحات التى توجد بها كثافة سكانية عربية . ووفق « قانون امتلاك الأراضى لسنة ١٩٥٢ » يجوز مصادرة الأراضى اللازمة للمشروعات العسكرية ولانشاء المستعمرات وقد استطاعت اسرائيل بفضل هذه الاجراءات الاستيلاء على ٨٠٪ من الأرض العربية واذا أردنا أن نتبين وجه الحق فى هذه الاجراءات نجدها كلها مشوبة بالبطلان لمخالفتها أحكام القوانين والاتفاقيات الدولية التى تهدف الى حماية الفرد وصيانة حقوقه فى حالة الحرب بشكل خاص ، والتى التزمت جميع الدول الموقعة عليها وتعهدت بتأمين احترامها ومن هذه الدول اسرائيل . من هذه الاتفاقيات (اتفاقية جينيف الرابعة) (مادة ٣٣، ٣٤) اتفاقية جنيف .

كما يؤكد الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٠/١٢/١٩٤٨ على حق الفرد فى العودة الى وطنه متى شاء (مادة ١٣) وعلى عدم جواز حرمان أى شخص من ملكه تعسفا (مادة ١٧) .

ويحاول اليهود خداع العالم بتبرير هذه التصرفات باحتياجات أمنهم وهو قول مرفوض لسببين .

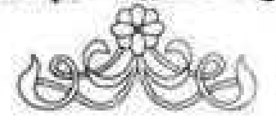
الأول : أن من أول واجبات الدولة احترام تعهداتها .

الثانى : أن الأمن لا يتحقق الا بالعدل ، والعدل لا يكون الا باعطاء كل ذى حق حقه ولا يمكن أن يقوم على الظلم واهدار الحقوق المشروعة للغير .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

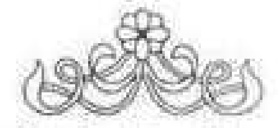
اللغة والأدب والنقد

الوقف على الاسم المنقوص



عمل اسم الفاعل

معارك الرافعي القلمية



من قضايا النقد الأدبي

الوقف

على الاسم المنقوص

٣

يوقف عليه باثبات يائه وجوبا فى ثلاث مسائل :

احداها : أن يكون محذوف الفاء : كما اذا سميت رجلا بمضارع وقى ، أو ولى فانك تقول عند الوقف : هذا يقى ، وهذا يلى ، لان اصلهما يوقى ، ويولى فحذفت فاؤهما ، فلو حذفت لامهما لكان اجحافا .

الثانية : أن يكون محذوف العين نحو « مر » اسم فاعل من أرى وأصله : مرئى فنقلت حركة الهمزة الى الساكن الصحيح قبلها ثم حذفت فلم يجز حذف الياء لأن حذفها مع العين اجحاف .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٩) :

وقالا فى « مر » اذا وقفا : هذا مرى كرهوا أن يخلوا بالحرف فيجمعوا عليه ذهاب الهمزة والياء ـ ا هـ .

الثالثة : أن يكون منصوبا ، فان كان منونا نحو ـ رأيت قاضيا ـ فالواجب قلب تنوينه للوقف ألفا الا على لغة ربيعة .

وان لم يكن منونا بقيت الياء ساكنة مطلقا ـ سواء كان منع التنوين لوجود أل نحو « **كلا اذا بلغت التراقى** » ورأيت القاضى ، أو لكون الاسم ممنوعا من الصرف نحو « **سيروا فيها ليالى** » ورأيت جوارى .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٨) وأما فى حال النصب فليس الا البيان (١) لأنها ثابتة فى الوصل فيما ليست فيه ألف ولام ، ومع هذا أنه لما تحركت الياء أشبهت غير المعتل (٢) ، وذلك قولك : رأيت القاضى ، وقال الله عز وجل (**كلا اذا بلغت التراقى**) وتقول رأيت جوارى لأنها ثابتة فى الوصل متحركة ا هـ .

فان كان الاسم المنقوص غير ما تقدم ـ بأن لم يحذف منه شىء وكان مرفوعا أو مجرورا جاز فيه الوجهان : حذف الياء واثباتها ـ مع رجحان أحدهما .

واليك التفصيل :

فان كان منونا ، وكان تنوينه للصرف ـ كان الحذف أرجح ـ نحو : « **ولكل قوم هاد** »

---

(١) اى بيان الياء واثباتها فى الوقف .
(٢) فى قبول الحركة وغير المعتل لا يحذف شىء من حروفه عند الوقف .

للدكتور عبد العظيم الشناوى

« وما لهم من دونه من وال » ـ ويجوز الوقف برد الياء واسكانها ـ كقراءة ابن كثير ـ ولكل قوم هادى ، وما لهم دونه من والى .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٨) وذلك قولك هذا قاض ، وهذا غاز ، وهذا عم يريد العمى « أذهبوها فى الوقف كما ذهبت فى الوصل ، ولم يريدوا أن تظهر فى الوقف كما يظهر ما يثبت فى الوصل (١) فهذا الكلام الجيد الكثير » .

وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول هذا رامى ، وغازى وعمى . أظهروا فى الوقف حيث صارت فى موضع غير تنوين لأنهم لم يضطروا ههنا الى مثل ما اضطروا اليه فى الوصل من الاستثقال (٢) اهـ .

وان كان تنوينه لغير الصرف جاز الوجهان فى الوقف ولكن الاثبات أرجح ـ كما فى الهمع ـ نحو : هذه جوارى ، ومررت بجوارى ويجوز الحذف مرجوحا .

وان كان المنقوص غير منون ويشمل ثلاثة أنواع :

الأول : المقرون بأل ، وهذا يترجح فيه الاثبات كقراءة ابن كثير « **الكبير المتعالى** » « يوم التنادى » ومن المرجوح قراءة نافع وأبى عمرو فى بنى اسرائيل والكهف (**ومن يهد الله فهو المهتد**) ومن ذلك قراءة غير ابن كثير بالحذف فى قوله تعالى : «والكبير المتعال» و « يوم التناد » (٣) قالوا : وهذا يدل على أن أكثر القراء قد يتفقون على المرجوح . بل جوز بعضهم اتفاق السبعة عليه اهـ صبان .

وانما كان اثبات الياء فى الوقف أرجح لأنها ثابتة فى الوصل وأما من يحذفون هذه الياء فى الوقف فكأنهم شبهوا ما فيه ألف ولام بما ليس فيه ثم أدخلوا الألف واللام بعد الحذف .

قال سيبويه : (جـ ٢ ص ٢٨٨) فاذا لم يكن فى موضع تنوين فان البيان أجود فى الوقف وذلك قولك : هذا القاضى ، وهذا العمى لأنها ثابتة فى الوصل ـ ومن العرب من يحذف هذا فى الوقف شبهوه بما ليس فيه ألف ولام اهـ .

الثانى : ما سقط تنوينه للنداء : نحو ياقاضى فالخليل رجح الاثبات فيقول ياقاضى، ويونس رجح الحذف فيقول : ياقاض، ووافقه سيبويه.

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٩) : وسألت

(١) أى أنها لو ظهرت فى الوقف لاشبهت ما تظهر ياؤه فى الوصل . نحو القاضى . وهم لم يريدوا ذلك .

(٢) أى انهم اضطروا للحذف فى الوصل لالتقاء الساكنين . الياء والتنوين . ولكن فى الوقف ذهب التنوين فلا اضطرار للحذف .

(٣) جعل سيبويه سبب الحذف فى الآيتين مراعاة الفواصل قال ومما يختار فيه أن لا يحذف يحذف فى الفواصل .. نحو « يوم التناد » ، و « الكبير المتعال » .. اهـ وكثيرا ما يخرجون على الاصل مراعاة للفواصل ـ وعلى هذا تكون القراءة غير مرجوحة .

الخليلعن القاضى فى النداء فقال : أختار يا قاضى لأنه ليس بمنون كما أختار هذا القاضى — وأما يونس فقال : ياقاض ، وقول يونس أقوى • لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا فى غير النداء كانوا فى النداء أجدر ، لأن النداء موضع حذف يحذفون التنوين ، ويقولون : ياحار ، وياصاح ، وياغلام أقبل ا هـ •

ورجح غير سيبويه مذهب الخليل ، لأن الحذف مخالف للأصل ، ولم يكثر فيترجح بالكثرة •

الثالث : ما حذف تنوينه للاضافة : نحو : قاضى المحكمة ، ومفتى الجمهورية ومعلوم أن هذا عند الوقف عليه يرد اليه التنوين الذى كان محذوفا للاضافة — فيأخذ حكم المنون غير المنصوب ، وهو رجحان الحذف •

الوقف على الفعل المعتل الآخر

يوقف عليه اذا كان مرفوعا أو منصوبا باثبات لامه من غير حذف وليس كالاسم • وانما كان كذلك من قبل أن الفعل لا يلحقه تنوين فى الوصل يوجب الحذف كما وجد فى الاسم فلذلك جرى حاله فى الوقف كحاله فى الوصل فتقول فى الرفع : هو يغزو ، ويرمى ، ويخشى باثبات الياء ساكنة — كما كانت فى الوصل — وتقول فى النصب : لن يغزو ، ولن يرمى ، ولن يخشى ، فاذا وقفت أسكنت ما كان متحركا — أى يوقف عليه بالسكون مطلقا•

قال سيبويه : وأما الأفعال فلا يحذف منها شىء لأنها لاتذهب فى الوصل فى حال وذلك : لا أقضى ، وهو يقضى • ويغزو ، ويرمى ا هـ •

والخلاصة : أن الفعل اذا لم يحذف منه حرف العلة فى الوصل لا يحذف منه فى الوقف بل يبقى ساكنا وان كان فى الوصل متحركا — ويشمل ذلك الماضى نحو لقى ، ورمى والمضارع المرفوع والمنصوب كما مثلنا •

فاذا جاء المضارع المرفوع على لغة هذيل الذين يحذفون حرف العلةاكتفاء بالحركة الدالة عليه — وقفنا عليه بالسكون مع حذف حرف العلة — وقد ورد من ذلك فى القرآن الكريم — يوم يأت ••• ذلك ما كنا نبغ • والليل اذا يسر •

قال النسفى — رحمه الله — فى يوم يأت : « وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل — ونظيره ما كنا نبغ • ا هـ جـ ٢ ص ٢٠٥ وفى مختار الصحاح — « وقرىء يوم يأت بحذف الياء كما قالوا لا أدر ، وهى لغة هذيل » •

وقال النسفى — رحمه الله — : وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة ، وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة » فظاهر أن الحذف فيما ذكرنا فى الوقف لوجوده فى الوصل ولكن سيبويه — وتبعه كثير — نص على أن الحذف فى نبغ ، ويسر ، للفاصلة ومعنى هذا أنه لم يحدث حذف فى الدرج — وهذا منه غريب أو سهو •

قال سيبويه (جـ ٢ص ٢٨٩) وجميع ما لا

يحذف فى الكلام (١) ، وما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف فى الفواصل والقوافى فالفواصل قول الله عز وجل والليل اذا يسر ، وما كنا نبغ ... ثم قال واثبات الياءات والواوات (٢) أى المحذوفة للفاصلة ــ أقيس الكلامين ــ وهذا جائز عربى ، كثير ا هـ فتدبر

فأما الوقف على المضارع المجزوم ، وفعل الأمر فسيأتى حكمه عند الكلام على هاء السكت .

الوقف على المنتهى بياء المتكلم

ياء المتكلم يجوز فيها الفتح والاسكان ان كان ما قبلها مكسورا ــ ويتعين فتحها ان كان قبلها ساكن ــ بأن يكون ما قبلها مقصورا أو منقوصا أو مثنى أو جمع مذكر سالما ــ فاذا كانت الياء مفتوحة فلك فى الوقف عليها وجهان :

الوجه الاول : اسكانها ولا تحذف لأنها قد قويت بالحركة فى حال الوصل ولم تحذف فى الوقف وجرت مجرى يا القاضى فى حال النصب .

والوجه الثانى : أن تبقيها مفتوحة وتلحق بها هاء السكت لبيان الحركة ــ قال ابن يعيش : ومنه قراءة الجماعة (**ما اغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه**) اهـ .

قال سيبويه : وأما ياء هذا قاضى (٣) ، وهذان غلاماى (٤) فلا تحذف لأنها لا تشبه ياء هذا القاضى لأن ما قبلها ساكن . ولأنها متحركة كياء القاضى فى النصب فهى لا تشبه ياء هذا القاضى (٤) ولا تحذف فى النداء ، لأن ما قبلها ساكن فلا يكون للاضافة علم (٥) لأنك لا تكسر الساكن ، ومن قال : هذا غلامى فاعلم وانى ذاهب ــ بفتح الياء فيهما ــ لم يحذف فى الوقف ، لأنها كياء القاضى فى النصب ولكنهم (٦) مما يلحقون الهاء فى الوقف فيبينون الحركة ا هـ جـ ٢ ص ٢٩٠ .

واذا كانت الياء ساكنة : فلك فيها وجهان : اثباتها ساكنة ، وحذفها واسكان ما قبلها .

قال ابن يعيش : ومن أسكن الياء فيهما (أى فى الفعل والاسم) فالوقف على وجهين : ايضا ، أجودهما اثبات الياء ، لأنه لاتنوين معهما يوجب حذفها فهى ثابتة فى الوصل ولا تحذف فى الوقف وجرت مجرى ياء القاضى ، لأنها ياء ساكنة بعد كسرة فى اسم فثبتت كسرتها ، والوجه الآخر أن تحذفها فيهما فتقول : ضربن ، وهذا غلام وأنت تريد : غلامي وضربني ، لأن « نى » اسم وقد قرأ أبو عمرو : (ربى أكرمن ... وربى اهانن) على الوقف وكان هذا رأى من يقول هذا القاض فيحذف الياء ــ ثم قال : وحذف الياء فى الفعل حسن لأنها لا تكون الا وقبلها نون

البقية ص ٦٠٤

(١) يعنى بالكلام : ما لا وقف فيه .
(٢) اصل الالف لانها لا تحذف ، لا فى الفواصل ولا فى القوافى ، الا للضرورة كما قال :
★ رهط مرجوم ورهط ابن المعل ★
(٣) تمثيل لما قبلها ساكن فالفتح فيها واجب .
(٤) فالياء فيه ساكنة وياء المتكلم مفتوحة .
(٥) اى علامة تدل على الياء المحذوفة وهى الكسرة لان ما قبل الياء ساكن لا يكسر .
(٦) هذا هو الوجه الثانى فى الوقف على الياء المفتوحة .

عمل اسم الفاعل

اسم الفاعل ، هو ـ كما نعلم جميعا ـ الوصف المصوغ من مصدر الفعل تام التصرف للدلالة على من وقع منه الحدث اوقام به ، فلا يصاغ من الفعل الجامد ، نحو عسى وليس ونعم وبئس ، وخلا وعدا وحاشى وجميعها ملازمة لصيغة الماضى ، ونحو هب وتعلم وهما ملازمان للامر بالاجماع ، ولامن ناقص التصرف نحو (يدع ويذر) ٠

اذ ليس لهما ماض ، ونحو ، زال وبرح وفتىء وانفك من أفعال الاستمرار ، وكاد وكرب وأوشك من أفعال المقاربة فليس لهما فعل أمر ٠ واسم الفاعل بهذا الوصف يعمل ٠ مكبرا غير موصوف عمل فعله تعديا ولزوما فان وصف قبل العمل أو بعده أو صغر فلا يعمل خلافا للكسائى فى الحالتين ، ذلك أن التصغير والوصف مختصان بالاسم فيبعدان الوصف عن مشابهة الفعل الذى هو المسوغ المطلوب لعمل اسم الفاعل ، ولا حجة له فيما سمع من قولهم : أظننى مرتحلا غدا ، فويطما ميلا ، وسويرا فرسخا بنصب ميل وفرسخ لأنهما ظرفا مكان يكفى لعمل النصب فيهما ونحوهما ما فيه معنى الفعل فى الجملة بدليل عمل اسم الفاعل بمعنى المضى والمصوغ من اللازم النصب فى مثل هذا النوع من الظروف، نحو أنا قادم بالأمس صباحا ، وصديقى مسافر منذ شهر ليلا ومحمد جالس فوق المنصة ، وعمار واقف أمام الديوان ٠

ويرى بعض متأخرى النحاة أن الوصف اذا جاء مصغرا ابتداء ولم يسمع له مكبر جاز أن يعمل الرفع كما فى قول الشاعر :

فما كل راح فى الزجاج مدامة (١)
ترقرق فى الأيدى كميت عصيرها

حيث عمل كميت الرفع فى عصيرها ، على رواية جر كميت على أنه صفة لراح ، وأما على روايته بالرفع فالوصف (كميت) خبر مقدم وعصيرها مبتدأ مؤخر وحينئذ فلا شاهد فيه ولا حجة له أيضا على اعمال الموصوف فى قول الشاعر :

اذا فاقد خطباء فرخين رجعت
ذكرت سليمى (٢) بالخليط المزايل

---

(١) راح ومدامة : من اسماء الخمر ، ترقرق الشىء : تلألأ ولمع ، كميت : الكميت الشىء ذو اللون الاحمر المائل الى السواد ٠

(٢) خطباء : بينة الخطب ، اى الكرب والشدة والامر العظيم ، فرخين : المراد ولدين ، رجعت : من الترجيع وهو أن يقول المرء عند المصيبة : انا لله وانا اليه راجعون

لأن فرخين ليس منصوبا بالوصف (فاقد) لأنه غير جار على فعله في التأنيث فلا يفيد التجدد والحدوث كالفعل بل هو بمعنى النسب الذي يفيد الثبوت والدوام ، فلا يعمل ، وانما هو منصوب بفعل مضمر يفسره فاقد ، أي فاقد خطباء فقدت فرخين (ولدين) . وذهب بعضهم الى جواز عمل اسم الفاعل الموصوف قبل أن يوصف لأن ضعف المشابهة للفعل انما يحصل بعد مجيء الصفة لاقبله ، فاذا أعملنا اسم الفاعل قبل وصفه ثم جاءت الصفة بعد العمل جاز ذلك نحو هذا ضارب المجرم عاقل . لأن الصفة حينئذ لم تؤثر على قوة المشابهة للفعل فاذا استعمل اسم الفاعل غير مصغر ولا موصوف فانه يعمل عمل مضارعه تعديا ولزوما ، فاذا صيغ من لازم فانه يعمل الرفع فقط ، فيرفع الظاهر والضمير بارزا أو مستترا ، بقيد

واحد فقط هو اعتماده على ما يقربه من شبه الفعل من استفهام ملفوظ به أو مقدر ، أو نفي صريح أو مقدر ، أو موصوف أو مسند اليه ، أقائم أخوك ما قادم غلامك ، هذا فارس منتصر ، كان صالح مسافرا أمس ، ونحو

أموافق أنت على هذا الرأي ، ماموافق هو مما يقول ، ومثل أقائم انتما ، ما حاضران هنا . وان صيغ من متعد لواحد أو أكثر فانه يعمل عمل فعله المصوغ منه فينصب المفعول به واحدا أو أكثر كفعله تماما ، لكن بتوفر

شرطين اثنين هنا .

اولا : أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال لا بمعنى الماضي ، لأنه انما عمل هذا العمل حملا على المضارع لما بينهما من الشبه اللفظي والمعنوي وأجاز الكسائي وجماعة اعماله بمعنى الماضي تمسكا بقوله تعالى (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ، وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) فقد عمل اسم الفاعل (باسط) النصب في ذراعيه وهو بمعنى الماضي لأن الآية تحكي قصة أصحاب الكهف وقد حدثت من أزمان ماضية بعيدة ، ولا حجة للكسائي وموافقيه في ذلك لأنه على حكاية الحال الماضية ، أي أن يقدر الماضي واقعا في الحال أي في زمن سرد القصة لا في زمن حدوثها والمعنى يبسط ذراعيه ، فصح تقدير وقوع المضارع موقعه ، بدليل أن الواو في ، وكلبهم باسط ذراعيه حالية ، وقوله في الآية نفسها : (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) بالمضارع الدال على الحال ، ولم يقل : (وقلبناهم) بالماضي . فان فقد هذا الشرط فيه فانه لا يعمل النصب ، وانما يعمل الرفع فقط في الظاهر والمضمر كما سلف الشرط

الثاني : أن يعتمد على ما يقربه من شبه الفعل المضارع الذي هو بمعناه ، ويكون ذلك بعدة أمور .

١ ــ الاعتماد على استفهام ظاهر ، نحو أجابر عكرمة عثرات الكرام ، وقول الشاعر :

أمنجز أنتم وعدا وثقت به
أم اقتفيتم (١) جميعا نهج عرقوب

أو مقدر نحو ، ممسك خالد غلامه أم مطلقه ، أى ، أممسك خالد غلامه بدليل ذكر (أم) ومنه قول الشاعر :

ليت شعرى ، مقيم العذر قومى
لى ام هم فى الحب لى عاذلونا

٢ ــ الاعتماد على النفى صريحا نحو ، ماراكب الوزير طائرة ، ما مانع المحسن الفقراء معونته ، ما جاعل الكذب الباطل حقا ، ومن ذلك قول الشاعر :

ماراع الخلان ذمة ناكث
من وفى يجد الخليل خليلا (٢)

أو النفى تأويلا ، نحو ، انما ناصر عمر المظلوم، انما فاهم محمد الدرس ، انما قارىء سعيد الرسالة ، لانه بمعنى ما ناصر عمر الا المظلوم، وما فاهم محمد الا الدرس ، وما قارىء سعيد الا الرسالة ، لأن هذا أسلوب قصر والقصر بانما والا فى أداء الغرض المنشود من أسلوب القصر .

٣ ــ الاعتماد على موصوف ملفوظ به نحو مررت بغلام قائد بعيرا ، ومنه صاحب الحال نحو ، أقبل منصور راكبا دراجة ، اذ الحال وصف لصاحبها فى المعنى ، أو موصوف مقدر ، كقولك ضاربا عمرا ، جوابا لمن سألك : كيف رأيت خالدا ، وكقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها (٣)
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقوله تعالى : (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أى صنف مختلف ألوانه ، ومنه أيضا قولهم :ياطالعا جبلا ،فطالعا نصبجبلا اعتمادا على الوصف المقدر ، أى يارجلا طالعا جبلا ، وليس اعتمادا على حرف النداء كما ذكر ابن مالك فى النظم حيث قال : ان كان عن مضيه بمعزل ، وولى استفهاما أو حرف ندا ، أو نفيا .. الخ لأن شرط المعتمد عليه أن يقرب الوصف من مشابهة الفعل ، وحرف النداء لا يوفر ذلك الشرط لكونه مختصا بالاسم لأنه من علاماته فكيف يكون مقربا له من الفعل ؟

وينبغى أن ننبه هنا الى أن قول صاحب المغنى : ان اشتراط الجمهور اعتماد الوصف على ما يقرب به من شبه الفعل من استفهام أو نفى أو موصوف أو مسند اليه ، وكونه بمعنى الحال أو الاستقبال هو للعمل فى المنصوب فقط لا لمطلق العمل انما يعنى به اشتراطهم مجموع الأمرين معا (الاعتماد وكونه للحال أو الاستقبال) ، ذلك أن الجمهور لا يشترطون

---

(١) أمنجز : أنجز الوعد عجله . اقتفيتم : اتبعتم . نهج عرقوب : مسلكه وطريقته وعرقوب أعرابى اشتهر باخلاف الوعد فضرب المثل به فى خلف المواعيد .

(٢) ناكث : نكث الرجل العهد نقضه فهو ناكث . الخليل : الصديق . والجمع أخلاء .

(٣) كناطح صخرة : أى كوعل ناطح والوعل: الايل وهو كبش الجبل . فلم يضرها : من ضار يضير . أى فلم يلحق بها ضررا .

لعمل الوصف في المرفوع كونه بمعنى الحال أو الاستقبال سواء أكان مرفوع الوصف خبرا له أو فاعلا أو نائبه سد مسد الخبر فيجيزون اعماله فيه بمعنى الماضي نحو ، سعيد حاضر غلامه أمس فقد رفع الوصف (حاضر) غلامه وهو بمعنى الماضي ، ونحو أمقيم الطالبان بالمدينة الجامعية من سنة خلت ؟ وانما يشترطون لعمل الوصف في المرفوع ظاهرا أو مضمرا الاعتماد فقط على ما يقربه من شبه الفعل كما يتضح ذلك من المثالين السالفين وذهب الأخفش الى أن الوصف يعمل وان لم يعتمد على شيء مما ذكر ، واستدل على رأيه هذا بقول الشاعر :

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا

مقالة لهبي اذا الطير مرت

فقد عمل الوصف (خبير) الرفع في بنو لهب دون أن يعتمد على شيء مما ذكر يقربه من شبه الفعل كما يشترط الجمهور ، والأخفش لا يرى ضرورة لهذا الشرط مستدلا بالبيت سالف الذكر ، وتأوله الجمهور على أنه محمول على التقديم والتأخير ، أى تقديم الخبر وتأخير المبتدأ ، والتقدير بنو لهب خبير ، ولذا فلا شاهد فيه ، وصح الاخبار بالمفرد (خبير) عن الجمع (**بنو لهب**) على حد قوله تعالى : (**والملائكة بعد ذلك ظهير**) وقول الشاعر : هن صديق للذى لم يشب . لأن ظهيرا وصديقا وكذا خبيرا على وزن المصدر كصهيل وزئير ونعيب ونعيق، والمصدر يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع هكذا ما يوازنه . وذلك يقتضى أن وزن (فعيل) يستوى فيه المذكر والمؤنث سواء أكان بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول ويتناقض هذا مع ماقرره جمهور النحاة من أن الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث هو (فعيل بمعنى مفعول فقط ، لا بمعنى فاعل ويمكن التوفيق بين الرأيين ، بأن شرط استواء المذكر والمؤنث أن يكون فعيل بمعنى مفعول انما هو شرط **لاعتبار هذا الاستواء قياسيا فلا ينافي مجيئه سماعيا في فعيل بمعنى فاعل لكونه على وزن المصدر ، فتكون موازنته للمصدر نكتة السماع، لا علامة الجواز المطلق المطرد .**

أما اذا جاء اسم الفاعل صلة لأل الموصولة فانه يعمل عمل فعله المصوغ منه مطلقا سواء كان بمعنى الماضي أو كان للحال والاستقبال ، معتمدا على ما يقربه من الفعل أو غير معتمد لوقوعه في موقع يجب تأويله فيه بالفعل نحو جاء الحافظ عهده أمس أو اليوم أو غدا . وأعظم الواهب الجزيل أمس أو الآن أو بعد غد ، ومنه قول امرىء القيس :

القاتلين الملك الحلاحلا

خير معد حسبا ونائلا

.. فقد نصب القاتلين الملك الحلاحل مع كونه بمعنى الماضي فانه يريد بالملك الحلاحل أباه الذى قتل منذ أمد بعيد ، لأن الوصف في البيت صلة لأل الموصولة وحافظ وواهب وقاتلين قائم مقام حفظ ووهب وقتل الماضي، أو يحفظ ويهب المضارع، والفعل يعمل في الأزمنة الثلاثة هكذا ما حل محله وليس نصب ما بعد الوصف المقترن بأل خاصا بكون الوصف للماضي خلافا للمازني ومن وافقه

عمل اسم الفاعل

مستندين الى ظاهر تقدير سيبويه اسم الفاعل المقرون بال بأنه : الذى فعل كذا ــ بصيغة الماضى ، وقد رد عليهم بأن سكوت سيبويه عن عمل الوصف بمعنى المضارع مع أل ، لثبوت العمل له بمعنى المضارع مجردا منها .

فبالاولى أن يعمل مع اقترانه بها وليس منصوبا على التشبيه بالمفعول به خلافا للأخفش ، وتكون أل حينئذ حرف تعريف ، لا اسم موصول ، وليس منصوبا بفعل مضمر،

والوصف (اسم الفاعل) غير عامل خلافالجماعة منهم ، فالمذاهب فى اسم الفاعل المقترون بال اربعة ،اشهرها انه يعمل مطلقا دون شرط ، لوقوعه فى موقع يجب تأويله فيه بالفعل كما سلف ذكره .

احمد حسن عبد العواض هلالى

الوقف على الاسم المنقوص "بقية"

فالنون تدل عليها فلا لبس فيها ولذلك كثر فى القرآن ، فأما اذا قلت : هذا غلام ، ووقفت عليه بالسكون فلا يعلم أنه يراد به الاضافة الى الياء أم الافراد (١) ، ولذلك منع بعض الأصحاب جوازه لأجل اللبس وقد أجازه سيبويه لأن الوصليين اهـ جـ ٩ ص ٨٥ ، ٨٦ .

واليك ما قاله سيبويه فى الياء الساكنة قال (جـ ٢ ص ٢٨٩) : وذلك قولك هذا غلام ــ وأنت تريد :هذا غلامى ، وقد أسقان ، وأسقن وأنت تريد : أسقانى وأسقنى ، لأن « نى » اسم ، وقد قرأ أبو عمرو فيقول « ربى اكرمن وربى اهانن » على الوقف (بحذف الياء واسكان النون) وقال النابغة :

اذا حاولت فى أسد فجورا فانى لست منك

ولست من (٢) يريد «منى» ــ (فحذف الياء وأبقى النونين : نون من ونون الوقاية) .

وقال النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم
وهم أصحاب يوم عكاظ ان

يريد « انى » سمعنا ذلك ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم ــ وترك الحذف أقيس (هذا هو الوجه الثانى) .

وقال الأعشى :

فهل يمنعنى ارتياد البلا
د من حذر الموت أن يأتين
ومن شانىء كاسف وجهه
اذا ما انتسبت له أنكرن اهـ

عبد العظيم على الشناوى.

(١) أى عدم الاضافة .

(٢) قال الاعلم : الشاهد فيه حذف الياء من الضمير فى قوله « من » وهو جائز فى الكلام (أى فى السعة) كما قرىء فى الوقف : اكرمن ، وأهانن . وانما جاز حذفها تشبيها بياء القاضى والغازى ونحوهما مما تحذف ياؤه فى الوقف . يقول هذا لعيينة بن حصن الفزارى . وكان قد دعاه وقومه الى مقاطعة بنى أسد ونقض حلفهم فأبى عليه وتوعده بهم . وأراد بالفجور : نقض الحلف .

النقد الأدبي

عند أبي عبيد البكري

للأستاذ حسن فترون

منذ عبر العربي عمـا يختلج في فؤاده ، أو تقع عليه عيناه كان يجد صدى لما يقول أو ينشد فيسمع استحسانا أو استهجانا وهو مانسميه « النقد الأدبي » .

وقد بدأ ساذجا غفلا من التعليل والتحليل، فلما تفتحت ثقافة المتلقن وعرفوا الكتابة ودونوا التـاريخ ، واجتمع لهم تراث من الخبر والأثر والشعر والنثر ظهر النقـاد الذين يقـرءون ويدرسون ويتأملـون ، ويضـعون أسس النقـد بجـانب التذوق للنص والأثر .

وعرفنا في العصر العباسي الأول كتبا تنقد وتوازن ، وتقسم الشعراء الى طبقات وفقـا للموازين التي وضعت لنقد الصناعة الأدبية ، مثل « طبقات الشعراء » لابن سـلام الجمحي، وتلا ذلك ظهور الكتب التي تعنى بنقد الشعر أو نقد النثر مثل قدامة بن جعفر ، فانه ينظر الى الشعر لا الى الشاعر ، وهناك « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » لأبي بشر الآمدي « والوساطة بين المتنبي وخصـومه » وهلم جـرا .

وقد ألف الدكتور محمد مندور ــ رحمـه الله ــ كتابا تناول فيه كل ما تناوله نقاد العرب القدماء وسماه « النقد المنهجي عند العرب »

وأنا هنا أشيـر ولا أخـوض في تلك اللجج والأمواج فذلك يقتضي سـفنا وملاحين مهرة ، وقد أوفق في يوم ما لأزاول هذا الهدف النبيل بيد أني أشير كما قلت لأصل الى أمر محدود أحصر نفسي فيه لعلى أوفق للكشف عن معانيه ومراميه ، ذلك الأمر هو النقد الذي قام بـه أبو عبيد البكري في كتابه « التنبيه على أوهام أبي على في أماليه » وقبل أن أتناول التنبيـه بالدرس والفحص والتمثيل وأبدى الرأى في معطياته أقدم لك موجزا عن حيـاة أبي على وحياة أبي عبيد أو بمعنى يقال ، ترجمة للمنقود

وترجمة للنقاد لتكون على بينه من أمرهما ، هذين العلمين الكبيرين والانتفاع بما خلفا من أدب غزير وحلم جليل .

وأبدأ بأبى على ، لأنه الذى وقع عليه النقد كما هو ظاهر من العنوان « التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه » .

فأبو على هو : « اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى » وقد جاءت نسبته الى كل من « قالى قلا » والى « بغداد » لمناسبة وقعتله، وذلك أنه كان من أهل « منازجرد » من ديار بكر ، وقد ولد بها سنة ٢٨٨ هـ وكان جده سلمان من موالى عبد الملك بن مروان ، ونسب الى قالى قلا ، لأنه ــ كما قال : « لما انحدرنا الى بغداد كنا فى رفقة كان فيها أهل قالىقلا ــ وهى قرية من قرى منازجرد ، وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد نسبت اليهم لكونى معهم ، وثبت ذلك على . » وقد دخل بغداد سنة ٣٠٣ هـ ، ونسب الى بغداد لطول مقامه فيها ، فقد عاش فيها خمسا وعشرين سنة ، ثم انتقل الى الأندلس فقيل له « القالى البغدادى » وكانت بغداد حين دخلها مدينة النور ، فأمها مشتاقا اليها ، مشغوفا بما يسمع عنها ، منافسا لمن يقصدها للعلم والمعرفة ، وفى بغداد عرف مجالس العلم والأدب واللغة وفنون المعرفة ، وروى كثيرا من الأخبار والشعر ولا سيما ما رواه عن تلاميذ المبرد مثل الأخفش الصغير ، والزجاج ، وابن درستويه ، وروى عن غيرهم أيضا ، فلما امتلأت حوصلته ، وصار وعاء علم وذخيرة أدب أراد لما وعى ميدانا يشرق فيه ، وراعيا يحسن اقتناءه فيمم ابن عم خاتم النبيين محمد ﷺ لأ عبد الرحمن الناصر » خليفة الأندلس وولى عهده «الحكم» بدعوة من الناصر الذى كتب اليه « ورغبه فى الوفود عليه لنشر علمه » فكان أن ترك بغداد وارتحل ، ولم يفته أن يصف حال البلاد الاسلامية من الثقافة فى طريقه الى الأندلس، فقال : « لما وصلت القيروان وانا أعبر من أمر به من أهل الأمصار فأجدهم درجات فى العبارة وقلة الفهم بحسب تفاوتهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة ، فقلت : ان نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم ، فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الأوطان » نزل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، فماذا رأى ؟ رآها غاصة بالعلماء والادباء والمفكرين .

ووجد خليفة وولى عهد قد أقبلت الدنيا على بلادهما فى أيديهما الثروة والقوة ، ومن همهما حب الكتب وجمعها من كل سبيل من الشرق والغرب ، ومكتبة « الحكم بن عبد الرحمن » لا نظير لها فى مكتبات العالم فى ذلك الزمان ، وذخائرها اليوم زينة مكتبات الغرب . قد استقبل ابو على القالى البغدادى عند قدومه استقبالا لم نعرف له نظيرا فى القديم والحديث لأديب أو عالم ، أمر الناصر ابن الحكم أن ينتدب عاملا من كبار رجالات الدولة ليتلقى أبا على فى وفد من وجوه الرعية ينتخبهم من بياض أهل الكورة ليكونوا فى استقباله بمجرد نزوله الى أرض الأندلس ، ففعل ، وسايره نحو قرطبة فى موكب نبيل ،

فكانوا يتذاكرون الأدب في طريقهم ويتناشدون الأشعار ، وكان دخوله له اليها لثلاث بقين من شعبان سنة ٣٣٠ هـ .

وفي قرطبة وجد كل ما يتمناه الرجل الشريف ، وكانت وفاته بها سنة ست وخمسين وثلثمائة من الهجرة ، وقد ألف أبو علي في قرطبة كتبا كثيرة الفوائد منها كتاب « الأمالي » الذي نحن بصدد تقديمه ونقده كما يرى أبو عبيد البكري ، يقول عنه أبو علي : « أمللت هذا الكتاب من حفظي في الأخمسة بقرطبة وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة » وقد طبع هذا الكتاب في جزأين وضم اليهما « ذيل الأمالي والنوادر » وجاء معهما « التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه » لأبي عبيد ، ومن ثم تسنى لي أن أقرأ وأن أعرض النقد . وفي مؤلفات أبي علي فوائد وفرائد ، وفي نقده فنون وآداب لاغنى عنها لشاد ودارس .

وقد كان أبو علي — على جلالة قدره . رجلا ظريفا ، ومألفا لطيفا ، فقد ذكر الحميدي في كتابه « تاريخ الأندلس » أخبرنا القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قال : كتبت الى أبي علي البغدادي القالي أستعير منه كتابا من الغريب وقلت :

بحق ريم (١) مهفهف
وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء
من « الغريب المصنف »

— « والغريب المصنف » كتاب في غريب الحديث لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني النحوي اللغوي الكوفي نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . قال : فقضى حاجتي وأجابني بقوله :

وحق در تألف
بفيك اي تألف
لأبعثن بما اقتفيت
هوى « الغريب المصنف »
ولو بعثت بنفسي
اليك ماكنت أسرف

واليك ترجمة عن الناقد أبي عبيد البكري :

هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الوزير من « مرسية » من بلاد الأندلس وينسب اليها المرسي أبو العباس نزيل الاسكندرية والقطب الشهير ، كان مولد البكري بها سنة ٤٣٢ هـ — ١٠٤٠ م وهو من أعيان أهل الأندلس سكن قرطبة بعد أن غلبه ابن عباد على سلطانه ببلده ، ولكنه بقي معظما مكرما تتهاداه ملوك الأندلس وتتهاوى مصنفاته وقد وصفه الفتح بن خاقان صاحب « قلائد العقيان » بأوصاف جمة تقرظ علمه وأدبه وذكاءه وتفوقه ولكنه أشار الى هنات فيه ، والهنات التي يقصدها خصال السوء فقد كان مدمن خمر « لايصحو من خمارها .. ولايريح الا على تعاطيها ، ولايستريح الا الى متعاطيها »ويقول وقد رأيته وأنا غلام ما أقمر هلالي في مجلس ابن منظور وهو في هيئة كسيت بالبهاء والنور ، وقد بلغ سن ابن محلم فجرى ذكر ابن مقلةوخطه .. فقال :

(١) الريم = الظبي الابيض والمراد فتاة جميلة بيضاء .

خط ابن مقلة من ارعاه مقلته
ودت جوارحه لو اصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا
والورد يحمر من ابداعه خجلا

فهو عالم وأديب وشاعر وعلى قدر كبير من معرفة التفسير والحديث ، وهذا عجيب وغريب من رجل لايفيق من خمار الخمر • وله مصنفات كثيرة لعل أهمها فى نظرى مايتصل بشرح مؤلفات القالى ونقدها ، فقد شرح الأمالى فى كتابه يسمى « اللآلى » و « الواقى » فى شرح النوادر — وكانت وفاته سنة ٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م فعمره قصير بالنسبة لعمر أبى على القالى •

ونجىء الى كتابه القيم وهو التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه » والذين قاموا بطبع الأمالى وملحقاته حين تعرضوا لطبع التنبيه رقموا صفحاته ونقداته حسب ترقيم كتاب الأمالى بجزئيه حتى لا يتعب القارىء فى المراجعة والمقابلة بين النص المنقود ونقد البكرى له •

وأنا لا أستطيع أن أذكر كل نقد وانما أختار بعضه لنرى معا مذهب النقد فى ذلك الزمان فى القرن الخامس الهجرى ومدى الدقة فى معطياته ، وأبو على حافظ وراويه وحريص على الدقة ، ولكنه لم يرجع الى كتاب حين ألقى تلك الأمالى من حفظه فى الأخمسة التى كان يلقى فيها تلك الآداب من أخبار وأشعار ولغويات •• ونبدأ بآية قرآنية ، تعرض لشرحها أبو على ونقده فيه أبو عبيد البكرى• وقد جاء النقد هكذا :

وفى (ص ١٠٣ س ١٥) قال أبو على — رحمه الله — قال الله تبارك وتعالى: « **واذا اردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها** » أى كثرنا• وقال أبو عبيدة — رحمه الله — يقال خير المال سكة مابورة ، ومهرة مامورة ، فالمامورة الكثيرة الولد من آمرها الله أى كثرها • وكان ينبغى أن يقال :مؤمرة ، ولكنه أتبع مابورة • والسكة : السطر من النخل •

وقال الاصمعى : — رحمه الله — السكة : الحديدة التى تفلح بها الأرضون ، والمابورة : المصلحة : أبرت النخل آبره أبرا اذا لقحته وأصلحته ، قال : وقد قرىء « **آمرنا مترفيها** » على مثال فعلنا • انتهى كلام أبى على • قال البكرى :

هذا كلام من يعتقد أن القراءة المشهورة آمرنا بالمد وأن أمرنا بالقصر شاذة ، ولا اختلاف بين الأئمة السبعة — رضوان الله عليهم — فى قراءتها أمرنا بالقصر على مثال فعلنا ، وهذه هى القراءة المقدمة والأصل • ويقال فى غيرها من الشواذ ، وقد قرىء كذا • ومعنى قراءة الجماعة : أمرناهم بالطاعة ففسقوا • كما تقول : أمرتك فعصيتنى ، وقد علم أن الله سبحانه لا يأمر الا بالعدل والاحسان ، كما قال تعالى فى محكم كتابه ، وقيل : معنى أمرنا وآمرنا واحد ، أى كثرنا • وقد أورد ذلك أبو على اثر هذا عن ابن كيسان — رحمهما الله — وهو مروى عن رجلة اللغويين ، والشاهد لصحته قول النبى ﷺ الذى نسبه أبو على الى أبى عبيدة •• ولا ينبغى لعالم أن يجهل مثل هذا ، وذلك قوله : « **خير المال سكة مابورة ، ومهرة مامورة** »

وحمل حديث النبى ــ عليه أفضل السلام ــ على هذه اللغة الفصيحة أولى من حمله على أنه أراد أن يتبعه ما قبله ، لأنه لم يكن من المتكلفين ــ ﷺ ــ وقراءة الجماعة هى المروية عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ــ الا الحسن ــ رضى الله عنه ــ فانه قرأ « آمرنا » بالمد ، وكذلك قرأ الأعرج الا ابا العالية الرياحى ــ رحمهما الله ــ فانه قرأ « أمرنا » بالتشديد ، ورويت عن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ وهذه القراءة تحتمل وجهين .

أحدهما : أن يكون المعنى : جعلنا لهم امرة وسلطانا .

والآخر: أن يكون المعنى كثرنا ، فيكون بمعنى آمرنا وبمعنى أمرنا على احد الوجهين.

قال الكسائى ــ رحمه الله ــ ويحتمل أن يكون أمرنا بالتخفيف غير ممدود بمعنى أمرنا بالتشديد من الامارة . فكانت هذه القراءة الاختيار لما اجتمعت فيها المعانى الثلاثة . ومترفوها فساقها وقيل جبابرتها .

وواضح من نقد أبى عبيد للقالى سعة اطلاعه ودقة روايته وعمق فهمه ، وتتبعه لجميع المفاهيم وانتهى نهاية مقنعة وهى أن القراءة المقدمة والأصل هى « أمرنا » بالقصر لأنها حوت المعانى الأخرى التى جاءت عن طريق المد « آمرنا » والتشديد « أمرنا » وهذا النقد يبين عن تثبته فى فهم القرآن وحسن روايته لحديث النبى ﷺ .

واليك نموذجا آخر « ص » تعنى الصفحة « وس » يعنى السطر : قال البكرى : وفى ص ٢٤١ س ١٢ و١٣ وذكر أبو على ــ رحمه الله ــ خبر الزيادى عن المطلب بن المطلب بن أبى وداعةقال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو ينشد :

ياأيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقتار

قال : فالتفت رسول الله ﷺ الى أبى بكر فقال : « أهكذا قال الشاعر ؟ »

قال أبو بكر رضى الله عنه لا ، والذى بعثك بالحق ، لكنه قال :

ياأيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقراف (١)
الخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يعود فقيرهم كالكافى
ويكللون جفانهم بسديفهم
حتى تغيب الشمس فى الرجاف (٢)

قال : فتبسم ــ ﷺ ــ وقال : « هكذا سمعت الرواة ينشدونه » انتهى كلام أبى على القالى والنقد هو : قول أبى على ــ رحمه الله ــ عن المطلب بن أبى وداعة ، هذا مما

(١) أى منعوك من أن تزوج بناتهن لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم ابيه .

(٢) الرجاف = البحر .

التبس على أبي على حفظه وانما أراد كثير ابن كثير بن المطلب بن أبي وداعة ، ولا يعلم للمطلب بن أبي وداعة ابن يسمى المطلب ، انما يروى عنه ابنه كثير وابن ابنه كثير بن كثير ابن المطلب عن أبيه عن جده • واسم أبي وداعة (الحارث بن ضبيره بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) وأسر أبو وداعة يوم بدر ، فقال رسول الله ﷺ « ان له بمكة ابنا كيسا (١) » فافتدى المطلب أباه بأربعة آلاف درهم ، وهو أول من فودى من أسرى بدر ، وأسلم هو وابنه يوم الفتح •

ويستطرد أبو عبيد البكرى فيقول : روى غير واحد عن كثير بن كثير بن المطلب عن أبيه عن جده قال : رأيت رسول الله — ﷺ — يصلى حذو الركن الأسود والرجال والنساء يمرون بين يديه ما بينه وبينهم سترة • وقوله فى الشعر : الخالطين فقيرهم بغنيهم ، هذا هو المدح الصحيح والمذهب المستحسن كما قالت خرنق بنت هفان من بنى قيس بن ثعلبة :

لا يبعدن قومى الذين هم
سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر
والخالطين نحيتهم بنضارهم
وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وعيب على زهير قوله :

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

فأثبت فيهم مقلين ، وفى بعض نسخ الأمالى بيت زائد فى هذا الشعر القافى وهو :

منهم على والنبى محمد
القائلين (٢) : هلم للأضياف

وهذا بيت محدث : ذكر أبو نصر أن جده صالحا أبا غالب ألحقه به •

وروى أبو عمر المطرز قال : أخبرنى أبو جعفر بن أنس الكرباسى عن رجال قال : كان رسول الله — ﷺ — يمشى ذات يوم فى طريق من طرقات مكة فسمع جارية تنشد :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد الدار

فأقبل على أبى بكر — رضى الله عنه — فقال : « أهكذا قال الشاعر ؟ » فقال : فداك أبى وأمى وانما قال :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصة لعبد مناف

فقال النبى ﷺ : «نعم وليس ميل الرجل الى أهله بعصبية »

والعرب تقول للرجل : هو بيضة البلد يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر : هو بيضة البلد يذمونه بذلك والممدوح يراد به البيضة التى يحضنها الظليم ويصونها ويوقيها ؛ لأن فيها فرخة • والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التى لا حافظ لها ولا يدرى لها أب ، وهى تريكة الظليم (٣) •

---

(١) كيسا عاقلا •
(٢) نصب على المدح وفى رواية « القائلان »•
(٣) الظليم الذكر من النعام •

قال الرمانى : اذا كانت النسبة الى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح ، واذا نسب الى البلاد التى اهلها اهل ضعة فبيضة البلد ذم .

وقال حسان بن ثابت — رضى الله عنه — فى المدح :

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة (١) أمسى بيضة البلد

أى واحد البلد ، وكان المنافقون يسمون المهاجرين — رضى الله عنهم — الجلابيب ، فلما قال حسان — رضى الله عنه — هذا الشعر اعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف ، فأعطوا النبى — ﷺ — فقال لحسان : « أحسن فى الذى أصابك » فقال : هى لك ، فأعطاه النبى ﷺ عوضا : بيرحاء — وهى قصر بنى جديلة اليوم ، وسيرين ، فهى أم عبد الرحمن بن حسان رضى الله عنهما .

لم يكتف أبو عبيدة ببيان الصواب فى اسم الراوى ، وهو أنه كثير بن كثير لا أنه المطلب، وانما بين شأن الولد والوالد والجد ونسبهم فى شجرة النسب حتى بلغ بهم « كعب بن لؤى » وهو مجتمع النسب مع النبى ﷺ وتحدث عن أبى وداعة وأسره يوم بدر ثم فداءه من ابنه الكيس المطلب بن أبى وداعة وتناول الشعر وتحدث عن قائله وبين المحدث منه وزاد ما اتصل به من شعر يتصل بقريش وعبد الدار وعبد مناف ، وشرح بيضة البلد مدحا وذما ؛ فهو فى نقده يقدم الثقافة بريئة من الخلل ويتسع فيها ليقنع ويمتع فى أسلوب يتسم بالخلق الطيب والرأى الناضج وجمال الأداء والشعر الفائى الذى دار حوله النقد للشاعر (مطرود بن كعب الخزاعى) يبكى عبد المطلب بن هاشم وبنى عبد مناف .

والنموذجان اللذان قدمتهما لك من نقد الجزء الأول واليك نموذجا لنقد الجزء الثانى:

قال البكرى :

وفى ص ٢٥٩س ١٦ وأنشد أبو على — رحمه الله — للقطامى(٢) :

فسلمت والتسليم ليس يضرها
ولكنه حتم على كل جانب (٣)

هكذا أنشده وانما هو «ليس يسرها »

لكراهتها الضيف ، وبخلها بالضيافة ، وأى مضرة فى التسليم أو من يعتقد ذلك فيه حتى يكون الشاعر ينكره وينفيه ؟ وهل هو الا بركة ونفع ؟ لكنها تكرهه من الضيف لمئونته ؛ قال القطامى يذكر امرأة ضافها — نزل ضيفا عليها — وهى أبيات ذكرت منها المتصل بالشاهد .

تعمت فى ظل وريح تلفنى
وفى طرمساء غير ذات كواكب
الى حيزبون توقد النار بعدما
تلفعت الظلماء من كل جانب
فسلمت والتسليم ليس يسرها
ولكنه حتم على كل جانب

(١) الفريعة = أمه .

(٢) القطامى = اسمه عمير بن شييم والقطامى لقب غلب عليه وهو شاعر اسلامى قليل الشعر جيده وهو تغلبى نصرانى يعتز بالبادية ويكره الحضارة على مبادىء السلب والنهب .

(٣) الجانب : الغريب .

فرحت سلاما كارها ثم اعرضت
كما انحازت الأفعى مخافة ضارب
الطرساء والطلساء جميعا : الظلمة
والحيزبون : العجوز القليلة الخير

وهذا النقد يعطينا تذوقا صادقا عند أبي عبيد ، وما من شك في أن البخيل حين يرى ضيفا يغتم فانه لفرط بخله يكره سلام القادم عليه ، لا أن السلام يضره . أما الكريم فيهش للضيف ويحادثه ويقدم له أكرم ما عنده ـ والعرب فيهم الكريم والبخيل .

وأبيات القطامي هذه صورة كاشفة لحياة البادية ، فالرجل في ليلة مظلمة باردة وهو يتطلع ليقي نفسه ريحها الشديدة وقد جاب الصحراء يطلب دفئا ومأوى ودلف الى تلك العجوز فسلم فلم يجد لسلامه قبولا مع أنه حتم على كل آت الى المقيم وانظر اليها كيف تقبضت وخافت من هذا الطارق ، لقد أحسن وصفها في قوله :

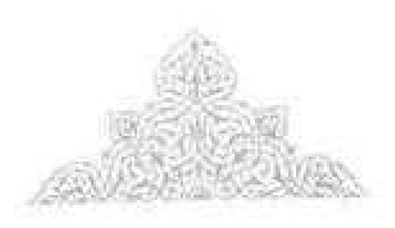
فرحت سلاما كارها ثم اعرضت
كما انحازت الأفعى مخافة ضارب

وعناية أبي علي بهذا الشعر تدل على موهبة أدبية وحسن اختيار ، ولكن ذاكرته تخونه كثيرا فلا يتنبه للخطأ ، وأبو عبيد البكري ذواقة للشعر بجانب حفظه الجيد وتدقيقه في الرواية .

وفي كتاب التنبيه كثير من المؤاخذات ساقها الناقد أبو عبيد البكري معلقا عليها تعليقات مفيدة لاغنى للأديب عنها ولا للمؤرخ ، وانه ليأخذك العجب من سلكه في النقد فهو يورد النص ويبين الخطأ ثم يذكر الصواب ، ويستطرد بالشاهد والمثل والخبر فيحيط بكل ما يقتضيه المقام .

وقد اخترت الامالي والتنبيه لاعطي صورة عن الأدب والأدباء والكتب والنقد في الأندلس وكانها ذكريات يجد فيها العربي والمسلم متعة ممزوجة بالألم على بلاد كانت للاسلام واللغة العربية موئلا وملاذا .

السيد حسن قرون



معارك الرافعي القلمية

وموقف

"أحمد لطفي السيد" منها

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

استوقفنا بمقال الدكتور فتحي عبد القادر فريد عن أدب الرافعي بعدد مجلة الأزهر الغراء الصادر في ربيع الآخر الماضي ، ادراجه اسم « أحمد لطفي السيد » ضمن قائمة من خاض الرافعي معهم معاركه الادبية المشهورة .. والذي نعلمه ان لطفي السيد لم يؤثر عنه أنه كان طرفا في خصومة ما مع الرافعي ، فكريا او ادبيا .. بل ان لطفي السيد كتب في (الجريدة) ، التي كان يحررها ، مقالا ضافيا عن الجزء الاول من كتاب (تاريخ آداب العرب) للرافعي ، أثنى فيه على مؤلفه أجل ثناء ، اذ قال فيه : « قرأنا هذا الجزء ، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة في بابه ، يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من السهل أن تجتمع له الاغراض التي بسطها في هذا الجزء ، الا بعد درس طويل ، وتعب ممل » .

« وأما أسلوب الرافعي في كتابته ، فانه سليم من الشوائب الاعجمية التي تقع لنا في كتاباتنا، نحن العرب المتأخرين ، فكأني وأنا اقرؤه ، أقرأ من قلم المبرد في استعماله المساواة ، والبأس المعاني ألفاظا سابغة مفصلة عليها » .

فهل للاستاذ الدكتور فتحي عبد القادر أن يدلنا مشكورا ، بعد ذلك ، على مصدره الذي استقى منه معلومته عن معركة ما ، نشبت مابين الرافعي ولطفي السيد ؟ ودواعي هذه المعركة ومسبباتها ...؟

أما أبرز معارك الرافعي التي يتعين الاشارة اليها بشيء من التفصيل ، بعد أن أهال عليها الزمن تراب النسيان ، بل ان الكثيرين من أدبائنا ومتأدبينا اليوم لايكادون يعلمون عنها شيئا .. وبخاصة ما كان بينه وبين كل من الأديبين الراحلين : الدكتور طه حسين والاستاذ عباس محمود العقاد على التوالي .

وبدأت المعركة الاولى ، حينما أصدر الرافعي كتابه (تاريخ آداب العرب ، وانتقده طه حسين الذي كان لايزال طالب علم في ذلك الحين ، في عام ١٩١٢ ، بمقال نشره بالجريدة ، مبديا أنه لم يفهم من هذا الكتاب حرفا واحدا .. وأسرها الرافعي في نفسه وأن كان طه حسين قد عاد

بعد ذلك عام ١٩٣٦ ، فقال عن ذات الكتاب أن « الرافعي قد فطن في كتابه لما يمكن أن يكون من تأثير القصص وانتحال الشعر واضافته الى القدماء ، كما فطن لأشياء أخرى قيمة » .

وبدأت المعركة في الاحتدام ، حينما أصدر الرافعي كتابه (رسائل الاحزان) واستقبله طه حسين بنقد شديد ، انتهى فيه الى قوله :

« ان كل جملة من هذا الكتاب تبعث في نفسي شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة ، وهو يقاسي من هذه الولادة ، ماتقاسي الام من آلام الوضع ! » .

ورد عليه الرافعي بجريدة السياسية ساخرا بقوله :

« لقد كتبت رسائل الاحزان في ستة وعشرين يوما ، فاكتب أنت مثلها في ستة وعشرين شهرا ، وأنت فارغ لهذا العمل ، وأنا مشغول بأعمال كثيرة ، لاتدع لي من النشاط ولا من الوقت الا قليلا ، هانذا أتحداك أن تأتي بمثلها أو بفصل من مثلها ، وان لم يكن الامر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك الا ولادة وآلاما من آلام الوضع كما تقول ، فعلى نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله (١) » .

واشتدت المعركة وزادت عنفا ، حينما أصدر الدكتور طه حسين كتابه : (الشعر الجاهلي) وأحدث ضجته المعروفة ، وانبرى الرافعي يندد بما جاء بهذا الكتاب ، ويفنده فصلا فصلا ، حتى اجتمع له من ذلك كله كتاب أطلق عليه عنوان : (تحت راية القرآن) ، الذي كان حديث الناس في تلك الفترة (عام ١٩٢٦) .

أما معركة الرافعي مع العقاد فبدأت حينما اتهم العقاد الرافعي بأنه هو واضع رسالة الزعيم سعد زغلول في تقريظ كتاب الرافعي (اعجاز القرآن) ، بقوله ــ أي سعد زغلول عن الكتاب انه : (تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم) ليروج الكتاب بين القراء ، بشهادة الزعيم سعد زغلول له .

أي أن العقاد يذهب الى أن هذه العبارة من اختراع الرافعي ، وليست من يراع الزعيم سعد زغلول .

ويدفع الرافعي عن نفسه هذا الاتهام بقوله لصفية وكاتب وحيه المرحوم محمد سعيد العريان : « وهل تظن أن قوة في الارض تستطيع أن تسخر سعدا ليقول فيه ــ أي في هذا الكتاب ــ ما قال ، لولا أن هذا اعتقاده ؟ »(٢) .

وأرجع الرافعي السبب في اتهام العقاد له بذلك ، الى أن العقاد كان هو كاتب الوفد الأول وأن سعدا كان قد أطلق عليه لقب (جبار القلم) ولا يقبل العقاد منافسا له في حب سعد وايثاره له .

وقد أخذت المعركة طابعها العنيف ، حينما شن العقاد حملة شعواء في كتابه (الديوان) سنة ١٩٢١ مع زميله المازني ، وتناول العقاد فيه أدب الرافعي بحملة شعواء ، جرده فيها من كل ميزة .. وشمر الرافعي عن ساعده على

(١) تحت راية القرآن ، للرافعي ص ١١٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦ .

(٢) « حياة الرافعي » لمحمد سعيد العريان .

اثرها ، وتناول العقاد وشعره بسلسلة من المقالات الملتهبة ، نشرها « بمجلة العصور » تحت عنوان (على السفود) ، بأسلوب حاد ، كان أقرب الى الهجاء ، منه الى النقد الموضوعي الجاد .. والسفود في اللغة هو الحديدة التي يشوى بها اللحم ، ويسميها العامة السيخ ، كما يقول الرافعي نفسه في شرح العنوان .

وبعد أن هدأت الخصومة بينهما بسنوات ، نشر المرحوم الزيات صاحب « الرسالة » ، رأى الرافعي الحقيقي في العقاد ، الذي يشتمل على استنكار الرافعي نفسه — لأسلوب السفافيد النارى الوحشى ، حينما ابترد غضبه وفاء الى التسامح بعد بضعة عشر عاما من خمود المعركة على حد تعبير الاستاذ كمال النجمي (١) .

قال الزيات للرافعي وهو يحاوره : « أتستطيع في هذه المناسبة يا صاحب تاريخ آداب العرب أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة ، وتجعل لى رأيك الخالص في العقاد » ؟ .

فأجابه الرافعي : « أما لك فأقول الحق .. أما العقاد فأكرهه واحترمه ، اكرهه لانه شديد الاعتداد بنفسه ، قليل الانصاف لغيره ، ولعله أعلم الناس بمكاني في الادب ، ولكنه ينفس على قمة البيان ، فيتجاهلني حتى لا أجرى منه في عنان .

وأحترمه لانه أديب قد استملك أداة الادب وباحث قد استكمل عدة البحث .. قصر عمره على القراءة والكتابة ، فلا ينفك بين كتاب وقلم » .

وحينما اطلع العقاد بالرسالة على ماتقدم من رأى الرافعي فيه ، وفي أدبه ، بعد رحيل الرافعي عن عالمنا بثلاث سنوات ، رد على ذلك بقوله : « انى كتبت عنه — أى عن الرافعي — مرات ، ان له أسلوبا جزلا ، وان له من بلاغة الانشاء ما يسلكه في الطبقة الاولى من كتاب العربية المنشئين » (٢) .

أما المعركة التالية في الأهمية ، فهى تلك التى انتضى فيها يراعه ليرد على الشيخ حسن القاياتي رحمه الله ، فيما ذهب اليه يوما ، من أن كلام العرب في باب « الحكم » أن عبارة (القتل أنفى للقتل) أبلغ من الآية القرآنية « **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** » ولم ينم الرافعي ليلته ، بعد أن لفته الأستاذ الكبير محمود شاكر — في أغلب الظن — برسالة بتوقيع م . م . ش ، ينبهه فيها الى هذا الأمر ، بقوله : « .. ففى عنقك أمانة المسلمين جميعا لتكتبن في الرد على هذه الكلمة الكافرة لاظهار وجه الاعجاز في الآية الكريمة ، وأين يكون موقع الكلمة الجاهلية منها » .

ولعل الأستاذ محمود محمد شاكر يزيد هذا الامر ايضاحا .

واستطاع الرافعي ببلاغته وقوة منطقه وسعة أفقه وغزارة علمه ، أن يدك هذا الزعم ويقوضه من أساسه بمقالاته : (كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة) (القتل أنفى للقتل ليست مترجمة) ، « القتل أنفى للقتل ليست جاهلية » (٣) .

البقية ص ٦١٩

---

(١) بمقاله « اخطاء اللغة والنحو والبيان في ديوان العقاد » بعدد يناير سنة ١٩٧٠ من مجلة الهلال .

(٢) مصطفى صادق الرافعي لحسنين مخلوف العدد ٢٠٥ من سلسلة كتاب الهلال الصادر في مايو سنة ١٩٧٦ .

(٣) بكتابه (وحى القلم) ﺟ ٣ من ص ٤٦٢ الى ص ٤٧٨ .

من قضايا النقد الأدبي

الشعر بين الالهام والصنعة

من سقراط الى ارسطو :

كان سقراط يشرح لقضاته ما جعله غير محبوب بين الناس . وعندما جاء ذكر الشعراء والحوار الذى دار بينهم وبينه قال :

انى ياسادتى ارانى مضطرا الى ان اقص عليكم الحقيقة ...

لقد تناولت الاشعار التى الفها اصحابها بعناية فائقة وسالت كلا منهم عما عناه بشعره؟ فلم يكن منهم من استطاع الاجابة على سؤالى هذا .

ولقد جمعنى واياهم مجلس ضم كثيرا من المعجبين بهم وباشعارهم فلم يكن بين الحاضرين رجل الا وهو أقدر على التحدث عن تلك الأشعار من الشعراء أنفسهم .

وفى هذا الحديث نرى أن سقراط قد كشف عن أمر ذى أهمية كبرى لأنه كان فيما نعلم أول من فرق بين نقد الأدب وبين تأليفه ثم قال:

لقد أدركت حينئذ أن الشعراء لا يكتبون الشعر لأنهم حكماء بل لأن لديهم طبيعة أوهمة قادرة على أن تبعث فيهم حماسة أو كما نقول نحن اليوم « الهاما » .

ومعنى كلام سقراط أن الشعراء يلهمون ما يقولون . وقد اعتنق هذا المذهب بعد سقراط أفلاطون فهو يقرر فى مواضع كثيرة أن هذا الكلام الجيد الذى يجرى على ألسنة الشعراء ليس من صنعهم وليس لهم دخل فيه . وانما هو الهام يلهمونه .

فلما جاء أرسطو أعلن أن هذا الشعر الجيد انما هو جيد لأسباب يمكن الوصول اليها ومعرفة قوانينها . ووضع هذه القوانين لكى يهتدى بها الشعراء فى انتاجهم .

ولما كانت الملحمة والشعر المسرحى أرقى انواع الشعر عند ارسطو كانت القوانين التى وصل اليها أرسطو تتعلق بهذين اللونين من الشعر .

افلاطون وأرسطو اذن يمثلان نظرتين مختلفتين فى الانتاج الشعرى فبينما يرى افلاطون الشعر الهاما يرى أرسطو الشعر صناعة لها قواعدها وقوانينها . وقد كان أحد هذين المذهبين يسود دراسة النقد عند الغرب،

للدكتور طه عبد الرحيم البر

فحينا يسود مذهب أفلاطون ويرى النقاد الشعراء ملهمين • حتى اذا ساد المذهب « الكلاسيكى » • رأينا مبادىء أرسطو تسود ويعتنق الناس مذهبه فى صناعة الشعر وسيادة شعر المسرح • ثم كان المذهب « الرومانتيكى » الذى رأى أن الشعر الغنائى أرفع ألوان الشعر رأينا مذهب أفلاطون يعود مرة أخرى الى الظهور وينظر النقاد الى الشعر على أنه الهام والى الشاعر على أنه ملهم قد وهب ما لم يوهب غيره من الناس •

وفى العصور الحديثة اتصل بفكرة الالهام مذهب « فرويد » الذى رأى أن الشعر كالأحلام وسيلة من الوسائل التى تعبر عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور وهذه المنطقة اللاشعورية تحاول تحقيق هذه الرغبات باحدى وسيلتين :

١ ــ الأحلام : التى يتخيل فيها المرء فى منامه أنه وصل الى تحقيق هذه الرغبات بطريقة أو بأخرى •

٢ ــ الشعر : ويرى أن الشاعر يحقق بشعره كثيرا من هذه الرغبات المكبوتة فى اللاشعور ذلك بأن الانسان فى الشعر وفى الانتاج الأدبى قد ينفس عن هذه الرغبات بأن ينتج انتاجا شعريا يرمز فيه الى رغباته ، وان هذه الرغبات قد تحققت • وعندئذ يرضى نفسه ويطمئن قلبه •

ولنضرب لذلك مثلا لشاب أخفق فى حبه فان هذا الاخفاق فى الحب ورغبة الشاب فى أن لو كان قد تحققت أحلامه فى الحب لاتموت • وانما تسكن عالم اللاشعور ويكون لها أثرها فى انتاجه •

فقد يخرج مسرحية يحقق فيها أمله بصورة من الصور كأن يصور بطل الرواية بطلا ناجحا فى حياته وأنه ما كان ينبغى لوالد حبيبته أن يحول بينه وبينها • أو ينتقم فى المسرحية ممن كان سبب اخفاقه فى حبه • أو يرمز فى مسرحيته الى أعدائه برموز ينتقم منها •

أو يحقق أمله فيها كأن يرمز لزوج حبيبته بوحش قضى عليه ولحبيبته بغزال يأوى الى كنفه • وهو بذلك يحقق بطريقة غير شعورية أملا كمن فى اللاشعور وهو الانتقام من زوج حبيبته مادام هو فى حقيقة الأمر لم يستطع الانتقام منه •

وكثيرا ما يكون الشعر متنفسا عما يملأ النفس من الاحساسات والانفعالات ويكون هذا التنفيس مخففا لما يشعر به الانسان من ثقل عواطفه وشعوره •

فالشاعر الذى أصيب بفقد ولده يلجأ الى



الشعر واجدا فيه ما يخفف من هذه الآلام • كما يشعر الانسان بالراحة عندما يحدث صديقه بما يؤلمه •

وينبغي أن نفرق بين الأحلام وبين التعبير الشعري فاننا عندما نعبر بالشعر نتسامى بعواطفنا واحساساتنا ونسلط عليها الشعور فنهذبها ونركبها كما نحب • أما الاحلام فخالصة للاشعور • ومن اجل ذلك لا تكون مهذبة ولا متسامية كالشعر •

عصرنا الحاضر :

وفي عصرنا الحاضر يرى النقاد أن الانتاج الشعري مزيج من الالهام والصنعة • فهم يرون الالهام في التجربة الشعرية التي تملأ النفس وتستولي على القلب الى درجة أنها تدفع الانسان الى القول والانتاج •

يرون الالهام في هذا الشعور القوي الذي يستولي على المرء ليدفعه الى التعبير عنه •

يرون الالهام في هذا الخاطر الذي ينبثق في النفس ويستولي عليها ، ثم يرون بعد ذلك أن الشاعر يسلط على هذا الخاطر والاحساس تفكيره ليتبين هذا الخاطر في وضوح • وليدرك عناصره ويرى زواياه ويتبين الخطوات التي ينبغي أن تتبع في عرضه عرضا سليما مؤثرا •

هذه نظرة الغرب الى الانتاج الشعري •

أما نظرة العرب فاننا نجد لهم نظرتين متجاورتين تعيشان جنبا الى جنب • تلك هي نظرتهم في الجاهلية الى أن للشعراء شياطين يلقون القول على ألسنتهم ومعنى ذلك أنهم ينظرون الى الشعر على أنه الهام •

والنظرة الثانية التي تجاور تلك النظرة هي أنهم كانوا يرون أن في الشاعر قدرة على تجويد شعره واتقانه وتهذيبه • ويرون أن في استطاعتهم العودة الى شعرهم بالتهذيب والتثقيف حتى يصل الى مستوى رفيع فنرى ذلك مثلا في أخبار زهير بن أبي سلمى فانه كان ينظم القصيدة كما يقولون في بضعة أشهر ولكنه لا يعرضها على الجمهور بل يحتفظ بها ليهذبها ويقومها ويحذف منها • ويثبت • ثم يعرضها على طائفة من أصحابه الذين يثق بهم وبحسن فهمهم • ويستمر في هذا العرض حينا من الزمن • حتى اذا اطمأن الى أن انتاجه قد بلغ ما يستطيع من الجودة عرضه على الناس • وكان كثير من الشعراء يعملون كما يعمل زهير مما يدل على ايمانهم بالجانب الذاتي والمجهود الفردي الى جانب ايمانهم بالالهام •

وعلى هذا نجد جمهور الناقدين اذا استثنينا قلة ترى أن الشعر الجيد هو الذي يصدر عن الالهام وحده • كما رأى ذلك « ابن قتيبة » فقد كان يرى أن الشعر المرتجل هو الشعر المطبوع الذي لا يعود اليه صاحبه بتهذيب ولاتقويم •

ولكن جمهرة نقاد العرب على أن الشعر عمل يشترك فيه الالهام والصنعة معا •

وقد عبر عن ذلك القاضي الجرجاني في كتابه « الوساطة بين المتنبي وخصومه » اذ قال : (الشعر علم يشترك فيه الطبع والذكاء

والرواية والتجربة) ومعنى أنه طبع أنه الهام يوهب . ولكن هذا الالهام لا يقف وحده بل لابد له من ذكاء يسلط على هذا الالهام لادراك هذا الذى ألهمه الشاعر . ومعرفة جوانبه المتعددة . وعناصره المختلفة . لترتيب هذه العناصر ترتيبا جيدا والفحص عن كل ما يتصل بالخاطر من قرب أو بعد . وهذا الذكاء لابد أن تمده ثقافة واسعة عبر عنها الجرجانى « بالرواية » لأن هذه الثقافة هى التى توضح جنبات الخاطر وتشرح نواحى ما يحس به الأديب وتلقى عليه قسطا كبيرا من النور .

وهذه الهبة التى عبر عنها بالطبع لا يمكن أن تعيش الا فى ظلال تدريب على الانتاج وبدون هذا التدريب يذبل الطبع ، ويموت .

ومن أجل ذلك نرى أن الانتاج الأدبى كان النقاد ينظرون اليه على أنه « الهام وصنعة معا » وهو ما يتفق مع نظرة النقاد فى عصرنا الحاضر . اذ نرى أن الانتاج الأدبى يحتاج الى الهبة والالهام فى أصله . وأن انبثاق الفكرة الأولى الهام . ثم يسلط الفكر على هذا الالهام ليبلغ فى الانتاج غاية الكمال .

وهذه القوانين التى وصل اليها النقاد كالمشعل يضىء للمنتج الطريق الى الانتاج الجيد مادامت عنده الهبة الاصيلة والطبع الصحيح .

طه عبد الرحيم البر

معارك الرافعى القلمية "بقية"

وهناك معركة أخرى شنها الرافعى ضد (سلامة موسى) ، حينما دعا الى استعمال اللهجات العامية بدل العربية الفصحى بدعوى (تمصير اللغة العربية) .. واستطاع الرافعى بقوة حجته أن يدحض هذا الزعم ، كما دحض ماذهب اليه ذات الكاتب فى المقطم من قبل ، الى طلب مساواة المرأة بالرجل فى الميراث .

يقول الرافعى : « للمرأة حق واجب فى مال زوجها وليس للرجل مثل هذا الحق فى مال زوجته ، والاسلام يحث على الزواج ، بل يفرضه ، فهو بهذا يضيف الى المرأة رجلا ويعطيها به حقا جديدا ، فاذا هى ساوت أخاها فى الميراث مع هذه الميزة التى انفردت بها ، انعدمت المساواة فى الحقيقة ، فتزيد وينقص ، اذ لها حق الميراث وحق النفقة ، وليس له الا مثل حقها فى الميراث اذا تساويا .. فاذا قلت كما يقول سلامه موسى ان فى الحق ان تنفق المرأة على الرجل ، وأن تدفع له المهر ، ثم تساويه فى الميراث ، قلنا : ــ اذا تقرر هذا ، وأصبح أصلا يعمل عليه ، بطل زواج كل الفقيرات ، وهن سواد النسوة ، اذ لايمكن ما يمهدن به ولا ما ينفقن منه ، وهو مايتحاماه الاسلام ، لان فيه فساد الاجتماع ، وضياع الجنسين معا »

رحم الله الرافعى رحمة واسعة .

أحمد مصطفى حافظ

الفتاوى

الأذان فى مكبر الصوت لاغبار عليه

دأب الصحفى الأستاذ عبد السلام داود فى عموده اليومى « علامة استفهام » بجريدة الأخبار على مهاجمة استعمال مكبر الصوت فى المساجد سواء فى الأذان أو غيره واشترك فى هذه الحملة من يعرف ومن لا يعرف حتى قيلت أقوال لا تمت الى الفقه الصحيح بصلة .... وقد طلب الصحفى المذكور رأى فضيلة المفتى .

وقد تفضل فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة مفتى الديار المصرية بالرد ونشر فى جريدة الأخبار وفيما يلى رد فضيلته .

سبق أن قلنا رأى الدين فى هذا الأمر فى فتوانا المقيدة بدار الافتاء تحت رقم ٨٣/٥٢ ... الخ

ثم قال : ان الغرض من الأذان هو الاعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة على وجه مخصوص ، بأن يكون على مكان مرتفع من جهير الصوت ... ويجب الاقتصار فيه على ما ورد عن النبى ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، وانتهينا الى أن ما يذاع قبيل الأذان أو بعده من ابتهالات وتواشيح بدعة مخالفة لهدى النبى ﷺ ويجب تركها ، لأن كل بدعة فى العبادات على هذا النحو فهى بدعة سيئة يجب تركها .

وأما ما قلتموه ، من أن النبى ﷺ رفض البوق . وقلتم ان البوق لا يختلف فى شىء عن مكبر الصوت ، وعليه استندتم الى أن الأذان فى مكبر الصوت مرفوض ، فهذا لا نوافقكم عليه !!! ، لأن البوق أو القرن الذى رفضه النبى ﷺ قد رفضه لعلتين :

احداهما : أنه رفض التشبه باليهود والنصارى .

وثانيتهما : أن البوق لم يكن آلة لتكبير وتوضيح الكلام ، وانما هو آلة ينفخ فيها ويزمر ، من أجل ذلك رفضها النبى ﷺ ، ولو كان البوق مثل مكبر الصوت

إعداد الأستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

الآن ما تردد النبي ﷺ في اذاعة الأذان ـ بعد ما شرع ـ من خلاله ... وعلى ذلك فقياسك مكبر الصوت قياس غير صحيح ، لأنه قياس مع الفارق ، ولا حرج وكذا لا حرمة في اذاعة الأذان من خلال مكبر الصوت .

وأما ما نناشد الاخوة المسئولين عن المساجد الالتزام به . فهو عدم اساءة استخدام هذا المكبر ، والاقتصار على اذاعة الأذان ، ولا داعى لما يذاع قبله وبعده من تواشيح وابتهالات وقراءة للقرآن وغير ذلك ، حتى لا نسىء الى الاسلام ، ولا نشوه صورته ، فان من القواعد الشرعية « لاضرر ولا ضرار » .

عمرة بلا هدى ، وحج بهدى

س : من السيد / ش وهبة .

اديت العمرة في رمضان ، ثم ذهبت الى المدينة واقمت بها حتى أحرمت بالحج ، ووقفت بعرفات ثم نزلت الى المزدلفة ، ومنى ، ورميت جمرة العقبة وتحللت ، ثم طفت طواف الحج وسعيت بين الصفا والمروة ، ولم اتمكن من رمى اليوم الثانى والثالث للعيد ، وعدت الى بلدى فما الحكم ؟

ج : انك بأدائك للعمرة في رمضان ، ثم قيامك بالحج لاهدى عليك في ذلك لأنك مفرد بالحج .... وبوقوفك بعرفات وطوافك بالبيت وسعيك قد أديت الحج ، الا أنك تركت الرمى لليومين المذكورين ... والواجب عليك في هذه الحالة هدى تذبحه في الحرم ان كنت مستطيعا ، فان لم تستطع فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعت الى بلدك ، ومادمت قد رجعت بدون أن تصوم هناك ، فعليك أن تصوم في بلدك عشرة أيام : ثلاثة وحدها ، وسبعة وحدها .. هذا اذا كنت غير مستطيع للهدى .

رضاعة لا تحرم

س : من السيد / ع . مهران .

شاب يريد الزواج من فتاة لم يرضع من امها ، وهى لم ترضع من امه ، ولم يجتمعا على ثدى واحد ، ولكن لهما اخوة رضعوا .. فما الحكم ؟

ج : مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ، ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ، ولا عبرة أن لهما اخوة رضعوا ، فالحرمة تقع على من رضع ..

ميراث

س : من السيد / ز النجار

توفيت امرأة عن زوج ، واختين شقيقتين ، اولاد اخ شقيق · فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللاختين الشقيقتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما أو يحجبهما ــ يقسم بينهما بالتساوى ·

والمسألة من ستة أجزاء ، وتعول الى سبعة أجزاء : للزوج ثلاثة أجزاء ، وللاختين أربعة أجزاء ، ولا شيء لأولاد الأخ الشقيق · لاستغراق الفروض التركة ·

« الشبكة مضافة الى المقدم »

س : من السيد ت ــ آ ــ عباس·
ماهى حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها ، مع العلم بأننى قد اتفقت معهم على أن أقوم بتجهيز حجرة صالون ومطبخ نظير مقدم المهر ، ولها مؤخر صداق (٥٠٠) جنيه ، كما قدمت لها شبكة بمبلغ (١٢٠٠) جنيه · فما الحكم ،

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر لاتستحقه المرأة الا بالعقد عليها ، ومادمت قد عقدت عليها فان الشبكة تضاف لما اتفق عليه أن يكون مقدما ، وللمؤخر ، ويكون لها نصف هذه الأشياء جميعا ، وتستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها الى تاريخ الطلاق ·

والله اعلم ·

عبد الحميد السيد شاهين



أنباء وآراء

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
حسن على زريق

نداء من الامام الأكبر إلى إيران والعراق بالاستجابة لحكم الاسلام ووقف القتال

وجه الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر نداء الى المسئولين فى كل من ايران والعراق بالاستجابة لحكم الاسلام الذى حرم على المسلمين أن يتنازعوا ويتقاتلوا ، فقال تعالى : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » .

وأضاف الامام الأكبر فى ندائه الذى وجهه أثناء لقائه بوفد علماء السنة والشيعة العراقيين والموفد من الحكومة العراقية الى الدول الاسلامية :

انه اذا كانت العراق قد أبدت — بكلمة المسئولين فيها — الاستعداد لوقف القتال ، وأكدت ذلك بالانسحاب الى ما وراء حدودها ، فباسم الأزهر الشريف ، وباسم علماء المسلمين جميعا ، أناشد المسئولين فى ايران الاستجابة لوقف القتال واحلال السلم محل الحرب ، والتحكيم بين الدولتين المسلمتين المتجاورتين ، اذ أن هذه الحرب نشأت حراما ، فى حكم الاسلام واستمرارها حرام أيضا ، واثمها يجرى على من يستمر فى اشعالها ، وذلك عملا بنداء القرآن الكريم : « وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا » .

وهذا النداء القرآنى أوجهه الى المسئولين فى ايران أولا احتكاما الى كتاب

الله تعالى ، ثم اوجهه الى اولى الأمر في الحكومات الاسلامية بوجه عام ، حتـى يتدخلوا بصفة جدية ويعملوا على وقف هذه الحرب التى طالت وأهلكت البـلاد والعبـاد .

وقال الامام الأكبر :

لعل المتحاربين يستمعون الى قول الله تعالى في القرآن الكريم : « وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ » . اهـ

اكتوبر ـ العدد ٤٢٢ .

* صرح علماء العراق أثناء هذا اللقاء بأن الرئيس العراقى أعلن أكثر من مرة استعداده لوقف الحرب والجلوس الى مائدة الصلح حقنـا لدماء المسلمين وحفظا لثرواتهم .

***

الشريعة الاسـلامية

كتبت مجلة « الايكونومست » البريطـانية الحملة الاعلامية الضالة التى تعـادى تطبيـق الشريعة الاسلامية في السـودان . فقالت : « ان الشريعة الاسلامية لقيت ترحيبا عظيمـا من كافة قطاعات الشعب ، وتنعم الناس في ظلها بالنوم المريح الهادىء وابوابهم مفتوحة . وأمكن للنساء المشى بأمان في الشوارع دون ازعاج أو مضايقات والرجال ينفقون وقتهم ومالهم مـع اسرهم بدلا من الشراب ، ويسود شعور تـام بالامان الذى ظل مفقودا لسنوات طـويلة .

نظـام البينـة الاسـلامى

أصدر الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق قرارا بتطبيق نظام البينة الاسلامى . وذلك في اطار تحويل النظام القضائى في باكستـان الى

نظام اسلامي . ووضح البيان الصادر في (اسلام أباد) أن قانون البينة الذي صاغه مجلس الفكر الاسلامي قد مهد الطريق لانشاء المحاكم الاسلامية التي تعتمد في أحكامها على نظام البينة .

وصرح فضيلة الدكتور محمد محمود مزروعة أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة اسلام اباد بأن الباكستان منذ بدأت في تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية تشهد تقدما ملموسا ، وتعيش نهضة حضارية أساسها الامن والعدل والعمل .

احكام الشريعة الاسلامية

أعلن الشيخ هلال بن حمد البوسعيدي وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية بسلطنة عمان : أن هناك لجانا من الخبراء تقوم بدراسة القوانين والنظم القضائية المعمول بها لدى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي تمهيدا لتوحيد هذه القوانين والنظم في دول المجلس اضافة الى اللجنة السباعية التي قرر وزراء العدل في دول مجلس التعاون في تشكيلها لتتولى تقنين أحكام الشريعة الاسلامية .

أجهزة الدعوة الاسلامية

أوصت اللجنة الدينية بمجلس الشعب بتوحيد أجهزة الدعوة الاسلامية في جهاز واحد تتوحد فيه الامكانات وطاقات القوى العاملة في جميع الاجهزة لتحقيق الانطلاق المنشود في مجالات الدعوة الاسلامية .

كما توصي اللجنة بأن تعود المساجد الى صورتها الاسلامية الأولى حيث كان المسجد مركزا للاشعاع الديني .. وتبارك اللجنة ما ذهبت اليه بعض المساجد من اقامة مدارس لتحفيظ القرآن وقاعات للدروس ، ومستوصفات للعلاج وذلك كله تحت شعار المسجد الجامع العامل لشتى انشطة الحياة النور ٢٧ صفر والاهرام والاخبار .

توصيات ندوة النظم الاسلامية

ناشدت ندوة النظم الاسلامية التي نظمها مكتب التربية العربي لدول الخليج . الحكومات الاسلامية الاستفادة من النظم الاسلامية : السياسية والادارية والقضائية والمالية والعسكرية والاجتماعية . باعتبارها منهاجا شاملا متكاملا للحياة وتحويلها الى واقع التطبيق لما فيها من خير للاسلام والمسلمين .

كما ناشدت الندوة التي عقدت في « أبي ظبي » الجامعات والمعاهد بتدريس النظم الاسلامية ضمن مناهج التعليم . وذلك في الكليات المتخصصة والعناية بالأبحاث العلمية في مجال النظم الاسلامية ، ودعت الندوة الى توحيد الجهود الاسلامية ، والتمسك بالعقيدة السمحاء والتراث اللغوي المتمثل في اللغة العربية ، في مواجهة النظم الاجنبية الدخيلة التي تستهدف وجود الأمة الاسلامية عقائديا وحضاريا واجتماعيا .

الاعجاز الطبي في القرآن الكريم

قرر مجلس نقابة أطباء القاهرة برئاسة

أنباء وآراء

اللواء دكتور عبد المجيد لطفى : عقد مؤتمر عالمى بالقاهرة حول الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم . تشارك فيه كافة الدول باحدث الابحاث التى تؤكد ان القرآن الكريم سبق كل النظريات والاكتشافات الطبية .

قضايا التحول الاسلامى

ناقش اتحاد طلبة جامعة الخرطوم فى موسمه الثقافى الخامس الذى عقد مؤخرا لمدة أسبوعين قضايا التحول الاسلامى فى القطر الشقيق . وقد نوقش خلال الموسم قضايا : « التنظيم السياسى وآفاق تطوره فى ظل الاسلام » والبديل الاسلامى للنظام الاقتصادى العالمى وقيام الاسلام ، بالنظام العصرى فى السودان .

وفد جامعات السويد يناقش اسلوب حلقات دروس الأزهر

تجربة الدراسة فى حلقات التى طبقها الأزهر الشريف منذ مئات السنين حيث يختار الطالب استاذه والمادة التى يدرسها ، وزمان الدرس ومكانه ، وموعد الامتحان .

هذه التجربة الفريدة استهوت وفدا من جامعات السويد لمشاهدتها ومعرفة كيفية الدراسة بها على يد الأستاذ .

صحفى فرنسى يشهر اسلامه

اعلن الصحفى الفرنسى (برنار دورل كوستا) ان خلاص العالم من المهالك والحروب التى المت به فى كل مكان من أرضه لن تنتهى الا باعتناق الجميع الدين الاسلامى . دين السعادة والمحبة الذى فيه الخلاص من المحن النفسية والاضطرابات والصراعات المادية التى تفشت فى الوقت الحالى .

جاء هذا بعد أن شهر الصحفى اسلامه فى الأزهر الشريف . واضاف أنه لم يعتنق الدين الاسلامى لمجرد اكتشاف دين جديد . انما يأتى ذلك بعد رحلة درس خلالها الأديان السماوية المختلفة ، وانتهى بعدها الى أن الاسلام هو الدين الخاتم الذى جاء لسعادة الانسانية .

التبادل التجارى بين الدول الاسلامية

اتفق وزراء اقتصاد وتجارة الدول الاسلامية على تيسير تبادل المعلومات وتعزيز التبادل التجارى بين الدول الاسلامية ، وخفض الاعتماد على العملات الغربية .

جاء ذلك فى ختام أعمال اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى المنبثقة عن منظمة المؤتمر الاسلامى التى عقدت مؤخرا فى اسطنبول وأكد الرئيس التركى (كنعان ايفرين) فى كلمة افتتاح أعمال اللجنة أنه مقتنع بأن قرارات اللجنة ستسهم فى تعزيز مفهوم التضامن والتعاون الاسلامى مشيرا الى أهمية هذا التضامن فى تحقيق القوة الاسلامية .

واعرب (تورجوت أوزال) رئيس الوزراء التركى عن أمله فى أن تعود أعمال اللجنة بنتائج ايجابية على العالم الاسلامى . وقال : ان الظروف الحالية التى يمر بها الاقتصاد العالمى

وتؤثر بدورها على العالم الاسلامي تتطلب بذل المزيد من الجهود الكفيلة بتوطيد التعاون الاقتصادي والتجاري بين دول المؤتمر الاسلامي .

مصر عضو بالمركز الاسلامي ببروكسل

تم اختيار مصر عضوا دائما في اجتماعات مجلس أمناء المجلس الأعلى للمركز الاسلامي الاوربي المنعقد في بروكسل عاصمة بلجيكا .

وفد مصري لدراسة آثار دولة بروني الاسلامية

سافرت بعثة مصرية من هيئة الآثار الى « برنيو » لدراسة تاريخ الآثار الاسلامية بها، تلبية لدعوة حسنى البلقيع رئيس هيئة الآثار « برنيو » .

والمعروف أن دولة « برنيو » كانت تابعة لبريطانيا وتم اعلان استقلالها في العام الماضي .

ومن (باكستان)
(مائة مليون روبية) حصيلة الزكاة في ولاية واحدة

ذكرت صحيفة « الصراط المستقيم » الاسلامية الشهرية الصادرة في (لندن) أن حصيلة الزكاة التي تحصلها حكومة باكستان هذا العام في ولاية البنجاب الباكستانية قد بلغت مائة مليون روبية مما أدى الى أن الميزانية قد تحسنت كثيرا مع هذه الاجراءات الاسلامية .

ربع مليون مسلم في استراليا

كشف تقرير الاحصاء السكاني باستراليا أن عدد الجالية الاسلامية يقدر بأكثر من ربع مليون مسلم ، وقد اختير الأستاذ الدكتور / محمد العريان الأستاذ الزائر بمركز التاريخ الاسلامي زعيما للجالية الاسلامية هناك .

* اخبار من افغانستان :

الثوار الأفغان يسقطون ثلاث طائرات « ميج » سوفيتية ويأسرون مائة جندي سوفيتي .

اسلام أباد ـ وكالات الانباء

ذكرت مصادر دبلوماسية غربية بالعاصمة الباكستانية أن المقاومة الأفغانية أسقطت ثلاث طائرات « ميج » سوفيتية فوق مدينة « قندهار » وأنه تم أسر ١٠٠ جندي سوفيتي، كما لقي ثلاثة من كبار المسئولين الأفغان مصرعهم .

وفي نبأ لوكالة (يونيتد برس) كشفت مصادر غربية أن الهجمات التي قام بها الثوار الأفغان على المدن الرئيسية في البلاد قد استخدمت فيها صواريخ أرض ـ أرض أصابت عدة أهداف هامة في (كابول) العاصمة .

موسكو تعترف لأول مرة بقــوة الهجمات التى يشنها الثوار الأفغان

* اسلام اباد ـ وكالات والأنباء :

ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية (تاس) ان المقاومة الافغانية قامت بعدة هجمـات مؤخرا على عدد من المدن مستخدمة صواريخ أرض ـ أرض مما ادى الى مصرع ١٣٠ سوفيتيا ٠

ويعتبر هذا النبأ الأول من نوعه الذى تنشره (وكالة تاس) السوفيتية بعد ان كـانت تنفى دائما ما يصدر من أخبـار عن المقــاومة او الخسائر التى تلحق بهم منها ٠

سقوط قلعة (تشيونى) الحصينة فى ايدى المجاهدين الأفغــان

* أذاعت (وكالات الأنباء) نبأ سقوط قلعة (تشيونى) الحصينة بعـد معركة ضـارية ، وقد تم تدمير أكثر من مائة (مصفحة) وقتـل خمسمائة جندى ، وذلك بعد فرار أكثر مـن أربعمـائة جندى بأسلحتهم وانضمامهم الـى الثوار الأفغان مما غير موازين المعـركة وأدى الى سقوط القلعة فى أيدى المجاهدين ٠

من لندن :

مصر تعود الى المجلس الاسلامى (بلندن)

وافق المجلس الاســلامى بلنـدن باغلبيـة ساحقة على عودة عضـوية مصر الى المركـز الاسلامى بلندن وذلك خــلال اجتمــاعه الذى حضره سفراء جميع الدول العربية والاسلامية فى بريطانيا ٠

اســوان :

معهد دينى ومدرسة لتحفيظ القرآن بمحافظـة اســوان

تم وضع حجر الأساس لمعهد دينى ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة أسوان خلال الاحتفالات بمولد الامام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه بمحافظة البحر الأحمر ٠

آراء

من خير ما كتب :

الأستاذ الدكتور رءوف شلبى
تعلم التكامل تطبيقنا لشريعة الله

ان معنى تطبيق الشريعة الاسلامية فى بلادنا هو ان يعيش الجميع فى ظلالها فى أمان ومودة، وفى تعاون ورخاء ، كما أنها تعيـد الينا اليقين بانه ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ، وان مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ٠ اما الحـدود فى هـذه الشريعة فهى لحمـاية المبادىء الســامية التى يطبقها كل المجتمع بتلقائية ايمانية الوازع فيها هو الضمير ، ورقابة الله ، ومحبة الاسلام ٠

وفى مثل هــذا المجتمع المتـواصى بالحـق والصبر ، والذى تدرأ فيه الحدود بالشبهات ، جعل الاسلام العلماء هم الأمناء الذين يبدأون باصلاح أنفسهم ، حتى تســتقيم بهـم دعوة الناس الى الخير ، وجعل الحكام بعد العلماء هم

المسئولون أمام الله عن تطبيق هذه الحدود والأحكام ، لا بالعنف ولا بالتجسس ولكن بالتربية السليمة ، وتكافؤ الفرص ، وبالعدل والاحسان .

الأخبار ١٩٨٤/١١/٩

* ... الأستاذ الدكتور محمد الحسيني مصيلحي ـ استاذ القانون الدولي ـ جامعة ام درمان .

حقوق الانسان بين الشريعة الاسلامية والقانون الدولي :

اذا كان الاعلان العالمي لحقوق الانسان يؤكد في مقدمته الاعتراف بكرامة الانسان فان الاسلام قد كرم الانسان من قبل هذا الاعلان بأربعة عشر قرنا حيث جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً »

ومن مظاهر هذا التكريم ان أحسن صورته فقال تعالى :

« وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ »

ونهى الاسلام عن اهانة الانسان او تحقيره أو السخرية منه أو تنابزه بالألقاب فقال تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) .

ثم ان الاسلام أعز الانسان وطالبه بأن يكون مرفوع الرأس لا ينحني لأحد غير الله ولا يعبد غيره ولا يشرك به فقال تعالى :

« قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ »

وهكذا كرم الله سبحانه وتعالى الانسان قبل أربعة عشر قرنا من صدور الاعلان العالمي الذي يؤكد في مادته الأولى على أن جميع الناس يولدون أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق .

الاسلام والمساواة :

واذا كان الاعلان العالمي لحقوق الانسان قد أكد على احترام حقوق الانسان والحريات وان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين فان القرآن الكريم يؤكد على عدم التمييز وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم فقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

وقوله عليه الصلاة والسلام : (الناس سواسية كأسنان المشط) • ومن هنا فان المساواة في الاسلام هي أساس التمتع بالحقوق والتكليف بالواجبات بل أكثر من ذلك فان الانسان هو خليفة الله في الأرض أكرمه الله بتلك الخلافة كما أكرمه بسجود الملائكة له •

الاسلام وحق الحرية •

اذا قارنا بين ما جاء في الاعلان العالمي لحقوق الانسان حول هذا الحق وبين ما جاء في القرآن الكريم نجد أن نصف الاعلان العالمي لحقوق الانسان يشير الى الحرية تحت رؤوس موضوعات جزئية مثل حرية التنقل وحرية التعبير وحرية الفكر وحرية العقيدة وما اليها ولكن القرآن الكريم لم يشر الى هذه الحريات فحسب وانما شملها ضمن مسائل أخرى في اعلان شامل ومتكامل وهو لم يبح لكائن من كان حتى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعبد شخصا آخر بأى صورة بسبب العنصر أو اللون أو الحسب والنسب • فالميزة الوحيدة في الاسلام هي ميزة التقوى • والحرية الشخصية في الاسلام هي من أقدس الحقوق وتشمل العقيدة وغيرها وكلها كفلها الاسلام وخطا بها خطوات لا تزال تعجز الحضارة الحديثة عن اللحاق بها بل ان الاعلان العالمي لحقوق الانسان وكذلك الاتفاقيات الدولية اللاحقة لم تصل في تنظيمها الى ما وصل اليه الاسلام •

الأهرام ١٩٨٤/١١/٩ •

٭ ••• فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم أمين عام مجمع البحوث الاسلامية :

رعاية الاسلام للطفولة

اهتم الاسلام بالطفل اهتماما خاصا ورعاه رعاية كاملة قبل أن يولد وبعد خروجه الى الدنيا فوضع قواعد لاختيار امه قبل الزواج بها من والده على أساس الظفر بذات الدين لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وحق الأولاد وحق البيت قال صلى الله عليه وسلم : (تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) رواه الشيخان • وبالمقابل أرشد النبى صلى الله عليه وسلم أولياء المخطوبة بأن يبحثوا على الخاطب صاحب الدين والخلق الكريم ليرعى الأسرة رعاية كاملة ويؤدى حقوق الزوجية وتربية الأولاد والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف قال صلى الله عليه وسلم (اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) رواه الترمذي •

كما حث الاسلام على التأذين في اذن المولود اليمنى وأن تقام الصلاة في أذنه اليسرى حتى يكون أول ما يقرع سمعه كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التى أول ما يدخل بها في الاسلام فكان كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها كما أن الشيطان يهرب من كلمات الآذان •

وينبغى أن نعلم أن الاسلام اهتم بتربية

الطفل ولاسيما التربية الخلقية له حتى ينشأ رجلا كريم الخلق قوى العزيمة مهذبا فى أقواله وأفعاله نبيلا فى تصرفاته وخلقه ديدنه الحكمة والكمال والادب والاخلاص والطهارة ولنتذكر جميعا قول الرسول الكريم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه .

الأخبار ١٤/١٢/١٩٨٤ .

* الأستاذ مصطفى أمين :

اعلم أنك لست خالدا فى منصبك ، الأيام دول، وكم من رجال قبلك ظنوا أنهم باقون الى الأبد، فداستهم الأيام بأقدامها . توهموا أن ظلمهم دائم فجاءت العدالة وسحقتهم . توهموا أن السوط سيبقى فى أيديهم يلهبون به ظهور الأبرياء فاذا بالأبرياء الضعفاء ينتزعون السوط ويلهبون به ظهور الطغاة المستبدين اذا وقعت قرارا بفصل مظلوم من وظيفته الصغيرة ، من منصبك الكبير . اعدل اليوم لتنال العدل فسيجىء اليوم الذى يصدر فيه قرار بفصلك غدا وأنصف البرىء لتنصفك الأيام ، وقد رأينا مصارع الظالمين ونهايات المستبدين . فما دام طغيان ولا استمر استبداد . أنت تعلق خصومك فى المشانق ، وتغتال أعداءك فى « المنافى » وتملأ السجون بمن يهمس بكلمة ضدك .

اعلم أن لعنات المظلومين قادرة على أن تسحق الظالمين ، همساتهم تتحول الى رعد . صرخاتهم تصبح كالأعاصير . هذه القلاع التى تبنيها حولك ستنهار كالتراب . لن ينفعك الا العدل اذا عدلت ولن يفيدك الا العفو اذا عفوت .

أخبار اليوم ١٠/١١/١٩٨٤ .

***

تصحيح

جاء فى ملحق مجلة الازهر عن شهر ربيع الاول سنة ١٤٠٥ ــ وهو "المختار من ارشاد المريدين لسيرة سيد المرسلين" تأليف فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن خلف المصرى ما يأتى :

أولا : فى صفحة ١٢ تحت عنوان « وفاة والدته ، ومن تولاه بالحضانة » ثم تولته بالحضانة بعدها أم أيمن ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها : أنت أمى بعد أمى ، وكانت مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه ، وقيل لأمه واستشهدت فى غزوة حنين ..

ثانيا : فى صفحة ٤٧ ــ واستشهد من المسلمين (فى غزوة حنين) أربعة من المسلمين منهم أم أيمن والصواب أن الذى استشهد فى غزوة حنين ابنها أيمن ، وقد عاشت أم أيمن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى مسند الامام احمد الجزء

الثالث ، أن أم أيمن بكت لما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم فقيل لها : مايبكيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ـ فقالت : انى علمت أن الرسول سيموت، ولكنى ابكى على الوحى الذى رفع عنا .

اما الذى استشهد فهو ابنها ايمن بن عبيد الخزجى اخ اسامة بن زيد لامه وهو الذى عناه العباس بن عبد المطلب بقوله .

نصرنا رسول الله فى الدين سبعة ‏ ‏ ‏ ‏ وقد فر من فر عنه فاقشعوا

وثامننا لا قى الحمام بنفسه ‏ ‏ ‏ ‏ بما مسه فى الدين لايتوجع

والسبعة هم العباس ، وعلى ، والفضل بن عباس ، وابو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، واسامة بن زيد ، واما غيرهم فهما أبو بكر ، وعمر رضى الله عنهم اجمعين .

وشهداء المسلمين فى حنين اربعة من قريش ثم من بنى هاشم ايمن بن عبيد، ومن بنى اسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل .

ومن الانصار سراقة بن الحارث بن عدى من بنى العجلان ، ومن الاشعريين ابو عامر الاشعرى .

ومما يروى بهذه المناسبة ان ام ايمن كانت مع المسلمين فى غزوة أحد ، ورمى « حبان بن العرقة » بسهم فاصاب ذيل ام ايمن وقد جاءت تسقى الجرحى فانكشف عنها ، فاستغرب فى الضحك ، فشق ذلك على الرسول الكريم فدفع الى سعد بن ابى وقاص سهما لا نصل له ، وقال له : ارم . فوقع السهم فى نحر حبان فوقع مستلقيا وبدت عورته ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استقاد لها معاذ اجاب الله دعوتك وسدد رميتك ولقد ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا تبرق اسارير وجهه ، فقال : الم تر أن مجززا المدلجى نظر آنفا الى زيد بن حارثة واسامة بن زيد وعليهما قطيفة قد غطت راسيهما ، وبدت اقدامهما ، فقال : ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر الرسول لحبه وابن حبه ولام ايمن وقد توفيت ام ايمن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمسة اشهر او ستة،وشكر الله لكم .

الاسكندرية فى ١١ من ربيع الاول سنة ١٤٠٥

٤ من ديسمبر سنة ١٩٨٤

محمد حسنين كرم

من علماء الازهر

فهرس العدد

قسم الانجليزى



Times are ever changing. According to the Word of Allah, "Such days of varying fortunes we give to men and men by turns". So, there is a time when one is wealthy and another when one is poor and a time for friends to rejoice and another for enemies to look with disdain.

Happy is the man who will abide only by the fear of Allah. For in prosperity, piety will always dignify him while in woe it will fortify him with forbearance. In health it perfects his blessedness, and in the afflictions of illness it eases his distress. Indeed, the ups and downs of life cannot reach him with harm. He is all the same while such worldly concerns are all vain and likely to perish.

Piety is the basis of security. It serves man as a sleepless guard. It takes him by the hand when he is liable to stumble. It guides him lest he might go astray. Once lust which for a long or short while lured man has faded away, he will linger about in his loss.

So, always stick to the fear of Allah, and you will find comfort in narrow circumstances, and ability in spite of illness. Such is the immediate reward of piety. It is needless to remind you of its requital in the hereafter.

Translated from: Sayd Al-Khatir, "Catching flying Inspiration"
By : Imam Ibn-Al-Jawzy..

IT IS FROM PIETY THAT SECURITY FLOWS

By : Sonia Hill

IMAM IBN AL-JAWZY

He is Abul-Faraj Jamal El-Din Ibn Abaidullah Ibn Al-Jawzi Al-Qurashi; whose name Jawzi is related to Jawza. He was born in Baghdad in 508 H. where he died and was burried in Ramadan 597 H. (July 1201 AD).

One of his earliest tutors was Imam Abul-Hassan Al-Dinawary (died 525 H.); other tutors were Al-Barie (died 524 H.), Al-Jawaliqi (died 541 H.) and others.

Imam Al-Jawzi was a narrator of the Prophet's Hadith, theologian, preacher, and author. He was extremely successful, and his works comprised history, Biographies, theology, preaching, and several other works.

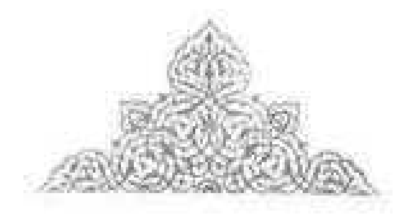
"SAYD AL-KHATIR" meaning "Catching flying inspirations" is considered one of his most famous works. In this book, Imam Al-Jawzi collected his most intimate inner thoughts and recorded them before they receded from his mental appreciation.

That book is presented after meticulous revision and classification by the brothers Ali Tantawi, and Naji Tantawi. Some translated extracts of this famous book will be periodically published in the English Section of Al-Azhar Magazine.

7th. Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.



REFERENCES:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3 Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramdan Albooty

one year from Uhud. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched with thousand and five hundred men to meet Koraysh at Badre, and left Al-Madinah in the ministership of Abdu Allah son of Abdu Allah Ibn Ubaii Ibn Salool. The Muslims reached Badre and waited for Koraysh ready for armed confrontation. Koraysh marched out of Mecca in two thousand men under Abu Sufyan. After two days march, Abu Sufyan called the men to return because the year was barren and not fertile. The army of Koraysh returned to Mecca, the army of Muslims remained at Badre for eight days trading, and then returned to Al-Madinah. This incidence of the second Badre removed all effects of Uhud and certainly promoted the influence and superiority of Muslims, while Koraysh lived in shame of defeat and retreat.

These events bring us to the end of the fourth year after the Hijrah. Till that time, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) employed a Jewish writer to write his letters in Hebrew and Syrynian languages. After the evacuation of Bani Al-Nadhir, the Prophet directed Zaid Ibn Thabet to learn the two languages and to become the writer of his letters.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

regained their superior reputation. However, they were very alert to the surrounding events. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) received information that some groups in Ghattafan in Najed were gathering to attack Muslims at Al-Madinah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched out in four hundred men leaving Al-Madinah under the ministership of Abu Zaar Al-Ghaffary. The Muslim contingent reached a place called "That Al-Riqaa" where tribes of Bani Moh-areb and Bani Thalaba gathered. When these tribes saw the Muslims under the leadership of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), they dispersed leaving behind their women, children and possessions. The Muslims collected the spoils of war and returned to Al-Madinah. On the way, they suspected that the enemy might follow them and therefore protected their rear. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) prayed the prayers of fear. However, the enemy did not follow. Some chroniclers dispute the exact date of this incidence and suggest that it took place after the battle of Al-Ahzab.

At this stage of events, a year had passed since the battle of Uhud. According to the statement declared by Abu Sufyan Ibn Harb at the time of Uhud; both the Muslims and Koraysh were to meet in confrontation at Badre after

O ye with eyes to see.

(Surat Al-Hashr, LIX, 2)

The expulsion of the Jewish clan of Bani Al-Nadhir from the neighbourhood of Al-Madinah was easily and smoothly accomplished. Their reliance on their fortified positions and on their allies proved futile. For the Muslim society, this was a great achievement that strengthened the bonds and served to promote the Muslim influence and authority. Banu Al-Nadhir evacuated under the leadership of Huaii Ibn Al-Akhtab. They dispersed in two groups, one group joined their brethren in Syria, and the other group joined their brethren in Khaibar. Two men from Bani Al-Nadhir became muslims, namely, Yamin Ibn Umair Ibn Kaab, and Abu Saad Ibn Wahb. These two men regained their possessions and their property. According to Quranic revelations, all possessions taken from Banu Al-Nadhir were distributed among the Muslim Muhagereen only. Only two men from the Ansars were include , namely Sahle Ibn Hunaif, and Abu Deganah Samak Abu Kharshah, who were reported poor.

After the evacuation of Bani Al-Nadhir, the Muslims resided at Al-Madinah in temporary peace after having

and fortresses for twenty nights. They received no help from Ibn Salool, and it was futile to achieve a victory over the dominance of the Muslim siege. They realised that arranging a truce with Muslim will be to their advantage in the existing circumstances. They reconciled to evacuate leaving their homes and property of lands and weapons and carrying only their possessions. However, as they evacuated, they purposely destroyed their homes before their final departure. Concerning this event of Bani Al-Nadhir, a Quranic text was revealed which is Surat Al-Hashr (The Gathering).

"It is He who got out the Unbelievers
Among the people of the book from their homes
At the first gathering. Little did ye
Think that they would get out, and
They thought that, their fortresses would
Defend them from Allah.
But the (Wrath) of Allah came to them
From quarters from which they little expected,
And cast terror into their hearts.
So that they destroyed their dwellings
By their own hands and the hands
of the believers. Take warning them,

the place at once and alone without addressing his companions, ,and returned to Al-Madinah. The companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also left and returned to Al-Madinah where they were informed of the treacherous dishonest display of Bani Al-Nadhir.

Consequent upon this, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputised Mohammad Ibn Mussalamah to go to Bani Al-Nadhir and request their immediate evacuation from the territories they occupied since they disrupted the agreement between them and the Muslims, and plotted to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Bani Al-Nadhir knowing the serious intentions of Muslims, started preparing for their departure. However, at this stage, Abdu Allah Ibn Ubaii Ibn Salool sent to Bani Al-Nadhir a message informing them not to evacuate and to remain protected in their fortresses and homes, and that he will assist them with his men against the Muslims. Bani Al-Nadhir cheated by the promises of Ibn Salool, did as he advised them and refused to evacuate as the Muslims had requested.

In response to this act of defiance on the part of Bani Al-Nadhir, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched out and besieged them in their homes

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the mind and sagacity of a master statesman decided to approach the Jews at Al-Madinah to realise their real true intentions. Bani Al-Nadhir a famous Jewish clan were allies of Bani Amer. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited Bani Al-Nadhir at their homes at Qubaa in the outskirts of Al-Madinah in company with a group of companions including Abu-Bakre, Omar Ibn Al-Khattab and Aly Ibn Abi-Taleb. Bani Al-Nadhir were requested to act as intermediates with Bani Amer in consideration of the penalty in money the Muslims had to pay in recompense for the two men from Bani Amer who were killed by mistake by Amre Ibn Ummayah.

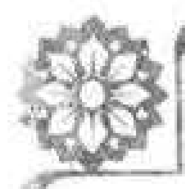
Bani Al-Nadhir at first met the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions with courtesy, congeniality and readiness to help. Behind this facade of good appearances, they were plotting in deciot and malicious intrigue to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) by throwing a large stone on him as he was sitting by one of the walls of their houses. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) discovered their malignant intentions and Allah revealed to him their scheme of conspiracy in visionary knowledge. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left

BANI AL-NADHIR and OTHER EVENTS

By: Anas Moustafa El-Naggar MD., Ph

In the name of Allah most Gracious and most Merciful.

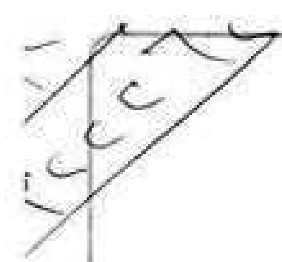
Only two men survived the incident of Maoonah, namely, Kaab Ibn Zaid and Amre Ibn Ummayah. On their way back to Al-Madinah separately, Amre Ibn Ummayah Killed two men from Bani Amer thinking by mistake that they belonged to the clan who masacred the Muslim group at the well of Maoonah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had offered protectorship to Bani Amer. This necessitated that the Muslims must pay a penalty in money in reward for the two men from Bani Amer who were killed by mistake by Amre Ibn Ummayah. All prevailing circumstances at the time were unfavourable to the Muslims, and their prestige and influence among the neighbouring Arab tribes and the Jewish population at Al-Madinah was certainly lowering and undermined.

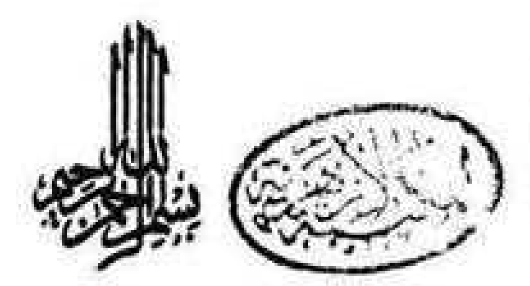



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION







شئ من علم النفس

حدثنا أساتذتنا — فى علم النفس — فقالوا : ان الانسان يكبت — بطبيعته — الذكريات المخجلة .. !

أى أنه — تلقائيا — يكره أن تتسرب مواقفه المخجلة من طوايا الماضى ، وخفايا « اللا شعور » لتصعد الى سطح « الوعى » فتذكره بآثامه ، لذا كان أسرع استجابة لكبتها كى تنتهى وتموت ... !



الجزء الخامس
السنة السابعة والخمسون

* جمادى الأولى ١٤٠٥ هجرية *
* فبراير ١٩٨٥ ميلادية *

ولنفس السبب نجد « الانسان » يخفى ــ دائما فى مجتمعــه ما عليه من خلق ردىء حتى لا يفتقد احترام المحيطين ٠

ويبــدو أن هذا وذاك ــ فى كلتا المحاولتين ــ انســان ســوى ، لاسـيما اذا كــان يمــارس « الكبت » و « الاخفــاء » اســتعلاء بالنفس ، وطــردا للنقص ، وحيا فى الستر ، وطلبا لعفو الله ــ سبحانه !!

لكن يهول ويصدم أن يكون من البشر من يرى فى « الخطيئة والنقيصــة » بكل الوانهــا من خيانة وغدر ــ « حقا » ينبغى أن يمارســه لا « عــارا » يجب أن يخفيه ، فهو من « الخجل » فى ساعة ، ومن « المجاملة » على جحود ، فلا عليه أن يتجرد لأقبح الصفات ، ويشمر لها عن ســاق ٠

فهذا مواطن شق جيش بلاده ليجعــل من جــزء منــه جــدارا حمــاية لاسرائيل ، ودرع أمــان لهــا ٠

وعلى الطرف الآخر خائن يستعدى ــ على وطنه ــ مرشحا لرئاسة دولة كبرى ينفث ــ فيه ــ روح العدوان على وطنه ٠

وشاء الله أن يسقط المرشح فتسقط الخيانة ٠٠
وهكذا يدافع الله عن الذين آمنوا ٠٠

د/ على أحمد الخطيب



مع العقيدة

الدين أولا

عصر الالحاد

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

الدين أولا

لقد أسفت أسفا كبيرا وأنا اقرأ بيانا صادرا عن مدير الامتحانات بوزارة معارف بعض الدول العربية خلاصته ان مادة الدين لن تضاف درجاتها الى قائمة النجاح او الرسوب فى شهادات الطلاب .

فلماذا لا يكون الدين مادة اساسية ورسمية فى جميع سنوات الدارسة فى العالم العربى والاسلامى اليوم ؟

أليس دراسة الطالب للدين والاعتداد بمادة الدين فى النجاح والرسوب مما يعزز فهم الطالب لدينه ولمبادئه فى نفسه ومما يجعله على صلة دائمة بدينه فى مختلف أطوار حياته ؟

ان المعركة اليوم بيننا وبين الصهيونية لا ينقصها الا شىء واحد هو قوة الدين فى نفوسنا هو قوة الاسلام فى قلوبنا هو عملنا الكامل الجاد فى الالتزام بالدين ومبادئه وروحه التزاما تاما فعالا له أثره وخطره فى حياتنا .

أما مواقف الضعف والتردد حيال الاسلام مما يتراءى أمامنا اليوم فى العالم العربى فمواقف لا تقودنا الا الى شىء واحد هو الهزيمة والذلة والهوان مهما بلغت أسلحتنا من القوة والاكتمال .

ان السلاح الوحيد الذى لا ننتصر الا به هو سلاح الايمان ... سلاح العقيدة ... سلاح الاسلام الذى جربناه فى الماضى فى حروبنا مع الامبراطوريتين الفارسية والرومانية ، وفى حروبنا مع الصليبيين والتتار ، وفى حروبنا مع الاستعمار ، وفى كل موقف وانتصرنا به .

واذا ما عدنا للقوة وأردناها فلنكن على ثقة تامة من أنه اذا فقدنا سلاح الايمان فقد فقدنا كل شىء ، وضاع بين أيدينا النصر الذى نتمناه وسقطنا فى هوة الخزى والعار والذلة والهزيمة واذا ما سرنا الى المعركة ونحن قد صبغنا حياتنا وبلادنا ونفوسنا بصبغة الاسلام الكاملة فقد ملكنا كل أسباب النصر .

ان كل حرب للاسلام فى عالمنا الاسلامى وكل انصراف منا عنه هو مقدمة لهزيمة جديدة ... وكل حركة وحياة مع الاسلام وبالاسلام هى مقدمة لنصر جديد وفتح جديد .

واذا كنا مع الله كان الله معنا وعلينا أن نثق أبدا ودائما بقول الله عز وجل وهو مدار الحكمة الخالدة والحقيقة الازلية :

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

❋ ❋ ❋

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

لقد كان منظر الرجل القادم الى زيارتى فى عام ١٩٤٨ اثناء حرب فلسطين — من قرية قاصية من قرى مصر ، منظرا عجيبا لازلت أذكره ، رجل حطمته السنون سعى الى وهو يحمل على ظهره أوزارها وقال لى وهو يبكى : ان ابنى الوحيد الذى يعولنى ويعول أمه قد تطوع مع المتطوعين للحرب ؟

فطمأنته وقلت له : وماذا وراء ذلك الا النصر أو الشهادة فى سبيل الله ؟ فرد على يقول : اننا لا نملك قوت يومنا وهو الذى يسعى على معاشنا وقلت له : وماذا تريد ؟ قال : أريد ابنى لتستمر حياتنا ومعاشنا وقلت : له وأين هو ؟

قال لى : فى مخيم للمتطوعين سوف يسافر فجر الغد الى أرض فلسطين .

فقلت له : هيا بنا وسرنا فى الطريق انا وهو وفى الطريق قلت للرجل الكهل ألم تذهب الى ابنك وتخبره بحالكم لعله يقدر الامر تقديرا على أساس واقع حياتكم ؟

قال : قد فعلت ولكنه أبى الاستماع الى ووقفنا أمام المسئول الأول حيث شرحت له حالة الرجل .

فقال : انى لا أملك من الامر شيئا القرار الاخير كله بيد المتطوع ابن هذا الكهل . وان شئتم فقابلوه واقنعوه فاما أن يسافر مع المتطوعين واما أن يخرج مع والده الى قريته .

وذهبنا الى الابن المجاهد البطل وشرحنا له حالة الاب وطلبنا منه العدول عن السفر فأشرق وجهه بنور الامل والايمان وقال فى نشوة عجيبة .

أبى معه الله .

ولماذا أحرم من لذة الشهادة فى سبيل الله .

* * *

وهذا الطراز من المجاهدين المؤمنين هو الذى نريده لمعركتنا اليوم مع الصهيونية الماكرة الخبيثة التى تحاربنا بكل سلاح وتقف ضدنا فى كل معترك .

لقدتعجب السير « توماس أرنولد » فى كتابه « انتشار الاسلام » لرعاية المسلمين الكنيسة المسيحية التى قويت وتقدمت فى ظلال ملوك المسلمين وحكمهم . حيث تمتعت جميع المذاهب المسيحية بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء بل كان هؤلاء الحكام يحولون دون اضطهاد بعض المسيحيين لبعض ويكفلون الحرية الدينية للجميع ، حتى ان المعتصم بن الرشيد فى خلافته ولى أخوين مسيحيين منصب الوزارة ومنها بيت مال المسلمين وهما ابراهيم وسلماوه ولما مرض ابراهيم عاده الخليفة فى بيته فلما مات حزن عليه وأمر بجثته فجىء بها الى القصر ، وجرت المراسم المعتادة والصلوات

● الـــديـن أولا

عليها فى قصر الخلافة الذى شيعت منـــه الجنازة .

ويقول : لقد كان التعب وافدا دائما لبلاد الشرق من أوروبا ، ولم يكن الأمـــر بالعكس فى يوم من الايام لان الاسلام علم المســلم الرحمة والتسامح والحب والانسانية .

ويذكر توماس : فرح النصارى فى الشرق بالتحرر من حكم الصليبيين كما فرحوا بالأمس بالتحرر على يد المسلمين من حكم الرومان .

وقد بلغتنا رسالة للبطريق بوساب الثالث اليعقوبى بعث بها من خراســـــان فى العصر الاموى الى زميل له وجاء فيها .

اما « العرب الذين آتاهم الله ملك الدنيـا فلم يطعنوا فى ديننا ، ولا اعتدوا على بيعنـا بل بالعكس أكرموا رهباننـا وقساوســـتنا واحترموا أولياءنـا وأحسنوا الهبـات الى معابدنا . ولم يؤثر فى أيام الفتح العربى أن قام العرب الفاتحون بأية محاولة لاكــراه غيرهم فى الدخول فى الاسلام أو لاضطهادهم وظلمهم حتى يغيروا عقيدتهم » .

ويــروى بعض المستشرقين الاوربيين أن الكثير من المسيحيين بعد سقوط غرناطة حزنوا حزنا شديدا وهاجروا فى جمـــوع الفارين المسلمين من السيف والنــــار ودخلــوا فى الإسلام .

وهذه « أكاديمية » العلـوم الجنائية فى روما تنوه بالحكم الفقهى الإسلامى الذى ينص على أنــه اذا قتل قتيـــل ولم يعرف قاتله حكم بديتــه على بيت المال او على اهل المحلــة او المنطقــة التى وجدت فيها جثته بعد أن يستحلف خمسون من أهل الحى الذى وجد فيــه القتيل بانه ما قتلوه ولا يعرفــون لــه قاتلا .

د٠ محمد عبد المنعم خفاجى





عصر الإلحاد

خلفيته التاريخية وبداية نهايته

تأليف: محمد تقى الأمينى الندوى
ترجمة: دكتور مقتدى حسن
عرض وتعليق: أ. د. طه مصطفى أبو كريشه

— ١ —

عصر الالحاد : خلفيته التاريخية عنوان الكتاب الذى ألفه محمد تقى الأمينى الندوى ، رئيس الشئون الاسلامية بجامعة عليكرة بالهند ، وقد نقله الى اللغة العربية الدكتور مقتدى حسن وكيل الجامعة السلفية بالهند .

والكتاب بعد المقدمة قائم على تمهيد وأربعة فصول ، جاءت عناوينها على النحو التالى :

نتائج الدين المزيف على الحضارة الانسانية فى ضوء القرآن الكريم — الدين قبل النشأة الثانية للدين — حركة الاصلاح الدينى — العصر الحديث وأحواله الخاصة — بعض نظريات عصر الالحاد .

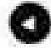
والكاتب — كما ذكر مقدم الكتاب — الى جانب تخصصه فى الشئون الاسلامية ، ملم بتيارات الفكر الحديث ، ولديه قدرة على استيعابها والحوار معها ، وتفنيد ما يستحق التفنيد منها ، وكذلك فهو من الذين يسلكون فى تناول القضايا الدينية والفكرية منهج المفكر الاسلامى الهندى أبى الحسن الندوى .

وهو المنهج الذى يتزود فى مقدمة ما يتزود به بالاسلحة الفكرية التى لابد منها للزود عن الاسلام فى هذا العصر الحديث ..

والهدف من الكتاب — كما ذكر مؤلفه فى مقدمته — عرض تاريخ عصر الالحاد فى أوربا ، مع توضيح الدوافع الكامنة وراءه ، والاسباب التى أدت اليه ، . وأما اقتصار الدراسة على أوربا ، فلأنها المنطلق الذى انطلقت منه النظريات اللادينية على نحو أكثر ، قبل أن تظهر الدعوة اليها فى أى مكان آخر ..

— ٢ —

❋❋ فى تمهيد الكتاب يتناول المؤلف « نتائج الدين المزيف على الحضارة



لالانسانية فى ضوء القرآن الكريم » . ويقصد بالدين المزيف ، كل تحريف يقع فيه البشر بعيدا عن الدين الحق .

وعندما يقع التحريف يبدأ التناقص فى تلك الميزات ، التى تمنح لمن يلتزم بالمنهج السوى المستقيم للدين .

ومن خلال الآيات القرآنية يقدم المؤلف مجموعة من الآثار السلبية التى تحدث نتيجة هذا التحريف .

فالحياة فى ظل الانحراف عن الدين تفقد النظام والالتفاف حول مبدأ واحد ، وتتلاشى أخلاق الطاعة ، يقول الله تعالى « وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ » النور ٤٨ .

والمنحرفون لا يتورعون عن الظن بالله ظنونا لا تليق بجلاله ومن ثم يزيدهم الله ضلالا فوق ضلال « يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ » آل عمران ١٥٤ .

« يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ » ابراهيم ٢٧ .

ومع شيوع الانحراف يشيع النفاق ، ويختلف ظاهر الناس عن باطنهم ، وتتباعد المسافات بين الأقوال والاعمال فلا يلتقيان .

« وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ »

والى جانب ذلك فان المنحرفين تستعبدهم المصالح الشخصية ، والاهداف الخاصة ، ويسعون الى تحقيقها من كل طريق ، لا فرق بين مباح وممنوع . ولا ضير — حينئذ — أن تضيع مصلحة الجماعة ، أو ينزل بها ما ينزل من كوارث ، ماداموا هم فى مأمن من وصول الكارثة أو الضرر اليهم « إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ، وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ » التوبة ٥٠ .

وأمثال هؤلاء اذا أدوا — فى ظاهرهم — شعيرة من الشعائر أو عبادة من العبادات ، فانهم يؤدونها فى فتور قلبى ، وتراخ جسدى ، وانطفاء روحى « وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا » النساء ١٤٢ .

والسبب فى ذلك خشيتهم للناس أشد من خشيتهم لله .

ويتابع المؤلف ذكر هذه الآثار السلبية فى ضوء الاستشهاد بالآيات القرآنية ، حتى يصل بها الى خمسين أثرا وواضح من جملة ما استشهد به من آيات ، وما ذكره من آثار ، ان الانحراف عن الدين ، تتضح علاماته فى شخصية المنافق ، أو فى شخصية الذين اتخذوا لهم دينا غير دين الاسلام ، وكلتا الشخصيتين كان للاسلام معها موقف صوره القرآن

الكريم ، وهو تصوير يحدد أبعاد تلك الشخصيات تمام التحديد . ومن اعجاز القرآن الكريم أن تصويره لا يتخلف عن هذه النماذج التى تحدث عنها ، مع تقدم الزمان بعد نزوله والى اليوم ، وتلك آية ماثلة من آيات اعجازه ، تزيد اهل اليقين يقينا ، وتقدم للمتشككين برهانا يبدد من امام اعينهم ضباب الشك لو كانوا يبصرون !!

وفيما يتلو التمهيد من فصول ، يذكر المؤلف أنه سوف يقدم فيها شهادات تاريخية ، تتضح بها هذه الآثار المذكورة ، حتى تتبين حالة الدين الاصلى عندما يتطرق اليه الانحراف ، وكيف أنه يضر بالبشرية ضررا بالغا ، به يتحول الناس من طريق الهدى الى طريق الضلال .

— ٣ —

*** اما الفصل الاول فعنوانه :**

الدين قبل النشأة الثانية

ويعنى بالنشأة الثانية ما حدث فى أوربا ، فيما يتصل بأولئك الذين تمردوا على الكنيسة وجرءوا على تحريف النصوص ، واقحموا العقل البشرى فى مجال اخضاع الدين لرغباته .

ومن خلال أقوال المؤرخين الأوربيين الذين كتبوا عن تاريخ أوربا يقتبس المؤلف كثيرا من هذه الأقوال ، التى صوروا بها المجتمع فى ظل الانحراف عن تعاليم الدين قبل هذه النشأة الثانية .

ومما أصبح سمة على شيوع الانحراف ، أن الاتجاه نحو الترف أصبح سائدا ، وهو ترف أدى الى الفساد والانحلال ، حتى فى تلك المدن التى يكثر فيها عدد الزهاد والرهبان .

وكذلك فان الدين أصبح عند القائمين عليه وسيلة لطلب الدنيا واشباع نزعات الفساد ، مع شيوع الفرقة والتحزب وتحكيم الهوى ، داخل صفوف هؤلاء ، حول كثير من الأمور التى تبدو يسيرة هينة .

وفى ظل هذا الانحراف حورب العلم ، وطرد العلماء ، ولعنوا من قبل رجال الدين وتعرضوا مع ذلك لأقسى انواع الاهانة والتعذيب .

وهكذا بدا أن الدين ذاته يقف حجر عثرة أمام كل تقدم علمى أو بحث فى العلم ، ومن ثم بدا تبعا لذلك أن طريق الحضارة والتقدم مرهون بالتحرر من قيود الدين .

وفوق ذلك فان أولئك الذين انحرفوا بدينهم هادنوا الفساد البشرى والاجتماعى ، وأيدوا الظلم والخلل الاقتصادى مما جعل أوربا تظهر فى العصور الوسطى فى صورة تدعو الى النفور والاشمئزاز وتنادى من يراها بضرورة الخلاص منها .

— ٤ —

وفى الفصل الثانى يتحدث المؤلف عن « حركة الاصلاح الدينى فى أوروبا » وصلة ذلك بالاسلام . ويذكر أن هذه الحركة بدأت هناك خلال القرن الرابع عشر الميلادى .. وامتدت حتى القرن السادس عشر .

وينقل ما ذكره الباحثون فى تاريخ حركة الاصلاح ، من أن الفضل فى نشأة هذه الحركة يرجع الى تعاليم الاسلام والى

المسلمين الى حد كبير ، حيث استفادت أوروبا كثيرا من الحروب الصليبية ومن مراكز الاندلس العلمية .

ومما استشهد به على ذلك ماذكره (جان ديون يورث) فيما يتصل بالنهضة العلمية فى أوروبا « ان علوم الطبيعة والنجوم والفلسفة والرياضيات التى انتشرت فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر كانت قد اقتبست من المدارس العربية ، ومن هنا تكون الاندلس هى المؤسسة للفلسفة الأوروبية » (٣٥) .

ولذلك فان زوال الحضارة الاسلامية فى الأندلس كان خسارة فادحة للحضارة الانسانية بصفة عامة ، وهى خسارة عبر عنها المؤرخون المنصفون ، الذين عرضوا لبيان أثر المسلمين وفضلهم على الحضارة الأوربية ، وقد نقل المؤلف عن المؤرخ (ا . ج جرانت) قوله :

« ليس هناك حادث فى تاريخ أوربا كلها أكثر ايلاما من زوال حضارة المسلمين فى الاندلس ، فانهم أضافوا كثيرا الى حضارة أوربا . ولو لم ينته ملكهم فى أسبانيا لأضافوا اضافات كثيرة أخرى » (٣٦) .

ومن غير شك فان هذه النهضة العلمية كان لها أثر فى احياء العلوم والفنون القديمة المهجورة ، وكان لها كذلك نفس الأثر فى ظهور العناية باصلاح الدين .

ومن زعماء حركة الاصلاح الدينى ، الذين كان لهم دور بارز فى نقد الاتجاهات الدينية فى عصرهم « جان كالفن وايراسمس ، ومارتن لوثر » الذى حاول الاصلاح أكثر من غيره وشبت اليه الحركة الاصلاحية بصفة عامة .

والمعروف أن هذه الحركة الاصلاحية لقيت مقاومة شديدة ومعارضة كبرى من القائمين على شئون الدين ، وأبرز صورة تمثلت فيها هذه المقاومة ما يعرف بمحاكم التفتيش ، التى تعرض فيها القائمون بالاصلاح لأنواع كثيرة وقاسية من التعذيب ، وقد أغلقت هذه المحاكم سبل الاصلاح الدينى والتقدم العلمى والحضارة الى حد كبير خلال عدة سنوات ، وكذلك قتلت ألوفا من دعاة الاصلاح والتقدم الى جانب من طردتهم من الانتساب الى حوزة دينهم .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر لهذه الحركة الاصلاحية آثار عميقة وطويلة المدى ، اذ سجل الباحثون أن أساس جميع الحركات التقدمية فى أوربا قائم على التصحيح الذى جرى فى نطاق الدين .

وتبدو هذه الاثار فى توسيع نطاق الفكر ، واذكاء عاطفة الشغف العلمى فى القلوب ، وان كان ذلك اتجه اتجاها دنيويا ـ مع شمول الدراسة والبحث لكل ما يتصل بالنفس الانسانية ، بعد أن كان ذلك محصورا فى العلوم الدينية . هذا الى جانب أنه فى ظل حركة الاصلاح بدأت الرحلات البحرية وحركة الكشوف الجغرافية .

ـ ٠ ـ

** وفى الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن « العصر الحديث وأحواله الخاصة » ويذكر

أن هذا العصر يمتد من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر الميلادى ، ويرى أن حركة الاصلاح الـديني قد أثمرت في هـذا العصر الى حد كبير ، بينما انتظمت النـاس حياة جديدة تعارض الحياة القديمة الى حـد بعيد .

ويسوق المؤلف في هـذا الفصـل بعض نظريات العصر الحديث التي تطورت في صورة فلسفة للحياة ، بحيث تبدو مؤثرة في نواحي العلم والعمل .

والظاهرة اللافتة للنظر في هذه النظريات هي سيطرة الاتجاهات اللادينية عليها سيطرة كبيرة ، وبصورة معلنة أو خفية .

ومن هذه النظريات والمذاهب :

نظرية القومية .

ونظريـة المذهب الطبيعي أو الحضـــارة المادية .

أما نظريـة القومية فانها تنسـب الـى (ماكيا فيلى) مع أنه ليس موجدها في حقيقة الأمر ، وانما هو الذى عرضها في العصـر الحديث بأسـلوب جـديد ، وبعـد أن تم استيرادها مع العلوم والفنون الأخرى مـن روما .

وتقوم هذه النظرية على أن الدولة القومية هي أعلى كيان في الكون وهي الهدف الأصلي للانسان وغايته المنشودة ، ولا حاجة في هذه الدولة الى الدين أو الاخلاق او القانون ، بل يكفى الالتزام بالمنهج السـياسى فحسـب . وينقل المؤلف عن ماكيا فيلى قولـه « ينبغي للرئيس أن يعمل في اكثر الاحيان خـلافا للاتفاقيات ، ولمبادىء حسن النية وللانسانية ولقواعد الدين مادام ذلك يهدف الى الحفاظ على الدولة وبقائها » (٥٦) .

وقد أبان المؤلف ما في هذه النظرية مـن (سطحية) حيث لا ينكر عاقل أن للاخـلاق والسلوك آثارا وخواص مثل العوامل الأخرى الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

وهي سطحية أدت الى تكوين البيئات التي ينمو فيهـا الكذب والمكر والخـداع والظلم والخيانة وغيرها من الأمراض الاجتماعية .

وكذلك فانها ساندت الاتجاه المعادى للقيم التي تنهض بهـــا الانســانية . وليس ذلك مقصورا على داخل مثل هذه الدولة القومية بل ان هذا الاتجاه يتعداها الى غيرهـا مـن الدول ، حيث تتعرض الأمم الأخرى بـدون هوادة أو رحمـــة للمعـاملة الوحشـــية القاسية (٦٠) .

وقد أدى انتشار النظرية الغائية لميكيا فيلى في العصر الحديث الى احداث تيار سياسى في الحياة ، اذ بدأ كثير من الناس ينظرون الـى كل شيء بهذا المنظار ، وتحول الدين الى آلة يمكن توجيهها ، واشكال لامضمون لها ولا روح فيها ، ومن ثم أصبح الطريق ممهدا امـام « مذهب الطبيعة » .

ومن سمات هذا المذهب الطبيعي الدعـوة الى التحرر مـن جميع العـادات والتقاليد ، وعدم الاعتراف بالوحي وما جاء عن طريقه من تقويم للأخلاق والسلوك ، فالانسان في نظر هؤلاء لا حاجة له في ذلك ، لأن العقل الذى خلق به يستطيع التمييز بين الخير والشر (٦٥) .

● عصر الالحاد

ويعقب المؤلف على هذا الاتجاه الطبيعى المعتمد على العقل مبينا انه مع عدم جحود دور العقل النافع فى ثبوت الحقائق والاشياء الا أن التجربة والمشاهدة تثبتان لنا أن تدخل العقل فى الدين والحياة محصور فى مدى محدود ، ولا يستطيع العقل خارج النطاق المحدد له أن يتدخل فى شئون الوحى ، والا كان تدخله مضرا . وكذلك فان العقل عاجز فى أكثر أوقات الحياة ، وفى هذه اللحظات العاجزة ينحط العقل الى أودية العواطف والشهوات ، وينسى دوره فى التوجيه ، واذا وجد توجيه فانه لا ينفع ولا يؤدى الى نتيجة ، هذا فضلا عن أن أمور الدين الاساسية انما تقع فيما وراء حدود طاقة العقل (٧٨) .

ثم يستطرد المؤلف الى تقديم الشخصيات التى تولت الدعوة الى هذا المذهب الذى يدعو الى تحكيم العقل فحسب ، وينهى هذا الاستعراض بنتيجة من واقع الحياة ، مؤداها ان الشخصيات التى برزت فى العصر الحديث، وحاولت القيام بجهود اصلاحية لم تكن قادرة على أن تنفخ روح الايمان والعقيدةفى القلوب والنفوس بعد ان تغيرت طبيعتها الداخلية وشوهت فطرتها الانسانية ، كما اخفقت هذه القيادات فى أن تقود سفينة الحياة المعرضة للطوفان كى تصل بها الى ساحل النجاة (١١٥)

— ٦ —

❊ وفى الفصل الرابع يتحدث المؤلف عن « بعض نظريات الالحاد » التى سادت فى العصر التالى للعصر السابق ، وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريبا الى نهاية السياسة الماكرة الخبيثة التى تحيط بانسان اليوم .

ويجمل المؤلف ما ساد هذه النظريات من تفسير الحياة تفسيرا جديدا ، يتجه بالانسان الى أسفل ، ويجعل أصله حيوانيا بدل أن يكون أصلا علويا ، ويحول نقاء الفطرة الانسانية الى ظلمة نظرية الغريزة ، وينحى نظرية العفة والشرف لتحل محلها نظرية الجنس المستهتر (١١٧) .

أما هذه النظريات الالحادية فمنها نظرية « التطور » المنسوبة الى «داروين» . وهى نظرية تقوم على مبدأ أن البقاء للاصلح هو وسيلة لتطور كل شىء ، فعالم النبات والحيوان والانسان يخرج الى عالم الوجود من مرحلة غير متطورة نسبيا ، ويكون التمايز بين الانواع ببقائها ، والبقاء انما يكون للانواع التى تكون أعضاؤها وقواها ملائمة للبيئة التى وجدت فيها ومن أجل ذلك كانت جميع الكائنات مشغولة بالصراع من أجل الحياة وبناء على هذه النظرية فان الانسان صورة متطورة للحيوان أى أن الانسان كان أولا قردا ، ثم حصل تطور متدرج انتهى الى صورة الانسان المعروف . وكذلك فان النفس الانسانية صورة متطورة عن نفسية الحيوان !! (١٢٢).

ولهذه النظرية رأى فى الفطرة والوراثة والبيئة والتربية ، فالفطرة لا توجد لها مكانة مستقلة ، ومحتواها لا يعنى الجوهر العلوى ، وانما يعنى الفاصل المميز بين الانسان

والحيوان نتيجة لعملية التأثير والتأثر ، والتطور التدريجي للكيفيات النفسية الحيوانية ، وفي أعماقها تسري جراثيم الحيوانية والآثار المادية (١٢٦) .

ومن ناحية الوراثة حسب تحليل نظرية التطور ، فإن روحية الأسلاف لاسبيل لبقائها وتطورها بعد انتقالها ، والذي يبقى فقط انما هو غريزتنا المادية والحيوانية ، وهذا هو السر في أن التجارب التي تطبق على هذه النظرية ، انما تتم في المعامل على الفئران والقرود وغيرها من الحيوانات (١٢٨) .

وبالنسبة للبيئة ، فان هذه النظرية تجعل الانسان يقف عاجزا منهزما أمامها ، وهي فقط الفاعلة المتصرفة ، ولذلك فان ضمان البقاء انما يحصل لأولئك الذين توجد فيهم خصائص موافقة البيئة وعوامل التكيف . والبيئة المقصودة هنا هي البيئة المادية فحسب ، ذلك لأن النزعة الروحية لايطلبها الانسان ولا يحتاج اليها للبقاء .

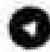
أما عن التربية فان هذه النظرية تعمل في اتجاه مضاد لها ، فاذا كان الهدف من التربية التخلص من الآثار الخاطئة للوراثة ، مع تقوية الارادة للتغلب على البيئة ، فان نظرية التطور تشجع بقاء مثل تلك الآثار ، وتعمل على استمرارها ، هذا بالاضافة الى أن العقائد والاخلاق تصبح بلا طائل في ظل توجيه هذه النظرية بينما يتم تشجيع الأعمال والأفكار التي تنمي القوة البهيمية (١٣٠) .

ومن النظريات الالحاديةنظرية « الغريزة » المنسوبة الى عالم النفس الفرنسي « ميكدوجل » . وترى هذه النظرية أن الجبلات التي تعمل في فطرة الانسان هي التي توجد في الحيوانات ، وأن منبع جميع أعمال الانسان وحركاته هي غرائزه . والميل الجبلي لاينفصل عن الانسان لحظة ما ، ولو حدث ذلك فان جسم الانسان لن يبقى صالحا لفعل ما ، ويصبح مثل محرك قطع عنه تيار الكهرباء .

وهذه النظرية قائمة أيضا على أساس أن الانسان صورة متطورة للحيوان ، وعلى هذا فمن الواجب تحقيق المماثلة بين غريزتي الانسان والحيوان ، وهي مماثلة ينتج عنها عدم وجود العواطف الخلقية في الانسان مثل الحيوان ، وعدم وجود الدين في أصول الفطرة الانسانية ، ومن ثم فهي تنظر اليه على أنه وليد عواطف عديدة ، وأنه من اختراع الانسان .

ويوضح المؤلف مدى تهافت هذه النظرية الالحادية ، حين تنكر ميزة الانسان على الحيوان في هذا الكون ، وحين تنكر قدرة الانسان على مقاومة غرائزه ، وحين لا تسلم بوجود حياة روحية لها تجاربها ومشاهداتها ، وهي غير الحياة المادية . وكذلك حين تهمل دور الفطرة السليمة الصالحة ، التي بدونها لن يكون هناك فرق بين حياة الانسان وأعمال الحيوان (١٤٩) .

ومن تلك النظريات الملحدة نظرية «الجنس» التي دعا اليها « فرويد » الطبيب اليهودي النمساوي . وهي نظرية تقوم على أساس أن كل عمل جميل مثل علاقات الزمالة والصداقة ،



وحب العلم أو الصناعة يدخل ضمن اللذة الجنسية .

وليس للدين والاخلاق والعلم والفن مكانة فى هذه النظرية ، فالدين تعويض عن الأبوين عندما يكبر الطفل ، والاخلاق عرقلة مصطنعة خلقها المجتمع ، حتى لا تضره أهواء الانسان بعد انفلاتها من القيود ، ونشاط الانسان فى العلم والفن والفلسفة وسيلة لتهدئة غرائزه التى تركها دون اشباع (١٥٨) .

ويذكر المؤلف أن هذه النظرية لم تنتشر فى عصر الالحاد بسبب أنها قد لامست فطرة الانسان ، وانما يرجع سبب ذيوعها الى أن سبل التحلل فيها كانت أوسع ، وأنها قد أعطت فرصة كبيرة لتحقيق الفوضى الحيوانية والتحرر الغرائزى (١٦٤) .

وآخر هذه النظريات الالحادية نظرية « الاشتراكية الماركسية » المنسوبة الى « كارل ماركس » وهذه النظرية تقوم على الفلسفة المادية وهى فلسفة تحارب الدين ، وتقف ضد جميع ماوراء الطبيعة ، فتنكر وجوده ، وترى انه من وضع الانسان الذى يتبع الاحوال الاقتصادية .

وقد أفادت هذه النظرية من كل النظريات السابقة ، ففيها آثار من (نظرية التطور) و (نظرية الغريزة) و (نظرية الجنس) ، ذلك حين وجدت من مبدأ التطور الطبيعى سندا يدعم الدعوة الى قانون التطور الاجتماعى ، وكذلك حين وجدت فى نظريتى الغريزة والجنس ما يقوى دعوتها الى أن أصل الحياة كامن فى الحالة الاقتصادية والحاجات الحيوانية للانسان (١٧٤) .

ثم يأتى تعقيب المؤلف فى ختام هذا الفصل تحت عنوان « نهاية عصر الالحاد والطريق الى الدين الحقيقى » وفيه يذكر أن الزعماء الاشتراكيين لم يعرفوا الدين الحقيقى ، بل كان أمامهم نوعان من الدين السائد : الدين اللاهوتى الانعزالى الذى يدعو الى الفرار من صراع الحياة ، والدين السياسى الذى يستخدم الدين أداة للسياسة ، وتتغلب فيه مصلحة الانسان على الدين ، وكل من هذين شجع دائما على الصراع الطبقى ، أما الدين الحقيقى فانه يقوم على العدالة ، ومقياس الشرف والكرامة عنده هو الأخلاق المستقيمة والعمل الصالح لا الجاه والثروة ... وهذا الدين الحقيقى يؤكد ناحية المسئولية ويربط بها الحقوق ... والاسلام وحده هو هذا الدين ... وواجب المفكرين فى هذه الحالة هو أن يفكروا فى احياء الدين الحقيقى ، وأن يدعوا العالم التائه الى العدل والاتزان اللذين لا يتحققان الا فى الدين الحقيقى الوحيد ... دين الاسلام (١٧٨) .

— ٧ —

** وبعد : فان هذا التعقيب الذى ختم به المؤلف دراسته ، هو النتيجة التى يصل اليها اى باحث منصف فى تاريخ الفكر الانسانى قديمه وحديثه . وهى تؤكد لنا :

ان ذلك الالحاد الذى وجد وتعدد وساد

فى أوربا ، لم يكن الحادا يواجه دينا صحيحا يلائم فطرة الانسان ، وانما هو الحاد أشبه بالتمرد على أوضاع قائمة ضـد الفطرة) ، وان لم يتجه التمرد اتجاها آخر سليما . ذلك لأنه فى غمرة تمرده فقد القـائد والهـادى والمصلح الذى يقوده على هدى من وحى الله، فتخبط فى ظلمات استقلال العقل البشرى ، حين يكابر ويزين لـه غروره أنـه يستطيع الوصول الى شىء يتجيه !!

ونظريات الالحاد هذه هى فى الحق شهادات للاسلام ومن آياته التى تؤكد انه الدين الحق، ذلك لأن هذه النظريات لم تثبت نظرية واحدة منها فى ارض اسلامية خالصة ومعنى هـذا أن الاسلام بمنهجه الصحيح ، يعمل لصالح الانسان ، وأنه يزكيه ويعلو به فى سـماوات التكريم الالهى ، وأنه قادر على اماتة أجنـة المروق قبل أن تطل برأسها فوق سطح أرضه ، ومن ثم فانه ليس من المتصور أن تولد مثل هذه النظريات على أرضه وبين ابنائه ، وهى تبعا لذلك لا يمكن أن يدعو لهـا داع الا أن يكون بتوجيه من خارج ، وراء الحدود يخطط له ويغريه .

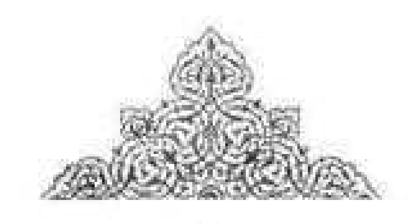
وعلى هذا فان بقـاء أرض الاسـلام فى حصانة ضد اثبات هذه النظريات هو شهادة صدق ، ودلالة حق ، أمام أولئك الشـاردين الذين يتخبطون فى دياجير الضلال ، باحثين عن ومضة اشعاع ، بها يهتـدون الى مخرج من ذلك الظلام .

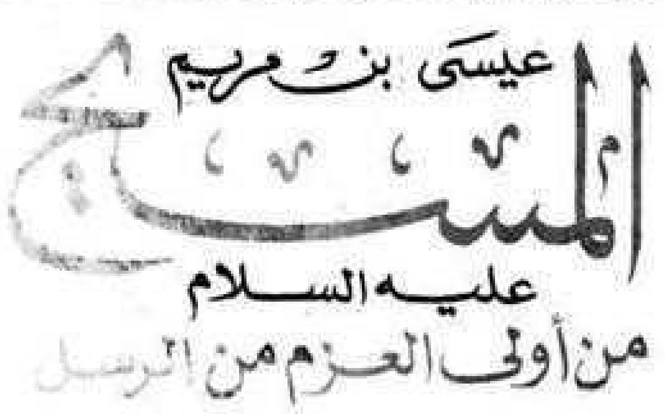
وكذلك فانه يؤكد لأولئك الذين يعيشـون بيننا ، ويعبدون الله على حرف ــ ان كـانوا يعبـدونه ــ ويريـدون أن يكونوا أذيـالا لسادتهم الناعقين من وراء ثغور الاسلام ــ يؤكد لهم أنهم على وهم ، وأن عـلى عيونهم غشاوة ، حين يولون ظهورهم لما علموا مـن دينهم ، محاولين أن يهدموه بمعاول النظريات المستوردة ، وهم يظنون انهم أعلى صوتا من وحى ، وأهدى سبيلا من رسالة جاءت لتخرج الناس من الظلمات الى النور .

ان هؤلاء فى حـاجة الى من يردد عـلى أسماعهم قول الله تعالى :

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّـهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَـأْبَى اللَّـهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُـورَهُ وَلَوْ كَـرِهَ الْكَافِرُونَ » التوبة ٣٢ فلعلهم يعودون مـن منتصف الطريق قبل أن يبلغوا الطرف الآخـر البعيد !!

أ . د طه مصطفى ابو كريشة





هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته بعثه الى شعب بنى اسرائيل زمن الطوائفية الحكماء وايده بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون الى سرها وهى ابراء الاكمه والابرص والاعمى واخراج الموتى كما كان يصور لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا ، وكل ذلك باذن الله ، وكان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرونه فى بيوتهم .

ولقد كان عليه السلام آخر انبياء بنى اسرائيل بلغ قومه رسالة ربه فحذرهم من الشرك وأنذرهم مغبة عصيانهم لله وأخبرهم بأن النبوة قد انقطعت عنهم وبشرهم باقتراب بعثة النبى الأمى العربى محمد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين على الاطلاق الى الناس كافة والى البشر جميعا فآمنت بالمسيح طائفة من بنى اسرائيل ورفضته ورفضت دعوته باقى طوائفهم ، ولم تكتف بذلك بل أرادت التخلص منه وقتله فوشوا به الى حاكمهم وزعموا انه خرج على شريعة موسى وطعن فى أحكامها بما قرره من خروج النبى الخاتم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وليس من ذرية اسرائيل بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولما تمالأ هؤلاء ودبروا للقبض عليه حصروه فى دار من دور بيت المقدس وعند دخولهم عليه ألقى الله شبهه على أحد تلاميذه ولم يكن مخلصا له (ويقال انه هو الذى باح لهم بأخباره وتحركاته) فأمسكوه وأخذوه ظانين أنه هو المسيح رغم صياحه وصراخه بأنه ليس المسيح ووضعوا الشوك على رأسه وبصقوا عليه وضربوه على رأسه اهانة له وتحقيرا من شأنه وقتلوه ثم صلبوه ، أما المسيح عليه السلام فقد رفعه الله الى موضع تولى فيه حفظه وحمايته حتى لا يجرى فيه حكم أعدائه ، قال تعالى ناعيا على الكافرين المسيح من بنى اسرائيل وغيرهم ما زعموه فيه من قتل وصلب ومبرئا له من تلك الوصمة « وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ

يقيناً »

هذا الشك الذى سجله عليهم القرآن الكريم واضح بجلاء فى نصوص أناجيل النصارى المتداولة بينهم اذ كانوا فى حيرة وتردد وليس الى الجزم بأن من قبضوا عليه وقتلوه وصلبوه هو المسيح اذ جاء بها أن المسيح عليه السلام أخبر تلاميذه وحوارييه أنهم سيشكون فيه فى تلك الليلة التى تآمر فيها أعداؤه للقبض عليه وهذا فى قوله « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة » . .

شهادة بعض علماء النصرانية على عدم الصلب والقتل للمسيح

اولا : يقول المسيو ادوارد سيوس احد أعضاء الانسبتورى فرانيس فى باريس فى كتابه « عقيدة المسلمين فى بعض المسائل النصرانية » ان القرآن ينفى قتل المسيح وصلبه وأنه القى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه ، وما ذكره القرآن كان موجودا عند طوائف بنى النصرانية .

١ ــ منهم الباسيليديون كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السيرناى تماما واختفى هو ليضحك على مضطهديه اليهود ، وقد عثر على فصل من كتب الحوارين فاذا كلامه نفس كلام الباسيليديين .

٢ ــ ومنهم السيرنتيون فانهم قرروا أن أحد الحواريين هو الذى صلب بدلا من المسيح .

ثانيا : ويقول باسيليوس الباسيليدى ان الشعوب الشرقية كانت ترفض قبول مسألة الصلب والقتل على المسيح فى ذلك الوقت .

ثالثا : ورد فى تاريخ موسهيم الشهير الذى يدرس فى مدارس اللاهوت الانجيلية أن كثيرا من فرق النصارى القديمة كانت ترفض حصول الصلب رفضا كليا لأن البعض منهم كان يعده اهانة لشرف المسيح ونقصا يلحقه ، والبعض الآخر كان يرفضه استنادا على الادلة التاريخية ، وهؤلاء المنكرون للصلب طوائف كثيرة لا يسلمون بأن المسيح سمر ومات على صليب ومن هذه الطوائف .

١ ــ **الساطرينوسيون**
٢ ــ **والكاربوكراتيون**
٣ ــ **والمركيرنيون**
٤ ــ **والبارديسانيون**
٥ ــ **والثانيانسيون**
٦ ــ **والمانيسيون**
٧ ــ **والبارسكاليونيون**
٨ ــ **والبوليسيون**
٩ ــ **الدوسيتيه**
١٠ ــ **المرسيونيه**
١١ ــ **الفلنطانيائية**

وقد تبعثرت تلك الطوائف وانكمشت اثر أعتناق الدولة الرومانية لملة النصرانية وتبنيها لعقيدة التالوث فى الربع الاول من القرن الرابع الميلادى حتى انتهى الأمر بتلك الطوائف الى الانقراض كلية ولا اثر لها فى زماننا المعاصر .

المنفكون عن دين

القيمة

قال الله تعالى « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) الى آخر سورة البينة .

مقدمة

تآمر اليهود فى (ايلياء) على الرومان وأثاروا الفتن فى ربوع القدس ، فنكل الرومان بهم غير مرة ، وشردوهم فى آفاق الأرض ، وحرقوا هيكلهم بعد أن هدموه ، فذهب منهم طوائف الى (يثرب) وتفرقوا حولها ، ومنهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع .

وقد حملهم على الهجرة اليها ، ما كانوا يجدونه فى كتبهم من أن نبيا من بنى اخوتهم سيهاجر اليها ، وستكون المدينة (يثرب) منطلق دعوته الى المشارق والمغارب ، فرأوا أن يسكنوا هناك أملا فى أن يلوذوا به ويؤمنوا برسالته ، ليعيد لهم فى (ايلياء) مجد اسرائيل الدارس .

ولما حدث سيل العرم فى اقليم سبا باليمن الشمالية ، شرد أهل هذا الاقليم ، فاتجه منهم الى يثرب قبيلتان هما : الأوس والخزرج، وكلتاهما تسمى باسم أصلها ، فهما ينتميان الى جديهما « الأوس والخزرج » وكانا أخوين وقد اشتهرت القبيلتان بأبناء (قيلة) وهى الجدة العليا لهما .

ولما سكنوا المدينة (يثرب) بجوار اليهود من حولها ، امتلأت صدور اليهود حقدا على هؤلاء الذين نزحوا اليهم ، ولكنهم — كعادتهم — صانعوهم واستغلوهم وحاولوا أن يهبطوا بهم الى حضيض الفقر والعوز ، ليظلوا فى حاجة اليهم ، فلا يرفعوا رءوسهم مساوين أو مستعلين عليهم .

وبرع اليهود فى معاملاتهم المالية مع من حولهم ، حتى كونوا ثروات ضخمة ، وأنشأوا حولهم حصونا وقلاعا تقيهم غضب الضحايا وثورتهم ضدهم ولو بعد حين .

ولقد عز على الأوس والخزرج أن يصنع هؤلاء العبريون المطرودون ، ما صنعوه

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

بالعرب من الربا أضعافا مضاعفة ، وأن يستنزفوا ثرواتهم ويستعلوا عليهم بالمال ، ويثبتوا أقدامهم بين العرب ، وأن يكونوا فى مجتمعهم أشواكا فى أجسادهم ، وأوراما خبيثة فى بيئتهم ، فكان بينهم وبين هؤلاء اليهود حروب متتابعة ـ لهم أو عليهم ـ وكانوا حين يغلبهم العرب ، يستفتحون عليهم بالنبى العربى الذى يجدون نعته فى كتبهم :

حدث عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : انما دعانا الى الاسلام ـ مع رحمة الله تعالى ـ ماكنا نسمع من أحبار يهود ، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فكثيرا ماكنا نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله محمدا أجبنا حين دعانا الى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا) .

وانما قالوا لهم : نقتلكم معه قتل عاد وارم ، لان من صفته ﷺ فى كتبهم ، أن هذا النبى يستأصل المشركين بالقوة ، ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغى سيتمكنان من أنفسهم ، فينبذون الدين القيم ، فيحق عليهم العذاب فى الدنيا والآخرة :

تفسير السورة :

يقول الحق تبارك وتعالى « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)

والمراد بأهل الكتاب هنا ـ كما قال ابن عباس ـ يهود المدينة ، ويقول غيره : المراد بهم جميع اليهود والنصارى ، لأنهم جميعا كانوا يرون نعته فى كتبهم ، ويدل على ذلك ما حكاه الله تعالى عن اليهود بقوله « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ »(١) وبقوله « وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢) »

٩

(١) سورة البقرة الآية ٨٩ .

أما علم النصارى بنعته فيدل عليه ما حكاه الله عن عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ » (٣) .

وقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وينصروه حين يبعث ، وأن يبلغوا أممهم ذلك ليتوارثوه حتى يبعث فينفذوه ، وفى ذلك يقول الحق جل وعلا « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٤) .

فكل هذه البشارات والوصايا كان أهل الكتاب مجمعين على الايمان بهذا النبى المبشر به حين يبعث .

ومع ما طرأ على كتب العهدين القديم والجديد من التغيير والتبديل لايزال فيهما ما يشير اليه — صلى الله عليه وسلم — بوضوح ، ولنا مبحث واسع فى هذا الشأن سوف ينشر بمشيئة الله فى مؤتمر السيرة والسنة النبوية الذى سيعقد بالقاهرة فى هذا العام ان أراد الله تعالى ، ولهذا نعود الى تفسير الآيات السابقة فنقول : وبالله التوفيق .

البينة فى اللغة هى : الحجة المثبتة للدعوى ، وتطلق على المعجزة ، والمراد بالبينة فى الآية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على سبيل المجاز ، كما هو الحال فى زيد عدل ، حيث جعل زيد نفس العدل على سبيل المجاز ، والانفكاك فى الأصل افتراق الأمور المرتبطة ، والمراد منه هنا المفارقة والانصراف .

والصحف المطهرة هى : التى كتب فيها القرآن ، وتسمى المصحف ، وتطهيرها خلوها من الباطل ، ونظافتها من كل ما يوجب الشك والريبة .

والكتب القيمة التى فيها هى : ما اشتمل عليه المصحف من الاحكام والاخلاق والمواعظ والعقائد ، أو من كتب الانبياء السابقين ، وسيأتى بسط الكلام فى ذلك .

وقد حكى الألوسى اختلاف المفسرين فى معنى الآيتين اختلافا كثيرا ، حتى قال الواحدى فى كتاب البسيط : انهما من أصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا .

وقال جار الله الزمخشرى : كان الكفار من

---

(٢) سورة البقرة الآية ١٠١ .
(٣) سورة الصف الآية ٦ .
(٤) سورة آل عمران . الآيتين ٨١ — ٨٢ .

الفريقين يقولون قبل المبعث : لا ننفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث الله النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل، وهو محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه :

ومع أن ما قاله الزمخشرى من أحسن ما قيل فى تفسيرها ، فانه ليس المثل الاعلى فى فهمها ، كما اننى لا أرى وجها لصعوبتها ، فهى واضحة المراد بينة الدلالة .

فالمعنى : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منصرفين عما عزموا عليه من الايمان بالرسول الموعود ، حتى يأتيتهم هذا الرسول المبين للحق ، يقرأ هذا الرسول عن ظهر قلب قرآنا مكتوبا فى صحف مطهرة ، نظيفة من الزور والشك والضلالة ، يقرؤه على الغيب لانه أمى لا يقرأ المكتوب ، وهذه الصحف المطهرة هى : المصحف ، وقيل هى اللوح المحفوظ ، كما قال سبحانه « بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ » (١) فى هذه الصحف المطهرة أحكام مستقيمة مكتوبة ومفروضة (٢) ، فاذا أتاهم هذا الرسول بصفته المذكورة ، حولوا ما عزموا عليه الى واقع فآمنوا به وصدقوه ، ولكنهم لم يحافظوا على اجماعهم حين بعث ، بل تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وكان من واجبهم وهم أهل كتاب أن يجمعوا على الحق ولا يتفرقوا فيه بعد مجيئه كما حكاه الله بقوله .

« وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ » .

أى وما انفك الذين أوتوا الكتاب عما أجمعوا عليه مع المشركين من الايمان بالرسول الموعود ، الا من بعد ماجاءهم هذا الرسول البينة ــ أى المبين للحق بالحجج الواضحة والمعجزات الساطعة ــ فحولوا ما جعلوه ميقاتا للاجتماع الى ميقات للانفكاك والافتراق ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر حسدا وبغيا ، كما قال تعالى فى سورة الشورى « وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ » (٣) .

أما المشركون من الأوس والخزرج فقد سبقوا الى الايمان به ونصرته ، وفاء بما عاهدوا أنفسهم عليه ، بعد ما جاءهم بالحق مؤيدا بالحجة البينة ، ومطابقا لما كانوا يسمعونه من أهل الكتاب أيام حروبهم معهم قبل مبعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولهذا لم يوصفوا فى الآية بالتفرق والتخلف كما وصف به أهل الكتاب .

ولقد بين الله فساد رأى هؤلاء المتفرقين من أهل الكتاب فقال :

---

(١) سورة البروج الآيتين ٢١ ــ ٢٢ .

(٢) واطلاق الكتب على الاحكام المكتوبة معهود فى الشرع ، كما فى قوله تعالى : «كتب الله لاغلبن» اى حكم ، وكقول الرسول : « لاقضين بينكما بكتاب الله » اى بحكم الله » اى بحكم الله وهو الرجم » لانهما محصنان والرجم ليس فى القرآن ، وقيل الكتب القيمة كتب الانبياء ، لاشتمال المصحف على احكامها .

(٣) سورة الشورى الآية ١٤ .

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » . أى وما أمرهم محمد الذى تفرقوا عنه بعد اجتماعهم عليه — ما أمرهم — بالايمان به الا لكى يعبدوا الله مخلصين له الدين — كما أمره ربه جل وعلا بقوله « قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي »(١) على أن يكونوا فى عبادتهم له حنفاء — أى مائلين عن الأديان كلها متجهين الى الاسلام ، فانه دين ابراهيم الحنيف ، وكان ابن عباس يقول : (حنفاء) على دين ابراهيم) .

وفى ذلك يقول الله تعالى « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا » (٢) .

ويقول أيضا « وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٣) .

وكما أمرهم بذلك أمرهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وذلك الدين الذى يأمرهم بتلك الفضائل هو دين الملة المستقيمة ، أما ما هم عليه فلا ، فقد غيروا فيه وبدلوا ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ، فأطاعوهم فيما غيروا وبدلوا ، حتى زعموا أن الله جسد يمشى على الارض ويقود الجيوش ، ويصارع اسرائيل — يعقوب — حتى الفجر فلا يقوى عليه ، ويخطىء فيندم على خطيئته ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فلماذا عدلوا عن الحق الذى كانوا ينتظرونه ، وظلوا فى باطلهم الذى هم فيه طاعة لأحبارهم ورهبانهم ، والله تعالى أولى منهم بأن يطاع ولا يعصى ، فان بطشه شديد فى يوم الوعيد (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

ويعقب الله تعالى هذه الآية ببيان عاقبة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين جميعا فيقول : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » .

ان الذين كفروا بمحمد ورسالته ، فى عهده — صلى الله عليه وسلم — أو بعده ، سوف يستقرون فى نار جهنم خالدين فيها أبدا ، جزاء كفرهم بالحق الواضح البرهان ، البعيد عن ترهات الأديان ، وأكاذيب الكهان ، أولئك هم شر الخليقة التى برأها الله وخلقها ، فهم على النقيض من المؤمنين الذين يقول الله تعالى فى شأنهم .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » فانهم سارعوا الى الحق

(١) سورة الزمر : الآية ١٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٦٨ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٥ .

حين لاح جبينه وسطع نوره ، فلم يماروا فيه بالباطل ، ولم يستمعوا الى الأفاكين المضلين ، الذين يعيشون على الاسترزاق والتجارة بالدين ، وقد بين الله ثواب المؤمنين بقوله سبحانه «جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» .

أى ثواب هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله جنات عدن — أى جنات اقامة واستقرار — تجرى من تحت أشجارها وقصورها الأنهار ، باقين فيها بقاء أبديا ، فلا هم عنها يرحلون ، وما هم منها بمخرجين ، ولا يلحقهم موت ولا فناء ، رضى الله عنهم لايمانهم وصالح أعمالهم ، ورضواهم عن الله ، فقد أعطى لجزيل على الايمان والعمل القليل ، مع أنهما باعانة الله وتوفيقه ، ذلك الجزاء العظيم لكل من خاف ربه ، فانتهى عن الكفر وسائر المعاصى .

فسبحانك اللهم : أنفسنا أنت خالقها ، وأموالنا أنت رازقها ، وأعمالنا الصالحة أنت المعين عليها والموفق لها ، ثم تجزينا عليها ذلك الجزاء الأوفى حتى ترضى .

نعمت الصفقة الرابحة نعمت الصفقة الرابحة ، وما أعظم فضلك يا أكرم الأكرمين .

وقد جاء فى فضل هذه السورة حديث رواه الامام أحمد وابن قانع فى معجم الصحابة والطبرانى وغيرهم بأسانيدهم عن أبى خيثمة البدرى قال : لما نزلت « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ » الى آخرها قال جبريل عليه السلام : يارسول الله ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا .

فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — لأبى رضى الله عنه : ان جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة ، فقال أبى : أوقد ذكرت ثم يارسول الله ؟ قال : نعم ، فبكى » (١) .

قال القرطبى : وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم .

قال بعضهم : انما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على أبى ليعلم الناس التواضع ، لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه فى المنزلة .

وقيل لأن أبيا كان أسرع أخذا لألفاظ رسول الله ﷺ ، فأراد بقوله أن يأخذ ألفاظه ويقرأها كما سمع منه ويعلم غيره .

وفيه فضيلة عظيمة لأبى ، اذ أمر الله رسوله ان يقرأ عليه : انتهى كلام القرطبى وبعد ففى تفسير هذه السورة وتأويلها آراء شتى ، وقد تركت هذه الخلافات جانبا وفسرتها حسب طبيعتها وما نزلت بسببه ، حتى يلم القارىء بالمعنى السديد ، خالصا من التشقيقات والخلافات ، والله تعالى ولى التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب ان الله امرنى ان اقرأ عليك « لم يكن الذين كفروا » قال : وسمانى لك ، قال « نعم » « فبكى » قال القرطبى اخرجه البخارى ومسلم .

حول موقف القرآن الكريم

من حجاب المرأة

نشرت « جريدة الاهالى » فى عدديها الصادرين فى ١٩٨٤/١١/٢١ و ١٩٨٤/١١/٢٨ مقالين تحت عنوان « موقف القرآن الكريم من حجاب المرأة » للسيد حسين احمد امين ٠

وقد وردت فى المقالين عناوين فرعية غريبة ، فضلا عما فيهما من اخطاء منها :

* « الحجاب وهم صنعه الفرس والاتراك » ٠

* « ليس فى القرآن نص يحرم سفور المرأة او يعاقب عليه » ٠

* الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة فينفسوا عن قهرهم سياسيا واجتماعيا » ٠

وقد أردت أن أوضح وجه الصواب فى هذا الموضوع الذى يحاول لكثير من الناس أن يتحدثوا فيه بين الحين والحين على الرغم أن وجه الحق فيه من الوضوح بمكان ولكنها رغبة التفلت من أحكام الله والعياذ بالله !! ٠

وأود أن أشير الى أن كثيرا من الناس يخلطون بين ما ورد فى حجاب المرأة بمعنى احتجابها عن الناس وعدم خروجها الى الطريق ، وبين ما يجب أن يستتر من المرأة وهو ما يسمى « بالعورة » ٠ ومن هؤلاء السيد الكاتب ٠

وسنبدأ بالحديث عن العورة وحدودها من الرجل والمرأة ، ثم ننتهى الى حجاب المرأة وما قيل فيه ٠

لقد كان من فضل الله على الانسان أن ميزه عن الحيوان ، وامتن عليه بأن جعل له لباسا يستتر به ما يستحى من كشفه ٠ قال تعالى :

« يَابَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ »(١) ٠

ومن هنا جعل الله لكل من الرجل والمرأة عورة يجب عليه أن يسترها ، ويصونها عن العيون ٠

فالعورتان هما أغلظ العورة وقد ذكر الفقهاء انها : من السرة الى الركبة من الرجل ، وتزيد المرأة على ذلك أن جعل الله كل بدنها عورة ٠

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الاعراف ٠

للأستاذ محمد محمد عباسي

ولقد طلب الله من المؤمنين والمؤمنات أن يغضوا أبصارهم عما حرم الله ، وأن يحفظوا فروجهم ويصونوا أعراضهم .

قال تعالى : « قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (١) « وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٢) .

والناظر في هاتين الآيتين يجد أن غض البصر مقدم على حفظ الفرج وذلك أمر منطقي وطبيعي اذ أن غض البصر وسيلة الى حفظ الفرج فهو كالسبب له . ولا شك ان ستر العورة كذلك سبب من أسباب حفظ الفرج وصيانته .

وفي ورود هاتين الآيتين من سورة النور بعد بيان حد الزنا ، وحد القذف ، والتلاعن بين الزوجين وبعد ورود آية الاستئذان .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (٣) .

أقول في ورود هاتين الآيتين بعد كل ذلك ما يشير الى أن منهج الاسلام هو « سد باب الفتن » وقاية للمجتمع من الشر وتطهيرا للنفوس من الفاحشة .

فلا تهاج الشهوات ، ولا تستثار الغريزة في الانسان ، والاستثارة بالزينة المتبرجة والجسم العارى تنتهى الى سعار شهوانى لا ينطفىء ولا يرتوى ، وقد تفلت الارادة وتضعف العزيمة ، وتنهار المقاومة فاما الافضاء الفوضوى العابث الذى لا يتقيد بقيد واما الامراض العصبية ، والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الاثارة .

ولو كانت العورة من الرجل هي بعينها العورة من المرأة لكفت الآية الأولى منهما في بيان مطلوب الله من الرجل والمرأة .

(١) الآية ٣٠ من سورة النور .
(٢) الآية ٣١ من سورة النور .
(٣) الآية ٢٧ من سورة النور .

وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم .
ولكن لما كان هناك أمر زائد في المرأة يجب عليها أن تستره عن العيون وتخفيه عن الانظار ، وتضن به على الابصار المريضة المتلصصة . جاءت الآية الثانية لتوضح هذا الامر ، وهو زينة المرأة .

ولا شك أن كل أنثى مولعة بأن تكون في أجمل صورة وأبهى حلة ، والاسلام دين الفطرة ، لا يقاوم هذه الرغبة ، ولا يصطدم مع الفطرة ولكنه ينظمها ويهذبها ، ويجعل هذه الزينة قاصرة على محارمها ومن لا أرب لهم في النساء من الرجال لكبر سن أو مرض أو صغر . فالمرأة عند لقائها بأحد من هؤلاء في مأمن من أن يتحرك طبع أحدهم اليها أما زوجها فله أن يطلع على جسمها كله .

ومن رحمة الله بعباده وتيسيره عليهم أنه استثنى من الزينة التي يحرم اظهارها ما يشق اخفاؤه ، ولا يمكن التحرز عنه .

قال تعالى « **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** » .

واختلف العلماء في هذا المستثنى .

أهو ظاهر الثوب ؟

أم هو الوجه والكفان ؟

أم هو الكحل والسوار ؟

اقول ذكرها العلماء .

وذكر القرطبي (١) رأيا لابن عطية قال :
« ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بالا تبدي ، وأن تجتهد في الاخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه أو اصلاح شأن ونحو ذلك ــ فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدي اليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه » .

وقد ارتضى الامام القرطبي هذا الرأي وقال : « أن هذا قول حسن الا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة ، وذلك في الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا اليهما .

واستدل على ذلك بما رواه أبو داود عن عائشة ــ رضي الله عنها . أن أسماء بنت أبي بكر ــ رضي الله عنهما ــ دخلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وقال لها : « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه . فهذا أقوى في جانب الاحتياط .

ولكن السيد حسين أمين اتخذ من هذا

---

١ ــ ص ٢٢٩ جـ ١٢ تفسير القرطبي .

٢ ــ رواه أبو داود في سننه جـ ٤ ص ٦٢ في باب ما تبدي المرأة من زينتها ونصه :
حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قالا : ثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد قال يعقوب بن دريك عن عائشة رضي الله عنها : أن اسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم تصلح ان يرى منها الا هذا وهذا ، اشار الى وجهه وكفيه ، (قال أبو داود هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها) .

الخلاف سبيلا الى أن يحاول أو يطلب أن يأتى بتعريف للزينة الباطنة التى يمكن أن يؤدى ابداؤها بأبناء عصرنا هذا الى الافتتان الذى قصد القرآن الكريم الى الحيلولة دونه .

وقال : « ان الامر موضع خلاف بين الأقدمين فمن حقنا أن نخالفهم بصدده » .

ونحن لا ننكر هذا الخلاف بين العلماء ، ولكنه ليس خلافا فى أصل القضية وهو الامر باخفاء الزينة وانما الخلاف فيما يستثنى منها ، ويعفى عنه لمشقة فى اخفائه وستره .

ولعل السيد الكاتب لا يختلف معنا فى أن طبيعة الرجل والمرأة لم تتغير من جيل الى جيل ولم يختلف من مكان الى مكان . لأن ميل كل منهما الى الآخر أمر غريزى لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة للانسان فيها .

فما يثير الرجل منذ قرون هو بعينه الذى يثير ابن القرن العشرين .

واذا كان هناك مجتمع ما أصبح كشف الرأس أو الصدر أو الساقين فيه من المرأة لا يثير كوامن الغريزة فى الرجل .

فذلك أمر ناشىء عن افراط هذا المجتمع الانطلاق واشباع غرائزه الحيوانية ، ولا يمكن أبدا أن يتخذ هذا المجتمع أساسا لبيان أحكام الله .

وقد أصدر السيد الكاتب حكمه على حديث عائشة ــ رضى الله عنها ــ المتعلق باعراض الرسول ﷺ عن رؤية أسماء ــ رضى الله عنها ــ الذى سبق ذكره ، أصدر حكمه على هذا الحديث بأنه حديث « مخترع » مع أنه قد رواه أبو داود فى سننه وقال أنه : حديث مرسل .

وحكم الحديث المرسل أنه مقبول ــ جاء فى شرح التلويح على التوضيح ص ٧ من الجزء الثانى « ومرسل الصحابى مقبول بالاجماع » .

ثم ما الذى دعا السيد المذكور الى القول بأن هذا الحديث مخترع وموضوع ألأنه قد خالف النص ؟ أم أنه قد اصطدم مع العقل ؟ انه لم يخالف نصا ، ولم يتعارض مع المعقول .

ان الآية الكريمة تطلب اخفاء زينة المرأة لا لذات الزينة ، ولكن تطلب اخفاء مواضعها من المرأة من قبيل اطلاق الحال وارادة المحل .

وكما نعلم فان من زينة المرأة قرط فى الأذن وقلادة فى العنق وسوار فى المعصم وخاتم فى الاصبع وخلخال فى الساق واستثناء ما يشق اخفاؤه من هذه الزينة فيه تيسير على العباد ورحمة بهم ومحاولة اظهار ما خفى منها كالخلخال يضرب الأرجل فى الارض حتى تسمع رنته محرمة وممنوعة .

قال تعالى « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ » .

واذا كان من الممنوع كشف مواضع الزينة وهى أطراف الجسم الا ما يصعب اخفاؤه فمن باب أولى يكون ممنوعا كشف بقية أجزاء الجسم .

وهناك من الثياب الرقاق ما يشف عن الجسم ويظهر لون البشرة أو يحدد مواضع الفتنة فقد تكون أشد اغراء ، وأكثر جاذبية فهى محرمة كذلك .

وحديث عائشة ــ رضى اللــه عنها ــ لا يخرج عن منطوق الآية ولا عن المعقول منهـا فكيف بعيسارع برفضه ؟

وانتقل سيادته الى أن الامـر فى الآيتين الكريمتين « قُـلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّـوا مِـنْ أَبْصَارِهِمْ ... « الآيـــة » وَقُـلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... « الآية لا يتجاوز حد النصح الى التحريم ولا هى بالتى تنص على عقوبة لمن خـالف لا فى الـدنيا ولا فى الآخره ، فالأمر هنا كالأمر فى آية « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ » .

ولعله يقصد أن الطلب فى الآية يحمل على الندب فى المأموراتوعلى الكراهية فىالمنهيات.

ونحن نقول له : ان الأمر فى القرآن الكريم ينصرف الى الوجوب كمـا أن النهى ينصرف الى التحريم ، الا اذا قام الدليل على خلاف ذلك فيحمل الامر على غير الوجوب ، ويحمل النهى على غير التحريم مثل قول الله تعالى « اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » فان الأمر هنا يحمل على التهديد .

ومثل قوله تعالى « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْـوَدِ مِنَ الْفَجْرِ » فانه يحمل على الاباحة .

ونحن بدورنا نسأل السيد الكاتب : مـا دليله على حمل هذا الطلب على النصـح لا على الوجوب كما قال ؟

وهل يعقل أن تكون كل المطلوبات فى الآية على سبيل الندب ، مـن غض للبصر وحفظ للفرج وستر للزينة ؟ أم أنه يريد أن ستـر الزينه هو الذى يكون على سبيل النصح ؟ وهل يستسـاغ عقلا ولغة أن تذكر مطلوبات فى نسق واحد وفى آية واحدة ويكون ما هـو على سبيل الجزم والحتم ومنها ما هو عـلى سبيل النصح أى الندب .

ان سياق الآيات وتسلسلها ابتداء من أول سورة النور « سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَـا وَفَرَضْنَـاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَـا آيَاتٍ بَيِّنَـاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » يحتم أن تكون الاوامـر والنـواهى للطلب الجازم الذى يقتضى الوجوب اذا كـان امرا ويقتضى التحريم اذا كان نهيا ، اذ أنها تتعرض لوسائل الوقاية من الجريمة المحرمة التى حدد الشارع لها عقوبات شـديدة وما يؤدى الى المحرم محرم كذلك .

والغريب فى الامر أن سيادته يقـول ان الآيتين ١٥١ ، ١٥٢ من سورة الانعام اللتين وردت فيهما المحرمات لم تشر الى تحـريم لابداء الزينة .

ومن ثم فابداء الزينة يكون غير محرم . منطق غريب واستنتاج مريض . ان الآيتين المشار اليهما هما قول الله تعالى « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْـكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِـهِ شَـيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِـنْ إِمْلَاقٍ نَحْـنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّـاهُمْ وَ لَاتَقْـرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَـنَ وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

اتخذ الكاتب من هذا النص سبيلا الى جعل ابداء الزينة من المرأة أمرا غير محرم لعدم وروده فى هذه المحرمات .

ولو أنه أمعن النظر قليلا لوجد أن لفظ الفواحش جمع فاحشة وهى ما فحش من : قول أو عمل وهو يشمل سائل المحرمات التى وردت فى آيات أخرى كالربا والزنا ، ويحرم ما ظهر منها وما استتر .

ويمكن أن يقال كما قال صاحب الظلال فى « ظلال القرآن » : ان الفواحش وان كانت تشمل كل معصية الا أنه غلب ورودها فى القرآن الكريم على جريمة الزنا لا سيما وأنها وردت على صيغة الجمع فهى جريمة ذات مقدمات وملابسات كل منها فاحشة .

فالتبرج والتهتك والاغراء والاستثارة كلها فواحش منها الظاهر ومنها الباطن .

منها المستتر فى الضمير ومنها البادى فى الجوارح .

منها المخبوء المستور ومنها المعلن المكشوف .

ولأن هذه الفواحش ذات اغراء وجاذبية كان التعبير « ولا تقربوا » للنهى عن مجرد الاقتراب سدا للذرائع واتقاء للجاذبية التى تضعف معها الارادة .

اذن ستر عورة المرأة ليس اجتهاد مجتهد أو ابتداع مجتمع ... وانما هو أمر من الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم ما ينقيها وما يطهرها ويزكيها .

ولا نملك أمام الامر الالهى الا الامتثال والانقياد « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » .

وكل دعوة تخالف أمر الله فانما هى من الشيطان الذى أمرنا بعصيانه ومخالفته .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (١)

وللحديث بقية .

محمد محمد عباس

---

(١) الآية ٢١ من سورة النور .



اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يكون الاسلام ، هو النور الكامل والنعمة التامة ، لا للمسلمين وحدهم ، بل للناس اجمعين ، مسلمين وغير مسلمين ، وأن تكون بعثة سيدنا محمد ﷺ خيرا ورحمة للبشرية كلها — المؤمنين به وغير المؤمنين .

وصدق الله العظيم القائل في حق نبيه الهادى البشير ﷺ : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فرحمته — عليه الصلاة والسلام — ليست لها حدود ، ونوره لا يعرف القيود ، فالبشرية كلها ، قد نالها من فضل هذا الرسول ، ورحمته ما يشهد به التشريع الذي جاء به ، والرسالة التي نزلت عليه .

.. لقد أراد الله سبحانه أن تكون بعثته تشريعا للانسانية كلها ، فجعله سيدا للرسل اجمعين ، وختم برسالته كل رسالات السماء ، وكان ما جاء به دليلا على أن من بعث اليهم من البشر اجمعين ، قد بلغوا من تمام الفكر ، ونضج التكوين ما جعلهم محلا للهداية الكاملة ، وأهلا لشرف اتباعه كما ضمن شريعته كل ما سبقه من هداية الاديان السابقة ، وجعل الايمان به ايمانا بجميع الكتب المنزلة ، وتصديقا لجميع الانبياء والرسل ، قال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (١) .

فالاسلام الذى جاء به ، هو الدين الحق والنعمة التامة ، والهداية الكاملة .

الاسلام لايعرف التعصب :

« وليس من المتصور ولا من المعقول ، أن يكون رسول الله ﷺ ، وهو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة للناس أجمعين ، ثم يكون التشريع العظيم الذى جاء به على غير تلك السمات الكاملة ، ومن ثم كان الدين الاسلامي الذى اختصه الله به حافلا بما يبرز مظاهر الفضل والرحمة للناس أجمعين ، الذين آمنوا به ، والذين لم يؤمنوا به ، واذا كان الايمان بالله هو أول ما يأمر به ، فان حقيقة هذا الايمان لاتتأتى الا بالايمان برسل الله

(١) المائدة — آية : ٣

وأنبيائه جميعا ، وقد أكد القرآن الكريم تلك الحقيقة في قول الله الكريم :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » (١) .

وقد بين رسول الله ﷺ ذلك في حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حين سأله عن الايمان بقوله : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : « صدقت » (٢) . ولا يخفى ما يلزم ما خوطب به المؤمنون برسالته ﷺ بالايمان برسل الله جميعا ، من وجوب احترامهم وعدم النيل منهم ، واثبات كل صفات الكمال الخلقى والانسانى لهم : كالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ، ونفى أضداد تلك الصفات عنهم بالقدر الذى ينأى بالمسلم عن التعصب ، ويجعل منه صاحب رسالة سمحاء ينبغى معها أن يحتذى بهق ذلك المسلك الرفيع ، الذى علمه له رسول الله ﷺ وجعله عقيدة يستقر معناها فى قلبه ، ويجرى عليها عمله ، لا أن ينسب اليه مالا يأمره به دينه ، أويتهم به فى أخوته للانسانية الرفيعة .

اخوة الانسانية فى الاسلام :

وحتى تستقيم البشرية كلها على طريق الخير والسلام ، أرسى الاسلام دعائم الاخوة فى الانسانية ، التى تسوى بين الناس جميعا فى عبوديتهم لله عز وجل ، وهى تقوم على أساس أن الانسان أخ لأخيه الانسان ، فلا ينبغى أن يغمطه حقا من حقوقه ولا يجوز أن ينال من انسانيته .

وهذا النوع من الصلة الاسلامية يأمر به الاسلام ، ويجعل منه نوعا من الود ولونا من التعاون كما نظم له القوانين ، وسن له المبادىء ، قال تعالى :

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » (٣) .

ويتضح من هذا النص الكريم ان الله قد أمر بالاحسان الى الجار الجنب ، وجاء ذلك

(١) البقرة — الآية ١٣٦ .

(٢) رياض الصالحين — للنووى ص ٤٧ دار الحديث .

(٣) النساء : الآية ٣٦ .

الأمر معطوفا على عدد من الأوامر الجليلة فى الاسلام ، كتوحيد الله عز وجل ، وبر الوالدين ، ويرى ابن جرير ، ومجاهد وابن ابى حاتم (١) أن « الجار الجنب » هو — فى الآية — غير المسلم من اليهود والنصارى وقد ذكر الامام ابن كثير ما رواه جابر بن عبد الله قال :

قال رسول الله ﷺ « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق ».

فاما الجار الذى له حق واحد ، فجار مشرك لا رحم له ، وله حق الجوار .

وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم ، له حق الاسلام وحق الجوار .

وأما الجار الذى له ثلاثة فجار مسلم له حق الاسلام ، وحق الجوار ، وأما الحق الثالث فحق الرحم (٢) .

ويتضح من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الله قد وضع لاخوة الانسانية حقا يستلزم وجوب الاحسان ، وعطف هذا الامر على ما أمر به لأخوة الدين ، واخوة النسب ، مما يدل على اعتبار ذلك النوع من الصلات الانسانية ، بين الناس أجمعين ، لتكون حافزا على حسن النوايا ، ومدعاة للتعاون فى سبيل الخير العام للبشرية ، بأسرها وذلك أبسط ما يقتضيه هذا الحق الذى انفرد بتقريره الاسلام .

مقتضيات اخوة الانسانية :

ومن مقتضيات تلك الاخوة فى الانسانية ، أن يكون وجودها ، مدعاة لعدد من المسائل ذات الخطر الجليل فى حياة الأسرة الدولية ، فتسود المحبة بين الناس وتتحرر القلوب ، من وطأة التعصب المقيت والحقد القاتل ، فلا يتربص الانسان بأخيه الانسان ، ليطعنه فى دينه ، أو ينال من عقيدته ، باللمز تارة ، والتشهير الأعمى تارة أخرى ، وهى مع هذا وذاك تؤكد على المساواة التامة بين الناس جميعا فى حماية الحقوق التى كفلتها لهم الشريعة الاسلامية الخالدة ، على اختلاف دينهم وتباين معتقداتهم ، ومنها حماية حق العقيدة ، وحق الحياة ، وحماية المال ، والأعراض وغيرها .

وقد أشار القرآن الكريم الى تلك المساواة فى قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (٣) ، وقد أكد رسول الله ﷺ هذا المعنى فى حجة الوداع ، حين قال فى خطبته المشهورة « أيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى

(١) راجع مختصر تفسير النسفى جـ ١ ص ٣٨٨

(٢) المرجع والمكان السابقين .

(٣) الحجرات — الآية : ١٣ .

علي عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد (١) كما أشار الى حماية تلك الحقوق ، فيما رواه البخاري ، عنه ﷺ انه قال في خطبة الوداع: « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فيبلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب .. الحديث » (٢) .

وقال فيما رواه عمر بن يثربي « ولايحل لامرىء من مال أخيه الا ما طابت به نفسه » (٣) ولما كان المرء لغة هو : الانسان (٩) ، فيكون المراد حماية حقه في كل تلك الجوانب ، أعم من أن يكون مسلما أو غير مسلم ويكون الاسلام قد قرر أخوة الانسانية ووضع لها القواعد ، ونظم لها الحقوق .

اصطلاح « الذمى » لاينال من غير المسلمين :

ولاينال من حماية تلك الحقوق التي كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين استنادا الى المساواة التي قررتها ، أن يقال ان لفظ الذمة ، ينال من قضية المساواة في تلك الحقوق بالنسبة لغير المسلم ، فتلك دعوى لا يؤيدها الفهم الصحيح للاسلام ، ولايساندها ما هو معمول به في المجتمع الاسلامي ، فاصطلاح « الذمى » لا يعني أن غير المسلم ــ كما يحاول البعض تصويره ــ مواطن من الدرجة الثانية في فرص الحياة ، ولكن اللفظ في حقيقته عنوان للحقوق التي قررتها الشريعة الاسلامية الغراء لغير المسلمين ، وذلك ما يثبت من بيان معنى الذمة لغة وفقها .

فهي في اللغة : تعني العهد (٥) .

وفي اصطلاح فقهاء الشريعة الاسلامية تعرف بأنها :

« وصف يصير به الانسان أهلا لما له ولما عليه ، » وقد أثبتها الفقهاء للانسان لتكون سببا في تكليفه بالأوامر والنواهي من الله عز وجل ، ووجودها في الانسان على هذا النحو يكشف عن قيام أركان المسئولية في شخصه لتتسنى محاسبته على ما يرتكبه من أخطاء تمس حقا من الحقوق التي قررتها الشريعة الاسلامية ، ومنها حق غير المسلم في حماية دمه وماله وعرضه ، وعدم التعرض له في اقامة شعائر دينه ، أو المساس بدور عبادته ، وقد جاء لفظ الذمة هنا ليستشعر المسلم دائما ، أن لاخوانه في الانسانية من غير

(١) راجع : سيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للدكتور محمد الطيب النجار ــ ص ٢٣٠ .
« وحقوق الانسان في الاسلام » ــ للدكتور على عبد الواحد وافي ــ ص ٦ .
(٢) « صحيح البخاري » ج ٥ ص ١٩٦ ــ الطبعة الميمنية ، « ورياض الصالحين » ص ١١٧ .
(٣) « نيل الأوطار » ــ للشوكاني ج ٥ ص ١٧٢ .
(٤) « القاموس المحيط » ــ ج ١ ص ٢٩ .
(٥) « المعجم الوسيط » ج ١ ص ٣١٥ .

المسلمين حقا وعهدا تشغل به ذمته ، ومن ثم ينبغى الحفاظ عليه وعدم المساس بـه .

فليس فى اللفظ ما يحط من انسانية غير المسلم أو يغمطه حقه. وانما هو كما رأينا عنوان جليل للحقوق المكفولة لهم من قبل الشريعة الاسلامية فى ممارسته حقهم فى الحياة على أكمل وجه ، ودون أدنى تفرقة فى تلك الحقوق بين المسلم وغير المسلم .

صيانة الحقوق المدنية لغير المسلم :

وغير المسلم يتمتع فى ظل الشريعة الاسلامية بكامل حقوقه المدنية ، والاجتماعية والسياسية ، وهو يقف مع المسلم فى تلك الحقوق على قدم المساواة ، لأن الأساس الذى تقوم عليه الحقوق واحد : وهو قيام وصف العبودية لله ، فى الناس أجمعين ، وهذا الوصف موجود فى المسلم وغيره ، فالناس عباد الله اجبارا ، وبهذا ينعم غير المسلمين بالحقوق التى أقرها لهم الاسلام ، ويعيشون فى كنف المسلمين اخوانا متحابين فى العبودية لله ، يسود حياتهم البر ، ويحكم معاملاتهم القسط .

« لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ » ، ولا اهدار لدم أو مال أو عرض ، وصيانة الحقوق المدنية لغير المسلم تتمثل فى حماية تلك الحقوق وذلك على النحو التالى :

١ ـ حماية حق العقيدة :

والشريعة الاسلامية تحمى حق غير المسلم فى عقيدته ، وتكفل له الحرية التامة فى ممارسة شعائر دينه ، وليس ذلك فقط ، بل أن نصوص الكتاب والسنة تنهى المسلم عن اكراه غيره على الدخول فى الاسلام ، قال تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ » (١) وقال عز وجل مخاطبا نبيه ﷺ فى هذا الخصوص : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » (٢)

وعلى هذا النحو تنهى آيات الكتاب الكريم عن اكراه الناس على الدخول فى دين الله ، كما نهى رسول الله ﷺ عن فتنة غير المسلم من أهل الكتاب عن دينه ، وذلك فيما رواه ابو عبيد فى الاموال : « كتب رسول الله ﷺ الى اهل اليمن أنه من كان على يهودية أو نصرانية فانه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية (٣) كما اعطى عمر بن الخطاب أهل حمص الامان فى عهده لهم على أنفسهم وأموالهم وكنيستهم (٤) وجاء فى العهد الذى أعطاه لأهل القدس ، أنه أعطاهم الامان لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم ، ألا تسكن كنائسهم ولاتهدم ، ولا ينتقص منها ولامن

(١) البقرة ـ آية ٢٥٦ .
(٢) يونس ـ آية ٩٩ .
(٣) ابو عبيد ـ « الاموال » ص ٣٥
(٤) « فتوح البلدان » ـ للبلاذرى ص ١٣١ .

حيزها ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم (١) .

غير المسلمين في مصر :

وفي مصر كان الفتح الاسلامي خيرا ونورا وعدلا ورحمة ، جعلت أهلها من غير المسلمين يرحبون به ، وبالمثل العليا التي أرسى دعائمها محمد بن عبد الله ﷺ بل ان بعضهم لم يكتف بمجرد الترحيب ، وانطلق يساعد المسلمين في فتح مصر ، وتطهيرها من الظلم الذي ران عليها سنوات طويلة تحت وطأة الحكم البيزنطي ، وذلك ثابت فيما كتبه مؤرخوهم .

وقد كفل الاسلام لغير المسلمين ، في مصر منذ أول يوم حرية العقيدة ، وقرر حماية أنفسهم ، وأموالهم وكنائسهم ، وصليبهم ، في العهد الذي أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر وجاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الامان على أنفسهم وملتهم ، وأموالهم وكنائسهم ، وصليبهموبرهم وبحرهم لاينتقص شيء من ذلك ولا ينتقص ، ثم قال ، وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين (٢) .

وقد نعم غير المسلمين بتلك الحقوق منذ الفتح الاسلامي ، وحتى وقتنا الحاضر دون أن ينالهم أحد بسوء ، أو يمس حقا من حقوقهم التي كفلتها شريعة الاسلام وعاشوا مع المسلمين في روح سمحة وحب ومودة ، ولم تعرف مصر أبدا روح التعصب ، بل لم يسمع فيها من قبل كلمة الفتنة الطائفية (٣) ، مما يدل على استقرار تلك الحقوق لغير المسلمين وعدم المساس بها من أحد .

الجزية وحرية العقيدة :

ولم تتقرر الجزية في الاسلام لتكون اداة للضغط على غير المسلمين واكراههم للدخول في الاسلام ، أو لتكون اداة للتفرقة بينهم وبين المسلمين في المعاملة وكل ما فيها انها نوع من المشاركة في الحياة العامة التي يحياها المسلمون وغيرهم أو هي اداة لتحمل اعباء الدولة الاسلامية التي تكفل لهم الحماية ، وتحمي حقوقهم ، وترعى قضاياهم ، وهي تقابل ما وجب على المسلمين من صدقات ، ومن ثم يكون المسلمون وغيرهم شركاء في تحمل الاعباء العامة في ارض يعيشون عليها ، وتكلاهم جميعا ، بحبها وفضلها ، وعطائها ، ولما كانت الجزية مشاركة في الاعباء فهي لا تتقرر على مسن أو امرأة ، أو صبي أو مجنون تخفيفا عليهم ورحمة بهم ، مما يجعل دعوى الاثراء من تقريرها غير مقبولة .

والشريعة الاسلامية حين قررت حماية حق العقيدة لم تكن لتفرق بين المسلم وغيره

---

(١) « الخراج لابي يوسف » ص ١٤٨ ومابعدها

(٢) راجع : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٤ دار الكتب المصرية .

(٣) هذه العبارة من حديث البابا شنودة لجريدة اخبار اليوم الصادرة يوم ٢٢-١٢-٨٤ الصفحة الخامسة عمود ٧ .

لاختلاف الدين ، ولم يكن الاسلام لينال من المكانة الاجتماعية لغير المسلمين ، أو يفرق بينهم وبين المسلمين ، في المعاملة بل شمل الجميع برحمة الله وفضله ، وقد روى ان رسول الله ﷺ قال :

« من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه يوم القيامة» (١) .

وروى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال :

أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم (٢) ، وتلك هي روح الشريعة الاسلامية في التعامل مع غير المسلمين .

الاسلام ودعوى الطبقية :

تلك هي مبادىء الاسلام ، وهذه تعاليمه في حماية غير المسلمين ، والمساواة بينهم وبين المسلمين في المعاملة ، وهذه المبادىء ظاهرة الوضوح في الدلالة على عدل الاسلام ، وسمو دعوته ، بما لا يتيح فرصة لادعاء عليه بأنه يدعو الى الطبقية ومن العجيب أن يؤخذ هذا الفهم السقيم من قول الله تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (٣) ، فالاسلام لايدعو الى الطبقية التى تفرق بين الناس لاختلاف الدين أو القدرة المادية ، والتى تدفع الانسان لاستغلال أخيه الانسان واذلاله وظلمه ، وليس في الآية ما يدل على ذلك ، وانما تشير الى ظاهرة كونية فطر الله الناس عليها ، ومنذ خلق الله الكون والى ان تقوم الساعة لم يوجد ولن يوجد شخص يتفق مع الاخر بالتساوى في جميع الملكات الذهنية والبدنية والوجدانية والاجتماعية وغيرها ، تلك هي سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، قال تعالى :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ » (٤) .

ولا شك ان اختلاف الملكات الانسانية يؤدى مهمة كونية يتحقق منها الخير العام للناس أجمعين ، حين يلتمس الناس مساعدة بعضهم بعضا في الاعمال وغيرها من شئون الحياة التى لا يمكن أن يلم بجميع أمورها كل انسان (٥) ، فليس في الآية ما يدعو الى الطبقية ، بمعناها الذى تعارفه الناس ، وانما تعبر عن تلك الظاهرة الانسانية التى أوجد الله الخلائق عليها ، ومنهم الذين فهموا من القرآن هذا المعنى .

٢ ـ حماية حياة غير المسلمين :

والاسلام يحمى حياة غير المسلمين ، وينهى

---

(١) « الخراج » ص ١٣٥ ومابعدها .
(٢) المرجع والمكان السابقين .
(٣) الزخرف ـ آية ٣٢ .
(٤) هود ـ آية ١١٨ .
(٥) راجع : « مختصر تفسير ابن كثير » جـ ٣ ص ٢٨٩ .

المسلم أن ينال منها ؟ ويمس بهـا على وجه التعدى أو الاذى ، فالنفس محرمة ، والآدمي كما جاء فى الحديث :

« بنيان الرب ملعون من هدمه » (١) ، وقد وضعت الشريعة الاسلامية القصاص عقوبة لقاتل النفس ، ولو كان المقتول من اهل الذمة والقاتل من المسلمين قال تعالى « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » (٢) .

وقد روى البيهقى أن رسول الله ﷺ ، قتل مسلما بمعاهد (غير مسلم من اهل الكتاب) ، وقال أنا أولى من وفى بذمته » (٣) .

كما روى أن عليا بن ابى طالب ــ رضى الله عنه ــ أتى برجل من المسلمين قتـل رجلا من أهل الذمة فقامت عليه البينة فأمر بقتله وقال من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا(٤) وهكذا أمرنا الاسلام بالعدل مع أهل الـذمة وحماية حياتهم ، لأن العدل مطلوب فى ذاته ، وهم أصحاب حق فوق ذلك ، لأن مقتضى عقد الذمة أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم مـا عليهم ، وهكذا تتساوى حياة المسلم مع غـيره أمام شرع الله .

٣ ــ حماية أموال غير المسلمين :

وأموال غير المسلمين مصونة فى الشريعـة الاسلامية ، لا يجوز أخذها منهم بالغصب أو بالقوة ، ولا يحل أكلها الا بالرضا منهم ، قال تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٥) ، ومـن أنـواع الباطل التى حرمها الله ، أكل مالا تطيب بـه نفس مالكه ، وأخذ مال الغير لا على وجه اذن الشرع (٦) ولو كان مالك المال غير مسلم ، وقد أجمع الفقهاء على أنه لا يجوز أن يؤخـذ من مال أهل الذمة غير ماصـولحوا عليه ، الا بطيب أنفسهم (٧).

ومن وجوه الحماية المقررة لمال غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية تقرير العقوبة بالحـد لسارقه حتى ولو كان مسلما ، ووقع على هذا اجماع الفقهاء ، كما حكاه ابن رشد(٨) وروى ابو يوسف ، قال : « فى المسـلم يسرق مـن الذمى ، انه يلزمه ما يلزم السارق المسلم » ، ثم قال حدثنا اشعث عن الحسن قال : مـن سرق من يهودى ، أو نصرانى أو أخذ من اهل الذمة من غيرهما قطع(٩) ويمثل هذا المنهج القويم يحمى الاسلام مال غير المسلم .

٤ ــ حماية الاسلام لاعراض غير المسلمين :

كما أن الاسـلام يحمى أعراض غـير

(١) « الاختيار لتعليل المختار » ــ للموصلى الحنفى ــ جـ ٤ ص ٧٠ ــ المطابع الاميرية .
(٢) « الاسراء » ــ آية ٣٣ .
(٣) « نيل الاوطار » للشوكانى ــ جـ ٧ ص ١٢
(٤) المرجع السابق ص ١٥ .
(٥) البقرة ــ آية ١٨٨ .
(٦) راجع : تفسير القرطبى ــ جـ ٢ ص ٣٣٨
(٧) حكى هذا الاجماع : ابو عبيد فى الاموال ــ ص ١٩٧ .
(٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ٢ ص ٢٨٢
(٩) الخراج لابى يوسف ــ ص ١٩١ ومابعدها

المسلمين ، ويجعل المرأة الكتابية في حماية عرضها ، كالمرأة المسلمة ، فلا يجوز للمسلم أن يعتدى على عرضها ، أو يفعل بها مايخدش حياءها ، وهو ان أراد التمتع بها فليس أمامه الا ما شرعه الله لاستحلال الاعراض وهكذا لا تبذل المرأة موضع العفة منها الا في اطار من الاجلال والتكريم التي تكفله الشريعة الاسلامية ، وقد شرع الله عقد النكاح ليكون أداة لحل العرض وجواز التمتع بالمرأة سواء كانت مسلمة أم كتابية ، قال تعالى :

« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ » (١) .

وهكذا ارتفع الاسلام بعلاقة المسلم بغيره الى مرتبة المصاهرة ، التي تحفظ الحقوق وتصون الاعراض ، وقد أمر الله بالعدل مع أهل الكتاب وبرهم ، في قوله الكريم « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٢) .

أعلان الاسلام لتلك الحقوق :

والاسلام حين قرر تلك الحقوق لغير المسلمين ، حرص على النص عليها في أصول التشريع ومصادره ، ليتذكرها الناس جميعا في كل زمان ومكان تتلى فيه ، ولتكون قراءة القرآن الكريم ، والقاء الاحاديث الدينية ، في الاجهزة المرئية والمسموعة اعلانا لها ، وتذكيرا بشأنها ، وتنبيها للناس على احترامها ، كما أن هذا المعنى يحصل عند اقامة اى احتفال دينى .

فكل تلك الوسائل ، ماهى الا قنوات تذكر الناس بتلك الحقوق التى كفلتها شريعة محمد ابن عبد الله ﷺ لغير اتباعه ، وتلك مفخرة ينبغى أن تحسب للتشريع الذى جاء به ، لا أن تؤخذ عليه ، وهى أداة لبث الحب بين الناس اجمعين ، ذلك الحب الذى وضع اسسه النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ حين اوصى بقبط مصر خيرا ، لان للاسلام فيها رحما وذمة ، من ثم كان كل تفكير يعتقد أن فى ذلك غرسا للحقد وحضا على الكراهية ، مجانبا للصواب وبعيدا عن الفهم الاسلامى الصحيح، والحديث موصول باذن الله .

دكتور عبد الله مبروك النجار

---

(١) المائدة ـ آية ٥ .

(٢) الممتحنة ـ آية ٨ .

كتاب الإجزاء في معرفة الأجزاء

للإمام إبراهيم بن عمر الجعبري

تقديم الأستاذ

إبراهيم عطوه عوض

البـاب الأول

« في تجزئة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه والتابعين باسنادى الى الداني الى من انتهى اليه ».

سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها فعله ثلاثة اجزاء فان كانت سواء فيأتي في الاثلاث وامره بسبع وخمس عشرة يأتي في الاسباع والانصاف .

سيرة عثمان ـ رضى الله عنه قال يحيى الذماري عن القاسم بن عبد الرحمن : كان يفتتح ليلة الجمعة من البقرة الى آخر المائدة، ثم بالأنعام الى هود ، ثم بيوسف الى مريم ، ثم بطه الى القصص ، ثم بالعنكبوت الى ص ، ثم بالزمر الى الرحمن ، ثم بالواقعة الى الناس ليلة الخميس .

سيرة أبي رضى الله عنه ـ قال : أبو المهلب قال أبي : انا لنقرؤه في ثمان .

سيرة زيد بن ثابت قال رجل عن أبيه : أنه سأل زيدا عن قراءة القرآن في سبع ص٤٨/ب فقال : حسن ولأن / اقرأ في عشرين أو النصف أحب الي من ذلك .

سيرة ابن مسعود . قال محمد بن زكوان الكوفي عن عبد الرحمن قال : كان أبي يقرأ القرآن من الجمعة الى الجمعة وفي رمضان في ثلاث .

سيرة معاذ بن جبل قال أبو العالية : كان معاذ يقرأ القرآن في ثلاث .

سيرة سعيد بن جبير قال : (١) ورقا بن اياس كان سعيد يؤمنا برمضان فيختم القرآن في كل ست ليال .

سيرة عطا بن السايب قال : فاضل بن سليم: صحبت عطاء الى مكة فكان يختم في كل ليلتين .

سيرة ثابت البناني قال حميد : كان ثابت



يختم برمضان كل يوم وليلة ٠

سيرة علقمة والأسود بن يزيد وعبد الرحمن ابن يزيد وابراهيم بن يزيد قال ابراهيم :كان علقمة يختمه في خمس والأسود في ست وعبد الرحمن وابراهيم في سبع وكذا قال أبو قلابة عن تميم الداردي ٠

سيرة ابن أبي مجلذ وبشر بن نهيد قال عمران : كان أبو مجلذ وبشر يختمان بنا رمضان كل أسبوع ٠

سيرة أبي العالية الرياحي قال خالد قال أبو العالية : كنا مملوكين منا من يؤدي الضريبة ومنا من يخدم أهله وكنا نختم القرآن كل ليلة فشق علينا فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فأمرونا أن نختمه كل سبع ليال مرة فصلينا ونمنا ولم يشق ٠

سيرة أبي اسحاق السبيعي قال عيسى عن أبيه : كان أبو اسحاق يقرأ كل ليلة ألف آية فكان يختمه في ست ٠

سيرة الحجاج الثقفي قال أبو محمد الجماني : كان الحجاج يقرأ كل ليلة ربعا ٠

الباب الثاني في تجزئته باعتبار الكسور النسبة في اصطلاح الحاسبين وعليها يتفرع السير المتقدمة ٠ الانصاف باسنادي الى الداني عن خلف عن أبي بكر محمد بن عبد الله المتري الأصفهاني قال ابن ذكوان :

النصف الأول بالكهف « **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا** » ٠

وعاصم الجحدري « اذ يتنازعون بينهم أمرهم » وقيل بكم أحدا ٠

والجماني قال الحجاج للقرآء أخبروني على أيّ حرف نصفه قالوا « فاء وليتلطف » والثاني آخره ٠

الاثلاث الأول بالتوبة « ولهم عذاب مقيم » أو « الا يجدوا ما ينفقون » أو آخرها٠

والثاني بالقصص « **مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ** » أو آخرها أو بالعنكبوت « وما يعقلها الا العالمون » ٠

والثالث آخره ٠ الأرباع الأول آخر الأنعام أو بالأعراف أوهم قائلون » ٠

الثاني بالكهف ولا « يشعرن بكم أحدا » أو « بينهم أمرهم » أو « شيا نكرا » ٠

الثالث آخر يس أو بالصافات « الى يوم يبعثون » أو « آخرها » ٠

الرابع آخره ٠ الأخماس الأول بالمائدة « وانهم لا يستكبرون » أو « وان الله بكل شيء عليم » « وانا اذا لمن الظالمين » ٠

الثاني بيوسف « فان الله لا يضيع أجر المحسنين » أو « لا يهدي كيد الخائنين » أو « انكم لسارقون » ٠

الثالث بالفرقان « وعتوا عتوا كبيرا » أو « وزادهم نفورا » أو بالشعراء « ان كنا نحن الغالبين » ٠

الرابع بالمصابيح « لفي شك منه مريب » أو بالشورى « بكل شيء عليم » أو بالزخرف « على رجل من القريتين عظيم » ٠

الخامس آخره ٠ الأسداس الأول بالنساء « وكان الله شاكرا عليما » أو آخرها ٠

الثاني بالتوبة « ألا يجدوا ما ينفقون » أو آخرها ٠

الثالث بالكهف «اذ يتنازعون بينهم أمرهم» أو « نكرا » أو آخرها .
الرابع آخر القصص أو بالعنكبوت « وما يعقلها الا العالمون » أو آخرها .
الخامس آخر الزخرف أو بالجاثية « بمستيقنين » أو آخر الأحقاف .
السادس آخره . الأسباع الأول بالنساء « يصدون عنك صدودا » أو « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » وعلى الحروف دال من صد .
الثاني بالأعراف« انا لانضيع أجر المصلحين» أو بالأنفال « والذين كفروا الى جهنم يحشرون » وعلى الحروف تاء « اولئك حبطت أعمالهم » .
الثالث بابراهيم « لعلهم يتذكرون » أو بالحجر « وان عذابي هو العذاب الأليم » وعلى الحروف بالرعد الفا كلها .
الرابع بالمؤمنين « من مال وبنين » أو آخرها وعلى الحروف بالحج أول «منسكا ».
الخامس بسبأ « الا فريقا من المؤمنين » وعلى الحروف بالأحزاب ها « ولا مؤمنة » .
السادس آخر الفتح أو الحجرات وعلى الحروف بتلك همزة « ظن السوء ».
السابع آخره . الأثمان الأول آخر آل عمران
الثاني بالأعراف « وهم قائلون » .
الثالث بهود وقيل « بعدا للقوم الظالمين » .
الرابع بالكهف « نكرا » .
الخامس بالشعراء « انه هو السميع العليم » . السادس بالصافات « الى يوم يبعثون» .
السابع آخر والطور .

الثامن آخره الاتساع الأول بآل عمران أو « هو خير الناصرين » . الثاني بالأنعام « ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » .
الثالث بالتوبة « أن لا يجدوا ما ينفقون».
الرابع بالنحل « وهم يخلقون » .
الخامس بالحج « يصهر به ما في بطونهم والجلود » .
السادس بالعنكبوت « وما يعقلها الا العالمون » .
السابع بغافر « انك أنت العزيز الحكيم »
الثامن بالواقعة « أولئك المقربون » .
التاسع آخره الأعشار الأول بآل عمران « وما لهم من ناصرين » « ومنهم المؤمنون وأكثرهم لفاسقون » .
الثاني بالمائدة « وانهم لا يستكبرون » أو « وما اعتدينا انا اذن لمن الظالمين » .
الثالث بالأنفال « ونعم النصير » أو آخرها
الرابع « وان الله لا يهدى كيد الخائنين » أو « فان الله لا يضيع أجر المحسنين » .
الخامس بالكهف « شيئا نكرا » أو آخرها .
السادس بالفرقان «وعتوا عتوا كبيرا » أو «وزادهم نفورا » .
السابع بالاحزاب « وكان ذلك على الله يسيرا » أو « ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ».
الثامن بالمصابيح « لفي شك منه مريب » .
أو بالشورى « بكل شيء عليم » .
التاسع بالحديد « والله ذو الفضل العظيم » أو آخرها .
العاشر آخره .

الباب الثالث في تجزئته اعتبار أوقات شهور السنين اجزاء سبعة وعشرين لقيام شهر رمضان باسنادي الى الداني عن الخاقاني قال ابو بكر محمد الاصفهاني :

الاول بالبقرة « فان الله شاكر عليم » .

الثاني « وأنتم لا تظلمون » .

الثالث بآل عمران « والله يحب المحسنين » .

الرابع بالنساء « لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

الخامس بالمائدة « ولهم عذاب أليم » .

السادس بالأنعام « وهو أسرع الحاسبين »

السابع بالأعراف « وضل عنهم ما كانوا يفترون » .

الثامن بالأنفال « خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

التاسع بالتوبة « قبل وممن حولكم » « ذلك الفوز العظيم » .

العاشر بهود «فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين» .

الحادي عشر بيوسف « لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

الثاني عشر بالنحل « فلبئس مثوى المتكبرين » .

الثالث عشر بسبحان « فأبى الظالمون الا كفورا » .

الرابع عشر بطه « اذ أوحينا الى أمك ما يوحى » .

الخامس عشر بالحج « لعلكم تشكرون » .

السادس عشر بالنور قبل « والقواعد » « والله عليم حكيم » .

السابع عشر بالنمل «واني عليه لقوى أمين » .

الثامن عشر بالعنكبوت « أولئك هم الخاسرون » .

التاسع عشر بالأحزاب « على كل شيء رقيبا » .

العشرون بالصافات « انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون » .

الحادي والعشرون بغافر « وما كان لهم من الله من واق » .

الثاني والعشرون بالزخرف « ويحسبون أنهم مهتدون » .

الثالث والعشرون بالفتح « ولن تجد لسنة اللهتبديلا » .

الرابع والعشرون بالواقعة « الى ميقات يوم معلوم » .

الخامس والعشرون بالتغابن « وعلى الله فليتوكل المؤمنون ».

السادس والعشرون بالانسان « اما شاكرا واما كفورا » .

السابع والعشرون آخر القرآن . أجزاء ثمانية وعشرين لختم ليلة الجمعة وهي أرباع الأسباع باسنادي الى الداني عن خلف قال أبو بكر محمد الاصفهاني .

الأول بالبقرة « لعلكم تهتدون » .

الثاني قبل « قول معروف » « ولاهم يحزنون» .

الثالث بآل عمران « وعلى الله فليتوكل

المؤمنون » .
الرابع بالنساء « ذلك خير وأحسن تأويلا ».
الخامس بالمائدة « وعلى الله فليتوكل المؤمنون ».
السادس بالأنعام « والله ربنا ما كنا مشركين ».
السابع بالأعراف « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » .
الثامن « ولعلهم يرجعون » .
التاسع بالتوبة « تزهق أنفسهم وهم كافرون » .
العاشر بيونس « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » .
الحادى عشر بيوسف « أن كيدكن عظيم ».
الثانى عشر بابراهيم « ومن عصانى فانك غفور رحيم » .
الثالث عشر بسبحان « انه كان عبدا شكورا ».
الرابع عشر بالكهف « ما لم تستطع عليه صبرا » .
الخامس عشر بالأنبياء « لا اله الا أنا فاعبدون » .
السادس عشر بالمؤمنون « ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون » .
السابع عشر بالشعراء « أنباء ما كانوا به يستهزءون » .
الثامن عشر بالقصص «وأبونا شيخ كبير»
التاسع عشر بالروم « ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » .
العشرون بسبأ « لايستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون » .

الحادى والعشرون بالصافات « انهم لهم المنصورون » .
الثانى والعشرون بغافر « بآيات الله يجحدون » .
الثالث والعشرون آخر الزخرف « وقل سلام فسوف يعلمون » .
الرابع والعشرون بالحجرات « لعلكم ترحمون » .
الخامس والعشرون بالحديد « والله بما تعملون بصير ».
السادس والعشرون بالطلاق « لكل شيء قدرا » .
السابع والعشرون بالانسان « نضرة وسرورا » .
الثامن والعشرون آخر القرآن وعدد كل جزء منها اثنا عشر الف حرف وثلاثمائة . اجزاء ثلاثين وهى أثلاث الاعشار وأجزاء الربعات باسنادى الى الدانى قال : ابو الحسن بن غلبون .
الأول بالبقرة « ولا تسئلون عما كانوا يعملون » .
الثانى « وانك لمن المرسلين » .
الثالث بآل عمران « ومالهم من ناصرين »
الرابع بالنساء « الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .
الخامس « وكان الله شاكرا عليما » .
السادس بالمائدة « ولكن كثيرا منهم فاسقون » .

السابع بالأنعام « ويذرهم في طغيانهم يعمهون » .
الثامن بالأعراف « وأنت خير الحاكمين » .
التاسع بالأنفال « نعم المولى ونعم النصير » .
العاشر بالتوبة «الايجدوا ماينفقون » .
الحادي عشر آخر يونس « وهو خير الحاكمين » أو بهود « أنه عليم بذات الصدور » .
الثاني عشر بيوسف « وان الله لا يهدي كيد الخائنين » .
الثالث عشر آخر ابراهيم « وليذكر أولوا الألباب » .
الرابع عشر آخر النحل « والذين هم محسنون » .
الخامس عشر بالكهف « لقد جئت شيئا نكرا » .
السادس عشر آخر طه « ومن اهتدى » .
السابع عشر آخر الحج « ونعم النصير ».
الثامن عشر بالفرقان « وكان ربك بصيرا »
التاسع عشر بالنمل « بل أنتم قوم تجهلون»
العشرون بالعنكبوت « والله يعلم ما تصنعون » .
الحادي والعشرون بالأحزاب « وكان ذلك على الله يسيرا » .
الثاني والعشرون بيس « وجعلني من المكرمين » .
الثالث والعشرون بالزمر « عند ربكم تختصمون ».
الرابع والعشرون بفصلت « وما ربك بظلام للعبيد » .
الخامس والعشرون آخر الجاثية « وهو العزيز الحكيم » .
السادس والعشرون بالذاريات « انه هو الحكيم العليم .
السابع والعشرون آخر الحديد « والله ذوا الفضل العظيم » .
الثامن والعشرون آخر التحريم « وكانت من القانتين » .
التاسع والعشرون آخر والمرسلات « بعده يؤمنون » .
الثلاثون آخر القرآن « من الجنة الناس » .

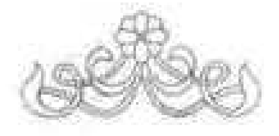
ابراهيم عطوه عوض



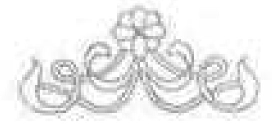
مع حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم - وسيرته

من نفحات السنة المباركة



قبس من أنوار النبوة



حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

من نفحات السنة المباركة

الصديقية ومراتبها

عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم الى احد ومعه ابو بكر وعمر وعثمان . فرجف بهم فضربه برجله قال : اثبت احد فما عليك إلا نبى او صديق أو شهيدان : رواه البخارى .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا : متفق عليه :

الصديق فعيل من أبنية المبالغة الدالة على فرط الصدق وكثرة ما صدق به :

وتعرف الصديقية بأنها : كمال الاخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرا وباطنا .

ويوصف بها المذكر والمؤنث قال تعالى : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا » سورة مريم .

وقال تعالى : « وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ » المائدة .

والصديقية مبدؤها الصدق الذى هو مطابقة الكلام للواقع ولها تعاريف عدة تتلاقى فى النهاية فهى موافقة السر النطق ، أو الوفاء لله تعالى بالعمل ، أو كلمة الحق عند من تخافه وترجوه .

والصدق هو الطريق الاقوم والسبيل الأمثل الذى من لم يسر عليه كان من المنقطعين الهالكين :

وهو سيف الله فى أرضه الذى ما وضع على شىء الا قطعه ولا واجه باطلا الا أرداه وصرعه . من نطق به علت على الخصوم كلمته ومن صال به لم ترد صولته . لأنه روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والمؤدى الى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما أربع من كن فيه فقد ربح : الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق :

وقال ابو سليمان الداراني : اجعل الصدق مطيتك . والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك :

للدكتور محمد محمود شعبان

ولقد ذكر الله تعالى الصدق والصادقين والصديقين فى كتابه العزيز أكثر من مائة وخمسين مرة وما ذلك الا لفضله وشرفه .

وبين رب العزة بأن درجته تلى درجة النبوة التى هى أرفع درجات العالمين ومن مساكنهم فى الجنات تجرى العيون والانهار الى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم الى قلوبهم المدد المتصل فى هذه الدار لذلك قال تعالى : « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » النساء .

ولقد أمر الله تبارك وتعالى عباده به فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » التوبة .

فاذا لزم العبد الصدق كان الله تعالى معه ولا يزال يمده بنعمه وألطافه ومزيده واحسانه : ويكون لزومه للصدق خيرا له قال تعالى : « فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ » .

الصدق ومعانيه الستة عند الغزالى :

والصدق يستعمل على معان ستة كما ذكرها الغزالى فى كتابه (احياء علوم الدين) وهى موجزة فيما يلى .

١ ــ الصدق فى القول .

٢ ــ الصدق فى النية والارادة .

٣ ــ الصدق فى العزم .

٤ ــ الصدق فى الوفاء بالعزم .

٥ ــ الصدق فى العمل .

٦ ــ الصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها .

الصدق فى القول والمعاريض :

فالصدق فى القول يكون فى الأخبار فيجب على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : عليكم بالصدق : وينبغى أن يحترز عن المعاريض الا للضرورة كالصلح بين اثنين أو للتغطية على العدو فى الحرب أو للتوفيق مع زوجته .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل وهو متوجه الى غزوة بدر من بعض الأعراب . من أين أنتم ؟ قال : نحن من ماء . ولو قال من أهل المدينة لاحتمل أن يذهب السائل الى المشركين ويخبرهم بأمره .

ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام مهاجرا ومعه أبو بكر رضى الله عنه سأل بعض المشركين أبا بكر عن الرجل الذى معه فقال : هاد يهدينى الطريق ولو قال : (رسول الله) لربما تعرض النبى صلى الله عليه وسلم للايذاء :

وأما الصدق فى النية فهو أن يكون مخلصا لله تعالى فى جميع حركاته وسكناته فلا يظهر خلاف ما يبطن فانه بذلك يكون منافقا والنفاق

كذب قال تعالى فى شأن المنافقين لما قالوا : نشهد انك لرسول الله : قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون : وما ذلك الا لأنهم كذبوا فى نيتهم وضميرهم وأخبروا بغير مافى قلوبهم :

الثالث : صدق العزم : وذلك بأن تكون عزيمته فى الخيرات كلها تصادف قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد ولذلك قال عمر رضى الله عنه لأن أقدم فتضرب عنقى أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه .

الرابع : الوفاء بالعزم : وذلك بأن يلتزم بالوفاء فيما عزم عليه من قول أو عمل وينفذ ذلك مهما كانت الأمور التى تصادفه ، ولذلك قال تعالى فى شأن الصحابة الذين وفوا بما عزموا عليه : « **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** » الاحزاب .

فقد نزلت الآية فى شأن أنس بن النضر حيث لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع فلما شهد أحدا فى العام القادم قاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون جرحا ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته ما عرفت أخى الا بثيابه فنزلت الآية :

الخامس : الصدق فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به والا كان مرائيا . والرياء من الشرك قال صلى الله عليه وسلم : ان أخوف ما أخافه عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء :

السادس : الصدق فى مقامات الدين . وهو اعلاها وأعزها كالصدق فى الخوف من الله والرجاء والزهد والرضا . والحب لله والتوكل عليه والتعظيم له ولأوامره والبعد عن نواهيه .

ولذلك أثنى الله تعالى على أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى : « **يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** » الانبياء .

وقال تعالى : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** » الحجرات .

فاذا تحققت هذه المراتب كلها كان العبد صادقا وبذلك يحصل على درجة الصديقية .

ومن هنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسأله « أن يجعل له مدخل صدق ومخرج صدق » فقال :

« **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا**

نَصِيرًا » الاسراء .

وأخبر عن خليله ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام انه سأل ربه أن يجعل له لسان صدق فى الآخرين فقال تعالى :

« واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » الشعراء .

وهو الثناء الحسن عليه من سائر الامم فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعل له ولذريته الثناء الحسن الى يوم الدين فقال تعالى :

« وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا » مريم .

وقد بشر الله تعالى المؤمنين بأن لهم قدم صدق فقال تعالى :

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » يونس .

وقد فسر (قدم الصدق) بالجنة وبمحمد صلى الله عليه وسلم . وبالأعمال الصالحة كذلك بشرهم بأن لهم (مقعد صدق) فقال :

« إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » القمر .

والمراد به الجنة عند الرب تبارك وتعالى : ووصف ذلك بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره ، ودوامه فانه حق متصل بالحق سبحانه كائن به وله فهو صدق غير كذب ، حق غير باطل ، دائم غير زائل . نافع غير ضار .

ولقد أوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ياداود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته .

وقال بعض العلماء : أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض :

الاسلام الخالص عن البدعة والهوى ، والصدق لله تعالى فى الأعمال ، وطيب المطعم .

فاذا تم هذا للعبد حدثت له الطمأنينة فى القلب كما ورد فى سنن الترمذى عن الحسن بن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصدق طمأنينة والكذب ريبة .

« مراتب الصديقية » :

وللصديقية مراتب كثيرة لا تحصى وأعلاها صديقية الأنبياء والمرسلين وأسماها صديقية سيد المرسلين وخلق الله أجمعين لقوله تعالى :

« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » القلم .

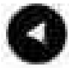
وقوله تعالى « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » الزمر .

ثم الأنبياء من بعده صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا » مريم .

وقوله تعالى : « وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » الصافات .

وقوله تعالى فى شأن اسماعيل عليه السلام :

«وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا » مريم .



فقد صدق في الوعد بصبره على ذبحه بقوله : « سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ » الصافات .

وقوله تعالى في حق ادريس عليه السلام : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا » مريم .

وفي شأن يوسف عليه السلام : « يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ » يوسف .

وهكذا فكل نبي صديق وليس كل صديق نبيا :

يلي درجة النبوة في الصديقية صديقية مريم ابنة عمران أم عيسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام بقوله تعالى : « مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ » المائدة .

وقوله تعالى : « وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ » التحريم .

وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقوله تعالى : « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » الزمر .

قال أبو يحيى سمعت عليا رضي الله عنه يحلف بأن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء . الصديق . يعني هذه الآية :

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر الصديق : البخاري .

ثم يليهم العشرة المبشرون بالجنة وأهل بدر وأحد وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار لأن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه .

قال تعالى : « لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » الفتح .

وقال تعالى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » التوبة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم : متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك من أحدهم ولا نصيفه : متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم : خير القرون

قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلـونهم : متفق عليه .

يلى هؤلاء الكرام البررة من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله وعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : « وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ » الحديد .

فاذا حصل المسلم على درجة (الصديقية) صار من المقربين المحفوظين فى الدنيا الآمنين فى الآخرة قال تعالى : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » القمر .

وقال تعالى : هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » المائدة .

وقال تعالى : وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » النساء .

فمن أراد المعيشة الراضية والجنات العالية والحسنى وزيادة فعليه بالصدق فى كل أموره وأحواله وأقواله وأفعاله .

وليتجنب الكذب فان فيه الهلكة لأنه يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار .

والكذب من علامات المنافقين والمنافقون فى الدرك الأسفل من النار .

قال تعالى : « إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا » النساء .

والكاذب تلحقه اللعنة من الله تعالى والناس فى الدنيا والآخرة قال تعالى : وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » الزمر .

وقال تعالى : « أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » الاعراف .

وقال تعالى « إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ » غافر .

وقال صلى الله عليه وسلم :
واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا : متفق عليه .

جعلنى الله واياكم من الصادقين . وحشرنا فى زمرة النبيين والصديقين ومن علينا بالجلوس فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . ومتعنا بالنظر الى وجهه الكريم آمين .

د. محمد محمود شعبان

قبس من أنوار النبوة

الصدقة عن الميت

عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« ان أمى افتلتت نفسها ، وانى أظنها لو تكلمت تصدقت فلى أجر ان تصدقت عنها ، قال : نعم »

« رواه مسلم »

فى رواية لابن عباس رضى الله عنهما أن الرجل السائل فى حديث السيدة عائشة هو سعد ابن عبادة الانصارى وهو سيد من سادات الخزرج ، وصاحب راية الأنصار ، كان جوادا كثير الصدقة يحسن العوم والرمى • مات بحوران بدمشق سنة خمس عشرة أو ست عشرة روى عنه بنوه قيس وسعيد واسحاق وأمه هى عمرة بنت مسعود بن قيس أنصارية خزرجية ، أسلمت وبايعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وماتت سنة خمس من الهجرة ، والنبى صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة دومة الجندل ، وابنها سعد بن عبادة معه صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا صلى النبى صلى الله عليه وسلم على قبرها •

أفتلتت : ماتت فجأة من غير مرض ولا سبب ، يقال كان الامر فلتة أى فجأة من غير تردد وتدبر ، وافتلتنى الشىء وتفلت منى ، وافتلتت بالبناء للمجهول مات فلتة أى فجأة •

والمراد بالنفس هنا الروح ، وتطلق ويراد منها الذات تقول جاءنى نفسه ، وتطلق بمعنى عند أو الحقيقة ، قال تعالى : **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** » الى غير ذلك •

كان الصحابى الجليل سعد بن عبادة رضى الله عنه حريصا على الفوز برضاء أمه حية وميتة ، فيقول : ان أمى ماتت فجأة وانى اظنها لو تكلمت تصدقت وهذا يدل على انها لم تتكلم ـ فامتنعت الصدقة منها لامتناع الكلام ـ وفى الموطأ انها تكلمت ـ ولكن سعدا لم يعلم بما وقع منها ـ والصدقة هنا الوصية بدليل الرواية الأخرى « ان أمى ماتت ولم توص » أو النذر كما جاء فى رواية البخارى « ان أمى ماتت وعليها نذر » ولا تناف بين الروايتين لاحتمال أن يكون سأل عن النذر وعن الصدقة وقد ورد أن النذر كان عتق رقبة فماتت قبل أن تعتق فقال سعد أفيجزى عنها أن أعتق فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم « اعتق عن أمك » •

قال سعد ـ رضى الله عنه : وأظنها لو تكلمت تصدقت ، وسند هذا الظن ما كان

للأستاذ على حامد عبد الرحيم

يعلمه عنها من حرصها على فعل الخير ورغبتها فى الطاعات .

« فلى أجر ان تصدقت عنها ؟ » : وفى بعض الروايات : أفلها أجر ؟ . كأنه يقول أيشرع لى التصدق فلى أجر ، لأن المقصود السؤال عن مشروعية التصدق عنها ، والأجر ، ومما لا خلاف فيه أن عمل الطاعة متى كان مشروعا أجر عليه صاحبه المباشر له لقول الله تعالى « مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا » الانعام .

وقوله تعالى : « إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » الكهف .

فهل ينتفع الغير بهذا العمل اذا قصد به عمل من أجله كما فى حديثنا ؟

وقد أقر النبى — صلى الله عليه وسلم مشروعيته ففيه الأجر لذلك الغير متى نواه به أو وهبه له وان لم يحصل منه نية على فعلها ، وقد يثبت للميت الأجر من غير معرفة ولا نية كما يدخل عليه أجر من يغتابه ، وأجر من يأخذ من ماله .

وكما أن ثواب الصدقة يصل الى الميت وينفعه كذلك المتصدق له أجر السعى — فكل من المباشر للعمل والمعمول له مأجور لا ينقص أحدهما من أجر الآخر شيئا .

انتفاع الميت بالدعاء وغيره :

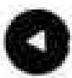
وكذلك ينتفع الميت بالدعاء ، صح فى الخبر « ان الله ليرفع درجة العبد فى الجنة باستغفار ولده له » أما الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك فقد قال جماعة من العلماء منهم الامام أحمد وجمهور السلف بوصول ثواب جميع هذه العبادات الى الميت .

جاء فى البخارى فى باب من مات وعليه نذر ، أن ابن عمر أمر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تصلى عنها ، وبذلك قال عطاء بن أبى رباح واسحاق بن راهوية .

وقال الامام البغوى فى كتابه التهذيب لا يبعد أن يطعم عن كل صلاة مد من طعام ودليلهم على ذلك القياس على الدعاء والصدقة والحج فانها تصل الى الميت بالاجماع .

وقال محققو المتأخرين من الشافعية انه يصح الصوم عن الميت أو تخرج عنه الفدية لكل يوم مد من غالب قوت البلد ، وهذا بخلاف المشهور من مذهب الشافعى ومالك ومن وافقهما فأما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ، وقول النبى — صلى الله عليه وسلم « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

فأجيب بأن المعنى ليس للانسان الا ثواب ما سعى من حيث ان مناط نفع هذه الاعمال للميت هو ايمانه ، فما لم يؤمن لم يكن لشىء منها نفع ، فهى من سعيه لتوقفها على الايمان الذى هو سعيه وكذلك لا اشكال فى



قبس من أنوار النبوة

الحديث فانه لا ينافى أن له ثواب عمل غيره الذى عمل له لأنه من سعيه .

وأما الحقوق المالية الثابتة على الميت سواء كانت لله كالزكاة والحج والنذر والكفارة ، أو حقا للآدميين كديونهم وودائعهم فمذهب الشافعية وطائفة انه ان كان للميت مال وجب قضاؤها من رأس المال سواء أوصى بذلك أم لا ، الا أن النذر ان كان فى مرض الموت فانه يكون من الثلث .

ومذهب الحنفية والمالكية أنه لا يجب قضاء شىء من ذلك الا اذا أوصى به فيكون من رأس المال عند الحنفية ومن الثلث عند المالكية .

واذا لم يترك الميت مالا فالشافعية والجمهور أن الوارث لا يلزمه قضاء الدين لكنه يستحب له أن يقضيه .

وقال الظاهرية بلزوم قضاء الدين عملا بظاهر الحديث ، وأجيب بأنه ليس فى الحديث تصريح بالزام سعد ولكنه فعل ذلك تبرعا .

ونأخذ من الحديث :

فضل بر الوالدين بعد موتهما .

واستحباب الصدقة عن الميت ، وأن ثوابها يصل اليه وينفعه كما ينفع المتصدق .

وأن الوصية مندوبة لا واجبة لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لم يذم أم سعد على ترك الوصية ، بل بادر بالصلاة على قبرها .

وكيف كان الصحابة يرجعون الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أمورهم الدينية والدنيوية .

وفيه أن موت الفجاءة غير مكروه ، لأن النبى لم يظهر منه كراهة حين أخبر بموت أم سعد فجأة ، وما ورد مما يفيد انه مكروه كما جاء فى خبر ابى داود (موت الفجاءة أخذة آسف) أى غضبان محمول على الفاجر الذى لم يتهيأ للموت فلذلك كان أخذه فجأة حيث فعل ما أوجب الغضب عليه والانتقام منه فأخذ بغتة ، ويؤيد ذلك ما ورد عن السيدة عائشة وابن مسعود رضى الله عنهما (موت الفجاءة راحة للمؤمنين وآسف على الفاجرين » .

قال النووى نقلا عن القدماء ـ ان جماعة من الانبياء والصالحين ماتوا كذلك وهو محبوب للمراقبين .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ، وختم لنا بالايمان والاسلام ..

على حامد عبد الرحيم



حول الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

حرب الدفاع

الحلقة الأخيرة

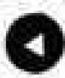
للأستاذ الدكتور رءوف شلبي

الحرب الدفاعية : حرب مشروعة بالفطرة لا تحتاج الى شرح طويل او تفسير عميق أو تفصيل كثير ، فالدفاع عن النفس وعن العرض ، وعن العرين خاصية فطرية يشترك فيها الانسان مع غيره من الحيوانات التى تدافع عن نفسها وعرضها ، وعرينها ، وكل ما كان فطريا فلا حاجة الى تدليل عليه أو برهان يبيحه ، ولذا فان النصوص القرآنية تمنع المسلمين أن يعتدوا ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

لكن اذا اتخذت هذه القاعدة تكأة للأعداء فاستباحوا محرمات ممنوع فيها القتال كعند المسجد الحرام والاشهر الحرم » فان الحق المشروع بالفطرة لا ينسخه ادب رفيع مشروع لضمان الامن والسلام عند الاسلام اذا ما استغله الاعداء لمباغتة الامة الاسلامية بالحرب فعندئذ ذكر الاسلام جماعة المسلمين ان هذه الاداب : « لا قتال عند المسجد الحرام » « ولا قتال فى الاشهر الحرم » اذا كانت مرعية من كلا الجانبين المسلمين والكافرين ، أما اذا استباح الكفر حرمات الله التى يعظمها المسلمون فقد انطلقت القاعدة على سجيتها فى الفطرة « **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** » « **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** » ١٩١ — البقرة .

فالعسكرية الاسلامية يقظة ، وعادلة ، ورحيمة فلا يغرر بها ولا تتجاوز حدود القتال ولا تمعن فى الخصومة فان أحد استجار أو طلب الأمان أوقفت الحرب .

على هذه القاعدة كانت حروب الدفاع التى



خاضتها العسكرية الاسلامية ضد جحافل البغي والكفر والضلال .

وكبرى العمليات العسكرية لهذا النوع من القتال هي :ـ

ـ غزوة احد .

ـ غزوة الاحزاب او الخندق .

ـ غزوة حنين .

وهي تبين مدلول الاستراتيجية الكافرة التي تتمنى لقاء الاسلام في كل صوب وحدب كذلك تبين مداول الاستراتيجية الاسلامية التي تريد الخير للناس اجمعين .

ـ غزوة احد : وقعت يوم السبت لسبع خلون من شهر شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة .

وكان الباعث عليها : ان قريشا لم تعلمها معركة بدر كيف تعيد مراجعة حساباتها بعد أن قال الله لهم في مكة قديما : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » وقد هزموا وولوا الدبر ، فكان عليهم ــ وهم جميعا عارفون ان محمدا ﷺ على الحق ، كان عليهم ــ ان يعيدوا حساباتهم ، ولكنهم راحوا يتلمسون القوة من اهل الحقد والكراهية ، فرحل ابو سفيان الى « سلام من مشكم » في بني النضير يتشمم اخبار النبي ﷺ ويطلب العون ضده وكان المجلس القومي للتخطيط القرشي لحاربة الاسلام ينعقد في بيت سويد اليهودي ، ويحضره صديقه الحميم عبد الله بن ابى بن سلول ، والراهب الفاسق ابو عامر يرسم دائما خططه ويحدد مقادير نشاطه ومساعدته ليجمع على النبي ﷺ كل قريش وكل من يكره الاسلام والمسلمين ، فخرج أبو عامر وهو : عبد عمرو بن صيفي الراهب الفاسق ومعه خمسون رجلا الى قريش يحرض على قتال النبي ﷺ مستخدما اسلوب الحض على الاخذ بالثأر ممنيا قريشا انه سيدهم بقوة من رجاله ، ومعهم رجال من يهود ورجال عبد الله بن أبي بن سلول سيد النفاق والمنافقين .

ولم تكن العين التي تحرس في سبيل الله لتأخذها سنة أو يداعب أجفانها الكرى وسط هذا الخليط المرمن كوكبة الكفر : قريش ، والمنافقين ، واليهود ... فأرسل العباس ابن عبد المطلب(١) ــ وهو يومها مسلم مستخف في مكة ــ أرسل رسالة الى النبي ﷺ يخبره فيها بما جهزته قريش من اللقاء العسكري الذي دفع به الثأر وحمس اليه اليهود والمنافقون وأرسل النبي ﷺ رجلين من أجل الرجال عسكرية وصدقا في الدين هما : أنس ويونس ابنا فضاله يجمعان المعلومات وعادا الى النبي ﷺ بما تزودا من أخبار ..

وجاءت قريش برجالها وخيلها ، ورأى النبي ﷺ رؤيا فلما أصبح يوم الجمعة خطب الناس : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، انى رأيت في منامى رؤيا : رأيت كأنى في درع حصينة ورأيت كأن سيفي

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٤ .

ذا الفقار انتصم من عند ظبته : (ذبابة طرفه). ورأيت بقرا تذبح ، ورأيت كأنى مردف كبشا » .

فقال الناس : يارسول الله ، فما أولتها ؟ قال : اما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، واما انقصام سيفى من عند ظبته فمصيبة فى نفسى ، وأما البقر المذبح فقتلى فى أصحابى ، وأما أنى مردف كبشا فكبش الكتيبة نقتله ان شاء الله .

وقال : أشيروا على ؟ ورأى رسول الله ﷺ الا يخرج من المدينة فوافقه الا كابر من الصحابة : مهاجرهم وأنصارهم (١) .

وهذا الرأى له وجاهته السياسية ، والعسكرية :

أما وجاهته السياسية : فان المعاهدة الموقعة من اليهود مع المسلمين تقضى عليهم بالاشتراك فى الدفاع عن المدينة اذا هوجمت من الخارج ، أما اذا خرج المسلمون عنها فى عملية عسكرية فلا يلزم اليهود شىء من الالتزامات العسكرية .

وأما وجاهته العسكرية : فان الدفاع من داخل المدينة يضمن عدم خيانة اليهود والمنافقين عكس ما اذا خرج الجيش الاسلامى من المدينة .

وهذا هو الذى وقع فقد تحالف عبد الله ابن سلول مع اليهود على أن يرجع جيش ابن سلول عندما تنشب المعركة حتى ينكشف المسلمون .

وتحمس الشباب وكان مبدأ الشورى قد تقرر منذ العهد المكى على أنه صفة لازمة للجماعة الاسلامية فيما يرى النبى ﷺ طرح المشورة فيه فلا يقطع برأى يخص الامة أو الدولة الا عن طريق الشورى ممن هم أهلها .

وكان الحماس دافقا لاذعا ، وكانت مشيئة الله — قبل كل شىء — تقدم الاحداث سجلا للواقع الطبيعى لمبادىء الاسلام التى لا يجب ان يفرط فيها المسلمون فى أى زمن أو مكان فوافق النبى ﷺ على مشورة الشبان المتحمسين وليس لأمة الحرب ثم شعر أنهم استكرهوا رسول الله ﷺ على الخروج فقالوا : —

استكرهناك يا رسول الله ولم يكن لنا ذلك، فان شئت فاقعد .

فقال ﷺ : ما كان لنبى لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمرتكم فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم (٢)

وعبا رسول الله ﷺ الجنود ، وحدد المهام وقال للرماة فوق الجبل : احموا لنا ظهورنا ، فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل معسكرهم فلا تفارقوا



(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٦ — الظبة : هى حد السيف من قبل طرفه .

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٧ ، ١١٨ زاد المعاد جـ ٣ ص ١٩٣ .

مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم انى أشهدك عليهم ، وأرشقوا خيلهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل (١) .

اذن : التعبئة كاملة ، والخطة محكمة ، والمهام محددة ، وطاعة رسول الله واجبة فليس فى « التكتيك » العسكرى شىء غامض ولا مهمة غير معروفة .

وبدأت المعركة وكان النصر اول النهار للمسلمين ، وكان مقتضى المهام المحددة ، والأوامر النبوية التى أشهد عليها رسول الله ﷺ ربه ألا يتحرك الرماة من فوق الجبل ، لكن استخدام العقل فى غير موضع التفكير السليم امام النص الصريح الواضح جلب الهزيمة للمسلمين بينما ثبت رسول الله ﷺ فلم يهزم قط .

وكانت هذه الهزيمة فى حد ذاتها نصرا من الله ليتطهر الجيش الاسلامى من بقية الضعاف والمنافقين وليعلم الذين كفروا أنهم مع ما أحرزوه من شوكة على المسلمين فانهم لم ينتصروا لان النصر انما يكون بتحقيق الغاية وغايتهم قتل رسول الله ﷺ ، وقد حمفه الله وسلم منهم فعاد المشركون بحفالة(٢) شوكة مكسورة لا تذهب ظمأ قريش بالذى كانت تأمله .

وبقيت غزوة احد تعلم المسلمين درسا قاسيا متعدد العناصر : ـ

١ ـ انه لابد فى النصر من طاعة الله ورسوله طاعة صريحة واضحة .

٢ ـ ان الشورى حق ثابت للمسلمين فى السلم والحرب على السواء لا تسقط بحال .

٣ ـ أن علم رئيس الدولة بالعواقب لا يمنع المسلمين من ممارسة حقوقهم فى ابداء رأيهم المخلص لوجه الله .

٤ ـ وان العمل الاسلامى دائما فى حاجة الى تنقية... حتى تتطهر صفوف المسلمين .

ولن تعود الامة الاسلامية الى هذه المنزلة الشريفة الجلية فى العصر الحاضر الا اذا عادت الى سيرتها الاسلامية فى جدية ووضوح وصفاء .

ومن دلائل صدق النبوة فى هذه الغزوة أن النبى ﷺ قتل أبى بن خلف فقد . قال أبى للنبى ﷺ: يا محمد : أن عندى فرسا أجلها فرقا من ذرة كل يوم اقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا اقتلك عليها ان شاء الله(٣) .

وقد حدث والحمد لله .

ـ **غزوة الاحزاب : الخندق**، كانت فى شوال من السنة الخامسة حسب رواية ابن اسحق ، وخبرها يرجع الى أن شوكة قريش فى يوم احد كانت لينة لم تصب المقتل الذى يريده المجلس القومى للتخطيط : سويد اليهودى ، وابن سلول ، وأبو عامر الراهب

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) الحفالة كالحثالة وزنا ومعنى : الردىء من كل شىء . والحفالة ايضا : بقية الاقماع والقشور فى التمر والحب . وفى الحديث وتبقى حفالة كحفالة التمر اى رذالة من الناس كرديء التمر ونفايته انظر اللسان .

(٣) راجع الامتاع ج ١ ص ١٣٩ ومعنى : اجلها فرقا = اعلفها مقدار مكيل من الذرة .

الفاسق وبقية المتربصين بالاسلام ، وظل بقاء النبى ﷺ وانتشار الاسلام يهدد مصالحهم وشموخهم ، وسيادتهم .

يضاف الى هذا هروب أبى سفيان من غزوة بدر (الموعد) الذى به منصرفه من أحد ، فانه قال : موعدنا بدرا العام القابل ، وجهز النبى ﷺ لقضاء يوم أحد بيوم بدر الثانية وتسمى: « بدر الموعد » وأراد أبو سفيان أن يتستر وراء اشاعات يصنعها من نسيج خياله ، فاستأجر رجلا يذهب الى المدينة ويقص قصصا باطلا عن ضخامة استعدادات قريش ليوم « بدر الموعد » واشتغل اليهود والمنافقون ومجلس التخطيط القومى ، هذه الاشاعات ليفتوا فى عضد المسلمين ، ولكن النبى ﷺ لم يأبه بهذه الهواجس ، فاستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وسار فى ألف وخمسمائة مقاتل ، وحمل اللواء على بن ابى طالب وخرج ابو سفيان فى الفين ثم بدا له أن يرجع فقال : ــ يا معشر قريش : ارجعوا فانه لايصلحنا الاعام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن فلما رجعوا سماهم أهل مكة « جيش السويق » .

فانضم هذا التخلف عن « بدر الموعد » الى الآلام التى تكبدها اليهود فى الجلاء عن المدينة فخرج زعماء اليهود من بنى النضير ومن خيبر على السواء الى قريش يؤلبونها على رسول الله ﷺ ومشوا فى العرب يؤلبونهم على الاسلام والمسلمين فتجمعت قريش مع الأحابيش(١) مع اليهود وراحوا يحاربون المدينة : النبى ﷺ وأصحابه والمسلمين ... ونقضت بنو قريظة العهد فجاءوامن فوق المسلمين ومن أسفل منهم ، وبلغت القلوب الحناجر من الرعب والخوف ، وحفر المسلمون الخندق وبذلوا كل ما فى وسعهم العسكرى فذلك هو الواجب وما وراء ذلك فالأمر بيد الله ... ولم تكن معركة عسكرية بقدر ما كانت معجزة الهية فلله جنود السموات والارض وما يعلم جنود ربك الا هو ... فكانت الرياح التى تقلع الخيام ، وتكفأ القدور وترعب الخيل والجمال والفرسان ، وكان أول الهاربين أبو سفيان وكفى الله المؤمنين القتال ووعدهم مغانم كثيرة وأرضا لم يطؤوها .

وكان من آية هذه الغزوة : ــ

١ ــ البشارات التى أخبر بها النبى ﷺ من فتح ايران والشام واليمن .... الخ

٢ ــ ارتباط النصر بالطاعة لله ولرسوله وبذل أقصى ما فى الوسع ثم التوكل على الله فى النتائج .

٣ ــ التخلص النهائى من شوكة قريش ومن شوكة اليهود (٢) .

ــ غزوة حنين : ويقال انها غزوة «هوازن» وغزوة « أوطاس » تسمية بالمكان الذى وقعت فيه وكانت وقعتها فى لوائل شوال من السنة الثانية بعد فتح مكة المكرمة ومن حديثها :

---

(١) سكان بعض الشواطئ من مكة واحابيش قريش : جماعة من قريش وكنانة وخزاعة اجتمعوا عند حبشى وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا انظر الوسيط .

(٢) يراجع زاد المعاد جـ ٣ ص ٢٧٠ امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢١٥ .

أن بطون هوازن رأت من نفسها بعد فتح مكة أنفة وعزة فأعلنت خلافها لرسول الله ﷺ ، وانضم الى هوازن بطون من ثقيف فقد كانوا : طغاة عتاة مردة ظلمة فمشى بعضهم الى بعض وحشدوا وبغوا وقالوا : والله ان محمدا (١) لاقى قوما لايحسنون القتال ... وكان جماع امر الناس الى مالك ابن عوف النصري ـ وقد اسلم فيما بعد (٢) فلما أراد الخروج الى القتال ساق مع الناس الاموال والنساء والذرية فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم « دريد بن الصمة » فلما نزل قال : بأي واد أنتم ؟ قالوا :بأوطاس قال : نعم مجال الخيل : لاحزن ضرس ، ولا سهل دهس : يعني ليس مرتفعا كثير الحجارة وليس هشا كثيف الرمال .

ثم قال دريد بن الصمة وهو داهية حرب : ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصبي ، ويعار الشاة ؟

قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم .

قال : اين مالك ؟ ودعي له فقال له دريد : هل يرد المنهزم شيء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك (٣) .

ولما سمع النبي ﷺ بخروجهم للقتال بعث عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي ليجمع له المعلومات ففعل فخرج رسول الله ﷺ في عشرة آلاف من الفاتحين أضيف اليهم الفان من أهل مكة حديثي عهد : الاسلام .

فكانت المسيرة ضخمة جعلت المشاعر مبتهجة بكثرة الجيش الاسلامي فقال رجل لم يسمه المقريزي ـ لولقينا بني شيبان ما بلينا ، لا يغلبنا اليوم أحد من قلة .

ثم كانت الهجمة المفاجئة المباغتة من جانب جيش هوازن وثقيف فتخلخل الصف الاسلامي ليثبت للتاريخ أن النبي ﷺ صادق في نبوته ، وصادق في قيادته العسكرية فثبت ولم يتجفل حاشا لله ولكنه وقف يقول :

انا النبي لا كذب ... انا ابن عبد المطلب

وهي ليست بسالة ولكنها معجزة الانبياء لأن البسالة لا تستطيع أن تقابل الآلاف في هجمة مفاجئة غادرة بل البسالة تتحايل حتى تمضي العاصفة الا النبوة فبسالتها أن تواجه لأن جند الله تحرس نبيه ﷺ .

ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل ملائكة لم تروها .

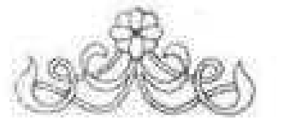
يقول ابن اسحق : ولما انهزم المشركون اتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم الى نخلة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعري فرمي بسهم فقتل فأخذ الراية أبو موسى الاشعري وهو ابن أخيه فقاتلهم ففتح الله عليه فهزمهم

البقية ص ٧١٨

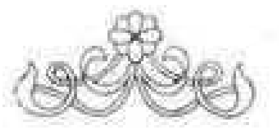
(١) صلى الله عليه وسلم .
(٢) راجع الحلبية جـ ٣ ص ١٠٦ .
(٣) زاد المعاد جـ ٢ ص ٤٢٦ .

التصوف.. في ضوء تحقيق العلماء

التصوف وأئمته



التصوف في مصر قبل القرن السابع الهجري



التصوف وأئمته

التصوف الاسلامى فى واقعه تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج للنفوس ، وغرس للفضائل واقتلاع الرذائل وقمع للشهوات وتدريب على الصبر والرضاء والطاعات فهو مجاهدة للنفس ، ومحاسبة لها على الأعمال والتروك وانقطاع عما يعوق السالك فى سيره الى الله وزهاده فى كل ما يلهى عن ذكر الله ويعلق بالقلب سواه .

وهو توجه الى الله تعالى واقبال عليه وعكوف على عبادته وتعرض لنفحاته وهباته التى يختص بها أولياءه وأحباءه .

كل ذلك مع السعى والعمل الصالح فى الدنيا بما يتزودون للآخرة وبما به قوام الحياة والعمران فى الحلال الطيب .

وهو مطلوب شرعا وحسن ممدوح فى دين الله . قال تعالى :

« فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

وقال تعالى :

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ » .

وجملة القول فيه — قبل تدوينه كفن وبعده — أنه تربية وتهذيب ، وعلم وعمل ، ووقاية وعلاج ، ودين ودنيا ، وعبادة وزهادة وتقوى وطاعة واستقامة وصبر وجهاد ، وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد .

وهو لب الشريعة وروحها ، وثمرتها وحكمتها .

وقد كان ذلك شأن جمهور الصحابة والتابعين والسلف والصالح فى أئمة الدين .

ولا نبعد اذا قلنا انهم كانوا جميعا صوفية بهذا المعنى الجامع الذى صار موضوع التصوف المدون فيما بعد وغايته ولكن على تفاوت بينهم فيه .

ذلك هو التصوف النقى من الشوائب الذى لم يخالطه زيغ ولا شطط ولا جهل ولا ابتداع .

وهو تصوف العلماء والنساك ، القائمين على حدود الله ، الواقفين عند شريعته أمثال الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ ، وأبى اسحاق ابراهيم بن أدهم البلخى المتوفى سنة ١٦١ هـ ، وأبى سليمان داود الطائى المتوفى سنة ١٦٥ هـ ، وأبى على الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وأبى الفيض ذى النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وأبى الحسن السرى السقطى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ ، وأبى محمد سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، وأبى القاسم الجنيد البغدادى شيخ الطائفة المقدم المتوفى سنة ٢٩٧ هـ ، وأبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى

لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

صاحب الرسالة المشهورة المتوفى سنة ٤٦٥ هـ وحجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، وأبى محمد عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ ، وأبى حفص السهروردى صاحب عوارف المعارف المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، والامام أبى الحسن الشاذلى على بن عبد الله المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وأبى العباس أحمد بن عمر المرسى المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، وأبى الفضل أحمد بن محمد « ابن عطاء الله الاسكندرى» المتوفى سنة ٧٠٩ هـ ، والسيد عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى المتوفى سنة ١١٣٢ هـ ، وأبى المواهب السيد مصطفى البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ ، والشمس محمد بن سالم الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ هـ ، والقطب أبى البركات أحمد الدردير العدوى المتوفى سنة ١٢٠١ هـ ـ رضى الله عنهم ، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين من الأئمة العارفين مختلف العصور .

* * *

ولهؤلاء الأئمة وأضرابهم ـ وهم صدور الاسلام وأعلامه ـ كلام جيد شاف فى الأذواق والمواجد ، التى تنشأ عن المجاهدات، ثم تستقر للمريدين مقامات ، ثم يترقون فيها درجات ، على تشدد من بعضهم فى السلوك وتفاوت بينهم حسب تفاوت أقدارهم فى العلم والذوق ، والعرفان .

ولهم اصطلاحات علمية ، واشارات ذوقية، ورموز دقيقة ، ومعان علوية ، وحكم رفيعة ، يعرفها أهلها ، ويتذوقها من وهب رقة الشعور ، ودقة الادراك . وهم فى مجال الاعراب والبيان عن ذلك متفاوتون .

ومورد‌هم الذى يستقون منه ذلك كله : كتاب الله تعالى وهدى النبوة ، وما روى عن العارفين من أئمة الاسلام .

وقد اختص هذا النوع من العلم الشرعى فى عصر التدوين ـ كما أشار اليه ابن خلدون فى مقدمته ـ باسم « التصوف » أو « علم الحقيقة » كما اختص النوع الآخر منه باسم « الفقه » أو « علم الشريعة » وهو الخاص بالأحكام العامة فى العبادات والمعاملات والعادات . وتساوق العلمان معا فى تكوين الشخصية الاسلامية الكاملة ظاهرا وباطنا ، حسا ومعنى ، روحا ومادة ، بحيث لا يكمل تكوينها الا بهما ، فكانا منها كجناحى الطائر .

وقد ألف الأئمة كتبهم فى كل منهما على حدة ، وجمع بعضهم بينهما كالغزالى فى احياء العلوم ، وهو موسوعة اسلامية جامعة ، وذخيرة ثمينة نافعة . ومما قاله بعض الصوفية : « حقيقة بلا شريعة باطلة ، وشريعة بلا حقيقة عاطلة » . تصوير دقيق لترابط هذين العلمين الشرعيين ، وتساوقهما فى تكوين المسلم الكامل .



التصوف وأئمته

التصوف الكاذب .

هذا هو التصوف الصادق الذي ملأ سمع الدنيا وأمتعها منذ عصر التدوين .

وهناك تصوف كاذب وهو الذي انتحله قديما حكام من الناس أشربوا تعاليم طائفة الباطنية الحلولية وتدثروا بدثار الصوفية اجتذابا للعامة وتغريرا ، ودسوا في التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة في الدين كأبي سبعين الاشبيلي المتوفى سنة ٦٦٩ هـ واضرابه افسادا لعقائد العامة في المسلمين .

وهؤلاء ليسوا صوفية ولا من التصوف في شيء وانما هم مرتزقة زنادقة ملحدون .

وقد كشف خبيئتهم وفند مزاعمهم كثير من أئمة الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله وتلميذه الامام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله .

وهناك آخرون انتموا الى الصوفية بل احترفوها واتخذوها سمة لهم وتوارثوا فيما بينهم بدعا سيئة وشعارات زائفة وتقاليد منكرة جهلا بالدين الخالص أو تجاهلا طمعا في متاع الدنيا ثم ظلوا عليها عاكفين لا يأبهون لعلم ولا يستمعون لنصح ولا يخضعون لحكم .

وهؤلاء — لاريب — أدعياء في الصوفية دخلاء في التصوف .

وقد انتصب للرد عليهم والتنديد بهم وتبيان بدعهم ومنكراتهم وارشادهم الى الحق والهدى كثير من العلماء الصالحين قديما وحديثا .

ومنهم العلامة عبد الرحمن الأخضري المتوفى سنة ٩٨٣ هـ .

ومنهم الأستاذ أبو المعارف الشيخ أحمد بن شرقاوي الصعيدي المالكي الخلوتي في كتابه (شمس التحقيق) المتوفى سنة ١٣١٦ هـ والعلامة الشيخ أحمد الطاهر الحامدي الأقصري المتوفى سنة ١٣٣١ هـ والعلامة والدنا الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي الخلوتي المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ رحمهم الله

وجوب انصاف التصوف البريء

ومع ذلك قد تنكر أناس للتصوف بأسره وحملوا عليه حملات شعواء عنيفة وحملوه أوزار أولئك المتصوفين الكاذبين وخطاياهم واتخذوها مكانا للطعن فيه وفي أئمته وكتبه .

ولو أنهم توفروا على دراسته والاطلاع على كتبه واستقصاء أقوال أئمته وتواريخهم وسيرهم وآثارهم وجهادهم في الدين لتبدل جهلهم بالتصوف علما وخطؤهم فيه صوابا وذمهم له مدحا ولتميز لديهم الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والأصيل من الدخيل المفترى ، ولعرفوا أن التصوف البريء من الشوائب النقي من تلك المفاسد — ما هو الا الدين الخالص والحق المحض ولباب الشرع خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وان الطعن فيه جهالة وجحود .

وأين الطاعنون فيه من أولئك الأعلام الذين أقاموا دعائمه وشادوا أركانه على تقوى من الله ورضوان ومنهم من ذكرنا من الأئمة الأعلام .

نسأل الله لهم الهداية والرشد ؟

حسنين محمد مخلوف



للدكتور غريب محمد على

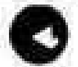
١ ــ كثرت الفروض وتضاربت الاحتمالات حول أصل كلمتى « تصوف » ، و « صوفى » حتى لا يكاد يوجد باحث أو مؤرخ أو دارس للتصوف لم يتحدث عن ذلك محاولا ايجاد مبرر مقبول أو سبب معقول من أجله سمى الصوفى صوفيا .

ولعل أقرب هذه الاحتمالات الى الصحة اللغوية ما ذهب اليه السراج الطوسى من ان التصوف مأخوذ من « الصوف » وأن « الصوفى » نسبة الى ذلك النوع من اللباس الذى (كان دأب الانبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنسكين) (١) .

ويأخذ بهذا الاحتمال ابن الجوزى ويرجحه ابن خلدون يقول ابن الجوزى بعد أن أورد آراء كثيرة فى أصل كلمة الصوفى : (وقال آخرون : بل هو منسوب الى الصوف وهذا يحتمل) (٢) .

ويقول ابن خلدون : (والأظهر ان قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف) (٣) .

ويؤكد هذا الرأى ابن على المقدسى حيث



(١) اللمع / ابو النصر السراج / ص ٤٦ تحقيق د . عبد الحليم محمود ، ط عبد الباقى سرور / ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٠ م
(٢) تلبيس ابليس / ابن الجوزى / ص ١٦٢ ط النهضة سنة ١٩٢٨ م .
(٣) مقدمة ابن خلدون / ص ٢٧٨ / ط اولى المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣١١ هـ

يورد بعض الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أن الصوف كان كساء الأنبياء ويورد أقوالا لبعض الصحابة تدل على أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يلبس الصوف (١).

وأما القشيري فيرى أن لفظ « متصوفة » كان لقبا لهؤلاء العباد المتنسكين ، ويشهد لهذا اللقب رجه من وجوه القياس فيقال : (تصوف اذا لبس الصوف ، كما يقال تقمص اذا لبس القميص) (٢) ولكن يرى أن المتصوفة لم يختصوا بهذا النوع من الملبس .

ومهما يكن من شيء فان جمهور الباحثين والمؤرخين يكادون يجمعون — الى حد كبير — على أن كلمة التصوف مأخوذة من الصوف ، وأن كلمة الصوفي منسوبة نسبة صحيحة الى هذا النوع من الملبس .

فما سنيون نراه في مقاله بدائرة المعارف يقول : (ان التصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من تصوف للدلالة على لبس الصوف ، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الاسلام صوفيا ، وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون) (٣) فهو يرفض رفضا باتا أية فروض لأصل كلمتي التصوف والصوفي غير « الصوف » .

والى هذا الرأي يميل د. محمد كمال جعفر لأن الدلائل — في نظره — (تشير الى أن أقرب الفروض الى الصحة هو فرض نسبة التصوف الى الصوف باعتباره شارة دالة في وقت معين على منهج خاص) (٤) .

وبهذا الفرض يصرح د. ابراهيم بسيوني تصريحا واضحا لأن (النسبة الى الصوف أقرب النسب الى الاشتقاق اللغوي ، ولأن ثمة علاقة بين ارتداء الصوف وبين التخفف من متع الحياة والميل الى الزهادة والاتجاه الى التنسك) (٥) .

وهناك فروض أخرى كثيرة لا تقف في قوة أمام هذا الاحتمال ، من ذلك الفرض القائل بأن الصوفي نسبة الى الصفاء ، وقد نظر هذا الفرض الى الناحية النفسية للصوفي الذي (صفت له معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته) (٦) والذي تخلص من كدورات الحياة وعلائق الدنيا وسبح في ملكوت الله عز وجل ، وصفى نفسه ونقاها

(١) صفوة التصوف / الحافظ ابو الفضل محمد ابن طاهر بن علي القدسي / ص ٥٣ / ط دار التاليف ط . بمصر سنة ١٩٥٠ م تحقيق / د . احمد الشرباصي

(٢) الرسالة القشيرية / ابو القاسم عبد الكريم القشيري / ص ١٣٨ / ط البابي الحلبي ط ثانية سنة ١٩٥٩ م

(٣) دائرة المعارف الاسلامية / مادة «تصوف» / مقال لماسينيون « لويس » المجلد الخامس / ص ٢٦٥ .

(٤) التصوف طريقا وتجربة ومذهبا / د . محمد كمال جعفر — ص ٤ .

(٥) نشاة التصوف الاسلامي : د. ابراهيم بسيوني / ص ١٠ / ط دار المعارف بمصر سنة

(٦) التعرف لمذهب اهل التصوف / ابو بكر محمد الكلاباذي : ص ٢١ — ط دار احياء الكتب

١٩٦٩ م

العربية (البابي الحلبي) سنة ١٩٦٠ .

من كل ما يعوق معراجه الصوفي . ولكن هـذا الاحتمال غير صحيح لغويا لأن النسـبة الى الصفاء صفوى لا صوفي . وفرض آخر يذهب الى أن الصوفي منسوب الى صـفة مسـجد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وذلك لقرب أوصاف الصوفي (من أوصـاف أهـل الصفة الذين كانوا على عهـد رسـول الله صلى الله عليه وسلم)(١) يلازمون المسجد لفقرهم وعوزهم . وهذا الفرض مثل سابقه لا يستقيم لغة اذ النسب الصحيح الى صـفة صفى كما أن التصوف لا يختص (بفقر ولا غنى اذا كان صاحبه يريد وجه الله)(٢) كما يقول ابن زروق .

وفرض ثالث يجعل الصوفي منسـوبا الى الصف وقد نظر هذا الفرض الى مكانة الصوفي ومنزلته والى علو قدر الصوفية الـذين هم (في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى)(٣) والواقع أن هذا الفرض صحيح من حيث المعنى ــ كما يرى القشيرى ــ ولكن مقتضى اللغة يوجب أن يكون صفى هـو النسب السليم الى « صف » .

ومن الفروض ما ذهب الى أن الصـوفي مأخوذ من الكلمة اليونانية « سـوفيا » وهي تعني الحكمة والصوفي بهذا المعنى « سوفوس » أي الحكيم . ولكن حـرف السين في اللغـة اليونانية يقابله سين لا صاد في اللغة العربية كما يقرر ذلك نولدكه الذي يـورد له نيكلسون قوله (فلو كانت كلمة صوفي مشتقة من أصـل يوناني لكان بقاء الصاد أولها خروجا عـلى القياس على أقل تقـدير زد على ذلك أنـه لا يوجد دليل ايجـابي يرجح افتـراض أن الكلمة مشـتقة من الاصـل اليـوناني سوفوس)(٤) .

وثمة فرض ينسب الصوفي الى (الصوفانة وهي بقلة رعناء قصيرة)(٥) وهذا الاحتمال يضعف أمام قواعـد اللغـة وهنـاك من الافتراضات التي وضـعت لأصـل هـاتين الكلمتين ما يجعل الصوفي منسوبا الى (صوفة القفا وهي الشـعرات النـابتة في مؤخـرة الصوفي ، كأن الصوفي عطف بـه الى الحـق وصرفـه عن الخلـق)(٦) ورغم أن هـذا الافتراض مساير للصحة اللغـوية فـان ــ في التأويل ــ في اعتقـادي ــ غـير قوى اذ العلاقة بين المتصوف وهذه الشعرات غير واضحة تماما . وعلى هذه الشاكلة نجـد فروضا عديدة وتصورات كثيرة توضع للاصل الذي أخذت منه الكلمتان ومن ذلك على سبيل المثال الظن بأن أصـل كلمة الصوفي هو الفعل المبنى للمجهول مـن « صـاف » والتصـور الذي يدعى بأن الصوفي منسوب الى (رجـل كان يقال له صـوفة واسـمه الغوث بن

٥

(١) التعرف لمذهب اهل التصوف / صـ ٢١ .
(٢) قواعد التصوف / ابو العباس أحمد بن ابن محمد زروق ــ ص ٧ ــ تصحيح محمد زهرى النجار / ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٦ م .
(٣) الرسالة القشيرية / صـ ١٢٨ م
(٤) في التصوف الاسلامي وتاريخه / رينولد نيكلسون / ترجمة د . ابو العلا عفيفي صـ / ٦٧ / ط لجنة التاليف سنة ١٩٦٩ م
(٥) تلبيس ابليس / صـ ١٦٢ .
(٦) تلبيس ابليس / صـ ١٦٢ .

مر) (١) أول سادن للكعبة في الجاهلية .

وعلى أية حال فان الفرض الأول وهو نسبة الصوفي يعد ــ في تصوري ــ أقوى الفروض وأكثرها قبولا لأن القياس اللغوى يشهد لصحته ولأن نسبة الصوفي (الى الصوف يؤيدها نصوص من أقوال الكتاب المسلمين أنفسهم (٢) مثل السراج الطوسى وابن على المقدسى .

٢ ــ وأما التعاريف التى تعرضت للتصوف والصوفي فانها كثيرة كثرة مفرطة وبالاضافة الى ذلك فانها متنوعة ويمكن ــ مع ذلك ــ أن تقسم هذه التعاريف رغم تلك الوفرة وذلك التنوع الى ثلاثة أنواع : ــ

١ ــ النوع الأول :

اهتم بالناحية الشكلية مثل المأكل والملبس والمظاهر الخارجية في الوقت الذى لم تحظ فيه نفسية الصوفي بمثل هذا الاهتمام فلم ينظر اليها ولم يتعمقها ويسبر أغوارها ويخبر مشاعرها ولم يهتم بسلوكيات الصوفي ومجاهداته ورياضاته وأخلاقه ومثال ذلك ما أورده القشيرى في رسالته على لسان أحد الصوفية حين سئل عن التصوف فقال : (التصوف اسقاط الجاه وسواد الوجه في الدنيا والآخرة) (٣)

٢ ــ النوع الثانى :

اهتم بالسلوك والأخلاق ونظر الى الصوفي على أنه ذلك الانسان المتخلق بكل خلق كريم السالك كل مسلك سليم البعيد عن كل رذيلة القريب من كل فضيلة الذاكر ربه العابد المتبتل المنقطع الى أذكاره وأوراده ولذلك قال أبو محمد الحريرى حينما سئل عن التصوف انه (الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى) (٤) .

٣ ــ النوع الثالث :

اهتم بالناحية النفسية السيكولوجية فنظر الى نفسية الصوفي وتعمق مشاعره ونظر الى بواطنه واحساساته الداخلية وعلاقته مع الله وحالاته التى يعيشها ويحسها من وجد وشوق ومراقبة وخوف ورجاء ومن صفاء وكدر ومن مقام وحال من ترق في مدراج العبودية ومن خواطر وهواجس وغير ذلك . نظر هذا النوع من التعريفات الى كل ذلك غير عابىء بالشكل أو المظهر وربما اهتم بالسلوك والأخلاق بعض الشيء ولكن الناحية النفسية كانت محور الارتكاز وجل الاكتراث وهذا ما يوضحه لنا الجنيد حين قال ان التصوف (هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به) (٥) وقوله عن الصوفي : (اذا رأيت الصوفي يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب) (٦) .

ولعل أقرب التعريفات شمولا لهذه الأنواع

(١) تلبيس ابليس / ص ١٦١ .
(٢) في التصوف الاسلامى وتاريخه / ص ٦٧
(٣) الرسالة القشيرية / ص ١٤٠ .
(٤) الرسالة القشيرية / ص ١٤٠ .
(٥) الرسالة القشيرية / ص ١٣٩ .
(٦) الرسالة القشيرية / ص ١٣٩ .

الثلاثة وأوفاها في نظري تعريف أبي علي الروذباري للصوفي بأنه (من لبس الصوف على الصفاء وأطعم الهوى ذوق الجفاء وكانت الدنيا منه على القفا وسلك منهاج المصطفى)(١).

٣ ـ لم يكن التصوف بالمعنى النظري والمفهوم الفلسفي معروفا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم (وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوفي (٢)) بل كان يطلق على الواحد منهم لفظ صحابي اكتفاء بشرف الصحبة وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا التصوف العملي الذي يعني (مجاهدة النفس والاشتغال بالعمل الصالح والتعلق بالله عز وجل مع الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بمظاهرها الخلابة (٣)).

ولا غرابة في ذلك فرسول الله ﷺ الأسوة الحسنة بين ظهرانيهم عابد متبتل داع الى حياة كلها طهر وعفة وعبادة ونسك ورفض لعرض الدنيا الزائل ، وداع الى مجاهدة النفس وكبح جماحها ومراقبة الله عز وجل ولاعجب أيضا فهم يسمعون كلام الله ويتلون آيات قرآنية كثيرة تدعو في أكثر من موضع الى الاخلاص والتقوى والعمل الصالح وتدعو الى عبادة الله الواحد القهار كما تحث على الذكر والتسبيح والتبتل والزهد في حطام الدنيا وزخرفها .

ومن أجل ذلك (انتشرت موجة النسك في صدور كثير من الصحابة الذين رافقوا زاهد الأمة وعابدها الأول رسول الله ﷺ وانتشرت معها كثير من المجاهدات والرياضات)(٤) التي أخذ كثير من الصحابة أنفسهم بها كما هو معهود عن أبي ذر الغفاري وأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان .

وانتقلت موجة الزهد والنسك هذه الى التابعين وانتشرت بينهم ولعل ذلك يرجع الى عدة أسباب أهمها الحروب الطاحنة والفتن المستمرة (والتطرف العنيف في الأحزاب وازدياد التراخي والاستهانة في المسائل الخلافية وماعاناه المسلمون من عنف الحكام والمستبدين الذين يطئون ارادتهم وآراءهم الدينية (٥)) وقد اقتدى هؤلاء التابعون العابدون بالنبي وأصحابه وساروا على نهج أسلافهم لأنهم رأوا فيهم المثل العليا في العبادة والزهادة والذكر والنسك واشتهر منهم عدد غير قليل مثل الحسن البصري وأويس القرني وتسموا (بأسماء مختلفة كالقصاص والبكائين والوعاظ (٦)) والعباد والزهاد والنساك وهي أسماء تدل في مجموعها

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف / ص ٢٥ طبقات الشافعية / جـ ٢ ص ٩٩
(٢) اللمع / ص ٤٣ .
(٣) الانسان والاسلام / الشيخ محمد الطاهر الحامدي / ص ٢٠٨ / ط دار الكتاب العربي ـ القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
(٤) التطور والتجديد في الشعر الاموي / د . شوقي ضيف / ص ٥٧ / ط دار المعارف ط رابعة سنة ١٩١٩ م .
(٥) في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ص ٤٦
(٦) التصوف الثورة الروحية في الاسلام ـ أبو العلا عفيفي ص ٨٦ ـ ط أولى دار المعارف سنة ١٩٦٣ م .

على اطراح الحياة ومتعها جانبا وتدل على الخوف من الله عز وجل كما تدل على كثرة العبادة والبكاء على ما فرطوا فى جنب الله • ولكن ما يجب ملاحظته أن هؤلاء العباد (لم يكن يجمعهم نظام عام أو تربط بينهم طريقة واحدة فى التعبد والتزهد بل كان لكل منهم نظام حياته الروحية الخاصة به) (١) **ومع نهايات القرن الثانى الهجرى انتقل زهد** التابعين الى طور جديد (**واختص المقبلون على** العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) (٤) وصارت لهم أقوالهم واتجاهاتهم النظرية التى حددت فى ظنى معالم التصوف الأولى فلقد تحدثوا عن معان لم تكن موجودة وتكلموا عن الأخلاق والنفس والسلوك محددين طريقا الى الله **يترقى السالك له فيما يعرف بالمقامات والاحوال** ، وعن المعرفة ومناهجها والتوحيد والفناء والاتحاد والحلول •

ووضعوا القواعد النظرية لهذا كله كما حددوا رسوما عملية معينة لطريقتهم وأصبحت لهم لغة رمزية لا يشاركهم فيها سواهم)

والواقع انه يصعب على الباحث تحديد الفروق الزمنية تحديدا دقيقا بين الزهد والتصوف ولكن الزهد كان ـ على أية حال ـ المقدمة الحقيقية للتصوف •

يتبع

د • غريب محمد على

حول الاستراتيجية - بقية

الله وقتل قاتل أبى عامر فقال النبى ﷺ : اللهم اغفر لعبيد أبى عامر واهله واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك واستغفر لأبى موسى •

ومضى مالك بن عوف حتى تحصن بحصن ثقيف ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبى والغنائم أن تجمع فكانت : ـ

- **ستة آلاف رأس من السبى •**
- **أربعة وعشرون الفا من الابل •**
- **أربعون الفا من الشياه •**
- **أربعة آلاف أوقية من الفضة •**

ثم جاء وفد هوازن على رسول الله ﷺ وهم اربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن صرد يدعنون بالاسلام ويودون أن ترد عليهم أموالهم وسباياهم فرد النبى ﷺ ما أمكن رده من الاموال ورجع النساء والاولاد الى ذويهم •

وكانت هذه آخر غزوات الاستراتيجية الدفاعية التى توجب على كل حاكم مسلم أن يضع فى ذهنه حماية الدولة من كل دخيل عسكرى أو نفاق حفاظا على سلامة الدولة والدين والرعية ، والله فى عون الحاكم ما كان الحاكم فى عون رعيته وكانا جميعا على الصراط المستقيم •

تمت

د • رءوف شلبى •



بقلم كريمته الاستاذة
عفاف محمد فؤاد عبد الباقى

هو العالم الجليل الذى خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثل عمله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولا نزكى على الله أحدا ، وهو أيضا المؤلف الجليل الذى يدين له كل معاصر مشتغل بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الأمينة ليغترفوا من مفردات القرآن والسنة ونصوصها ، ما يريدون وما يحتاجون اليه عند الكتابة والتأليف بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السنة . وستمضى مئات السنين واسم « محمد فؤاد عبد الباقى » أمام أبصار العلماء والباحثين ، لأن كتبه لا يمكن الا أن تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع اليها يستثبتها كلما خانته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

وقد يحسن أن نأخذ فكرة عاجلة عن الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ثم نستعرض جهوده ، ومؤلفاته .

ولد عليه رحمة الله فى الثامن من شهر اذار (مارس) سنة ١٨٨٢ م ، لأبوين مصريين . أما الأب فمن بلدة (قمن العروس) من أعمال الواسطى بالصعيد الاوسط ، وأما الأم فمن بلدة (برنبال) احدى بلاد بحرى الكثيرة ، وهو الابن البكر لأبويه . وقد نشأ بالقاهرة الى أن بلغ الخامسة من عمره ، ثم سافر مع أسرته الى السودان ، وكان والده وكيلا للادارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الأسرة فى وادى حلفا ، ثم حدثت معركة (ود النجوم) — وود النجوم اسم قائدها السودانى الذى كان يحارب مصر وقد قتل فى المعركة — وقد حدث بعد هذا أن غادر عميد الاسرة المصرية وادى حلفا الى أسوان وبقيت الأسرة هناك سنة ونصفا . ودخل ، رحمه الله فى هذه الاثناء مدرسة أسوان الابتدائية . ثم

هبطت الاسرة القاهرة .

وفى القاهرة دخل محمد فؤاد عبد الباقى ـ الذى تعرفه اليوم مجامع الاستشراق فى أوربا ، وترجع اليه فيما أشكل من مسائل الدين الاسلامى ـ مدرسة عباس الابتدائية ، ثم خلفها الى مدرسة « الامريكان » فى حى الازبكية . ولم ينتظم فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ، وبعد أن آنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعليم قام بالتدريس فى بعض المدارس فى مصر ، وكان من زملائه فى هذا المجال المرحوم الاستاذ صادق عنبر الاديب المصرى الشهير ، والمرحوم الاستاذ عبد الله أمين اللغوى المصرى الضليع .

** الوظيفه والقراءات

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفه مترجم فتقدم اليها ونجح وعين بالبنك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥ وقد عمر بهذه الوظيفة ، اذا قيست بمثيلاتها مما شغله أو شغلته من قبل ، فقد ظل بها حتى ٣ اكتوبر ١٩٣٣ م بل لعلها كانت سببا يمتد به الى أبعد من هذا ، فهو لم يتركها الا عندما صفى البنك أعماله وأحيل الى بنك التسليف عندئذ أخذ الاستاذ فؤاد مكافأته منه وترك الوظيفة ثم فتح مكتبا للنشر الاسلامى ومكث يديره زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها .

وفى الخمسينيات عين رحمه الله محققا ومراجعا بمجمع اللغة العربية . وقد تزوج الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى سنة ١٩١٠ ورزقه الله ثلاثة أبناء وثلاث بنات . وأقام مدة فى الروضة ثم انتقل منها الى الجيزة حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطىء النيل المبارك وظل فى هذا المكان الى ان توفاه الله فى ٢٢ فبراير ١٩٦٨ م .

على أن المدة التى قضاها فى البنك الزراعى تعتبر فترة استقرار فى حياته هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى . وخاصة فيكتور هوجو ولامارتين ، كما أقبل على أمهات الكتب فى الأدب العربى فقرأ كثيرا كما حفظ كثيرا ومن محفوظه « ديوان الحماسة » . وفى حياته رجال عمقوا أثرهم فى نفسه وهؤلاء هم (بعد والده) الشيخ مصطفى عبد الرازق وقاسم أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والشيخ رشيد رضا ، وهذا الاخير يعتبر نقطة تحول فى حياته غيرت مجراها وأعادت تخطيطها ، لوصح هذا التعبير .

ففى سنة ١٩٢٢ تعرف الى السيد رشيد رضا صاحب المنار وكان لقاء لم يقدر له الفراق الا بعد أربعة عشر عاما . ولم يكن فراقا بل قدرا خارجا عن ارادتهما ـ فقد توفى الشيخ رضا سنة ١٩٣٦ . وكان الاستاذ أحمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله يلازم الشيخ رضا ملازمة المريد لاستاذه الشيخ ملازمة فتحت له آفاقا واسعة فى علم الدين والسنة ووجهته كثيرا حتى غدا الاستاذ الشيخ فى

سنيه الأخيرة يثق بعلمه ويستعين به فى كثير مما يعرض له .

**** آثاره :**

١ ـ وللاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى مجموعة من الكتب الجليلة النافعة التى تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة .

واعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » الذى طبع لاول مرة سنة ١٣٦٤ هـ . وهو الكتاب الذى يجمع الالفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها وهكذا، ويضع الكلمة وامامها الآية أو الآيات التى وردت فيها ، مع التنبيه على المكى والمدنى من هذه الآيات التى تذكر أرقامها .

وقد وضع الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتابه بعد أن راجع ما الفه السابقون فى هذا المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الالمانى «فلوجل» وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

لقد أخطأ «فلوجل » فى عشرات من الكلمات حين ردها الى موارده فاستدركها عليه المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

٢ ـ واذا كان « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ



القرآنى بالنص على مواضعه من كتاب الله عز وجل ، فان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعانى لامن ناحية الالفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الحكيم » الذى وضعه بالفرنسية المستشرق الفرنسى « جول لابوم » .وهذا الكتاب يعد من أسبق الكتب فى جمع وتنسيق موضوعات القرآن الكريم .

٣ ـ وكما خدم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله ﷺ بوضع معجم للحديث الشريف عنوانه « مفتاح كنوز السنة » . وهو معجم مفهرس عام تفصيلى موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الاربعة عشر المشهورين وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح



البخارى وسنن ابنماجة وأبى داود والترمذى والنسائى والدارمى ، ببيان رقم البـاب ، فى صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث، وفى مسند ابن حنبل وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازى الواقدى ببيـان رقـم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء ، ويعـد هذا الكتاب أحد نفائس الكتب الاسلامية (١) .

هذا وقد أتم الاستاذ عبد البـاقى عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ هـ ، ٢٧ يوليه ١٩٣٤ م .

٤ ـ ثم أعقبه بكتاب آخر من عدة أجزاء بعنوان « تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لالفـاظ الحـديث النبوى » ويراد فى هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من « مفتـاح كنوز السنة » بسبب اختلاف الطبعات لكتب الحديث الاصول .

وكتاب « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » كتاب ضخم جدا ، اشترك معـه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، ولقد طبـع فى هولندة . ولهذا الكتاب قصة : حدث عندما طلب الاسـتاذ محمد فـؤاد عبد الباقى الى الدكتور ونسنك تصريحا بالترجمة باعتبـاره مؤلف كتاب « مفتاح كنوز السنة » أن بلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقـة فحسب بل أرسل اليه الفصـل الاول مـن « المعجم المفهرس للحديث النبوى » ولمـا اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفا أرسله الى دكتور « ونسنك » فسر لذلك كثيرا وكتب اليه يرجوه تصحيح (بروفات) المعجم ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله .

واذا علمنا أن المجمعيتوم به أكثر من أربعين مستشرقا فى أنحاء العالم ثم يصحح عملهم مجتمعين الاستاذ محمد فؤاد عبـد البـاقى عرفنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمـه الله ، وقيمة الجهد الذى بذله ، ثم بعد هـذا أو قبل هذا ، قيمة الكسب العلمى مـن وراء هذا العمل ، وقيمة الكسب القومى .

من أعماله الأخرى :

وهذا الجهد الضخم لم يستنفد طاقة المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فقد وسعت جهوده العلمية كتبا أخرى عديدة .

ـ فمن الكتب التى أخرجها كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو فى ثلاثة أجزاء ، ويضم الاحاديث التى اتفق على روايتها الامام البخارى والامـام مسـلم .

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد

---

(١) نلاحظ ان الكاتبة الفاضلة استعملت كلمة (وضع) فى هذه الفقرة فكانت دقيقة فى التعبير ! أن تاليف الكتاب كان لاحد المستشرقين ، وقـام الاستاذ فؤاد بوضعه فى ثوبه العربى .

المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم » للشيخ حبيب الشنقيطي ، ولكن الاستاذ فؤاد عبد الباقي زاد على ماق كتاب الشنقيطي خمسمائة حديث فاتت الشنقيطي — رحمه الله .

وللاستاذ عبد الباقي كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن » مستخرجا من صحيح البخاري . وعنوانه واضح في الدلالة على موضوعه ، وهو عبارة عن شرح الالفاظ الغريبة التي أوردها البخاري في صحيحه .. والبخاري بدوره كان قد أخذ هذه الالفاظ من كتاب « مجاز القرآن لابي عبيدة » .

كما قام الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بشرح وفهرسة كتب « موطا الامام مالك » و « سنن ابن ماجة » ، « صحيح مسلم » . كما قام بتخريج الاحاديث الواردة في كتاب « الادب المفرد » للبخاري ، وتخريج الآيات والاحاديث والشواهد الشعرية الواردة في كتاب « شواهد التوضيح والتصريح » لابن مالك ، وتخريج الاحاديث والشواهد الشعرية في « تفسير القاسمي » .

❋ كتب مخطوطة :

وله من الكتب المخطوطة التي لم تنشر — والتي يحتجب باحتجابها عنا خير كثير :

كتاب « قرة العينين في أطراف الصحيحين» وهو من ألف صفحة من القطع الكبير وفيه اضطلع بتجميع ولم شتات مواضع أحاديث البخاري ، فقد كان البخاري يورد الحديث الواحد في مواضع عدة حسب المعاني الواردة به ، حين كان « مسلم » يورد الحديث في موضع واحد حتى ليصح أن نسمي الكتاب « أطراف البخاري » .

والكتاب الثاني « جامع مسانيد صحيح البخاري » وفيه يورد الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي النصوص المتعددة للحديث الواحد حسب مواضعها في صحيح البخاري . كما جمع أحاديث كل صحابي على حدةمرتبا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية وذلك بعد أن قسمهم الى قسمين : الصحابة الرجال ، والصحابيات وعدتهم جميعا ستة وتسعون ومائة صحابي وهذا الكتاب في ستة أجزاء .

ومن هنا نستطيع أن ندرك السر في ان هذا الجهد الصابر قد استغرق ما يربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولا يزال الكتاب في حوزة أبنائه ينتظر من ينشره من الهيئات لان تكاليف نشره ينوء بها جهد الفرد .

بل ان من كتبه ما تبنته الهيئات ثم قعدت عن نشره الا وهو كتابه « جامع الصحيحين » ومازال هذا الكتاب قابعا في خزانة حديدية بالجامع الازهر (١) .

وكان الاستاذ فؤاد يكتب أحيانا بعض المقالات في بعض المجلات ، ولكنه في كتابه هذا لا يكاد يخرج عن مجال علوم القرآن

(١) لايسع مجلة الازهر الا ان تتيح للكاتبتان تعبر عن رأيها . وكم كنا نود ان نحيط بتفاصيل تسليم هذا الكتاب لمسئول معين بالازهر حتى يمكن ان ندرك مصير هذا الكتاب .

والسنة . ومن بين مقالات نشرها تباعا فى مجلة الأزهر « منزلة السنة فى الدين » .

ومحمد فؤاد عبد الباقى كان فى مصر مرجع كل من يلم فى كتابته بأمر من أمور القرآن أو الحديث لا يستثنى من هذا كبار الكتاب أو العمالقة .

ولم يضن قط على سائل علم ، وقد يحبس نفسه ويكرس وقته على سؤال سائل يوفيه درسا وتمحيصا يستند الى الاصول الوثيقة ، والمراجع المعمدة فى الموضوع ، وقد يكتب الصفحات ذات الهوامش حتى ليصبح السؤال أو على الادق الاجابة عليه ــ موضوعا متكاملا فيه غناء .

وكان رحمه الله يصنع الصنيع مع كل سائل ولو لم يكن يعرفه من قبل ... انه لايفعل هذا من أجل شخصه انما يفعله ايمانا بحق انعام عليه فهو يعيش فى ميدانه بالرأى والهداية والمشاركة فى صمت واخلاص لا يحفل بالذكر أو الاعلان .

ان كتب الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، بما وراءها من صبر طويل وجهد دؤوب وطاقة الدقة والاتقان ، وأشواق حميمة الى الكمال الممكن ، بالاستقصاء والتنظيم والتجميع والتبويب والفهرسة ــ كتبه بهذا كله اضافة علمية فى ميدان الدين تحسب لمصر وعطائها للاسلام .

وحياة الرجل الخاصة تدخل فى باب الغرائب . فنحن فى مصر كنا نسميه « صائم الدهر » فقد كان يصوم العام كله لا يفطر فيه الى أول يوم من عيد الفطر وأيام عيد الأضحى وطعامه نباتى . وكان يصوم بدون سحور . وكان محافظا فى كل شىء فزيه يتكون من « البدلة الكاملة » صيفا وشتاء لا يستطيع حر الصيف أن ينحى « الكرافات » أو « الدبوس » . كما لا تستطيع مواصفات العصر أن تمس المنديل الابيض فى جيبه أو الطربوش القانى على رأسه أو العصا الانيقة فى يده .

وكان زاهدا فى الاجتماعات ، يفسر هذا وكأنه يعتذر ــ « أن هذا الامر تقوم ــ تبعا له على الاثر ــ حقوق للناس والتزامات واجبة الرعاية والوفاء . وليس عندى وقت لهذا ولا أنا أطيق التقصير فيها لو لزمتنى » .

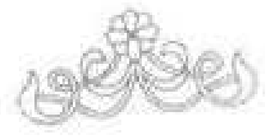
وبعد ، فهذه الجهود السخية العطاء ، الموصولة الدأب ، وهذه الحياة التى آثرت الى التبتل من أجل الدين فى صورة مشرقة مشرقة هى أجدى عليه وأقرب الى الله .

هذه الشخصية الرائعة بصبرها الصابر ، وتصميمها القادر على التجويد .. شخصية لن تنسى .

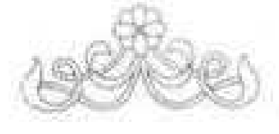
عفاف محمد فؤاد عبد الباقى

مع الشعر

شاطئ الإيمان



العودة ولدى



قف بباب "الحبيب"

شاطئ الإيمان

للشاعرة جليلة رضا

اجل ! هو الله أهواه وأهواه ... أنّىَ أسير فإن القلب مأواه

عانقت فيه رغاباً جاوزت أملى ... لا المجد يبلغها قدرًا ولا الجاه

فاسدل ستارك يادهرى على بصرى ... واهبط بليلك واستجمع خفاياه

وأنت ياساعد الاعصار ، ياقدرًا ... فى هوّة اليأس كم ألقى ضحاياه

صوب سهامك نحو القلب فى غضب ... ومزّق اليوم فى عنف بقاياه

هيهات للقلب أن يخشاك قاتله ... وأن يئنّ وأن يُقضى بشكواه

من أين ينفذ سهم فى جوانحه ... وهو الملىء بنور الله .. مولاه

الشمس تسطع فى جنبيه ضاحكةً ... والعطر يقطر مسكاً من زواياه

اليوم يا قلب لا أنواء ترهبنى ... ولا رياح ولا بحر وأمواه

انى على شاطىء الايمان آمنةٌ ... معى المنجّى · معى الحامى · معى الله



للأستاذ عبد العليم القباني

يا إلهي ، وخالقي ، ومعيني — عدت من غربتي ، وعاديقيني

فتقبل — يارب — مني رجوعي — واستجب دعوتي وبارك حنيني

عدت ، يارب ، والصبا عن شمالي — وبقاياه تنطوي عن يميني

عودة الشارد الطريد أثارت — وجده خفقة بناي حزين

الجلال الرهيب ملء فؤادي — والضياء الحنون ملء عيوني

فتقبل — يارب — مني رجوعي — واستجب دعوتي وبارك يقيني

أنا يارب ، في رحابك أسعى — غير أني أحس قيد السجين

بين ليل مضى ، شتى الأماني — وصباح بدا ، خفي الظنون

ظمئت مهجتي لنورك ، فاجعل — عنفوان السمع رائدا يهديني

وتقبل — يارب — مني رجوعي — واستجب دعوتي وبارك يقيني

ولدى

كان الشاعر قد فجع فى ولده الوحيد « محمد » فرثاه بقصيدة باكية تذكرنا بقصيدة « ابن الرومى » فى رثاء ولده « محمد » وبمقال الأستاذ « أحمد حسن الزيات » فى رثاء ابنه « رجاء » .

وها نحن أولاء ننشر الجزء الأول من هذه القصيدة على أن نوالى نشر بقيتها فى الأعداد التالية .

ودعت فيك صفاء العيش يا ولدى ... ياطول همى وياحزنى ويا كمدى

لم يبق بعدك معنى للحياة ولم ... يعد بها أمل أحيا به لغد

من شانه المال والجاه العريض فقد ... عزفت عن جاهها أومالها اللبد

وما انتفاعى بالدنيا وليس بها ... من كان عزى وآمالى ومرتفدى

كم ادخرتك للأيام فى كبرى ... لكنه القدر المحتوم لم يرد

واحسرتاه وكم أملت فيك جنى ... حتى خلت منك بالبين المشت يدى

غالت شبابك نكباء المنون فلم ... ترحم فؤادى ولم تشفق على كبدى

يا ويحها قدت الغصن الندى ولم ... ترفق يداها بغصن الشباب ندى

وحطمت صرح آمال لنا تهوى ... بعد الشموخ كأن لم تبن أو تشد

ليت الحمام الذى أرداك عاجلنى ... وفى جوارك يمسى فى الثرى جسدى

أصبحت أهواه كى ألقاك مرتقبا ... لهفان لهفة مشتاق اليه صدى

للدكتور حسن جاد

وكيف احيا بلا ظل و لاعضد … وكنت ظلى فى الدنيا ومعتضدى؟

وكيف أسلك دربا قد فقدت به … رفيق دربى ومعوانى ومعتمدى ؟

كنت الرجاء الذى احيا له وبه … فحين خاب رجائى خاننى جلدى

وكنت اخشى الردى حرصا عليك اذا … ما غالنى حرص لقمان على لبد

ياليت أنى ما جئت الحياة فلم … اولد وياليتنى اذ جئت لم الد

ما كنت احسب ان البين يفجعنا … وهنا على غرة فى ليلة الأحد

هلا تمهلت يوما كى تودعنا … فقد رحلت سريعا غير متئد

عدا عليك الردى كاللص مختلسا … فى هداة الليل لم ينذر ولم يعد

وانت تصغى الى صوت (المسجل) فى … لحن الوداع بسمع جد محتشد

تعيد ترديده لهفان محتضنا … ان ينته اللحن تبدئه وتستعد

هل كنت بالنغم الباكى تودعنا ؟ … وهل بقرب النوى أحسست يا ولدى؟

كفى عن الدمع ياعينى فليس به … جدوى سوى قرحة الأجفان والرمد

اوفاسكبيه فما لى فيك من أرب … دفنت نورك فى جوف الثرى الهمد

اذا جرى فى غضون الخد لذعنى … أواره بلظى كالجمر متقد

كم لائم فى الأسى الموصول قلت له : … عذرا لدائم دمع فيه مطرد

أبكيه حتى اذا لم يجدنى حزنى … بكيت من أجل أن الحزن لم يفد

أقسمت ـ ما عشت ـ أبكيه وأذكره … مهما تظاهرت بالسلوان والجلد

وكيف أنساه والذكرى تلاحقنى … وليس قلبى بالجافى ولا الجحد

قف بباب الحبيب

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

قف بباب « الحبيب » .. الق السلاما   واخفض الصوت .. هيبة واحتراما

والزم الجد والوقار وعظم   عند لقيا « المقام » ذاك المقاما

أنت فى حضرة « الحبيب » فأكثر   من دعاء ولا تمل القياما

كلنا ود لو ينال جوارا   يمتلى القلب نحوه لا العظاما

أنت فى حضرة النقاء مصفى   أنت فى حضرة الضياء تسامى

فاشرب الطهران تفقدت ارتواء   واطعم النور ان فقدت الطعاما

ذا غذاء الأرواح فاطمع وأبعد   نبت هذا الثرى وخل الغماما

أنت فى حضرة « الحبيب » أبى القا   سم من أم أنبياء كراما

أنت فى حضرة الصفات دعاها   خالق الكون فى « الكتاب » عظاما

فاعمر القلب ما استطعت غراما   واعمر الروح ما استطعت هياما

وانبذ الأهل والتراث ودنيا   ما سقتنا الكئوس الاسماما (١)

وابق فى الحضرة العلية روحا   قد تعالى أن يسكن الأجساما

قد حباك الاله فضلا كبيرا   فاذكر الفضل ما أصبت دواما

واشكر الله ما أطاق لسان   واقطع الليل مثنيا قواما

وادع أن يحبو الاله أناسا   مثل ما نلت موقفا ومقاما

قد براهم الى « الحبيب » حنين   وعراهم بما كبل الأقداما

حال دون المأمول قلة « شيء »   فغدا الجمع يرقب الأحلاما

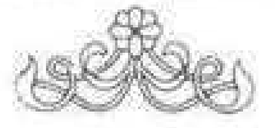
أجزل الفضل ياحبيب الهى   أنت أهل العطا فزرهم مناما

---

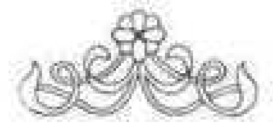
(١) جمع سم .

الإعلام.. والغرب

الاعلام الاسلامى



المسلمون فى بولندا



الأسرة فى الولايات المتحدة الأمريكية

الإعلام الإسلامي
الأسس والمبادئ

سئلت — عقب نشر الحلقتين السابقتين : —

هل هناك اعلام اسلامى ، واعلام غير اسلامى .. ؟ أليس الاعلام هو الاعلام فى بلاد المسلمين او بلاد « واق الواق » ؟! —

واذا كان هناك فرق — فما هو ؟ ولماذا ؟

ثم بادرنى آخر — فى تحد — بقوله :

أليس « التحقيق الصحفى » فى الصحافة الاسلامية هو عينه فى اية صحافةفى الدنيا — ؟!

أليس « الريبورتاج الاذاعى » هو هو فى اى اعلام .. ؟!

اليست خطوات التنفيذ واحدة .. ؟

اليست الخامات او الادوات واحدة .. (قلم) او (كاميرا) او (ميكرفون ، او (مطبعة) ؟!

والحق أن السائلين فاتهم انهم بهذه الاستفهامات ينظرون الى الاعلام نظرتهم الى اية حرفة وبهذا يمكن استخدامه لأى الأغراض خبيثة كانت أم كانت أغراضا تهدف الى خدمة البشرية ، وهم بهذا المعنى يفصلون بين الاعلام من حيث هو « مهنة » والاعلام من حيث هو « هدف » .. !

* كذلك فاتهم شىء آخر حين تحدثوا عن الأدوات وخطوات التنفيذ .. ولم يذكروا لنا :

من المحرك لهذه الأدوات ؟

ومن القائم على خطوات التنفيذ فى العمل الاعلامى ؟

وبأى مبدأ يعمل ؟ وتحت سماء أية عقيدة أو بأى فكر يستخدم هذه الادوات الاعلامية .. ؟!

* قد أتفق معهم فى أن حرفية الفنون الاذاعية واحدة ، لا تختلف كثيرا من دولة الى أخرى .. من (امريكا) الى (روسيا) ومن (ايران) الى (الفاتيكان) ؟

وقد أتفق معهم فى أن حرفية الفنون الاذاعية فى خطوات التنفيذ لاتختلف كثيرا بين اعلام اسلامى وغير اسلامى ..

* ولكن تبقى القضية الجوهرية التى نسيها هؤلاء أو تناسوها وهى قضية (المحتوى Content) أو (المضمون) الذى تحمله الرسائل والوسائل الاعلامية وهى تختلف أشد ما يكون الاختلاف بين الاعلام الاسلامى ، والاعلام غير الاسلامى ، ولو تريث هؤلاء الزملاء لاستراحوا حينما نتحدث عن الرسالة الاعلامية فى الاعلام الاسلامى وفقا لكل وسيلة اعلامية

للاستاذ حسن على محمد العنيسى

وهو ما نحن بصدد الكتابة فيه فى الحلقات القادمة على صفحات « مجلة الأزهر » .

* وقضية (المحتوى) هذه ، هى التى تجعلنا نفرق بين اعلام ، واعلام .. والمتمرس بالعمل الاعلامى حينما يستمع الى اذاعة ما فانه يستطيع أن يعرف أن هذه الاذاعة (أمريكية) أو (سوفيتية) دون أن يسمع كلمة (صوت أمريكا) أو (هنا موسكو) .. الخ كيف ؟

هناك فى المحتوى الذى تثبته هذه الاذاعات جوانب سياسية معينة تركز عليها من خلال الخبر ، والتحليل السياسى ، والأغنية .. الخ ، وهناك تراكيب لغوية معينة يستخدمها الاذاعيون ، ولهذا فانه من « المحتوى » نستطيع أن نقرر أن هذا (دعاية) ، وذاك (اعلان) وهذه (دعاية سوداء) وتلك (دعاية رمادية) .. الخ ، « فالمرتكزات المنطقية الاعلامية »(١) المبثوثة فى ثنايا (الرسالة) تجعل لكل اعلام من اعلام هذه الدول منطقا اعلاميا خاصا به وشخصية ثقافية يتفرد بها عن غيره .. !!

* فروق جوهرية عامة بين الاعلام الاسلامى وغيره : ـ

ومقياس الحلال والحرام ليس قيدا على الصحفى المسلم أو المذيع المسلم .. !! ، وانما هو تنظيم لأسلوب عمله وكل دول العالم بها قوانين وضعية تحدد ما يجوز نشره وما لا يجوز ، وسنن العمل الاعلامى الأصيل يرفض



---

(١) مقياس الحلال والحرام : فالكلمة فى الاعلام الاسلامى مسئولية وأمانة ، وحسبك أن تسمع لقول النبى ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت ، وقوله ﷺ : ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها فى النار ابعد ما بين الشرق . وعنه ﷺ قال : ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم .

وفى ضوء هذه المبادىء لاتجد صحفيا مسلما يسعى ليتجسس أو ليفضح ما أمر الله ـ تعالى ـ بستره بدعوى « السبق الصحفى » فان الاسلام ـ فوق أنه يحرم هذا الاسلوب الخبيث ـ يراه ينهى أن يشمت المسلم فى أخيه ، أو يفرح لسقطته .. « لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا » .. « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ » (٣) .

وعلى الجانب الآخر لا يعتبر الاسلام الحديث عن الشخصيات المعلنة بفسقها ، غيبة ، وهو بذلك ـ اذا ـ يضمن حق النقد وحق التوجيه والتحذير فـ « الدين النصيحة » قاعدة عامة من قواعد الاسلام لكل افراد المجتمع الاسلامى بلا استثناء ، وليس الهدف لهذه القيم الرفيعة الا ، النفع الكريم الذى يحصله المواطن فى الدولة ، فاية فائدة تعود على المواطن من نشر « زواج الفنانة س » و « طلاق الفنانة ع » ؟!!

* رواه الشيخان : البخارى ومسلم بالايمان .

٥ الإعلام الإسلامى

ما نراه فى الصحافة الاسلامية اليوم من نميمة وكذب وغيبة وخوض فى أعراض الناس ..

ومقياس الحلال والحرام يبدأ من أول المباح ويتدرج صعودا فليست المسألة اما حلال واما حرام .. !! « أبيض .. أو أسود » .. الأمر اكبر من هذا بكثير .. وندع التفصيل فيه الى حين من هذه السلسلة التى ننشرها تباعا — بعون الله تعالى .

ثانيا — الشخصية الحضارية والثقافية للمجتمع :—

فاذا كان الاعلام يعكس مجتمعه بدرجات متفاوتة فان على الاعلام فى بلاد المسلمين أن يكون أمينا فى هذا فيعبر عن أخلاق هذا المجتمع الاسلامى وآدابه ملتزما بالناحيتين فى كل مضمونه ، ويدعم شخصيته الحضارية ، وهويته الثقافية ، فلا يهرول وراء مناهج اعلامية غربية أو شرقية .. فالمجتمع بشخصيته الحضارية والثقافية يحدد ما اذا كان الاعلام المبثوث من خلاله سيكون اعلاما محافظا أو اعلاما اباحيا داعرا .. ! !

ثالثا — أسلوب المعالجة و « التكنيكات »[1] الاعلامية المستخدمة » :

ومفهوم « الحرية فى العمل الاعلامى » وحدود هذه الحريات ..

والواقع أن أسلوب المعالجة يأتى نتيجة استيعاب رجل الاعلام للفرق الاول وهو مقياس الحلال والحرام وللفرق الثانى وهو فهم الاعلام لطبيعة مجتمعه ولطبيعة « المتلقى » الذى يوجه اليه اعلامه .. ثم حدود هذه الحرية فى الحركة ، والنشر ، والبث وما يجوز قوله ومالا يجوز ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين **فليس منهم فالحرية فى الاسلام للصالح العام ولصلاح الأمة واحوال المسلمين ، والحرية مسئولية** ، وحسبك أن تعرف أن كل أوجل نظريات الاعلام العالمية اليوم تأخذ بمبدأ .. « الحرية مسئولية » هذا المبدأ الذى أرساه اعلامنا الاسلامى منذ (١٤٠٠) سنة .

❋ بهذه الأمور الثلاثة التى أشرنا اليها ابتداء — فانها لا شك تزيد عن ذلك كلما أمعنا النظر — نستطيع أن نفرق بين الاعلام الاسلامى وبين غيره من أى اعلام آخر .. يحسن القول :

ان اعلامنا الاسلامى مهمته خطيرة وجسيمة فى صراع « الأيديولوجيات »[2] الآن فى الساحة الدولية ، ومجتمعنا الاسلامى مستهدف من جميع وسائل الاعلام غير الاسلامية ، وبهذا يصبح على عاتق الاعلام الاسلامى أن يحفظ « الهوية الثقافية » و « الشخصية الحضارية » للمجتمع الاسلامى كما يحفظها من الذوبان والتآكل وسط هذا الصراع ..

---

(١) يقصد بـ « تكنيك » بناء الرسالة الاعلامية والصيغ المستخدمة من تعابير وتراكيب لغوية .

(٢) اعنى : الافكار والمبادىء العالمية كالشيوعية .. والماركسية ... الخ .

* لذا نستطيع أن نقرر : أن ممارسة الاعلام الاسلامي صار أمرا واجبا لا مفر منه والا ضاعت معالم شخصيتنا الحضارية الاسلامية . كذلك أصبح اعداد رجل الاعلام الاسلامي فرضا لا مفر من تأديته . وباتت دراسة الاعلام الاسلامي أمرا ذا بال لكل المهتمين بالعمل الاعلامي والدراسات الاعلامية في بلادنا .. فالاعلام لم يعد كلمة تقال وحسب ، أو مجرد أخبار ومعلومات لذاتها . وانما هذه الأخبار وتلك المعلومات تسير وفقا « لأيديولوجيات » معينة تخدم أهدافا مخططا لها سلفا وتعمل في اطار فلسفة سياسية واقتصادية معينة ولخدمة مصالح السياسات العامة لهذه البلاد ..

* لهذا كله تشتد حاجتنا الى وجود « نظرية للاعلام الاسلامي » تعمل وفقا لها مؤسساتنا الاعلامية .

وبنفس القدر نحتاج الى هذا الاعلام الاسلامي ممارسة وتطبيقا .

وحتى لا نتوه وراء قضايا غامضة سأضرب مثلا واحدا ـ اكتفي به ـ وللقارىء أن يتأمله جيدا .. !!

* مثـــال : ـ

افتح اية صحيفة عربية ثم افتح اية صحيفة أخرى غير اسلامية أو سجل لمحطة اذاعية من المحطات الأوربية الناطقة باللغة العربية ، ثم استمع لمحطة اذاعية عربية !!

هل نحس بفارق في الاطار العام ؟

أليست الاغاني الخليعة واحدة ؟ والمسلسلات واحدة ؟ وأخبار الجريمة في الصحف واحدة ؟ وأليست أخبار الفضائح لدينا تتفوق أحيانا على ما تنشره الصحف الأوربية .. ؟ !!

فهل يمكن القول والحال هذا ـ : ان الصحافة الاسلامية تسير على هذا المنوال ؟!٤

لا ، فان مثل هذه الجوانب المعتمة لا مكان لها في الاعلام الاسلامي ومثل هذه الأخبار لا مكان لها بأى حال من الأحوال في الصحافة الاسلامية ومن المفيد أن نقرر أن الصحافة الاسلامية ليست هي التي تقول : أن هذا حلال أو ذاك حرام وحسب .. ! وانما هي التي تتناول الحلال والحرام بالشرح والاقناع : هذا حلال لماذا ؟ وذاك حرام لماذا ؟ ثم دائرة المباح وهي والحمد لله واسعة جدا ، فلا يفهم البعض انني أريد أن أجعل من الصحف مفتيا .. ! كلا ..

* مفهوم الاعلام الاسلامي :

« الاعلام اسلامي هو تزويد الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة والحقائق الواضحة ، بوسائل الاعلام المختلفة ، وبشتى ◄

الهوامش والمصادر :

(١) د. محمد علي العويني : الاعلام الدولي بين النظرية والتطبيق (عالم الكتب) ط ١٩٧٨ م

(٢) الاحاديث : انظر صحيح البخاري ـ الرقاق باب حفظ اللسان .

(٣) انظر الآيتين بسورة النور رقم ١٢ ورقم ١٦

(٤) حسن علي العنيبس : الصحافة الاسلامية ـ مجلة الازهر .

الاعـلام الاسـلامى

الأسـاليب المتفقة مع آداب الاسـلام على أن تبين الحق للناس وتزينه .. (٥) » .

ويهتم الاعلام الاسلامى بالأخبـار بشرط الواقعية والصدق فيها ، ثم الفائدة العـائدة على الناس من وراء نشر هذه الأخبار .. (٦) .

ويرى الدكتور عمارة نجيب أن الاعـلام الاسلامى يتحقق بقرار ونية .

أما القرار فينبنى على أساس ملكية المسلمين للاجهزة والوسائل الاعلامية الحديثة ، ومـن حق المالك أن يتصرف فى ملكه كيفما شـاء ، فان كان المالك مسلما خضع فى تصرفـه لشرع الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، وشرع الله يوجب على المسلمين أن يتجهوا بأفعالهم كلها لعبادة الله ، والدعوة الى الحق ، والجهاد فى سبيله .. هذا هو القرار .

أما النية فهى الايمان بأن عجـزنا ــ نحن المسلمين ــ عن صنع هذه الوسائل وعن ادارتها لا يعنى ــ أبدا ــ تمردها على القـرار بـل يعنى ضرورة السيطرة عليها حاليا والتفكير فى صنعها فى المستقبل .. !

أما الدكتور ابراهيم فى كتابه « الاعـلام الاسـلامى » (٧) ، فاننى لم أقف لديه عـلى تعريف محدد للاعلام الاسلامى للكتاب أكثر من مرة ــ الفرق بين مفهوم (الدعوة) ومفهوم (الاعلام) فى هذا الكتاب الجليل ، بالاضـافة الى انه ينظر الى الاعلام الاسلامى على أنـه اعـلام دينى (٨) وسـيادته يشـكر على حماسه من أجل اعلام اسلامى حيث يقـول الاعلام الاسـلامى واجب على كل مـؤمن ومؤمنة ، ومن تخاذل عنه لا يعد مؤمنا .. » ، والمعروف أن (الدعوة) و (الاعـلام) فرضا كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين وليس (واجبا) كما يرى سيادته يخرج تاركـه عن الدين ، لذا وقع فى نفسى أن عبارة أسـتاذنا ليس مقصودا بها أكثر من الحث على الاهتمام بالاعلام الاسلامى .

* **والاعلام الاسلامى ــ كما نراه ــ هـو** الاخبار بالحقـائق الصـادقة والمعلـومات الصحيحة التى تخدم أهداف المجتمع الاسلامى فى اطار المبدأ الاسـلامى : « الحـلال بين والحرام بين » على أن يكون ذا اتجاهين مـن الحاكم الى المحكوم ومن المحكوم الى حاكمه مراعيا فى ذلك صدق النصـيحة ومصـلحة الأمـة .

* فليس الاعلام الاسلامى هـو خطبـة

---

(٥) محمد ناجى مسلم : الوظيفة الاعلاميـة للمسجد ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٨٠ بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية ، جامعة الامام محمد بن سعود .

(٦) د. عمارة نجيب : المدخل لدراسة الاعلام الاسلامى ، وكتابة فقه الدعوة والاعلام (مطبعـة الفاروق) ط ١٩٨٠ م.

(٧) د. ابراهيم امام : الاعلام الاسـلامى ــ المرحلة الشفهية (مكتبة الانجـلو المصرية) ط ١٩٨٠ م .

(٨) نفس المصدر السابق راجع ص ٧ ، ص ٨ و ص ٩ .

(٩) نفس المصدر السابق .

الجمعة فخطبة الجمعة جزء من الاعلام الديني ، الذي هو بدوره جزء من الاعلام الاسلامي ..

* وليس الاعلام الاسلامي محصور في شرح أركان الاسلام والعبادات فقط الخ وانما هو جزء من وظائف الاعلام الاسلامي .

* فالاعلام الاسلامي كما يعالج هذه القضايا يعالج قضايا الاقتصاد ومشاكل المواطن من اسكان ، ومواصلات ، وصحة ، فانه « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » مبدأ هام من مبادىء الاعلام الاسلامي ..

* والاعلام الاسلامي يتدفق في الساحة الدولية ، فلا يقبع في المسجد فقط مع ما للمنبر من ميزة في الاسلام عرفت في العالم كله ، فهو يتحرك خارج المسجد ليبدي رايه في قضايا الانسانية ومشكلات الانسان في العالم كله الى جانب توضيح موقفه من قضايا المسلمين في البلاد الأخرى اذا الأرض الاسلامية وحدة واحدة في المفهوم الاسلامي .

* والاعلام الاسلامي يقوم على هذا المبدأ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا .. » الحجرات ١٣ .

وما أكثر القضايا الدولية التي تشغل بال العالم كله وفي الاسلام حلول جذرية لها وليست تحتاج سوى اعلام قوي يعرضها ويجلوها للعالم ليأخذ بها وحسبك ان تعرف موقف الاسلام من التفرقة العنصرية ، والرقيق ، والسلام العالمي الشامل للانسانية جمعاء .. الخ فهي قضايا خطيرة لو اننا نستثمرها في أجهزة اعلامنا لكان كسبا كبيرا في المحافل الدولية .. !!

حسن علي العنيسي



المسلمون في بولندا

بولندا او بولونيا هي احدى الدول الشيوعية في اوربا الشرقية تبلغ مساحتها ٧٢٥ر١٢٠كم٢ • وحسب احصاء عام ١٩٨١ يقطنها ٠٠٠ر٠٦٢ر٣٦ نسمة كما يشكل الروم الكاثوليك ٩٥٪ من السكان وتتواجد اقلية اسلامية يختلف الكتاب في تقديرها من ١٥ الف نسمة حسب تقدير الدكتور على المنتصر الكتاني والاستاذ اسماعيل باليج في مقاله المنشور بمجلة معهد شئون الاقليات المسلمة في جنيف عام ١٩٧٩ م ونشرة اخبار المسلمين في اوربا الصادرة في لندن في يناير ١٩٨٢ م او ٢٥ الف نسمة كما يرى الاستاذ محمود شاكر :

الا ان المصادر البولندية الرسمية تحسبهم ثلاثة آلاف مسلم ، وهناك من يحسبهم سبعة آلاف او تسعة آلاف مسلم ، وقد كان عددهم بعد الحرب العالمية الأولى ١٥٠ الف مسلم ومجمل القول ان جميع الاحصائيات الشيوعية دأبت على تقليل عدد المسلمين في مجتمعاتها التي منيت بسيطرتها الوحشية ويمكن التقدير بان عدد المسلمين في بولندا يتراوح ما بين ١٥ الى ٣٠ الف مسلم •

يتركز المسلمون الذين ترجع أصولهم الى القبائل التتارية التركية في الشمال الشرقي لبولندا في قريتي بهوينكي وركوجنياني بولاية بيبالستوك كما توجد مجتمعات صغيرة في مناطق أخرى من بولندا بما فيها وارسو وجدانسك وزبلوتاجورا •

وفي عام ١٩١٨ كان عدد المساجد ٤٤ مسجدا في بولندا منها مسجدان في العاصمة وارسو ولا يوجد حاليا الا مسجدان في كل قرية بهوينكي وركوجنياني بالاضافة الى مقبرتين للمسلمين في البيان الذي أصدرته اللجنة العليا لاتحاد المسلمين في الجمهورية الشعبية البولندية عام ١٩٨٢ م بأن السلطات البولندية المعنية قد وافقت في العام الماضي على اقامة مسجدين جديدين في كل من وارسو وجدانسك وأن الاستعدادات تجرى حاليا لانجاز هذين المسجدين وخاصة في العاصمة وارسو حتى تتواجد جالية اسلامية كبيرة من الطلاب المسلمين الوافدين من الخارج والمسلمين البولنديين المحليين وحبذا

تقديم الأستاذ متولى الجرجاوى

لو أقيم مركز اسلامى فى العاصمة وارسو .

تاريخ المسلمين فى بولندا

تاريخ المسلمين فى بولندا هو جزء من تاريخ امبراطورية (التون أورده) (١٢٢٧ – ١٥٠٥م) التى كانت تتبعها مملكة بولونيا الكبرى المشتملة على لاتفيا وليتوانيا وأجزاء من أوكرانيا مع بولندا الحالية فى القرون الوسطى . وكانت هذه المملكة تدين بالولاء لامبراطورية « التون أورده » اسميا وتدفع لها الجزية السنوية ، ولما منيت الامبراطورية بالانقسامات والحروب الداخلية وخاصة من غزوات تيمورلنك المتكررة من جهة ، ومن جهة أخرى من المعارك التى دارت مع امارة موسكو التجأ الأمير توختشيش بن تولى خوجه الى أراضى بولندا الشرقية التى تشكل من ليتوانيا لدى أميرها فيتوفيت حيث تحالف مع ملك بولندا ضد روسيا ومع أن الأمير توختشيش هذا قد مات الا أن جزءا من امبراطوريته عاش فى شمال شرق أوربا فى الاقليم القائم شرقى كييف بالاستناد الى المعاهدات التى عقدها مع دولة الموسكوف والمعاهدات التى أبرمها مع بولندا وليتوانيا الى عام ١٥٠٢ حيث قضت عليها دولة القريم من الجنوب ودولة الموسكوف من الشرق وكانت امبراطورية التون أورده هى الدولة الاسلامية الوحيدة التى قيض لها ان تحكم روسيا وشرق أوروبا كلها ، وكان حكمها يشكل فترة هامة فى تاريخ روسيا وبولندا .

وقد أدت الحروب الاستعمارية الروسية فيما بعد الى تلاشى بقايا امبراطورية (التون أورده) وانتشار المسلمين الى الدول الأوروبية المجاورة مثل أوكرانيا والقريم والمجر وبولندا الكبرى .

وفى الأراضى البولندية – الليتوانية عمل المسلمون التتار النازحون فى المدن فى الصناعات الجلدية والدباغة والتجارة وخاصة تجارة الخيل التى كانت مقتصرة على فئة معينة من الشعب . كما كان المسلمون هؤلاء يستمتعون ببعض الحقوق أما المسلمون فى الأرياف فقد كان نزولهم قرب الحصون والقلاع لصد غزوات الأعداء . وعمل الجنود المسلمون فى الجيش البولندى حيث تكونت فى القرن السادس عشر فرق من الخيالة الخفيفة اقتصرت على جنود المسلمين المتطوعين .

ومن القادة المسلمين الجنرال بيالاى فى القرن الثامن عشر الميلادى خلالحروب بولندا مع روسيا وقد سجل الكاتب الروسى نيتولاى جوجول بعضا من هذه المعارك فى قصته المشهورة « تراس بوليان » بالاضافة الى أن

المسلمون فى بولندا

بولندا استفادت أيضا من معرفة المسلمين البولنديين باللغات الشرقية وعلاقاتهم بالشرق فكان منهم مترجمون وأمناء ومندوبون دبلوماسيون ولمع أسماء بعضهم خلال القرنين ١٥ و ١٨ الميلاديين علاوة على أن التجارة الخارجية لبولندا نشطت من خلال قوافل المسلمين البولنديين بين الدول الاسكندنافية وضفاف نهر الفولغا وسواحل البحر الأسود .

وخلال الاحتلال الروسى لبولندا فى القرن التاسع عشر شكل الروس فرقة اسلامية سميت الفرقة التتارية اللتوانية بقيادة الكولونيل يعقوب مصطفى بارنوفسكى كما اتخذت حكومة بروسيا التى احتلت القسم الآخر من بولنده تدبيرا مماثلا اذ أوجدت فى جيشها فرقة اسلامية تحت قيادة الكولونيل مرزابارونوامسكى .

أما الجنرال ماتيوسو لكيافتش قائد الفيلق الاسلامى البولندى الذى ساهم فى العمليات الحربية فيما بعد على الحدود الرومانية فقد لجأ الى القرم حيث ترأس دولة جمهورية القريم المستقلة عام ١٩١٨ ولما احتل الشيوعيون الروس شبه جزيرة القريم فر مع آخرين من البولنديين الى القفقاس حيث ساهم الجميع بقسط وافر فى تنظيم دولة أذربيجان . فعين الجنرال سولكيافتش رئيسا لأركان حرب ومنظما للجيش بينما نال غيره من المسلمين البولنديين كثيرا من المناصب الحكومية الهامة . وقد قتل الجنرال سولكيافتش بعد أن احتلت الجيوش السوفياتية أذربيجان عام ١٩٢٩ م.

وبعد اندحار الالمان فى الحرب العالمية الأولى واعلان استقلال بولندا فى صوفيا بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩١٨ أصدر الرئيس المارشال بلسودسكى أمرا بتنظيم فرقة من الخيالة التتار المسلمين البولنديين فى يناير عام ١٩١٩ م وهكذا نشأت فرقة الفتيان التتار الاسلامية بقيادة الجنرال المسلم اسكندر رومانوفتش وساهمت بجهد مشكور فى الحرب ضد الشيوعيين خلال معركتى كييف وفرصوفيا فى شهر أغسطس عام ١٩٢٠ م ولما وقعت اتفاقية الصلح فى ريغا سنة ١٩٢١م وجد المسلمون القاطنون عبر التاريخ فى مملكة « ليتوانيا وبولندا المتحدة » أنفسهم فى ثلاثة بلدان هى بولندا وليتوانيا وبيلوروسيا « روسيا البيضاء » .

وكان المسلمون فى بولندا أكثرهم نضوجا من الناحية الثقافية فآزرتهم السلطات الحكومية فى سبيل تنظيم أمورهم الدينية والثقافية .

وفى شهر ديسمبر ١٩٢٥ م عقد أول مؤتمر اسلامى بولندى حضره ثمانية وخمسون مندوبا ممثلين لثمانى عشرة مقاطعة وأقر المؤتمر استقلال الشئون الاسلامية فى بولندا وانتخب الدكتور يعقوب سينلكافيتش مفتيا لمسلمى بولندا وعين السيد يعقوب رومانوفتش نائبا له ، وفى سنة ١٩٣٠ م سافر الى الحجاز مارا بمصر كعضو فى الوفد البولندى الدبلوماسى المفتى الدكتور يعقوب سينلكافيتش وقد تشرف بمقابلة المغفور له الملك عبد العزيز

آل سعود في جده ، وكانت مهمة الوفد اعادة العلاقات بين بولندا والمملكة العربية السعودية .

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م اشترك المسلمون البولنديون في الدفاع عن البلاد ولمع نجم الفرقة التتارية في الجيش البولندي أثناء المعارك مع الالمان وروسيا السوفياتية التي احتلت الأراضي البولندية الشرقية فتعرض المسلمون الى الاضطهاد والتجاوزات الوحشية حيث نفت السلطات السوفياتية كثيرا من العائلات الاسلامية الى سيبيريا وفتكت بالكثير منهم بالسجن والقتل ـ كما انخرط الضباط المسلمون وأفراد الفرقة التتارية المسلحة في الفيلق البولندي الثاني المتواجد آنذاك في ايطاليا ثم توزعت جموعهم بعد الحرب العالمية الثانية في كثير من بلدان أوروبا في تركيا وايطاليا وفي انجلترا كان لهم نشاط ملموس تولاه الامام بوجارفاروسكي ثم هاجر كثير منهم الى الولايات المتحدة ومعظمهم يقيم حاليا في حي بروكلين في مدينة نيويورك . أما في بولندا فقد كانت أغلبية المسلمين يقيمون في لتوانيا خاصة في منطقة ولينون التي الحقتها روسيا السوفياتية بالأراضي السوفياتية وسيطر الحزب الشيوعي على حكم بولندا الحالية ومارس الشيوعيون أساليب الاضطهاد والتعذيب والتقتيل لابادة المسلمين في بولندا فاضطر المفتي الدكتور يعقوب سينكاهيتش للفرار الى مصر حيث أقام بها مدة ثم رحل الى الولايات المتحدة كما حذا غيره حذوه في الهروب والفرار من الحكم الشيوعي البولندي الى بعض الأقطار الأوربية وتركيا مما أدى الى تقلص عدد المسلمين في بولندا أو انعزالهم بسبب موقفهم المعادي من الاتحاد السوفيتي .

الأوضاع الحالية للمسلمين

أحوال المسلمين في بولندا سيئة ومهددة بالانقراض بسبب الحكم الشيوعي المعادي للاسلام الذي لا يجيز النشاط الاسلامي من تعليم الأبناء تعاليم الدين الحنيف ويمنع نشر الكتب الاسلامية واقامة المساجد والمدارس الاسلامية ويحظر خروج المسلمين للاتصال باخوانهم في العقيدة ومع ذلك فهناك بعض النشاطات الاسلامية الرسمية التي تستعملها الأجهزة في الدعاية والاعلام للايهام والتمويه على وجود النشاط الاسلامي ويتجلى ذلك في المجلس الأعلى للاتحاد الاسلامي الذي يضم خمسة مسلمين يمثلون ست جماعات اسلامية هي ٣ جماعات في مقاطعة بياليستوك وجماعة واحدة في جدانسك وجماعة أخرى في سيزسين وجماعة في وارسو برئاسة السيد ستيفان بايواستيفسكي ونائبه السيد بوغلاسلاور زاغورسكي كما أن هناك السيد محمود طه زوك امام المسلمين في وارسو وأستاذ في معهد الدراسات الأكاديمية للعلوم يزاول بعض النشاطات الاسلامية حيث قام في عام ١٩٧٣م بمعاونة أحد الطلاب المصريين باصدار نشرة باسم (الاسلام) كما يقوم بالقاء بعض

المسلمون فى بولندا

المحاضرات عن الاسلام فى بعض الاجتماعات ويقالاته ترجم معانى القرآن الكريم فى اللغة البولندية مع أن أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم وضعت عام ٨٥٨ هجرية فى غرموفيا . كما أن المفتى الدكتور يعقوب سينلكافيتش كان قد وضع ترجمة بولندية لمعانى القرآن الكريم فى أوائل القرن العشرين .

وقد زاد الضغط الشيوعى على المسلمين خلال حركات اتحاد نقابة العمال البولنديين التى يتزعمها ليخ فاليسيا فى جدانسك نتيجة اشتراك العمال المسلمين فى هذه الحركات فتعرض المسلمون لمزيد من الاضطهادات الوحشية والاعتقالات حسبما نقلت ذلك برقية فضيلة الشيخ رفعت مصطفى يوجلتن مفتى جمهورية قبرص التركية فى ٦/١/١٩٨٣ م الى رابطة العالم الاسلامى .

وقامت الرابطة بارسال برقيات الى الحاكم العسكرى لبولندا والى الهيئات والمنظمات العالمية والاسلامية فى ٤/٣/١٤٠٢ هجرية احتجاجا على المظالم التى يتعرض لها المسلمون فى بولندا وقد نشرت بعض الصحف الاسلامية هذا الاحتجاج فى حينه .

كما اقام مدير مكتب الرابطة فى عمان بالأردن بتوجيه خطاب فى ١٨/٣/١٤٠٢ هجرية الى السفارة البولندية فى عمان .

مساعدات للمسلمين فى بولندا

ان مسلمى بولندا يعيشون ظروفا اسلامية سيئة نظرا لضغط الاعلام والتعليم والتثقيف الشيوعى الذى تمارسه الحكومة فى كل وسائل الاعلام والتربية والثقافة الى جانب تعرضهم الكثيف لعوامل الاغراء والتنصير التى تتولاها الهيئات المسيحية والأغلبية المسيحية فى البلاد ، وعلاوة على عجزهم المادى والحركى بسبب الأحكام الشيوعية المعادية للأديان على نشر الثقافة الاسلامية والتعليم الاسلامى لأبناء المسلمين الناشئين فى مجتمع تتحكم فيه الشيوعية والمسيحية وضآلة الثقافة الدينية للآباء المسلمين ويفسر كل هذا تقلص عدد المسلمين من ١٥٠ الف الى ١٥ الف مسلم خلال أربعين سنة ..

وقد يؤدى استمرار اللامبالاة منهم أيضا الى تلاشى الوجود الاسلامى فى بولندا اذا استمر الحال كما هو حاصل الآن .

ومن الخطوات التى تساعد المسلمين فى بولندا :

١ ــ اعادة نشر الكتب الاسلامية وترجمتها للمسلم بحيث تجعل منه انسانا متحضرا !! (من كلام معانى القرآن الكريم التى وضعت باللغة البولندية من قبل المسلمين البدلنديين) وقد يمكن الحصول على هذه الكتب من مسلمى

بولندا أنفسهم أو من المسلمين البولنديين المهاجرين الى الولايات المتحدة وتركيا ومن جامعة وارسو التى تحتفظ فى مكتبتها الشرقية بمجموعة من تلك الكتب .

٢ ـ تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين البولنديين فى الجامعات الاسلامية لاعداد جماعات اسلامية تتولى الدعوة الاسلامية فى بولندا .

٣ ـ الاتصال بالجماعات الاسلامية عبر المجلس الأعلى للاتحاد الاسلامى فى سبيل التعرف على نشاطهم واعمالهم .

٤ ـ تقديم مساعدة مالية لترميم المساجد وانشائها فى مناطق تجمعات المسلمين . والعمل على انشاء مركز اسلامى فى وارسو العاصمة .

٥ ـ تأمين فرص اتصال بين مسلمى بولندا والمسلمين فى العالم عن طريق تأدية فريضة الحج ، وايصال الدعاة الى المجتمعات الاسلامية هناك بأى طريقة ممكنة .

« عن الرائد الهندية »
نوفمبر ١٩٨٤

متولى الجرجاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الى السادة راغبى الاشتراكات فى « مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لدى قطاع الاشتراكات :

مؤسسة الأهرام ـ شارع جلاء ـ القاهرة .

قيمة الاشتراك سنويا .

* جمهورية مصر العربية

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى .. « بالبريد الجوى »

١٥ خمسة عشر دولارا او مايعادلها .

* باقى دول العالم .

٣٠ ثلاثون دولارا او مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسسة الاهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .



يفعل التراث في المجتمع ما تفعل الوراثة في الفرد .

وكما أن من الصفات الانسانية ـ فطرية كانت او مكتسبة ـ ما هو ثابت وما يعتريه التحول والتحور ، كذلك التراث الاجتماعي ، مهما تكن خصوصيته وتمييزه لقومه ، فيه ما يتأثر بقوى التغير وعوامل البلى ، ولو في بطء بالغ . ومن هذه القوى ، كما هو معروف ، الاحتكاك المعاشي المحلي ، والانتشار الثقافي العالمي .

والمجتمع الامريكي في الولايات المتحدة الامريكية حديث النشأة ، وليس أحدث منه غير مجتمع اسرائيل . لذلك فان قيمه المكتسبة سطحية الجذور الى حد ما في أرض التاريخ .

واماتيمه الأصلية فقد كانت قيما متضاربة يتحتم عليها أن تجد صيغة لكبح الآثار المدمرة التي يمكن أن تتولد عن هذا التعارض والتضاد ، وبتكيفها اصبحت قيما متحورة او قيما مكتسبة .

وعلة تضارب هذه القيم أن المجتمع الامريكي في الولايات المتحدة في أصله مجتمع من المهاجرين الذين انهمروا على القارة العذراء من مختلف المواقع والمنطلقات ، أو المصدرين الذين تم شحنهم اليها بدوافع العقاب أو الاستغلال .

ثم اتسع هذا المجتمع بعد ذلك ليضم ملايين من كافة أرجاء المعمورة بشتى خصائصهم ومشاربهم وأهدافهم .

وبالطبع تمثلت أدوات تحقيق هذا التكيف

في التربية والتشريع والخدمة الاجتماعية والاعلام وغيرها . الا أنه يلاحظ عليها جميعا أنها استمدت فلسفتها ومعطياتها من أصول غربية ، وليس ثمة مبالغة او تكلف في القول بأنها لا اسلامية في نزوعها .

فلقد وصلت القيم الاسلامية الى الولايات المتحدة الامريكية ، عبر قنوات مختلفة وخلال عهود متنوعة ، فلم يصغ الى حتها مستمع جاد ، ولم يرحم مواطنها المهيض هناك راحم .

بقلم الاستاذ عبد الله سليمان محمد

وفي مقابل ذلك تمكنت قوى أخرى للتوجيه الهادف ، تحت عباءة الحرية والديمقراطية والبحث العلمي ، من نشر الأدواء الاجتماعية والسياسية والتشريعية والاقتصادية والأخلاقية نشرا واسعا ومستمرا .

وعلى ذلك فقد كانت تربة المجتمع الامريكي في الولايات المتحدة بيئة منشطة لنمو النزعات الأنانية ، هجومية أو دفاعية ، مغذية لفضائل المادية بثرائها وكفايتها وما فوق كفايتها ، نافخة في الغرور القومي بما أتاحته من طفرات واسعة عز بعضها على الكثيرين . ومن ناحية أخرى لم يكن حب الدنيا ومتاعها ليتيح بين الناس للفضيلة والمثل العليا فسحة تزيد كثيرا عن « العلم بالشيء » ، أو الأخذ بها أخذا يسيرا .

واذا كانت الأسرة أصغر الوحدات الاجتماعية وأكثرها انتشارا واشتهارا ، فلا غرو أن تتأثر الأسرة في الولايات المتحدة الأمريكية بمغذيات هذه التربة وان تعطى هذا التأثر تلك الصورة المنتشرة ، التي تجعلها في ذاتها ظاهرة اجتماعية وبالتالي جزءا من التراث الأمريكي .

وطالما أن الانفصال عن الأسرة والوطن ، طواعية أو كرها ، هو الراية التي دخل المستوطنون الجدد تحتها أرض الولايات المتحدة الامريكية وضعوا تاريخها ، وأن المبادرة الى اهتبال الحياة المواتية قبل الآخرين أو انتزاعها قسرا ممن لا يستطيع حمايتها هي المبدأ الذي اهتدى بندائه هؤلاء الفاتحون ، وأن السقوط في براثن الخسران المؤسي والهزيمة القاتلة أقرب آلاف المرات من الأمل أو الرغبة في العودة عن هذا المهجر المنقطع ، فلقد كان حتما أن تتعرض الصور القديمة للأسرة الى ضغوط شديدة تحور مثلها السالفة تحويرا جذيا ، وأن تضطرب الأسرة كثيرا وتتخلخل كما اضطربت وتخلخلت باقي الثوابت والمتغيرات ، وأن تستمر في الانقسام طوال الطريق بلا نية للعودة ولا وقت حتى للتشابك مع فروع المعارف والأصدقاء والجيران .

ومن جراء ذلك فقد انحصر معنى الأسرة في الولايات المتحدة الأمريكية في الزوج والزوجة وأطفالهما ، هذا اذا استمرت الأسرة الصغيرة ولم يقع الطلاق أو الانفصال بين الزوجين ، وانه لحدث عادي في حياة الغالبية العظمى من الأسر الامريكية التي يعيش قرابة نصف أطفالها بعيدا عن أحد الوالدين !

أما العائلة الكبيرة بمفهومها الاسلامي والشرقي — من حيث الرحم والترابط فشيء



لا يعرفه الامريكيون في الولايات المتحدة ، بل ان هذه الأسرة الغربية الصغيرة ، بفرض استمرارها ، تتوقع ـ وبالأحرى ترى أنه من سنن الحياة ـ أن يتفرق عنها بنوها وبناتها بمجرد بلوغهم السن القانونية ، عملا بالحرية الفردية المقدسة .

ومن عجب أن الأبناء فور استقلالهم تنقطع روابطهم بأسرهم انقطاعا لا يعرفه الاسلام بغير « قطع الرحم » . ومع أن الآباء والأمهات جميعا درجوا على ذلك واعتادوه فانهم ، ان لم يكونوا يألمون لحالهم في كبرهم ، يسعدون حقا اذا لمسوا بادرة عطف أو حنان ، ولو من شخص غريب ، وربما كانت بالنسبة لهم مفاجأة لطيفة .

والأسباب التي تدعو الى قطيعة أولى الأرحام في الولايات المتحدة كثيرة ، منها :

· قسوة المشاعر وبرودها على مذبح المادية والمتاع الميسور .

ومنها التربية على المسئولية الفردية .

ومنها كثرة تنقل الأسرة او الفرد بين الأعمال المختلفة او المدن المتباعدة أو الولايات التي تكاد تكون كيانات سياسية مستقلة .

ومنها ارتفاع تكلفة الانتقال او الضن بها لغير عائد مادى .

ومنهـا أن المسنين يجدون رعاية في المؤسسات الحكومية .

وكان الطلاق وتعدد مرات الزواج شيئا ينكرونه على الاسلام والمسلمين في الولايات المتحدة وفي غيرها ، فاذا به يصبح لديهم ظاهرة منتشرة ومتيسرة لا تثير عجبا ولا انفعالا .

والمأساة أن الطلاق يتم عندهم لأى سبب ، جاد أو تافه ، وبدون سبب أيضا ، ولا يجد التاقاضي في ذلك مانعا من الطلاق ، ولا هو ولا الوالدان يتحرجون اشفاقا على مستقبل الاطفال او صحتهم النفسية .

ان عمر الدفء في الأسرة الامريكية قصير قصير ، وان أحوال الأسرة في الولايات المتحدة الامريكية لا تستمد استقرارا من الامكانيات المادية الهائلة. بل ان القول صحيح ان الأسرة المسلمة الفقيرة تقف على ارضية صلبة من المودة وتستظل بتراث متين من القيم الاسلامية ، حتى ولو لم تكن هذه الاسرة شديدة التدين ، في حين ان نظيرتها الامريكية على شفا جرف هار ، ان لم تكن قد هوت بالفعل .

عبد الله سليمان محمد



مع العلوم الكونية

البكتريا

القمر

البكتريا

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» . (٣ ، ٤ الجاثية) .

من آيات الله فى خلقه وجود بعض العوامل أو الظواهر أو الكائنات الحية التى لا نراها بالعين المجردة ولكننا نستشف وجودها بوسائل الكشف والتحديد المختلفة طبقا لنوعها .

وبرغم أننا نراها فان لها دورا فعالا خطيرا فى حياتنا سواء بالهدم أو بالبناء وتلك عظمة الخالق ــ جل وعلا ــ فى خلقه الذى قد نعلم منه شيئا وتخفى علينا منه أشياء أو نعلم الشىء عن طريق ما يحدث منه من ظواهر ونشاطات وتلك دلالة على محدودية العين البشرية والاحساس البشرى عند حدود معينة وضعها له الخالق لحكم بالغة فى خلقه العظيم .

ومع ذلك يتطاول البعض الذين لا يعقلون ويطلبون رؤية الخالق جلت قدرته ويتجاهلون أو يجهلون أمرين :

الأول : هو قدرتنا المحدودة كبشر من حيث وسائل السمع والبصر والاحساس لنعيش فى اطار حدودنا الآدمية ونحترمها ولا نتعداها .

والأمر الثانى : أن وجود الشىء لا يستلزم رؤيته أو مخاطبته فى سماعه وانما يكفى لاثبات وجوده أن نستشعر ــ بالوسائل المختلفة ــ مظاهر تواجده .

ومن هذه الآيات العظيمة فى خلق الله عز وجل « البكتريا » فنتأمل فى مختصر قليل عنها حتى نوقن باعجاز هذا الخلق العظيم الذى لا يكون الا من خالق واحد قدير عليم حكيم هو الله الذى لا اله الا هو .

تعريف :

البكتريا مخلوق يتمتع بكل صفات الحياة فهو يأكل ويهضم الطعام ويتنفس وينمو ويتكاثر بل ويتحرك أحيانا ويسكن أحيانا أخرى .

وهو عبارة عن خلية وحيدة تتخذ أشكالا مختلفة ، وهى أصغر بكثير من خلايا النبات والحيوان .

مهندس محمد ابراهيم حسين عبد المطلب

أشكال البكتريا :

تظهر البكتريا اما فى شكل كروى مثل حبة العنب وهى توجد وحيدة واحدة أو مثنى أو رباع •

أو تتجمع على هيئة ثمانية أفراد •

وقد تتخذ شكلا آخر وكأنها حبات عقود منتظمة فى سلسلة ، وقد تتجمع فى كتل كبيرة كما تتجمع حبات العنب فى عناقيدها •

أو تظهر فى شكل (عصوات) دقيقة قد تكون فرادى ، أو تنتظم كما تنتظم (عقل) الأصبع ، أو تظهر على هيئة لولبية أو حلزونية أو على شكل حرف (واو) •

والنواع الرابع : للبكتريا يظهر لنا على هيئة خطوط دقيقة وقد تتفرع فى بعض الأحيان تفرعا بدائيا •

ولكن الأمر قد يختلط على الناظر خلال المجهر الى هذه الأنواع فمثلا بكتيريا (التيفود) تشبه بكتيريا (الدوسنتاريا) تحت المجهر فكلاهما عضوى الشكل ، ولكن بكتريا (التيفود) الحية تجرى هنا وهناك بينما الأخرى تقف ساكنة ، ولهذا لا يعتمد العلماء اعتمادا كليا على شكل البكتريا لمعرفتها المعرفة الصحيحة بل لابد من اختبارات خاصة اما بالأصباغ أو بما تجريه من تغيرات فى مركبات كيميائية خاصة أو بما تفرزه من ألوان خاصة تميزها عن غيرها وهكذا يمكن تصنيف الآلاف من أنواعها وسلالاتها •

كيف تتحرك البكتريا :

من البكتيريا ما هو متحرك ومنها ما هو ساكن وتتحرك البكتيريا بواسطة أعضاء خاصة تشبه المجاديف أو الأسواط وقد اختلفت البكتيريا اختلافا واضحا فى امتلاكها لأعضاء الحركة فميكروب « الكوليرا » له سوط واحد يضرب به الوسط فيدفعه الى حركة سريعة ، ولميكروب « الزهرى » أربعة أسواط قد لا تتحرك بها وانما تجرى كالحية تتخبط وتتلوى •

وهناك تنظيمات أخرى تنتظم بها الأسواط على جسم البكتيريا فأحيانا تتجمع كخصلة من شعر فى أحد طرفى الخلية أو كخصلتين على كل طرف خصلة • وبهذه الأسواط تتحرك (البكتيريا) بسرعة رهيبة فللبكتيريا حركة لا يمكن أن يجاريها فيها أى كائن حى آخر على ظهر الأرض بمقارنة كل بطوله •

وقد قدر ذلك فوجد أن البكتيريا تستطيع أن تقطع مسافة قدر طولها حوالى مائة مرة فى الثانية الواحدة ولو جاراها فى هذه السرعة انسان بالنسبة لطوله لكان المفروض أن يقطع مسافة حوالى ٥٥٠ كم فى الساعة •



البكتريا

جسم البكتريا وكيفية تاثيرها على الكائن الحي

للبكتيريا شكل محدد يحدده جدار يحيط بجسمها كما يحيط الجلد بجسم الانسان وهو

بهذا يحميها من ظروف الحياة القاسية التي تحيط بها في كثير من الاحيان وقد يحيط بهذا الجدار افراز هلامي قد يبلغ من السمك اضعاف الميكروب نفسه ويعرفعنا (بالكبسولة) وتصبح كقلعة حصينة يستغلها لحماية نفسه من الاجسام المضادة التي تتكون في الكائنات الحية .

وداخل الجدار توجد الكتلة (البروتوبلازمية) الحية وقد دلت الابحاث الحديثة على وجود نواة محددة في جسم البكتيريا تنظم شئون حياتها .

ومادة (السيتوبلازم) ـ أو مادة الحياة لكل خلية ـ توجد بها مركبات اخرى منها مواد غذائية مدخرة على هيئة تنظرات زيتية دقيقة أو حبيبات دهنية وسكريات معقدة أو مواد كبريتية وخلافه .

انتشار البكتريا :

ويرجع سبب انتشار البكتيريا انتشارا واسعا في أرجاء الكون الى وجود مركبات كيميائية معقدة يطلق عليها اسم الانزيمات او الخمائر وأصبحت البكتيريا على دقتها معملا قائما بذاته تجرى في داخله أو خارجه أعوص العمليات الكيميائية وأعقدها في دقائق معدودات فتحيل الغذاء الى سموم قاتلة وتفتك بالأجسام الحية والميتة .

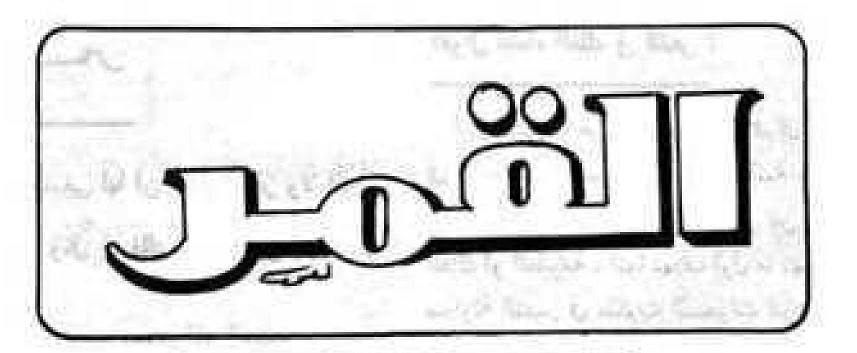
وتستطيع البكتيريا أن تعيش بمساعدة (انزيماتها) على كل مالا يخطر للانسان على بال ، فهي تستطيع أن تعيش على (الكبريت) ومركباته وعلى غاز (النيتروجين) الجوى ومركباته وعلى (الأيدروجين) فتحولها الى ماء بل وعلى (مركبات البترول) في أعماق الأرض وتستطيع أن تستغل مركبات الحديد فتحولها من صورة الى أخرى .

والجسم البشرى على ضخامته والبكتيريا على ضآلتها كلاهما سواء في امتلاك هذه الأنزيمات بل ان البكتيريا قد تحتوى على (انزيمات) كثيرة لايوجد لها مثيل في المخلوقات الراقية .

وزن البكتريا وحجمها :

يصل وزن البكتيريا الى حوالى (٠,٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٢) من الجرام أى أن جراما واحدا يحتوى على عدد من أفراد البكتيريا قد يصل الى حوالى ٥ مليون مليون فردا . واذا أردنا أن نتصور ضآلة البكتيريا تصورنا أن مسافة صغيرة طولها ١ ملليمتر يمكن ان يتراص فيها طابور طويل من البكتيريا يصل عدده الى الألف . أو لو أن بلورة صغيرة من بلورات السكر أصبحت على هيئة مستعمرة بكتيرية فان هذه المستعمرة الصغيرة يمكن أن تحتوى على حوالى ٥٠ مليون بكتيريا .

البقية ص ٧٥٤



كيمائى منير عبد الفتاح عبد الحميد

ذكر كتاب الله القمر اكثر من خمس وعشرين مرة ، وهذا الذكر المتكرر يدل ــ باديء ذى بدء ــ على عناية التنزيل المجيد بهذا الكوكب الذى خلقه الله وابدعه ويسر الانتفاع به لعباده ثم نلحظ قسمه تعالى بالقمر كما فى سورة المدثر كلا والقمر (آية ٣٢) وفى سورة الانشقاق « وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (اية ١٨) اى اذا تم واستدار وسار بدرا ، ثم فى سورة الشمس « وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا » (١ ، ٢)

والقسم بالشىء لحقيقته ومكانته كما له أثره ولذلك يذكر الامام الرازى : أن الله تعالى ينبه عباده دائما بأن يذكر فى القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة ، حتى يتأمل المكلف فيها ، وليشكره عليها ، لأن الشىء الذى يقسم الله تعالى به يحصل له وقع فى القلب فتكون الدواعى الى تامله أقوى ا هـ .

ومن عناية القرآن أيضا بالقمر ورود سورة من سور القرآن حملت اسمه « سورة القمر »

والقمر مصدر للنور فى الليل «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (١) ونحن نعرف من المعلومات الكونية أن الضوء أقوى وأبلغ من النور لذلك نسبت الآية الضياء الى الشمس لأنها أقوى من القمر ونسبت النور الى القمر .

منازل القمر واشكاله :

قال تعالى : « وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ

(١) يونس الاية ٥ .

القمر

لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٧ — ٤٠) .

صدق الله العظيم .

فالقمر له منازل مقدرة وأشكال متوالية وكل شكل له من هذه الاشكال يكون بمقدار معين وزمان محدد وبترتيب تصاعدى فى النصف الأول ثم بترتيب تنازلى فى النصف الأخير من الشهر . وفى معنى « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » التى جاءت فى سورة الانعام أن الله جعل القمر مع الشمس سببا لضبط حساب الزمن لان طلوعهما وغروبهما وما يظهر من تحولاتهما واختلاف مظاهرهما كل ذلك ينظام وحساب يحدد الايام والليالى ، والناس محتاجون اشد الاحتياج الى هذا الضبط .

قال القرطبى « جعل الله تعالى سير الشمس والقمر بحساب لا يزيد ولا ينقص فدلهم بذلك على قدرته ووحدانيته » اهـ .

وأول من استفاد من هذه الدقة علماء الفلك والطبيعة على الرغم من تباين طلهم ونحوانتهم فوقتوا المواقيت ووضعوا الحسابات الفلكية على ذلك .

أقوال علماء الفلك فى القمر :

ليس الهدف من ذكر بعض الأقوال العلمية فى القمر هو تفسير الآيات القرآنية ، اذ أن كتاب الله لا يخضع لأقوال البشر من علماء الفلك أو الطبيعة ، انما نهدف أول ما تهدف الى محاولة التدبر فى ملكوت السموات لنرى عظمة الخالق « بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ » البقرة (١١٦)

والقمر جسم كروى مظلم ولكن اشعة الشمس تضىء نصفه المقابل لها .

ويبعد القمر عن الأرض بمسافة قدرها ٣٨٤٫٠٠٠ كيلو متر (١) ، وتبلغ كتلته (٧٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) طن (٢) وقطره الاستوائى (٣٤٨٢٫٨) كيلو متر (٣) أى ما يعادل ربع قطر الأرض ، وحجمه (٠٫٠٢) من حجم الأرض .

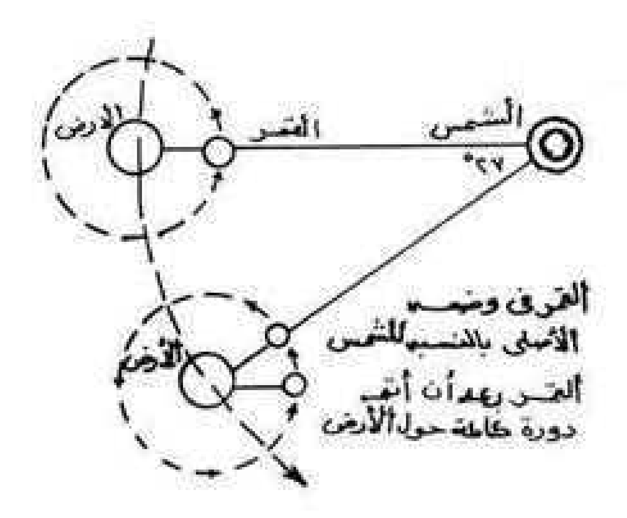
والجاذبية على سطح القمر تعادل سدس الجاذبية الأرضية ، وتبلغ درجة حرارة الجانب المضىء (المواجه للشمس) حوالى مائة درجة مئوية بينما تصل درجة حرارة المناطق البعيدة عن الشمس حوالى مائة درجة مئوية تحت الصفر .

---

(١) المسافة قدرها اربعة وثمانون وثلاثمائة الف كيلو متر .

(٢) الكتلة وزنها اثنان وسبعون الف مليون طن .

(٣) قطره الاستوائى اثنان وثمانون واربعمائة وثلاثة آلاف ، وثمانية من عشرة كيلو متر .



دورة القمر حول الأرض ثم رجوعه إلى وضعه
الأصلى بالنسبة للشمس

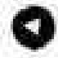
حركة القمر:

يدور القمر حول نفسه (محوره) من الغرب الى الشرق مرة واحدة كل ٢٧½ يوم وهى نفس المدة اللازمة لكى يتم دورة كاملة حول الأرض وبذلك يكون النهار القمرى حوالى ١٤ يوما أرضيا ، وبالمثل طول ليل القمر ، وبالمقارنة بدوران الارض حول محورها الذى يتم مرة كل ٢٤ ساعة يكون متوسط طول كل من النهار والليل حوالى ١٢ ساعة .

ومن المعروف أن الشهر القمرى يبلغ مقداره ٢٩½ يوم ، وهذا يعنى أن القمر يستغرق ٢٩٥½ يوما لكى يمر بكل أشكاله المختلفة ومن هنا نعلم أن هناك فرقا قدره يومان تقريبا بين دورة القمر حول محوره وبين مقدار الشهر القمرى وهذا الفرق نتيجة لحركة الأرض حول الشمس اذ أنه خلال دوران القمر حول الأرض دورة كاملة تكون الأرض قد تحركت بمقدار ٢٧° فى مدارها حول الشمس . ولكى يرجع القمر الى نفس الوضع الأصلى من الشمس فانه يتعين عليهأن يقطع مسافة اضافية توازى ٢٧° حولالأرض وهى نفس الزاوية التى قطعتها الارض حول الشمس وذلك يحتاج الى يومين تقريبا .

أشكاله المختلفة

يظهر لنا القمر باشكال مختلفة خلال الشهر القمرى وذلك يرجع الى أن الشمس تضىء



القمر

نصف القمر المواجه لها بينما يظل نصفه الاخر والبعيد فى حاله اظلام • هذه الحقيقة البسيطة اذا اقترنت بحقيقة أخرى وهى دوران القمر حول الأرض ظهر القمر لنا وكأنه يتشكل فى أوجهه المختلفة خلال دورانه حول الأرض وبذلك تتغير أوجهه من «محاق» حيث لا يرى القمر فى أول الشهر العربى لانه يتوسط بين الأرض والشمس فلا يظهر منه نور على الأرض ، ثم يظهر خطا رفيعا منيرا ويسمى الهلال ، ثم يأخذ الجزء المستضىء فى الازدياد حتى اذا مضت سبعة أيام تحول شكله الى نصف دائرة ، ويقال حينئذ أنه فى التربيع الأول ، ثم يأخذ فى الزيادة على نصف الدائرة ويدعى « بالأحدب » وفى اليوم الخامس عشر من الشهر العربى تتوسط الأرض بين الشمس والقمر فيظهر لنا القمر على شكل دائرة ويسمى البدر ، ثم تتكرر الأوجه السابقة على عكس ما مضى وهكذا بقية الشهر •

نورانية القمر :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا »يونس آية ٥ •

تعرف النورانية على « أنها الخاصية الانعكاسية لجسم ما » وقد حددت بأنها « نسبة الضوء المنعكس من الجسم الى الضوء الذى الساقط عليه » •

والنورانية أقل من الضياء لانها ناتجة عنه• وقد وجد أن نورانية القمر بصفة عامة تساوى ٠٧٣ر٠ أى انه لا يعكس الا ٧٫٣٪ من الضوء الساقط عليه • وبعبارة أخرى فان وجه القمر المواجه للأرض ليس ساطعا بالدرجة التى يبدو بها ولكنه يلمع فى الفضاء لانه يعكس نسبة من الضوء الساقط عليه - وذلك تقدير العزيز العليم •

منير عبد الفتاح عبد الحميد

البكتريا - بقية

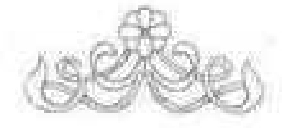
وقد وجد أن البوصة المكعبة فيها من ميكروبت التيفود ما يقدر عدده بحوالى ٩ مليون مليون ميكروب •

والبكتيريا العضوية مثلا يبلغ قطرها حوالى (٠٠١ر)ملليمتر وطولها حوالى (٠٠٥ر) — (٠٠٨ر) ملليمتر اى أن حجمها يصل الىحوالى (٠٠٠٠٠٠٠٤ر٠) ملليمتر مكعب وبالرغم من هذه الضآلة فى الجسم والوزن وبالرغم من أننا لا نراها فقد قدر أحد العلماء أن وزن الميكروبات الموجودة معنا على الأرض يزيد على وزن كل الكائنات الحية الأخرى بحوالى عشرين مرة سواء كان انسان أو حيوانا أو نباتا فى الأرض أو المحيطات •

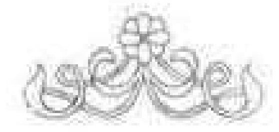
فان حديثنا عن البكتريا شيق وطويل وملىء بمعجزات الخالق جلت عظمته وقدرته وتستكمله بمشيئة الله فى مقالات قادمة •

محمد ابراهيم حسين عبد المطلب

من التراث



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر



مجلة الأزهر من خمسين عاما

خلاعة النساء

تقودنا إلى الهاوية

للأستاذ علي الجندي

الحق والحقيقة مبدآن اساسيان من مبادىء الشريعة الاسلامية . عليهما قامت ، واليهما دعت ، وهما دعوة الرسل جميعا ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

وجماع الفضائل الحميدة ، والآراء الرشيدة ، والاخذ بأسباب الحياة السعيدة ، اتى بكل ذلك الاسلام ونبى الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وقال ايضا : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

ان الذوق طبع فى النفس ، وهو فى ذات الوقت نسبى . يتناوله كل شخص حسب مزاجه وتركيبه ، ولكن هناك امور لا تمت الى الذوق بأدنى صلة ، نجد ذلك فى الرجال والنساء ، ولكنه فى النساء اوضح اذ انه اقرب ما يكون الى الخلاعة منه الى الذوق السليم .

ان الاسلام قد كرم المرأة ، وأعطاها من الحقوق ما كانت محرومة منه طوال عصور ما قبل الاسلام فرد اليها انسانيتها المسلوبة ، وكرامتها المهدرة ، ووضع قدمها على سلم الحياة الانسانية واحاطها بهالة من التقدير والاحترام .

فما الذى نرى عليه حال المرأة فى ايامنا هذه !!! . حرية فى اسراف ، وتزين فى اسفاف ، وابراز مفاتن فى مغالاة ، تجرى وتلهث تريد قلب حقيقتها التى خلقها الله عليها وطمس معالمها التى خلقها الله بها ، فهل هذا ما دعا اليه الاسلام ونبى الاسلام !! ان الذين يزعمون ان التفسخ والانحلال حضارة . مخطئون ، وان العرى والتبرج . تقدم مضلون مضللون .

تقديم عبد الفتاح حسين الزيات

يا قوم . ان تقدم المجتمعات وتأخرها مرتبط اشد الارتباط بنواميس اخلاقية وسنن اجتماعية . وتقاليد ثابتة نابعة من اصول دينها وشريعته .

فهل نحن عائدون الى الاخذ باسباب الحياة الحرة الكريمة من ديننا الحنيف وشريعتنا السمحاء ؟ هل آن الاوان لنقول : نفى . وليفق الغافلون ؟ .

قال الأستاذ :

« ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » حديث شريف .

لست أعجب لشىء من شئون حياتنا عجبى لهذا الداء الدوى الذى تفشى كل دار ، وغزا كل أسرة ، وسرى فى بيئتنا المصرية سريان النار فى الهشيم .

ووقف ازاءه المصلحون حيارى مشدوهين ، لا يدرون ماذا يصنعون .

وأعنى به تلك الخلاعة الفاضحة ، وذلك التبرج المشين الذى هتك الحجال عن المصونات ، وأبرز من الخدور المخبئات ، وسوى بين الحرة والأمة ، وأقام من النساء فى الشوارع والميادين سوقا حافلة تنتهك فيها الحرمات جهارا ، وتباع الأعراض بيع السماح .

انك فى أى مكان من تلك المدينة التى هى حاضرة الشرق العربى ، وأفخم مدن الاسلام، ومقر أكبر معهد للحنيفية البيضاء ، لا ترى الا ما يقذى العين ، ويصدع الفؤاد من مظاهر للسفور والاستهتار ، لا تبرأ منها الطفلة اللاعبة ، والفتاة الفاتنة ، والمرأة النصف ، والعجوز الشمطاء ، كأن ذلك مما أوجبته الشرائع السماوية ، وفرضته القوانين الوضعية ، وأكده العرف العام حتى يعد الخروج عليه معرة تندى لها الجباه ، وتنكس الرءوس .

لقد دالت دولة الثياب السابغة الساترة لأطراف السيدات ، واختفى على أثرها اللثام الكثيف ، وحل محله نقاب كثوب الرياء يشف عما تحته ، فالا يكن هو السفور بعينه فهو أشد منه فتنة ولم يقف النساء عند هذا الحد فقد نزع السواد الأعظم منهن الخمار ، وخلعن العذار ، وبرزن للناس شبه عاريات أما التأطر فى المشى ، والتخلع فى الحركات ، وغشيان الملاهى والمراقص ، والاختلاط بالرجال ، فشىء يطول وصفه ، ويستفيض حديثه . فيالك فتنة سافرة كصاحباتها تهدد بالشر المستطير ، وتنذر بالويل والثبور .

٩

ومما كان ضغثا على ابالة أن فسدت المشاعر ، وماتت الضمائر ، وسقمت العقول ، فأصبح الفتى وقد كان حريا أن يتحدث بنعمة الله عليه (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا) يفاخر بالفسوق ويجاهر بالعصيان ، ويعد من التمدين أن يصاب بالزهرى والسيلان هذا بعض ما تعانيه الفضيلة في هذه الأيام القاتمة التي غاض خيرها وفاض شرها فسمى الخليع ظريفا والماجن لطيفا والفاتك متمدينا والتقى الورع متأخرا والناسك العفيف بليدا جامدا والعالم العامل وضيعا خاملا فلا حول ولا قوة الا بالله .

ولقد كان لذلك أثره السىء في شئون الأمة عامة : ففشت الأمراض السرية ، وانحطت الأخلاق وضعفت النخوة والحمية وأضرب الشبان عن الزواج لتيسر قضاء الاربة وعدم الثقة بطهر الفتيات ، وبذا أصبحت الأمة مهددة بضياع الثروة وذبول الصحة وانحلال الأسرة وتصدع المجتمع وما بقاء أمة أصيبت في كل عناصر حياتها .

اما تأثير التبرج في شئوننا الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج : فلقد حدا النساء الى الاكثار من الازياء ، والتفنن فيها الى حد مدهش ، واستنزفت تبعا لذلك الأموال المصرية ، لتعمر بها الجيوب الأجنبية ، ورأينا في كل يوم بل كل لحظة نموذجا جديدا (مودة) تتحفنا به (باريس) . وهكذا انصرف النساء عن القيام بتربية الأولاد ، وتدبير المنازل الى الخلاعة ومقتضياتها ، والهيام على وجوههن في كل واد .

ومن الفكاهة أن أقص عليك هذه الطرفة لتتبين ما ينوء به الرجال من أعباء النفقات الكمالية . فقد ذكروا أن رجلا اشترى لزوجه معرضا (فستانا) اقترحته عليه ، وما ان جاوز باب المحل حتى أخذ يعدو عدو الظليم ميمما منزله ، فاستوقفه أحد أصدقائه (وقد أخذ العجب منه كل مأخذ) فقال له لا تعجب فانى اشتريت الساعة هذا (الفستان) وأخشى أن تظهر (مودة) جديدة قبل ان أصل الى البيت ، من هذه الحكاية سواء أكانت حقيقة أم خيالية . تعرف مبلغ تعلق السيدات بسفاسف الأمور ، وارهاقهن للازواج بما لا طائل تحته . تلك حال شاذة تجب على الأمة ازالتها بما تملك من حول وطول ، لأنها مخالفة للشرع والعقل والذوق ، وفي بقائها ضياع الأموال والأنفس والثمرات .

أما الشرع فلأنه يحرم على المرأة أن تبدى زينتها لغير من ذكرهم الله في كتابه ، والحكمة في ذلك جليلة واضحة . وقد وصى تعالى نساء نبيه وهن في الذروة العليا من الطهارة والصون بقوله عز من قائل (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) وقال تعالى (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ) وقال ﷺ وهو من آيات رسالته (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن

ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) .

وأما العقل فلأن العقول فى أدنى الدرجات ، وأحط الدركات ، تستقبح أن تصير المرأة وهى فى حوزة رجل خاص يضن بها الضن كله ، ويحرص عليها حرص الجبان على مهجته، متاعا مشاعا ونهبا مقسما بين النواظر والأبصار .

فحسن أن تتربى المرأة لزوجها فى خلوتها وجلوتها بما تشاء ، وتتحلى بما تريد ، ولكنه قبيح ومستبشع أن تهجر خدرها لتقيم من نفسها معرضا متنقلا يشهده العامة والخاصة ، ومن الغريب أنها فى بيتها قد تكون غير آبهة للزينة ولاحافلة بالتجمل ، بل قد تكون مثالا لقذارة البدن والثياب . حتى اذا همت بالخروج لم تدع شيئا من ألوان الأصباغ ، ولا ضربا من ضروب التطرية والتصنع الا أفرغته عليها .

وأما الذوق فلأنه ركز فى الطباع الكريمة والأذواق السليمة أن المرأة مكان الصيانة والحرز والمنعة ؛ وعلى هذا درج الشعراء قديما وحديثا فى وصفها : فشبهوها بالدر المصون ، واللؤلؤ المكنون وقالوا بيضة الخدر ، وربة الصون وذكروا تمنعها بالحراس والرقباء والأسنة والقنا ، واحتجابها حتى عن النسيم والشمس والقمر ، فتبذل النساء الى درجة يزحمن الرجال فيها بالمناكب ، ويأخذن الطريق على الغادى والرائح من غير ضرورة الا شهوة التبرج والسفور ، مما يمجه الذوق ويأباه الطبع وتنفر منه الفضيلة .

وقد خسرت المرأة بذلك أضعاف ما تظنه ربحته ، فقد مضى عهد كان فيه أصلب الناس وجها وأخشنهم طبعا يرى المرأة فيغض طرفه اكراما للأنوثة الطاهرة ويعتقد لسانه أن ينطق بكلمة فحش أو بذاء ، حياء منها ومهابة لها ، فأصبح النساء الآن هدفا للألفاظ الجارحة تسيل بها ألسنة السفلة والأوغاد (والجزاء من جنس العمل) وأمسى الرجل بعد أن كان يجل الأنثى فيفسح لها الطريق اذا مرت ويخلى لها مكانه اذا حلت ، لا يعنى بشأنها ، ولا يحفل بأمرها .

والحق أن هذا الأمر قد أهم أرباب الشرف والكرامة ، لأنه نذير اباحة وطليعة الفوضى الخلقية التى تأتى على ما ورثناه من دين قيم وخلق كريم وعادات شرقية حميدة . واذا كان هذا نصيبنا من مفاسد المدنية الغربية فى تلك السنين القليلة التى تم فيها الاختلاط فما الظن اذا توالت علينا الأحقاب والأجيال ؟

على أننا لا نقلد الأجانب الا فى المساوىء والمثالب ، فأما حسناتهم فنحن عنها معرضون ثم لنسأل أنفسنا فى عجب ودهشة أليس لتلك الدمى الانسانية السادرة فى غيها قيم أو كفيل من أب أو أخ أو زوج أو قريب ؟ ألا يحدث الرجل نفسه بما يراه فى الطرقات من مخاز يربد لها وجه الفضيلة فيحفزه ذلك الى أن يحمى حريمه ويمنع حماه ؟ ألا يجد فيما يشاهده صباح مساء وما يسمع به من أسرار القصور وأنباء الدور مقنعا يجعله يمسك بعرضه أن يزج به فى هذا المعترك المختلط والمأزق المتلاحم ؟ و لايطوفن بعقل القارىء

الكريم أننا نريد للمرأة أن تقبع فى بيتها كالسجين المصفد ، فلا تشم الهواء ولا ترى الخضرة والماء ، ولا تتمتع بما أبدعته يد القدرة والصناعة مما يقر العين ويبهج الفؤاد ، فالمرأة مخلوق محترم بل هى نصف الانسان وربة المنزل وأم الولد ووزير الرجل ولها حقوق على الزوج لو نالتها لعاشت فى عز سابغ وسعادة وارفة الظلال .

فلتخرج المرأة للزيارة والتنزه والاستراحة ، ولكن ليكن معها حارس ذو محرم محرم منها ، يدرأ عنها النظرات الحادة والكلمات الساقطة والمغازلات السمجة ويحميها من هجمات اللصوص لصوص الجمال لا الجمال وسراق الاعراض لا العروض وقناص الخود لا النقود أولئك الذين يقعدون كل مرصد لختل الصيد واقتناص الفريسة ، فلا تكاد تخلو منهم بقعة حتى أماكن العبادة ومزارات الأولياء فتبا لهم وسحقا .

ومن نكد الأيام أن نشأت فى هذا الجيل نابتة هم زمانة الأمة وداؤها العقام ، نبذوا فضائل الشرق وجهلوا آداب الغرب .

أخذوا يدعون جهرة الى الاباحة ويبذرون بذرها الخبيث ، مظهرين المرأة بمظهر من فقد حريته وسلب ارادته ، وما بهم (شهد الله) حب المرأة والعطف عليها ، ولكنهم يبغون وراء ذلك ما يطفئ شهوتهم الثائرة ويشبع ذكورتهم الجائعة ولو كان فى ذلك خراب البلاد وشقاء العباد .

ولا تعدم منهم فيلسوفا سوفسطائيا يحاجك بأن سفور المرأة واختلاط الجنسين يقتل الشهوة ويزرع العفة (وحب شيء الى الانسان ما منع) وما درى (أزال الله خباله ورد عليه عقله) أن هذا لا يطبق فى كل الأحوال فكما أن رؤية الطعام الشهى والشراب العذب تثير الرغبة فيهما ، فكذلك النظر الى وجوه الغير يبعث على الفتنة ويحث على الصبابة .

وشتان بين امرأة متحجبة لا يبدو منها ما يدل على حسن وجمال ، وبين أخرى سافرة عن محيا صبيح ووجه مقسم ، فأين يذهب بكم أيها الناس لقد كانت تلك المرأة البدوية أبعد منكم نظرا وارجح عقلا وأعرف بموطن الداء .

ولعل لنا عبرة فيما فعله (الفاتيكان) فان البابا حرم على النساء دخول الكنائس بالملابس الخليعة ، وسمعنا عن جمعيات نسوية قامت فى أوربا (أوربا المتهتكة) تدعو السيدات الى اطراح الأزياء المستهجنة والجنوح الى سبيل القصد والحشمة .

هذا وانى أدعو الرأى العام لمقاومة تلك البدع الضارة الهدامة . والرأى العام فى كل عصر ومصر له صولة تهزم الجبابرة فلو أن الناس يستنكرون هذه الموبقات ، ويظهرون سخطهم على كل امرأة تخرق سياج الفضيلة وتنتهك حرمة الآداب لامحت تلك العادات السيئة من البيئة المصرية . والله الهادى الى اقوم سبيل .

على الجندى



للأستاذ محمد عميرة على

من العلماء الأفاضل الذين أجادوا وبرزوا فى علم أصول الفقه ، علامة دهره وشيخ عصره ينبوع الفضائل ، ومعدن الفواضل ، خلف السلف وسلف الخلف سيف الدنيا : العلامة .

الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى أبو عبد الله بدر الدين عالم بفقه الشافعية والأصول .

تركى الأصل ، مصرى المولد والوفاة .

ولد سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) وتوفى سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) .

له تصانيف كثيرة فى عدة فنون منها «الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة » و « لقطة العجلان فى أصول الفقه » و « البحر المحيط » ثلاثة مجلدات فى أصول الفقه ، و « اعلام الساجد بأحكام المساجد » و « الديباج فى توضيح المنهاج » و «المنثور» يعرف بقواعد الزركشى فى أصول الفقه ، و « التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح » و « ربيع الغزلان » أدب»[2].

قالت عنه الدرر الكامنة فى الجزء الثالث ص ٣٩٧ هو : محمد بن بهادر بن عبد الله التركى الأصل المصرى الشيخ بدر الدين الزركشى عنى بالاشتغال من صغره ، فحفظ كتبا . وأخذ عن الشيخ جمال الدين الاسنوى والشيخ سراج الدين البلقينى ولازمه .

ولما ولى قضاء الشام استعار منه نسخته من الروضة مجلدا بعد مجلد فنقلها على الهوامش من الفوائد ، فهو أول من جمع حواشى « الروضة للبلقينى » . ثم جمعها القاضى ولى الدين ابن شيخنا العراقى قبل أن يقف على الزركشية . فلما أعرتها له انتفع بها فيما كان قد خفى من أطراف الهوامش فى نسخة الشيخ . وجعل لكل مازاد على نسخة الزركشى

(١) النسخه بمكتبة الأزهر رقم خاص ١٥١ رقم علم ٥٥٥٢ علم الأصول .

(٢) الأعلام للزركلى جـ ٦ ص ٢٨٦

❷ كتاب قواعد الزركشي

(زايا) وعنى الزركشي بالفقه والأصـــول والحديث . فأكمل شرح المنهاج واستمد فيه من الأذرعي كثيرا .

وكان رحل الى دمشق فأخذ عن ابن كثير في الحديث . وقرأ عليه مختصره ومدحـه ببيتين ثم توجه الى حلب فأخذ عن الأذرعي . ثم جمع الخادم على طريق المهمات فاستمد من التوسط للأذرعي كثيرا . لكنه شحنه بالفوائد الزوائد من المطلب وغيره . وجمع في الأصول كتابا سماه (البحر) في ثلاثة أسـفار . وشرح « علوم الحديث » لابن الصلاح « وجمع الجوامع » للسبكي . وشرع في شرح « البخاري » فتركه مسوده وقفت على بعضهـا ، ولخص منه « التنقيح » في مجلد . « وشرح الأربعين » للنووي .

وولي مشيخة كريم الدين وكان منقطعا في منزله لا يتردد الى أحد الا الى سوق الكتب . واذا حضره لا يشتري شيئا ، وانما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبـه ثم يرجع فينقلـه الى تصانيفه وخرج أحاديث الرافعي ومشى فيـه على جمـع ابن الملقن ، لكنـه سـلك طريق الزيلعي في سوق الأحاديث بأسـانيد خرجها .

والكتاب الذي نقدمـه للقراء هو « كتاب القـواعد للزركشي » قال رحمـه اللـه في افتتاحيته :الحمد لله رب العالمين ــ وصلى الله على محمد وسلم ــ الحمد لله المتعالي عن التشبيه والنظـير والمنزه عـن وصف يدرك به حس أو يختلج بضمير ، أحمده عليها أسبغ من نعمته ، وأبلغ من دقيق حكمته ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة متحقق لعبوديته ، وأشهد أن محمدا عبده ورسولـه. أما بعد فان ضـبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة ، هو أدعى لحفظها وأدعى لضبطها ، وهي احدى حكم العدد التي وضع لأجلها ــ والحكيم اذا اراد التعليم لابد لـه أن يجمع بين بيانين :

اجمالي تتشوق معه النفس .

وتفصيلي تسكن اليه . وقال : لقد بلغني عن الشيخ قطب الدين السنباطي ــ رحمـه اللـه أنه كان يقول :الفقه معرفة النظائر ، وهذه قواعد تضـبط للفقيه أصول المذهب وتطلعـه من مأخذ الفقه على نهاية المطلب ، وتنظم عقدة المنثور في سلك وتستخرج لـه مالم يدخل تحت ملك ، أصـلتها لتكون ذخيرة عند الاتفاق . وفرعت عليها من الفروع مـا يليق بتأصيلها على الخلاف والوفاق ، وغالبها بحمد الله مما لا عهد للانام بمثلها ، تتنزه في رياضها عيون العقول ، وتكرع فيحياضها لسان المنقول . ويسـتخرج من ابحر المعاني درها الثمين ، ويتناول عقدها الفريد باليمين .

ورتبها ــ رحمه الله ــ على حروف المعجم ليسهل تناول طرازها المعلم ، والله المسئول وهو خير مأمول وأن يلهمنا محاسن ما تنطق به الألسنة ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ثم قسم « الفقه » الى أنواع :

احدها : معرفة أحكام الحوادث نصـا

واستنباطا وعليه صنف الأصحاب تعاليقهم « المبسوط على مختصر المزني » .

الثاني : معرفة الجمع والفرق وعليه جل مناظرات السلف حتى قال بعضهم الفقه فرق وجمع . ومن أحسن ما صنف فيه كتاب الشيخ أبي محمد الجويني وأبي الخير بن جماعة المقدسي ، فكل فرق بين مسألتين مؤثر مالم يغلب عليه الظن أن الجامع أظهر .

قال الامام ولا يكتفي بالخيالات في الفروق، بل ان كان اجتماع مسألتين أظهر في الظن من افتراقهما وجب القضاء باجتماعهما . وان انقدح فرق على بعد . قال الامام فافهموا ذلك فانه من قواعد الدين .

الثالث : بناء المسائل بعضها على بعض لاجتماعها في مأخذ واحد وأحسن شيء فيه كتاب السلسلة للجويني وقد اختصره الشيخ شمس الدين بن القماح .

وقد يقوى التسلسل في بناء الشيء على الشيء ولهذا قال الرافعي : وهذه سلسلة طولها الشيخ . ثم الأكثر بناء الوجهين على قولين . أو على وجهين اذا كان المأخذ في الأصل أقوى وأما القولان فيبنيان على القولين وقد يبنيان على الوجهين وهو مما يستنكر كثيرا . وجوابه أن الوجهين مأخذهما قولان فلم تبن القولين في الحقيقة الا على قولين .

الرابع : المطارحات هي مسائل غويصة يقصدون بها تنقيح الأذهان . وقد قال الشافعي للزعفراني تعلم دقيق العلم كي لا يضيع .

الخامس : المغالطات .

السادس : الممتحنات

السابع : الألغاز .

الثامن : الحيل وقد صنف فيه ابو بكر الصيرفي وابن سراقه وأبو حاتم القزويني وغيرهم .

التاسع : معرفه الأفراد وهو معرفه ما لكل من الأصحاب من الأوجه الغريبة ، وهذا يعرف من طبقات العبادي وغيره ممن صنف الطبقات .

العاشر : معرفة الضوابط التى تجمع جموعا ، والقواعد التى يرد اليها أصولا وفروعا ، وهذا أنفعها وأعمها وأكملها وأتمها ، وبه يرتقى الفقيه الى الاستعداد لمراتب الاجتهاد وهى أصول الفقه على الحقيقة .

ثم ذكر فائدة فقال : كان بعض المشايخ يقول العلوم ثلاثة :

علم نضج وما احترق وهو علم النحو الأصول .

وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير .

وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والتفسير والحديث (١) .

وكان الشيخ صدر الدين بن المرحل يقول : ينبغي للانسان أن يكون في الفقه قيما . وفي الأصول راجحا ، وفي بقية العلوم مشاركا .

(١) كذا بالأصل . . . . . مجلة الأزهر .

وبدأ المصنف كلامه بحرف الألف فقال : « الاباحة » ويتعلق بها مباحث الاول . في حقيقتها وهي تسليط من المالك على استهلاك عين أو منفعة ولاتمليك فيهما ، ولهذا لو ملك شيئا ولم يقبضه فأباحه صح بخلاف مالو وهبه والفرق أن الهبة تمليك وفي فتاوى بعض أهل اليمن اذا قال أبحث لك كذا ، فان كان مما يتلف صحت الاباحة وجها واحدا وله الرجوع فيما لم يتلفه المباح له .

وفي فتاوى البغوى اذا أخذه بدأ ملكه واذا أرسله لا يزول ملكه ، فاذا قال أبحته لكل من أخذه حل لمن أخذه أكلـه ، قال وحجته أنه لايجوز للآخذ بيعه ، وانما يحل لـه أكله لان ملك المالك لم يزل بالاباحة كالضيف يأكل الطعام ولا يبيعه .

الثاني في الاباحة قد تكون جائزة بالرجوع وقد تكون لازمة ــ كما لو أوصى له بالمنافع مدة حياته فانه يستحقها على جهة الاباحة اللازمة لا التمليك ؛ حتى أنه اذا مات لا تورث عنه وفي جواز الاعارة له وجهان .

وقال الامام في الاساليب ليس في الشرع اباحة تفضي الى اللزوم الا في النكاح اذا قلنا انه اباحة لاملك فيه ويرد عليه ما ذكرنا ، الى آخر ما ذكر في الاباحة .

وانتقل الى حرف الباء . وعرف البدعةفقال قال ــ ابن درستويه هي في اللغة أحداث سنة لم تكن وتكون في الخير والشر ــ ومنه قولهم فلان بدعــة اذا كان مجاوزا وجعل منه ابــن فارس في المقاييس قوله تعالى « ما كنت بدعا من الرسل » أى أول .

فأما في الشرع : فموضوعه للحادث المذموم واذا أريد الممدوح فندب فيكون ذلك مجــازا شرعيا حقيقة لغوية وفي الحديث « كل بدعة ضلالة » .

وقال الامام الشافعي ــ رضي الله عنه ــ المحدثات ضربان . أحدهما ما يخالف كتابا أو سنة أو اثرا أو اجماعا .

فهذه البدعة الضلالة .

والثاني ــ ما أحدث من الخير لا خـلاف فيــه .

وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام رمضان نعمت البدعة . هي يعنى أنها محدثة لم تكن واذا كانت ليس فيهـا رد لما مضى ، وانظر كيف تحرز الشـافعي ــ رضي الله عنه ــ في كلامـــه عن لفظ البدعة ، ولم يزد على لفظ المحدثة ، وتأول قول عمر ــ رضي اللـه على ذلك .

وقال : المتولى في التتمة في بابصلاة الجماعة البدعة اسم : لكل زيادة في الدين سواء كانت طاعة أو معصية والبدعة بزيادة الطاعة مثل كثرة الصلاة والصوم والصدقة سواء وافق الشرع أم لا، كان يتعبد في وقت الكراهية .

قال : والمبتدع بالمعصية كالطعن في الصحابة أو به خلل في العقيدة ، فان كان لا يكفر بهــا فحكمه حكم الفاسق والا فهو كافر ، قال : وهل يقطع بأنه من أهل النار ؟ ظاهر المذهب وعليه يدل كلام الشافعي أنه من جملة العاصيـن . وحاله في المشبه بحال سائر العصاة ، ومــن أصـــحابنا من قطع بأنه مع أهل النار . لانه

ــ صلى الله وسلم ــ قال « كل كذب ضلالة وكل ضلالة في النار »[1].

وقال الشيخ عز الدين هي فعل ما لم يعهد في عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وينقسم الى الاحكام الخمسة . وطريق معرفة ذلك بعرض البدعة على قواعد الشرع فأي حكم دخلت فيه فهي فيه من البدع الواجبة كعلم النحو الذي يفهم منه القرآن والسنة وذلك واجب لأن ضبط الشريعة واجب ولا يأتي ضبطها الا بمعرفة ذلك وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ومن البدع المحرمة مذهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة . والرد على هؤلاء من البدع الواجبة ومن البدع المندوبة احداث المدارس والربط وصلاة التراويح وكل احسان لم يعهد في العصر الاول ومن المباحة المصافحة عقب الصبح والعصر ولبس الطيالة وتوسيع الاكمام ، ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف الى آخره .

واستطرد في سرد كتابه على هذا النسق حتى قال حرف (الياء) .

« اليتيم » المشهور أنه : الصغير الذي لا أب له ، وأن اليتم في الآدمي بموت الآباء وفي البهائم بموت الأمهات .

قال الماوردي لأن البهيمة تنسب الى أمها فكان بموت الأم يتمها ، والآدمي ينسب الى أبيه فكان يتمه بموت الأب .

وقال : ابن أبي هريرة في كتاب « الحجر » من تعليقه ، اليتيم من لا أب له ولا أم بلا خلاف وكذلك من لا أب له يلزمه اسم اليتيم قولا وحدا ، فأما اذا لم يكن له أم وكان له أب فعلى وجهين .

أحدهما : أنه يتيم وهو القول الذي يقول ان الأم تلى أمر ابنها انتهى «١».

ويحرم طلب ما يحرم على المطلوب منه فعله الا في مسألتين . الأولى : اذا ادعى دعوى صادقة فأنكر الغريم ثم أراد الحلف فانه يجوز تحليفه .

الثانية : الحرية يجوز طلبها من الذمي مع أنه يحرم عليه اعطاؤها لأنه متمكن من ازالة الكفر بالاسلام . فاعطاؤه اياها انما هو على استمراره على الكفر وهو حرام .

وقال : يدخل الضعيف على القوى دون العكس ولهذا يجوز ادخال الحج على العمرة قطعا . وفي العكس قولان ، أصحهما المنع ، لأن العمرة أضعف . فلم يجز أن يزاحم ما هو أقوى منها في الوجوب .

قال : الماوردي فلو ادخلها على حج وهو واقف بعرفة أمتنع قطعا ، ومثله فراش النكاح اقوى من ملك اليمين على ما قالوه فاذا وطىء أمة ثم تزوج أختها ثبت نكاحها وحرمت الأمة لأن اقوى الفراشين زاحم أضعفهما . وأن تقدم النكاح حرم عليه الوطء بالملك لانه أضعف الفراشين .

ثم قال : « اليد » قسمان : **حسية ومعنوية** .

فالحسية عندنا : من الأصابع الى الكوع ويدخل الذراع في ذلك بحكم التبعية لا

(١) كذا بالأصل ولم يذكر الوجه الثاني . . . ولم يتعرض للطبيم . . . . . مجلة الأزهر .

بالحقيقة ، ومن هنا يقوى الاحتجاج بقوله تعالى « وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ » ذكر اسم اليد ثم زاد على الاسم .

وقال : أبو عبيد بن حربويه : من الأصابع الى الابط ، حكاه عنه القاضي الحسيني في « باب الخراج » وانه قال اذا قطع يده من الكوع لا يجب نصف الدية .

وعندنا يجب . وان قطعها مع الساعد فكذلك مع حكومة الباقي .

قال : وفي السرقة حملت اليد عليها من الكوع وهو يقتضي أن خلاف أبي عبيد لايجرى في السرقة وهو ظاهر لأن القصد تعطيل الجارحة وكفه عن الاخذ بها .

وهذا يحصل بقطع الكف لان بها ينقطع البطش والأخذ بخلاف غيره .

واما المعنوية : فالمراد بها الاستيلاء على الشيء بالحيازة وهي كناية عن ما قبلها لأن باليد يكون التصرف . وقد اعتبروها في الاقدام على جواز الشر وان لم يثبت انه ملكه ورجحوا انها عند تعارض البينتين ولم يجعلوهما سببا لجواز شهادة الانسان لصاحب اليد بالملك على الأصح .

وكذا لو قال هي ملكك ثم خرجت مستحقة رجع هذا المقر الذي هو مشتر على البائع بالثمن لانه اعتمد اليد ... الى آخر ما ذكره .

والنسخة في مجلد بقلم معتاد قديم بخط علي بن عبد المحسن بن علي سنة ٨٨٠ هـ باوراقها تلويث وباولها فهرس في ١٦٧ ورقة ومسطرتها ٣١ سطرا .

ونسخه اخرى في مجلد بخط محمد السوداني كتبها للكمال بن أبي شريف سنة ٨٥٥ هـ ، بها خروم وتلويث ، في ٢٥٠ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا .

وثالثة في مجلد بخط ، الشيخ احمد بن محمد ابن محمد العسقلاني الشافعي سنة ٨٥٩ هـ (ولعله ابن حجر العسقلاني ، باوراقها ترقيع وتلويث في ٢١٥ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرا .

ومكتبة الازهر اذ تنشر تعريفا بهذا الكتاب في مجلة الازهر الشريف متضمنا لقطات بسيطة عنه . وليست دراسة مفصلة عن الكتاب. نرجو ان نقوم باليسير من الوفاء لهذا العالم الفاضل الجليل .

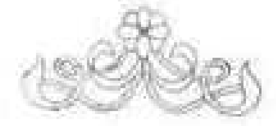
والله ولي الفضل وله الحمد والمنة ،

محمد عمره علي



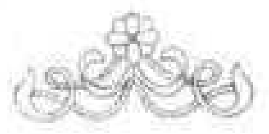
اللغة والأدب والنقد

صيغ المبالغة أو أمثلة المبالغة

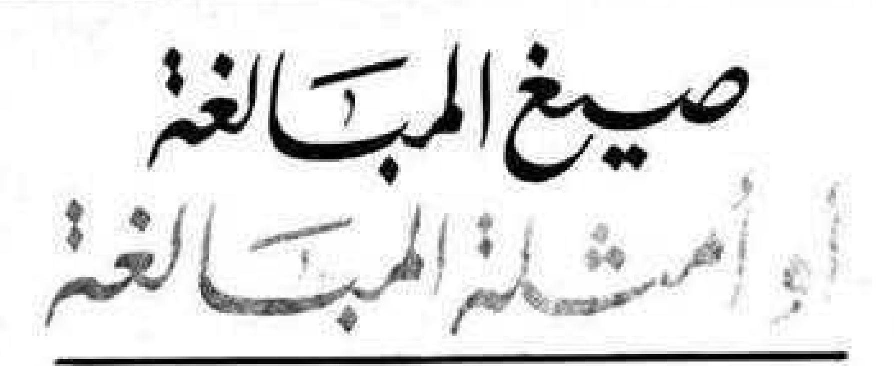


الازدواج اللغوى قديما وحديثا

أبو حيان التوحيدى



النقد الأدبى عند أبى عبيد البكرى



صيغ المبالغة أو أمثلة المبالغة

صوغها وعملها : يجوز أن تحول صيغة (فاعل) من الثلاثي المتعدي غالبا • الى أوزان خمسة هي : فعال ، مثل ، قتال وضراب وعلام وسراق وحمال ، ومفعال ، كمكثال ومنحار ومزراع ومعوان ، وفعول ، كأكول وغفور وشكور وكتوم وكفور وظلوم وجحود ، وتأتي تلك الاوزان المبالغة بكثرة ، والى فعيل ، كرحيم وسميع وعليم وخبير وبصير وقدير ، وفعل ، كحذر وفهم وجزع ، ويستعملان بقلة، وهدف التحويل الى هذه الصيغ المبالغة في الحدث والتكثير فيه ، ولذلك تسمى هذه الاوزان الخمسة صيغ المبالغة او أمثلة المبالغة•

والمراد بالمبالغة هنا الزيادة والكثرة في الحدث كما أوكيفا وليست المبالغة البيانية • ولا تصاغ هذه الأمثلة الخمسة من غير الثلاثي الا نادرا ومن هذا النادر مجيئها من أفعل الرباعي المزيد بالهمزة نحو دراك سآر من أدرك وأسار أي ترك في الكأس بقية ، ومعطاء ومهوان ومعوان من أعطى وأهان وأعان ، وسميع ونذير وبصير وشبيه ، من أسمع وأنذر وأبصر وأشبه وأمثلة المبالغة تعمل عمل اسم الفاعل المحولة عنه بتفاصيله وشروطه المتقدمة ، فمن اعمال فعال قول القلاخ :

أخا الحرب لباسا اليها جلالها ••
وليس بولاج الخوالف اعقلا (٢)

ونحو قولهم أما العسل فأنا شراب • ومن اعمال فعول قول أبي طالب عم النبي ﷺ في رثاء ختنه أمية بن المغيرة •

ضروب بنصل السيف سوق سمانها ••
اذا عدموا زادا فانك عاقر (٣)•

فقد نصب سوق ، جمع ساق بضروب مبالغة في ضارب ، لاعتماده على مسند اليه مقدر ، أي هو ضروب ، أو أنت ضروب ومن اعمال مفعال ماحكاه سيبويه عن بعض العرب • انه

---

(١) الملك الحلاحل : الشجاع ، أو الضخم الكثير المروءة ، نائلا : النائل والنوال : العطاء والمراد انه كثير الكرم •

(٢) أخا الحرب : الملازم لها المنغمس فيها ، جلالها : الجلال : المرادع الدرع والجواشن ، ولاج: مبالغة والج من الولوج ، وهو الدخول (يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل) ، الخوالف جمع خالفة وهي عماد البيت والمراد البيت نفسه اعقلا : بالعين المهملة والقاف ، وهو من تضطرب رجلاه من فزع •

(٣) نصل السيف : حده وشفرته ، سوق : جمع ساق وهي مابين الركبة والقدم ، سمانها : جمع سمينة والضمير للابل ، وعاقر عقر البعير ضرب قوائمه بالسيف ولايطلق العقر في غير القوائم ، وربما قيل عقره اذا نحره فهو عقير ، وجمال عقرى •

للأستاذ
أحمد حسن عبد العواض هلال

لنحار بوائكها ، فقد نصب بوائكها جمع بائكة بمنحار لاعتماده على مسند اليه هو اسم ان . ومن اعمال فعيل قول عبد الله بن قيس الرقيات :

فتاتان : أما منهما فشبيهة .. هـــلالا ، والأخرى منهما تشبه البدرا . فقد نصب هلالا بشبيهة مبالغة فى مشبهة لاعتماده على مخبر عنه محذوف تقديره : أما فتاة منهما فشبيهة هلالا .

ومن اعمال فعل قول أبى يحيى اللاحقى :

حــذر أمورا لاتضير (١) وآمن ..
ماليس منجيــه من الاقــدار

وقد زعم أبو يحيى هذا أن سيبويه سأله .. هل تعدى العرب (فعلا) بفتح الفاء وكسر العين قال فوضعت له هذا البيت ونسبته الى العرب وأثبته سيبويه فى كتابه ، وهذا الادعاء ينطوى على كثير من الجراة ، وفيه نيل شنيع من سيبويه وغض لشأنه وحط من قدره ، فمثل سـيبويه لايغيب عن فطنته وسعة أفقه وغزارة علمه مثل هذا الاختلاق ، ولايعجزه أن يميز بين المزيف والأصيل من الكلام فادعاء أبى يحيى موضع شك وموطن ريبة وأغلب الظن أنه افتراء محض لا أساس له مبعثه الغيرة القاتلة والحقد المردى من ذلك العملاق الفذ والعلم الشامخ وما امتاز به من مكانة سامية ومنزلة رفيعة . ومن اعمال فعل أيضا قول زيد الخيل رضى الله عنه الـذى سماه النبى ﷺ زيد الخير :

أتانى أنهم مــزقون عــرضى ..
جحاش الكرمليـن لها فديد (٢) .

فقد نصب عرضى مفعولا به بمزقون ، جمع مزق مبالغة مازق لاعتماده على مسند اليه هو اسم أن المفتوحة المؤولة مع اسمها وخبـرها بمصدر فاعل أتانى .

ومنه أيضا قول لبيد :

حتى تهجر(٣) فى الرواح وهاجها ..
طلب المعقب حقه المظلــوم ـ
أو مسحل شنج عضادة سمحج..
بسراته نــدب لها وكلــوم

فقد نصب شنج وهو من أمثلة المبالغة وزن (فعل) عضادة لاعتماده على موصوف فى البيت قبله .

والقول باعمال أمثلة المبالغة عمل اسم الفاعل المحولة عنه هو رأى سيبويه وأصـحابه من

---

(١) لا تضير : لاتضر .

(٢) عرضى : عرض الرجل جانبه الـذى يجب عليه أن يصونه ويذود عنه من نفسه وحسـبه ، جحاش جمع جحش الحمار الصغير ، الكرمليـن بكسر الكاف والميم ماء فى جبل طيىء فديد : صوت .

(٣) تهجر : سار فى الهاجرة ، الرواح : وقت الرواح أى العودة ، هاجها : أثارها ، المعقب : من عقب فى الامر تردد فى طلبه مجدا ، مسحل بكسر الميم وفتح الحاء الحمار الوحشى ، شنج : بفتح الشين وكسر النون متقبض ومجتمع ، عضادة : بالكسر جانب العتبة من الباب ، سمحج الاتان طـويلة الظهر وهو خاص بالانثى بسراته : السرات الظهر ندب : الندب بفتح النون وسكون الدال اثر الجرح الباقى على الجلد ، كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح .

البصريين وحجتهم في ذلك السماع والحمل على أصلها وهو إسم الفاعل المحولة عنه «ومنع الكوفيون اعمالها جميعا وحملوا المنصوب بعدها على أنه منصوب بفعل مقدر مناسب للمقام ، ومنعوا أن يتقدم المنصوب بعدها عليها ولكن يرد عليهم بما سمع من قول بعض العرب: أما العسل فأنا شراب ، وبعض البصريين منع اعمال فعيل وفعل كليهما ، وأجاز الجرمي اعمال فعل لانه على وزن الفعل كفهم وعلم وفطن وسمع ، دون فعيل لانه على وزن الصفة المشبهة وهي لا تنصب المفعول به ، واذا نصب المعمول بعدها فعلى التشبيه بالمفعول به .

(معلومة قيمة) يرى بعضهم أن صفات الله تعالى الواردة على صيغة المبالغة مثل الجبار والقهار والوهاب والرزاق والفتاح والغفور والشكور والصبور ، والرحيم والسميع والبصير والعليم ليست حقيقة ، وانما هي من المجاز ، ذلك لان المبالغة تكون في المعاني والصفات التي تقبل الزيادة والنقص ، وصفات الله جل شأنه منزهة عن ذلك ، ويقول الزمخشري في الكشاف: ان المبالغة في (التواب) انما هي في كثرة من يتوب الله عليهم ممن اجتنبوا الفسوق والعصيان ، وأقلعوا عن الذنوب والآثام ، والجمهور على أن المبالغة في الرحمن أقوى منها في الرحيم لانه على صيغة المثنى والتثنية تضعيف فكأن البناء تضاعفت فيه الصفة ويرى ابن الانباري أن المبالغة في الرحيم أكثر لأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد ، ويرى آخرون أنهما سواء في المبالغة .

تثنية اسم الفاعل وامثلة المبالغة وجمعها

تثنية اسم الفاعل وأمثلة المبالغة ، وكذلك جمعها تصحيحا أو تكسيرا مذكرا أو مؤنثا كمفردهما في العمل والشروط المطلوبة في المفرد فمن عمل جمع المذكر السالم قول الله تعالى : (وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ) ففروجهم ولفظ الجلالة منصوبان بالحافظين والذاكرين ، وكلاهما جمع مذكر سالم لحافظ وذاكر ، ومن عمل جمع المؤنث قوله جل شأنه : (هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) فكاشفات جمع كاشفة وفاعله مستتر فيه وضره مفعول به واعتمد على المخبر عنه وهو هن . ومن عمل جمع التكسير للمؤنث قول العجاج الراجز :

القاطنات البيت (١) غير الريم
اوالفا مكة من ورق الحمى

فأوالفا جمع تكسير آلفة ، وقد عمل النصب في مكة . وقول أبي كبير الهذلي يمدح تأبط شرا

ممن حملن به وهن عواقد(٢) »

البقية ص ٧٧٩

(١) القاطنات البيت : المقيمات به ، الريم : بضم الراء وتشديد الياء جمع رايم ، من رام اذا ابرح ورق : جمع ورقاء : نوع من الحمام لونه ابيض مائل الى السواد ، الحمى ، بفتح الحاء وكسر الميم اصله الحمام حذفت ميمه الاخيرة ، ثم قلبت الالف ياء والفتحة كسرة للروى ، او الفا : جمع آلفة من الف الشيء الفاه الفه .

(٢) مواقد : جمع ماقدة اى ضامة ورابطة ، حبك النطاق بضمتين اطرافه جمع حبك ، جمع حبيكة ، والنطاق شبه ازار تلبسه المرأة ، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل وترسل الاعلى منه على الاسفل تشب : تما وكبر ودخل مرحلة الشباب وهى قبل سن الكهولة ، مهبل : المهبل بتشديد يد اللام مفتوحة المعتوه مختل العقل الذى لايتماسك ، وقيل هو من هبله اللحم اذا كثر عليه وركب بعض بعضا .

الازدواج اللغوى بعد الاسلام

د. عبد المنعم عبدالله محمد

اختلف مفهوم الازدواج اللغوى بعد الاسلام عن ذى قبل حيث اصبح يمثل نمطين من الاداء : أولهما ــ سليم فصيح وثانيهما ــ خطأ ولحن ، فلم يعد الفرق بين المستويين فى مقدار الفصاحة ــ ، بل اصبح الفرق ماثلا فى السلامة وعدمها حيث ظهر على لسان الاعاجم مايسمى باللحن الذى صار الفيصل الحقيقى بين نمطى التعبير .

مادة (ل ح ن) فى المعاجم العربية (١) تدور حول الميل والتحول عن الهيئة المألوفة ، وهذا المعنى يلتقى فى مفهومه مع ما أطلقه « علماء اللغة والنحو » اصطلاحا على الخطأ فى اللغة (٢) سواء فى ذلك ، أصواتها أو نحوها أو صرفها ، أو معانى مفرداتها (٣) ، ومصطلح اللحن بهذا المفهوم ليس جاهليا ، بل هو اسلامى محدث ، فالعرب ماعرفوا الخطأ فى اللغة على كافة مستوياتها الصرفية والنحوية والصوتية والدلالية الا بعد انتشار الاسلام ، نعم لقد لاحظ العرب الأوائل « العوائق الحسية والنفسية التى تعترض النطق وتؤثر فى المنطق ، فيميا الخطيب أو يرتج عليه ، ولاحظوا كذلك عيوب اللسان كاللثغة والرتة واللجلجة والحبسة، بل لاحظوا أيضا خصائص من اللهجات واللثغات الخاصة ، ولكنهم لم يعرفوا كنها للخطأ فى القواعد والخروج على النحو » (٤) وعلى هذا يمكن القول بأن العرب « لم يلتفتوا الى الخطأ فى اللغة الا حين اختلطوا بغيرهم من اهل البلاد المفتوحة (٥) ولاريب فى أن الاختلاط كان له أثره الذى لاينكر

(١) البحث اللغوى عند العرب د . احمد مختار عمر ١٤ .
(٢) العربية يوهان فك ٣ ، ٢٤٣ .
(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د . عبد العزيز مطر ١٧ .
(٤) العربية يوهان فك ٣ ، ٢٤٣ .
(٥) لحن العامة ٣٣ .

فى هذا الميدان ، فقد كان السبب المباشر فى وجود اللحن الذى صنع على يديه المستوى العامى ، « فأول مظاهر الابتعاد عن الفصحى اللحن وهو أول أدواء العامية » ، ولم يكن الاختلاط سببا فى فساد السنة الاعاجم وفقط بل امتد ذلك الى العرب أنفسهم (٦) وقد ظهر أثر اللحن واضحا بعد انتشار الفتوحات الاسلامية « وكثرة الموالى فى البيئة العربية ولاسيما بعد اصهار العرب الى غير العرب ، وظهور ناشئة لاتقيم السنتها بلغة أبائها ، وتسرب لحن هؤلاء وأولئك الى قراءاتهم القرآن » (١) .

وعلى الرغم من خطر الاختلاط كما هو واضح رأى بعض الباحثين (٢) أنه « مجرد عامل من عوامل ثلاثة كانت السبب فى ارهاق اللغة وتغييرها ومسخها ، وذكر هذه العوامل حسب ترتيبها النسبى فى قوة التأثير على هذه الصورة :

(أ) تأخر العرب ــ وبالتالى لغتهم ــ من الناحية الحضارية عن كثير من الشعوب التى غلبوها بالفتح العسكرى .

(ب) زيادة سرعة التطور الطبيعى للغة بعد خروجها الى العالم الفسيح وايغالها فى مناطق مترامية الأطراف .

(ج) اختلاط العرب بلغات تختلف عنها فى النواحى البنائية صوتيا وقاعديا ولو أمعنا النظر فى العوامل التى ذكرها الباحث لوجدناها جميعا تدور فى فلك الاختلاط وأثرا من آثاره أما ماقرره الباحث وجعله أول العوامل فاعلية فى التأثير وهو تأخر العرب ــ وبالتالى لغتهم ــ حضاريا ، فهذا قول يعوزه الدليل . وهكذا تبين لنا أن نمطى التعبير بعد الاسلام صارا على طرفى النقيض . من حيث السلامة والدقة فى جانب دون الآخر ، ولكى تتضح هذه القضية سنبرز معالم الازدواجية فيما يلى :

اتسم التعبير أو النمط المضاد للفصيح بعدة سمات على مستوى أنظمته منها :

١ ــ تسكين أواخر الكلمات وترك الاعراب خوفا من اللحن .

٢ ــ الانحراف فى نطق بعض الاصوات كنطق الظاء ضادا .

٣ ــ الخطأ فى قواعد النحو .

٤ ــ الخطأ فى بنية الكلمة (٣) .

وبالتأمل فى الامور المشار اليها تجد أن اللحن كان شاملا لكل معالم اللغة وقد جمع بعض الباحثين (٤) خمسا وثلاثين مسألة مما ورد من اللحن فى أوائل نشأته من عدة مصادر ، وكانت نسبة شيوع اللحن فى العناصر اللغوية على الوجه التالى :

٢٠ مسألة اللحن فيها خاص بالناحية الاعرابية .

٨ مسائل اللحن فيها خاص بالناحية الصوتية ، والصيغ ومجال الاستعمال .

٩ مسائل اللحن فيها خاص بالناحية التصريفية ، وبنية الكلمة .

(١) الأصول د . تمام حسان ٢٣ .
(٢) مستويات العربية المعاصرة ٢٦ .
(٣) البحث اللغوى عند العرب ٨٤ : ٨٥ بتصرف .
(٤) لحن العامة د . مطر ٣٥ متصرف .

مسألة واحدة اللحن فيها نتيجة التصحيف.

كما تبين للباحث أن اللحن فى الاعراب روى عن شخصيات عربية ، وفى الاصوات والصيغ والابنية عن الموالى .

وهذه الاحصائية ، وان كانت ضئيلة الحجم الا أنها تعطى مؤشرات لها دلالتها الهامة فى هذا الميدان :

أولها — أن النمط الثانى من نمطى التعبير أصبح موسوما باللحن فى كل عناصره ولاسيما الاعرابية والصوتية .

ثانيها — نستطيع بمقتضاها توثيق ما أشار اليه بعض الباحثين (١) فى وصف النمط الثانى للتعبير فى هذه الفترة حينما قرر أن « لغة التفاهم استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوى فبسطت المحصول الصوتى ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ، وتنازلت عن التصرف الاعرابى ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها ، كما ضحت بالفرق بين الاجناس النحوية ، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات فى الجملة ، للتعبير عن علاقات التركيب .

ثالثها — يقظة الغيورين على العربية وحرصهم على تنقيتها بتتبع هذه الاخطاء وتقويمها .

وليس أدل على هذا الحرص مما ورد فى كتب التراث فهاهو ذا أبو الطيب اللغوى يقول (٢) :

« واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج الى التعلم الاعراب ، لأن اللحن ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى ﷺ فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال أبو بكر رضى الله عنه « لأن أقرأ فأسقط أحب الى من أن أقرأ فألحن » ، فقد كان اللحن معروفا ، بل لقد روينا من لفظ النبى ﷺ أنه قال : « أنا من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنى لى اللحن » وكتب كاتب لأبى موسى الاشعرى الى عمر « من أبو موسى » فكتب اليه عمر : سلام عليك ، أما بعد ، فاضرب كاتبك سوطا واحدا ، وأخر عطاءه سنة . هكذا كان الحرص على لغة القرآن ، وتجلى هذا الحرص فى أعظم صوره بوضع علم النحو وتقنين اللغة خوفا عليها من الضياع بسبب اللحن والخطأ ، وقد عزا بعض الباحثين (٣) وضع علم النحو الى عوامل ثلاثة منها الدينى والقومى والسياسى مشيرا الى أن العاملين الاولين — الدينى والقومى — كانا متقدمين فى الزمان على العامل السياسى ، على الرغم من أنه لم يكن أقل منهما دفعا الى اقامة صرح النحو العربى وبوضع علم النحو صارت اللغة تعليمية بومتى تمتحصيل هذا العلموإتقانه ضاقت الهوة بين نمطى التعبير ، وذابت فوارق الازدواج اللغوى ، ومع وضوح هذه المسلمات قرر بعض الباحثين (٤) . أن العمل الذى قام به النحاة فى الواقع كان سببا فى تثبيت ازدواجية اللغة لاعاملا فى توحيدها ، كما أرادوا أن يكون ، فبتحديدهم صفات الفصحى تحديدا

(١) العربية /فك ٢٠ .
(٢) مراتب النحويين ٢٣ .
(٣) الاصول ٢١ بتصرف .
(٤) مستويات العربية المعاصرة ٣٩ .

يزيل عنها الالتباس بغيرها .. ساعدوا دون قصد منهم على تحديد صفات لغتين لا لغة واحدة » .

والسؤال الذى يطرح نفسه ، كيف فهم الباحث من تحديد صفات الفصحى مايوحى بتثبيت الازدواجية ؟! وهل تحديد نظام الجملة العربية ووضع القواعد التى تصون اللسان من الخطأ سبب فى وجود لون من الاداء لايتسم بتلك السمات ؟ وهل معنى هذا أن عدم وضع القواعد كان سيذيب الفوارق بين شقى الازدواج اللغوى ؟

لقد فات الباحث ماقرره علماء اللغات من أن الازدواج اللغوى أمر واقع وكائن فى كل مجتمع لغوى ، ومظهر طبعي لاشذوذ فيه .

ولا يلبث الباحث نفسه أن يطالعنا بتقرير آخر مضمونه ان اللغويين جمدوا اللغة حينما وضعوا قواعدها رغبة منهم فى وقف تطورها ، « فجمدوا أصواتها فيما أصبح يعرف بعدئذ بعلوم القراءات والتجويد وأبواب الادغام ، وجمدوا أبنيتها فى علم الصرف ، وتراكيب جملها فى علم النحو ، وأساليبها ومعانى تلك الاساليب فى علوم البلاغة ، كما أحصوا ثروتها اللفظية ، وأثبتوها فى المعاجم من متخصصة وغير متخصصة » (١) . ويقرر الباحث بعد ذلك أن هذا العمل التقعيدى الى جانب كونه أدى خدمة للقرآن والاسلام ، كان فى الوقت نفسه خدمة للغة العربية ذاتها ، فقد رفعها الى مصاف اللغات المقننة .

ولاريب فى أن الباحث جانب الصواب حين قرر أن التقنين والتقعيد للفروع اللغوية تجميد للغة ، ولاسيما اذا أدركنا موقف العربية بعد انتشار الاسلام وتعدد الفتوحات ، فما كان هذا العمل تجميدا ، ولكنه كان حفظا وصونا لتلك اللغة الشريفة ، ولنتأمل معا حال تلك اللغة لو لم تجمد — على حد تعبير الباحث .

أعتقد أنه لولا هذا التقنين والتقعيد لاستحالت العربية الى شيء آخر أبعد مايكون عن كلمة لهجة فضلا عن لغة ، وينبغى علينا ألا ننسى أو نتناسى « أن العربية الفصحى لها ظرف خاص لم يتهيأ لأى لغة من لغات العالم وهذا الظرف يجعلنا نرفض ما ينادي به بعض الغافلين من ترك الحبل على الغارب للعربية لكى تتفاعل مع العاميات ، تأخذ منها وتعطى ، كما يحدث فى اللغات كلها » (٢) فالعربية مرتبطة بكتاب الله تبارك وتعالى ومن ثم هيأ لها الله عز وجل أسباب البقاء والخلود .

فقد قيض الله لتلك اللغة حراسا سهروا على نقائها وتنقيتها ، فمنذ « أوائل القرن الثانى الهجرى قاموا بعقد الموازنات بين مايجرى على ألسنة الناس فى زمنهم وماجمعوه من ألسنة العرب الأقحاح فى البادية ، ولعلهم يقفون على ما أصاب الفصحى من تغيير بعد مخالطة العرب غيرهم من الأمم التى دخلت فى دين الله أفواجا ومن بعد ذلك يضعون هذا التغيير موضعه الحق من حيث الصحة أو الخطأ » (٣) ومن ثم وجدنا

---

(١) السابق ٣٨ .
(٢) التطور اللغوى د . رمضان عبد التواب ٧
(٣) حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الاول د . عبد الفتاح سليم ١٢٠ .

المؤلفات التي تعالج قضية اللحن والتنقية اللغوية محاولة الاصلاح ومنها مؤلفات الكسائي والباهلي والفراء وثعلب وأبي عبيدة والمازني والسجستاني والدينوري وأبي هلال العسكري والحريري (١) ولم يكن التاليف في هذا الصدد لخدمة المستوى العامي أو « دراسة العامية لذاتها ، كما فعل المستشرقون ومن حذا حذوهم في عصرنا ، بل كانت تهدف الى خدمة الفصحى عن طريق تقويم ألسنة العامة وتصحيح أخطائهم » (٢) .

وهكذا كان الازدواج اللغوى بعد الاسلام ماثلا في نمطي الاداء الفصيح والعامي .

ويجدر الاشارة هنا الى أن العلاقة بين النمطين كانت طبيعية ، فلكل نمط مجاله الخاص به ، الفصحى لغة الدين والدولة ، والمراسم العامة والشعر والخطابة والمحافل والدواوين ، والعامية لغة الخطاب العادي والتعامل اليومي وماكان للعامية أن تزاحم الفصحى في هذه الفترة على الاطلاق ، فالظروف السياسية والاجتماعية والحضارية كانت وراء الفصحى تساندها وتقف من ورائها ، وتعمل على جعلها لسان الدين والدولة ، فسياسة الفاروق عمر — مثلا — قامت بقسط لايستهان به في سبيل توحيد اللغة ، وانشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعا ، كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال ، ولكي يحفظ عمر شعبه العربي من التلاشي في جماهير الشعوب المغلوبة التي تفوقهم بكثرة العدد حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع في الاقاليم الجديدة ، أو أن يتخذوها لهم وطنا ومقاما ، كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة ماعدا سوريا التي كانت استعربت الى حد كبير قبل الاسلام عن طريق القبائل العربية التي هاجرت اليها ، فأسكنهم في معسكرات من الخيام ، كانت نواة للمدن المظفي في العالم الاسلامي (٣) وهكذا كانت سياسة الراشدين حريصة على اللسان العربي ، فاذا ما انتقلنا الى الامويين وجدناهم يعتبرون « اللحن من أقبح الهجنة » كما كان بنو مروان يلزمون أولادهم البادية لينشئوهم هناك على تقويم اللسان ... ومن أجل ذلك قال عبد الملك : أضر بالوليد حبنا فلم توجهه الى البادية » (٤) .

ومن ثم يمكننا القول بأن العصر الأموى ، اتسم بالحرص الشديد على اللغة الفصحى ، والدفاع عنها ، وضرب المثل في ذلك قدوة وتصرفا ، بارسال أولاد الخلفاء للبادية أحيانا كما فعل معاوية مع ابنه يزيد ، وبتوقي اللحن وذم مرتكبيه ، وبالاعتماد على العرب غالبا في كل أمور الدولة » (٥) ولاريب في أن كل هذه الأمور كان لها أثرها الواضح في المحافظة على كيان الفصحى .

ومع سقوط الدولة الأموية لم تهو العربية في هوة السقوط لان « لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم أيا كانت لغته الاصلية جزءا لاينفصل من حقيقة الاسلام » (٦) ولم تكن

(١) الدعوة الى العامية ٦ ، وأيضا درة الغواص ٣ : ٤ .
(٢) الدعوة الى العامية ٧ .
(٣) العربية فك ١٩ .
(٤) تاريخ اداب العرب ١ / ٢٤٠ باختصار .
(٥) المستوى اللغوى د . محمد عيد ٤٣ .
(٦) العربية ٥٩ .

سياسة العباسيين لتهمل الفصحى أو تقلل من شأنها ، ولكن الاختلاط والحضارة صنعا صنيعهما ، ففشت العجمة فى الحضر ، وغلبت على السليقة ، وأصبحت السلامة من اللحن لاتتهيأ الا بالتحفظ وتأمل مواقع الكلام ، ومما لاشك فيه أن للسياسة أثرها فى توطيد أركان اللغة ، فالبون كبير بين نمطى التعبير فى العصر العباسى والعصر الأموى ، فالدولة العباسية أضعفت العصبية للعرب بما سكن من سورتهم وخفى من حدتهم ، فدن ذلك عتقا فى العربية أيضا ، ولم ينتصف القرن الثالث حتى اختلط العرب بالفرس والترك والفراعنة وغيرهم من طبقات الأعاجم الذين اتخذوا للدولة ، وكان ذلك بدء شيوع الألسنة الحضرية التى هى لهجات العامية » (١)، ومن ثم كانت المؤلفات التى تعالج اللحن فى بدء أمرها فى لحن العامة فلما ازداد البون بين نمطى التعبير كانت مؤلفات لحن الخاصة فلما اتسع الخرق على الراقع صار منطقهم « لغة فى اللحن لا لحنا فى اللغة »(٢)؛ ومع هذا التدرج فى العلاقة بين نمطى التعبير ، وتمزق العلاقة بين الفصيح والعامى « انحسر الأداء المعرب حتى انه لم تبق بيئة عربية يتمثل فيها هذا الأداء فى لغة الخطاب ، وأصبح مقصورا على الأدبية » (٣)

الازدواج اللغوى فى العصر الحديث :

الازدواج اللغوى فى عصرنا الحديث يعنى المقابلة بين « الفصحى والعامية » ولو أردنا تحديد مصطلح الفصحى لوجدنا المعاجم العربية تنص على أن مادة (ف ص ح) تدور حول النقاء والوضوح والظهور والسلامة ، ففصح اللبن فصحا وفصاحة خلص مما يشوبه فأخذت عنه رغوته وبقى خالصة ؛ وفصح الرجل : انطلق لسانه بكلام صحيح واضح ويقال فصح الاعجمى جادت لغته فلم يلحن .. وأفصح الصبح بدا ضوؤه وظهر ؛ ويقال أفصح الأمر : وضح ... والفصاحة البيان وسلامة الألفاظ من الابهام وسوء التأليف ... ويقال : رجل فصيح : يحسن البيان ، ويميز جيد الكلام من رديئه (٤)،

وعلى هذا يكون مفهوم الفصحى هو اللغة التى تتسم بالسلامة والبيان ، أما العامية : فهى مانطق به العامة على غير سنن الكلام العربى ، وقد أشار الى ذلك المعجم الوسيط (٥) حين قرر أن « العامى من الكلام : مانطق به العامة على غير سنن الكلام العربى ، والعامية: لغة العامة وهى خلاف الفصحى » .

ولاريب فى أن الفصحى والعامية متلازمان منذ القدم ، فى الجاهلية على صورة الفصيح ودونه ، وفى صدر الاسلام على صورة الفصيح والمولد أولا ثم على صورة الفصيح والعامى ، وقد تبين لنا أن العلاقة بينهما تحددها الملابسات والأحوال التى تميز كل عصر عن الآخر .

والفصحى والعامية فى عصرنا الحديث امتداد لوجود هذه الازدواجية منذ القدم ومع أن الأمر طبعى فى وجود نمطين للاداء فى أى مجتمع

(١) تاريخ اداب العرب ٢٥٧/١ .
(٢) السابق ٥٦ .
(٣) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٩ .

(٤) انظر : اللسان ، القاموس ، المعجم الوجيز مادة (ف ص ح) .
(٥) المعجم الوسيط ٦٣٥/٢ .

لغوى ، أحدهما منبثق عن الآخر ، وجدنا بعض المحدثين(١)يرون للعامية كيانا لغويا مستقلا له قواعده ، مستدلا على ذلك « بأنه لو لم يكن للعامية قواعد لما أمكن التفاهم بها ، ويعجب الباحث من الرأى الشائع فى هـذه القضية ، والذى عليه القوم من أن الفصحى هى التى » تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عبارتها ، « أما العامية فلا تخضع لمثل هذه القوانين ، لأنها تلقائية متغيرة تبعا لتغير الأجيال ، وتغـير الظروف المحيطة بهم (٢) .

وإذا كان هناك من عجب فهو من مـوقف الباحث ازاء العامية ، وادعائه أنها ذات قواعد وقوانين ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلم لم تعمل هذه القوانين على توحيد العاميات فى كـل الأقطار ؟ ولم يتعذر التعامل بها بين العـرب على امتداد الساحة العربية ؟

ولكن عجبنا لن يطول اذا تبين لنا أن الباحث بهذا الرأى يتابع المستشرقين ، فتلك وجهتهم ومن ثم عنوا بدراسة العامية لا للحفاظ عـلى الفصحى ، ولكن لأنها لغة مستقلة ، يؤملون فيها النمو والحيوية والمرونة التى يمكن بها القضاء على الفصحى لغة القرآن ورباط المسلمين والعرب فى مشارق الارض ومغاربها ، والمنطق الذى لايشوبه ريب أن العامية ما كانت ذات كيان مستقل فى يوم ما ، فقد خرجت من اللحن مع بدأ الاختلاط وانتشار الاسلام كما أشرنا ، ومن ثم يقول الرافعى(٣)مفصحا عن أيه فى تلك القضية : « فلا عبرة بما يهجس به بعض أولئك الذين تراهم فى مجازفتهم وتخرصـهم كأنما يشرحون للناس علم الغيب ويزعمون أن العامية كانت لغة بعض العرب فى الجاهليـة الاولى وأن القوم كان لهم فصيح وعامى» وعلى هذا كيف ندعى أن للعامية كيانا مستقلا ؟ ، وما هى جذور هذا الكيان ؟ لقد ثبت أنه لاسبيل الى القول بأن للعرب فصيحا وعاميا الا بعد فشو الفساد فى منطقهم منذ القرن الخامس ، أما ما وراء ذلك فى بادية العرب فلحن أو لغة لا أكثر .

والعامية فى عصرنا الحديث ما كان لها أن تدعى لنفسها أكثر مما يحدده الواقع ، فقد اختصت بميدان « التعامل فى الحياة ، والتعبير عن الحاجات المادية والوقتية ، ولم تطمع قط فى أن تكون لغة للادب الرفيع .. واحتلت الفصحى ميدان الأدب لايزاحمها فيه مزاحم (٤) حيث عاشت العامية على المدى الطويل لغة تعامل شعبى وتفاهم محلى ، لم تجرؤ على الفصحى التى بقيت لغة الأمة دينا ودولة » (٥)

وعلى كل فالثنائية ليست وليدة اليـوم ولا الامس القريب ، ولكنها ربيبة تاريخ طـويل وما سمعنا انشقاقا بين جزئيها يصل الى حـد العداء حتى عصرنا الحديث « فقد شـهر الاستعمار العامية وجعلها سلاحا ضد الفصحى يقف منها موقف الخصومة والعـداء » (٦) وجند لتلك الدعوة وهذا الشقاق كثيرين ، وهذا صوت من أصواتهم يرى أننا نعيش فى تناقض فكيف « نفكر ونتكلم ونغنى بلغة محلية سلسة

٥

---

(١) مستويات العربية المعاصرة فى مصر ٥٤ .
(٢) تاريخ الدعوة الى العامية ٣ .
(٣) تاريخ آداب العرب ٢٥٢/١ .
(٤) السابق ٢٥٤/١ .
(٥) الدعوة الى العامية ٧ باختصار .
(٦) لغتنا والحياة د . عائشة عبد الرحمـن ٦٧ : ٦٨ .

سيالة ، لاتعوق الفكر ، ولاتتطلب منا جهدا ، وفى المواقف الرسمية نتكلم لغة غريبة عن لغة الحياة اليومية معربة شديدة الاحكام فى التركيب والتعبير ، وقفت فى تطورها عند نقطة معينة فى الزمان والمكان (١) .

ولاجدال فى أن الباحث يغالط نفسه ، فالتناقض القائم ليس بين اللغتين أو النمطين — العامى والفصيح — ولكن بين المجالين، فلكل مقام مقال ، ومما يلفت النظر أن أكثر الداعين الى العامية من « أصحاب الولاء للمذاهب الأوربية بأنواعها ، لأن النجاح فى هذه الدعوة يقوض صرح العلاقة بين المسلم والقرآن ، حتى يستعجم لسانه ، وتصبح الفصحى القرآنية لغة اخرى أجنبية عنه ، وبمرور الزمن يختفى القرآن من حياة المجتمع الاسلامى ، ويتم لأعداء القرآن مايريدون ، وهيهات ، فالله متم نوره ، ولو كره الكافرون » (٢) .

وقد رمى دعاة العامية الفصحى بالعجز والجمود ، والواقع ينافى ذلك ، فلو كانت العربية جامدة أو عاجزة ما استطاعت المجامع اللغوية اليوم أن تقلب البصر فيها وتخرج بقرارات حكيمة تعمل على حفظها من جانب ونموها من جانب آخر ، ولن نخوض فى غمار تلك الدعوة ، ويكفى لاثبات فشلها أن الفصحى مازالت وستظل هى اللواء الذى يرفرف على العالم الاسلامى والعربى دون ماتدهور أو انحطاط أو انحسار أمام العاميات ، فتاريخها يرجع الى قرون عديدة ، وقد اجتازت فى هذا التاريخ الطويل مراحل وأطوارا متباعدة .. نمت فيها وتطورت ، واشتق منها مئات الألفاظ للحضارة المادية ، وللعلوم والمعارف ، كما فتحت أبوابها لألفاظ أعجمية كثيرة (٣) ، فمما لاشك فيه أن « للفصحى قوة تجعل منها أداة فاعلة لاتكتفى بالمقاومة والوقوف ، ومن ثم لاتنحصر أمام العامية ، ولقد رأينا العامية قد أخذت الكثير من الفصيح ، ومازالت تأخذ كل يوم (٤) » .

واذا كان لنا أن نبين العلاقة بين الفصحى والعامية اليوم « فان الفصحى ماتزال تقهر العامية فى كل ميدان تلتقى معها فيه ، وكلنا يعرف أن الفصحى المعاصرة استولت منذ القرن الماضى على أكبر ساحة لغوية شعبية فى العصر، وهى ساحة الصحافة .. كما أخذت تستولى منها أيضا على ساحة الاذاعة وكلماتها المسموعة والمرئية » (٥) ، أضف الى هذا أن انتشار التعليم وامتداد الجامعات الى أقاصى الريف رفع من شأن الفصحى كثيرا ، ولو شاء الله لهذه اللغة أن تقوم بتدريس وتأليف العلوم الطبية والطبيعية والهندسية والرياضية وكافة معارفنا لكان للعربية الفصيحة شأن آخر ، وسيكون بمشيئة الله ، فالأمل يحدو الفصحى فى كل ميدان ويبشر بذيوعها وانتشارها والحفاظ عليها وكيف لا ؟ « واللغة العربية فى طليعة

---

(١) محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها فريحة ٣ بتصرف .

(٢) فى علم اللغة العام د . عبد الصبور شاهين ٢٥٨ بتصرف .

(٣) مجلة المجمع ١٩/٤١ الفصحى المعاصرة د . شوقى ضيف باختصار .

(٤) مجلة المجمع ٣٩/٤١ قصة العامية فى العراق د . ابراهيم السامرائى باختصار .

اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقيــة أو الغربية » (١) .

لقد شهد للفصحى كثير من المستشرقين وعلماء اللغات في العالم وأشادوا بمركزها وحيويتها ، وها هو ذا يوهان فك الالماني يقــول : « ان العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والاسلامية رمزا لغويا لوحدة عالم الاسلام في الثقافــة والمدنية ؛ لقد برهن جبروت التــراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر .

واذا صدقت البوادر ولــم تخطيء الدلائل ، فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيــد من حيث هي لغة المــدنية الاسلامية (٢) ، ولا ريب في هذا او شك — أدنى شك — فقد صدق قول الحق تبارك وتعالى « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (٣)

د . عبد المنعم عبد الله محمد

(١) اللغة الشاعرة / العقاد : ٧٢ .
(٢) الفصحى لغة القرآن /أنور الجندي ٣٠٢ .
(٣) سورة الحجر آية رقم ٩ .

صيغ المبالغة - بقية

حبك النطـاق فشـب غير مهبل

فعواقد جمع تكسير لعـاقدة وقــد عمـل النصب فحبك النطاق .

ثم زادوا انهـم في قــولهم
غفــر ذنبتهم (٣) غــير فخــر

فغفر جمع تكسير لغفور مبالغة من غافر ، وقد عمل النصب في ذنبهم ، وقوله ســبحانه : (خشــعا ابصــارهم يخــرجون من الاجــداث كانهــم جــراد منتشر) فخشعا جمع خاشع ، وقد رفع ابصارهم على الفاعلية ومن اعمال المثنى قول عنتره العبسى :

الشاتمي عرضي ولم اشــتمهما
والناذرين (٤) اذا لم القهما دمي

فالناذرين بالذال المعجمة تثنية نادر وقد نصب دمي على تقدير مضاف اي سفك دمي .

يتبع

احمد حسن عبد العواض هلالي

(٣) غفر : جمع غفور مبالغة غافر من الغفران وهو التجاوز عن الخطأ والاغضاء من الذلل فخر: جمع فخور ، وهو بضم الفاء والخاء من الافتخار ، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب وشـسب وغير ذلك في المتكلم نفسه او في ابائه ، ويروى : غير فجر بالجيم جمع فجور من فجر الرجل يفجر فجورا ، وهو الكثير الفسق ، ويقال : فجر الرجل اذا كذب . والمعنى ، ان هؤلاء الجماعة امتازوا بين قومهم بالسماحة والحلم وانهم لايفسقون بفعل ولا يكذبون .

(٤) الناذرين بالذال المعجمــة تثنية نــاذر ، والناذر من يلزم نفســه بفعل شيء معلق على امــر معين اذا ماوقع المعلق عليــه واراد بالناذرين حصينا ومرة ابني ضمضم لانهما كانا يشــتمانه ويتعهدان بقتله اذا لقياه ، فاذا لقيــاه فعــلا امسكا وتراجعا عن عزمهما هيبة له .



"أدب حامل القرآن"

قال الفضيل بن عياض :
حامل القرآن حامل راية الاسلام ، ينبغى له الا يلهو مع من يلهو ، ولايسهو مع من يسهو ، ولايلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرآن .
وقال الحسن البصرى : ان من كان قبلكم راوا القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها بالنهار .

الصحبة

ان كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة .
وان كان كفاك ونظيرك فاصحبه بالوفاء .
وان كان دونك فاصحبه بالمرحمة .
وان كان عالما فاصحبه بالخدمة ، .
وان كان جاهلا فاصحبه بالسياسة .
وان كان غنيا فاصحبه بالزهد .
وان كان فقيرا فاصحبه بالسخاء .

"نعيب زماننا"

قال الامام الشافعى — رضى الله عنه :
نعيب زماننـا والعيب فينـا
وما لزماننـا عيب سـوانا
ونهجوا الزمـان بغـير ذنب
ولونطـق الزمـان لنـا هجانا
وليس الـذئب ياكـل لحـم ذئب
وياكـل بعضـنا بعضـنا عيـانا

"قالوا"

* ليس الواصل الذى يصل من يصله ولكنه الذى يصل من قطعه .
* وليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ولكنه الذى يعرف خير الشرين .
* وليس العاقل الذى يحتال للامر اذا وقع، ولكنه الذى يحتال للامر أن لايقع فيه .
* خير العمل ما نفع ، وخير القول ماردع .
* خير من القول فاعله ، وخير من الصواب قائله ، وخير من العلم حامله .

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



* العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ، ويصدهم عن الأذية ويعطفهم على الرعية ، فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويستبطنوا أهله .

* خذ العلم من أفواه الرجال ، فانهم يكتبون أحسن مايسمعون ، ويحفظون أحسن مايكتبون، ويقولون أحسن مايحفظون .

حكاية

حكى أن أعرابية دخلتمن البادية ، فسمعت صراخا فى دار .

فقالت : ماهذا ؟

فقيل لها : مات لهم انسان !! ..

فقالت : ماأراهم الا من ربهم يستغيثون . وبقضائه يتبرمون ، وعن ثوابه يرغبون .

"حقا"

سئل ابن المبارك : من الناس ؟

قال : العلماء .

قيل له : فمن الملوك ؟

قال : الزهاد .

قيل له فمن السفلة ؟

قال : الذى يأكل بدينه .

"الفقيه حق الفقيه"

عن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال : « الا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن الى غيره ، ولا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولاخير فى تفقه ليس فيه تفهم ، ولاخير فى قراءة ليس فيها تدبر .

دعاء "بجاه نبيك"

يارينا « بجاه نبيك » تقبل منا الدعوات، وارفع لنا الدرجات ، واقض عنا التبعات ، واسكنا أعلى الجنات ، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبين والصديقين والشهداء أهل المعجزات وأرباب الكرامات .

أبو حيان التوحيدي

رجل جنى عليه فكره

فيلسوف الادباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ، ومتكلم المحققين ، وامام البلغاء .. فرد الدنيا الذى لانظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة .

ياقوت الحموى

يمكن انقول بان ليس هناك امة لها من العراقة وضخامة التراث ما للأمة العربية والاسلامية وأن هذا حين وضع فى ميزانه الحق سما باهله، ويواهم مكانا يستشرفه كل من تستهويه ذرا المكارم والمروءات .

بيد أن هذه الأمة قد أتى عليها حين من الدهر شغلها فيه البهرج والزيف ، وعلا صوت المأخوذين بأباطيل العدو المتنكر فى ثياب الصديق على صوت المستمسكين بأسباب العراقة الاسلامية وحضارتها ، فران الجهل على بعض الأفكار ، مما خلف آثارا تعانى من شرورها ، وقد تعانى الى مدى يطول .

وبرغم أن هذه لمحة عن قضية طال حولها الجدال ، فانا رأيناها تذكرة ، ومقدمة ضرورية لما سنأخذ فى الحديث فيه ، وكذلك لان « أبا حيان التوحيدى » ركن مكين من أركان حضارتنا ، وتراث أمتنا . لقد عرف صاحبنا واشتهر بتلك الكنية « أبو حيان التوحيدى » حتى اذا أطلقت عرف صاحبها لأول وهلة ، حيث لاشريك له فيها ، أما اذا أطلق اسمه العلم « على بن محمد ابن العباس » فانه يختلط بآخرين ، أو يجعل السامع يفكر بعض تفكير ، بل لقد صار « التوحيدى » كلمة يضرب بها المثل فى الفضل والعلم ، ومن ذلك قول محيى الدين بن عبد الظاهر فى مدح أبى حيان الغرناطى ، الامام الحافظ :

قد قلت لما ان سمعت مباحثا
فى الذات ، قررها اجل معيد
هذا ابو حيان ، قلت : صدقتم
وبرغم هذا هو التوحيدى (1)

التوحيدى :

على أن هذه الكلمة « التوحيدى » قد كثر حولها النقاش والتفسير ، ولسنا نعد ذلك من الترف العقلى أو شغل الفراغ ، فان عقول آبائنا المتفتحة ماكانت لتترك شاردة أو واردة دون تمحيصها ، والوقوف على ماهيتها ، فان لم تتمكن من ذلك ، جعلت الامر من الحقيقة قاب

(1) ص ٨ ابو حيان التوحيدى للدكتور عبد الرزاق محيى الدين .

للدكتور حامد ابراهيم الخطيب

قوسين ، ومن ذلك كلامهم عن « التوحيدي » . الام هو منسوب ؟

قالوا : انما سمي « بالتوحيدي » لان أباه كان يبيع التوحيد ببغداد ، وهو نوع من التمر بالعراق ، وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله :

يترشفن من فمي رشفات
هن فيه أحلى من التوحيد (١)

وقالوا : يحتمل أن يكون نسبه الى التوحيد الذي هو الدين ، فان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد(٢) .

مولده ووفاته :

ذلك ، وقد أخذ تحقيق مولده ووفاته صورة أعمق في البحث عن سابقتها ، سواء لدى القدماء أو المحدثين .

وهذه الآراء على كثرتها ، نجتزئ منها بما نميل اليه ونرجحه ، وهو أنه ولد في العقد الثاني أو الثالث من القرن الرابع الهجري ، ومات سنة ٤١٤ هـ « أربعمائة وأربع عشرة » ، وقد رجحناه لانه مبني على ما أورده التوحيدي في بعض كتاباته محددا بالتأريخ(٣) فقد كان يكثر من تاريخ الاحداث والمجالس العلمية والمناظرات لكنه تركنا في شبه عماء بالنسبة لأسرته ، واصله ونشأته الاولى ، مما جعل التقول حول هذا يكثر والتخبط أو الخوض في نسبه وأسرته يستفحل فلا يعرف أهو عربي أم فارسي ؟ ، ويجعلونه من بيئة خاملة لامطمع لها في مجد ولا جاه ، فلم تسجل لبنيها ميلادا ولا وفاة .

ويقولون : انه فقد كل شيء في عهد مبكر من حياته ، وأصيب بخيبة أمل ، واكتفى بالصمت الذي هو أبلغ من الكلام(٤) .

ولكن اذا علم أن التوحيدي قد كان من بين الذين سئموا الحياة ، وملوا الخلق ، حيث وجدوا فيهم النفاق والملق ، والاحتيال والكذب فآثروا النار بما ابتكروا من الافكار ، اذا عرف ذلك أمكن القول بأنه قد تحدث عن كل مانجهله في كتبه التي أطعمها النار ، اما ما أفلت من يديه قبل أن يحرق ، فليس فيه مبتغانا ، وليس من الحق أن نأخذ سيرته برمتها من ذلك القليل الذي بقي ووصل الينا .

على أنا وجدنا له حديثا يكشف عن جانب



---

(١) ١٩٧/٤ وفيات الاعيان ، والبيت من قصيدة مطلعها .

كم قتيل كما قتلت شهيد
لبياض الطلى وورد الخدود

(٢) ٣٤٨ من بغية الوعاة ، ٤٣/١ من الملل النحل .

(٣) انظر ٥/١٥ معجم الادباء ، ص ٨ : ١٠ من الصدقة والصديق لابي حيان .

(٤) ١٣٣/٢ النثر الفني للدكتور زكي مبارك ، ومقدمة الاشارات الالهية للدكتور عبد الرحمن بدوي .

من جوانب أسرته ، ويبين مدى حدبه وعطفه عليها ، مما يجب مقولة أنه كان عاقا قاطعا . قال :

« ان الوالدة يلحظ منها المبدأ الحسي فيعشق لذلك ؛ ومن سجايا النفس الفاضلة ، ومن عادة الفطرة النقية ، والطينة الحرة ، أن يكون المبدأ ملحوظا فيها وعندها ؛ وهذا كله للشعور بالمبدأ الذي هو الاول بالاطلاق ، مع أحوال تتقاصر وتتشابه في خلال هذه الفكرة ، تتعلل بها النفس تعللا مؤنسا مطربا .

الام شأنها في الحس أعظم ، وتدبيرها في المباشرة أظهر ، وشفقتها بحسب ضعف قوتها أكثر ، الام حاملة واضعة ، وفاطمة ومرضعة ، وحاضنة ومربية ، فالكلفة عليها أغلظ ، وحسها للولد آلف ، وهو بها أشغف (١) .

فاذا جاوز ذلك النطاق الى مجال أرحب ، كان — بلاريب — في الاجادة أجل وأروع قال :

« أما حنيني الى والدي فللتعزز به ، فان الوالد عضد وركن ، يعاذ به ويؤوى اليه ، وأما نزاعي الى الوالدة فللشفقة المعهودة منها ، ولدعائها الذي لا يحرج الى الله مثله ، وأما تشوقي الى الاخت فللصيانة لها ، والتروح اليها وأما شوقي الى ابن العم فللمكانفة (٢) ، والانتصار به ، وأما ابنة العم فلانها لحم على

وضم (٣) وأتمنى أن أشبل (٤) عليها بالرقة ، أو أصلها ببعض من يكون لها كفؤا ، ويكون لنا أيضا الفا (٥) » .

والى جانب ذلك ، وجدنا له حديثا عن عمه الذي كان يسكن « قطيعة الربيع » في بغداد (٦) وقد كانت هذه القطيعة سكني التجار والاغنياء ، وتنسب الى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل بن الربيع وزير المنصور ، وقد كان المنصور والمهدي أقطعا اياها الربيع .

لعل هذا يدحض كل ظن حول أسرته وأصله ، أو حول عقوقه وميله عن أهله .

موطنـــه :

وليس ينتهي الخلاف حول التوحيدي عند تلك الحدود ، بل يتناول موطنه ، ويحاول أن يجعله من بلد ينسب اليه دون غيره فلا يكاد ، فهو شيرازي أو نيسابوري ، أو واسطي قدم بغداد فأقام بها مدة ، ثم مضى الى الري ، أو هو التوحيدي البغدادي ، قدم الى شيراز ، أو نزل نواحي فارس (٧) الى غير ذلك من الاقوال .

على أن هذا كله يجب الا يأخذ منا كثير اهتمام كذلك لايهمنا أن يكون عربيا أو أعجميا ، فان الاسلام قد صنع على عينه رجالا صاروا على شأن بعد أن لم يكونوا شيئا ، كما أنه صهر

---

(١) ص ٢٧٦ من كتاب المقابسات .
(٢) المكانفة المعاونة والمناصرة .
(٣) الوضم ما يوضع تحت اللحم من خشب وحصير .
(٤) أشبل عليه عطف وأعان .
(٥) ١٧٠ الصداقة والصديق .
(٦) راجع ذلك الحديث بتمامه في ٢/٧٥ ، ٤٧٦ البصائر والذخائر .
(٧) أنظر في ذلك ١٥/٥ معجم الادباء ، ١٩٧/٤ وفيات الاعيان ، ٢٨٧/٥ طبقات الشافعية الكبرى ٥١٨/٤ ميزان الاعتدال ، ٣٧١/٦ لسان الميزان — وعن هذه المصادر نقل المحدثون .

كل المؤمنين فى بوتقة الايمان ، ثم صاغهم صياغة تواثم هذا الايمان ، ومن ثم حق لسيدنا « سلمان الفارسى » — رضى الله عنه أن يقول :

أبى الاسلام لا أب لى سواه
اذا افتخروا بقيس او تميم
بدعوى الجاهلية لم اجبهم
ولا يدعو بها غير الأثيم
دعى القوم ينصر مدعيه
ليلحقه بذى الحسب الصميم (١)

ولعل ذلك من الوضوح بحيث يعرف أنه مستمد ، أو من تأثير قول الله — جل وعز — : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (٢) ومن قوله — سبحانه — : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣) » .

بيئه أبى حيان والموثرات فى تكوينه :

لعل مدينة من المدن الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، لم يتح لها من الحظوظ المختلفة ما أتيح لمدينة السلام « بغداد » اذ كانت وقتئذ محط العلم والعلماء وموئلاً يصمد اليه طلاب الشهرة أو العطاء ، وقد جعلها ذلك أثيرة لدى « التوحيدى » لاكغيرها من كبريات المدن الاسلامية ، ومن ثم استأثرت بالجزء الاكبر من حياته رغم كثير تنقله وأسفاره ، فرأيت جل شيوخه الذين أخذ عنهم فى « بغداد »

ولذا جاء أكثر المكتوب فى كتابيه « الامتاع والمؤانسة » و « المقابسات » يدور حول محور المحاورات والمجالس العلمية التى كانت تزدحم بها هذه المدينة ، تلك التى كانت وما فتئت قطب الرحى فى حياته الفكرية فى شتى مناحيها ، فأثرت فيه تأثيرا بينا ، ماحظى بنظيره سواها .

ولو أن مستقصيا تتبع الاماكن التى رحل اليها أبو حيان ، واستقرأ ما كان يحط فيه رحاله لوجد له آثارا فى أكثر المدن المشهورة آنذاك ، بيد أن المشرق الاسلامى قد استحوذ على جل أو كل تنقلاته .

أخلاقه :

ومن بعد ذلك يختلفون — أيضا — حول صفاته الخلقية ، فيوصف بأنه :

« صوفى السمت والهيئة ، وأنه كان يتأله (أى يتنسك) والناس على ثقة من دينه ، وأنه كان شيخ الصوفية وزاهدهم ومحسنهم ، وكان متكلما فقيرا صابرا متدينا ، وكان صحيح العقيدة ، فاضلا مصنفا ، ومن العلماء الأدباء ، صحب المشايخ وسافر ورحل ، وتكلم فى التصوف والتوحيد ، وجاور بيت الله الحرام ، وهو الامام الموحد ، والعالم المتفرد ، الجامع للمعارف والعلوم ، لا نظير له فى المكاشفات الالهية ، والبحث فى التوحيد ، وكان اماما فى النحو واللغة والتصوف ، وفقيها ومؤرخا (٤) ،

---

(١) ٢/٦٠٠ ، ٦٠١ البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى .
(٢) الآية ١٣ من سورة الحجر .
(٣) الآية ٣٣ من سورة فصلت .
(٤) راجع فى ذلك — طبقات ابن قاضى شهبة — مخطوط ، ٥/١٥ وما بعدها من معجم الادباء ، ٦/٣٧١ لسان الميزان ، ٥/٢٨٧ طبقات الشافعية الكبرى ، ٤/١٩٧ وما بعدها وفيات الاعيان ، ثم غير ذلك فى كتب المحدثين .

ذلك أحسن ما وصفوه به .

ولسنا نتعجل حسن الظن ، فان الذين وصموه وثلبوه كانوا أشد وأنكى ، وآلم وأقسى ، فليست هنالك وصمة اخترعها ذلك العصر الا نحتت وألصقت الصاقا بأبي حيان ، فهو — في زعمهم .

سخيف اللسان ، قليل الرضا عند الاساءة اليه والاحسان ، الذم شانه والثلب دكانه(١) وصاحب زندقة وانحلال ، قليل الدين والورع مجاهر بالبهت (أى الكذب) .

وأن زنادقة الاسلام ثلاثة ، ابن الراوندى ، والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى .

وأن اشد الثلاثة على الاسلام أبو حيان لأنه مجمج(٢) ولم يصرح ، وأنه كان وضاعا مفتريا ، وأشهر ما وضعه وافتراه « رسالة السقيفة(٣) » التى سطرها كذبا عن لسان أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — وكان بعد ذلك يحرف في الأحاديث ، وليس هو على شىء من الايمان(٤) .

ولا نفند جميع ذلك بغير كلمة السبكي في طبقاته ، يقول :

« ولم يثبت عندي الى الآن من حال أبى حيان مايوجب الوقيعة فيه ، ولقد وقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه الا مايدل على أنه كان قوى النفس ، مزريا بأهل عصره ، ولايوجب هذا القدر أن ينال منه هذا النيل(٥) » .

نقول :

وقوة النفس والزراية بأدعياء العصر ، والثقة فيما علمه من علم ، واحترامه لفكره ، وعدم صبره على منقصة ، أو دعوى علمية من متشدق ، كل ذلك وغيره — في رأينا — جعله شبه منبوذ ، وجعله مبعدا عن أن يكون في مكان يستأهل علمه وعقله ، على حين تبوأ أمكنته من لايعرفون الا قليلا من معارفه ، فأسلمه ذلك — في رأينا أيضا — الى حدة اللسان وسلاطته ، يكشف في ذلك عن مخازى عصره ، ويعرى أدعياءه .

لقد نظر متأملا فلم يجد فيمن بلغوا ما أملوا واستقامت لهم الاحوال ، الا من عرض نفسه للمهالك ، أو راضها على خدمة الوزراء وعلية القوم ، مع أخذ بأسباب الملق والتزلف ، واتقان للحيل وسبل المنافقة ، وسوى هؤلاء — الا قليلا — ندر أن تجد من عاش في سعة ، أو جاوز حد الكفاف .

د . حامد الخطيب

---

(١) الدكان : المقعد . . مجلة الازهر .
(٢) المجمجة عدم الابانة والافصاح .
(٣) هى رسالة مطولة يتهم بوضعها أبو حيان وقد تفردها بحديث لخطرها .
(٤) انظر ماتقدم من مراجع في هامش ص ٨ رقم ١ ثم مقدمة الرسالة البغدادية لعبود الشالجي .
(٥) ٥/٢٨٨ طبقات الشافعية الكبرى .

النقد الأدبي عند



للاستاذ السيد حسن قرون

قلت في المقال السابق ان ابا علي القالي كان موسوعة أدبية ولغوية وعلمية ، وكان اعتماده في كل ما الفه وما حاضر به في قرطبة بجامع الزهراء كان من الذاكرة ، والذاكرة قد تخون صاحبها ، ولكنه اعتمد عليها فاعطى فرصة للناقد العالم المتمكن (ابي عبيد عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد البكري) .

وقد تكون للحادثة التي وقعت لابي علي القالي حين قدومه الى الاندلس مدخل في فكر البكري ، فنظر الى مروياته فاطال النظر ثم وجد منفذا لنقده وبيان خلل الرواية عنده فكان أن الف كتابه :

« التنبيه على أوهام ابي علي في اماليه »

والحادثة التي اعنيها انه حين استقبل استقبالا رسميا وشعبيا بامر الخليفة عبد الرحمن الناصر كانوا فطريقهم يتذاكرون الأدب ويتناشدون الاشعار الى أن تجاوزوا يوما فجاء ذكر مجالس عبد الملك بن مروان بدمشق وأنه سأل جلساءه عن أفضل المناديل ثم انشدهم بيت «عبدة بن الطيب» .

وكان الذاكر للحكاية ابا علي فانشد الكلمة في البيت :

ثمت قمنا الى جرد مسومة
اعرافهن لايدينا مناديل

« اعرافها لايدينا مناديل »

فانكرها ابن رفاعة الألبيري — وكان من اهل الأدب والمعرفة وفي خلقه حرج وزعارة : أي شراسة خلق ، فاستعاد أبا علي البيت مستثبتا مرتين في كلتيهما أنشده « أعرافها » فلوى ابن رفاعة عنان فرسه وقال :

« مع هذا يوفد على أمير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس ، لا يغلط الصبيان فيه ، والله لا تبعته خطوة ، وانصرف عن الجماعة» .

هكذا أرخ صاحب نفح الطيب .

وهذا لا يعيب ابا علي ، فقد يكون نسي

الرواية الصحيحة ، وهو يعتمد على الحفظ أكثر من الدراية والتثبت من الضبط القائم على الفهم . ولو كان هذا صحيحا فأين الذى لا يخطيء ولا يسهو ولا تخونه ذاكرته ؟

ان لأبى على كتابا يسمى « البارع » فى اللغة على حروف المعجم فيه كتب اللغة يحتوى على مائة مجلد لم يصنف مثله فى الاحاطة والاستيعاب .

فاذا أخطأ فى وزن بيت من الشعر فان هذا لايخل بمركزه الأدبى والعلمى ، واذا وقف ليخطب فارتج عليه لا ينقص من قدره موقفه، فكثير من الفصحاء ارتج عليهم ومنهم يزيد بن أبى سفيان وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

وأبو عبيد يقول فى مقدمة « التنبيه » العالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته :

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه .

ولكن هذا النقد من أبى عبيد لأبى على يعطينا منهجا رائدا ، فنحن اليوم نشكو من قلة النقاد ، وأن الساحة الأدبية تفتقر اليهم ، فهم الذين يقومون النتاج الأدبى ويشرحون معالمه ويزنون سماته ومعانيه ليجنى القارىء ثمرات هو فى حاجة اليها ، وليعلم من يتصدى للنقد أن النقد ليس أمرا هينا ، فالناقد أديب يشارك المنشىء فى كل خصائص الأديبويزيد عليه موهبته فى الملاحظة ودقة الغوص واتساع المعرفة والاحاطة بالقديم والحديث، وفى عصرنا يحسن أن يلم باللغات الأجنبية حتى لا يخدع ممن عرفوا لغة أجنبية وفى امكانهم الأخذ ، منها بمهارة .

والمعنيون بالثقافة فى أيامنا هذه يتباكون على الثقافة وضحالتها فى الناطقين بلغة الضاد ، وفاتهم أن يعلموا أن ما ينشر يشتمل على كثير من الهفوات التى تجعل الثقافة منقوصة ، والحقائق مبتورة .

أديب كبير كتب مقالا ذكر فيه قول زهير بن أبى سلمى وهو مطلع معلقته :

أمن أم أوفى لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم ؟

ونسبه الى امرىء القيس فجاء القراء ليصححوا فنسبوا البيت «للبهاء زهير» فالكاتب هنا ، والقارىء المصحح أخطأ ،ولو رجع كل منهما الى مرجع لجاء الصواب سافرا مشرقا :

وفى شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ قرأت أخطاء تاريخية فى كثير من الصحف والمجلات : فى الأهرام ، وفى الجمهورية بمصر ، وفى الوعى الاسلامى الكويتية ، وكلها تضلل القارىء وتضعف الثقافة وتدعو الى النقد . وأنا أتهم الذاكرة فقد مضت الأجيال التى تعى ذاكرتها ما يقال وما يسمع .

وما صنعه أبو عبيد البكرى فى التنبيه كان حتما لزاما ليصل المثل صحيحا مفيدا مريحا، لذلك اتخذته نموذجا أقدمه للمعاصرين ليكونوا على بينة من صناعة النقد فليس من اللازم أن نعرف أسس النقد الحديثة ثم لا نعرف القائل أو محل الخطأ ، بل لابد أن يكون الناقد له علم أبى عبيد ومنهجه حتى يفيد ويستفيد . انظر اليه كيف يصنع حين يتصدى للنقد تره

يأتى بالأدب والرواية والذوق مما فيحلو لك أن تعاود ما قرأت، وتراجع ما تأملت ، وتود منه المزيد وقد زاد يقول أبو عبيد : (وفى ص ٩١ س ٢٠) من الجزء الأول من الأمالى ، وأنشد أبو على ـ رحمه الله ـ لرجل من بنى تميم

ولما رأين بنى عاصم
دعون الذى كن أنسينه
فوارين ماكن حسرنه
واخفين ماكن يبدينه

وقال أبو على ـ رحمه الله ـ يصف نساء سبين فأنسين الحياء فأبدين وجوههن وحسرن رءوسهن ، فلما رأين بنى عاصم أيقن أنهن قد استنقذن فراجعن حياءهن . انتهى كلام أبى على وكان النقد : انما رواه العلماء :

ولما رأين بنى عاصم
ذكرن الذى كن أنسينه

ويريد أن « ذكرن » أولى بالذكر فى هذا المقام من « دعون » لماذا ؟

قال : وهذه الرواية أشبه بتفسير أبى على وقوله : راجعن حياءهن ، ولا مدخل للدعاء هاهنا ، ولا هناك مدعو يدعى . وفى هذه الرواية مع صحة معناها الصناعة التى تسمى المطابقة (الذكر والنسيان) وهذا التميمى الذى أنشد له الشعر هو « ذو الخرق الطهوى » ومثله فى المعنى قول رجل من بنى عجل :

ويوم يبيل النساء الدماء
جعلت رداءك فيه خمارا

فخرجت عنهن ما يتقين
وكنت المحامى والمستجارا

الرداء هنا السيف ، يقول : استنقذهن بسيفه ، فكأنه قد وضع به خمرا على رءوسهن لأنهن كن مكشفات الرءوس فاختمرن . ويبيل الدماء أى يسقط الحبالى أجنتهن فيسيل دماؤهن .

وقال باعث بن صريم اليشكرى فى مثله :

وخمار غانية شددت برأسها
اصلا وكان منشرا بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيم
متغطرس أبديت عن خلخالها

فقوله : وخمار غانية شددت برأسها . تقول الأول : فسترن (١) ماكن حسرنه .

وقوله : « وكان منشرا بشمالها » ان قيل لم خص الشمال دون اليمين ؟ فالجواب لأن اليمين هى التى يستعان بها فى العدو وتخلى للدفع والذب ، وهى فى ذلك كله أقوى من الشمال ، فشمرة الساعى الناجى وحمله لشىء ان حمل انما يكون بشماله ، وهذه المرأة لما شمرت للهرب حملت خمارها بشمالها ، وقوله : « أبديت من خلخالها » أى أغرت على حيها فأحوجتها الى رفع ذيلها ، والتشمير للهرب والفرار ، وهذا كما قال الآخر :

لعمرى لنعم الحى حى بنى كعب
اذا نزل الخلخال منزلة القلب

أى اذا شمرن للسعى فبدت خلاخيلهن كما

(١) نسى أبو عبيد فذكر فسترن بدل فوارين ، وجل من لاينسى .

تبدو أسورتهن (الخلخال للرجل والقلب لليد)

وقيل : انه أراد تخففت للنجاة فوضعت خلخالها في يدها كما فعلت تلك بخمارها ، وقيل : انه أشار الى الدهش والحيرة فرقا ، فلم تتجه للبس خلخالها ولا علمت موضعه من موضع سوارها .

أبو عبيد ناقد متكامل الثقافة ، فما وقع فيه أبو علي لا نعده نحن خطأ فالمعنى لم يفسد بروايته حيث وضع « دعون » مكان « ذكرن » لكن دقة الناقد لم تقبل التسامح فأورد النص كما أورده العلماء ، وعلل لمذهبه ، ولما كان المعنى عميقا أوحت به حالة الحرب ، فقد تتبعه في جل ما أبدع فيه الشعراء .. والفكرة فيه كما هو ظاهر أن الحرة اذا وقعت في الأسر سبية كشفت وجهها ورأسها فاذا أنقذت عادت حرة تستر ما انكشف منها . وكل الشعر الذي أورده أبو عبيد يدور حول هذا المعنى ليجلو للقارىء المعاني ويبرز الابداع . ومن نقده لما جاء في الجزء الثاني من الأمالي قوله :

وفي (ص ١٢٩ س ٢١) وانشد أبو علي ــ رحمه الله ــ قصيدة لمهلهل أولها :

أليلتنا بذي حسم أنيري
اذا أنت انقضيت فلا تحوري(١)

وفيها :

فلا وأبي جليلة ما أفانا
من النعم المؤبل من بعير

وفسره فقال : جليلة أخت كليب ، وكانت تحت جساس قاتل كليب . (انتهى كلام أبي علي) وكان النقد :

هذا غلط فاحش من أبي علي ــ رحمه الله ــ ويجب أن يقال له : اقلب تصب ، انما جليلة أخت جساس ، وكانت تحت كليب قتيل جساس ، وهي القائلة لما قتل زوجها ورحلت : فقالت أخت كليب : رحلة المعتدي وفراق الشامت فبلغ ذلك جليلة فقالت : فكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ثم انشأت تقول :

يابنة الأقوام ان لمت فلا
تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا أنت تبينت التي
عندها اللوم فلومي واعجلي
يا قتيلا قوض الدهر به
سقف بيتي جميعا من عل
فعل جساس وان كان أخي
قاصم ظهري ومدن أجلي
يشتفي المدرك بالثار وفي
دركي ثاري ثكل المثكل

وأنا أقول : ان وهم أبي علي هنا يقتضي الملامة ، فكيف غاب عن ذهنه وحفظه أن جليلة أخت جساس لا أخت كليب ؟ وجليلة أشهر من نار على علم لموقفها من الحدث الأليم ، فهي تحب زوجها الذي يضرب به المثل « أعز من كليب وائل » ويقتل هذا الزوج الكريم

(١) فلا تحوري .. لاترجعي .

الشجاع من أخيها جساس ، والتاريخ العربى يذكر أن مقتل كليب ترتب عليه قيام حرب بين تغلب الموتورة وبكر الواترة أربعين سنة ، وتغلب وبكر من ربيعة يجمعهما أب هو «وائل» والشعر الذى قالته جليلة ، وذكر أبو عبيد. بعضه يعد من الشعر الشريف يمثل شعر المرأة فى العصر الجاهلى ، وكان بطل هذه المعارك مهلهل بن ربيعة الذى يتحدث عن بطولته وجعله أبو على محور لغوياته ، واتخذه ناقده سبيلا الى بيان أوهامه .

* والخطأ فى مثل هذا يقع ، فالدكتور عبد الجليل شلبى فى الجمهورية ٥ ديسمبر ١٩٨٤ كتب تحت عنوانه « قرآن وسنة » وتعرض لثويبة جارية أبى لهب ، فقال عنها : ويبدو أن ثويبة كانت ذات لبن غزير ، لأنها أرضعت عددا من القرشيين ولست أعرف من زوجها ولكن كان لها ولد يسمى « مسروحا » وهو الذى أرضعت منه حمزة عم رسول الله فكان عمه وأخاه ثم قال : « وأرضعت ثويبة أيضا أبا سفيان بن الحارث ، والحارث أكبر بنى عبد المطلب ، وابنه أبو سفيان كان تربا لرسول الله .. وأرضعت ثويبة أيضا أبا سلمة ابن عبد الأسد وهو زوج رملة بنت أبى سفيان — وهى أم حبيبة — هاجر بها الى الحبشة ومات هناك فتزوجها رسول الله ، وحديثها معروف » .

« وأوهام الخواص » تجلت فى حديثه عن أبى سلمة ، فقد جعله زوجا لرملة بنت أبى سفيان بن حرب .

والصواب أن أبا سلمة لم يتزوج رملة وانما الذى تزوجها « عبيد الله بن جحش » وقد هاجر بها ومعه ابنته حبيبة منها وفى الحبشة تنصر ومات فدفن فيها ثم خطبها الرسول ﷺ من ملك الحبشة ، ودفع الملك مهرها وكان وليها ابن عمها خالد بن سعيد الأموى أما أبو سلمة فقد كان زوجا لأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومى ، وكلاهما من بنى مخزوم . رجع أبو سلمة بها من الحبشة ثم هاجر الى المدينة ، وتبعته هى بعد أحداث تقال .. وقتل أبو سلمة شهيدا ، ودفن بالبقيع من أرض المدينة وفى السنة الرابعة من الهجرة أصبحت أم سلمة من زوجات الرسول . ومن ثم لزم التنويه وبيان الحقيقة ، فما وقع فيه أبو على وقع فى مثله الدكتور عبد الجليل شلبى وكلاهما من العلماء والثقات .. ولكل عالم هفوة .

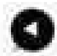
واختم هذا المقال بنقد أبى على بالآتى — كما يراه أبو عبيد قال وهو فى نقد ما جاء بالجزء الثانى أيضا :

وفى (ص ٢٥٢ س ١١) قال أبو على — رحمه الله — : العصفور الذى ينبت عليه الناصية ، قال حميد :

وتكل الناس عنا فى مواطننا
ضرب الرءوس التى فيها العصافير

قال أبو عبيد : لو أراد الشاعر بالعصافير هنا العظام لم يكن للكلام فائدة ، لأن فى كل رأس عصفور فكأنه .

قال : ضرب الرءوس التى فيها الشعور (جمع شعر) وانما يريد الرءوس التى فيها



الزهو والطماح الى مالا تناله ٠

والعرب تكنى بالعصافير عن الكبر والخيلاء وتقول : طارت عصافير رأسه اذا ذهب كبره ٠ قال الشاعر :

كفيل لراس أخي نخوة
بضرب يطير عصافيره

كما يقول في رأس فلان نعرة ٠ وقبل البيت الذي أنشده :

اذ لا حجاز لنا الا مقومة
زرق الاسنة والجرد المخاضير (١)
يغشى الجبان شماع في قوانسها
اذا تجللها الشعث المغاوير
قد نكل الناس عنا في مواطننا
ضرب الرءوس التي فيها العصافير

وقد أصاب أبو عبيد في نقده وبين المراد في العصافير في البيت وهو الزهو والخيلاء في الراس(٢) لا أنه يصف شيئا ماديا هو الناصية ، فالشاعر يذكر شجاعة قومه وأثرهم في أعدائهم ، فهم يطيرون مافي الرءوس من الخيلاء ولهم سلاحهم الماضي وخيلهم الأصيلة والمناوير من الفرسان على تلك الخيل ٠

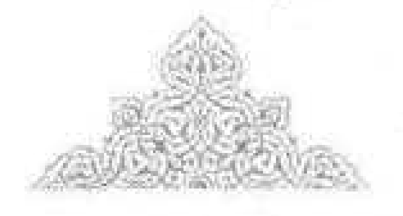
بيد أننا نلتمس العذر لأبي علي القالي في هذا المقام ، فقد كان بصدد تعداد « ما في الفرس من أسماء الطير » فذكر الهامة وهي العظم الذي في اعلى رأسه ، والفرخ ، وهو الدماغ ، والنعامة الجلدة التي تغطي الدماغ والعصفور العظم الذي تنبت عليه الناصية وأنشد قول حميد :

ونكل الناس عنا في مواطننا
ضرب الرءوس التي فيها العصافير

وان كان الشاعر يقصد الزهو والخيلاء ٠ وقد قلت فيما سبق ان ابا علي يعنى باللفظ اكثر من عنايته بالمعنى ، لانه يهدف الى شرح الفاظ اللغة ، وحسبه ذلك اداء وعطاء ٠

اما ناقد الادب شعرا ونثرا فهو يعنى بالمعنى بجانب عنايته بالمبنى ، ويهتم بجو النص فيذكر المناسبة ، ويعنى بالموازنة والاستطراد في تناول ما اتفق فيه الشعراء او اختلفوا ، لانه مؤئل علم وناشر ثقافة ، وحبذا لو اتخذنا من ابى علي راوية ومن ابي عبيد ناقدا فنسير على خطتهما فنحيي التراث ونضع منهجا نبني عليه ٠

السيد حسن قرون



(١) الجرد المخاضير : الخيل القليلة الشعر السريعة الجري وهو مدح ٠

(٢) نقلنا اليوم العصافير من الرءوس الى البطون فصرنا نقول : زقزقت عصافير بطني ٠



إعداد الأستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

الذبح للمسكن الجديد

س : من السيد / م ٠ س عبد الحميد أبو حماد شرقية ٠

انسان انتقل الى منزل جديد ٠ فهل يجب عليه ان يذبح ذبيحة بمناسبة دخوله المنزل الجديد ؟

ج : ليس بواجب على الانسان أن يذبح لانتقاله الى المنزل الجديد ، لأنه لم يرد نص صريح يطلب ذلك ... ولكن اذا كان مستطيعا ورغب فى ذبح ذبيحة للفقراء تيمنا وشكرا لله على نعمته فلا مانع من ذلك وهو عمل صالح نسأل الله قبوله .

« المنع من الحج »

س : من السيد /ا ٠ المحجوب ٠

جهزت نفسى للحج واستخرجت جواز سفر ، ولكن احد الناس اخفى عنى جواز السفر وتذكرة الطائرة فلم استطع السفر ، مع العلم باننى لم احرم ٠ فما الحكم ؟

ج : من أعد نفسه للحج ومنع من السفر قبل أن يحرم فلا شيء عليه ، ولا يعد محصرا اذ الاحصار انما يكون بعد نية الاحرام بالحج أو العمرة ... ومن منع انسانا من أداء الحج فهو آثم .

الزكاة لاهل الحى

س : من السيد / ا ٠ ع ٠ ص

نحن اعضاء فى مجلس ادارة مسجد ومن ضمن اعمال مجلس الادارة الاشراف على لجنة الزكاة وعلى توزيع الأموال التى ترد اليها ..

وهناك فريق يرى أن تعطى الزكاة لفقراء الحى وكل من هب ودب، وهناك فريق آخر يرى أن تعطى الزكاة لفقراء الحى فقط الذين تم بحثحالتهم، على أن ما يتبقى من الزكاة يرسل الى فقراء المسلمين مثل افغانستان والفيليبين وغيرهم ٠ والى المستشفيات وغيرها

◄

الفتاوى

من جهات البر .. فما الحكم ؟

ج : الزكاة توزع على فقراء ومساكين المنطقة أو الحي بالكامل ، فاذا تبقى شيء من أموال الزكاة فلا مانع من صرفها على وجوه الخير : مثل المحاربين فى أفغانستان . كذلك المدارس التى تحفظ القرآن . وعلى تعمير المساجد .

« الحقوق بعد فشل الخطوبة

س : من السيد ط محمد

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ذهبية وبعض الهدايا ، ثم عدلت المخطوبة عن الخطبة ، فما حق الخاطب وما حق المخطوبة من هذه الأشياء .. وما الحكم ؟

ج : الشبكة جزء من المهر . والمهر لاتستحقه المخطوبة الا بالعقد عليها ، ومادام لم يعقد عليها فهى أجنبية عنه ، وحيث انها عدلت عن الخطبة فعليها أن ترد للخاطب كل ما أخذته من شبكة وهدايا ، حيث ان الفسخ جاء من قبلها .

« المطلقة ثلاثا متى تتزوج بآخر »

س : من السيد / ع . ا . المعداوى

رجل طلق زوجته ـ رسميا ـ الطلاق المكمل لثلاث بوثيقة رسمية . فمتى تنتهى عدتها لتتزوج برجل آخر ؟ .

ج : عدة المطلقة ان كانت من ذوات الحيض ثلاث حيضات ، وان كانت المطلقة لاتحيض ، بأن كانت صغيرة ، أو كبيرة فى السن فثلاثة أشهر ، وان كانت حاملا فبوضع الحمل ... هذا وقد نص « قانون الأحوال الشخصية » المعمول به فى مصر على أن المرأة لا تصدق فى انتهاء عدتها فى أقل من ستين يوما .

« ميراث »

س : من السيدة / ع . م . أبو على

توفى رجل سنة ١٩٨٠ عن زوجة ، اربع بنات ، أولاد بنت ، أختين شقيقتين ، ابن أخ ، عم شقيق .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ .

فتقسم التركة خمسة عشر جزءا : منها جزءان وصية واجبة لأبناء البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. والباقى وهو ثلاثة عشر جزءا هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الأربع الأحياء الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للاختين الشقيقتين تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى ، ولا شىء لابن الأخ وللعم لحجبهما بالأختين الشقيقتين .

والله تعالى أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين



إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عاطف شحاته زهران

*** اللجنة العليا للمؤتمر العالمى للسيرة النبوية تناقش الترتيبات النهائية للمؤتمر .**

اجتمعت اللجنة العليا للمؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية بقاعة الاجتماعات بالأزهر الشريف برئاسة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، ونظرت اللجنة فى مد الفرصة للمفكرين الاسلاميين فى شتى انحاء العالم الاسلامى للاسهام ببحوثهم العلمية فى المؤتمر .

وقررت اللجنة إن يكون يوم ٣١ مارس ١٩٨٥ الموعد الأخير لتلقى هذه البحوث ، واقترحت اللجنة انعقاد المؤتمر فى الاسبوع الأول من شهر نوفمبر القادم ١٩٨٥ .

مركز لبحوث اسهامات المسلمين

وافق مجلس جامعة عين شمس على اقتراح لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . بضرورة انشاء مركز لبحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة الانسانية .

الرقابة على المصنفات الفنية

قررت وزارة الثقافة تمثيل الأزهر الشريف فى اللجنة العليا للرقابة على المصنفات الفنية لأول مرة . ويأتى هذا القرار بعد أن كثرت الشكوى من المستوى الأخلاقى الهابط الذى تعرضه بعض المصنفات الفنية مع عرضها على هيئة الرقابة على المصنفات الفنية .

ويأتى هذا القرار فى اطار التشكيل الجديد للجنة العليا للرقابة على المصنفات ومن المعروف أن بالأزهر لجنة خاصة تابعة لمجمع البحوث الاسلامية من مسئوليتها اجازة الأعمال الفنية المتعلقة بالتاريخ الاسلامى أو أحد الشخصيات الاسلامية .

مجلس الشعب يناقش قانون الاحوال الشخصية

وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى

◄

أنباء وآراء

بمجلس الشعب بالاجماع على تعديل قانون الأحوال الشخصية الذى يجرى العمل به الآن . وقررت اللجنة احالة مشروع التعديل الى اللجنة التشريعية بالمجلس لدراسته وصياغته ، واعداد تقرير عنه ليعرض على مجلس الشعب لمناقشته واقراره .

وتضمن مشروع التعديل الذى تقدم به العضو مصطفى حسين .

— على الزوج أن يقدم للموثق اقرارا كتابيا يتضمن حالته الاجتماعية وقت العقد . ولا يعتبر الزواج من زوجة أخرى مبررا لطلب الطلاق .

— أن يترك للقاضى أمر تدبير السكن للمطلقة الحاضنة . وعلى الزوج تدبير السكن المناسب مدة الحضانة . وعلى القاضى مراعاة الحالة الاجتماعية وظروف الدعوى بالنسبة للمسكن . أو الزام الزوج بمبلغ مناسب للحاضنة لتدبير المسكن .

الغاء التعامل مع البنوك الربوية

قررت الحكومة السودانية وقف العمل بنظام الفائدة الذى كان معمولا به قبل تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية التى صدرت فى سبتمبر ١٩٨٣ م .

وصرح محافظ بنك السودان المركزى بأن التعليمات قد صدرت (للبنوك) السودانية وعددها ٢٧ (بنكا) منها أحد عشر (بنكا) حكوميا وسبعة (بنوك) اسلامية وتسعة (بنوك) أجنبية . بتسوية حساباتها مع العملاء بأثر رجعى منذ الرابع عشر من شهر فبراير الماضى على أساس الأحكام الشرعية التى قررها الاسلام .

ومن المعروف أن السودان وضع فى بداية السنة المالية الحالية أول ميزانية اسلامية جديدة حيث ظهر أثر الزكاة فى ارتفاع الدخل الفردى والقومى .

مؤتمر اسلامى

قرر مجلس نقابة أطباء القاهرة تنظيم أول مؤتمر اسلامى دولى عن « الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم » سيعقد المؤتمر بمبنى جامعة الدول العربية فى شهر سبتمبر من عام ١٩٨٥ م .

وصرح الدكتور الحفناوى أمين عام المؤتمر بأنه تم توجيه الدعوة لاكثر من مائة شخصية عالمية فى مصر والعالم الاسلامى من المستشرقين والمهتمين بالطب الاسلامى بالاضافة الى الهيئات الرسمية فى الداخل والخارج .

مصريان يفوزان بجائزة فيصل للدراسات اسلامية

*** الرياض :**

فاز العالمان المصريان د. محمد حلمى سليمان ، والدكتور أحمد حسن الدسوقى بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية ، كما فاز بنفس الجائزة من

السعودية الدكتور محمد رشاد سالم .

* من باكستان :

عودة المحاكم الشرعية فى باكستان

اسلام اباد :

اعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق انشاء المحاكم الشرعية فى بلاده ــ بعد طول انتظار لها ــ اعتبارا من شهر يناير ١٩٨٥ .

القدس عاصمة فلسطين

* صنعاء ــ وكالات الانباء :
من أهم قرارات المؤتمر الاسلامى الذى عقد بصنعاء

١ ــ القدس عاصمة فلسطين .

٢ ــ رفض مبادرة ريجان السلمية .

٣ ــ تأييد كل المبادرات التى تخدم حقوق الشعب الفلسطينى .

٤ ــ توجيه نداء لانهاء حرب العراق ــ ــ ايران .

٥ ــ انشاء محكمة العدل الاسلامية على أن يكون مقرها الكويت .

٦ ــ ادانة القرصنة الجوية .

٧ ــ الدعم الاسلامى الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية .

٨ ــ انشاء ثلاث جامعات اسلامية فى النيجر وكوالالمبور وأوغندا .

تطبيق الشريعة الاسلامية ببنجلاديش

صرح الرئيس حسين محمد ارشاد الحاكم العسكرى لبنجلاديش امام حشد يضم نحو ثلاثين الفا من علماء الدين الاسلامى فى مدينة « بيروجبيور » على بعد مائتين واربعين كيلو مترا من العاصمة « دكا » : انسياسته الرامية الى تطبيق الشريعة الاسلامية سوفتتضاعف فى المستقبل بهدف تأسيس مجتمع يقوم على القواعد الاسلامية ، وانه لن يسمح بتطبيق سياسات « علمانية » فى البلاد .

شركة اسلامية فى الصين

انشئت فى الصين الشعبية أول شركة مساهمة اسلامية يبلغ سعر السهم الواحد فيها ما يعادل ثمانين دولارا . وكان اول مشروع للشركة هو افتتاح مكتبة لبيع الكتب الاسلامية فى مدينة « اورمكى » عاصمة مقاطعة زينيانج وتأمل الشركة أن تنشىء ايضا مطابع ومصانع للمواد الغذائية . كما تعتزم افتتاح مطاعم تقدم وجبات فى بكين وكانتون والمدن الصينية الكبرى . ومما يذكر أن تعداد المسلمين فى الصين يزيد على ستين مليون مسلم .

٥٠ الف مسلم يكبرون حتى الصباح فى « روما »

* روما وكالات الأنباء :

ثم وضع حجر أساس أول مسجد ومركز اسلامي في ايطاليا معقل الفاتيكان ، وقد حضر الاحتفال نحو ٥٠ ألف من المسلمين في ايطاليا لم يناموا حتى الصباح وهم يهللون ويكبرون .

وتبلغ تكاليف المشروع الذى شاركت فيه عدد من الدول الاسلامية حوالى ٣١٫ مليون دولار ومن المقرر أن ينتهي البناء خلال ثلاث سنوات ويتسع لألفي مصل ويضم مكتبة كبيرة ومقرا للامام وقاعة مؤتمرات وبيوتا للطلبة والطالبات المسلمين .

٢٥ الف مسلم في « اسكتلندا »

*** جلاسجو : ــ**

في احصائية للسلطات « الاسكتلاندية » ، بلغ عدد السكان المسلمين حوالى ٢٥ الف مسلم منهم ١٥ الف مسلم في مدينة « جلاسجو » وحدها .

*** من ماليزيا :**

انشاء شركة تأمين اسلامية

كوالالمبور ــ ا ٠ ش ١٠

وافق البرلمان الماليزى على انشاء شركة تأمين اسلامى تعمل وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية ، برأس مال قدره ٤٫ مليون دولار .

*** من اندونيسيا : ــ**

اول رائد فضاء مسلم

تنوى اندونيسيا ارسال اول رائد فضاء مسلم الى الفضاء ضمن «الطاقم مكوك الفضاء الامريكى » في عام ١٩٨٦ ، في الوقت الذى ستقوم فيه اندونيسيا باطلاق قمر صناعى خاص بها بعد منتصف العام نفسه .

٥ ملايين طفل مسلم ماتوا من الجوع في عام ١٩٨٤

*** ابيدجان ــ وكالات الانباء**

ذكر التقرير السنوى لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الأطفال (اليونسيف) أن خمسة ملايين طفل أفريقى ماتوا ــ خلال عام ١٩٨٤ ــ جوعا وخمسة ملايين آخرين أصبحوا معوقين بسبب سوء التغذية والمرض .

والمعروف أن المجاعة اجتاحت الكثير من الدول الأفريقية التى يقطنها مسلمون وأن المساعدات الامريكية والسوفيتية لم توزع بالتساوى ، ولذلك فقد عبر الحدود الى السودان في الجنوب منه عشرات الآلاف من المسلمين ..

*** أكبر عطية تبشيرية في القرية الجائعة**

(افريقيا)

مأساة المسلمين في افريقيا تبلغ ذروتها فقد وجدت الجماعات التبشيرية في المجاعة فرصة لطعن الاسلام او الحث على التنصير .

والمعروف أن القارة الأفريقية تتعرض حاليا لأسوا حالة جفاف فى التاريخ مما يهدد ١٥٠ مليون افريقى ـ معظمهم من المسلمين فى ٢٤ دولة ـ بالموت جوعا ٠

* المسلمون ٠٠ فى العالم :

الحكومة الفرنسية توقف اذاعة اسلامية بباريس

* باريس

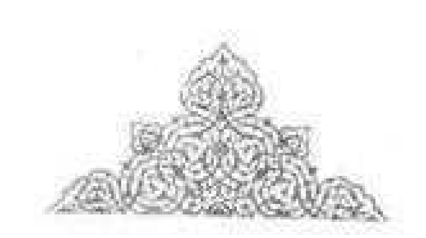
توقفت الاذاعة الاسلامية العربية « راديو آراب » ـ وهى احدى المحطات الاذاعية الثلاث الخاصة بالمسلمين ـ عن البث الاذاعى منذ نهاية نوفمبر الماضى ، وقد جاء هذا التوقف بعد قرار « الهيئة العليا » الفرنسية بمصادرة المحطات الاذاعية التى لا تتمتع بتصريح رسمى ٠

افغانستان :

٢٠٠ طفل وسيدة يقتلون يوميا بافغانستان

لندن ـ وكالة أنباء المجاهدين الأفغان

ذكرت وكالة انباء المجاهدين الأفغان أن سلطات « كابول » الموالية للاتحاد السوفيتى تقوم يوميا باعدام ما يزيد على مائتى معتقل لديها ٠



من خير ما كتب

من خير ماكتب الدكتور الحسينى هاشم امين عام مجمع البحوث الاسلامية الاسلام ٠٠ دعوة امن وسلام

جاء فيه :

لمكانة الأمن وأهميته بشر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالرؤيا الصادقة وأصحابه بدخول المسجد الحرام ، باذن الله آمنين مطمئنين ، لا يتعرض لهم انسان بالضرر والأذى بدخوله محرمين محلقين ومقصرين ، ويقيمون غير خائفين فى امن وسلام .

وكان الوقت الذى حدده الله صادقا ، فعلم ماوراء صلح الحديبية من أمن وأمان وخير . ما لم يعلموا مما فى هذا الصلح من صلاح لهم فكان خيرا عظيما ، وجعل من دون ذلك الدخول لمكة هذا العام فتحا قريبا ، وهو فتح خيبر ، وتحقق الرؤيا فى العام التالى لصلح الحديبية ، ان الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، لن يتخلى عنه بأى حال انما كتب له النصر والتوفيق فى كل عمل ، وكيف لا وقد أرسله بدين الحق ليظهره على الدين كله وضمن له الغلبة والنصر ، « **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** » .

ان التصاص من مقترفى الجريمة الشاذين عن أوامر الاسلام فيه تطهير المجتمع ، وردع لمن تحدثه نفسه بالسير على طريقتهم ، وأمن المجتمع وطمأنينته وفى ظل الأمن يباشر كل عمله ، فتسير عجلة الحياة ، وينتفع الناس ويعم الرخاء .

وجعل الله جزاء من يلحد ويكفر بآياته الالقاء فى النار ، وأعد لمن يؤمن بآياته البينات أمنا يوم القيامة ، وصورت الآيات ذلك بأبلغ تصوير ، فيه تهديد وموازنة بين الخير والشر وصدق الحق سبحانه اذ يقول :

« **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** »

ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف عليه الصلاة والسلام لأعز الناس اليه : أبويه وأخوته أن يكونوا آمنين . « **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ** » . أى اسكنوا مصر آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط وحقق الله دعوة نبيه فعاشوا فى أمن وحياة طيبة آمنين مطمئنين ، وما ظاهرة الأمن فى البلاد الا نعمة الله سبحانه وتعالى .

ان أعداء الاسلام يحاربون أمنه بالقاء الشبهات بين أهله حتى ينتشر القلق والخلاف بينهم ، بالمبادىء الهدامة يبثونها حول معينه النقى الصافى ويحاربون أمنه بالسلاح ،

ومصير ذلك كله الاخفاق والفشل ، فقد كتب الله الأمن والنصر للاسلام والمسلمين « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » • ولأمن المعسكر الاسلامى ، حذر الله سبحانه وتعالى الجند أن يذيعوا اسرار المعركة أو ينقلوا الأنباء مهما كان نوعها من أمن أو خوف ، دون الرجوع الى القائد المسلم لأنه يستطيع توضيحها ويعلم مدى أثرها ، وربما أغرت أخبار الأمن الجند فيتراخوا عن الاستعداد ، وربما فت فى عضدهم أخبار الخوف فتضطرب الأنظمة ولذا يأمر الله سبحانه برد ذلك الى القائد المسلم ، وينعى على من يفعلون ذلك ، ويطيرون بالشائعات :« وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » •

وكل أمر صمام الأمن والأمان فيه أن نرده الى حكم الله ، وحكم رسوله والمتخصصين فيه المخلصين لله ورسوله « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » • والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر المؤمنين بنعمة الأمن والصحة وصدق الرسول اذ يقول : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا »

مواقف للأستاذ أنيس منصور

والله لا اتمنى لاحد من الناس أن يكون مريضا • ومن السخف ان تطلب الموت لأحد ، لأنه مثلك سوف يموت ، فالموت ليس عقابا • قد نتمنى الموت السريع لأحد يضايقك ولكنك لا تعرف متى تموت انت • وكم من الناس رفعوا ايديهم الى السماء يتعجلون نهاية احد من الناس ، فاستجابت السماء لهم فماتوا هم ، وعاش الذين دعوا عليهم •

وأن يكون لك عزيز أو حبيب ينهشه الموت من تحت جلده يأكله بنشره •• يسحقك نشارة خشب •• أو بودرة عفريت ، أى نار تحت الجلد بلا دخان •• قفص من الوحوش والزواحف تمزق الحبيب القريب ، وأن ترى الفزع وتسمع الأنين ، ثم لا تستطيع أن تمد أظافرك الى ماتحت جلده •

لم أكن أدرى هول التعذيب عندما كنت أقرأ عن المعتقلين السياسيين فى مصر الناصرية وألمانيا الهتلرية حين كانوا يضعون المعتقل فى (شوال) ومعه ألف ثعبان وهو يصرخ ويتلوى ولايستطيع أن يخرج من « الشوال » •• كذلك المريض •• وأكثر من ذلك رأيت وتوجعت وبكيت واستسلمت لقضاء الله •• فالمريض الذى رأيته كانت كل خلية من خلاياه شوالا به ألوف الثعابين والدبابير اتخذت شكل الدبابيس الملتهبة •• وقال الله وخفف

عنك الذى ترى وتسمع وتقـرأ ، ولا أراك فى نفسك أو جسمك أو عزيز عليك !

أما الـذى يفعله الأطباء فشىء مثل هذا : ان كل طبيب قد أمسك مسدسا وراح يطلق النار على الخلية المؤلمة ، ولايصيبها .. وانما يصيب ملايين الخلايا الاخرى السليمة .. ويمرض ويتعذب ويذبل المريض .. ثم يتلاشى .. لا من المرض وانما من هذا العلاج .

ويحتار الأطباء واهل المريض اكثر . فهذا هو أقصى حدود الطب ، ولكن دموع الذين حول المريض بلا حدود .. ولايبقى الا رحمة الله تنتشل الجميع .. ويكون الذى تعرف والذى نعرف والذى لا يعرفه المريض .. ولا حول ولا قوة الا بالله !

الأهرام ١٩٨٥/١/٥

انقذوا لغتنا الجميلة

للأستاذ عبد الدايم أحمد عمر

اللغة العربية : لغة كتاب الله : لغة اختارها الله لتكون وسيلة التعبير لاصلاح الناس وخير الناس وسعادة العالم .

اللغة العربية : لغتنا نحن العرب ولغتنا نحن المصريين ، ولغتنا نحن الناطقين بالضاد ، أرادها الله لغة دستور السماء لدنيا الناس من مئات اللغات .

فللعربية أن تفخر بهذا وحبذا لو حافظ أهلها عليها من الضياع .

انفتحنا على العالم وانفتح العالم علينا : فجاءنا المال ، وغزانا العلم : وهذا طيب ولكن الذى نخشاه الغزو اللغوى الذى كاد أن يبعدنا عن لغتنا .

أسير فى شوارع القاهرة وأسافر الى سوهاج والاسماعيلية فأرى « لافتات » لا تعرف العربية : ما هذا؟!

هل عجزت لغتنا عن البيان هل ضاقت لغتنا بالاعلام : ؟ ليعلم ـ سادتنا ـ المسئولون عن اللغة فى الأزهر وفى التربية والتعليم وفى وزارة الثقافة وفى الجامعات وفى وسائل الاعلام مدى خطورة هذا الزحف علينا . رضينا بالانفتاح الاقتصادى ولكننا لا نرضاه أبدا أن يزحف على لغتنا .

فالأمة لغة ، والدولة لغة ، واذا فقدنا لغتنا فعلى دنيانا ودينا السلام وعلى الدولة العفاء . الأمن صحوة من أجل لغتنا الجميلة .

الأمن يقظة من أجل حياتنا الكريمة تكاد اللغة العربية فى مدارسنا وجامعاتنا تنتهى ، وعجلة الحياة تسير ولا تنتظر تباطؤنا وتكاسلنا .

فاذا أردنا للوطن عزا ، وللقرآن الكريم حفظا ، وللتراث العربى بقاء ، فلنبق على لغتنا ، ولنعمل على نمائها ولنحافظ على قواعدها ونحوها .

ولا شك أن المدرسة هى الوعاء الأول الذى نبدأ فيها بالعلاج قبل أن يستفحل الداء

ويتأصل البلاء .

الاخبار ٢٣/١٢/١٩٨٤ م

مواقف للأستاذ انيس منصور

لا الوم احدا من الاخوة العرب على انه جاء الى مصر وسهر وسكر وضرب وهرب . وانه وانه .. فهو لم يقتحم بيتا ، ولا القى بنفسه على احد .. وانما هو وجد بابا مفتوحا فدخل ، وسريرا ناعما فنام ، واحضانا دافئة فاحترق ، ودخانا ازرق فاختنق ، وطولب بالأجر فدفع ..

وقد حدث ذلك كثيرا وطويلا فى بيوت لايمكن حصرها ، ولولا أن سيدة ماتت قتيلة أو منتحرة فى بيت الملحن بليغ حمدى ، ما عرفت الملايين شيئا من هذه الفضيحة التى فيها كل عناصر المأساة والمهزلة ــ وكل ما يدعو الى حقد الناس وشماتتهم أيضا . ففى هذه الفضيحة : جنس ومال ومصريون وعرب وخمر وحشيش .. وفيها شهود الزور وفيها الذين يعلمون ويسكتون ، والذين يزورون ، وهم يعلمون . وفيها « القوادون » تجار وسماسرة الملذات ، والذين هم عار على مصر !

فما الذى نقوله للكثيرين من الشباب ؟ وكيف نجرؤ أن نواجه الصغار بالحقيقة ، وما هى الاعذار التى نقدمها للذين يخافون على الدين والاخلاق والوطن والتربية والتعليم ؟ وهل هذه هى القاهرة ، وهل القاهرة هى مصر ؟ وهذا الذى حدث يمثل كم فى المائة من حياة الليل فى بلادنا ؟

ولا أظن أحدا يعطف على أطراف هذه الفضيحة ــ ابتداء من بليغ حمدى وانتهاء برجل الامن السابق الذى يعمل سكرتيرا للمليونير السعودى ، فهم جميعا غارقون فى الوحل الذى يضعه الناس لهم فى كل بيت ــ وليس ذلك الا جزءا من العقاب ..

الاهرام ٣/١/١٩٨٥

الأستاذ عبد القادر عبار

الحركة الحضارية وغياب المشاركة الاسلامية المعاصرة

لا جدال فى ان قرننا الحالى شهد ولا يزال يشهد ازدهارا هائلا وتقدما ملحوظا فى شتى مناحى الابداعات الحضارية : من فتوحات علمية متنوعة باهرة و «التقنيات» عصرية عالية مدهشة لم يحفل بمثلها التاريخ البشرى من قبل .. بصرف النظر عن مدى التوظيف السيء والسلبى الذى استهدفت له كثير من الاختراعات والآليات تلك التوظيف الذى كانت له انعكاسات سيئة ونتائج وخيمة على الكون والانسان .. والراجع اساسا الى ضمور الوازع الدينى والأخلاقى فى الضمير الغربى .

ولا جدال كذلك فى كون الغرب بجناحيه هو صاحب الريادة فى ذلك والمتقدم قبل غيره فى كثير بل فى جل ميادين العلم و «التقنية»(١)

(١) الفن والعلم الذى تبنى عليه صناعة شىء معين يتميز بالدقة والتقدم .. مجلة الازهر .

تطويرا واكتشافا وابتكارا .. نقولها بكل موضوعية بعيدا عن أي انفعال عاطفي . فقد

استطاع العقل الغربي بما توفر له من أسباب العمل وما تهيأ له من عوامل البحث والفعالية: كالحريات والمصداقية والأمن الثقافي والفكري والعلمي والاجتماعي والتشجيع الأدبي والمادي والرعاية المستمرة والمتابعة الجادة والتخطيط والمنهج .. أن يقطع أشواطا عملاقة في مجالات الابداع والابتكار والبحث .. مسجلا بذلك بصمات مشرقة وانتصارات جلية في مختلف مناحي الابداع الحضاري .. تشهد بريادته وتفوقه . الا أن الحقيقة التي يجب الا تغيب عن الذهن ونحن نقر هذا الامتياز العلمي للغرب ونعترف له بهذه الريادة .. هي أن العقل الغربي لم ينطلق من فراغ ولا من لمسة سحرية .. ليسجل كل هذه الانتصارات والفتوحات ، وما كان له أن يصل بهذه الدرجة من السرعة ، الى ماهو عليه اليوم من تفوق وسبق لو لم يجد بين يديه بدايات جادة ومقدمات متينة وأسسا راسية وجهودا سابقة ، اعتمدها كمرتكزات

ومنطلقات لبداية سيرته العلمية . فقد انطلق هذا العقل من حيث انتهت خطوات سلفنا من علماء الاسلام في العصر القيادي للحضارة الاسلامية التي أضاءت للغرب الأوربي ظلمات عصوره الوسطى . وقدمت له مع أجهزة الرصد الفلكي ذخيرة من علوم الطبيعة والملاحة والطب والرياضيات والفلك .. وهذه حقيقة يعترف بها علماء الغرب أنفسهم ، وكشفت عنها وسطرتها بكل موضوعية الكاتبة الألمانية « ايزفريت هونكا » في كتابها القيم « شمس الاسلام تسطع على الغرب »وأفصح عنها « غوستاف لوبون » بقوله « ان جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردا

علميا سوى مؤلفاتهم » « يقصد علماء المسلمين » وانهم الذين مدنوا أوروبا مادة وعقلا وأخلاقا ، وتأثير العرب عظيم في الغرب .

غياب المشاركة العلمية الاسلامية

ويرجع الكاتب غياب المشاركة العلمية الاسلامية الى عدة أسباب منها :

حرص الغرب على ابقاء العالم الاسلامي في صفوف الدول المتخلفة أو بالعبارة المهذبة الخادعة « الدول النامية » وقد سلك لهذا الغرض سياسة تتسم بالعداء الصريح والمكر الحاد وهي تركز على محاربة الاسلام وابعاده عن ساحة التأثير والفعل والحركة ، حتى تتعطل المحركات الفاعلة والطاقات الايجابية التي باستطاعتها استنهاض الأمة وتجديدها وبعثها من رقدة البطالة والتخلف ، والارتقاء بها الى مراكز الريادة وقمم المجد .

صحيفة « الرائد » الهندية
ماذا بعد انديرا غاندى

بلغت انديرا غاندى من العمر ٦٧ سنة ، وحكمت الهند حوالى ١٦ عاما . كانت انديرا غاندى تسير على خطى

والدها جواهر لال نهرو فى الاهتمام بالقضايا الدولية ، وعرض نفسها كرائدة للسلام العالمى ، ونالت فى هذه السياسة تأييد الاتحاد السوفيتى ، وابرمت معاهدة صداقة معه فى عام ١٩٧١ م .

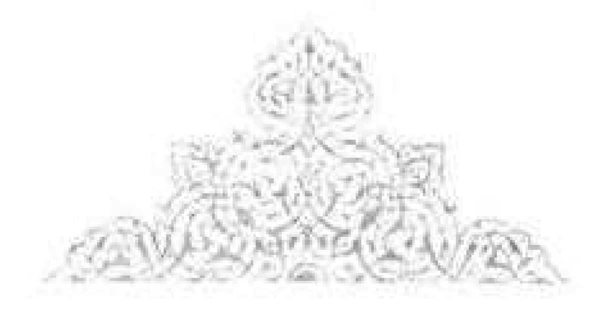
ولذلك كانت سياستها تميل الى الانسجام مع سياسة الاتحاد السوفيتى ، ومن أجل ذلك ازداد النفوذ السوفيتى فى سياسة الهند . وأيدت حركة الشيخ مجيب الرحمن التى ادت الى انشاء دولة مستقلة باسم بنغلاديش بعد أن اشتركت القوات الهندية فى الحرب مع باكستان ، وقد نوه بهذا الدور قادة بنغلاديش فوصفها رئيس بنغلاديش بأنها أم بنغلاديش رغم تمسكها الشديد بعقائدها وثقافتها الهندية كانت أنديرا غاندى تعلن بصراحة بأنها متمسكة بالعلمانية . ولكن غلبت العناصر الطائفية فى العهد الأخير وتمكنت من النفوذ اليها مما أدى الى حرية تصرف بعض الزعماء الطائفيين وتغلغلهم فى الادارة ، فازدادت نشاطاتها التى أسفرت عن حوادث مؤلمة فى الهند وكانت هى نفسها ضحيتها فقد قويت الطائفية فى بنجاب وآسام وكشمير .

كانت نشأتها فى البيئة السياسية بمعناها الحديث ، ورضعت بلبانها ففاقت أقرانها فى البقاء فى الحكم . لكنها تركت عدة مسائل مستعصية للقيادة التى تخلفها ، فان علاقات الهند مع الجيران غير طيبة ومشكلة بنجاب وآسام ، وكشمير ، وجنوب الهند والتامليين ، والطائفية تهدد سلامة البلاد .

وتوسعت نشاطات المتطرفين وامتدت مظاهرة قوات الأمن فى أعمال النهب والسلب التى شوهدت أخيرا اثر اغتيالها بأشنع مظاهرها .

هذه المشاكل المعقدة المتفاقمة تحتاج الى معالجة دقيقة ورزينة ، ودراسة لأسبابها ، وامل غاية أنديرا غاندى الزائدة بالمصالح الحزبية لم تسمح لها بالتركيز على هذه المشاكل القومية ولكنها الآن تهدد سلامة البلاد ولا يمكن اغفالها طويلا ، فان الأمن الداخلى ورضى سائر الطبقات وعلاقات حسن الجوار دعامة لنظام حكم حكيم مستقر متقدم .

الرائد الهندية ١٩٨٤/١١/١٦



« كتاب خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها »
« نظرات فى اشراق فجر الاســـلام »

تأليف
الأستاذ عبد المنعم محمد عمر وكيــل وزارة
الثقافة الأسبق

منهج جـــديد فى التخطيط للســـيرة النبوية الشريفة وأســـلوب جـــديد فى كتابتها ٠

لايقتصر هــذا البحث على الــدور الهام الــذى قــامت به أم المــؤمنين خـــديجة رضى الله عنهـــا فى فجـــر الاسلام ، ولكنه يتناول كذلك الجوانب المختلفة لموضوعات الســـيرة النبـــوية الشريفة ، ويمتاز بالمستوى الرفيـــع فى منهجه وفى أسلوبه ٠

وينهج الأســـتاذ المــؤلف فى تصـــنيف هذه السيرة منهجا أهم عناصره :

١ ــ الاعتماد على القرآن الكريم باعتباره المصدر الرئيسى فى كتابة الســـيرة النبـــوية الشريفة مع الاستعانة بكتب أسباب النـــزول وكتب التفسير ٠

٢ ــ الاستعانة بالحديث الشريف المروى عن الصحابة مع التوثيق من كتب الصـــحاح

٣ ــ عدم الاكتفــاء بسرد الحـــوادث ، والعناية بذكر المقدمات والأسباب والتى أدت اليها وشرح النتائج التى أسفرت عنها ٠

٤ ــ العناية ببحث الروايات المتضاربة وترك الضعيف ، والاعتماد على المروى منها عن كبار رجال الصحابة ، كما يتضح ذلك عنـــد بيان أوائل من آمن بالله الواحد وبرسوله ﷺ ٠

تصحيح الروايات المدسوسة فى الســـيرة مثل تصحيح الرواية عن عمر السيدة خديجة أم المؤمنين عندما تزوجت محمد بن عبـــد الله ﷺ

٥ ــ التقديم بذكر نبذة علمية تاريخيـــة مختصرة عن تاريخ جمع الحـــديث وتدوينـــه وكتابة السيرة النبوية الشريفـــة ممـــا ييسر للشباب الاستمرار فى البحث والتوسع فيه ٠

٦ ــ الاستعانة بأهم المصادر التى بـــذل أصحابها أقصى ما يستطيعون من جهد لجمـــع كل ما وصل اليهم من أخبار السيرة والمغازى ، وكذلك ما أمكن جمعه من تراجم الصـــحابة والتابعين والمقارنة بين تلك الروايات وبخاصة المتناقضة منها حتى يمكن الوقوف على أصـــح

الروايات وأقربها الى الحقيقة مع الاكتفاء بذكر عيون الاخبار مع التوثيق العلمي الدقيق .

وبهذه العناصر الرئيسية المتكاملة ، نرى الكاتب يرسم لنا صورة حية للسعادة التى كان يعيشها جميع أفراد أسرة الرسول الكريم قبل الرسالة الالهية الكبرى .

ثم نرى كيف تتسع دائرة هذه السعادة حتى تشمل الأهل والأقارب من بنى هاشم وبنى أسد الذين أصبحوا بفضل محمد ﷺ يرتبطون برباط المودة والرحمة والتعاون مما كان ينبع من خلق محمد بن عبد الله الذى لم يكن يتوانى عن ادخال السعادة عليهم أجمعين ، فهو يعطف على الأهل ، ويحنو على الضعيف ويغدق على المحتاج ولا يدخر وسعا فى سبيل بذل الجهود فى العمل على تنمية تجارة خديجة — رضى الله عنها — .

* وقد اختار الكاتب لكتابة السيرة الشريفة أسلوبا جديدا أهم عناصره :

١ — كتابة السيرة الشريفة بأسلوب عصرى يمكن أن يستسيغه المعاصرون ، وبخاصة الشباب منهم ، ويشجعهم .

٢ — صياغة السيرة بأسلوب يتسم بالموضوع ، هو أسلوب السهل الممتنع الذى يغرى القارىء بمتابعة الاطلاع عليها ، والعناية أحيانا باختيار بعض النماذج من الأقوال والخطب والأشعار التى قيلت زمن الرسول الكريم ، وشرح ذلك شرحا مبسطا حتى يعتاد الشباب على قراءة مصادر البحث التى ألفت ابتداء من القرن الهجرى الثانى وفهم أساليبها مما يساعد فى المستقبل على فتح مجال البحث أمامهم فيها .

٣ — رواية أحداث السيرة الشريفة فى القالب القصصى الحديث الذى يرتب الحوادث ترتيبا زمنيا ، ويتسق بين تتابع أخبارها بحيث ينتقل القارىء من فصل الى آخر انتقالا طبيعيا مما يخلق فى القارىء الرغبة فى متابعة القراءة .

فاذا أضفنا الى ذلك عناية المؤلف بالتقديم للكتاب بنبذة مختصرة عن تاريخ جمع الحديث الشريف وتدوينه ، وكتابة السيرة النبوية الكريمة ، ندرك مدى ما بذله الاستاذ الكاتب من جهد فى التخطيط لكتابة هذا الجزء من السيرة النبوية العطرة فى ثوب عصرى وأسلوب سهل متميز بالمستوى الرفيع فى المنهج والمادة .

جزاه الله تعالى احسن الجزاء على ما قدم للمسلمين والسيرة النبوية الشريفة وللتاريخ الاسلامى .

احمد حلمى محمد عبد الرحمن
خبير مجمع اللغة العربية
وعضو لجنة احياء التراث الاسلامى
بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية

فهرس العدد

الاعـلام الاسـلامى

العلوم الكونيـة

التـراث

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

utility of the trial and the punishment altogether. No change must, later, come upon the confession or the testimony. Should the witnesses turn out below the required integrity, the decreed penalty must be dropped. Furthermore, the applied item of the legal code must positively and expressly incriminate the particular act to be penalized.

Hence, penalty in Islam cannot be described as brute or inhuman. Punishment is indeed brought to a minimum, but it remains a real deterrent and a strong remedy. Still a good number of punishments can be pardoned before or during litigation. It is the injured party that abdicates his rights, out of forgiveness and kindness. A penalty dropped, however, does not mean that a discretionary sentence is capable of remission.



awaits the apostate, and, in case of escape, that his property will not be inherited by his dear and worthy people, and that all his family and social affairs will get involved and muddled, is not a thing to belittle at all. Hence, apostasy cannot be a foul play by the reckless or the philanderers.

Once a law is established by Shari'a, it is not for the ruler to enact a countermarch of it, or to alleviate or drop its penalty. His is only an executive responsibility. A judge or a law-maker, however, must avert punishment in view of judicial doubts, and judicial errors.

There may be a resemblance on the surface between an illegal act and a lawful one. This furnishes an excuse for the wrong-doer and exempts him from the prescribed penalty. Cases differ, where doubts attach to the act itself. But reasons for exempting the sinner from the expected judgment may underlie other considerations. Ignorance of the ill in the act, unawareness of hidden facts which could otherwise check the offender, are also among the reasons that determine the judge against applying the original penalty. Still, the evidence must be positive and undelayed. The sentence, too, must be passed without undue delay, or suspicion will attach the

Some jurists say his fortunes go to the State's treasury, whereas others pass them to his Muslim heirs.

So severe as is the punishment of apostasy, the charge must be established on positive proofs which leave no trace of doubt. Examples of acts of apostasy are:

1. Abuse of the Prophet, be upon him peace from Allah.

2. Denial of the commands and prohibitions established by express verses and traditions.

3. Denial of the fundamental doctrines of the faith.

It is noteworthy that most apostates from Islam have always been deceitful or frivolous people who hardly care a bit for the cause of Right. Even those who fall under the pressure of prosecution or compulsion, never think of rejecting the faith. If ever, they might feign apostasy to escape prosecution, but in no way do they take it up at heart.

It would be a misnomer to call swaying from one faith to another, or, still worse, disbelief altogether, freedom of thought and liberty of belief, as do some so-called modernists. Indeed, the penalty for apostasy in Islam is meant to be a deterrent from such contemptible acts of licence for selfish ends. To know that death



According to some a female apostate is imprisoned either until she dies or until she returns to Islam. Most jurists, however, assert that unless she returns to Islam, she must be killed.

As regards the apostate's property, there are three views:

1. He retains his right of ownership until he dies or repents. If he dies in unbelief, all his property, acquired both before and after apostasy, passes to his heirs.

2. He forfeits all rights to ownership, and his wealth goes to Muslims.

3. His rights of ownership are to be suspended so that either he regains them with repentance or forfeits them with death.

Should an apostate fly to a hostile camp, his property continues to belong to him, as maintain the majority of jurists. It must be placed in a trustworthy man's charge or kept by the ruler. The apostate being alive, his property is neither to be inherited nor confiscated. On the other hand, some claim that he is as good as dead and hence his property passes either to his heirs or to the public treasury.

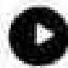
Opinions differ as to the heirs of an apostate.

Opinions differ among Muslin jurists as regards non-Muslim subjects and residents. Some say that those are equal to Muslims in terms of rights and obligations, and so they are required to observe the moral considerations of Islam with due respect. However, unlike Muslims, on whom punishment is executed for the act of drinking a toxicant, those non-Muslims are to be punished if they are taken in a state of intoxication. On the other hand, other doctors of Muslim law, see that a foreigner whose faith and tradition do not forbid drinking is not to blame and must be exempted from punishment.

For a punishment to be executed, it is stipulated that the sinner be seized with his breath smelling of the liquor. However, most jurists are of opinion that confession or reliable testimony by two witnesses is sufficient.

Penalty for apostasy from Islam:

An apostate from Islam could never have tasted the sweetness of the faith. His punishment is death. However, the majority of jurists are of opinion that an apostate is first to be convinced to go back from apostasy. He must be allowed a delay of a few days until hope for his repentance is all vain. Two types of apostates, however, are not to be induced or expected to repent, namely notorious pretenders and those who had once before showed repentance for apostasy.



PENALTY IN THE ISLAMIC LAW

(Cont.)

Penalty for drinking intoxicants.

By: Soliman Barakat

Islam has always pointed out that intoxicants are not becoming to a believer. They do more harm than good. Muslims were first admonished against them, then they were forbidden to drink them and a "hadd" was decreed and put into effect.

This penalty, however, is to be inflicted only upon them who drink voluntarily, knowing the breverage to be intoxicating and therefore unlawful. So, no punishment is incurred if a man takes a liquor under the pressure of necessity or compulsion, or if he is unaware of its nature.

It is unlawful in Islam to take intoxicants as a medicament or a warmer save in case no other remedy is available. So, such an act is a punishable sin in the eyes of most jurists of Islam.

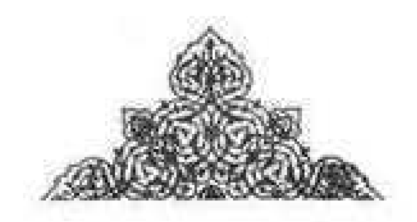
The punishment of a slave is half that of a freemen.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Marrifa, Beirut.



and peace from Allah upon him) during the early month of the fifth year after Hijrah. With clear insight, there was a certain realisation that dark clouds were gathering to culminate into stormy events that would be decisive to the future of the Islamic nation. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims awaited the oncoming events with watchful concern and strategic procrastination.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

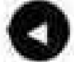
3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980.

excell all other challenging forces. Real belief in Allah, and piety breed strength and confidance and bring out the excellence of human abilities. This very endeavour for the cause of Allah is in itself a most outstanding way of submission to Allah. To sell the glory, riches, and limelight of worldly existance for martyrhood in the cause of Allah; is the most rewarding exchange man can attain. With these principles, conceptions, understanding beliefs, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) schooled his companions from the elements of the divine revelation.

There were no major confrontations since the battle of Uhud except the siege of Bani Al-Nadhir and their expulsion from Al-Madinah. All other missions, confrontations, and armed oppositions were not of a major nature, although they remained to have their social and psychic importance. The two incidences of Al-Ragiee and Maoonah were of a trecherous nature, and inspite of Muslim Casualities, these two incidents remain a sign of Muslim intention and aim to propagate and promote the doctrines of Islam.

The Muslim-Koraysh conflict still remained to be renewed; and the Muslim-Jewish relations at Al-Madinah were still far from cordial and clear. Both these situations were the prime concern of the Prophet (prayers



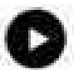


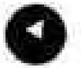
peace from Allah upon him) received information that Arab tribes at Dawmat Al-Gandel were forming troops of men molesting travellers and living on robbery. These tribes also gathered to make war against Muslims at Al-Madinah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left in one thousand men, leaving Al-Madinah under the ministership of Sabaa Ibn Arfatah Al-Ghaffary. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his men journeyed by night and reclined by day. When Dawmat Al-Gandel was reached at the northern eastern territory near the Syrian border, the tribes there disbanded and retreated, and the Muslims were met with no confrontation. They remained there for few days to authorize their presence and then started their journey back to Al-Madinah. This mission reflects the extent of authority and influence of Muslim reaching as far north as the Syrian border. It also manifests the extreme patience and tolerance of devout Muslims to subdue themselves to severe hardship and possible death. They are motivated by their piety and belief, to proclaim that Allah is One and that the Words of Allah are supreme and are the summit above all. This remains and will always be the latent potent powers of devout Muslims that will always

and example, a specific highly developed matrial to remain as an encyclopedic corpus to the Muslim generations. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) perceived these facts with ultimate comprehension of their importance and momentum in the syntax and texture of Islamic constitution. Besides, there were voluminous matters that remained requiring the highest concern. Such were the potential underlying hatred of the Jews at Al-Madinah, the outspoken frank open enmity of Koraysh, the neighbouring and distant Arab tribes, and the bordering nations of the two great Roman and Persian empires.

The repeated occurances of confrontations, combats, and armed missions were certainly deterring the promotion of the structural growth and stability. However, such confrontations were necessary to establish integrity, authority and dominance; and above all, they certainly achieved diffusion and expansion of Islam. Some of these confrontations were dictated and imposed upon Muslims, and on other occasions, they were deemed necessary as a process of a defence mechanism.

The mission of Dawmat Al-Gandel was carried out during the third month of the fifth year after Hijrah, the month of Rabie Al-Awal. The Prophet (prayers and





him).

The last mission during the fourth year was the final Badre, where Koraysh did not come to the prestated appointment which Abu Sufyan himself had declared at the closure, of the battle of Uhud. The failure of Koraysh to meet at Badre certainly erradicated any success that they might have achieved at Uhud; and certainly promoted the Muslim prestige. However, the confrontation berween Koraysh and Muslims was inevitable and was only postponed on the part of Koraysh to meet the Muslims under more favourable conditions in order to affect a final dominant victory over the Muslims.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah to watch and study surrounding events with the divine wisdom, master intellect and strategic mind. There was a whole nation to be built, the foundations and infrastructure of which was to be constituted. The social discipline and development, the code of life of Islamic society of the existing thousands at the time, and for the endless millions to follow through the ages till the day of eternity. Besides the divine revelations, there must be a substance of refrence

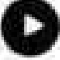
THE BEGINNING OF THE FIFTH YEAR

In the name of Allah, Most Gracious, most Merciful

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

During the month of Shawal of the fourth year after Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Um Salamah widow of the late Abu Salamah Ibn Abdel Assad Ibn Hilal Al-Makhzoumi, an early muslim, and an emigrant to Ethiopia. Her eldest son Salamah supervised and authorised her marriage to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Salamah had died much earlier during the fourth year affected by previous wounds acquired at the battle of Uhud.

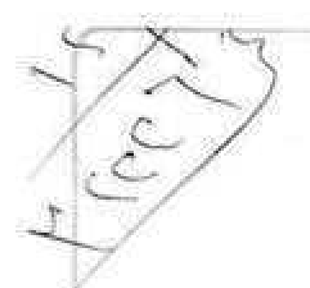
During the month of Shabaan of the fourth year, Hussien Ibn Aly Ibn Abi Taleb was born to Fatimah daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon



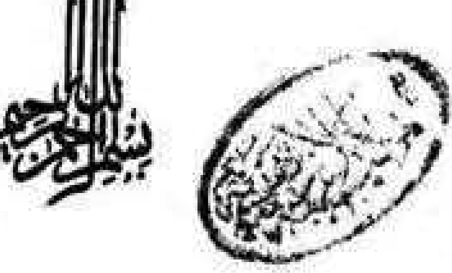
AL AZHAR MAGAZINE

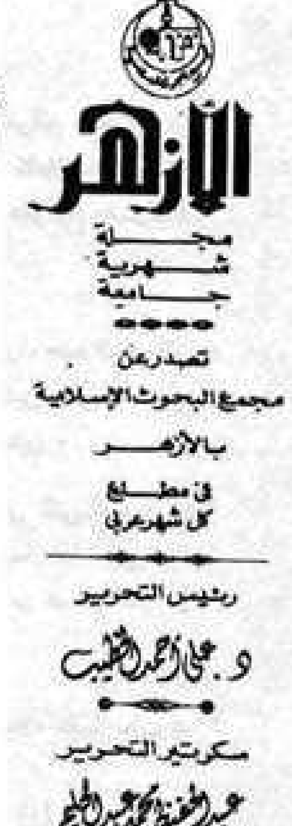


ENGLISH SECTION









الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

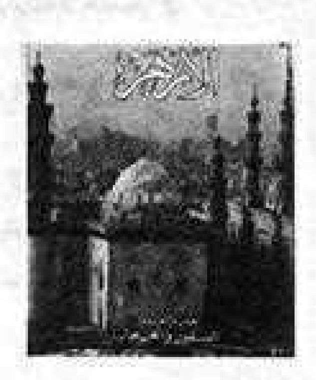
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



لن نشقى بهذه الفتوى!

كالدجاجة المسموتة تحمل في عنقها ختما يقول: « مذبوحة على الشريعة الاسلامية » خرجت علينا فتوى تحل للناس التعامل بالقوائم الوهمية ·

تلك القوائم التي تعِدُ حاملها بربح قدره: « عشرون ومائة وخمسة آلاف جنيه » خلال عملية حسابية معقدة التركيب لا تنزع الى عمل حلال ولا تقوم على أساس حلال ·

ا الجزء السادس
السنة السابعة والخمسون

* جمادى الآخرة ١٤٠٥ هجرية *
* مارس ١٩٨٥ ميلادية *

لن نشقى بهذه الفتوى

وسرعان ما تلقفت العصبة الداعية الى هذه القوائم هذه الفتوى فنشرتها فى الصحف اليومية فأخذت نصف صفحة كاملا بجانب أكثر من صورة يدعى أصحابها أن هذه القوائم أزاحت همومهم وفرجت كروبهم .

ولست أشك فى أن صاحب هذه الفتوى لا يعلم ما وراء هذه القوائم من تصرفات لا تمت الى الدين بصلة ، فأساء بفتواه الى الدين والى الناس أجمعين ، قبل أن يسيء الى نفسه والى العاملين بحقل هذا الدين .

كذلك لست أشك فى أن فضيلة هذا المفتى قرأ الفتوى التى أصدرها مفتى الجمهورية الرسمى الذى كانت فتواه مؤسسة على شريعة هذا الدين فيما يَحِلُّ وفيما يُحَرَّمُ فسبق الى كلمة الحق فى أمر هذه القوائم من قبل أكثر من شهرين (١) ، وقال فضيلته :

« ان هذه القوائم عملية ابتزاز لأموال الناس ، واستيلاء عليها بطرق غير مشروعة ، وبالتالى يكون التعامل بها غير جائز شرعا .

وطالب فضيلة المفتى السلطات التنفيذية بالقضاء عليها (١) .

وكيف ننكر أن فيها ابتزازا ، وهى تقوم على عمل غير مشروع وتغرى بكسب مستحيل يتحقق — يوم يتحقق — اذا اشترى القوائم مليون شخص ، ثم تداولها من بعدهم ثلث سكان العالم ، وهو ما يستحيل تحقيقه ... وهو ما حدث لدى الذين اشتروا هذه القوائم فخسروا أموالهم وتبدد طمعهم فى الثروة المرجوة .

فهل خاف بذهن فضيلة المفتى المعقب هذا الحسبان .. ؟ .

طبعا : لا ..

ان الحلال بَيِّن ، والحرام بَيِّن ، وشريعة الاسلام تحل الكسب من عمل حلال ، أو المشاركة فى عمل حلال ، وأمر الحلال المشروع لم يتوفر لهذه القوائم

(١) انظر عدد ربيع الاول ١٤٠٥ هـ مجلة الأزهر .

مثلما توافر لها من تدبير عائلى محكم لايهام الناس بالحصول الفعلى على هذه الآلاف .

ولكم أســاءت هذه الفتوى الى العلماء حتى قالت صحيفة فى مقــال لهــا بعنوان : « عالم النصب المثير » .

« ورجال الدين تارة يؤيدون دون أســانيد مقنعــة ، وتــارة أخــرى يرفضــــون » ..

ورجال الــدين أبريــاء .. !

والصحيفة كانت وقورا فى كلمتها ، ومعذورة فيها ، فقط ليتها قالت :

« وهــذا واحد من رجــال الدين يؤيد دون أســانيد مقنعة » ..

فلماذا يفعــل ... ؟

وفى الناس مغرضــون ، وهم كثير ..

فكم من مســتفت هازئ، .. ؟

وكم من مستفت يريد أن يأتى المعصية بوثيقة شرعيــة .. !

وكم من مستفت رائع الدُّرْبَة فى صياغة استفتائه بثــوب « الضرورة » حتى تبيح له « المحظور » .

وكم من مستفت يريد أن نقول له : كل « التمثيل » حلال ، وكل « الغناء » حــلال ... ! ... !

فلماذا نعطيهم دنياهم بآخرتنا .. ؟

وأين نحن حين تتمزق الوجوه وتتســاقطُ أمام رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ... ! ؟

قليل جدا ، أولئك الذين يستفتون ليقيموا دينهم ، ولأولئك تكــون العطية ويكــون الجــواب .

ثم بعــد .... فها نحن نرى تزايد الناس أمام آخر فتوى صــــدرت أفليس أجدر بنا ، كما تعلمنــا بين جــدران الأزهر الشريف ، ومختلف أروقته ألا نعقب على الفتوى حتى تكون الأولى مخالفة لما عليه الكتاب والسنة .. ؟

وألم نتعلم أن نقول : لعل فضيلة الشيخ أفتى ، حين أفتى ، وقد فــاته كذا ... وكذا ، فنقيم الصواب والأدب معا ... !!

لن نشقى بهذه الفتوى

وليت المعاهد الأزهرية بكل مدينة تعود الى ما كانت عليه فى هذه المدن من تخصيص لجنة مُفْتِيَة ، مثلما كان عليه الحال فى المعاهد سابقا وأعلم — وأرجو أن أكون على صواب — أن مشيخة الأزهر الشريف لم تطلب الى المعاهد الغاء هذه اللجان التى اقبلت عليها المعاهد اسهاما منها فى التخفيف عن الناس وتفقيههم فى مشاكلهم .

حبذا لو عادت فكانت خطوة عملية فى سبيل تنظيم للفتوى لا يتطرق اليه متسلقون .

ثم بعد :

فانا نحمد الله على تبيانه الحق وأخذ الدولة به ، فعلى ضوء فتوى فضيلة مفتى الجمهورية عملت أجهزة الدولة المختلفة ، وانتهى الامر الى مشروع أعده وزير الاقتصاد ورفع الى مجلس الدولة ليقضى على القوائم الوهمية ، وما شابهها من احتيال يستغل حاجة الناس ، ويزيدهم نفرا فى الدين وَكَلَبًا على الحياة .

د. على أحمد الخطيب



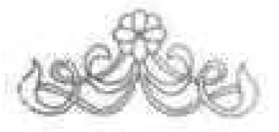
دراسات قرآنية

الواحد الصمد



فيه شفاء للناس

أكثر الناس في القرآن الكريم



الإجزاء في معرفة الأجزاء

الواحد الصمد

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » •

« البيان »

حديثى هذا مع الذين آمنوا ليزدادوا ايمانا ، ومع الذين ارتابوا ليستأصلوا الريب من نفوسهم ، ويثوبوا الى رحاب أهل الايمان والاطمئنان •

فهى رحبية بعيدة المدى ، تتسع لأهل الفكر الرشيد والعقل السديد ، الذين اذا ذكروا ذكروا ، واذا أرشدوا رشدوا •

ينظر المتأمل فيرى هذا الكون الفسيح وما فيه من جمال وجلال ، يرى من فوقه قبة زرقاء مزدانة نهارا بالشمس ترسل أشعتها على الغبراء ، فينقشع عنها ظلام الليل ، وتلبس حلة من النور والجمال ، وينبعث فى أرجائها الدفء والحياة •

ويرى السماء ليلا مزدانة بمصابيح نيرات ، تهدى السارى اذا سرى وترشد ربان السفينة اذا مخرت ، وهى الى جانب ذلك ذات وظائف فى الكون ، عرف بعضها العلماء ، وجهل مالا يحصى منها الباحثون •

ويرى من تحته أرضا يابسة اذا وضع فيها الحب وأصابها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، طعاما للآكلين ، وفاكهة للمتفكهين ، وزهورا للمتنفسين ، وزينة لأهل الأذواق العالية ، وراحة للنفوس المكدودة •

ويرى من حوله جبالا شامخة أرسيت بها الأرض حتى لا تميد ، واتخذت منها القصور والحصون ، ورصفت بها الطرق ، واتخذت منها منافع تفوت الحصر ، ولا يحيط بها العد •

ويرى هذه اليابسة تنتهى الى بحار مضطربة ، تموج بها أمواج تلو أمواج ، وعلى شفافها النسيم العليل والهواء البليل ، يلطف حرارة الجو ويريح النفوس المكدودة ، وينظم الأنفاس المضطربة ، وتجرى فيها الزعانف والحيتان ، وحيوانات البحر الكثيرة الأنواع والألوان ، تحيا فى جوف الماء ، وتموت ان خرجت الى الفضاء ، بعكس سائر الحيوان ، ويكمن فى أجوافها اللؤلؤ والمرجان •

ويرى الحر اذا حمى عليه وطيسه ، وتصبب منه عرقه ، هب فى اثنائه نسيم عليل ، أراح أنفاسه وجفف عرقه ، يرى هذا وغيره من مختلف العجائب فيقول لنفسه : هل حدث



هذا الكون من غير محدث ؟ ، كلا فلا توجد صنعة من غير صانع ، ولا حدث بغير محدث ، !!

وهذه صنعة عظيمة فلابد لها من صانع أعظم منها ، أبدع قوانينها ، وربط مصالحها وأجزاءها ، فلم يخرج منها مقدور عن قدرته ، ولم يبعد كبير منها أو صغير عن قدرته .

ثم يقول لنفسه : ان الوجود والعدم أمران متساويان ، فلا يمكن أن يرجح الوجود على العدم الا بمرجح ، فهل رأيت كفتى ميزان رجحت احداهما على الأخرى بدون مرجح ، فاذا قالت له كلا أجابها بأن هذا الكون كذلك ، لا يمكن أن يترجح وجوده على عدمه السابق لهذا الوجود الا بمرجح هو الذي اختار أحداثه ، وآثره على ابقائه فى حالة العدم .

واذا قلت لك ان الوجود والعدم أمران متساويان فذلك من باب التساهل معك ، والا فالحقيقة أن العدم أرجح من الوجود لسبقه عليه ، فترجيحه على العدم الذي هو أرجح منه لا يكون الا بقدرة ومشيئة قادر حكيم .

فاذا علمت هذا فماذا رأيت فى أعماقك ، بعد هذا العلم ، ستقول ان كنت من المؤمنين : لقد ازددت ايمانا على ايمان .

وان كنت مرتابا فتقول : لقد كشفت لى ما كان مغطى على ، وجعلتنى موقنة بخالق هذا الكون .

تقول هذا نفس رجل ليس سادرا فى غيه ، ولا متأثرا باضلال غيره ، يستمع الى داعى الحق فى انصات ، ويتفهم حججه دون التواء ودون عناء ، ويستجيب للبرهان دون لجاج ، وهذا هو الشأن فى أولى الألباب .

(وحدة الخالق)

وقد يتجه هذا المتأمل الى العالم قائلا : اتضح عندى أن لهذا الكون خالقا ، لكننى أريد أن أتبين ، هل هذا الخالق واحد أم متعدد ؟.

ان الصنعة العظيمة تحتاج الى عدد من المهندسين والعمال ، لكى يحولوها من فكرة الى واقع ، وهذا الكون لا حد لعظمته ، ولا مدى لجلاله ، أفلا يحتاج الى عدد من الآلهة ومن يعاونهم ، حتى يوجد هذا الكون فى بهائه وجلاله .

فيقول له العالم : ليس الأمر كما تقول يا صاحبى ، ان صانع هذا الكون ومبدعه ليس شأنه كشأن المهندسين والعمال والمخترعين والمنفذين من طوائف البشر ، انه خالق واحد لا يحتاج الى خالق آخر يشاركه



الواحد الصمد

في ابداعه ، ولا الى عمال يساعدونه في ابراز مراده من عالم المشيئة الى عالم الوجود ، انه يقول للشيء كن فيكون .

وان له ملائكة في ملكه يأتمرون بأمره وينفذون مشيئته ، وليس شأنهم مع الخالق كشأن العمال مع المهندس المخترع ، فان المهندس يعجز عن تحقيق اختراعه بدون معاونة أولئك العمال الذين ليس له في ايجادهم واتقانهم عملهم دخل .

أما الخالق فانه لا يحتاج الى هؤلاء الملائكة ، فهم من خلقه وابداعه ، خلقهم وعهد اليهم بما أراده منهم ، كمظهر من مظاهر عظمته وسلطانه .

ومن باب ربط الأسباب بالمسببات ، وفاقا لقانونه « وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا » الا ترى أنه تعالى خلق هذا الكون قبل أن يخلق الملائكة ، ثم خلق الملائكة وعهد اليهم بتنفيذ مشيئته فيما كلفهم به ، تحقيقا لصفة جبروته وسلطانه على خلقه ، كما جعل الملوك حكاما على رعاياهم ، واليعسوب ملكة على النحل ، وأميرة النمل سيدة على بنات جنسها ، وغير ذلك من الطوائف .

فالكون مسلسل الطبقات ، ولكل مخلوق فيه وظيفة .

وبذلك تم ملكه على أبدع نظام واحكم اتقان .

قال المتأمل لهذا العالم : انك تكلمت على عدم احتياج الخالق الى عمال يساعدونه ، وقد اقتنعت بذلك ، ولكنك لم تتكلم على هذا الخالق . أله شركاء يساعدونه ؟ أم انه واحد لا يحتاج الى شريك كما لم يحتج الى عمال يساعدونه .

فيجب العالم قائلا :

أيها السائل عن الحق : ان الخالق سبحانه كما لم يحتج الى عمال يساعدونه ، فانه ليس له شريك في ايجاد هذا الكون وتدبيره ، فان عدم احتياجه الى عمال ناشيء من استغنائه المطلق عن المعين والمساعد ، لأن قدرته ومشيئته وعلمه وحكمته ، لا يخرج عن دائرتها اى ممكن من الممكنات ، وأى مقدور من المقدورات .

ومن كان كذلك فهو بغير حاجة الى شريك يعينه ويساعده ، فلا يصح افتراض وجوده ، لأنه يكون الها وخالقا بغير عمل ، لعدم حاجة الكون اليه ، فضلا عن أنه تعالى لو كان له شريك لفسد الكون ، كما قال تعالى : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

لأن هذا الكون العجيب لا يصح أن يكون لخالقه فيه شريك بأى حال ، ولتوضيح ما ذكرنا نقول لمن يدعى تعدد الآلهة : لا يخلو امر هؤلاء الآلهة المتعددين من أن يكونوا مؤتلفين أو مختلفين .

فان فرض أنهم مؤتلفون وأن لكل واحد منهم قدرة وعلما ومشيئة وتدبيرا ومشيئة تماثل الآخرين ، وأن كل واحد منهم قادر على خلق هذا الكون وتدبيره وحده ، فأى حاجة الى تعددهم مع كفاية واحد منهم لذلك .

ان العقل يقتضى أن تعددهم حينئذ عبث ، والعبث على الخالق محال ، فوجب أن يكون الاله واحدا .

وان غرض أن كل واحد منهم قادر على خلق بعض هذا الكون ، ولكنه عجاز عن خلق ما فيه ، فهم يتعاونون على خلقه كله ، بأن يخلق كل منهم البعض الذى يحسنه ، ويكمل به ما يقدر عليه سواه ، وباجتماعهم يتم خلق هذا الكون .

ومثل ذلك كمثل مهندسين يقومون بانشاء مصنع ، أحدهم يقوم بالبناء وما يتصل به ، وثانيهم يقوم بانشاء آلات المصنع وتركيبها ، وثالثهم يقوم بعمل الكهرباء ، وبهذا يتم المصنع ؟ .

والجواب على هذا أن ابداع الكون ليس كانشاء المصنع ، فكل جزء وذرة فيه مرتبط بسواه ، بخلاف المصنع ، فالبناء فيه قائم بذاته ، وكذا الالات والكهرباء ، ولذا يمكن أن يؤسس المصنع فى أرض بدون بناء حوله ، وأن يستعمل الكهرباء فى غير المصنع .

أما الكون كله فمرتبط بعضه ببعض ، لا يستغنى جزء فيه عن غيره ، ولذا تجد العناصر التى يتكون منها المركبات فى الكون واحدة ، والكهرباء والجاذبية فى كل جزء فيه مخلوقة معه ، ولا يمكن خلق جزء منه بغير دراية بخلق الجزء الآخر ، حتى يتم ربط بعضها ببعض بتناسب واحكام .

فمخترع الطائرة مثلا لو لم يكن قادرا على تصميمها كلها ، وعالما بخصائص كل جزء منها ، فانه لا يستطيع صنعها وتحقيق المراد منها ، لا بنفسه ولا بمساعدة من يجهل ما يعرفه هو ، كما أن الذين يقومون بتجميع أجزاء الطائرة وضم بعضها الى بعض ، لا يستطيعون ذلك الا اذا كانوا يعلمون خصائص كل جزء ، وكيفية التقائه بالجزء الآخر ، حتى يتحقق المراد من صنعها .

فاذا فرضنا فى كل اله عجزه عما يقدر عليه الآخر ، فكيف يتعاون معه وهو لا يعرف خصائص ما صنعه ، وكيف تتلاءم هذه الخصائص ، وما يعرفه أحدهم لا يعرفه الآخر ، فاذا كان كل منهم يجهل ما يعرفه غيره وما دبره ، فلا يمكن تعاونهم فى ابداع أصغر مخلوق فى هذا الكون .

ويلاحظ أن أصغر جزء فى هذا الكون يحير جبابرة العقول ، فكيف بأعظمها ، ان العالم كله يدار بقوانين واحدة ، فلا يستطيع أن يخترعها وينفذها سوى اله واحد .

يعرف كل ما ينبغى لخلق كل جزء من أجزائه ، كما يعرف ارتباط أجزاء المركبات بعضها ببعض ، وارتباط الأجرام السماوية والأرضين بروابط تحفظ كيانها ، وتبقى عليها فى الفضاء بحيث لا تتهاوى ولا يحطم بعضها بعضا .

كما يعرف ما ينبغى لكل مخلوق من المادة والطاقة ، حتى يؤدى وظيفة فى هذا الكون بشكل رتيب ، حتى لا يحدث فيه خلل ، ولا يعرض غيره للفساد ، كما يعرف الوقت المناسب لخلقه وتطويره ، ويعرف الأطوار التى ينبغى أن تتعاقب عليه حتى يتم خلقه ويؤدى وظيفته ، الى غير ذلك مما لا يحصى .



الواحد الصمد

وانك لترى في كل جزء صغير من هذا الكون طابع الوحدة واعظم الشواهد على ما قلناه ، وحسبك الذرة التى كشف العلم فيها الكثير من العجائب التى تحير الألباب ، فانها بذلك بعظمتها على عظمة صانعها ، وأنه واحد لا شريك له .

أما التعدد فلا أثر له الا الدمار والفساد والعجز عن تحقيق المراد .

وهناك أمر ثان لا يصح وصف الاله به وهو العجز عما يمنعه سواه ، والعجز شين ينقص المخلوق فلا يصح أصلا وصف الخالق به ، فمن هنا يجب أن يكون الاله واحدا تام القدرة ، لا شريك له في ملكه .

وان فرض كمال القدرة لكل اله ، وهم مختلفون فالخطب أعظم ، فان ذلك يفضى الى تعارضهم ، فهذا يريد أن يخلق كوكبا معينا ، وذاك لا يريده ، وهذا يريد أن يخلق انسانا وذاك لا يريد ، فهل تعتقد أنه من الممكن تحقيق هذا التعارض ، بأن يخلق الكوكب ولا يخلق ، وأن يخلق الانسان ولا يخلق .

هل تعتقد أنه يمكن اجتماع النقيضين فان قلت : كلا ، قلت اذن يستحيل وجود آلهة عديدين مختلفين ، لما يفضى اليه التعدد من التنازع وحرب كل منهم للآخر في سبيل تحقيق مراده من الخلق والألوهية .

وهل هذا يتفق مع ما نرى عليه الكون من الكمال والنظام والاستقرار .

فمما سبق يتبين أن تعدد الاله مستحيل اتفاقا أو اختلافا ، وانه يجب أن يكون الها واحدا تام القدرة والارادة ، لا شريك له في ملكه بأى وجه من الوجوه .

وهذا هو الذى عرفه البدوى بفطرته ، وهو يسلك سبيله في الصحراء ليلا ، اذ يقول : البعرة تدل على البعير ، وآثار السير على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج ، كل أولئك يدل على اله حكيم قدير عليم :

وهذا زيد بن عمرو بن نفيل رفض آلهة قومه وعبد الله وحده وقال :

تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها(١)
ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا
لنا في الدهر اذ حلمى صغير

وقال أمية بن أبى الصلت الشاعر الجاهلى :

البقية ص ٩٠٩

(١) يقصد بابنتيها اللات ومناة .

أكثر الناس في القرآن

٤

للدكتور محمد محمد خليفة

وكما نفى الله العلم عن أكثر الناس ، ونفى الايمان عن أكثر الناس فيما قدمنا تحت عنوان أكثر الناس فى القرآن نفى الله كذلك الشكر عن أكثر الناس فيما يلى من الآيات :

١ ــ فضل الله على الناس عظيم ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، وقد جاء ذلك فى قصة الذين خرجوا من ديارهم خوف الموت حيث قال الله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) البقرة ٢٤٣ ٠

وقد ساق الله هذه القصة ليعتبر الناس ويتعظوا حتى يتركوا التمرد والعناد ٠

والرؤية فى قوله : ألم تر « علمية » والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فى ظاهره ولا يبعد أن يكون له ولأمته ، والاستفهام للتقرير ٠

وتعددت الروايات فى شأن هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت :

١ ــ روى عن السدى أنهم أهل قرية نزل بها الطاعون فهرب أكثر أهلها ، وأقام بعضهم بين الوباء ثم رجع الى القرية الذين هربوا ، ثم نزل الطاعون بالقرية ثانيا فهربوا ، ثم ناداهم ملك : أن موتوا ، فهلكوا ، ومر بهم نبى ، فوقف يفكر فأوحى الله اليه : أتريد أن أريك كيف أحييهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد أيتها العظام ان الله يأمركم أن تجتمعى فاجتمعت ثم اكتست لحما ودما ، ورجعت

٥

إليهم الحياة ، ورجعوا الى قريتهم .

٢ ـ وروى عن ابن عباس : أن ملكا من بنى اسرائيل أمر عسكره بالقتال ، فخافوا القتال ، لأن الأرض التى وجههم اليها موبوءة ، وطلبوا منه أن يمهلهم حتى يزول الوباء عن تلك البلاد ، فأماتهم الله ، ثم أحياهم بعد ثمانية أيام .

٣ ـ وروى أن نبيا من بنى اسرائيل ندب قومه الى الجهاد ، فكرهوا ، فدعا الله أن يريهم آية فى أنفسهم تدل على قدرة الله ، فأماتهم الله ، ثم دعا ذلك النبى ربه أن يحييهم فأحياهم ، وعلى اختلاف الروايات فقد كان عددهم أكثر من عشرة آلاف ، لأن الألوف جمع كثرة ولا يقال فى عشرة وما دونها ألوف .

وكان حذر الموت وخوفه من أجل الطاعون المنتشر فى تلك البلاد ، أو من أجل القتال وما يقع فيه من جراح أو موت .

(فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) أى أنه متى أراد ذلك لهم وقع ما أراده دون منع أو تأخير **(ثُمَّ أَحْيَاهُمْ)** بعد موتهم ليستوفوا بقية آجالهم .

(إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) قد يكون المراد من الناس هنا : أولئك الألوف الذين ذكرت قصتهم وفضله عليهم أنه أحياهم وأعادهم الى الدنيا ليتوبوا ، وليتلافوا ما فاتهم فى ماضيهم قبل موتهم .

وقد يراد بالناس : العرب الذين كانوا ينكرون البعث ، وقد نبه الله اليهود الى تلك الواقعة ليذكروها للعرب المنكرين للمعاد ، لعل ذكر القصة لهم يرجعهم الى الحق وبذلك يخلصون أنفسهم من العقاب ، فذكر القصة فضل من الله عليهم حين يهديهم الى الايمان بالبعث .

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) فضل الله سواء كان المراد بالناس الذين ذكروا فى القصة أو العرب الذين ينكرون البعث ، فهؤلاء وأولئك نفى الله عن أكثرهم أداء شكره على فضله عليهم .

وقد يراد بالشكر المنفى : الاعتبار والتبصر ، والمعنى : أن أكثر الناس لا يعتبرون ولا يتبصرون فى فضل الله ـ وما أكثر فضله على الناس ليقودهم الاعتبار والاتعاظ الى الحق .

***

٢ ـ اقرار يوسف بفضل الله :

أعلن يوسف لصاحبى السجن أنه يدين بملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وذلك من فضل الله حيث حكى الله قوله فى هذا الموطن :

(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) يوسف ٣٨ .

أعلن يوسف بهذا القول أنه من أهل بيت النبوة ، وأن أباه وجده وجد أبيه من أنبياء الله ورسله ، فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، ومكانة هؤلاء مشهورة معروفة فاذا عرف الناس أنه من نسل أولئك الأنبياء أكبروه ، وأثر فى

قلوبهم ما يلقيه اليهم وقوله (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي) يشير الى أنه على شريعة ابراهيم وبنيه ، ثم قال : مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ) يشير الى أنواع الشرك كثيرة وأرباب المشركين ما أكثرها : من الأصنام والنار والكواكب والطبيعة ، فيوسف بهذه يعلن كثرة الفرق والطوائف التي تشرك بالله غيره من تلك المعبودات ، وأنه على دين الحق دين آبائه .

(وذلك) اشارة الى عدم الشرك الذي بينه في قوله : (مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ) (مِن فَضْلِ اللَّهِ) ونعمته على يوسف وعلى آبائه حيث هداهم الى الحق ، واختارهم للنبوة ومن فضل الله كذلك (عَلَى النَّاسِ) الذين اتبعوا دينهم .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) الله على نعمة حيث أعطاهم العقول التي يفكرون بها وكان من الواجب أن تهديهم عقولهم الى الايمان برب هذه النعمة وأداء شكرها ، فأكثر الناس لا يشكرون مع أن لهم عقولهم ولكنهم لا يستعملونها في الوقوف على أدلة التوحيد ، أو أن أكثر الناس لا يشكرون بمعنى أنهم لا يوحدون على الرغم من كثرة الدلائل التي تحت أبصارهم والتي تستوجب توحيده ولكنهم لا ينظرون فيها ولا يتبصرون بها ، بل يتبعون أهواءهم التي تقودهم الى الكفر وعدم الشكر .

أما القلة من الناس من أمثال يوسف وآبائه ومن على ملتهم فهم الذين يشكرون فضل الله عليهم اذ هداهم الى الايمان والعمل الصالح الذي يقتضيه هذا الايمان .

***

٣ ــ بعد أن أمر الله العباد أن يدعوه لأن في دعائهم له اعترافا منهم بألوهيته وذلك في قوله : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ثم قدم في الآية الآتية بعض دلائل قدرته وحكمته فقال تعالى :

(اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) غافر ٦١ .

ان من دلائل قدرة الله وحكمته تعاقب الليل والنهار على الوجود ، فقد خلق الليل ساكنا لحصول الراحة فيه بالنوم والاستقرار ، وخلق النهار مبصرا فيه أو به ليبتغوا فيه من فضل الله ما يسعدهم ومن يعولون من الأهل والاتباع .

وانه بنعمة خلق الليل والنهار وتعاقبهما وغيرهما من النعم التي لا تحصى لصاحب فضل عظيم لا يبلغه فضل غيره ، وأين فضل المرزوق وان عظم عطاؤه من فضل الرازق ؟ وعلى الرغم من كثرة أفضال الله على الخلق فان أكثر الناس لا يشكرون ، وصدق الله حين يقول : (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) .

وقد تحقق لابليس ما كان يتمنى لبني الانسان حين قعد لهم على الصراط المستقيم يضلهم ويمنيهم ويلهيهم ويأتيهم من كل مكان حتى يثني أكثر الناس عن شكر الله على كل فضل وقد حكى قسم ابليس وموقفه من

٥ أكثر الناس

اغواء بنى آدم فقال :

(فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) الأعراف .

وقد نفى الله عن أكثر الناس الشكر لفرط جهلهم بالمنعم ونعمه ، وفرط غفلتهم عن الاقرار بهذه النعم .

وقد كرر الله الناس فى الآية ، لأنهم على الرغم من عموم فضله عليهم جميعا فانهم اختصوا بالكفر .

***

« أكثر الناس جاحدون »

١ ــ قال تعالى :

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) الاسراء ٨٩ .

اما أن يكون المراد بالتصريف فى قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) رددنا وكررنا ، وذلك فى موقف تحدى العرب الفصحاء بالقرآن المعجز : فقد تحداهم بالقرآن كله كما فى هذه الآية ، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور منه كما فى قوله تعالى : (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) حيث اتهموا محمدا صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن .

وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة كسورة من سوره فقال : فأتوا بسورة مثله ، وتحداهم أن يأتوا بكلام من سورة واحدة يشبه كلامه فقال : فليأتوا بحديث مثله والمعنى فى كل أنهم تحداهم ، وأنهم عجزوا فى كل مرتبة من مراتب التحدى ، ومع هذا العجز فقد أصروا عنادا وأبوا الا الكفر والجحود .

ولفظ أبى فى الآية يدل على النفى والمعنى : فلم يرضوا الا كفورا .

واما أن يكون المراد بالتصريف فى الآية : الاخبار ، بمعنى انا أخبرناهم فى القرآن كثيرا عما وقع للاقوام الذين كذبوا رسل الله وأنبياءه من مثل قوم نوح وعاد وثمود من الابتلاء والتنكيل ، وعلى الرغم من كل ما رددنا وكررنا من أخبار أولئك المكذبين وما حاق بهم ، فان كفار مكة لم ينتفعوا بما أخبرنا به وظلوا مصرين على الكفر .

واما أن يكون المراد بالتصريف تكرير ذكر دلائل التوحيد فى هذا القرآن ، وذكر شبهات منكرى النبوة والبعث ، واردافها بالدلائل الحاسمة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من أخبار البعث والحساب والجزاء .

وعلى الرغم من ذكر كل تلك الدلائل وتكرارها فان كفار مكة مازالوا يصرون على العناد والكفر .

والمراد بأكثر الناس فى قوله (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) : اهل مكة ، فقد أصروا على جحود الحق على الرغم من ظهور ادلة ذلك الحق وتكرارها فى أكثر من موضع من القرآن والمراد بالمثل فى قوله : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) : كل معنى

عظيم كالمثل فى الحسن والغرابة والتأثير فى النفوس .

٢ ــ وقال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) الفرقان ٥٠ .

قال الله تعالى فى الآية السابقة على هذه :

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا)

ثم جاءت هذه الآية : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) .

وقد اختلف فى مرجع الهاء فى قوله : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) :

١ ــ فقيل : يرجع الى المطر فى قوله : (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) ومعنى صرفناه على هذا :

(أ) اما أن يكون : أجريناه فى الأنهار والوديان فانتفع به فى الشرب والزراعة وكل ما يحتاج اليه .

(ب) واما أن يكون : أنزلناه فى مكان دون مكان وفى عام دون عام أى أن الله يصرفه فى الأمكنة والأزمنة حسب مشيئته .

٢ ــ وقيل : يرجع الضمير الى كل ما ذكر من الأدلة فى الآيات السابقة : من المطر والرياح والسحاب والمعنى : صرفنا البرهان وذكرنا الدليل الذى يدل على قدرة الله وعلمه وحكمته .

٣ ــ وقيل : يرجع الضمير الى القول الذى أنزل على الرسل فى الكتب والصحف ، وهو ذكر انشاء السحب وانزال المطر ، وقد صرفناه أى القول وذكرناه ليتفكر الناس ، ويستدلوا به على الصانع الحكيم ثم قال تعالى بعد أن أورد صرفناه على تلك المعانى التى تقدمت : (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) وقد يراد بالكفور هنا : جحود النعم حيث لم يتفكروا فيها ، ولم يأخذوا منها دليلا على وجود الخالق القادر .

وقد يكون المراد بالكفور : الكفر : لأنهم يرجعون انزال المطر الى الأنواء ، فهم كفروا بأن الله هو المنعم ، وأضافوا النعم الى الأفلاك والكواكب ، حيث يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا ، وهكذا يصف الله أكثر الناس بالجحود حين يجحدون النعم ، فلم يتفكروا ليستدلوا بها على وجود المنعم ، أو يصفهم بالكفر حين يرجعون نعمة المطر الى الأفلاك والكواكب ولا يرجعونها الى رب الأفلاك والكواكب ورب كل نعمة فى الوجود .

وما أكثر الجاحدين للنعم والكافرين برب النعم فى مختلف الدهور والأقطار وصدق الله العظيم بخلقه حين يقول : وقليل من عبادى الشكور .

تم البحث

د . محمد محمد خليفة



فيه شفاء للناس

فى كل شىء من الموجودات ، وكل جارحة من المخلوقات ، وكل ذرة من الجمادات الكثير والرائع من الدلائل والشواهد والبراهين على قدرة الحق سبحانه وتعالى وانفراده بالوحدانية ، فما أعظم قول الشاعر :

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

**

وتتجلى آية الاعجاز فى أعظم صورها ودقيق اشارتها فى (عسل النحل) حيث جمع كل ما يحتاجه بدن الانسان من فوائد ومنافع جمة يتعذر علينا احصاؤها أو حصر عطائها لجنس البشر .

قال تعالى : « **ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ** » النحل (١٦/٦٩) .

والذى يلفت الأنظار اليه أن النحل يأكل من كل الثمرات وهذا معناه أنه يأكل المر والحامض والحلو من الأزهار ثم يتعهد ما يأخذه من عصيرها بالتحوير والتحويل الى عسل حلو المذاق ، عطرى النكهة ، جميل الطعم .

ولا ريب أن أى نفس مفطورة على أن تعاف شيئا وتقبل بشهيتها على آخر الأمر سواء فى المأكولات والمشروبات ، ولا نجد فى عالم الطبائع ما يقبل كل المأكولات أو كل المشروبات فهذا ما لم تقره دراسات أو بحوث علمية أو نفسية أو غيرها .

واختلف الناس فى قوله تعالى (**فيه شفاء للناس**) هل الضمير فى (فيه) راجع الى الشراب ، أم راجع الى القرآن ؟ على قولين : الصحيح أنه راجع الى الشراب ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأكثرين ، ولا ذكر للقرآن فى الآية ليعود الضمير اليه . والله أعلم .

(يراجع زاد المعاد ط . مؤسسة الرسالة (٤ / ٣٦) بتصرف) .

وقد توهم البعض ــ وهم مخطئون فى ذلك ــ أن له أضرارا جانبية لكنا ــ نحن الأطباء ــ نقرر أن ذلك مما لم تقم عليه حجة علمية أو دليل طبى بدراسة جادة .

راجع فى تفصيل ذلك الفخر الرازى الكبير (٢٠/٧٢) والتعليق على ذلك من مختصر ابن كثير (٢/٣٣٦) .

وقد ذكره الفراعنة فى عتيق مخطوطاتهم فى أحد قبور (طيبة) حيث وجد قربان من أقراص النحل يرجع الى الأسرة الثامنة عشرة

للدكتور السيد الجميلى

عام (٢٥٠٠) قبل ميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ولقد سماه الفراعنة الأقدمون « شراب الآلهة » لأنه عالج كثيرا من الأمراض فى مصر القديمة ، ومزجوه بطعامهم وشرابهم واستعملوه فى تحنيط الموتى ، و حفظ الأطعمة لسكان القبور ردحا من الزمان .

راجع فتح البارى (٢٤٥/١٢) ط الحلبى سنة ١٩٥٩ م ، والمعتمد ص ٣٢٤ بتصرف وأرجو أيضا مراجعة كتاب .

Foods for Home and School,
By Carlottac Greer, BOSTON, NEW YORK CHICAGO, 1950, P. (22)

محتويات العسل :

ويحتوى العسل الابيض على ٧٩,٥٪ من المواد الكربوايدراتيه Carbohydrates أكثرها سكر الفواكه المسمى الفركتور Fructose كما أن به ٠,٣٪ بروتينات فضلا عن ٠,٥٪ مواد معدنية منها الحديد والبوتاسيوم والكبريت والفوسفور .

كما أنه يمد الجسم بالطاقة التى تصل الى ٣٠٥ سعرا .

فهم خاطىء :

ويحرم كثير من مرضى البول السكرى Diabetes Mellites أنفسهم من عسل النحل فترة طويلة معتقدين أن فيه خطرا على حالتهم لانه ــ فى نظرهم ــ قد يزيد معدل الجلوكوز فى الدم ولكن هذا وهم خاطىء يقع فيه الكثير منهم وهم يعزون هذا الفهم الى القياس على العسل الاسود وهو قياس فاسد لأن العسل يحتوى على كميات كبيرة من « الجلوكوز » « والسكروز » على النقيض من العسل الابيض .

من ناحية أخرى فان القناة الهضمية للانسان لا يوجد فيها انزيم الفركتيز Fructase Enzyme المنوط به تحويل الفركتوز الى جلوكوز ، من ثم فلا خوف ولا فزع ولا خطر من استعمال العسل الابيض لمرضى البول السكرى ، وهذه النتيجة نلفت النظر اليها حتى لا يحرم الناس أنفسهم مما ساقه الله سبحانه وتعالى اليهم من الفضل والمعافاة .

غش العسل :

لكن المصيبة الكبرى تأتى من غش العسل الابيض حيث يعمد بعض التجار الى اضافة محاليل سكرية كثيرة اليه مثل محلول الدكستربن أو الجلوكوز .

فلابد أن يتحرى المريض الدقة فى اختيار البائع الأمين أو التحرى عن مصدر هذا

❸ فيه شفاء للناس

العسل من الثقاة من التجار .

ومما لفت نظرى قول الحكيم العربى الرازى عنه فى كتابه (الحاوى) عندما تحدث عن علاج حصو الكلى اذ يقول : ـ

« يطبخ ورق الخبازى البرى ويجعل فى طبيخه سمن وعسل فيشفى منه شىء كثير فى نوبة وجع الكلى ، فانه يزلق الحصى ، ويدر البول وينفع عسر البول والقولنج » اهـ .

راجع طب الرازى دراسة وتحليل لكتاب الحاوى ص ١٠٨ بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الحليم العقبى بتصرف .

من فوائده :

واثارة العسل النحل وغذاء الملكات للرغبة الجنسية Sexual desire أمر متطوع به ، ومسألة مجربة مما يجعله أكثر مناسبة للشيوخ وممن يعانون من العنة Impotence فى أغلب الأحوال .

المعتمد ص ٣٢٤ ط الحلبى بتصرف وزيادة.

ويقول فيه الملك المظفر : « ولا انفع منه للبدن » أهـ .

نكهته :

ويعزو المتخصصون هذه النكهة العطرية الجميلة للعسل الابيض الى انواع الرحيق الزهرى الذى تحمل عليه النحلة ، ومن المحتمل أن تتأثر بالحرارة العالية فتقلل من درجتها وشأنها .

راجع كتاب :

FOODS, BY: Justin, Rust, and Vail,
Page, 282, 283, 3rd edition
BOSTON, NEW YORK, 1948.

الطب النبوى :

وقد أعطانا الطب النبوى بيانا شافيا وتوضيحا لا مزيد عليه لآثار العسل الأبيض وفوائده العظيمة فقد قال صلى الله عليه وسلم : ـ

« عليكم بالشفاءين العسل والقرآن » قال ابن كثير رحمه الله :

اسناده جيد ، تفرد به ابن ماجه مرفوعا (٣٤٥٢) والحاكم (٤ / ٢٠٠) من حديث أبى اسحق ، عن أبى الاحوص ، عن عبد الله ابن مسعود وصححه ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا الا أن غير واحد من الثقات وقفه على ابن مسعود ، وقد صحح وقفه عليه البيهقى فى دلائل النبوة .

وقد ورد عن ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (**فيه شفاء للناس**) قوله (أى يصلح لكل من الأدواء الباردة ، لأن حار الشىء يداوى بضده) أ هـ .

ابن كثير (٢/٥٧٥) ط . الحلبى .

وقال سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « الشفاء فى ثلاثة ، فى شرطة محجم أو جرعة عسل أوكية بنار ، وما أحب أن أكتوى » .

فتح البارى السابق « ١٢/٢٤٥ » .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها

قالت انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى والعسل .

فتح البارى السابق (١٢ / ٢٤٥) .

وقد ورد فى الصحيحين ، من حديث أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أخى يشتكى بطنه (وفى صحيح مسلم « عرب » بطنه) وفى رواية (استطلق بطنه) فقال : اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع ، فقال سقيته فلم يغن عنه شيئا — وفى رواية « سقيته فلم ينجع » — وفى لفظ (فلم يزده الا استطلاقا مرتين أو ثلاثا — كل ذلك يقول له : اسقه عسلا فقال له فى الثالثة أو الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك) .

أخرجه البخارى (١٠ / ١١٩) فى الطب : باب الدواء بالعسل ، ومسلم (٢٢١٧) فى السلام ، باب التداوى بالعسل ، وقد أسهب القول فيه الامام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد (٤/٣٣) ط . الرسالة .

نستطيع أن نقول بعد هذا المجمل ان فى عسل النحل كثيرا من المنافع التى لا يحتويها سفر جامع ، فهو نافع للأمراض الباطنة والظاهرة ومناسب لأمراض الجهاز الهضمى ولكثير من مرضى الصدر وموافق لمرضى القلب ، وهو عون أى عون على تقوية أعصاب الشيوخ واعادة الجدة والحيوية لأبدانهم ، كما أنه نافع ، للمحمومين والناقهين والأطفال فى سنى النمو الأولى ، والمراهقين والحوامل والمرضعات . وكثير من الأمراض الجلدية والتناسلية وأمراض العيون والقروح المختلفة ، والجراحات الغائرة تستجيب للغذاء بعسل النحل والتداوى به موضعيا لأن له تأثيرا وفاعلية مدمرة للميكروبات الضارة المؤذية ، وقانا الله شرها .

وكثير من الأمراض الفتاكة الهادمة لبنية الانسان انما تنجم عن ميكروبات لا مرئية ، وهذه أنواع وفصائل شتى مختلفة الفصائل والطبائع لكن عسل النحل يدمر كثيرا من هذه الخلايا العاتية المؤذية . وما سردناه عن فوائد عسل النحل انما هو قطرة من بحر بلا قاع ولا ساحل له ، ونرجو من قارئنا العفو عن السهو أو الخطأ أو النسيان .

ننتهى الى خلاصة جامعة موجزة وهى أن الله سبحانه وتعالى قد وسع كل شىء رحمة وعلما .

فقد خلق الانسان فى أحسن تقويم ، ومكن له فى الأرض وجعل له فى اثنائها ما يقيم كيانه ويذود عنه غوائل الفتور والخور ، وخلق أعداءه الكثير من الكائنات المتوحشة ، ومن الاكثر وحشية وفتكا من المخلوقات اللامرئية وهى لا تقل عن الأولى ضراوة وهدما وجعل لكل داء دواء وجعل لكل نائبة مخرجا ، وذلك حتى يقيم الحجة على عباده يوم القيامة اذ لولا قيوميته على مخلوقاته وتسخيره الكون وما فيه لخدمة الانسان لتعذرت عليه الحياة والسعادة . اللهم نسألك أن تنير بصائرنا وان تلهمنا الصواب والسداد والتثبيت على جادة السواء والاستقامة .

السيد الجميلى

الإجزاء في معرفة الأجزاء

للإمام إبراهيم لابن عمر الجعبري

اجزاء ستين :

اجزاء ستين : وهي انصاف الثلاثين المعرض على ائمة الأداء باسنادي الى الداني عن ابي الفتح قال :

الأول بالبقرة « من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » الثاني « عما يعملون » الثالث « والله سريع الحساب » . الرابع : « وانك لمن المرسلين » .

الخامس بآل عمران : «والله عنده حسن المآب » السادس : « وما لهم من ناصرين »

السابع « ولا هم يحزنون » . الثامن : بالنساء : « وكان الله غفورا رحيما » . التاسع « على كل شيء حسيبا » . العاشر : « وكان الله شاكرا عليما » الحادي عشر بالمائدة « فانا داخلون » ص١٥١ أو : فلا تأس على القوم الفاسقين » . الثاني عشر : ولكن كثيرا منهم فاسقون ». الثالث عشر بالأنعام : « بآيات الله يجحدون » أو : فلا تكونن من الجاهلين : الرابع عشر : « ويذرهم في طغيانهم يعمهون » . الخامس عشر آخر الأنعام « وانه لغفور رحيم » أو بالأعراف : « اوهم قائلون » . السادس عشر : « وانت خير الحاكمين » . السابع عشر : « انا لا نضيع أجر المصلحين » . الثامن عشر بالانفال « نعم المولى ونعم النصير » . التاسع عشر بالتوبة : « ولو كره المشركون » . العشرون : « الا يجدوا ما ينفقون » الحادي والعشرون بيونس : « الى صراط مستقيم » و « وضل عنهم ما كانوا يفترون » . الثاني والعشرون آخرها . وهو خير الحاكمين أو بهود « بذات الصدور » . الثالث والعشرون : « وما هي من الظالمين ببعيد » أو : « الحليم الرشيد أو : « رحيم ودود » الرابع والعشرون بيوسف : « لا يهدي كيد الخائنين » الخامس والعشرون بالرعد : « وبئس المهاد » . السادس والعشرون آخر ابراهيم : « وليذكر أولوا الألباب السابع والعشرون بالنحل : « ويفعلون ما

يؤمرون » الثامن والعشرون آخرها : « والذين هم محسنون ». التاسع والعشرون بـ « سبحان » خلقا جديدا » الثلاثون بالكهف شيئا نكرا الحادي والثلاثون بمريم : « ويأتينا فردا » أو آخرها أو : « تسمع لهم ركزا » الثاني والثلاثون آخر طه : « ومن اهتدى ». الثالث والثلاثون آخر الانبياء : « على ما تصفون » . الرابع والثلاثون آخر الحج : « ونعم النصير » . الخامس والثلاثون بالنور « تواب حكيم » أو رؤوف رحيم » . السادس والثلاثون بالفرقان : « وكان ربك بصيرا » السابع والثلاثون بالشعراء : « لهو العزيز الرحيم » أو بعدها بنوح : « فاتقوا الله وأطيعون » . الثامن والثلاثون بالنمل : « بل أنتم قوم تجهلون » .

التاسع والثلاثون بالقصص : ان الله لا يهدي القوم الظالمين » .

الأربعون بالعنكبوت : « والله يعلم ما تصنعون » . الحادي والأربعون بلقمان : « في ضلال مبين » « ويدعوهم الى عذاب السعير » . الثاني والأربعون بالأحزاب : « وكان ذلك على الله يسيرا » . الثالث والاربعون . بسبأ وهو العلي الكبير أو ولا يستقدمون » . الرابع والأربعون بيس : « وجعلني من المكرمين » .

الخامس والاربعون بالصافات : « الى يوم يبعثون » السادس والاربعون بالزمر : « عند ربكم تختصمون » .

السابع والأربعون بغافر : « يرزقون فيها بغير حساب » .الثامن والأربعون بفصلت : « وما ربك بظلام للعبيد » . التاسع والأربعون بالزخرف : « على آثارهم مهتدون » أو فهم به مستمسكون » أو : « فانظر كيف كان عاقبة المكذبين » .

الخمسون آخر الجاثية : « وهو العزيز الحكيم » الحادي والخمسون بالفتح : « ومن يتول يعذبه عذابا اليما » الثاني والخمسون بالذاريات : « انه هو الحكيم العليم » . الثالث والخمسون آخر القمر : « عند مليك مقتدر » الرابع والخمسون آخر الحديد : « والله ذو الفضل العظيم » .

الخامس والخمسون آخر الصف : « فأصبحوا ظاهرين » السادس والخمسون آخر التحريم : « وكانت من القانتين » . السابع والخمسون آخر نوح : « الا تبارا » . الثامن والخمسون آخر والمرسلات : « بعده يؤمنون » التاسع والخمسون آخر الطارق وأمهلهم رويدا . الستون آخر القرآن « من الجنة والناس » .

اجزاء مائة وعشرين :

وهى انصاف الستين وأرباع الثلاثين لتحرير القرآن والروايات على شيوخ الاقرا

(١١) أي الاسراء .

باسنادى الى الدانى عن خلف بن ابراهيم قال محمد بن عبد الله الأصفهانى كل جزء الفان وثمانمائة وسبعون حرفا الأول بالبقرة: « واياى فارهبون » . الثانى : « ما يسرون وما يعلنون » . الثالث : « فقد ضل سواء السبيل » الرابع : « يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

الخامس : « لفى شقاق بعيد » . السادس « واعلموا أنكم اليه تحشرون » . السابع : « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » . الثامن « وانك لمن المرسلين » . التاسع : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

العاشر بآل عمران : « فان الله سريع الحساب » . الحادى عشر : « وما لهم من ناصرين » . الثانى عشر : « وما كان من المشركين » . الثالث عشر : « والله يحب المحسنين » . الرابع عشر : « فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » .

الخامس عشر بالنساء : « حوبا كبيرا » . السادس عشر : « خير لكم والله غفور رحيم» السابع عشر : « وندخلهم ظلا ظليلا » . الثامن عشر : « ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا » . التاسع عشر : « ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

العشرون : « ان يتخذوا بين ذلك سبيلا » . الحادى والعشرون بالمائدة « شديد العقاب » الثانى والعشرون : « انما يتقبل الله من المتقين » . الثالث والعشرون : « فأصبحوا خاسرين » . الرابع والعشرون : « أولئك أصحاب الجحيم » .

الخامس والعشرون : « عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » . السادس والعشرون بالأنعام : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » . السابع والعشرون : « عذاب أليم بما كانوا يكفرون » . الثامن والعشرون: « لا اله الا هو وأعرض عن المشركين » . التاسع والعشرون : « قد ضلوا وما كانوا مهتدين » الثلاثون بالأعراف : « فأولئك هم المفلحون » .

الحادى والثلاثون : « لم يدخلوها وهم يطمعون » . الثانى والثلاثون : « ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين » . الثالث والثلاثون : « اذا هم ينكثون » . الرابع والثلاثون : بما كانوا يظلمون » .

الخامس والثلاثون : « انه عليم » . السادس والثلاثون بالأنفال : « أولئك هم الخاسرون » . السابع والثلاثون آخرها : « ان الله بكل شيء عليم ». الثامن والثلاثون بالتوبة : « فذوقوا بما كنتم تكنزون » التاسع والثلاثون : « ولهم عذاب مقيم » . الأربعون قبل : « وممن حولكم » « ذلك الفوز العظيم » .

الحادى والأربعون بيونس « ان هذا لسحر مبين » . الثانى والأربعون : « فما لكم كيف تحكمون » . الثالث والأربعون : « بكل ساحر عليم » . الرابع والأربعون بهود : « والله على كل شيء وكيل » .

الخامس والأربعون : « وما نحن لك بمؤمنين » السادس والأربعون : « انى معكم رقيب » . السابع والأربعون بيوسف :

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » • الثامن والأربعون : « فعرفهم وهم له منكرون » • التاسع والأربعون : « توفني مسلما والحقني بالصالحين » •

الخمسون بالرعد : « ولهم سوء الدار »• الحادى والخمسون بابراهيم : « ومن ورائه عذاب غليظ » •الثانى والخمسون بالحجر :

« من كل شيطان رجيم » • الثالث والخمسون بالنحل : «ولو شاء لهداكم أجمعين » الرابع والخمسون : «مسودا وهو كظيم »•الخامس والخمسون : « ولهم عذاب عظيم » السادس والخمسون بسبحان : « وكان الانسان عجولا » • السابع والخمسون : « وما نرسل بالآيات الا تخويفا » • الثامن والخمسون : « ونزلناه تنزيلا » • التاسع والخمسون بالكهف : « لأجدن خيرا منها منقلبا »

الستون : « ما لم تستطع عليه صبرا » • الحادى والستون بمريم : « واتبعون هذا صراط مستقيم » • الثانى والستون بطه : « له الحسنى » • الثالث والستون : « من قومك يا موسى » • الرابع والستون بالأنبياء «فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » •

الخامس والستون : « ان كنتم فاعلين » • السادس والستون بالحج : « ولاكتاب منير » السابع والستون : « كألف سنة مما تعدون »• الثامن والستون بالفلاح (١) : « وعليها وعلى الفلك تحملون » التاسع والستون : « وانهم لكاذبون » •

السبعون بالنور : « لهم مغفرة ورزق كريم» • الحادى والسبعون بعد ذلك : فأولئك هم الفائزون » • الثانى والسبعون بالفرقان : « ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » • الثالث والسبعون بالشعراء : « انا معكم مستمعون » • الرابع والسبعون بعاد: « فاتقوا الله » • الخامس والسبعون بالنمل» « لعلكم تصطلون » • السادس والسبعون : « فساء مطر المنذرين » • السابع والسبعون بالقصص : « قال هذا عدو مضل مبين » • الثامن والسبعون : « وهو أعلم بالمهتدين » •

التاسع والسبعون بالعنكبوت : « بأعلم بما في صدور العالمين » •

الثمانون : « وكفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون » • الحادى والثمانون بالروم : « اذا هم يشركون » • الثانى والثمانون بلقمان : « لصوت الحمير » الثالث والثمانون بالأحزاب : « بما تعملون خبيرا » الرابع والثمانون : « مغفرة وأجرا عظيما » • الخامس والثمانون آخرها « وكان الله غفورا رحيما » السادس والثمانون بسبأ : « فأولئك في العذاب محضرون » • السابع والثمانون بفاطر : « وغرابيب سود » • الثامن والثلاثون بيس : « ومما لا يعلمون » التاسع والثمانون بالصافات : « أولئك لهم رزق معلوم » •

التسعون : « لهم المنصورون » • الحادى والتسعون بص : « اذ يختصمون » • الثانى والتسعون بالزمر : « ذلك جزاء المحسنين » • الثالث والتسعون بغافر : «تقلبهم في البلاد » • الرابع والتسعون :

(١) اى المؤمنون •

« نصيبا من النار » الخامس والتسعون بفصلت : « فهم يوزعون » . السادس والتسعون بالشورى : « الله العزيز الحكيم » السابع والتسعون : « هل الى مرد من سبيل» الثامن والتسعون بالزخرف : « اذا هم منها يضحكون » التاسع والتسعون بالدخان : « ولاهم ينصرون » . المائة بالأحقاف : « وهم عن دعائهم غافلون » الحادى والمائة بمحمد ﷺ : « كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم » الثانى والمائة بالفتح : « وكنتم قوما بورا ». الثالث والمائة بالحجرات : « ان الله عليم خبير » . الرابع والمائة بالذاريات : « العذاب الأليم » . الخامس والمائة بالنجم : « ولم يرد الا الحياة الدنيا » السادس والمائة بالرحمن قبل أن يسأله « فأى آلاء ربكما تكذبان » السابع والمائة بالواقعة : « فلولا ان كنتم غير مدينين » . الثامن والمائة بالحديد آخرها : « والله ذو الفضل العظيم » . التاسع والمائة بالحشر : « أولئك هم الصادقون » .

العاشر والمائة آخر الممتحنة : « من أصحاب القبور » الحادى عشر والمائة بالتغابن : « ولهم عذاب أليم » . الثانى عشر والمائة بالتحريم « وبئس المصير » . الثالث عشر والمائة بـ « ن » « فهم يكتبون » . الرابع عشر والمائة بنوح : « ويجعل لكم أنهارا » . الخامس عشر والمائة بالمدثر : «فقتل كيف قدر » . السادس عشر والمائة بالمرسلات : « ليوم الفصل » . السابع عشر والمائة بعبس: « وصاحبته وبنيه » . الثامن عشر والمائة آخر الطارق : « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » . التاسع عشر والمائة باقرأ : «أو أمر بالتقوى » العشرون والمائة آخر القرآن : « من الجنة والناس » .

اجزاء مائتين واربعين .

وهى أنصاف مائة وعشرين وأرباع الستين وأثمان الثلاثين لتجويد القرآن على الشيوخ ولجمع مفردات القرآن والروايات والطرق عليهم باسنادى الى الدانى . الأول بالبقرة : «وهم فيها خالدون » . الثانى : « مع الراكعين » . الثالث : « بما كانوا يفسقون » الرابع قبل : « أفتطمعون » « عما تعملون ». الخامس : « وللكافرين عذاب مهين » . السادس « والله ذو الفضل العظيم » السابع « وبئس المصير » . الثامن قبل : « سيقول السفهاء » « عما كانوا يعملون » . التاسع « وأولئك هم المهتدون » .

العاشر : « لفى شقاق بعيد » . الحادى عشر « وأنتم تعلمون » . الثانى عشر « سريع الحساب » . الثالث عشر . « والله غفور رحيم » الرابع عشر « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . الخامس عشر « واعلموا أن الله سميع عليم » السادس عشر : « وانك لمن المرسلين » . السابع عشر : « ولا هم يحزنون » . الثامن عشر « بما تعملون خبير » التاسع عشر : « بما يعملون عليم » .

العشرون بآل عمران : « والله عنده حسن المآب » . الحادى والعشرون : « لا يحب الكافرين » . الثانى والعشرون : « هذا صراط

مستقيم » • الثالث والعشرون : « والله ذو الفضل العظيم » • الرابع والعشرون : « وما لهم من ناصرين » • الخامس والعشرون : « ترجع الأمور » • السادس والعشرون • : «لعلكم ترحمون » • السابع والعشرون : « والله ذو فضل على المؤمنين » الثامن والعشرون : « ولاهم يحزنون » • التاسع والعشرون : « الا متاع الغرور » • الثلاثون : « لعلكم تفلحون » الحادى والثلاثون بالنساء : « وسيصلون سعيرا » الثاني والثلاثون : «ان الله كان غفورا رحيما» الثالث والثلاثون : « عليما خبيرا » الرابع والثلاثون : « وندخلهم ظلا ظليلا » •

الخامس والثلاثون : « وكفى بالله عليما » السادس والثلاثون : « على كل شيء حسيبا » السابع والثلاثون : « عفوا غفورا » • الثامن والثلاثون : « عليك عظيما » • التاسع والثلاثون : «سميعا بصيرا » •

الأربعون : « شاكرا عليما » الحادى والأربعون : « عزيزا حكيما » الثاني والأربعون بالمائدة : « شديد العقاب » الثالث والأربعون : « فليتوكل المؤمنون » •

الرابع والأربعون : « فلا تأس على القوم الكافرين » • الخامس والأربعون : « والله على كل شيء قدير » • السادس والأربعون « من الناس لفاسقون » السابع والأربعون : « بما كانوا يصنعون » • الثامن والأربعون « ولكن كثيرا منهم فاسقون » • التاسع والأربعون : « اليه تحشرون » •

الخمسون « القوم الفاسقين » • الحادى والخمسون بالأنعام : « ما يلبسون » • الثاني والخمسون : « من الجاهلين » الثالث والخمسون : « أعلم بالظالمين » الرابع والخمسون : « الحكيم الخبير » • الخامس والخمسون : « ما كنتم تزعمون » السادس والخمسون : « في طغيانهم يعمهون » السابع والخمسون : « فهو وليهم بما كانو يعملون » الثامن والخمسون : « انه حكيم عليم » • التاسع والخمسون : « بربهم يعدلون » •

الستون : « وانه لغفور رحيم » الحادى والستون بالأعراف : « يحسبون أنهم مهتدون » الثاني والستون : « وهم يطمعون » الثالث والستون : « قوما عمين » • الرابع والستون : « وأنت خير الحاكمين » الخامس والستون : « ساحر عليم » السادس والستون : « بلاء من ربكم عظيم » السابع والستون : « وأنت خير الغافرين » الثامن والستون : « انا لا نضيع أجر المصلحين » التاسع والستون : « لنكونن من الصالحين »

السبعون بالأنفال : « ورزق كريم » • الحادى والسبعون : «وان الله مع المؤمنين »

الثاني والسبعون : « ونعم النصير » • الثالث والسبعون : « وان الله سميع عليم » • الرابع والسبعون : « ان الله بكل شيء عليم »

الخامس والسبعون بالتوبة : « من المهتدين » السادس والسبعون : « ولو كره المشركون » • السابع والسبعون : « مع القاعدين » الثامن والسبعون : « والله عليم حكيم » التاسع والسبعون : « ولا نصير »

الثمانون : « الا يجدوا ما ينفقون » •

الحادى والثمانون : « واللـه عليم حكيم ». الثانى والثمانون : « لعلهم يحذرون » الثالث والثمانون : بيونس « ان الحمد لله رب العالمين » الرابع والثمانون : « ما كانوا يفترون » الخامس والثمانون : « ولا يستقدمون » . السادس والثمانون : « بما كانوا يكفرون » . السابع والثمانون : « العذاب الأليم » . الثامن والثمانون : « وهو خير الحاكمين » التاسع والثمانون بهود : هم فيها خالدون » .

التسعون : « معه الا قليل » . الحادى والتسعون : « انه قريب مجيب » . الثانى والتسعون : « وما هى من الظالمين ببعيد ». الثالث والتسعون : « فعال لما يريد » . الرابع والتسعون بيوسف : « ان ربك عليم حكيم » الخامس والتسعون : « كنت من الخاطئين » السادس والتسعون : « لا يهدى كيدى الخائنين » . السابع والتسعون : « وفوق كل ذى علم عليم » الثامن والتسعون « انه هو العليم الحكيم » . التاسع والتسعون بالرعد : « لقوم يعقلون » . المائة : « وبئس المهاد »الحادى والمائة : « لايخلف الميعاد » الثانى والمائة بابراهيم : « فليتوكل المتوكلون » . الثالث والمائة

الرابع والمائة : « وليتذكر أولوا الألباب » الخامس بالحجر : « وما هم منها بمخرجين » السادس والمائة : « حتى يأتيك اليقين » السابع والمائة بالنحل : « انه لا يحب المستكبرين » . الثامن والمائة : « ويفعلون ما يؤمرون » . التاسع والمائة : « وأنتم لا تعلمون » العاشر والمائة « لعلكم تذكرون »

الحادى عشر والمائة : « أولئك هم الخاسرون » . الثانى عشر والمائة : « والذين هم محسنون » الثالث عشر والمائة بسبحان : « فتقعد مذموما مخذولا » . الرابع عشر والمائة : « لمبعوثون خلقا جديدا » الخامس عشر والمائة : « علينا به تبيعا » . السادس عشر والمائة : « لاكفورا » السابع عشر والمائة بالكهف : «من أمركم مرفقا » . الثامن عشر والمائة : « وحسنت مرتفقا » التاسع عشر والمائة : « المضلين عضدا » .

العشرون والمائة : « لقد جئت شيئا نكرا». الحادى والعشرون والمائة : « وكان وعد ربى حقا » . الثانى والعشرون والمائة بمريم : « شيئا فريا » . الثالث والعشرون والمائة : « بكرة وعشيا » . الرابع والعشرون والمائة : « أو تسمع لهم ركزا » . الخامس والعشرون والمائة بطه : « كل شىء خلقه ثم هدى » السادس والعشرون والمائة : « وعمل صالحا ثم اهتدى » . السابع والعشرون والمائة : « به علما » الثامن والعشرون والمائة : « ومن اهتدى » التاسع والعشرون والمائة بالأنبياء : « كذلك نجزى الظالمين » .

الثلاثون والمائة « افأنتم له منكرون » الحادى والثلاثون والمائة « فأغرقناهم أجمعين » الثانى والثلاثون والمائة :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الثالث والثلاثون والمائة بالحج : « يفعل ما يشاء » . الرابع والثلاثون والمائة : « ولله عاقبة

الأمور » الخامس والثلاثون : « لعليم حليم » السادس والثلاثون والمائة : « ونعم النصير » السابع والثلاثون والمائة بالمؤمنون : «وما نحن له بمؤمنين » الثامن والثلاثون والمائة : « وهو خير الرازقين » التاسع والثلاثون والمائة : « الى يوم يبعثون » الأربعون والمائة بالنور . « لرؤوف رحيم » الحادى والأربعون والمائة : « وهدى موعظة للمتقين » الثانى والأربعون والمائة : « وأولئك هم الفائزون » الثالث والأربعون والمائة : « ان الله غفور رحيم » الرابع والأربعون والمائة بالفرقان : « وكان ربك بصيرا » الخامس والأربعون والمائة « من أضل سبيلا » السادس والأربعون والمائة بالشعراء قبل : « واذ نادى » « لهو العزيز الرحيم » السابع والأربعون : « ان معى ربى سيهدين » الثامن والأربعون والمائة بنوح : « فاتقوا الله وأطيعون » التاسع والأربعون والمائة بشعيب : « لهو العزيز الرحيم » الخمسون والمائة بالنمل : « كيف كان عاقبة المفسدين » الحادى والخمسون والمائة : « وأتونى مسلمين » الثانى والخمسون والمائة : « بل أنتم قوم تجهلون » الثالث والخمسون والمائة : « فهم مسلمون » الرابع والخمسون والمائة بالقصص : « وهم لا يشعرون » الخامس والخمسون والمائة : « والله على ما نقول وكيل » السادس والخمسون والمائة : « والله لا يهدى القوم الظالمين » السابع والخمسون والمائة : « ما كانوا يفترون » الثامن والخمسون

والمائة بالعنكبوت : « ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » التاسع والخمسون

والمائة : « انه هو العزيز الحكيم » الستون والمائة : « والله يعلم ما تصنعون » الحادى والستون والمائة بالروم : « بلقاء ربهم لكافرون » الثانى والستون والمائة : « لآيات لقوم يؤمنون » الثالث والستون والمائة : « ولاهم يستعتبون » الرابع والستون والمائة بلقمان : « الى عذاب السعير » الخامس والستون والمائة بالمضاجع : « بل هم بلقاء ربهم كافرون » السادس والستون والمائة : « فانتظر انهم منتظرون » السابع والستون والمائة بالأحزاب : « وليا ولا نصيرا » الثامن والستون والمائة : « وكان ذلك على الله يسيرا » التاسع والستون والمائة : « وأعد لهم أجرا كريما » • السبعون والمائة : « وهو العلى الكبير » الثالث والسبعون والمائة : « انه سميع قريب » الرابع والسبعون والمائة بفاطر : « ولا ينبئك مثل خبير » الخامس والسبعون والمائة : « من ولى ولا نصير » السادس والسبعون والمائة بيس : « وجعلنى من المكرمين » السابع والسبعون والمائة « الا ما كنتم تعملون » الثامن والسبعون والمائة بالصافات : « الذى كنتم به تكذبون » التاسع والسبعون والمائة : « فما ظنكم برب العالمين » الثمانون والمائة « الى يوم يبعثون » الحادى والثمانون والمائة • بص : « وفصل الخطاب » الثانى والثمانون والمائة : « يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب » الثالث والثمانون والمائة بالزمر : « انه عليم بذات الصدور » الرابع

كتاب الاجزاء فى معرفة الأجزاء

والثمانون والمائة : « عند ربكم تختصمون » الخامس والثمانون والمائة : « لآيات لقــوم يؤمنون » الســادس والثمــانون والمــائة :

« لآيات لقوم يؤمنون » الســادس والثمانون والمائة : « والحمد لله رب العالمين » الســابع والثمانون والمائة بغافر « انه قوى شــديد العقاب » الثامن والثمانون والمائة : « أجرهم بغير حساب » التاسع والثمــانون والمــائة :

« فتبارك الله رب العالمين » التســــعون والمائة : « وخسر هنا لك الكافرون » الحادى والتسعون والمائة بفصــلت : « بمــا كــانوا بآياتنا يجحدون » الثاني والتسعون والمائة :

« وما ربك بظلام للعبيد » الثــالث والتسعون والمائة بالشورى : « بكل شيء عليم » الرابع والتسعون والمائة : « من ولي ولا نصــير » الخامس والتسعون والمائة بالزخرف : « على آثارهم مقتدون » الســادس والتسعون والمائة « هذا صراط مستقيم » السابع والتســعون والمائة بالدخــان : « انــه كــان عاليــا من المسرفين » الثامن والتسعون والمائة بالجاثية : « من رجز أليم » التاسع والتسعون والمائة : « وهو العزيز الحكيم » المائتان بالاحقــاف :

« وبما كنتم تفســقون » الحادى والمائتان بمحمد ﷺ : « كرهوا مــا أنزل الله فأحبط أعمالهم » الثاني والمائتـــــان : « وكــرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » الثالث والمائتـــان بالفتح : « وســـاءت مصــيرا » الرابــع

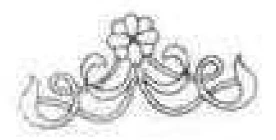
والمائتان : « عذابا أليما » الخامس والمائتان : « مغفرة وأجرا عظيما » الســادس والمائتـــان بالحجرات « ان الله غفور رحيم » الســابع والمائتان بق : « ولدينا مزيد » الثامن والمائتان بالذاريات : « انه هــو الحــكيم العليم » التاسع والمائتان بالطور : « انه هــو البــر الرحيم » . العاشر والمائتان بالنجم : « فلله الآخرة والأولى » الحــادى عشر والمائتـــان بالقمر : « ذلك يوم عسير » الثـــانى عشر والمائتان : « عــند مليك مقتــدر » الثــالث عشر والمائتان بالرحمن : « هل جزاء الاحسان الا الاحســان » الرابع عشر والمائتان بالواقعة « للمقوين فسبح باســـم ربك العظيم » الخامس عشر والمايتان بالحــديد : « وبئس المصير » الســـادس عشر والمائتان : « والله ذو الفضل العظيم » . السابع عشر والمائتان بالمجادلة « ان الله قوى عزيز » الثامن عشر والمائتان بالحشر « هم الفائزون » التاســـع عشر والمائتان بالممتحنة : « والله عليم حكيم » العشرون والمائتان آخر الصف : « فأصــبحوا ظاهرين » الحــادى والعشرون والمائتـــان بالمنـــافقين : « فهم لا يعلمــون » الثانى والعشرون والمائتان بالتغـــابن « فليتــوكل المؤمنون » الثالث والعشرون والمائتان بالطلاق « بعد عسر يسرا » الرابع عشر والمائتـــان آخر التحــريم : « وكــانت من القــانتين » الخامس والعشرون والمائتان آخــر تبــارك : « بماء معين » الســادس والعشرون والمائتـــان بالحاقة « لا تخفى منكم خافيــة » الســابع

البقية ص ٩٥٠

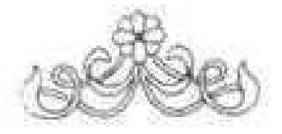
مع حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم - وسيرته

من نفحات السنة المباركة



فريق في الجنة وفريق في السعير



من نفحات السنة المباركة

السكينة

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة • وحفتهم الملائكة • وذكرهم الله فيمن عنده : رواه مسلم •

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين (١) فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة تنزلت القرآن : متفق عليه •

أصل السكينة • الطمأنينة والوقار — والسكون الذى ينزله الله تعالى فى قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة الخوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه •

وهى من المواهب الربانية، والعطايا الالهية التى يمن بها اللطيف الخبير على عباده المؤمنين فتزيدهم ايمانا • وتسكن القلوب وتذهب عنها الخوف • وتسلب الحزن من النفوس وتؤمنها • وتذهب الهموم وتبعث نشوة العزم • وتكسب العبد مراقبة الحق سبحانه جعله واقفا عند حده من رتبة العبودية فلا يتعداها •

كذلك تكسبه محاسبة نفسه حتى تعرف مالها وما عليها فلا يدعها تسترسل فى الحقوق استرسالا فيضيعها ويهملها • لأن النفس لا تزكوا ولا تطهر الا بمحاسبتها •

فمن أعطيها فقد خلعت عليه خلع الولاية : **وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة •**

ولذلك لم يجعلها الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم الا لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به •

---

(١) الشطن : الحبل •

للدكتور محمد محمود شعبان

وهى بذلك لا تتنزل الا على قلب نبى أو ولى لأنها من أعظم مواهب الحق سبحانه وتعالى ومن أجل عطاياه .

مواطن السكينة فى القرآن الكريم :

وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن الكريم فى ستة مواضع .

١ ــ قال تعالى :

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) البقرة .

٢ ــ (ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) : التوبة .

٣ ــ (ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) : التوبة .

٤ ــ (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ) : الفتح .

٥ ــ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا : الفتح .

٦ ــ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الفتح .

ولهذا أخبر الله تبارك وتعالى عن انزالها على رسوله صلى الله عليه وسلم ــ وعلى المؤمنين فى مواضع القلق والاضطراب وذلك :

كليلة الهجرة :

اذ هو فى الغار ومعه صاحبه أبو بكر رضى الله عنه .

والعدو فوق رؤوسهم فيقول أبو بكر يارسول الله . لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه لرآنا : فأنزل الله سكينته عليه ليطمئن ويذهب عنه الخوف .

وكيوم حنين :

حين انقض المشركون على المسلمين فولى المسلمون الأدبار من شدة بأس الكفر لا يلوى أحد منهم على أحد ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفر بل وقف على بغلته والعباس رضى الله عنه آخذ ركابها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

أنـا النبي لا كـــــذب
أنـا ابن عبــــد المطلب

فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فاجتمع شملهم وانقضوا على العدو حتى هزموهم شر هزيمة وغنموا منهم وأسروا .

ويوم الحديبية :

حين اضطربت النفوس ووجلت القلوب من تحكم الكفار عليهم ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحملها النفس خصوصا عندما قاربوا أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت الذي اشتاقوا اليه .

وحسبك عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى ثبته الله تعالى بنزول الطمأنينة في قلبه .

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما : كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة الا التي في سورة البقرة .

سكينة التوراة :

وأما السكينة التي ورد ذكرها في شأن بني اسرائيل التي أعطوها في التابوت فقد روى أهل التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء .

وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : أنها ريح هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان .

وعن مجاهد : أنها صورة هرة لها جناحان وعينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فاذا سمعوا صوتها أيقنوا بالنصر وعن وهب بن منبه : أنها روح من روح الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شيء أخبرتهم ببيان ما يريدون :

وعلى هذا تكون السكينة في نفس التابوت ويؤيد هذا عطف قوله تعالى : (**وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون**) : عليها :

وقال الكلبي وقتادة هي من السكون : أي طمأنينة من ربكم ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا :

وأما التابوت فهو صندوق التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام . سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم الذين جاءوا من بعد موسى من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم : ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم يأتيكم من السماء والملائكة يحفظونه . فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت .

وأما بقية آل موسى وآل هرون . فهي رضاض الألواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التوراة .

وكان هذا التابوت معجزة للأنبياء وكرامة للملوك وآية النصر تخلع قلوب الأعداء بصوتها رعبا اذا التقى الصفان للقتال :

السكينة في الأحاديث النبوية :

ولقد وردت السكينة في الأحاديث النبوية

كثيرا منها ما تقدم ذكره وأيضا ما رواه البخاري : عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلدة بطنه وهو يرتجز بكلمة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

لا هم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنة أبينا

ولقد وردت السكينة في الكتب المتقدمة في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اني باعث نبيا أميا ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ، ثم اجعل السكينة ، لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه » .

معان أخر للسكينة :

وكما تكون السكينة بمعنى الطمأنينة فانها **تكون بمعنى القاء الحكمة** على لسان المحدث كما يلقى الملك الوحي على قلوب الأنبياء، فهي اذن ليست شيئا يملك انما هي من لطائف صنع الله تبارك وتعالى بعبده فاذا نزلت السكينة على القلب اطمأن بها وسكنت اليها الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار وانطقت اللسان بالحكمة والصواب وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش وكل لغو لا يليق بالعبد أن ينطق به أو يفكر فيه . ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه :

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم : رواه مسلم .

قال ابن وهب تفسير محدثون ، ملهمون : وقيل : مصيبون ، وقيل تكلمهم الملائكة ، وقال البخاري : يجرى الصواب على ألسنتهم وفي ذلك اثبات لكرامات الأولياء .

وعن عمر رضي الله عنه قال : وافقت ربي في ثلاث ، في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر : رواه مسلم .

وتكون السكينة بمعنى الوقار والهيبة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة .

رواه مسلم : قال النووي : السكينة : الوقار .

وتارة تكون بمعنى الانوار الالهية : التي تنزل بها الملائكة على قارىء القرآن

أو الرحمة والرضوان من الله تعالى كما روى عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكنت . فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت . ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف . وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه الى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ يا ابن حضير . اقرأ يا ابن حضير . قال : فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي فانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال : تدري ماذاك ؟ قال : لا . قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم : متفق عليه .

احوال للسكينة :

وتارة تكون السكينة نعاسا :

يغشى المؤمن الخائف والمضطرب حتى يطمئن ويهدأ باله ويسكن روعه كما حدث للمؤمنين يوم بدر قال تعالى : (**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ**) : الانفال .

ويوم أحد قال تعالى : (**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ**) آل عمران .

او التثبيت والنصر :

كما حدث يوم حنين .

قال تعالى : (**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**) التوبة .

وتارة تكون بمعنى الآيات البينات :

والدلائل الساطعة والبراهين القاطعة على صدق الرسول ليزداد المؤمنون ايمانا كما قال تعالى : (**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**) الفتح .

ولقد فرق بعض العلماء بين السكينة والطمأنينة فقال : السكينة توجد حينا بعد حين لتثبيت القلب من المخاوف .

وأما الطمأنينة فانها لا تفارق صاحبها ولهذا لما نزل القرآن الكريم وآمن به الصحابة واطمأنت به نفوسهم صاروا له حافظين وعنه مدافعين وبه مخاصمين وحاكمين . ودفعوا به الشبه ونصروا به الحق وخذلوا به الباطل . وثبت في قلوبهم فلم ينفصل عنهم أبدا .

والسكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا وأما الطمأنينة فهي سكون القلب الى الشيء

وعدم اضطرابه وقلقه ولذلك ورد في الأثر : الصدق طمأنينة والكذب ريبة :

مشترك السكينة والطمأنينة :

وتشترك السكينة والطمأنينة في أنهما لا ينزلان على قلب فاسق أو فاجر أو كافر قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ • يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ • فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) البقرة •

وقوله تعالى في شأن أهل الكتاب : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ • وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ) الحشر •

السكينة والقرآن الكريم :

ولا تزال السكينة تنزل على المؤمنين الى يوم القيامة مادام القرآن الكريم موجودا لم ينزع من الصدور ولم يمح من السطور : فانها تنزل على قارئه وتاليه ابتغاء مرضاة الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم : وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة :

وقول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) : فاطر •

وقول الله تعالى : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) : غافر •

وقوله تعالى : (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) : يونس•

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) : متفق عليه •

وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) رواه الحاكم •

فعلى المسلمين جميعا أن يفطنوا الى هذا وليحافظوا على كتاب ربهم بحفظه وتحفيظه والعمل بما فيه ولا يغتروا بما يزينه الشياطين لهم من التربية الفاسدة والأخلاق الرديئة •

فاللهم ثبت قلوبنا على دينك وانصرنا على أعدائك واجعلنا من الذين تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتصلي عليهم الملائكة وتبشرهم في الدنيا والآخرة •

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد • آمين •





اخرج الامام مسلم بسنده عن عياض .. المجاشعى ان رسول الله صلى الله الله عليه وسلم قال فى خطبة لـه :

« الا ان ربى امـرنى ان اعلمكـم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا :

كل مال نحلته عبدا حلال .

وانى خلقت عبادى حنفـاء كلهم ، وانهم اتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما احللت لهم ، وامرتهم ان يشركوا بى ما لم انزل بـه سـلطانا ، وان الله نظـر الى اهـل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب .

وقال : انمـا بعثتك لابتليك ، وابتلى بك ، وانزلت عليك كتـابا لا يغسله المـاء تقرؤه نائما ، ويقظان ، وان الله امرنى ان احرق قريشا ، فقلت :

رب اذا يَثْلَغُوا راسى فيـدعوه خُبْـزَةً ، قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك ، وانفق فسننفق عليك ، وابعث جيشـا نبعث خمسـة مثله ، وقـاتل بمن أطـاعك من عصـاك .

قال : وأهل الجنة ثلاثة :

ذو سـلطان مقسط متصدق موفق .

ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قـربى ومسلم .

وعفيف متعفف ذو عيال .

قال : وأهل النار خمسة :

الضعيف الذى لا زَبْرَ له الذين هم فيـكم تَبَعاً لا يبتغون أهلا ولا مالا .

والخائن الذى لا يخفى له طمع — وَإِنْ دَقَّ — إلاخانه .

ورجل لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك .

وذكر البخل ، أو الكذب .

والشِّنْظِيرُ الفحاش .

ولم يذكر غسان — أحد رواة هذا الحديث

للأستاذ محمود محمد رسلان

— في حديثه : وأنفق فسننفق عليك » (١) .

***

تمهيـــد :

هذا الحديث من جوامع كلمه — صلى الله عليه وسلم — في ضوئه يرى المسلم قيمة صورته وسلوكه ومستقبله ، فان وافق حاله ما يدعو اليه فأنعم به ، والا فليقوم نفسه حتى تستقر وانك لترى من قوله — صلى الله عليه وسلم :

« مما علمني يومي هذا » حرصه — صلى الله عليه وسلم — على تبليغ أمته وحي ربه لا يكتم عنهم من أمر الله شيئا وهذا مصداق قوله تعالى : « **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** (٢) .

قال الامام البخاري ، قال الزهري — رضي الله عنهما :

من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، وقد شهدت له أمته بابلاغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه من أربعين ألفا كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال في خطبته يومئذ :

« أيها الناس انكم مسئولون عني فما انتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد انك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت ، فجعل يرفع أصبعه الى السماء ، وينكسها اليهم ويقول :

« اللهم هل بلغت » (٣) .

وفي الحديث الشريف اشارة واضحة على أنه مما تكلم به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد الهجرة الا ترى الى القول العظيم :

« استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك » .

ثم هو جامع شامل بما ألقى من ضوء على الفطرة الأصيلة التي كان عليها الناس في الأصلاب ، وعلى حالهم وقد اجتالتهم الشياطين ، وعلى مبلغ مقت الله للشرك وأهله وفيه بيان جليل لما سبق أن كتب الله على نفسه من الرحمة بالعباد ، فان هذا المقت العظيم للشرك والمشركين لم يمنع رحمة الله أن تنظر للعباد فتهديهم آخر رسالة بعث بها المولى سبحانه على يدي خاتم رسله سيدنا ومولانا المصطفى الأمين محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) صحيح مسلم ، باب الجنة .. ص ٨ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ط التحرير القاهرة ١٣٨٤ هـ ، ومسند الامام احمد بن حنبل ص ٤ ص ١٦٢ ط المكتب الاسلامي .. بيروت ، بتغيير طفيف .

(٢) المائدة من الاية ٦٧ .

(٣) وقد استدل به الحافظ بن كثير عند شرحه لهذه الاية راجع تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٧٧ ط الحلبي .

والناس — من بعد القرآن العظيم — فرق : منهم أهل الجنة ، ولهم في الحديث أمثلة وأهل النار ولهم فيه أمثلة ، نسأل الله — سبحانه — أن يمن علينا بدينه ويجعلنا من أهله أما بعد :

فقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مال نحلته .. » أى أعطاه عبدا الخ حلال . وليس معنى نحلته رزقته .. وانما المعنى : كل ما ينتفع به ، ولم يلحقه بحرمته سبب — حلال (١) .

وقوله « **خلقت عبادى حنفاء كلهم** » أى مسلمين ، أو طاهرين من المعاصى ، أو مستقيمين منيبين لقبول الهداية (٢) .. والحنيف المائل من شر الى خير ، والصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه ، وفي الكليات لأبى البقاء : اذا ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج كقوله تعالى : « **وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا** »(٣) ، واذا ذكر وحده فهو المسلم كقوله تعالى : « **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** » (٤) وجمعه حنفاء من الحنفاء من كان دين ابراهيم عليه السلام في الجاهلية (في الحج والختان ، واعتزال الأصنام) .

والدين الحنيف : المستقيم ، الذى لا عوج فيه ، وهو الاسلام ، والحنيفية : ملة الاسلام ، ويوصف بها فيقال : ملة حنيفية .

وقوله « ... فاجتالتهم ... » أى استخفوهم فذهبوا بهم ، وأزالوهم عما كانوا فيه من الحق ، وجالوا معهم في الباطل ، والشيطان استخف فلانا فجال معه في الضلالة ، والقوم ، أى واستخف القوم : حولهم عن قصدهم وقوله صلى الله عليه وسلم : « فمقتهم عربهم وعجمهم .. الخ »:

المقت أشد الغضب ، وفي التنزيل العزيز :

« **لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ** » (٥)

والمقت وقع للأمم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد ببقايا أهل الكتاب المتمسكون بدينهم الحق من غير تبديل .

وقوله « **انما بعثتك لأبتليك .. الخ** » . فبعثته صلى الله عليه وسلم لحكمة جليلة ، فهى بشارة ، ونذارة ، ترغيب وترهيب ، جنة ونار ، فمن تبع سنته فقد فاز وسعد في الدنيا والآخرة ، ومن أبى أتباعه صلى الله عليه وسلم فقد رضى بالكفر والعياذ بالله وهذا هو الخسران المبين ، وهو الابتلاء ، ومن ثم جعل الله بعثته ليبتليه ... أى ليمتحنه بما يظهر منه من قيامه بما أمره الله به من تبليغ الرسالة وغيره ، « وأبتلى بك » أى من أرسلتك اليهم فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر (٦) .

---

(١) ومن معانى النحلة .. العطاء ، والفرض ، والدين والعقيدة ، والدعوى او النسبة بالباطل انظر شرح النووى بهامش صحيح مسلم ١٥٩/٨ وفسرت النحلة بالفرض فى قوله تعالى : **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** — النساء ٤ .

(٢) شرح النووى بهامش صحيح مسلم . السابق
(٣) آل عمران — ٦٧ .
(٤) الروم — ٣٠ .
(٥) غافر .
(٦) شرح النووى السابق .

وقوله : « كتابا لا يغسله الماء ... الخ » كناية عن كونه محفوظا فى الصدور لا يتطرق اليه الذهاب كما جاء فى القرآن الكريم : « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » (١) . أى انا أوحينا هذا القرآن وقد تعهدنا بحفظه من التحريف (٢) .

وقد كانت هذه الآية العظيمة سببا فى اسلام أحد علماء اليهود ، فقد كان للمأمون .. مجلس نظر ، فدخل فى جملة الناس رجل يهودى ، حسن الثوب والوجه ، طيب الرائحة ، فتكلم ، فأحسن الكلام والعبارة ، فلما انقض المجلس دعاه المأمون ، فقال له : اسرائيلى ؟ قال : نعم . قال له : أسلم حتى أفعل بك ، وأصنع ، ووعده ، فقال : دينى ودين آبائى ! وانصرف ، فلما كان بعد سنة جاء مسلما ، فتكلم على الفقه ، فأحسن الكلام ، فلما انقض المجلس دعاه المأمون ، وقال : ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال له : بلى . قال فما سبب اسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت ترانى حسن الخط ، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة (٣) فاشتريت منى ، وعمدت الى الانجيل ، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة (٤) فاشتريت منى ، وعمدت الى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب اسلامى (٥) .

قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لى : مصداق هذا فى كتاب الله عز وجل قال : قلت فى أى موضع ؟ .

قال : فى قول الله تعالى فى التوراة والانجيل : « بما استحفظوا من كتاب الله » ، فجعل حفظه اليهم فضاع ، وقال عز وجل : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » فحفظه الله عز وجل فلم يضع (٦) .

وجملة « لا يغسله الماء .. » كناية عن تسهيل حفظه فى الصدور كما سبق ، فالمسلمون : أناجيلهم — أى قرآنهم — صدورهم ، بعكس أهل الكتاب الذين لا يستطيعون حفظ كتبهم ، فلابد لهم من القراءة فيها مباشرة .

وقوله صلى الله عليه وسلم « أن أحرق قريشا .. » ليس المراد حقيقة التحريق ، بل تغييظهم باسماعهم الحق (٧) .

و « تَثْلَغ رأسه » شدخه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فيدعوه

---

(١) الحجر ٩ .

(٢) راجع لمحمد فريد وجدى : المصحف المفسر ص ٣٣٨ . ط الشعب .

(٣) الكنيس : متعبد اليهود ، والكنيسة — متعبد اليهود والنصارى . المعجم الوسيط مادة كنس .

(٤) البيعة بكسر الباء — معبد النصارى . المعجم الوسيط مادة — باعه .

(٥) تفسير القرطبى : الجامع لاحكام القرآن . لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى حـ ٤ ص ٣٦٢١ ، ٣٦٢٢ ط الشعب .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) هامش النووى بصحيح مسلم حـ ٨ ص ١٥٩ .

خبزة » أي مكسورة كالخبزة (١) .

وقوله « تمزك » أي تعينك . وخير شاهد على هذا ، ما جاء في التنزيل العزيز :

« .. أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » (٢) .

« .. إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا .. » (٣) .

لقد وعده الله النصر ، وحقق وعده سبحانه ..

من أهل الجنة :

ثم أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الجنة فقال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط الخ » من « أقسط » : أي عدل ، والقسط : العدل ، ومنه في التنزيل العزيز : « **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** » (٤) . « **والمقسط** » من أسماء الله الحسنى (٥) .

ولأهمية الامام العادل في الاسلام ، ولأن في صلاحه صلاح المجتمع أخبر صلى الله عليه وسلم أنه من السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل الا ظله فقال :

« امام عادل ... » (٦) فكان في متقدمهم .

فالامام العادل يحق قوام كل معوج .

ومن ثم جاءت الأحاديث تبين مكانة الأئمة من الرعيه ، فعن أبي يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من يسترعيه الله رعيه ، يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته ، الا حرم الله عليه الجنة » (٧) .

وفي رواية : « فلم يحطها بنصحه (٨) ، لم يجد رائحة الجنة » .

وفي رواية لمسلم : « ما من أمير يلي أمور المسلمين ، ثم لا يجتهد لهم وينصح لهم ، الا لم يدخل معهم الجنة » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا :

« اللهم من ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتي

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) الانفال من الآية ٩ .
(٣) الانفال من الآية ٦٥ .
(٤) الانبياء من الآية ٤٧ .
(٥) المعجم الوسيط مادة : قسط .
(٦) الحديث في البخاري جـ ٢ ص ٣١٧ ، ١٣/١٠٠ وفي مسلم برقم ١٨٢٩ ، وأخرجه أبو داود برقم (٢٩٢٨) راجع رياض الصالحين للامام ابي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ص ٢٩٩ تحقيق وتخريج : عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف ومراجعة الشيخ شعيب الارنؤوط والحديث برقم ٦٥٧ ط دار المأمون للتراث .
(٧) متفق عليه . راجع البخاري ١٣/ ١١٢ ، ١١٣ ، ومسلم ٣/ ١٤٦٠ رقم حديث الباب (٢١) ، (٢٢) ورياض الصالحين برقم ٦٥٢ ، ص ٢٩٧ .
(٨) « فلم يحطها .. » أي يصنها . وقوله صلى الله عليه وسلم : ثم لايجهد .. أي لايتعب . راجع رياض الصالحين ص ٢٩٧ هامش ٣ .

شيئا ، فرفق بهم ، فارفق به » (1) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » (2) .

فالسلطان العادل من أهل الجنة كما ذكر في الحديث الذى معنا ، وأكدته الأحاديث الأخرى .

وثانى أهل الجنة في الحديث « رجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم » فرحمة قلبه تجعله يشعر بشعورهم ، ويتألم لألمهم ، ويفرح لفرحهم ، يرحم الصغير ، ويوقر الكبير ، فهو للكبير ابنا ، وللصغير أبا ، وللقرن أخ .

أما الثالث فهو : « عفيف متعفف .. الخ نال هذه الدرجة لمشقة ما وقع فيه من بلاء وجهاد فحرص ، وهو ذو العيال ، على أن يكون عفيفا عما في أيدى الناس ، عفيفا عن الحرام مع مشقة الجهد ومطلب العيش وحاجة الولد يحرص على الحلال ويتعفف أن يغذيهم من الحرام وهذا خامس الخلفاء الراشدين : عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه دخل عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضه .. فقال له : يا أمير المؤمنين :

« انك قطعت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ، ولابد من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم الى ، أو الى نظرائك من أهل بيتك ، لكفيتك مئونتهم ان شاء الله (3) » .

فقال عمر : أجلسونى فأجلسوه فقال :

الحمد لله ، أبالله تخوفنى يا مسلمة ..

أما ما ذكرت من أنى قطعت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة ، فانى لم أمنعهم حقا هو لهم ، ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . وأما ما سألت من الوصاة اليك ، أو الى نظرائك من أهل بيتى ، فان وصيتى بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وانما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله ، فجعل الله له من أمره يسرا ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غير وفجر ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه .. ادعوا لى بنى » .

فدعوهم — وهم يومئذ اثنا عشر غلاما — فجعل يصعد بصره فيهم ، ويصوبه ، حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال : « بنفسى فتية تركتهم ، ولا مال لهم ! يابنى : انى قد تركتكم من الله بخير ، انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله . يابنى : ميلت رأيى بين أن تفتقروا في الدنيا ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا الى آخر الأبد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا في النار ..

---

(1) رواه مسلم وهو برقم ١٨٢٨ ، وفي رياض الصالحين ص ٢٩٨ .

(2) رواه مسلم وهو برقم ١٨٢٧ واخرجه النسائى ٢٢١/٨ ، وحم ١٦٠/٢ راجع رياض الصالحين ص ٢٩٩ .

(3) ابن عبد الحكم : عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ والدكتور احمد الشرباصى : خامس الراشدين — عمر بن عبد العزيز حـ ٢ ص ١٦٣ ط الشعب ١٩٥٩ .

قوموا يابنى عصمكم الله ، ورزقكم » (١) .

قالوا : فما احتاج أحد من أولاد عمر ، ولا افتقر ، لأن أباهم ضرب المثل للرجل العفيف المتعفف ..

من أهل النار :

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أصناف من أهل النار ليحذر المسلم أن يكون داخلا فيهم فأولهم « الضعيف الذى لا زبر له ... » .

أى لا عقل له يعنى هو من القوم ضعفاء العقول الذين هم فيكم تبعا ، لا يطلبون أهلا ولا مالا (٢) ، فهم لا يسعون فى طلب منفعة دينية ، ولا نفسية ، ولا دنيوية ، فهم اذن من سقط المتاع ، لا يقيمون للحق وزنا ولا للعدالة صوتا وانما هم أتباع الناس يميلون معهم حيث مالوا فهم (امعة) لا يسترشدون دينا ولا عقلا ، وأمثال هؤلاء لا ينصرون دينا ولا يعمرون دنيا فالنار أولى بهم .

وثانيهم : « الخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق الاخانة » أى لا يخفى عليه طمع مهما صغر الاخانة ، لغياب صوت الحق فى قلبه وعقله ، وطمس الفطرة النقية فى قلبه وفيه وفى أمثاله يقول الله تعالى : « **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟** » (٣) .

وثالثهم : « رجل لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك .. » أى أن صفة الخداع المقوتة شغله الشاغل صباح مساء يشبع فكره المريض وقلبه الآثم بخداع الناس وتزوير الباطل لهم ، وأمثال هؤلاء فى كل مجتمع وكانوا فى عصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشككون فى دعوته صلى الله عليه وسلم وفى رسالته ، لكن الله أحبط خداعهم ، فكشف سرهم ، وأنزل فيهم سورة « المنافقون » فقال سبحانه :

« **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » .

ويمضى سياق السورة فى كشف أستار المنافقين ، وفضح خبايا نفوسهم ..

ومن أهل النار البخيل الذى يغل يده ويمنع الحق ويهلك أهله ، وهمه جمع المال واكتنازه ، على أى وجه ، ومثله فى النار الكذاب الحريص على الكذب .

والشنظير : السىء الخلق ، الفحاش : كثير الفحش وكلها من الصفات التى ينبغى على المسلم أن يتجنبها ويناى بنفسه عنها ،

---

(١) ابن عبد الحكم : عمر بن عبد العزيز ص ١١٥ ـ ١١٦ ، وخامس الراشدين : عمر بن عبد العزيز ﺟ ٢ ص ١٦٣ .

(٢) صحيح مسلم ﺟ ٨ ص ١٥٩ هامش .

(٣) محمد : ٢٤ .

لأنها من صفات أهل النار .

والحديث بعد يضع أمام المسلم تحذيرات ، وبشارات ، ليتعلم منها ما ينفعه ، ويستدرك ما فاته . والله من وراء القصد :

يؤخذ من الحديث :

أولا : حرص المولى سبحانه أن يزيل عن العقول غشاوة الجهل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم أمته ما جهلت .

ثانيا : أن الله سبحانه خلق عباده مسلمين طاهرين .

ثالثا : أن الشياطين تترصد لابن آدم السبل لتضله ، وتغويه حتى توردها المهالك ، ثم تبرأ منه .

رابعا : أن الله مقت أهل الأرض جميعا الا من كان على هدى وبينة من أمر ربه .

خامسا : بعثته صلى الله عليه وسلم جهاد له ، ولمن أطاعه من أمته .

سادسا : أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله سبحانه له .

سابعا : حرص الله عز وجل على نصرة محمد صلى الله عليه وسلم ، ونصرة رسالته رغم الحاقدين والكافرين .

ثامنا : تكفل الله برزق نبيه صلى الله عليه وسلم أضعاف ما ينفق على صحابته رضى الله عنهم ، وأن مشروعية القتال انما هي بأمر من الله وليست بطلب من رسوله صلى الله عليه وسلم .

تاسعا : وضع الحديث أمام المسلم صنفان من البشر صنف من أهل الجنة وصنف من أهل النار ، ليكون المسلم على بينة من أمره ، فليس له على الله حجة بعد هذا البلاغ المبين .

محمود محمد رسلان



"لابن كثير"

وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه ، وأقواله ، وأفعاله من آياته أي من دلائل نبوته .

قال : وشريعته من آياته ، وأمته من

---

(١) الحافظ ابن كثير :
هو أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن الشيخ أبي حفص شهاب الدين عمر – خطيب قريته – بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي البصروي الأصل الدمشقي النشأة والتربية والتعليم .
ولد بمجدل ، وهي قرية تابعة لمدينة بصرى شرق دمشق سنة ٧٠١ هـ ، ومات أبوه وهو في الرابعة من عمره فرباه أخوه عبد الوهاب ، وانتقل الى دمشق سنة ٧٠٦ هـ وكان في الخامسة من عمره ، وسمع بها من كبار علمائها كالقاسم بن عساكر ، وابن الشيرازي ، والمزي صاحب « تهذيب الكمال وأطراف الكتب الستة » المتوفى سنة ٧٤٢ وبه انتفع وتخرج وتزوج بابنته ، وقرأ على شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ كثيرا ولازمه وأحبه وانتفع بعلومه وعلى الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وأجيز من مصر من عدد من كبار علمائها .
برع في الفقه والتفسير والحديث ويراه ابن حجر من محدثي الفقهاء ، وانه على المامة بالحديث والعلم به ، لم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ، ويتبع الأيام السيوطي رأى ابن حجر فيقول :
« العمدة في علم الحديث على معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله واختلاف طرقه ورجاله جرحا وتعديلا ، وأما العالي والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة » ا هـ .
وله اطلاع عظيم كذلك في « العربيـة » وأفتى ودرس واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت اليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم يشارك في العربية وينظم نظما وسطا وتوفي رحمة الله يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة ٧٧٤ هـ عن أربع وسبعين سنة .
وله مؤلفات عديدة في مقدمتها : تفسير القرآن العظيم ؛ وله في مقدمته منهج من أدق مناهج التفسير تبعته لجنة تفسير البحوث الاسلامية بالأزهر المسمى « التفسير الوسيط » وله أيضا : البداية والنهاية – في التاريخ – و « التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » – و « الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن » وهو المعروف بـ « جامع المسانيد » جمع فيه بين مسند الامام أحمد والبزار وأبي يعلى وابن أبي شيبة مع الكتب الستة : الصحيحين والسنن الأربعة ورتبه على الأبواب .. الى غير ذلك انظر للشيخ أحمد محمد شاكر ترجمته السنة للمؤلف في « الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث » الطبعة الثانية – مطبعة محمد علي صبيح ، وفرغ الشيخ شاكر من مقدمتها في ٢٠ من ذي الحجة عام ١٩٧ .

آياته ، وعلم امته من آياته ،ودينهم من آياته ، وكرامات صالحي امته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد ﷺ الى أن بعث ، ومن حين بعث الى ان مات ، وتدبر نسبه ، وبلده ، وأصله وفضله .

فانه كان من أشرف أهل الأرض نسبا من صميم سلالة ابراهيم ، الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، لم يأت بعد ابراهيم نبي الامن ذريته وجعل الله له ابنين: اسماعيل، واسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشر في التوراة بما يكون من ولد اسماعيل .

ولم يكن من ولد اسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره ، ودعا ابراهيم لذرية اسماعيل بأن يبعث فيهم رسولا منهم .

ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بني ابراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى ، وبلد البيت الحرام الذي بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم ، مذكورا في كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق ، والبر ، ومكارم الأخلاق ، والعدل ، وترك الفواحش وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ، ومن كفر بعد النبوة ، ولا يعرف له شيء يعاب به لا في أقواله ، ولا في أفعاله ، ولا في أخلاقه ، ولاجرب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ، ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ خلقه ، وصورته من أحسن الصور ، وأتمها وأجمعها ، للمحاسن الدالة على كماله .

وكان أميا من قوم أميين ، لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب ، من التوراة ، والانجيل ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة الى أن أكمل الله (له) أربعين سنة فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون ، والآخرون نظيره ، وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله .

ثم اتبعه أتباع الأنبياء ، وهم ضعفاء الناس ، وكذبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ، ولا جهات يوليهم اياها ولا كان له سيف ، بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدون عن دينهم ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة . وكانت مكة يحجها

من سيرته وشمائله

العرب ، من عهد ابراهيم ، فيجتمع في الموسم قبائل العرب ، فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافي ، واعراض المعرض الى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا

جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي يخبرهم به اليهود ، وكانوا سمعوا من أخباره أيضا ما عرفوا به مكانته ، فان أمره قد انتشر ، وظهر في بضع عشرة سنة ، فآمنوا به ، وبايعوه على هجرته ، وهجرة أصحابه الى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولا برهبة الا قليلا من الأنصار ، أسلموا في الظاهر ، ثم حسن اسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به .

ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة ، وأتمها ، من الصدق ، والعدل ، والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس ، وأعدلهم ، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغنى وفقر ، وقدرة وعجز ، وتمكن وضعف ، وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة .

وهو على ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب ، التي كانت مملوءة من عبادة الاوثان ، ومن أخبار الكهان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ، ولا معادا ، فصاروا أعلم أهل الأرض ، وأدينهم ، وأعدلهم وأفضلهم حتى ان النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء ، وهذه آثار علمهم ، وعملهم ، في الأرض ، وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين .

وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولا شاة ولا بعيرا ، الا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير ابتاعها لأهله ، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يورث ، ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك .

وهو في كل وقت يظهر من عجائب الآيات ، وفنون الكرامات ، ما يطول وصفه ، ويخبرهم بما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئا بعد شيء حتى أكمل الله دينه الذي بعثه به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف الا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر الا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل : ليته لم ينه عنه . وأحل لهم الطيبات لم يحرم منها شيئا كما حرم في

شريعة غيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحل غيره .

وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر فى التوراة ، والانجيل ، والزبور ، نوع من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به على أكمل وجه .

وأخبر بأشياء ليست فى الكتب ، وليس فى الكتب ايجاب بعدل ، وقضاء بفضل ، وندب الفضائل ، وترغيب فى الحسنات الا وقد جاء به وبما هو أحسن منه . واذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فضلها ورجحانها ، وكذلك فى الحدود والاحكام وسائر الشرائع .

وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، واذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وان قيس دينهم وعبادة غيرهم ظهر انهم أدين من غيرهم ، واذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على المكاره فى ذات الله ظهر انهم أعظم جهادا ، وأشجع قلوبا . واذا قيس سخاؤهم وبرهم وسماحة أنفسهم بغيرهم . ظهر انهم أسخى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذى أمرهم بها ، ولم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت فضائل اتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده . كالحواريين ومن بعض الحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا — لما غيروا دين المسيح — فى دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

أمته ﷺ : —

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرأون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى ، وعيسى ، وداود والتوراة ، والانجيل ، والزبور الا من جهته ، وهو الذى أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالى : فى الكتاب الذى جاء به

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

وقال تعالى : « **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** » الآية .

وأمته عليه الصلاة والسلام لا يستحلون أن يوجد شيئا من الدين غير ما جاء به ،

من سيرته وشمائله

ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله ، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه وما عرفوا بأنه باطل كذبوه ، ومن أدخل في الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الالحاد والابتداع .

وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين ، وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة وهو مذهب أهل الجماعة الظاهرين الى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما ودين محمد ﷺ خصوصا ، ومن خالف هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما .

ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا دينا ما قام به أكابر علمائهم وعبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم ودان به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ، ولا دين غيره من الانبياء .

والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع ، والعمل الصالح فمن اتبع الرسلَ حصل له سعادة الدنيا والآخرة وانما دخل في البدع من قصر في اتباع الأنبياء علما وعملا .

ولما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ﷺ أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أنه كل كمال في الفرع المتعلم هو في الأصل المُعلِّم ، وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام كان أكمل الناس علما ودينا .

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا في قوله « **انى رسول الله اليكم جميعا** » لم يكن كاذبا مفتريا ، فان هذا القول لا يقوله الا من هو من خيار الناس وأكملهم ، ان كان صادقا أو من هو من أشر الناس وأخبثهم ان كان كاذبا ، وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا في قوله « **انى رسول الله اليكم جميعا** » .

لأن الذى لم يكن صادقا اما أن يكون متعمدا الكذب أو مخطئا .

والأول يوجب أنه كان ظالما غاويا .

والثانى يقتضى أنه كان جاهلا ضالا .

ومحمد ﷺ كان علمه ينافى جهله ، وكمال دينه ينافى تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم

البقية ص ١٠١١

في الشريعة

حول موقف القرآن الكريم من حجاب المرأة

الإسلام وحقوق المرأة

الشيخ محمد أحمد شاكر

حول موقف القرآن الكريم من حجاب المرأة

٢

انتهينا فى مقالنا السابق الى ان الله سبحانه وتعالى امر المؤمنين بان يغضوا من ابصارهم ويحفظن فروجهم كما امر المؤمنات بأن يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها . اى يسترن مواضع الزينة وبعض من ذلك ما يتعذر اخفاؤه لحاجة أو ضرورة ، وقد خصه بعض الفقهاء بالوجه والكفين .

ذكرنا أن الطلب فى هذا الآيات للوجوب فى الفعل والتحريم فى النهى ، ترتيبا على قاعدة أن الأمر فى القرآن للوجوب والنهى للتحريم ، ولا يعدل عن ذلك الا بدليل وعلى رأى من يقول ان الأمر فى القرآن لا يكون للوجوب الا بدليل فقد بينا أن تسلسل الآيات يدل على أن الطلب على سبيل الالزام لا على سبيل النصح كما ذكر السيد الكاتب .

واليوم نتمم الحديث عن الآية .

قال تعالى : « وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ » .

الخمار هو : غطاء الرأس ، والجيب هو : فتحة الصدر فى الثوب . ومعنى الآية حينئذ هو امر المؤمنات بأن يرخين غطاء الرأس بحيث يخفى الصدر والعنق ليسترن مفاتنهن، فلا يعرضنها للانظار .

يقول صاحب الظلال : ان الله لا يريد أن يعرض القلوب للتجربة والابتلاء فى هذا النوع من البلاء .

ان الله اللطيف بعباده الذى يعلم طبائع النفوس شرع لها ما يجملها ويزينها شرع ما شرع من ستر للزينة ، وضرب للخمار على الصدر ، وقاية للفرد والجماعة وسموا بالمجتمع الاسلامى الطاهر العفيف .

ولذلك استطردت الآية الكريمة تنهى

ـ المؤمنات عن أن يعلن عما استتر من زينتهن . قال تعالى « وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ » .

فاذا أمنت الفتنة بأن كانت المرأة مع محارمها فانه يباح لها كشف زينتها كما سبق بيانه .

واذا كانت المرأة غير مرغوب فيها لكبر سن ، وكانت هي كذلك قد فرغت نفسها من الرغبة في معاشرة الرجال فقد رفع الحرج عنها في وضع ثوبها الخارجي مع ستر عورتها ـ على الا تكون متبرجة بزينتها قال تعالى :

« وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ » (١) .

قال الامام القرطبي (٢) :

« وانما خص القواعد بذلك لانصراف الأنفس عنهن اذ لا مذهب للرجال فيهن فأبيح لهن ما لم يبح لغيرهن ، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن . ومع ذلك فخير لهن أن يتحفظن ويتسترن مثل غيرهن « وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ » .

وفي التعبير بيستعففن ما يحمل على الامتثال . فليس هناك مطمع لنفس أكثر من طلب العفة والطهر والنقاء .

والغريب أن السيد الكاتب يستنتج من هذه الآية أن النظر الى النساء كلهن ليس حراما . بدليل أن المرأة المعنسة يجوز لها أن تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك « فلو كان النظر اليها حراما وهي شابة ، لم يحل اذا عنست ، ولكنه أمر أفرط فيه المتشددون حد الغيرة الى سوء الخلق وضيق العطن فصار عندهم كالحق الواجب » .

وكأنه يقول أن النظر الى المرأة غير المتسترة مطلقا شابة كانت أم كبيرة ليس حراما . وذلك انطلاقا من قوله : ان الأمر بستر الزينة للمرأة انما هو للنصح (أى للندب) وليس للوجوب .

ونحن نقول له : ان الحكم قد يختلف باختلاف الأحوال ألا ترى أن شرب الخمر محرم ومع ذلك فهو بالنسبة لمن به غصة ولم يجد ما يزيل به غصة سواها فهي مباحة حينئذ فستر الزينة للشابة واجب منعا للفتنة ، وبالنسبة للكبيرة غير واجب لعدم الفتنة . وهكذا .

ونقول كذلك : ان المرأة ان كانت ساترة لزينتها ضاربة لخمارها على صدرها تلبس ثوبا لا يشف عن جسمها أو يحدد معالم الفتنة فيها فان النظر اليها لا يكون حراما

(١) ٦٠ النور .

(٢) القرطبي جـ ١٢ ص ٣٠٩ .

وان كانت غير متسترة كاشفة عن زينتها فانه يحرم النظر اليها •

ونقطة الخلاف بيننا وبينه فى خروج المرأة غير المتسترة الكاشفة لزينتها هل هو حلال فيحل النظر اليها أم هو حرام فيحرم النظر اليها ؟ •

ان رفع الجناح عن القواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فى أن يضعن ثيابهن يقتضى حرمة وضع الثوب الساتر بالنسبة للشابات المرغوب فيهن لأن الجناح هو الاثم ولا يكون الا فى معصية •

ومع كل ذلك فان أمر الله بغض النظر قائم ينادى ويهتف بالانسان رجلا كان أو امرأة أن يعصم نفسه بغض بصره تزكية لنفسه وصيانة وحفظا هذا : وبعد أن أمر الله النساء بستر عوراتهن واخفاء زينتهن وضرب الخمار على صدورهن وأعناقهن : أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم أن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بأن يدنين عليهن من جلابيبهن قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** » (١) •

هذا توجيه مستمر ، ودعوة متصلة لتطهير المجتمع وازالة كل أسباب الفتنة والفوضى •

وقد ذكر الكاتب ما روى فى سبب نزول هذه الآية وقال : انه تفسير لها اذ قال : فقد فسرها الواحدى صاحب أفضل كتاب فى أسباب النزول بقوله : نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن ، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها ، فان سكتت اتبعوها ، وان زجرتهم انتهوا عنها ، ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ، ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة ، انما يخرجن فى درع وخمار ، فشكون ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فكان فساق المدينة يخرجون ، فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا : هذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا : هذه أمة • فكانوا يراودونها •

فحكمة الأمر هنا هى التمكين من التفرقة بين الحرائر والاماء ، وحماية الحرائر من عبث العابثين •

وهنا نقف مع الكاتب ونقول : ان ماذكره قد روى فى أسباب نزول الآية ولكنه ليس تفسيرا لها • والمفسرون يقولون : ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب •

ومع تقديرنا لما قيل فى أسباب نزول الآية الا اننا نرى أن معنى الآية أوسع مما قيل فى سبب النزول — لأن الاسلام يحرص على نظافة المجتمع وصيانته من الفواحش ، والأمة فى المجتمع الاسلامى لها ما للحرة من

(١) ٥٩ الاحزاب •

رعاية وصيانة واهتمام .

ولذا فان المرأة اذا اخطأت عوقبت حـرة كانت أم أمة . ولا يعقل ان يأمر الحـرة بالتستر وارخاء الثوب لتتميز عن الأمة حتى تكون الفرصة مهيأة للزناة ليجدوا بغيتهم فى الاماء ونحيل الى ما قيل فى تفسير الآيـة .

بأن ارخاء الثياب وستر الجسم خليق بأن يعلن عن عفة المرأة وتحفظها فلا يجرؤ فاسق على الاقتراب منها فيؤذيها باشـارة نابيـة أو بعبارة جارحة .

ولا يقوى الرجل على الاقدام على مغـازلة المرأة الا اذا أحس بان هناك تحريضـا منها واستجابة له .

ألم تروا الـى قـول اللـه تعـالى :

« يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا » (١) .

فهذا نهى لنساء النبى عن الخضـوع فى القول عند مخاطبة الأغـراب من الرجـال والخضوع هو التثنى والتكسر الـذى يثير شهوات الرجال ، ويحرك غـرائزهم ويطمع مرضى القلوب فيهن .

وكما يقول صاحب الظلال (٢) : ومن هن اللواتى يحذرهن الله هذا التحذير ؟

انهن أزواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ اللواتى لا يطمـع فيهن طـامع ولا يرف عليهن خاطر .

ولكن الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم « أن فى صوت المرأة حين تخضـع بالقـول وتترفق فى اللفظ ما يثير الطمع فى القلوب .

وان القلوب المريضة التى تثار وتطمـع موجودة فى كل عهد وفى كل بيئة ، وتجـاه كل امرأة ، ولو كانت هى زوج النبى الكريم وأم المؤمنين . وأنه لا طهارة من الـدنس ، ولا تخلص من الرجس حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس .

اذا انما يطمع الرجل فى المرأة اذا كان منها ما يحمله على ذلك . ولـذلك يقـول الله :

«ذلـك أدنى أن يعـرفن فـلا يـؤذين »

أى يعرفن بالعفة والتحفظ ، فلا يجرؤ أحـد على ايذائهن » .

كل ما سبق من الأمر بستر العورة وغض البصر وحفظ الفرج وستر مواضـع الزينـة وارخاء للثوب عند الخروج انما هى أوامـر عامة موجهة لجميع النساء وليست قاصرة على طبقة دون طبقـة ولا مجتمع دون مجتمـع طلبا للعفة ودعوة للطهر والنقـاء ، ووقـاية للمجتمع من المزالق والانحرافات .

وأما ما جاء فى حجاب المرأة بمعنى احتجابها عن الناس وعدم خروجها الى الطريق .

فقد ورد فيه نصان من القرآن الكريم .

الأول منهما : قول الله تعـالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا

---

(١) ٣٢ الاحزاب .

(٢) جـ ٦ ص ٥٨١ .

« وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا » (١) .

فقد ورد لفظ الحجاب فى قوله « **واذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** ، والأمر بذلك متعلق بزوجات النبى — صلى الله عليه وسلم بأن يحتجبن عن الناس واذا كان لأحد من عامة الناس حاجة لدى بيت النبى من فتوى أو غير ذلك فليسأل عن حاجته من وراء حجاب ولا مانع من أن تجيب من فى البيت على النحو الذى ذكرته الآية .

« **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** » .

حقيقة ان هذه الآية وان كانت نصا فى زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — الا أنها تشمل جميع النساء لأن زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — قدوة لغيرهن ، ولأنه اذا كان بيت النبوة يفرض على من فيه الحجاب ، وهن زوجات النبى وأمهات المؤمنين المحرمات على الناس جميعا لأن ذلك أطهر لقلوبهن وقلوب من يريد شيئا منهن . فكيف بمن فى غيره من البيوت ؟؟ ! وليس لهن من المنزلة والمكانة ما لأمهات المؤمنين .

يقول الامام القرطبى (٢) .

ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة ، بدنها وصوتها ، فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها .

ويقول صاحب الظلال : ان هذا الحجاب أطهر لقلوب الجميع ، فلا يقل أحد غير ما يقول الله . لا يقل أحد ان الاختلاط وازالة الحجب والترخيص فى الحديث ، واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب ، وأعف للضمائر ، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة وعلى اشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك ، لا يقل أحد شيئا من هذا مع قول الله تعالى . اذا كان الله يقول عن نساء النبى الطاهرات أمهات المؤمنين وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ممن لا تتطاول اليهن واليهم الأعناق . وحين يقول الله قولا : ويقول خلق من خلقه قولا . فالقول لله سبحانه . وكل قول آخر هراء لا يردده الا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقى الذى خلق هؤلاء العبيد والواقع العملى الملموس يهتف بصدق الله

(١) ٥٣ الاحزاب .

(٢) القرطبى جـ ١٤ ص ٢٢٧ .

وكذب المدعين غير ما يقول الله ، والتجارب المعروضة اليوم فى العالم مصدقة لما نقول ، وهى فى البلاد التى بلغ الاختلاط الحر اقصاه أظهر فى هذا وأقطع من كل دليل .

والآية الثانية هى قول الله تعالى : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (١) .

وهذا أمر آخر لزوجات النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم بأن يلزمن بيوتهن و لايتبرجن تبرج الجاهلية الأولى . فلا يظهرن متزينات كما كانت تصنع النسوة فى الجاهلية وهل يشمل الأمر كذلك غير زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — ؟ .

يقول الامام القرطبى (٢) .

الأمر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنساء النبى فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى ، هذا لو لم يرد دليل يخص النساء ، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن ، والانكفاف عن الخروج الا لضرورة .

اذا هذا أمر للنساء عامة بأن يكون البيت لهن مقاما يستقررن فيه ولا يخرجن الا لحاجة مع الاحتشام فى المظهر والمخبر .

وانما خوطب به زوجات النبى لأنهن القدوة لغيرهن. وليس ذلك تمييزا لهن عن غيرهن . واذا كان فى استقرارهن فى البيوت كما أخبر القرآن ذهاب للرجس عنهن وتطهير لهن فان ذلك فى غير زوجات النبى أولى وأحق .

هذا وليس المراد بالقرار فى البيوت عدم الخروج مطلقا . بدليل أن زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — وهن المخاطبات بالأمر أولا . كن يخرجن لحاجتهن وللصلاة.

وانما المراد أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن وهو المقر لهن . وما عداه يكون استثناء طارئا ويقدر بقدر الحاجة .

ألم تر أن الاسلام يجعل المرأة أهلا للشهادة « وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ » . ومقتضى ذلك أن تشهد على العقد بمحضر من الرجال . ومن ثم يلزمها أداء الشهادة أمام القضاء عندما يستدعى الأمر كذلك « و لاتكتموا الشهادة »

ويجعل الاسلام كذلك للمرأة ذمة مالية مستقلة فلها أن تتملك المال عن طريق الأرث والبيع والشراء . ولها أن تستثمر هذا المال فيما شرع الله بنفسها .

فخروج المرأة من بيتها مستترة غير متبرجة بزينتها لحاجة ضرورية مباح لا شىء فيه والمحرم هو أن يكون خروجها لا لشىء سوى أن تتبرج بزينتها كتبرج الجاهلية الأولى وما يروى عن تبرج الجاهلية بالقياس الى

(١) ٣٣ سورة الاحزاب .

(٢) القرطبى جـ ١٤ ص ١٧٨ .

تبرج المرأة اليوم يعتبر احتشاما .

وان الاحتشام والتستر لم يمنع المرأة المسلمة المتمسكة بدينها من أن تعمل فى كل مجال بل وتتفوق فيه ، فأى داع لهذه الصيحات المنكرات التى تتعالى هنا وهناك .

يقول صاحب الظلال : « ان خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها فتلك هى اللعنة التى تصيب الأرواح والضمائر والعقول ».

ويحاول الكاتب أن يسخر من القيم الراسخة فى المجتمع الاسلامى ويقول : ارتبطت بفرض الحجاب مفاهيم تضمنتها العقائد الفاسدة أو الأحاديث المنسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك القول بأن المرأة فتنة .

واعتبار صوتها وغير صوتها عورة . والقول باستحالة أن يخلو الرجل والمرأة الا اذا كان الجنس شاغلهما .

ونحن نقول له . ليست المرأة وحدها فتنة ولكن الأولاد فتنة والأموال فتنة . ألم يقل الله تعالى : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ » أليست هذه كلها شهوات

يقول تعالى

«إنّما اموالكم واولادكم فتنة » ويقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء »متفق عليه».

وأما أن صوتها عورة فقد عرفنا فيما مضى ما ورد فى شأن الصوت « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ » فقد جاز سماع صوت المرأة اذا كان لحاجة وكان غير منكر .

وأما غير صوتها فقد عرفنا من الآيات ما ورد فى ستر زينة المرأة ومواضعها ولا يكون الستر الا للعورة .

وأما أن خلوة الرجل بالمرأة يشغلها الجنس دائما فنحن معه فى أنه ليس بلازم أن يكون الجنس شاغلهما . بل قد يشغلها حديث علمى مثلا . ولكن ألا يجوز أن تتطور العلاقة الى الجنس . واذا جاز ذلك فى أحيان قليلة فقد وقع المحظور . والتشريع انما يهدف الى الصيانة والوقاية .

ولهذا فقد حرم الاسلام الخلوة بالأجنبية خوفا من احتمال تطورها الى الجنس .

عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يخطب ويقول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم . ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم » . فقام رجل فقال يا رسول الله . ان امرأتى خرجت حاجة وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « انطلق فحج مع امرأتك » »متفق عليه».

وهذه قصة سيدنا يوسف عليه السلام من غيرها أن امرأة العزيز سيدة القصر تستخدم معه كل وسائل الاغراء ، فلما لم يُجْدِ معه شيء من ذلك لجأت الى التصريح بل الى الاغتصاب

ويشيع الامر فى المدينة وتتحدث النسوة منكرات أن تراود امرأة العزيز فتاها عن نفسه ويبلغها نبأ المتحدثات عنها ، فتمكر بهن وتدعوهن الى طعام وتعطى كل واحدة منهن سكينا ، ثم تطلب من يوسف أن يخرج عليهن • فيفتن به عند رؤيته • «وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم» • وتشعر زوجة العزيز بالانتصار • فتقرر أمامهن بما فعلت وتعلن أيضا اصرارها على ما تريد •• « قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ » •

وهل بعد ذلك نحسن الظن ونقول أن اجتماع الرجل والمرأة فى خلوة أمر لا شيء فيه • ولاضرر منه •

أم هل يريد السيد الكاتب أن تسود القيم التى رآها ابن بطوطة فى رحلاته واستنكرها حيث يقول : « انه دخل مدينة فى صحراء المغرب فوجد الرجل يدخل بيته فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك » •

فهل يريد السيد الكاتب أن تسود مجتمعنا تلك القيم فلا تبقى للبيوت حرمة ، ولا للاعراض كرامة ؟

ان العلماء يقولون : « ان الخلوة بالمرأة المعقود عليها تعتبر فى حكم الدخول وان لم تحصل معاشرة فيستحق بها المهر ، ويثبت بها النسب والميراث » •

وان منع الخلوة بالاجنبية فيه ابراء للذمة وبعد عن التهمة وأطهر للقلب وأصون للعرض وختاما • فان كان يريد السيد الكاتب بالحجاب هو حجب عورة المرأة عن الانظار فقد بينا ماورد فيه من الآيات • وكلها موجهة الى النساء عامة • وان كان يريد بالحجاب هو حجب المرأة عن العيون ومكثها فى دارها • فقد بينا كذلك أن النصين الكريمين وان كانا موجهين الى زوجات النبى ﷺ خاصة الا انهما يشملان غيرهن من النساء • لان سبب فرض الحجاب على زوجات النبى ﷺ ليس تمييزا لهن على غيرهن وانما تطهير لهن وحتى لايطمع فيهن طامع • وذلك المعنى فى غيرهن أحق وأولى •

وتبين لنا أن هذه الاحكام ليست تقليدا لمجتمع سابق أو نقلا لقيم معينة وانما هى أحكام مستمدة من الله سبحانه وتعالى لقيام مجتمع فاضل يسيطر عليه الطهر والعفاف وبعد أن يقول الله فى ختام آياته :

« ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

« هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ » « ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ »

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » فليس لأحد بعد ذلك أن يقول قولا : والله يقول الحق ويهدى السبيل هدانا الله ورزقنا الفقه فى دينه فان من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ومنحنا العون والهداية والرشاد والله ولى التوفيق •

محمد محمد عباسى



الإسلام وحقوق المرأة

وجدت قضايا المرأة فى الاسلام اهتماما لم تحظ بمثله فى أى تشريع قبله ولا فى أى فكر وضعى بعده .

وهذا الاهتمام البالغ بشأن المرأة فى التشريع الاسلامى انما يستهدف الارتقاء بشأنها وحفظ حقوقها من الضياع ، والأخذ بيدها على طريق الحياة الفاضلة .

لتكون كما أرادها الله ، مدرسة لتعليم الأجيال كل مبادىء العلم والأخلاق والفضيلة ، ونافذة تطل على الدنيا بالجيل القوى المؤمن الذى يحمل أمانة ربه ، ويتحمل مسئولية وطنه بصدق ورجولة .

ولا شك أن ما قررته الشريعة الاسلامية للمرأة يضمن تحقيق تلك المقاصد الجليلة ، ويكفل لها الوصول الى ما تتطلع اليه فى دنياها من غايات طيبة .

... كان لابد من تقرير تلك الحقائق ونحن بصدد الكلام عن اهتمام الشريعة الاسلامية بقضايا المرأة لأن عددا من خصوم الاسلام كثيرا ما يحلو لهم اثارة حفيظتها على أحكام الله ، وتأليبها على شرعه الحكيم ، رغبة منهم فى تقويض كيانها ومحو شخصيتها ، وابعادها عن حياة الصواب .

ومن العجيب أن أصحاب تلك النحل لا يدخرون وسعا فى تحقيق مآربهم ، ولا يعدمون حيله فى الوصول الى ما يقصدونه بالمرأة المسلمة ، فتراهم يلبسون دعاواهم ثياب الاصلاح ويطلقون عليها عبارات تروج لها وتجذب أفكار النساء اليها .

ومن ثم فانهم غالبا ما يبثون سمومهم تحت مسميات تستلفت نظر المرأة وتجذب انتباهها : « كالنهوض بالمرأة » مثلا ، أو كما يقولون : « المرأة العصرية » أو « المتحضرة » ، وهذه المسميات على اختلاف معانيها تدور كلها حول فكرة واحدة ترمى الى فصل المرأة عن تعاليم دينها وتعكير صفو العلاقة بينها وبين ربها ، وليس بخاف ما تنطوى عليه تلك الفكرة السيئة من خطر عليها وعلى الأبناء الذين أوكل الله أمر تربيتهم اليها .



للدكتور عبد الله مبروك النجار

وخصوم الاسلام لا يكفون عن ترصد المرأة المسلمة للايقاع بها في شرك أفكارهم الرديئة، والوصول بها الى ما يخططون له وذلك من خلال اغرائها بالمسميات البراقة على نحو ما رأينا تارة ، أو من خلال تغيير الحقائق أمامها وتزويرها تارة أخرى ، فيوحون لها بأن أحكام الاسلام تقف عثرة أمام ما ينشدونه لها من تقدم يزعمونه ، ونهضة يرتقبونها .

ولو أنصف هؤلاء الذين يصرخون في كل وقت باسم حقوق المرأة وقضاياها ، دونما حياء يمنعهم من التطاول على أحكام الله والتهكم على شريعته ، لأمروها بالتمسك بكتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ﷺ وطالبوها بالعودة الى أحكام الشريعة الاسلامية السمحاء .

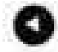
ففيها تحقيق الخير ، كل الخير للنساء ، والأخذ بأيديهن على طريق الحياة الفاضلة التى تحفظ العرض ، وتصون الكرامة ، وتحمى مواطن العفة في المجتمع .

ومن المؤكد أن ما يقصد الاسلام تحقيقه من خلال الأحكام التى قررها للنساء في الكتاب والسنة ، يعد غاية كبرى ، لا يحلم أصحاب العقول المحدودة في الوصول اليها ، ولا يمكن لأصحاب الافكار الصغيرة أن يعوا مرماها، وهم لا يملكون ازاء جلال الاحكام التى قررها الله للمرأة ، والحقوق التى كفلتها لها الشريعة الاسلامية ، الا أن يقفوا موقف الشامت بها ، الحاقد عليها ، الراغب في صرف الخير عنها ، أو ابعادها عنه .

ومثل قوم وصل بهم ضعف النفس الى هذا الحد ، وهو ان الفكر الى هذا المستوى لا نستبعد أن يصدر منهم ما يريدون أن يمسوا به قيمة ما قررته الشريعة الاسلامية للمرأة من حقوق ، فيهونون من شأنها ، ويقللون من قيمتها ، أو يزعمون خلافها فيقررون أن الاسلام لا يسوى بين المرأة والرجل فيفرض الحجاب عليها دونه ويجعلها في الشهادة والميراث على النصف منه ، ولو انهم نظروا الى تلك الأحكام من زاوية الايمان لوجدوا فيها تمام الحكمة ورأوا فيها عين الصواب .

المساواة بين الرجل والمرأة :

لقد غاب عن ذهن هؤلاء الذين يتهمون الاسلام بمحاباة الرجل على حساب المرأة رغبة منهم في تأليب المرأة على أحكامه ، أن الاسلام هو أول من قرر للمرأة حق المساواة مع الرجل، وأن الاسلام حين قرر ذلك الحق للمرأة لم يشأ أن يجعل منه شعارا أجوف يتجاهل ما فطر الله



المرأة عليه من صفات أوجدها بها ، وطبيعة خلقها معها ، لتكون مهيأة بها لرسالة مقدسة أسندها اليها لتؤدى من خلالها واجب العبودية لله عز وجل ، والالتزام بأحكام شريعته ، ومن ثم فالمساواة بين الرجل والمرأة فى الاسلام لا تعنى أن المرأة كالرجل فى كل شىء ، أو أن الرجل كالمرأة فى كل شىء ، والا كان فى ذلك تجاهل للفطرة البشرية التى أوجد الله الذكر والأنثى عليها ، فليس الذكر كالانثى طبعا وخلقة ، ومثل هذا الاختلاف لا يدل على أن لنوعى الجنس الانسانى أفضليته على الآخر فى القيام بمهمة التوالد وحفظ النوع البشرى من الانقراض ، ومثل الرجل والمرأة فى اختلاف نوعيهما ، وتكامل رسالتيهما كمثل الليل والنهار ، حيث يختلفان اختلافا يكمل معه كل منهما الآخر ، فالحياة لا تستقيم مسيرتها مع ليل خالص ، أو نهار دائم فالليل الخالص يعنى اضطراد نظامها على وتيرة واحدة لا تحقق الانسجام بين وجودها ، بل وتدفع به الى الهلاك وكذلك الأمر بالنسبة للنهار ، وقد ضرب الحق سبحانه مثلا على ذلك فى القرآن الكريم بقوله عز من قائل :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (١) •

واختلاف الذكر والانثى كاختلاف الليل والنهار يقوم على التكامل والتكاتف ، لا التعاند والتعارض (٢) ، كما قال الله تعالى : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ » (٣) فدل هذا القول الكريم على ان اختلاف النوعين انما يستهدف القيام بالمهمة التى أوجدها الله لها ، ومثل اختلافهما فى ذلك كمثل اختلاف الليل والنهار حيث لا يستوجب التمايز بينهما أو الاخلال بمبدأ التساوى فى حقوقهما وانما هو للتكاتف والتمازج كما رأيناه •

أساس المساواة بين الرجل والمرأة :

واختلاف نوعى الجنس البشرى بين الرجل والمرأة على نحو ما رأيناه لا يستوجب الاخلال بما كفلته الشريعة لكل منهما من حقوق ، حيث أراد الشارع سبحانه أن يعصم حقوق المرأة من الضياع ، فأرشد عباده الى الأسس التى ترتكز عليها تلك المساواة ، ليكون فى تبيانها ما يحفظ حقها ويدعو الى الرفق بها والحنو عليها ،

(١) سورة القصص ـ الآيتان : ٧١ ـ ٧٢ •
(٢) راجع فى هذا المعنى : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ المرأة كما أرادها الله ـ ص ٧٣٧ دار القرآن •
(٣) سورة الليل ـ الآيات من ١ ـ ٤ •

تأكيدا لمبدأ التواصي بها وحسن عشرتها ، وحتى لا تضيع حقوق المرأة في زحام تيار من الافكار التي تدعو لاهمالها ،والفلسفات التي تتجاهل وجودها وليكون التشريع الاسلامي هو أول من سن لتلك المساواة الأسس ،ووضع لها القواعد وهذه الأسس تقوم على ركيزتين هامتين هما .

التساوى في أصل الخلقة .

والتساوى في أساس المسئولية بينهما ، وذلك نود أن نبينه بشيء من التفصيل :

اولا : التساوى في أصل الخلقة :

واذا كانت بعض الأفكار الوضعية تحاول أن تنقص للمرأة في أصل خلقتها ما ينال من قضية المساواة بينها وبين الرجل ، في محاولة للتقليل منها ، أو النيل من كيانها فترى ان المرأة قد خلقت من رجس ، أو من عمل الشيطان ، الى غير ذلك من النعوت التى تسفه حياتها ، وتنال من مكانتها (١) ، فان الشريعة الاسلامية هي التي دفعت عن المرأة مثل تلك المزاعم وبينت سفهها ، وردت عليها بالحجة البينة والدليل القاطع في آية من كتاب الله تتلى على مسامع الزمان : قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً** » (٢)، حيث أشارت تلك الآية الكريمة الى وحدة الأصل الذى خلقت منه المرأة مع الرجل ، فلم يخلق الرجل من جوهر ، والمرأة من جوهر آخر، وانما خلقا جميعا من جوهر واحد هو التراب والطين والصلصال ، ومن ثم فلا وجه لأن يتميز الرجل على المرأة أو تتميز المرأة على الرجل في طبيعة التكوين الأصلى ، وتلك الوحدة في أصل التكوين والخلقة تستوجب بالدرجة الأولى أحقية كل من الرجل والمرأة للكرامة الانسانية بكل معانيها وحدودها التى أرادها الله لبنى آدم .

ثانيا : التساوى في أساس المسئولية :

وثمة جانب آخر يتأسس عليه مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، وهو تساويهما في أصل المسئولية أمام الله عز وجل ، عن ما كلفهما به من أحكام ، وعلى هذا فان عملهما المطلق يخضع للحساب من الله عز وجل ، قال تعالى : « مَنْ

---

(١) راجع : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ نفس المرجع السابق ــ ص ٨ وما بعدهـا ، وتفسير المنار ــ جـ ٤ ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) سورة النساء ــ آية ١ .

عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١).

حيث أشارت الآية الكريمة الى أن المرأة والرجل مجزيان عن عملهما أمام الله سبحانه، ويقول عز من قائل :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ . ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (٢) ، ويتضح من هذا النص الكريم أن الحق سبحانه يقرر مساواة المرأة للرجل في القيام بأحكام التكليف وما يترتب عليها من الفوز بنعيم الآخرة ، وما ذلك الا لمشابهة المرأة للرجل في أصل المسئولية وولاية الايمان الا ما خصها به الشارع لضعفها ، وانفرادها بوظائف خاصة بها ، لا يشارك فيها الرجل ، فقد حط عنها وجوب القتال ، ورفع عنها التكليف بالصلاة والصوم في بعض أحوالها ، وهذا من المعلوم بالضرورة من أحكام الاسلام (٣) . وقال تعالى : « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ » (٤) حيث بين الحق سبحانه في هذه الآية ان الذكر والانثى متساويان في الجزاء ، متى كانا متساويين في العمل ، حتى لا يغتر الرجل بقوته ورياسته على المرأة ، فيظن أنه أقرب الى الله منها ، ولا تسيء المرأة الظن بنفسها ، فتتوهم أن جعل الرجل رئيسا عليها يقتضي أن يكون أرفع عند الله منها .

وقد أشار الحق سبحانه الى علة هذه المساواة بقوله الكريم : « بعضكم من بعض » ومعناه كما يقول المفسرون والفقهاء أن الرجل مولود من المرأة ، كما أن المرأة مولودة من الرجل ، فلا فرق بينهما في البشرية ، ولاتفاضل بينهما الا بالأعمال ، وما يترتب عليها من العلوم والاخلاق ، وأن كلا منهما صنو وزوج وشقيق الآخر أي مثله في الطباع والأخلاق ، كـأنهن مشـتقات منهم ، أو لأنهن معهم ينحدرون من أصل واحد .

وفي هذا المعنى يقول الرسول صلى الله وسلم : « النساء شقائق الرجال » (٥) أي

---

(١) سورة النحل ــ آية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة ــ الايتان ٧١ ، ٧٢ .

(٣) راجع « تفسير المنار » ــ جـ ١٠ ص ٤٦٦ ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

(٤) سورة آل عمران ــ آية ١٩٥ .

(٥) أخرجه الامام أحمد في مسنده ، راجع « كنوز الحقائق في كلام خير الخلائق ــ » لعبد الرءوف المناوي ــ مطبوع على هامش سبل السلام جـ ٣ ــ ص ١٣٢ .

مثلهم فى اصل الثقة والمسئولية يقول صاحب المنار : « ان الآية الكريمة فيها ارفع لقدر النساء المسلمات فى أنفسهن وعند الرجال المسلمين ، ومن علم أن جميع الامم كانت تهضم حق المرأة قبل الاسلام وعلم بالأصل الذى أدخله الاسلام على عقائد الامم وعاداتها قدر الاسلام حق قدره » (١) .

مقتضيات التساوى فى المسئولية :

ومن مقتضيات التساوى فى المسئولية بين الرجل والمرأة أن يكون لكل واحد منهما حقا على صاحبه يقابله واجب يتعلق بذمته : قال تعالى : « **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** » (٢) فقد سوى الله فى هذه الآية الكريمة بين ما يجب لها وما يجب عليها حتى لا تكون مهضومة الحق أو الطرف الضعيف الذى يقع على كاهله العبء كله ، دون أن يشارك الطرف الآخر فى تحمل بعض الاعباء ، والآية قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل فى جميع الحقوق الا أمرا واحدا عبر عنه الحق سبحانه بقوله : « **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** » ، تلك الدرجة التى اقتضاها ما أودعه الله فى الرجل من زيادة القوة فى العقل والبدن ، وما يستوجبه كل ذلك من حسن القيام بواجب المرأة والاستمرار فى رعايتها والانفاق عليها ، فهى درجة لا تنال من المرأة وانما تتقرر لحسن القيام بواجباتها ، كما قال الله تعالى : **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** (٣) فالدرجة ليست هى درجة السلطان ولا درجة القهر والسطوة ، وانما هى درجة الرياسة البيتية ، الناشئة عن عهد الزوجية ، وضرورة الاجتماع هى درجة القوامة التى أناطها الاسلام بالرجل لتزيد مسئوليته عن مسئوليتها ، فهى ترجع عن شأنها وشأن ابنائها وشأن منزلها اليه ، تطالبه بالانفاق وتطالبه بما ليس فى قدرتها ، وما ليس لها من سبيل اليه (٤) .

وينبنى عليها اثبات العديد من الحقوق التى بخلت عليها بها كثير من التشريعات غير الاسلام ومنها :

١ ـ للمرأة كامل الحقوق المدنية :

وعلى هذا النحو فان المرأة فى الاسلام تتمتع بكامل حقوقها المدنية ، ولها الأهلية الكاملة فى تحمل الالتزامات واجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية ، وما الى ذلك ويحقها فى التملك تملكا مستقلا عن غيرها وبسلطتها المطلقة فى ادارة أموالها بنفسها .

فللمرأة فى الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية أهلها وزوجها وعن ثرواتهما ، ولا يجوز لأهلها ولا لغيرهم التصرف فى شىء من مالها متى كانت

(١) « وتفسير المنار » ـ جـ ٤ ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة ـ اية ٢٢٨ .

(٣) سورة النساء ـ اية ٣٤ .

(٤) « الاسلام عقيدة وشريعة » ـ للامام محمود شلتوت ـ ص ١٧٥ .

رشيدة الا باذنها ، ولا يجوز لزوجها نفسه أن يبرم أى عقد او اجراء مالى يتعلق بثروتها الا اذا أذنت له بذلك أو وكلته فى ابرامه بالنيابة عنها وفى هذه الحالة يجوز أن تلغى وكالته وتوكل غيره اذا شاءت كما لا يجوز له أن يأخذ شيئا من مالها قل ذلك الشيء أو كثر (١) •

وهذه المنزلة قد منحها الاسلام للمرأة باعتبارها انسانا كامل الانسانية منذ أن أشرقت الأرض بنوره ، فى حين أن المرأة الغربية فى عصر الحضارة وحقوق الانسان كما يقولون ، لم تصل الى التمتع بهذا الحق الانسانى الذى تمتعت به المرأة فى ظل الاسلام (٢) •

٢ ــ حق المرأة فى عقد الزواج :

واذا كان الاسلام قد منح المرأة أهلية التصرف كاملة فى سائر العقود المدنية فانه لا يتصور أن يسلبها ابداء رأيها فيمن يريد التزوج بها ، فليس من ريب أن نفسها ألصق بها من مالها ، وقد صحت الأحاديث الكثيرة فى وجوب استئذان المرأة عند زواجها وحتمت فى الثيب أن تصرح بالاذن واكتفت من البكر ترخيصا لها ، أن تجرى على عادتها فى الحياء الذى يمنعها من التصريح بأن يكتفى منها بما يدل على الرضا فالحق حقها ، والشأن شأنها •

وقد روى أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن » قالوا : يارسول الله وكيف اذنها ؟ قال : أن تسكت » (٣) • فقد دل هذا الحديث على أنه لابد من طلب أمر الثيب (٤) فلا يعقد عليها حتى يطلب الولى الامر منها بالاذن بالعقد ، والمراد من ذلك اعتبار رضاها ، وهو معنى أحقيتها بنفسها من وليها فى الأحاديث (٥) وبالنسبة للبكر لابد من اذنها •

٣ ــ حق المرأة فى التعليم :

واذا كان الاسلام يسوى بين المرأة والرجل ليتحمل كل منهما مسئوليته أمام ربه عن ما كلفه به ، والمرأة مكلفة أمام ربها ، ومسئولة عن ما تقدمه يداها ، من خير اعدت له ، ومهمة خلقت لها ، وما أجل رسالتها فى الحياة ! • وما اكثر المهام التى أنيطت بها ، فهى لا تقف عند حد القيام بضروب العبادات المختلفة وأنواع المعاملات المتعددة ، ولكنها مع كل هذه الانواع المتعددة من أحكام التشريع تنفرد بمهمة خاصة تستأثر بها ، وتقتصر عليها وهى اعداد جيل

---

(١) دكتور كمال جوده ابو المعاطى ــ وظيفة المرأة فى الاسلام ــ ص ١٣٢ ــ طبعة ١٩٨٠ •
(٢) الاسلام عقيدة وشريعة ــ ص ٢٥٣ •
(٣) « سبل السلام للصنعانى » حـ ٣ ص ١١٨ •
(٤) الثيب : هى غير البكر •
(٥) المرجع المكان السابقين •

قوى يؤمن بربه ، ويعيش لدينه ووطنه ويحب أمته ، ويعمل من أجل رعايتها والنهوض بها .

والجيل الناشىء وهو الاخر فى حاجة الى من يتعهده بالرعاية ويتولاه بالتعليم والتثقيف والتنشئة على هدى الاخلاق الاسلامية الفاضلة ومن المؤكد أن الله قد أوكل تلك المهام الجليلة الى الام فهى مطالبة على سبيل الوجوب بالقيام بأحكام التكليف ، لتفعل ما أمر الله به وتنتهى عما نهى الله عنه ، كما أنها مطالبة بتلقين أبنائها مبادىء الثقافة الراقية والاخلاق العالية وفضلا عن هذا وذاك هى زوجة وربة بيت ، ويلزمها معرفة حق زوجها عليها حتى لاتقع فى المعصية كما يلزمها معرفة المبادىء التى يمكن أن تدبر بها بيتا هى ربته ، والمسئولية عن تسيير دفة الامور فيه ، وأمور البيت متعددة بتعدد جوانب الحياة واختلاف شئونها .

ومن ثم فان موقعها فى حياة الاسرة وادارة البيت يحتاج منها أن تتزود لـه بما يمكن أن يكون لها مـن مختلف مستويـات العلم فهى محتاجة الى العديد من جوانب الثقافة كالطب والاقتصاد والعلم والحياكة والتدبير وغير ذلك .

ومن المؤكد أن تلك الامور لا يمكن القيام بها الا بمعرفة أركانها وشروطها ولوازمها ، وكل ذلك لا يحصل الا من خلال العلم ، وفى هـذا الصدد يقرر الفقهاء أن ما لا يتأتى الواجب الا به يكون واجبا ، فاذا كان القيـام بكـل تلك الامور لا يتأتى الا بعد معرفة ماهيته والاحاطة بمبادئه ، يكون العلم واجبا فى حد ذاته ، على أن التخصص فى فرع معين من فروع المعرفة والتعمق فيه كالطب والصيدلة والتشريع وعلوم اللغة والادب وغيرها من فنون العلم ، قد يكون واجبا عليها على سبيل الكفاية ، اذا اقتضت ضرورة الحياة ذلك ، وتعين عليها اتقان جانب معين منه ، وفى هذه الحالة يجوز لها أن تخرج لطلب العلم حيث قرر الفقهاء ذلك بشرط أن تكون ملتزمة بآداب الشريعـة ومحتشـمة فى مظهرها ومسلكها ، فـلا تتعمد الاثـارة ولا تنشد الفتن (١) .

يقول ابن حزم : أوجبوا عليهن النفار للفقه فى الدين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، نقول : نعم هـذا واجب عليهن كوجوبـه على الرجال ، وفرض على كل امرأة التفقه فى كـل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض على الرجـال ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة وفـرض عليهن كلهن معرفة أحكـام الطهارة والصلاة والصوم ، وما يحل وما يحرم مـن المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك كالرجـال ولا فرق .

ولو تفقهت المرأة فى علوم الديانة للزمنـا قبول نذارتها وقـد كان ذلك ، فهؤلاء أزواج الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصواحبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا فى ذلك (٢) .

(١) راجع فى هذا المعنى : دكتور كمال جوده ابو المعاطى ـ المرجع السابق ـ ص ٩٦ وما بعدها ، والشيخ محمد متولى الشعراوى نفس المرجع ص ٤٣ وما بعدها ، والاسلام « عقيدة وشريعة » ـ ص ٢٢٧ .

(٢) ابن حزم ـ « الاحكام فى اصول الاحكام » ـ جـ ٢ ص ٢٥٧ ـ مطبعة الخارنجى .

٤ ـ حق المشاركة فى الحياة العامة :

وللمرأة فى الاسلام حق المشاركة فى الحياة العامة ، لتكون شريكة الرجل فيما يرشد مسيرة الحياة على طريق الخير والسعادة ، فهى معه تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، بل وتأثم اذا ما تقاعست عن القيام مع الرجل بهذا الواجب الذى لا يهمله الا منافق فاسق ، قال تعالى :

« الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ » (١) ، فقد دلت هاتان الآيتان الكريمتان على ان الاسلام يسوى بين الرجل والمرأة فى القيام بواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنص الصريح فى ذلك المسئولية الكبيرة .

والمرأة فى الاسلام صاحبة رأى تبديه وتجادل به وتدافع عنه ، فقد حكى القرآن الكريم صورا متعددة للاخذ برأى المرأة والاعتداد به واحترام ما يسفر عنه اذا صادف الحق كما جاء فى أمر المرأة التى جادلت النبى ﷺ وهو ليس بخاف على أحد ، قال تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (٢) .

فقد جاءت خولة بنت ثعلب زوجة أوس ابن الصامت تشكو زوجها الى النبى ﷺ لأنه ظاهر منها أى قال لها : أنت على كظهر امى ، وكان الرجل فى الجاهلية اذا قال مثل هذا لزوجته حرمت عليه ، ثم دعاها فأبت وقالت : والذى نفس خولة بيده لا تصل الى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله .

ثم أتت النبى ﷺ ، وقالت يارسول الله : ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى ، فلما خلا سنى ، ونثرت بطنى جعلنى عليه كأمه ، وتركنى الى غير أحد .

فقال عليه السلام : « ما امرت فى شأنك بشىء حتى الآن ، و ماأراك الا وقد حرمت عليه » .

فقالت : ما ذكر طلاقا يا رسول الله ، وأخذت تجادله وتقول : ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وان ضممتهم الى جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول : اللهم انى أشكو اليك ، اللهم فأنزل على لسان نبيك ، وما برحت حتى نزلت الآيات الأربع الاول من سورة المجادلة ، تشنع على من يقول لزوجته : « أنت على كظهر امى » وتضع طريقا للخلاص من هذا الكذب والافتراء وتجاوز حدود الله ، وتبين أن الظهار ليس طلاقا ولا موجبا للفرقة .

ويتضح من تلك القصة التى حكاها القرآن الكريم ، كيف رفع الله شأن المرأة واحترم

---

(١) سورة التوبة ـ آيتان : ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) سورة المجادلة ـ الآية الأولى .

رأيهـا وجعلها مجادلة ومحاورة للرســول ، وجمعها وإياه فى خطاب واحد « وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا » .

وكيف قرر رأيها وجعله تشريعا عاما خالدا ، لتعــلم آيات الظهار وأحكامه فى التشريع الاســلامى وان ســورة المجادلة لم تكن الا أثرا من آثار الفكر النسائى واحترام الاسلام لرأى المرأة .

وكما جاء فى ســورة النمل عن بلقيس ملكة سبأ حيث حكى القرآن عن رجاحة رأيها وقوة فكرها ، بما يدل عليه قوله تعالى على لســان أصحابها « قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ » (١)

فقد كشـف هذا النص الكريم عن مدى الاعتداد برأى المرأة والأخذ به وتنفيـذ مـا يسفر عنه واقرارها عليه حين أعلنت اسلامها مع سليمان لله رب العالمين .

ومن أمثلة الاعتداد بالرأى عند النساء مـا حكاه القرآن الكريم عن امرأة فرعون ، التى وقفت فى وجه طغيان زوجها وكفره ، وتمسكت بعقيدتها الصحيحة وصدعت برأيها القويم فى مواجهة رجل أوتى قوة قهر بها الرجال ، ولم يســتطع أن يقهر امرأته وهى فى بيته وتحت امرته ، قال تعالى : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢) » تلك أمثلة جـاءت فى القــرآن الكريم لتبين للناس أن رأى المرأة لا ينبغى أن يهدر بل يجب أن يحترم طالما كان موافقا للصواب ، ومتمشيا مع الحق .

والمرأة مع كونها صاحبة رأى ، هى أيضـا مشيرة ، تبصر برأيها وتدل على مواطن الصواب كما حدث من أم ســلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، حين دخل عليها الرسول مطرقا مهموما بعد أن عقد الصـلح وأمر المســلمين أن يتحللوا من احرامهم فلم يمتثلوا ، ظنا منهم أن فى هذا الصــلح غبنًا شديدا عليهم .

فقالت ما رســول الله : ما خطبك ؟ قال : هلك « المسلمون يا أم سلمة أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا ويتحللوا فلم يمتثلوا » .

قالت اعذرهم يا رسول اللــه ، فقد جاءوا على أمل أن يدخلوا المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم على بعد بسيط منه ، فهم لذلك مكروبون ، والرأى أن تخرج فتنحر وتحلق ، فاذا رأوك فعلت تبعوك ، فانشرح صدر النبى صلى الله عليه وسلم بمشورة أم سلمة ، وفعل ما أمره اللــه بــه من الهدى والنحر ، فعلم المســلمون أن الامر جد لا هزل فيه ، وفعلوا ما فعل النبى صــلى الله عليه وسلم فهدأت العاصفة وانتهت الزوبعة بفضل مشورة امرأة لهـا رأى سديد (٣) .

(١) سورة النمل ــ آية ٣٣ .
(٢) سورة التحريم ــ آية ١١ .
(٣) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعــراوى ــ نفس المرجع ص ١٦ .

خصوم الاسلام وحقوق المرأة :

ذلك بعض ما أقره الاسلام للمرأة من حقوق فماذا قدم خصومه لها ؟ .

لا شيء قطعا بجانب ما شرعه الاسلام غير عبارات طنانة وشعارات براقة ومع ذلك راحوا يتبارون في التهجم عليه ، ونقد مسلكه حسدا من عند أنفسهم وحقدا عليه وعلى المرأة التى أنصفها الاسلام بتلك الحقوق ، واذا بهم يقرون أمورا هى أكبر من فهمهم ، وأوسع على مداركهم ، لا يقصدون منها الا الطعن على الاسلام وتأليب المرأة على أحكامه وهم فى كل مرة يصيحون بأن الاسلام ينال من انسانية المرأة حيث جعل ميراثها على النصف من الرجل ، وشهادتها كذلك .

وهذا هو حكم الاسلام كما جاء فى القرآن الكريم ، قال تعالى : **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** » (١) « وقال تعالى : » **فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ** » (٢) . ولوانهم نظروا بعين الايمان لوجدوا أن فى ذلك عين الحكمة ، وأن المرأة فى هذين الأمرين أسعد حظا من الرجل فى نظر الاسلام .

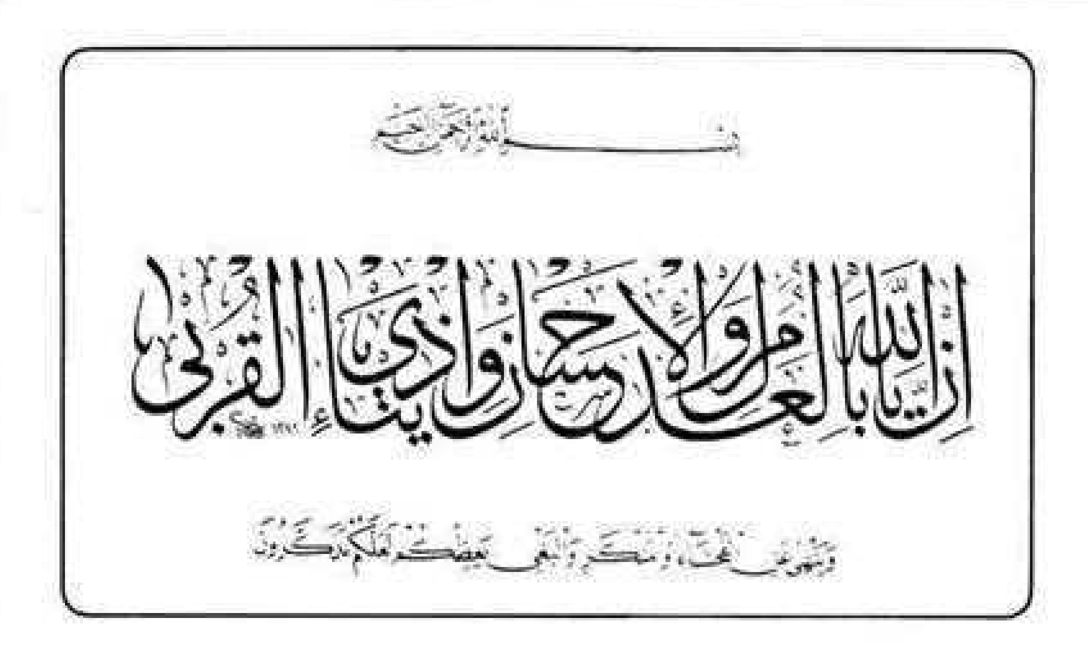
حق المرأة فى الميراث :

كفل الاسلام حق الميراث للمرأة وقد كانت قبله لا ترث لأنها لا تحمى الزمار ولا تدافع عن البيضة ، فجاء الاسلام وقرر أن لها حظا من التركة ونصيبا فى الميراث ، أما كانت أم زوجة أم بنتا أم أختا ونص القرآن على حقها فيه ، قال تعالى **وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** » (٣) .

والاسلام حين قرر حق المرأة فى الميراث وجعلها على النصف من الرجل فيه ، لم يقصد أن ينال من انسانيتها ، أو يقلل من قيمتها بجانب الرجل ، وانما بنى الحكم فيه على أساس آخر تقتضيه حكمة الله العادلة وتتطلبه طبيعة المرأة فى الحياة العاملة ، فما قرره الشارع لها من حقوق يعوضها ذلك الجزاء وقد تتفوق به على ما يكون للرجل ، لأنه يتحمل نفقتها زوجة وبنتا وقريبة ، ويحتمل كذلك المهر الذى يقدمه لها رغبة فى الاقتران بها ، حيث أوجب لها الشارع مهرا لأحد لأكثره ، قال تعالى « **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** » (٤) .

وأوجب لها على الرجل النفقة والكسوة وجميع ما تحتاج اليه بالمعروف لبيئتها ، قال تعالى : « **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ** » (٥) فاذا ما طلقت وجبت لها نفقة العدة كما تجب لها المتعة وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة مما تحتفظ به نفسها وكيانها ، قال

(١) سورة النساء آية ١١ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(٣) سورة النساء ـــ آية ٧ .
(٤) سورة النساء ـــ آية ٢٠ .
(٥) سورة الطلاق ـــ آية ٧ .



تعالى : « **وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** » (٢) .

كل ذلك والرجل مطالب بالانفاق على نفسه وعليها وعلى أولاده وأقاربه وعلى نوائب الحياة كلها فهو مطالب بكل شيء والمرأة لا تطالب بشيء ، ومن ثم قرر لها الاسلام النصف ليكون تأمينا لحياتها اذا لم تتزوج أو لم تجد من ينفق عليها ، وهو لا ينال منها ، وانما يكشف عن عدل الله مع عباده ، ومواءمة التشريع لظروف الحياة ، بالقدر الذى لا يحط من انسانية المرأة ولا يمس كيانها بأى وجه من الوجوه .

خصوم الاسلام وشهادة المرأة :

ومن المسائل التى حاول خصوم الاسلام أن يستعملوها للوقيعة بين المرأة وأحكام ربها ، مسألة شهادة المرأة على الحقوق حيث جعل الشارع شهادة اثنين تقوم مقام شهادة رجل ومن ثم راح هؤلاء الذين يتربصون بالمرأة للتغرير بها يصرخون بأن تلك محاولة للتقليل من شخصيتها والاستخفاف بعقلها !! وما لهذا جاء الحكم ، وانما تقرر على هذا النحو تكريما لها وتخفيفا عليها ، حتى لا تشغل نفسها بأمور المداينات والاشتغال بالمبايعات وأمرها قد يشق عليها فليس من شأنها الاشتغال بمثل هذا النوع من الاعمال التى قد تكون ذاكرتها فيه ضعيفة لعدم ممارستها له ، ومن ثم تكون الرحمة فى وجود امرأة معها تذكرها اذا نسيت وتنبهها اذا غفلت ، كما قال تعالى : **أَنْ تَضِلَّ**

(٢) سورة البقرة ــ آية ٢٤١ .

إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » (١) ٠

وقد يكون من المصـــلحة لها وللمجتمع أن تتفرغ لغير ذلك من الاعمال التى تقوى عليها وتقدر على القيام بأعبائها ومن طبـع البشر أن يقـوى تذكـرهم للامــور التى تهمهم ويمارسـونها ، ويكثر اشتغالهم بها ، والدليل على ذلك أن هناك أمورا تنفرد المرأة بالشهادة عليها ، وهى التى لا يطـلع الرجـال على موضوعاتها كـالولادة والبكـارة وعيـوب النساء (٢) وغيرها ٠

ثم ان الآية جاءت لبيان الاستيثاق الافضل للحقوق لا للقضاء بها ، والاقان القضاء بالحق لا يلزمه غير البينة وقد تكون منها شهادة المرأة الواحدة أو النساء اللاتى ليس معهن رجل اذا اطمأن اليها القاضى ووثق بها ومن ثم لا يكون فى هذا الحكم ما ينال من أهلية المرأة أو يمس بانسانيتها ، ولعل فى بيان تلك الحقوق للمرأة ما يرد عن التشريع الاسلامى بعض المفاهيم الملتوية التى حاول خصومه أن يتقولوا بهـــا عليه ، من خلال فهمهم السقيم لأحكـامه ٠ حقدا على الاسلام وتغريرا بالمرأة ، واللـه متم نوره ولوكـره الكافرون ٠

وبالله التوفيق ٠٠

دكتور عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ ٠

(٢) « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٦٢ ٠

فيه شفاء للناس - بقية

فوائد عسل النحل انما هو قطـرة من بحـر بلا قاع ولا ساحل له ، ونرجو من قارئنا العفو عن السهو أو الخطأ أو النسيان ٠

ننتهى الى خلاصة جامعة موجزة وهى أن الله سبحانه وتعالى قد وسع كل شىء رحمة وعلما ٠

فقد خلق الانسان فى أحسن تقويم ، ومكن له فى الارض وجعل له فى اقتاتها ما يقيم كيانه ويذود عنه غوائل الفتور والخور ، وخلق أعـداءه الكثير مـن الكائنات المتوحشـــة ، ومن الاكثر وحشية وفتكا من المخلوقات اللامرئيـة وهى لا تقل عن الأولى ضراوة وهدمـا

وجعل لكل داء دواء وجعل لكل نائبـة مخرجا ، وذلك حتى يتيم الحجة عـلى عباده يوم القيامة اذ لولا قيوميته على مخلوقاته وتسخيره الكـون وما فيـه لخدمة الانسان لتعذرت عليه الحيـاة والسعادة ٠ اللهم نســـألك أن تنير بصائرنا وأن تلهمنا الصواب والســداد والتثبيت على جـــادة الســـواء والاســتقامة ٠

السيد الجميلى

من علماء الأزهر

الشيخ محمد أحمد شاكر

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

علم من اعلام الأزهر عرف بعلمه الغزير وفقهه الدقيق وكما كان صلبا فى دينه وصلبا فى عقيدته كان صلبا فى رأيه شجاعا فى الحق لا يرهب أحدا من الناس فكانت خشيته من الله وحده يعمل لرضاه ويرجو رحمته .

عرفته المنابر خطيبا قويا يذود عن الاسلام ويرد عنه سهام أعدائه ، كذلك حرر فى الصحافة المصرية — خصوصا فى جريدة المقطم القاهرية التى كانت تصدر فى أوائل هذا القرن — العديد من المقالات وعالج فيها كثيرا من أمور المجتمع وشئون المسلمين وفضح أعداء الاسلام الذين كانوا يعملون على تقطيع أوصال المسلمين وتفريقهم دولا متناثرة تتدثر ببدعة القوميات الزائفة التى ابتدعتها الصليبية الاوروبية لتفرق بها كلمة المسلمين وتضرب بعضهم ببعض ولتفتنهم عن مبدأ الاسلام السياسى والاجتماعى السليم الذى شرعه الله لهم وأمرهم باتباعه والعض عليه بالنواجذ وهو مبدأ (الجنسية الاسلامية) الذى قننه القرآن الكريم فى قوله تعالى (إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (١) .

وقوله جل شأنه (وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (٢) .

لذلك كانت شريعة الاسلام تجعل من المسلمين أمة واحدة نظرا لوحدة عقيدتهم التى تجمعهم حتى لو اختلفوا فى الجنس والاقليم وغير ذلك لأن عنصر العقيدة الاسلامية يغلب هذه الاختلافات ويجعل المسلمين وهم أخوة فى الدين — أمة واحدة ودولة واحدة (٣)

◄

(١) سورة الانبياء ٩٢ .
(٢) سورة المؤمنون ٥٢ .
(٣) كتاب أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام للبحث الثانى عن الجنسية فى الشريعة الاسلامية تاليف الدكتور عبد الكريم زيدان الاستاذ بكلية الاداب جامعة بغداد ونشرته الجامعة المذكورة سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

الشيخ محمد أحمد شاكر

ذلك هو المرحوم الشيخ محمد شاكر بن احمد بن عبد القادر (من آل ابى علياء) ، وآل أبى العلياء أسرة معروفة من أشراف البيوتات بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج فى الصعيد الأوسط بمصر .

كيف كانت نشأته :

ولد رحمه الله فى منتصف شهر شوال سنة ١٢٨٢ هـ الموافق مارس سنة ١٨٦٦ م ولما شب تلقى مبادىء التعليم وحفظ القرآن الكريم على علماء بلده فى مدينة جرجا ، ثم رحل الى القاهرة لينتظم بالأزهر الشريف حيث تلقى العلوم الاسلامية عن كبار الشيوخ وأفاضل العلماء فيه .

تعيينه امينا للفتوى ثم قاضيا بالمحاكم الشرعية :

بعد أن أتم الشيخ محمد شاكر دراساته فى الأزهر الشريف عين أمينا للفتوى مع أستاذه العظيم الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتئذ وكان ذلك فى ١٥ رجب سنة ١٣٠٧ هـ الموافق ٤ مارس سنة ١٨٩٠ م ، وفى ٧ من شعبان سنة ١٣١١ هـ الموافق ١٣ من فبراير سنه ١٨٩٤ م نقل الى منصب نائب محكمة بنها الشرعية وبقى بالمحاكم الشرعية مدة خمس سنوات كشف فيها عن كثير من العوائق العالقة بها مما كان يرهق جمهور المتقاضين بسبب صعوبة اجراءاتها وما كان فى نظمها ولوائحها من تعقيدات ، وكذا سوء أمكنتها واهمال الحكومات المصرية لها تحت ضغط الاحتلال الانجليزى واعراضها عن اصلاح نظمها ولوائحها أو العناية بأمكنتها وابنتيها (١) .

اقتراحاته لاصلاح المحاكم الشرعية :

وضع المرحوم الشيخ محمد شاكر تقريرا عن المحاكم الشرعية أبان فيه أوجه النقص والقصور فى لائحتها ونظمها وعمالها واقترح طرق اصلاحها تفصيلا ومنها :

عدم التقيد بمذهب معين .

واقتباس بعض الأحكام من مذهب الامام مالك فى التطليق للاعسار وللضرر وللغيبة الطويلة لما تبين له حين كان أمينا للفتوى أن المصلحة تقتضى ذلك (٢) .

قيام الأستاذ الامام محمد عبده بنفسه بالطواف على المحاكم الشرعية :

لما تقدم الشيخ محمد شاكر بتقريره عن اصلاح المحاكم الشرعية قام الشيخ محمد عبده بنفسه بعد تعيينه مفتيا للديار المصرية بالطواف على كثير من محاكم الوجه البحرى واطلع على سير العمل فيها

---

(١) كتاب محمد شاكر علم من اعلام العصر تاليف الشيخ احمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا سابقا .

(٢) المرجع السابق .

ثم وضع تقريره عن اصلاح تلك المحاكم وهو التقرير المشهور الذى طبع بمطبعة المنار فى شوال سنة ١٣١٧ هـ الموافق سنة ١٩٠٠ م فاتفق رأى الأستاذ الامام محمد عبده مع رأى تلميذه فى كثير من أنواع النقد وطرق الاصلاح خصوصا فى الأخذ بشىء من أحكام المذاهب الأخرى وعدم التقيد بمذهب الامام أبى حنيفة النعمان (١) ـ رضى الله عنه .



تعيينه فى منصب قاضى قضاة السودان :

رأى المرحوم الأستاذ الامام محمد عبده أن يمكن للشيخ محمد شاكر للعمل فى بلاد السودان حتى يستطيع أن ينفذ آراءه فى الاصلاح مادامت عسيرة التنفيذ فى مصر فزكاه لمنصب قاضى القضاة بالسودان فسافر الى هناك اثر تعيينه مباشرة فى ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣١٧ هـ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٠٠م عقب انتهاء الثورة المهدية فوضع للمحاكم الشرعية بالسودان من النظم نهجا مما سبق أن اقترحه وأراده لها فى الديار المصرية واقتبس من القوانين الزمع العمل بها من جميع المذاهب الاسلامية ما كانت الحاجة ماسة اليه مما تنصره أدلة الشريعة وفقهها الصحيح خصوصا الحكم بالتطليق للغيبة والاعسار والحبس والضرار ونحوها وقد أخذت به الدولة فى مصر بعد ذلك بالقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ ، كما وضع كثيرا من القواعد الدقيقة للاجراءات وقد اقتبس أيضا بعضها فى مصر فى اللائحة التى صدرت للمحاكم الشرعية بها سنة ١٩١٠ فسبق السودان مصر فى بعض نواحى اصلاح تلك المحاكم وفى بعضها بعشرين سنة .

ولولا أن السياسية العامة للدولة المصرية فى التشريع والقضاء وضعها وقتئذ أناس لا علم لهم بسمو شريعة الاسلام ووثائق مقاصدها وأهدافها وضعف المسئولين أمام سطوة الاحتلال الانجليزى الذى كان جاثما بثقله على البلاد لسار القضاء الشرعى سيرة كبيرة تمكن له فى البلاد أن يكون وحده هو القضاء العام فى شئون الدولة كلها من مدنية وجنائية وشخصية ولما تأخر تطبيق شريعة الاسلام فى شئون القضاء والحكم حتى اليوم .

قيامه بالدعوة الاسلامية فى بلاد السودان

رغم انشغال الشيخ محمد شاكر بشئون



(١) كتاب الشهر الامام الشيخ محمد عبده تأليف محمد صبيح نشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

الشيخ محمد أحمد شاكر

القضاء في بلاد السودان وهي ليست بالأمر الهين لم ينس أنه قبل كل شيء داعية من دعاة الاسلام تخرج من الأزهر الشريف مهد الدعوة الاسلامية المتيد ومربي الدعاة الى الله على مر العصور والاجيال لذلك كان يقوم بتعليم الناس شئون دينهم بالقاء الدروس الثقافية والخطب المنبرية والمواعظ الدينية في مختلف المساجد والمحافل هناك كما قرأ لهم صحيح الامام البخاري كله .

نقله من بلاد السودان وتعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية :

يبدو أن الانجليز لم تحتمل النشاط الاسلامي للشيخ محمد أحمد شاكر في بلاد السودان لذلك نراه نقل منها فجأة حيث تم تعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية في ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٤ م فبث في محيط عمله من روحه الوثابة ما يشيع الحركة والاجتهاد واختار لعونه في مهمته أربعة من نوابغ العلماء من رجال الأزهر وهم

١ ـ الشيخ عبد الله دراز
٢ ـ والشيخ عبد المجيد الشاذلي
٣ ـ والشيخ عبد الهادي مخلوف
٤ ـ والشيخ ابراهيم الجبالي

واختار من الكتب والمقررات الدراسية ومن العلوم الدينية والعربية وكذا من العلوم الأخرى ما يحتاج اليه طالب العلم في ثقافته العامة مما يسميه الناس بالعلوم الحديثة وجعل دراستها اجبارية (١) .

حرصه على تحلي طالب العلم بالأخلاق الفاضلة :

كان أكثر ما يحرص عليه أن يكون طالب العلم الازهري قوي الخلق عزيز النفس مستقل الرأي كما كان يرجو أن يخرج عالم الاسلام الى الحياة العامة مجتهدا يبث فيها من أفكاره العلمية وروحه الاسلامية حتى تستقيم أمور الأمة وتعتدل أحوال الدولة فيعود فيها للاسلام مجده ويتمكن أبناؤه من مقاومة تغلغل النفوذ الاجنبي وتسلط الاستعمار الانجليزي الذي كاد ينحرف بالامة عن دينها وعن مقومات حياتها .

احتفاله بالناجحين من الطلاب كل عام دراسي :

سن الشيخ محمد شاكر سنة حسنة لطلاب العلم اذ كان يأمر في آخر كل عام دراسي باقامة احتفال رسمي للناجحين بمسجد العارف بالله أبي العباس المرسي بمدينة الاسكندرية تمنح لهم فيه المكافآت والهدايا من الكتب العلمية ويحضره حاكم البلاد والوزراء ورجال الادارة ويخطب فيه شيخ العلماء خطبة تناسب المقام.

---

(١) كتاب محمد شاكر علم من أعلام العصر تأليف الشيخ احمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا .

رده في احدي خطبه على المعتمد البريطاني عندما تعرض للاسلام :

كان اللورد كرومر المعتمد البريطاني وممثل الاحتلال في مصر قد قال — في بعض أحاديثه عن الاسلام : (انه يجيز الرق ويتضمن سننا وشرائع في علاقات النساء بالرجال تناقض آراء أهل هذا العصر) فرد عليه الشيخ محمد شاكر في خطبة ألقاها في احتفال الخريجين بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧ بشجاعته المعهودة دون أن يخشى شيئا من مكره أو جبروته أو من دولته المستعمرة وقد كان ذلك ، بحضور حسين فخرى باشا القائم برئاسة مجلس النظار وقتئذ وحضور ناظر الاشغال العمومية وناظر المالية ومحافظ الاسكندرية ورئيس الديوان الخديوى وكان مما قاله في خطبته (يقولون ان هذا الدين يجيز الرق ونسوا أن الشرائع السماوية من قبله أباحته ، أما الاسلام فسوى بين الارقاء وبين الآباء والامهات في الوصية بالاحسان والرفق والحنان • أليس الله تعالى يقول في كتابه العزيز (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (١)

ان الاسلام بحمد الله لم يبح استرقاق الشعوب ولا مصادرة الأمم في مقومات حياتها القومية والاجتماعية •

أما علاقات النساء بالرجال فليس وراء الشريعة الاسلامية غاية في عدل ولا في مرحمة ولا في محافظة على الاعراض المصونة يتطلع اليها أصحاب النفوس الأبية (٢)

ندبه للقيام باعمال منصب مشيخة الأزهر :

في أواخر سنة ١٣٢٤ هـ كلف رحمه الله بالقيام بأعمال شيخ الازهر نيابة عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربيني بالاضافة الى عمله في مشيخة علماء الاسكندرية وكان ذلك لمدة أربعة أشهر •

وفي ٩ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ٢٩ أبريل عين وكيلا للازهر فسار فيه سيرته في الاصلاح ومهد لذلك برحلة واسعة الى بلاد الصعيد زار فيها المدن وكثيرا من القرى ليستطلع أحوال الدراسات الدينية التي كانت تقوم في المساجد تمهيدا لانشاء المعاهد العلمية لتكون فروعا وروافد منتظمة للازهر ونتيجة لذلك تم انشاء معهدى أسيوط وقنا ثم صدر قانون النظام في الازهر سنة ١٩١١ وتم بموجبه انشاء هيئة كبار العلماء فكان

◄

---

(١) سورة النساء ٣٦ •

(٢) بتصرف من خطبة للشيخ محمد شاكر القيت في احتفال الخريجين في يوم السبت ٢٢ من رجب ١٣٢٥ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٠٧ وهي مذكورة في التقرير الرابع من أعمال مشيخة علماء الاسكندرية ١٣٢٤ (الدراسية) •

الشيخ محمد أحمد شاكر

الشيخ محمد شاكر ضمن علمائها واستمر بها حتى تاريخ وفاته .

ومما هو جدير بالذكر أنه عند وضع الميزانية سنويا لمعهد الاسكندرية ثم لادارة الازهر كان يقرر فيها ما يستحقه العلماء والموظفون من علاوات ونحوها الا امام اسمه فكان يكتب (لا يستحق شيئا) .

تعيينه فى الجمعية التشريعية ثم اشتراكه فى ثورة سنة ١٩١٩ .

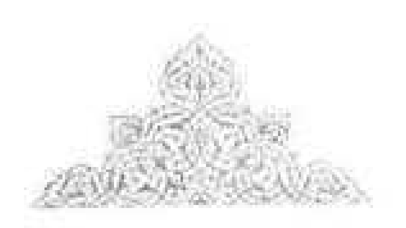
عندما أنشئت الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ م عين عضوا بها ، ولما قامت الثورة الشعبية ضد الانجليز سنة ١٩١٩ اشترك فيها خصوصا بنداءاته الشديدة لجماهير الشعب تلك النداءات التى كانت تزيد فى وقود الثورة واشتعالها ، ولما انتهت الثورة وهدأت أحوال البلاد بالغاء الحماية الانجليزية واعلان استقلال مصر عن بريطانيا نأى بنفسه عن الانضمام الى أى حزب من الاحزاب لأنه لم ير أن يسلم مقاده الى أحد من الناس كائنا من كان .

مرضه واعتزاله ثم وفاته :

ومنذ سنة ١٩٣١ اعتزل الدنيا بسبب ما ألم به من مرض أقعده فى منزله فلزم الفراش صابرا محتسبا راضيا عن ربه الى أن جاءته الدعوة الى لقائه فقبضه اليه هادئا مطمئنا وكان ذلك فى صباح الخميس ١١ من جمادى الاولى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٩ .

(إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ٠ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) (١)

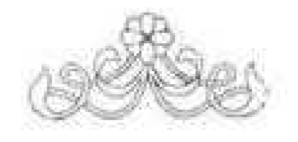
محمد عزت الطهطاوى



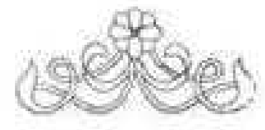
(١) سورة القمر ٥٤ ، ٥٥ .

شعر وشاعر

ابتهالات وتراتيل



رجاء



ولدي

ابتهالات وتراتيل

للأستاذه جليلة رضا

يارب انى سرت فى أمسى على درب عسى
وتلفتت عيناى بين الناس فى قلق مشى
وعلى الطريق تسمرت قدماى من تعب المسى
فلقد ضللت ، ضللت ، واختلطت على عقلى الأمور

***

حتى اذا واريت عينى عن رؤاى الداجيه
ولمحت نورك ساريا أسرعت نحوك شاكية
وكشفت عن سر الدموع وعن جراحى الدامية
وعرضت مأساتى عليك ٠ سردتها لك وافية

***

ناديت : « هانا يا الهى والفؤاد وما لدى
كلى ٠٠ موجهة اليك ، أعوذ من يأس الشقى
من ضعف ايمانى ، ومن ضيقى ، ومن قلقى العتى
فلتغفرن ضلالتى يارب ٠٠ ولتعطف على »

***

ناديت : « هانا استعين بعطفك الحانى المديد
فلأقضين بقية الأيام فى أمل جديد
كى استرد قريرة ثقتى بنفسى ، بالوجود
فلانت خالق كل شىء ٠٠٠ من تميت ومن تعيد

رجاء

للدكتور عزت شندى موسى

هذه الدار .. ركنك المختار ؟   .. عن قريب تجفوه أو .. ينهار
فاغتنم فرصة الحياة واقبل   انما العمر ليلة ونهار
وامض بين العيال وقتك بشا   انت راع .. وكلهن صغار
لهف نفسي وقد تحين قريبا   ساعة البين .. ثم تنأى الدار

***

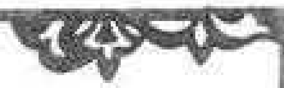
ذلك البدر نوره خلاب   جل من صور السنا .. الوهاب
فاهجر النوم وارقب البدر تما   قبل أن يحجب الضياء سحاب
واجل عينيك بالبهاء مليا   وتامله فالحياة سراب
انما النور ساعة ثم تمضى   وستتلوه ، فى الظلام ، حقاب

***

أنا ان جد بى هوى وذنوب   فرجائى فى الله ليس يخيب
يا قريب الدعاء عفوك سؤلى   أنت للسؤل سامع ومجيب
يافسيح الارحاب بابك قصدى   وعن الباب لا يرد منيب
ياكريم الجناب انت ملاذى   أنت من مرسل النداء .. قريب

***

يا بديع النجوم والآفاق   ومقيم السماء سبع طباق
أنا فى جاه مصطفاك وحسبى   أننى بين زمرة العشاق
ولمن تطلب الشفاعة ان لم   تك للمستجير بالخلاق
فتقبل تضرعى ودعائى   يا عظيم الحنان والاشفاق



ولدى

ياغائبـا لا يؤوب الدهـر من سفر ... واى أوب لنـائى الموت مبتعـد ؟ !

وياغريبـا ليـوم الحشر غربتـه ... اسلمتنا لعـذاب بالنـوى صـعد

تركت امـك مـن أحـزانها انفـردت ... بين الثكـالى بخطب فيـك منفـرد

وارحمتـاه لهـا مـن حـر لوعتهـا ... وللشـقيقات مـن هم ومـن كـد

أنين فيـك دمـوع العين من ولـه ... حتى نزفـن دمـاء القلب والكبـد

يندبن فيـك وحيـدا ثمنه سـندا ... وقـد غـدون وحيدات بـلا سـند

ويلـى اذا ما التقينـا حول مـائدة ... ونحن بعـدك جمـع ناقص العـدد

اخفـى انينى ـ لا يسـمعنه ـ بفمى ... واستر الدمع ـ لا يبصرونـه ـ بيدى

كنـا اذا غبت يـوما لا نطيـق نـوى ... واليوم غيبتك الكبـرى الى الابـد

وكم بعـدت ـ فلم نصبر ـ الى امـد ... فكيف نصـبر فى بعـد بـلا امـد ؟!

بتنـا نرى فى خطوب النـاس محنتنـا ... حزنـا على كل مختـال الشـباب ردى

نبكـى لكـل وحيـد غـاله قـدر ... وذاق ماذقت مـن مـوت له رصـد

اهـل المصـائب فى الدنيـا توحدهم ... ارحام خطب عـلى الاحـزان متحـد

واتعس النـاس ام غيـل واحـدها ... ووالد ريـع فجعـا فى ابنـه الوحد



للدكتور حسن جاد

لولا البنيات طفت الأرض مستحبا ... أهيم من بلد ناء إلى بلد

***

يا طاهر القلب لم تضمر أذى أحد ... ولا انطويت على حقد ولا حسد

خرجت من هذه الدنيا بلا سبد ... يغريك من ظلها الفاني ولا لبد

أين ابتسامك وضاء يشع سنا ... على محياك في لألائه الفرد ؟

وأين نور جبين كان مؤتلقا ... توسد الترب في مستوحش جرد ؟

وأين عودك ريان الصبا نضرا ؟ ... عدا عليه البلى فانقد من أود ؟

مضيت كالطيف لم يلبث إلى أجل ... وسرت كالضيف لم يمكث إلى أمد

ورحت كالزهر في عمر ، كأنك لم ... تكن ، وأصبحت ذكرى القلب والخلد

لم أدر هل أنا في حلم ؟ فقد عصفت ... فجاءة الخطب بالألباب والرشد

خلفتنا لجوى الذكرى وحرقتها ... والبيت بعدك أسى واهي العمد

تلفه وحشة الصمت الكئيب أسى ... لما خلا أيكه من صوتك الغرد

نراك في كل شيء ماثلا أبدا ... حتى كأنك فينا غير مفتقد



الشاعر
عبده إسماعيل الطهطاوى
وموقف نقاد الأدب منه

فى ليلة من ليالى شتاء ١٩٥١ ذهبت مع الشاعر « عبده » الى مجلة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات ، فقابلنا فى ادارتها المرحوم أنور المعداوى زميل الشاعر بكلية الآداب ، وكان يومئذ الناقد الأدبى بها والقائم على تحريرها حسب تقديرنا ولم يكن الأستاذ الزيات موجودا ، ونحن وقوف قدم اليه الشاعر الأستاذ عبده ديوانه « شقائق النعمان » وهو الديوان الأول له . وما ان قرا الاستاذ انور المعداوى المقدمة ، وكانت بيتين من الشعر للشاعر المخضرم « الحطيئة » وهما :

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت بـه الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

حتى أشاح بوجهه وقال :

متى نظمت هذا الشعر يا أستاذ عبده ؟ فكان الجواب : من يوم أن أصبحت أنت ناقدا أدبيا بمجلة الرسالة .

قلت وأردت صفاء الجو : مطلوب منك يا أستاذ أنور وأنت صاحب نظرية « الأداء النفسى » .

أن تطبق تلك النظرية على « شقائق النعمان » ولكنه شغل عنا بغيرنا متعمدا ، وانسحبنا دون أن نلقى السلام عليه ، وامسك الأستاذ عبده بنسخة الديوان يريد أخذها معه ، فقلت له : انها هدية والهدايا لا رجوع فيها ، فترك الديوان على المكتب وسرنا نحو ميدان العتبة ، والتقينا بزميل آخر للشاعر هو الأستاذ كمال النجمى ، وكان يعمل بالصحافة .. فقدم اليه الشاعر نسخة من الديوان فشكره ووعده بالكتابة عنه .. وقد فعل ، كتب عنه مقالا صغيرا بمجلة الهلال — على ما أذكر — وكتبت أنا عن « شقائق النعمان » مقالين فى جريدة القاهرة التى كانت تصدر مسائية فى ذلك الزمان

ولقد ذكرت لك تلك الحادثة لأبين لك أن الشاعر عبده الطهطاوى لم ينل حظه من أقلام النقاد ، ويرجع ذلك الى أنهم تبهرهم الشهرة ولا تبهرهم الصورة الأدبية ، وشاعرنا لم يكن له حظ من القاء شعره فى المنتديات أو فى الاذاعة أو نشره فى الصحف ، ومن ثم لم يقدم النقاد على قراءة شعره وبيان جماله ، ولو قرءوا لعرفوا مدى



للأستاذ السيد حسن قرون *

تجديده وتسديده نحو الأداء الرائع ويعد شاعرنا من شعراء مصر الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية ، وتواريخ مؤلفاته خير شاهد على ما نقول ، فله من النثر :

من روائع اسكاروايلد اغسطس ١٩٤٩ .
وقصص من الشرق والغرب سبتمبر ١٩٥٤
اما شعره فله منه ديوانان :
شقائق النعمان يناير ١٩٥١ .
واغانى الهوى ابريل ١٩٥٦ .

وقبل أن أخوض معك فى عرض شعره عليك أقدم لك ترجمة موجزة عنه لتوجد علاقة مودة بينك وبينه :

فقد كان سمح الطبع طلق الوجه ، باسم الثغر ، يعطيك الأمل بمجرد الجلوس معه ، ومجلسه مجلس الأدباء والعلماء ، والعاكفين على صناعة القول قراءة وتأليفا .

ولد عبده اسماعيل الطهطاوى بمدينة جرجا فى ١٤ سبتمبر ١٩٢١ حين كانت مصر فى مسيرة ثورة ١٩١٩ تتطلع الى مكانتها المرتقبة بين الدول الحرة فى أسرة يغلب عليها الطابع العلمى ، فكان والده يحب رجال التعليم ويعمل على راحتهم ، وخاله من أشهر أطباء مصر هو الدكتور النبوى المهندس ، ووزير الصحة فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر .

ومن تلك الأسرة أخو الشاعر الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى وله كتبه الرائدة فى مجال الأديان والعقائد .

وجرجا بلد العلم والشعر والأدب ، وقديما كانت عاصمة الاقليم الذى يطلق عليه الآن « محافظة سوهاج » فنشأ الشاعر بين تلك الأسرة وفى هذا البلد ، واتجهت ميوله من صغره نحو الأدب فأحبه وعاش له حتى كانت الجامعة فاختار كلية الآداب وقسم اللغة العربية فيها ، وتخرج سنة ١٩٤٦ فعمل بالتدريس فى وزارة المعارف العمومية « التربية والتعليم » الآن ، ولم يكتف بالليسانس ، فاستأنف الدراسة حتى حصل على الماجستير ١٩٥٢ ثم الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣ وكان موضوعها :

« اللغة العربية فى مصر منذ الفتح العربى حتى أواخر القرن السادس الهجرى » .

ولو طال به الأجل لكان أستاذا بكلية الآداب ولكن وافته المنية ١٩٧٠ فحرمت الجامعة والمدارس علمه وأدبه .

وأنا فى هذا المقال سأعيش معه فى شعره ، متنقلا بين الديوانين ، معطيا لنفسى الحرية فى العرض ، لأننى أجد بونا شاسعا بين لغة الشعر فى كل ديوان ، « فشقائق النعمان » يختلف عن « أغانى الهوى » كل الاختلاف . فالأول يضارع شعر النابغة وزهير ، والأخير

٩

يعيش في ثياب قشيبة من نسيج العصر الحديث برقته وشفافيته ، وكأن الشعر نظمه شاعران لا شاعر واحد ، ولكنك بقليل من التأمل تدرك أنه لشاعر واحد فالروح العامة تميز العمل الأدبي ، وقد جاء الديوان الأول شاملا لجميع أغراض الشعر من حماسة ووصف ورثاء وهجاء وشكوى وغزل الى آخر الأغراض العشرة التي نص عليها أبو تمام في ديوان الحماسة . وتراه فيه مصورا للحياة المصرية والعربية التي كانت بعد الحرب العالمية الثانية ، ففيه الثورة الجامحة التي تطالب بالجلاء ، وفيه الحماسة الفائقة لتصوير حرب فلسطين ١٩٤٨ واعجابه ببطولة المحارب المصري ، ولا ينسى الوقوف على أطلال الماضي فهو يتحدث عن الآثار المصرية والمجد الباذخ للفراعين في لغة فخمة

تناسب مفاخر الماضي ووثبة الحاضر ، وما تركه شعراء العصر الحديث من ألفاظ عربية أحياها في ذلك الديوان ، اليك نموذجا من رثائه جاء في مقدمته :

« رثى الشاعر بهذه القصيدة محبوبته الجميلة (س . ف) التي أحبها وأحبته ، ولكن الموت لم يمهل هذا الحب ليستقيم عوده ، فذهبت ذات صباح بين دمعه وأنينه » وكان المطلع :

ناهيك من وجد على قاس
حطم الفؤاد فماله من آس
أشكو للفراق وغادتي قد غيبت
تحت التراب برامة الادراس

وهذا مطلع في الرثاء عجيب ، ففي البيت الأول بكلمة « ناهيك » جعل وجده العتي ينهاه عن أي وجد آخر ، ولذا قال :

« حطم الفؤاد فما له من اس » أي معز ومصبر . ونتساءل معي لم ذكر رامة وهي اسم موضع بالبادية مضافة الى الأدراس وهي الشيء الذي عفا وأخلق ؟ لأنه يعيش في الأدب العربي وأمكنته هي أمكنة كل من نطق بالضاد ، وكان يمكنه أن يقول : « تحت التراب بحافة المقياس » أو تحت التراب برملة الدواس » الى ما يعبر عنه بأنه درس وانتهى أمره ، ولكن « رامة » لها مكانة في قلوب الشعراء والأدباء ، ولابد أن تجيء في رثاء تلك المحبوبة، الدكتور طه حسين بيته اسمه « رامتان » ولكن تلك الحبيبة بهذا التعبير لا تعرف لها قبرا ، فهي تحت التراب بأرض درست تسفيها الرياح ويمشي عليها الناس ، ولفجيعة في نفسه والمعنى والهلع على عقله اختار ذلك التعبير ، ولو غيره لخيل قبرها في جنة مصونة عن الدروس ومرور البشر ، ولكنها رامة الدارسة المقدسة هنا في بطن الشاعر .

وأنا لا اريد للقارىء أن يبكي معه محبوبة مضى على وفاتها عهد وعهد ، ولكني أضع صورة من شعره في حاجة الى وضعها في ميزان الشعر انظر الى ختام ذلك الرثاء تجده يقول :

كانت هنائي في سعادتي التي
خلصت من الأوزار والأرجاس

لم أنس ما أولت فؤادى من هوى
ليد الحبيبة لن أكون بناس
قد عطرت قلبى وكنت بحبها
قمرى وادى الحب والأخياس
أنا ان بكيت فانما أبكى أعز
الناس ، بل أبكى جميع الناس

انه شعر يقرأ ويدرس ويقوم ، ففيه نفحة البادية ورصانة الفحولة ، والقدرة الواضحة ، سعادته خلصت من كل ما يشين لاوزر فيها ولا رجس ، ولحبيبته جميل على عداه لا ينسى ، لقد عطرت قلبه وصار قمريا يشدو فى وادى الحب والقوة لأن الأخياس مفردها خيس والخيس بكسر الخاء موضع الأسد ، فهو قمرى فى وادى الحب ومواضع الأسود ، حب طاهر لا يحتاج الى خوف ولا تستر . ولذا فكان بكاؤه :

أنا ان بكيت فانما أبكى أعز
الناس بل أبكى جميع الناس

وهذا الختام العجيب الذى جعلها كل الناس يتلاءم مع الوجد فى البيت الأول الذى لا يكون لغيرها فهو ينفى أن يوجد حزن لغيرها فالوجد لها لأنها كل الناس . والقصيدة كلها فى وصفها الحبيبة جسميا ونفسيا تعطيك التجربة ووحدة الشعر الفنية معا ، ولك أن تراجعها فى مظانها لتجد صدق ما نقول .

وأنا وان كنت من أعداء المديح الا أننى أقدم لك نموذجا من مدائحه ، ولكنه مديح يتصل بحياته ، يتعلق بكلية الآداب ، انه يمدح عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين حين اختير وزير المعارف .. من ذلك المديح قوله يخاطبه :

يا وزير العلوم ما قلت شعرا
فيك الا لكى أعز بيانى
ان أيامك الحسان سقتنا
نخب العلم فى طهور المبانى
معهد النور والفنون جميعا
وعلوم الأزمان والأوطان
كعبة العلم فى أعز ديار
وملاذ الأبكار والفتيان
قد شققنا بها الطريق كماة
وكشفنا محجب الأكوان

ويشرح « معهد النور » بأنه « هو كلية الآداب وقد تخرج فيها الشاعر ونال اجازة الليسانس من قسم اللغة العربية . فهذا المديح انتماء الى كلية الآداب التى كان عميدها الممدوح سنوات ، وكانت محط الأنظار وفيها كانت ملائكة من الخريجات والخريجين ، والشاعر يعتز بها ، فهى معهد النور ، وهى كعبة العلم ، وملاذ الأبكار والفتيان ، كل ذلك يتدفق من قلب يملؤه حب الديار ومن كان فيها فى ألفاظ قدسية تشع بالايمان والمعرفة والعرفان .

ويعتز الشاعر بشعره ويخاطب ممدوحه أيضا بقوله :

أنا فى ميعة الصبا غير أنى
بمديح الوزير شيخ المعانى
أنت علمتنا السمو فطرنا
بجناح من عبقرى المثانى

وهذا شعر فى غاية السمو فيه اعتزاز بالنفس واعتراف بصاحب الجميل ، وأنا

يعجبنى من التلميذ أن يكون وفيا لأستاذه ذاكرا فضله ، منوها بمكانته ، ويدل هذا الشعر على شباب الشاعر الذى يهوى السمو وينتهج المعانى الكريمة التى تأتى حسب التجربة والاختبار فهو شيخ المعانى ويطير بجناح من عبقرى المثانى .

قلت ان ديوان « شقائق النعمان » يصور حال المجتمع المصرى وصلته بالمجتمع العربى والدولى فهو يسجل الأحداث ما بين ١٩٤٥ حيث انتهت الحرب العالمية الثانية و ١٩٥١ ،

من ذلك قصيدة « شهيد الفضل » وهى فى رثاء البطل الفلسطينى « عبد القادر الحسينى » الذى لقى نحبه بين النيران فى فلسطين فى الثامن من أبريل ١٩٤٨ بعد أن أبلى بلاء حسنا فى مقاتلة اليهود ـ بدأها بقوله :

أحقا قد مضى البطل الفريد ؟
وأن بروحه أمسى يجود ؟
أشبل الأسد بالأجمات أضحى
حبيسا بالفناء ولا يعود ؟
وقد بلغ تراث بكر
وغسان ولم يدن التجيد !

ويمضى على هذا النهج فى بكائه ورثائه على بطله الذى يكر على الأعداء ويهدم حصونهم ، فيعز على العروبة أن يوارى وأن يفقد والمنايا جنوده ، انه جدير بالثناء والبكاء لبطولته وصولته ووطنيته .

أبعد الليث تختزن البرايا
دموعا للبكاء لها وجود ؟

رثاء صادق لبطل عرفته العروبة خير صريعا فى أشد الأوقات حاجة اليه ، فهاج ذلك من الشاعر مشاعر نقية ففاضت بدموع سخية ترانيمها وزنا وقافية .

والشعر كما ترى يحمل الفحولة والقوة فى ديباجة عربية ناصعة ، هكذا كان شعره فى « شقائق النعمان » حتى اذا دلفنا الى دهاليز ديوانه « أغانى الهوى » وجدنا المعايير تختلف ، والأداء يتميز برقة وصبابة وشجن . ووجدناه يكتب اهداء ومقدمة لا بالشعر وانما بالنثر .. والاهداء هو :

« الى فاتنتى الحبيبة الجميلة : كوثر قلبى ، ونعيم روحى ونفسى ، التى من أجلها غنيت وأغنى أهدى أغانى حبى » .

أما المقدمة فعنوانها « رأى ومذهب » سجل فيها آراءه فى الشعر ومذهبه فى قرضه، بين فيها حاجة الانسان الى الشعر وأثر الشعر فى تغذية حاسة الجمال وتهذيب الذوق ، أما صناعة الشعر « فيجب أن تتآخى الموسيقى الداخلية فى القصيدة مع ما تحدثه القافية الفنية العريقة ، ويجب أن تكون العناية بالألفاظ بنفس القدر الذى تلاقيه العناية بالمعانى » .

ورأى أن الشاعر العبقرى الذى منحته السماء هبة الشاعرية هو ذلك الفنان المدقق المعنى بالألفاظ ، لأنه يعتبرها أداة تصوير ، وباللغة لأنه يعتبرها مظهرا للحس ، وبالموسيقى لأنه يعتبرها جوا للفكرة والمعنى ، والقصيدة التى تزخر بالأسلوب تزخر حتما

بالمعاني ، وبدون ذلك لا يكون هناك فن جميل يعبر عن الجمال » وما ذهب اليه الشاعر منهج يقره عليه نقاد العرب الأمويون ولا يرفضه المحدثون ، لأنه طبيعي ومنطقي وكشاف للأثر الأدبي والدكتور عبده لم يدخل حلبة النقاد الا بتلك المقدمة ، ولكنها كافية في بيان نظرته للشعر ومهمة الشاعر •

وكان ينبغي في نظري أن يكون « أغاني الهوى » سابقا في الزمن «لشقائق النعمان»، لأنه ديوان خاص بالحب والهيام والصبابة والغرام ، وهو أقرب الى « ميعة الشباب » وأحلام المراهقة ، وقد تكون الوطنية هي التي صنعت ما صنعت وقدمت وأخرت ، ولا أستطيع أن أجزم بأن الديوانين نظما معا في زمن واحد أو متزامنين •

وحين ينظم ديوانا كاملا في غرض واحد لا يكون بدعا من الشعراء ، فقد سبقه شعراء في العصر الحاضر وشعراء في العصر الأموي ، منهم مجنون ليلى ، وجميل بثينة وابن الدمينة ، ولولا ديوانه الأول لجعلناه في زمرتهم ، ولكنه امتاز بشعر آخر في ديوان آخر ، فصار من الشعراء المكثرين في الغزل مثل كثير عزة وأبي دهبل الجمحي ، وهؤلاء جميعا شعرهم من الغزل العفيف الذي لا يخدش حياء ولا يعبث بالحرمات •

وأراني — حسب مقتضيات المقال أو البحث — أكشف الغطاء عن مضمون « أغاني الهوى » بنظرة سريعة في عنوانات الديوان تجد الشاعر قد ملكه الحب من جميع أقطاره ، وأن خواطره تموج في بحار من اللهفة وطهارة الحرمان ، وتراه غارقا في دوامة المعاناة ، سواء كان الشعر من انشائه الخالص أو من الترجمة ، والمترجم في جل ما نقل من الشعر الصيني القديم ، وحين نقرأ الموضوع والمترجم لا تحس بالفارق الكبير أو الصغير ، ويخيل الي أن عواطفه تذوب في عواطف الشاعر الصيني فلا تميز بينهما الا بمنظار دقيق يكشف بين خالجة وخالجة ، وخفقة وخفقة •ويدعوني هذا الى أن أقدم حين التمثيل المترجم على غير المترجم ، أو بتعبير مجازي أقدم الظل على الأصل ، وذلك مستساغ اذا اتفقت معي على أن الشاعر هنا يعالج « أغاني الهوى » وانك تريد براعته في الأداء وقدرته على نقل عواطف غيره ولو كانت من غير لغته ، وتتنوع الأسماء التي يجعل بها شعره ، وأغلب الظن أنهما واحدة بعينها ، ولم أره في كل قصائده الا باكيا شاكيا •• انظر الى عنوانات شعره انها على التوالي : ابتسام ، الحبيب المبتعد ، اني أحبك ، على المحب السلام ، حب في بولاق ، خمرتي ، دعوة قلب ، خمرية لشاعر صيني ، درس في الحب ، لوعة الفراق ، حسناء قلبي • آه جفا من الشعر الصيني القديم ، قطوف • يا من شغلت فؤادي ، وحيدا شربت مع القمر لشاعر صيني في ضمير الليل ، جدد العهد لنا ، حرام يامنى نفسي ، الحب المر ، للشاعر الصيني « لي يو » قلبي معك لست أنسى • ياغزالا • شعر حبي ، أعنته مادنا القه : (اوعى تبخل) شعر عامي • سورة الحب • في سكون

الليل . شعر صينى . ما كنت واقعا . ثوب حسناء . جدت بالروح . هجرتنى . مشهد السابحات فى الكابتون – بعيد عن القلب . لقاء . وأخيرا قصة « تاجر الرقيق » .

وجميع هذه القصائد تعبر عن خلجات قلبه ، وهواجس نفسه ، ومعاناته الشعورية . وما قرأت ديوان أغانى الهوى الا تذكرت أبيات الشاعر العربى القديم وهى :

وما فى الأرض اشقى من محب
وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا فى كل حين
مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكى ان ناوا شوقا اليهم
ويبكى أن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائى
وتسخن عينه عند التلاقى

وديوان « أغانى الهوى » لا تخرج معطياته عن هذا القبيل ، وان بدت حارة ملتهبة تمور وتفور فى فؤاد مفطور على الحب والوفاء ، اقرأ معى للشاعر الصينى « الحب المر » واسم الشاعر « لى يو » .

فتحت من الشوق المرير(١) صباحا
حسناء نافذة بدت مصباحا
مالت لتنظر فى هدوء شامل
تغرى العيون وتفتن الارواحا
وغدت تحرك فى الفضاء سواعدا
لدنا تثير الانس والأشباحا
واذا نظرت ترى الدموع تحدرت
فوق الخدود تصور الاتراحا (٢)
اما الحبيب فلا تراه بقربها
ولى وخلف للفتاة نواحا

فالشاعر هنا يصور حال فتاة جميلة، عندها شوق لرؤية حبيبها ، فتحت نافذة لتراه ومالت فى هدوء شامل فى فتنة طاغية حرك ذراعا غضة لها أثرها فى الرائين ، ومع ذلك تبكى بدموع غزار على حبيب لم يعطف ، لأنه « ولى وخلف للفتاةنواحا » وشاعرنا له موقف مشابه لهذه الفتاة التى تركها حبيبها للوحدة والبكاء والنواح فقال فى قصيدة « حرام يامنى نفسى » لقد تركته يعانى ما يعانى ، ويتحدث عن الميعاد الذى أخلفته ، ولكنه صور ما جرى فى ست مقطوعات تقطر أسى وألما ، ولا أبالغ ان قلت : انها تقطر دما وندما . ففى المقطوعة الأولى خاطب قلبه هكذا :

دعاك الوجد يا قلبى
لكى تشكو من حبى
فحبى من جوى نفسى
شوى قلبى بلا ذنب
وقد ضيعنى صبرى
ولم يحفظ من الكرب
قتلت الصبر يا وجدى
وزدت النار فى قلبى

---

(١) المرير : الشديد . الاتراح : الاحزان

واذا بلغ الحب هذا المبلغ فمن حق القلب أن يشكو ، لأن الجوى شواه بلا ذنب ، والصبر قتله الوجد ، فازدادت النار اشتعالا بالقلب . وفى المقطوعة الثانية خاطب الحبيبة بأرق الكلمات قائلا : حرام يامنى نفسى ما أعانيه منك وليس لى ذنب الا حبك ، وانى لا أرى نوما بعينى الدائمة البكاء و :

فؤادى بالضنا أضحى
على مهد من اللهب

وفى المقطوعة الثالثة شكا بعدها عنه وهى أمله الشهى ، وأحلامه العذبة ، وملاذها من العتب العنيف فما العمل ؟

سأقضى العمر لا احظى
بغير الهم فى حبى

وفى المقطوعة الرابعة تجلت مخافته من اللوم ، ومن أصحابه الذين لا يعرفون منزلة الحب ، ومع ذلك فولائى لهم وعطفى عليهم :

يلوم الفارغ القلب
الذى يحيا بلا لب
ولا يعرف طعم الحب
غير العاشق الصب

وفى المقطوعة الخامسة يستعطفه بكل ما بينهما من لقاء ونزهات بالشاطىء اللجب ، وبالمواعيد التى تطيب بها الحياة ولكنها لم تستجب ولم تلب نداء الحب ، وتركته يقول فى المقطوعة الأخيرة :

حرام أن أرى نفسى
تقلب فى الجوى جنبى

وقد ذابت من الآلا
م ؛ رحما تلبك الصلب
تعال تجدد الأيا
م بالخلوات والشرب

فكأس الحب قد ملئت
لكى تشرب ياحبى

الا ترى شاعر « أغانى الهوى » كان ينبغى له أن يسمى ذلك الديوان « أغانى الجوى » لاحتراق فؤاده ، وعذاب نفسه ، وصراخه فى طلب تجديد الأيام ليشرب مع الحبيب كأس الحب .. ولكن أنى ذلك ؟ .

ويتكرر مثل هذا فى معظم شعر الديوان ، فيقول لها :

فالام أترك فى الجوى يافتنتى ؟
عذبتنى وأطلت فى الجفوات
هلا رفقت بمن ملكت فؤاده ؟
فمطلت بالميعاد والزورات

وهكذا يصور فى شاعرية معطاءة مشاعره ووقع الهوى على وجدانه جامعا لك اللفظ والمعنى فى رشاقة وبلاغة وابداع ، لتقف بجانبه فى هواه ، وتتلقى ما عرضه شائقا وأداه » وما أداه جدير بالاستحسان والاطراء . الا أنى آخذ عليه تهالكه فى رضا الحبيب ورقته فى نجواه ، وبكاءه الذى لا نراه الا فى الضعفاء الذين لا يتحملون ما تأتى به

الحياة ، ولكنه فى الغزل مغفور عند النقاد القدماء الا بعض من يحبون القوة ولو فى الحب والحديث عنه .

ومن كلامهم : « الحب يعمى ويصم » كما أن من كلامهم « من فتش عن عيب وجده ، وأنا أقع بين هذين موقعا وسطا ولأنى أحب للشاعر أن يقرأ ويجد صدى لما غناه أعرض هذه القصيدة « هجرتنى .. ثم عادت » نغنيها لمن منا . ولذلك جاءت رائعة ترضى الأدب والذوق معا . وقد اختار لها وزنا مناسبا هو نظام المقطوعة فاقرأها معى :

هجرتنى فاذا القلب لهيب وضرام
وجفتنى فاذا النور مع الصبح ظلام
لست أدرى لم غابت
عن عيونى وفؤادى
هل تراها قد تفاضت
عن أزاهير الوداد
حين ضاعت بلماها
وعبير من هواها
ثم عادت لقد عاد الى النفس الهناء
وتهادت شمس قلب كاد يطويه الفناء

سكر القلب وغنى
باناشيد الغرام
بعد ما قبل لحنا
من جمال ومدام
قبس البدر سناه
وحوى الروض شذاه
وشكونا ماجنى البعد على مر الليالى
واعتنقنا فاذا الماضى خيال فى خيال
قد نسينا بعد عتب
حرق القلب المشوق
وقطفنا ورد حب
سوف يروى بالرحيق
حينما يغفو الحبيب
بين أحضان الحبيب

وسانرك للقراء تقديرهم لهذا الغناء ، فالشعر موصول يعبر عن تجربة تمثل الشعر الحديث فى أجمل أثوابه وانضر اهابه ، وليعلم الادباء والنقاد قصرنا فى التنويه بشاعر خليق ان يكون له مكان بين الشعراء . ولنا حديث معه فى قصة « تاجر الرقيق » .

السيد حسن قرون



الشاعر

الحضرمي علي أحمد باكثير

في ذكراه الخامسة عشرة

بقلم : أحمد مصطفى حافظ

في العاشر من نوفمبر الماضي ، أظلتنا الذكرى الخامسة عشرة لرحيل الأديب العربي الفذ ، والداعية الاسلامي الكبير : على احمد باكثير ، دون أن يلتفت اليها احد !؟ .. على الرغم من أنه كرس موهبته الفنية المتوهجة ، منذ نعومة أظفاره ، الى أن انتقل الى الرفيق الأعلى في العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٩ ، للاشادة بمبادىء الدين الاسلامي الحنيف وتعاليمه في عالم التأليف القصصي والمسرحي ، نثرا ونظما .

وكما يوضح اتجاهه بقوله : « ولعلنا أبناء يعرب وأحفاد الفراعنة والبابليين والآشوريين والفنيقيين والقرطاجيين وعاد



وقوم تبع ، وورثة تلك الحضارات كلها ، التي توجتها العناية الالهية بالحضارة المحمدية لتشهد منا خير أمة أخرجت للناس ، ولنكون شهداء على الأمم ــ نتعظ فيما نتعظ به من أحداث تاريخنا ، وسير رجاله وأبطاله . فهو بطرقه أبواب القصص التاريخي ، انما كان

(١) انظر مقدمة مسرحيته الشعرية :(اخناتون ونفرتيتي) .

يحاول جاهدا أن يجلو لنا صفحات ناصعة مشرقة ، من تاريخ أجدادنا الأمجاد ، لنسير على الدرب ، ونسترد ثقتنا بأنفسنا ، فلا نغرق في الافتتان بالحضارة الغربية ، ونسرف في الاغتراف من منبعها ، متجاهلين منابعنا الصافية النقية .. حتى قال شاعرنا متحسرا:

ضيعتم الاعلام في أوطانكم
في ذكر ما للغرب من اعلام

وصدق حسان بن ثابت رضي الله عنه حين قال :

اكرم بقوم رسول الله شيعتهم
اذا تفرقت الأهواء والشيع
ان كان في الناس سباقون بعدهم
فكل سبق ، لأدنى سبقهم ، تبع

وقد سألت أحد الفضلاء (١) ـ وهو من أصل يمني ـ عن معنى كلمة (باكثير) ، فأخبرني أن الباء الممدودة بالألف في أول اسمه بمعنى (ابن) ، ومن ثم فان اسمه بهذا المعنى علي أحمد بن كثير . ولد في عام ١٩١٠ باحدى مدن أندونيسيا وتدعى (سورابايا) في شرق جاوة ، لأب عربي حضرمي ، هاجر الى أندونيسيا ، ليعمل تاجرا متنقلا للأقمشة ما بين بلده الأصلي حضرموت ومقر عمله بأندونيسيا وأمضى باكثير أعوامه التسعة الأولى مع والده بمقر عمله ، الى أن عاد به والده الى موطنه الأصلي بحضرموت لطلب العلم ، ليعيش وطنه : لغة وعادات وتقاليد .

وانتظم باكثير في سلك طلبة مدرسة يغلب عليها الطابع الأزهري في أسلوب التدريس ، وذلك بالاحتفاء ـ أعظم الاحتفاء ـ بالعلوم الدينية والثقافة العربية الخالصة .

وبعد أن مكث بهذه المدرسة أربع سنوات ، انضم الى طلاب (مجلس العم) .. وهو مجلس مكون من حلقة من التلاميذ يلتقي بهم عمه ـ وهو من شيوخ الحلقات في المساجد والزوايا ـ ويلقي عليهم دروسه في الدين والأدب وعلوم الشريعة ، ووجد (علي) في مكتبة عمه ، فضلا عن ذلك ، منهلا عذبا ، ينهل منه الساعات الطوال ما تيسر مما تحويه أمهات الكتب الأدبية ودواوين فحول الشعر.. .

واجتمعت على الشاعر بعد ذلك مصيبتان زلزلتاه ، بل ثلاث مصائب اذ انتقل والده الى رحمة الله ، ثم فجع بعد ذلك بوفاة زوجته ، بعد موت طفلته منها غرقا .. وكما يلاحظ صديقنا الدكتور عبده بدوي ، فان باكثير في قصيدته (نظام البردة) أو ذكرى محمد ﷺ يقول في هذا المصاب المثلث الطعنات :

بليت فيه بخطب لاعزاء له
الا اللقاء بدار الخلد والسلم
ويح الشباب وقد ندت اوائله
والحوض دوني .. وأني لا أزال ظمي!

---

(١) السيد / المهندس عبد الله أحمد بازرعة . وكيل أول الوزارة ورئيس جهاز التدريب سابقا .

(خمس وعشرون) لم أدرك بها غرضا
مـرت على مـرور الطيف في الحلم

وبعد غرق طفلته ورحيل زوجته ، عمـل بنصيحة الامام الشافعي ، حين قال :

سافر تجـد عوضـا عمن تفـارقه
وانصب .. فان لذيذ العيش في النصب

فانطلق يذرع عددا من بـلاد اليمن ، ثم غادر اليمن كلها الى الصـومال البريطاني ، وحاول التوجه الى مصر عام ١٩٣١ ، الا أن السـلطات البريطانية حـالت دون ذلـك ، فاتجه الى الحبشة ، معتمدا في أمور معيشته على من كان القائم على تجارة المرحوم والده يمده به من مال عائد التجارة ، « وهو في كل ذلك لا يحس الطمأنينة ، ولا يقترب من هدوء نفس ومن ثم أحس أن أحزانه لن تهدأ ، وأن جروحه لن تشفى الا حين يغرق نفسه اغراقا في هذا الجو الذي يزحم مكـة ، ويتـألق في المدينة ، ويزدهر في الطائف ، ويهـوم في كل الجزيرة العربية » (١) .

فقصد الحجاز ، حيث أمضى بها عامـا تردد خلاله على مكتبات مكة والمدينة والطائف وعقد صلات فكرية وثيقة مع الأدباء هنـاك « وفي الطائف أقام فترة مارس فيها هوايته الأدبية ، فكان من نتاجها أولى مسرحياتـه « همام ــ أو في بلاد الأحقاف » (٢) وأخيرا ، أتيح له أن يفد الى القاهرة ، ويسـتقر بـين ظهرانينا في مصر سنة ١٩٣٤ وقال فيها :

مـن يري مصر ولا يعشـق مصرا ؟
جنـة في الأرض للرحمـن أخـرى

وقال من قصيدة أخرى :

فـاذا الكنـانة عـز موئلهـا
عـزت بهـا مـن يحرب الدول

ورغم الحاح عمه عليه بالمكاتبات للعـودة الى أندونيسيا ، ليقوم بادارة أعمال المرحوم والده بنفسه ، الا أنه رفض الاستجابة لهذا الالحاح ، لايثاره الاقامة الدائمـة بالقـاهرة بعد أن أتم تعليمه بكلية الآداب ــ قسم اللغة الانجليزية ، وتخرج منها عـام ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم معهد التربية عـام ١٩٤٠ ، واشتغل بالتدريس بمدرسة الرشاد الثـانوية بالمنصورة سبع سنوات ، ثم نقل منها للعمل بمدرسة الدواوين الثانوية بالقاهرة ، لمـدة سبع سنوات أخرى .. وتوج اقامته في مصر بالتزوج من سيدة مصرية ، والحصول عـلى الجنسية المصرية عام ١٩٤٥ . وفي كتابـه « محاضرات في فن المسرحية » يحدثنا باكثير عن السبب في التحاقه بقسم اللغة الانجليزية بالذات ، وكان المتوقع أن يلتحق بقسم اللغة العربية ، فيقـول : « كانت ثقـافتي الاولى عربية خالصة ، وظلت كذلك حتى حضرت الى مصر ، فعـزمت عـلى أن أدرس الأدب الانجليزي لما بلغني أنه غني بالشعر الرفيع ، فقد كانت غايتي اذ ذاك أن أصقل موهبـة الشعر عندي ، وأعد نفسي لأكون شـاعرا



(١) من بحث للدكتور عبده بدوي عن باكثير بكتاب (خمسة من شعراء الوطنية) جـ٢ ص٢٥١
(٢) (من أدباء الاسلام المعاصرين) للأستاذ علي المنتصر الكتاني ص ٩١ . وقد قام العـلامة محب الدين الخطيب بطبعها له بمطبعة (الفتح) ونشرها عام ١٩٣٤ .

كبيرا ، وعسى أن تفتح لى هذه الدراسة آفاقا جديدة فى الشعر ، فالتحقت بقسم اللغــة الانجليزية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وما أن سلخت عاما حتى وجدتنى فى بلبلــة نفسية من حيث نظرتى الى الشــعر ، الذى كنت أنظمه وأنشره فى الصحف ، فقد غيرت هذه الدراسة من نظرى لمفهوم الأدب كله ، فأخذت أعيد النظر فى المقاييس الادبية التى كانت عندى مــن أثر ثقــافتى العربيــة » .

« وكانت تسـتهوينى بنــوع أخص أعمــال (شكسبير) ، كنت اذ ذاك ، ومازلت ، أعتبر الشعر ميدانى الأول ــ ومن هنا اتجهت الــى (شكسبير) باعتباره يجمع بين الفن القــديم الذى أحبه ــ وهو الشعر ــ وبين الفن الجديد الذى بدأت أكتشف فى نفسى الاستجابة اليه، وهو : فن المسرحية » .

ويحدث بعد ذلك تطور كبير فى حياة باكثير الأدبية ، بل وفى تاريخ الأدب العربى الحديث أيضا ، حينما ذكر أستاذ انجليزى من مدرسيه بالجامعة أمامه ، أنه لا وجود فى اللغة العربية لما يسمى فى اللغة الانجليزية بالشعر المرسل، ولا يمكن لها أن تتسع له .. فما كــان مــن تلميذه باكثير ، الا أن التقط القفاز ، ــ أى قبل التحدى ــ وقال لأستاذه : ــ أما انــه لا وجود له فهذا صحيح ، لأن لكل أمــة تقاليدها الفنية ، وكان من تقاليد الشــعر العربى ، التزام القافية ولكن ليس هناك مــا يحول دون ايجاده فى اللغة العربية ، فهى لغة طيعة تتسع لكل شكل مــن أشــكال الأدب والشعر » يقــول باكثير : فاعــرض عنى ، (أى الأستاذ) ، وشعرت بأن على أن أتحدى هذا الزعم ، وأدحضــه بالبرهــان العملى ، ورأيت أن خير ما أبدأ به هو أن أترجم فصولا من (شكسبير) على هذه الطريقــة . » (٢) وكان قد قام بترجمة فصول من مسرحيــة « الليلة الثانية عشرة » لشكسبير ، ونشرهــا فى مجلة الرسالة ، بالشعر الموزون المقفى ، الا أنه قام بكتابة مسرحية (اخناتون ونفرتيتى) عام ١٩٣٨ بطريقة الشعر المرسل ، بعــد محاولات فى ترجمة بعض فصول مسرحيــة (روميــو وجــولييت) شــكسبير .. وقــال المــازنى فى تقــديمه لمسرحيــة (اخنــاتون ونفرتيتى) :

« انها تحفة جديرة بكبار الأدباء والمؤرخين وبشرى أيضا بظهور كوكب جــديد فى عــالم الشعر » .. وعن تجربــة باكثير فى الشــعر المرسل ، يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « أن أوضح وأبرز وأهم محاولــة فى هــذا الصدد ، هى تلك التى بدأت بمحاولة الشاعر والكاتب المسرحى : على أحمد باكثير ــ رحمه الله ــ تطويع الشعر العربى للشــكل والأداء المسرحيين . » (٣)

وحينما أعيد طبع مسرحيــة اخنــاتون ونفرتيتى فى سنة ١٩٦٨ قال باكثير فى تقديمها أنها صارت نقطة انقلاب فى تاريخ الشعر العربى الحديث كله ، فقد قدر لها أن تكــون

(١) ص ٤

(٢) فن المسرحية من خلال تجاربى ص ٥٢٤

(٣) انظر كتابه (الشعر المعاصر فى اليمــن ــ الرؤية والفن) ص ٢٢١ .

التجربة الأم ، فيما شاع اليوم وتسميه بالشعر الحر أو الشعر التفعيلي ، وأسميته أنا قديما : الشعر المرسل المنطلق .

تجربة انطلقت في منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة ، ثم ظهر صداها أول ما ظهر في العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين : بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة، بعد انطلاقها بعشرة أعوام .. لقد نظم أسعاف النشاشيبي قصيدة على منواله ، وان الشاعر السياب ــ رحمه الله ــ كان يذكر لي هذا السبق في كلمات الاهداء ، التي كان يخطها على كتبه المهداة الي .. »

وكان أول عهد باكثير في الدخول الى دائرة الضوء ، حينما فاز ــ مناصفة مع الروائي الصاعد في ذلك الوقت ، وصديق عمره فيما بعد : نجيب محفوظ ــ بجائزة السيدة قوت القلوب الدمرداشية ، وقدرها ثمانون جنيها ، خصصتها لموضوع كتابة قصة أدبية ، تؤلف من صميم التراث العربي . وكان فوزه بنصف تلك الجائزة عن روايته (سلامة) ، كما فاز بنصف الجائزة الآخر الروائي نجيب محفوظ ، عن روايته : (رادوبيس) .

ومن عجب أن الأديبين التقيا مرة أخرى ، في الفوز معا ، بجائزة وزارة (المعارف) .. باكثير بروايته (وا اسلاماه) ــ التي درست بعد ذلك في المدارس الثانوية ــ ونجيب محفوظ بروايته (كفاح طيبة) .. ولم يكن أي من الأديبين قد عرف صاحبه بعد ، حتى ذلك الحين ، الى أن ضمتهما معا الزمالة في لجنة النشر للجامعيين ، التي أنشأها الأستاذ عبد الحميد جودة السحار عام ١٩٤٣ : وضمت غيرهما من الكتاب ، أمثال الأساتذة : محمد عبد الحليم عبد الله ، وحسن كامل الصيرفي ، وعادل كامل وأمين يوسف غراب ، وغيرهم .

كما توثقت الصلة بينهما بعد ذلك في الاجتماع الأسبوعي الذي كان يعقد في (كازينو الأوبرا) بميدان العتبة بالقاهرة ، صباح الجمعة من كل أسبوع ، لمدة تناهز عشرين عاما ، « وكان باكثير أيامها أوفرهم انتاجا ، وله في المسرح عدة أعمال ناجحة (١) » .

ونقل (٢) باكثير للعمل بمصلحة الفنون بوزارة الثقافة والارشاد القومي عام ١٩٥٥ تحت رئاسة الأديب الكبير يحيى حقي ، حيث عمل ــ أيضا ــ مع نجيب محفوظ في مصلحة حكومية واحدة ، مع اختلاف في طبيعة العمل ، فباكثير كان يشرف على شئون المسرح ، وكان نجيب محفوظ يشرف على شئون (السينما).

ثم عمل باكثير في قسم الرقابة على المصنفات الفنية فترة ما ، الا انه كان يهفو الى

(١) عمود (جولة الفكر) لنعمان عاشور بعدد أخبار اليوم الصادر في ٢٧/١٢/١٩٦٩ .
(٢) اعتمدنا في استقاء هذه المعلومات على رسالة ماجستير ــ لم تطبع بعد ــ للاستاذة الباحثة : مديحة سلامة .

التفرغ من أعباء الوظيفة ، لابداع ملحمته الاسلامية الكبرى عن سيدنا عمر بن الخطاب ، الذي كان يعتبره مثله الأعلى ، ويستحوذ على اعجابه كله .. وساعده العقاد في تذليل العقبات التي اعترضت سبيله ، حتى صدر له قرار التفرغ في ١٩٦٠/٣/٢٣ ، وانفسح المجال أمام باكثير الى درجة كبيرة بعد ذلك حينما أتيح له تمثيل مصر دوليا في العديد من المؤتمرات الدولية الثقافية ، بدول العالم المختلفة ، كفرنسا وانجلترا وتركيا والعراق ، وقد وافته المنية وهو يشغل منصب مدير المكتب الفني للرقابة على المصنفات الفنية .

وقد أثرى باكثير الحركة الأدبية طوال الفترة التي ظل يعمل فيها ، بالوافر من القصص والمسرحيات ، التي تصور أمجاد الأمة العربية والاسلامية ، وتجسد صور البطولة في أعمال كثيرة ، كان منها في مجال الرواية خمس قصص طويلة ، هي (سلامة القس) و (واسلاماه) و (سيرة شجاع) و (ليلة النهر) و (الثائر الأحمر) .

وأنشأ في مجال المسرحية احدى وثلاثين مسرحية مطبوعة ، وثلاث عشرة ما بين قصة ومسرحية لم تطبع بعد .

هذا بالاضافة الى ملحمته الاسلامية الكبرى التي وضعها في تسعة عشر مجلدا عن سيرة سيدنا عمر بن الخطاب الشذية العطرة ، وقد طبع منها ستة فقط ، هي التي تحمل أسماء : (على أسوار دمشق) و (معركة الجسر) و (كسرى وقيصر) ، و (أبطال اليرموك) و (تراب من أرض فارس) و (رستم) . وبقيت قيد الطبع ثلاثة عشر مجلدا تبتدىء (بأبطال القادسية) وتنتهي : (بغروب الشمس) ..

ونحن نضم صوتنا لصوت استاذنا علي الجنبلاطي ، رحمه الله ، حينما يقول عن هذه المجلدات التي لم تطبع بعد : « ولعله من الوفاء للعروبة والاسلام ، وللأديب الكبير ، ان نراها بين أيدينا مع غيرها من هذا التراث ، الذي نعتقد انه أمانة في اعناقنا حيال الاجيال الصاعدة ، ما بقيت عروبة واسلام » (١) .

وما احرانا أن نعي قول شاعرنا في عام ١٩٦٧ :

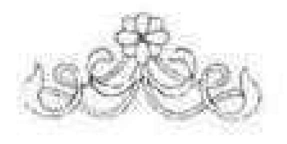
غدا بني قومي
وما ادنى غدا
اما تكون أبدا
اولا تكون أبدا

أحمد مصطفى حافظ

(١) « من ادباء الاسلام المعاصرين » ص ٩٥ .

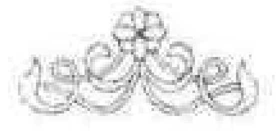
التصوف.. فى ضوء تحقيق العلماء

وحدة الوجـــود



التصوف فى مصر قبل القرن السابع الهجرى

الرمز فى الأدب الصـوفى



فتوى صاحب الفضيلة المفتى الأسبق



وحدة الوجود

١ ــ نريد أن نبدأ مباشرة بملاحظة تزيل ــ بصورة غير متوقعة ــ حدة المناقشة فى هذا الموضوع ، وذلك أننا بصدد « وحدة الوجود» ولسنا بصدد وحدة الموجود .

والموجود متعدد : سماء ، وأرض ، جبال ، وبحار ، أشجار وأناس الخ ، وهو مختلف صلابة وهشاشة ، لونا ورائحة وطعما ، متفاوت ثقلا وخفة الخ .

ولم يقل أحد من الصوفيين الحقيقين ــ ومنهم ابن عربى والحلاج ــ بوحدة الموجود .

وما كان لمؤمن ، ولا يتأتى لمؤمن ، أن يقول بوحدة الموجود وما كان للصوفية ــ وهم الذروة من المؤمنين ــ أن يقولوا ــ وحاشاهم ــ بوحدة الموجود .

وقد نتساءل : من أين اذن أتت الفكرة الخاطئة التى يعتقدها كثير من الناس : من أن الصوفية يقولون بوحدة الموجود ؟ !

وتفسير ذلك لا عسر فيه :ان فريقا من الفلاسفة فى الأزمنة القديمة وفى الأزمنة الحديثة يقولون بوحدة الموجود : بمعنى أن الله ــ سبحانه وتعالى عن افكهم ــ هو والمخلوقات شىء واحد .

قال بذلك هيراقليطس فى العهد اليونانى : والله عنده نهار وليل ، صيف وشتاء ، وفرة وقلة ، جامد وسائل ، انه ــ على حد تعبيره ــ كالنار الممطرة ، تسمى باسم العطر الذى يفوح منها ، تقدس سبحانه وتنزه عما يقول .

والله سبحانه وتعالى ، فى رأى « شلى » فى العصور الحديثة ، هو هذه البسمة الجميلة على شفتى طفل جميل باسم ، وهو هذه النسائم العليلة التى تنعشنا ساعة الأصيل ، وهو هذه الاشراقة المتألقة بالنجم الهادى فى ظلمات الليل ، وهو هذه الورود اليانعة تتفتح وكأنها ابتسامات شفاه جميلة : انه الجمال أينما وجد ، ولكنه أيضا ــ سبحانه وتعالى ــ القبح أينما كان : وكما يكون طفلا فيه نضرة ، وفيه وسامة فيكون جثة ميت ، ويكون دودة تتغذى من جسد ميت ، ويكون قبرا يضم بين جدرانه هذه الجثة وهذا الدود ، أستغفرك ربى وأتوب اليك .

ولوحدة الوجود ــ بمعنى وحدة الموجود ــ أنصار فى كل زمان .

ولما قال الصوفية « بالوجود الواحد » شرح خصومهم الوجود الواحد بالفكرة



الفلسفية عن وحدة الوجود بمعنى وحدة الموجود وفرق كبير بينهما ، ولكن الخصومة كثيرا ما ترضى عن التزييف وعن الكذب فى سبيل الوصول الى هدم الخصم ، والغاية تبرر الوسيلة كما يقولون .

وشىء آخر فى غاية الأهمية كان له أثر كبير فى الخطأ فى فهم فكرة الصوفية عن «الوجود الواحد» ، وهو أن الامام الاشعرى رضى الله عنه ، رأى فى فلسفته الكلامية ، أن الوجود هو عين الموجود ، ولم يوافقه الصوفية على هذه الفكرة الفلسفية ، ولم يوافقه الكثير من مفكرى الاسلام وفلاسفته على رأيه . وهو رأى فلسفى يخطىء فيه أبو الحسن الأشعرى أو يصيب ، وما مثله فى آرائه الفلسفية الا مثل غيره فى هذا الميدان يخطىء تارة ويصيب أخرى .

ورأى مخالفوه : أن الوجود غير الموجود ، وأنه ما به يكون وجود الموجود ، ولما قال الصوفية بالوجود الواحد ، شرح خصومهم فكرتهم فى ضوء رأى الأشعرى ، دون أن يراعوا مذهبهم ولا رأيهم : ففسروا قولهم : بالوجود الواحد على أنه قول بالموجود الواحد .

وهذا التفسير بهذه الطريقة يسحب الثقة فى آراء هؤلاء الخصوم .

وأمر ثالث ، يجب الا نعيره أدنى التفات ، لأنه أتفه — فى منطق البحث — من أن نعيره التفاتا ، وهو هذه الكلمات التى تناثرت هنا وهناك ، مخترعة ملفقة ، مزيفة ، ضالة ، فى معناها ، تافهة فى قيمتها الفلسفية ، غريبة على الجو الاسلامى ، تنادى بصورتها ومعناها : أنها اخترعت تضليلا وافتياتا .

انها هذه الكلمات التى يعزونها الى الحلاج، رضوان الله عليه ، أو الى غيره : لا توجد فى كتاب من كتبه ، ولم يخطها قلمه ... لقد اخترعوها اختراعا ، ثم وضعوها أساسا تدور عليه أحكامهم بالكفر والضلال .

ويكفى أن يتشبث بها انسان فيكون فى منطق البحث غير أهل للثقة .

٢ — الوجود الواحد :

وهل فى الوجود الواحد من شك ؟ انه وجود الله المستغنى بذاته عن غيره ، وهو الوجود الحق الذى أعطى ومنح الوجود لكل كائن وليس لكائن غيره ، سبحانه الوجود من نفسه انه سبحانه الخالق وهو البارىء وهو المصور: هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء .

ومن بعض معانى هذا التصوير قوله تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ

٩

أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

وصلة الله بالانسان اذن : هي أنه سبحانه يمنحه الوجود الذي يريده له في كل لحظة من اللحظات المتتابعة ، فتتشكل حياته في كل لحظة بصورة أمده الله سبحانه وتعالى بها .

وصلة الله بكل كائن : انما هي على هذا النمط : انه سبحانه مثلا : « يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » انه يمسكهما وجودا ، ويمسكهما تدبيرا ، ويمسكهما تماسكا وتناسقا ... انه يمسك فيهما الكيف والكم ، واذا ما سحب امداده عنهما تلاشتا كما وكيفا .

ان الله سبحانه وتعالى : محيط بالكون ، مهيمن عليه ، قيوم السموات والأرض ، قائم على كل نفس بما كسبت ، وقائم على كل ذرة من كل خلية ، وقائم على كل ما هو أصغر من ذلك وما هو أكبر بحيث لا يعزب عن هيمنته وعن قيوميته مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

هذه القيومية : أخذ القرآن والسنة يتحدثان عنها في استفاضة مستفيضة لتهز الانسان هزة عنيفة تجعله لا يخلد الى الارض ولا يتبع هواه ، وانما يرتفع ببصره ويستشرف بكيانه الى الملأ الأعلى مستخلصا نفسه من عبودية المادة : ليوحد الله سبحانه وتعالى في عبودية خالصة له ، وفي اخلاص لا يشوبه شرك من هوى ، أو شرك من سيطرة المادة أو الغرائز .

٢ – ونريد الآن أن نصور بعض مواقف القرآن في هذا الصدد : ان الله سبحانه وتعالى : يوجه نظرنا في سورة الواقعة الى مسائل نحن عنها في العادة غافلون .

« أفرأيتم ما تمنون ؟ ! أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ! ...

« أفرأيتم ما تحرثون ؟ ! أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ » ! ...

« أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟ ! أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ! ..

« أفرأيتم النار التي تورون.أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » ؟ ...

وعلى العكس من ذلك : لو شاء الله لما خلق هذا الفرد ، ولجعل الزرع حطاما ، ولما أنزل الماء من المزن ، ولما أنشأ شجرة النار ، انه سبحانه ، بيده الأمر سلبا وايجابا ، وبيده أمر الخلق ايجادا واعداما ..

أرأيت الى هذه الرمية التي ترميها : انك ما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى ..

أرأيت الى الانتصار في الجهاد ؟ ان هذا الانتصار من عند الله ، أما القتلى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » .

ورزق الانسان هذا وطعامه :

« فلينظر الإنسان إلى طعامه.أنا صببنا الماء صبا.ثم شققنا الأرض شقا.فأنبتنا فيها

حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ... »

٤ — هذه الهيمنة ، وهذه القيومية ، يمر بها قوم فلا يعيرونها التفاتا ، انهم يمرون بها مرور الحيوانات بما لا تدرك ولا تعقل : ان الله سبحانه وتعالى ، لا يحتل من شعورهم درجة أيا كانت ، وهمهم كل همهم مصبحين ممسين ، انما هو ملء البطن ، أو كنز الذهب والفضة ، أو النزاع على جاه ، أو العمل لتثبيت سلطان : انهم يمرون بآيات الله فلا يشهدونها ، وتحيط بهم آثاره ، فلا ينظرون اليها ، وتغمرهم نعماؤه وآلاؤه فلا يوجههم ذلك الى الحمد ولا الى الشكر ، ان الله سبحانه وتعالى : لا يحتل في قلوبهم ولا في تفكيرهم ، ولا في بيئتهم ، ولا في حياتهم ، قليلا ولا كثيرا ...

والطرف الآخر المقابل لهذا : هو هؤلاء الذين انغمسوا حقا في محيط الالهية : سبحوا في بحارها ، واستنشقوا نسائمها الندية ، وغمرهم لألاؤها وضياؤها فلقد بدءوا بحمد الله وشكره على نعمائه وآلائه التي تحيط بهم من جميع أقطارهم ، فزادهم الله نعما وآلاء :

« لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ... »

لقد اتقوا الله حق تقاته فعلمهم الله :

لقد اكتفوا بالله هاديا ونصيرا ، فهداهم الله الى صراطه المستقيم ، ونصرهم على أنفسهم وعلى أعدائهم ، وأخذوا شيئا فشيئا ، يحاولون تحقيق التوحيد : قولا ، وعقيدة ، وتذوقا ، وتحققا ، وأخذوا يرون في « أشهد أن لا اله الا الله » معاني لا يتطلع اليها غيرهم .

وبدأ معنى الشرك يتضح لهم في صورة لا تخطر على بال اللاهين ، الذين شغلتهم اموالهم وأهلوهم ، وبدءوا يحطمون الشرك : يحطمون أصنامه وأوثانه . من النفس ، والهوى ، والشيطان ، ومن الغرائز الحيوانية ، والغرائز الانسانية ، وانهار الشرك حتى من عصمات الفؤاد : لقد انهار الشرك الواضح ، وانهار الشرك الخفي ؛ وثبت في أذواقهم واستقر في أحوالهم ومقاماتهم : أن « لا اله الا الله » وانه « أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » .

وأينما كانوا فالله معهم ، وهو أقرب اليهم من حبل الوريد ، وهو أقرب اليهم من جلسائهم ومعاشريهم : انه يغمر كيانهم فلا يرون غيره سبحانه ، لا يرون غيره ، قيوم السموات والأرض ، ولا يرون غيره مصرفا لليسير من الأمور ، وللعظيم منها ، ولا يرون غيره مالكا للملك : يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

لقد أصبحوا ربانيين ، وأصبح الله في بصرهم وسمعهم وجوارحهم وفي قلبهم من قبل ذلك ومن بعده : يشغله كله فلا يدع فيه مكانا للاغيار .

٥ — وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد هذا القطيع من البشر الى الله تعالى : أخذوا في محاولة جاهدة مستمرة — لانتزاع الانسان من الاخلاد الى المادة ليتطلع الى السماء :

لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس الى الله ، عن طريق آلائه التي تغمرهم وعن طريق

وحـــدة الوجـــود

صنعه ، وقد احسن كل شىء خلقه ، سبحانه .

أخذوا يوجهون نظر الناس الى الله تعالى: فى الزهرة تتفتح ، وفى الزرع ينبت ، بما الى السماء ، وفى الشمس تشرق ، وفى القمر يتألق وفى مواقع النجوم ومداراتها ...

وفى كل هذا الابداع البارى فى الكون !

أخذوا يشرحون معنى تلك الآيات الكريمة:

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ • الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)

وكانت تعبيراتهم تعبيرات متذوقين ، وليست التعبيرات الجافة لعلماء الكلام أو الفلاسفة ، وهم — فى تعبيراتهم — يشرحون : أن الله سبحانه وتعالى ، الممد الوجود لكل موجود : انه يمد القائم بالقيام ، ويمد الماشى بالمشى ، والمتحرك بالحركة ..

انه — على حد تعبير أهل السنة والأشاعرة: الذى يقطع ، وليست السكين هى التى تقطع ، وهو الذى يحرق ، وليست النار هى التى تحرق ، وهو الذى حينما يريد ، يقول للنار كونى بردا وسلاما ، فتكون بردا وسلاما .

ومهما عبر الصوفية ، فى هذا الميدان ، عن الوجود الواحد ، فقالوا فى ذلك ، وزعم الناس انهم أسرفوا ، واشتطوا ، فانهم : سوف لا يبلغون المدى الذى بلغته تلك الآية الكريمة التى تتمثل فى روعة رائعة ، الهيمنة المهيمنة ، والاستغراق القاهر ، والجلال الشامل ، والتى لا تعنى وحدة متحدة ولا اتحادا متطابقا بين الخالق والمخلوق أو العابد والمعبود والآية هى :

« هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ » .

وهذه الآيات القرآنية التى ذكرناها انما هدفها أن تدفعنا دفعا الى الشعور بقيومية الله سبحانه وتعالى ، مهيمنة وهيمنته مسيطرة ، والى الشعور بتوجيهه سبحانه وتعالى للانسان أن يفر الى الله فى كل أمر من أموره ، وأن يسمو بنفسه حتى يتحقق بأن :

« لا اله الا الله » .

وما فعل الصوفية أكثر من ذلك ، انهم مهتدون بهدى القرآن والسنة ، يريدون للانسان : أن يكون ربانيا ، فاذا ما استمر الكثير من الناس يخلدون الى الارض ، وينظرون دائما الى أسفل ، فليس ذلك ذنب الصوفية ، فقد أدوا واجبهم نحو التوجيه الى الله ، خير اداء .

أما اذا لم يكتف بعض الأفراد بالاخلاد الى الارض وبالنظر الى أسفل ، وانما أخذوا يهاجمون من يدعوهم للتطلع الى السماء ، ويوجههم الى الله ، تعالى ، فهؤلاء : انما يحاربون الله ورسوله ، وجزاؤهم معروف .

٦ — وقد تتساءل : فيم اذن حوكم الحلاج وقضى عليه بالقتل ! ؟

ان أمر هذه القضية : قضية الحلاج: معروف

سرها ، وما كان سرها خافيا في يوم من الايام.

لقد كان الحلاج قوة جارفة كان مركزا للجاذبية لا يضارع ، يلتف حوله الناس أينما حل ، ويسيرون معه أينما ارتحل .

وكان — ككل صوفي — : يحب آل البيت لأنه كان يحب الرسول ، ﷺ ، وكان آل البيت اذ ذاك يطمحون في أن تكون الدولة لهم ، وما كان بنو العباس يطمئنون الى شخصية كشخصية الحلاج المحبة لآل البيت، شل رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه .

ومادام الحلاج دعاية قوية تسير في كل مكان ، وتتجه الى كل بلد، فيجب — حفاظا على أمن الدولة وتحصينا لاستقرارها — : أن ينكل بالحلاج .

وما كان مقتل الحلاج دينيا قط ، كلا ، وانما كان سياسيا بحتا . ومن السهل على الملوك المستبدين أن يزيفوا القضايا ، أن يأتوا بشهود الزور ، وأن يعدوا القضاة بالمال والترقية ، وأن ينفذوا أهواءهم .

فكان ما كان من قضية ومن قتل .. والدين من كل ذلك براء والألفاظ التي ينسبونها للحلاج ليست في كتاب من كتبه ، — وبعضها موجود — لاتسند خصومه ولا تؤيدهم .

هذا ما كان من أمر الحلاج . وبقيت كلمة :

ان المنطق الصحيح : ألا يفتى المهندس في أبحاث الأطباء ، وألا يحكم الأديب باعتباره أديبا ، في أعمال المهندسين .

ومن العدالة — على هذا الوضع — : ألا يحكم على هذه القمم الشامخة ابن عربي ، الحلاج ، ابن الفارض ، من لم يبلغ مداهم أو يقاربه .

لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء : ان فلانا ، ينتقد ابن عربي في المجلات ، فقال ، رضوان الله عليه : وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد ، ان الخنافس لا تحكم على أعمال السباع ، وليس من حقها أن تتحدث فيما تفعله السباع، ومنطقها دائما منطق الخنافس .

أما الامام الشافعي — رضوان الله عليه — فانه يقول عن خصوم سيدنا محيي الدين : « ان حكمهم حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ازالته من مكانه وتذهب الريح بأمم من الناموس ، وتبقى الجبال شوامخ راسيات ، بها تثبت الارض ، وبها يحفظ ميزان الدنيا » اهـ .

والرأى الذى لا يتأتى غيره من المنصف ، الرأى الحق ، هو ما قاله الامام الشعراني عن الصوفية عامة ، وعن سيدنا محيي الدين خاصة : « ولعمرى » ان عباد الأوثان لم يجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى، فكيف يظن بأولياء الله أن يدعوا الاتحاد بالحق سبحانه ، هذا محال في حقهم ، رضوان الله عليهم » ا . هـ

فلابد أن يبلغ الانسان المستوى ، أو يقارب المستوى ، وحينئذ سيقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه : رضى الله عن سيدنا محيي الدين ، ورضى الله عن الحلاج ، وعن ابن الفارض ، ونفعنا بهم ، وبكتبهم ، هذا وبالله التوفيق .

التصوف في مصر

قبل القرن السابع الهجرى

٤ ـ وإذا أردنا أن نبحث عن الزهد والتصوف فى مصر ـ ميدان البحث ـ وجدنا جذورهما ضاربة فى أعماق التاريخ فالزهد لم يكن ـ فى تصورى ـ غريبا على مصر التى (شاعت فيها الدعوة الى عبادة الآلهة والاستخفاف بمباهج الحياة والحرص على نعيم الآخرة منذ عهد الفراعنة) (٢) والتنسك لم يكن بعيدا عن أهلها فلقد عرفت مصر نظام الرهبنة ، (وكانت الأديرة المسيحية منتشرة فى أماكن مختلفة) (٣) وكان الرهبان والمتبتلون يعمرون هذه الأديرة وكانت لهم صومعاتهم الخاصة التى يعتكفون فيها وكان الدير لا يخلو من (الحياة النسكية والعبادات والطقوس الدينية) (٤) .

ولما أشرق الاسلام على مصر جاء اليها كثير من الصحابة ، والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ معروفون بالزهد والورع منهم عمرو ابن العاص الفاتح الزاهد الذى مات (ولم يترك الا سبعة دنانير) (١) ومثل ابنه عبد الله ابن عمرو بن العاص ومثل المقداد بن الأسود وغيرهم . عرفت مصر الزهد بمفهومه الاسلامى وشاركت فى حركته منذ البداية على يد مجموعة من الزهاد كان على رأسهم سليم ابن عتر التجيبى (ت/سنة ٥٧ هـ) الذى يضعه السيوطى على رأس قائمة زهاد مصر والذى يقول عنه الذهبى كان (قاضى مصر

---

(١) مدخل الى التصوف الاسلامى/د . أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ص ١١١/١١٢ ط دار الثقافة بمصر سنة ١٩٧٤ م .

(٢) التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى / د . توفيق الطويل/ص ٣٦/ط الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٦ م .

(٣) الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح حتى آخر الدولة الفاطمية/د . محمد كامل حسين ص ٧٣ ط النهضة .

(٤) الديارات/أبو الحسن على بن محمد الشابشتى/ص ٣١/ط المعارف ببغداد سنة ١٩٧١ تحقيق كوركيس عواد .

(٥) الولاة والقضاة/د ١ ص ٣٤ .

للدكتور غريب محمد على
بآداب قنا

وقاصها وناسكها)(١) ، وقد كان سليم ــ كما يقول الكندى ــ (يختم القرآن كل ثلاث مرات) (٢) .

ومن الزهاد الذين عرفتهم مصر فى القرن الأول الهجرى عبد الرحمن بن حجيرة (ت سنة ٨٣ هـ) الذى كان (من أفقه الناس) (٣)

ومنهم أبو تميم الجيشانى (ت سنة ٧٧ هـ) الذى يقول عنه الذهبى (كان من عباد أهل مصر وزهادهم) (٤) ولم تسعفنا المصادر التى بين أيدينا بأبيات شعرية صدرت عن هؤلاء الزهاد تدل على منازع ومناحى اتجاههم الزهدى بيد أنها أعطت صورة لهؤلاء النفر الذين عاشوا فى عبادة ونسك زاهدين فى الحياة ومتاعها بعيدين عن زخرفها وبهرجها مع غلبة النزعة الوعظية عليهم والدعوة الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى القرن الثانى الهجرى ازدادت موجة الزهد والنسك قوة فلقد كثر الزاهدون ووصلت الينا منهم قصائد ومقطعات من نظمهم تصور اتجاه تلك الموجة ومشاربها ونذكر من هؤلاء الزهاد على سبيل المثال :

الليث بن سعد (ت سنة ١٧٥ هـ) فقيه مصر وامامها فى الحديث والذى تحكى (عنه قصص كثيرة فى الكرامات)(٥) ونذكر منهم السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على ابن ابى طالب (ت سنة ٢٠٨ هـ) التى جاءت الى مصر وكانت ــ كما يقول السيوطى ــ (عابدة زاهدة كثيرة الخيرات)(٦) ومن زهاد هذا القرن أيضا حيوة بن شريح (ت سنة ١٥٨ هـ) والقاضى المفضل بن فضالة (ت سنة ١٨١ هـ) ويذكر الذهبى أن كلا من حيوة والمفضل كان زاهدا وكان مجاب الدعوة (٧) ومن هؤلاء الزهاد فى هذا القرن الحسن بن الخليل بن مرة الذى شغلته العبادة كما يذكر ابن الجوزى (٨) .

(١) العبر/الذهبى/جـ ١ ص ٨٦ ــ تحقيق صلاح المنجد جـ ١ سنة ١٩٦١ م .
(٢) الولاة والقضاة/جـ ١ ص ٣٠٧ .
(٣) الولاة والقضاة/جـ ١ ص ٣١٤ .
(٤) العبر/جـ ١ ص ٨٨ .
(٥) صفوة الصفوة/ابن الجوزى/جـ ٤ ص ٢٨١ /ط دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد ــ الدكن ــ الهند سنة ١٣٥٦ هـ .
(٦) حسن المحاضرة /السيوطى/جـ ١ ص ٢٤٣ ط الموسوعات سنة ١٣٢١ هـ .
(٧) انظر العبر/جـ ١ ص ٢٢٩/٢٨٢ .
(٨) انظر صفوة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩٣ .

ولا يمكن أن ندع هذا القرن دون ذكر شخصية كبيرة اشتهرت بالزهد والعفاف بالاضافة الى الفقه وهى شخصية الامام الشافعى (ت سنة ٢٠٥ هـ وقيل ٢٠٤ هـ)

الذى يمكن أن نقول عنه انه يمثل صورة الزهد فى هذا القرن عبادة ونسكا وأدبا فله من الأقوال والأبيات الشعرية ماينم عن اتجاه زهدى مواكب لحركة الزهد فى الأمصار الاسلامية الأخرى ومن ذلك قوله :

ان لله عبادا فطنا
تركوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا
انها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا (١)

ففى هذه الأبيات يرى الشافعى أن الاذكياء حقا هم عباد الله الذين هجروا الدنيا وما فيها وتركوا مباهجها لأنهم يعلمون أنها دار فناء ، لا بقاء فيها لحى وأن الدار الآخرة هى الحيوان والخلود ، وهذا ديدن الصالحين دائما وعادة الزاهدين أبدا ولذلك نرى الشافعى كثير الذم لهذه الدنيا الحقيرة ومن ثم فاننا

نلمس فى زهده القناعة والرضا كما نلمس نزعة التوكل على الله وهذا يتضح فى قوله :

رأيت القناعة رأس الغنى
فصرت بأذيالها ممسكا

فلا ذا يرانى على بابه
ولاذا يرانى به منهمكا

ويظهر فى قوله :

توكلت فى رزقى على الله خالقى
وأيقنت أن الله لاشك رازقى

سيأتى به الله العظيم بفضله
ولو لم يكن منى اللسان بناطق

ففى أى شيء تذهب النفس حسرة
وقد قسم الرحمن رزق الخلائق (٢)

ونحس فى شعر الشافعى أيضا النزعة الوعظية التى تدعو الى ترك المعاصى وطرح الدنيا جانبا وتحث على تهذيب النفس وتدعو الى الصبر وعدم الجزع من حادثات الزمن وهذا يتمثل فى قوله :

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفسا بما حكم القضاء

---

(١) ديوان الشافعى ص ١٧١ جمع وتحقيق هدى بكن ط دار الريحانى بيروت سنة ١٩٦٢ م.

(٢) ديوان الشافعى/ص ١٤٢ .
(٣) ديوان الشافعى/ص ١٣٧ .

ولاتجزع لحادثة الليالي
فما لحوادث الدنيا بقاء (١)

ونراه في قوله :

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول (٢)

وهو في خلال كل ذلك يصدر أبياتا تحمل مزيدا من الاقناع مثل قوله :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استوثقت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج (٣)

ومع هذه النزعة الوعظية نشعر بلمحات صوفية مثل الحديث عن العارفين وشرابهم وعن أحوالهم وغير ذلك ويجد الباحث مثل ذلك في قوله :

فلله در العارف الندب انه
تسح لفرط الوجد اجفانه دما
يقيم اذا ما الليل مد ظلامه
على نفسه من شدة الخوف ماتما
يقول : حبيبي انت سؤلي وغايتي
كفى بك للراجين سؤلا ومغنما (٤)

ونرى ذلك متمثلا في قوله حين يستحلف ربه أن يمن عليه بجذبة قرب وشربة أنس لا يظمأ ولا يضام بعدها أبدا :

باسمائك الحسنى التي بعض وصفها
لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من « ألست بربكم »
بمن كان مجهولا فعرفته الأسما
أذقنا شراب الانس يا من اذا سقى
محبا شرابا لا يضام ولا يظما (٥)

ويمكن القول في نهاية الحديث عن الشافعي انه كان أكثر الزهاد شهرة في هذا القرن وكان (امام المتصوفة العمليين أو زهاد الفقهاء في قرض الشعر وانشاده في الزهد والحكمة)(٦) ويمكن أن يعد زهد الشافعي الباب الذي ولج منه التصوف الاسلامي في مصر ويعد المقدمة الحقيقية له لما به من لمحات عرفانية واشراقات صوفية مبشرة بالتصوف واذا سار الباحث مع رحلة الزهد والتصوف في مصر فانه سيجد في القرن الثالث الهجري مجموعة من الزهاد والمتصوفة أكثر عددا وأغزر انتاجا ويبدو أن الاتجاه الصوفي قد غلب في هذا القرن فما ان بدأ حتى (وجد بمصر و لاسيما بالاسكندرية طائفة عرفوا بالصوفية وكانوا يدعون الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت لهم مشاركة في الاضطرابات السياسية

(١) ديوان الشافعي/ص ١٩ .
(٢) ديوان الشافعي/ص ٧٠ .
(٣) ديوان الشافعي/ص ٦٦ .
(٤) ديوان الشافعي/ص ١٦٠/١٦١ .
(٥) ديوان الشافعي/ص ١٥٩ .
(٦) الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري/د . علي صافي حسين/ص ١٢٦ ط المعارف سنة ١٩٦٦ م .

التي كانت بمصر أنذاك) (١) ووجدت جماعة صوفية أخرى كانت تحيط بعيسى بن المنكدر وكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أيضا (٢) .

ونذكر من صوفيه هذا القرن القاضي بكار ابن لتيبية (ت سنة ٢٧٠ هـ) الذي كان (أحد البكائين التالين لكتاب الله عز وجل) (٣) وابا بكر أحمد بن نصر الدقاق الكبير الذي كان (من أقران الجنيد وأكابر مشايخ مصر) (٤) ونذكر منهم أيضا أبا الحسن بنان بن محمد الحمال (ت سنة ٣١٦ هـ) الذي تحكى عنه كرامات كثيرة والذي يقول :

لحاني العاذلون فقلت : أهلا
فاني لا أرى في الحب عارا
وقالوا : قد خلعت فقلت لسنا
بأول خالع خلع العذارا (٥)

ومن صوفية هذا القرن (الربيع بن سليمان ابن عبد الجبار المرادي) (ت سنة ٢٧٠ هـ) الذي يؤثر عنه قوله :

صبرا جميلا ما أسرع الفرجا
من صدق الله في الامور نجا
من خشى الله لم ينله أذى
ومن رجا الله كان حيث رجا (٦)

ولا يمكن أن يغفل الباحث في هذا القرن صوفيا كان من أكثرهم نظما ان لم يكن أكثرهم على الاطلاق ذلك هو (منصور بن اسماعيل) الشاعر المصري الضرير (ت سنة ٣٠٦ هـ) الذي يقول :

قد قلت ـ اذ مدحوا الحياة فأكثروا :
للموت ألف فضيلة لاتعرف
منها أمان لقائه بلقائه
وفراق كل مصاحب لا ينصف (٧)

ويقول :

ياشامتا بي لئن هلكت
لكل حي مدى ووقت
وللمنايا وان تنامت
بالموت ياذا الشمات بغت (٨)

فالحياة في رأيه حقيرة ذميمة وان كان لها فضيلة واحدة فالموت له ألف فضيلة ولذلك فانه يعلن حبه للموت وكرهه للحياة ودائما يذكر المنايا ويعمل من أجل الآخرة وهو في وجل شديد وخوف بالغ وتلك صحة صوفية وحال من أحوالهم التي يعيشونها في دنياهم .

ولعل أهم ما يميز الشاعر هنا اصطناعه (أسلوب التعليل الفلسفي والاقتناع المنطقي) (٩) وربما يرجع ذلك الى انه كان

(١) دراسات في الشعر في مصر الايوبيين / د . محمد كامل حسين/ص ٥٢/ط دار الفكر سنة ١٩ م .
(٢) انظر دراسات في الشعر في مصر الايوبيين/ ص ٥٢/ الولاة والقضاة ص ٤٤٠ .
(٣) وفيات الاعيان/جـ ١ ص ٢٥٢ تحقيق محيي الدين .
(٤) حسن المحاضرة/جـ ١ ص ٢٤٣ .
(٥) شذرات الذهب/جـ ٢ ـ ص ٢٧٢ .
(٦) طبقات الشافعية/السبكي جـ ١ ـ ص ٢٦٠ .
(٧) طبقات الشافعية/جـ ٢ ص ٣٢٠ ط اولى الحسينية .
(٨) طبقات الشافعية/جـ ٢/ص ٣١٩ .
(٩) الادب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري/ص ١٢٨ .

فقيها وللفقهاء أسلوبهم الــذي يتميز بايراد الادلة والبراهين ويتســم بالتعليل والتبرير دفعا لحجة الخصوم وجلبا لاقناع السامعين، وغير هؤلاء الصوفية أعداد وغــيرة بيــد أن واحدا منهم كان ظاهرة لافتة في هذا القــرن ويمكن القول بأنه المؤسس الحقيقي لمدرســة التصوف المصري وأقصد به ذا النون المصري (ت سنة ٢٤٥ هـ) (العارف الناطق بالحقائق الفائق للطرائق) (١) وهو لدى كثير من كتاب التراجم في الطبقة الاولى من طبقات الصوفية وفي رأى معظم الباحثين (أحق رجال الصوفية على الاطلاق بأن يطلق عليه اسم واضــع أسس التصوف) (٢) لانه في نظرهم — كما هو في اعتقاد الباحث أول من تكلم (في ترتيب الأحوال في مقامات الاولياء) (٢) .

ويقوم تصوف ذى النون المصرى عــلى أربعة محاور هي (حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل (٤) وقــد عني بالحديث عن الحب والمعرفة عناية خاصة وركز عليهما كثيرا مــن أقوالــه وليس هذا فحسب بل كان « أول من تكلم من الصوفيــة عن المعرفة بكلام دقيق) (٥) وله في ذلك قوله المشهور بين جمهور الصوفية (عــرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى) (٦) وكان من أوائل الصوفية الذين تحدثوا عن الحب الالهي ولكن لم يكن — في ظنى — أول من أنشد شعر الحب الالهي كما ذهب الي ذلك د . على صافي حسين (٧) ومن شعره الذي يفيض وجــدا وحبا للذات الالهية قوله : —

اموت وما مــاتت اليك صبــابتي
ولاتضيت من صدق حبـك اوطارى
مناى المنى كـل المنى أنت لى منى
وانت الغنى كل الغنى عنـد افتقارى
وانت مـدى سؤلى وغـاية رغبتى
وموضع شكواى ومكنون اضمـارى
تحمل قلبي فيـك مالا ابثــه
وان طال سقمى فيك اوطال اضرارى (٨)

وهو في حبه يذوب وجدا ويذرف العبرات مدرارة كيما يطفىء لهيب ذلك الحب ويتمنى من الله أن يحله محل الأنس ويرفعه الى بساط القرب وحينما يتم له ذلك فانه لا يبالي شيئا من أمور الحياة ولا يعبأ بسفاسفها ولذلك نراه يقول :

وان طرقتنى عبــرة بعــد عبرة
تجرعتها حتى اذا عيـل تصبارى
افضــت دموعـا جمــة مستهلة
اطفى بها حرا تضمن اســرارى
فيــا منتهى ســؤل المحبين كلهم
ابحنى محـل الأنس مع كل زوارى

(١) الكواكب الدرية/عبد الرؤوف المناوى/جـ ١ ص ٢٢٣ ط الانوار سنة ١٩٣٨ م .
(٢) في التصوف الاسلامي وتاريخه/رينولد ١ . نيكلسون/ص ٧ ط لجنة التأليف والترجمة سـنة ١٩٦٩ م .
(٣) الكواكب الدرية / جـ ١ ص ٢٢٣ .
(٤) الرسالة القشيرية / ص ٩ .
(٥) مدخل الى التصوف الاسلامي / ص ١٢٠ .
(٦) الرسالة القشيرية / ص ١٥٦ .
(٧) الادب الصوفي في مصر / ص ١٩٦ .
(٨) طبقات المشايخ/السلمى/لوحة ٨ — مصور جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٣٢ .

ولست أبالي فائتا بعد فائت
اذا كنت في الدارين ياواجدي جاري(١)

وأساس الحب الالهي عند ذي النون المصري ــ كما يتضح من أقواله ــ طاعة الله ومتابعة رسول الله ﷺ وهذا ما يكشف عنه قوله (من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ في أفعاله وأوامره وسننه)(٢)

وخلاصة القول في ذي النون أنه أول صوفي مصري تحدث في المقامات والأحوال والحب الالهي والمعرفة ، ولم يكن الرائد الاول للتصوف في مصر فحسب (بل في العالم الاسلامي لانه استطاع أن يخطط الطريق وأن يؤسس أصول المعرفة والمحبة وكان أثره بعيدا في معاصريه ومن أتى بعده) (٣) .

وفي القرن الرابع الهجري يلقانا كثير من الصوفية أيضا لعل أهمهم اثنان هما :

أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الصائغ الدينوري الزاهد (ت سنة ٣٣٠ هـ) وأبو علي الروذباري (ت سنة ٣٢٢ هـ) والاول كان من كبار المشايخ وكان كثير الحديث عن المحبة والمريدين والأحوال والدليل على ذلك قوله (محبتك لنفسك هي التي تهلكها) (٤) وقوله (من تعرض لمحبة الله تعالى جاءته المحن والبلايا والآفات من سائر الاقطار) (٥)

وقوله عن الاحوال انها (كالبروق فاذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع) (٦) .

وأما الثاني فهو أكثر شهرة وأبعد أثرا في التصوف المصري وقد كان من تلاميذ الجنيد ــ رأس الطائفة ــ لانه عندما سئل عن أستاذه قال : (استاذي في التصوف الجنيد) (٧) وللروذباري من الاقوال المأثورة والتعريفات المشهورة في علم التصوف الشيء الكثير ويكفي أن نذهب الى القول بأنه يعد ــ في تصوري ــ أدق من وضع تعريفا جامعا شاملا للصوفي (٨) .

وله من الشعر ما يحمل أدق المعاني الصوفية وألصقها بالمتصوف مثل الكشف والوجد والمشاهدة والمناجاة ويتضح ذلك في حديثه عن روحه التي ذابت شوقا وحنينا الى بارئها وعن أمله في أن ينعم الله عليه بنظرة لطف كيما تتمتع روحه بمجالي الحقيقة الالهية وتسبح في ملكوت وجلال ربها يقول مناجيا ربه :

روحي اليك بكلها قد أجمعت
لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي اليك بكلها عن كلها
حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر اليها نظرة فلطالما
متعتها من نعمة فتمتعت (٩)

---

(١) صفوة الصفوة/حـ ٤/ص ٢٩٢ .
(٢) الرسالة القشيرية/ص ٩ .
(٣) نشأة التصوف الاسلامي/د . ابراهيم بسيوني/ص ١١٦ ــ ط المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م .
(٤) الطبقات الكبرى/عبد الوهاب الشعراني حـ ١/ص ١١٢ ــ ط ثانية دار الطباعة بمصر سنة ١٢٨٦ هـ .
(٥) الطبقات الكبرى / حـ ١ ص ١١٣ .
(٦) الرسالة القشيرية/ص ٢٧ .
(٧) حسن المحاضرة/حـ ١ ص ١٨٦ .
(٨) انظر ٧١٧ من البحث بمجلة الازهر ــ جمادى الاولى ١٤٠٥ .
(٩) طبقات المشايخ / لوحة ٨٢ م .

ويمتلئ شعره على هذه الشاكلة مسجلا ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم وأحاديثهم عن البوارق واللوائح وكتمان الوجد وشدة الشوق.

ولعلى لا أذهب بعيدا اذا قلت أن الروذبارى يعد بحق ممثلا التصوف الاسلامى فى مصر خلال القرن الرابع الهجرى هذا القرن الذى شهد قرب اكتمال التصوف الاسلامى ونضوجه حيث بدأ الصوفية يتحدثون عن معان لم تكن موجودة من قبل وحيث دقت تعريفاتهم وعمقت عباراتهم والتوت أساليبهم وتأثر تصوفهم الى حد ما ببعض المعانى الفلسفية والكلامية .

فى القرن الخامس :

واذا خطونا مع رحلة التصوف عبر القرن الخامس الهجرى فى مصر وجدنا أن موجته قد انكسرت حدتها والنشاط الصوفى قد تقلص كثيرا وتراجع خطه البيانى كما وكيفا : فأعداد الصوفية قليلة بالنسبة للقرن السابق وأقوالهم شحيحة كما أن المصادر لم تسعفنا بشعر لهم الا قليلا واكتفت بأن سجلت أسماءهم مشيرة الى ان هذا كان ورعا أو تقيا وذلك كان زاهدا أو صوفيا :

ومن صوفية هذا القرن الذين احتفظت المصادر بأسمهم محمد بن الحسين بن على المزى المعروف بابن الترجمان (ت.سنة ٤٤٨ هـ) الذى كان (شيخ الصوفية بديار مصر) (١) ولعل هذا اللقب الذى لم يطلق من قبل على أحد من الصوفية يدفع الباحث الى القول بأن الصوفية بدأوا ينظمون أنفسهم فى جماعات ويتخذون لهم طرقا معينة وتقاليد خاصة يتبعونها ويسيرون عليها ويدفع الباحث الى القول بأن هذا (نظام جديد اتبع وهو اختيار شيخ للصوفية) (٢) ينضوون تحت لوائه ويأتمرون بأمره وممن يلقانا من صوفية هذا القرن أبو الحسن طاهر بن بابشاذ (ت سنة ٤٦٩ هـ) الذى (تزهد ورغب عن الخدمة واستغنى بالله ولزم بيته) (٣) وممن يلقانا أيضا أبو عبد الله بن سلامه القضاعى (ت سنة ٤٥٤ هـ) الذى (طارت شهرته فى عصره بالزهد والتصوف) (٤) .

ولعل تقلص النشاط الصوفى فى هذا القرن يرجع فى ظنى الى أن (المصريين شغلوا طوال العصر الفاطمى بالدعوة الشيعية الاسماعيلية التى كان يدعو لها الحاكمون) (٥) ويعملون جاهدين على نشر مذهبهم وبسط عقيدتهم الشيعية بكل وسيلة وكان ذلك همهم الاكبر ومن ثم فاننا لا ننتظر منهم تشجيعا للتصوف أو اهتماما بالمتصوفة .

(١) العبر جـ ٣ص ٢١٧ ، حسن المحاضرة ـ جـ ١ ص ٥٢٤ .
(٢) التراث الروحى فى التصوف الاسلامى فى مصر ص/د محمد عبد المنعم خفاجى ص ٦١ ط اولى دار المعهد بدون تاريخ .
(٣) الشذرات / جـ ٣ / ص ٣٣٤ .
(٤) التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر / ص ٦٢ .
(٤) دراسات فى الشعر فى العصر الايوبى ـ ص ٥٧ .

في القرن السادس

ولكن هذا التصوف الذى تقلصت حدته فى القرن الخامس عاد الى نشاطه وازدادت موجته قوة فى القرن السادس الهجرى فلقد كثرت أعداد المتصوفة سواء من كان منهم مصريا خالص المصرية أو وافدا على مصر وصارت لهم أقوالهم وآراؤهم بجانب رياضاتهم ومجاهداتهم وبدأ بعضهم ينتظم فى سلك جماعات وفرق لها طابعها الخاص .

ومن صوفية هذا القرن الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشى (ت سنة ٥٦٤ هـ) الذى انتهت اليه تربية المريدين الصادقين بمصر والذى كان يكثر من الحديث عن المعرفة وكان يرى أن « الطريق الى معرفة الله تعالى وصفاته التفكر والاعتبار بحكمه وآياته ولا سبيل للالباب الى معرفة كنه ذاته » (٢) .

ومن صوفية هذا القرن أيضا الشيخ عبد الرحيم بن احمد بن حجون القنائى (ت سنة ٥٩٢ هـ) الذى (تخرج به جماعة من أعيان الصالحين) (٣) ، وكان كثير المجاهدة والرياضة جامعا بين الحقيقة والشريعة وله بعض الأقوال المأثورة فى المقامات والأحوال ومن ذلك قوله عن مقام العابد الحق (ظهور مقام العبد بعدم الالتفات الى السوى) (٤) .

ومن هؤلاء المتصوفة أيضا — الذين يذكرهم كتاب التراجم أبو العباس أحمد الملثم (ت فى حدود الستمائة هـ) الذى كانت (له مكاشفات عجيبة) (٥) وهو — فى ظنى — أول صوفى فى مصر نلمح عنده حديثا عن المملكة الصوفية بأقطابها وأوتادها وأبدالها وأوليائها حيث يقول (لم تكن الأقطاب أقطابا والأوتاد أوتادا والأولياء الا بتعظيمهم رسول الله ﷺ ومعرفتهم به واجلالهم لشريعته) (٦) .

ومن أكثر صوفية هذا القرن شأنا صوفيان :

أولهما : محمد بن ابراهيم بن ثابت المعروف بابن الكيزانى (ت سنة ٥٦٢ هـ) الذى كانت (له طائفة ينسبون اليه ويعتقدون مقالته) (٧) ويبدو أن ابن الكيزانى كان له من قوة الشخصية وكثرة الاتباع ما جعل الفاطميين يجلونه (ويكرمونه ويميزونه هو وأتباعه أكبر عناية وأعظم تقدير) (٨) على الرغم مما هو معروف عن الفاطميين من عدم اهتمامهم

---

(١) الطبقات الكبرى / الشعرانى / جـ ١ ص ١٦٦ .
(٢) الطبقات الكبرى / جـ ١ ص ١٦٦ .
(٣) حسن المحاضرة / جـ ١ ص ٢٤٥ .
(٤) الطبقات الكبرى / جـ ١ ص ١٧٢ .
(٥) الطبقات الكبرى / جـ ١ ص ١٧٤ .
(٦) الطبقات الكبرى / جـ ١ ص ١٧٤ .
(٧) وفيات الاعيان / جـ ٤ ص ١٨٦ .
(٨) ابن الكيزانى / د . على صافى حسين / ص ٥١ — ط دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

بالتصوف والمتصوفة قدر عنايتهم بالتشيع ومحاولة نشره بكل سبيل .

وقد جمع ابن الكيزاني بين الجانبين العملي والفلسفي وكانت له مجاهداته ورياضاته وآراؤه الصوفية وخاصة في الحب الالهي الذي كان عنده بمثابة (حالة القرب أو مقام المعرفة أو مرتبة التحقق) (١)

ولابن الكيزاني قصائد ومقطعات شعرية تقارب ثلاثمائة وأربعين بيتا يمتلىء معظمها بالحديث عن الحب الالهي والحب الصوفي وما يتصل بذلك من ألفاظ مثل الأنس والقرب والشرب والوجد والسهد والصبابة والهوى والسقم والشوق والصبر وغيرها ومن ذلك قوله على سبيل المثال :

اما واشتياقي نحوكم ودموعي
عليكم وذلي فيكم وخضوعي
لئن كان جسمي عنكم متخلفا
لقد سرتم يوم النوى بهجوعي
ولا غرو افنيت روحي صبابة
اذا لم تمنوا منكم برجوع
لعل نسيم الريح ان حل ارضكم
يكون بتبليغ السلام شفيعي (٢)

والصوفي الآخر هو أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الصباغ القوصي (ت سنة ٦١٣ هـ) أحد تلاميذ الشيخ عبد الرحيم القنائي واحد (كبار مشايخ مصر المشهورين وأعيان العارفين) (٣) وقد كان الشيخ عبد الرحيم يثني على ابن الصباغ ثناء بالغا لدرجة أنه قال عنه (دخل أبو الحسن من باب ما دخلنا منه) (٤) .

ويبدو أن ابن الصباغ كان من أصحاب الطرق الذين كثروا في هذا القرن فلقد (انتمى اليه جماعة من أرباب الاحوال .. واجتمع عنده جمع من الفقهاء والفقراء) (٥) كما يذكر الشطنوفي .

ويتلخص تصوف ابن الصباغ في جانب سلوكي على متمثل في العبادة والمجاهدة وفي جانب نظري متمثل في القول (بالحب الالهي والقول بوحدة الوجود والاتحاد) (٦) والفناء في الذات الالهية فناء يجد فيه بقاءه ويتضح ذلك في قوله :

بقائي فناء في بقائي من الهوى
فيا ويح قلب في فناء بقاؤه

---

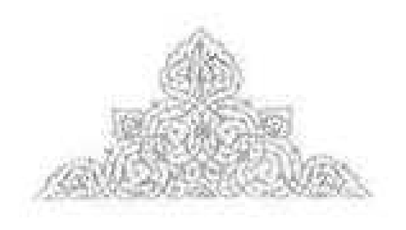
(١) ابن الكيزاني / ص ٤٧ .
(٢) ابن الكيزاني / ص ١٢١ (ماخوذ من الخريدة ـ المعاد ـ جـ ٢ ص ٢) .
(٣) بهجة الاسرار ومعدن الانوار / على بن يوسف الشطنوفي / ص ٣١٨ ط اولى سنة ١٣٠٢ بتونس .
(٤) بهجة الاسرار ص ٣١٩ .
(٥) بهجة الاسرار ص ٣١٩ .
(٦) ابن الصباغ القوصي / د. على صافي حسين / ص ٩٧ ط دار المعارف بدون تاريخ .

وجـودى فنــاء فى فنــاء فـانتى
مـع الانس يـاتينى هنيئـا بـلاؤه
فيـا من دعـا المحبـوب سرا لسره
اتـاك المنى يـوما ، اتـاك فناؤه (١)

وخلاصة القول : ان التصوف فى هذا القرن شهد تطورا كبيرا . فاعداد الصـوفية قـد كثرت كثـرة لافتة وصـارت لهم مـذاهبهم وآراؤهم واتجـاهاتهم وتنـوعت هـذه الاتجاهات وكثرة اقوالهم واشعارهم وتمثـل فيها كثير من النظريات الصوفية مثـل الحب الالهى ووحدة الوجود والفناء والمعرفة .

وكان هذه النظريات لم تكن بمثل العمـق الذى نراه لدى متصوفى القرن التالى ، وشهد هذا القرن وجود وأموالهم فرق صوفية كانت بمثابة بذرة للطـرق التى شـهدها القرن السابع ، كما شهد تعدد المشـايخ وكثـرة المريدين والاتباع ولعل ذلك راجع الى ضعف الدولة الفاطمية ثم زوالها فيما بعد وراجع الى قيام الدولة الايوبية السـنية التى لم تدخر جهدا فى سبيل القضاء على المذهب الشـيعى وكان التصوف أحد الاسـلحة الفتـاكة التى استخدمها الايوبيون فى تلك المعركة الفكريـة الساخنة .

د. غـريب محمد على
مرس الأدب والنقـد
بآداب قنـا



(١) بهجة الاسرار ص ٣٢٠ .



للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

تطور الرمز عند الصوفية (١) :

لقد آثر الصوفية أولا كتمان ما كانوا يشعرون به من حب للذات الالهية ، ولم يبحثوا بما كان يشرق في نفوسهم من معارف ومدركات ، وقد جعلهم هذا الكتمان يتجاوبون مع ما يسمعون تجاوبا صادقا ، قوامه فهم ما تشير اليه العبارة الواردة على أسماعهم من أشواق تنبيء عن أحوالهم ومقاماتهم ولو لم تكن عبارة غزلية .

وظل هذا التجاوب مع السماع ظاهرة ملموسة في الجو الصوفي حتى بعد أن تجرءوا على التعبير عن مكنونات أنفسهم صراحة أو رمزا .

واستشهد بمثال على وجود هذا التجاوب وفهم ما يشير اليه من معنى خاص عند السامع . روى « ابن عربي » في كتابه « محاضرة الأبرار » : ماشيت بعضهم بقرطبة أمام دار السلطان ، فاذا جماعة من الأجناد خرجوا من الدار يقول بعضهم لبعض : جاءت الرسل من قلعة رباح . فاهتز من كان معي وجدا وشوقا . وقال : يا أخي أما تسمع لهؤلاء الأجناد ما يقولون ؟ قلت : وما قالوا : قال : قالوا جاءت الرسل عليهم السلام يقولون : من قلع عن معصيته ربح ما عند الله .

ومثال آخر يرويه الرندي في شرحه لحكمة



(١) نشر الجزء الأول من هذا البحث بمجلة الأزهر ـ صفر ١٤٠٥ ص (٢٧٩) والمجلة تضع بين أيدى القراء تتمة البحث ليروا اتجاه الرمز لدى بعض الصوفية ، وحتى تتم لهم المعرفة من جانبيها : الشرعى والأدبى فقد ألحقت فتوى أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ حسنين مخلوف بها ، وهى ، أحدث فتاوى شيخنا الجليل التى أخذها عنه مندوب المجلة يوم الاثنين ٧ من جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ .

بن عطاء الله السكندري : « العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما أنت له آكل » يقول الرندي : ربما تقرع أسماع بعض الناس العبارة من بعض الأشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا ، وقد يقع ذلك لجملة من الناس فيفهم كل واحد منهم مالا يفهمه الآخر . أخبرنا الامام تقي الدين القشيري رحمه الله قال : كان ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ اثنى عشر علما ، فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشد يقول:

اذا العشرون من شعبان ولت
فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار
فان الوقت جل عن الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات .

لقد فهم هذا الشيخ من هذين البيتين معنى لم يخطر على بال غيره . فاذا كان المسموح شعرا غزليا كان له في نفوسهم وقع شديد حتى يخرجوا عن طورهم أحيانا فيرميهم من يرميهم بالجنون أو شبه الجنون ، وهذا تعليل اقبالهم على « السماع » وتواجدهم عنيه فان لهم في فهمه معاني وتأويلات .

والرمز في الأشعار التي يسمعها هؤلاء لم يكن مقصودا في ذاته ولكن هذه الأشعار تحولت عندهم الى رموز بحسب فهمهم وتذوقهم . ومن هذا القبيل مارواه « الطوسي » في كتابه « اللمع » من أن « ذا النون المصري » سمع منشدا يقول :

صغير هواك عذبني
فكيف به اذا احتنكا
وانت جمعت في قلبي
هوى قد كان مشتركا
اما ترثي لمكتئب
اذا ضحك الخلي بكى ؟

فقام يتواجد حتى سقط على وجهه .

أما « أبو الحسين النوري » فقد أخرجه فهمه لبيت سمعه عن طوره حتى أورده حتفه ، لأنه فهم منه معنى طابق حاله ، وذلك البيت هو :

مازلت أنزل من ودادك منزلا
تتحير الألباب بعد نزوله

فقد هام على وجهه حين سمع هذا البيت ، فوقع في اجمة قصب قد كسحت وبقيت أصولها مثل السيوف ، فأقبل يمشي عليها ويعيد البيت الى الغداة ، والدم يسيل من رجليه ، ثم ورمت قدماه وساقاه وعاش أياما قلائل ومات .

ثم لم يلبث شعراء الصوفية أن أخذوا ينسجون على منوال أشعار الغزل والخمريات رامزين بذلك الى مشاعرهم ومعارفهم ومدركاتهم ــ بعد أن وجدوا أن التصريح بما يشعرون به من حب أو يشاهدون من آثار آثار ثائرة الفقهاء ضدهم .

واستعاروا في التعبير عن الذات الالهية التي هاموا بها وجدا وحبا أسماء العذريات من العرب على حد تعبير أحدهم :

أسميك لبنى في نسيبي تارة
وآونة سعدى وآونة ليلى
حذارا من الواشين أن يفطنوا لنا
والافمن لبنى ـ فدتك ـ ومن ليلى ؟

وربما كان في استعارتهم أسماء فتيات الشعراء العذريين تعليل فطن اليه بعض الأدباء ، وهو الالتقاء بالايمان والفكرة والمثل الأعلى ، فالمحب العذرى أفنى ذاته في محبوبته ووقف نفسه عليها ، وكذلك محب الله وقف نفسه على حب الله لم يشرك في قلبه سواه ، وقد وصف الدكتور زكي مبارك في كتابه «التصوف وأثره في الأدب والأخلاق» الشعراء العذريين بأنهم صوفيون لذلك ، كما استعار الفارسيون قصة مجنون ليلى وحولوها الى مثل من المثل العليا ، ورمزوا بهذه القصة الى معنى صوفي جميل ، وتمثلت ليلى في نظرهم على أنها رمز للمحبوب الأعلى ، وصاغ شعراء الفرس الصوفيون اسمها في كثير من الحانهم الرائعة ، كما احتل المجنون في نفوسهم منزلة خاصة لما قام به من تضحية في سبيل حب العظيم .

معاني الشعر :

وهناك تشابه كبير بين معاني الشعر العذري والشعر الصوفي استشهد عليه بهذه الأبيات المنسوبة الى المجنون وقد تأثر بأشجان الطير فتحركت خواطره وثار حنينه فقال :

الا يا حمام الأيك مالك باكيا
أفارقت الفا أم جفاك حبيب ؟
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت
هتوف الضحا بين الغصون طروب
تجاوب ورق كم أحن لصوتها
فكل لكل مسعد ومجيب

فقد تأثر « ابن عربي » بهذا المعنى فقال :

أطارح كل هاتفة بأيك
على فنن بأفنان الشجون
فتبكى الفها من غير دمع
ودمع العين يهمل من جفوني
أقول لها وقد سمحت جفوني
بأدمعها تخبر عن شئوني
أعندك بالذى أهواه علم
وهل قالوا بأفياء الغصون ؟

واذا تحدث الشعراء الصوفية عن الحنين الذي يثيره « الصوت الحسن » فهم يتخذون من ذلك رمزا الى مقام الروح الأول الذي فارقته منذ كانت في عالم الذر الذى تشير اليه الآية الكريمة « **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا** » .

فيقول بعضهم : ان الأرواح التى أخذ عليها العهد كانت كالذر الذى لا يكاد يرى ، وقد سعدت الأرواح حينئذ بخطاب ربها ، فهى ما تلبث تحن الى هذا العالم الأول وتتوق اليه لتسعد بالخطاب والمناجاة ، وهم لذلك فهموا قضية الموت فهما فلسفيا عاليا ، فهموه على أنه نهاية لهذا السجن وانطلاق الى فضاء لا نهائى تعود فيه الروح الى تطلعاتها الأولى ، ويقول « السهروردي » في هذا المعنى :

لا ترعكم سكرة الموت فما
هي الا نقلة من ها هنا
انا عصفور وهذا قفصي
طار عنه فتخلى رهنا
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها
فترون الحق حقا بينا

ويسوق الدكتور « ابراهيم بسيوني » في كتابه « نشأة التصوف » أمثلة على التقاء أشعار المحبين العذريين مع أشعار الصوفية وانتقال أشعار العذريين الى الجو الصوفي ، ومن بين ذلك ما يقوله المجنون :

ترحلت يا ليلى ولم اقض اوطارى
ومازلت محزونا احن الى دارى

فقد فهمه الصوفية على أن الدار هنا رمز للمصدر الأول الذى كانت تقيم فيه الروح قبل حلولها في البدن ، وحلولها في البدن انما هو تذكار من ذلك الحبيب الذى يحنون اليه ، ولذلك يقول « الشبلى » مشيرا الى هذا المعنى الأخير مستعملا رمز الدار استعمالا آخر فيه نزعة تفاؤل وشعور بالقرب الصوفي المعروف :

أليس من السعادة ان دارى
مجاورة لدارك في البلاد ؟

وهذه المجاورة هي التى تشعل الحب وتضرم ناره وتبعثه على الزيادة والتوقد .

شعر الخمر :

أما شعر الخمر في نظرهم فهو يشير الى ذلك الحب المتبادل بين العبد وربه « **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** » « **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** » وهم ينظرون الى الأثر الذى يقول : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى (١) . وهذه المحبة الالهية هي أصل في وجود الخلق .

وعلى ذلك فيجب أن تكون الخمر التى هي الرمز لتلك المحبة قديمة ، وكلما تناهت في القدم دلت دلالة وافية على تلك المحبة التى يهدف اليها الصوفية ويتطلعون الى أن يكونوا أهلالها ، وقد كان « ابن الفارض » بارعا في ذلك حين قال :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وذكر الخمر يحرك أشجان الصوفية ويثير خواطرهم نحو هذا المعنى القديم ، وربما أمكن فهم هذا من قول الشاعر « عفيف التلمسانى » :

الى الراح هبوا حين تدعوا المثالث
فما الراح للأرواح الا بواعث
هى الجوهر الفرد القديم وان بدا
لها حبب زينت به فهو حادث
حلفت لها ما كأسها غير ذاتها
فقيل : اتئد فيها فانك حانث

ومن الواضح هنا أن « التلمسانى » يشير الى قدم الذات التى تعرفت الى الخلق الذى

(١) حديث موضوع .. مجلة الأزهر

شبيه بالحبيب ، كما أنه في البيت الثالث أشار الى ما يعرف بوحدة الوجود .

الرمز الصوفى بين الوضوح والغموض :

هناك أشعار تقرأ فتدرك دون عناء ، ذلك لأنها من قبيل الرمز الواضح لم يبهم فيه الشاعر ولم يجنح الى الغموض . وقد استعملت فيها ألفاظ الخمر أو ألفاظ الغزل الحسى ، ويمكن أن نقرأ في ذلك أشعارا وردت عن « ابن الفارض » أو « ابن عربى » أو غيرهما ، ومن ذلك الأبيات التالية « لابن العربى » وقد رمز بالمحبوبة العريقة الأصل التى جمعت فى ذاتها بين الأضداد والمتناقضات الى ما يريده من معانى روحية :

طال شوقى لطفلة ذات نثر
ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس
من اجل البلاد من اصبهان
هى بنت العراق بنت امامى
وانا ضدها سليل يمانى
هل رأيتم ياسادتى او سمعتم
ان ضدين قط يجتمعان ؟

ومن أمثال قول « ابن الفارض » يرمز بالعامرية الى محبوبه الأعلى والى ما يتوق اليه من منازل ومطالعات :

الا هل لهجر العامرية اقصار
فتقضى من الوجد المبرح اوطار ؟
ويشفى غليل من عليل موله
له النجم والجوزاء ، فى الليل سمار
عسى ما مضى من خفض عيش على الحمى
يعود فلى منه نجوم واقمار

ولكن هناك أشعارا نلمس فيها الغموض والايهام ، ومرجع ذلك قد يكون فى الجنوح الى المغالاة فى الأوصاف الحسية التى يتأبى معها الانسياق فى التأويل والتفسير على نحو مقبول . فكيف نفسر قول « ابن الفارض » مثلا :

ما أطيب ما بتنا معا فى برد
اذ لاصق خده اعتناقا خدى
حتى رشحت من عرق وجنته
ــ لازال نصيبى منه ماء الورد . ؟

أم كيف نفسر قوله :

اهواه مهفهفة ثقيل الردف
كالبدر يجل حسنه عن وصف ؟

ولكن الظن أن ينصرف ذلك فى وجدانه الى تصوير الجمال المعنوى الذى يستشعره فى أى مثال حسى جميل تقع عليه عينه أو يجول فى خاطره دون أن يقصد الى تشبيه وتمثيل ، فالشاعر الصوفى الذائق يصطنع ما شاء من الألفاظ المادية فى التعبير عن المعانى الروحية ، لأن العبرة عنده ليست باللفظ ولا بالمعنى الذى يدل عليه اللفظ دلالة عادية ، وانما العبرة ــ كما يقول الدكتور محمد مصطفى حلمى فى كتابه عن ابن الفارض ــ بالمعنى الروحى الذى ينطوى عليه ويؤول اليه اللفظ الحسى ، فيتأثر به السامع تأثرا خاصا ملائما لطبيعة عاطفته من ناحية وبطبيعة أذواقه ومواجيده اذا كان من أصحاب الأذواق والمواجيد من ناحية أخرى » وقد حاول كل من البوريني والنابلسى القاء الضوء على أمثال هذا الشعر وتفسيره ومن قبيل الرموز

الرمز في الأدب الصوفي

المبهمة التي تحتاج الى اعمال فكر في فهمها قول الشاعر المصري « أبي الحسن الصباغ » :

· تسرمد وقتي فهو فيك مسرمد
وافنيتني عني فعدت مجددا
وكل بكل الكل وصل محقق
حقائق حق في دوام تخلدا
تفرد أمري فانفردت بغربتي
فصرت غريبا في البرية أوحدا

والغموض الذي يكتنف الرمز هنا مرده الى تكرار الالفاظ والى وجود بعض المصطلحات الصوفية الواردة بها كالفناء والتفريد · وسأحاول ــ ان شاء الله تعالى ــ القاء الضوء على بعض هذه المصطلحات التى اصبحت تمثل وسيلة من وسائل الرمز في الاسلوب الصوفي والتى لابد من فهمها حتى يمكن فهم مايريده الشاعر الصوفي ·

عبد الحفيظ فرغلي القرني

تصويب

وقع خطأ مطبعي في الفقرة التالية من مقال فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير «التثليث ينافي التوحيد» المنشور بعدد ربيع الاخر. ووقع الخطأ ص ٩٤٦ بالسطر الخامس النهر الأول ·

وهذه هي الفقرة الصحيحة

ومن هذه النصوص نعلم أن يسوع « المسيح » عليه السلام لم يكن راضيا عن صلبه المزعوم ، ولهذا كان يعتب على الله ويسائله : لماذا تركتني لمن يعذبونني ويسخرون مني ويقتلونني وانه ليس ربا خالقا كما زعموا ولهذا لم يستطع ان يخلص نفسه من اعدائه ، وانه غير الله تعالى ، وليس (ابنا) له كما اعتقدوا ، ولا (متحدا) معه كما زعموا ، وانما هو « بشر » فحسب ·

فتوى صاحب الفضيلة المفتى الأسبق

الشيخ حسنين محمد مخلوف

فى بعض

الرمز فى الأدب الصوفى

لما كانت ذات المولى عز وجل لها المحل الأسمى من الاعزاز والتقدير ، لا يسمو اليها من ذوات خلقه شيء كان لابد من الحيطة الحساسة الدقيقة فيما يتعلق بذكره جل وعلا ، فلا يقال : ان للأديب أن يتناول موضوعه بفن القول ووجدانه على ما يشاء ، فليست هناك قواعد مطلقة ، والأديب عليه — فى ذات الله — التزام ، يلتزم بما ينبغى — فى ذات الله — من اجلال وتقديس ، ومن قال : ان الأديب لا يلتزم ليس له من فهم الأدب ذوق ولا نصيب ، فان الأديب ملتزم بطبعه وفنه وصياغة هذا الفن ، قد لا يلتزم الأدب موضوعا لكن الأديب يلتزم .

ولما كان له — سبحانه — كل عزة ، وله منا ما يرضاه لذاته عرضت — مجلة الأزهر — النص الوارد فى هذه المقالة هذا النص القائل : « واستعاروا فى التعبير عن الذات الالهية التى هاموا بها وجدا وحبا أسماء العذريات من العرب .. الخ » — عرضته على فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى مصر الأسبق — أطال الله عمره ونفعنا بعلمه — ليقول فيه كلمة الشرع ، فوافانا فضيلته بالفتوى التالية ، ننشر نصها تاما ، ونعقبه بصورة (فوتوغرافية) له .

قال فضيلته :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد : فقد اقتضت رحمة الله تعالى لعباده أن يبعث الرسل لهم بالحق والهدى والعلم والنور ، وأمرهم بعبادته وحمده وشكره ، وانزل اليهم كتبا عظيمة قيمة جليلة بما يسعدهم فى حياتهم ويجعلهم مواضع مرضاته ودعاة دينه الذى ارتضاه لعباده دينا قيما ودعوة حق للعلم الصحيح والأدب القويم والعرفان بما يسعدهم فى اولاهم واخراهم .

وقد اشتمل كتاب الله : القرآن المجيد الذى أنزله على خاتم رسله وأفضل أنبيائه

وبين فيه ما يجب على العباد من العبادة لله تعالى والايمان بما جاء به والعبادة الحقة في كل حين وحال ، وذكر فيه لهم من الآيات ما يجب عليهم اتباعه والعمل به في كل حال .

ومما أوجبه تعالى احسان القول في حقه تعالى وما يدعى به ، وما يجب عليهم ان يعلموه لعباده في كل حال . وانه يجب عليهم ذكره تعالى ودعاؤه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وان يتجنبوا كل ما يحرم وصفه تعالى به ، وكل ما يخل بعظمته وجلاله كما عبر عنه الانبياء والرسل فيما بلغوه للعباد تعليما وارشادا ونصوا على حرمة وصفه بما لا يجوز عقلا ولا شرعا وصفه به والتعبير عنه بما يأباه العقل السليم والكمال البالغ ويحرمه العقل الرشيد .

لذلك أجمع المسلمون على وجوب وصفه تعالى بما يدل على العزة والكرامة والفضل العظيم ، وعلى حرمة وصفه بما لا يليق بكماله وعصمته بلا خلاف في ذلك .

لهذا يجب على المسلمين الا يصفوا رب العالمين جل وعلا بما لايليق وصفه به .

وفي كتب السنة والتصوف والأدب الرفيع أوصاف للخالق جل وعلا يجب التعبير بها في كل حال . وهناك أوصاف يحرم وصفه بها ودعاؤه بها . ويجب علينا أن نتأدب في حقه تعالى بما جاء به القرآن من أوصاف البارى جل وعلا ، ويحرم علينا التعبير بما فيه اشارة الى مالا يليق بعظمته وجلاله ولا خلاف بين المسلمين في ذلك .

وقد دل القرآن الكريم — وهو كلام الله تعالى — على صفاته العلية ، وأسمائه الحسنى ، فلا يجوز وصفه تعالى بما يأباه القرآن والحديث ، وتأباه الآداب العامة بين الناس .

ومن يتجرأ على ذلك فقد ضل ضلالا قبيحا ، وارتكب اثما عظيما ، وعملا يحرمه كل عاقل رشيد ويأباه كل عبد مؤمن بالله تعالى .

وأقرب مثال لذلك القرآن الكريم ، وهو كلام رب العالمين كله من مبدئه الى منتهاه فلينظر العبد المسلم الى الآيات القرآنية التى جاءت في القرآن في جميع آياته وسوره ليتأدب بالآداب الرفيعة التى أوجبها الاسلام في الدعاء والرجاء لرب العالمين في كل حال وحين .

فهل يجد المسلم في آيات القرآن كلها غير ما يدل على تعظيم الخالق وعلى التعبير عنه بما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه ؟ .

وكيف يبيح عبد لنفسه أن يصف الله — تعالى — بما لا يجوز أن يصفه به ؟ .

وأن ينسب اليه مالا يجوز نسبته اليه ؟ .

وأن يعبر عن الله تعالى بأية عبارة تمس جلاله وعظمته وكبريائه ، وتشير الى مالا يليق بجلاله وعظمته .

وندعو في هذه المقالة الى تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية المروية عن خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ليعلم العبد أنه مسلم حقا حريص على أن يكون عبدا صالحا محبوبا قائما بحق المولى — جل وعلا —

منزها عما لا يليق قوله أو اعتقاده بالنسبة اليه تعالى ، وهو رب العالمين .

انظر الى أسمائه الحسنى البالغة عددا كبيرا ، وقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : « من أحصاها دخل الجنة » وأحصاها : حفظا وتلاوة ودعاء وذكرا لجلال الله وعظمته لائقا بمقامه وعظمته وأفعاله لعباده .

واحرص على أن نشرح أسماءه الحسنى التى قال رسوله : « ان من أحصاها وذكره بها دخل الجنة » ، وانظر الى تعبير الرسل والأنبياء فى كل الكتب المنزلة كيف التزموا بالآداب العالية فى حق المولى الجليل العظيم.

وليعلم كل مؤمن أن فى القرآن العظيم ، وفى الأحاديث النبوية الأدلة القوية على وجوب التأدب فى حق المولى – جل وعلا – فيما يتعلق بأسمائه وصفاته وخطاباته لعباده فى الكتب المنزلة على أنبيائه منه تعالى ، وهو العلى الكريم السميع لكل ما يقوله عباده عنه :

فان أحسنوا برهم وجزاهم خيرا عظيما .

وان أساءوا أجيبوا بالعذاب الأليم لجهلهم وجراءتهم على رب العالمين وما الله بغافل عما يعملون .

ولنعلم يقينا أن الله – تعالى – يؤاخذ عباده على كل ما يصدر عنهم : اعتقادا وقولا وفكرا ودعوة ، فمن شاء فليؤمن لينال الجزاء الأوفى من رب العالمين ، ومن ضل وغوى وارتكب الفواحش باء بالخسران المبين والعذاب الأليم فى جهنم وبئس القرار .

وقد قال : (اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم) .

(مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) .

وعذاب الآخرة مؤكد لكل من غوى وضل .

ونعيم الآخرة لكل من أحسن عملا واعتقادا وقولا ودعاء .

فكونوا – أيها الاخوان – موضع الرحمة من البارى – جل وعلا – واحذروا أن تكونوا فى الضالين الجاهلين المفترين الكاذبين الضالين ..

واتلوا آيات القرآن الكريم ففيها كل الخير والفلاح والصلاح والنجاة والوقاية من أضداد ذلك كلها (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) والله تعالى ليس بغافل عن شىء يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما تكنه الصدور ، ويجازى عن الاحسان مهما قل ويعاقب على الفحش والضلال والكذب والعدوان أعظم الجزاء .

وما ربك بظلام للعبيد ، وهو على كل شىء قدير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم السر والنجوى . وفقنا الله جميعا لما فيه النجاة والسعادة يوم الدين وكفى هذا اليوم والسلام على المؤمنين العابدين المتقين راجى عفو ربه الرءوف حسنين محمد مخلوف

فى ٧ من جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ .

صورة الفتوى

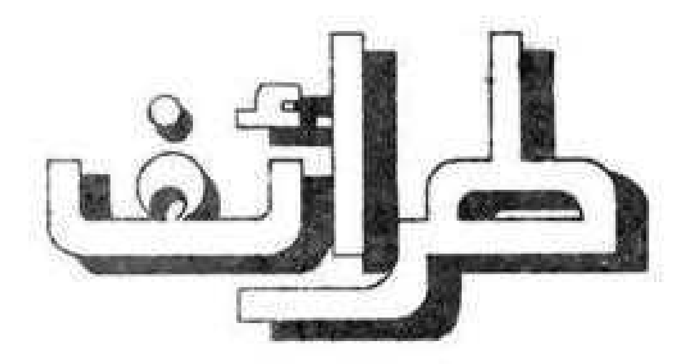
١ الفتوى بخط الشيخ

[illegible]

صورة الفتوى

السؤال رقم ١٩

الجواب



« بنى الاسلام : اقداما »

بنى الاسـلام اقداما
كفى دعة واحجاما
هلموا نرفع الهاما
انقضى الدهر نواما ؟
لكم من دينكم طرق
تبث النور اعلاما
سلوا القوم الالى ذهبوا
باية قوة غلبوا
اقاموا الحق فانتدبوا
لاهل الأرض حكاما

« أحمد محرم »

أهل الفتوى الأولون

قال ابن القيم فى « أعلام الموقعين » (١ : ٩) :

الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة .

وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم .

قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى ابن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى عشرين كتابا ، وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الاسلام فى العلم الحديث .

البلاغة

قيل للفارسى : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليونانى : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .



وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها الى الكناية عنها ، اذا كان الافصاح أوعر طريقة .

وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك ، وأحق بالظفر .

ثلاثة أصناف

قال دهب بن الورد : بلغنا أن ابليس تمثل ليحيى بن زكريا على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .

فقال : انى أريد أن أنصحك !

قال : لا حاجة لى فى نصيحتك ، ولكن أخبرنى عن بنى آدم ؟ .

قال : هم عندنا ثلاثة أصناف :

أما صنف منهم : وهم أشد الأصناف علينا ، نقبل على أحدهم حتى نفتنه ، ونتمكن منه ، فيفزع الى الاستغفار والتوبة ، فيفسد علينا كل شىء ، ثم نعود فيعود ، فلا نحن نيأس منه ، ولا نحن ندرك منه حاجتنا .

وأما الصنف الآخر :فهو فى الدنيا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا ، وقد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الثالث :فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شىء .

" قالوا .. "

*** كن عبدا للحق ، فان عبد الحق حر .**

*** اظهر لأهلك انك منهم ، ولأصحابك انك لهم ولرعيتك انك بهم .**

*** ان عليك من الله عيونا تراك .**

*** أو فى الناس : الخليل .**

وأكرمهم : الصديق .

وأتواهم : الأمين .

وسيدهم : من لا يفتخر .

طرائف ... ومواقف

* الهجرة فى ابانها : من شجاعة الشجعان .

والهجرة فى غير ابانها : فرار من الميدان .

عالم ذو همة يحيى أمة !! .

* جالسوا التوابين فانهم أرق أفئدة .

* اياك والكسل والضجر ، فانك اذا كسلت لم تؤد حقا ، واذا ضجرت لم تصبر على حق .

" حقا "

« ان اللغة العربية ، لغة الصحراء ، هى اللغة الوحيدة التى عرفها الناس فى دور الكمال ، ولايعرف لها التاريخ طفولة ولا شيخوخة » .

« ارنست رينان »

" حقيقة "

ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال جاء اوانه ، ولا كل ما جاء اوانه حضر أهله .

" دعاء "

اللهم انى اسألك ثواب الشاكرين ، ونزل المقربين ، ومرافقة النبيين ، ويقين الصديقين وذلة المتقين ، واخبات الموقنين .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الإجزاء فى معرفة الأجزاء - بقية

والعشرون والمائتان بسأل : « خلقناهم مما يعلمون » الثامن والعشرون والمائتان آخر نون « الا تبارا » التاسع والعشرون والمائتان بالمزمل :« كثيبا مهيلا » الثلاثون والمائتان آخر المدثر : « وأهل المغفرة » الحادى والثلاثون والمائتان بالانسان: « لؤلؤا منثورا» الثانى والثلاثون والمائتان آخر والمرسلات :

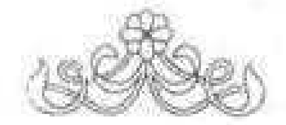
« بعده يؤمنون » الثالث والثلاثون والمائتان بالنازعات : « لكم ولأنعامكم » الرابع والثلاثون والمائتان آخر التكوير : « رب العالمين » .

الخامس والثلاثون والمائتان آخر المطففين : « ما كانوا يفعلون » السادس والثلاثون والمائتان آخر الطارق : « امهلهم رويدا » السابع والثلاثون والمائتان آخر الفجر « وادخلى جنتى » الثامن والثلاثون والمائتان آخر الليل : « ولسوف يرضى » التاسع والثلاثون والمائتان . آخر الزلزلة : « شرا يره » الاربعون والمائتان آخر القرآن : « من الجنة والناس » .

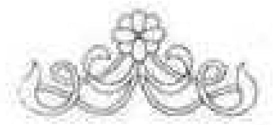
يتبع

ابراهيم عطوه

مع العلوم الكونية



الغلاف الجوى



الميكروبات والحياة



الغلاف الجوى

يطلق لفظ الغلاف الجوى على مجموعة الغازات التى تحيط بالكرة الأرضية ، ونظرا لأهمية دراسة التركيب الكيماوى للغلاف الجوى وعلاقته بالتغيرات التى تحدث فى مناخ الكوكب الذى نعيش فوقه وعلاقته أيضا باستمرارية الحياة على سطح الأرض وكذلك فى داخل المحيطات والبحار والأنهار .. الخ ، فانه من المناسب أن نخصص هذه المقالة لالقاء الضوء على التركيب الكيماوى للغلاف الجوى .

تنقسم الغازات المكونة للغلاف الجوى الى مجموعات طبقا لعدة معايير ، وأحد هذه التقسيمات يعتمد أساسا على فكرة فترة بقاء الغاز وهى متوسط الفترة الزمنية التى تتواجد فيها جزئيات هذا الغاز فى الغلاف الجوى ، وللمكونات الغازية ــ بما فى ذلك الغازات التى يكون تركيزها غير متغير ــ دورة فى الغلاف الجوى : أى أن جزئياتها تتبدل دائما تحت تأثير تفاعل المصادر والمنافذ (المخرجات) .

تعرف فترة بقاء أية غاز على أنها النسبة بين كتلة هذا الغاز ومعدل تكونه ، وفى حالة التوازن يكون معدل تكون الغاز مساويا لمعدل نفاذه .

أى أنه فى حالة التوازن تكون فترة بقاء الغاز = كتلة هذا الغاز / معدل تكونه ≈ كتلة هذا الغاز / معدل نفاذه

ويمكن تقسيم الغازات المكونة للغلاف الجوى (باستخدام معيار فترة بقاء الغاز) على النحو التالى . ــ

أولا ــ غازات دائمة :

وهى الغازات التى تكون فترة بقائها فى الغلاف الجوى طويلة جدا (عادة تزيد على

ألف عام) وتوضحها تفصيلا فى هذا الجدول :

اسم الغاز	نسبة تواجده ٪	جزء فى المليون	فترة بقاء الغاز
النتروجين N_2	٧٨٫٠٨٤		حوالى مليون سنة
الأوكسجين O_2	٢٠٫٨٤٦		حوالى خمسة آلاف سنة
الأرجـون A_r	٠٫٨٣٤		—
النيون N_e		١٨٫١٨	—
الهيليوم He		٥٫٢٤	حوالى عشرة ملايين سنة
الكريبتون K_r		١٫١٤	—
Xenon X_e		٠٫٠٨٧	—

ونلاحظ فى الجدول السابق أنه تم التعبير عن تركيز الغاز أو نسبة تواجده فى الغلاف الجوى باحدى طريقتين :

اما بالنسبة المئوية لحجم الغاز (فى حالة الغازات ذى التركيز العالى) .

أو باستخدام وحدات جزء فى المليون وهى عدد جزئيات الغاز الموجود فى مليون جزىء من الهواء (أى أن النسبة الحجمية واحد فى المائة تعادل عشرة آلاف جزء فى المليون)، وقد استخدمت وحدات جزء فى المليون بالنسبة للغازات ذى التركيز المنخفض جدا .

ويلاحظ أيضا أن بعض الغازات النادرة ليس لها مصادر أو منافذ ، وبالتالى لا تكون لها دورة فى الغلاف الجوى ، وفى هذه الحالة

لا تكون فترة بقاء هذه الغازات معروفة ولذلك لم تكتب قيم فترات بقاء هذه الغازات فى الجدول السابق .

ثانيا ــ غازات متغيرة :

وهى الغازات التى تكون فترة بقائها بضع سنوات أو عقود (عشرات السنوات) وتوضحها تفصيلا فى الجدول الآتى :

اسم الغاز	تركيزه (جزء فى المليون)	فترة بقاء الغاز
ثانى أكسيد الكربون CO_2	٣٢٠	حوالى خمسة عشر عاما
الميثان CH_4	١ر٤	حوالى خمس سنوات
الهيدروجين H_2	٠ر٥	حوالى سبع سنوات
أكسيد النتروجين الثنائى N_2O	٠ر٤	حوالى ثمان سنوات
الأوزون O_3	صفر ٥ر٠ر٠	حوالى سنتين

ثالثا ـ غازات متغيرة جدا :

وهى الغازات التى تقل فترة بقائها لتصل الى بضع أسابيع أو بضع أيام (عموما تقل عن عام) ونوضحها تفصيلا فى الجدول الآتى :

اسم الغاز	تركيزه (جزء فى المليون)	فترة بقاء الغاز
بخار الماء H_2O	(٠ر٤ ٤٠٠) × ١٠٠	حوالى عشرة أيام
أول أكسيد الكربون CO	أو ٠ر٢	حوالى نصف عام
ثان أكسيد النتروجين NO_2	(٠ر٥ ٥) × ١٠ ٣	حوالى ستة أيام
الأمونيا NH_3	٠٠٦ر٠	حوالى سبعة أيام
ثان أكسيد الكبريت SO_2	(٠ر١ ١) × ١٠ ٣	حوالى ثلاثة أيام
كبريتيد الهيدروجين H_2S	٠ر٢ × ١٠ ٣	حوالى يومين .

هذا ومن الممكن أيضا تقسيم الغازات المكونة للغلاف الجوى الى مجموعات طبقا لنسب تواجدها : فمثلا الغازات الرئيسية المكونة للغلاف الجوى وهى الأوكسجين والنتروجين والأرجون (وكما يتضح من جدول الغازات الدائمة : تكون هذه الغازات

الرئيسية حوالى ٩٩٫٩٦٤٪ من حجم الغلاف الجوى) يكون تركيز كل من هذه الغازات الرئيسية مساويا تقريبا أو يزيد على واحد فى المائة (١٪) ، والغازات التى يقل تركيزها كثيرا عن الواحد فى المائة تسمى الغازات ضئيلة التركيز (*) ، ويجب أن نؤكد هنا أن تركيز الغازات الأخيرة (فيما عدا الغازات النادرة منها) يكون متغيرا وتكون فترة بقائها قصيرة نسبيا .

وقد تجلت قدرة الخالق سبحانه وتعالى فى أن جعل غاز الأوكسجين أساسا للحياة على سطح الكرة الأرضية فعند استنشاق غاز الأوكسجين من هواء الشهيق يجدد نقاء الدم فى الكائنات الحية ويكسبها القدرة على العمل ويخرج غاز ثانى أكسيد الكربون مع هواء الزفير ، كما أن غاز الأوكسجين يساعد على الاشتعال وينتج غاز ثانى أكسيد الكربون عن جميع عمليات الاحتراق.

ومن ناحية أخرى فإن غاز ثانى أكسيد الكربون الذى يتكون فى الغلاف الجوى تمتصه النباتات والأعشاب البرية والبحرية فى عمليات التمثيل الضوئى ثم تعيده الى الغلاف الجوى « أوكسجين » خالصا وهكذا تتكرر الدورة المستمرة لهذا الغاز فى الغلاف الجوى.

ومن فضل الله علينا أن جعل غاز الأوكسجين أثقل قليلا من الهواء ، وهو قليل الذوبان فى الماء ، ولذوبان الأوكسجين فى الماء أهمية كبرى اذ أن الحيوانات والنباتات المائية تستمد ما يلزمها من الأوكسجين المذاب فى الماء للتنفس . أى أن غاز الأوكسجين يعتبر أساسا للحياة.

ونظرا لأن الغازات الرئيسية المكونة للهواء الجوى (النتروجين والأوكسجين والأرجون) لا يتغير تركيزها فان التغيرات التى قد تحدث فى الهواء الجوى وبالتالى تؤثر على المناخ وأنشطة الانسان المختلفة تتوقف على تركيز الغازات المتغيرة (ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء والأوزون) والجسيمات العالقة بالجو .

وتتكون الجسيمات العالقة بالجو نتيجة للتفاعلات « الكيماوية والفوتوكيماوية » التى تتم بين الغازات المختلفة الموجودة فى الغلاف الجوى وعلى الأخص الغازات سريعة التغير وهى ثانى أكسيد الكبريت وثانى أكسيد النتروجين وكبريتيد الهيدروجين والأمونيا ، ولذلك كان من الضرورى مراقبة التغيرات التى تحدث فى تركيز هذه الغازات .

ويرتبط تكون وتوزيع السحب والأمطار ارتباطا وثيقا بطبيعة الجسيمات العالقة بالجو وتركيزها ، ويتعين الاتزان الحرارى ــ وهو الذى يحكم الدورة العامة للرياح ــ بطبيعة الغازات والجزيئات المتلفة الموجودة فى الغلاف الجوى وكميتها ، وتحدث أيضا الظواهر الجوية المختلفة (مثل العواصف الرملية أو الترابية ، الضباب أو الشابورة ... الخ) وتتوقف فترات حدوث كل من هذه الظواهر الجوية على تركيب الغلاف الجوى وخاصة الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى : أى طبقة الغلاف الجوى القريبة من سطح الأرض .

وسوف نتحدث عن هذه الموضوعات فى مقالات مقبلة بإذن الله تعالى .

د / ربيع سيد قولى



بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ • وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » ٣ ، ٤ الجاثية •

ان النباتات والحيوانات التى نراها من حولنا ليست كل ما يوجد من كائنات حية فى هذا العالم فهناك كائنات أخرى عديدة لا تستطيع العين ان تراها لصغرها وتسمى هذه الكائنات « الميكروبات » •

و « الميكروبات » أنواع كثيرة :

منها الميكروبات الحيوانية وهى حيوانات دقيقة جدا بعضها يعيش فى المياه الراكدة ، أو فى الأرض الرطبة وقد يعيش بعضها داخل جسم الانسان أو الحيوان مسببة أمراضا خطيرة مثل الملاريا والدوسنتاريا الاميبية •

ومنها الميكروبات النباتية : وتنقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية :

هى الطحالب وهى تعيش فى الماء العذب أو الماء الملح أو الأرض الرطبة •

ومنها الفطريات : وهى كائنات نباتية دقيقة لا تحتوى على المادة الخضراء ، وبعضها نافع وبعضها ضار •

والقسم الثالث من اقسام الميكروبات النباتية « البكتريا » وهى من أهم الميكروبات النباتية وتوجد بأعداد هائلة على سطح الأرض وفى التربة وفى الهواء وفى الماء ، وفى الغذاء وهى أنواع عديدة وتصيب الانسان بالكثير من الامراض مثل الدفتيريا والسل وبعضها نافع تقوم عليه بعض الصناعات • وسوف نتعرض بمشيئة الله لبعض المظاهر الرائعة فى تأثير هذا الكائن الدقيق جدا على حياتنا لندرك أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أى شىء مهما صغر شأنه الا لحكمة بالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون •

انتشار « الميكروبات » :

« الميكروبات » تتعلق بذرات الاتربة

للمهندس محمد إبراهيم حسين

المنتشرة في أي مكان وأحيانا تنتشر في الهواء بمفردها دون الاستعانة بذرات التراب نظرا لصغر حجمها ووزنها . فالعالم كله ميدانها .. الهواء الذي تستنشقه .. الطعام الذي تأكله .. الماء الذي تشربه والادوات التي تستعملها، وهي تعيش في الملابس والفم والامعاء وتتسلل دون أن نراها الى كل مقومات حياتنا بل وتصاحبنا من المهد الى اللحد لا تتركنا ونحن أحياء ولا تبقى على أي كائن حي عندما يموت. ؛لا تخلو بقعة أرض منها في أعالي الجبال تجمدها وفي أقطاب الأرض تعيش وفي أعماق البحار والمحيطات تنتظر الضحايا حتى في المناجم وفي آبار البترول تعيش وتتكاثر .

ما أعظم هذا الاعجاز في الخلق وهذه القدرة الالهية على (تأقلم) الكائنات في جميع أنواع البيئات وفي جميع الظروف !!

ويختلف انتشار (الميكروبات) باختلاف الأماكن التي تعيش فيها فهي كثيرة في المدن التي يثار غبارها قليلة في الريف وفي أعالي الجبال وفي الهواء الذي يأتي من جهة البحار والمحيطات .

وقد أجرى بعض العلماء عزلا للميكروبات التي تنتشر في الهواء لاحصاء هذه الميكروبات فوجدوا أن كل متر مكعب من هواء المدن ينتشر فيه ما بين ألفين ٢٠٠٠ الى ستة آلاف ٦٠٠٠ ميكروب بكتيري فقط . أما اذا كانت حركة المدنية صاخبة غبارها دائم الاثارة فان العدد يرتفع الى حوالي مليونين في كل متر مكعب من هوائها . والأتربة التي تتراكم في الشوارع تموج بالميكروبات وجراثيمها فلو أخذنا كليو جراما واحدا من هذا التراب لوجدنا فيه عددا رهيبا قد يصل الى حوالي ٥٠ الف مليون كائن دقيق من تلك الميكروبات !!

والانسان في المتوسط يستنشق حوالي ثلث قدم مكعب من الهواء كل دقيقة وتتوقف جرعة الميكروبات التي يستنشقها على المكان الذي يعيش فيه حيث يتراوح ما بين ميكروب واحد كل عشرين دقيقة الى ٦٠ الف ميكروب في كل شهيق في الأماكن المغلقة .

ومع كل هذه الاعداد فاننا لا نحس دائما بتدمير هذه الميكروبات نظرا لأن بعضها غير ضار وكذلك بسبب الجهاز الرائع الذي زود الله به أنف الانسان مما جعله من أكفأ أجهزة الترشيح حيث يستطيع التصميم البديع في الانف أن ينقى الهواء الذي نستنشقه مما به من ميكروبات وهو يعمل كمرشح دقيق حتى لا تصاب الحنجرة أو القصبة الهوائية أو الرئتان بالتهابات مزمنة اذ لا تتحمل أنسجة الرئتين الحساسة غزو هذه الميكروبات .

ولكن أخطر ما نخشاه من هذه الميكروبات

◄

انواع تخصصت فى اصابة اعضاء خاصة من الجسم بأمراض خطيرة منها السل والكوليرا وغيرها وكلها تدخل عن طريق الطعام او الشراب او الهواء الذى نستنشقه

ولكن رحمة الله عز وجل بعباده تظهر دائما جنبا الى جنب مع مظاهر قدرته جل وعلا فقد خلق لنا الله سبحانه داخل الجسم خطوطا دفاعية من نوع فريد وحرس خاص يتجول بالليل وبالنهار بالملايين يتربص الغزو الذى يأتيه من البكتيريا المستعمرة للاجسام ودائما يحدث صراع بين القوتين فان ضعف الجسم غزته الميكروبات وتغلبت عليه ولكن رحمة الخالق بعباده لم تقف عند هذا السلاح الأول فقط وانما حبته بخط دفاعى آخر يستطيع جسم الانسان أن ينشئه اذا حدث الغزو وهو ما يطلق عليه اسم « الأجسام المضادة » وهى سلاح يختلف باختلاف نوع الميكروب المهاجم للجسم فلكل نوع أجسام مضادة معينة تبقى فى الجسم بعد ذلك لتكسبه مناعة دائمة .

وهكذا يتضح لنا قدرة الخالق العظيم

بعض فوائد الميكروبات :

ليست كل الميكروبات ضارة فلبعضها فوائد فبعض أنواع البكتيريا يشترك فى صناعة الأسمدة حيث يكون لـ « نتروجين » الهواء الطليق ميكروب متخصص يتلف غاز (النتروجين) من الهواء ويحبسه على هيئة مركبات (نتروجينية) بسيطة تبنى بها بعد هذا (بروتيناتها) ثم تموت وتتحلل بواسطة أنواع أخرى من البكتيريا لتضيف الى التربة خصوبة تستفيد بها النباتات.

وتستفيد النباتات ببعض الفيتامينات التى لا تستطيع أن تصنعها لنفسها ولكن الميكروب يستطيع هذا ويتركها لجذور النبات بين حبيبات التربة فيمتصها ويستفيد بها بصورة نقية وتزيد من محصوله ومن أمثلة ذلك فيتامين (ب ١٢) وفيتامين (ب ٢) .

وتشارك الميكروبات ــ مشاركة فعالة ــ النباتَ والحيوانَ فى الامداد بغاز ثانى أكسيد الكربون وهو حجر من أحجار البناء فى النبات فهو الذى يدخل مع الماء فى عملية تصنيع ضخمة تنتج منها المواد السكرية والنشوية وغيرها مواد عضوية ولكن نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الهوائى محدودة (٠٣ر٪) وقد ينضب اذا لم تشاركنا الميكروبات فى اطلاق سراحه من المواد العضوية التى تعود الى الأرض كبقايا أحياء .

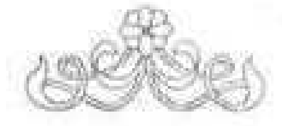
وقد قدر ما ينطلق من ثانى أكسيد الكربون بواسطة الميكروبات التى تعيش فى فدان واحد من الأرض الزراعية بحوالى ٣ ملايين لتر فى العام الواحد . اذن فالأرض ليست ميتة كما يظن البعض ولكنها تزخر بالنشاط والحياة !!

ما أروع هذا الخلق الدقيق العظيم كل له مهام محددة يقوم بها على خير وجه وفى أدق صورة وتوقيت ورغم ذلك فاننا لا نراه بالعين المجردة .

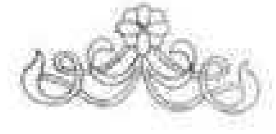
ترى : كيف يطمع الكافرون أن يروا الله جهرة ، وقد عجز تكوينهم عن رؤية ابسط خلقه .

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما :



من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر



مجلة الازهر من خمسين عاما

أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية

للأستاذ صادق إبراهيم عرجون
رحمه الله

الثقافة مطلب كل عاقل ، وأمل كل ناشد للمعرفة ، وغاية من يريد الرقى بعقله وفكره :

والثقافة فى الأصل حرة مطلقة لاتحدها حدود . ولا تمنعها حواجز . وهى نتاج التفكير الراقى المنظم ، ومحصلة البحث الحر النزيه .

والثقافة الاسلامية ركيزة وأساس للثقافة العامة ، هى الأم التى تغذيها بلبان الاستقامة . والبعد عن الجنوح . وتظل هكذا ما لم تطعم بفكر معين أو (أيدولوجية تمليها اعتبارات حزبية عندئذ يكون الاسلام بريئا مما شابها ومن هنا ترى أن الثقافة الاسلامية عاشت ومازالت تعيش فى معظم أفكار العالم الاسلامى نظيفة لا تشوبها شائبة لانها تنهل من معين كتاب الله وسنة رسوله .

فما أسرع نقاءها من الدخيل وما أكثر عطاءها وسعتها فقد شملت نواحى الحياة الانسانية وبحثت أدق أمورها وتناولت أخص شئونها . وغاصت فى أعماق النفس فالهمت المفكر والفيلسوف والعالم والفنان ورسمت لهم الطريق السليم لانتاج كل ما ينفع ويفيد ، وكان لها أثر عظيم فى امداد المسلمين بكل جديد طريف وما ذلك الا لان الثقافة الاسلامية نشأت مستقلة لا تخضع لتوجيه أو رقيب لأن أصولها من السماء وما كان من السماء لا يطاوله او يدانيه ما يعلق بالارض .

قال الأستاذ الشيخ صادق عرجون ـ رحمه الله ..

إعداد وتقديم
عبدالفتاح حسين الزيات

اذا حدثت فصدقك التاريخ الصحيح ، ارتفعت درجة حديثك الى رتبة الحقائق الصادقة البينة ، وكان مشمولا بالقبول ممن والاك أو خالفك فى الرأى أو فى العقيدة ، وكنت فى هذا الحديث « صادقا » منصفا تقول الحق وتهدى السبيل .

اذ التاريخ شاهد صدق وحكم عدل ، لا يبقى فى كتابه مسطورا تحت عنوان « الحق » الا ما كان ثابتا ثبوتا يرتاح اليه العقل النير ، وتؤمن به الفطر السليمة ، وتطمئن الى الحديث عنه القلوب الطاهرة .

أفلست تراه يدأب على كشف القناع عن وجه كثير من الأساطير كانت نازلة منزل اليقين عند كثير من الأمم ، فيجعلها تبدو كما هى خيالات لا تلبث اذا شع عليها قبس من نور البرهان أن تذهب بددا ؟؟ . أو لست تراه يحفظ فى ثنايا سطوره حقائق لم تصل العقول الى غورها ، فبقيت ثابتة رغم ما عصف عليها من عواصف الفكر وتقلبات الزمن ؟؟ وذا هو العلم يكشف عنها الستار فتبدو ناصعة جلية .

فاذا تحدثنا عن الثقافة الاسلامية وأثرها فى النهضة العلمية وتطور الفكر الانسانى ، فانما نعتمد على رواية التاريخ الصحيح ، ليستبين للناظر هذا الأثر الذى أنكره بعض من جفوا الاسلام ، وتجاهله شباب المسلمين أو جهلوه ، فراحوا يترسمون خطى قوم استخف بهم الغرور واستحوذ عليهم ما ألموا به من بعض تعاليم الغرب ، المامة لم تصادف من قلوبهم عقيدة راسخة ، ولم تلق فى أفئدتهم يقينا قويا ، ولم تجد من نفوسهم ايمانا بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فضربوا فى مهاوى الشك والاستهتار بالعقائد والآداب والأخلاق والعلم النافع ، فكانوا من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الثقافة :

ثقافة كل أمة ما تستمسك به من دين وأدب وأخلاق وعادات ، وتعاليم حكمية أو سياسية أو اجتماعية ، تأخذها عن فلاسفتها وعلمائها وذوى الرأى فيها .

فليونان ثقافة تجدها فى تعاليم « سقراط (١) » و « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » و « فيثاغورس » وغيرهم من حكماء هذه الأمة .

وللمصريين الأولين ثقافة تنبئك عنها هذه الهياكل والمقابر الهرمية .

وللآشوريين والبابليين ثقافة تحدثك بها الاستكشافات الأثرية .

وللهند ثقافة تقرؤها فى طقوس «برهما(٢)» و « بوذا » الدينية .

وللصين ثقافة تراها فى تعاليم حكيمهم « كونفشيوس (٣) » ومن أخذ عنه ، وللفرس

ثقافة تحتويها كتب « زرادشت (٤) » و « مانى (٥) » .

وللرومان ثقافة أبعدها أثرا فى الحياة علم الحقوق والتشريع الوضعى على أساس الواهوم المعروفة .

وللسريانيين والكلدانيين ثقافة عرفت فى تاريخ حكمائهم وآثارهم .

وللعبرانيين ثقافة أساسها التوراة ومايتصل بها من شرح أو تأليف .

وللعرب قبل الاسلام ثقافة تظهر فيما نقل عنهم من علم التطبيب وسير النجوم ومعرفة الأنساب وقص الأثر وقصص السير وغيرها مما اقتضته حياتهم البدوية ، ومما أصابه (المناذرة ـ والغساسنة) من حضارة الفرس والرومان بمقتضى الجوار .

هذه كلها أمم يحدثنا التاريخ عن ثقافاتها وثقافات غيرها ، وأنها كانت حينا من الدهر تتنازع قيادة الفكر ، وتستبق الفضل فى الحضارة ، وتدعو الى استنارة العقول ، ومهما يكن من أمر اصابتها لهدف الحقيقة فيما تثقفت به أو عدم توفيقها ، فانا نتساءل أين هى هذه الثقافات ، وأين هو أثرها فى نهضة العلم وتطور الفكر ؟؟ .

البقاء أمارة الحياة ، واستمراره دليل قوتها ، فلا بقاء فى هذا العالم الا لموجود يحمل بين جنبيه قوة معنوية ، وروحا قوية ، تدافع أعاصير الحياة وغير الزمن ، فلو أن هذه الثقافات الغابرة كانت بهذه المثابة من القوة والحياة ، اذن لبقيت واستمرت مع تطور الحياة ، ولكنها كانت قليلة الحظ من هذه القوة فذهبت مع الذاهبين كأن لم تغن بالأمس ! .

الثقافة الاسلامية :

الثقافة الاسلامية موضوع بعيد الغور واسع الأرجاء متعدد النواحى ، ليس فى استطاعة أحد كائنا من كان أن يحصرها فى شأن من شئون الحياة ، فهى كما عنيت بالشئون الدينية التهذيبية والأدبية والعلمية واقامتها على دعائم ثابتة وأصول قوية ، كذلك عنيت بالنواحى المدنية التعميرية والاجتماعية النظامية ، فأسستها على أركان من العدل والعمل الصالح المثمر والجهد المستقيم .

والذى أحاول التحديث عنه هو ما يقصه علينا التاريخ من أثر هذه الثقافة الاسلامية ، فى تغذية الفكر الانسانى ، ومسايرة التطور العلمى ، فأجلو صفحة من الحقيقة أضعها أمام نظر اخوانى من شباب المسلمين تبصرة وذكرى ، عساها أن تحرك فيهم العزة والشمم ، وتدفعهم الى النظر فى تاريخ أسلافهم الأكرمين ، فيعلموا أنهم فيما يدرسون من سير غير سير أبطال الاسلام وحكمائه وعلمائه مخدعون أريدوا على البعد عن هذا الخير ، فكانوا أسلس قيادا فى أيدى الزائغين منهم فى أيدى الناصحين الراشدين .

سطع « نور الاسلام » على وجه المعمورة فلم يلف من ثقافات الأمم الغابرة شيئا مذكورا ، الا أمشاجا من حكمة اليونان ، وآداب الرومان ، وتعاليم المسيحية على

ما أصابها من تحريف . لجأت الى مدرسة الاسكندرية على أثر حملة عنيفة حملها الملك (غوستنيان) على الفلاسفة والحكماء انتصارا منه لآراء الكنيسة الغربية التى كان من قواعدها يومئذ اضطهاد العلم والعلماء ، والقسوة على الحكمة والحكماء ، ففر من وجه العسف الرومانى جم غفير من الفلاسفة ، أم بعضهم الاسكندرية ، وأرغمتهم طبيعة الحوادث على ولوج معمعة النزاع الكنيسى ، فاستعملوا النظريات الفلسفية للدفاع عن آراء فريق من المسيحيين ، حتى امتزجت نظرياتهم بهذه الآراء وكان منهما مذهب (الأفلاطونية الجديدة) وهو مذهب كنيسى أكثر منه فلسفي ، وهكذا أخذ أثر الثقافة القديمة يتضاءل أمام جور المتعصبين من حكام الرومان ، وقتلهم العلماء والحكماء بغير حق ، والفرس والرومان هما الدولتان اللتان بقيتا تتذوقان طعم الحياة الى ذلك الحين .

تم بناء الاسلام الشامخ فى أقل من ربع قرن ، أكمل الله فيه على خير أمة أخرجت للناس دينها ، وأنزل على نبيها الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** ايذانا منه جل شأنه بأن هذا الخير ليس بعده من لدن السماء خير من استمسك بعروته الوثقى رشد واهتدى ، ومن تخلت عنه ضل وغوى ، فكان ذلك حافزا لأصحاب رسول الله ﷺ على استظهار القرآن الكريم — وهو المنبع الفياض بأسرار الكون — واستنباط ما حوى من حكم وأحكام ، مسترشدين بسنة النبى عليه الصلاة والسلام بأذهان سيالة وقلوب واعية ، فنبغ فيهم العلماء والحكماء ، وظهر من بينهم القواد والأبطال ، ونهد فى صفوفهم الساسة الذادة ، وأشرف على حياتهم أئمة قادة ، فكانوا — وهم نيفومائة ألف — شمس الدنيا وريحانة الحياة الفاضلة .

للثقافة الاسلامية مرحلتان :

المرحلة الأولى

تبتدىء المرحلة الأولى للثقافة الاسلامية من مشرق « نور الاسلام » ، وتنتهى بقيام الدولة العباسية ، وفى هذه المرحلة تتجلى عظمة الاسلام ، وتبدو ثقافة تستمد نورها من مشكاة الذكر الحكيم .

امتازت هذه المرحلة بشىء يعده الباحثون من أعظم ما سجل التاريخ . ذلك أنه فى زمن لا يتجاوز عشرين عاما وضع رسول الله ﷺ أساسا قويا للدولة الاسلامية من الأمة العربية ، التى كانت متفرقة شيعا وأحزابا ، فوحد أفخاذها وجمع شمل قبائلها تحت راية القرآن الخفاقة ، حتى كانت منهم أمة حملت علم الثقافة وضربت فى الأرض تؤدى الأمانة ، وتبلغ العالم أجمع رسالة الرسول الأعظم خاتم النبيين ، ففتح الله عليها من الممالك والأقطار فى قليل من الزمن ما على مثله تحطمت سيوف الأكاسرة والقياصرة ، ولا ننسى هنا أن نذكر السر فى هذا النصر المبين ،



وتقارن بين معاملة المسلمين للأمم المغلوبة على أمرها من الرفق والرحمة والحرية التامة ، وبين ما لطخ به التاريخ وجه المسيحية القاسية أيام (دواوين التفتيش) وفظائعها التي تقشعر منها الجلود ، وأيام الحروب الصليبية من القسوة المرة والفظاعة الوحشية ، وهذا مما يعترف به المنصفون من علمائهم ومؤرخيهم .

قال الكونت « هنري دي كستري » في كتابه (الاسلام ـ سوانح وخواطر) : (ان أتباع محمد « ﷺ » هم وحدهم الذين استطاعوا الجمع بين الرفق في معاملة مغلوبيهم والرغبة في انتشار دينهم ، وهذه الرغبة هي التي دفعت العرب الى الفتوحات العظيمة فنشر القرآن رايته خلف جيوشه المظفرة ولم يخلفوا في طريقهم أثرا للجور) .

وقال فيلسوف فرنسا « غوستاف لوبون » : (من ينظر الى أخبار معاملة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأهل بيت المقدس يعلم علم اليقين أن العرب كانوا يبالغون في حسن معاملة مغلوبيهم ، وهذا يباين تمام المباينة معاملة الصليبيين للمسلمين في بيت المقدس أيام الحروب الصليبية) .

وقد تجلت في هذا العصر العبقرية الحربية؛ وهي ضرب من ضروب الثقافة عند الأمم الحية، فأنجبت جيوش المسلمين ـ وهي مدارسهم العسكرية ـ أبطالا فخاما وقوادا باسلين ، وحسبك في الحديث عنهم فخر الاسلام وسيف الله أبو سليمان خالد بن الوليد ، وبطل القادسية سعد بن أبي وقاص ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وحب رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ، وفاتح مصر عمرو بن العاص وغيرهم من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قارن هذه النهضة الحربية نهضة أدبية .

والأدب مقياس حضارة الأمة وميزان رقيها ـ فنبغ من المسلمين الخطباء المصاقع والشعراء المبدعون والكتاب المجيدون ، وكان هذا العصر للغة العربية ميدان فضلها ومظهر أسرارها وثوب جدتها ، وهذه نهضة أحدثها القرآن العظيم ، لأن العرب لم يأتهم الله من الفضائل على كثرتها فيهم أفضل من الفصاحة اللسانية والقوة الخطابية ، فكان أسمى شيء اعتزوا به وتسابقوا للمفاضلة في حلبته انما هو الحياة اللغوية ، وللمفاخر فيها والتفنن في أساليبها أقاموا مدارس (عكاظ وذي المجاز) وسواهما ، فما جاءهم القرآن الكريم بأسلوبه الفخم ولفظه الجزل واعجاز تراكيبه حتى شعروا أنهم أمام كتاب لا عهد لهم بأسلوبه ولا طاقة لهم ببلاغته على عظم ما وصلوا اليه في هذا المضمار ، وأدركوا أن القرآن أتى ببلاغة تسمو على متناول ألسنتهم فقنعوا بالاقتباس منه ، وفطنوا الى موضع العبرة فيه والاستفادة من علو انسجامه وفصاحة نظمه ، والاغتراف من منهله العذب ومعينه الذي لا ينضب ، فاتجهت اللغة العربية اتجاها جديدا ودخلت في دور التأليف والتدوين ووضعت في قواعد علومها الكتب والدواوين ، وتذاكر الناس النحو والصرف وعلوم البلاغة

والأدب ، فأينما توجهت وفى أى بلد اسلامى حللت شعرت أنك فى جامعة أدبية علمية زاهرة .

وظهر فى فجر هذه المرحلة نوع من الثقافة الاجتماعية لم يشهد التاريخ بمثله لأمة من الأمم ، نعنى به ذلك النظام الذى ابتدعه الاسلام ورمى من ورائه الى بث روح المساواة والوحدة العالمية التى جاء بها القرآن الحكيم ، فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).

وغرسها النبى ﷺ فى نفوس الأمة حتى كانت الوصية بها فى آخر مواقفه العامة فى خطبة الوداع ، حيث يقول : (أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى) .

وكانت أولى خطوات الصديق رضى الله عنه فى أول خطبة خطب بها المسلمين بعد ارتقائه أريكة الخلافة اذ يقول : (أيها الناس انى وليت أمركم ولست بخيركم) . وكان مظهرا أسمى لها حياة الفاروق ثانى الخلفاء وأول الأمراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى نفخ فى الأمة الاسلامية أفرادا وجماعات روح الاعتداد بالنفس ، بقوله فى احدى خطبه وهو أمير المؤمنين : (من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه) ، فقام اليه رجل وقال : (والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فحمد الله الفاروق على أن جعل فى أمة محمد ﷺ من يقوم اعوجاج أميرها لو رآه .

وهل ذكر التاريخ فى جميع عصوره أن المرأة أوتيت قسطا من العلم والحرية تقف بهما فى وجه الخليفة تحاجه وهو يخطب فى تخفيف مهور النساء ، حتى يقول على مرأى ومسمع من عامة المسلمين (أخطأ رجل وأصابت امرأة) ؟؟ لعمر الحق ان هذا ضرب من التربية النفسية ـ لم يقصص التاريخ أن أمة تعاطته فى حياتها ـ نشأهم عليه القرآن العظيم تنشئة سادوا بها الأرض وقادوا الممالك ، ولم يحدثنا التاريخ من مبدأ الخليقة الى عصرنا هذا الذى يتشدق فيه المتفقون لقشور الغرب بما سموه (الديمقراطية) أن سيدا مطاعا وأميرا معظما وخليفة اذا قال فعل ، ملك شرق الأرض وغربها بجيوشه المظفرة كسيدنا عمر بن الخطاب يخطب رعيته بهذا القول الذى يبعث فيها حياة العزة والكرامة ، ويجعل لكل فرد منها مهما صغر مقامه حق الملاحظة على الخليفة وحق نقد أعماله وتصرفاته . هذا هو الكمال الاجتماعى الذى يجب أن تتربى به الأمم التى تريد بحق أن تتبوأ مكانتها تحت السماء .

ومن مفاخر الاسلام فى عصره الأول هذه التربية الفاضلة التى تربت عليها المرأة المسلمة فكانت المثل الأعلى فى الكمال النسائى ، يجد منها الزوج شريكة فى الحياة صالحة ، ويجد فيها الأولاد أما رؤما ، تغذيهم بالعلم وتثقفهم بالأدب ، يحيط بها سرادق العفاف ويزينها الحياء . يطالعنا التاريخ بالحالة السيئة التى كانت عليها المرأة قبل



الاسلام فى جميع الأمم .

فلما جاء الاسلام أفسح للمرأة مكانتها فى الحياة وفتح لها باب العلم على مصراعيه ، وأشركها مع الرجل فى خطاب التكليف بما يتفق مع تركيبها الجثمانى ، بل صرح القرآن الكريم بأنها هى والرجل سواسية فى الحقوق والواجبات فقال : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) ، وهذه الدرجة هى درجة القوامة بالانفاق والحماية المذكورة فى آية أخرى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) وهذا ارفاق بها ورحمة ، وقد فهم المسلمون تقدير القرآن لمقام المرأة فكانوا يعاملونها بمنتهى الرقة والعطف مادامت حافظة للغيب بما حفظ الله قائمة على حدود الدين والفضيلة ، حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول : (انى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى) ، فهل رأيت اخلاصا للمرأة واحتراما لها مثل هذا الصنيع ؟؟ .

شعرت المرأة المسلمة بوجودها فى الحياة وقدرت انسانيتها ، وشاركت الرجل فى العلوم والآداب ، حتى نبغ من النساء المسلمات كثيرات كن مرجعا للعلماء والأدباء ، أما أم المؤمنين (الحميراء) السيدة عائشة رضى الله عنها فهذه واحدة الدنيا علما وفضلا ، فما أشكل على المسلمين شىء من القرآن والحديث وأدب العرب وسير الماضين الا وجدوا عندها به علما . وأما ذات النطاقين السيدة أسماء أختها فما قامت النساء على مثلها يقينا وحزما وصرامة فى الحق ، فهل سمعت عن امرأة يدخل عليها ولدها وقرة عينها ليتعرف صبرها على فقده اذ يقول لها : (يا أمه خذلنى الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى الا من لا دفع عنده الا صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟؟) ، فتقول له أخرج الى القتال ان كنت تعتقد أنك على الحق ، والله لضربة بسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل ، فيقول لها : أخشى أن يمثلوا بى بعد قتلى ، فتقول له : يابنى ان الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ ؟؟ . تلك هى أسماء بنت أبى بكر الصديق وابنها عبد الله بن الزبير ، وهل سمعت بامرأة ينعى اليها أولادها خرجوا ليجاهدوا فى سبيل الله فتقول : الحمد لله الذى شرفنى بشهادتهم فى سبيل الله ؟؟ تلك هى الخنساء شاعرة العرب وأديبة المسلمات ، هذه مثل من نفوس رباها الاسلام ، فهل علم المجددون أنهم عن الصراط السوى ناكبون ؟؟.

وأجل ما لهذه المرحلة من المحامد أن الثقافة الاسلامية فيها كانت كذلك فحسب ، وبعبارة أدق أنها كانت اسلامية المنشأ عربية التفكير والتربية ، فلم يكن للمسلمين عهدئذ مورد يستقون منه ثقافتهم غير القرآن الحكيم وما علمهم النبى ﷺ من الحكمة ، ولم يكن قادة الفكر يومئذ غير العرب أو المستعربين الذين درجوا فى أحضان تعاليم الاسلام

ولم يرتضوا لسواه شعيا ولم يأخذوا عن غيره أدبا ، فهو أصدق العصور للتعبير عن الثقافة الاسلامية وهو الدليل الناهض على أن للاسلام ثقافة مبتكرة مستقلة تستمد نورها من وحى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، دون أن يكون لأية أمة من أمم الأرض على المسلمين يد فيها ، اذ لم يكن قد فتح على المسلمين باب النقل والترجمة عن علوم الغابرين ، فكان للمسلمين فقه اسلامى أوسع ما عرف فى علوم التشريع والاجتهاد ، وأصحه نظرا وأصدقه مخرجا ، وها هى مؤلفاتهم شاهد ناطق على صفاء أذهانهم واستنارة أفكارهم .

فهل قرأت فى « مدونة » مالك بن أنس رضى الله عنه ، وعرفت كيف كان نظر أئمة المسلمين فى المسائل وتخريج أحكامها بما ينطبق على مصلحة المجتمع ونظام الحياة ؟؟ وهل نظرت فى كتاب « الخراج » لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله ، وعلمت الى أى حد وصل المسلمون الأولون من سعة العلم وقوة الادراك ؟؟ وهل اطلعت على كتاب « الأم » للشافعى رحمة الله عليه ، فتطمئن الى الايمان بعظمة علماء الاسلام ، ويظهر لك سخف ما يزعمه خصوم الاسلام من أن الفقه الاسلامى أخذ شيئا من مبادىء الفقه الرومانى . لندع فقهاء الشام والعراق ومصر ، ولننظر الى فقهاء الحجاز فى القرنين الأولين : فمن أى طريق وصل الفقه الرومانى الى المدينة المنورة فأخذ عنه الامام مالك وأصحابه هذا التشريع البديع ؟ ومن أى السبل انتهى هذا الفقه الى فقهاء مكة المكرمة فاستفادوا منه كما يزعم الزاعمون ؟؟ اللهم ان هذه فرية ما فيها مرية ، وأقاويل يذيعها الذين نفسوا على الاسلام فضائله ومزاياه .

عبد الفتاح حسين الزيات

---

(١) المجلد الاول .

(١) فيلسوف يونانى كان ينهج فى بحثه طريقة المحاورة . وافلاطون اجل تلاميذه . وأرسطو طاليس افضل تلاميذ افلاطون . اما فيثاغورس فهو فيلسوف عظيم كان يعيش فى القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذى استخرج بذكائه علم الالحان وتأليف النغم ومن حكمته اقتبس سقراط .

(٢) اليه تنسب الديانة الهندية القديمة المعروفة وفى بعض الكتب انه اسم من اسماء الله تعالى باللغة السنسكريتية وكتابه المقدس عند اتباعه يسمى (الفيدا) . وبوذا لقب لمؤسس الديانة البوذية ومعناه بلغتهم العالم الكامل .

(٣) عالم صينى وفيلسوف قديم .

(٤) حكيم الفرس ومؤسس ديانتهم القديمة . قال الشهرستانى : وكان أبوه من (اذربيجان) وأمه من (الرى) . وفى زمنه خلاف كثير والأرجح عند رجال التاريخ انه كان يعيش فى القرن السادس قبل الميلاد . وله كتاب مقدس عند الفرس يسمى (ايستاق) وهو عبارة عن مجموع عدة كتب تنقسم الى ثلاثة اقسام . الاول : فى العقائد والعبادات . والثانى : فى المعاملات . والثالث : فى الفلسفة والعلوم .

(٥) مانى بن فاتك الذى ظهر فى زمان شابور بن أزدشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن شابور ومذهبه خليط من النصرانية والمجوسية .

كتاب الإعلام فى فوائد عمدة الأحكام "١" لابن الملقن

قبل أن نتكلم عن كتاب — الاعلام ، فى فوائد عمدة الأحكام يجدر بنا أن نشير الى كتاب (العمدة فى الاحكام) فى معالم الحلال والحرام ، عن خير الأنام للامام (٢) الحافظ تقى الدين ابو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور ، المعروف بالجماعيلى ، المقدسى الدمشقى الحنبلى .

ولد فى (جماعيل) سنة (٥٤١ هـ ١١٤٦ م) وتوفى بمصر سنة ٦٠٠ هـ ١٢٠٣ م .

وهو حافظ للحديث من العلماء برجاله له مؤلفات منها .

« الكمال فى أسماء الرجال » و « الدرة المضيئة فى السيرة النبوية » و « المصباح » ثمانية وأربعون جزءا .

وقال الشيخ العالم تقى الدين الجماعيلى ، قدس الله روحه ونور ضريحه فى مقدمة كتابه « العمدة » « الحمد لله الملك الجبار ، الواحد القهار ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار ، وصلى الله وسلم على النبى المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

اما بعد : فان بعض اخوانى سألنى اختصار جملة من أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الامامان محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، فأجبته الى سؤاله رجاء المنفعة

وأسأل الله أن ينفعنا به ومن كتبه أو سمعه أو حفظه أو نظر فيه ، وأن يجعله خالصا لوجهه وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبدأه بقوله (كتاب الطهارة) .

أما كتاب (الاعلام فى فوائد عمدة الاحكام) فهو شرح (العمدة فى الأحكام) لابن الملقن وهو (٣) العالم عمر بن على بن أحمد

(١) النسخة بمكتبة الأزهر برقم خاص ٣١٤٩ عام ٤٢١٨١ علم الحديث بمكتبة الشيخ العروسى.

(٢) الاعلام للزركلى ٥ ؛ ٤ ص ١٦٠ .

(٣) الاعلام للزركلى حـ ٥ ص ٢١٨ .

للأستاذ محمد عميرة على

الأنصارى الشافعى ، سراج الدين ، أبو حفص بن النحوى ، المعروف بابن الملقن : من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال . أصله من وادى آش (بالاندلس) ومولده ووفاته فى القاهرة .

فقد ولد سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) .

وتوفى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) له نحو ثلاثمائة مصنف ، منها .

« اكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » و « التذكرة فى علوم الحديث » و « الاعلام فى فوائد عمدة الأحكام » و « ايضاح الارتياب فى معرفة ما يشتبه ويتصحف من الاسماء والأنساب » و « التوضيح لشرح الجامع الصحيح » و « خلاصة البدر المنير » فى تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعى ، و « خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوى » و « المقنع فى علم الحديث » و « شرح زوائد مسلم على البخارى » .

وقال عنه الضوء اللامع جزء ٦ ص ١٠٠ : وممن أخذ عنه (البرهان الحلبى) قال فيه انه كان فريد وقته فى التصنيف وعبارته فيها جلبه جيدة ، وغرائبه كثيرة وشكالته حسنة ، وكذا خلقه مع التواضع ، والاحسان ، لازمته مدة طويلة فلم أره منحرفا قط وذكر أنه رافقه فى رحلته الى دمشق وأنه كان منقطعا عن الناس ، لا يركب الا الى درس أو نزهة ، وكان يعتكف كل سنة بالجامع الحاكم ، ويحب أهل الخير والفقر ويعظمهم .

وقال عنه الحلبى انه كان مديد القامة حسن الصورة يحب المزاح والمداعبة مع ملازمة الاشتغال والكتابة حسن المحاضرة جميل الاخلاق كثير الانصاف ، شديد القيام مع أصحابه موسعا عليه فى الدنيا مشهورا بكثرة التصانيف ، وكان عنده من الكتب مالا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس سيما الفاضلية ثم انها احترقت مع أكثر مسوداته فى أواخر عمره ففقد أكثرها وتغير حاله بعدها فحجبه ولده الى أن مات .

وقال فى معجمه انه قبل احتراق كتبه كان مستقيم الذهن ، وأنشده أحد الشعراء من نظمه مخاطبا له :

لا يزعجنك ياسراج الدين ان
لعبت بكتبك ألسن النيران
لله قد قربتها فتقبلت
والنار مسرعة الى القربان

وقال ابن الملقن مفتتحا شرحه بقوله :

الحمد لله الذى أتم الحمد واكمله ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة هى للفوز محصلة ، وللنجاة متكفلة ، وأن محمدا عبده ورسوله خير الخلق آخره وأوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، صلاة زاكية دائمة بكل زمن متصلة وبعد : فهذه نبذة مهمة على كتاب « عمدة الأحكام » فى

٥

أحاديثه عليه أفضل الصلاة والسلام ، خصصت الكلام عليها وحصرت الكلام في خمسة أقسام :

الاول : التعريف بمن ذكر من رواة الحديث وبيان حاله وضبط نسبه ومولده ووفاته على وجه الاختصار فاني أوردت هذا بالتصنيف وسميته (العدة في معرفة رجال العمدة) .

الثاني : في التنبيه على أحاديث وقعت في الكتاب من أفراد الصحيحين .

الثالث : بيان ما وقع فيه من المبهمات وقد ظفرت بغالبه ولله الحمد .

الرابع : في ضبط لفظه وبيان اعراب ما يشكل وغريبه .

الخامس : وهو المهم الاشارة الى بعض ما يستنبط من الحديث ومن الأصول والفروع والآداب وغيرها حسبما يتيسر بفضل الله ، ومنه مالا يجتمع في غيره ، والجمع بين مختلفها ، وايضاح ما فيه من الناسخ والمنسوخ والعام والخاص ، والمبين والمجمل وتبيين المذاهب الواقعة فيه ، وذكر وجهها ، وما يظهر منها على وجه الانصاف وما لا يظهر ، وأعرض عما فعله بعض الشراح من ايراد مالا يستدرك من ألفاظ الحديث ، كمن يأتي الى حديث جواز مسح الخف مثلا فيأتي ذلك الباب من غير أن تكون مستنبطة من الحديث الذى تكلم عليه ، وان أمكن فبطريق مستبعد واعرض أيضا عما فعله قوم من الاسترشاد في وجوه الاستنباط ، فان تعرضت له نبهت على بعده وعدم ظهوره ، وأنبه مع ذلك على ما وقع للشراح من المؤاخذات الى غير ذلك من الفوائد والفرائد .

وتكلم في نسب النبي صلى الله عليه وسلم لشرف الكتاب به ولمعرفته ، وذكر نبذة مختصرة عن حال مصنف هذا الكتاب المبارك الذى عم النفع به ، وكم من قاصد تحداه فلم ينل شيئا من مرتبته ، وهذا مما يدلك على صدق نية مؤلفه وعلو منزلته ، وتكلم ابن الملقن فشرح خطبة الجماعيلي على طريق الاختصار .

وبدأ المصنف بكتاب الطهارة لان أشرف أركان الدين بعد الشهادتين الصلاة ، ولابد لها من الطهارة فاستحقت التقديم ، ولأنها أحد شروطها ومفتاحها ، فأول ما يبدأ به المكلف من الشروط ، ثم ان الطهارة قد تكون بالماء فالتراب ، والماء هو الاصل فلهذا قدمه على التيمم والبخارى رضى الله عنه بدأ بالوحي .

ومالك بالصلاة ، ومنهم من بدأ بالايمان ، ومنهم من بدأ بالوضوء ، ومنهم من بدأ بالاستنجاء ، ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة عشر حديثا .

الحديث الاول : عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انما الاعمال بالنية وفي رواية بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أوامرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه .

وقال الكلام عليه من وجوه يحضرنا منها

اثنتان وثلاثون وجها :

أحدها : بدأ المصنف بهذا الحديث لأمور .

أحدها أنه قدم كتاب الطهارة لاشتماله على النية التي هي شرطها .

ثانيها : اقتدى بقول الأئمة كما نقلـــه الخطابي عنهم ينبغي لمن صـــنف كتابـــا أن يبتدىء بهذا الحـــديث تنبيها للطـــالب على تصحيح النية .

وقال ابن مهدى الحافظ من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحدث وقال لو صنفت كتابا لبدأت في كل باب منه بهذا الحديث :

ثالثها :اقتدى بفعلهم فان البخاري وغيره من المصنفين ابتدأوا به ، وقد ذكر البخـــاري في سبعة مواضع من صحيحه في أول كتابه ، ثم في الايمان ، ثم في العتق ، ثم في الهجرة ، ثم

في النكاح ، ثم في الأيمان والنذور ، ثم في ترك الحيل .

وتقديم البخاري لـــه في أول صـــحيحه لا مناسبة له على ما ترجمه في باب بدأ الوحي ، وانما قصد به اصلاح النية في تأليفه وامتثالا لقول ـ عبد الرحمن بن مهدى السالف فجعله فاتحة كتابه وأقامه مقام الخطبة لأبوابه .

ثانيها : في التعريف براويه قبل الكلام عليه هو أمير المؤمنين أبو حفص « وأول من كناه بذلك رسول الله ﷺ كما رواه ابن الجوزى عنه ، والحفص في اللغة « الأسد » عمر بـــن الخطاب بن نفيل بضم النون وفتح الفـــاء عبد العدى بن رباح بكسر الدال .. الخ .

الوجه الثالث : في من وافق اسم رواية من الرواة وينبغي أن يعلم أن في الرواة عمر بـــن الخطاب سبعة ـ أولهم أمير المؤمنين هـــذا

وثانيهم ـ كـــوفي روى عنـــه خـــالد بن عبد الله الواســـطي ، وثالثهم ـ راسي روى عنه سويد بن أبي حاتم .

ورابعهم ســـكندري حـــدث عن ضمام بن اسماعيل ، وخامسهم ـ عنبري روى عن ابيه عن يحيى بن سعيد الانصاري .

وسادسهم ـ سجستاني روى عن محمـــد العديانى .

وسابعهم ـ سدوسي بصري روى عن معمر ابن سليمان الى آخر ما ذكر من الأوجه التي أشرنا اليها .

وقال في كتاب الصلاة (بـــاب المواقيت) أصلها في اللغة : « الدعاء » بخير على مـــا صححه الأكثرون ، والمواقيت جمـــع ميقات والأصل (موقات) لانه من الوقت لميعـــاد . وميزان من الوعـــد والوزن . ســـكنت الواو وانكسر ما قبلها فقلبت ـ ياء ـ

قال الجوهري وهو الوقت المضروب للفعل والموضع . يقال هذا ميقـــات أهل الشـــام للموضع الذي يحرمون فيه . وذكر المصنف في الباب أحاديث الاول عن أبي عمر والشيباني واسمه سعد بن اياس قال : حدثني صاحب هذه الدار وأشار بيده الى دار عبد الله بـــن مسعود قال سألت النبي ﷺ أي العمل أحب الى الله .

قال : « الصلاة لوقتها » قلت ثم أي .

قال « بر الوالدين » قلت ثم أي ؟

قال : « الجهاد في سبيل اللـــه » قـــال : حدثني بهن رســـول الله ﷺ ولو استزدته

تزادني ،والكلام عليه من وجوه .

أحدها : أبو عمر هذا له ادراك فقط قال : أذكر أنى سمعت وأنا أرعى ابلا لأهلى بكاظمة خرج بتهامة فهو تابعى مخضرم ، وقد عد مسلم التابعين المخضرمين عشرين نفسا وأهمل جماعة منهم الأحنف بن قيس . وأبو مسلم الخولانى وعاش أبو عمر مائة وعشرين سنة، وكان يقرىء القرآن فى المسجد الأعظم قرأ عليه عاصم بن بهدله وهو مجمع على ثقته قال ابن حبان كأنه مات سنة احدى ومائة .

وقال أبو عمر سنة خمس وتسعين .

وقال الذهبى يقال سنة ثمان وتسعين .

ثانيها . الشيبانى . بالشين المعجمه نسبة الى : شيبان بن ثعلبة وتشتبه هذه النسبة بخمسة أشياء ذكرتها فى « مشتبه النسبة » فراجعها منه .

ثالثها : فى الرواة عمر اثنان هذا والنحوى الكبير وفى الرواة أيضا أبو عمر السبانى وهو والد يحيى أبى زرعه ... الخ

وقال فى باب الاعتكاف فى ختام كتابه هو فى اللغة لزوم الشىء وحبس النفس عليه خيرا كان أو شرا قال تعالى : « **فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ** » الآية وقال « والهدى معكوفا » أى محبوسا مكروما ، وانظر الى الهدى الذى ظللت عليه عاكفا « أى مقيما ملازما » .

وقال « **وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** » أى ملازمون .

وفى الشرع اقامة مخصوصة ويسمى جوازا أيضا كما هو ثابت فى الاحاديث الصحيحة والاعتكاف من الشرائع القديمة قال تعالى « **وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ** » وذكر المصنف فى الباب أربعة أحاديث منها :

الحديث الاول : عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه بعده . وفى لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى كل رمضان فاذا صلى الغداة جاء مكانه الذى اعتكف فيه ،الكلام عليه من وجوه .

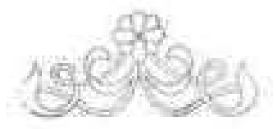
أحدها ــ فيه استحباب الاعتكاف وتأكده حيث واظب عليه حتى توفى رسول الله ﷺ والاجماع قائم على استحبابه ، وأنه غير واجب ، وأنه مؤكد فى العشر الأواخر من رمضان لأنه خاتمة الصيام ، ولعله يصادف ليلة القدر ، وقد أشعرتنا كذا استحبابه بقولها ثم اعتكف أزواجه بعده ، وبقولها فى كل رمضان .

الثانى : فيه استواء الرجل والمرأة فى شرعية الاعتكاف ، نعم ان كانت من وجه فلا يجوز الا باذن الزوج بالاجماع ، فلو اذن لها ثم منعها فقال : الشافعى وأحمد وداود له

البقية ص ١٠٠٨

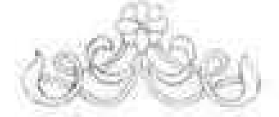
في اللغة والأدب والنقد

الوقف على الساكن والمتحرك غير المهموز



المنهج الإبداعي للآمدي الناقد

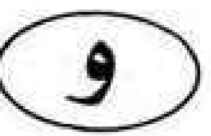
نظرات في بلاغة الفعل



أبو حيان التوحيدي



الوقف على الساكن



المتحرك غير المهموز

اما الساكن فلا يوقف عليه الا بالسكون ·

قال الرضى : وان كان آخر الكلمة ساكنا نحوكم ، ومن : فلا يجوز معه وجه من وجوه الوقف : بل تقف بالسكون ا هـ ·

والمتحرك حركة عارضة في حكم الساكن ، لأنها لا تكون الا في الوصل · فاذا وقفنا عليه ذهبت الحركة العارضة وعاد الموقوف عليه الى السكون فتعين الوقف عليه بالسكون، وذلك نحو : وقالت اخرج (ومن يشا الله يضلله) · (ولقد استهزىء) فالحركة في (قالت) و (يشا) و (لقد) عارضة لالتقاء الساكنين فاذا وقفنا عليها ـ وقفنا بالسكون : لانه الاصل ·

اما المتحرك حركة أصلية ـ فلك في الوقف عليه خمسة أوجه ـ عند تحقق الشروط ، وهى ، الاسكان ، الروم ، الاشمام ، التضعيف ، النقل ·

الاسكان : هو عدم الحركة : وعلامته (خ) فوق الحرف الموقوف عليه وهى حرف أول لفظ خفيف ، لأن الاسكان تخفيف (وقد رسمت في كتاب سيبويه هكذا ـ خ ـ) ، ولذلك جاز في كل متحرك الا في المنون المنصوب في لغة غير ربيعة ، أما ربيعة فقد عرفت أنهم يسكنون آخر المنون المنصوب عند الوقف ·

وذهب الجمهور الى أن الوقف بالاسكان متعين دون غيره عند الوقف على هاء التأنيث ، وميم الجمع ، والحركة العارضة ، وقد أجاز بعضهم الروم والاشمام في الثلاثة ، كما أجاز الاسكان ، وقد نسب لمكي من القراء جواز

الروم والاشمام فى ميم الجمع – راجع الشاطبية .

الروم : بفتح الراء – هو الاتيان بالحركة خفية لبيان الحركة التى تحرك بها آخر الكلمة فى الوصل – وذلك : اما حركات اعراب ، وهم بشأنها أعنى ؛ لدلالتها على المعانى فى الأصل ، واما حركات بناء كأين ، وأمس ، وقبل .

وعلامة الروم خط بين يدى الحرف هكذا (خالد ـُ) وسمى روما لأنك تروم الحركة مختلسا لها ولا تتمها ، ويدركه الأعمى الصحيح السمع ، اذا استمع لأن فى آخر الكلمة صويتا خفيفا . أ هـ شرح الشافية جـ ٢ ص ٢٧٥ .

والغرض منه بيان الفرق بين ما كان سكونه أصليا وما كان سكونه عارضا للوقف .

قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٨٢) وأما الذين راموا الحركة فانهم دعاهم الى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه اسكان على كل حال وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال أ هـ .

ويجيء الروم فى المضموم والمكسور : أما المفتوح فان كان منونا فلا خلاف فى أنه لا يجوز فيه الروم الا على لغة ربيعة التى تحذف التنوين وتقف بالسكون واذا لم يكن منونا : نحو رأيت الرجل ، وأحمد – فمذهب الفراء من النحاة أنه لايجوز روم الفتح فيه ؛ لأن الفتح لا جزء له لخفته ، وجزؤه كله ، وعند سيبويه وغيره من النحاة يجوز فيه الروم كما فى المرفوع والمجرور . أهـ الشافية جـ٢ ص ٢٧٥ .

قال سيبويه : وأما ما كان فى موضع نصب أو جر فانك تروم فيه الحركة وأما روم الحركة فقولك : رأيت الحارث ومررت بخالد (١) . أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٣ .

الاشمام : هو ضم الشفتين بعد الاسكان فى المرفوع والمضموم للاشارة للحركة من غير صوت ، ولذلك لا يدركه الأعمى .

وعلامته نقطة بين يدى الحرف هكذا (خالد •) لأنه أضعف من الروم اذ لا يتعلق فيه بشيء من الحركة بخلاف الروم ، والنقطة أخف من الخط ولا يكون الا فى المضموم والمرفوع . نحو ، من قبل ، وجاء خالد .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٣) : فأما الاشمام فليس اليه (الى ما كان فى موضع نصب أو جر) سبيل ، وانما كان ذا فى الرفع ؛ لأن الضمة من الواو فأنت تقدر أن تضع لسانك فى اى موضع من الحروف (الموقوف عليها) شئت ثم تضم شفتيك ؛ لأن ضمك

(١) ووضع فوق التاء علامتى الاسكان والروم ولم يضع علامة الروم بين يدى الحرف كما يفعل النحويون ، مع انه قال : ولروم الحركة خط بين يدى الحرف .

شفتيك كتحريكك بعض جسدك واشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن ألا ترى أنك لو قلت : هذا معن ، فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها اذا لم تشمم فأنت تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية (١) الصوت ثم تضم شفتيك ولا تقدر على أن تفعل ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء ، فالنصب والجر لا يوافقان الرفع في الاشمام ، وهو قول العرب ويونس والخليل أ هـ .

وخلاصة هذا الكلام أنك تستطيع أن تصور بشفتيك الضمة من غير صوت لأنهما آلة الضمة ولا تستطيع أن تصور بشفتيك الكسرة لأنها جزء الياء التي مخرجها وسط اللسان — ولا الفتحة لأنها جزء الألف التي مخرجها الحلق وهما محجوبان بالشفتين والسن فلا يمكن المخاطب ادراك تهيئة المخرجين

وأما ما عزى الى الكوفيين من تجويزهم الاشمام في الجر والنصب فمحمول على الروم لأن بعض الكوفيين يسمى الروم اشماما ولا مشاحة في الاصطلاح أ هـ أشموني .

هذا ، والغرض من الاشمام هو الغرض من الروم الا أن الروم أتم في البيان من الاشمام لأنه يدركه الأعمى والبصير والاشمام لا يدركه الا البصير .

التضعيف : تشديد الحرف الذي يوقف عليه .

والغرض منه : الاعلام بأن هذا الحرف متحرك في الأصل بحركة اعرابية أو بنائية — كالروم والاشمام ، فالثلاثة الغرض منها واحد .

قال الرضى : فالذى أشم نبه عليه بهيئة الحركة ، والذى رام نبه عليه بصويت ضعيف فهو أقوى في التنبيه على تحرك الحرف من الاشمام ، والذى ضعف فهو أقوى تبينا لتحرك الحرف في الوصل ممن رام . لأنه نبه عليه بالحرف ، وذاك ببعض الحركة — أ هـ .

شافية جـ ٢ ص ٣١٥ ، وسيبويه جـ ٢ ص ٢٨٢ .

وعلامة التضعيف الشين على الحرف ، وهو أول « شديد » :

وهو أقل استعمالا من الروم والاشمام ، لأنه اتيان بالحرف في موضع يحذف فيه الحركة ، فهو تثقيل في موضع التخفيف ولذلك لم يرد في القرآن الا في كلمة «مستطر» في سورة القمر عن عاصم — كما في الهمع للسيوطي عن أبي حيان والتضعيف عند الوقف لا يجوز الا بشروط .

الأول : أن يكون الحرف الذي قبل آخر الكلمة متحركا ، وذلك لأن المقصود بالتضعيف بيان كون الحرف الأخير متحركا في الوصل ، واذا كان ما قبله ساكنا علم كونه متحركا في الوصل لئلا يلتقي ساكنان ، فلا يحتاج الى التنبيه على ذلك .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٣) . فان كان الحرف الذي قبل آخر حرف ساكنا لم يضعفوا

(١) التزجية — الدفع برفق .

نحو عمرو وزيد وأشباه ذلك لأن الـذى قبله لا يكون ما بعده ساكنا لأنهـاكن أ هـ .

الثانى : الا يكون الحرف الموقوف عليـه همزة ، اذ هى وحدها مـستثقلة ولم يـرد تضعيفها عن العرب الا اذا كانت عينا نحـو : سأل ، واجتنبت تضعيفها فى غير ذلك ، وعلى هذا لا يوقف بالتضعيف على نحو : خطـأ ، ومستهزىء ، وهزؤ (١) .

الثالث : ان يكون الموقوف عليـه حـرفا صحيحا ، اذ يستثقل تضعيف العلـة لثقله ، والوقف للاستراحة . فـلا يجـوز الـوقف بالتضـعيف فى نحو : رضى وسرو ومثـل بعضهم ، بالقاضى والفتى ، واعترض عليـه بأن الكلام فى المحرك وهما ساكنان .

والتضعيف يكون فى المرفـوع والمجـرور مطلقا .

وأما فى المنصوب ، فان كـان منونا فليس فيه الا قلب التنوين الفا الا على لغة ربيعة ، فانهم يجوزون حذف التنوين فـلا منع اذا عندهم من التضعيف ، وان لم يكن منـونا : نحو رأيت الرجل ، ولن نجعل ، ورأيت أحمد ، فلا كـلام فى جواز تضعيفه كما فى الـرفع والجر أ هـ .

شافيه جـ ٢ ص ٣١٦ .

النقـل : وهو نقل الحـركة من الحـرف الأخير للساكن الصحيح قبله : وهو قليـل كقلة التضعيف الا فى الهمزة (٢) ولـذلك لم يرد فى القرآن الكريم الا مـا روى عن أبى عمرو أنه وقف على قوله تعالى « **وتواصـوا بالصبر** » بكسر الباء ـ وما روى عن سـلام ـ أنه قرأ « والعصر » بكسر الصاد ـ وعلل الرضى لقلته بأنه يلزم عليه تغير بناء الكلمـة فى الظاهر بتحرك العين الساكن ، مرة بالضم ، ومرة بالفتح ، ومـرة بالكسر ، وان كـانت الحركة عارضـة (٣) ، وأيضا انتقال الاعراب الذى حقه أن يكون على الأخير الى الوسط .

ثم قال : وانما سهل لهم ذلك الفرار مـن التقاء الساكنين والضن بالحركة الاعرابيـة الدالة على المعنى ، ولـو ثبت ذلك فى نحـو « منذ » من المبنيات فالمـسهل الفـرار من الساكنين فقط (٤) أ هـ ش جـ ٢ ص ٣٢١ .

والنقل ثابت فى . المرفوع والمجرور اتفاقا ، وأما فى النصب : فان كان الاسم منونا فـلا يثبت الا فى لغة ربيعة لحذفهم الفتحة أيضا ، وان لم يكن منونا فقد منعه سيبويه وقال : لا يقال رأيت البـكر ، بنـاء على أن الـلام عارضة ، والأصل التنوين ، فالمعرف باللام فى حكم المنون ، وغير سيبويه جوزه ، لكونه مثل المرفوع والمجـرور سـواء فى وجـوه اسـكان اللام (٥) ـ أ هـ شرح الشافية جـ٢

---

(١) مثل بعضهم : بسماء ، وشاء ـ وهـذا لايجوز تضعيفه وان لم يكن فى آخره همزة لان ما قبل الاخر ساكن ـ وقال الرضى: واجاز عبد القاهر تضعيف الحرف اذا كان قبله مدة ، كسعيد وثمود نظرا الى امكان اجتماع اللين والمضعف الساكن بعده : ويدفعه السماع والقياس ـ ا هـ ش جـ ٢ ص ٣١٥ .

(٢) سنعقد فصلا خاصا للوقف على المهمـوز لآخـر .

(٣) اعرابية لانها غير ثابتة لتأثرها بالعوامل .

(٤) لان الضمة فى منذ للبناء لا للاعراب ،ونقل حركة البناء فيها خلاف .

(٥) هذا الخلاف فى غير المهموز .. اما المهموز فسيأتى أن النقل فيه متفق عليه .

ص ٣٢١ .

قال سيبويه « هذا باب الساكن الذي قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين » (٢) .

وذلك قول بعض العرب : هذا بكر — بضم الكاف — ومن بكر — بكسرها — ولم يقولوا : رأيت البكر — بفتح الكاف — لأنه في موضع التنوين وقد يلحق ما يبين حركته (٣) والمجرور والمرفوع لا يلحقهما ذلك في كلامهم .

ومن ثم قال الراجز (بعض السعديين) :

*** أنا ابن ماوية اذ جد النقر (٤) ***

أراد النقر — باسكان القاف — ولا يقال في الكلام (٥) الا النقر . باسكان القاف في الرفع وغيره — أ هـ .

والنقل لا يتحقق الا بشروط :

الأول : ان يكون الحرف الذي قبل الآخر ساكنا . نحو : الصبر . والحمل . والنقل فان كان متحركا فلا يجوز النقل اليه . لأن المتحرك لا يقبل الحركة فلا يجوز الوقف بالنقل في نحو : اسد . وعضد . وفخذ .

الثاني : الا يكون هذا الساكن مما يتعذر تحريكه او يستثقل .

فالأول : نحو . باب . وكتاب .

والثاني : نحو منديل . وعصفور . فانه لا يمكن تحريك الألف . وتستثقل الحركة على الواو والياء ولا يجوز النقل في المدغم نحو . يفر . ويعض . ويمر لأنه يؤدي الى فك الادغام فيما امتنع فيه الفك — وكون هذا من المتعذر . أو من المتعسر خلاف لا يترتب عليه شيء .

الثالث : الا تكون الحركة فتحة في غير المهموز : وقد تقدم أن هذا الشرط موضع خلاف — وذكر الرضى أن الخلاف في غير المنون (١) أما المنون فلا نقل فيه الا على لغة ربيعة — ولكن ابن مالك جعل الخلاف في المنون وغيره وتبعه الأشموني .

قال ابن مالك :

ونقل فتح من سوى المهموز لا
يراه بصري وكوف نقلا

وقال الأشموني : يعني أن البصريين منعوا نقل الفتحة اذا كان المنقول عنه غير همزة فلا يجوز عندهم : رأيت بكر ، ولا ضربت الضرب بالنقل — لما يلزم على النقل حينئذ في المنون من حذف ألف التنوين ، وحمل غير المنون عليه ، وأجاز ذلك الكوفيون ونقل عن الجرمي أنه أجازه (٢) . وعن الأخفش أنه اجازه في المنون على لغة من قال : رأيت بكر (١) أ هـ

---

(١) أي السكون الذي قبل الآخر والسكون العارض للوقف .

(٢) أي أن اللام عارضة والأصل فيه التنوين وقد يحق المنون الالف المبينة للفتحة فلسنا في حاجة الى النقل لبيان الحركة . أما المرفوع والمجرور فلا يلحقها ما يبين حركتهما فنقلنا فيهما لبيان الحركة .

(٤) قال الاعلم : الشاهد فيه القاء حركة الراء على القاف للوقف — والنقر — صويت يسكن به الفرس عند احتماله وشدة حركته أي أنا الشجاع البطل اذا احتبت الخيل عند اشتداد الحرب ا هـ .

(٥) أي في الوصل .

(١) فذكر أن سيبويه يمنعه والنحاه يجيزونه .

(٢) أي مطلقا كالكوفيين . ا هـ صبان .

(١) يعلم منه انه يجيزه في غير المنون لانتفاء المحذور فيه — ا هـ صبان .

وقال ابن هشام في التوضيح : وأجاز ذلك (النقل في الفتحة) الكوفيون والأخفش .

وبعد هذا الاضطراب في النقل يكفينا أن نعرف أن نقل الفتحة فيه خلاف — وأن هذا الخلاف في غير المهموز — أما المهموز فالنقل فيه جائز — كما سيأتي :

الرابع : أن يكون الحرف المنقول عنه صحيحا فلا ينقل من نحو ظبي ، ودلو .

قالوا : لأن النقل يؤدي الى تلو الياء ضمة . وكون الآخر واوا قبلها ضمة في المرفوع . وقلب الواو ياء لوقوعها بعد كسرة في المخفوض . وحمل اليائي المخفوض على غيره أ هـ صبان .

الخامس : الا يؤدي النقل في غير المهموز الى بناء مهمل في العربية أو نادر .

فلا يصح نقل ضم الى ما قبله كسر نحو هذا بشر : لأنه يؤدي الى وزن مهمل (٢) ولا يجوز نقل كسرة الى ما قبله ضم نحو . انتفعت بقفل : لأنه يؤدي الى وزن نادر (٣).

وأصحاب النقل لما رأوا أن النقل في مثل ما ذكرنا يؤدي الى عدم النظير اتبعوا العين الفاء في حركتها — وكأنهم بذلك يحرصون على التخلص من التقاء الساكنين :

قال الرضي : فلم يقولوا : هذا عدل — بكسر فضم — ولا من قفل — بضم فكسر ، بل من كان ينقل في نحو بكر اذا اتفق له مثل عدل وقفل اتبع العين الفاء في الرفع والنصب والجر ، فيقول : هذا العدل والقفل ، ورأيت العدل والقفل ، ومررت بالعدل والقفل — بكسر العين والدال . وضم القاف والفاء في الجميع لأنه لما لزمه تسوية الرفع والجر فيهما لئلا يؤدي الى الوزن المرفوض اتبعهما المنصوب . وجعل الأحوال الثلاث متساوية أ هـ ج ٢ ص ٣٢٢ » .

واليك ما قاله سيبويه بعد هذا العرض الواضح قال (ج ٢ ص ٢٨٤) .

وقالوا : هذا عدل وفسل فأتبعوها الكسرة الأولى (١) ولم يفعلوا ما فعلوا بالأول (٢) لأنه ليس من كلامهم فعل — بكسر فضم — فشبهوها بمنتن — بضم التاء تبعا للميم أتبعوها الأول .

وقالوا : « في البسر » — بضمتين — ولم يكسروا في الجر (٣) لأنه ليس في الأسماء فعل — بضم فكسر — فأتبعوها الأول .

وقالوا : رأيت العكم (٤) — بكسرتين — فلم يفتحوا الكاف كما لم يفتحوا كاف البكر ، وجعلوا الضمة اذ كانت قبلها بمنزلتها اذا كانت بعدها وهو قولك : رأيت الجحر — بضمتين — وانما ذلك في هذا . لأنهم لما جعلوا ما قبل الساكن في الرفع والجر مثله

---

(٢) وزن فعل بكسر فضم .
(٣) وهو فعل بضم فكسر .
(١) أي اتبعوا العين كسرة الفاء ، فكسروها في عدل وفسل عند الوقف والعدل بكسر الاول : المثل والفسل ، بالكسر ، الاحمق .
(٢) أي لم ينقلوا حركة الاعراب الى العين .
(٣) أي لم ينقلوا حركة الراء المجرورة الى السين لأن هذا النقل يؤدي الى « فعل » بضم فكسر وهو ليس من كلامهم .
(٤) العكم ، بالكسر ، العدل ، بكسر العين . وماعكم به المتاع ، يقال : عكم المتاع من باب ضرب شده والعكم والعكام الخيط الذي يعكم به .

بعده صار فى النصب كأنه بعد الساكن (٥) .

واعلم أن المتقدمين من النحاة لم يجيزوا النقل الا فى الحركات الاعرابية .

قالوا : لأن حرصهم على معرفة حركة البناء ليس كحرصهم على معرفة حركة الاعراب لشرفها وذهب بعض المتأخرين الى جواز نقل حركة البناء .

قالوا : لأن الحرص على حركة البناء آكد ، لأن حركة الاعراب لها ما يدل عليها وهو العامل (١) اه اشمونى .

ومع هذا : أجازوا نقل حركة هاء المذكر الى الساكن قبلها لخفائها .

قال الشاعر (وهو زياد الأعجم) :

عجبت والدهر كثير عجبه

من عنزى سبنى لم أضربه (٢)

وقال أبو النجم :

＊ فقربن هذا وهذا أزحله ＊ (١)

ثم قال : وسمعنا بعض بنى تميم من بنى عدى يقولون : قد ضربته وأخذته كسروا (التاء) (٢) حيث أرادوا أن يحركوها لبيان الساكن الذى بعدها ، لا لاعراب يحدثه شىء قبلها كما حركوا بالكسر اذا وقع بعدها ساكن يسكن فى الوصل ، فاذا وصلت أسكنت جميع هذا لأنك تحرك الهاء فتبين وتتبعها واوا ، كما أنك تسكن فى الهمزة اذا وصلت فقلت : هذا وثء (٣) كما ترى لأنها تبين ، وكذلك قد ضربته فلانة ، وعنه أخذت فتسكن كما تسكن اذا قلت : عنها أخذت ، وفعلوا هذا بالهاء ، لأنها فى الخفاء نحو الهمزة أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٧ .

وقد لخص أبو سعيد السيراف ما قاله سيبويه فى اللغتين تلخيصا واضحا فقال انما اختاروا تحريك ما قبل الهاء فى الوقف اذا كان ساكنا ، لانهم اذا وقفوا أسكنوا الهاء ، وما قبلها ساكن فيجتمع ساكنان ، والهاء خفية ولا تبين اذا كانت ساكنة وقبلها ساكن فحركوا ما قبلها لتبين الهاء ولا تخفى ، فأكثر العرب يضمون ما قبلها بالقاء حركتها على ما قبلها (وهو ما حكاه سيبويه أولا) وبعض ، وهم بنو عدى لما اجتمع الساكنان فى الوقف وارادوا أن يحركوا ما قبل الهاء لبيان الهاء حركة بالكسر كما يكسر الحرف الأول لاجتماع الساكنين كقولنا : لم يقم الرجل ، وذهبت الهندات ـ أ هـ .

---

(٥) مجمل هذا الكلام : أنه لما كانت الحركة التى قبل الساكن بمنزلة الحركة التى بعده فى كونه يحرك بها عند الوقف ، صارت الحركة التى قبل الساكن فى حجر بمنزلة الحركة بعده فكأنه مرفوع وكذلك الحركة التى قبل الساكن فى العكم بمنزلة الحركة بعده فكأنه مجرور ، ومن ثم جاز فى كليهما تحريك العين وان كانا فى محل نصب .

(١) فالنقل عند الوقف على نحو مضى أمس وعلى نحو منذ يمنعه المتقدمون ويجيزه بعض المتأخرين .

(٢) قال الأعلم : الشاهد فيه نقل حركة الهاء الى الباء من قوله ـ أضربه ، ليكون أبين لهما فى الوقف لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن أخفى لها ، وعنزة ، قبيلة من ربيعة بن نزار وهم عنزة بن أسد بن ربيعة ، وزياد الاعجم من عبد القيس وانما سمى الاعجم للكنة كانت فيه .

(١) قال الأعلم : الشاهد فيه نقل حركة الهاء الى اللام وعلته كعلة الذى قبله ومعنى أزحله أبعده ومنه سمى زحل لبعده .

(٢) أى تاء التأنيث التى كانت ساكنة قبل الوقف .. حركوها بالكسر كحركة التخلص من التقاء الساكنين .

(٣) عيب بصيب اللحم .

حكم الاسم

الفضلة بعد الوصف

للأستاذ/ أحمد حسن عبد العواض هلالى (١)

الاسم الفضلة الذي يتلو الوصف العامل المستوفى شروط العمل يجوز نصبه به على المفعولية وهو الارجح لانه الاصل ، ويجوز جره بالاضافة للتخفيف ، نحو اقبل المجاهد شاهر اسلامه طالبا ثاره من عدوه بالنصب ، أو شاهر سيفه وطالب ثاره بالجر من غير تنوين للاضافة ، ان لم يكن ضميرا متصلا ، والا تعين جره (اى اعتباره فى محل جر) بالاضافة ، نحو · هذا مكرمك ، وسليمان ابراهيم معينه على فعل الخير وقد قرىء بالوجهين فى السبع قوله تعالى : (ان الله بالغ امره) ، وقوله سبحانه (هل هن كاشفات ضره) بنصب أمره وضره على المفعولية وجرهما بالاضافة ، والجر فى الاية الاولى قراءة حفص : والنصب فيها قراءة الباقين ، والنصب فى الثانية قراءة أبى عمرو بن العلاء والجر قراءة باقى السبعة ·

وأما الفضلة غير المباشر للوصف أى غير التالى له مباشرة فيتعين نصبه لتعذر الاضافة للفصل بينه وبين الوصف الذى يصلح للاضافة نحو ، هذا معطى الغلام درهما،الرئيس حامل على عاتقه مسئولية ثقيلة ، واسماعيل معلم بكر عمر قادما ، ومنه قوله تعالى : (انى جاعل بكرا عمرا قادما ، ومنه قوله تعالى : (انى جاعل فى الأرض خليفة) ، فخليفة منصوب على المفعولية بالوصف (جاعل) لا غير للفصل بين الوصف ومعموله بالجار والمجرور ·

أما تالى الوصف غير العامل الذى فقد شروط العمل فيتعين جره بالاضافة ليس غير متى كان فضلة ، نحو ، طالب العون مجاب الطلب ، وكان سائل العفو من الله طامعا فى نيل سؤله ، أما ان كان هذا التالى عمدة أى فاعلا للوصف فيتعين رفعه ، نحو ، هذا غائب أخوه وحاضر غلامه ، ولا يجوز ، هذا غائب

(١) توفى ــ رحمه الله ــ سحر الجمعة ــ الثامن عشر من جمادى الاولى ١٤٠٥هـ ــ ٨ من فبراير ١٩٨٥ م . تقبله الله قبولا حسنا · « مجلة الأزهر »

أخيه وحاضر غلامه بالاضافة أما غير التالي للوصف غير العامل فيتعين نصبه واحدا كان أو أكثر ، نحو هذا معطي أمس الفقير درهما ، وهذا معلم بكر أمس خالدا ناجحا ، والناصب له حينئذ فعل مضمر تقديره ، أعطاه أمس درهما ، وأعلمه أمس خالدا ناجحا .

وأجاز السيراف أن ينصب غير التالي للوصف به ، لأنه اكتسب بالاضافة الى الاول شبها بالمقترن بأل من حيث امتناع تنوينه والمقترن بأل يعمل ولو كان بمعنى الماضي واكتسب شبها بالمنون من حيث امتناع اضافة ثانية ، ولكن تلك العلة الثانية لا أثر ولا ثمرة لها وينبغي ألا يلتفت اليها ، لأن اسم الفاعل المنون ان كان بمعنى الماضي لا ينصب المفعول بل يجب ترك تنوينه واضافته لما بعده فمشابهته للمنون لا تقتضيءعمله النصب ، ولا يجوز أن يعمل الوصف في غير التالي له الجر ، لأن الاضافة الى الأول تمنع الاضافة الى غيره فيتعين اذا النصب ، اما بفعل مضمر أو بالوصف غير العامل نفسه للضرورة .

تابع المجرور بالوصف العامل

اذا أتبع الاسم الفضلة المجرور باضافة الوصف العامل اليه بأحد التوابع الخمسة المعروفة فانه يجوز جر هذا التابع مراعاة للفظ المتبوع وهو الأرجح ، ويجوز نصبه مراعاة لمحله ولو كان اعرابه تقديريا نحو على مكرم الفتى وصاحبه ، وذلك مثل قول الناظم: كمبتغي جاه ومالا من نهض ، ويجوز أن تقول هذا مبتغي جاه ومال ، وقول الشاعر :

هل انت باعث دينار لحاجتنا
او عبد رب اخاعون بن مخراق (١)

فقد نصب عبد رب عطفا على محل دينار المجرور بالوصف العامل وهو باعث وناصبه هو الوصف نفسه المضاف الى المعطوف عليه ، ولا حاجة لتقدير ناصب آخر غيره وهذا هو مذهب الكوفيين وجماعة من البصريين ووافقهم ابن مالك ، وأما سيبويه فانه يرى ضرورة ناصب آخر غير الوصف المضاف ، فعلا كان المقدر لأنه الأصل في العمل ، أو وصفا منونا وهو الأولى ليطابق الوصف المقدر الملفوظ به، ولأن حذف المفرد أخف من حذف الجملة .

ذلك لأن شرط جواز العطف على المحل عند سيبويه وجود الطالب لذلك المحل وهو غير موجود هنا ، لأن اسم الفاعل انما يعمل النصب اذا كان منونا أو مقترنا بأل أو مضافا الى أحد مفعولية أو مفاعيله ، فضارب مثلا في قولك : ضارب كعب وسعيد ليس طالبا لنصب كعب بل لجره لأنه غير عامل لكونه فقد أحد شرطي العمل وهو الاعتماد على ما يقربه من شبه الفعل .

ويجوز جر عبد رب في البيت بالعطف على لفظ دينار المجرور بل هو الأرجح .

أما تابع المنصوب بالوصف العامل فيتعين نصبه نحو شعبان موافق صديقه المخلص في

---

(١) باعث دينار : مرسله رسولا لقضاء حاجتنا ودينار ، اسم رجل ، وكذا عبد رب ، وعون .

رأيه ، ونحو الموقف الراهن جامع العرب والمسلمين على نهج واحد ، فلا يجوز في المخلص والمسلمين التابعين لصديقه والعرب الا النصب ، ولا يجوز فيهما الجر مراعاة لمحل المعطوف عليه خلافا لنحاة بغداد ، لأن شرط العطف على المحل أن يكون بالأصالة ، والأصل في الوصف المستوفي شروط العمل أن يعمل النصب فيما بعده لا لحاقه بالفعل .

فان كان الوصف غير عامل متعين الاضافة لما بعده ثم نصب تابع ما بعده فان نصبه حينئذ يكون باضمار فعل مناسب للوصف من مادته ، مثل قوله تعالى :

« وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا » فالشمس ليس منصوبا بالعطف على محل الليل ، لأن الوصف (جاعل) غير عامل وانما الشمس اذا منصوب على اعتبار أنه مفعول أول لفعل مضمر ينصب مفعولين ، والقمر معطوف على الشمس ، وحسبانا المفعول الثاني ، والتقدير ، وجعل الشمس والقمر حسبانا ، فلا يجوز أن يكون منصوبا باضمار وصف منون مطابق للمذكور لأنه مثله وهو غير عامل كما ذكرنا ولا بالعطف على محل المجرور باضافة الوصف لأن الوصف لا يعمل فيه النصب الا اذا قصد حكاية الحال الماضية ، فيجوز حينئذ نصب الشمس باضمار وصف منون أو بالعطف على محل الليل ، لأن جاعل على هذا التقدير عامل لكونه صار بمعنى يجعل

واذا كان الوصف (اسم الفاعل) مفيدا للاستمرار في جميع الأزمنة ففي اضافته اعتباران : **أولهما** ، أنها اضافة محضة ومعنوية مراعاة لمعنى المضي فيه ، وبهذا الاعتبار يقع صفة للمعرفة ولا يعمل ، نحو قولك : هذا الفريق هازم الأعداء ثانيهما ، أنها اضافة لفظية غير محضة باعتبار معنى الحال والاستقبال فيه ، وبهذا الاعتبار يقع صفة للنكرة ويعمل فيما أضيف اليه نحو ذلك فارس شاهر السلاح في مواجهة الأعداء، ويجوز أن تقول شاهر سلاحه بقطعه عن الاضافة وتنوينه فعلى هذا يجوز أن يكون الشمس معطوفا على محل الليل باعتبار عمل جاعل فيه لصدقه على الحال والاستقبال ، وأن يكون منصوبا باضمار فعل ماض باعتبار عدم عمل الوصف النصف فيما أضيف اليه لصدقه على الماضي فقط فلا يصح العطف عليه بالنصب ، وعلى هذا يحمل ما ذهب اليه الزمخشري من جواز عطف الشمس بالنصب على محل الليل .

اسم الفاعل • واسم المفعول

يفترق اسم المفعول القاصر ، وهو المصوغ من المتعدي لواحد عن اسم الفاعل في أن اسم المفعول هذا اذا قصد به الثبوت والدوام يرفع معموله السببي على الفاعلية لا على النيابة عن الفاعل كالفعل المبني للمجهول ، ويخفضه باضافته اليه ، وينصبه على التشبيه بالمفعول به ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة الحاقا له بالصفة المشبهة ، نحو حسن محمود خصاله أو محمود الخصال أو خصالا وجمال ممدوح خلقه أو ممدوح الخلق أو خلقا ، وعادل مشكور صنيعه أو مشكور الصنيع أو صنيعا

حكم الاسم

على حد قولهم : حسن وجهه ، وحسن الوجه، وحسن الوجه وحسن وجها ٠ أما بالنسبة لاسم الفاعل ففي شأنه تفصيل ، خلاصته أن اسم الفاعل المصوغ من اللازم وقصد ثبوت معناه حكمه حكم اسم المفعول في جواز اضافته لمرفوعه اتفاقا نحو ، عدى صارم الحديث ، واضح الصوت ناضج العقل ثاقب الفكر معتدل القامة ضامر البطن مكتنز العضلات مشرق الوجه وان صيغ من متعد لأكثر من مفعول واحد ، نحو ، أنا سائل الله العفو ، ومحمد مانح المحتاجين معونة قيمة وابراهيم كاسي فقراء حيه ثيابا قشيبه وجاعل أيامهم سعيدة فانه لايعامل كاسم المفعول ، وتمتنع اضافته لمرفوعه اتفاقا ، فلا يجوز أن تقول هشام معطى أبيه العافين احسانا جزيلا ٠

وان كان مصوغا من المتعدى لواحد ففيه خلاف : فابن مالك يرى وفاقا لأبي على الفارسي جواز اضافته لمرفوعه عند أمن التباس اضافته الى الفاعل بالاضافة الى المفعول به مع جواز ذكر المنصوب بعد المضاف اليه ، نحو حاتم راحم الاخوة الضعفاء ، أى أن اخوته يرحمون الضعفاء ؛ فان لم يؤمن اللبس لم تجز الاضافة ، والجمهور يمنعون اضافته مطلقا كالمأخوذ من المتعدي لأكثر من مفعول واحد ٠ وفصل قوم منهم ابن عصفور وابن أبى الربيع فقالوا : ان حذف مفعوله اقتصارا جازت اضافته لمرفوعه لأنه يصير حينئذ كاللازم والا فلا تجوز الاضافة ، والسماع يؤيد هذا وشاهده من اللازم قول عبد الله بن رواحة :

فيارب اني من عذابك خائف
واني اليك تائب النفس باخع

فتائب اسم فاعل من تاب وهو لازم وقد أضيف الى مرفوعه معنى ، وهو النفس وشاهده من المتعدى لواحد قول الشاعر :

ما الراحم القلب ظلاما وان ظلما
و لاالكريم بمناع (٢) وان حرما

فالراحم اسم فاعل من رحم وهو متعد لواحد وقد اضيف الى فاعله ، وهو القلب بعد أن حذف مفعوله اقتصارا ٠ وابن مالك والفارسى يجيزان هذا بشرط أمن اللبس والجمهور على منعه سواء امن اللبس او لم يؤمن ويلحقونه بالمتعدى لاكثر من واحد كما سلف ٠

أحمد حسن عبد العواض هلالى

---

(١) تائب النفس : تاب من ذنبه يتوب توبا وتوبة اقلع عنه وتركه ، باخع بخع نفسه ، قتلها من وجد أو غيظ ٠

(٢) ظلاما : منسوبا الى الظلم ، اى ذا ظلم ، كقوله تعالى « وما ربك بظلام للعبيد » ٠ وليس المراد المبالغة ، وكذا قوله : بمناع : اى بذى منع ٠

النهج الابداعى للآمدى الناقد

بقلم الأستاذ الدكتور
عبد الحميد محمد العبيسى

« وما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو » ..

(الحسن بن بشر الآمدى)

يأتى هذا البحث على طريق تأصيل الفكر النقدى والبلاغى عند العرب والمسلمين .

وفى تقديرى أن أهمية الحديث عن « النهج الابداعى للآمدى الناقد » ــ من خلال رؤية علمية محايدة منصفة ــ تعود الى مجموعة من الدوافع أبرزها :

١ ــ أن الآمدى الناقد أصدق تعبيرا عن الأصالة العربية والاسلامية فى دراسته النقدية ، اذ هو معلم من معالم القرن الرابع الهجرى ــ العصر الذهبى للفكر الحضارى والنقدى عند العرب والمسلمين ــ ولقد ظل الآمدى محتفظا بثقافته وذاتيته العربية ، مع حذقه الثقافة الأجنبية المترجمة الى العربية وتمثله . فما فتنه بريق تلك الثقافة الوافدة ، وماذاب كما ذاب معاصره (قدامة بن جعفر سنة ٣٣٧ هـ) صاحب « نقد الشعر » فى خضم النقد الاغريقى والأرسطى !! .

٢ ــ أن الآمدى يمثل ظاهرة فريدة بين نقاد القرن الرابع الهجرى ، بما ابتكره من جعل الموازنة الأدبية » منهجا نقديا بعد أن كانت اتجاها أدبيا ، تلك الموازنة التى تعتبر بحق أرقى المناهج النقدية وأدقها فى القديم والحديث والمعاصر على سواء ..

٣ ــ انه على الرغم من اجماع النقاد العرب المحدثين على سمو مكانته العلمية والنقدية ، اذ هو أعظم نقاد الأدب العربى ، بل هو زعيم النقد العربى الذى لا يدافع (١)،

(١) مندور : د . محمد (النقد المنهجى عند العرب ص ٩٨) .

شأنه مع الأسف الشديد ـ قد ظهر اتجاه مؤخرا عند بعض (٢) دعاة المناهج الغربية فى النقد ، على صفحات مجلة النقد الأدبى : « فصول » ـ يطعن فى قيمة هذا الناقد المنهجى العملاق ، ويهون من شأنه !!

٤ ـ أن الآمدى كان يجعل القرآن الكريم مثله الأعلى ، ومقياسه الأسمى ، فعمد الى اجراء الموازنات (٣) بين القرآن وبين الانتاج الأدبى والشعرى ، ليبين أن القرآن فى مستوى (٤) يرتفع على كل ادب وشعر ، وأنه لا يمكن مجاراته أو اللحاق به ، اذ القرآن قمة البلاغة وذروتها ، تلك البراعة المتناهية التى هى مناط اعجازه !!.

٥ ـ أن الآمدى قد وعى الارتباط الوثيق بين موضوعية النقد ، وحتمية الذوق ، فى العمل النقدى ، واضعا المقياس الأدبى ميزانه للشعر ، ومعياره فى المفاضلة بين أبى تمام والبحترى !! .

٦ ـ أن معايشتى الطويلة للآمدى فى قاعات الدروس ، وأروقة البحث ، قد جعلتنى أكثر ايمانا بأن هذا الرجل لم يأخذ حقه من الدراسة المتأنية العميقة المستقصية لجوانبه الابداعية فى النقد ، وأنه كلما تصفحت « الموازنة » تراءت أمامى صور مشرقة متألقة جديدة ، تدل على نفاذ البصر ، وقوة البصيرة عند ناقدنا الكبير ، فازداد تشبثا بكتاب « الموازنة » وعكوفا عليه ، لأكتشف عن مكنونات هذا السفر الرائع !! .

٧ ـ أن « الموازنة » كما وسمها الآمدى نفسه : « رسالة » (٥) ، ومن ثم آمن بها ، وارتكز فيها على أصول بلاغية ، مما جعلها دراسة تطبيقية عملية للصورة الفنية فى شعر الطائيين وغيرهما ، فاكتسبت تلك « الرسالة » منزلة رفيعة بين كتب التراث النقدى التطبيقى التحليلى ، كما تبوأ الآمدى بها موقع الريادة على طريق النقد التطبيقى العربى بعامة والنقد البيانى بخاصة !! .

٨ ـ أن « الموازنة » أول وأضخم كتاب عربى فى فن « الموازنة الأدبية » كمنهج نقدى ، بعد أن كانت تلك الموازنة فنا أدبيا خالصا !!.

٩ ـ أن « الموازنة » ترجمة حية صادقة لتلك المشاركة الايجابية التى هرع اليها ناقدنا العظيم ، ليحسم خصومة قد تفاقمت ، وصراعا قد استبد وطال بين أنصار القديم من المحافظين وبين أنصار الحديث من المجددين وبخاصة فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، حين تصاعدت تلك الخصومة حول الطائيين : (أبو تمام والبحترى) « أيهما أشعر » ؟ فلا بدع أن يكون الآمدى قاضى هذا النزاع فى نزاهة تجافى الهوى والتحزب ، وحيدة تنبذ الشطط والتعصب !!.

١٠ ـ أن أسلوب « الموازنة » القائم على

---

(٢) القط : د . عبد القادر (بحث النقد العربى القديم والمنهجية) عدد ٣ ص ١٣/١٤

(٣) اسماعيل : د . عز الدين (الأسس الجمالية فى النقد العربى) بتصرف ص ١٨٩ .

(٤) الآمدى : الحسن بن بشر (التظر . . الموازنة جـ ١ ص ١٤ / ١٦ ، ص ٢٦٨ / ٢٦٩ . ص ٣٩٢) .

(٥) المصدر السابق : جـ ١ ص ٥٧ .

الحوار ، والحكمة ، والشمول ترك الحكم النهائي للقارىء الحصيف ، تنمية للملكات النقدية عند القارئين ، وتبدأ للتقليد والمقلدين ، فيأتي الجواب معبرا عن ارادة الدارسين : « أى الرجلين أشعر ؟ » ..

ان هذا الأسلوب — بلاشك — هو ارساء لأسس جديدة (٦) ، نراها لأول مرة فى الساحة النقدية العربية ، وقد أخذ بها المعاصرون فيما يسمونه « علم النقد الأدبى المقارن » ، وهو فن حادث — كما هو متعالم — فى دنيا النقد العربى المعاصر !! .

هذا وقد حددت منهجى فى هذا البحث ، فأقمته على تمهيد ، وفصول ثلاثة ، وخاتمة :

ففى التمهيد :

تعريف موجز واف بالآمدى الناقد ، وثقافته ، وظهور فن الموازنات الأدبية العربية ، وموقع الآمدى منها .

وفى الفصل الأول : توضيح لمنهجه النقدى بعامة ، وفى الموازنة بخاصة .

وفى الفصل الثانى : تناول شافه لمقاييسه الابداعية فى النقد .

وفى الفصل الثالث : استجلاء لوجوه النقد البيانى عنده .

وفى الخاتمة : صورة مضيئة للجوانب البارزة فى هذا البحث .

د. يد :

الآمــــدى
(أ) حياته وثقافته

هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى الأصل ، البصرى المنشأ ، النحوى الكاتب ، الشاعر الناقد ، ولد فى «البصرة» قبل نهاية القرن الثالث الهجرى بسنوات ، اعتمادا على رواية وردت فى أخباره أنه قد أخذ العلم وتلقاه عن أبى موسى الحامض سنة ٣٠٥ هـ .

أما تحديد مولده بالضبط فأمر لا يقطع به ، لعدم وروده ، وقد توفى رحمه الله بالبصرة سنة ٣٧٠ هـ أو سنة ٣٧١ هـ .

ولقد كانت نشأته بين (بغداد) و (البصرة) ، فلما شب عن الطوق قصد (بغداد) ، واختلف الى مجالس العلماء والنقاد ، فدرس اللغة والنحو والأدب ناهلا من هذه المجالس ، ثم رجع الى (البصرة) ، ليتولى الكتابة للقضاة من (بنى عبد الواحد) ، ثم تفوق فى فن الأدب ، واكتسب شهرة ذائعة فيه ، وانتهت اليه رواية الشعر القديم ، واستقرت فى رحابه .

وكان يكتب ببغداد لأبى جعفر بن هارون ابن محمد الضبى .

وفيه يقول (ياقوت) : « كان حسن الفهم ، جيد الدراية والرواية ، سريع

(٦) العبيسى: د . عبد الحميد ، فى نقد الأدب عند العرب ص ٨٤ .

الادراك (٧) » ، وكان يعرف الشعر ويقوله ، وهذه مدحة من مدائحه :

ياواحـــدا كـان فى الزمـان
لا من يجـــاريه أو يـدانى
دعنى مـن نائـــل جـــزيل
يعجز عن شـكره لســـانى
قلـــت والله مســــتميحا
ولا أخـــا مطمــع تـرانى
وهب اذا كنت لى وهـــوبا
من بعض أخـلاقك الحســـان

وقد أفـاد كثيرا من أساتذته : الحامض ، والزجـــاج ، والأخفش ، وابن السراج ، وابن دريد ، ونفطويه ــ وهم أعـلام اللغـة والنحو والأدب ــ كما تأثر بهم أيما تأثر ، مع سـعة اطلاع ، ورجاحة عقل ، وصفاء ذهن ، ونضج فكر ..

ومن هنا كانت ثقافته لغوية أدبية نقدية ، ولقد تجلت فيما قدمه للمكتبة النقدية والأدبية من آثار بلغت أكثر من أربعة عشر مؤلفـا ، أبرزها : الموازنة ، والمؤتلف والمختلف .

وهذه الآثار فى مجملها نقدية أدبية ، ممـا يدل على تخصصــه الدقيـق فى الفن الأدبى ونقده ، « فهو مليح التصنيف ، جيد التأليف ، متعاط مذهب الجـاحظ فيمـا يعملـه مـن الكتب (٨) .. » .

(ب) ظهور الموازنات وموقع الآمدى منها :

لقد عرف أدبنا العربى فن الموازنات كلـون أدبى منذ العصر الجـاهلى ، لـدى حـكومة (ام جندب) زوج أمير الجاهليين (امـرىء القيس) ، حين قضت بينه وبين (علقمة بن عبدة التميمى الفحل) ابن عمها ، حيث قـال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها (٩) :

خليلى مـرا بى على أم جنـدب
نقض لبـانات الفـؤاد المعـذب

ثم أعقبه علقمة بقصيدته التى مطلعهـا :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب
ولم يك حقـا كل هـذا التجنب

فهذه المعارضة أو الموازنة قد اعتمدت على وحدة الموضوع والقافية والـروى ، وهى ــ فيما أعلم ــ باكورة الموازنات العربية (١٠)..

وفى عصر صدر الاسلام ظهرت مـوازنات أدبية كانت ثمرة لقاء المشركين بالمسلمين ، بل برزت معارضات شـعرية وخطـابية كثيرة ، وبخاصة فى عام الوفود (١١) ..

وفى العصر الأموى اتسعت هذه الموازنات ، وتلك المعارضات ، لعل فى « النقائض » التى كانت محصلة الهجائين الثلاثة : جـرير ،

(٧) الحموى : ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ ٨ ص ٧٥

ثم راجع فى ترجمته بروكلمان : كارل (تاريخ الأدب العربى) جـ ٢ ص ١٧٦ .

(مترجم) ، والقفطى : جمال الدين (انبـاه الرواة) جـ ١ ص ٢٦٥ .

(٨) ابن النديم : الفهرست ص ٢٢٧

(٩) الدينورى : ابن قتيبة (الشعر والشعراء) جـ ١ ص ٢١٨ ، ص ٢١٩

(١٠) العيسى : د . عبد الحميد (النقـــد الأدبى العربى) ص ٤١/٤٣

(١١) العيسى : د / عبد الحميد (دراســات فى الأدب والنقد) ص ٤١

والفرزدق والأخطل — أصدق دليل على اتساع دائرة هذه المعارضات ، لدوافع أهمها العصبية ، وحب الذات ، وتسلط الأنانية ، والبعد عن روح الاسلام ..

ولم يقف الأمر عند موازنة أو معارضة بين نص وآخر ، وانما تعداه الى الحديث عن مذاهب الشعراء في فنون القول ، واتجاهاتهم في تصرفه معانيه ، فقد جمعوا بين شعراء المذهب الواحد ، ولاحظوا ما عسى أن يكون بينهم من تناسب وارتباط ، فالشاعر (العرجي) مثلا يسلك عندهم مسالك (عمر بن أبي ربيعة) ، ويترسم خطاه ، والشاعر (ذو الرمة) من روح الجاهلية ، وعلى طريقتها في الشعر ..

ولقد اعتمد النقاد من تلك الفترة في باب الموازنات على ملاحظة المذهب الشعري ، واتحاد المعنى أو تقاربه ، فوضعوا بذلك اطارا للموازنات لا ينبغي تخطيه (١٢) » .

فلما جاء العصر العباسي وقد ازدهرت الحياة النقدية والأدبية في ظلاله رأينا الموازنات تدخل طورا جديدا يتسم بميزتين أساسيتين :

أولاهما : الدراسة العميقة والدقيقة للنصوص التي تكون مجالا للموازنة من جوانبها اللغوية ، والنحوية ، والبلاغية ، والذوقية ..

ثانيتهما : عرض آراء في النقد تتصل بتحديد مقياس الجودة أو الرداءة في الشعر .

ومن أجل هاتين السمتين اعتبرت الموازنات العباسية جديدة في أسلوبها ، وان أشبهت في مضمونها موازنات نقاد « النقائض » ، ولقد كان الأصمعي الراوية الناقد الألمعي واحدا ممن وضعوا أسسا في تلك الموازنات على نحو ما تقدم من مراعاة المذهب الشعري ، انظر اليه مثلا في موازنته التي تناقلتها كتب التراث الأدبي والنقدي بين (بشار بن برد) ، وبين (مروان بن أبي حفصة) ، حين سئل الأصمعي :

أبشار أشعر أم مروان ؟ .

فقال : بشار أشعرهما ، قال :

وكيف ذلك ؟ .

قال : لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه ، فلم يلحق بمن تقدمه ، (أي اتبع نهج السابقين الأقدمين في بناء الشعر وصياغته ، أما بشار فقد سلك طريقا لم يسلكه أحد .

وهو مذهب البديع ، والصنعة الزخرفية ، فانفرد به ، وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون شعر ، وأقوى على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعا ، ومروان آخذ بمسالك الأوائل (١٣) » .

فأنت ترى الأصمعي — من خلال هذه الموازنة — يميل الى الجديد وينصره ، معتمدا

(١٢) عثمان : د . عبد الرحمن (مذاهب النقد وقضاياه) ص ٢٥٢/٢٥٤ ، بتصرف .

(١٣) المرزباني : محمد بن عمران (الموشح) ص ٣٩٢ ، بتصرف .

● النهج الإبداعى

فيها على مجموعة من المعايير الموضوعية التى ارتضاها ، لعل أبرزها استقلال الأديب ، وذاتيته البارزة فى نتاجه ، ومدى ابتكاره ، وبعده عن التقليد ، مع الاقتدار على التصرف فى فنون الشعر ، والافتنان الذى يظهر فى قدرة الأديب أو الشاعر على إجادة استعمال البديع كمذهب سياقى فى القريض (١٤) ..

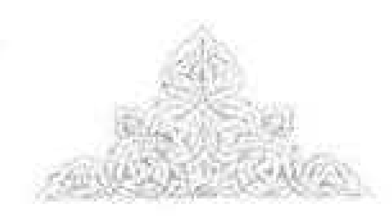
ومن الوضوح بمكان أن هذه المقاييس النقدية ستنمو ، وسيكون لها أثرها فى المعارك النقدية اللاحقة لها ، وما خصومة أبى تمام والبحترى الا ترجمة للصراع بين القديم والجديد ، وهذا ما يبدو لنا جليا عند النظر فى رسالة (ابن المعتز) الناقد الشاعر سنة ٢٩٦ هـ فى « شعر أبى تمام واستحسانه » ، و « أخبار أبى تمام » للصولى سنة ٣٣٦ هـ وهى فى الدفاع عنه ، والتعصب لمذهبه ، لكن تلك الجهود كلها تتضاءل كلها فى وجود كتاب « الموازنة » بين الطائيين موضوع دراستنا هذه ، فانك سترى أن « الموازنة » يأتى فى المرتبة الأولى بين تلك الكتب جميعها ، فقد ألفه ناقد ذواقة اجتمع فيه من المزايا العلمية الموضوعية ، والذوقية ما لم يجتمع لغيره ، فى تجرد عن الهوى ، ونبذ للتعصب ، وقد كان وقوفه على تفاصيل التراث النقدى الذى وصل اليه خير معوان له على مهمته الكبرى ، فى الوقت الذى درس فيه بعمق ديوانى الشاعرين دراسة فاحصة متأنية مستقصية ، ثم نظر فى تلك الآراء التى أثيرت من حولها ، مستخلصا لنفسه مسلكا لم يسلكه أحد من نقاد الموازنات العباسية أو غيرها ..

فلا عجب أن تكون له اليد الطولى ، والقدح المعلى فى ابتكار منهج الموازنة الأدبية كمنهج نقدى رفيع .

فما منهج الآمدى فى النقد والموازنة ؟ هذا موضوع المقال التالى اذا شاء الله تعالى ..

(يتبع)

أ . د / عبد الحميد محمد حسن العبيسى



(١٤) العبيسى : د . عبد الحميد (النقد الأدبى العربى) ص ٨٠

نظرات فى بلاغة الفعل

للأستاذ عبد الله سليمان محمد
موجه اللغة الانجليزية

للفعل فى لغة القرآن الكريم تفـوق رائع وراسخ على نظرائه فى سائر ألسنة البشر ، مرجعه الى عظمة النحـو والصرف وفنـون الأسلوب فى العربية .

وقد نمت علوم العربية واستوفت بما لا يكاد يدع زيادة لمستزيد .

غير أن ثمة تصورا واضحا فى مناهجنا ودراساتنا وأبحاثنا يتعلق بالمنظورين النفسى والمعنوى ، لخصائص المفردات والتراكيب العربية ، ومنها الفعل .

ولست أزعم أن الحقل بكر أو أن الميدان خال ، ففى ذلك جحود أى جحود وجهالة أى جهالة .

وانما أنعي قلة الرعاة والدعاة ، وندرة المتفتحين والنازحين ، وان الأرض لواسعة ، وان المجال لثرى .

ولا أدعى أن هذا بحث ، ان هو الا عرض متنوع لكرائم خصائص الفعل فى العربية ، تبيانا لها ، وبرهانا على جدارتها بالتقدير واستحقاقها لكشف غطاء التعتيم عاما ، واقتدارها على انماء علوم العربية والانسان العربى .

من هذه الخصائص ما هو جلى بين بذاته ، ومنها ما يدل عليه سياق الكلام الذى ما كان ليستقيم لولاها وبغير مواءمتها وتكيفها .

ذلك أن هذه الخصائص تشبه الخواص النحوية للكلمة ، وتضارع الخواص الطبيعية والكيميائية للمادة ، وتوازى صفة التكيف عند الكائن الحى ، فى اجتماعها على الامكان ، حال مكونها ، وانفرادها بالعمل حال وجود مرجح البروز أو علة التفاعل

فلا تأسر الخاصية الواحدة الفعل فى جميع احواله ومواقعه ، ولا يحتكر الفعل الواحد الخاصية المعينة فى جميع مواجدها .

١ ـ فمن زاوية تعلق الفعل بالمسند اليه ، تتالق فى أعيننا الاشعاعات الآتية :

١ ـ الخصوصية ، فالفعل صفة مميزة للمسند اليه معينة له ، حتى ليذكر الواحد

منهما بمجرد ذكر صاحبه ، مثال .

« اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى » (الرعد) .

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » (المؤمنون) .

« وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى » (الليل) .

« فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ » (الأعراف).

« فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ » (المؤمنون) .

(ب) العمومية ، فالفعل متاح لكل فاعل ، والفاعل قادر عليه وعلى سواه ، مثال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » (الحج) .

« وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » (الحشر).

(جـ) الارادة ، مثال :

« وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ » (التوبة) .

(د) التلقائية ، أو الوظيفية ، مثال :

« كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ » (البقرة)

« وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ » (هود) .

(هـ) الاستجابة ، أو رد الفعل ، مثال :

« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ » (المجادلة) .

« وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ » (البقرة) .

(و) الكف ، أو السلبية ، مثال :

« يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي » (المائدة) .

(ز) الاحسان ، مثال :

« قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ » (الأنبياء) .

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ » (الأنعام) .

(ح) القبح ، مثال :

« رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ » (التوبة) .

« رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا » (نوح) .

(ط) قيام الفعل بالمسند اليه ، مثال :

« الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى » (الأعلى) .

« غُلِبَتِ الرُّومُ » (الروم) .

٢ — ومن المنظور النفسى يطالعنا من الفعل ما يلى :

(أ) الوجدان ، مثال :

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » (آل عمران).

« لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » (التوبة) .

«إِنِّي آنَسْتُ نَارًا» (طه) .

« كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » (القيامة) .

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا (هود) .

(ب) النزوع ، مثال :

« لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » (طه) .

(جـ) السلوك ، مثال :

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ » (الجمعة) .

(د) التفكير ، مثال :

« هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ »[1](المائدة) .

« وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً » (البقرة) .

« وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ » (الجن) .

« وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا » (الكهف) .

(هـ) العادة ، مثال :

« كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ » (البقرة) .

« وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » الفرقان

(و) الدوافع السوية ، مثال :

« تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » (الفتح) .

(ز) الدوافع غير السوية ، مثال :

« قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ » (غافر) .

٣ ــ وفي المبنى ، يضوء الفعل بما يأتي :

(أ) البساطة ، مثال :

« وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي » (طه) .

(ب) التركيب ، أو الهول ، مثال :

« فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » (الشمس) .

(هـ) الجزئية من مركب ، مثال :

« وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ » (يوسف) .

(د) الاكتمال ، مثال :

« قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ » (المائدة) .

« فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا » (الأنعام) .

« قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » (يوسف) .

(هـ) النقص ، مثال :

« فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ » (الحجر) .

٤ ــ وفي الموضوعية ، نجد من الفعل :

(أ) الحقيقة ، مثال :

[1] التفكير ، أي من جانب الاتباع الحواريين

« وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ »

(الأعراف) .

« يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا » (الحج) .

(ب) الوهم ، مثال :

« وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى »

(الحج) .

« قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا » (الاحقاف).

(جـ) التوقف ، مثال :

« تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ » (الصافات) ،

« لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا » (الرعد) .

(د) الثبات ، مثال :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » (البقرة) .

« إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ » (ال عمران) .

« اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ »

(الرعد) .

(هـ) التحول ، مثال :

« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة) .

(و) الزوال ، مثال :

« وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ » (1) (ابراهيم) .

(ز) الامتناع ، مثال :

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »

(الأنبياء) .

(ح) ترتب الأثر ، مثال :

« خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ »

(البقرة) ، أى ولذلك فلن يؤمنوا .

« ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ »

(الحجر) ، أى ففى ذلك سوء مصيرهم .

(ط) الكفاية ، مثال :

« إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا » (الحج).

(ى) التصور ، مثال :

« أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ؟ » (الحج) .

(ك) الظهور ، أو الشهادة ، مثال :

« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » (الرحمن) .

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ » (النحل) .

(ل) الخفاء ، أو الغيب ، مثال :

« قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » (السجدة) .

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » « الفجر » .

(1) .. فالـذين ظلموا انفسهم زالوا وانتم تعلمون .

(م) المجاز ، مثال :

« أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » (الشرح) .

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا » (النساء) .

(ن) اليسر ، مثال :

« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (البقرة) .

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ » (الشورى) .

« وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » (الزخرف) .

(س) العسر ، مثال :

« قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا » (الكهف) .

« فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ » (فصلت) .

(ص) الاعجاز ، مثال :

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » (الاسراء) .

« وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ » (البقرة) .

« وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ » (البقرة) .

٥ ـ وفى الخبرية ، تتجلى من الفعل خصائصه التالية :

(أ) الصدق ، مثال :

« لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (الاخلاص) .

« إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ » (محمد) .

(ب) التمثيل ، مثال :

« إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ » (الحج) .

« وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ » (ابراهيم) .

(ج) الكذب ، مثال :

« يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ » (يوسف) .

(د) اللبس ، مثال :

« اخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا امرا » (الكهف) .

(هـ) الاحتمال ، أو الامكان ، مثال :

« وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ » (عبس) .

« إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن

فيكون » (يس) .

(و) الايحاء ، مثال :

« فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » (الأعراف) .

(ز) التحديد ، مثال :

« وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » (١) (الأحزاب) .

(ح) النمطية ، مثال :

« وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم » (الحج) .

(ط) المغايرة ، مثال :

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (١) (الطور) .

(ى) الايغال ، مثال :

« يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » (البقرة) .

« ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء) .

(ك) الاعلام بمتوقع :

« ويومئذ يفرح المؤمنون » (الروم) ،

« كلما دخلت أمة لعنت أختها » (الأعراف) .

« فإذا جاء وعد ربي جعله دكا » (الكهف) .

(ل) التأبيد ، مثال :

« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (الأعراف) .

(م) التوبيخ ، مثال :

« وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء » (الفتح) .

(ن) الاضطرار ، مثال :

« سيهزم الجمع ويولون الدبر » (القمر) .

« وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا » (الزمر) .

(س) التيئيس ، مثال :

« فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » (غافر) .

٦ ــ وفي التردد ، أي تكرارية الحدث ، يتبين لنا ما يلي :

(أ) الأحادية ، أي وقوع الحدث وانتهاؤه من مرته ، أو وقوعه ثم بقاؤه دون حاجة الى تكراره مثال :

« قتل أصحاب الأخدود » (البروج) .

« أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » (آل عمران) .

« فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها

(١) .. أي على الله وحده .

(١) يريد والله أعلم أنك ــ يامحمد ــ ترى منهم الاهمال ومنّا مايغايره من حفظ لك ورعايته .

أنثى » (آل عمران) .

« هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ » (الحج) .

(ب) مناسبة اسم المرة أو المفعول المطلق لمقتضى الكلام ، مثال :

« فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ » (الصافات) .

« فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » (القصص) .

(جـ) التكرار منتظما أو مقترنا بمتكرر ، مثال :

« تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ » (آل عمران) .

« كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا » (مريم) .

(د) التكرار بدون نظام لازم ، من ذات الفعل او من سواه ، مثال :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ » (محمد) .

« وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ » (النحل) .

٧ — وفى مفهوم المدى يلمح الفعل بما يلى :

(أ) الموقوت ، مثال :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » (البقرة) .

(ب) المتقطع ، مثال :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا » (النساء) .

(حـ) الطارئ ، مثال :

« وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ » (الشعراء) .

(د) المتصل ، مثال :

(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا » (الكهف) .

(هـ) المتمادى — او — الاستطراد ومثال :

« اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى » (النازعات) .

(و) الملازم ، مثال :

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ » (المائدة) .

(ز) المتكامل ، مثال :

« الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ » (الحج) .

(ح) الدائم ، مثال :

« يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا » (البقرة) .

(ط) القصير ، مثال :
« إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ » (الصافات) .

(ى) المنقطع ، مثال :

« وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة) .
أى على عالم زمانكم .

٨ — وفى الانتشار والمساحة الانسانية نلمح فى يسر :

(أ) الامتداد المكانى ، مثال :

« تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » (يونس) .

(ب) الطابع الاجتماعى ، مثال :

« وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ » (المجادلة) .

(جـ) العزلة ، مثال :

« فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا » (مريم) .

« فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ » (الكهف) .

(د) التلازم ، مثال :

« وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » (هود) .

(هـ) النمو الاجتماعى ، مثال :

« وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا » (النصر) .
(و) الانقراض ، مثال :

« فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ » (القصص) ،

« وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ » (الذاريات) .
(ز) الاستمرار ، مثال :
« لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا » (القصص) .

وبعد ، فلست أجرؤ على القول بأنى وفيت أو صفيت ، وانما حسبى أن أكون وفقت بفضل من الله الى رسم سهم يشير الى مورد طيب مبارك .
وعلى الله قصد السبيل ..

عبد الله سليمان محمد

نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى

تأليف : الأستاذ عمر عبيد حسنة

عرض وتعليق
د. طه مصطفى أبو كريشه

نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى

عنوان كتاب الأمة الذى صدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى دولة قطر ، وهو الكتاب الثامن فى سلسلة الكتب التى صدرت عن طريق هذه الرئاسة ، وهو من تأليف الأستاذ عمر عبيد حسنة مدير تحرير مجلة « الأمة » . والمؤلف من المعنيين بشئون الفكر والتشريع الاسلامى من منطلق ثقافته الفقهية الاسلامية .

والكتاب مجموعة من المقالات التى كان يفتتح بها الكاتب مجلة الأمة فى مطلع كل شهر عربى ، وقد شاء أن يجعل مسيرة « العمل الاسلامى » مركزا تدور حوله سلسلة هذه المقالات ، وهى فى مجموعها تمثل رؤية المؤلف لما يدور فى أفق العمل الاسلامى ولما يعكسه هذا الأفق من آراء متعددة لكل من يتصدى بالتوجيه الفكرى فى هذا الميدان ، الذى يشهد صحوة ملموسة فى كل مكان فى الأمة الاسلامية . وسوف نقف عند بعض المقالات الوثيقة الصلة بالعنوان الذى جعله موضوعا يضم شتات هذه المقالات .

— ١ —

❊❊ تحت عنوان :

الالتزام بالمنهج ضرورة لسلامة الطريق .

يتحدث المؤلف عن ضرورة السير على صراط الله المستقيم ، وعدم الانحراف بعيدا عن هذا الصراط ، حتى لا نقع فى التيه والضلال ، والمنهج فى ذلك هو قول الله تبارك وتعالى :

« وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » الأنعام ١٥٣ .

وصراط الله المستقيم يتمثل فى الاسلام

٥

٥ نظرات في مسيرة العمل

الذي ارتضاه الله لعباده ، وهو يمثل مرحلة الرشد الانساني بعد هذه الرحلة الطويلة من ميراث النبوة من لدن آدم عليه السلام وحتى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتحضير الجنس البشري لاستقبال المنهج الأخير .

ومن طبيعة الرسالة الخاتمة أن تستمر بعيدة عن التحريف والتأويل والنقص والضياع ، ومن حق الأجيال المتعاقبة أن تتلقى رسالة السماء كما نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك كانت كفالة الله تعالى للرسالة الخاتمة بالحفظ « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » الحجر ٩ ، بينما أوكل حفظ الرسالات السابقة لأهلها « **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** » المائدة ٤٤ .

ولكي تستمر الرسالة بعيدة عن أي تحريف أو تأويل ، فاننا نرى في القرآن الكريم تحذيرا واضحا من علل التدين التي أصابت الأمم السابقة حتى لا نقع فيها ، وهو تحذير يأتي في ثنايا قص أخبار هذه الامم وما أصابها من نكسات ، وما وقع عليها من عقاب نتيجة لانحرافها بعيدا عن منهج الله . ومما استشهد به المؤلف في هذا المجال قول الله تعالى « **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** » المائدة ١٣ .

وقوله تعالى « **إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** » التوبة ٣٤ .

ويشير المؤلف الى أن عالم المسلمين اليوم قد تسللت اليه بعض علل التدين التي حذر منها القرآن الكريم ، وهي علل تتخلص في تحريف الغلاة الذين يتشكلون في الأمة بسبب من ردود الفعل أو ضغوط المجتمع غير المسلم من حولهم .. وفي انتحال أهل الباطل الذين يريدون أن يطوعوا الاسلام لتصوراتهم الباطلة .. وفي تأول الجاهلين الذين يجرؤن على الفتوى واصدار الأحكام بدون امتلاك الأداة التي تؤهلهم لذلك .

وهنا يدعو المؤلف الى ضرورة اخضاع هذه العلل للدراسة والتحليل ومعرفة الأسباب ، ثم معالجتها من خلال المنهج الاسلامي نفسه ، الذي يقوم على تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن الأسوة الحسنة مكفولة في النبي صلى الله عليه وسلم « **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** » الأحزاب ٢١ .

وعلى أن طاعة المخلوق انما تكون في دائرة ما يوافق طاعة الله سبحانه وتعالى ..

— ٢ —

❋❋ وتحت عنوان :

تأملات في مسيرة العمل الاسلامي .

يتحدث المؤلف في مقالين عن وسائل العمل الاسلامي ، محاولا التأكيد على أنها وسائل وليست غايات ؛ فليست غاية الدعوة الى الله

والعمل الاسلامي بصوره المختلفة الأساسية ، الوصول الى الحكم والسلطة بأشخاصه وبمختلف الطرق الشرعية وغير الشرعية » وينتهي الأمر ، وانما الحكم في حد ذاته لا يعدو في نظر المسلم أن يكون من وسائل تحقيق معنى العبودية ، ونشر الدعوة وخطابيتها في مدى أوسع وساحة أشمل ومن هنا يفترق منهج العمل الاسلامي عن المناهج الأرضية كافة ، التي تنحصر أهدافها وتتحقق عند الوصول الى السلطة ، وتكون أقصى غاياتها الاحتفاظ بها .. أما العمل الاسلامي فانه يتابع سيره ، ويأخذ على عاتقه مسئوليات جديدة يسعى الى تحقيقها وتثبيتها والى ذلك تشير الآية الكريمة « الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » الحج ٤١ .

واذا كان الأمر كذلك فان هذه الوسائل هي أمور اجتهادية تخضع لقانون التغيير والاستبدال وليست لها صفة القداسة والثبات ذلك لأن الأهداف الاسلامية من الثوابت ، والوسائل لتحقيق هذه الأهداف من المتغيرات، بشرط واحد ، هو أن تكون أوعية هذه الوسائل شرعية ، ومحكومة بضوابط الشريعة أيضا ، فالغاية لا تبرر الوسيلة ، كما بدا لأصحاب الاجتهاد المريض والرؤية القاصرة .. وكذلك فان الجمود على وسائل بعينها في العمل ، وعدم القدرة على تجاوزها انما هو حرب في غير معركة وانتصار بغير عدو ، ويخشى أن يكون مضيعة للعمر والأجر معا !!

والى جانب هذا ، فان تحويل الوسائل الى غايات ، يؤدي الى اتخاذ الدعوة الى الاسلام حرفة ، والاحتراف بالاسلام ، وتوظيفه لمآرب شخصية يشوه وجه العاملين لهذا الدين ، ويقيم جدارا نفسيا يحول دون وصول دعوة الله . واستنقاذ البشر مما هم فيه ، لدرجة قد تساهم مساهمة سلبية في ايذاء الدعوة ، والتنفير من الدعاة .

ويرى المؤلف أن هناك أخطاء شابت مسيرة العمل الاسلامي وأن هذه الأخطاء لم تقابل في كثير من الأحيان بالنقد والمناصحة خشية حدوث خلل في الصف الاسلامي ، وكان هذا شيئا خطيرا لأن التسويغ وتوقف المناصحة ، وتعطيل الحوار ، وعدم دراسة جوانب التقصير ، لا يقتصر على تثبيت هذه الأخطاء فحسب ، وانما يؤدي الى تكرارها ، وهو تكرار يؤدي بالأمة الى العجز ، والى تضييع الوقت الذي كان يمكن أن ينتفع به في بناء جديد ، يتجنب أخطاء البناء القديم ، بل ويتجنب تكرار اللدغ من الجحر الواحد أو الجحور المماثلة !!

— ٣ —

❋❋ وتحت عنوان :

« **حتى نكون على مستوى المسئولية** » يذكر المؤلف أن الدعوة الاسلامية استطاعت والى حد بعيد الانتصار في المعركة الأساسية ، وهي تحقيق الذات الاسلامية ، وتحديد معالم الشخصية

نظرات في مسيرة العمل

الاسلامية .. كذلك فان الدعوة الاسلامية استطاعت الانتصار في معركة التحدي الحضاري والصراع الفكري وتخليص الجماهير المسلمة من مركب النقص أمام الحضارة الأوربية الغازية المتفوقة ماديا .. والى جانب هذا فان الدعوة الاسلامية الحديثة استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين بوحدة العالم العربي والاسلامي ، واقناعهم بأن ذلك دين لا يمكن التفريط فيه ، قال تعالى « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » الأنبياء ٩٢ .

كل هذا رغم واقع التجزئة الذي جاء به الاستعمار الحديث ليثأر لهزيمة الحروب الصليبية ، بعد أن اجمع على تقطيع أوصال دولة الخلافة ، مستخدما كل النزعات القبلية والعشائرية والعائلية والجنسية والقومية ، لتكون حواجز في وجه الأمة الواحدة على شكل لم يحدث له مثيل في العالم .

يضاف الى هذه الجوانب التي انتصرت فيها الدعوة الاسلامية أنها استطاعت أيضا أن تعيد الجماهير المسلمة الى الاعتزاز بالاسلام والاستعلاء بالايمان ، وتجديده الأمل بقدرة هذا الدين على مواجهة المشكلات المعاصرة له بما له من تاريخ وتجربة حضارية .

لكن هذا كله لا يعني أن العمل الاسلامي أدى مهمته ، فالخطورة كل الخطورة تكمن في عملية التوقف عند حدود هذه الخطوة ، خطوة الاكتفاء بالاسلام من حيث المبادىء والمثل ، ثم الاسترخاء وخداع النفس بالأماني والاستسلام لنوم عميق .

ان المسئولية الجديدة التي تقع على عاتق العاملين في مسيرة العمل الاسلامي هي الانتقال من مرحلة المبادىء الى مرحلة البرامج ، والانتقال من مرحلة الخطب وزعامة المنابر الى مرحلة الخطط ودراسة الاحتمالات ، ووضع الحسابات الدقيقة بكل حركة ، وذلك لأن المبادىء أثبتت مصداقيتها تاريخيا ، فالتوقف بها عند مرحلة الآراء ، وتركها حبيسة الكتب ، أو معلقة على المنابر ، دون تنزيلها الى واقع المسلمين يحمل من الخطورة الكثير ، الى درجة قد نسهم نحن فيها في تعطيل هذه المبادىء اذا عجزنا عن تمثلها ، وبذلك لا نختلف عن غيرنا في كل جانب من جوانب حياتنا .

انها مسئولية تحويل الأقوال الى أفعال ، وترجمة النوايا الصادقة الى أعمال صالحة .

— ٤ —

* وتحت عنوان « **المسلم ومسئولية البلاغ المبين** » يتحدث المؤلف عن أبرز مسئوليات المسلم ، التي تتمثل في الأمانة التي قبل حملها عندما رضي بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، الذي كانت الغاية من ارساله ومن رسالته الحاق الرحمة بالعالمين ، قال تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » الأنبياء ١٠٧ ، فكانت مهمته الأولى البلاغ

المبين « وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ » النور ٥٤ ٠

وهذه الأمانة تقتضى من المسلم أن يدعو الى الله سبحانه وتعالى وأن يعمل على تخليص الناس من كل ألوان العبودية ، واخراجهم من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ٠

ومن يكون له شرف سلوك هذا الطريق ، فان عليه أن يبدأ بتنمية نفسه وتزكيتها بالاسلام ليكون على مستوى خطاب التكليف قال تعالى « قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ٠ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » الشمس ٩ ــ ١٠ ٠

وعليه كذلك أن يطور وسائله فى الدعوة الى الله ليكون فى مستوى المهمة التى يتطلبها اسلامه وعصره على حد سواء ، قال تعالى« ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » النحل ١٢٥ ٠

وليس معنى العكوف على تربية الذات الانقطاع عن الحياة ، وترك التعامل معها والانسحاب من المجتمع ، اذ أن ميدان تربية الذات أكبر من ذلك بكثير ، انه الحياة بكل ما فيها من جوانب الخير والشر وهو المعاناة اليومية ، التى تواجه التحديات المحيطة ، بعدم الذوبان والسقوط أمامها ٠

وأولى ثمرات هذه التربية الميدانية هى عملية البلاغ المبين ، تلك المهمة التى ابتعث من أجلها النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا فانه محل الأسوة والقدوة بالنسبة للمسلم الذى يدعو الى الله سبحانه وتعالى ٠

وعلى الداعية أن يحسن اختيار الوسيلة ، فهو مطالب دائما أن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن يدفع بالتى هى أحسن ، وأن يواجه وسائل الاعلام التى تحاصره صباح مساء ، مواجهة فيها وعى وتبصرة وذكاء حتى تكون لديه القدرة على حماية الصورة الاسلامية الصحيحة ٠

ان مسئولية البلاغ المبين تقتضينا اعادة النظر فى وسائلنا التى نتخذها فى الدعوة الى الله ، وتقتضى منا كذلك أن نعيد المسلم الى صورته الحقيقية التى جاء بها الاسلام ، وأن نقيم الدليل على أن الاسلام دين الرحمة والحب للانسان ، وليس هو الاسلام الذى صنعت صورته المخيفة وسائل الاعلام المعادية ٠

٠٠٠ وبعد ٠ فهذا هو المحور العام الذى تدور حوله بعض هذه المقالات ، التى ضمها الكتاب ، وهو محور يحاول أن يلقى الضوء حول مسئولية العمل الاسلامى والدعوة الى الله سبحانه وتعالى ٠

وفى مقالات أخرى يتعرض المؤلف لبعض جوانب القصور التى يقع فيها من يتصدرون للدعوة الى الله ، ولبعض العقبات التى تبرز أو توضع فى طريقهم ٠٠٠ وهذا موضوع مقالنا القادم ان شاء الله تعالى ٠

ــ يتبع ــ

أ٠د طه مصطفى ابو كريشة

أبو حيان التوحيدى

رجل جنى عليه فكره

مصادر علمه وأدبه

لقد عاش أبو حيان التوحيدى — أو أريد له أن يعيش — حياة الضنك والكفاف ، لكنه كان على مقدرة بحيث راض نفسه على أن يكونها تكوينا يجعله متفردا أو متميزا بين معاصريه ، تنوعا فى المعارف ، وتبحرا فى الرواية والدراية وسموا فى الأفكار ، مع حضور بديهة وشدة ذكاء .

والذى لا ريب فيه أن للباحث عن مصادر تكوين التوحيدى طرائق ومناهج . سوف نجتزئ منها : بشيوخه الذين أخذ عنهم . وبهم تأثر .

ثم بحرفة النسخ التى أجادها رغم بغضه لها ، وذمه اياها ، فان فى هذين المصدرين كفاية وغناء ، ولكن لمن يتقنهما عالما بخطرهما ، كعلم أبى حيان واتقانه

مشايخه :

لقد كان صاحبنا أحرص من عرف بالحرص على الأخذ والتلقى . وأقدر من عرف بالمقدرة على التسجيل والتقييد . وأن حرصه هذا لم يكن قاصرا على فن دون غيره من الفنون . فلقد ارتحل صعدا . وجاب الآفاق موغلا . يجالس العلماء ويناقش ويحاور . ولقد أمدته فطرته وصفاء ذاكرته بالوعى والفقه فى أقصر زمن . حتى صار واحد العصر . وفرد الدهر الذى لا نظير له — كما يسميه العارفون —

ونحن و جعلنا وكدنا أن نستقصى من جلس اليهم . وأفاد منهم . لبعدت علينا الشقة . وآدتنا المشقة . لأننا حين نسرح البصر فى

من شيوخ التوحيدى راجع : طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ، والأنساب للسمعانى ، والفهرست لابن النديم . ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى . وشذرات الذهب لابن العماد . وتتمة صوان الحكمة للبيهقى . وراجع كتب التوحيدى . خصوصا : الصداقة والصديق والامتاع والمؤانسة . والبصائر والذخائر . والمقابسات .



للدكتور حامد إبراهيم الخطيب

ثنايا نتاجه نخاله لم يغادر واحدا من العلماء دون أن يحاوره ويسائله . فكان لزاما ان نقتصر على من تعدهم المصادر له أساتذة ومعلمين :

تذكر هذه المصادر أنه قد تفقه على القاضي أبي حامد المروروذي وهذا القاضي يعدونه من كبار القضاة الشافعيين بالبصرة . ومن زعماء المذاهب وعظمائه . ويؤكدون أن التوحيدي كان من أخصائه وتلامذته . وهو الذي عنه يقول :

« وانما أولع بذكر ما يقول هذا الرجل ، لأنه أنبل من شاهدت في عمري . وكان بحرا يتدفق حفظا للسير . وقياما بالأخبار . واستنباطا للمعاني . وكان ذا عارضة عريضة ، ولسن بين . وقلب ذكي » (١) .

وتذكر المصادر أن أباحيان سمع من أبي بكر الشافعي القفال الشاشي . وقد كان هذا الشيخ فقيها محدثا . وأصوليا بارعا . وأديبا شاعرا . وكان أحد أئمة الدنيا في التفسير والحديث . وفي الفقه واللغة .

وعن أبي سعيد السيرافي أخذ حديث رسول الله ﷺ . وعنه وعن علي بن عيسى الرماني أخذ اللغة والنحو . وكلا الرجلين كان عالم علماء . وأستاذ أساتيذ .

أما السيرافي فعلم كبير بين أعلام النحاة واللغويين . وكان ممن حدثوا ودرسوا الحديث ببغداد . وكان التوحيدي من أشد المترددين على مجالسه حرصا . ومن أكثرهم فهما وتقديرا . فلا غرو أن يشيد بمقدرته . فيقول :

« انه كان يجيد كثيرا من العلوم . وانه كان عالم العالم . وشيخ الدنيا . ومقنع أهل الأرض . ثم له تفسير كتاب سيبويه من أوله الى آخره . بغريبه وأمثاله . وشواهده وأبياته .

والتوحيدي كان يتعصب لهذا الشيخ . وقد قرأ عليه عديدا من الأسفار الأصول . وسجل في كتابه « الامتاع والمؤانسة » محاورة السيرافي الممتعة مع متى بن يونس القنائي حول المفاضلة بين نحو العرب ومنطق اليونان (٢) .

وفي يقيني أن تلك المساجلة جديرة بالدراسة الواعية المتأنية من كل من يعنيه الاعتناء بالتراث العظيم .

أما الرماني ـ أحد أساتذته ـ فانه امام في علم العربية . علامة في الأدب . يعدونه في طبقة أبي سعيد السيرافي . وكان متكلما على مذهب المعتزلة . يقول عنه أبو حيان :

---

١ ـ ٣٠٥/١ الامتاع والمؤانسة ، ٢١٧/٢ البصائر والذخائر .

٢ ـ ١٢٩/١ ، ١٣٣ ، ٢٢٢ الامتاع والمؤانسة .

أبو حيان التوحيدى

لم أر مثله علما بالنحو ، وغزارة فى الكلام ، وبصرا بالمقالات ، واستخراجا للعويص ، وايضاحا للمشكل ، مع تأله وتنزه ، ودين ويقين ، وفصاحة وفقاهة ، وعفافة ونظافة (١) .

وعن جعفر الخلدى أخذ التوحيدى التصوف ، وقد كان هذا الشيخ من كبار شيوخ الصوفية ورؤسائهم ، وكان من كبار رجال الحديث ، وانما شغله عن طول النظر فى الحديث والاشتهار كغيره أنه جعل من نفسه ملجأ وملاذا لكل المتصوفين ، ولقد أفصح عن ذلك بقوله : لو تركتنى الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا (٢) .

ولقد كان أبو حيان من المختلفة الى دروس يحيى بن عدى المنطقى ، وهذا الشيخ قد انتهت اليه رياسة أصحابه فى زمنه ، وهو من قبل ذلك كان يأخذ عن أبى نصر الفارابى ، وأبى بشر متى بن يونس القنائى ، وحسبك بهذين شيخين .

كذلك كان أبو حيان من رواد مجلس أبى سليمان المنطقى مصنف كتاب « صوان الحكمة » وانه لشيخ معدود بين كبار علماء بغداد ، بل من أكبر علمائها آنذاك فى المنطق والحكمة والفلسفة ، وغير ذلك من العلوم (٣) .

من هؤلاء على مختلف معارفهم وتجاربهم ، ومن غير هؤلاء ممن التقى بهم صاحبنا فى ترحاله وقايسهم وساجلهم . كان يستمد أفكاره ، ويصوغ مباحثه . فتارة يسجل ما يسمع ، وأخرى يعقب فقط ويذيل ، ولكنه تعقيب من يجمع الشوارد ، ويكشف عن الغوامض ، ومرة تجده يلجأ الى اختصار ما يسمع فيأتينا بعصارته وخلاصته فاذا سجل رائع نتاجه وشهى أفكاره . كان قمة شامخة تشرئب اليها الأعناق وتتطلع الأبصار (٤) .

ذلك هو مصدر تكوينه الأول ، ونعم به مصدرا . فان التلقى عن الشيوخ هو النهج الذى نهج السلف . فخلف لنا مفاخر لاتبارى ولا تجارى . وانه للمنهج الذى سار عليه الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى التلقى عن ربه — تعالى — ثم تلقى أصحابه عنه — رضى الله عنهم .

النسخ :

أما مصدر تكوينه الثانى فهو « النسخ » — كما أشرنا — ولعله لايقل عن سابقه قوة أثر وتأثير — ان لم يفقه — فعلى الرغم من ان « النسخ » حرفة الشؤم — كما يسميها — فانه قد أجادها أيما اجادة ، واعتنى بها أيما اعتناء واوضح دليل على صدق ذلك تلك الرسالة التى وضعها فى علمى الخط والكتابة (٥) .

فمن خلالها يمكن الوقوف على مدى وقوفه على خفايا تلك الحرفة ثم كيف توفر له مايجعلها مستقيمة متمايزة

---

١ — ٢/١٣٠ وما بعدها . المرجع السابق .
٢ — ٢٢٦/٧ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .
٣ — ٢/ ٣٢ الامتاع والمؤانسة ، ٣٦٩ فهرست ابن النديم .
٤ — سيتضح ذلك ويصدق متى طالعنا نماذجه فى كتبه المختلفة .
٥ — انظر ثلاث رسائل لابى حيان التوحيدى — تحقيق د/ابراهيم الكيلانى .

وذلك كله يضع يدنا علـــى سعة معارف التوحيدى ، ثم درايته بما يعرف .

وتجويد أبى حيان للخطوط (١) العربية ، وبصره بأقلامها ، حدابه الى ان يجيد فى صحة نقله ، وتقييد خطه ، وسلامته من التصحيف والتحريف (٢) وأسلم به ذلك أيضا الى طول النظر ، وتدقيق التفكير ، فحفظ أكثر فنقوله من أمهات الكتب ، وفقه ما حفظ ، فتكونت فيه من ثم شخصية فلسفية طلعة ، تستخلص الأسئلة من كـــل مايقع أمامها ، سواء كانت المسائل خلقية ، أواجتماعية ، او لغوية ، أو اقتصادية ، أو نفسية ، فتراه فيلسوفا مـــع الفلاسفة ، متكلما مع المتكلمين ، ولغويا مـــع اللغويين ، ومتصوفا مع المتصوفة ، وفكها مع المتفكهين ، وتراه كذلك كثير التحصيل للعلوم فى كل فن حفظه ، متســـع الرواية ، دقيق الدراية (٣) وتلك ـــ بلاريب ـــ نتائج حتمية لحرفة الشؤم ـــ فى رأيه لا رأينا فانها كانت ـــ فى رأينا ســـلاحا ماضيا ذاحدين ، أســـعده احدهما اسعادا ، وأشقاه الآخر اشـــقاء ، ولدنيا أن اسعاده كان أجل وأجدى ، برغـــم رؤيته هو التى تصادم مانراه ، فلقد أوصلته الى كبار عصره ، ينسخ لهم ويكتب ، وكان له مع بعض منهم شأن عظيم ، ذلك أمر سوف نختصه ـــ ان شاء الله ـــ بحديث .

ذلك ، ومن شاقه التوحـــيدى اللغـــوى النحوى ، المتنقل بين الأفنان فلينظره فى سفره الضخم « البصائر والذخائر » .

ومن راقه أن يرى التوحيدى الفيلســـوف المفكر ، فليصطحبه فى كتابيه « المقابســـات » « والهوامل والشوامل » .

فاذا أحب رؤيته زاهدا ، ومنيبا واعظا ، ومتصـــوفا أوابا ، فعليه بالصبر والتأنى فى دراسته لكتابه « الاشارات الالهية » .

أما أبو حيان المؤرخ ، والمصور الرســـام بالحروف والكلمات ، والناقد الفكه ، الخبير بكل مظهر وما يتخفى تحته من مخبر ، فانه يبدو جليا فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » .

وأما أبو حيان العليم بفكر معاصريه ، الملم بنتـــاج سابقيه ، والذى عرف عن كثب وتجربة كنه الصاحب وحقيقة الصديق ، وما يستتبع ذلك من كلفة وواجب ، فانه يتجلى فى كتابه « الصداقة والصديق » .

ومن خـــلال كتابه « مثالب الوزيرين » أو « أخلاق الوزيرين » ـــ على اختلاف التسمية بين المحققين ـــ يظهر التوحـــيدى الثـــائر الساخط ، والهجاء المقذع ، والفحش السليط .

ولسنا نفتقده فى جل كتبه مفسرا ، ومحدثا ، وفقيها ـــ وانه بدا مقلا فى هذا العلم الأخير .

وسوف يرى فى كل أعماله ذا روح مرحة ، وانفة موحية ، وتعبير محكم ورصين ، يبدو ذلك حتى فى تخيره لما ينقله عن المـــاضين أو المعاصرين .

---

١ ـــ يجدر العلم بان الخط العربى تطور تطورا هائلا على ايدى اعلامه المجودين ، حتى لقد اخذ اشكالا هندسية بالغة الدقة والروعة ، وما تزال تلك الروائع بادية على جدر العمران الاسلامية المختلفة .

٢ ـــ ١٢/١٥ معجم الادباء .

٣ ـــ راجع مقدمة الهوامل والشوامل للاستاذ سيد صقر واحمد امين ، وانظـــر ـــ أبو حيـــان التوحيدى د/زكريا ابراهيم .

أبو حيان التوحيدى

ونسوق اليك نفثة ينفس بها عن ألم مخبوء ، وبغض مضطرم يكنه للصاحب بن عباد ، فيقول :

«..ومن أظلم ممن يصف السفيه بالحصافة واللئيم بالكرم ، والمتعجرف بالأناة ، والعاجز بالكفاية ، والناقص بالزيادة ، والمتأخر بالسبق ، والعنيف بالرفق ، والبخيل بالسخاء ، والوضيع بالعلاء ، والوقاح بالحياء ، والجبان بالغناء ، ٥٧ مثالب الوزيرين .

ونختم باشراقات من كتابه « الاشارات الالهية » اذ يقول :

« اللهم انا حضرناك دنسين فطهرتنا ، وسألناك محتاجين فأجبنا ، ولذنا بك عاجزين فتلونا وخفناك لاجرامنا فآمنا ، وتكشفنا عندك فسترنا .. اللهم أنت بنا أبصر ، ونحن عن مصالحنا أقصر ، فرقنا بكرمك الى حظيرة القدس ، واسقنا بكأس القبول شراب الأنس فانك ان فعلت ذلك بنا لم نظمأ بعده أبدا ، ولم نؤثر عليك أحدا .

آه على أقدام كانت تستثقل حمل دقيق النعال ، كيف تطيق غدا ثقل القيود والأثقال.

آه على جنوب كانت تستخشن لين الحرير، كيف تصبر غدا على مقاساة لهب السعير .

آه على خدود فى ظلال الترف تتدلل ناعمة ، كيف تكون غدا فى أطباق الثرى ساهمة راغمة.

آه على أجساد فى حلل الدنيا مصونة ؛ اذا أصبحت غدا فى أثناء الجنادل مهينة مدفونة.

آه على من تذ غدا فى ضروب المعاصى مشتبكا ، كيف يكون اذا وقف بين يدى الملك لجبار مرتبكا » ٣٧٠ الاشارات الالهية » . يتبع

د / حامد ابراهيم الخطيب

الواحد الصمد - بقية

اله العالمين وكل أرض
ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا
بلا عمد يرين ولا رجال
وسواها وزينها بنور
من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ فى دجاها
مراميها أشد من النصال
وشق الأرض فانبجست عيونا
وأنهارا من العذب الزلال
وبارك فى نواحيها وزكى
بها ما كان من حرث ومال
وكل معمر لابد يوما
وذى دنيا يصير الى زوال
وسيق المجرمون وهم عراة
الى ذات المقامع والنكال
وحل المتقون بدار صدق
وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا
من الأفراح فيها والكمال

ايها الأخ المؤمن . الى المقال التالى حيث نتمم تفسير سورة الاخلاص ، وبالله التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير



إعداد الاستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

« الزواج بغير ولى »

س : من السيد / ع . م . البحراوى
سيدة عاقلة بالغة زوجت نفسها بدون ولى . فما حكم هذا الزواج شرعا ؟

ج : يجوز للمرأة العاقلة أن تزوج نفسها بدون ولى ، وذلك على مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه ، وحيث انها تزوجت فزواجها صحيح شرعا .

« قبول التعويض أم العفو »

س : من السيد / ع . م – عزب
الشرقية .
صدم أخى « موتوسيكل » ومات فى الحال ، ثم حكمت المحكمة على الجانى بدفع مبلغ من المال دية له . فهل اقبل التعويض ام العفو أفضل ؟

ج : لا مانع من أخذ التعويض الذى حكمت به المحكمة ، ولورثته الخيار بين أخذ التعويض أو تركه .

« جمع التبرعات فى المسجد لبناء مدرسة »

س : من السيد / خ . م . ابراهيم
الغربية .
هل يجوز تحويل مبلغ الف جنيه جمعت لمسجد فى قريتنا لبناء مدرسة آيلة للسقوط فى البلد نفسه ؟ . وهل يجوز جمع النقود فى المسجد للمدرسة ؟

ج : هذا المبلغ وهو الألف جنيه ان كان سينفق على رفاهية المسجد كدهنه بالزيت أو زخرفته فيجوز صرفه الى بناء المدرسة .. أما اذا كان المسجد فى حاجة اليه لتكميل بنائه فلا يجوز دفعه الى المدرسة .

ولا مانع من وضع صناديق لجمع التبرعات للمدرسة على أبواب المسجد ، ولا يجوز تخطى رقاب المصلين لجمع النقود للنهى عن ذلك .

« فى الطلاق »

س : من السيدة / ك ٠ ح ٠ سعد طلقت من زوجى بتاريخ ٢ من شهر صفر سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٨٤ م طلقة ثانية على الابراء ٠ فمتى يحل لى الزواج بآخر ؟

ج : لا يحل لهذه المرأة التزوج بآخر الا بعد أن تنتهى عدتها من مطلقها ٠٠ فان كانت حاملا تمضى عدتها بوضع الحمل ٠٠ ، واذا بلغت سن اليأس وهو خمس وخمسون سنة ، أو كانت لا تحيض مطلقا فبمضى ثلاثة أشهر ٠٠

وتنقضى عدتها بثلاث حيضات سوى الحيضة التى طلقت فيها ان كانت من ذوات الحيض ٠

ولا تصدق فى انقضاء عدتها فى أقل من ستين يوما ٠

فان ادعت الحمل لا يحل لها أن تتزوج الا بعد مضى سنة قمرية ٠

« حكم دفن الرجال مع النساء »

س : من السيد / جابر زكريا ٠

هل يجوز دفن المرأة الأجنبية مع الرجل الأجنبى فى مكان واحد لضيق المكان ؟

وهل يجوز أن تجمع عظام الموتى بأكفانهم بعد مدة ودفنهم فى حفرة واحدة تحت ما يسمى « بالفسقية » مدفن العائلة لضيق المكان أيضا ؟

ج : يجوز أن تجمع عظام الموتى وتدفن فى مكان واحد وتغطى بالتراب ، ثم يدفن فوقها ٠ كما يجوز دفن المرأة مع أجنبى للضرورة كضيق المكان على أن يكون بينهما حائل من رمل مثلا ٠

س : من السيد ع ٠ ع ٠ مواق طلقت زوجتى مرتين متفرقتين بقولى لها : أنت طالق ، وراجعتها فى كل مرة أثناء العدة ثم طلقتها مرة ثالثة قلت لها : على الطلاق اذا خرجت من المنزل تكونين طالقا وخرجت ــ وأنا أريد الطلاق ــ فما الحكم ؟

ج : بالنسبة لطلاقك زوجتك مرتين فقد وقع بكل منهما طلاق فيكونان طلقتين ، وحيث انك راجعتها فى كل مرة أثناء العدة فان الرجعة صحيحة شرعا فى كل مرة ٠٠٠

أما الطلاق الثالث فانه يمين معلق ، وحيث أن الحالف كان يريد به الطلاق لو خرجت ، وحيث أنها خرجت ، فيقع به طلاق ٠٠٠

وبهذه الطلقة الثالثة تكون الزوجة قد بانت من زوجها بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فاذا طلقها الزوج الثانى أو مات عنها وانقضت عدتها منه ، حلت للزوج الأول بعقد ومهر جديدين وبرضاها ٠

« فى الميراث »

س : من السيدة / ن ٠ س ٠ على ــ القاهرة

توفى رجل عن : زوجـة ، عم لأم ، بنتى عم لأم . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، ومادام الموجودون من ذوى الأرحام فان الباقى بعد نصيب الزوجة يكـون للعم لأم ، ولا شىء لبنتى العم لأم لحجبهم بالعم ، لأنه أقرب درجة والأقرب يحجب الأبعـد ..

والله اعلم ..

عبد الحميد السيد شـاهين

من سيرته وشمائله ﷺ بقية

يكن جاهلا يكذب بلا علم ، واذا انتفى هـذا وذاك تعين أنه كان صادقا عالما بأنه صـادق . ولهذا نزهه الله عن هـذين الأمـرين يقـول تعالى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ـ إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى » .

وقال تعالى عن الملك الـذى جاء به « إِنَّهُ لَقَـوْلُ رَسُـولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ـ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ » .

ثم قال عنه : « وَمَا صَـاحِبُكُم بِمَجْنُـونٍ ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ، وَمَا هُـوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَـيْطَانٍ رَّجِيمٍ ـ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ـ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » .

وقال تعالى : « وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الـرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِـكَ لِتَكُـونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ، الى قـوله : « هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَـزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَـرُهُمْ كَاذِبُونَ » .

بين سبحانه أن الشـيطان انما يتنزل على من يناسبه ليحصل به غرضه . فان الشـيطان يقصد الشر . وهـو الكـذب والفجـور ولا يقصـد الصـدق والعدل . فـلا يقتـرن الا بمن فيه كذب .

فان رسـول الله ﷺ بـرىء من تنـزل الشياطين عليه فى العمد والخطأ .

بخلاف غير الرسول ﷺ ، فانه قـد يخطىء ، ويكون خطؤه مغفورا له ، فاذا لم يعرف له خبر أخبر بـه كـان فيـه مخطئا ولا امر أمر به كان فيه فاجرا ، علم أن الشيطان لم ينزل عليه وانمـا ينزل عليه ملك كريم ، ولهذا قال فى الآية الأخرى عن النبى ﷺ « إِنَّـهُ لَقَـوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا بِقَـوْلِ كَـاهِنٍ قَلِيـلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ، تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » .

أنباء وآراء

إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عاطف شحاته زهران

فى المؤتمر الخامس عشر لوزراء الخارجية

أوصى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى صنعاء عاصمة اليمن الشمالى بضرورة جمع الصف الاسلامى وتوحيد كلمة الأمة الاسلامية لمواجهة التحديات التى تقابل العالم الاسلامى وبخاصة العدو الاسرائيلى .

ودعا المؤتمر الى ضرورة القيام بعمل اسلامى جاد لاستعادة القدس وتحرير المسجد الأقصى من أيدى الصهاينة .. كما دعا المؤتمر الى ضرورة وقف الحرب العراقية الايرانية التى تستنزف موارد دولتين اسلاميتين ولا تخدم أى طرف من أطراف العالم الاسلامى .

وقد ناقش المؤتمر امكان ارسال لجنة مصالحة اسلامية لوقف الحرب وتعويض الطرفين عن خسائرهما التى نجمت عن الحرب التى دخلت عامها الرابع .

ودعا المؤتمر الى جلاء القوات السوفيتية عن أفغانستان الجريحة وتحقيق الحد الأدنى من التعاون الاقتصادى بين ديار الاسلام خاصة فى الوقت الذى تتعرض فيه بعض الدول الاسلامية لموجات من الجفاف الذى اجتاح أكثر من دولة من دول الأمة الاسلامية ..

وقال الدكتور عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر فى كلمته التى ألقاها بالمؤتمر « ان الأمة بحاجة الى نبذ الخلافات وتحقيق الاجماع الاسلامى الذى يخدم مستقبل أمتنا الاسلامية » .

امانة عامة للدفاع عن مصالح المسلمين

عقد المجلس الاسلامى الأوربى مؤتمرا فى العاصمة الفرنسية باريس لبحث احوال العمال المسلمين فى أوربا . وحضر المؤتمر مندوبون عن الجاليات الاسلامية فى عدد كبير من الدول الأوربية كذلك حضر المؤتمر شخصيات بارزة مثل المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى ونجم الدين بامات احد كبار المسئولين السابقين فى منظمة اليونسكو .

المشكلة التى تواجه ستة ملايين مسلم فى أوربا معظمهم من المهاجرين هى رغبتهم أن يحيوا حياة كريمة أقرب ما تكون الى تعاليم دينهم .



إعداد : أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
أحمد عبد الله باجور

وقد أيد الحاضرون باجماع كبير انشاء امانة دائمة يمكنها العمل قدر الامكان لتحقيق هذه الرغبة .

رابطة للأدب الاسلامي

اعلن في الهند اخيرا عن تأسيس « رابطة الأدب الاسلامي » برئاسة الداعية الاسلامي المعروف ابو الحسن الندوي .

وتهدف الرابطة الى بلورة المنهج الاسلامي في المجالات الأدبية والنقدية بعد سيطرة الأدب الغربي ومفاهيمه المادية على عقول الأدباء الاسلاميين . والعمل على تأصيل نظرية الأدب الاسلامي مع اظهار صلة الأدب بالاسلام في المجتمعات الاسلامية .

« محطة » (تليفزيونية) اسلامية

قامت حركة التوحيد الاسلامي في طرابلس بشمال لبنان في تشغيل محطة التليفزيون الخاصة التي انشاتها مؤخرا وبدات تبث برامج تليفزيونية في نطاق مدينة طرابلس وضواحيها وتقتصر برامج تليفزيون « التوحيد » على الفقرات الدينية من اناشيد وتوجيهات وتعليقات بالاضافة الى عرض مقاطع مصورة من خطب واقوال لبعض القيادات الاسلامية في مناسبات مختلفة » .

انشاء ثمانية آلاف مدرسة اسلامية

قامت هيئة التعليم الاسلامي بالهند بانشاء ثمانية آلاف مدرسة اسلامية ابتدائية بالهند في خمسة وأربعين مديرية بالولايات المختلفة وذلك لتعليم أبناء المسلمين الذين يدرسون في المدارس الحكومية أصول الدين الاسلامي وتحفيظهم القرآن الكريم .

وتعتبر هذه المدارس مستقلة عن نظام التعليم الحكومي ، وتعتمد على تبرعات المسلمين هناك ولا تقبل مساعدات حكومية .

قال ظهير أنوار القاسمي مدير المدارس : ان انشاء هذه المدارس الاسلامية يهدف الى العناية بتعليم القرآن الكريم وعلومه وتفسيره وتعليم اللغة العربية واقامة مراكز تحفيظ القرآن الكريم الى جانب التعريف بالاسلام في مختلف المناطق ، ونشر الوعي الديني بين أبنائه .

طفل سوفيتي من كل ستة أطفال مشوه

أكدت أكاديمية العلوم السوفيتية في تقرير سري أن ادمان الخمور في الاتحاد السوفيتي يؤدي الى ولادة طفل معتوه أو مصاب بعاهة

أنباء وآراء

من كل ستة أطفال .

قال التقرير الذى تسربت مقتطفات منه الى وكالة الأنباء الفرنسية : ان عدد مدمنى الخمور عام ١٩٨٠ بلغ ٤٠ مليون مواطن ومواطنة اى ١٦٪ من عدد السكان .

(الصحوة الاسلامية) فى السنغال

صدرت فى السنغال جريدة اسلامية بعنوان « الصحوة الاسلامية » التى توقفت عن الصدور لمدة ثلاثين عاما على أثر العقبات التى قابلت الصحيفة فى السنغال .

تصدر الصحيفة شهرية فى اثنتى عشرة صفحة . ويتصدر صفحتها الأولى قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وجريدة « الصحوة الاسلامية » جريدة هادفة تعالج كثيرا من قضايا المسلمين ، وتعرض الحلول المناسبة للمشاكل التى تعترض المسلمين فى صحوتهم الواعية .

انشاء مصرف اسلامى دولى

تعتزم عدة مؤسسات اسلامية تأسيس مصرف اسلامى دولى براسمال قدره خمسمائة مليون دولار بحلول عام ١٩٨٦ م . وقدتم الاكتتاب بحوالى نصف راس المال . وتم تقديم طلب للحكومة الكويتية للحصول على ترخيص لاقامة المصرف كوحدة أو مشروع .

ووصفت بعض المصادر هذا المصرف بأنه سيكون « مصرف المصارف الاسلايمة » اذ سيكون بامكان المصارف الاسلامية ايداع اموالها الفائضة فى هذا المصرف كاستثمار وسحبها اذا مادعت الحاجة .

نظام المعاملات الاسلامية

بدأت باكستان فى تطبيق نظام المعاملات الاسلامية فى (مصارفها) وذلك فى اطار خطة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية التى يتبعها الرئيس محمد ضياء الحق . وأعلنت السلطات الباكستانية أن هذاالنظام سيطبق على المصارف الوطنية والأجنبية . وقد منحت الحكومة لهذه المصارف مهلة ستة اشهر كفترة انتقالية يتم بعدها تطبيق النظام الجديد تطبيقا كاملا .

وصرح غلام اسحاق خان وزير المالية الباكستانى : بأن نظام الودائع فى المصارف سيقوم على اساس المشاركة فى الارباح والخسائر . وذلك خلافا لنظام الفوائد الثابتة التى تتبعه المصارف الغربية .

وقال وزير المالية : أن النظام الاسلامى سيمتد ليشمل ستة آلاف فرع لخمسة مصارف وطنية باكستانية . وأن اكثر من عشرين فرعا للمصارف الأجنبية قد وافقت على اتباع النظام الجديد .

حكم قضائى برفض الربا

رفضت محكمة استئناف القاهرة برئاسة المستشار محمود هريدى ، وعضوية السيد

نور الدين الشحات ، والسيد فوزى لمعى ــ الحكم بصرف الفوائد لمخالفتها للشريعة الاسلامية .

قالت المحكمة فى حيثياتها :

« انه لما كان القضاة هم الذين يرتكبون اثم من يحكم بغير ما انزل الله ويتحملون وزره ، فان المحكمة لا تتردد فى أن تحكم بما انزل الله وتقضى برفض الحكم بالفوائد تأسيسا على بطلانه لمخالفته الشريعة الاسلامية التى تسمو على كل قانون وضعى » .

لجان تقنين الشريعة الاسلايمة

كلف الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المستشار أحمد موسى وكيل مجلس الشعب بدراسة نتائج أعمال لجان تقنين الشريعة الاسلامية خلال الفترة الماضية ، وذلك تمهيدا لتقييم هذا النشاط فى ضوء مطالبات الاعضاء المكثفة داخل مجلس الشعب بتطبيق الشريعة الاسلامية .

من نوادر مخطوطات - بقية

ذلك فى زوجته وأمته فى اعتكاف التطوع واخراجهما منه ومنعهما مالك اذا دخلا فيه . ووجه أبو حنيفه فى الأمة دون الزوجة .

الثالث ــ فيه أن الاعتكاف لا يصح الا فى المسجد وان كونه فيه شرط لصحته حيث اعتكف عليه الصلاة والسلام وأزواجه فيه مع المشقة فى ملازمته ومخالفة العادة فى الاختلاط بالناس لا سيما النساء ، فلوجاز الاعتكاف فى البيوت لما خولف المقتضى بعدم الاختلاط بالناس فى المسجد ، وتحمل المشقة فى الخروج كعوارض الخلقة وهذا مذهب مالك والشافعى وأحمد وداود والجمهور .

وقال أبو حنيفة يصح اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها وهو الموضع المهيا للصلاة دون الرجل وهو قول قديم للشافعى ، ونقله البندنيجى عن الجديد، وجوزه بعض اصحاب مالك وأصحاب الشافعى للرجل أيضا لان الاعتكاف تطوع وتطوعه فى البيت أفضل الى آخر ما ذكر فى هذا الباب . والنسخةموجودة بمكتبة الازهر فى مجلد بقلم معتاد سنة ١١٢٥ هـ فى ٣٨٠ ورقة ومسطرتها مختلفة وتوجد نسخة اخرى فى مجلد بقلم معتاد باولها وآخرها نقص فى ١٥٠ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

نسأل الله الكريم أن نستزيد من فضل هؤلاء العلماء، وثمرة جهدهم حتى تكون لدينا الحصيلة الوافيةالنافعة لنشر ثمراتها لنفع الاسلام والمسلمين .

والله ولى التوفيق

« محمد عمره على »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الشريف الذي جمع فأوعى

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله - جئت أسألك عما يغنيني في الدنيا والآخرة فقال رسول الله ﷺ: سل عما بدا لك

قال: أريد أن أكون أعلم الناس، فقال ﷺ: اتق الله تكن أعلم الناس

قال: أريد أن أكون أغنى الناس، فقال ﷺ: كن قانعا تكن أغنى الناس

قال: أحب أن أكون أعدل الناس، فقال ﷺ: أحب للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس

قال: أحب أن أكون خير الناس، فقال ﷺ: كن نافعا للناس تكن خير الناس

قال: أحب أن أكون أخص الناس إلى الله، فقال ﷺ: أكثر ذكر الله تكن أخص الناس إلى الله

قال: أحب أن يكمل إيماني، فقال ﷺ: حسن خلقك يكمل إيمانك

قال: أحب أن أكون من المحسنين، فقال ﷺ: اعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك تكن من المحسنين

قال: أحب أن أكون من المطيعين، فقال ﷺ: أد فرائض الله تكن من المطيعين

قال: أحب أن ألقى الله نقيا من الذنوب، فقال ﷺ: اغتسل من الجنابة متطهرا تلقى الله نقيا من الذنوب

قال: أحب أن أحشر يوم القيامة في النور، فقال ﷺ: لا تظلم أحدا تحشر يوم القيامة في النور

قال: أحب أن يرحمني ربي يوم القيامة، فقال ﷺ: ارحم نفسك وارحم عباده يرحمك ربك يوم القيامة

قال: أحب أن تقل ذنوبي، فقال ﷺ: أكثر من الاستغفار تقل ذنوبك

قال: أحب أن أكون أكرم الناس، فقال ﷺ: لا تشكو من أمرك شيئا إلى الخلق تكن أكرم الناس

قال: أحب أن أكون أقوى الناس، قال ﷺ: توكل على الله تكن أقوى الناس

قال: أحب أن يوسع الله علي في الرزق، قال ﷺ: دم على الطهارة يوسع الله عليك في الرزق

قال: أحب أن أكون من أحباب الله ورسوله، قال ﷺ: أحب ما أحب الله ورسوله تكن من أحبابهم

قال: أحب أن أكون آمنا من سخط الله يوم القيامة، قال ﷺ: لا تغضب على أحد من خلق الله تكن آمنا من سخط الله يوم القيامة

قال: أحب أن تستجاب دعوتي، قال ﷺ: اجتنب أكل الحرام تستجاب دعوتك

قال: أحب أن يسترني ربي يوم القيامة، قال ﷺ: استر عيوب إخوانك يسترك الله يوم القيامة

قال: ما الذي ينجي من الذنوب؟ أو قال من الخطايا؟ قال ﷺ: الدموع والخضوع والأمراض

قال: أي حسنة أعظم عند الله تعالى؟ قال ﷺ: حسن الخلق والتواضع والصبر على البلاء

قال: أي سيئة أعظم عند الله تعالى؟ قال ﷺ: سوء الخلق والشح المطاع

قال: ما الذي يسكن غضب الرب في الدنيا والآخرة؟ قال ﷺ: الصدقة الخفية وصلة الرحم

قال: ما الذي يطفئ نار جهنم يوم القيامة؟ قال ﷺ: الصبر في الدنيا على البلاء والمصائب

قال الإمام المستغفري: ما رأيت حديثا أعظم وأشمل لمحاسن الدين وأنفع من هذا الحديث أجمع فأوعى

رواه الإمام أحمد بن حنبل

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وبعد

فان الحديث السابق قامت بطبعه وتوزيعه على المواطنين بعض الشركات ، وعزته الى الامام أحمد بن حنبل من رواية خالد بن الوليد ، ولم تبين مصدره من كتب الامام أحمد بن حنبل .

وقد رجعت الى أحاديث خالد بن الوليد فى مسند الامام ، والى كتاب الزهد له ، والى كتاب المناقب : مناقب خالد ــ فى مجمع الزوائد للهيثمى فلم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ ولكن بعد البحث وجدت الحديث فى الجامع الكبير للامام السيوطى الجزء الثانى ص ٣٨٢ « قسم المسانيد » مسند خالد النسخة المصورة عن مخطوطه دار الكتب المصرية رقم (٩٠) .

ولم يعزه الامام السيوطى الى الامام أحمد ، وانما عزاه لغيره بلفظ : وجدت بخط الشيخ / شمس الدين بن القماح فى مجموعة له عن أبى العباس المستغرى قال : قصدت مصر أريد طلب العلم من الامام أبى حامد المصرى ، والتمست منه حديث خالد بن الوليد ، فأمرنى بصوم سنة ، ثم عاودته فى ذلك ، فأخبرنى باسناده عن مشايخه الى خالد بن الوليد قال : جاء رجل الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : انى سائلك عما فى الدنيا والآخرة فقال له : سل عما بدا لك ؟ .

قال يانبى الله : أحب أن أكون أعلم الناس .. الخ .

والناظر الى هذا الحديث بهذا الطول يجد أن الكثير منه ورد فى السنة النبوية فى مناسبات مختلفة كقوله : اعبد الله كأنك تراه .. (١) الخ .

وكقوله : أحب الناس الى الله تعالى انفعهم للناس (٢) .

وكقوله : أحب للناس ما تحب لنفسك .. (٣) الخ .

ولكن الحديث بهذه الصورة المجموعة على هذا النسق هو من جمع القصاص الذين يفعلون ذلك للتأثير على الناس ، وهو كذلك من الأحاديث المدلس بها على الامام أحمد حسب المصادر المتوفرة لدينا ، وكذلك عزوه لسيدنا خالد من الأمور التى تدعو الى الشك فيه وتؤيد أنه من عمل القصاص ، لتأخر

◄

---

(١) البخارى كتاب الايمان ج ١ ص ٢٠ (٢) انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٤ ص ٧٠ + ج ٢ ص ٣١٠ (٣) المصدر .

أنبـاء وآراء

اسلام خـالد (١) ، ولقلة روايته للحديث لاشتغاله بالحروب أخرج أبو يعلى عن قيس ـ يعنى ابن حازم ـ قال : قال خالد بن الوليد : « لقد منعنى كثيراً مـن القراءة الجهاد فى سبيل الله » قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح (٢) .

هذا بجانب أن الحديث لا سند له ولم نعثر على مجموع الشـيخ شمس الدين القماح فى المراجع المتوفرة لدينا . وهذا يؤيد ما ندعو اليه و ر ن هـذا الحـديث بهذا الشكل من عمل القصـاص : والله أعلم .

احمد عبد الله باجور

● ● ●

THE
Copts
CHRISTIANS OF EGYPT

NON PROFIT ORG
U.S. POSTAGE
PAID
PERMIT No. 140
JERSEY CITY, N.J.
ISSN 0360 — 849X

PUBLISHED BY: THE AMERICAN AND CANADIAN COPTIC ASSOC.
AND AUSTRALIAN COPTIC COMMISSION
P.O. BOX 9119 G.L.S. — JERSEY CITY, N.J. 07304 U.S.A.

VOL. II, NO. 1 and 2, JUNE, 1984

FROM HOUDAIBA TO CAMP DAVID TO THE LEBANESE-ISRAELI AGREEMENT

اصدر بعض الأقبـاط المصريين صحيفة : « الأقباط : نصارى مصر » تنشرهـا رابطة اقباط كندا وامريكا وبعثة أقباط استراليا» بمدينة جرسى ـ بولاية نيو جرسى الامريكية . نأمل ان تكون هذه الصحيفة عاملا من عوال الوحدة المصرية وعمادا لأمانى مصر ونهضتها .

---

(١) اسلم سنة سبع بعد خيبر الاصابة ج ٢ ص ٧٠ رقم ١٤٤٧ طبع مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) مجمع الزوائد كتاب المناقب ـ مناقب خالد ـ ج ٩ ص ٣٥٠ .

من خير ما كتب :

فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ شيخ الأزهر

نداء من شيخ الأزهر لانقاذ منكوبى الجفاف فى افريقيا

وجه فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر نداء لوسائل الاعلام المختلفة الى دعوة المواطنين خاصة وسائر الناس كافة فى جميع أنحاء العالم للاسهام فى اغاثة ومساعدة منكوبى الجفاف فى افريقيا ..

هذا نصه :

الحمد لله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو الغنى الحميد ، سبحانه لا مانع لما يعطى ، ولا معطى لما يمنع ، وقد اعطى وارضى ، والصلاة على رسول الله محمد الجواد الكريم ، صلى الله عليه وسلم : وبعد :

فقد حملت الأنباء أخبار الجفاف والمجاعة التى وقعت فى كثير من البلاد الافريقية وان آلاف من الرجال والنساء والأطفال قد ماتوا ويموتون فريسة الجوع وان مصر التى حباها الله بالخيرات وحماها من هول المجاعات كانت ــ دائما ــ تسارع الى نجدة الملهوف واطعام الجائع وكساء العارى . وكانت مصر ــ وستظل بحول الله ــ سباقة الى الخير مستجيبة لقول الله سبحانه :

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) .

ولقوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ، الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

ولقوله تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

آيات كثيرة فى القرآن وأحاديث وفيرة فى السنة الشريفة تأمر المسلمين ، بل كل بنى الانسان بأن يؤدوا حقوق الفقراء والمنكوبين ، وأن يهبوا الى غوث الجائعين واطعامهم ، ورفع ما وقع عليهم من قحط . ان الله سبحانه فرض فى أموالنا حقوقا فقال :

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

وقال :

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشح والبخل فقال : (واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) .

أو ليس الجائع محروما تجب اغاثته حفاظا على حياته ؟

أيها المواطنون : وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا .. فقدموا ما يدخر لكم عند ربكم ، ويعين اخوانكم فى الانسانية ويحفظ عليهم حياتهم ويضع عنهم اصرهم .

ان على كل منا أن يقدم ولو طعام يوم واحد ، اغاثة لهؤلاء الذين نزل بهم فهؤلاء الجوعى اخوتنا وجيراننا ، حتم علينا الا نتركهم أرضا خصبة لأفكار وافدة عليهم يفقدون بها دينهم وأوطانهم .

كما أدعو وسائل الاعلام المختلفة الى دعوة مستمرة للمواطنين خاصة وسائر الناس كافة فى أنحاء العالم للاسهام فى اغاثة هؤلاء المنكوبين لتحفظ عليهم حياتهم . واننى لأدعو وزارة الشئون الاجتماعية أن تقود حملة لجمع وتلقى التبرعات العينية والنقدية وأن توجه كافة الجهات الخيرية والجمعيات لهذه المهمة العاجلة الانسانية بالاعتبار العام كونوا أيها المواطنون ممن قال الله فيهم :

(.. وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ..) .

الدكتور / عبد الودود شلبى ــ الأمين العام للجنة العليا للدعوة بالأزهر

دعاة العلمانية .. وحقيقة أهدافهم

اذا كانت (العلمانية) بمعناها الاصطلاحى الذى يكتبه بعض (فلاسفتنا) تعنى الانفتاح على العالم ، والنظر فى ملكوت الله وخلقه والاعتبار بما فى كون الله ــ سمائه وأرضه ــ فالاسلام قد دعا الى هذا قبل غيره (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) .

واذا كانت (العلمانية) مأخوذة من العلم كما يفسرون ذلك . فالعلم فى الاسلام فريضة من فرائضه ، وركن من أركانه .. وحسبنا أن أول ما أنزل من القرآن كان عن العلم . وعن القراءة ، وعن القلم الذى هو أداة العلم ووسيلته الى التأليف والبحث .

فالعلم فى الاسلام . فريضة من فرائضه ، وهو علم أعم من العلم الدينى الذى تقوم به طائفة من الأمة .. انه علم يشمل كل ما فيه اصلاح الحياة ، واستمرارها وتنمية مواردها والحفاظ على شخصية الأمة من كل أسباب الانهيار والضعف . والعمل على النهوض بها لتكون عزيزة الجانب : فى مجال الفكر ، وفى مجال الاقتصاد ، وفى مجال القوة بكل عناصرها المختلفة .

ولكن (العلمانية) التى نرفضها هى تلك التى تسعى لاجهاض شخصية الأمة ومقوماتها . تحت شعارات غربية (وافدة) لا صلة لها بعقيدة الأمة ، ولا صلة لها بثقافتها ولا حضارتها

ولا تاريخها . والا فنيم هذا الاصرار ـــ باسم (العلمانية) على محاربة قيمنا الاسلامية الراسخة . وعلى محو شخصيتنا الاسلامية الواضحة وعلى الانسلاخ من جميع الفضائل والاخلاق التي تميز بها المسلمون عن غيرهم من الامم السابقة واللاحقة :

ان دعاة العلمانية لا يفصحون عن حقيقة اهدافهم خوفا من ردود الفعل ، ولكنهم يستدرجون المجتمع المسلم الى اهدافهم فى دهاء غافلين عن حقائق الحياة والتجربة فى شعوب أخرى ، ابتليت بأشباههم .

الأخبار ـــ ١٩٨٥/١/١١

الاستاذ / أحمد بهاء الدين . .

يوميات . .

هل تريد اسرائيل حقا الانسحاب من لبنان ؟

. . لا أظن !

فمنذ جاءت حكومة شيمون بيريز الى الحكم وهى تعلن عن نيتها بشان الانسحاب الجزئى من طرف واحد وبعد كل هذه الشهور أعلن أن مجلس الوزراء الاسرائيلى وافق بعد مناقشات طويلة على خطة (اسحق رابين) وزير الدفاع للانسحاب الجزئى من جانب واحد من نهر (الأولى) الى (نهر الليطانى) فى فترة من الآن وحتى تاريخ غير محدد الا بانه (الخريف القادم) .

اى الانسحاب حوالى ثلاثين كيلو مترا . . فى خلال سنة كاملة ! اى بمعدل ثلاثة كليو مترات كل شهر ! أى مائة متر كل يوم ! أى اربعة أمتار كل ساعة .

هل هذا كلام جاد ؟ .

كلا . ولكن اسرائيل تبيع سلعة غير حقيقية ، وهى الظهور بمظهر المرونة والتساهل حتى توجد جوا يسمح لها بتحسين العلاقات مع مصر . وتأجيل البحث فى القضية الفلسطينية ، والحصول على طلباتها المالية الاضافية من الولايات المتحدة . وهو الأهم وبعد سنة (يحلها ربنا) وتتجدد الاعذار للبقاء أو الجلاء حسب الظروف .

وبعد هذا كله . . ومع فرض ان هذا سيتم . . فيبقى تحت يد اسرائيل : الجنوب اللبنانى من نهر الليطانى حتى حدود اسرائيل ، وهو الجزء الاهم بالنسبة لها . . وسيبقى ربع مليون لبنانى تحت الاحتلال ، وستبدو كريمة فى نفس الوقت لأنها (تنسحب من جانب واحد) بأبطأ خطة جلاء عرفها التاريخ ، حتى ايام كانت الجيوش تسير على أقدامها أو تركب الابل والأفيال ! . .

وقد صدمنى ـــ واعترف بذلك ـــ ان قرأت فى الملحق الاسبوعى لجريدة (جيروزاليم بوست) عنوانا ضخما هو (الضفة الجنوبية) عن الجنوب الشيعى اللبنانى .

(فالضفة الغربية) تقع شرق اسرائيل ولكنها تسمى (غربية) لأنها غرب نهر الاردن و (الضفة الجنوبية) شمال اسرائيل ولكنهم سموها (جنوبية) لانها جنوب نهر الليطانى والعنوان لدراسة عن « كيفية اخضاع الجنوب اللبنانى » بنفس النجاح الذى تم به اخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة .

الاهرام ـــ ١٨ /١/ ١٩٨٥ م

أنباء وآراء

الصين تنبذ الماركسية

الحقت الصين الشعبية ضربة قاسية بالمذهب الشيوعي بنقدها اللاذع للماركسية واللينينية ، وذلك في مقال نشرته جريدة الشعب التي تمثل نظر الحكومة والحزب الشيوعي الصيني الحاكم .

وجاء في المقال أن أفكار كارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣ م) أصبحت بالية ، ولم تعد صالحة لهذا العصر ، فقد تغير العصر الذي وضع فيه ماركس فكرته ، فلا تصلح للوضع السائد اليوم ، كذلك أفكار فريدرك هيجل أو ولاديرلينين ، لأنهم لم يواجهوا المشاكل التي نواجهها ، ومن ثم لا يصلح أن ننظر الى أفكارهم وتجاربهم كحل لمشاكل حياتنا المعاصرة .

ووصف المقال بعنوان (الماركسية والتطبيق) التمسك بأفكار ماركس بدون — تفكير ونظر — سخافة ومحاقة وعقبة في سبيل انجاز برامج طامحة لوضع البلاد على قواعد حديثة . وأضاف التعليق الذي نشرته الجريدة الرسمية قائلا :

يجب ألا نتعصب لمبادىء ماركس ولينين ، فان الظروف تتغير بسرعة ، فاذا تشبثنا بمبادىء معينة لماركس ، فان التنمية التاريخية التي تحدث في البلاد ستتوقف .

وحذر المقال بأن الصين اذا لم تترك المذهب الماركسي فانها لا تستطيع أن تساير ركب الحياة المعاصرة أو تنجز مشاريع التنمية ، وتدعم الاقتصاد الوطني .

❋❋❋

وصدر هذا المقال أثر اجراءات واسعة في مجالات الاقتصاد ، والتجارة ، والحياة الاجتماعية والسياسية ، فرفع الحظر الذي كان مفروضا على التجارة الحرة ، وشراء الكماليات كما يجري في الصين حملة تصفية للعناصر المتحفظة التي تدافع عن الخط الشيوعي القديم . ويرى الخبراء أن هذا الاتجاه الجديد دليل على فشل الثورة الماركسية واللينينية في تحقيق وعودها — وبناء المجتمع الجديد ، فقد مرت الصين بمعاناة انسانية ذهب ضحيتها ألوف من الناس وقد أدركت القيادة الجديدة سفاهة هذه التجربة وستكون للتطورات الأخيرة آثار ملحوظة في الدول الشيوعية الأخرى التي لا تزال تعايش في أوهامها أو انها تدرك فشلها وتريد الخروج من هذا المأزق ، لكنها تخشى المدافع السوفيتية ودبابات حلف وارسو .

مجلة الرائد الهندية

ملاحظة :

لا يعني الهجوم الصيني على أفكار ماركس ولينين ان الصين تجردت منهما لتميل الى اليمين ، وتحالف « الدين » وفي مقدمته « دين الاسلام » فلا تزال الصين تذيق المسلمين من العذاب حتى لتذهب الى قتل أطفالهم ، وليس يغيب عنا ما حدث للمسلمين في غرب الصين ابان فرار « الدلاي لاما » الى الهند ، فقد نكل بالملايين منهم حتى أسلموا الروح ، ولقد تذهب مبادىء ماركس ولينين — في الصين

ـ الى الجحيم ، ولكن ليحل محلها مبـــادىء تتحرك ونصب عينها عداء الــدين ٠٠٠ مجلـة الأزهر ٠

الأستاذ / احمد بهجت

المجـــاهدون

أحيانا يحس الكاتب بصراع نفسي يؤدي به الى أزمة ٠٠ حين يقارن بين كلماته ورصـــاص الرشاشات ٠

ذلك ٠٠ ان الحياة الانســـانية تؤدي الى مواقف تحتاج ادارتها الى القتال ٠٠ وهنا تبدو الكلمات باهتة شاحبة فقيرة جوار الجهد الآخر الذي يقوم به رجال لا نعرف أســــماءهم او لا نعرف أماكنهم ، وان كنـــا نعــرف من وهج بنادقهم انهم هناك ، هؤلاء المجاهدون ٠٠

وهم كثير على سطح الأرض وقليلون أيضا في نفس الوقت ٠٠ انهم هناك في أفغانســـتان ٠٠ وفي جنوب لبنان ٠٠ وفي أماكن أخرى كثيرة ٠٠ والمجاهدون أنواع :

فيهم من يجاهد من أجل عقيدة ســياسية ، وفيهم من يقاتل من أجل قيمة انسانية ، وفيهم من يقاتل دفاعا عن عقيدته الدينية ٠

هذا القتال الذي يكون في سبيل الله هو أرفع أنواع الجهاد ٠٠ هذا الاســـبوع اعتـــرف دبلومـــاسي امريكي في الامم المتحـــدة بـــأن الســوفييت لا يستطيعون ضرب المجـــاهدين الأفغانيين ٠٠ قال ان المجاهدين قد أظهــروا شجاعة تتجاوز الســـلاح السوفيتي المتطور ٠٠

ســئل : هل يرى نهاية لهذا الصراع ؟

قـــال ان مستقبل أفغانستان يتحـــدد الآن بشجاعة المجاهدين الخارقة ٠٠ وبسبب القتـــال العنيف الذي يشنه المجاهدون أصبح الوضـــع كالتالي في أفغانستان : ان المجاهدين يسيطرون على ٧٠٪ من مساحة الأرض الأفغانية ، ونحن نعتقـــد طبقـــا لمعلوماتنـــا ان الســـــوفييت لا يتحكمون الا في المدن ، واثناء النهار فقط ٠٠

أما الليل فيحكمه المجاهدون تماما ٠٠

حتى في كابول ٠٠ اذا جاء الليـــل لم تعــد المدينة مأمونة الجانب بالنسبة لأحد حتى قوات الاتحاد السوفيتي لا تأمن جـــانب الليـــل في عاصمة أفغانســـتان ٠

هذا اعتراف دبلوماسي أمـريكي بمــوقف المجاهدين ٠٠ وثمة مــوقف يشـــبهه ـ وان اختلفت الظروف ـ في جنوب لبنان ٠

ان ما يقوم به الرجال والأطفال والنســـاء والشيوخ من مقاومة رائعة للعـــدو شيء فـــوق قدرة الكلمات على الوصف ٠ ان أساطير عـــن الشجاعة تجرى اليوم في جنوب لبنـــان ٠ ان الليل في الجنوب يحكمه المجاهدون ٠٠ تحية الى الليـــل ٠٠ ليل المجاهدين في أفغانستان وجنوب لبنان وكل بقعة يفور فوقها للحق رجـــال ٠

الأهرام ـ ٢٤//١٩٨٥١

الأستاذ / مصطفى امين

فـــكرة

أرفض الظلم ٠ أرفضه لأصدقائي وخصومي على حد سواء ٠ أرفضه لأبناء بلدي وبلاد الدنيا كلها ٠ فالظلم مرض معد ينتقل من بلد الى آخر كالوباء ٠

ومصيبة الظالم انه لا يحس بظلمه ، بـــل

هو أحيانا يتلذذ به ويستمتع ومنظر السيف فى يده وهو يقطع به رقاب الأبرياء يجعله يشعر بنشوة وكأنه يعانق أجمل امرأة فى العالم .
ولقد بحثت عن عقوبات أطالب بإضافتها للقوانين لمعاقبة الظالمين . ووجدت أن عقوبة الموت هى أقل كثيرا من جزاء جريمة الطغيان . واذا بالأيام تكشف لى عن حقيقة غريبة !

ما من ظالم الا وعاقبه الله فى الدنيا على الذنب جزاه . واذا كان الله يمهل عباده . فلا يحاسبهم الا يوم القيامة . فانه يستثنى الظالمين من هذه القاعدة ويقدم موعد حسابهم الى الحياة نفسها .

ولا أعرف اذا كان الظالمون يندمون على ما فعلوا أو لا يندمون ولكنى أعرف أن المصائب التى تنزل على رءوسهم والأهوال التى تنهال عليهم كالصواعق . هى عقوبات الهية ليس فى قدرة مظلوم أن يوقعها على ظالمه .

بعضهم يموت وهو على قيد الحياة يمشى فى الشوارع خائفا فزعا . يتصور أن كل يد تحمل خنجرا تريد أن تغمده فى ظهره . يرى العيون فيحسبها فوهات مدافع موجهة اليه البسمة على الشفاه يترجمها على أنها سخرية به والتحية المجردة تسقط على وجهه وكأنها بصقة . المدينة مزدحمة وهو وحيد فيها . أصدقاؤه يجهلونه . أقاربه يتهربون منه . أعوانه يتخلون عنه . أصبح غريبا فى وطنه ويتمنى ان ينساه الناس . ولكن مصيبته أنه يرى الأصابع متجهة اليه بالاتهام . أشجار الطريق تتحول الى سهام . أعمدة النور تبدو كأنها أعواد المشانق التى علق فيها الأبرياء .

وفى بعض الأحوال يتصور الظالم انه أفلت من عقاب الدنيا . لم تمتد اليه يد الله . واذا به يرى الانتقام يمتد الى أولاده وبناته فيخلقون مشوهين . مخبولين ويضطر بعضهم ان يضع أولاده فى أقفاص كالحيوانات . ويراهم كل يوم فى هذه الصورة المؤلمة فيتذكر ما فعله بالأبرياء الذين ملأ بهم السجون . ويتذكر الخصوم الذين علقهم من أرجلهم فى سقف الزنازين وانهال عليهم بالسياط !

أيها المظلوم ! اطمئن ان الله ينتقم من كل ظالم ومستبد وجبار . انتقامه اكبر الف مرة من قدرتك .. ومن خيالك .

الأخبار ــ ٢٤ /١/١٩٨٥

الأستاذ / محمود عبد المنعم مراد

شكرا للدكتور عبد السلام عبد الغفار وزير التربية والتعليم ، لاعترافه الصريح بالأمر الواقع ، المتصل بمشكلات التعليم فى مصر ، ففى المؤتمر الشعبى الذى عقد أول أمس فى مدينة بنى سويف .

تحدث الوزير بشجاعة وصراحة عن الحالة المؤسفة التى وصلت اليها مدارسنا . اذ قال عنها انها تحولت الى مخازن للأطفال . لا تؤدى دورها فى العملية التعليمية . نظرا لضيق الأمكنة . وجلوس بعض التلاميذ على الأرض .

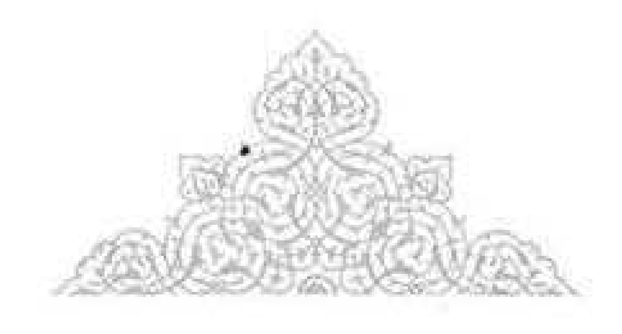
كما قال ان نظام التعليم على فترتين لا يصلح فى مصر . فما بالنا بالفترات الثلاث فى بعض المدارس . وهو ما تلجأ اليه أحيانا نظرا الى أن المبانى المدرسية لم تعد كافية . كما أن هيئات التدريس تعانى نقصا شديدا . وهو ما دفع الوزير الى تشكيل ٣٥ لجنة لبحث مشكلات التعليم . واجراء دراسة لتحديد اعداد المدرسين اللازمين لمدارسنا حتى عام ألفين .

وكم تحدث الكثيرون عن مشكلة التعليم وأوضحوا أنها من أخطر المشاكل التى تواجهنا الآن . ولكننا كنا نواجه بردود تتحدث عن ضخامة الاعداد التى تضمها مدارسنا . رغم أن الجميع يعرفون أن الكثيرين من أبنائنا لا يجدون لهم أماكن فى المدارس ، سواء الحكومية منها أو الخاصة . ثم ان العدد ليس هو المقياس الوحيد . ولكن مستوى التعليم نفسه أصبح فى منحدر لا يمكن أن ينكره أحد . وليس من باب المغالاة أن نقول :

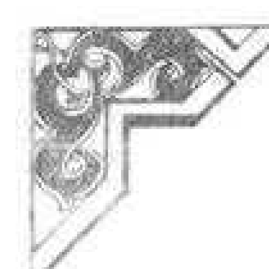
ان الحاصل على الشهادة الابتدائية فى الزمن الذى مضى يقارب خريج الجامعة فى الوقت الحاضر . تحصيلا للمعلومات العامة والثقافة اللازمة أو معرفة اللغات الأجنبية أيضا . ومشكلات التعليم كثيرة ومتشعبة ومتشابكة . ولكنها جميعا تحتاج الى أموال طائلة . والخطوة الأولى التى يجب البدء بها هى تشجيع الجهود الذاتية الرامية الى بناء المدارس الجديدة فى القرى والمدن بتبرعات من القادرين ، ومساعدة من المحافظين بقدر الامكان . ولست أظن أن الدولة قادرة وحدها على بناء ما تحتاج اليه من مدارس جديدة ثم ان الكثيرين من المواطنين يرغبون رغبة أكيدة فى التبرع بجانب من أموالهم فى حل المشكلة . ولا ينقصهم الا التشجيع .

أما أن نظل نرمى على اكتاف الحكومة عبئا حل هذه المشكلة ، مع التمسك بشعار مجانية التعليم ، وأنه حق مضمون ، وأنه كالماء والهواء ، فذلك ضرب من الدعوة الى استمرار المشكلة ، بل الى تفاقمها ، ولن تجدى سوى الصراحة والشجاعة فى اتخاذ القرار ، ومشاركة المواطنين أنفسهم فى ايجاد الحلول ، بقدر ما يستطيعون .

الأخبار — ١٩٨٥/١/٢٢ م



فهرس العدد



THE BELIEVER IGNORES THE ENVIOUS



By: Sonia Hill

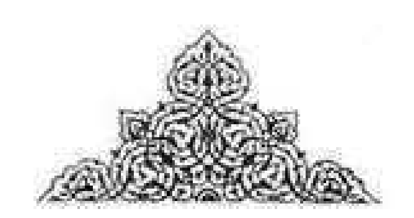
I have often seen hounds pass by dogs and curs, that always overdo barking at them and chasing them, as if envious of the splendour they live in and the regard they enjoy. On the other hand, hounds ignore them altogether, rising above throwing a glance at them, and giving them a deaf ear.

So, it seems to me as though hounds and dogs were two races apart. Dogs are unrefined in structure and graceless in behaviour, whereas hounds are handsome in appearance and pleasing in manners. A hound guards its master's game for fear of his punishing it, or out of gratitude for his generous bestows on it.

I dare say, therefore, that genteel manners and pleasant society usually go along with fine structure and clear conscience. So, a wise believer may as well disregard them who envy him, and look down upon them as non-entities. Indeed, believers and the envious belong to two distinct worlds. It is for this life that the envious belong, while believers are strivers for the Hereafter. How great, then, is the distance that separates the two sorts.

ious of great responsibilities authorized to him as a true subject of Allah.

A final extremely important fact is that muslims, in addition to believing in what had been revealed in the holy Qur'an; are also asked to believe in what had been revealed to other prophets before Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) for guidance and salvation of mankind. This crucial prerequisite puts both Christians and Jews fa to face with their open denial of the Holy Quran, and superimposes Islam. It is necessary for everyone to conduct the way of righteousness, it is the only drawn line to success both in the worldly life and in the Hereafter. One has to break through inspite of the thorns interspersed. A happy beautiful end had been prepared for those who struggle for it. They are the holders of the keys to Paradise. By their good deeds and good intentions they have been shown its course. We can have the pleasure to be in their company if we are true to ourselves. They are the shining stars we are to observe, their principles and teachings they are those we are to follow, respect and defend unhesitantly.



presence of Allah. In His sublime presence, generosity, grace benevolence, and mercy are certainly attainable.

Therefore, it is vital to keep performing these five prayers in their fixed times. By doing so, our souls become provided with the divine energy all along its long but exciting journey through the life. In this way a muslim is shielded against evils; he is made ready to accept, satisfactorily, what has been predestined for him. Here, a serious problem emerges: In his spiritual relation to his Creator, is man detached from aspiring his secular, mental needs?. Of course not, man is not bound to his spiritual world, in spite of his workine hard for it. Man is ordered to satisfy his physical, as well as intellectual needs. Wealth owned by a righteous man is but a means to an end, it is considered a gift from Allah, and man is advised to spend it generously to the poor and miserable preferrably in secret, also in the cause of dignifying Allah's principles. Within the context of this definition of wealth, everything into man's possession is apt for spending; God-given gifts, such as hearing, sight and mind, occupy an entire priority. A righteous man has to direct and teach his companions, provide help to the disabled. This conception of possession provides a humanitarian as well as an economic meaning . Islam lays emphasis on such characters because giving is undoubtedly a positive action far from being negative, neutral or negligent. He ranks with the higher class of humanity because he is completely consc-

other world does not restrict our expectations into a limited, narrow, mortal world. On the other hand, it helps your hopes remain shining. For the poor, this world is an essence, because he is promised that his portion is many times doubled on the Day of Judgement, if he patiently leads a righteous life. The rich, too, are not left to satisfy their own ambitions; they are saved from being a prey to their own greed. They are warned of being selfish or egocentric. They are encouraged to be helpful characters. Man's life on Earth, in this world is bounded;its seconds and minutes, days and nights, months and years are accurately counted. The struggle for a better life in the hereafter becomes a great concern for these who understand and achieve logic.

It is obvious that righteous people are after high goals. They have been inspired to make use of their lives in acquiring an infinite correct tranquil life. They are not extremists, they are balanced, neither very sorrowful for what they have lost, nor very joyful for what they have gained. But how can an integral character like this live amid this intricate material world? How are good qualities within him promoted? This is done by following Allah's do's and avoiding His donots. It is necessary to be committed to your rituals, the most important of which is to perform and keep on performing prayers, an exquisite opportunity to be in the presence of Allah five time a day. Through ablution, he restores his pure, sincere, faithful character to attend in the

the way to Allah as indicated in the sacred revelations; and still more important to put these instructions into practice. Without application we are plunged into meaningless argument, self arrogance, and stagnant diversity.

Each substance, element or morsel of the expansive universe around us loudly proclaim greatness, highness, majesty and sovereignty of Allah. All world of animals, birds, plants and insects, even the inanimate world declare the omniscience of Allah. Deliberate denial of this immortal fact is not in keeping with proper function of mind and brain. Satan runs through our bodies just as blood does through veins and arteries. We should faithfully try to block the way in the face of that vicious cursed enemy. This is easy to do, by advocating what is right and virtue, and by adherent obedience to the words of Allah. The belief in the hereafter comes next. The day of judgement, reward or punishment. It is an immaterial world about which none is allowed to talk except Allah. Yet, man has to subject in absolute belief.

It is inevitable to answer a question put forward by both pagants and non-believers: Is it useful to believe in the invisible realm of Allah? In other words, what dimensions will this kind of an unknown world add to the world we are living in now? Believing in the

mity, "Yaum-ul-Taghabun", i.e. the Day of Mutual Accusation, "Al-Qari'a", i.e. the Striking Calamity, "Al-Ghashia", i.e. the overwhelming disaster, "A-s- Saakhah", i.e. the Deafening Catastrophe, "A-t-Tammah", i.e. the Predominating Cataclysm, "Al-Haqqah", i.e. the Truth Establishing Affliction, and "Al-Waqi'ah", i.e. the Great Event.

Man's stay, and most probably the wearing away of his body, in the grave, is termed the "Barzakh" stage, that is the period that intervenes between death and the Great Doomsday.

Still, Resurrection is applied to several meanings. There are at least three types of resurrection: the great which is the rising up of all people for reckoning; the medium, which stamps out a whole generation or even a whole nation; and the minor in which each individual meets his end on earth. For the Prophet (be upon him peace from Allah) is reported to have said, "Men are comatose; and it is with death that they awake".
As for the Great Resurrection, it is preceded by Israphil's blowing the Trumpet, which is, in its turn, followed by everybody in the Heavens and on Earth being thunderstruck and stunned, except for those whom Allah exempts.

In addition, the word is often used metaphorically in the Holy Qur'an, as when man is guided from unbelief to the blessedness of Islam, and when land, bare of vegetation, is stirred by rain to produce different kinds of plant.

Resurrection involves the entire destruction of the

was created from earth. Man starts as a drop of sperm safely enshrouded and firmly secured in his mother's womb, where silently and unseen he matures his fetal stage. Last he is born to live the term and test appointed for him. Similarly, his spiritual life has three stages. First, his experience is very limited on earth, so that most people are unbelievers. Then death comes to him, and back to earth he goes, where he practices a sort of existence medium between this life and the Hereafter. An unprecedented consciousness causes the righteous to be happy and the unbelievers, and the evildoers to lament over the duties they neglected towards Allah. Last, men are raised on the Doomsday to enjoy or suffer the interminable fulfilment of their deserved reward.

It is noteworthy that the Qur'an, and the Sunna, give several names to Resurrection, and speak of two paradises and two hells. As for the names of Resurrection, these are the following. "Yaumul-Qiyamah", i.e., the day of the great rising, "A-s-sa'ah", i.e. the hour, "Al-Yaum-ul-Akher", i.e. the last day, "Al-Akherah",i.e. the future and last life, "Yaum-ud-Din", i.e. the day of Judgement, "Yaum-ul-Fasl", i.e. the Day of Decision, "Yaum-ul-Hisab", i.e. the Day of Reckoning, "Yaum-ul - Fath", i.e. the Day of Fate, "Yaum-ul-Talaqi", i.e. the Day of Meeting, "Yaum-ul-Jam", i.e. the Day of Gathering, "Yaum-ul-Khulud", i.e. the Day of Everlasting Abode, "Yaum-ul-Khuruj", i.e. the Day of Coming forth from Graves, "Yaum-ul-Baith", i.e. the Day of Being Raised to life, "Yaum-ul-Hasrah", i.e. the Day of Lamentation, or Woe, "Yaum-ul-Tanadi",i.e. the Day of Calling forth, "Yaum-ul-Azifah", i.e. the Day of the Near Drawing Cala-

THE WAY OF THE RIGHTEOUS PEOPLE

By:
Magdy Abdel Hamid Basheer

Everybody, on reciting verses of the Holy Qur'an is taken by the wonderful ethical life style involved in the words of Allah. This is felt when one reads through the intimate memorable words revealed to the Prophet (Allah's prayers and peace be upon him) in the exposition of righteousness, its meaning and significance, its aspects and fruitful results.

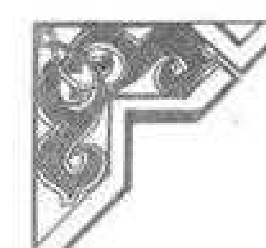
It is clear to every muslim that righteousness is the road that leads its supporters to the Promised Paradise. It may appear difficult for many people to plant such a great tree when its good soil is thought to be out of hand. Contrary to that false imagination, it should be known that this good soil is within your reach. It is nearest and dearest to you. It is your heart when attached to Allah. Through His directive guidance care and patronage, seeds of righteousness can be planted chershed and sustained. Therefore, it is important to know

world and its laws, natural and man made like. However, this is the end of a stage, that eternity starts. In no way does this imply that man's phase of life on earth has no aim beyond delaying his other life in the Garden. Or, the creation, for the service of man, of all that is in the universe would be empty of significance. In fact life has an aim.

It is the belief in Allah that ennobles man's life and endows him with its highest impulses and purest aspirations. Almost on a par with it, is the idea of Resurrection, because it introduces a seriousness into man's life which cannot be otherwise attained. It is to fulfil a higher object and live a higher life that man is put to test and then shifted through death to the Hereafter.

Both good and evil must have their deserved reward. Hence the belief in Resurrection does not serve for a theoretical dogma or a quintessence of hope to idle away one's life in expectation of it. On the contrary, it is a wonderful principle which guides the workings of man's mind and conscience.

The idea of a life after death may seem strange to some minds, even among scientists. No wonder, then, that the Qur'an and the Sunna very often revert to it in terms of confirmation, promise and warning. One and universal is the idea that runs through all the Verses and Traditions bearing on that future life, i.e. the whole universe is bound to give place to an entirely different and superior order. This is quite consistent with man's scientific knowledge of the universe, which turns around evolution, order and sublimation.



LIFE AFTER DEATH

By: Soliman Barakat

Belief in Resurrection is a basic principle of Islam. According both to the Holy Qur'an and to the Traditions of the Prophet (be upon him peace from Allah) death does not bring an end to life. On the other hand, it is the door to advancement in an everlasting abode. Rather, it is a transition period between this life and Resurrection. There is no point, however, in putting in a remark that countless generations of various creatures will inevitably differ in the duration of their stay in the realm of death. Indeed, man's consciousness of time after death is very different, so that the unbelievers will swear to have been tarrying for a mere hour or even less.

Immeasurable as is the difference between this life and the Hereafter, it is in the former that the seeds of the latter are sown. Connection is not at all missing between the two lives; spiritual realities are in fact hidden from human eyes by reason of material limitations, so only a few people find the ecstasy of its uplift.

A figurative parallelism can be drawn between man's existence on the earth and his life after death. Adam



were certainly at a disadvantage, few in number, caring and responsible for the inhabitants of Al-Madinah, guardful of the Hypocrites and Bani Quraiza, and trenched in confrontation of the massive belligerent, combatant forces with indignant hatred and bitterness. However, the final word from Allah was still to come, and the Muslims dominated by peace and stability of belief, and coherent obedience and supreme respect to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were steadfast with resolute determination. They were with confident patience awaiting and watchful for events.

Prayer and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

(To be continued)

(To be continued)

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th, Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980

Madinah, constitued a very crucial and problematic situation to the Muslims. All conditions were antagonistic and unfavourable. Food was running short both to the Muslim forces, and to the inhabitants of Al-Madinah of women, children, and the elderly. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received the news of the betrayal of Bani Quraiza, he sent Muslamah Ibn Aslam in two hundred men, and Zaid Ibn Haritheh in three hundred men, to guard Al-Madinah from the interior; and sent Alzubier Ibn Al-Awam to obtain more detailed information on the situation. The information received was that Bani Quraiza became very hostile to Muslims and openly declarled their new allegiance with the Confederates. At this stage, the morale and temperament of the Muslims was very low indeed, and only the firm adherent rock solid belief in Allah, and their hightened confidence in the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)kept them patient, resistant, and with unfailing resolution. In an attempt to relieve the situation from the sharp acuity of conditions, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) suggested to compromise terms with Uyainah Ibn Hesn leader of Ghatafan to give him third of Al-Madinah crop and fruit harvest in return of his withdrawal from the Confederate forces. The Ansars refused and said that Ghatafan got nothing from Al-Madinah before Islam; now that they were more confident and strong by being Muslims should be all the reason that Ghatafan should get nothing. Now the confrontations was at its peak and Summit. The Confederates were certainly at an advantage now that Bani Quraiza inside Al-Madinah sided with them; however, matters must escalate rapidly to achieve a final quick victory over Muslims. The Muslims



and the situation was certainly very favourable to the confederate forces.

The chaning patterns of political intrigue and the betrayal of Bani Quraiza to their agreements with Muslims at Al-Madinah, made the Muslims face a very crtical situation. The hypocrites among the Muslims took this chance to add to the depressive situation by claiming that they must retreat to defend their homes. At this situation, the position of the Muslims was certainly very critical indeed.

> "Behold, they came on you from above you
> And from below you, and behold the eyes
> became dim, and the hearts gaped
> up to the throats, and ye imagined
> various thoughts about Allah.
> In this situation, were the believers tried:
> They were shaken as by a tremendous shaking
>
> "And behold, the Hypocrites and those in
> whose hearts is a disease say: "God
> and his Apostle promised us nothing but delusions.
>
> Behold, A party of them said "Ye men of Yathrib
> Ye cannot stand the attack, therefore go back"
> And a band of them ask for leave of the Prophet,
> Saying "Truely our houses are bare and exposed"
> Though they were not exposed: They intended
> Nothing but to run away.
>
> "Surat Al-Ahzab, XXXIII, 10-13"

The siege around Al-Madinah by the Confederate forces, and the betrayal of Bani Quraiza present inside Al-

to all their expectations. The cold winter nights added to the difficultes confronting the colossal masses; this tog ther with the shortening supplies coerced the leaders of the confederate forces to reconsider their situation and the outcome of the existing status. This confrontation with Muslims across a trench may prolong for months with the Muslims on their own ground and camped very near their own homes. The heterogenous attitudes of the tribes constituting the confederates forces, and the variations in the cause and aim of their presence, had its adverse effect on the unanimity of opinion among the leaders of the tribes. This again added to the unfavourable situation of the confederates. Their potential strength, however, remained in the important fact that this was a very rare chance that such great powers gathered to defeat the Muslims and Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) once and for all. Huaii Ibn Al-Akhtab of Bani Al-Nadhir closely watched the mental and psychological turbulence and hesitation of the confederate forces when faced with the adverse situation. He informed their leaders that Bani Quraiza living inside Al-Madinah will ally with the confederate forces, severe their agreement with Muslims and open their sector of Al-Madinah for the confederate forces to enter the city and establish an occupation. This certainly pleased Abu Sufyan and the other leaders. Huaii Ibn Akhtab hurried to meet with Kaab Ibn Assad the head of Bani Quraiza, and remained to convince him to side with the Confedrates and discard all agreements with the Muslims. Huaii insistantly made Kaab agree to his demands, and refute the neutrality of Bani Quraiza with Muslims at Al-Madinah. At this turning point, the odds were against the Muslims,

Ansar. The bitter cold nights of the winter, the severe hunger, and the parching thirst constituted adverse conditions and added to the torment and seriousness of the situation. With adamant intention and purpose, the trench was completed in six days, in the northern sector of the city between the East and West Harrah; a sector exposed to the valley with no mountaineous surroundings. The Muslim army gathered and camped with their back to the plateau of Salei with the trench between them and the Confederate armies of ten thousand strong who camped the Asyal at the north side of Al-Madinah from the mountain of Uhud. The Muslim army totaled three thousand, the banner of the Muhagereen with Zaid Ibn Harithah, and the banner of the Ansar with Saad Ibn Ubadah.

The Confederate army marched believing to meet the Muslim at Uhud, and were surprised to find no body there. They were surprised to a much greater extent to discover the trench between them and the Muslims, a war strategy not known to the Arabs at the time. Few days passed with only sporadic arrow throws between the two opponent parties. Some horsemen from the Confederate army ran out of patience and forced their horses through the trench; among these were Amre Ibn Abd-Wod, Ekrimah Ibn Abi-Gahle, and Dirar Ibn Al-Khatab. Some men with Ali Ibn Abi-Taleb came out, confronted them, and closed their exit passage through the trench. Amre Ibn Abd Wod was struck dead by Aly Ibn Abi Taleb; and the other two retreated forcing their way back across the trench and escaping. Abu Sufyan and the other leaders of the confederate forces were not ready to spent time infront of the trench. They came to achieve a rapid quick speedy victory and return triumphantly; but the situation as it was proved contrary

were under signed agreement with the Muslims, but whose loyality to that agreement was uncertain similar to previous conduct of the other two Jewish clans of Bani Qainuqaa and Bani Al-Nadhir. The confederate arab armies gathered at the outskirts of Al-Madinah awaiting the final move to erase Muslim existance. Ten thousand men with pomp and power, with malice and dark hatred in their hearts, with jealousy and prejudice, with phobia and neurosis to the new faith of Islam and the man that represents this new faith, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The confederate armies were in consortium ready to stampede Al-Madinah and defeat any Muslim resistance in a final victory. This was in Shawal of fifth year after Hijrah.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims at Al-Madinah consulted upon the strategy of how to face these overwhelming numbers of enemy forces. They decided to remain inside Al-Madinah, and the famous Sahabi Salman Al-Farsi advised to dig a trench around the vulnerable pregnable part of the city, and reinforce inside. This became the grand command, and every muslim including the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) himself in person was busy digging the trench. Arduous laborious strenuous hard work continued nights and days, digging and carrying dust and stones; driven by faith, and to defend the cause of Truth, and to establish the word of Allah as supreme. During the grinding struggle and severe exertion and drudgery, Muslims were chanting encouraging verses, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) joined their words by saying: There is no reward except that of the Hereafter, may Allah bless the Muhagereen and

from the basic doctrines of their own creed.

The leaders of Bani Al-Nadhir contrived to move Koraysh and other Arab tribes into massive armed confrontation against Muslims to deal a final fatal blow to the new creed of Islam, and to get rid of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his followers by achieving a final victory. In order to excute their plan several of them including Huaii Ibn Al-Akhtab, Salaam Ibn Abi-Al-Huqiq, Kenanah Ibn Abi-Al-Huqiq, and several others from Bani Wail Hawzah Ibn Qais went to Macca to meet with leaders of Koraysh, and made them understand that paganism and idol worship was superior to the belief of Muslims. Koraysh must gather with the help of other Arab tribes, and the Jews of Bani Quraiza at Al - Madinah to defeat the Muslims in a final overwhelming victory. Islam must be eradicated. The Jewish leaders also met with other Arab tribes of Ghatafan, Bani Murrah, Ashgaa, Sulaim, Bani Saad, and Bani Assad. They motivated all to gather in a massive consortium of powers to attain a final defeat of the Muslims at Al-Madinah.

The masses of these tribes moved in confederate forces, Koraysh headed by Abu Sufyan Ibn Harb in four thousand men, five hundred horsemen, and fifteen hundred camel riders, with their banner in the hands of Osman Ibn Talhah. Ghatafan gathered in one thousand horsemen under Uyainah Ibn Hesn; Bani Ashgaa under Meisser Ibn Rukhailah and Bani Murrah under Al-Harith Ibn Aoof; both in thousand men. Bani Sulaim in thousand men under Sufyan Ibn Abd-Shams. The men from these tribes moved to join Sufyan Ibn Harb in a total of ten thousand men. There were also the Jews of Bani Quraiza resident at Al-Madinah who

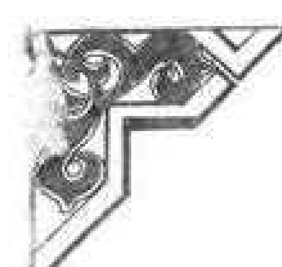


THE CONFEDERATES

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

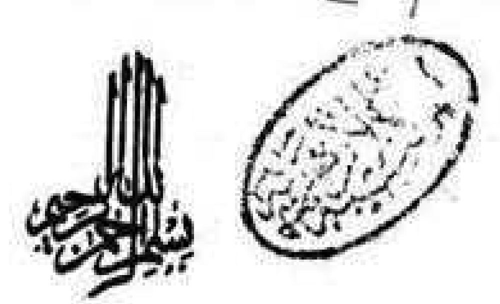
The clans of Koraysh in Macca, the tribes of Ghatafan, Huzail and others, and the Jews of Bani Quraiza; were all awaiting the suitable opportunity to subdue and crush the Muslims by violence, brute force and intrigue. They rejected to accept the man who left Macca in Hijrah to Al-Madinah five years previously, dominated by a true faith and belief in Allah; become the core and master of such growing strengthening community. The most intense hatred to Muslims came from the Jews, contrary to all expectations. The Jews have always been advocates of monotheism according to the true original teachings of Moses, however, their hatred to Muslims made them disloyal and untrue to their own faith. They opposed Islam the faith that calls for total monotheism with adamant proof that reaches the depth of the human self, and ascends man to angelic levels. Yet, in their bitter malignant enmity to Muslims, the Jews betrayed and intentionally deviated



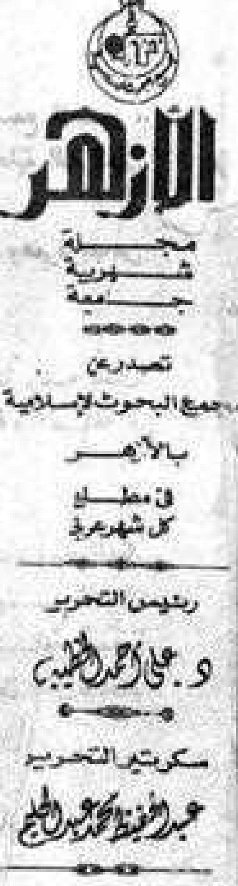
AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION







.. هناك

وحيث كانت الجاهلية فى النزع الأخير بينها وبين بعثة محمد ﷺ قريبا من عشرين عاما .

حيث كانت جماعات من اهل الكتاب منتشرة هنا وهناك فى رحاب الجزيرة تؤكد للناس أن نبيها « المرتقب » من بنى اسرائيل يوشك أن يبعث فيكونوا قادة .

وحيث اقتنع بعض العرب بهذه الدعوى فداعبه الأمل أن يكون هو الرسول المنتظر وأعد نفسه لذلك .

الجزء السابع
السنة السابعة والخمسون

رجب ١٤٠٥ هجرية ابريل ١٩٨٥ ميلادية

مسجد قبة الصخرة

من مشاهد اليقين

بينما محمد ﷺ فى نحو العشرين من عمره يسمع لما يدور ، ولا يخطر له على بال انه المصطفى المبعوث المحاط برعاية الله العلى القدير .

وفى جماعة من شباب قريش كان محمد ﷺ فيهم ، وهم قريب من الكعبة ، قال قائلهم :

إنه أَشْبَهُ قَدَماً بابراهيم الخليل صاحب المقام — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام . فادعى الدعوى نفسها آخر ، وثالث فلم تكن الا « القيافة » الحكم الدقيق لهذه الدعوى .

تلك « القيافة » التى تفرع عنها فى عصرنا الحديث ضرورة العمل بـ « بصمات الأصابع » ... كانت فى عرف القوم أشمل وأوسع ولا زال المخالطون لعرب « سيناء » يتعجبون لصدق القوم فى اكتشافهم قَدَمَ « البِكْر » وفصله عن قدم « الثَّيِّب » ومعرفة قَدَمِ « الحامل » من قدم « الخاوية » .

وهذا « مقام ابراهيم » موجود حفظه الله من عاديات الزمن فظلت قَدَمُ الخليل به واضحة المعالم معجزة دائمة الى يوم الدين

ويستطيع « القائف » أو « القائفة » أن تحكم بين الشباب بالحق وتهديهم الى اليقين .

فانطلقوا الى كاهنة « قائفة » وسألوها « الحكم » فى دراهم لتقضى بينهم : أيهم أشبه قدما بابراهيم الخليل — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

قالت : جُرُّوا مُلاءةً فابسطوها على هذه الرملة السهلة فيستوى سطحها ثم مُرُّوا عليها واحدا بعد الآخر .

فمروا دون أن يطمس احدهم اثر صاحبه .

ونظرت القائفة مُقارِنة مدققة ثم أشارت الى اثر فقالت : « هذا أقربكم اليه شَبَهًا » .

وكانت قدم رسول الله ﷺ .
وكان يومئـذ في نحـو العشرين من عمره .
روى ابن ماجه ـ بسـنده ـ الى ابن عباس (١) :
أن قريشـا أتوا امـرأة كاهنـة ، فقالوا لها :
أخبرينا : أشبهنا أثرا بصاحب المقام ؟
فقالت :

إن أنتم جررتم كسـاء على هذه السِّهْلة ، ثم مشيتم عليهـا انبأتكم .
فجـروا كسـاء ثم مشى النـاس عليهـا ، فابصرت أثر رسول الله ﷺ . فقـالت :
« هذا أقربكم اليه شبها » .
(٢)
« إسناده صحيح ورجاله ثقات »
ويبسـط الزمن عشرين عاما آخـر لمَبْعَث رسول الله ﷺ .
ثم مضت بعدها ـ نحو اثنتى عشرة سنة ـ ووقع « الاسراء » .
وفي « الاسراء والمعراج » جمع الله ـ سبحانه العلى القـدير ـ لمحمد ﷺ ما لم يجمع لبشر قبله من مشاهد الجزاء ، ورؤيا النبيين والمرسـلين غرائر خيرة الخلق أجمعين ، ومنهم جده الخليل ابراهيم .
عليهم ـ جميعا ـ أفضل الصلاة والسـلام ـ الى يوم الـدين وحدَّث ـ عليه الصـلاة والسلام ـ أصحابه ـ بما شاهده (رؤيا عين لا رؤيا منام) فوصـف عيسى وموسى ثم قال لهم ـ عن ابراهيم ـ عليه السـلام :
« ونظرت الى ابراهيم فلم انظر الى إِرْبٍ منه إلا نظرت إليـه مني حتى كأنه صاحبكم » .
اى كأنه محمد ﷺ
« قال جبريل : سلم على أبيك .. فسلمت عليه (٣) . »
« إسـناد صحيح »
وصدَق عَالِمُ الغيب عالم الشاهدين

د/ علي أحمد الخطيب

---

(١) ابن ماجه ٢ ـ ٧٨٧ احياء دار الكتب العربية
(٢) الارب : العضو الكامل .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/١٥ دار احياء الكتب العربية .

قصة آية كريمة من كتاب الله تعالى



من كتاب الله :

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ . وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » (١) .

فساد اليهود :

تتحدث هذه الآيات الكريمة وما قبلها وما بعدها ، عن اليهود الذين غضب الله عليهم وأضلهم ، لكثرة ما وقعوا فيه من العصيان والطغيان والتكذيب بالآيات ، والتمرد على الله وهو ينعم عليهم ، ويملي لهم .

وإذا نظرنا الى الآيات السابقة القريبة وجدناها تنطق بذكر مخازيهم ، وتندد بعيوبهم ، وتلقي عليهم بشتى ألوان اللوم والتوبيخ والتأنيب ، وتنعى عليهم مسالكهم ومناهجهم .

قال تعالى :

« وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

١ – سورة البقرة ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣

للدكتور عبد الباقي أحمد سلامه

يعلمون » (١) .

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » (٢) .

« وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا » (٣) .

« وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ... ثم توليتم إلا قليلا منكم » (٤) .

« وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ..... ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ... » (٥) .

« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » (٦) .

« وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم » (٧) .

« فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (٨) .

« وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم » (٩) .

« قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » (٩) .

« ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل » (١٠) .

« وإذ أخذنا ميثاقكم .... واسمعوا . قالوا سمعنا وعصينا » (١١) .

« قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت » (١٢) .

« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » (١٣)

« قل من كان عدوا لجبريل .. (قالوا ان جبريل عدوهم) من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » (١٤) .

١ ـ سورة البقرة ٧٥
٢ ـ سورة البقرة ٧٩
٣ ـ سورة البقرة ٨٠
٤ ـ سورة البقرة ٨٣
٥ ـ سورة البقرة ٨٤ ، ٨٥
٦ ـ سورة البقرة ٨٧
٧ ـ سورة البقرة ٨٨
٨ ـ سورة البقرة ٨٩
٩ ـ سورة البقرة ٩١
١٠ ـ سورة البقرة ٩٢
١١ ـ سورة البقرة ٩٣
١٢ ـ سورة البقرة ٩٤
١٣ ـ سورة البقرة ٩٦
١٤ ـ سورة البقرة ٩٧ ، ٩٨

فقه آية كريمة

« وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ .. وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ » (١) .

« أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم » (٢)

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » (٣) .

« وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ » (٤) .

« وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ » (٥) .

.....

فسياق الآيات في ذم اليهود . وتعداد معايبهم . وهى أكثر من أن تحصى . ويكفى ما ذكرناه للاشارة الى أن اليهود هم المعنيون بهذا الحديث الفاضح .

نبذوا كتاب الله :

لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم معترفا بنبوة موسى عليه السلام . وبصحة التوراة المنزلة وموافقا لما جاء فيها من البشارة بمقدمه . وذكرهم ما أخذ عليهم من الميثاق . وما عهد اليهم في كتابهم من اتباعه ومؤازرته ونصرته . قالوا : والله ما عهد الينا في محمد . وما أخذ علينا ميثاقا .. وقالوا : يامحمد : ما جئتنا بشيء نعرفه . وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك . ونبذوا القرآن الذي جاء به

وقيل انهم لما عارضوه بالتوراة ، اتفقت التوراة والقرآن . فنبذوا التوراة . وأخذوا بكتاب آصف . وبسحر هاروت وماروت .

ورجح الفخر الرازى أن يكون الكتاب الذى نبذوه هو التوراة لوجهين :

الأول : أن النبذ لا يعقل الا فيما تمسكوا به أولا . وأما اذا لم يلتفتوا اليه أبدا فلا يقال انهم نبذوه .

الثانى : أنه قال « فريق منهم » ولو كان المنبوذ القرآن لم يكن لتخصيص الفريق معنى . لأن جميعهم لا يصدق بالقرآن .

فان قيل : كيف يصح نبذهم التوراة وهم يتمسكون بها ؟

قلنا : اذا كان يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لما فيه من نعته وصفته ووجوب الايمان به . ثم عدلوا عنه كانوا نابذين للتوراة (٦) .

فالمعنى : طرح طائفة منهم كتاب الله الذى بأيديهم مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم . أى تركوها كأنهم لا يعلمون ما فيها . وأقبلوا على تعلم السحر واتباعه . وأرادوا كيدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسحروه (٧) .

وظاهر الآية : يفيد أن الذين اتبعوا ما تتلو

(١) ــ سورة البقرة ٩٩
(٢) ــ سورة البقرة ١٠٠
(٣) ــ سورة البقرة ١٠١ .
(٤) ــ سورة البقرة ١٠٢
(٥) ــ سورة البقرة ١٠٣
(٦) ــ تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ٢٠٢ .
(٧) ــ تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣٤

الشياطين هم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . فاتبعوا : معطوف على : نبذوا . والمراد بهم اليهود الذين كانوا فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم .

ولكن قيل : أن المراد هم اليهود المتقدمون .

كما قيل : أنهم هم الذين كانوا فى زمن سليمان عليه السلام لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان . ويعدونه من الملوك . والذين كانوا فى زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر .

ورجح الفخر الرازى أنه يتناول الكل اذ لا دليل على التخصيص (١) والمراد بقوله « تتلو » هو القراءة من التلاوة . قاله عطاء ورجحه الفخر .

وحكى رأيا آخر . قال : قال أبو مسلم : تتلو : أى تكذب . يقال : تلا عليه اذا كذب . وتلا عنه اذا صدق .

وقال ابن عباس : تتلو : تتبع . كما تقول : جاء القوم يتلو بعضهم بعضا .

وقال الطبرى : اتبعوا : بمعنى : فضلوا . فمن اتبع شيئا فقد فضله على غيره (٢) .

واختلفوا فى الشياطين . فقيل : المراد شياطين الجن . ورجحه القرطبى وقال الفخر : هو قول الأكثرين (٣) .

وقيل : شياطين الانس المتمردون فى الضلال . قال الفخر : هو قول المتكلمين من المعتزلة .

وقيل هم شياطين الانس والجن معا .

وحجة القائلين بأنهم شياطين الجن : أن هؤلاء كانوا يسترقون السمع . ثم يضمون الى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة . وقد دونوها فى كتب يقرأونها ويعلمونها الناس . وفشا ذلك فى زمن سليمان . حتى قالوا : ان الجن تعلم الغيب . وكانوا يقولون : هذا علم سليمان . وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر الجن والانس والريح .

وحجة من قال انهم شياطين الانس : أنه روى فى الخبر أن سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التى خصه الله بها تحت سرير ملكه حرصا على أنه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك المدفون .

فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم الى أن كتبوا فى خلال ذلك أشياء من السحر تناسب تلك الأشياء من بعض الوجوه . ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنه من عمل سليمان .

ثم ان أصحاب هذا الرأى أفسدوا ما قاله أصحاب الرأى الأول :

بأن شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الأنبياء . بحيث يبقى ذلك التحريف مختفيا فيما بين الناس . لارتفع الوثوق فى جميع الشرائع . وأفضى ذلك الى الطعن فى جميع الأديان .

فان اعترض على هذا الرأى : بأن ما جوزوه على شياطين الجن قد يجوز مثله على شياطين الانس .

فالفخر الرازى : يجيب عليه : بأن هناك

١ ــ تفسير الفخر الرازى جـ ٢ ص ٢٠٣
٢ ــ تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٢
٣ ــ تفسير الفخر جـ ٣ ص ٢٠٣

فقه آية كريمة

فرقا بين ما يفعله الانسان وما يفعله الجن . فما يفعله الانسان لابد أن يظهر من بعض الوجوه . أما ما يفعله الجن فانه لا يظهر ويبقى خافيا .فيفضي الى الطعن في جميع الأديان(١) .

فكأن الفخر ينتصر للرأى القائل بأن المراد : شياطين الانس مخالفا ترجيح الأكثرين .

على ملك سليمان :

المراد به : أنهم تقولوه على شرعه ونبوته . قاله ابن العربي .

وقال الزجاج : على عهد ملك سليمان .

وقيل : على بمعنى : في . أي في ملك سليمان . أي في قصصه وأخباره وصفاته (٢) .

قال الفخر : والأقرب أن يكون المراد : واتبعوا ما تتلو الشياطين افتراء على ملك سليمان . لأنهم كانوا يقرأون من كتب السحر . ويقولون : ان سليمان انما وجد ذلك الملك بسبب هذا العلم . فكانت تلاوتهم لتلك الكتب افتراء على ملك سليمان (١) .

قول اليهود في سليمان :

قال محمد بن اسحق : لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان عليه السلام في المرسلين . قال تعالى « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ » (٣) قال بعض أحبار اليهود : يزعم محمد أن ابن داود كان نبيا ! والله ما كان الا ساحرا .

فأنزل الله عز وجل « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا » .

أي ألقت الى بني آدم : أن ما عمله سليمان من ركوب البحر ، واستسخار الريح . والجن . والطير . كان سحرا . وكتبوا السحر على لسان آصف . كاتب سليمان . ودفنوه تحت مصلاه . حين ابتلاه الله وانتزع ملكه . ولم يشعر بذلك سليمان .

فلما مات سليمان استخرجوه . وقالوا للناس : انما ملككم بهذا فتعلموه . فأما علماء بني اسرائيل : فقالوا : معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان . وأما السفلة فأقبلوا على تعليمه . ورفضوا كتب أنبيائهم . حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم .

فأنزل الله عز وجل عليه عذر سليمان وبراءته مما رمي به . فقال : « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ » (٤) « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » لأنه لو كان ساحرا لكان كافرا . لكنه رسول فهو ليس بساحر . فليس بكافر .

---

١ ــ تفسير الفخر الرازي جـ٣ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤

٢ ــ تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٤٢

٣ ــ سورة النساء ١٦٣

٤ ــ تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٤١ ، ٤٢

وقال العوفي ، في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى « وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ .. الآية » : وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام من الجن والانس ، واتبعوا الشهوات ، فلما أرجع الله الى سليمان ملكه ، وقام الناس على الدين كما كان ، وان سليمان ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه ، وتوفى سليمان عليه السلام حدثان ذلك ، فظهر الانس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان ، وقالوا : هذا كتاب من الله نزل على سليمان فأخفاه عنا ، فأخذوا به فجعلوه دينا (١) .

وقال ابن أبي حاتم عن ابن عباس : كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا ، وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به (١) .

وقال ابن جرير عن ابن عباس : كان سليمان اذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئا من شأنه ، أعطى الجرادة (وهي امرأته) خاتمه ، فلما أراد الله أن يبتلي سليمان عليه السلام بالذي ابتلاه به ، أعطى الجرادة ، ذات يوم ، خاتمه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي خاتمي ، فأخذه ولبسه ، فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والانس (٢) قال : فجاءها سليمان فقال لها : هاتي خاتمي ، فقالت : كذبت ، لست سليمان ، فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به ، فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر ، فدفنوها تحت كرسي سليمان .

ثم أخرجوها وقرأوها على الناس (بعد موته) وقالوا : انما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ، فبرىء الناس من سليمان وكفروه ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ » (٣) .

وقال محمد بن اسحق بن يسار : عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان عليه السلام فكتبوا أصناف السحر ، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا ، حتى اذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ، ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا عنوانه : هذا ما كتب آصف بن برخيا ، الصديق للملك سليمان من ذخائر كنوز العلم ، ثم دفنوه تحت كرسيه ، واستخرجته بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثر عليه قالوا : والله ما كان ملك سليمان الا بهذا ، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه ، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود ــ لعنهم الله ــ وقالوا : ما كان سليمان الا ساحرا ، فأكذبهم الله في القرآن « وَٱتَّبَعُوا۟

---

١ ــ تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣٤

٢ ــ ظل هذا الشيطان (صخر) يحكم بين الناس اربعين يوما ، فانكر الناس احكامه ، ودخلوا على نسائه وسألوهن عنه ، فحدثوا به فانكروه فهرب والقى الخاتم في البحر ، فابتلعته سمكة ، والت السمكة الى سليمان ، وعاد اليه الخاتم ، وعاد اليه ملكه ، وامر بالشيطان فجعل في صندوق والقى في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة . (يراجع : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٥) .

٣ ــ تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣٤

فقه آية كريمة

ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان » (١) ·

السحر قديم :

لم يكن عصر سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أول العهد بالسحر · فدعوى اليهود أن الله تعالى أنزل السحر على سليمان على لسان جبريل وميكائيل : لا تنفى أن السحر كان معروفا قبل سليمان · وانما صار السحر متبعا على عهده ·

ومن الحق : أن الله لم ينزل السحر على لسان هذين الملكين · ولم ينزل شيئا منه على سليمان · ولم يكن سليمان ساحرا ·

قال الحسن البصرى : كان السحر قبل زمن سليمان·وهذا صحيح لا شك فيه لأن السحرة كانوا فى زمان موسى عليه السلام وسليمان ابن داود · كان بعد موسى ·

وقوم صالح (وهم قبل ابراهيم عليه السلام) قالوا لنبيهم صالح : « قالوا إنما أنت من المسحرين » (٢) ·

والسحر من استخراج الشياطين للطافة جوهرهم · ودقة أفهامهم · وكانوا يرتقون الى السماء · ويستمعون الأخبار ويلقون بها الى الكهان · فلما اطمأن الناس الى صدقهم وأنهم يعلمون الغيب · خلطوا بالصدق أكاذيب · وكتبوا بذلك كتبا · وفتنوا الناس بها · وأكثر ما أطاعهم من الناس اليهود والنساء فى حال طمثهن ·

واتخذت « بابل » عاصمة لتعلم السحر · وأصبح لها فى هذا المجال ذكرى وتاريخ · وقام على هذه المدرسة هاروت وماروت « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » ·

وسيأتى أن سفيان روى عن ابن عباس ، أن « الفرما » ــ وهى من قرى مصر ــ كانت بمثابة فرع آخر ــ غير بابل ــ لتعليم السحر · ولعل سحرة فرعون كانوا من نتاج « الفرما » وأن اليهود توارثوه عنهم · وتلقوه منهم ·

ولا أدرى : هل المنبت الأول لفن السحر هو « بابل » أو « الفرما » الا أن اسم بابل طبق الآفاق · وملأ الأصقاع والبقاع · وشاع وذاع · وسجله القرآن الكريم · فى هذه الآية الكريمة « وما أنزل على الملكين ببابل » ·

والذين ابتدعوه وعلموه هم الشياطين · واليهود فى كل زمان ومكان هم المتبعون لهؤلاء الشياطين « واتبعوا ما تتلو الشياطين » ·

وفى عهد سليمان عليه السلام · تم وضع

---

١ ــ تفسير ابن كثير ﺣ ١ ص ١٣٦

٢ ــ سورة الشعراء ١٥٣ ويراجع ابن كثير ﺣ ١

السحر في كتاب ، أو بلفظ آخر : تم جمعه في كتاب ، ونسب الى « آصف » بل زادوا في النسبة وقالوا : هو سحر سليمان ، تفخيما لشأنه ، وحثا للناس على اتباعه ، واغراء لهم للاقبال عليه ، وانكارا لنبوة سليمان عليه السلام .

ومن بابل : انتقل وانتشر ، ومع ذلك **فمازال ينتسب اليها ، فيقولون : سحر بابل .**

وقد تحمله مع اليهود : كل من لا خلاق له عند الله ، فيتعلمون ويعلمون ، ما يضرهم ولا ينفعهم .

فرما :

(بلد السحر ـ بعد بابل) مدينة على الساحل من ناحية مصر ، حصن على ضفة البحر ، حولها سباخ ، وليس بها زرع ولا ماء غير المطر ، هواؤها فاسد ، بناها « الفرما » أخو الاسكندر الذي بنى الاسكندرية ، خربت ، وسفت عليها الرمال ، بين العريش والفسطاط ، كان لها أبواب .

قيل هي المذكورة في القرآن « **يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ** » فتحها عمرو بن العاص سنة ١٨ هـ (١) .

وروى سفيان عن ابن عباس قال : علم السحر في قرية من قرى مصر يقال لها « الفرما » (٢) .

بابل :

ينسب اليها السحر والخمر ، ناحية منها الكوفة والحلة وقال المفسرون : هي العراق ، وقيل : دبنا وند ، وقيل : الكوفة .

يقال : ان أول من سكنها نوح عليه السلام ، بعد الطوفان لطلب الدفء ، وأقاموا فيها وتناسلوا وكثروا ، وابتنوا بها المدائن واتصلت المساكن بدجلة والفرات ، وكانت ملوكهم تنزل بابل ، وبقيت مملكتهم قائمة الى أن قتل « دارا » آخر ملوكهم .

وممن سكنها : فرعون ابراهيم (نمرود) ، وبختنصر ، وخربها الاسكندر .

وسميت : بابل : روى عن أنس بن مالك ، لما حشر الله الخلائق الى بابل (بعد الطوفان) بعث اليهم ريحا شرقية وغربية وقبلية وبحرية ، فجمعتهم الى بابل ، وفيها افترقوا الى سبعين لسانا ، فسميت بابل لتبلبل الألسنة فيها (٣) .

وذكر أهل التوراة : أن مقام آدم كان ببابل ، فلما قتل قابيل هابيل ، مقت آدم قابيل ،



١ ـ معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٥٥
٢ ـ تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٤٦
٣ ـ هذه التسمية بهذا السبب بالعهد القديم ـ تكوين .... مجلة الازهر

فقه آية كريمة

فهرب قابيل بأهله الى الجبال .

فسميت بابل . يعنى به الفرقة . فلما مات آدم . ونبىء ادريس عليه السلام . وكثر ولد قابيل وأفسدوا . ونزلوا من الجبال . وخالطوا أهل الصلاح وفسدوا بهم . دعا ادريس ربه أن ينقله الى أرض ذات نهر مثل بابل . فأرى الانتقال الى أرض مصر . فلما سكنها واستطابها . اشتق لها اسما من معنى بابل ـ وهو الفرقة ـ فسماها : بابليون . ومعناها الفرقة الطيبة . وصار اسما عاما لديار مصر . بلغة القدماء .

وقيل : هو اسم لموضع الفسطاط خاصة (١) .

قال القرطبى : بابل . لا ينصرف . للتأنيث والتعريف والعجمة . وهو قطر من الأرض . قيل : العراق وما والاه . وقال ابن مسعود لأهل الكوفة : أنتم بين بابل والحيرة . وقال قتادة : هى من نصيبين الى رأس العين (٢) وقال قوم : هو جبل نهاوند (٣) .

واختلف فى تسمية بابل . فقيل : لتبلبل الألسنة بها حين سقط صرح نمروذ .

وقيل : لما أراد الله أن يخالف بين ألسنة بنى آدم . بعث ريحا فحشرتهم الى بابل . فبلبل الله ألسنتهم بها . ثم فرقتهم تلك الريح فى البلاد . والبلبلة التفريق . وقال بمعناه الخليل . وروى عن ابن عباس : أن نوحا عليه السلام لما هبط الى أسفل الجودى . ابتنى قرية . وسماها : ثمانين . فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة احداها اللسان العربى . وكان لا يفهم بعضهم عن بعض (٤) .

وروى ابن أبى حاتم . أن على بن أبى طالب رضى الله عنه . مر ببابل وهو يسير . فجاء المؤذن يؤذنه بصلاة العصر .

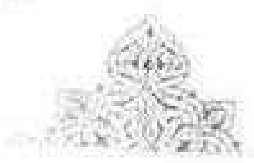
فلما برز منها . أمر المؤذن فاقام الصلاة . فلما فرغ قال : ان حبيبى صلى الله عليه وسلم نهانى أن أصلى فى المقبرة . ونهانى أن أصلى ببابل فانها ملعونة .

وروى مثله أبو داود .

يتبع

د/ عبد الباقى أحمد سلامة

١ ـ معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١١
٢ ـ نصيبين ورأس العين مدينتان على الحدود بين العراق وايران
٣ ـ نهاوند : فى بلاد ايران
٤ ـ تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٥٣
٥ ـ تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٢





من رجال الدين المسيحي بالاسكندرية

بقلم الأستاذ الدكتور
مصطفى محمد الحديدى الطير

السيد الاستاذ اليزيوكاميروتا من رجال الدين المسيحي بالاسكندرية ..

تحية طيبة .. وبعد .

فقد اطلعت على رسالتكم (١) التى وجهتموها الى فضيلة الامام الاكبر ، وقد سألتم فيها عن الخلاف القائم بين المسيحية والاسلام بشأن الألوهية ، رجاء الوصول الى حل لهذا الخلاف وقد جاء برسالتكم أنكم تقرءون القرآن ، كما تقرءون التوراة والانجيل ، وتساءلتم عقب ذلك بقولكم : (أليس الله واحدا أوحد ؟ أجل انه واحد ، فاذا كان الله واحدا ، فالحق أيضا واحد ، والوحى واحد ، اذا تكلم الله فى الماضى ثم تكلم فيما بعد فلا يناقض نفسه ، وانه تكلم فى التوراة وثبت كلامه بالمعجزات ، وتكلم فى الانجيل وأيد كلامه بالمعجزات ، ثم طور المسيح ذلك الوحى بأن كشف لنا التثليث فى التوحيد ، ثم أتى القرآن وعاد الى فكرة التوحيد فحسب (هل الله ناقض نفسه ، ام هل البشر ناقضوا الله ؟) ثم قلت (اذا وقع اختلاف فى احدى الحقائق ، فهذا الاختلاف عائد الى البشر لا الى الاله) هكذا قلتم .

وردا على ذلك نقول : لقد اعترفت فى رسالتك بأن موسى جاء بالتوحيد فحسب ، والقرآن أيضا جاء بالتوحيد فحسب ، وأنه لم يخالف فى ذلك الا الأناجيل المتداولة ، فهى التى جمعت بين المتناقضين التثليث والتوحيد والجمع بين المتناقضين باطل .

وعلى هذا يكون ماجاء فى التوراة والقرآن

٩

(١) يجد القارئ صورة خطاب الاب «اليزيو كاميروتا» ص ١١١٨ ، ١١١٩

من وحدة الله هو الحق ، وما جاء في الأناجيل المتداولة من التثليث باطل من وجهين :

(أحدهما) أنه جمع المتناقضين ، فإن الواحد لا يتعدد .

(وثانيهما) أنه مخالف للتوراة قبله والقرآن بعده .

وليس من حق المسيح أن يعدل هذه الوحدة ويحولها الى ثلاثة كما ادعيت ، فإن الحق لا يتغير ، والألوهية ليست صالحة للتطوير ولا لعبث العابثين ، ولأن الواحد في ذاته وفي صفاته لا يقبل التعدد ، فإن التعدد ينافي الوحد ، « اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » .

ثم ان الأبوة تقتضي التقدم ، والبنوة تقتضي التأخر ، لأنها فرع من الأبوة وثالثهما الروح القدس ، فكيف تكون هذه الآلهة الثلاثة واحدا؟!

لقد قضيتم في مؤتمر نيقيه المعقد سنة ٣٢٥ م على الأناجيل الناطقة بالتوحيد ، كانجيل (الأبيونيين) وانجيل فرقة (الشمشاطي) أسقف أنطاكية وانجيل فرقة الأريوسيين أتباع (أريوس) المشهور بالموحد ، وكان قسيسا في كنيسة الاسكندرية ، وتشيع له كثيرون في الاسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية ، وحكم مجمع نيقية بطرده وتكفيره ، الى غير ذلك من الأناجيل الموحدة ، وقد أربى عدد الأناجيل على سبعين انجيلا متخالفة ، ولما انعقد مجمع نيقية أقر منها أربعة أناجيل فقط (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) لأن دعاة التثليث رأوا فيها التصريح ببنوة عيسى لله فاعتقدوها بنوة حقيقية ، هذه الأناجيل كلها من صنع البشر ، والبنوة فيها لا تصح بنوة حقيقية ، ولما شار خلاف بعد مؤتمر نيقية على ألوهية الروح القدس وقدمه انعقد مجمع القسطنطينية وقرر ألوهيته وقدمه مع أنه ملك ورسول الله الى أنبيائه ورسله من البشر واليك فيما يلي ما يقوله علماؤكم في العهدين القديم والجديد .

(رأى مفكرى النصارى في كتبهم)

يقول الأستاذ موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا في باريس ، والمدرس بالقسم الديني بها عن التوراة :

« لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة ، وفي أي حال وظروف ، وبأقلام من كتب ؟ لانجد أحدا يجيبنا عن تلك الأسئلة وماشابهها الا بأجوبة متخالفة جدا ، وأن كافة ما كتب مشكوك في كاتبه ، وان كل ما في التوراة هو عبارة عن خليط من كتابات عديدة جدا ، جمعت في أجيال متباينة ، وان المذاهب العلمية ترفض أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد اليهود والنصارى ، وتقوض بنيان ادعاء السابقين ، وتبرىء الأنبياء من تلك الكتابات ، وأن تصحيح هذه الكتب كالنقش على الماء أو البناء في الهواء ، ولكن ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحو بعضها بعضا ، فالجديد يناقض سابقه ، والسابق يناقض الأسبق ، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد ، وأيسنا من الوصول الى معرفة صاحب الكتاب الحقيقي » .

* وتكلم عن الأناجيل فأبدى شكه في صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقص ولوقا) الى من نسبت اليهم من الحواريين ،

لدرجة تعادل الرفض تماما .

وقال عن انجيل (يوحنا) :

انه بلاشك كتاب مزور ، أراد صاحبه أن يضاد الحواريين (متى ويوحنا) وادعى أن هذا الكتاب المزور هو للحوارى (يوحنا الصياد) الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الرواية على علاتها ، وجزمت أن الكاتب هو يوحنا الحوارى — مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب العهد القديم التى لارابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وأن أقدم نسخة من الأناجيل الأربعة الرسمية الحالية ، كتب فى القرن الخامس بعد المسيح ، وأما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس ، فلم يترك لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية ، وفضلا عن حداثتها وقرب وجودها، فقد حرفت هى نفسها تحريفا ذا بال ، وبخاصة انجيل مرقص وانجيل يوحنا) .

(وقد صدق على شهادة الأستاذ موريس فورن ٥٠٠ خمسمائة عالم فى جمعية دار المعارف الكبرى بباريس) .

ذكر ذلك المستشار عزت الطهطاوى فى كتابه (محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن) فى الفصل الثانى الذى عقده للكلام عن كتب المسيحية واليهودية .

وعقب ذلك بقوله :

ان مجلة (لايف) العالمية ، اصدرت عددا خاصا باسم (الكتاب المقدس) — المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى أبريل سنة ١٩٥٦ م — ذكرت فيه الآتى : —

١ — هذا الكتاب المقدس أوسع الكتب انتشارا وأكثرها أثرا فى تاريخ البشر ، لكنه مع ذلك كتاب كتبه الانسان .

٢ — أن أغلب كلمات هذا الكتاب المقدس كتبها أشخاص آخرون ، لايعرف من هم ، ولايمكن معرفتهم فى يوم من الأيام — ثم قال : انه لا يوجد اليوم أى نص أصلى لأى جزء من العهد الجديد أو من العهد القديم وربما حوى العهد الجديد تغيرات أكثر وأبلغ من العهد القديم .

❋ وذكر المستشار الطهطاوى أن التوراة جميعها فقدت بعد وفاة النبى موسى وارتداد بنى اسرائيل الى عبادة الأوثان ، فسلط الله عليهم ملوك الوثنيين — فحاربوهم وغلبوهم ، وغنموا منهم غنائم ، كان من بينها تابوت عهد الرب الذى كانت فيه التوراة ، وهى النسخة الوحيدة التى كان قد كتبها النبى موسى ، ولم يكن عندهم نسخة سواها ، واستمروا بعد ذلك بدون التوراة (٤٥٠) أربعمائة وخمسين سنة ، اى الى عهد النبى سليمان ، لأنه بعد مافرغ من بناء الهيكل استحضر تابوت عهد الرب ليضعه فى المحراب الذى أعده له فى الهيكل ، فلما فتحه لم يجد فيه التوراة ، وانما وجد لوحين مكتوبا عليهما الوصايا فحسب .

❋ وهذه الأحداث مذكورة فى :

سفر القضاة وسفر الملوك الأول ، اصحاح ٨ من عدد (واحد الى احد عشر) .

وفى سفر الأيام الثانى اصحاح ٥ — ١٠ .

وقد ذكر ذلك الدكتور (اسكندر كيرس) فى أبحاثه وكتبه ، وبخاصة فى ديباجة البيبل الجديد ، اذ يقرر ثلاثة أمور جزما :

الرد على أسئلة السيد الأب

(١) أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى .

(٢) أنها كتبت في أورشليم بعد عهد موسى .

(٣) أنه تنسب تأليفها الى زمان سليمان في عهد (هوميروس) أي بعد ٥٠٠ خمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام .

*** وننتقل بعد هذا الى مناقشة ماجاء برسالتك يا أستاذ (ألزيو كاميوتا) قلت في الصفحة الأولى أيضا :**

(اذا ماوقع الشك في أمر ديني نبحث بعقولنا عن موضع الضعف في التاريخ ، هل كل دين من الأديان القائمة من الله أن هذا القول غير ممكن مادام هذا الاختلاف قائما ، ماهو اذن الدين الحق ؟) .

ثم قلت

(هل هناك معجزات ونبوات تمت في غير التوراة والانجيل ؟ هل يكفي أن أقول : قد تراءى لي الله وقال لي كذا وكذا،قد تراءى لي الملك وعلمني كذا وكذا ؟ هات البرهان فأومن) .

وهذا السؤال وذاك ناطق بالمعنى الذى تقصده ، وهو أن دين الاسلام لايوجد فيه برهان على أنه من عند الله ، وهذا شيء تدعيه متأثرا بجو التقليد الذى يعيش فيه النصارى، ولو أنك تحررت من رباط التقليد وسجنه المظلم ، لأبصرت الأدلة والبراهين في دين الاسلام أقوى منها في كل دين آخر . واليك البيان :

* لقد بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى البشرية جمعاء حتى تقوم الساعة ، وقد شبت البشرية عن الطوق ، ولم تعد تنفع عصا موسى عليه الصلاة والسلام وشفاء عيسى عليه الصلاة والسلام لبعض المرضى ، واحياؤه بعض الموتى ، لم تعد تلك المعجزات تنفع ، فقد بدأت البشرية تتجه الى العلم وبراهين العقل ، بل انك لتجد اليهود قبل عهد محمد ﷺ كفروا بعيسى وبآياته مع أنهم من بنى اسرائيل قومه ، ومع أنه من سلالة ملك عظيم ونبى عظيم منهم هو داود عليه السلام وأنكروا معجزة احيائه للموتى ، وزعموها تواطؤا مع بعض أصحابه ، أو أنها كانت من قبيل الصحو بعد الاغماء ، وسيأتيك بيان واف في هذا الشأن ، وأنت عليم بأنهم حاولوا قتله وصلبه ـ وأنتم تعتقدون أنهم قتلوه وصلبوه ـ مع اتيانه بهذه العجائب ، وان كنا لانرى رأيكم في أنهم قتلوه « **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** » النساء ـ ١٥٧ .

فلو بعث محمد ـ ﷺ ـ بمثل تلك البراهين لما تكافأت في نظر الناس ، مع التقدم العلمى الذى وصل اليه الانسان حتى صعد الى القمر، والتحمت مركباته الهوائية في الفضاء ، واستطاع أن يستخرج من (النطف) أطفال الأنابيب ، وغير ذلك من العجائب .

فماذا كانت تصنع ناقة تخرج من الصخرة ؟ أو عصا تبتلع الحبال والعصى .

أو علاج مريض ، أو احياء ميت حديث الموت ؟

واذا كانت الامم التى أرسل اليها أولئك المرسلون قد كفروا بها في عصور الجهالة ،

فكيف يؤمن بها هؤلاء الشعوب الذين بعث اليهم محمد ﷺ في عصور المدنية والحضارة والاختراعات العجيبة ، ومنها انشاء الحاسب الآلي والانسان الآلي وغير ذلك من العجائب.

الم تشاهد في (التليفزيون) الدواجن التي يستخرجها السحرة من تحت المناديل التي في أيديهم .

والفتاة التي يدخلها هؤلاء السحرة في الصندوق ثم يطعنونها وهي في داخله بالسهام ويدخلون على جسدها الصفائح القاطعة ، ثم يفتحون هذا الصندوق مرة فلا توجد الفتاة فيه ، ثم يفتحونه مرة أخرى فتخرج منه غاية في النشاط .

ولولا أن القرآن اثبت عجائب المسيح عليه السلام ودلالاتها على نبوته ، لكان انكارها اليوم أو انكار دلالتها على نبوة المسيح فضلا عن الوهيته امرا واضح السهولة .

واليك فيما يلي قصة الموتى الثلاثة الذين أحياهم المسيح عليه السلام ، وما يقوله المنكرون بشأنها :

(أولهم) شاب من مدينة (نايين) كان محمولا في جنازة وأمه تبكي ، فاستوقف النعش وقال له : أيها الشاب لك أقول : قم . فجلس وابتدأ يتكلم فدفعه الى امه ، فأخذ الجميع خوف وسجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبي عظيم ، وافتقد الله شعبه (لوقا : ١١ ــ ١٦) .

(والميت الثاني) صبية ماتت فقال له ابوها ــ وكان رئيسا ــ : ابنتي الآن ماتت ، لكن تعال فضع يدك عليها فتحيا ، فجاء بيت الرئيس ووجد المزمرين والجمع يضجون ، فقال لهم : تنحوا فان الصبية لم تمت ، لكنها نائمة ، فضحكوا عليه ، فلما أخرج الجمع وأمسك يدها قامت الصبية (٩ ــ ١٨ ــ ٢٤)

فمنكرو هذه العجائب يقولون : ان كلا من الفتى والفتاة لم يموتا بالفعل ، وان كثيرا من الناس في كل زمان قد قاموا من نعوشهم بل من قبورهم بعد أن ظن الناس موتهم ، ولهذا تمنع الحكومات الراقية دفن الميت حتى يقدم أحد الأطباء شهادة بالموت بعد الفحص العلمي الجيد ، على ان (متى) يروي في انجيله على لسان السيد المسيح أن الطفلة لم تمت ، ولكنها نائمة .

فهل تكذبون رواية متى لكلام المسيح؟ .

(والميت الثالث) اسمه (ليعازر حبيبه) وهو أخو مرثا ومريم المجدلية حبيبته ، مرض في قريتهم فارسلتا الى المسيح قائلتين : هوذا الذي تحبه مريض ، فمكث يومين وحضر ، فوجد أنه مات منذ اربعة أيام ، فلقيته وقالت: ياسيد : لو كنت هنا لم يمت أخي ، وحضرت اختها مريم وقالت مثل قولها وكانتا ذهبتا الى القبر البكاء ، فلما رآها تبكي واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ، وقال : أين وضعتموه ؟ فدلوه على قبره فبكى وانزعج في نفسه ، وجاءوا الى القبر ، فأمر برفع الحجر فرفعوه ، ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي ، فانا ، علمت انك في كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلتني ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : ليعازر هلم خارجا ،

فخرج الميت فقال لهم يسوع : دعوه يذهب . انتهى ملخصا من الاصحاح ١١ من انجيل يوحنا .

فالمنكرون يقولون : ان هذه كانت بتواطؤ بينه وبين حبيبه وحبيبتيه لاقناع اليهود بنبوته .

ولا يستطيع النصارى أن يقيموا الدليل على صحة هذه القصص . لانها ليس لها أسانيد متصلة الى نهايتها أو حتى الى كاتبها .

ولادليل على عصمتهم من الخطأ في روايتها . فلا يمكن أن يقوم بها دليل على نبوة المسيح فضلا عن الوهيته . ويلاحظ أن هذه الروايات مع ما فيها من الملاحظات . ليس فيها تصريح بالوهيته المدعاة . بل هي صريحة في انه نبي ورسول .

واذا كان احياء الموتى تحيط به هذه الشكوك ، فشفاء المرضى واخراج الشياطين لا يقتضي الألوهية ولا البنوة لأن مثل ذلك يقع في كل زمان ، وقد نقل مثلها عن صوفية المسلمين والهندوس ، فلولا ان الاسلام أقر معجزة الاحياء والشفاء اجمالا لعيسى عليه السلام ، لما استطاع النصارى اثبات شيء منها تاريخيا ، ولا الخروج من تشكيكات المشككين .

موضوع التينة :

ويروى مرقس قصة التينة التي أيبسها السيد المسيح فيقول ما خلاصته أنه عليه السلام جاع يوما وهو خارج من بيت عنيا الى أورشليم مع تلاميذه ، فرأى شجرة تين مورقة ، فجاءها لعله يجد فيها ما يأكله فلم يجد ، وكان ذلك في غير أوان اثماره ، فلعنها قائلا لها لا ، يأكل منك أحد الى الأبد ، ولما رجعوا من أورشليم رأوا التينة قد يبست : الخ (ص ١١ فقرات ١١ — ١٤) .

يقول الامام محمد رشيد رضا تلميذ الامام محمد عبده : في هذه العجيبة نظر من ثلاث جهات :

(الأولى) ان منكر العجائب يقول : انه يجوز أن تكون التينة يبست بسبب مادي في اثناء وجود السيد المسيح وتلاميذه في أورشليم .

(والثانية) أن الروحيين من فلاسفة الهندوس وغيرهم يقولون ان كل من كان روحانيا قوى الارادة ، يكون له مثل هذا التأثير ، فهو من خواص الروح ، واذا كان الأمر كذلك فانه يكون كسبيا بالرياضة ، ولا يعتبر معجزة ، لامكان الاتيان بمثله .

(والثالثة) أن الناس ينقلون هذا في كل زمان ، ومن ذلك مانقلته (جريدة المقطم) في عددها الصادر بتاريخ ٤ من رمضان سنة ١٣٥٢ هـ الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٣٣ م مترجما من كتاب لطبيب اسمه (الكسندر)كان في بادية (لندن) له منصب معروف في مستشفى الامراض النفسية ،

أنه الف كتابا اسمه (العالم غير المنظور) تكلم فيه عن التنويم المغناطيسي والسحر الاسود ذكر فيه رحلته الى الهند والتبت ، وما رأى فيها من المناظر العجيبة ، ومنها اماتة التينة ، واحياء الميت كالمسيح .

ونزيد على كلام الامام رشيد رضا في (شأن التينة) فنقول : لو كان الها لما قصد الى تينة لاثمر عليها ليأكل منها ، ثم يلعنها

بعد أن يجدها خالية من الثمر وكـان ذلك فى غير أوانه ، ولو أنه ذهب اليها وهى خالية من الثمر ثم جعلها تثمر لكان ذلك عجيبة ، ولكان ذهابه اليها معقولا ، ومـع هـذا لا يدل على ألوهيته بل على نبوته فحسب .

(اماتة الصوفى الهندى للتينة كالمسيح)

ويتكلم الطبيب الانجليزى عن صديقـه الهندى « البروفيسور » فيقول : انـه يزوره كل ليلة وعمره مائة سنة ، ولكن منظره منظر رجل فى سن الأربعين وقد صحبه مرة الى شجرة تينة ، فخاطبها ، صاحبها الصوفى الهندى من بعد قائلا : لقد أحسنت وقاومت عوامل الحياة ، وسليت نفسى وشفيتها ، وقد آن وقت رحيلك عن عالم الغرور والعـدم ، فموتى الآن ولا تعودى الى الحياة مرة أخرى قال الطبيب : فذبلت التينة حالا ، وسمح لى بفحصها أنا وغيرى ، لنتأكد منها .

احياء اللاما كاهن التبت الاكبر للميت

اللاما هو كاهن التبت الأكبر ومعتقد أهلها، وفى يوم كان جالسا على عرشه ، فدخل عليه (جوقة) أى جماعة من الرهبـان يحملـون المشاعل فجلسوا فى حلقة واسعة وهم يتمتمون أغنية ، فصلى اللاما وفى تلك الدقيقة دخـل ثمانية يحملون تابوتا مـن حجـارة فأنزلوه ورفعوا غطاءه .

يقول الطبيب الانجليزى :

«قرأينا شخصا منظره منظر ميت ، فسمح لى بفحصه ، فلم أشعر بنبضه ولا بخفقـان قلبه ، وكان باردا كالحجر ، وعيناه عينا رجل انقضى عليه يوم كامل وهو ميت . ووضعت مرآة على فمه وأنفه ، فلم يظهر عليها أثر تنفسه ، ثم لفظ اللاما كلمات : فرأينا الميت يفتح عينيه ، ثم جلس فى تابوتـه فـاعده راهبان على الوقوف والمشى ، فدنا من اللاما وانحنى وعاد الى نعشه وهو لا يزحزح بصره عن اللاما (أعظم الحكمـاء) عنـدهم ثم لم تمض دقائق قليلة حتى عاد ولا حياة فيه ، فلم أدر أكان ميتا حقيقة أم كان فى غيبوبة ، فقرأ (اللاما) أفكارى فقال لى : (ان الرجل كان ميتا مدة سبع سنوات) .

يقول السيد / محمد رشيد رضا : وفى هذا الكتاب عجائب أخرى ذكرت بعضـها جريدة المقطم وقال :

ان المجلس البلدى عزله من وظيفته عقابا له على اصدار هذا الكتاب —

ويقول السيد رشيد رضا :

« انه سمع فى صغره حكاية مشهورة عند أهل بلده عن رجل معتقد اسمه الشيخ / محمد العصافيرى : أنه نظر الى شجرة تين وقـال مسكينة مسكينة تموت ، فلم تلبث أن عراها الذبول حتى يبست » .

انتهى بتصرف من كتاب (الوحى المحمدى) للامام محمد رشيد رضا .

واذا كان أمر الخوارق والعجائب لم يعـد مناسبا للأمم التى بعث اليهـا محمـد ﷺ ، بسبب تسرب الشكوك الى نفوسهم من تلك الخوارق .

ولأن من الناس من جرى على يده أمثال تلك العجائب عن طريق الرياضة — كما تقدم بيانه .

ولأن الخوارق التي ظهرت في هذا العصر وجاء بها العلم ، مثل الصعود الى القمر ، وتربية النطفة في الأنابيب حتى تصبح طفلا ، وغير ذلك من الأعاجيب .

لهذا كان لابد لذلك الرسول المبعوث الى جميع البشر حتى قيام الساعة ، أن تكون معجزته علمية متفوقة ، فكانت معجزة القرآن العظيم ، المشتمل على علوم الدنيا والآخرة ينزله الله على رجل أمي لايقرأ ولا يكتب ، وحوله أمة أمية لاتقرأ ولا تكتب ، ولم ينزل عليها كتاب ، ولا تعرف سوى عبادة الأوثان، تنسب اليها الضر والنفع ، وتؤدي اليها طقوس العبادة حذرا من غضبها عليهم بزعمهم .

ولا يستطيع أحد أن ينكر فضل القرآن وأهله على العلم في جميع فروعه ، وأثره في تمدين أوربا وغيرها ، وانتشار العلوم بين أهلها من مخالطتهم للمسلمين في سلمهم وفي حربهم ، فلولا مدنية الاسلام وعلومه المقتبسة من القرآن ، لبقيت أوربا وغيرها في دياجير الجهالة ، وقد شهد بذلك المنصفون من مؤرخيهم وكتابهم .

ومع أن الرسول ﷺ قد ظهرت على يده معجزات كونية أكثر مما رواه الانجيليون عن عيسى عليه السلام ، ورواها الرواة العدول بالسند المتصل اليه — ﷺ — ، فان الله تعالى لم يجعلها حجته على نبوته ، بل جعلها قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها ممثلة في القرآن الكريم العظيم ، فالقرآن آية الله على نبوة محمد ، وهو أيضا موضوع نبوته ، ومصدر العلوم الالهية التي اشتمل عليها ، وكل معجزة للأنبياء قبله أصبحت خبرا يروى ولا وجود لها ، والاخبار بها ليس متصل الاسانيد ، فهي قابلة للتصديق والتكذيب ، أما معجزة القرآن فهي مصاحبة للاسلام منذ أشرق فجره حتى تقوم الساعة، ولا يزال القرآن يتحدى كل المفكرين أن يأتوا بمثله ، وقد عجزوا حتى الآن « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » الاسراء — ٨٨ وفي ذلك يقول النبي — ﷺ — : (ما من الأنبياء نبي الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

وقد صانه الله سبحانه عن التبديل ، فهو مكتوب ومحفوظ في الصدور منذ نطق به النبي — صلى الله عليه وسلم — حتى وقتنا هذا ، محفوظا بعناية الله ، لم تعبث به أيدي المبدلين « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » الحجر — ٩ .

والقرآن معجزة البشر بلفظه وأسلوبه وجرسه وهدايته وعلومه وبصدق روايته لأخبار الأنبياء السابقين مع أممهم ، وانبائه بالغيوب الحاضرة والمستقبلة ، وتربيته العقول والأخذ بها الى الأمثل في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات ، فلم يعد

البشر بحاجة الى ميت يحيى ولا الى تينة تيبس وتجف ، وانما هو محتاج الى المعقول من الهدى وسائر العلوم .

وأما ما أكرم الله به محمدا ﷺ من الآيات فلم يكن لاقامة الحجة على نبوته ورسالته ، بل كان من رحمة الله وعنايته به وبأصحابه في الشدائد كنصرهم في (غزوة بدر) مع قلتهم وضعف أسلحتهم وكثرة أعدائهم وعنف أسلحتهم ، ولهذا أنزل الله الملائكة بينهم في شكل البشر لتشد أزرهم وتبشرهم بالنصر تقوية لقلوبهم ، فكسبوا المعركة بنصر ساحق، وكذلك ما كان في (غزوة الأحزاب) فهو أعجب فقد رد الله عشرة آلاف من المشركين لم ينالوا خيرا ، حيث أرسل عليهم (ريحا باردة) في ليلة مظلمة ، كفأت قدورهم واقتلعت خيامهم، ونشر الملائكة الذعر بينهم « **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** » الأحزاب — ٢٥ .

ومن آياته ﷺ شفاء المرضى وابصار العمي واشباع العدد الكثير من الطعام القليل — كما وقع للمسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام — ومنها تسخير السحاب استجابة لدعائه ، لتسقي رجال الجيش أو الناس عند القحط ، ومن ذلك ماحدث في غزوة تبوك ، حيث نفد ماء الجيش في صحراء قاحلة والحر شديد حتى كانوا يذبحون البعير ويخرجون (الفرث) من كرشه ليعتصروه ويبلوا به ألسنتهم على قلة الرواحل معهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يارسول الله .

ان الله عودك في الدعاء خيرا ، فادع لنا ، فرفع يديه فدعا ، فلم يرجعهما حتى كانت السماء قد سكبت لهم من الماء ماملأوا به ما معهم من الروايا ولم يتجاوز المطر أرضهم .

والروايا :هي القرب التي كانت تحملها الابل في أسفارهم .

ونعود الى مناقشة رسالتك ياأستاذ (البزيوكاميروتا) الى فضيلة الامام الأكبر .

تقول في السطر الأخير من الصفحة الاولى (وبعد هذه المقدمة الضرورية للتمييز بين الحق والباطل وبين دين ودين ، علينا أن نعالج موضوعا آخر في جانب عظيم ، ذلك الموضوع الذي بدونه يظهر الله وكأنه متناقض عندما نأتي بكلمة انسان تدل على الانسانية بكمالها وأفرادها ، تقول : أنا انسان وهذا انسان الخ ، ثم قلت في السطر الخامس من ص ٢ (وهكذا منعا من كل التباس يجب أن نفهم أن القول (اله) لايدل على شخص من الاشخاص ، ولكن على طبيعة معينة) نعم اله واحد عبارة عن طبيعة الهية واحدة ، ومن يدريني هل كان في تلك الطبيعة الالهية الواحدة شخص واحد في الننوم واحد أم اثنان أم أكثر ، الذي يدريني هو الوحي لا العقل البشري، اذ فاقت هذه الأسرار ادراك العقل) وتمضي قائلا :

(وبهذا القول لسنا في ضلالة الاشراك ، نعم اننا لانشرك في الطبيعة من كان غير الله ، اذ ما من تناقض في تعليم المسيح الذي علمنا في كل صفحة من الانجيل تقريبا ان هناك ثلاثة أشخاص آلهة ، الاب الذي أرسله والابن الذي أرسل ، والروح القدس الذي

الرد على أسئلة السيد الأب

سيرسله الابن عند عودته الى الاب) .

وردا على هذا تقول : ان عقدتكم — أيها النصارى — تتمثل فى هذا المبدأ القائل : آمن أولا ثم ابحث عن الدليل ، وهذا المبدأ فى غاية الخطأ والخطر ، فان عقيدة الايمان بالاله لاتصح أولا الا بالدليل العقلى ، فاذا صح الدليل آمنا بالاله وبرسول الاله بعد الايمان به ، فكيف صح فى عقولكم أن يكون لهذا الكون آلهة متعددة ، أحدها الاب ، والثانى الابن ، والثالث روح القدس ؟

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) .

ان قوانين الكون واحدة من الذرة الى المجرة ، فلا يمكن أن يعدها وينفذها ويحافظ عليها الا اله واحد ، حتى لا يحدث فساد فى الايجاد ثم فى الموجود ، ولنا بحث هام فى هذه الحقيقة يهدى الحيران ويروى الظمآن فى كتابنا (نافذة على الايمان) لا يتسع له هذا المقال .

كان الله ولاشىء معه ، ثم خلق هذا الكون ولم يعى بخلقهن ، وأنتم تسلمون بذلك فى كتبكم ، فما وجه حاجته الى الابن ؟

ان الذى يطلب الابن يريده لأحد أمرين :

أن يعينه فى أعماله .

أو أن يرثه بعد موته .

وأنتم تعتقدون بأن الله خالق كل شىء كما جاء فى ميثاقكم ، وتعتقدون أن الاب حى لا يموت ، فما الداعى لاختراع فكرة الهين آخرين الابن والروح القدس ، ثم كيف تكون الوحدة مع هذا التعدد ، انك صرحت بأنهم ثلاثة أشخاص (١) أى هم آلهة وليسوا الها واحدا ، وهذا هو الذى جاء فى ميثاقكم برغم انكم سميتموهم الها واحدا وكان الأليق بعقيدتكم ، أن تسموهم شركة الآلهة المتحدة ، لماذا تسكرون عقولكم عن حقيقة الاشراك فى عقيدتكم والعياذ بالله تعالى ، فتعال معى لنقرأ الميثاق الذى وافق عليه مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م ومؤتمر القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م

يقول الميثاق « نؤمن بالله الواحد الأب ، مالك كل شىء ، وصانع كل شىء ، صانع كل مايرى وما لا يرى ، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله بكر الخلائق كلها ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها ليس بمصنوع ، اله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم ، وهو خالق كل شىء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وصار انسانا كاملا ، وحملت به مريم وولد من مريم البتول فأوجع وأولم وصلب فى أيام بيلاطس الملك ، ودفن وقام فى اليوم الثالث من بين الموتى ، ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ونؤمن بالروح القدس الذى يخرج من الاب والابن ، وبه كان يتكلم الانبياء) الخ .

وفى هذه العقيدة اثنا عشر تناقضا نذكر بعضها .

١ — تنص هذه الوثيقة على أن الأب هو الرب الأول وأنه مالك كل شىء وصانع ما يرى

(١) تجد ذلك فى رسالة الصفحة الثانية السطر الرابع عشر

وما لا يرى وأن الابن هو الرب الثاني ، وبيده أتقنت العوالم كلها ، وأنه خالق كل شيء ، فكيف يوصف بذلك وهو وصف أبيه ، فهل ولد من أبيه لتحصيل الحاصل او لتحصيل مالم يحصل . فان كان لتحصيل الحاصل فذلك محال ، وان كان لتحصيل ما لم يحصل فهو مخالف لما جاء عن الأب من أنه خالق كل شيء وصانع ما يرى ومالا يرى .

٢ ـ ما فائدته مع أبيه مع زعم أن كليهما رب خالق ؟

٣ ـ انكم تقولون ولد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلها ، وهذا يقتضى أنه مخلوق وحادث ، والرب يستحيل عليه الحدوث .

٤ ـ كيف استقام لديكم أن الرب يحشر نفسه فى رحم امرأة بين الدم والروث ، وهل تخليص البشر من الخطايا لا سبيل له سوى ذلك ، وهل كان راضيا عما فعله به اليهود من التهزيء والصلب والقتل ، كلا ، كلا ، ولهذا نادى ربه قائلا (ايلى ايلى لما سبقتنى) أى الهى الهى لماذا تركتنى ولماذا اختار أرضنا لهذه التمثيلية مع وجود أرضين أخرى فى ملك الله فيها مكلفون وعصاة ، ولماذا لا يهديهم أو يعفو عنهم بدون تعريض نفسه للقتل أهذا معقول أيها السادة ؟ أن يسمح لهم بقتله ليعفو عنهم ، ان هذا لشيء عجاب » .

وأية خطيئة كان المسيح عليه السلام يريد أن يخلصهم منها ؟

أهى خطيئة أكل آدم من الشجرة ؟ .

انها أمر هين بالنسبة لما تفعله البشرية من القتل والسرقة والغصب ، وأهوال الحروب ، والتعذيب والغش والمصادرات وابتزاز الأمم واستنزاف خيراتها وسلبها ونهبها ، على أن نزول آدم الى الأرض ، كان بمشيئة الله لتعميرها ، وقد تاب الى الله فتاب عليه ، وقد خلقه ليخطيء ويتوب .

أم كان يريد أن يخلصهم من ذنوبهم حتى تقوم الساعة ؟ .

فان كان هذا مرادا فهو مخالف لما فى اناجيلكم من نصوص الوعيد للخطائين ، ومخالف للحكمة الالهية التى تقتضى اثابة المحسن وعقاب المسيء ، وحامل على ارتكاب الجرائم اعتمادا على فكرة الفداء المزعومة .

وبالجملة ففكرة الوهيته ظهر فسادها من هذا النقاش ، كما ظهر فساد الزعم القائل : انه استسلم للصلب لفداء البشرية ، لأن هذا العبث لا يصنعه اله قادر على العفو والهداية ، حريص على حماية البشر من فساد أخلاقهم بسبب (فرمان) العفو والغفران الذى ترتب على الصلب المزعوم « وما قتلوه وما صلبوه ولكنه شبه لهم » .

« الله لا يناقض نفسه » :

وجاء فى آخر رسالتكم أن القرآن أثنى على التوراة والانجيل ، ومع ذلك يناقض مبادئهما الجوهرية ، فهل الله ناقض نفسه ، أم الانسان حرف الكتب :

*وجوابنا على هذا نقول : ان القرآن أثنى على التوراة والانجيل المنزلين من الله تعالى ، وقد فقدت التوراة الاصلية فى الغزو البابلى ، ولم يكن عند اليهود نسخة أخرى سواها ، واستمروا بعد ذلك (٤٥٠) أربعمائة وخمسين سنة بدون التوراة الى عهد الملك



سليمان ، فلما فرغ من بناء الهيكل استحضر تابوت عهد الرب ، ليضعه فى المحراب الذى أعده فى الهيكل ، فلما فتحه لم يجد فيه التوراة ، وكل ما وجده لوحان كتب فيهما الوصايا ، وهذه الأحداث مذكورة فى سفر القضاة وسفر الملوك الأول ، اصحاح ٨ ، وسفر الأيام الثانى اصحاح ٥ رقم ١٠ .

وفقد الانجيل الأصلى فلم يعرف أين ذهب ، ولهذا تعددت الأناجيل فوصلت الى أكثر من سبعين انجيلا ، وأحرقت الأناجيل الناطقة بالتوحيد ، ولم ينج منها سوى انجيل (برنابا) بأعجوبة ، وأبقيت الأناجيل الأربعة التى بأيديكم ، وهى مختلفة طولا وقصرا وعبارات ، ولو كان الانجيل الأصلى موجودا لما اختلفت الأناجيل ، فالقرآن حينما ينكر التثليث فلأنه لا وجود له فى توراة الله وانجيله الأصليين ، وأما نسخ التوراة والانجيل التى بأيديكم ، فهى من وضع البشر ، وقد شهد بذلك شهود منكم ، واليك البيان .

وسبق بالمقال ما كتبه موريس فورن عن التوراة .

وتكلم عن الأناجيل فأبدى شكه فى صحة نسبة (متى ومرقص ولوقا) الى من نسبت اليهم من الحواريين وقطع بأن انجيل يوحنا مزور كما سبق بيانه .

ومع هذه التغيرات، فقد بقى من النصوص فى التوراة ما يشهد بالوحدانية المطلقة ، ولا أب فى الالوهية ولا ابنا ولا روح قدس ، بل الرب وحده ، فقد جاء فى سفر التثنية عدد (٤ ــ ٥) « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ، فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » هذا هو تعلقتنا على كتابك ، (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) .

مصطفى محمد الحديدى الطير





المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

مما لاجدال فيه أن الانسان عندما يذهب بعيدا عن مصدر النور كثيرا ما تختلط عليه الأمور المتعارفة له ، فاذا ما اغرق فى البعد عن النور ومصدره فقد التمييز بين كثير من الحقائق .

وقد قالوا : ان الألوان تتشابه فى الظلام .

واختلاف الناس فى الرأى الذى كان قبل مسلما به وواضحا انما هو وليد بعدهم عن المصدر الأساسى كما يعد صاحب الألوان المتعددة عن النور فرآها كلها فى الظلام لونا واحدا ، ومن هنا تكمن الحكمة الربانية فى انزال الله الكتب السماوية على رسله حتى تكون مصدر ذلك النور الالهى الذى يهتدى به البشر وتوصية الأنبياء والرسل لاتباعهم والمؤمنين بهم بالمحافظة عليها نظرا لما تشتمل عليه من عقيدة سوية فى التوحيد حتى لا يبتعدوا عنها فتختلط عليهم الأمور ويتيهوا فى ظلمات الشك والحيرة والاختلاف كما حدث لأتباع المسيح عليه السلام بعد أن فقدوا انجيل المسيح نفسه .

كيف كان كتاب السماء فى دعوة المسيح عليه السلام :

كان كتاب المسيح عليه السلام هو الانجيل نزل اليه من عند الله وهو مصدق للتوراة كتاب موسى عليه السلام ــ واذا قلنا : « التوراة » فانما نعنى التوراة المنزلة من عند الله ، فالانجيل المنزل ــ أيضا ــ مؤيد لها قال تعالى (**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**) (١) .

٥

١ ــ سورة المائدة ٤٦ .

ولكن أين هذا الانجيل ذلك الذى نزل على المسيح عيسى عليه السلام ؟

هذا الانجيل ضاع واندثر ولم يبق له اثر وعن ذلك يقول نورتن فى كتابه الذى طبع فى مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧ وقد نقل فيه بعد المقدمة عن العالم الألمانى اكهارن :

(انه كان فى ابتداء الملة المسيحية توجد رسالة مختصرة يجوز أن يقال انها هى الانجيل الأصلى وانها وضعت للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها على الترتيب) .

ويستطرد العالم الالمانى اكهارن فى مقدمته الى أن يقول :

(كثيرا من القدماء كانوا شاكين فى الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه) (١) .

ومن ذلك يتبين احتمال أن هذه الرسالة كانت المرجع لجميع الاناجيل التى كانت رائجة فى القرن الأول والقرن الثانى الميلادى ومنها الأناجيل المتداولة حاليا لكن هذه الرسالة « التى أشار اليها العلامة اكهارن » فقدت بمعنى أنها اذا كانت الانجيل الأصلى فقد فقدت ولم يعثر لها على أثر وبعدها بقيت تلك الكتابات التى حررها أصحابها وأسبغوا عليها من أنفسهم كلمة انجيل ووصل عددها حتى أوائل القرن الرابع الميلادى الى أكثر من سبعين كتابا أو انجيلا وأوصلها البعض الى ١٠٠ مائة كتاب (٢) .

كيف كانت العقيدة فى دعوة المسيح عليه السلام :

ان المتتبع لتاريخ المسيحية حتى تلك الأناجيل الأربعة المتداولة : انجيل متى ، ومرقس ، ولوقا يوحنا يتبين أن المسيح كان يبشر بدعوة التوحيد للاله الواحد وأنه بشر رسول فقط شأنه شأن من سبقه من المرسلين كابراهيم ونوح وموسى على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام . وقد ورد ذلك صراحة فى قوله بانجيل يوحنا (وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) (٣) وهذا مثل ما نقول نحن المسلمين (لا اله الا الله محمد رسول الله) ومفهوم المخالفة لنص انجيل يوحنا أن من يقول بخلاف ذلك كمن يؤله المسيح أو يقول : انه ثالث ثلاثة (الأقانيم المقدسة) لا تكون له الحياة الأبدية بل تكون له حياة الشقاء والعذاب ، كما تكرر ذلك من المسيح فى قوله بانجيل مرقس ، لما جاء واحد من كتبة الاسرائيليين وسأله أية وصية هى أول الكل ؟

(فأجابه يسوع ان أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد) (٤) فأيده ذلك الكاتب بقوله :

---

(١) عن « اظهار الحق » للامام رحمة الله الهندى ص ١٠٦ مكتبة الشيخ احمد المليجى واخيه الشيخ محمد المليجى .

٢ — عن « مقارنة الاديان » — المسيحية للدكتور احمد شلبى ص ٩٨ .

٣ — سفر التثنية اصحاح ٣٢ عدد ١٣٩ .

٤ — مرقس اصحاح ١٢ — ٢٩ — الى ٣٢ .

« جيدا يامعلم ، بالحق قلت ، لأن الله واحد وليس آخر سواه » .

والمسيح ـ عيسى ابن مريم ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يكرر فى دعوته ـ الى عقيدة التوحيد لله ما نص عليه « سفر التثنية » وهو أحد أسفار التوراة المتداولة « العهد القديم » فى وصاياه لبنى اسرائيل فيقول :

(اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد) (١) وقوله :

(أنا انا هو وليس اله معى ،أنا أميت وأحيى) (٢) .

وكل ذلك اتساق مع كلام المسيح كما هو وارد عنه فى انجيل متى فى قوله (لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) (٣) .

هل ورد بالتوراة ما يشير الى الوهية المسيح والروح القدس :

بتقليب صفحات التوراة المتداولة وما الحق بها من أسفار الانبياء العبرانيين والذى يطلق عليه العهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها نصص الأب والابن والثالوث ولا الوهية المسيح أو الروح القدس ولا تجسد الابن وصلبه تكفيرا عن خطيئة البشر أو موت الابن وقيامه .. الخ تلك العقائد التى تمتلىء بها ملة النصرانية .

كما أن بشائر الانبياء التى قيل انها أعلنت عن مجىء المسيح فى العهد القديم ما ذكرت الا كونه نبيا من البشر دون أى اشارة الى أنه سيقتل أو يصلب بل على العكس من ذلك فانها تشير الى أن الله تعالى يحميه ويعصمه من كيد اليهود ويحفظه من شرورهم .

ولندلل على ذلك بأقوال بعض علماء مقارنة الأديان المسيحيين فى دول الغرب .

ما يقرره الكاتب المسيحى القريد آى (٤) :

يقرر ذلك الكاتب أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية :

١ ـ قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة .

٢ ـ الله هو ابو البشر وهو الأمل الذى تهفو نحوه أرواح العباد جميعا .

٣ ـ الكمال التام والحب الشامل لله .

تلك هى تعاليم النصرانية أو المسيحية لا أكثر ولا أقل ، اما ما سوى ذلك من أسس دينية فقد اعتمدت المسيحية فيها على التوراة ، وقد مدح المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام نفسه بأنه انما جاء ليتمم التوراة لا ليبدأ دينا جديدا وذلك فى قوله (لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) (٥).

اما المؤرخ الشهير ويلز Wells فيقول :

(كان القديس بولس من أعظم من انشأوا

٥

---

١ ـ سفر التثنية اصحاح ٦ عدد ٤ .
٢ ـ سفر التثنية اصحاح ٣٢ عدد ٣٩
٣ ـ انجيل متى اصحاح ٥ عدد ١٧ ـ ١٨ .
٤ ـ كتاب النصرانية والاسلام عالمية الإسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب هذا المقال ص ١٢ ، ١٣ .
٥ ـ انجيل متى اصحاح ٥ عدد ١٧ .

المسيحية الحديثة وهو لم ير المسيح قط ولا سمعه يبشر الناس وكان في بداية أمره من أبرز وأنشط المضطهدين لتلاميذ المسيح قليلي العدد ثم اعتنق المسيحية فجأة وغير اسمه من شاول وجعله بولس وقد أوتي ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية فتراه على علم عظيم باليهودية والميثراسية — وهي ديانة (ميترا) اله الرومان — المكون من ثالوث — وكذلك ديانة مدينة الاسكندرية — وهي ديانة المصريين القدماء المكونة من الثالوث أيضا فنقل الى المسيحية التي كان يبشر بها في الأقاليم الوثنية من حوض البحر الأبيض المتوسط كثيرا من أفكار معتنقي الديانات السابقة ومصطلح تعبيراتهم ولم يهتم بتوسيع فكرة المسيح الأصلية وتنميتها وهي فكرة ملكوت السموات ولكنه علم الناس أن المسيح هو ابن الله نزل الى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل موت الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية وقد استعادت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات :

١ — كالتسيس الحليق ·

٢ — وتقديم النذور ·

٣ — والهياكل والشموع ·

٤ — والترتيل والتماثيل التي كانت لعقيدة ميترا وعقيدة الاسكندرية ·

٥ — بل تبنت أيضا حتى عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوتية ·

٦ — وراح بولس يقرب الى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة الى أن شأن المسيح كشأن أوزوريس كان ربا مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود) (١) انتهى كلام المؤرخ ويلز ·

ويقول العالم الامريكي المعاصر مايكل هارت عن المسيح وعن بولس الآتي :

أولا — عن المسيح عليه السلام :

ان المسيح أرسى المبادىء الأخلاقية المسيحية وكذلك نظراتها الروحية ، وكل ما يتعلق بالسلوك الانساني ، فهو صاحب الرسالة الروحية · لكن مما تجدر الاشارة اليه أن قصة حياة المسيح وان كانت وردت في العهد الجديد الا أن أكثر تلك المعلومات ليست مؤكدة فلا يقين على اسمه الحقيقي واغلب الظن انه يحمل الاسم اليهودي المعروف (يشوع) وسنة ميلاده ليست مؤكدة وان كان يقال أنه قد ولد قبل السنة التي أجمع عليها رجاله بست سنوات ، حتى سنة وفاته التي أجمع عليها حواريوه ليست معروفة ولا مؤكدة ، كما أن المسيح لم يترك وراءه ورقة واحدة مكتوبة ·

ومما يؤسف له حقا ان الأناجيل المتداولة يناقض بعضها بعضا فمثلا انجيل متى وانجيل لوقا يتناقضان في ايراد الكلمات الاخيرة

١ — كتاب مقارنة الاديان المسيحية للدكتور احمد شلبي ص ١١٩ ، ص ١٢٠ نقلا عن كتاب
A Short History of the World pp. 178—179.

للمسيح وقد أشير كثيرا الى أن المسيح كان يشبه من وجوه كثيرة أنبياء اليهود الذين جاءوا فى التوراة ، كما أنه كان قد تأثر بهم أعمق الأثر .

ثانيا — عن بولس :

بولس هذا هو الذى ألف جانبا كبيرا من الرسائل فمن بين السبعة والعشرين سفرا من كتاب العهد الجديد ألف أربعة عشر سفرا ومن أهم أفكاره .

١ — أن يسوع المسيح لم يكن نبيا بشريا بل كان الها .

٢ — وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر .

٣ — وأن الانسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من الخطايا بالايمان بالكتب المقدسة فقط وانما بالايمان بيسوع . واذا آمن بيسوع المسيح فسوف تغفر خطاياه .

٤ — وبولس هذا هو الذى أوضح فكرة الخطيئة الأولى .

٥ — كما أن بولس هو الذى أعلن أنه لا داعى للتمسك بكثير من الشعائر اليهودية فى الطعام والطهارة ، ولا التمسك بتعاليم موسى عليه السلام لأن تطبيق هذه الشعائر ليس كافيا لخلاص الانسان . وانما الايمان الحق هو الذى يحقق للانسان خلاص روحه وجسده .

وبولس فى تعاليمه وأفكاره :

١ — انما يردد أفكارا كانت شائعة فى زمانه ، ولكن المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس .

٢ — وبولس هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية عن مجرد طائفة يهودية الى ديانة كبرى .

٣ — وهو المسئول عن (تأليه المسيح) .

٤ — بل ان بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذى أقام المسيحية وليس المسيح (١)

كيف تقررت الوهية المسيح :

قلنا فيما سبق — ان المسيح عليه السلام ما كان يبشر فى دعوته الا بعقيدة التوحيد للاله الواحد وأنه بشر رسول فقط . الا أنه بعد ذهابه عن هذا العالم لقى المؤمنون به صنوفا من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون حتى لقد فقد الكثير من كتب المسيحية ومراجعها خصوصا انجيل المسيح نفسه كما قضى على أتباع المسيحية الحقيقيين ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلأت — نتيجة أفكار بولس وما شابهها — بكثير من المعتقدات الممزوجة بالثقافات المحيطة التى كانت تسود الشعوب التى دخلت فى المسيحية وقتئذ كالمصريين واليونانيين والرومان خصوصا ما اتصل بالمسيح نفسه فبينما كان بعضهم يراه رسولا مثله كمثل من سبقه من المرسلين والانبياء رآه آخرون الها ورآه فريق ثالث

◄

١ — كتاب الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ تأليف العالم الامريكى مايكل هارت نشر دار المعارف بالقاهرة .

انه ابن الله له صفة القدم فهو أكبر من رسول وله صلة خاصة بالله كأنه وسيط بين اللـه والناس وهكــذا تبـاينت نحلهم واختلفت مذاهبهم فى شخص المسيح وكل واحدة تدعى أنها هى المسيحية الحقـة واختلفـوا فى ذلك اختلافا كبيرا وتعاركوا عـراكا شـــديدا مما اضطر الامبراطور قسطنطين امبراطـور الدولة الرومانية الذى قيل انه اعتزم الدخول فى المسيحية الى عقد مجمع مسكونى فى مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية وقد تصادف فى ذلك الوقت ان كان الخلاف على أشده بين كنيسة الاسكندرية وعلى رأسـها بطريركهـا وبين القسيس اريـوس المصرى راعى كنيســة بوكاليس اذ كان هذا الأخير داعيـة قـوى الحجة فقاوم كنيسـة الاسكندرية فيمـا تبثـه بين المسيحيين من افكار تقـوم على الوهيـة المسيح وانه احد أركـان ثـالوث الألوهيـة المقدس نتيجة تأثر بطريركها بمدرسة أفلوطين الفلسفية الأغريقية فحـارب أريـوس تلك الأفكار ناشرا فكرة الوحدانية مقررا وحـدة المعبود وأن المسيح عبد الله ومخلوق له ، وفى ذلك يقول ابن البطريق وهو مؤرخ مسـيحى عـن أريـوس انه كـان يقـول (ان الأب وحده هو الله وأن الابن ويعنى به المســيح مخلوق مصـنوع وقد كان الأب اذ لم يكـن الابن) (١) .

ويعلق على ذلك الدكتور احمد شلبى أسـتاذ الحضارة ومقارنة الأديان بكلية دار العلـوم ــ سـابقا ــ بقوله : ــ

(وهكذا وضع بولس بذرة الوهية المسيح وصادفت البذرة أرضا خصبة فى عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التى سبقت ظهور المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسـيحيون الأول من الاضطهادات التى التهمت كثيرا من مراجعهم وقضت على أتباع المســيحية الحقيقيين أو كادت ، وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون أى حتى سنة ٣١٣ ميـلادية وفى خلال هذه القرون فقدت المســيحية طابعها (العقدى) (٢) البسـيط من كثـرة ما تأثرت بالثقافات المختلفـة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت الى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تنـاقض ظـاهر فى تعاليمها وأشد أنواع التناقض قائم فيما اتصل بالمسيح نفسه فقد كان بعضهم يراه رسـولا ككل الرسل ورآه آخرون الهـا واشـــتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية مما أدى الى أن يأمر قسطنطين امبراطور الرومان بعقد مجمع البطارقة والأسـاقفة من أنحـــاء الامبراطورية فيما يسمى بمجمع نيقية ســنة ٣٢٥ ميلادية ليضع حدا لتلك الاختــلافات وليقرر حقيقة المسيح التى كانت محـل تلك الاختلافات الشديدة (٣) .

---

١ ــ من كتاب محاضرات فى النصرانيــة للمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة ص ٣٩ ، ٤٠ و ص ١٣٦ .

٢ ــ نسبة الى العقيدة .

٣ ــ كتاب مقارنة الاديان المسيحية للدكتور احمد شلبى ص ١٢٠ ، ١٢١ .

كيف انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م :

اجتمع فى مدينة نيقية نفر من الأساقفة والبطارقة من جميع أنحاء الامبراطورية الرومانية وصل عددهم الى (٢٠٤٨) أسقفا وبطريقا مسيحيا وقد اختلفوا اختلافا شديدا ولم يتفقوا على رأى مما أثار عجب الامبراطور قسطنطين الا أن الرواة يقولون : ان أريوس لما اجتمع بهم والتى بدعوته ونحلته اليهم انضم الى آرائه أكثر من (٧٠٠) أسقف وذلك العدد — وان كان أكبر عدد نالته نحلة من النحل المثارة فى ذلك المجمع — الا أنه لم يلق هوى وقبولا من امبراطور الدولة الرومانية فقرر أن يفصل فى الأمر بتدبير السلطة الشديدة بعد أن تبطن رأى صديقه كاهن روما هذا الكاهن الذى انضم الى بطريرك الاسكندرية فى رفض عقيدة التوحيد واعتناق القول بألوهية المسيح بل وبالتثليث أيضا ، لذلك أصدر الامبراطور قسطنطين أمره بطرد الأساقفة الموحدين من دائرة المجمع وكون مجمعا صغيرا بمعرفته من (٣١٨) أسقفا فقط ممن يقولون بألوهية المسيح واتخذوا قرارا بذلك وتحت سلطان الترغيب والترهيب وضعوا توقيعاتهم على الوثنية المشتملة على عدة أمور من اهمها الآتى : —

١ — القول بألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيرا عن خطيئه البشر .

٢ — القول بالتثليث .

٣ — اختيار الكتب والرسائل التى لا تتعارض مع الأمور السابق الاشارة اليها وتدمير ماعداها من كتب وأناجيل ورسائل خصوصا تلك التى تنادى بالتوحيد وبشرية المسيح (١) .

محاولة دعاة التوحيد حمل الدولة على عقيدة التوحيد وفشلهم بعد ذلك :

رغم تقرير مؤتمر نيقية لألوهية المسيح وعقيدة التثليث الا أن دعاة التوحيد لم يتخذلوا عن التمسك بعقيدتهم وتخطئة قرارات مؤتمر نيقية وقد أفلحوا فى عقد مجمع اقليمى فى مدينة (صور) وفيه قرروا : سلامة عقيدة التوحيد ورفض عقيدة الثالوث الا أن الدولة الرومانية سرعان ما ارتدت الى عقيدة الثالوث مرة أخرى وقد استعانت بقوة السلطان لطمس عقيدة التوحيد لذلك فانها صارت تعين فى منصب الأساقفة فى كنائسها فقط الرافضين لعقيدة التوحيد وتدريجيا ومع مرور الوقت أخذ هؤلاء يسيطرون على قلوب العامة ونزع بقايا التوحيد حتى اختفى المذهب الحق فى لجة التاريخ ولم يبد على السطح الا الوهية المسيح وعقيدة الثالوث فى جميع كنائس الدولة الرومانية (٢) .

أعجوبة عن شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث :

رغم ان النصارى — وقد غلبت عليهم التسمية بالمسيحيين فى زماننا المعاصر —

---

١ — كتاب مقارنة الاديان للدكتور احمد شلبى ص ١٦٥ .

٢ — كتاب محاضرات فى النصرانية للمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .

يؤمنون بالوهيه المسيح ويتدسون عقيدة التالوث التى تلخص فى قولهم :

١ — ان الله هو الأقنوم الأول ويدعونه الأب .

٢ — ان المسيح هو الأقنوم الثانى ويدعونه الابن وقد قدم نفسه ذبيحه ليقتل ويصلب فداء للبشرية .

٣ — وروح القدس هو الاقنوم الثالث ويدعونه روح الله .

الا ان بعض رؤسائهم يعلنون فى بياناتهم انهلا منافاة بين التوحيد والتثليث ولعل الذى يدفعهم الى ذلك هو اعتبارهم التوراة (كتاب اليهود) وهو ما يطلقون عليه (العهد القديم) كتابا مقدسا عندهم أيضا فكيف يكون ذلك وينسجم وهذا العهد القديم يصرح بالتوحيد ويدعواليه ويشدد فى النهى عن الشرك بكل شعبه وكل أحواله ، بل انه يدعو الى البراءة من المشركين أينما كانوا وحيثما حلوا مثال ذلك قوله فى سفر التثنية : —

(أنا هو الرب الهك ..... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من أسفل وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب الهك اله غيور) (١) .

وقوله (لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التى حولكم لأن الرب الهكم اله غيور) (٢) .

وقوله (وراء الرب الهكم تسيرون ، واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، واياه تعبدون ، وبه تلتصقون)(٣).

ماذا يعمل رؤساء النصارى الروحانيون أمام صراحة نصوص التوحيد فى العهد القديم ؟

انظر : —

أولا : انهم يجتهدون فى أن يستنبطوا من نصوص التوراة — اى العهد القديم ما يحملونه معنى الاشارة الى التثليث كعبارة (كلمة الله) أو عبارة (روح القدس) .

ثانيا : كذلك يحاولون أن يرجعوا التثليث الى الوحدانية لتلتقى التوراة وهى العهد القديم مع كتابهم وهو العهد الجديد بأناجيله الاربعة وما ألحق به من رسائل فيقربوا التوراة اليهم بتحميل عبارتها مالا تحتمل ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد ، وان كان التوحيد لا يحتمل ذلك فى أى وجه من الوجوه .

ثالثا : وانما يحاولون ، ذلك للرد على المسلمين الذين يعتقدون فى المسيح — على نبينا وعليه ، أفضل الصلاة والسلام — عقيدة القرآن الكريم ، بينما جعل المسيحيون عيسى المسيح — وهو بشر رسولا — الها مع الله بل جزءا من شركة الثالوث .

---

١ — سفر التثنية من كتاب العهد القديم الاصحاح الخامس عدد ٦ — ٩ .

٢ — سفر التثنية من كتاب العهد القديم الاصحاح السادس عدد ١٤ — ١٥ .

٣ — سفر التثنية من كتاب العهد القديم الاصحاح الثالث عشر عدد ٤ .

قال الله تعالى : ـ

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (٤) .

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) (٥) .

وقوله سبحانه وتعالى :

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٦) .

واعتماد النصارى على ايراد نصوص العهد القديم فى اثبات التثليث غيه من تحميل تلك النصوص ما تنوء به من أثقال المعانى المخالفة لها ولا تحتملها ابعد الاشارات اليها ، فضلا عما يصاحب ذلك من طرح العقل طرحا تاما عن ميدانها ، اذ ليس فى قدرته جمع النقيضين فى قرن .

قاموس الكتاب المقدس وما يذكره عن التثليث :

هذا القاموس ألفه نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين المسيحيين ، فهيئة تحريره مكونة من :

الدكتور بطرس عبد الملك أستاذ الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

والدكتور جون الكسندر طمسن .

والأستاذ ابراهيم مطر .

وقد قدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقى فى جامعة برنستون .

وقد ورد فى هذ القاموس تحت كلمة التثليث الآتى : ـ

(اعترف كبار علماء اللاهوت انها لم ترد فى الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو (ترتليان) فى القرن الثانى للميلاد وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث سنة ٣٢٥ ميلادية .

ثم استقر التثليث ـ بعد ذلك ـ عند الكنيسة المسيحية على يد (أوغسطينوس) فى القرن الخامس الميلادى » (١) انتهى ماجاء فى قاموس الكتاب المقدس .

ومما تقدم يتبين أن التثليث نبت بعد المسيح عليه السلام ، وأنه دخيل على دعوة

---

٤ ـ سورة المائدة ٧٢ .
٥ ـ سورة المائدة ٧٣ .
٦ ـ سورة التوبة ٣١ .
١ ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

المسيح عيسى بن مريم

المسيح التى أخلصت الدعوة فى عبادة الله واحدا أحدا لا شريك له ولاضد ولا ولد ، وسبق لنا فى ذلك بحث على صفحات هذه المجلة (١) .

الأدلة على حفظ المسيح عليه السلام وعدم الاضرار به أو حتى اصابته بسوء

أولا فى كلام الأنبياء السابقين المثبت فى الكتاب المقدس لدى المسيحيين .

١ ــ ورد فى نبوة أشعيا الاصحاح ٤٩ عدد ٢ قوله وهو يحكى عن المسيح (فى كنانته اخفانى) .

٢ ــ ورد بالمزمور ٣ عدد ٢ ، ٣ قوله عن المسيح (كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص باله سلاه ، اما انت يارب فترس لى) .

٣ ــ ورد فى المزمور ٩١ عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ قوله عن المسيح (لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لانه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك)

ثا نيا ــ فى الاناجيل المتداولة :

١ ــ فى انجيل متى أصحاح ٤ عدد ٦ وفى انجيل لوقا الاصحاح ٤ عدد ١٠ وصف لكيفية حفظه من أعدائه قوله (مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم ــ بحجر رجلك .

٢ ــ وقال بصريح العبارة عن نجاته من الاعتداء عليه فى الاصحاح ٨ عدد ٢١ من انجيل يوحنا قوله للفريسيين من اليهود عندما كانوا يسألونه (قال لهم يسوع أيضا أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) .

٣ ــ وقد روى يوحنا فى انجيله فى الاصحاح الحادى عشر عدد ٣١ وما بعده كيف أن اليهود تناولوا حجارة ليرجموه وهو فى هيكل المعبد بأورشليم وحاولوا الامساك به لكنه خرج من أيديهم ولم يستطيعوا الامساك به ومضى آمنا الى عبر الاردن الى المكان الذى كان يوحنا يعمد فيه .

ومما يؤيد واقعة عدم صلب المسيح أو قتله شهادة بعض علماء النصرانية .

أولا : المسيو ادوار سيوس أحد أعضاء الانستيتودى فرانس فى باريس فى كتابه (عقيدة المسلمين فى بعض المسائل النصرانية فى صحيفة ٤٩) أن القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه ويقول بأنه التى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية .

---

١ ــ راجع مجلة الأزهر ــ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ .

١ ــ منهم البسيليديون كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب القى شبهه على سيمون السيرناى تماما وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود الغافلين •

٢ ــ ومنهم السيرنثيون فانهم قرروا أن أحد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كتب الحواريين واذا كلامه نفس الباسيديين وقد صرح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى أنه يهوذا (١)

ثانيا : قال باسيليوس الباسيدى ان نفس حادثة القيامة (أى دعوى قيام المسيح من الأحداث) المدعى بها بعد الصلب الموهوم هى من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح وبالجملة فان الشعوب الشرقية قبل الاسلام كانت ترفض قبول مسألة الصلب والقتل للمسيح (على نبيا وعليه أفضل الصلاة والسلام) •

ثالثا ــ أورد موسيهيم فى تاريخه أن كثيرا من طوائف النصارى كانت ترفض حصول الصلب

رفضا كليا لأن البعض منهم كان يعده اهانة لشرف المسيح ونقصا وأى نقص أعظم من نقص الاله الذى تلحقه مثل هذه الاهانات • والبعض الآخر كان يرفضه استنادا على الأدلة التاريخية وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منهم : ــ

١ ــ الساطرينوسيون •

٢ ــ والكاربو كراتيون •

٣ ــ والمركيونيون •

٤ ــ والباد يسيانيون •

٥ ــ والتاتيا نيسيون •

٦ ــ والمانيسون •

٧ ــ والبارسكاليونيون •

٨ ــ والبوليسيون •

٩ ــ الدوسيتية •

١٠ ــ والمرسيونية •

١١ ــ والفلنطانيائية •

والفرق الثلاث الأخيرة وان كانت تعتقد أن الشخص المصلوب غير المسيح لأن المسيح لم تسلط عليه أيدى مضطهديه لكنها تضيف الى ذلك بأنه رفع الى السماء •

تبعثرت تلك الطوائف وضعف شأنها بعد اعتناق الدولة الرومانية لملة النصرانية وتبنيها

---

١ ــ كتاب الفارق بين المخلوق والخالق تأليف الحاج عبد الرحمن بك أفندى باجه جى زاده ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ص ٢٨٠ فى رد دعوى صلب ذات المسيح بالأخبار التاريخية والأدلة العقلية •

● المسيح عيسى بن مريم

لعقيدة الثالوث منذ سنة ٣٢٥ م وانتهى الامر بتلك الطوائف الى الانتهاء والانقراض حتى لم يبق لها وجود فى زماننا المعاصر ومع ذلك فلا بأس بأن نورد شهادة أحد العلماء الالمان فى هذا الموضوع وهو الموشيو أرنست دى بونسن الالمانى فى كتابه المسمى (الاسلام أى النصرانية الحقة) أن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لامن أصول النصرانية الاصلية (١) .

وبعد

فانما الله اله واحد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وليس بينه وبين عباده وسيط ولا شريك وان من هداية البشر أن لهم عقولا يفقهون بها لو أنهم اتخذوها وحدها سبيلا للهدى يقول بارتلمى سانتهلر وهو احد مفكرى الغرب (ان الاسلام أحدث رقيا عظيما فقد اطلق العقل الانسانى من قيوده التى كانت تاسره حول المعابد وبين أيدى الكهنة من ذوى الاديان المختلفة فارتفع الى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ، وأن محمدا بتحريمه الصور فى المساجد وكل ما يمثل الله قد خلص الفكر الانسانى من وثنية القرون الاولى واضطر العالم ان يرجع الى نفسه وأن يفكر فى الله خالقه) (٢) .

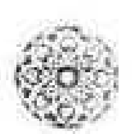
قال الله تعالى فى قرآنه العظيم هاديا ومرشدا .

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ) (٣) .

محمد عزت الطهطاوى

---

١ ــ المرجع السابق .
٢ ــ كتاب النصرانية والاسلام عالمية الاسلام ودوامه الى قيام الساعة لكاتب هذا المقال .
٣ ــ سورة المائدة ٧٧ .



مع الرسول صلى الله عليه وسلم

المختار من دلائل النبوة

الوصايا العشر

فضل الدعاء

رجب مضر



من دلائل النبوة للبيهقي
معجزاته - عليه الصلاة والسلام

قال رضي الله عنه من مدخل الدلائل :

... وأيد (أي المولى عز وجل) كل واحد من رسله بما دل على صدقه من الآيات والمعجزات التي باينوا بها من سواهم مع استوائهم في عين ما أيدوا به .

ومعجزات الرسل كانت أجناسا كثيرة . وقد أخبر الله عز وجل أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات : العصا . واليد . والدم . والطوفان . والجراد . والقمل . والضفادع والطمس . والبحر .

فأما العصا : فكانت حجته على المحدين والسحرة جميعا ، وكان السحر في ذلك الوقت

الامام البيهقي :

هو الحافظ الكبير ، الفقيه ، الأصولي ، النقاد ، الامام الكبير ، العلامة شيخ خراسان ، صاحب التصانيف ، واحد زمانه في الحفظ وفرد اقرانه في الاتقان والضبط أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري الخسروجردي الشافعي .

مولده :

ولد الامام البيهقي في شعبان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة في قرية (خسر وجرد) بضم الخاء ، وسكون السين وفتح الراء ، وسكون الواو ، وكسر الجيم ، وسكون الراء آخر الدال المهملة من قرى بيهق (على وزن صيقل) وبيهق قرى مجتمعة في نواحي نيسابور واليها نسبته

تعلمه وتعليمه :

في بيهق حفظ القرآن الكريم ، ودرس أصول الفقه وفنونها ، ثم رحل - رحمه الله تعالى - الى العراق ، والحجاز ، فتعلم وعلم زمنا ، ثم عاد الى نيسابور ، يفتي ، ويعلم ، ويعظ ويصنف .

شيوخه :

سمع الحديث من نحو مائة شيخ اقدمهم أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي ، وقد تنقل في بلاد خراسان ورحل الى العراق ، والحجاز ، والجبال ، لسماع الحديث ، تخرج في الحديث على الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب المستدرك وأبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي . وأبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن الشيران وأبو عبد الله اسحاق بن محمد ابن يوسف بن يعقوب السوسي . وبو الحسين على بن احمد بن عبدان الاهوازي والقاضي أبو بكر الحسن الحيري ، وأبو احمد عبد الله بن محمد بن الحسن المهرجاني وأبو نصر عمر بن عبد العزيز ابن عمر بن عثمان بن قتادة وغيرهم من شيوخ العلم في خراسان ، والجبال ، والحرمين ، والكوفة والبصرة ، وبغداد . وغلب عليه الحديث واشتهر به . وأخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي .

فاشيا ، فلما انقلبت عصاه حية تسعى وتلقفت حبال السحرة وعصيهم ــ علموا أن حركتها عن حياة حادثة فيها بالحقيقة ، وليست من جنس ما ينتحل بالحيل فجمع ذلك الدلالة على الصانع وعلى نبوته جميعا .

وأما سائر الآيات التى لم يحتج إليها مع السحرة فكانت دلالته على فرعون وقومه القائلين بالدهر فأظهر الله بها صحة ما أخبرهم به موسى من أن له ولهم ربا وخالقا .

وَأَلَانَ الحديد لـ (داود) وسخر له الجبال والطير فكانت تسبح معه بالعشي والاشراق .

وأقدر عيسى بن مريم على الكلام فى المهد فكان يتكلم كلام الحكماء . وكان يحيى له الموتى ويبرىء بدعائه أو بيده اذا مسح ــ الاكمه والأبرص . وجعل له أن يجعل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله .

ثم إنه رفعه من بين اليهود لما أرادوا قتله وصلبه ، فعصمه الله بذلك من أن يخلص الم القتل والصلب الى بدنه . وكان الطب عاما غالبا فى زمانه ، فأظهر الله تعالى بما أجراه على يده ، وعجز الحذاق من الأطباء عما هو أقل من ذلك بدرجات كثيرة ــ أن التعويل على الطبائع وانكار ما خرج عنها باطل . وأن للعالم خالقا ومدبرا ، ودل بإظهاره ذلك له ، وبدعائه على صدقه وبالله التوفيق .

* * * * * * * * * * *

مؤلفاته :

ألف من الكتب ما لعله يبلغ قريبا من ألف جزء مما لم يسبقه اليه احد . منها فى الحديث وعلومه السنن الكبرى فى عشرة مجلدات . السنين الوسطى . والسنن الصغرى مجلدان . والمعارف . والاداب مجلد والترغيب والترهيب . علل الحديث . وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث . ومنها فى الفقه والأصول . المبسوط وهو أول جمع لنصوص الامام الشافعى فى عشرة مجلدات . والجامع المصنف فى شعب الايمان . والقراءة خلف الامام . والبعث مجلد ، والنشور واحكام العبادات والمعاملات . والأسماء والصفات مجلدن والزهد مجلد والدعوات . وفضائل الأوقات . والاسراء . والقدر . والايمان . والرؤية . وعذاب القبر وحياة الأنبياء فى قبورهم . واشراط الساعة . والميزان . والحساب . والصراط . والحوض . والشفاعة والجنة والنار . وفضائل الصحابة وغير ذلك من الكتب كمعرفة السنن والآثار اربع مجلات . ومناقب احمد مجلد . واحكام القرآن جمعها من نصوص الشافعى من جزءين .

اخلاقه :

قال ابن العماد فى شذرات الذهب : قال ابن قاضى شهبة : قال عبد الغافر : كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متجملا فى زهده وورعة ، وذكر غيره انه سرد الصوم ثلاثين سنة اثنى عليه الذهبى ، وامام الحرمين بقوله : ما من احد الا وللشافعى فى عنقه منة . الا البيهقى فان له على الشافعى منة لتصانيفه فى نصرة مذهبه واقاويله كذلك اثنى عليه ابن خلكان . واليافعى والقرشى فى طبقاته . وابن عساكر فى كذب المفترى .

وفاته :

توفى فى عاشر جمادى الأولى بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة ونقل تابوته الى بيهق وعاش اربعا وخمسين سنة .

فأما النبى المصطفى ، والرسول المجتبى ــ المبعوث بالحق الى كافة الخلق من الجن والانس ، أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، خاتم النبيين ، ورســـول رب العالمين صلوات الله عليه وعلى آلــه الطيبين الطاهرين ــ فانه أكثر الرسل آيات وبينات .

وذكر بعض أهل العلم أن اعــلام نبــوته تبلغ الفا.فأما العلم الذى اقترن بدعوته ، ولم يزل يتزايد أيام حياته ، ودام فى امته بعــد وفاته [illegible] القرآن العظيم ، [illegible] وحبل الله المتين ، الذى هو كما وصفه به من أنزله فقال :

« وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ.لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيــدٍ »

وقــال :

« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ.لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » .

وقــال :

« بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) .

وقــال :

« إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ » .

وقــال :

« كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ.فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ .. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ » .

وقــال :

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَــوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

فأبان ــ جل جلاله ــ أنه أنزله على وصف مباين لأوصاف كلام البشر ، لأنه منظوم وليس بمنثور ، ونظمه ليس نظم الرسائل ، ولا نظم الخطب ، ولا نظم الاشعار ، ولا هو كأسجاع الكهان . واعلم أن أحدا لا يستطيع أن يأتى بمثله . ثم أمره ان يتحداهم على الاتيان بــه ان ادعوا أنهم يقدرون عليه أو ظنوه فقال :

« قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ » ثم نقصهم ... فقال : (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ».

فكان من الأمر ما يصفه . غير أن من قبل ذلك دلالــة ، وهى أن النبى ﷺ كان غيــر مدفوع عند الموافق والمخالف عــن الحصافة والمتانة وقوة العقل والرأى .

ومن كان بهذه المنزلة ، وكان مع ذلك قد انتصب لدعوة الناس الى دينه ــ لم يجز بوجه مــن الوجوه أن يقول للناس : ايتوا بسورة مــن مثل ما جئتكم به من القرآن ولن تستطيعوه ، فان أتيتم به فانا كاذب وهو يعلم من نفســه أن القرآن منزل عليه . ولايأمن أن يكون فى قومه من يعارضه ، وأن ذلك . ان كان ــ يبطل دعوته .

فهذا الى أن يذكر ما بعده ــ دليل قــاطع على أنه لم يقــل للعــرب ايتــوا بمثلــه ان

استطعتموه الا وهو واثق متحقق أنهم لا يستطيعونه ، ولا يجوز أن يكون هذا التعيين وقع له الا من قبل ربه الذى أوحى اليه به ، فوثق بخبره وبالله التوفيق .

وأما ما بعد هذا فهو : أن النبى ﷺ قال لهم : ايتونى بسورة من مثله ان كنتم صادقين . فطالت المهلة والنظرة لهم فى ذلك وتواترت الوقائع والحروب بينه وبينهم فقتلت صناديدهم ، وسبيت ذراريهم ونساؤهم وانتهبت أموالهم ، ولم يتعرض أحد لمعارضته، فلو قدروا عليها لافتدوا بها أنفسهم وأولادهم وأهاليهم وأموالهم .

ولكان الأمر فى ذلك قريبا سهلا عليهم ، اذ كانوا أهل لسان وفصاحة ، وشعر وخطابة . فلما لم يأتوا بذلك ولا ادعوه صح أنهم كانوا عاجزين عنه .

وفى ظهور عجزهم بيان أنه فى العجز مثلهم، اذ كان بشرا مثلهم لسانه لسانهم ، وعاداته عاداتهم وطباعه طباعهم ، وزمانه زمانهم ، واذا كان كذلك وقد جاء بالقرآن ــ وجب القطع بأنه من عند الله تعالى جده لامن عند غيره وبالله التوفيق .

قلنا : ومن وقف على ما أخذه العلماء من القرآن على ايجازه من أنواع العلوم ، واستنبطوه من معانيه وكتبوه ودونوه فى كتب تزيد على ألف مجلد ــ علم أن كلام البشر لا يفيد ما أفاد القرآن وعلم أنه كلام رب العزة فهذا بين واضح لمن هدى الى صراط مستقيم .

ثم ان لنبينا ﷺ وراء القرآن من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة ما لا يخفى وأكثر من أن يحصى .

فمن دلائل نبوته التى استدل بها أهل الكتاب على صحة نبوته ما وجدوا فى التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته ، وخروجه بأرض العرب ، وان كان كثير منهم حرفوها عن مواضعها .

ومن دلائل نبوته ﷺ ما حدث بين أيام مولده ومبعثه ﷺ من الامور الغريبة والاكوان العجيبة القادحة فى سلطان ائمة الكفر والموهية لكلمتهم المؤيدة لشأن العرب المنوهة بذكرهم كأمر الفيل وما أحل الله بحزبه من العقوبة والنكال .

ومنها خمود نار فارس ، وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة (ساوة) ورؤيا (الموبذان) وغير ذلك .

ومنها ما سمعوه من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه والرموز المتضمنة لبيان شأنه ، وما وجد من الكهنة والجن فى تصديقه واشارتهم على أوليائهم من الانس بالايمان به .

ومنها انتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها عن أمكنتها تومئ ــ الى سائر ماروى فى الأخبار المشهورة من ظهور العجائب فى ولادته ، وأيام حضانته وبعدها ــ الى أن بعث نبيا وبعد ما بعث .

ثم ان له من وراء هذه الآيات المعجزات :

انشقاق القمر ، وحنين الجذع . وخروج الماء من بين أصابعه ، حتى توضأ منه ناس كثير . وتسبيح الطعام ، واجابة الشجرة اياه حين دعاها ، وتكليم الذراع المسمومة اياه ،

وشهادة الذئب والضب والرضيع ، والميت له بالرسالة ، وازدياد الطعام والماء بدعائه حتى أصاب منه ناس كثير وما كان من حَلْبه الشاة التي لم ينز عليها الفحل ، ونزول اللبن لها وما كان من اخباره عن الكوائن فوجد تصديقه في زمانه وبعده وغير ذلك مما قد ذكر ودون في الكتب وقد ذكرناها بأسانيدها .

غير أن الله تعالى لما جمع له بين أمرين : احدهما بعثه الى الجن والانس عامة ، والآخر : ختمه النبوة به ـ ظاهر له من الحجج حتى اذا شذت واحدة عن فريق بلغتهم أخرى وان لم تنجع واحدة نجعت اخرى وان درست على الايام واحدة بقيت أخرى وفيه في كل حال الحجة البالغة وله الحمد على نظره لخلقه ورحمته لهم كما يستحقه .

وهاك بعض الآيات

باب ما جاء في شق صدر النبي ﷺ واستخراج حظ الشيطان من قلبه.

قال الله عز وجل : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) .

أخبرنا أبو سهل : محمد بن نصرويه بن أحمد المروزي قال : حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد بن خنب ببخاري قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن الفضل المعروف بدبيس ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك :

«أن رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل ، عليه السلام ذات يوم وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه وأعاده في مكانه ، وجعل الغلمان يسعون الى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا : ان محمدا قد قتل .

فجاءوا وهو مُنتَقع اللون ، فقال : أنس : فلقد كنت أرى أثر المخيط في ثوبه .

أخرجه مسلم في الصحيح عن شيبان عن حماد . كتاب الايمان باب الاسراء .

وأخبرنا أبو طاهر الفقيه ، قال : أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عمر بن حفص الزاهد ، قال حدثنا سهل بن عمار ، قال : حدثنا حفص ابن عبد الله ، عن ابراهيم بن طهمان ، قال : سألت سعدا عن قوله : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) . قال : فحدثني عن قتادة ، عن أنس ابن مالك : انه قد شق بطنه ـ يعني النبي ﷺ من عند صدره الى أسفل بطنه : فاستخرج منه قلبه فغسل في طست من ذهب ثم ملئ ايمانا وحكمة ، ثم أعيد مكانه .

حدثنا أبو عبد الله : محمد بن عبد الله ، املاء ، قال : حدثنا أبو الحسن : أحمد بن محمد العنبري ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي قال : حدثنا حيوة بن شريح الحمصي ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، قال : حدثني بحير بن سعد .

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس : محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا

العباس بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن معين ، قال : حدثنا على بن معبد ، قال : حدثنا بقية عن بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن عمر السلمى ، عن عتبة بن عبد (١) .

انه حدثهم : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ كيف أول شأنك يارسول الله ؟ .

قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها فى بَهْم لنا ، ولم نأخذ معنا زادا فقلت : يأخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا ، فانطلق أخى ومكثت عند البهم ، فأقبل الى طَيْرَان أبيضان ، كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم ، فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطحانى للقفا ! فشقا بطنى ، ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا منه عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ فقال : أحدهما لصاحبه : ايتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى .

ثم قال : ايتنى بماء برد فغسلا به قلبى ، ثم قال ايتنى بالسكينه فذراها فى قلبى . ثم قال : أحدهما لصاحبه : حُصْهُ فَحَاصَهُ ، وختم عليه بخاتم النبوة .

وفى رواية حيوة : حصه يعنى خِطْهُ .

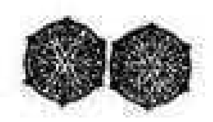
وختم عليه بخاتم النبوة ـ فقال : أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفة واجعل ألفا من أمته فى كفة . فاذا أنا أنظر الى الألف فوقى أشفق أن يخر على بعضهم . فقالا : لو أن أمته وزنت به لمال بهم ثم انطلقا وتركانى . وفرقت فرقا شديدا . ثم انطلقت الى أمى ، فأخبرتها بالذى لقيت وأشفقت أن يكون قد التبس بى .

فقالت :أعيذك بالله ، فرحلت بعيرا لها فجعلتنى على الرحل وركبت خلفى ، حتى بلغنا أمى ، فقالت : أديت أمانتى وذمتى ، وحدثتها بالذى لقيت فلم يرعها ذلك ، وقالت : انى رأيت : خرج منى نور أضاءت له قصور الشام (٢) .

(ثم أورد الامام البيهقى رواية أخرى تحمل نفس المضمون ، وتتسع لتشمل الرسل صلوات الله عليهم يدور حوارها بين هشام بن العاصى الأموى وصاحب له مع هرقل والله أعلم) .

---

(١) آخر من مات من الصحابة فى الشام سنة ٨٧هـ
(٢) حديث عتبة بن عبد أخرجه الدارمى فى مسنده ١ ـ ٨ وأحمد فى مسنده ٤ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ والحاكم فى المستدرك ٢ ـ ٦١٦ والسيوطى فى الخصائص الكبرى ١ ـ ٦٤ ونسبه أيضا الطبرانى . وأبو نعيم .



الوصايا العشر

عن الحارث بن الحارث الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى : امر يحيى بن زكريا عليهما السلام : بخمس كلمات : ان يعمل بها ، وان يأمر بني اسرائيل : أن يعملوا بها .. وانه كأنه كاد : ان يبطىء بها .. فقال له عيسى عليه السلام : ان الله امرك بخمس كلمات : ان تعمل بها ، وتأمر بني اسرائيل : ان يعملوا بها .. فاما أن تأمرهم بها ، واما ان آمرهم انا بها .. فقال يحيى عليه السلام: أخشى ان سبقتني : ان يخسف بي او أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف (١) فقال :

ان الله أمرني بخمس كلمات : ان أعمل بهن ، وان آمركم : آن تعملوا بهن :

أولاهن : أن تعبدوا الله لا تشركوا بـه شيئا ، فان مثل من أشرك بالله : كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله : بذهب أو ورق (أي فضة) وقال : هذه داري ، وهذا عملي ، فاعمل وأد الي .. فكان يعمل ويؤدي الى غير سيده فأيكم يرضى : أن يكون عبده كذلك ؟ .

وان الله تعالى أمركم بالصلاة : فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

وأمركم بالصيام : فان مثل ذلك : كمثـل رجل في عصابة معه صرة فيها مسـك ، وكلهم يعجبه ريحها ، وان ريح الصائم : أطيب عند الله من ريح المسك .

وأمركم بالصدقة : فان مثل ذلك : كمثـل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يديه الى عنقـه ، فقال : انا أفدي نفسي منكم : بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم .

وأمركم ان تذكروا الله تعالى : فان مثـل ذلك : كمثل رجل ، خرج العدو في أثره سراعا، حتى أتى على حصن حصين ، فأحرز نفسـه منهم ، وكذلك العبد : لا يحرز نفسـه من الشيطان : الا بذكر الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم : وأنـا آمركم بخمس ، الله تعالى أمـرني بهن : السـمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ، فان من فارق الجماعة : قيد شبر ، فقد خلع ربقـة الاسلام من عنقه الا ان يراجع ، ومن دعـا دعوى الجاهلية : فهو في جهنم .. فقال رجل وان صام وصلى يارسول الله ؟ قـال : وان صام وصلى .. فادعوا بدعوى الله : الذي سماكم المسلمين والمؤمنين . عبـاد اللـه تعالى (٢) .

---

١ ــ جمع شرفة .

٢ ــ رواه الترمذي .



بقلم الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

هذا الحديث : يشتمل على الوصايا العشر: ذات الأهمية البالغة : التي يترتب على العمل بمقتضاها : سعادة الدنيا والآخرة . والتي هي جديرة حقا : بأن تنقش على صفحات القلوب بأحرف من نور .. فهي مشاعل مشرقة : تبدد الظلمات . وتضيء للناس طريق المجد والعظمة . وتمنحهم حياة العزة والكرامة

وهذه الوصايا الغالية : خمس منها : على لسان يحيى بن زكريا عليهما السلام . فقد أمر بتبليغهـا الى بني اسرائيل . ليأخذوا أنفسهم على العمل بها . ثم جاء الاسلام فيما بعد وأمر بها . ودعا اليها .

وخمس أخرى : على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ أن الخمس الاول قد قرن الله عز وجل بكل واحدة منها مثالا يتلاءم معها ، وذلك لما في ضرب الامثلة : من تأثير قوى في النفوس ، وتقريب المعاني للأذهان بصورة واضحة جلية ، ولهذا فاني لن أتناولها بالشرح والتفصيل . لظهورها وخشية الاطالة .

١ ـ أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا « تعبدوا الله » توحدوه وتطيعوه وتقدسوه « لا تشركوا به شيئا » أخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا في الربوبية والألوهية : ندا أو شريكا . لأن من عبد غير الله . أو أراد بعمله غير الله : فقد أشرك به . ولا يكون مخلصا ، قال تعالى : « **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** » (١)

والشرك بالله : ليس الا ضربا من السفه ، وهو يوجب غضب الله وعذابه الأبدى . اذا مات عليه صاحبه . قال تعالى : « **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** » (٢) .

٢ ـ وان الله تعالى يأمركم بالصلاة : فاذا صليتم فلا تلتفتوا .

الصلاة : عبادة بدنية ونفسية وروحية واجتماعية . وهي دعامة الدين . ومعراج الواصلين . ومناجاة رب العالمين .. وهي أقدم عبادة عرفت مع الايمان . لم تخل منها شريعة من الشرائع . لما لها من الأثر العظيم: في القرب من الله وتقويم الأخلاق . واصلاح المجتمع . قال الله تعالى : « **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** » (٣).

١ ـ البينة : ٥
٢ ـ النساء : ٤٨ .
٣ ـ العنكبوت : ٤٥ .

والمحافظة عليها . والخشوع فيها : من صفات المؤمنين الصادقين .. فصلاة الخاشعين تفتح لأصحابها طريق الهداية . وتجنبهم سلوك طريق الغواية . وتجعل لهم نورا يمشون به في الناس ..

٣ ــ وآمركم بالصيام : الصوم عبادة قديمة . أوجبه الله علينا . كما أوجبه على الأمم قبلنا . وإن كان صيامهم مخالفا لصيامنا قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (١).

والله تعالى ما فرض الصيام : الا ليرقى بالانسانية الى درجات الكمال . لما في الصوم : من الفوائد الروحية والمعنوية والصحية والخلقية والاجتماعية . وكفى بالصائمين شرفا أن ريح أفواههم حين يصومون تكون أطيب عند الله من ريح المسك.

٤ ــ وآمركم بالصدقة : الصدقة : اسم لجزء من المال . يخرجه الغني : الى اخوانه الفقراء والمساكين . وفي سبيل المشاريع النافعة : التي تتوقف عليها سعادة الفرد والجماعة .. سواء أكانت واجبة كالزكاة المفروضة بجميع أنواعها . أو كانت تطوعا وبالصدقة تتطهر النفوس : من دنس البخل ورجس الشح . ويتقارب الناس بعضهم من بعض . وتتوثق عرى المحبة والاخاء بينهم . فتسري بينهم روح التعاون والتعاطف والتراحم .

٥ ــ وآمركم أن تذكروا الله : ذكر الله هو طب القلوب ودواؤها . وعافية الأبدان وشفاؤها . ونور الأبصار وضياؤها به تطمئن القلوب وتصفو النفوس من أكدار الذنوب . قال تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (٢). ولهذا أمر الله به وحث عليه ورغب فيه . قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » (٣) .

وقال جل شأنه : « وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (٤) .

فالغفلة عن ذكر الله:هي التي تسبب الوقوع في الخطايا . واستيلاء الشيطان على قلب الغافل ليزين له الفسق والفجور فيتبعه . قال تعالى : « وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ • وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ » (٥) .

وقال تعالى : « اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا

---

(١) ــ البقرة ١٨٣ .
(٢) ــ الرعد ٢٨
(٣) ــ الاحزاب : ٤١ ، ٤٢ .
(٤) ــ الاحزاب من الاية : ٣٥ .
(٥) ــ الزخرف : ٣٦ ، ٣٧ .

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان جاثم على قلب العبد ، فاذا ذكر الله خنس ، واذا غفل : وسوس له » ٢

والذكر : كما يكون بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا : يشمل كل خير ، وينتظم كل طاعة وبر من شعب الايمان ، وشعائر الاسلام .

واما الوصايا الخمس : التى جاءت على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهى

(١) السمع (٢) والطاعة :

لاشك أن السمع والطاعة لولاة الأمر : فيهما سعادة الدنيا ، وبهما تنتظم مصالح العباد فى معاشهم ، وبهما يستعينون على اظهار شعائر دينهم وطاعة ربهم .

قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** » (٣) .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: دعانا النبى صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فقال ــ فيما أخذ علينا : أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، ما لاننازع الأمر أهله ، الا أن تروا كفرا بواحا (جهارا) عندكم من الله فيه برهان » (٤) .

(٣) والجهاد : الجهاد بمعنى القتال : هو الذى حث عليه الاسلام ، لاعلاء كلمة الله ، أو لتحرير الوطن الاسلامى من المستعمر الغاصب ، أو لرد العدوان عنه ، وهو من أفضل الأعمال .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « قلت يارسول الله : أى العمل أفضل ؟ قال: ايمان بالله ، ثم جهاد فى سبيل الله » (٥) .

وهو فرض كفاية : ان قام به البعض ، سقط عن الباقين ، وان لم يقم به أحد ، أثموا جميعا بتركه .. الا ان يعلن النفير العام عند هجوم العدو ، فحينئذ يطلب من كل قادر عليه .. أما الجهاد : بمعنى مجاهدة النفس لعلاجها وتقويمها ، وكبح جماحها ، والسمو بها : فهو مطلوب .

وصدق الله حيث يقول :

« **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** » (٦) .

(٤) والهجرة : الهجرة هى الانتقال من دار الكفر الى دار الاسلام ، أومن دار الخوف الى دار الأمن ، وهى باقية الى يوم القيامة ، اذا توفرت أسبابها .

عن معاوية رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتنقطع الهجرة ، حتى

---

(١) ــ المجادلة : ١٩ .
(٢) ــ طلبت المجلة الى كاتبها مرات عديدة ان يعوضوا مراجع الحديث وكنا نود لو فعل الكاتب.
(٣) ــ النساء : ٥٩ .
(٤) ــ البخارى .
(٥) ــ البخارى ومسلم .
(٦) ــ النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

الوصـايا العشــر

تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة ، حتى تطلع الشمس من مغربها » (١) .

وثواب الهجرة فى سبيل الله : اذا كانت النية صادقة ، وكان القصد منها والدافع اليها : هو التحرر من الظلم والطغيان ، كثواب الهجرة مـن مكة الى المدينة .

قال تعالى :

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » (٢) .

وقال تعالى :

« وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٣) .

(المراغم : المذهب فى الأرض والمهرب ..)

ولا يتعارض هذا مع ما جاء فى الحـديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنهما عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قـال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيـة واذا استنفرتم فانفروا » (٤) .

لأنه لا هجرة من مكة بعد أن فتحت وصارت دار اسلام ، وأمن وأمان ..

وهناك لون آخر من الهجرة : وهو هجـر ما نهى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

(٥) والجماعة : من المسلم به : أن الاتحاد قوة ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ، وأن الذئب : انما يأكل من الغنم القاصية .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقـول : « يد الله مع الجماعة ، والشيطان مع مـن يخالف الجماعة » (٥) .

وقال رسول اللـه صلى اللـه وسـلم : **« لاتختلفوا ، فان مـن كان قبلكم اختلفـوا فهلكوا »فانه صلى الله عليه وسلم : يحذر فى هذا الحديث من الاختلاف ، وتفرق الكلمة ، لأن الاختلاف والتفرق : يؤديان الى الضعف والذلة ، فيتمكن العدو من الوقيعة بالمتنازعين ويحث على أخذ العظة والعبرة : مـن الامم السابقة : التى هلكت ، بسبب الاختلاف .**

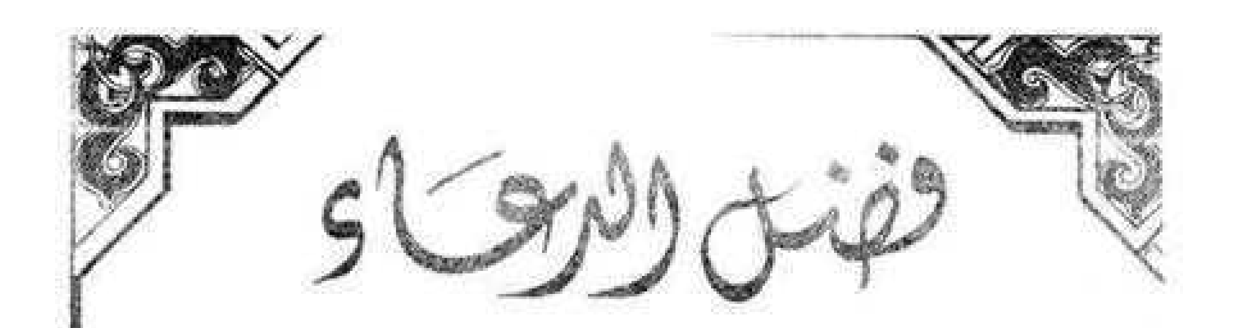
قال الله تعالى : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (٦) .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

---

(١) ابو داود .
(٢) الانفال : ٧٤ .
(٣) النساء : ١٠٠

(٤) الجماعة الا ابن ماجة .
(٥) لم يدون الكاتب مرجعا للحديث .
(٦) الانفال : ٤٦ .



فضل الدعاء

للشيخ محمد صابر البرديسى

عن النعمان بن بشير (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أخرجه أصحاب السنن والحاكم وقال صحيح الاسناد .

أولا ــ اللغة :

١ ــ الدعاء لغة : النداء ، وشرعا ، الابتهال الى الله بالسؤال رغبة فى الأجر .

٢ ــ الدعاء هو العبادة : معناه : هو جوهرها ولبها ، وركنها وشعيرتها .

ثانيا ــ ما يشتمل عليه الحديث :

١ ــ معنى الدعاء .
٢ ــ الدعاء هو العبادة .
٣ ــ الدعاء فى السراء والضراء .
٤ ــ الدعاء علاج .
٥ ــ آداب الدعاء .
٦ ــ شروط الدعاء .
٧ ــ ما يمنع من استجابة الدعاء .
٨ ــ فضل الدعاء .
٩ ــ الحكمة فى تأخير الاجابة .

« البيان »

١ ــ معنى الدعاء :

الدعاء : الابتهال الى الله بالسؤال ، والرغبة فيما عنده من الخير ، والتضرع اليه فى كشف السوء عنه ، فالمرء ضعيف أمام الأحداث فى هذه الحياة ، فلا يجد سندا لضعفه غير الدعاء .

ولقد شعر الانسان بهذا الضعف منذ نشأ ، لاسيما فى وقت الشدة ، اذا نزلت به نازلة ، أو ألمت به ملمة ، فهو فى حاجة الى من يعينه على جلب الخير له ، ودفع المكروه عنه .

ولقد كان الابتهال الى الله ، والدعاء له ، هو دأب عباد الله الصالحين من قديم ، وكان زادهم الروحى الذى يرددونه فى الغداة والعشى ، وفى العسر واليسر ، وفى السراء والضراء ، قال تعالى : (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**) الكهف ٢٨ .

فضل الدعاء

والعصر الذى نعيشه . شاعت فيه المغريات وتنوعت . وفشت الانانية . وانحطت المدارك . وكثر البلاء والابتلاء ولا شيء يمسح عن هذه النفوس صداها . ويزيل عنها بلاءها ، ويمحو بؤسها وشقاءها ، الا الدعاء . والالتجاء الى الله . فهو ملجأ كل لائذ . ورجاء كل خائف . عندما تشتد الكروب . وتتقطع الأسباب . وحينئذ يجد المسلم في نفسه الراحة والطمأنينة . ويجد في دعائه التعزية والسلوى .

٢ ــ الدعاء هو العبادة :

الدعاء من مستلزمات العبادة ، اذ هو الصلة التى تربط بين الانسان وخالقه . وانما كان الدعاء هو العبادة ، لأن منزلته فيها كمنزلة الرأس من الجسد ، فهو عمادها ، ودعامتها . فالدعاء ما هو الا اتجاه الى الله بقلب سليم ، واستعانة به باخلاص ، ويقين ؛ لكي يدفع المكروه ، ويمنح الخير . والانسان في حالة الدعاء باخلاص ــ يكون في أسمى درجات الصفاء الروحي ، مؤديا لأشرف ألوان العبادة .

لذلك عني القرآن بالدعاء وحث عليه . قال تعالى **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)** .

ففى هذه الآية ، وصف الله الدعاء ، بأنه عبادة يستحق من يستكبر عنها غضب الله .

والصلاة من الله « الرحمة ، والرضوان » . ومن الملائكة « الدعاء ، والتعظيم لأمره » . ومن العباد والأمة : « الدعاء والاستغفار » . عن عبد الله بن ابى أوفى . قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم) اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم . فأتاه ابن ابى أوفى قال (: كان النبى صلى الله عليه وسلم) اذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم . فأتاه ابن أبي أوفى بصدقته . فقال (صلى الله عليه وسلم) (اللهم صل على آل ابى أوفى) (١) .

٢ ــ الدعاء في السراء والضراء :

والدعاء الذى يطلبه الاسلام : يكون في الضراء كما يكون في السراء . فبذلك يكون أدعى للمسلم لأن يكون على الدوام متذكرا ربه مستجيبا لأوامره . محققا معنى العبودية له ، فان الانسان بطبيعته يلجأ الى ربه عند الشدة ، ولكن ما ان يكشف الله ما به حتى ينسى الله ، ويغتر بقوته ، فيؤدى به الى الاعراض عن أوامر الله ، والغفلة عنه . وقد وصف الله هذه الحالات التى تنتاب كثيرا من الناس ، تنبيها للمؤمنين ، حتى لا يقعوا في الجحود والنكران له ، قال تعالى : **(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)** (٢) .

٣ ــ الدعاء علاج نفسى ، وسمو روحى :

والدعاء علاج نفسى لكثير من أمراض النفس . فاذا أفضى الانسان المحزون الى

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة فصلت آية ٥١ .

ربه ما يعانيه ، وطلب منه ما يبتغيه ، فانه يشعر بطمأنينة ، وبمنحة روحية ، تنتشله مما هو فيه من الهم والضيق ، وذلك لأن الايمان يقتضي الاعتقاد التام بأن الله قريب منه ، مجيب دعوته ، قال تعالى : (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**) • سورة البقرة آية ١٨٦ •

هذه الآية تسكب في قلب المؤمن الود المؤنس ، والرضى المطمئن والثقة بالله عن يقين ، يعيش معها المؤمن في أمن باسم ، وقربى ندية ، ورضى سعيد ، وملاذ أمين •

وفي ظل هذا الأنس ، وذلك القرب ، يوجه الله عباده الى الاستجابة له ، والايمان به ، لعل هذا يقودهم الى الرشد ، والهداية ، والصلاح •

واستجابة الله لدعاء العباد مرجوة حين يستجيبون له ، ويؤمنون به فعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه •

يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) « ان الله تعالى ليستحيي أن يبسط العبد اليه يديه ليسأله فيهما خيرا فيردهما خائبين) (١) •

والدعاء أيضا للسمو الروحي :

فقد شرع الاسلام الدعاء للسمو الروحي والترفع عن شهوات الجسد الضارة ، والعروج به معارج الكمالات بجانب ما يطلبه الداعي من فضل الله ، وتيسير أموره ، وكشف الضر عنه ، ولهذا يعلم الله المؤمنين كيف يدعونه بما ذكر على لسان أنبيائه والصالحين • يقول تعالى : (**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**) (٢) •

ويقول تعالى : (**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**) (٣) •

ويمثل هذه الدعوات ندعو بها في فترات الزمن القاسية والترقي الروحي •

٤ ــ آداب الدعاء :

للدعاء شأن عظيم عند الله ، اذ الدعاء هو العروة الوثقى التي يتعلق بها العبد في حال تضرعه الى الله أن يحقق له مبتغاه فيكون مستأنسا بربه مطمئنا الى معونته ورعايته •

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » قال : (ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء) (٤) •

ومن آداب الدعاء التي ينبغي مراعاتها :

التضرع والخشوع حال الدعاء ، وأن يلح فيه ويكرر ، وأن يبدأ بنفسه ويصدق الرجاء في الاجابة بدون تعجل •

ففي التضرع يقول الله تعالى (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**) (٥) •

---

(١) رواه الامام احمد والطبراني عن سلمان (رضي الله عنه) •
(٢) سورة ابراهيم آية ٤٠ •
(٣) سورة النمل آية ١٩ •
(٤) رواه أصحاب السنن والحاكم
(٥) الاعراف آية ٥٥ •

فضل الدعاء

ومعنى خفية : أى سرا فى النفس ليبعد عن الرياء .

والشريعة تقرر : أن السر فيما لم يفترض من أعمال البر أعظم من الجهر ..

هذا . والالحاح فى الدعاء ممدوح لأنه تذلل وخضوع .

قال (صلى الله عليه وسلم) لرجل ألح فى المسألة وهو يسمع منه : (أوجب ان ختم)(١) أى ان ختم دعاءه (بآمين) وجبت له الجنة .

وكان من هديه (صلى الله عليه وسلم) أن يبدأ بنفسه ، فعن أبى ابن كعب (رضى الله عنه) قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه) (٢) .

ولقد حكى القرآن ذلك عن الأخيار من عباده ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) .

وأما صدق الرجاء فى الاجابة بدون تعجل ، فذلك دليل على قوة الايمان ، وحسن الظن بالله ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال :

(ادعو الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) (٤) .

فالله « سبحانه وتعالى » لا يجيب دعاء عبد مشغول بغيره عن طاعته وعبادته .

وينبغى للداعى أن لا يستعجل الاجابة . يقول (صلى الله عليه وسلم) : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول قد دعوت فلم يستجب لى) (٥) .

وعلى الداعى أن يدعو بما يتفق مع تعاليم شريعة الاسلام .

٥ ــ شروط الدعاء :

ومن شروط الدعاء أن يكون الداعى طاهرا ، ظاهرا وباطنا يكثر من ذكر الله ، ويجدد التوبة ، مخالطا للأخيار ، محافظا على أكل الحلال .

قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبى وقاص « ياسعد أطب مطعمك تستجب دعوتك ، ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما) (٦) .

٦ ــ ما يمنع من استجابة الدعاء :

ويمنع من استجابة الدعاء ، ما فقد شروطه ، أو كان فيه اعتداء .

البقية ص ١١٢٢

(١) رواه ابو داود .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) سورة الحشر آية ١٠ .
(٤) رواه الترمذى والحاكم .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) اخرجه الحافظ بن مردويه عن ابن عباس (رضى الله عنهما)

من نفحات السنة المباركة

رجب مضر

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم . ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان : متفق عليه .

ذكر السخاوى رحمه الله تعالى بأن رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات .

وذكر الزمخشرى فى أساس البلاغة : رجبه ورهبه بمعنى رجبا ورهبا وبه سمى رجب لأنهم كانوا يهابونه ويعظمونه .

وقيل له « رجب مضر » وان فلانا لمرجب وقد رجبته .

وتقول دخلت عليه فرحب بى ورجبنى وبارك الله لك فى الرجبين وهما رجب وشعبان .

وتقول يدك على محو خطوط الرواجب أقدر منها على محو خطوط المواجب وهى مفاصل الأصابع فشهر رجب هو أحد الأشهر الأربعة المحرمة التى ورد ذكرها فى قوله تعالى :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ » التوبة .

ووضحه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا الحديث وقد أضافه عليه الصلاة والسلام الى مضر وهى قبيلة عربية كانت تعظمه فى الجاهلية وهو الذى بين شهر جمادى وشهر شعبان وذلك ليخرج رجب ربيعة التى كانت تدعى بأن رجب انما هو رمضان الذى بين شعبان وشوال وفى ذلك قطع

لدابر من يريد أن يغير في دين الله تعـالى وابطال لمن شدد على نفسـه وادعى بـأن الشهور المحرمة ثمانية وهم طوائف البـل في الجاهلية وانما كانت الأشـهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد لأجل أداء مناسك الحج والعمرة .

فحرم قبل أشـهر الحج شـهرا وهـو ذو القعدة لانهم يمقـدون مناسـك الحج والعمرة .

فحرم قبل أشـهر الحج شـهرا وهـو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال .

وحرم شهر ذى الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك .

وحرم بعده شهرا آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه الى أقصى بلادهم آمنين .

وحرم رجب في وسط الحول لأجـل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم اليـه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعـود الى وطنـه سالما آمنا :

ولقد عظم الله تبارك وتعالى هذه الأشـهر الأربعة وحرم فيها القتـال الا اذا اعتـدى فيه على الآمنين فيجب عليهم الدفـاع عـن أنفسهم ولو في الحرم والشهر الحرام .

وكذلك حرم على المسـلمين الظلم على أنفسهم وغيرهم وجعله في الأشـهر الحـرم أغلظ وافحش .

قال قتادة ــ رضى الله عنه : ان الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سـواه وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله تعالى يعظم من أمره ما يشاء : ثم قال : ان الله تعالى اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصـطفى مـن الأرض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم واصطفى من الأيـام يـوم الجمعة واصطفى من الليالى ليلـة القـدر فعظموا ما عظم الله فانمـا تعظيم الأمـور ما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل .

وروى على بن أبى طلحة على ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال : ان الله تعالى اختص من الأشهر أربعة أشهر فجعلهن حراما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم . والعمل الصالح والأجر أعظم .

وقال محمد بن اسحاق : فلا تظلمـوا فيهن أنفسكم » أى لا تجعلـوا حرامهـا حـلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك .

وذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى تغليظ دية من قتل خطأ في الأشهر الحرم فقال تكون عليه الدية وثلث الدية . كذلك تغلظ الدية في الجراح في الشهر الحـرام والبيت الحـرام وذوى الرحم .

ولقد كان لهذه الأشهر الأربعة عند العرب في الجاهلية مكانة عظمى فـلا يرتكبون فيهـا جرما ولا يشنون فيها حربا ولا يئدون فيهـا بنتا ولا يثأرون من قاتل فلو وجد الواحد منهم قاتل أبيه أو أخيه فانه لا يتعرض له بسوء .

وقد روى أن عمر بن الخطـاب ــ رضى الله عنه قال : لو وجدت فيه أى في الحرم قاتل الخطاب ما مسسـتـه . وذلك تقـديس منهم

لشريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام التي كانوا يسيرون عليهاويثبتون ما جاءت به حتى زين لهم الشيطان فيما بعد أعمالهم فغيروا وبدلوا فيها حسب أهوائهم ومخترعات شياطينهم .

ولقد كان هذا الشهر المبارك يوصف بالأصم وبالأصب :

أما الاصم فلعدم سماع صليل السيوف فيه وأما الأصب فلنزول الرحمة فيه وزيادة البركة ووجود الأمان والسكينة بين القوم .

لما روى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « من أحيا أول ليلة من رجب لم يمت قلبه اذا ماتت القلوب وصب الله الخير من فوق رأسه صبا وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه المولى تاج العارفين فى لب الألباب بسند ضعيف :

وأخرج أبو محمد الخلال فى فضائل رجب عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال « صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر » رواه فى الجامع الصغير للسيوطى .

وروى عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « وان فى الجنة نهرا يقال له رجب أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر » : رواه البيهقى فى شعب الايمان .

وروى أبو قلابة ــ رضي الله عنه ــ قال : فى الجنة قصر لصوام رجب » قال البيهقى ان أبا قلابة ــ رضى الله عنه من كبار التابعين ولا يقول مثله الا عن بلاغ عمن فوقه ممن يسمع عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم .

ولم يرد فى صيام رجب كله حديث صحيح ولم يصح فيه شىء عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا عن أصحابه وانما ورد فضل الصيام فى الاشهر الحرم .

فقد روى أبو داود عن محيبة الباهلية عن ابيها أو عمها انه أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم انطلق فأتاه بعد سنة . وقد تغيرت حاله وهيئته . فقال يارسول الله أما تعرفنى ؟

قال : « ومن أنت » ؟ .

قال : انا الباهلى الذى جئتك عام الأول .

قال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ » .

قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك بليل .

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : « عذبت نفسك » . ثم قال : « صم شهر الصبر ويوما من كل شهر » . قال زدنى فان بى قوة .

قال : « صم يومين » : قال : زدنى .

قال : « صم ثلاثة ايام » قال : زدنى قال « صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك » .

وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها » ولقد روى ابن ماجة فى سننه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « نهى عن صيام رجب » : أى كله .

ولقد كره ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أن يصام رجب كله وكذلك كرهه الامام أحمد



رحمه الله تعالى وقال : يفطر منه يوما أو يومين » .

وحكى ذلك عن عمر وابن عباس رضى الله عنهم .

وقد قال الماوردى تزول كراهة صيام رجب اذا صام معه شعبان وعلى كل حال فأفضل الصيام ما ورد فى السنة من صيام ثلاثة أيام من كل شهر أو صيام داود عليه السلام فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما :

وأما الصلاة فيه التى تسمى الرغائب وغيرها فلم يثبت فيها ما يختص به .

وقد قال الامام الكمال بن الهمام — رحمه الله تعالى — : ما تردد من العبادات بين الواجب والبدعة يؤتى به احتياطيا وما تردد بين السنة والبدعة يترك لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم .

وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب « المنار ». أحاديث صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب كلها كذب مختلق على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كحديث من صلى بعد المغرب أول ليلة من رجب عشرين ركعة جاز على الصراط بلا حساب » وحديث « من صام يوما من رجب وصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة مائة مرة آية الكرسى وفى الثانية مائة مرة « قل هو الله أحد » لم يمت حتى مقعده من الجنة .

والأفضل للمسلم أن يواظب على صلاة السنن فى رجب وغيره لما روى عن عائشة وأم حبيبة وأبى هريرة وابن عمر — رضى الله عنهم قالوا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « من ثابر على ثنتى عشرة ركعة فى اليوم والليلة بنى الله له بيتا فى الجنة .

وركعتين قبل الفجر . وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها . وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء » .

وأما الذبح فيه فقد كان العرب فى الجاهلية يذبحون فى العشر الأول منه ذبيحة تسمى بالعتيرة واستمر الحال على هذا حتى جاء الاسلام وكانوا يذبحونها للاصنام ويتخذون هذه الأيام عيدا لهم .

ومن هنا اختلف علماء المسلمين فى هذه الذبيحة التى تذبح فى شهر رجب .

فقال بعض الأئمة ان العتيرة منسوخة وباطلة لما روى فى الصحيحين عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أنه قال قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لا فرع ولا عتيرة » والفرع أول النتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم والعتيرة فى رجب زاد ابن رافع فى روايته فى مسلم والفرع أول النتاج كان ينتج لهم فيذبحونه قال النووى الفرع بفاء وراء مفتوحتين ثم عين مهملة . والعتيرة ذبيحة كانوا يذبحونها فى العشر الأول من رجب ويسمونها الرجبية .

ولما رواه أبو حنيفة عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : قال — صلى الله عليه

وسلم ــ على أهل كل بيت في كل عام أضحاة وعتيرة » فالأضحاة ما يذبح أيام النحر والعتيرة كانت تذبح للأصنام في رجب فنسخت وبقيت الأضحية •

وقال الامام احمد ــ رحمه الله تعالى : « لا فرع ولا عتيرة في الاسلام » •

وقالوا المراد بالنفي في حديث : لا فرع ولا عتيرة » النهي عن فعل ذلك كما ورد في رواية النسائي والاسماعيلي : نهى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الفرع والعتيرة » •

ولكن الشافعي وبعض الفقهاء ــ رضي الله عنهم قالوا : ان الفرع والعتيرة مستحبة اذا كانت لله تعالى والمراد بالنفي في الحديث نفي الوجوب . ونفي ما كانوا يذبحونه لأصنامهم أو انهما ليسا كالأضحية في الاستحباب أو في ثواب اراقة الدم ، وأما تفرقة اللحم على المساكين فبر وبركة : واستدلوا بأن رجلا نادى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال انا كنا نعتر عتيرة في الجاهلية في رجب •

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « اذبحوا لله في أى شهر كان وبروا لله واطعموا » •

قال انا كنا نفرع فرعا في الجاهلية فما تأمرنا فقال في كل سائمة فرع تغدوه ما شيتك حتى اذا استحمل ذبحته فتصدقت بلحمه : رواه أبو داود وزاد البيهقي باسناده الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالفرعة في كل خمسين واحدة •

فمن هنا اذا كان الذبح لله تعالى جاز كما يدل له حديث أبي داود وكذلك رواية النسائي •

سئل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « عن الفرع قال الفرع حق وأن تتركه حتى يكون بنت مخاض أو ابن لبون فيحمل عليه في سبيل الله أو تعطيه ارملة خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره » •

هذا بخلاف العقيرة بالقاف بعد العين •

فقد روى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لاعقر في الاسلام » :

قال الخطابي كان أهل الجاهلية يعقرون الابل على قبر » الرجل الجواد يقولون نجازيه على فعله لأنه كان يعقرها في حياته فيطعمها الأضياف فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير فيكون مطعما بعد مماته كما كان يطعم في حياته : قال الشاعر :

عقرت على قبر النجاشي ناقتي
بأبيض عضب أخلصته صياقله
على قبر من لو أنني مت قبله
لهانت عليه عند قبري رواحله

فهذا العقر لا يزال موجودا في بعض البلاد الاسلامية التي هانت عليها تعاليم الاسلام فانهم يعقرون ذلك تباهيا وتفاخرا ويشبه » ا الذبح لغير الله تعالى •

رجب مضر

ومن هنا كرهها العلماء وكرهوا أكلها لأنه لم يرد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين انه فعل ذلك ٠

وأما العقيقة فهى : ما يذبح للمولود بعد ولادته : عن الذكر شاتان وعن الانثى شاة فعن ابن عامر الضبي ــ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : « مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الأذى » رواه البخارى ٠

وعن أم كرز الكعبية ــ رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول عن الغلام شاتان متكافئتان وعن الجارية شاة :

قال ابو داود سمعت احمد يقول : متكافئتان أى مستويتان أو متقاربتان » ٠

وروى سمرة ــ رضي الله عنه عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال « كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ويدمى » ٠

فكان قتادة اذا سئل عن الدم كيف يصنع به قال اذا ذبحت العقيقة أخذت منها صدفة واستقبلت به أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل على رأسه مثل الخيط ثم يغسل رأسه بعد ويحلق » رواه أبو داود ٠

وأما ما يقوم به المسلمون فى شهر رجب من الاحتفال فيه بليلة الاسراء والمعراج بناء على انه حدث ذلك فى شهر رجب عند كثير من العلماء وعليه العمل الآن فى أكثر البلاد الاسلامية : فذلك عمل لا بأس به لأنه يذكر المسلمين باكرام الله تعالى لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفرض الصلوات الخمس التى هى عمود الدين ٠

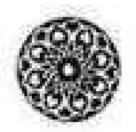
وفضل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق أجمعين فى الدنيا والآخرة حيث انه لم يحدث ذلك لنبى قبله وهذا من فضل الله عليه.

وقد قال بعض المحبين ٠

يابن عمران شرفت سيناء
ويا دريس والمسيح السماء
ولك العرش موطن ووطاء
كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ما طاولتها سماء

فاللهم اجمع كلمة المسلمين ووفق بينهم والف بين قلوبهم واجعلهم متمسكين بكتابك ومتبعين لسنة نبيك : آمين ٠

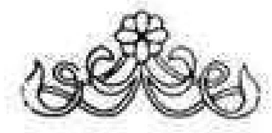
محمد محمود شعبان



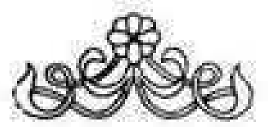


الإسلام وحقوق المرأة

الانسان في نظر العسكرية الإسلامية



اهل الفكر.. واهل الذكر



الشيخ صالح موسى شرف

مبدأ إسلامي يدعو إليه شاعر انجليزي

الإسلام وحقوق المرأة

٢

*انتهينا في المقال السابق الى ان قضايا المرأة قد لقيت اهتماما بالغا في الفقه الاسلامي، وان شريعة الله الخالدة ، هي التي قررت مساواة المرأة للرجل فيما يجب ان تكون عليه تلك المساواة ، حيث تقوم على التساوي في اصل الخلقة ، مع تساويهما في اساس المسئولية امام الله عز وجل عن ما كلفهما به من احكام شرعية ، اذ المرأة مسئولة امام الله عز وجل كالرجل تماما الا ما خصها الشارع به من احكام تتوائم مع ما فطرها الله عليه من خلقة تحتاج الى اليسر ، وطبع يحتاج الى التخفيف .

وعلى هذا النحو القويم تقوم المساواة الحقة بين الرجل والمرأة ، على اسس قوية تنشد المحافظة على حقوقها ، والأخذ بيدها على طريق الحياة الفاضلة لتكون كما ارادها الله عز وجل مدرسة لتخريج جيل قوي ، ونافذة تطل على الدنيا بالنشء الفتى الذي يحمل أمانة ربه ، ويتحمل مسئولية وطنه بصدق ورجولة (١) ، كما تحول بين المرأة ودعاة السوء الذين يريدون أن يتخذوا من قضاياها مادة للمزايدة عليها ، والتغرير بها ، وتتأتى بحقوقها من أن تتخذ شعارا أجوف لعدد من خصوم الاسلام الذين يستهدفون من وراء ترديده ، التطاول على أحكام الله تعالى ، والتهجم على ما جاء في شرعه الحكيم حقدا عليه وحسدا من عند أنفسهم ، وذلك ما يريدون أن يصلوا اليه .

فدعاة الانصاف الذين يصرخون في كل وقت باسم حقوق المرأة وقضاياها ، لا يعنيهم أن تكون المرأة المسلمة على النحو الذي اراده لها الله عز وجل من التكريم الذي كفلته لها أحكام شرعه ، وانما يريدون أن يوقعوا بينها وبين أحكام ربها ، ليصلوا من خلالها الى مايقصدون اليه من هجوم على أحكام الشريعة الاسلامية الغراء ، بعد أن يدمروا كيان المرأة المسلمة وينالوا من ايمانها .

ومثلهم في ترديد تلك الشعارات الطنانة لها، كمثل من يقدم السم في الدسم ، وصدق الله العظيم اذ يقول في أمثال هؤلاء الذين يستهدفون بالقول المعسول أهدافا خبيثة : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّـهَ

---

(١) راجع : مقالنا بمجلة الازهر — عدد جمادى الآخر ١٤٠٥ هـ — ص ٨٨١ وما بعدها .

للدكتور عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ، وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (١) » .

فليت المرأة المسلمة تنتبه الى خطورة مايراد بها ، وتعلم أن الخير كل الخير لها في اتباع أحكام الله والالتزام بما جاء في شرعه الحنيف .

وعلى أساس مساواة المرأة للرجل في أصل الخلقة والمسئولية ، أثبت الاسلام لها حقوقا كثيرة ، بخلت عليها بها كثير من تشريعات البشر .

فالمرأة في الاسلام كامل الحقوق المدنية ولها الحق في اختيار شريك حياتها ، ولها حق التعليم الى أعلى درجاته ، بشرط أن تكون محتشمة في ملبسها ومسلكها فلا تتعمد الاثارة ، ولا تتشد الفتن ، كما أن لها حق المشاركة في الحياة العامة .

وقد رأينا أن للمرأة في الاسلام رأيا تبديه وتجادل فيه ، وتدافع عنه ، وتشير به (٢) .

ومن ثم فالتشريع الاسلامي لاينال من حقوق المرأة ، ولايقف في سبيل النهوض بها ، وانما يكفل لها الحياة الكريمة ، والجو المناسب لتؤدى دورها في الحياة على أكمل وجه ، بما لايدع مجالا لتقول على الله بالنزعة والهوى .

❋ ❋ كما أن الاسلام لم يقصد أن ينال من المرأة حين جعلها على النصف من الرجل في الميراث والشهادة ، حيث بنى الحكم في هذين الأمرين على أساس آخر لايمس انسانية المرأة ولا يحط من شأنها ، فالحكم في الميراث قد جاء على هذا النحو الحكيم ليتوائم مع مقدار ما أوجبه على كل منهما من التزامات ، وفي هذا الصدد نجد أن الرجل مطالب بكل شيء وهي غير مطالبة بأي شيء حيث أوجب الله نفقتها على الرجل زوجة أم بنتا أم أختا أم اما ، فالحكم في الميراث قد جاء على مقتضى تلك الحكمة الملموسة .

أما بالنسبة لشهادة المرأة فأمرها يقوم على التخفيف عليها في أمر قد لايتيسر لها ممارسته ، فالمرأة قليلة الممارسة لأمور التعامل والخروج الى ساحات المحاكم لمباشرة شئون التقاضي ، فناسب أمرها أن تكون معها امرأة أخرى تذكرها في تلك الأمور التي لم تتعود ممارستها .

ومن شأن الانسان في أمثالها كثرة النسيان ، فناسب المقام وجود امرأة أخرى معها تذكرها اذا نسيت ، رحمة بها وتخفيفا عليها دون النيل منها أو المساس بآدميتها كما يزعم خصوم الاسلام .

❋ ❋ على أن مزاعم هؤلاء الذين يتربصون

---

(١) سورة البقرة — الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) مقالنا السابق — ص ٨٨٨ وما بعدها .

بالمرأة المسلمة للتغرير بها ، وتقويض كيانها ، لم يقف عند حد هذا الفهم الملتوي لأحكام الاسلام في هاتين المسألتين ، وامرهما ظاهر الوضوح كما رأينا في عدم المساس بآدمية المرأة او النيل من قضية المساواة بينها وبين الرجل ، بل تعداه الى عدد من المسائل الاخرى التي حكم الله فيها ، وبين أمرها في حياة الاسرة المسلمة ، على رأسها قضية تعدد الزوجات ، التي وجد فيها هؤلاء الخصوم مجالا خصيبا لتأليب المرأة على أحكام الله ، ومادة للتغرير بها وتقويض ايمانها ، فراحوا يتبارون في التطاول عليها ، والتماس الحيل لاهمالها ، مقررين ان اباحة الاسلام لتعدد الزوجات ، ينال من حق المرأة في حياة مستقرة ، ويطعن مشاعرها في الصميم ، كما يؤثر على استقرار الاسرة ، وكان الامر على هذا النحو يتطلب بيانا •

حقوق المرأة وتعدد الزوجات :

❋ وقد حظيت قضية تعدد الزوجات باهتمام واضح من خصوم الاسلام ، وكانت ولاتزال عندهم محلا لجدل كبير اختلط فيه صياحهم بعواطف النساء واصوات المتظاهرين بمناصرتها ، حيث التقت كلمتهم جميعا على فكرة واحدة ، تستهدف النيل من التشريع الذى يقرر هذا الحكم ، وتعتبره عائقا في سبيل تقدم المرأة ، واداة لهضم حقوقها ، واهدار آدميتها ، ويرون انه لا يتناسب مع ماتقرر لها من حقوق ، كما انه ينتقص من مكانتها لصالح الرجل وعلى حساب عزتها وكرامتها ، اذ هو كما يزعم واحد منهم : « نظام بدائي يتبع حال المرأة رقيا وانحطاطا » (١) ، وهو عندهم شر كله ، لا خير فيه ، وهو ليس الا علامة على فساد الاخلاق ، واختلال الحواس وشره في طلب اللذائذ (٢) •

❋ ذلك هو محور فكرتهم حول تعدد الزوجات ، وقد جاء نقدهم له على هذا النحو — كما يبدو لأول وهلة — وليد التسرع والهوى الذي يحمل الانسان على رفض أمر دون أن يدرك كل جوانبه ، ودون أن يلم بجوانب الخير فيه ، ومقترنا بالنزعة العاطفية التي تقوض بنيان التفكير العلمي السليم •

وتلك سمة في التفكير عند بعض الناس ، لاتنشد الوصول الى الحقيقة أو ادراك جانب الحق ، فذلك لا يعني اصحابها ، وانما جل همهم أن يحدثوا ضجة ، تستلفت الأنظار ، وتثير العواطف ، وتكسب الود ، وقد يكون اثارة جانب الشفقة عند النساء مقبولا في جوانب أخرى من امور الحياة ، بل قد يكون مرغوبا فيه ومأمورا به ، كشفقتها على زوجها واولادها ، حيث ينمي ملكاتهم الوجدانية ويكمل عندهم ملامح الشخصية ، ومن ثم تؤدى المرأة من خلال تلك العاطفة النبيلة رسالة مقدسة في الحياة ، لكن استدرار العاطفة لدى المرأة حين يراد به ان يتخذ أساسا لتشريع يقوم عليه في مسألة خطيرة تتعلق بأمر الاسرة وقد حكم الله فيه لا يكون

(١) قاسم امين — تحرير المرأة — ص ١٢٩ •

(٢) نفس المرجع ص ١٣٢ •

امرا مقبولا .

فليس من المصلحة للأمة لا عقلا ولا شرعا أن يجيء تقنين يتضمن تنظيما لمسألة تتعلق بأعراض الناس على اختلاف الزمان والمكان، وليد العاطفة، ومتأثرا بتلك الأفكار المنفعلة لأن العواطف لاتصلح أساسا تقام عليه القوانين وانما ينبغي أن يقوم القانون على أساس من الفهم الصحيح والادراك الواعي لأحكام الله لأنها أبدية خالدة تنطق بالحق، وترشد الى الخير في كل زمان ومكان .

❊❊ وقد يكون ما يزعمه خصوم الاسلام من أن موضوع تعدد الزوجات ينال من كرامة المرأة ويمس حقوقها . مقبولا على غير الاسلام، من الأفكار الوضعية التي تبارت في الهجوم عليها . وتحطيم كيانها ورميها بما يعافه الحس السليم . ووصفها بأنها رجس أو من عمل الشيطان . وجعلها سلعة تباع كما يباع العروض ويشترى (١) . أقول قد يكون مثل هذا الزعم مقبولا على أصحاب تلك الفلسفات التي جعل المرأة كالرقيق . والنظر الى ما حصلت عليه منهم بشق الأنفس على انه منتهى الغاية بالنسبة لها . بما يستتبع الاشادة بما وصلت اليه منه . كل ذلك قد يكون مقبول السماع على غير الاسلام .

اما الاسلام الذى كرم المرأة واحترم حقوقها منذ أشرق نوره على العالمين . فلا يقبل عليه هذا الزعم، لأن ما قرره للمرأة من حقوق لم تصل الى مثله في أى تشريع غيره لاقبله ولابعده والاسلام الذى قرر للمرأة كل تلك الحقوق . واخذ بيدها على طريق الحياة الفاضلة، وصانها من التبذل وقرر لها المساواة مع الرجل، وكفل لها الرقى والرفعة في الحياة . هو هو الذى قرر تعدد الزوجات بشروطه . ليكون لونا من الوان التكريم للمرأة . وحمايتها من التبذل والضياع . ووسيلة لتصحيح مسيرتها في الحياة مع الرجل . على أساس من العفة والطهر والمشروعية .

تقدير المصلحة مرتبط بالنص :

❊❊ والذين يجادلون في الحق بعدما تبين لايريدون أن يسلموا لحكم الله في تلك القضية، لأنهم يناقشون الأمور من زاوية الهوى، لا من جانب الحيدة والموضوعية . ويأخذونها من ناحية العقل المتأثر بالعاطفة . لا من منطلق الايمان بالله . وقد غاب عن ذهنهم أن عمل العقل اذا جاء على غير مقتضى الايمان يكون قد جانبه الصواب .

فالايمان حكم على العقل . ومهمة العقل السليم أن يفهم عن الله . لا أن يشرع عليه فاذا ما وجد نص عن الله في المسألة فمن الواجب على الانسان أن يحترم هذا النص وأن يمتثل لما جاء به من حكم . لأن المصلحة الحقيقية مرتبطة بشرع الله . حتى ولو غاب وجهها عن العقل .

وذلك المعنى الواضح هو المستفاد من العبارة المشهورة : حيثما تكون المصلحة فثم شرع الله فهى تدل على أن حكم الله اذا وجد يكون

(١) راجع : في وضع المرأة في الشريعة اليهودية والهندية البرهمية ، وعند الرومان ، وفى العصر الجاهلى — الدكتور على عبد الواحد وافى — المرأة في الاسلام — ص ١٥ ، وما بعدها — الطبعة الثانية .

وجوده دليلا على وجود المصلحة لأن أحكام الله تستهدف مصالح الناس وابعاد الضرر عنهم ، وليس معناه كما يفهم البعض ممن يريدون أن يطوعوا أحكام الله للنزعة والهوى ، أن يتجه العقل المجرد الى تقرير مصلحة قد لا تكون مشروعة ويزعم أن حكم الله لابد أن يكون موافقا لها ، فلتختل في الفهم ، ولوضع مثلا لضاعت أحكام الشريعة أمام التقدير العقلي الخاطيء للانسان في كثير من المواطن ، وصدق الله العظيم القائل :

« **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** » (١) .

فالمعيار الصحيح للحكم على أمر ما بأنه مصلحة مرهون بحكم الله ، لا بما يقرره الانسان لنفسه ، لأن ادراكه قاصر ، وعلمه محدود ومن ثم يكون التصور الصحيح في حدود ملكات العقل وقدرات العبد أمرا صعبا في كثير من الأحوال، وهنا يأتي دور الايمان بالله في امتثال ما جاء عنه ، ليعوض عند الانسان هذا القصور .

❀ كان من الممكن أن يفهم الذين لم يستطيعوا أن يقنعوا أنفسهم بوجوه الخير في تعدد الزوجات هذا المعنى ، لكن الامر عندهم غير ذلك ، فهم امام حكم يريدون التحايل عليه، وقضية لا ترى عقولهم فيها الا كل انواع الشرور بالمرأة ، ولو أنصف هؤلاء الذين يوحون اليها بتلك المعانى ، لأمروها بتقبل حكم الله والنظر اليه من زاوية الايمان ،وحينئذ ستجد فيه الخير كل الخير لها وللناس أجمعين .

وجه المصلحة في تعدد الزوجات :

❀ شرع الله تعدد الزوجات وجعله رخصة يلجأ اليها من تلجئه الضرورة أو تدفعه الحاجة ويلوذ بها من تضيق به حياة الزوجية الواحدة ، ويقدم عليها من يجد نفسه مضطرا لارتكاب أخف الضررين ، ومع ذلك قد يكون سياجا يحمى الأسرة من التصدع والانهيار وصيانة للزوجة من الحرمان والضياع كما أن فيه عونا على حفظ توازن المجتمعات واضطراد العمران وتقدم الحضارات .

لذا كان هذا التشريع خير دليل على واقعية التشريع الاسلامي ، ومدى مسايرته لطبيعة الانسان البشرية ولا ريب فهو تنزيل ممن خلق الانسان ، وعلم منشأ فطرته وأسرار تكوينه ، فعمل على ما يصلح ذاته ويقيم مجتمعه ، فهو لم يحرم تعدد الزوجات باطلاق ، ولم يدع الرجال على ما كانوا عليه من الاسراف فيه ، وفي ظلم النساء ، بل قيده بالعدد الذى قد تقتضيه مصلحة النسل وحالة الاجتماع ، ومد استعداد الرجال لعمع اشتراط القدرة على الانفاق عليهن ، واستطاعة العدل بينهن (٢) .

❀ وتستند المشروعية في تلك الرخصة الى قول الله تعالى : « **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ**

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦ .

(٢) دكتور أحمد على طه ريان ، تعدد الزوجات ص ٧ ، ٨ — دار الاعتصام .

وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » (١) • وقد جاء متصلا بتلك الآية قول الله تعالى: « وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢) » •

ويتضح من هذا القول الكريم أن الحق سبحانه وتعالى قد أباح التعدد ، وهو فى شرعه ذلك بل وفى شرع أصل الزواج لم يكن مبتكرا لشىء غير معروف من قبل ، وهذا شأنه فى كثير من المعاملات والارتباطات البشرية التى تقضى بها طبيعة الاجتماع ، وانما كان مقررا ما تقتضيه الطبيعة من ذلك معدلا فيها بما يرى من جهات التهذيب التى تكفل للطبيعة الوقوف فى الحد الوسط وتقيها شر الانحراف والميل ، وتحفظ للاجتماع خير مقتضيات هذه الطبيعة (٣) •

التعدد موجود فى غير الاسلام :

* فقد عرفه اليونانيون الاثينيون ، وكانو يبيحونه بغير حساب كما عرفه الرومان الى ان حظره (جوستنيان) فى قوانينه ، كما أن التعدد كان معروفا بين العامة والخاصة من المسيحيين ولم يرد فى أناجيلهم المتداولة ما يمنعه (٤) ، كما لم يرد بأقوال المسيح عليه السلام أشارة صريحة الى مبدأ وحدة الزوجة أو مبدأ منع تعدد الزوجات (٥) . وانما الذين قالوا بتحريمه بعض آباء الكنيسة . وكان سبب تحريمهم له لا يرجع الى احترام المرأة ورعاية حقوقها ، وانما تقرر منع التعدد تشجيعا على البتولية (عدم الزواج) وتفضيلها على الزواج، وجاءت الرهبانية للاعلاء من شأنها والانتفاع بها فى خدمة الدين (٦) ، يشير الى ذلك الأنبا شنوده بقوله : « اما البتولية فى المسيحية فقد وطد دعائمها السيد المسيح ذاته . الذى كان بتولا ، وولد من أم بتول،وعمده وبشر به مهيئا الطريق امامه نبى بتول هو يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) . وعهد بأمه الى رسول بتول هو يوحنا الحبيب » (٧) •

وقد تكلم عن هذه البتولية بولس الرسول فى رسالته الاولى الى أهل كورنثوس ، حيث قال «حسن للرجل أن لا يمس امرأة » . « أريد أن يكون جميع الناس كما أنا » أريد أن تكونوا بلا هم . غير المتزوج يهتم فيما للرب كيف يرضى الرب . وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضى امرأته . من زوج فحسنا يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن (٨) •

---

(١) سورة النساء آية ٣ .

(٢) سورة النساء آية ١٢٩ .

(٣) الاسلام عقيدة وشريعة — للامام محمود شلتوت — ص ١٩٨ .

(٤) دكتور احمد ريان — المرجع السابق ص ٨ .

(٥) راجع : حلمى بطرس — احكام الاحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين — طبعة ١٩٥٧ ص ٩٩ .

(٦) دكتور عبد الناصر العطار — تعدد الزوجات من النواحى الدينية والاجتماعية والقانونية — ص ١٠٨ وما بعدها — مجمع البحوث الاسلامية مارس ١٩٧٢ .

(٧) الانبا شنودة — شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية ص ١٠٤ ، ١٠٥ طبعة ١٩٦٧ م .

(٨) راجع : كتاب العهد الجديد — ص ٢٥٩ — الفقرتان ١ ، ٧ ، ص ٢٦٢ ، الفقرتان ٣٢ ، ٢٧ — نشر جمعيات الكتاب المقدس .

دوافع نقد المبشرين لنظام التعدد :

** ومن خلال النصوص التي وردت في رسالة بولس الرسول نجد الدعوة واضحة الى تفضيل حياة البتولية والبعد عن الزواج أصلا ، فهل يعقل أن ديانة تقول : «حسن للرجل أن لا يمس امرأة » ثم يدعو بعد ذلك الى تعدد الزوجات ذلك اذن – هو أساس التحريم عندهم ، الدعوة الى البتولية ، والروح التي تصاحبها هي التي تدعو الى الابتعاد عن المرأة فلا يسمح بالزواج من امرأة الا لضرورة ويحرم تعدد الزوجات من باب أولى .

** وقد أدت هذه النظرة الى الزواج عندهم الى أمرين :

أولهما : النظر الى المرأة على انها شخص يصرف الانسان عن العبادة ، ومن ثم وهي كذلك يجب البعد عنها ، ومن هنا نظر معظم آباء الكنيسة الى تعدد الزوجات على أنه نظام لامبرر له سوى اشباع الشهوة والانغماس في اللذة فحرموه فتحريم تعدد الزوجات عند بعض آباء الكنيسة لم يكن لرعاية المرأة والاهتمام بها وحفظ كيانها وكرامتها كما نسمع ، وانما كان للاعراض عنها واهمالها .

والانشغال بالعبادة عن الاهتمام بها ، فهل ترضى النساء هذه النظرة ، وما هو ذنبهن في أن يبتعد الرجال عنهن ؟ وأين يذهبن اذا حدث ذلك؟ثم أين ذلك من نظرة الاسلام الى الزواج ورعاية المرأة والصبر عليها ، على أنه عبادة تقترن بالحكم الشرعي ؟

ثم ان تعدد الزوجات لم يشرع لاشباع الشهوة ، لأن الشهوة يمكن أن يقضيها الرجل باشباع كامل من زوجة واحدة (١) وانما شرع التعددلأمور أخرى هي أسمى من ذلك التصور وتتعلق بكرامة المرأة وحفظ حقوقها وصيانة حياتها من الانزلاق في هاوية التردي .

ثانيهما :أدت النظرة الى البتولية على النحو السالف الذكر ، الى كراهية الزواج الثاني حتى بزوجة واحدة ، فمن اضطرته الظروف الى الزواج للمرة الثانية ، أو الثالثة ، وبزوجة واحدة فهو من أهل الغواية ، حتى ولو كان الزواج للمرة الثانية بسبب وفاة زوجته الاولى. فاذا تزوج الرجل للمرأة الثالثة وماتت عنه ، أو افترق عنها بتطليق ، حرم عليه أن يقرب النساء وزواجه للمرة الرابعة ولو بزوجة واحدة لايعتبر زواجا وانما يعتبر زنا عندهم ، وأولاده من الرابعة لايعتبرون بنينا له ، وانما يعتبرون أبناء زنا ، ولاتزال كنيسة الروم الارثوذكس تحرم الى اليوم الزوجة الرابعة بالمادة الثالثة فقرة ب وسار على هذا المنوال القانون اللبناني ، والقانون اليوناني ، فلا يجوز عند اللبنانيين ، وعند اليونانيين الزواج للمرة الرابعة ، حتى ولو كان بزوجة واحدة (٢) .

يقول الأنبا شنوده : « أن من يتزوج ثانية بعد وفاة زوجته الاولى ، تفرض عليه عقوبة البعد عن الكنيسة ، وعن تناول الأسرار المقدسة مدة من الزمن تتراوح بين سنة وخمس سنوات

(١) دكتور عبد الناصر العطار – المرجع السابق – ص ١١٠ .
(٢) المواد : ٣١ ، ٣٥ لبناني ، ١٣٥٥ يوناني .

ولايحضر القس وليمة زواجه ، ولايدخـــل فى شرف الكهنوت » .

❊❊ ويستشهد على ذلك بنصوص كثيــرة لآباء الكنيسة وقوانين المجامع الكنسية (١) .

❊❊ واذا كانت الزيجة الثانية بالمــرأة الواحدة مكروهة هكذا عند كهنة المسيحيين ، والزيجة الثالثة علامة الغواية ، والرابعة زنا ، ولو كانت بزوجة واحدة ، فاولى بهذه الكراهة تعدد الزوجات ، ومن ثم اعتبروه زنا .

❊❊ ومن الانصاف أن نذكر أن بعض كهنة المسيحيين رفضوا هذا التفكير فمنهم من أبـاح للرجل أن يتزوج بزوجة واحدة ولو كان ذلك للمرة الرابعة أو الخامسة ، وعلل ذلك بأنــه لايوجد فى الانجيل ما يمنع من الزوجة الرابعة وما فوق ، اذ أن فيه من لايطيق العزوبيــة فليتزوج أولى من التحرق بالشهوة (٢) ، كما أن بعضهم أباح للرجل تعدد الزوجات أفضـل يقينا من الطلاق ، مستشهدا على ذلك بممارسة بعض الانبياء له (٣) .

ويقول « وسترمارك » ان الانجيل لم يحرم صراحة تعدد الزوجات الا فى حالة القس أو الأسقف ، ولم يعارض تعدد الزوجـــات أى مجلس كنسى فى القرون الأولى ولم يقم أى حائل فى طريق ممارسته .

وقد تكلم لوثر فى عدة مناسبات عن تعـدد الزوجات فى تسامح . ولم يحرم الله هــذا الزواج ، وقد دعت بعض المذاهب المسيحية الى تعدد الزوجات بحماس شديد وفى عام ١٥٣١ دعا القـس فى مونستر صراحة بأن من يريــد أن يكون مسيحيا حقيقيا فعليه أن يتزوج مــن عدة زوجات (٤) .

❊❊ ومن المؤكد أن كل تلك الآراء ، قد أدت بالكهنة وآباء الكنيسة المعارضين لهذا النظام الى اتخاذ موقف ، الامر الذى أدى الى تحريم تعدد الزوجات على المسيحيين (٥) .

❊❊ ومما تجدر الاشارة اليه ، أن شريعة اليهود الربانيين تجيز تعدد الزوجات بشروط منها القدرة على الانفاق ، والقدرة على العـدل بين الزوجات ، ووجود مبرر للتعدد ، وقد نصت المادة ٥٥ على ذلك (٦) . كما كان التعدد معروفا عند العرب قبل الاسلام دون قيد فى العـــدد والمعاملة .

❊❊ وقد أشارت كتب السـنة الى ذلك ؛ فقد أخرج ابن ماجة فى سننه ، عن قيس بـن الحارث ، قال : « أسلمت وعندي ثمان نسوة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت ذلك له فقال : اخترمنهن أربعا » (٧) .

كما أخرج ابن ماجة أيضا حديث ابن عمر

---

(١) الانبا شنودة ــ المرجع السابق ــ ص ٩١ وما بعدها .

(٢) العهد الجديد ــ ص ٣٥٩ فقرة ٨ .

(٣) دكتور شفيق شحاته ــ احكام الاحوال الشخصية لغير المسلمين من المصريين ــ جـ ٧ ص ١٦ فقرة ٧٢٩ طبعة ١٩٦٢م ، مشار اليـه فى تعدد الزوجات للدكتور عبد الناصر العطـار ص ١١٣ .

(٤) وسترمارك ــ قصة الزواج ــ ترجمـة عبد المنعم الزيادى ص ٢٥٣ وما بعدها .

(٥) دكتور عبد الناصر العطـــار ــ المرجع السابق ص ١١٥ .

(٦) حاى بن شمعون ــ الاحكام الشرعية فى الاحوال الشخصية ــ المادة ٥٥ .

(٧) سنن ابن ماجة ــ باب الرجل يسلم وعنده اكثر من اربع .

رضى الله عنهما قال : « أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : خذ منهن أربعا (١) . فعلم من ذلك أن التعدد كان معروفا فى الامم السابقة قبل الاسلام الا أنه كان بلا ضابط يعصم حقوق المرأة من الضياع ، وبلا قيد يحد مما قد يحدثه فى حياتها من آلام ، ومن ثم جاء الاسلام ليرشد مسيرته فى حياة الاسرة ليثمر أطيب الثمار على المرأة وعلى الأسرة ، وعلى المجتمع ككل ، وذلك كما يبدو من خلال النظر فى مبرراته .

مبررات تعدد الزوجات :

ومن المؤكد أن تعدد الزوجات يقوم على مبررات قوية وأسباب مقنعة ، تبرر وجوده وتجعل أمر مشروعيته يتوائم مع الحكمةو المنطق ويتفق مع المصلحة ، الا أن المرأة ومن ورائها خصوم الاسلام ومن ينهجون مسلكهم — وللأسف — من بعض المسلمين لا يريدون أن يفتحوا قلوبهم له ، فهم لايطيقونه ، ولا يحبون الكلام فيه الا هجوما عليه ، وهذه المبررات تتوزع آثرها على الصالح الخاص للزوجين ، الرجل والمرأة معا ، والصالح العام للمجتمع ككل ، مع ملاحظة أن حفظ المجتمع من الضياع والأخذ بيده على طرق الحياة الفاضلة المستقيمة ، تقع المسئولية فيه على عاتق المرأة والرجل معا ، لأنهما كما رأينا شركاء امام الله فى المسئولية ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولا يتفق وواجبات تلك المسئولية أن تتبرم المرأة على نظام يحفظ المجتمع من شرور العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة ، حتى ولو كان ذلك الرجل زوجها ، لأن البدء حين يستشرى فانه يعم ، والنار حين تنتشر فانها لاتبقى ولا تذر ، كما لا يجوز أن تتذرع المرأة مع البعض بأن تعدد الزوجات مباح يجوز تقييده بناء على القاعدة الفقهية التى تجيز لولى الامر أن يقيد المباح عند المصلحة ، لأن التقييد سيؤدى الى مضار تتنافى معها .

كما أن التعدد حين توجد مبرراته ، ولا يجد الرجل بدا منه بأن كان سيقع فى الحرام ان لم يعدد مع قدرته على العدالة معه ، فانه يكون والحالة على هذا النحو واجبا ، بناء على قاعدة أخرى تقرر أن ما لا يتأتى الواجب الا به يكون واجبا ، ولاشك أن البعد عن الحرام واجب ، فيأخذ ما يؤدى اليه حكمه ، ولايتعارض ذلك مع اعتبار التعدد مباحا بحسب الأصل كما قرر الفقهاء كما لا يقال بعد وجود مبرراته ان الرجل ينبغى أن يتحمل عدم الاقدام عليه ، وأولى به أن يمسك نفسه عن ابرامه ، لما فى ذلك من مشقة على النفس مع وجود الاباحة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » (٢) .

والقائل : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ**

---

(١) المرجع السابق ، وراجع : سبل السلام للصنعانى — جـ ٣ — ص ١٣٢ — الطبعة الرابعة .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

المُعْتَدِينَ (١) ، ويبقى بعد ذلك بيان تلك المبررات وهى تتعلق بظروف عام للمجتمع ، وظروف خاصة بالفرد ، والخير فى كلتا الحالتين يعود بالدرجة الاولى على المرأة ، بما يرد على الطاعنين عليه قولهم ، ويظهر حكمة التشريع التي تتوخى كرامة المرأة من خلاله .

أولا : الظروف العامة التى تبرر التعدد :

لم تأت أحكام التشريع الاسلامى خاصة بزمان معين ولا بقوم معينين ، وانما جاءت للناس أجمعين وفى كل زمان ، والصالح العام يحتم أن تكون كل امرأة فى عصمة رجل يرعاها ويملأ حياتها بالدفء والسعادة ، ويشبع عندها غريزة الأمومة والعطاء ، لتقدم من خلال وجودها عملا نافعا للمجتمع ، وجيلا قويا مؤمنا يعتز بدينه ويؤمن بانتمائه لوطنه .

وتلك هى الصورة التى ينبغى أن تكون عليها حياة الرجل مع المرأة ، اجتماع يملؤه الحب ويثمر بالعطاء والخير وينأى بكل من المرأة والرجل والمجتمع عن الشرور ، التى تنجم من جراء الاختلاط المريب والتسيب القائل بين الرجال والنساء ، على أن ظروف الحياة وتغير الأزمان واختلاف طبيعة الرجل عن المرأة ، كل ذلك قد يحول دون ذلك الاجتماع المنفرد بينهما ويجعل وجود التعدد أمرا لازما لصيانة المجتمع من التفكك والضياع ، فمن المقرر فى بحوث الديموجرافيا أو علم الاحصاء ، ان ذكور الآدميين بحسب طبيعتهم أكثر تعرضا للوفاة من الاناث فى أثناء الولادة ، وفى الطفولة الاولى فى جميع شعوب الانسانية ،ويترتب على ذلك أن عدد من يبقى على قيد الحياة من الذكور يقل عن عدد الاناث بصورة ملموسة تكشف عنها الاحصاءات (٢) . أضف الى ذلك تلك القسوة التى يتعرض لها الرجل من الطبيعة ، بحكم قوامته على المرأة والذود عنها فى الحروب والغارات ، ومباشرة الاعمال المختلفة بين الحديد والنار وفى ظروف قد لاتؤمن فيهما السلامة من الموت والهلاك ، كل ذلك من شأنه انه يؤثر على زيادة عدد الاناث عن الذكور فى مصر ومختلف بلاد العالم (٣) .

ولاشك أن الحقائق سالفة الذكر تظهر بوضوح مدى فداحة ، مشكلة « بطالة الحياة الجنسية » عند كثير من النساء الناتجة عن زيادة العانسات والأرامل والمطلقات ولاشك أيضا أن هذا العدد الضخم من النساء غير المتزوجات وهن فى سن الزواج ، يعشن حياة القلق والضيق معظم الوقت ، وليس من مصلحتهن ، ولا من مقتضى الكرامة التى أثبتها

(١) سورة المائدة آية ٨٧ .

(٢) دكتور على عبد الواحد وافى ــ المرجع السابق ــ ص ١٢٦ وما بعدها ؛ وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ المرأة كما ارادها الله ، ص ٥٢ ، ٥٣ ــ مكتبة القرآن .

(٣) فى احصاء نشر بجريدة الاهرام فى عددها الصادر فى ١٦ ــ ١١ ــ ١٩٦٥ م ، ان عدد النساء فى الاتحاد السوفيتى يزيد على عدد الرجال بنحو عشرين مليون نسمة ، كما يزيد عددهن فى الولايات المتحدة من عدد الرجال بمليونى نسمة وفى المانيا الغربية بثلاثة ملايين نسمة ، وفى مصر اشار الكتاب السنوى للاحصاء ــ طبعة ديسمبر ١٩٦١ م عن تعداد ١٩٦٠ م الى أن هناك تكاثرا انثويا فى كثير من محافظات الجمهورية ، يزيد عن عدد الذكور ، منها مثلا : كفر الشيخ ٧ الاف انثى ، بنى سويف ١٥ الف واسوان ٧ آلاف زيادة من عدد الرجال .

الاسلام لهن ، بل ولا من مصلحة المجتمع أن ينحرف هذا القدر من النساء فى زمن كثرت فيه الفتـن .

ومن الظلم لهن أيضا أن يمكثن بقية عمرهن على هذا النحو دون رجل يرعاهن ويملا حياتهن بهجة وسرورا ، حتى ولو كان هذا الرجل متزوجا بأخرى ، وانها لأنانية من الزوجة الاولى أن تحتد على نظام يعطى أختا لها حـق الحيـاة الشريفة الطاهرة مع رجل حتى ولو كان زوجها نعم قد يكون من العسير على نفس المرأة أن تحتمل ضرة تشاركها زوجها وتأخذ منها نصف اهتمامه ، وهنا يتعارض أمران : ضرر الزوجة الأولى من الزواج عليها ، وهو ضرر يسير يرجع الى غيرة المرأة وأثرتها وخوفها من المستقبل ، يقابله مصلحة كبرى لامرأة فى الاقتران برجل، وتفويت تلك المصلحة عليها يؤدى الى ضرر أكبر وشرور أكثر ، حين نعمل على حرمان تـلك العلاقة الوليدة من حياة الشرف والفضيلة فى ظلال المشروعية التى أحلها الله .

فضرر الزوجة الأولى يسير فى مقابلة تـلك المصالح المتعددة لامرأة ثانية وللمجتمع ككل ، واهمالها يؤدى الى تفويت تلك المصالح ، فوجب أن يعول عليه ، تأسيسا على القاعدة الفقهيـة التى تقرر أنه اذا تعارض ضرران روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما (١) ، مع توازن حـق الزوجتين معا فى اطار العدل الذى أمر الله به وجعله شرطا للتعدد ، مما يضمن احترام حـق الزوجة الاولى وعدم الاضرار بها .

ثانيا : بالنسبة الظروف الخاصة :

❋ وهى تتمثل فيما يطرأ أحيانا عـلى حياة الزوجية من أمور تجعل التعدد ضرورة لازمة ، فقد تكون الزوجة عقيما عقما أصيلا ، أو قد تصاب بالعقم بعد زواجها ، فلا تحقق فى كلتا الحالتين أهم غرض من أغراض الزواج ، وقد تصبح على أثر اصابتها بمرض جسمى أو عصبى أو بعاهة غير صالحة للحياة الزوجية فى أخص شئونها ففى هذه الأحوال وأحوال أخرى كثيرة من نوعها يكون زواج الرجل بغير زوجته ضرورة لازمة لضمان الاستقرار العائلى (٢) ، وتحقيق الأغراض العمرانية من الـزواج ، والوقاية من الوقوع فى الرذيلة .

وكثيرا مايكون بقاء الزوجة الاولى فى عصمة زوجها فى مثل هذه الأحوال أكرم لها هى نفسها وأدنى الى صيانتها من طلاقها ، فان طـلاقها يعرضها لكثير من المآزق ، ويهدد كثيرا مـن كرامتها ومكانتها الاجتماعية ، وخاصـة اذا لاحظنا أن مثلها لا يرغب فى الزواج بها للاسباب نفسها التى دعت زوجها للزواج عليها .

❋ وغنى عن البيان أن هذه الأوضـاع لاتتلاءم مطلقا مع نظام وحدة الزوجـة لأن السير على هذا النظام مع وجود الأوضـاع التى ذكرناها يقضى فى معظم الشعوب الانسانية ان لم يكن فى جميعها على نسبة كبيرة من النساء بأن يظللن طوال حياتهن عوانس بدون زواج ، ويوقع ذوى الضرورات الخاصـة فى العنت

(١) الاشباه والنظائر ــ لابن نجيم ص ٨٩ .
(٢) دكتور على عبد الواحـد وافى ــ نفس المرجع ــ ص ١٣٠ وما بعدها ، وفضيلة الشيخ الشعراوى ــ المرجع والمكان السابقين .

والحرج ، ويسد أمامهم السبل لحياة سليمة ولايخفى مايترتب على ذلك كله من اختلال التوازن بين الجنسين ، واضطراب الحياة الاجتماعية . ومن العجيب أن الذين يصرخون من وقوع تلك المآسى فى بلادهم هم الذين ينتقدون مسلك الاسلام فى تعدد الزوجات وحمايته للمجتمع بهذه الرخصة الالهية

ضمانات المصلحة فى تعدد الزوجات :

* والحق سبحانه حين شرع تعدد الزوجات قيده بالعدل وجعله شرطا فيه ، ليحمى المرأة مما قد يشوب حياتها من ضجر ، ويحقق الخير المرجو من ورائه ، ولا يليق بواجب العبودية له وحسن الأدب معه ، أن يشرع لنا حكما ما قرره الا لاشتماله على كل تلك المصالح، ثم نرد على الله هذا الحكم زاعمين أن فيه ضررا يبرر اهماله ، والذين يعيبون على المرأة المسلمة خضوعها لحكم الله ، لايقصدون من وراء مسلكهم هذا غير تدمير المجتمع ، من خلال تقويض كيان المرأة بعد زلزلة الايمان فى قلبها ، فليس هناك أجدى لها من الامتثال لحكم الله ، ولتعلم أن أحكام الاسرة كغيرها من الاحكام فيها معنى التكليف ، أى الزام النفس بما فيه كلفة ومشقة ، وتوطينها على الصبر ، ليكون عمل الانسان فى الدنيا رصيدا له عند الله الذى شرع تلك الأحكام .

أما التماس الحيل لاهمال الحكم وتعطيله ، ومحاولة استغلال الشروط التى وضعها الله له ليحقق ثماره فى حياة المجتمع على أحسن الوجوه ، للعبث به فذلك أمر غير مقبول .

وقد يكون من أعجب ما استنبط من آيات مشروعية التعدد أنها تدل على أن تعدد الزوجات غير مشروع ، بحجة أن العدل قد جعل شرطا فيه بمقتضى الآية الأولى ، وأثبتت الآية الثانية أن العدل غير مستطاع ، ويكون معناهما على هذا الفهم الخاطىء ، أن التعدد مباح بشرط العدل ، والعدل غير مستطاع ، فلا اباحة للتعدد وواضح أن هذا عبث بآيات الله ، وتحريف لها عن مواضعها ، فما كان الله ليرشد الى تزوج التعدد من النساء عند الخوف من ظلم اليتامى، ويضع العدل بين الزوجات شرطا فى التعدد بأسلوب يدل على استطاعته بقوله تعالى : « فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ » (١) ، ثم يعود ويلغى استطاعته والقدرة عليه (٢) ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

*** لقد أمر الله بالعدل بين الزوجات ، ونهى عن الاضرار بالزوجة الاولى وعدم اهمالها حتى يؤدى التعدد رسالة اجتماعية ، تشعر كل زوجة فى ظلالها ، بكامل كيانها والأهم من ذلك كله كامل ايمانها بالله عز وجل الذى ماشرع حكما الا وفيه عين المصلحة لخلقه ، وخصوم الاسلام لايعنيهم من المرأة المسلمة الا النيل من ايمانها ، واحداث الوقيعة بينها وبين ربها. ذلك هو مقصدهم ، وتلك هى أهدافهم ، من خلال ما يصرخون به من الفهم الملتوى لأحكام التشريع فى النساء ، على نحو ما رأينا فى تعدد الزوجات ، وعلى نحو ما سنرى فيما يزعمونه حول مشروعية الطلاق فى الاسلام .**

وذلك فى مقالنا القادم بأذن الله ، والله الموفق . والمستعان ..

د.عبد الله مبروك النجار

(١) سورة النساء آية ١٢٩ .

(٢) الاسلام عقيدة وشريعة ص ٢٠١ .

صورة "فوتوغرافية" للرسالة التي أرسل بها السيد الأب اليزيو كاميروتا إلى فضيلة الإمام الأكبر

" [illegible] في السماء [illegible] فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين "

إلى فضيلة الشيخ الإمام الأكبر [illegible]
الجامع الأزهر - القاهرة

تحية طيبة وبعد فأنا المرسل [illegible] أمانة أقسم إليكم بموطن الثقة لما أنتم عليه من علم واسع [illegible] أرجو [illegible] المسائل الشائكة [illegible] من قراءة القرآن [illegible] [illegible] القرآن [illegible] التوراة [illegible] في مكتبتي الخاصة [illegible] [illegible] من تلك الكتب.

وهل [illegible] الله [illegible] ؟ أليس إله واحد. فإذا كان الله واحداً فالحق أيضاً واحد ... وإذا كان الله واحداً [illegible] الله نفسه [illegible] [illegible].

ألم يتكلم الله في التوراة وأثبت كلامه بالمعجزات والبينات؟ ألم يتكلم الله في الإنجيل وأثبت المسيح تعاليمه بالمعجزات الباهرة [illegible] ؟ [illegible] التوحيد في الله ثم [illegible] المسيح [illegible] التثليث في التوحيد. ثم أتى القرآن وعاد إلى ذكر التوحيد فحسب... هل الله [illegible] ؟ هل يمكن أن يناقض الله نفسه؟ إذا [illegible] الحقائق [illegible] إلى الله.

إن الله [illegible] العقل [illegible] السليم. [illegible] القرآن [illegible] [illegible] بين الوحي الحقيقي والعقل السليم [illegible].

[illegible] موضوع [illegible] في التاريخ، [illegible] الله؟ [illegible] العظيم [illegible] ؟

[illegible] العقل [illegible] هو الدين الحق؟ [illegible] سليم العقل والجسم؟ هل أيد الله [illegible] بالمعجزات الباهرة والنبوات الصادقة؟ [illegible] تلك النبوات؟ إن التوراة والإنجيل [illegible] بالمعجزات والنبوات إثباتاً [illegible] الله ... [illegible] في غير التوراة والإنجيل؟ هل يمكن أن أقول: [illegible] الله [illegible] كذا وكذا ... [illegible] كذا وكذا؟ [illegible] [illegible] العقل [illegible] ...

وبعد هذه المقدمة اللازمة الضرورية للتوفيق بين الحق والباطل بين دين ودين، علينا أن نعالج موضوعاً آخر في جانب عظيم من الأهمية" ذلك الموضوع الذي يعرفه بطريق الله وكتابه على ما نعرف.

عندما نأتي بكلمة «إنسان» نعني على الإنسانية بكمالها. مثلاً «الإنسان ناطق» الإنسان جسم وروح، أنا إنسان، أنت إنسان، هو إنسان... بيد أن الإنسان هنا على الطبيعة الإنسانية الواحدة فيها، والطبيعة البشرية مع كونها واحدة لدى الجميع فتشمل اليوم أكثر من أربعة مليارات شخص!

وهكذا شيئاً عن كل القياسات يجب أن نفهم أن القول «الإله» لا يدلك على شخص ما بأشخاصه ولكن على طبيعة معينة... نعم إله واحد عبارة عن طبيعة إلهية واحدة. ومن يتساءل هل كان في تلك الطبيعة الإلهية الواحدة شخص واحد أو أقنوم واحد أم اثنان أو أكثر؟ هو الوحي الذي يرشدنا لا العقل البشري إذ فاقت هذه الأسرار إدراك العقل.

ويريد العقل لساناً في مسألة الاشتراك... نعم إننا لا نشترك في الطبيعة الإلهية من كان غير الله... إذن ما من شك في تعاليم المسيح الذي علمنا في كل صفحة من الإنجيل تقريباً أن هنالك ثلاثة أشخاص هم الآب الذي أرسله والابن الذي أُرسل والروح القدس الذي سيرسله الابن عند عودته إلى الآب. ثم ما من تناقض بين العقل والوحي بهذا التفسير اللازم الضروري.

علينا في كل أمر أن نميّز ونعرف كل شيء في الفلسفة والدين وهذا أهم موضوع. فإذا ميّزنا بين الطبيعة الإلهية الواحدة والأقانيم الثلاثة" فهناك لا إشراك أبداً لأن الآب إله والابن إله والروح القدس إله من طبيعة المثال. ولما كان القرآن لا يميّز بين هذه الأمور فلا بدّ له من أن ينكر حقائق الدين المسيحي بالمصطلح الوحدة" لا بدّ له من أن ينكر ألوهية المسيح وبنوته الحقيقية...

إن كلمة [illegible] عندما تأنس في أحشاء مريم البتول نازلة من السماء مع بقائه إلهاً أضحى أيضاً إنساناً أي حل في شخصه طبيعتين" الإلهية والإنسانية. فمن حيث هو إله كان يجري المعجزات" أكبرها القيامة من القبر بقوته الذاتية لا بإذنه تعالى. ومن حيث هو إنسان تعرّض للضعف مثلنا" تألم في حياته ومات على الصليب تماماً للتجسد إذ ما شبه لهم" لأنه لو لم يتألم ومات لما كان فدى الجنس البشري من الخطيئة" لما كان فتح باب الجنة ثانية لجميع الصالحين... ثم إن القرآن يذكر مراراً أن الله أكرم التوراة والإنجيل ومع ذلك يناقض مبادئهما الجوهرية. هل الله نقض نفسه أم هل الإنسان حرّف الكتب؟ إن [illegible] الكتب [illegible] تحريف الكتب فمن يجوز أن أنكر أن المسلم سيكون في النار خالداً؟ كلا ثم كلا!! [illegible] القرآن [illegible] ما هو مسلّم به منذ قرون في الأناجيل؟

تلك هي المسائل الشائكة التي أعرضها على فضيلتكم عسى أن يكون حلها للاختلاف الواقع في التاريخ" ونحن جميعاً إخوة في الله وإليه مرجعون... وإنما أنتظر جواباً شافياً من لدنكم" أتشرف بأن أرفع إلى فضيلتكم أطيب التمنيات القلبية" وتفضلوا بقبول مزيد الشكر سلفاً ووافر الاحترام.

الراجي لكم بطول العمر والتوفيق

الإسكندرية في ٥/٣/[illegible]

D. Eliseo Camerota الأستاذ الأب إليزيو كاميروتا

Dlisecamerota.



جميل أن ينافس أهل الفكر أهل الذكر فى التحصيل والسعى وراء المعرفة ، طالما كانت تلك المعرفة من الينابيع الاصيلة ، والمصادر الوثيقة ، وطالما كان لأهل الفكر دين يعصمهم، وعقيدة تحصنهم من الافتتان بكل ما يقرأون، وطالما كانت قناعتهم بما يقرأون لا تتعارض مع نص ، ولا تتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ولا تتباين مع روح الشرع وجوهره .

ولئن كان ذلك جميلا ، ويستحق التقدير والتشجيع ، فانه مما يملأالقلب اسى ، أن يطالعنا بعض من أهل الفكر بين الحين والحين بما لا يصلح الا أن يسمى « فرقعات » .. اما من بنات افكارهم ، أو هى ترديد لنغمات غيرهم .

وكان آخر هذه الفرقعات أو من بينها مقالين الكاتب حسين أحمد أمين عن موضوع « الحجاب » والكاتب يعمل بالسلك الدبلوماسى وابن للمرحوم أحمد أمين ، الذى قدم للمكتبة الاسلامية : « فجر الاسلام » « وضحى الاسلام » ، « وظهر الاسلام ». وبحكم نسبه ، وبحكم عطنه ، يجب الا يستهان بما يكتبه . وليس من المصلحة التغاضى عن مغالطاته .

ولقد انبرى للرد عليه وتفنيد أقاويله وادعاءاته علماء أجلاء ، وآخرون من ذوى الغيرة على دينهم ، فكان ردهم مفحما ، وتفنيدهم ملجما ، لذلك فانى لن أتناول كل المغالطات التى ملأت هذين المقالين ، وسأكتفى فقط بالتركيز على بعض منها :

ففى مقاله الأول : ـ اعتبر الكاتب فرض الحجاب أحد الانظمة المرتبطة بمفاهيم طارئة على المجتمع ، أو مستحدثة بعد ظهور النظام القبلى والطبقية فى المجتمع ، وأنه فى بداية أمره كان سمة مميزة لنساء الطبقة العليا ، ثم زاحمتهن فيه نساء الطبقتين الأدنى ، تشبها بهن ، ولما تخلى عنه نساء الطبقة العليا فى قرننا مجاراة وتأثرا بالحضارة الغربية ، لم يتبعهن نساء الطبقتين الأدنى حماية للذات ، ومحاربة للغزو الغربى الاقتصادى ، ومن هنا كان الربط « المصطنع » ـ كما هو مفهوم من كلامه بين الحجاب والدين ، وهو اذ يعتبر الحجاب نظاما اقتضته ظروف المجتمع ، ولادخل للمشرع فيه ، نراه فى الوقت ذاته يسوق نصوصا حرفية وردت فى : العهد القديم ، والعهد الجديد المتداولين ، تتحدث عن « البرقع » و « النقاب » وتحث النساء عليهما ، مما يثبت مغالطته وتناقضه مع نفسه



لفضيلة الشيخ :
مهدى عبد الحميد مصطفى

فيما يدعيه .

ولئن كان الكاتب يهدف فيما يسوقه الى اثبات أن الحجاب كان معروفا وسائدا فى مجتمعات ما قبل ظهور الاسلام ، فاننا لا ننكر عليه ذلك ، بل نقول له : ان الاسلام سبقته شرائع كثيرة ، وان تلك الشرائع كحلقات متماسكة ومترابطة ،وانها دعت الى الحجاب، وما سقته من نصوص الكتاب المقدس خير شاهد على ذلك .

والاسلام يعلن فى وضوح : أن شرع من قبلنا شرع لنا الا اذا وجد فى شرعنا مايخالفه وان من الخطأ الشائع مرادفة المرأة المحجبة للمرأة المسلمة فقط مع أن الحجاب كان معروفا بين العبرانيين من عهد ابراهيم ــ عليه السلام ــ وظل معروفا بينهم أيام أنبيائهم جميعا الى ما بعد ظهور المسيحية ، وجاء الاسلام ــ كدين خاتم ظاهر على الدين كله ، ومهيمن بكتابه على الكتب السابقة ــ موجبا للحجاب المانع من الغواية ، والحائل دون التبرج والفضول .

كما حاول الكاتب فى بعض من غمزاته وشطحاته : أن يقلل من شأن الحديث النبوى، ويشير اليه بعبارة « الاحاديث المنسوبة الى النبى » وكأنه غير مقتنع بها ، ولا معترف بأن الرسول قالها ، فساقها فى اطار يدل على استخفافه بها ، وهذا نلمسه من خلال تناوله لمعانى الاحاديث التى دلت على أن صوت المرأة عورة ، وأن غالبية أهل النار من النساء. وأنه ما اجتمع رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما ، ونحو ذلك وفى هذا ما فيه من التشكيك فى الاساس الثانى للبنيان الاسلامى بعد كتاب الله وأعنى به سنة رسول الله التى قرنها الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ بالقرآن كأساس للهداية والاستقامة والالتزام بالمنهج الربانى ، وتجنب الزيغ والضلال ، وذلك فى معنى قوله : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى » .

وفى المقال الثانى للكاتب : قدم لكلامه بالمعنى اللغوى لكلمة : « حجاب » حسبما وردت فى لسان العرب . بأن معناها : الستر ، والحائل بين شيئين .. ثم استعرض الآيات التى وردت فى القرآن مشتملة على كلمة « حجاب » مستنتجا أنه لم تأت كلمة «حجاب» فى أى فيها بمعنى الحجاب المراد منه ستر الجسم ، وبنى على ذلك حكمه بأن القرآن لم يفرض الحجاب .

وليسمح لنا الكاتب أن نسأل : مادمت لديك قناعة بأن معنى الحجاب : الستر ، والحائل بين الشيئين .. أفلا ترى فى أمر الله لنبيه بأن يدعو زوجاته ، وبناته ، ونساء المؤمنين ليدنين عليهن من جلابيبهن سترا وحائلا دون التعرف والايذاء ؟؟؟

أهل الفكر.. وأهل الذكر

ثم أترى حفظ الفرج يمكن أن يتم دون الوصول الى التشهى الذى يقود الى الفاحشة ؟؟

ثم أترى حفظ الفرج يمكن أن يتم دون ستره والحيلولة دون رؤيته ؟؟؟

ثم ألا ترى فى ضرب الخمار على الجيوب سترا وحائلا دون الكشف عن مواطن الفتنة؟؟

ثم الا ترى أن النهى عن ابداء الزينة سترا وحائلا دون الغريزة ؟؟؟

ثم الا ترى أن النهى عن الضرب بالأرجل حتى لا تنكشف السيقان ولا تظهر الملابس الداخلية سترا وحائلا دون ابداء ما يوقظ الشهوة ؟؟؟

ان ذلك كله قد جمعته الآيات الكريمات التى أوردتها .

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الآية ٥٩ من سورة الاحزاب) « وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ... الى قوله سبحانه : « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » الآية ٣١ من سورة النور)

وفى نفس المقال .. يحاول سيادة السفير أن يفسر قول الله فى الآيتين : ٣٢/٣٣ من سورة الاحزاب : « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... » بأن ذلك الاوامر والنواهى خاصة بنساء النبى ، ونحن نسأل : هل التقوى وعدم التكسر فى القول ، وقول المعروف .

وعدم التبرج ، واقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله ، واجبة فقط على نساء النبى ، وبقية النساء المسلمات لا يجب عليهن ذلك ؟؟؟

وهل النهى عن التبرج غير محقق للستر المراد من المعنى اللغوى لكلمة « حجاب »؟؟؟

والكاتب حين يتجاوز تخصصه ، ويتعرض لأحاديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما لايليق ، ويعتبر ماورد منها فى أمر الحجاب مخترعا ، فاننا نقول له : الزم غرزك ياسيادة السفير ، فلست أنت الذى تستطيع أن تحكم على الحديث بالصحة أو عدمها ، أو بالقوة أو بالضعف ، أو بالحسن أو بالوضع ، أو بالقبول أو بالرفض .. فهذا باب ليس له الا اربابه المتخصصون واعتقد أن فى هذا القدر كفاية.

والله الهادى الى سواء السبيل

مهدى عبد الحميد مصطفى

فضل الدعاء - بقية

قال تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (١) .

قال القرطبى : « والاعتداء فى الدعاء على وجوه » :

منها الجهد الكثير والصياح ومنها أن يدعو الانسان بأن تكون له منزلة نبى ، أو يدعو بمحال ونحو هذا من الشطط .

ومنها أن يدعو الانسان طالبا معصية أو بما يخالف الكتاب والسنة ، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء) (٢) .

٧ ــ فضل الدعاء :

وللدعاء فوائد وفضائل منها :

أنه لون من ألوان الذكر ، والتقرب الى الله ، وذكر الله هو رطب النفوس ، ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها وبه تطمئن القلوب .

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ــ ومنها :

ان الاكثار من الدعاء طريق الى رحمة الله ورضوانه ، فعن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة) (٣) .

هذا وفضل الدعاء عظيم وكثير ، ولا يكاد يوجد مسلم لا ينطوى قلبه على شىء من الشوق الروحانى ، أو على شعوره بباطن بأن هناك قوة يتجه اليها بفطرته .

ان الدعاء فرج للنفوس التى تكاد تشرف على الهلاك ، وهو يمحو الخوف ، ويهب الطمأنينة للقلوب المضطربة

٨ ــ الحكمة فى تأخر الاجابة :

قد يدعو الانسان ، ولا يجد اجابة أو يتوهم ذلك فيكرر الدعاء ، وقد تطول المدة ولا يرى أثرا للاجابة ، فعلى المؤمن أن يعلم أن هذا من الابتلاء الذى يحتاج الى الصبر .

وما يعرض لبعض النفوس من القلق والوسواس ، وسوء الظن بالله بسبب تأخير الاجابة فهو مرض يحتاج الى علاج ، ويكون العلاج بالتوبة ومداومة الذكر وطاعة الله ، والاعتقاد بأن الله مالك ، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء ، حسب ما يقتضيه حكمته ولاوجه لسوء الظن والاعتراض .

ولا يقول المسلم : دعوت فلم يستجب لى » فقد تطلب شيئا تراه أنت فى مصلحتك ، والحكمة لا تقتضيه ، فقد يخفى وجه الحكمة عليك وقد يكون فى التأخير مصلحة ، وفى التعجيل مضرة .

قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : « دعوت فلم يستجب لى » (٩) .

وقد يكون امتناع الاجابة بسبب شبهة فى مأكلك أو مشربك أو ملبسك ، أو تكون فى وقت الدعاء غفلة فى قلبك ، وربما كان تأخير الاجابة سببا فى اطالة الدعاء ، ومناجاة الله ، والوقوف على بابه نرجو الله سبحانه أن يقبل دعاءنا ، ويوفقنا لمرضاته ، ويستجيب لندائنا ، ولا يشغلنا بعطائه عن ذكره ، والله الموفق .

محمد صابر البرديسى

(١) الاعراف آية ٥٥ .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٢٢٦ .
(٣) رواه الترمذى .
(٩) رواه البخارى ومسلم .

الإنسان في نظر العسكرية

الإسلامية

« ليست العبرة بالمدفع ، ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع » ..

ذلك : قول مشهور ، يعرفه رجال العسكرية فى كل مكان ، تعبيرا وتأكيدا لما يقرره العلم العسكرى الحديث ، من ان : « الانسان » هو العنصر الحاسم فى بناء الكفاءة القتالية للجيوش ، وفى قدرتها على اداء مهامها فى السلم والحرب .

والجدير بالذكر : أن الذين قرروا هذا المبدأ ، لم يصلوا اليه الا فى العصر الحديث ، وخير ما يشهد بذلك : تاريخ العلم العسكرى وفن الحرب :

فمفهوم « الانضباط العسكرى » (١) — على سبيل المثال — كان فى الماضى بعيدا كل البعد عن الاعتراف بفردية الانسان ، أو احترام ذاته ، وهو ما يعبر عنه القول المشهور لفريدريك الأكبر : « انظر الى هؤلاء الرجال ..لو اختبرتهم واحدا واحدا لوجدتهم يكرهوننى ، لكنهم متى اجتمعوا فى صفوفهم ، وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط ، فانهم يضطربون خوفا ، ويكفى أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم فى النار دون تفكير ، لأنهم يجهلون كل شىء ، حتى الغرض الذى يقاتلون من أجله » !! .

✻ ثم حدث تطور كبير فى مفهوم الانضباط ، يجعل للانسان قيمة وقدرا ، ويحترم ذاته ، حتى أصبح الانضباط يعرف فى « علم النفس العسكرى » اليوم بأنه :

« هو الحالة العقلية ، ومقدار التدريب اللذان يجعلان الطاعة والسلوك السليم أمور غريزية فى جميع الظروف » .

أى أن الانضباط الصحيح بهذا المفهوم

---

(١) الفعل « انضبط » لم يرد فى « اللسان » . ولا فى «القاموس المحيط» واورده «المعجم الوسيط» ويغلب عليه أن يكون موكدا ، والمعجم الوسيط عنى بالمولد والمعرب والدخيل ... الخ على انه أصبح مصطلحا عسكريا كما ترى .



للواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

شىء ينشأ فى عقل الانسان ، وينميه التدريب ، حتى تكون الطاعة والسلوك السليم نابعة من نفسه ، وبدوافع ذاتية ، دون أن تكون هناك قوة دافعة خارجية ، ومن أجل ذلك تطلق عليه بعض المدارس الفكرية تعبير : « الانضباط الذاتى » .

* والأمر الذى نريد أن نلفت النظر اليه ، هو : أن رجال العسكرية وعلم النفس لم يقرروا ذلك لدوافع انسانية مجردة ، بل ان تطور شكل الحرب هو الذى دفعهم اليه ! ففى الحروب القديمة كانت الجيوش تحارب فى صفوف وجماعات متراصة ومتلاصقة ، فكانت « شخصية الفرد » تذوب فى الجماعة التى تجرفه معها ، وتدفعه وتحجب نقط الضعف التى فيه ، بسبب شعوره بأن الجماعة تنظر اليه وترقب سلوكه ، واحساسه المعنوى بالطمأنينة لوجود زملائه على جنبيه ومن خلفه ، فضلا عن أن رقابة الضابط الذى يقود الجماعة رقابة محكمة ، فهو يراهم رأى العين ، ويسيطر عليهم بصوته لقربه منهم ، ولكونهم متجمعين .

* أما الحرب الحديثة التى ظهرت فيها أسلحة القتال ذات قوة النيران الهائلة ، وأسلحة « التدمير الشامل » مثل : القنابل الذرية ، فقد اضطرت الجيوش الى الانتشار على مساحة واسعة من الأرض لتقليل الخسائر فى الأرواح والمعدات ، فانفرط عقد الصفوف ، وأصبحت هناك مسافات بين الجندى وزميله ، بل ان الجندى الواحد قد يواجه وحده موقفا فى المعركة لا يخلصه منه الا تفكيره وتصرفه وحدهما ، كذلك أصبحت سيطرة القائد على جنوده أكثر صعوبة وتعقيدا عن ذى قبل ، مما يمكن معه القول ان عنصر الرقابة المباشر على الجندى فى الميدان لم يعد ميسورا .. وأهم ما يستخلص من هذه المقارنة بين : الحرب القديمة ، والحرب الحديثة من حيث طبيعة كل منهما ، وموقف المقاتل الفرد فيهما ، أنه لا قيمة للفرد الذى تعود الا يؤدى واجبه الا اذا كان هناك رقيب عليه ، أو قوة ترغمه على أدائه ، بل ان مثل هذا الفرد يصبح وبالا على الجماعة ، اذ قد يؤدى اهماله أو تقاعسه (وهو فرد واحد) الى هزيمة القوة وهلاكها .. وهكذا لم يعد الانضباط العسكرى « فى صلب الجماعة » كما كان بالأمس ، بل أصبح فى « صلب كل فرد » ..

الاقتناع لتوليد الدافع الذاتى :

* وأدرك خبراء علم النفس العسكرى ، أن تحقيق هذا النوع من الانضباط « الذاتى » لا يتأتى الا على أساس الاقتناع الذى يولد لدى الفرد « الدوافع الذاتية » الى طاعة الأمر ، والسلوك السليم ، دون رقابة خارجية .



ثم قرر هؤلاء الخبراء ، انه لابد من أن يعرف المقاتل « الهدف الذي يحارب من أجله » ومن أجل ذلك ظهرت : « مدرسة العقيدة » التي تنادي بأن يكون للمقاتل « عقيدة قتالية » تقدم له الاجابة عن التساؤل الذي يدور في نفسه « لماذا أقاتل » ؟ ، وانطوت الى غير رجعة «المدرسة الجبرية » التي تقول : بأن على الجندي الطاعة العمياء ، والقتال دون أدنى تفكير أو تساؤل ، ولا تؤمن بضرورة اعداده معنويا من خلال عقيدة قتال معينة ، ولا بضرورة تفهمه للهدف الذي يقاتل من أجله • وهو ما عبر عنه أصدق تعبير قول فريدريك الأكبر الذي ذكرناه : « يكفي أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم في النار دون تفكير ، لأنهم يجهلون كل شيء ، حتى الغرض الذي يحاربون من أجله » ••

❋ وهكذا : يتضح كيف أن « نظرية العقيدة » التي نشأت وحلت محل « النظرية الجبرية » تؤمن بفردية المقاتل ، وتحترم شخصيته ، وتدرك حقيقة أن المقاتل المنتصر ، هو الذي يدخل المعركة مشبعا بعقيدة معينة ، ومقتنعا بالهدف الذي يقاتل من أجله •

تقدير العنصر الانساني :

❋ وهكذا نرى كيف أن الاهتمام بالعنصر الانساني وتقدير قيمة الانسان ، قد نشأ في العصر الحديث ، وأن الذي دفع الخبراء ، والمفكرين الى هذا الاهتمام ، هو : التطور الذي طرأ على شكل الحرب وطبيعتها •• وقد نشأت نتيجة لذلك أفرع متخصصة من علم النفس : كعلم النفس الحربي ، وعصاب الحرب (أي الاضطرابات العصبية والنفسية، التي تحدث للمقاتل في الحرب) ، كما أنشأت الدول والجيوش المتقدمة الأجهزة المختصة بكل ما يتعلق بالقوة البشرية ، من : توجيه ، واختيار ، وتدريب ، ورعاية انسانية ، واجتماعية ، وغيرها ، وأصبح هناك من الضباط من يسمون « ضباط التوجيه المعنوي » لمعاونة القائد في القضايا المعنوية ، وغرس عقيدة القتال في أفراد الجيش •

❋ ولم يقف الاهتمام بالمعنويات عند هذا الحد ، بل لقد أصبح « العامل المعنوي » يحتل مكانا هاما في التخطيط الاستراتيجي في الجيوش ، اذ قد يصبح هو العامل الذي يحكم صدور القرار ببدء العمليات الحربية ، أو تأجيلها ، أو التخلي عنها ، وأضاف خبراء الحرب الى « مبادىء الحرب » التي يتعلمها العسكريون في كل مكان ، مبدأ جديدا هو : « الروح المعنوية » كما أصبح « تدمير الروح المعنوية للعدو » من أهم الأهداف الاستراتيجية التي تسعى الجيوش المتصارعة الى تحقيقها ، فتراها تخطط « للضربات » التي تستهدف تدمير المعنويات ، وتجريد الأعداء من ارادة القتال ، سواء بالعمليات القتالية أو بأساليب الحرب النفسية •

وها هو ذا المشير مونتجمري ، يعبر عن أهمية العامل المعنوي فيقول : « ان أعظم عامل من العوامل المؤدية الى تحقيق النجاح هو : روح المقاتل ، وانه لأمر جوهري وهام ،

أن يفهم المرء أن المعارك تكسب أولا وقبل كل شيء في قلوب الرجال » ..

قيمة الانسان في نظر الاسلام :

* والحق أن ما وصل اليه الفكر العسكري في عصرنا من تقدير لقيمة الانسان هو أمر مبدئي في نظر الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا .

فالاسلام ينظر الى الانسانية عامة نظرة التكريم والاحترام ، ويضع من القواعد والأصول والأحكام ما يصون للانسان كرامته ، وحقوقه في الحياة ، فالعدل والرحمة والمساواة في الحقوق والواجبات ، أمور يفرضها الله لجميع الناس ، ما لم يكن منهم اعتداء وخروج عن حدود الله ، وكرامة الانسان حتى نوه الله به حيث قال : « **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** » (الاسراء ٧٠) .

* وقد قرر الاسلام مبدأ الحرية والكرامة الانسانية ، وحرر شخصية المسلم من العبودية لغير الله تعالى في كل ميدان من الميادين .

والاسلام في جهاده لتثبيت العقيدة وارساء دعائم التوحيد ، كان يتحرك من خلال اطار عام يحمي الحرية ويصونها ، قال تعالى : « **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » ، وبأسلوب الاقناع والمجادلة بالتي هي أحسن كما في قوله تعالى : « **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** » (النحل ١٢٥) .

* كذلك قرر الاسلام مبدأ الحرية في النفس والمال والعرض ، فنفس الانسان في الاسلام معصومة لا يجوز الاعتداء عليها ، أو النيل منها ، وكذلك مال الانسان معصوم لا يؤخذ منه شيء الا بحقه ، وكذلك عرض الانسان لا يهان ولا يخدش ، كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل المسلم على المسلم حرام..دمه وماله وعرضه » (١).

*** الانضباط الذاتي في الاسلام :**

* والانضباط في توجيهات الاسلام : « انضباط ذاتي » ، يقوم على الحرية والكرامة الانسانية ، « فالطاعة » التي هي الدعامة الأولى للانضباط ، يوضح الاسلام فلسفتها ومغزاها الاجتماعي ، فهي ليست « خضوعا للسلطة » بل هي « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة : يقول الله تعالى : « **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** » وأولو الأمر هم الذين

(١) الحديث جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب : تحريم ظلم المسلم وخذله ... الخ ج ٤ ص ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤ طبعة الحلبي من رواية أبي هريرة . "محمد الباجوري .

لتتمهم الله على من هم في رعايتهم ، ممن هم دونهم في الرتبة ، ويقول جل شأنه : « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » (النساء ٦٩) .

*ويوضح الرسول عليه الصلاة والسلام ضرورة القيادة لصالح الجماعة فيقول : « اذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » (٢) كما يأمر بالطاعة فيقول : « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » (٣) .

لكن الطاعة التي يريدها الاسلام ليست « عمياء » بل هي الطاعة الواعية البصيرة : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (٤) .

* واذا كان المفكرون قد اختاروا اصطلاح « الانضباط الذاتي » لكي يعبر عن الدوافع الذاتية للطاعة ، والسلوك الصحيح ، بغير حاجة الى رقيب ، فان الاسلام عني بتكوين « الضمير الديني » للمسلم ، بحيث يندفع الى أداء واجبه على أكمل وجه ، بقوة ذاتية نابعة من داخله ..

فالضمير الديني للمسلم هو الذي يدفعه الى أن يرعى الله في عمله ، لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم » في العبادة فيقول : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وينفرد الاسلام في هذا المجال بمزايا لا تتسامى اليها النظم الوضعية في بناء الانضباط الذاتي ، فانه لم يجعل نتيجة الخوف أمرا سلبيا ، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا ، وثمرة أخرى فوق الخلاص من العقاب ، وهي الثواب الجزيل ، والأجر العظيم ، وذلك ما يفهم من قول الله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ » (النازعات ٤٠ ، ٤١) « وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » (الرحمن ٤٦) ومثل هذا قد تراه في حديث القرآن الكريم عن الخشية كقوله عز من قائل : « إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

---

(٢) الحديث أخرجه أبو داود بلفظه في سننه في كتاب الجهاد باب : في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ج ٣ ص ٣٦ رقم ٢٦٠٩ المطبعة التجارية من رواية أبي سعيد الخدري .
أحمد الباجور

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاحكام ، باب : السمع والطاعة ج ٩ ص٧٨ طبعة الشعب بلفظه مع ذكر لفظ « وان استعمل » بدلا من « وان ولى » من رواية انس بن مالك .
أحمد الباجور

(٤) الحديث أخرجه الامام أحمد في مسنده بالفاظ منها « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » مجمع الزوائد للهيثمي كتاب الخلافة باب : « لا طاعة في معصية » ج ٥ ص ٢٢٦ طبع دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة الثالثة وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .
أحمد الباجور

رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» فجمع لهم بين المغفرة والأجر العظيم .

التدريب على الانضباط :

* ولا يكتفى الاسلام ببناء الانضباط على الأساس العقلى العميق فحسب ، بل يعنى أيضا بالتدريب العملى عليه حتى يصبح لدى الفرد عادة وسجية (وهذا ما وصل اليه علم النفس كما يتضح من تعريف الانضباط الذى ذكرناه ، والذى يجمع بين الحالة العقلية ومقدار التدريب) .. ولذلك نرى الاسلام يعنى بالتربية السلوكية فى عباداته لكى يغرس فى الفرد عادة السلوك السليم ، وينميها حتى تصبح جزءا من كيانه لا يتخلى عنها أمام أى ظرف من الظروف .

* فالصلاة لا يمنع من أدائها مرض أو دخول فى معركة ، لأنها ذكر الله ، وقد أمرنا أن نذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا ، فاذا نادى المؤذن « حى على الصلاة » لبى المسلمون دون حاجة الى من يرغمهم لأنها صارت عادة ، وفى أثناء الصلاة يتعلم المسلمون تسوية الصفوف حيث جعلت هذه التسوية من تمام الصلاة ، ويتقدم الامام صفوف المصلين ، ولا دخول فى الصلاة الا بدخوله ، ولا ركوع الا بركوعه ، ولا سجود الا بسجوده ، ولا سلام الا بسلامه ، والا بطلت صلاتهم ، ويتكرر هذا المظهر كل يوم خمس مرات ، وفى كل مرة يتأكد الشعور بالانضباط .

* كذلك فريضة الصيام تعود المسلم على الانضباط النابع من داخل ذاته وليس من خارجها ، فالصيام والامساك فى رمضان عن المشتهيات ، وضبط النفس عن متطلباتها ، والصمود أمام هذه المتطلبات بحزم وعزم واصرار ، من فجر كل يوم الى غروب شمسه ، ومن أول يوم فى رمضان الى آخر يوم فيه ، لهو نوع من التدريب على الانضباط الذاتى ، وامتحان قاس لعزيمة الانسان ، وقوة ارادته ، ومبلغ استعداده للصمود والتضحية من أجل عقيدته ، ومبادئه ، وأهدافه العليا ، وغاياته السامية .

* وفى الزكاة طاعة لله باخراج الجزء الواجب اخراجه بلا رقابة من أحد ، وبالقدر المحدد .

* وفى الحج يقف المسلمون جميعا دون مخالفة فى مكان واحد ، هو جبل عرفات ، وبدونه لا يكون حجا ، فالجميع فى وقت واحد ، وزى واحد ، وتلبية واحدة ، هى هتاف واحد ، الهى رائع : «لبيك اللهم لبيك» .

العقيدة القتالية فى الاسلام :

* واذا كانت « النظرية الجبرية » فى دفع المحاربين الى القتال هى النظرية التى سادت فى الحروب قديما ، وظلت سائدة الى عهد قريب ، حتى ظهرت الأسلحة الحديثة ، فتحولت الأمم عنها الى نظرية تعتمد على غرس الدوافع الذاتية فى نفوس المحاربين ،

وتعريفهم بالهدف الذى يحاربون من أجله .

فان الاسلام قد قرر منذ أربعة عشر قرنا نظرية الدوافع التى تحرك الانسان عن ايمان واقتناع ، وليس عن جبر أو قسر ، لأن الحرية ، والاختيار ، والاقناع ، من أصول الدعوة الاسلامية ، فعقيدة « الجهاد فى سبيل الله » تتناول شخصية المجاهد ، وتكوينه النفسى ، والوجدانى ، وسلوكه الاجتماعى ، وتنمى لديه الاتجاهات النفسية الايجابية ، التى تحركه — ذاتيا — نحو الاستبسال فى القتال فى سبيل الحق واعلاء كلمة الله ..

* فالمسلم المجاهد ، يدرك بفطرته السليمة « تكريم » المولى سبحانه وتعالى له ، « باختياره » لأشرف مهمة ، وهى الجهاد فى سبيل الله ، كما فى قوله تعالى : « **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ** » (الحج ٧٨ — اجتباكم يعنى اختاركم) وهو يدرك أيضا مغزى هذا الاختيار ، وما ينطوى عليه من التزام ، اذ أن هناك فرقا كبيرا بين أن تقول لشخص ما : « مهمتك هى كذا » .. وبين أن تقول له : « مهمتك كذا ، وأنا اخترتك لأدائها » .. فالقول الثانى ينطوى على معانى الثقة والأمل والتكريم ، وكلها من أكبر الحوافز المعنوية ، كما يترتب على الاختيار :

التزام المكلف بالعمل بأن يكون عند حسن الظن به ، وأن يثبت عمليا أنه جدير بالثقة التى وضعت فيه ، وأهل التكريم الذى ناله ، وقادر على تحقيق الأمل المعقود عليه .

* واذا كانت الدول عند صياغتها للعقيدة القتالية لجيوشها ، تربط هذه العقيدة بأهدافها السياسية ، فهى لا تتسامى الى عقيدة الجهاد المرتبطة بالدين الحنيف ، وهذا الارتباط بالدين يميزها بالثبات والاستقرار ، لأن الدين أثبت وأدوم من السياسة ، وبالنبل والشرف والعدل فى الغاية والوسيلة ، لأن السياسة غالبا ما تخضع للأهواء ، والمطامع والمصالح .

ثم ان هذه العقيدة النابعة من الدين ، تولد أقوى الدوافع على الاطلاق ، حيث يجد فيها المجاهد الوسيلة الى الظفر بمرضاة الله ، والى دخول جنة عرضها السموات والأرض .. انظر الى كل الدول تجدها مثلا تعمل على تنمية دافع الوطنية فى نفوس أبنائها منذ نعومة أظفارهم لكى يقف الجندى مدافعا عن وطنه المهدد بالخطر ، ممتلىء النفس بالعاطفة الوطنية ، ومستعدا للتضحية بالروح فى سبيله .. لكن .. ما « الوطنية » الى جانب « اعلاء كلمة الله » ؟ .

اذا كانت النفس يزيدها حب الوطن قوة بمقدار مافى الوطن كله من قوة ، فما أكثر ما يزيدها الايمان بالوجود كله وبخالق الوجود كله من قوة ..

الشورى وصنع القرار :

*وتنطوى قاعدة الشورى فى الاسلام على تكريم للانسان ، واعلاء قيمته ، فضلا عما فيها من خير ومصلحة لجماعة المسلمين ،

فلقد أمر الله تعالى رسوله بأن يشــــاور أصحابه فقال : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » (آل عمران ١٥٩) .

كما ورد ذكر الشــــورى فى القرآن بين الصلاة والانفاق لأهميتها وخطـرها كمـا فى

قوله تعالى : « وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (الشورى ٣٨) .

* ولم تكن الشورى وأمر الرسول صـلى الله عليه وسلم بها ـــ وهو الذى يتنزل عليه الوحى ـــ الا تعليما لهذه الأمة ، واعـلانا بأن فى تحقيق مبدأ الشورى من الفضل والخـير ما يؤمن معه العثار ، ويحفظ الأمة من الزلل ، كما أنه شيمة العقلاء ، ومنهم الحكماء ـــ فما ندم من استشار ـــ وما شقى عبد بمشورة ، وما سعد باستغنائه رأى » .

وقد جرت سنته عليه الصلاة والسلام على تطبيق مبدأ الشورى فى كل الأمور الحربية وغير الحربية حتى قـال عنـه أبو هريرة رضى الله عنه : « مـا رأيت احدا قط كان اكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

محمد جمال الدين محفوظ

تصحيـــح

فى بيانات الغلاف وصفحة الوجه فى كتـاب : (المختصر فى مصـطلح اهـل الأثر) الذى كان هـدية العدد الرابع من مجلة الأزهر الصـادر فى مفتتح ربيع الآخر سنة ١٤٠٥ هـ جاءت العبارة « تحقيق المختصر من مصطلح الأثر للشيخ الشنشـورى » ٩٣٦م ـــ ٩٩٨م وهذا على خلاف ما ذكر الأستاذ المحقـق فى الكتـاب ، والصحيح :

(المختصر فى مصطلح اهل الاثر للشيخ الشنشـورى ٩٣٦ هـ ـــ ٩٩٨هـ)
لـذا لزم التنويه بالتصحيح للسادة القراء ..

من أعلام الأزهر

الشيخ صالح موسى شرف

الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية تنعى فقيد العلم والدين فضيلة المرحوم الشيخ صالح موسى شرف عضو مجمع البحوث الاسلامية

١ ــ ولد في قريته بني عدى ، مركز منفلوط ، محافظة أسيوط في ١٩٨٤/٧/١٨ م وحفظ القرآن الكريم في مكتب الشيخ / محمد الدردير الذى ينتسب الى العارف بالله سيدى أحمد الدردير ــ رضي الله عنه .

٢ ــ توجه الى الأزهر الشريف للدراسة فيه عام ١٣٣٧ هـ ، وقد تأثر بثلاثة من أساتذته العلماء ، وهم أصحاب الفضيلة الشيخ / عبد الحكم عطا ، والشيخ / يوسف الدجوى ، والشيخ / محمد حسنين مخلوف ، والد المفتى الأسبق لمصر .

وقد مكث في الأزهر ثماني سنوات ، ثم تقدم لامتحان الشهادة الأهلية التى تؤهل حاملها لدخول القسم العالى ، وكان الامتحان شفويا وتتألف لجنة الامتحان من ثلاثة من كبار العلماء ، فنجح في الحصول عليها وكان ترتيبه الأول ، ثم واصل دراسته في القسم العام الى أن فتح باب الامتحان في شهادة العالمية فتقدم لها ، وكان ترتيبه الثالث من بين الناجحين .

وعين فضيلته اماما وخطيبا ومدرسا بوزارة الأوقاف التى أرسلته الى احدى قرى مركز بني مزار بالمنيا ، وكان أول عالم يصل الى هذه القرية ، ثم نقل الى مسجد معهد أسيوط الدينى ، وكان هذا المسجد محلا للدراسة .

ولما أدخلت العلوم الحديثة الى الأزهر أعلن عن مسابقة للعلماء في هذه العلوم ، فدخلها ونجح فيها ، وعين مدرسا في معهد أسيوط ، وكان من تلاميذه في هذا المعهد أصحاب الفضيلة الشيخ / محمد نايل ، والشيخ / محمد قناوى ، والشيخ / يحيى عبد العاطى .

ثم نقل فضيلته الى معهد الزقازيق ، ثم الى معهد أسيوط مراقبا للمعهد ، وفي عام ١٩٣٨ م نقل الى كلية أصول الدين بناء على طلب فضيلة الشيخ / اللبان شيخ الكلية ، وعهد اليه تدريس مادة التوحيد ، ومادة المنطق في جميع السنوات .

« الوظائف الادارية التى تقلدها »

١ ــ عين وكيلا لمعهد الاسكندرية في عهد المرحوم الشيخ / المراغى شيخ الأزهر .

وفي عام ١٩٤٥ م عين عضوا بهيئة كبار العلماء لتأليفه كتابا في التوحيد عالج فيه

أربعة عشر موضوعاً ثار فيها الجدل بين المتكلمين .

وفى نفس العام عاد الى كلية أصول الدين للتدريس بها مرة أخرى .

ثم عين شيخا لمعهد أسيوط حتى عام ١٩٥٢ م .

ثم عاد الى كلية أصول الدين مدرسا .

٢ ــ فى عام ١٩٥٤ م عين سكرتيرا عاما للأزهر فى عهد فضيلة المرحوم الامام الأكبر الدكتور / عبد الرحمن تاج ، ثم انتدب وكيلا للأزهر .

وقد أحيل الى التقاعد عند صدور قانون تطوير الأزهر قبل بلوغه السن القانونية بشهرين .

« مؤلفاته »

١ ــ رسالة التوحيد للسنوات : الأولى ، والثالثة والرابعة ، بكلية أصول الدين .

٢ ــ رسالة المنطق لشرح القطب .

٣ ــ رسالة المنطق لشرح الخبيصى .

٤ ــ رسالتان لشرح الاقتصاد فى الاعتقاد للامام الغزالى فى التوحيد .

٥ ــ تفسير سورة البقرة الذى كان ينشر فى مجلة الهدى الاسلامى بليبيا .

٦ ــ التشابه بين آيات القرآن مع بيان السر فى التشابه .



٧ ــ اجاباته عن أسئلة نشرت فى رمضان.

« من تلاميذه »

١ ــ فضيلة الأستاذ الدكتور / عوض الله حجازى عضو المجمع .

٢ ــ فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار عضو المجمع .

٣ ــ فضيلة الأستاذ الدكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

٤ ــ فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد شمس الدين ابراهيم عضو المجمع .

٥ ــ فضيلة الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين عميد كلية أصول الدين .

٦ ــ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الغزالى السقا داعية اسلامى .

٧ ــ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الصادق عرجون عميد كلية أصول الدين



(سابقا) .

* هذا ، وقد كان فضيلته يزاول الاشتغال بالعلم الى آخر حياته : مدرسا ومشرفا ومناقشا لكثير من رسائل (الماجستير والدكتوراه) فى الأزهر وخارجه ، حتى وافاه أجله فى يوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٣ من يناير سنة ١٩٨٥ م . حيث ووري جسده الطاهر التراب ، وهو اليوم الذى كان يتهيأ فيه فضيلته للسفر الى دولة الكويت لحضور المؤتمر الطبى الاسلامى عن (مبدأ الانسان ونهايته) .

* وكان آخر أعمال فضيلته انشاء (مؤسسة اسلامية عظيمة) فى قريته بنى عدى بأسيوط تحمل اسمه .

* رحم الله الفقيد بما قدم للعلم ، والاسلام ، والمسلمين .

* ولقد تذاكر السادة رئيس وأعضاء مجلس مجمع البحوث الاسلامية مآثره وآثاره فى أول جلسة عقدها المجلس بعد وفاة فضيلته بتاريخ ١٠ من جمادى الاولى سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٣١ من يناير سنة ١٩٨٥ م ، وتوالت كلمات الأعضاء الأفاضل تشيد بعلمه وخلقه وجهده فى البحث :

*** كلمة فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المجمع :**

بسم الله الرحمن الرحيم

نفتتح الجلسة ولعلنا نذكر زميلنا المرحوم فضيلة الشيخ / صالح شرف فى مناسبة انعقاد أول جلسة بعد وفاة فضيلته ، نذكره بالخير دائما بما قدم للعلم فى حياته الحافلة بخدمة العلم والدين .

*** كلمة الأستاذ الدكتور / محمد مهدى علام :**

كما تفضل فضيلة الامام الأكبر فذكره عالما من أعظم علماء العالم الاسلامى ، ثم قال : أرجو أن أسجل أن هذا الأستاذ العظيم كان منارة من منارات الاسلام ، وعالما من أعلام الأزهر عاصر أجيالا متلاحقة ، وعاصر العراقة وساهم فيها ، عاصر الخضرمة وتخضرم فيها ، عاصر الحداثة والتجديد وأسهم فيه ، شىء عظيم ، وقد مد الله فى عمره كما مد فى قامته ، وكان مثالا وقدوة فى صمته اذا صمت ، وفى حديثه اذا تحدث ، واذا جلس فى مكان أضفى عليه جلالا ووقارا ، رحمه الله تعالى .

*** كلمة الأستاذ الدكتور / سليمان حزين :**

بسم الله الرحمن الرحيم :

حينما كنت فى الجامعة — جامعة أسيوط ، شرفت بالعمل مع شخصين ، أولهما : فضيلة الشيخ / صالح شرف — رحمه الله — فقد كان سمحا ، كل رأى حاولت أن أصل فيه الى سبيل عن طريق الاتصال بالمعاهد الأزهرية بالذات فى أسيوط كان فضيلته سندا لى .

ثانيهما : فضيلة المرحوم الشيخ / دراز ، لقد كان له جانب فى العمل السياسى الى جانب العمل الدينى ، وكان مستشارى الأول فى الدين ، لقد ذكرت فضيلة الشيخ / دراز فى هذه الايام بمناسبة ذكر فضيلة المرحوم

الشيخ / صالح شرف – رحمه الله – أسأل الله لهما الرحمة والرضوان بقدر ما قدما للاسلام .

* كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد الطيب النجار :

بسم الله الرحمن الرحيم :

يعز علينا جميعا أن ننعى فضيلة أستاذنا الشيخ / صالح شرف ، وهو معروف – والحمد لله – بما له من علم غزير ، وخلق كريم ، وكان أستاذنا عظيما له وزنه وقدره ، نسأل الله أن يرحم الفقيد ، وأن يسبغ عليه وافر رحماته بما قدم للعلم من أياد بيضاء .

* كلمة السيد المستشار / عبد الحليم الجندى :

انى أكتفى بكلمات قليلة ، فأخونا المرحوم الشيخ / صالح شرف كان مثالا لامعا ، ورجلا صالحا ، وكان لآخر يوم من أيام حياته يعمل ، ويسبقنا الى الجلسات ، وكان يسمو على ما يراه من أخطاء صغيرة ، وقد انتفعنا به فى لجنة التعاون بين المجلس والجامعة ، وله وصية سنعمل على تنفيذها باذن الله ، وكم أرجو أن يشاع بين الناس أن – العالم الحقيقى هو الذى يخدم العلم بحضور الجلسات ، ويخدمه بحسن الأحدوثة ؛ يخدم بمجرد أن يمشى على الأرض ، وكذلك كان فضيلة الشيخ صالح شرف – رحمه الله – .

* كلمة السيد المستشار / السيد عبد العزيز هندى :

بسم الله الرحمن الرحيم :

رحم الله فضيلة المرحوم الشيخ / صالح شرف رحمة واسعة ، لقد كان مثالا للعالم الذى يحبب الى القلوب .

* كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد العزيز عيسى :

رحمة الله على أخينا المرحوم الشيخ / صالح شرف ، فقد شرفت باللقاء معه فى المجمع فى لجنة شئون القرآن الكريم ، وكان أستاذا نافعا محبا للقرآن وما يتصل به ، جزاه الله عن ذلك خيرا .

* كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور / الحسينى عبد المجيد هاشم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : رحم الله أستاذنا الفاضل فضيلة المرحوم الشيخ / صالح شرف ، لقد كان عنوانا للشرف والفضيلة ، وكان بحق عنوانا لكل عمل طيب ، فلقد بنى وأسس مجموعة من المعاهد الدينية بذل فيها جهدا مشكورا ، حتى أصبحت بناء اسلاميا شامخا .

* كلمة فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الله المشد :

بسم الله الرحمن الرحيم :

والصلاة والسلام على سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فلقد كان فضيلة المرحوم الشيخ / صالح شرف عزيزا على المجمع ، بل عزيزا على الأزهر كله بمعاهده وجامعته ، وقد كان مثالا يحتذى فى العلم والخلق ، والسيرة الطيبة الحسنة ، ومن هنا كان عزيزا علينا جميعا أن – نتحدث فيما ينبغى أن يذكر به حاليا ومستقبلا .

تحريرا فى ٥ من جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٨٥ م

الشيخ صالح شرف

فقد العالم الاسلامى ، وفقدت مصر ، وفقد الأزهر عالما جليلا من خيرة علمائه ، هو الشيخ صالح شرف ، اجزل الله له الأجر والمثوبة .

وذلك فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى ١٤٠٥ هـ ــ الرابع عشر من يناير ١٩٨٥ .

والشيخ صالح شرف شغل مناصب علمية كبيرة فى الأزهر قبل الثورة وبعدها .

ولد فى بنى عديات الوسطانية من أعمال مركز منفلوط بمحافظة أسيوط فى ٤ يوليو ١٨٩٤ ، وحفظ القرآن الكريم فى مكتب الدردير ، ثم التحق بالأزهر الشريف فى محرم عام ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٨ ، وتلقى العلوم الدينية والعربية على افاضل العلماء .

ومن بينهم الشيخ عبد الحكم عطا ، والشيخ حسنين محمد مخلوف ، والشيخ يوسف الدجوى ، والشيخ عطا المرصفى وسواهم ، ثم نال الشهادة الأهلية عام ١٣٣٥ هـ ، كما نال جوائز مالية كانت تمنحها مشيخة الأزهر للمتفوقين فى علوم التوحيد والفقه والأصول والانشاء ، ونال الشهادة العالمية عام ١٣٤١ هـ /١٩٢٤ م وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من أصحاب الفضيلة الشيخ عطا المرصفى رئيسا ، والشيخ محمد السرتى والشيخ البراد والشيخ الغريبى والشيخ المرشدى والشيخ عبد المقصود الفشنى أعضاء . وحضر الامتحان الشيخ عبد المجيد اللبان ، والشيخ صادق عزام ، وحصل على الشهادة العالمية ، حيث كان ترتيبه الثالث من ١٤٣ متخرجا .

وعين اماما ومدرسا وخطيبا فى مسجد من مساجد مديرية المنيا ، ثم نقل الى المسجد الأموى فى أسيوط فى يناير ١٩٢٦ .

ودخل مسابقة امتحان فى التاريخ أعلنها الأزهر لاختيار مدرسين يعينون فى المعاهد الأزهرية ، فنجح فى المسابقة بتفوق ، وعين مدرسا فى معهد أسيوط الدينى عام ١٩٢٧ ، ثم نقل الى معهد الزقازيق عام ١٩٣١ ، ثم عاد الى معهد أسيوط فى العام نفسه ، وظل به حتى عام ١٩٣٨ حيث نقل الى كلية أصول الدين مدرسا وانتدب وكيلا لمعهد الاسكندرية الدينى عام ١٩٤٤ ، وبعد عامين عاد الى كلية أصول الدين .

وفى عام ١٩٤٨ عين شيخا لرواق الصعايدة .



للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

وفى عام ١٩٥٠ ندب شيخا لمعهد أسيوط الدينى .

وفى عام ١٩٥١ عين عضوا فى جماعة كبار العلماء .

وفى عام ١٩٥٣ فى مشيخة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الشريف اختير سكرتيرا عاما للأزهر ، وعين عضوا فى المجلس الأعلى للأزهر عام ١٩٥٤ .

وفى عام ١٩٦٤ أحيل الى المعاش ، ولكنه ظل مع ذلك يوالى التدريس فى كلية أصول الدين فى القاهرة لطلاب الدراسات العليا وغيرهم .

وفى عام ١٩٧٤ حين كنت عميدا لكلية اللغة العربية فى أسيوط طلبت منه أن يقبل الحضور الى أسيوط لالقاء محاضرات لطلاب الكلية فى علم المنطق فقبل ذلك بارتياح .

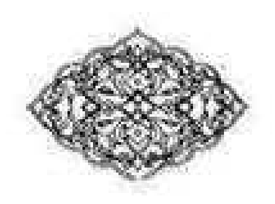
ثم اختارته كلية أصول الدين فى أسيوط لتدريس علم التوحيد كذلك وأسند اليه الاشراف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه فى أسيوط والقاهرة .

وكان المستشار الدينى لجامعة الامام محمد بن على السنوسى الاسلامية فى البيضاء بليبيا قبل ثورة الفاتح فى عهد الملك ادريس السنوسى ، وندبته كثير من الجامعات والمراكز الاسلامية فى مختلف البلاد الاسلامية لالقاء محاضرات فيها ، واختارته كذلك العديد من المجلات والصفحات الاسلامية للفتوى على صفحاتها فى أسئلة القراء التى يبعثون بها اليها .

كان رحمه الله غزير العلم ، واسع المعرفة ، محيطا بالمصادر المختلفة ، وكان فى علمه أزهرى المنهج والطابع ، وكان مجلسه مجلس علم وفتوى ، وكان بيته مفتوحا للناس من كل صاحب حاجة أو طالب فتوى .

ولقد خسرت مصر بوفاته عالما جليلا ، وشيخا كبيرا .. تغمده الله برحمته ، وأجزل له الرضوان فى دار اليقين .

وللشيخ مؤلفات عديدة فى التوحيد والفقه والاصول كان يدرسها طلابه وله فتاوى مخطوطة كثيرة ، ومكتبته التى تركها حافلة بالمصادر الاسلامية نسال الله له الرحمة فى دار الاحسان .



مبدأ إسلامي

يدعو إليه شاعر إنجليزي

ابغض الحلال :

نقرأ لبعض المسلمين ما يوحى بالتذمر الشديد ، والتنديد المتعسف بالطلاق ، وقد غفلوا عن أسبابه القاهرة التى تجعله حلا ضروريا فى بعض الأحوال ، وهؤلاء فى أكثرهم

ممن يولون وجهة الغرب فى تقديرهم للأشياء ولمثل هذا النفر نقدم ما كتبه الشاعر الانجليزى الشهير (جون ملتون) عن ضرورة الطلاق اذا تهيأت دواعيه ، اذ أن هذا الأديب العملاق قد أفرد بعض كتبه العلمية لتحبيذ (الانفصال الزوجى) حين يتعذر الوفاق ،

وواجه خصومه مواجهة عقلية تتسم بالشجاعة النادرة حين وجدهم يخالفون رأيه ، عن حماسة عاطفية ، لا تتسلح بالبرهان ، واجههم بالرد القاطع فى كتاب ثان يمحص الشبهات ، ويدفع الظنون ، وأكثر ما قاله الشاعر الانجليزى الكبير معروف بالضرورة لدى فقهاء التشريع الاسلامى ، ولكن الدعوة اليه على لسان عبقرى من طراز (ملتون) ، تعتبر نصرا كبيرا لقوانين الشريعة الاسلامية ، أمام من يجعلون أوربا وجهتهم الفكرية فى كل مجال ، ولعلهم بعد ذلك يفيئون الى الحق منصفين .

منزلة جون ملتون :

و (جون ملتون) هو صاحب ملحمة « الفردوس المفقود » ، وأذكر أن (هازلت) قد عقد مقارنة نقدية بين ملتون وبين شكسبير أكبر شعراء الانجليز قاطبة ، فذهب الى أن (شكسبير) يعنى بنقد المجتمع وسوءاته أكثر مما يعنى بنقد العقائد والديانات والقوانين كما يصنع ملتون ، كما أن شكسبير يعتصم بالخيال المجنح ويسلم قياده للعاطفة الواثبة فى رقائقه الشعرية .

أما ملتون فذو فكر عاقل متئد ، وذو نظر منهجى يقيده بالواقع دون شطط .

واذا كان شكسبير يعيش فى لجب الزحام ، وفورة التنافس ، فان ملتون يجنح الى الوحدة المنزوية ليتأمل فى هدوء ! .

ولست أذكر ما قاله (هازلت) على أنه الرأى الذى لا معدل عنه ، فقد يكون فى كلامه عموم يحتاج الى تخصيص ، ولكنى أقرر أن من ينزله كبار النقاد منزل المقارنة بشكسبير العملاق لهو ذو مكانة سامقة تدفعه الى الصف الأول بين النابغين .



للدكتور محمد رجب البيومي

تجارب الحياة :

ولم يكن الشاعر باحثا اجتماعيا في اتجاهه الحيوي ، ولكنه اضطر الى معالجة موضوع الطلاق لما اصطدم به من عقبات شائكة كدرت عليه صفوه ، اذ أتيح له أن يتزوج بفتاة في سن السابعة عشرة لا ترتفع الى مستواه الثقافي ، ولا تشاركه همومه السياسية ، وكانت من أسرة تتجه في الحياة وجهة مغايرة لاتجاهه ، وقد رآها عرضا أثناء زيارة غير متوقعة لبيت أبيها ، فشاهد من حيائها وسكونها ما أوقعه في غرامها ، وكان الشاعر ذا شهرة في عالمي السياسة والأدب ، فسارع والد الفتاة بقبوله زوجا ، وتم الاقتران على وجه سريع ، فانتقلت الزوجة الصغيرة الى مدينة لم ترها من قبل ، وشاهدت من ملابسات حياتها الجديدة مالا يتفق مع حياتها العابرة . كان منزل الشاعر هادئا لا يميل الى الحركة الصاخبة اذ أن « ملتون » قد دأب على البقاء في مكتبه دارسا وكاتبا دون أن يشغل فراغ صاحبته بما تود ، وكان فارق السن بينها وبينه يبلغ عشرين عاما أو أقل قليلا ، فلم تحس معه بما نحس به مع رفيق العمر وزميل الصبا ، هذا الى زهد في المآكل والمشارب قد لزم الشاعر لفلسفة ينتهجها ، وكل ذلك مما جعل الفجوة تتسع شيئا فشيئا في حياة الزوجين ، وقد بلغت مداها المتأزم حين صممت الزوجة الصغيرة على مغادرة المنزل ، متجهة الى بيت والدها ، وقد ظن « ملتون » أن والدها الصديق سيعمل على رأب الصدع ، حين ينصح فتاته بالحكمة ، ويدفعها الى الحياة الزوجية متحملة مصاعبها ، ومتعودة على نمطها الجديد بالنسبة اليها ، ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، اذ رفضت الزوجة أن تعود ، وأبى والداها أن يلزماها بشيء ما !

نـدم وألم :

واجه الشاعر مأزقا حرجا في مجتمعه ، فأهله الأقربون أخذوا عليه تسرعه في الاختيار دون مشورة ، وأعداؤه السياسيون اتخذوا من نفور زوجته دليلا على قسوته المفرطة حيث لم يرحم فتاة صغيرة تركت موطنها البعيد ، لتعيش في كنفه ، مطمئنة الى سلوكه ، « وملتون » فيما بينه وبين نفسه لا يستشعر خطأ وقع فيه ، لأنه رجل ذو رسالة فكرية سياسية ، ومثله في زعامته الأدبية لا يفرغ لتساقي كؤوس الصبابة في خلوات هادئة اذ يرى ذلك في المحل الأخير من اهتمامه ، وحسبه أن يهييء السكن الهادىء ، والمأكل الهنيء ، أما أن يكون الزواج وظيفة تشغل صاحبها عن مطامحه البعيدة ، فذلك ما يجب أن يتخلى منه ، لقد وجد الشاعر نفسه

يفكر في ضيق متأزم عما يجب أن ينتهي اليه من رأي ! واذا كانت الكنيسة تحرم الطلاق ، فان ضروريات حياته تتعارض مع هذا التحريم اذ اختلفت المشارب ، وتعارضت الأهواء ، وباتت الزوجة بمآربها الخاصة وشواغلها الذاتية ، على مسافة بعيدة من قلب زوجها ، كما بات هو غريبا عن مشاعرها العاطفية ، بل بات هو نفسه ، يمثل قيدا حديديا يأخذ عليها طريق الانطلاق ، ولابد من حل !! هذا الى أن الشاعر بعد أن هجرته سريعا زوجته لا يستطيع أن يقترن بسواها ، اذ تحرم الكنيسة ذلك أيضا ، ولا يدرى أيظل مهجورا تحت رحمة غيره ، أم يخلع عنه قيد التقاليد حين يجهر برأى جديد .!؟ ومثله في جرأته المندفعة لا يسكت اطلاقا عن شاغل يرهقه ويضنيه ، بل لابد أن يجد التنفيس المريح لأواره الشديد .

عاطفة مشروعة :

فكر الشاعر وقدر ، ثم صمم على أن يخرج على الناس بكتاب يثور على الأوضاع المرهقة ، وينظر الى الزواج والطلاق نظرة عملية تقتضيها الفطرة الخالصة ، وترتضيها الطبائع المعتدلة ، وقد بعد عن الخيال في قضيته الشائكة ، ولجأ الى الحقائق العلمية لتكون برهانه الملجم ، فأعلن في مقدمة كتابه أن العاطفة الانسانية نحو الرجل من المرأة ونحو المرأة من الرجل من الأمور المشروعة التي وضعها الله في التركيب الانساني ، واذا لم تتطور هذه العاطفة المشروعة على خطأ فالزواج أمر سعيد لأنه حينئذ التقاء موفق لعاطفتين متجانستين ، فاذا وقع خطأ ماق اتجاه هاتين العاطفتين بأن كان الزواج مجرد متعة جسدية ، أو دافعا لحرص مادي ، أو وجاهة مظهرية ، فان علائقه ستتقطع في القلبين ليحل محلها سور حديدى غليظ تفرضه الكنيسة اجباريا دون مبرر ، وقد يخدع الانسان فيمن يتخذها زوجة ، كما قد تخدع المرأة فيمن ترحب به زوجا لها ، ثم تكشف الأيام عن اختلاف المشاعر ، وتنابذ الأهواء فماذا يكون الحل ازاء ذلك كله ؟

لا شيء غير الطلاق لأن العيش بدونه جحيم ، لا يطاق .

هذا ما افتتح به « ملتون » كتابه الذى سماه « قانون الطلاق ونظامه » ولم يشأ أن يتعرض لمسألته الشخصية في بحث قانوني خالص ، اذ آثر أن يخرج على المجتمع الانجليزى وكأنه يتجرد لقضية عامة لا تتصل بذاته ، وحسنا فعل ، اذ لو تعرض لتجربته الشخصية لكشف من الأسرار ما يجب أن يكتم ، ولتعرض لمكذب يتهمه بالغلو والأدعاء ، وانقلبت المسألة من قضية عامة الى حادثة خاصة لا تعدم من يواجهها بأمور مماثلة ينقلها عن أسرة الزوجة ويبالغ فيها .. ولكن ملتون خاطب الانسانية جميعا حين أعلن أنه بتحبيذه الطلاق عند ضرورته يخرج الناس من شر يلحقهم جميعا ، ثم يضرب على الوتر القومى فيعلن أن انجلترا كانت دائما موضع القدوة والاحتذاء بما يهتدى اليه عباقرتها

من أفكار ، فماذا اتجهت في قوانينها الى مشروعية الطلاق فانها تسبق العالم الحضاري الى وضع معنى يبعث سعادة المجتمع الانساني ! وكان على الشاعر الكبير أن يستهدي بالاسلام في دفاعه ، ولكنه لحاجة في نفسه أو لأخرى يعرفها في نفوس معشره ، قد تحدث عن الطلاق وكأنه مشروع ينبثق من ذات نفسه دون أن تسبق به ملل وأديان .

طبعة ثانية :

انتشر كتاب (قانون الطلاق ونظامه) انتشارا مدويا في انجلترا ، وأعقبه سيل من الردود المتناهرة ، لأن خصوم الشاعر السياسيين لم يتركوا بابا لتجريحه فيما اتجه اليه دون أن يلجوه ، فاضطر الى أن يصدر طبعة ثانية تتناول بالنقض آراء المخالفين ، وقد بدأ الطبعة الأخيرة بالحديث عما سماه « لعنة الجسد » اذ يرى في سيطرة الغرائز شرا يجب أن يدفع بالحكمة والتعقل وفي اختيار القرين المناسب ، هذا الشر الكامن في تغلب العاطفة على العقل عند الاختيار ، حين يغفل الزوجان مسألة التجاوب الروحي ، وقد صرح الكاتب بأن فقد هذا التجاوب يجعل الزواج أمرا حيوانيا لا يختلف فيه الانسان عن أسفل طبقات البهائم ولا خلاص منه الا بالطلاق العاجل .

ثم يقف الأديب الكبير متسائلا :

« كيف يتسنى الاختلاط الجسدي الوثيق بمتزوجين يكره أحدهما الآخر كرها شديدا

فعالا ويود أن يعتزله أبد الدهر ؟ .

وهل فتح الله باب الزواج ليغلقه من ورائنا نهائيا كما يغلق باب المقبرة على الميت الدفين ؟

وهل يأمن عاقل أن يزل في الخطيئة حين يجد متنفسا آخر مع خليلة تشاركه العاطفة عن محبة وانجذاب ، وقد تكون هذه الخليلة زوجة بغيضة الى قرين تعيس يكن لها ما تكن من العداوة والشحناء ؟ .

وما صورة مجتمع تتعدد فيه هذه الفظائع الدامية دون أن يستطيع رجاله حلا لما يوثق أعناقهم من الأغلال ؟

ثم يهاجم رجال الكنيسة حين يعلن صراحة :

انهم يتسببون عن عمد في اشاعة الكراهية والبغضاء في المجتمع المسيحي .

وأنهم يعملون الخير كل الخير لوتجردوا عن معتقداتهم الباطلة ، ونظروا الى الطلاق نظرة واقعية تعتمد على تقدير النوازع النفسية ، والأحوال الاجتماعية .

انهم لو فعلوا ذلك لأنقذوا الآلاف المؤلفة من الأرواح ، ولساعدوا على طهارة النسل ، ورفعوا كثيرا من قذارات المضاجع والجنوب حين يتعددون بنفر من الأشقياء عن مهاوي الاباحية اليائسة ، ويردون للانسان المسيحي كرامته الطاهرة وحقه الطبيعي اذ يفكون غله الوثيق .

ان الشاب قبل الزواج لا يعلم ما بداخل بابه الجديد ، فاذا ولج الحاجز اليه فقد يجد ما يريحه ويرضيه ، وهنا تكون السعادة ذات جناحين يرفرفان فوق المضجع الوثير .

واذا كانت الثانية ورأى الزوجـان ثعبانا يلدغ ، وأفعى تطل برأسها من فوق الوسادة ، فكيف يصبر الزوجان على سم قاتل سيسرى في العروق سريان الموت عن قريب ! ويمضي الشاعر مسترسلا في هذه الصورة الأدبية ليبلغ ما يريد .

كتاب ثالث :

اشتعل الحوار على نطاق أوسع بعد صدور الطبعة الثانية ، وهى في حقيقة أمرها ، كتاب ثان ، لا طبعة ثانية حيث اتجهت الى تفنيد أقوال المعارضين ممن قرأوا الطبعة الأولى فأتت بالجديد في أكثر صفحاتها ، وهذا الجديد لم يكن موضع التسليم المطلق من المعارضين فأوسعوه نقدا وتفنيدا ، والنفس الانسانية لا تعدم وسيلة الحجاج اذا أرادت النقاش ولم تجعله سبيلا الى الحقائق المنشودة دون تلبيس ، وهذا ما كان من أمر الناقدين ، حيث سلكوا المستقيم والمعوج من الطرق ليسفهوا الشاعر قدر ما يستطيعون ، وأكثر هؤلاء من المأجورين الذين سخرتهم السياسة لانتقاص ملتون وتجريحه ، على أنه لم يشأ في كتابه الثالث أن يلتفت الى النواحي الشخصية فيبحث عن البواعث الدافعة لتجريحه على هذا النحو البغيض ، بل بذل كل قواه الفكرية لتأييد الطلاق باعتباره حلا محتوما اذا تعذر الوفاق ! .

ومع هذه الأدلة الحاسمة فان أسلوبه الأدبى قد ارتقى في دفاعه ارتقاء جعل الناقد الكبير (ماكولى) يعترف أن ملتون في دفاعه الأخير قد وصل الى ذروة من البلاغة يتقاصر عنها شعره في بعض الأحيان كأن يقول مثلا عن الزواج الفاشل :

« هذا الحارس المخيف القائم على الباب ، امام الزوجين يمنعهما أن يبْدأا السبيل ، هذا الحارس الجبار ينظر بوجهه الجهم ، وعينه النارية ، مهددا متوعدا ، وقد أغلق كل منفذ يأتى بالنور ، ليصيح بهذين العاجزين ، استمرا كذلك ، ولاخلاص الا بضجعة القبر .

ان المثل الأعلى للحياة الزوجية لهو في تلك الأيام التى عاشها آدم وحواء قبل هبوطهما من الجنة ، وقد توشحت روحاهما وجداهما ، فلا محل لطلاق في هذا الفردوس ! أما اذا تركا الفردوس الى جحيم التباغض والحفيظة فلا نعيم ولا استقرار » .

نهاية متوقعة :

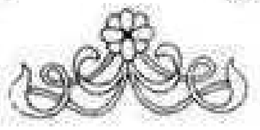
ومع ما خاضه الأديب الكبير من المعارك

البقية ص ١٢١٦

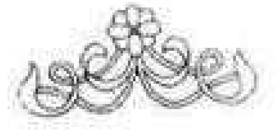
شعر وشاعر

مركبة الفضاء في رحلة الاسراء

ليلة وموكب في ذكرى الإسراء



وتـــدى



الشاعر عبده إسماعيل الطهطاوى

الشاعرة روحيــة القلينى

مركبة الفضاء فى رحلة الإسراء

سبق الخيالَ الى الفضاء   خيرُ الخلائق لامراءْ

فى جنح ليل قد سجا   لف البسيطة فى رداء

بالروح والجسم الطهو   ر سرى وكان الارتقاء

جاب السموات العلى   حتى حدود الانتهاء

ورأى بعينيه الحقا   ئق مثلما تبدو ذُكاء

وأتى يسجل حادثا   فى الدهر ليس له كِفاء

لم يخترم فيما حكى   عجبا من الآيات راء

لكنه الصدق الذى   لا نقص فيه ولا افتراء

ولقد وعى فى قلبه   ما جل من خبر السماء

واماط عن اسرارها   ستر الجهالة والخفاء

وأفاض علما باهرا   لا وهم فيه ولا التواء

اعجوبة شملت معا   رفه الحياة وما وراء

مُذ كان علم الناس يخبط فى دياجير العماء

بمدارك فى الوهم غا   رقة وافئدة هواء

وهو الذى فى عيشة   ما خط حرفا من هجاء

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

بل انه الالهام والوحى المنزل والصفاء

من علّمَ الأمى أن الأصل في الأحياء ماء ؟

مثل من القرآن أضربه لمن رام اهتداء

اما البراق فلا تسل عن سره فالسر نماء

يكفيك علماً انه مرقى امام الأنبياء

لكن ومض البرق أقرب ما يكون الى الجلاء

قد قالت العلماء ان البعد يتهره الضياء

ويميط عن وجه الحقا ئق بُرْقُعاً ضاق الغطاء

والله نور الكون يخضع ما يشاء لمن يشاء

كاف ونون عنده في قولها فصل القضاء

أن المكان مع الزما ن كلاهما يغدو خواء

يتلاشيان من الوجو د فلا صباح ولا مساء

كلا ولا الأبعاد تثبت عند ذلك للبقاء

والعلم يثبت كل يو م صدق ما جحد الغباء

فاعتنا أخا الايمان وانبذ زيف ما رسم الهراء

فالريب في نور الضحى الوضاء في العينين داء

آمنت ربى بالذى انزلت فيه لنا الشفاء



أحمد قاسم أحمد

أيّ ليلٍ « مُتَمَّمِ » الأضـــواءِ — فـاق في الحسنِ ليلة « الاسراءِ » ٠٠ ؟

ليلـةٌ زانتِ الزمـــان وكـــانتْ — طلعةَ البدرِ في دُجَى الظلمـاءِ

مـوكبُ ا ـــرِ والكرامـةِ يَسْري — في وقـارٍ تَرْعاه رَبُّ السـماءِ

مـوكبٌ تَجْمَعُه المبرزُ انســا — نٌ ٠٠٠ مثالٌ : انسانُ عين النقاءِ

ليس فـردًا من المــلائك لكنْ — بَذَّ خلق المــلائك الغـرّاء

***

جَوْهرَ النُّورِ في السُّرَى مثلُ برقٍ — فـوق أرضٍ يَسوكُ أبهى المرائي

انــه « أحمدُ » العَلِيُّ مقــامًا — في جَلالِ المسيرةِ العليـاءِ

يُسْرِعُ السَّعْيَ بالبُــراقِ لِيَبْتِ — أمَّ فيهِ أئمــةَ الأنبيـــاءِ

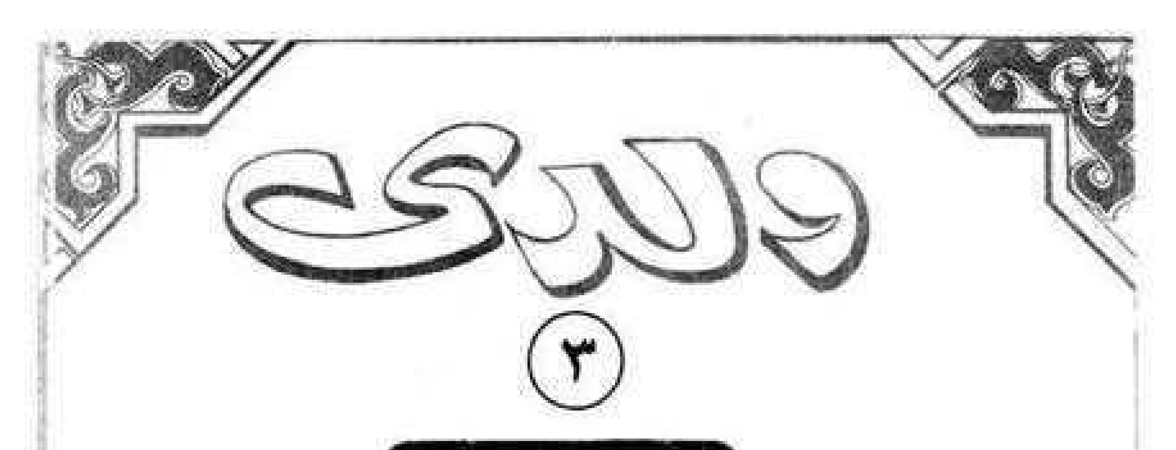
ذاك أمـــرٌ قضـاهُ رَبُّ السَّـماءِ — كـي يَخُصَّ النبيَّ بالأضـــواءِ

طـاش عقلُ الضـعيفِ منه ولَجَّتْ — في نِفـارٍ عِصابةُ الأغبيـــاءِ

قيـل : هـاتِ الدليـلَ ٠٠ قال : إليكمْ — وأتـى بالدليـلِ وصفًا لِرائي

***

أيّ جمعٍ مُضَمَّخٍ بالسَّنـــاءِ — فاق في القـدْرِ موكبَ الإسراءِ ٠٠ ؟



للدكتور حسن جـاد

قالوا : اصطبر لقضـــاء الله محتسـبا ... وكفكف الدمــع من عينيك واقتصـــد
فقلت مـا حيلتى فى الـــــدمع يغلبنى ... وفى فــؤاد بنـــار الوجـد متقـد ؟

فقـد الاحبـــة أنسى ماتكـــابده ... مــن الحيـاة ، فياويلى من الكبـــد
وللفــراق تبـــاريح ، وأقـــدحه ... نــوى حبيب بجـوف الأرض مفتـاد

ضــاقت على رحــاب الله وانشـعبت ... الى طرائق شـــتى فى الأسى قـــدد
مصـيبة لو على نهـــلان قـد وقعت ... لبـات من هولهـا يشـــكو الى أحـد
صـــماء ليس بها للصـــبر نـافذة ... ســوى رجـاء بلطف اللـــه منعقـــد
أكـاد أقتـل نفسى حـين أنكـــره ... لـولا يقينى وايمـــانى ومعتقـــدى

***

آمنت باللـــه والآجـــال قـــدرها ... اذا انتهى العمـــر لم ينقص ولم يـزد
وكـل حى لـــورد المـوت مرتحـل ... يسعى ، متى مـا يصـله رحلـه يـرد
ممـا يعــزى فــؤادى حين أودعـــه ... بطن الثرى ثقتى فى الواحـــد الأحـــد
وأن مــن كـــان فى قلبى وفى بصرى ... جارا غدا فى جـوار الــوارث الصـمد
يارب تـــدرت فالطف ، وابتليت فكـن ... عونى على حملى البلوى ، وكن عضدى
فيمـــا قضـــيت حكمــة خفيت ... على العقـــول وان جلت عـــن الفنـــد
لى عنـدك اليـوم فى خطبـى ومحنته ... جاه عريض ، فكن جـــاهى وملتحدى
انى فقـــدت وشـادى فى بنى ، ومن ... سواك يـــارب يهدينى الى الرشـــد ؟
كـل المصـــائب فى الدنيـا لتعـزية ... الا المصـــيبة ياربـاه فى الـــولد

الشاعر

عبده الحميد شبهاوى

وموقف نقاد الشعر منه

فى ديوان « أغانى الهوى » للشاعر الدكتور عبده قصة « تاجر الرقيق » ختم بها هذا الديوان . وقبل أن أتناول تلك القصة الشعرية بالتحليل والتمثيل والنقد أود أن أعطى فكرة موجزة عن فنون الشعر الكبرى حتى نتابع الحديث عن قصة « تاجر الرقيق » لنضعها فى مكانها من تلك الفنون الكبرى .

ومؤرخو الأدب حصروا أجناس الشعر فى ثلاثة :

الشعر الغنائى .

الشعر القصصى الملحمى .

الشعر التمثيلى .

وحين تحدثوا عن تلك الفنون جعلوا الشعر العربى القديم جميعه من الشعر الغنائى ، وسمى غنائيا ، لأن الشاعر فيه يتغنى بتصوير مشاعره ووقع الحياة على وجدانه ، ويندرج تحت هذا كل أغراض الشعر من مدح وهجاء ووصف ورثاء الى آخر الأغراض العشرة التى نص عليها أبو تمام فى كتابه « الحماسة » وقد بلغ بها البحترى فى حماسته الى اثنين وسبعين غرضا ، وتاريخ الأدب العربى سار على مذهب أبى تمام ، لأنه أدق وأدنى الى التحقيق العلمى .

وشعر الملحمة أو الشعر القصصى يمثل الفن الثانى من فنون الشعر الكبرى وهو عمل شعرى كبير يبلغ عدد أبياته الآلاف ، ويتخذ الشاعر من البطولات والأساطير موضوعا له يعبر فيه فى أسلوب قصصى كما فى ملحمتى الالياذة والأوديسة للشاعر الاغريقى « هوميروس » .

وملحمة الشاهنامة « الفردوس » الشاعر الفارسى .

وتمتاز القصة الملحمية بالموضوعية على عكس القصيدة الغنائية . فالشاعر فيها يتحدث عن عواطف الآخرين ورسم مواقفهم وشخصيته لا تظهر الا فى طريقة عرضه للأحداث عن طريق الحكاية .

وحين ترجم العرب فى العصر العباسى فلسفة الاغريق ابتعدوا عن هذا النوع من الشعر ، لأنه يجافى التوحيد الذى دعا اليه الاسلام،ففيه الآلهة وأنصاف الآلهة فى صراع

للأستاذ السيد حسن قرون



وحرب وتقاتل وانتصارات وهزائم . ولكننا فى العصر الحديث منذ اتصلنا بالأدب الغربى أحسسنا بالنقص فى شعرنا فحاول الرواد أن يكون لنا من ملحمى مثل اليونان والأدب الغربى عموما .

ولذا حاول بعض المخلصين للشعر العربى أن يجعلوا من شعر الحماسة فى العصر الجاهلى وماتلاه شعرا ملحميا .ولكنه لا يقوم لمن يقول : شتان بين قصص اليونان الطويل وما فيه من أساطير وفخامة فى الاداء وبين تلك القصائد العربية التى تتحدث عن المعارك، وأيام العرب وهى قصيرة تجىء مع الفخر أو الرثاء .

وما من شك فى أن الشعر العربى القديم يحمل بذور القصة الشعرية ، فللحطيئة قصة العربى الفقير الذى نزل عليه ضيف ، وتحير فى قراه ، وعرض الأمر على أسرته التى تعيش على الطوى منذ ثلاث ليال .

فقال ابنه لما رآه بحيرة
أيا أبت اذبحنى وبسر له طعما
فروى قليلا ثم أحجم برهة
وان هو لم يذبح فتاه فقدهما

وكانت النجدة قطيعا من حمر الوحش ظهر فرآه الأعرابى فاصطاد نحوصا (١) سمينة ، كانت طعام الضيف والأسرة ومن قبله فعل الأعشى حين خاطب « شريحا » وقص عليه قصة السموءل فى الوفاء ، حيث ضحى بابنه ولم يفرط فى الأمانة التى وضعت عنده ، وهذا القصص لم يجد من يطوره حتى يكون قصصا يعد من الفنون الكبرى.

ان الالياذة للشاعر « هوميروس » نقلها سليمان البستانى الى العربية شعرا فى أحد عشر ألف بيت ، نشرها سنة ١٩٠٤ وذاق بذلك الشعر العربى الملاحم الطويلة ،

فلا يمكن أن نسوق من الشعر العربى القديم نموذجا يضارع هذا القصص الملحمى، ولا نطمع أن شعر التاريخ يدخل فى هذا الفن ، ففى الشعر العربى قصائد لابن المعتز تؤرخ لخلفاء بنى العباس والشاعر منهم ، كذلك فعل ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » .

فقد أرخ فى شعر طويل لانتصارات

١ ــ نحوصا : اتانا .

عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى فى الأندلس . لكن هذا وذاك لا يعد شعرا قصصيا لما بينا سابقا فهو حقائق منظومة ، وسيرة معلومة .

ويجىء الفن الثالث وهو « الشعر التمثيلى» ولم يعرفه العرب ، وهو كالملحمة عمل قصصى يمتاز بالموضوعية ، ويتخلى فيه الشاعر عن عواطفه الخاصة لتحل محلها عواطف الشخصيات التى تقع لها أحداث المسرحية . وتمتاز عن الملحمة بأن الاحداث فيها تعرض عن طريق الحوار .

فالشاعر هنا لا يحكى ولا يعلق ولا يبدى رأيه . وانما الشخصيات هى التى تتحدث .

والحوار مبنى على تركيز العبارة الموحية ، وما تعده بليغا فى الملحمة لا يكون كذلك فى المسرحية . لأن لكل شخصية أسلوبها الخاص حسب البيئة أو المنزلة ، أو الحالة الاجتماعية

هذه الفنون الثلاثة الكبرى أراد شعراؤنا الرواد أن تكون موجودة فى الشعر العربى ، ولقد وضع سليمان البستانى النموذج لهم بترجمة « الياذة هومير » فكان أن تباروا فى هذا الصنيع .

فألف شوقى شعرا يعد محاولة للملاحم فى شعره مثل « كبار الحوادث فى وادى النيل » القيت بمؤتمر المستشرقين سنة ١٨٩٤ .

وألف حافظ « العمرية » .

والشيخ محمد عبد المطلب « العلوية » ١٩١٩.

وخليل مطران « نيرون » و « فتاة الجبل » وهى محاولات لم تبلغ ما تريده من هذا الفن .

« والياذة الشاعر أحمد محرم » فيها الحقائق بارزة لأنها فى سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم . وليس فيها الأساطير ولا الخيالات الخارقة للعادات . وإن لم ينجحوا فى هذا الفن فقد نجحوا فى الشعر التمثيلى .

وكان فارس الميدان أحمد شوقى فى رواياته التى مثل بعضها مثل « مصرع كليوباترة » وقمبيز ، ومجنون ليلى ، وعلى بك الكبير ، والست هدى . وتلاه عزيز أباظة فى قيس ولبنى وغيرها .

وشاعرنا عبده اسماعيل الطهطاوى طرق الفن الثانى من القصة والملاحم ، فأثبت فى ديوان « أغانى الهوى » قصة « تاجر الرقيق» فهو دارس للآداب الاجنبية ودارس للأدب العربى الحديث ، ويعرف محاولات الرواد ، فكان أن كتب تلك القصة التى نحن بصدد الحديث عنها ، لنعرف جهده فى هذا الفن بعد أن عرفنا أداءه فى الشعر الغنائى فى ديوانيه شقائق النعمان وأغانى الهوى ، وقد قدم للقصة هذه العبارة:

« تاجر الرقيق قصة شعرية من نوع الدراما توشيها أطياف من الأساطير » .

وبها نقلنا الى أجواء سحيقة موغلة فى القدم نسبح فى بحار الخيال وعالم الأساطير والأعمال الخارقة ، فجاءت القصة حسب المواصفات ، فيها الحب والحرب ، والخير والشر ، واقتتال الالهة فى لغة مناسبة تساير جو الحب والحرب والأحلام وتدخل الأرباب لتغلب فريق على فريق ، ولا ينقصها الا الطول فهى تقع فى (٢٤٠ بيتا من الشعر) صاغها فى

رباعيات بلغت ستين رباعية ، وفيها يقص علينا ما جرى لأبطال القصة .

وقد يبدى رأيه مؤيدا أو معارضا ، وهو عمل مشروع وليس من اللازم أن يسير الشاعر الحديث على منوال الشاعر القديم ، انما المهم أن يتبع أسس هذا النوع من الشعر فيقدم لنا شعرا ممتعا وأدبا رائعا ، ويسد ثغرة فى آدابنا .

ولندخل فى عمله الفنى لعلنا نوفق فى اعطاء صورة واضحة عن عمل شاعرنا فى القصص الملحمى ، ومحاولته الرائدة فى هذا الفن ، وميدان الأحداث فى تلك القصة يتسع فيشمل البحر المتوسط بشواطئه وجزره ، ثم يتصل بوادى النيل لنجد أحداثا تقع فى الأقصر بين أمجادها وسهولها ونجادها ولا ينسى نهر النيل وعالم الزواحف والأشباح .

وتاجر الرقيق رجل جشع أشربت روحه حب المال ولا سيما الذهب ، فأطماعه صفراء ، وهو بغيض الى البشر وأجناس الطير والحيوان والجن والأسماك والرياح والبحار والأمواج لأفعاله النكراء وأخلاقه القاسية ، وله ملاحون على غراره فى الغلظة والقسوة وحب الدماء ، وتبلد العواطف ، والعداوة للانسانية .

وقد وقعت فى أسره « يو » الحسناء لا فى حبه ، فأخذها أسيرة فى سفينة يرى فى أسرها ربحا موفورا ، وغنما كبيرا ، وهو فى سبيلها يرحل الى مواطن الغنى والثروة ، ولايهمه أن يتحمل ، ولا يخشى وعثاء السفر ولا مشقة الاغتراب ، ولا مزالق الطريق وطريقه بحر متلاطم الأمواج ، مضطرب الحباب ، لايعبأ بتلاطم الأمواج حول السفينة ، ولا تعرضها للخطر الدائم ، ولاندرى لم سلمت تلك السفينة مع أن الأمواج جعلتها كفرخ صغير يدهمه طائر كاسر ، أو لعل نجاتها راجعة الى وجود « يو » الحسناء فوق سطحها ، ولم تكن الأسيرة فى حال محتملة فهى تئن وتتألم حتى أن اله البحر ريع لأنتها ، واهتاج لتوجعها .

وقامت حرب مستعرة بين السفينة وأعدائها .. ثم نجت .. ولكن نجاءها لا يجعل صاحبها فى مأمن من الأخطار ووسائل الدمار ، فهناك حرب تصنعها الأقدار ، لا تخطر على بال الغادر الجبار : « تاجر الرقيق » ولا تخطر على بال أعوانه ليتدبروا الأمر معه ، انها حرب من جنس عمله تتناسب مع اغرائه واغوائه ..

لقد غنت « ربة الحب » لتغزو « فلذة كبده » « سيتون » الفتى الزاهر ؛

وغنت ربة الحب
لتغزو فلذة الغادر
فاهوى طفلها المختا
ل « كوبيد » الفتى الساحر
وأرسل سهمه فى قلب «سيتون» الفتى الزاهر
فهام الرئم (١) فى الأعطا
ف خلف غزاله السادر (٢)

كان لابد أن تصنع ربة الحب هذا الصنيع ، لتضرب التاجر فى أعز ما يمت وهو ابنه ،

١ ــ الرئم : الظبى الخالص البياض يسكن الرمل .

٢ ــ السادر : المتحير وهو أيضا الذى لا يهتم ولا يبالى بما صنع .

ولتلعب بمصير ذلك الابن كما لعب أبوه بهذه الفتاة الحسناء الكبيرة التى لا تدرى سر أسرها وقيدها .

فغضــــت « يو » بنانيهــا »
وصار الكــون كالأســحم
وصــاحت ايهـــا الريــا
ن مـــاجرمى ؟ أمــاترحم ؟

ولم يرحمها وها هو ذا يلاقى ما تلاقيه « يو » .

ان الحب له سلطانه على النفوس ، يقهر الرئيس قبل المرءوس ويغرر بالفيلسوف كمـا يسخر من الغر الذى لا يعرف الخير من الشر، وضربت « ربة الجمال » فى الجـو بســطا سحريا لتكون الغلبة لربة الحب ، وكــانت رحمة كبيرة صاحبها من «أوبلو» الحانا وأنغاما تمكن للهوى وتدعو للصبابة ، وساد الصمت ، وخلت الساحة للعاشقين ، ليجنيا شهدا ويطفئا الغلة ، وصار الأمر يدعو للتساؤل :

أهـــاج الحب قلبـــين
صـــــغيرين حبيبــين
وكــــان الوجــــد فى
نفســـيهما تريـــاق قلبين
وأهــ لام الهــوى أضحت
طهور الروح من مــين (١)
ولقيــا الليـل قـد صارت
دواء القلـب والعـــين

وإذا تمت السعادة ارتجفت القلوب خوفا من زوالها ، وفكرت العقول فى الطريقة التى تضمن الاحتفاظ بها ، وكان لابد أن يفكر فيها العاشقان ، وأن يتدولا الأمـر مـن جميع وجوهه :

وقالت « يــو » « لســيتون »
وقد ذابت مــن الوجـــد
أخــاف الفرقـة الســودا
ء أن تخمـــد لى زنـــدى
فهـــل تبقى علــى حبى ؟
وهـل تبقى علـى العهـــد ؟
حبيبى أنت من أحيـــــا
لــه أن صـــان لى ودى

وقد أجابها جوابا شافيا كافيا ، صريحــا مريحا أن قلبه ملىء بها ، وهلم بها وجدا، ولها أن تسأل قلبها فانه ينبئها بما يكنــه لهــا ، لا يخشى فى هواه أحدا :

ولـم أخش الأب الغـــدا
ر رب الســلب والنهـــب

ويستمر فى تأكيد حبه ، وفى أثنائه بينهــا ما يحوى قلبه من أحاسيس ، وما تحمله نفسه من هواجس قائلا :

وكيف أخـــاف انســانا
وأنت الـــروح والـــراح
بقلبى أنت يـــا مفتـــا
ن معبـــودى والـــــواح
وقلبى معبـــد شــادت
عـــلاه لمــاك (١) والــــراح
ثقى أنى أريـــق العمــــر
ان مســــك أتـــراح

وكانت ساعة النجوى جميلة كأنها أحلام

---

١ ـ المين : الكذب .

١ ـ اللمى : سمرة فى الشفة تستحسن .

تحلى السعادة بلا حدود خلق القلبان فيهـا باحساس يجمع هناءة البشر جعلهما لا يخافان من حولهما من ذؤبان وثعابين تصب السم والهلاك .

وفى شجاعة غالية اندفع العاشق نحو أبيه يعلنه بحبه « يو » الحسناء ودموعه تسيل على خده :

أبى والله أهواها
وقلبى ذاب من وجده
فغمغم عـابد الشر
وراح يعـل من حقده

وشتان بين وجهة ووجهته فالابن عاشق « ليو » يريد أن يرتبط بها ، ويتخذها دنياه ومأواه ، والأب يريدها سلعة غالية الثمن ، كثيرة الربح ، وغضب الأب وارتفع صوته متهما ابنه بذهاب العقل ، فصار يخالف أمره ، ويطيع هوى قلبه وتدخل « نواتى » من الحب ارتوى شرا ، يزين للأب أن ينزل العقاب بابنه المسلوب العقل ، ولكن سيتون صاح فيه :

هبلت الحب يا مفتو
د يجلى الشر من قلبك
ولو كنت الذى يهوى
لضاء الطهر فى نفسك
ولكن أنت شيطان
وشيطان الى جنبك
محال أن ترى الانسا
ن ياشيطان فى بردك

لقد وصفه مخاطبا له بأن قلبه مريض ، ولو عرف الحب لشفى من مرضه ، وترك الشر الذى يسيطر عليه ، ولو شفى من دائه لطهرت نفسه ولكنه شيطان وشيطان يجانبه ولن يكون انسانا مادام لا يحب ولا يعرف مزايا الحب ، وما حل الحب بقلب الا جعل حامله عطوفا ألوفا يرى سعادة غيره بسعادته ، وحرية الأسير حريته ، ويرى التعب فى سبيل الانسانية راحة وهناء .

وسارت السفينة وكل من عليها له شأن يعنيه ، « ويو » الحسناء فى أمن وأمان مادامت بعيدة عن الشاطئ ، فالشاطئ نذير بالمجهول ، انها على السفينة ترى حبيبا وتأمل فى الارتباط به أو تخفيف التفكير فى العواقب المغلفة بضبابيه لا يبين منه رجاء .

ولما عطر الأمواج
روح نسـائم الارض

تهلل كل من فى السفينة غير « يو » لأنها هنا ستقاسى ما يريده تاجر الرقيق ، ولماذا رحل بها ؟ ان نسيم الأرض أفزعها .

فهل خافت من الأرض ؟
وهل فى الأرض ما يرضى ؟

ماج قلبها بحنان وأشجان ، وصار طفلا لا يكف عن البكاء ، انها تبكى أهلين لاحالها ، وودت لو تمسك بهما ليذهب البلاء تبكى عاشقها وحريتها ، أعز شىء لها فى الوجود ، فبكاها فى لهيب الفتنة أو فى العاشق المضنى ، لقد صار « سيتون » هما على هم فبعد أن كانت تعانى القيد والأسر صارت من خشية الفراق فى احتراق .

أما تاجر الرقيق فقد آن له أن يحقق ربح رحلته الميمونة له ، الملعونة لها .

وقد ولى شراع الشيخ نحو الشاطئ المصرى لماذا ؟

يبيع الغادة العـذرا
ء ذات الوجه كالبـدر

لقد أسأت اليها أيها الشيخ الجشع ، لم ترحم

ابنا ولا بنتا :

طغت الحب والمحبو
ب يا شرير فى الصدر

أهذه الغادة العذراء تعرض فى سوق النخاسة وتتعرض للنظرات الثاقبة ؟ الا تأبى لهذا الجمال أن يذبل ؟ أترى ان يكون الجمال نهب الأيدى وتبخل به عن فتاك المأمول ؟

وباع التاجر سلعته ، ورجع بسفينته فرحا مرحا وما درى انه ضحى بنجله ، ان «ستون» لم يرجع مع والده ، دنياه فى خطا «يو» فأين يمضت يتبعها ، ترك البحر والبحار والنواتى ، ولم ير الذهب شيئا يروق ويشوق عينه ، معها الى الأبد .

وكانت « طيبة » الفيحا
ء فى عيد لفرعون
تحدث عنهما الركبا
ن فى قول وفى لحن
وكم من شاعر فى « طيبـ
ـة » صاغ من وزن
على خفقة موج النيل
غناه أولو الفن

وطيبة هى الأقصر كانت فى عيد لفرعون شغل الركبان فتحدثوا عنه عما قيل وعما لحن ، وما قاله الشعراء وما غنى به المغنون حين حلت بها « يو » يتبعها « سيتون » من بعيد لبعيد — كما تقول اليوم — انها فى كعبة الأبطال تعيش فى قصر يحيط به بستان حوى السرو وأشجار الغب ، يغنى فيه أصناف الطير كما تغنى فيه قيان بلحن وعاه العرب والعجم .

وعاشا فى حمى رفه
نداه الحلم والوهم

ولكن الدهر له تقلباته وضرباته ،انهما يعيشان على الوهم والحلم والرؤية التى لا توصف بالقرب أو البعد ، رؤية صامتة ، ومشاهدة مضنية ، وأراد الفتى أن يقابل فتاته بين نواضر الزهر .

ويشرب من حميا الحب
اقداحا من السحر

واذا بسفاح كمن له بين الشجر ، فضربه بسيف غدار لا يبقى ولا يذر ، ولكن العشاق أصحاب الأخبار لم يقولوا قتل وانما قالوا : سافر فى زورق يشق عباب النيل بين الغناء والطرب ، والحديث يتنقل .

فناحت « يو » لفرقته
بقلب فاقد الصبر
ومن شرفتها تدنو
على الأصداء فى الفجر

فأمست حياتها قلقا وأرقا ، وصابا وعذابا ، وبكاء ونداء ، آناء الليل وأطراف النهار ، عرفت بكاءها الأزهار فى الآصال ، والأطيار فى الاصباح ، وتحيرت من صفير الريح وعزيف الأشباح ، هل تراه همس « سيتون » بكت المجهول والمعلوم .

لقد هدها الحزن وأمضها الفراق ، ودلهتها الهواجس والوساوس ثم نامت .

رأت فى نومها « سيتون »
مذبوحا ولا يذوى

يصيح بظل نخلات
وداعا فى الهوى أهوى (١)
ويبكى بعد آهات
بدفع كاللظى يشوى

سمعته يقول : سألقاها على الرغم من طعنات الجبان الغادر ، أغنى لها لحن لقيانا ، أقبلها ويمحو القلب أشجانه ، وأضمها الى صدرى ، وتيقظت فرددت ما سمعته منه فى نومها ، وهتفت : ستلقانى ، فأين قبرك كى أكون بقربك ؟

وأرشف ثغر محبوبى
وأشرب صاب واديكا

وباتت تندب الحيرى ، وتصحب هما يجعل نضارتها ذبولا ، وبضاضتها خيالا ، وطواها النوم بجناحيه وهنا :

أتاها وهى نائمة
فناها بالمنى الزرق
يدب بقربها من عا
لم الأموات فى رفق

يقص عليها مالاقى ، فهو مقطوع الرأس ، مربوط على جذر ، ظمآن لا يستطيع الرى من الغدران ، لأن كفه لا تعرف الطريق الى فمه ، ودعاها لتأتيه فتريح الآلام قلبه .. وأراها قبره الذى تعرى من وارف أغصان ونسيم الظلال ، وناداها :

تعالى غادتى فالقلب فى الأعشاب لا يهدأ
تريع القلب الآم
ينهش القلب لا تمرا
تود الفلذة الحرى
وبالفلذات قد تهنا

وعن جنبى لا تناى
توهم أنه الملجا

وأكثر من ندائها ودعائها ، مقبرة جمرة فى حاجة الى دمعة ، كى يهنأ فى الحفرة ، وتهنأ روح ربها عبرة .

وتولى مات من حبى
فتى كالزهر والخمره

وودعها وداع الحب واللهفة ...

فهبت مثل عصفور
ترقرق فوقه قطر

ووقفت متهالكة ، وتأوهت آهات لم تجد لها صدى فى الليل والطير ، وأرسلت دموعا يشيب لأجلها الزهر ، ومضت تبحث عن قبر الحبيب بين الأشجار ومسيل المياه ، فماذا رأت ؟ رأته ، رأت راحته تضم أزاهر الحب ، فماذا فعلت ! هوت كالسهم ملتاعة تقبل تراب القبر بين الأعشاب وتمايل الشجر .

وبينا هى فى عناقها وتقبيلها هجمت عليها رقطاء من الثعابين كأنها عدو لدود يريد أن ينتقم منها ، أو فى تشفيها لملاحتها .

وعضت درة النهدين
كى يقضى تجنيها
ولم ترحم معذبة
فغالتها أمانيها

نهاية مريعة ، وخاتمة فظيعة ، ومأساة توشى السماء بسحاب أسود ، والأرض بنار ورماد .
فماذا كان بعد هذا الغناء ؟
يقول الراوى :

ولف الجذع معشوقين
ذاقا المر والعلقم

١ أهوى : أستطك

على الأعشاب قد ناما
حبيبا ضمة مغرم
وكانت أجمل الأطيا
ر تبكى الظبي والضيغم
وقد صلى على القلبين
سرو الروض والعندم

هذه القصة نعدها محاولة من الشاعر الدكتور عبده اسماعيل الطهطاوي يهدف بها مثل الرواد الى تطويع الشعر العربي لهذا الفن ، وهي محاولة جديرة بالقراءة والدرس وبيان حظها من الاستحسان أو الاستهجان ، ولكنى لم أجد أحدا تناولها بالتحليل أو النقد ، ومن ثم عرضتها هنا وحللتها لنرى مدى ماتعطى في هذا السبيل من اشارات .

انتزع الشاعر من الأساطير تلك القصة فصاغها في رباعيات ، وانتهج منهج القصص الملحمي الدرامي ، وقد وفق الشاعر في عرض القصة ، فالقصة ذات موضوع ، ولها مسرح حدثت فيه ، وزمان موغل في القدم ، وايغاله في القدم يزيده تشويقا وروعة وغلابة .

سار بنا الشاعر من شواطىء اليونان وكريت واتجه بنا غربا يؤم الموانى ذات الحضارة والثراء حتى بلغ مصر وفي مينائها نزل التاجر ليبيع تجارته وهي « يـو » الحسناء ، ثم بلغنا حاضرة مصر « طيبة » الأقصر ، وفيها تمت أحداث القصة وفي هذه الشواطىء كانت رحلة لها شخوصها : تاجر الرقيق وملاحوه ، والفتاة « يـو » وابنه « سيتون » وربات الحب والجمال واله البحر وعالم الحيوان .. ثم في الأقصر .. القاتل ومعالم النيل .

وقد ربط الشاعر بين الأشخاص والوصف والأحداث بخيط ربط كل تلك المعالم بحيث يعلقنا بالأحداث .

وكان الحوار طبيعيا ومسايرا لمنهج القصة وهو متنوع حسب أفراد القصة وأبطالها ، فالحوار بين الفتاة وتاجر الرقيق يختلف عن الحوار بين العاشقين ، كما أنه يختلف بالنسبة للفتى والنواتي . أنظر معى الى حوار الفتاة وتاجر الرقيق تجد :

فعضت « يـو » بنانيها
وصار الكون كالأكم
وصاحت أيها الربا
ن ما جرمى ؟ أما ترحم ؟
وفيم تريدنى باللـه ؟
فيم تقيد المعصم ؟
أهذى حلية العاج ؟
أم التقييد ولا أعلم ؟
فقال الشيخ يا هيفا
ء مه ، مه تواضعى هيا

واقرأ معى حوار العاشقين :

أخاف الفرقة السودا
ء أن تخمد لى زندى
فهل تبقى على حبى ؟
وهل تبقى على العهد ؟

سيقون :

سلى فــؤاد الصـــــب
ينبى القلــب بـــــالحب
سليه سليه مـــا الأهـــوا
ل حتى صـرت فى قــرب ؟
وكم قاســيت يـــا مقتـا
ن مـــر الطعــن والضرب
ولم اخش الأب الفـــدا
ر رب الســلب والنهب

والحوار كما ترى يجرى جرى الماء لا يعوقه عائق يتلاحم مع السرد والوصف ، فلا تحس نبوا فــوق ثبج البحر ، ولا تعثـرا فى ايراد الحكمة ، ولا دخيلا على الفـكرة يعتـرض كالشجا فى الحلق واللغة لا تحتاج الى معاجم والأداء التعبيرى بحقائقه ومجازاته وموسيقاه فى غاية التلقائة بذهن متوقد ، وعلى مدى ٢٤٠ بيتا لا تجد لفظا مجلوبا من اجل القافية الا نادرا مثل « أن تخمد لى زندى » فكلمة زندى لا تدل على الخوف من صروف الـزمن وان أدت المعنى .

وللشاعر تعبيرات جديدة تتناسق مع أهداف الشعر الحديثة مثــل « الفرقــة السوداء » « والمنى الزرق » ولكن صياغته البارعة وصوره المتحركة الباهرة ، وسحر الأساطير كـل ذلك تركنا لا نحس غرابة العبارات الحديثة .

وشاعرنا حــين نظم تلك القصــة لم يترك الخواطر تتوالى على ذهنه حتى يصنع قصتــه ولكنك بتأمل القصة تجده قد وضع تصميما لها يرصد به البدء والمسيرة والختام ، وأول رباعية تعطينا شمائل (التاجر) بدأ القصة هكذا :

سقته عــرائس الأطمـــاع
مــن اقداحهـــا الصــقر
فــود المـــال بين يـــديه

اجيـــالا مــن التبـر (١)
وراح يطــو ف بالآفــــا
ق يطــوى المـوج بالبحر
ينــى البـدر والأفـــلا
ك حتى مهجـــة الفجـر

وختم القصة بما قدمته لك سابقا .. فقد لف الجذع معشوقين ذاقا المر والعلقم . وعلى الأعشاب ناما والشاعر لا يتركهما دون صلاة.. والصلاة يعرفها الموحد والمشرك . قال :

وقد صلى على القلبين سرو الروض والعندم والسرو والعندم منتسبان لقبر بين الأعشاب . فلست مغاليا اذا قلت لك ان قصة (تاجر الرقيق) من ديوان (أغانى الهوى) تعـد من عيـون محاولات شعرائنا فى قرض هـذا النوع من الشعر الذى يقرأ ويدرس وتدور حوله مذاهب الشعر .

وفى كل قراءة يتراءى معنى جديـد . فلتأخذ قصة تاجر (الرقيق) و (أغـانى الهوى) مكانهما من الدرس والتحليـل والنقد ، ومن المكتبة العربية .

السيد حسن قرون .

---

١ ــ التبر : الذهب غير المصنوع .





ولدت الشاعرة روحية القليني بمدينة دسوق في اليوم الأول من شهر مارس عام ١٩١٥ ، وكان جدها لأبيها هو الشيخ عبد الباقي القليني رابع شيخ للأزهر الشريف .

اما والدها فكان رجلا تقيا ورعا ، محبا للعلم ، وهو أول من شجعها على السير قدما في مراحل الدراسة ، وعلى شق طريقها العلمي .

وعندما أتمت تعليمها الابتدائي بمدينة طنطا ، تم التحاقها بمدرسة الأميرة فايزة الثانوية بالاسكندرية ، وكانت ناظرة تلك المدرسة آنذاك هي السيدة (نبوية موسى) ، فتأثرت الشاعرة بها كثيرا .

وحصلت على ليسانس الآداب ــ قسم اللغة العربية واللغات الشرقية من جامعة (فؤاد[1]) عام ١٩٤٣ . ثم سافرت الى العراق للعمل في التدريس بمدارسها ، وشغلت منصب مديرة مدرسة ثانوية للبنات بالموصل .

وعرفت هناك ــ كشاعرة ــ في الأوساط الأدبية عامة ، وذاع صيتها في الصحافة ، وتوثقت صلاتها الفكرية بأهل الأدب والشعر بالعراق ، حتى آخر يوم من حياتها في مصر ، تلك الحياة التي انتهت بوفاتها في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩٨٠ .

عادت الشاعرة الى القاهرة في أواخر عام ١٩٤٤ ، لتعمل مدرسة بالتربية والتعليم ، متنقلة ما بين مدرسة (بيت القاضي) و (غمرة) وغيرهما .

وفي كل هذه المراحل العملية ، لم تنس الشاعرة نشاطها النسائي والأدبي حينا ، وحماسها للعمل الاجتماعي أحيانا .

وتعاونت مع السيدة درية شفيق والأستاذين خليل صابات وابراهيم عبده في الاشراف على مجلة (بنت النيل) .

وفي عام ١٩٥٤ أصبحت روحية القليني رئيسة لقسم المرأة بجريدة الجمهورية ، وتعاونت معها في التحرير السيدة عواطف البدري ..

وتم نهائيا نقل الشاعرة الى وزارة الثقافة عام ١٩٦١ ، حيث عملت في ادارة التفرغ ، وبقيت بها الى أن أصبحت أخيرا المديرة العامة لهذه الادارة . وشغلها ، بعد رحيلها ،

(١) جامعة القاهرة حاليا .

بقلم الشاعرة : جليلة رضا

الشاعر ابراهيم عيسى . وكانت فترة عملها الأخيرة من أخصب سنوات عمرها ، فشاركت في مؤتمرات الأدباء والشعراء بالاسكندرية والعراق والسودان وبلجراد ، وألفت كتابها « نساء عربيات » الذي سجلت فيه جهاد المرأة العربية ، من أجل التحرير وحقوق الانسان .

* ونشرت قصائدها بمجلات الرسالة والثقافة في بواكيرها ، ثم ظلت تترنم بأروع الابتهالات الصوفية الرخيمة ، في أخرياتها ، على صفحات مجلة منبر الاسلام الغراء ، فأبدعت وأمتعت .

وصارت عضوا في مجلس ادارة جمعيتي الأدباء واتحاد الكتاب ، وعضوا بلجنتي الشعر بالمجلس القومي ، والمجلس الأعلى للثقافة .

ومن ذلك كله يتضح لنا أن الشاعرة روحية القليني ، كانت شعلة من الحماس والنشاط في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والأدبية فلم تدع مجالا الا واقتحمته ، ولا طريقا الا وعبرته ، لكي ترقى بالمرأة المصرية ، وتدفعها نحو الخير والكرامة والايمان .

ولقد كانت روحية القليني زميلتي في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة ، وفي شوط الحياة عامة ، وكنا متجاورتين في السكن ، واتيح لي أن اقف على مراحل حياتها الخاصة من كثب ، مما يضيء لي السبيل للتعريف بشخصيتها ، مستعرضة طوايا نفسها ، وحقيقة مشاعرها .. ما استطعت .

وكانت روحية ، عندما تحن الى نظم بعض الأبيات السانحة في أخرياتها تدونها في ورقة بخط عريض ، وبالقلم (القول ماستر) ، وكلما مضى العمر ، نما الخط وكبر ، لضعف حاسة البصر . ومن ثم عاشت معذبة ، وخاصة بعد أن ماتت أمها ، التي كانت تعيش معها بصفة دائمة ، وبعد أن بعد عنها الأشقاء ، اما بالزواج أو السفر للخارج ، وان ظلوا أوفياء لها ، محبين ومعتزين بها وبشعرها ..

وأمضت روحية الفترة الأخيرة من حياتها وحيدة في بيتها الرحب ، بلا زوج أو ولد ، تمشي في رحابه ، فتتعثر أحيانا في سلك التليفون ، وتسقط حينا ، وتعاود القيام ، أو يسقط الجهاز ويتكسر ، وترسل في طلب اصلاحه .. وتتحسس الأشياء المستعملة يوميا ، قبل أن تمسكها ، وتدرس أماكنها الثابتة ، في صبر وتحد ..

أجل ، في صبر وتحد وايمان عميق بالله ، فقد كانت تعرف كيف تداري أحاسيسها الحزينة في أعماقها ، كما تقول :

وأبادل النـاس الحديث (١)
كأننـا لـم يجر شيء

والنـار في الأعماق لاهبة
وتكـوى القلب كـي

الشاعرة روحية القليني

أخفي الأسى يارب قهرا
ثم أطوى الدمع طى
فإذا انفردت فدمعتي تروى
الوساد .. واى رى
الدمع أصبح طائعا من
بعد أن كان الأبى

وقد نظمت روحية الشعر في شتى الميادين ، ولكن أجمل وأصدق ما كتبت هو شعرها الصوفي بلاامراء :

فروحية أولا — وقبل كل شيء — شاعرة متدينة ، بحكم نشأتها وطبيعة تكوينها ، ذات ايمان عميق ، أعطاها القوة على تحمل الحياة وأعبائها .. وغمرها بكثير من الرضى والتسامح ، وسط مآسيها الكبار ، من بعد موت أعزائها

ومن حسن الحظ انها تركت لنا قبل رحيلها بفترة وجيزة ، ديوانا كاملا يحمل عنوان : (عطر الايمان) ، يحس فيه القارىء ، وكأنه في محراب الحب الالهي المقدس .

وفي هذا الديوان الذي أصدره المجلس الأعلى للثقافة ضمن مطبوعاته عام ١٩٧٥ ، أبدعت الشاعرة ستين قصيدة صوفية ، من أقوى ما نظمت خلال رحلة حياتها .

ويعد هذا الديوان ذخيرة حية من أسلحة الصبر والصمود ، يحمي بها القارىء الأعزل نفسه من عاديات الزمان ، أثناء عبوره جسر الآلام . فشعر الديوان صادق الاحساس ، جيد التعبير ، لا يعيبه تكرار الفكرة والمضمون ، اذا علمنا أنه نتاج مرحلة طويلة ما بين ديوانها الصوفي الأول : (ابتهالات قلب) ، وبين هذا الديوان ، رحلة تكررت فيها الأحداث والآمال والآلام ، فكان طبيعيا أن تتشابه بعض القصائد ، في المعاني والأخيلة والمشاعر .

ولنستعرض الآن بعض الأبيات من قصائد الديوان .. ففي قصيدة « ترعى عبيدك لا تنام » (١) ترى الشاعرة تصف نفسها وطباعها ، وما تحس به ، وكيف تعامل الناس ، ثم تتساءل : لماذا يتدفق شعور محبة الله تعالى عارما متأججا ، وما السر في هذا الحب ؟ تقول :

يَشْكُو أنا يارب .. لا
أقوى على الآلام
جنّب حياتي الشر
وانصرني على الايام
بدِّد الهي ما يشوب
العيش من جهم الظلام
وانْشُرْ جناحك تحمني
فأعيش في ظل السلام

وتتفجر شكواها ، فتجأر قائلة :

الكلمة الحمقاء تؤذيني ..
كما تُدْمي السهام
فأنا أحب الصفو معطارا
.. واشتاق الوئام

.. ثم تهدأ وتخفت نبرة الاحتدام ، فتسترسل قائلة :

أنا لا أسىء لمن أساء ..
فشيمتي عفو الكرام

(١) ص ٣٦ .

والعيش عنـــدي رحمـــة

والظلم في شرعي حـــرام

.. ثم تصفو لهجتها وترق . حينما تختلج بحبها الإلهي . كتلميذة وامقة تسير على درب أستاذتها (رابعة العدوية) فتتهدج مترنمة :

انــا لسـت اقــرب مـن الهي

بالصـــلاة وبالصـــيام

تلك المظـــاهر بعض حبي ..

في الفـــؤاد المســتهام

.. لكنني أهـــوى الألـــه

لغـــاية فـــوق المـــرام

اهـــواه رب الخلـــق ..

في صـــور .. تجلّ عن الكلام

وفي قصيدة « الكون يسبح باسمك » من نفس الديوان . تمزج الطبيعة بالفن الصادق . وتشرح كيف أن الطبيعة بكل ما فيها من نبات ونسيم وطيور . وبحار وعطور . تسبح بحمد الخالق عز وجل . مـن خـلال معطياته الوفيرة .

والقصيدة جميلة حقا . ذات مغزى رفيع نبيل . فما نكاد نرى مشهدا من مشـاهد الطبيعة . حتى يمر أمامنا مشهد آخر . أعطته الشاعرة حقه في البـذل والعطـاء . لأجـل الحياة . ومن أجل خير البشرية .

وبذلك مزجت الشاعرة الجمال الجزئي بالجمال الكلي ، في شـتى صـوره الحيـة ، لتخرج لنا ابتهالات صلاة مقدسة .. تقـول روحية من قصيدتها تلك :

وَجُبْت بخـاطري عبـر الفضـاء

وخلف السحب في قلب الســماء

ووسـط البحـر في الأعماق حـيرى

وفوق الأرض تزهـو بالـــرواء

الى أن تقول :

وفي النجم الـــذي يرنـو لنجم

وفي قلبيهمـــا سر الضـــياء

وفي الثـوب الـذى يكسـو الـروابي

بألـوان منمقـــة البهـــاء

وفي النَّحْل الذى يسـعى لـرزق

بصبر لا يكـل من العنـــاء

الى أن تختتم قصيدتها ، بقولها :

وحكمتـــه لهـــا سر عجيب

ونجهـل نحـن اسرار الخفـــاء

وفي تلك الكنوز منوعـــات

ببطـــن الارض تزخـــر بالثراء

يضـم الكـون أسرارا وسـحرا

يسـبح كـل لـــون في ولاء

اما قصيدتها « المفيد في التوحيد » فهي دعاء حار يستطيع كل انسان أن يتجـه به الى الخالق . وقد أضـفت عليهـا رقـة الموسيقى الظاهرة من خلال أبياتها الوضيئة ، الشيء الكثير من العذوبة . حين تقول :

آمنت يـــاربي فـزد إيمـــاني

انا قـد مشيت على هدى القـرآن

فاذا هفوت فان عفـــوك شـــامل

تمحـــو بعطفك زلة الانســـان

أصحوا على صوت المؤذن هاتفـا :

« الله أكبر » بالصـــدى الرنـان

فأودع النـوم العميـق وارتجـي

في الفجر ياربي رضـــاك الحـاني

وأظـل اقرأ في كتـــابك هـاديا

وبنـوره تمحـو دجى اشـــجاني

ونرجو أن نلتقي الضوء في كلمة تالية عـلى شعرها الوطني والاجتماعي ..

جليلة رضـا

حول أدب باكثير

بقلم: مديحة عواد سلامة

قرأت (١) مقال الأستاذ أحمد مصطفى حافظ بعدد جمادى الآخرة من مجلة «الأزهر الغراء» جريا على منهجه المحمود في الكتابة عن الأدباء والشعراء (المظاليم) .. وقد كان من حظي أن توافرت على أدب باكثير عامة لمدة تزيد عن الخمسة أعوام أثناء قيامي باعداد رسالة ماجستير في الآداب عن: (مسرح باكثير) ..

ومن ثم فان ذلك قد يخول لي الاستدراك على ما أورده الأستاذ أحمد حافظ بمقاله آنف الذكر . من أن ملحمة باكثير الاسلامية الكبرى التي وضعها في تسعة عشر مجلدا ، عن سيرة سيدنا عمر بن الخطاب . قد طبع منها ستة فقط . هي التي تحمل أسماء:

(على أسوار دمشق) . (معركة الجسر) . (كسرى وقيصر) . (أبطال اليرموك) . (تراب من أرض فارس) . (رستم) . وبقى قيد الطبع ثلاثة عشر مجلدا . تبتدىء بـ (أبطال القادسية) وتنتهي بـ (غروب الشمس) ..

وحقيقة الأمر أن ملحمة باكثير الاسلامية عن سيرة سيدنا عمر بن الخطاب قد تم طبعها كاملة كما أعلم . بعد وفاة باكثير وهي مسرحية ملحمية تعد أول عمل فني من نوعه في تاريخ الأدب العربي .

وصفوة القول فان المتبع لأعمال باكثير التاريخية يكتشف بسهولة أن الحق والعدل والحرية مفاهيم تحدد معالم الرؤية الأساسية لهذا العالم الذي يصوره .

واذا كان (الكلاسيون) الغربيون قد برروا عودتهم الى أحداث التاريخ الواقعي . أو الأسطوري . بأن الطابع التاريخي يدنى الأحداث — حتى الخارق منها — من التصديق والمعقولية ومشاكلة الواقع . فان باكثير يقدم تفسيره لولوعه بالتاريخ واستلهامه كثيرا من مسرحياته . بأن أحداث التاريخ قد تبلورت على مر الأيام . فاستطاعت أن تنزع عنها الملابسات والتفاصيل التي ليست بذات بال .

فتبرير باكثير لعودته الى التاريخ يعكس مفهومه عن الفن عموما . والفن المسرحي بصفة خاصة . باعتباره فنا ينبغي أن يقوم على الرمز والايحاء . لا على التعيين والتحديد . بينما يعكس تبرير الكلاسيين مفهومهم عن الفن الذي يستند أساسا الى نظرية المحاكاة . التي قال بها أرسطو . واعتبرها الكلاسيون أساسا لابداعهم .

مديحة عواد سلامة
«محاضر بقسم اللغة العربية بكلية الآداب للبنات بالدمام»

شئون اجتماعية

العلمانية فى الدستور

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية فى مصر





العلمانية في الدستور

معنى وهدف

اللفظ الفرنسي الذي ترجم الى (العلمانية) ليس من بين معانيه (العالم) ولذلك قد كنت أفهم أن يرجع الدكتور زكي نجيب محمود الى مفهوم العلمانية سواء أكانت بفتح العين ام بكسرها في دساتير الدول التي وصفت نفسها بالدول العلمانية قبل ان يعتمد فقط على ما اعتبره محسوبا بسوء نية أو بحسن نية على مجمع اللغة العربية .

ذلك أن العلمانية . كمبدأ تضمنتها دساتير بعض الدول وخاصة فيها الدول الغربية وبعض الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية والتي تطلق على نفسها « دول المجموعة الفرنسية » ففي دستور جمهورية فرنسا تحت باب تحديد السيادة في الدولة .

نصت المادة ٢ على أن فرنسا جمهورية لا تتجزأ علمانية ديموقراطية .. الخ .. ولقد حرصت على الاطلاع على نص هذه المادة في الدستور الفرنسي لأعرف من أي لفظ ترجمت كلمة (علمانية) فوجدت النص الآتي الذي يغلف معنى الكلمة سياسيا وتشريعيا

La France est une république indivisable laïque

فكلمة laïque الفرنسية ترجمها الدستوريون (علمانية) والذي وضع هذه الترجمة الادارة العامة للتشريع والفنون في مجلس الامة (الشعب حاليا) كما هو ثابت في الموسوعة العربية للدساتير العالمية التي أصدرها المجلس المذكور في سنة ١٩٦٦ والتي تعتبر من وجهة النظر الفقهية المرجع الدستوري لتفسير هذه الكلمة اذا ما فكر أحد الاحزاب (وهو وارد) في طلب تعديل مواد السيادة في الدستور بحيث تحل كلمة (العلمانية) محل (الاسلامية) ومايترتب عليها من الغاء النص على اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسي للتشريع في غفلة من المعنى الحقيقي حين يشيع بين الناس المعنى الذي يروج له الذين تربوا على الثقافة الغربية واشربوها فاصبحت الحق بهم من ثقافتهم الاسلامية التي يتنكرون لها بين الحين والحين ويحاربونها تحت أكثر من عنوان في مقالاتهم أو يومياتهم ومتى تم لهم ما أرادوا فلن يلتفت أحد الى المعنى المفتعل الذي أورده القاموس الوسيط الصادر من مجمع اللغة العربية ويتجه المشرعون الى المعنى الحقيقي للكلمة كما وردت في دساتير الغرب مع أهدافها .

وفي واقع الامر ان كلمة (العلمانية)



للأستاذ محمد الليثى على

بالحروف العربية دخيلة على اللغة سواء كانت بفتح العين أم بكسرها وفى اللغة العربية ما يغنى عنها فى الحالين فعندنا العالمية نسبة الى العالم والعلمية نسبة الى العلم فما حاجتنا على اضافة (علمانية) مع الادعاء بنسبتها الى العالم أو العلم وقواعد النسبة الى الشيء معروفة فى اللغة العربية ولقد شجع هذا الافتراء على اللغة احدهم ان يقترح ان تكون بفتح العين واللام لكى تنصب النسبة الى العلم بمعنى الراية.فيدخل فى مدلولها الاعلام الدولية التى يرفعها المتسابقون فى محافل الرياضة وهو محق فى اقتراحه مادامت الكلمة تخضع لكل هوى وتتشكل حروفها وفقا للاغراض لا وفقا لوضعها فى الاعراب .

ولقد دفعنى البحث عن الأصل الذى وفدت منه الينا كلمة (العلمانية) الى مراجعة بعض المصادر المتاحة فوجدت الآتى :

١ ـ جاء بكتاب « الدين والعلم » الذى الفه بالتركية المشير أحمد عزت باشا وترجمه الى العربية الدكتور عبد الوهاب عزام وآخر وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٨ مايلى فى صفحة ١٩٥ تحت عنوان هوامش كتاب الدين والعلم :

« لفظ (اللادينى) وضعه فى اللغة التركية المرحوم (ضياكوك آلب) مقابلا لكلمة laique الفرنسية وكلمة لابيك مشتقه من اللغة اللاتينية ومعناها غير متخصص فى علم ومسلك وخصص الفرنسيون اطلاقها بالذى لم يدخل فى جماعة الرهبان .. فهى اذن ذات علاقة بالدين حتى ولو كانت ترجمتها (لارهبانية) .

٢ ـ راجعت معنى الكلمة ومرادفاتها فيما تحت يدى من قواميس فوجدت :

(أ) قاموس اكسفورد انجليزى ذكر مايلى ملخصا :

laic; laical (non clerical layman, secular)

(ب) قاموس القرن العشرين انجليزى ـ انجليزى (ينتسب الى العامة من الناس)

laical : pretaining to the people

(ليس من الكهنة) : non clerical

: secular : as apposed to clerical, one who believes that education should be opposed of religion; one who discarding religious believes.

(بالاختصار من يعارض الدين دراسة أو ينبذه عقيدة)

(ج) دائرة المعارف الفرنسية أحالت معنى (laique) الى مادة (clergé) بصفحة ٦٥١/٦٥٢ من المجلد الحادى عشر ولا يخرج البحث فيها عن أن المعنى ليس من رجال الدين (من عامة الناس) فالكلمة لها علاقة بالوضع الدينى الكاثوليكى .

(د) فى القاموس العصرى انجليزى عربى وعربى انجليزى جاءت الكلمات علمانى ـ غير كهنوتى . مختص بالعوام أمام :

laical, laity, lay :

كهنوتى غير كهنوتى

clerical
non clerical

٩

العلمانية في الدستور

علماني — غير كهنوتي — ليس من أرباب الفن أو المهنة layman عالمي — دنيوي — علماني — عامي (نسبة الى عام) جيلي (نسبة الى جيل) قرني (نسبة الى قرن) (يلاحظ فتح العين) secular

(هـ) معجم اللغات (انجليزي — فرنسي — عربي) سواء الناس الرعية — جمهور المؤمنين ماعدا رجال الدين les laiques

(و) لاروس الجديدة Nouveau Larousse
laique (adj) l'école publique est LAIQUE elle est indépandante de tous les religions

(عكس ديني) (religieux)
laic : de chrétiens que ne sont pas des membres du clerge
من غير رجال الاكليروس

غياب استعمال الدين
laicité : la laicite est l'absence d'engagement religieux

(ز) المنجد فرنسي عربي عن دار المشرق بيروت علماني — (دولة — تعليم مدرسة) لاديني laicon laique فليس من بين معاني Laique عالمي ، كما يلاحظ كسر العين أيضا .

٣ — فسرت جمهورية السنغال — ودستورها مستمد من الدستور الفرنسي — كلمة (علمانية) غير دينية وذلك في المادة ١ من دستورها (١) .

٤ — جاء في ديباجة دستور جمهورية الكمرون تفسير للعلمانية جاء منه «مبدأ العلمانية الذي يضع الشعب الكمروني جمهوريته تحت لوائه يعني الفصل بين الكنائس والدولة ويترتب على ذلك : الجمهورية ليست كنسية ولادينية (١) .

٥ — جاء بالمادة ٢ من دستور جمهورية الجابون .

انها تعلن انفصال الدين عن الدولة .. ومن المعروف أن الجابون احدى دول الجماعة الفرنسية (١) .

٦ — وصفت المادة ٢ من دستور الجمهورية التركية بأنها دولة قومية ديموقراطية (١) علمانية ثم جاء بالمادة ١٩ من دستورها (... كما لايجوز الاستناد الى التعاليم الدينية لتأييد نظام الدولة الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو القانون وكل من يخالف ذلك أو يدفع الغير الى مخالفته يعاقب وفقا للقانون .

وهكذا نرى التفسير الصريح لكلمة العلمانية في الدستور التركي كمبدأ في ماهية الدولة كما أنه من استقراء المرادفات ومعانيها نجد (عالمي) في معنى (secular) فقط .

اما بعد فمهما تعددت الالفاظ والمرادفات في اللغات الاجنبية كلمة العلمانية سواء بفتح العين أو بكسرها ومهما تعددت المعاني العربية لهذه الالفاظ فمما لاشك فيه أن العلاقة وثيقة بين كلمة (العلمانية) وبين الرغبة في الانسلاخ عن المبادىء والتعاليم الدينية سواء أكان هذا الانسلاخ متعلقا بالافراد أم بالجماعات أم بالدول وكل مايقال غير ذلك استنادا الى تخريج ضعيف لاحدى معاني الكلمة أو مرادفاتها قول غير ذي موضوع ولقد كان حريا بمجمع

---

(١) راجع موسوعة الدساتير العالمية .

(١) من بحث للمرحوم الشيخ كامل محمد حسن امام مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الخامس سنة ١٩٧٠ .

اللغة العربية عندما أضاف كلمة (علمانية) الى القاموس الوسيط ان يدرج كل المعاني التي خرجتها القواميس الاجنبية اذا العربية منعا لالتباس الامر على الناس حينما يأخذ أحدهم بمعنى دون آخر وعلى الأخص تلك المباني التى أوضحتها الدساتير التى وصفت نفسها بالعلمانية والتى يعتد دائما بتفسيراتها لدى فقهاء القانون الدستورى ولا يعتد وقتئذ بأى معنى منسوب الى العلم أو العلم أو العلم . ومن ثم نجد أن كلمة علمانى اذا أطلقت انصرفت بالغلبة على معنى (لاديني) في القوانين الوضعية ويبدو أن الهدف من اثارة هذه المسألة من وقت لآخر هو صرف نظر الاجيال الحالية والقادمة عن الدين وابعادها بكل وسيلة عن مبادئه وتعاليمه ثم اغلاق المعاهد الدينية كما نادي بذلك الدكتور زكي نجيب محمود في مقاله (ادرك السفينة بربانها) الذى نشره في جريدة الاهرام يوم (٥ مارس سنة ١٩٨٣) وهو لم يطلب ذلك في مقاله بصفة مباشرة ولكن كنتيجة منطقية لدعوته الى الغاء الازدواجية الموجودة في التعليم الأساسي لأنها (اى الازدواجية) من وجهة نظره لاتؤدي الى أن يكون جميع الدارسين الى سن معينة تحت مظلة ثقافية واحدة وحتى لاتغرق السفينة فقد التجأ الى الربان لكي ينقذها من هذه الازدواجية والربان في هذا المجال هو المخطط للتعليم فاقترح عليه أحد أمرين هما بالاختصار مع الحفاظ على المعنى .

١ ـ اذا كانت الدراسة في الخط التعليمى العام هى الاصلح فلتكن هى الدراسة للجميع أو ٢ ـ اذا كانت الدراسة على برامج المعاهد الدينية هى الاصلح لوحدة المظلة الثقافية ـ في رأى رجال التربية ـ فلتكن هذه الدراسة للجميع ويرى تبعا لذلك أنه من الاصوب أن نقدم للناشئة جميعا مايوحى لهم بقوة أنهم أبناء أمة واحدة لابد أن تكون لها رؤية ثقافية واحدة .

وهذا كلام معسول الظاهر ولكنه مر الباطن فهو يخفي وراءه غرضا جعله مقدمة لموضوع العلمانية الا اذا كنت أخطأت الفهم عنه فالدكتور الكاتب يعلم علم اليقين أن الدراسة على برامج المعاهد الدينية لاتصلح أن تكون مظلة موحدة لجميع أبناء هذه الامة من مسلمين وأقباط فلا خيار أمام المخطط للتعليم الا الاخذ بالخط التعليمى العام دون الخط التعليمى على مناهج المعاهد الدينية ومن ثم تغلق المعاهد الدينية الازهرية الابتدائية والاعدادية فلا تجد المعاهد الثانوية من يكون صالحا للالتحاق بها فتغلق هي الأخرى وهكذا ومن ثم يكون قد تحقق الحلم القديم للاستعمار الغربى الصليبى عندما دعا الى الغاء الازدواجية في التعليم بعد ماتبين له أنه في ظلال المعاهد الدينية توثقت العلاقة بين مصر وبين جميع البلاد الاسلامية وفى ظلال الازهر الشريف قويت عوامل الربط بين مصر وبين كل المجتمعات الاسلامية فاضعاف الصلة التى تربط بين التعليم الدينى والمدنى سياسة ابتدعها جورج لويد ومستر دنلوب وكان من آثارها الغاء التعليم الدينى بالمدارس الالزامية وعندما قام بعض الخيرين بافتتاح كتاتيب لتحفيظ القرآن سلطوا عليها وزارة الصحة

البقية ص ١٢٠٢



بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية في مصر

تكثف مصر — حكومة وشعبا — الدراسة والبحث من أجل حل مشاكل « مصر » الاقتصادية ، كي تنطلق البلاد — باذنه تعالى — الى آفاق رحبة مشرقة بالرفاهية والازدهار .

وقد نادى الرئيس محمد حسنى مبارك بضرورة زيادة الانتاج مثلما نادى فدعا الأطراف جميعا الى دراسة قضية الدعم التى هى احدى الوسائل — لاصلاح المسار الاقتصادى ، ثم خطت الحكومة خطوة رائدة فقررت خفض الانفاق الحكومى فى جهاز الدولة والقطاع العام بنسبة عشرة الى مائة ، أى ما يوازى خمسمائة مليون جنيه فى الموازنة الجديدة للدولة عن عام ٨٤/١٩٨٥ .

والى هذه الخطا الثلاث يطوح البعض دعوى بـ « ضرورة تنفيذ ميزانية تقشف » لمدة محدودة حتى يمكن اصلاح ميزان المدفوعات المصرى .

وليس من شك فى أن جهود الاصلاح الأخيرة التى خطت اليها جهات حكومية مسئولة قد تمكنت من لمس مظاهر الفساد والافساد ، فاذا أمام القضاء مجموعة من القضايا تتعلق بشئون اقتصادية يمثل المتهمون فيها أمام القضاء ، وفى يد العدالة تمم الجزاء .

على أن هذه المظاهر مجتمعة تبشر باصلاح يزهد فى الدعاية ويحث على التطهير وحتى تتبين حجم هذه المشاكل ينبغى أن نلقى الضوء — بايجاز — على أهم رءوسها التى يعانى منها اقتصاد البلاد ، لاسيما مشاكل : الانتاج — الدعم — خفض الانفاق الحكومى ، ثم نتطرق الى اقتراح بالاصلاح .

الانتاج :

ان الدعوة الى زيادة الانتاج ، وتجويده ليناقس المنتجات غير الوطنية ويغنى المصرى عن البضاعة الاجنبية — لهى حجر الأساس لتقدم وازدهار مستوى معيشة شعب مصر ، وقوة الدولة .

ولكى تتحقق هذه الدعوة وتأتى بنتائجها المرجوة ينبغى معرفة العوامل الأساسية المؤثرة فى نجاحها فى كافة المجالات ، وفى ضوء حصر هذه العوامل ودراستها يمكن تحقيق الغرض الأساسى للنجاح ، وسوف يتأتى — من ذلك — تأكيد شخصية مصر مع الاعتماد الكلى على اقتصاد يبنى على أكتاف المصريين وليس على أكتاف المعونات والقروض ، فان هذه الأخيرة ذات ذبذبة سياسية فضلا عما يتبعها من ارتباطات دولية تثير الشبهات فى كثير من أحوالها .

للأستاذ عبد المنعم فــودة

وهنا يجب أن يقوم النشاط الاقتصادى فى البلاد على الاهتمام الوفير بالكيف ، فان الاهتمام بالكم وحده يجعل السلعة ـ من ناحية الجودة ـ غير مقبولة فى السوقين : العالمى والمحلى ، كما أنه يشجع الكثيرين فى السوق المحلى على سد احتياجاتهم بالبضائع المستوردة .

ولقد تستمرىء القوى العاملة مبدأ العمل بالكم لما يحقق لها من دخل وحوافز ومكافآت ولكنه فى النهاية يبوء بالكساد وتتغلب عليه السلعة الاجنبية ولو كان مستوى جودتها غير قياسى .

ولا شك أن أهم العوامل المؤثرة فى زيادة الانتاج وجودته هو العمل على تقليل نسبة « الفاقد الحقيقى » غير المنظور ، وليس الوهمى الذى يظهر فى مستندات العملية الانتاجية بمعناها الواسع ، أى : الانتاج والخدمات معا .

هذا الفاقد غير المنظور يعتبر خسارة محققة للاقتصاد القومى حيث تعتبره الوحدات الاقتصادية ضمن حجم الانتاج نتيجة ارتباط الانتاج بالكم مما يترتب عليه خسائر متعددة فى مقدمتها فقد السوق الأفضل وتخفيض ثمن المنتج الى درجة قد تصل الى أقل من التكلفة الفعلية .

ومن هنا ، ولكى نعالج هذا الاسراف فى الفاقد ، ونهتم الى جانب ذلك بزيادة الانتاج القومى فى أحسن حالة لابد لنا من تطبيق قواعد ضبط الجودة والمراقبة والتفتيش المحايد على جميع خطوات التنفيذ .

الدعم :

من المفيد فى دراسة « قضية الدعم » وما يتصل بها من قضايا الأجور والأسعار والانتاج والانفاق العام داخليا وخارجيا الا تفوتنا حقائق تتعلق بهذه القضية ومدى تأثيرها على المشكلة الاقتصادية .

لقد تبين للباحثين فى هذه القضية أنه كان ينبغى أن يكون لها معايير دقيقية فيما يتصل بطبيعة السلع والخدمات التى يمكن دعمها حتى يمكن أن يتجه الدعم الى ما ينبغى دعمه فعلا فتنتفع به الطبقات الكادحة ولا يكون له تأثير سىء على اقتصاد البلاد لكن نرى أن الدعم امتد حتى شمل :

(أ) الدقيق الفاخر والعصائر والمربيات « والكميوت » وامتد ـ فى بعض الأحيان ـ فشمل سلعا خرجت عن نطاق الحاجيات الضرورية .

(ب) كذلك امتد ـ الى مجالات أخرى ـ مثل التزام الدولة بتحمل فروق القروض الميسرة .

ان الاعتمادات المدرجة بالموازنة العامة لخفض تكاليف المعيشة لا تمثل وحدها حجم الدعم بمعناه العلمى فى الاقتصاد المصرى لذا يجب أن نفرق بين الانواع الثلاثة الآتية : ـ



١ ـ دعم الموازنة :

مثل الاعتمادات المخصصة لخفض تكاليف المعيشة (وهي الدعم المباشر) وما أضيف اليها مؤخرا (الفوائد) وهي مدرجة لتشجيع الاستثمارات في المجالات المرغوبة ، ويوضح الجدول التالي تطورا لاعتمادات الدعم بالموازنة العامة للسلع التموينية منذ عام ٧٣ باعتبارها تمثل النسبة الغالبة من الدعم المباشر •

(القيمة بالمليون جنيه (١))

السلعة / السنة	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٩/٧٨	٨١/٨٠	٨٢/٨١
القمح	٧٠ر٨	١٩٦ر١	١٣٥ر١	١٥٦ر٣	١١٢ر٥	٤٨١ر٨	٣٥٨ر٦	٥٨٧ر٦
الدقيق	٨ر٣	٢٦ر٠	٢٧ر٦	٢٥ر٨	٣٥ر٦	١٠٦ر٤	١٥٤ر٨	٢٠٢ر٤
الأذرة الصفراء	٤ر٤	١٦ر٥	٢٩ر٢	٢٢ر١	٤٠ر٦	٣٨ر٤	٦٣ر٧	١٢٥ر٤
العدس	٠ر٦	٢ر٢	٦ر٣	٩ر٠	٩ر٤	١٤ر١	٢٤ر٥	٣١ر٨
الفول	٠ر٣	٠ر٧	٥ر٢	٦ر٠	٢ر٠	*١٤ر٧	١٣ر٠	٣٠ر٠
السمسم	٠ر٤	٠ر٣	١ر٢	٠ر٤	٠ر٣	-	٥ر٦	٦ر٦
زيت الطعام	١٦ر٨	٢٥ر٢	٧٢ر٦	٤١ر٠	٤٨ر٤	١٣٣ر٧	١١٤ر٢	٢٣٣ر٧
الدهون	٢ر٩٠	٣ر٦	١١ر١	١٩ر٤	٣٦ر٤	٦٦ر٤	٨٠ر٣	٦٣ر٩
السمن الصناعي	١ر٠	٠ر٢	-	-	-	-	-	-
الزبدة	-	٠ر٤	-	-	-	-	-	-
اللحوم المجمدة	-	-	-	٢٠ر٤	-	١١ر٤	٦٢ر٣	٩٨ر٣
الدواجن المجمدة	-	-	٠ر٥	-	-	-	٧ر٦	٢٦ر٣
لحوم حية	-	٠ر١	٠ر٢	-	-	-	-	٢ر٠
السمك المجمد	٠ر٥	-	٣ر٠	٠ر٢	٠ر٤	٢ر٩	١٨ر٥	١٨ر٦
السكر	-	١٦ر٢	١١ر٥	-	-	-	٩٧ر٨	١٣٩ر٤
البن	-	٠ر٥	٠ر٣	٣ر٣	٥ر٦	-	-	-
الشاي	-	-	-	-	١٨ر٣	٥٤ر٦	٢٧ر٨	٢٤ر٨
ارز مطلى	-	-	-	-	-	٤٣ر٠	٤٣ر٧	٥٢ر٥
الخشب	١ر٩	٩ر٤	٤ر١	-	-	-	-	-
سلع متنوعة	٠ر٢	٠ر٦	١ر١	-	-	-	-	٢٤ر٩

ويلاحظ في هذا الجدول : ـ

ـ أن دعم الخبز وحده يبلغ ٨٨٦ مليون جنيه عام ١٩٨٢ منها ٣٦ مليون لسد متطلبات أصحاب المخابز والعمال لتحقيق ربح مجز لصاحب المخبز وأجر مناسب لعمال (الأفران)

ـ تزايد اعتمادات الدعم للحوم المجمدة والدواجن المجمدة من سنة لأخرى •

ـ تزايد الاعتماد بصفة عامة على

الاستيراد من الخارج .

٢ ـ الدعم الاقتصادى :

ويمثل الاعتمادات المخصصة للعملية الاقتصادية ككل ، منها : ـ

(أ) تكلفة الفرصة الضائعة على الاقتصاد القومى نتيجة استهلاك بعض السلع (البترول مثلا) بأسعار منخفضة عن أسعار تصديرها .

(ب) تكاليف الفرق بين أسعار الصرف للعملات الاجنبية المستخدمة فى استيراد الجزء الأغلب من الاستيراد السلعى والأسعار الواقعية للعملة الوطنية .

(جـ) ما تتحمله الموازنة العامة ووحدات القطاع العام من تكاليف العمالة الزائدة ، والتى تقدر فى الجهات الحكومية بخمس اجمالى العاملين بها ، ونصف هذه النسبة فى وحدات القطاع العام .

(د) حجم الرسوم الجمركية على السلع التى تعفيها الدولة اسهاما منها فى خفض تكاليف المعيشة .

(هـ) ما تتحمله الدولة من اعتمادات لتقديم خدمات للمواطنين دون مقابل .

٣ ـ الدعم التمويلى :

ويمثل التحويلات التى يتحملها قطاع من المجتمع لصالح قطاع آخر او المجتمع بأكمله وأهم بنوده :

(أ) فروق أسعار الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية نتيجة لتسعيرها بأقل من تكلفتها او من أسعار استيرادها .

(ب) الفرق بين العائد الاقتصادى الحقيقى والعائد الفعلى لأصحاب العقارات الزراعية والمبنية المؤجرة .

(جـ) ما يتحمله مستوى الأجور نتيجة توجيه جزء من هذه الأجور للعمالة الزائدة طبقا لالتزام الدولة تشغيل الخريجين .

وبصفة عامة فان القضية قضية الدعم يحيطها عوامل متعددة تؤثر مجتمعة فى الاقتصاد القومى ولذلك فانه يجدر بنا هنا أن نعددها وندرسها لكى نصل فى النهاية الى احد الحلول الهامة لدراسة كيفية ترشيد الدعم وتقليل الثغرات التى تتخلله .

١ ـ يستنفد الدعم الظاهر بالموازنة وحده نحو ٣٤٫٧٪ من الموارد السيادية طبقا للبيان المالى لعام ٨٣ / ٨٤ مما كان له أثره على برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن أن معدلات التزايد المستمرة فى حجم هذا العبء والتزام الدولة بتدبير الموارد الكافية لمواجهته ـ فى ظل قصور الموارد المالية ـ قد يدفعها الى الاقتراض من الخارج مما يؤدى الى زيادة تفاقم المشكلة الاقتصادية

ولقد اضطرت الدولة فى الميزانية الحالية ٨٥/٨٤ لرصد مبلغ ٢٠٤٠ مليون جنيه لاعتمادات الدعم بينما بلغ ما رصدته عام ١٩٧٣ (١٠٨) ملايين جنيه .

٢ ـ ان الفرق الكبير بين أسعار بعض السلع المدعمة وأسعار السلع المثيلة المطروحة فى الأسواق المحلية ساعد على ظهور فئات مستغلة من الوسطاء تلجأ الى التحايل بما

يمكنها من المتاجرة فى السلع المدعمة وصولا الى الاثراء على حساب ميزانية الدولة .

٣ ـ ان خطورة الأمر لم تتوقف عند حد اعتبار موضوع الدعم مجرد مشكلة عادية ، وانما أصبح كما يؤكد الجهاز المركزى للمحاسبات . مشكلة على جانب كبير من الصعوبة بعد أن بات مؤكدا أن رجوع الحكومة فيه أو حتى مجرد التوقف عند حد معين لهو أمر عسير المنال ومحفوف بالمخاطر بعد أن تغلغل فى الكثير من الانشطة الاقتصادية وفى العديد من السلع والخدمات وبعد أن تعددت صوره وأشكاله فانه فضلا عن الدعم الظاهر بالموازنة والذى يتناول مباشرة العديد من السلع الاساسية وحتى غير الاساسية والعديد من الخدمات التى من اهمها تحمل الجانب الاكبر فعلا من تكاليف مقاومة آفات القطن والأرز . والجانب الاكبر من فوائد القروض الميسرة التى تقدم للمزارعين والحرفيين عن طريق بنوك الائتمان وتقديم القروض الميسرة للاسكان واستصلاح الأراضى والامن الغذائى حيث تتحمل الدولة فروق فوائدها . فهناك ايضا انواع أخرى من الدعم تتحملها الموازنة ايضا وان لم ترد صراحة تحت مسمى الدعم فى مقدمتها .

٤ ـ اضطرت الحكومة لمواجهة الطلب المتزايد على بعض السلع الى التوسع فى استيرادها ودعم اسعار بيعها للمستهلكين . بينما تركت نفس السلع من الانتاج المحلى تباع بأسعار السوق (كالقمح) أو اسعار أخرى تحددها (كاللحوم) **ويعنى ذلك ان الاقتصاد المصرى يدفع ـ عن غير قصد ـ دعما غير مباشر للمنتجين فى الخارج** ويتاح لهم أسواق مصر .

٥ ـ زاد حجم وقيمة المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية التى نستوردها الى الحد الذى فاق كل التقديرات وفاق ايضا الزيادة السكانية وارتفاع الدخول ، لاتباع الدولة سياسة توفير هذه المواد بكميات مناسبة بالاسعار المدعمة ، فارتفع بالتالى حجم الدعم لهذه السلع ، واذا كانت الموارد محدودة فانه يخشى ان يؤدى ذلك الى زيادة الاقتراض من الخارج مع ما يحيط ذلك من مخاطر .

٦ ـ فى كثير من السلع ، وبخاصة المستورد منها ، تدعم الموازنة العامة السلع فى شكلها النهائى بينما فى سلع أخرى يوجه الدعم للمدخلات ، وبالتالى فان الحكم على كفاية العملية الانتاجية يكون عسيرا .

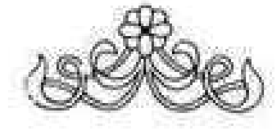
من هذا يتبين أن اعتمادات الدعم ليست فقط فى حاجة الى ترشيدها داخليا ، وانما الى ترشيدها ـ على الأخص ـ فى السلع الغذائية التى تستنفد الجزء الاكبر من اعتمادات الدعم .

يتبع

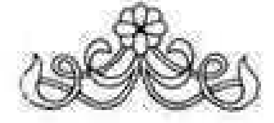
بتصرف عن دراسة لـ (كومبيمل)

عبد المنعم محمد فودة

العلوم الكونية



علوم القمر



الغلاف المائي



علوم القمر

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (يونس آية ٥) .

دأب الانسان منذ القدم على محاولة معرفة ما على سطح القمر وقد رصدت لذلك الاموال الطائلة من أجل أبحاث مستفيضة .

وكنا نتمنى أن يكون للعلماء المسلمين النصيب الاكبر فى هذه الابحاث الحديثة ذلك لأن اخضاع الاكتشافات والعلوم الحديثة للمفاهيم الاسلامية والنصوص القرآنية يمكن العلماء المسلمين ودارسى القرآن الكريم من اصلاح الحياة على الارض كلها بل واصلاح ما بعد الموت لانه ليس هناك شرع استوعب كل كمالات الحياة والممات كالاسلام « وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » المائدة .

وقد تمكنت روسيا عام ١٩٥٩ من أخذ صور واضحة للوجه غير المرئى للقمر مما أثبت وجود تماثل بين طبيعة سطح القمر فى كلا الوجهين . وتمكن الأمريكيون فى عام ١٩٦٥ من اطلاق صاروخ « رينجر ٧ » الى القمر وقد وصل قريبا جدا من القمر والتقط العديد من الصور . وفى النهاية استطاع الانسان الهبوط على سطح القمر بواسطة ثلاثة من الرواد الأمريكان (رحلة أبوللو ــ ١١ ، سنة ١٩٦٩) ، وتوالت بعد ذلك الابحاث والدراسات على سطح القمر . وسوف نتعرض باذن الله لنلخص لبعض ماتم التوصل اليه من خلال الرحلات الفضائية المختلفة .

١ ــ سطح القمر :

ان الناظر الى القمر فى ليلة اكتماله وهو (بدر) ساطع تام الاستدارة يستطيع أن يميز به مناطق مضيئة لامعة وأخرى داكنة تميل الى السواد .

أما المناطق اللامعة فتمثل بصفة عامة المرتفعات القمرية تضم الجبال العالية وهذه تقوم بعملية انعكاس لأشعة الشمس الساقطة عليها لذلك فهى تبدو أكثر لمعانا واضاءة . وأما المناطق الداكنة فتمثل المنخفضات القمرية التى تسمى أحيانا باسم (بحار القمر) وهى خاوية تماما من الماء .

وعلى هذا الاساس فمن أهم ظواهر الشكل الظاهرى لسطح القمر هى وجود سلاسل فى الجبال العالية ووجود مجموعة من المنخفضات المسطحة الجافة (بحار القمر)



كيميائي منير عبد الفتاح عبد الحميد

وبجانب ذلك توجد أيضا ظاهرة الفوهات المستديرة وهي تنتشر على سطح القمر بصورة ملفتة للنظر ، كذلك توجد ظاهرة الشقوق والأخاديد العميقة . وسنذكر بمشيئة الله نبذة مختصرة جدا عن كل من هذه الظواهر الأربعة :

(ا) جبال القمر :

يحتوى سطح القمر على حوالى ثلاثين من السلاسل الجبلية التى يتراوح ارتفاعها ما بين أقل من كيلومترين الى حوالى ثمانية كيلومترات . ويبدو أن معظم هذه السلاسل الجبلية تتكون من الصخور المسمى بـ (الانورثوسيت) وهى صخور فاتحة اللون ذات وزن نوعى خفيف الى حد ما وهذه الصخور غنية بالكالسيوم والسيليكون ووجد أن عمرها يزيد عن (٤٠٠٠) مليون سنة (كما دلت القياسات التى أجريت عليها) .

(ج) بحار القمر :

البحار القمرية تمثل مناطق منخفضة من سطح القمر بالنسبة لما حولها وهى كما أسلفنا لا يوجد بها ماء وانما أطلق عليها لفظ البحار (باللغة الانجليزية) لانخفاضها واستواء قيعانها ويوجد من هذه البحار ما يقرب من عشرين بحرا أهمها هو « بحر الهدوء » الذى هبطت عليه سفينة الفضاء « أبوللو — ١١ » بروادها الآدميين .

(د) فوهات القمر :

تعتبر الفوهات من الظواهر العجيبة على سطح القمر ، وهى عبارة عن ثقوب أو فجوات ذات أعماق لم تعرف بعد يحيط بها من الخارج حواف مرتفعة ويوجد منها الصغير الذى يبلغ قطره عدة مئات من الامتار ، ومنها المتوسط ومنها الكبير الذى يبلغ قطره عدة مئات من الكيلومترات .

ومن أمثلة الفوهات الكبيرة فوهة « كوبر نيق » التى يبلغ قطرها حوالى ٩٠ كيلو مترا فى حين ترتفع حوافها الى حوالى أربعة كيلو مترات . وقد استبعد العلماء والباحثون فكرة نشوء هذه الفوهات نتيجة لفوران بركانى من داخلها نظرا لاتساعها الضخم بالنسبة لفوهات البراكين الأرضية .

ورجحوا أن تكون هذه الفوهات ناشئة عن سقوط (رخات) (١) منتظمة من النيازك ذات الاحجام الضخمة والتى تصطدم بسطح

٩

(١) الفعل رَخَّ بابه مَدَّ . رَخَّ الشَّيْءَ لَانَ . رَخّاه ، والشراب : مزجه . والرَّخ : الرشاش من المطر .

القمر بمنك محدثة فجوات عميقة • على الفوهات •

(د) الشقوق والاخاديد على سطح القمر :

يحتوى سطح القمر على الكثير من الشقوق والصدوع :

وهذه الشقوق يوجد منها القصير الذى لا يتعدى طوله بعض الكيلومترات •

ومنها الشقوق الضخمة التى تمتد لمسافة عدة مئات من الكيلومترات •

أما الأخاديد فهى عبارة عن منخفضات ضيقة وعميقة بالأرض تنشأ عن صدعين متوازيين يحدث بينهما الهبوط المشار اليه •

ولا تزال الابحاث والدراسات جادة فى هذا المضمار للكشف عن غموض هذه الشقوق والاخاديد ، وأسبابها •

التركيب الكيميائى للصخور القمرية :

نجحت رحلات « أبو للو — ١١ » الى « أبوللو — ١٧ » فى الهبوط على سطح القمر والعودة بكميات لا بأس بها من الصخور •

أيضا فان رحلات الاتحاد السوفيتى « لونا — ١٦ » و « لونا — ١٧ » قامت باحضار مئات الجرامات من الصخور القمرية •

وقد بذل الباحثون عدة محاولات لمعرفة التركيب الكيميائى للصخور القمرية ، والجدول الآتى يوضح التركيب الكيميائى للصخور البازلتية القمرية بالمقارنة بالصخور البازلتية الأرضية •

اكسيد العنصر	النسبة المئوية للبازلت القمرى	النسبة المئوية للبازلت الارضى
اكسيد السيليكون	تتراوح ما بين ٤٠٪ — ٤٧٪	تتراوح ما بين ٤٥٪ — ٥٠٪
اكسيد الالومنيوم	تتراوح ما بين ٨٪ — ٢٠٪	تتراوح ما بين ٥٪ — ١٨٪
اكسيد الحديديك		٣٪
اكسيد الحديدوز	تتراوح ما بين ٨٪ — ٢٧٪	تتراوح ما بين ٣٪ — ٩٪
اكسيد الماغنسيوم	تتراوح ما بين ٩٪ — ٨٪	تتراوح ما بين ٤٪ — ١٨٪
اكسيد الكالسيوم	تتراوح ما بين ٩٪ — ١٣٪	تتراوح ما بين ٧٪ — ١٢٪
اكسيد الصوديوم	تتراوح ما بين ٣٠ر٪ — ٧٠ر٪	تتراوح ما بين ٢٪ — ٣٪
اكسيد البوتاسيوم	تتراوح ما بين ٠٧ر٪ — ٥٠ر٪	تتراوح ما بين ٥٠٪ — ١٪
اكسيد التيتانيوم	تتراوح ما بين ١٪ — ١٢٪	تتراوح ما بين ٣٪ — ٦٪
خامس اكسيد الفسفور	تتراوح ما بين ٠٧ر٪ — ٥٠ر٪	تتراوح ما بين ١٥ر٪ — ٨ر٪
اكسيد المنجنيز	تتراوح ما بين ١ر٪ — ٤ر٪	تتراوح ما بين ١ر٪ — ٢٥ر٪

مقارنة بين نسبة تواجد العناصر الهامة في صخور البازلت وصخور البازلت الأرضية .

(يلاحظ وجود تشابه كبير بين نسب عناصر صخور القمر ونسبة عناصر صخور الأرض).

هذا وقد أدت التجارب التي أجريت على صخور القمر أيضا الى تحديد نسب العناصر المشعة (أشعة جاما) وذلك عن طريق تحديد نسب البوتاسيوم واليورانيوم والثوريوم .

٣ ـ الحياة على سطح القمر :

على الرغم من أن هناك جانبا غير مجدي للبحث في هذا الامر الا أنه قد يكون هناك فوائد تعود على البشرية من جراء البحث عن امكانية الحياة على سطح القمر اذ أن ذلك قد يصل بنا الى امكانية التعرف على وجود كائنات حية على سطح القمر وهل هي عاقلة أم لا ؟ وهل يمكن تبادل المنفعة بين أهل الأرض وأهل القمر ؟

وقد أخذ أرمسترونج (قائد سفينة ابوللو ـ ١١) يردد على سطح القمر بعد أن وطئت قدماه : « هنا خطا رجال من كوكب الأرض أولى خطواتهم على القمر في يوليو ١٩٦٩ . وقد جئنا بروح السلام للبشرية جمعاء » وكان هذا النداء باللغة الانجليزية على أمل أن يجد صدى من مخلوقات ذكية وعاقلة . لكنه لم يجد اجابة .

والواقع أن الدراسات والابحاث المعملية اثبتت عدم امكانية وجود كائنات حية من النوع الذي يعيش على الأرض اذ أنه لا يوجد غلاف جوي أو مائي ظاهر كما أنه لا توجد وقاية من الاشعاعات الكونية ولا يوجد ما يخفف فروق درجات الحرارة الكبيرة بين النهار والليل بالقمر .

***

غير أن هذه النتيجة التي تنادي بعدم وجود حياة فوق القمر ينبغي الا تمنعنا من التفكير في وجود مخلوقات عاقلة في اماكن أخرى من الكون الفسيح سواء في الكواكب أو المجرات البعيدة .

يقول الله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » .

صدق الله العظيم .

---

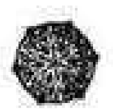
١ ـ محيط العلوم ـ طبعة دار المعارف ١٩٦٣ .

٢ ـ جيولوجية القمر ـ الأستاذ الدكتور علي علي السكري .

٣ ـ قاموس البيولوجيا .

٤ ـ من ادب القرآن للدكتور الشرباصي .

٥ ـ مجلات علمية اجنبية ١٩٧٣ .
Analgtical Geochemistry







« وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٤) ۰ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) ۰ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) ۰ (سورة النحل) ۰

تمهيد :

يقصد بالغلاف المائى جميع الأسطح المائية التى توجد على سطح الكرة الأرضية من محيطات وبحار وبحيرات وأنهار ٠٠ الخ ٠

ومن المعروف أن الكرة الأرضية التى نعيش فوقها مسطحة قليلا عند القطبين ، أى أن قطرها الاستوائى وهو قرابة (٧٩٢٦ ميل) أكبر من قطرها الذى يصل بين القطبين فهو نحو (٧٨٩٩ ميل) ۰ وتبلغ مساحة سطح الكرة الأرضية كلها حوالى (١٩٧ مليون ميل مربع) منها حوالى (١٤١ مليون ميل مربع) تغطيها المحيطات والبحار (أى نحو ٧١٪ من مساحة سطح الكرة الأرضية) بينما مساحة اليابسة نحو (٥٦ مليون ميل مربع) ۰ (أى نحو ٢٩٪ من مساحة سطحها) ۰

هذا ولا تتوزع اليابسة والبحار بالتساوى على سطح الكرة الأرضية ، اذ توجد معظم اليابسة فى نصف الكرة الشمالى بينما تغطى المحيطات معظم نصف الكرة الجنوبى ۰

عمق المحيط :

يختلف عمق المحيط من منطقة الى أخرى ويزيد فى المتوسط على ١٣ ألف قدم (حوالى ٣٩٠٠ متر) ، وقد أمكن قياس أعماق تزيد على ٣٥ ألف قدم (حوالى ١٠٥٠٠ متر) باستخدام صدى الصوت فى المحيط الهادى ، وتم التعرف على أعظم الأعماق فى خندق ماريانا الذى يصل الى نحو سبعة أميال ۰

ارتفاع اليابسة :

ومن ناحية أخرى يختلف ارتفاع اليابسة أيضا من منطقة الى أخرى فمتوسط ارتفاع اليابسة يقل عن (تسعمائة متر) ، ولكن هناك ارتفاعات تصل الى علو ٨٧٠٠ متر فى (الهملايا) ۰

وعلى الرغم من أن الفرق بين أعلى قمة



للدكتور ربيع سيد فولى

على سطح الكرة الأرضية وأكبر عمق للمحيط (حوالى ١٣ ميلا) قد يبدو كبيرا الا أنه فى الحقيقة صغير جدا اذا ماقورن بنصف قطر الكرة الأرضية الذى يقارب حوالى ٤٠٠٠ ميل .

ملوحة مياه البحار والمحيطات :

تتوقف ملوحة مياه البحار والمحيطات على عدة عوامل :

مثل معدل سقوط الأمطار .

ومعدل البخر من هذه الأسطح المائية الذى يتوقف بدوره على سرعة الرياح السطحية ودرجة حرارة الهواء عند سطح المياه وتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى .

وحيث ان هذه العوامل تتغير بتغير المكان والزمان لذلك تتغير أيضا ملوحة مياه البحار والمحيطات من منطقة الى أخرى ومن زمان الى آخر .

الكائنات الحية البحرية :

من نعم الله تعالى علينا ـ أن جعل (الاكسجين) أثقل قليلا من الهواء . ولذوبان الاكسجين فى الماء أهمية كبرى اذ ان الحيوانات والنباتات البحرية تستمد ما يلزمها للتنفس من الاكسجين المذاب فى الماء . وكذلك (غاز ثانى أكسيد الكربون) الذى يتكون فى الغلاف الجوى تمتصه النباتات والأعشاب البحرية أثناء عمليات التمثيل الضوئى ثم تعيده (أكسجين) خالصا .

أى أن التفاعلات التى تحدث بصفة مستمرة بين الغلاف الجوى والغلاف المائى تعتبر أساسا لحياة الكائنات الحية البحرية بأنواعها المختلفة . وسنوضح فى مقالات مقبلة باذن الله تعالى أن هذه التفاعلات تعمل أيضا على الحفاظ على حياة الانسان والكائنات الحية الأخرى فوق سطح الكرة الأرضية .

دور المحيطات فى المناخ والتغيرات المناخية :

عند محاولتنا فهم مناخ كوكب الأرض والتغيرات التى تحدث فيه يواجهنا نظام طبيعى معقد جدا . ويتضمن هذا النظام ليس فقط الغلاف الجوى ـ والذى عرف عن سلوكه وخصائصه الكثير نسبيا ـ ولكن أيضا الغلاف المائى والكتل الجليدية ـ تلك الكتل التى لم يعرف عنها الكثير ـ وكذلك التغيرات التى تحدث فى سطح الكرة الأرضية . وبالاضافة الى العوامل الطبيعية سابقة الذكر . يوجد أيضا عمليات وتفاعلات كيماوية وحيوية معقدة متبادلة ـ بين الغلاف المائى والغلاف الهوائى ـ تؤثر على المناخ من ناحية . ومن ناحية أخرى تؤدى دورا هاما فى تأثير المناخ على الكائنات الحية المختلفة . وبالتالى على الانسان .



الغلاف المائى

هذا وكل من العمليات المذكورة يخضع لتفاعلات معقدة مع بعض العوامل الأخرى وذلك لمدى كبير من مقاييس الزمان والمكان ، تمتد من العمليات ذات المقياس الصغير — التى تحدث حولنا يوميا — الى تلك العمليات التى يصل تأثيرها الى باطن الأرض وتظل لسنوات عديدة .

وفيما يلى نلخص الخصائص الرئيسية للمحيطات تلك الخصائص التى تؤدى دورا هاما فى مناخ كوكب الأرض .

أولا : مساحة المحيطات أكبر من مساحة اليابسة، ويزيد الفرق بين المساحتين خصوصا فى نصف الكرة الجنوبى اذ تصل مساحة المحيطات الى حوالى ٨٥٪ من مساحة الأرض (بالمقارنة الى ٦١٪ فى نصف الكرة الشمالى) ، كذلك توجد خصائص مميزة أخرى فى نصف الكرة الجنوبى مثل الغطاء الثلجى الأعظم ، والمساحات الكبيرة والمتغيرة من سطح المحيطات ، والتى يغطيها الجليد .

ثانيا : تعتبر المحيطات باردة اذ أن متوسط درجة حرارتها حوالى ٣ر٣°م ، ولها سعة حرارية كبيرة بالمقارنة الى الغلاف الجوى . السعة الحرارية للثلاثة أمتار العليا من المحيطات تعادل السعة الحرارية الكلية للغلاف .

هذا وتكون الطبقة العليا من المحيطات (٥٠ — ١٠٠ متر) ممزوجة جيدا بحيث يكون التغير فى درجة حرارتها — نتيجة لاكتساب كمية حرارة معينة — أقل بكثير من التغير الذى يحدث فى درجة حرارة سطح اليابس .

ثالثا : من الممكن تقسيم المحيطات — عموديا — الى طبقتين أساسيتين ، على الأقل فى خطوط العرض المدارية والمعتدلة ، اذ توجد طبقة رقيقة (سمكها بضع مئات من الأمتار) علوية دافئة فوق الحجم الأعظم للمحيطات والذى يكون باردا معزولا عن الغلاف الهوائى فيما عدا التغيرات التى قد تحدث عند اعتبار فترات زمنية طويلة جدا .

رابعا : تعتبر التغيرات التى تحدث فى المحيطات طفيفة بالنسبة للتغيرات التى تحدث فى الغلاف الجوى وذلك نتيجة للسعة الحرارية العالية للمحيطات وتياراتها البطيئة . وتقتصر التغيرات الفصلية — التى تحدث من فصل الى فصل آخر — للمحيطات على البضع مائة متر العلوية منها ، وفى المناطق ذات التيارات الشديدة بعيدا عن خط الاستواء تتأثر أيضا التغيرات الفصلية بالتموجات الحرارية نتيجة لانتقال الدوامات .

خامسا : تعتبر المحيطات المصدر الرئيسى لبخار الماء الذى يتواجد فى الغلاف الجوى اذ أن متوسط معدل البخر يكون حوالى ١٠٠سم لكل سنة ، ويتراوح معدل البخر بين ١٠ ، ١٥٠ سم لكل عام .

هذه القيم بالطبع متوسطات طويلة المدى ، ولكن معدل البخر الحقيقى فى مكان وزمان محددين يتوقف بدرجة كبيرة على العوامل الجوية المختلفة ويعتبر عاملا هاما فى العمليات المتبادلة المهمة والمعقدة التى تحدث بين الغلاف الهوائى والغلاف المائى .

وسنتحدث فى مقالة مقبلة باذن الله عن دورة بخار الماء بشىء من التفصيل .

مع التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما

من الرياض المستطابة

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

الدين ضروري للعمران

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

الانسان — خليفة الله فى الكون — مركب من روح وجسد . ولكل منهما مطالب لابد من اشباعها فاذا قصر فى واحدة على حساب الأخرى دب الفساد اليه وتضبت القريحة فيه وفترت الهمة ، منه واذا أسرف فى واحدة منهما كان الجنوح والميل وزيغ البصر وعمى البصيرة فلا يهتدى الى النافع ولا ينأى عن الضار .

فلا يقيمه — على خير حال — سوى الاعتدال فانه الذى يسلك به سواء السبيل .

كذلك فان مراقبة الله فى السر والعلن عامل اساسى فى الاخذ باسباب الاعتدال فان الله يعلم السر وأخفى ، وهو مطلع على أحواله وسيجازيه عليها وان كانت مثقال ذرة .

والله الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اتى فى ذلك بأحكام جامعة وقضايا شاملة . وقوانين وأسس تسير عليها الانسانية حتى تبلغ بر الأمان ، وتصل شاطىء النجاة .

وقد شمل هذا الدين عناصر البقاء واسس الحياة للانسان .

فحرى بهذا الانسان أن يتلاءم مع هذا الدين وان يتواءم مع قوانينه ويتآلف مع شريعته حتى يكون — بحق — خليفة الله فى أرضه فيعمرها بنشر تعاليم الاسلام فى ربوعها وبين ابنائها ..

قال الشيخ — رحمه الله :

خلق الله الانسان مركبا من شيئين ، روح وجسد ولكل منهما مطالب لا يتم أمره ولا يصفو عيشه ولا تحصل راحته ولا بغيته التى هى من خصائص ذاته ومقتضى طبيعته



اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الا بها .

فاذا فرط فى مطالب البدن عاش ذليلا عليلا ، وأسرع اليه الضرر من كل جانب ولم يمكنه أن يقاوم السنن الكونية التى تصرع كل من يغالبها ويخرج على أحكامها .

واذا أهمل مطالب الروح عاش عيشة البهائم ولم يكن له من الانسانية نصيب ، اللهم الا فى صورته الظاهرية . وتخاطيطه الجسمية ، بل نقول ان عيشه أسوأ من عيش البهائم لأن البهائم ليس فيها ذلك الشعور المغروس فى طبيعة الانسان الذى يريه الآلام صنوفا وألوانا ولا ذلك الخيال الذى لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية ولا تلك الشهوات التى تبعد مراميها وتتسع نواحيها . ولا ضروب ذلك الانزعاج الذى يحصل مما يكون أو لا يكون وليس فيها النظر الى المستقبل الذى فعل بنا الأفاعيل ولا تلك العواطف التى قد تهلك صاحبها فى سبيل ما تصبو اليه ، ولديك مصارع العشاق وأخبار من ماتوا شهداء فى سبيل الفضائل أو قتلوا مجرمين فى سبيل الرذائل مما لا نطيل القول فيه .

فأين هذا من الحيوان الذى يكون هادىء البال حتى يفجأه ما يفجؤه من الحوادث الوقتية التى ينتهى الألم بانتهائها من غير أن يحسب لها حسابا قبل هجومها عليه ولا يعتريه أسف الذكرى بعد مفارقتها .

فاذا لم ينظر الانسان فى المنهاج الذى يضعه لنفسه من الجهة الروحية والمطالب النفسية حتى يقفها على الصراط المستقيم ويهذبها بما يقيم اودها ويزيل أعوجاجها كان شرا من البهائم ، وأحط من كل ذى روح ، ـ هذا حاله فى نفسه .

أما حاله بالنسبة الى المجتمع العام فهو وبال عليه فانه لا يلقى منه المجتمع الا صنوف البلاء وأنواع الشقاء ، فان الرجل العارى منمكارم الأخلاق الذى لم تهذب عواطفه ولم تصف معارفه فاصبح يتخبط فدياجير الظلمات وأنواع الشرور والآفات هو وحش ضار يفتك بكل من قدر عليه وهو عقرب يلدغ كل من يلتصق به أو يقرب منه ، وهو بعد ذلك شيطان متفنن فى ضروب الشر وفنون الاحتيال لا يعرف الا نفسه المجرمة وشهوته الفاجرة ونزعته الحمقاء .

ولو هلكت الأمة وخرب العالم ، فهو من نفسه فى شقاء شديد . أصبح مضطرب الأحوال مختل الخيال مرتبكا كل الارتباك بين انسانيته وحيوانيته .

أما المجتمع فقد فقده ، أو نقول بعبارة أصح قد اعتاض منه ثعبانا ينفث السم ووحشا أقسى قلبا من وحوش الفلاة وأكبر روغانا من الثعلب وأعظم شرها من الخنزير ، وجدير به أن يكون كذلك ، فانه لا يؤمن بالجزاء على ما اقترف ولا بالحساب على ما جنى ، فهو

لا يرغب في جنة ولا يخاف من نار .

وكأن العالم في نظره لعبة لاعب لا يكون الفوز فيها الا لمن كان أكثر تهويشا وأحذق شعوذة ولا حياة في نظره غير هذه الحياة . وهؤلاء هم الذين خاطبهم الله بقوله (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) وينبههم في الآيات الكثيرة عن خطئهم فيما ظنوا بمثل قوله (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) فهذا ما يعانيه في نفسه وما يعاني المجتمع منه في الدنيا .

أما ما أعد الله له في الآخرة فهو أشد وأخزى ، ولكن تعال ننظر في حال المؤمن المتدين والى ما يعود على الناس منه فصور لنفسك رجلا مؤمنا حق الايمان بقوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

وبقوله : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) .

(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) وبقوله عز وجل .

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) . (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) .

فانظر كيف تكون مراقبته لله تعالى وخوفه من الله ، وهو يعتقد أن الله يعلم السر وأخفى وأنه مسئول عن كل أحواله مجزى بجميع أعماله .

هل يمكنه أن يكون مع هذا الاعتقاد منتهكا للحرمات مغتصبا للاموال أو يكون سارقا أو قاتلا أو خداعا أو غشاشا أو مزورا .. الخ ثم تراه بعد ذلك قد نظر فيما جاء عن النبى – صلى الله عليه وسلم – فوجده يحث على مكارم الأخلاق وينهى عن مساويها ، وجده يأمر بالرحمة لكل أحد حيث يقول : (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) .

ثم لم يقتصر على رحمة الانسان العاقل بل أوجب الرحمة والشفقة على كل ذى روح ، وان شئت فانظر الى قوله عليه السلام : (دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) وقوله : (لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى) . الى غير ذلك .

ثم نظر فوجده يحث على المحبة بين المؤمنين جميعا علما منه – عليه السلام – أن المحبة رسول السلام فقال : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا) .

وجعل البغضاء هى الحالقة ونهى عن التفرق والتهاجر بأبلغ ما يكون وأقصى ما يتصور حتى حرم الخصام فوق ثلاثة أيام ، ونهى

عن الايذاء بكل أنواعه حتى جعل غيبتك لأخيك من أكبر الكبائر وشبهها بما تشمئز له كل نفس وينفر منه كل انسان ، وقال الله في الكتاب العزيز (**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا**) .

وقد نهى قبل ذلك عن أن تظن السوء بأخيك كي يطهر نفسك ولسانك وظاهرك وباطنك فتكون خيرا محضا للناس ، لا تضمر لهم حقدا ولا تسوءهم بكلمة حتى في مغيبهم فقال : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**) يريد بذلك أن يجعلهم متحابين متآزرين حتى يكون بينهم التعاون والتآزر ، لا التهاجر والتقاطع والتخاصم والتشاتم وهل نجد شيئا أبلغ في التآزر الذي يريد الدين أن يجعله بين أبنائه من قوله — صلى الله عليه وسلم — (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

ويقول : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضا بعضا) .

ويقول : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ويقول : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .

ويقول في التحذير من ايذاء بعضهم بعضا : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

ويقول : (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ويقول في الترغيب في عمل الخير بكل أنواعه والترغيب فيما يعود على الناس بالمنفعة صغيرة كانت أو كبيرة : (لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في دلو أخيك أو أن تلقى أخاك بوجه طلق) .

ويقول : (اماطة الأذى عن الطريق صدقة) وقد جعلها شعبة من شعب الايمان في الحديث الآخر ، فتراه قد حث كل انسان على عمل الخير وعرفه أنه قادر عليه مهما كان أمره حتى جعل الكلمة الطيبة صدقة ، وأن تعين الأخرق الذي لا يحسن العمل صدقة ، وأن تساعد الرجل في الحمل على دابته صدقة وأخيرا جعل الكف عن الشر صدقة ، فطلب من كل انسان أن يعمل الخير ما استطاع وبين أن كلا مستطيع .

وقد ورد في بعض الآثار أن كل مسلم على ثغر من ثغور الاسلام أما تحذيره من الظلم فحدث عنه ولا حرج ، حتى عرفنا أن كثيرا من العقوبات يؤجل للآخرة ولكن عقوبة الظلم معجلة في الدنيا مع ما ادخر له في الآخرة ، وأخبرنا أن الله يحاسب على الفتيل والنقير وأن من أخذ شيئا ظلما فانما اقتطع قطعة من نار ، وقد حذر الحكام أن يجوروا في حكمهم بما لا يمكن الزيادة عليه حتى قال — صلى الله عليه وسلم — فيما ورد عنه : « ما من أمير عشرة الا يجاء به يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه فلا يفكه الا العدل » . وانظر هل تجد أبلغ وأروع من قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا**

قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

وقوله في الآية الأخرى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) (١) فاذا كان هذا شأنهم مع أعدائهم الذين يبغضونهم في الله ولله ، فكيف يكون حالهم مع غيرهم ؟

ومن ذلك القبيل قوله تعالى : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) (٢) . وعلى الجملة فانا نعجب كيف لا يظهر نور الاسلام في هذا العصر عصر العرفان ويقظة العقول .

ونذكر هنا قول « اللورد هدلي » الانجليزى الذى اختار الاسلام دينا بعد أن وقف على مافيه من خير وسعادة وتعاليم تروق العقول وتبهج الأرواح .

« انى أعجب من الذين يبحثون عن أحسن مأكل ومشرب وملبس ومسكن ولا يبحثون عن أحسن دين في الوجود » ــ انى أعجب كما يعجب او فوق ما يعجب للأوربيين كيف يستكشفون ما كان غامضا من أسرار المادة التى أدهشوا بها العالم ولا يستكشفون أسرار هذا الدين وهى أعظم من كل ما استكشفوه ، حتى يعرفوا ما انطوى عليه من الحكمة العلمية والعملية التى تفوق حكمة أفلاطون وأرسطو وكان لها من الأثر ما لم يكن لهما ولا لغيرهما من كبار الحكماء ، ويجدون فيه من البلسم الشافى للأدواء كلها ما يعجز عنه عصبة الأمم ومؤتمرات السلام .

ومن وسائل المحبة والوئام ما يستأصل الشيوعية التى تهدد مدينتهم وستقضى على كيانهم وتأتى على بنيانهم شاءوا أم أبوا كما أنذرهم بذلك كثير من عقلائهم ان لم يصلحوا مدينتهم الفاسقة ، ولا غرو فهى لا تدور الا على محور واحد يرجع كل شىء عندهم اليه وهو المادة التى أخذت كل عقولهم واستولت على جميع مشاعرهم واحساسهم ، فملأوا الدنيا من أجلها شرا وشقاء وضرا وبلاء بحجة أنهم يريدون أن ينقذوا الانسانية المعذبة (وما عذبها غيرهم ولا قضى عليها سواهم) ، ولو كانوا صادقين لرحبنا بهم وما نقمنا عليهم وقلنا ان الطبيب يفعل بالمريض ما يؤلم لكن بقصد أن يداويه ، والأب يضرب ابنه لكن لقصد أن يربيه ، أما أولئك الماديون فكاذبون فيما يدعون غاشون مموهون فيما يقولون ، فليسوا يريدون من الأمم ما يريده رب الماشية من الماشية ، ورب الضيعة من الضيعة .

وقد أفسدوا علينا معشر الشرقيين

---

(١) اى لايحملكم بغضكم لقوم ان تقعوا في جريمة الظلم

(٢) اى اذا كان بينك وبين قوم عهد وتبينت من حالهم فيه خيانة العهد فانذرهم بطرح العهد الذى بينك وبينهم حتى تكونوا على سواء في الحل من اختراق ذلك العهد

(لا سامحهم الله) آدابنا وأخلاقنا وعقائدنا وجميع فضائلنا الا قليلا من عقلائنا يجاهدون فى ذلك السبيل ، عسى الله ان ينصرهم ويكثر سوادهم بمنه وكرمه ، على أن كثيرا من الاوربيين قد شهدوا للاسلام ونبى الاسلام أكبر شهادة « كاللورد هدلى » المتقدم ولامرتين الذى نقلنا شهادته فى العدد الأول .

ومثل « توماس كارليل » والدكتور موريس وكاين تيلر وغيرهم ولو حسن التفاهم بين الناس وحل الانصاف محل الاعتساف واهتم العالم بغذاء أرواحهم كما اهتموا بغذاء أبدانهم لدخل الناس فى دين الله أفواجا طوعا ورغبة ، فالاسلام وحقك هو بغية الأرواح وطلبة الأشباح ومهبط السكينة ومستقر الطمأنينة وضالة العقول وخلاصة المعقول والمنقول وأمنية القلوب ورأس كل مطلوب ، وهل للناس مطلب غير أن يسعدوا فى ظاهرهم وباطنهم ودنياهم وأخراهم سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهها ثم تفيض عليهم من أنواع السرور وشرح الصدور وبهجة الأسرار صفاء الأنوار مالا يعلمه الا الله تعالى ثم تسلمهم بعد ذلك الى نعيم لا يشوبه كدر ولا يعتريه زوال وملك ليس فيه عناء ولا له انقضاء .

ثم هو فوق هذا يدعو الى الديمقراطية الحقة والمساواة الصحيحة فلا يرى فضلا لأحد على أحد الا بالتقوى وقد أمر الناس بالتواضع فى أنفسهم وخشية الله من قلوبهم وأن يشارك غنيهم فقيرهم بالعشر أو نحوه فيما أعطاه الله تعالى حتى يطهر نفوس الأغنياء من البخل وقلوب الفقراء من الحقد عليهم فيتم بينهم المحبة والوئام ، أوصى الجار بالجار حتى قال : (والله لا يؤمن ــ والله لا يؤمن ــ والله لا يؤمن : فقالوا من يارسول الله فقال ، من لا يأمن جاره بوائقه).

وقال : (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم) أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا فرق فى ذلك بين أمير ومأمور ورئيس ومرؤوس .

وقال جل شأنه فى حق قوم أصابتهم اللعنة . (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فكيف تكون مكارم الأخلاق فى مثل هذه الأمة لو أخذت بتعاليم دينها به وهل يكون لانتهاك الحرمات وارتكاب المحرمات وخرق سياج الآداب سبيل الى أمة يكون بعضها رقيبا على بعض وقد سيطر عليها الدين الذى يجعلها خير أمة أخرجت للناس سيطرة تستولى على نفوسها ولا تفارقها فى خلوتها وجلوتها به أوجب أن تكون لها العزة والرفعة حتى أوجب عليها الهجرة من أرض الذل ضنا بكرامتها . واستبقاء لعظيم شرفها ، حتى قال : (المؤمن لا يذل نفسه) .

وقال الله فى وصفهم : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) .

وقال : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ). الى آخر مالا يسعنا الا التلميح به والاشارة

اليه ، نعم هذه قواعده المتينة وقوانينه الرفيعة ، وان أمره فوق هذا ، فانه لما رأى الانسان كثيرا ما تلعب به الأهواء وتغلب عليه الشهوات وكان يمكنه أن يحافظ على ظاهر تلك القوانين ولا تقوم عليه حجة بعد المحافظة على أشباح هذه الرسوم مع ما له من القصد السيء فيما يأتي ويذر فيكون ظالما يلبس ثياب العادلين ومتدنسا يتسم بسيمى المتطهرين ٠

لما علم ذلك علمنا ان المحافظة على تلك الرسوم الظاهرة لا قيمة لها في نظر الدين

فقال في الحديث : (ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم) ٠

وقال انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) ٠

وقد قال تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ) ٠

وقال : (وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) ٠ وعلم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان الأشياء تتشابه فأمرنا بالاحتياط عند ذلك فقال (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) ٠

وقال : (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه) ٠

وقال تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) ٠

فأنت ترى وقد وضح الصبح لذى عينين أن الاسلام لا يريد من ابنائه الا الحق الصراح الذى لا يعتريه ريب والعدل الكامل الذى لا يشوبه ظلم ولا تبنى أموره الا على المصالح الحقيقية والحقائق الواقعية ٠

فما أدرى كيف صمت آذانهم عن سماع نذائه العالى وعميت أبصارهم عن رؤية شمسه المشرقة ٠ ولنختم هذه الكلمة بمحادثة وجيزة جرت بينى وبين بعض العظماء تناسب هذا الموضوع ٠ قال ان الأمة لا يزعها عن الشر الا أحد أمرين ٠

الدين والفلسفة وحيث ان الأمة لا تستطيع الفلسفة ولا يمكنها أن تكون من ذويها فلابد لها من الدين فقلت له أشكرك على أن أحللت الدين ذلك المحل وأنصفته ذلك الانصاف ، ولكن يسمح لى معالى الباشا أن أقول :

ان هناك فروقا كبيرة بين الدين والفلسفة ، فالفلسفة ، تستمد من نظريات العقول التى تصيب وتخطىء ، وأمامنا السوفطائية التى تجافى فلسفتهم الحقائق على خط مستقيم ، وكثيرا ما يكون هناك نزعات خفية توحى للفيلسوف فلسفته من حيث يشعر أو

لا يشعر ، والانسان أسير نزعاته وشهواته محصور في الناحية التى تسيره فيها نزعته الخاصة أو شهوته الخفية .

وأمامنا فلسفة ابيقور واتباعه تلك الفلسفة التى لاترى الخير الا في الملاذ الحسية وتقول ان ما وراء ذلك وهم أو خيال .

وقد يؤثر زخرفها الخلاب الموافق لاهواء النفوس وشهوات الطبيعة في كثير من أطفال العقول واسراء الشهوات فيرون كل شيء مباحا . وان الأموال والأبضاع حق مشاع بين الناس . وان من الظلم استئثار بعض الناس بشيء ، فيجب في شرعة الطبيعة أن لا يكون هناك استئثار بملك أو زوجة والا يكون هناك تحريم لأخت ولا بنت ولا أم ، وان من استطاع الوصول الى الاستمتاع بشيء من ذلك كله حل له أن يتمتع به لأنه استرداد لحقه المغتصب الى آخر تلك الفلسفة ومزخرفاتها .

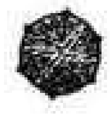
أما الدين فيستولى على النفوس من كل جهاتها فيقف بها عندما حد لها من الحدود ثم يحاول أن تكون فاضلة كاملة حتى تؤثر على نفسها ولو كان بها خصاصة . وترى في ذلك كل سعادتها وهناءتها .

وللقلوب سعادة لا يحس بها ذوو الأموال ولا أرباب المناصب ، على حين أن فلسفة « أبيقور » تقول هازئة بهذه التعاليم (ما هى الفضائل وما هى الرذائل وما هى السعادة وما هى الشقاوة وما هو النقص وما هو الكمال) ما هذه الا ألفاظ فارغة وخيالات باطلة ، فهذه الفلسفة لا تلقن أبناءها الا الزور والفجور ولا تغذيهم الا بجراثيم الأوبئة الفتاكة المهلكة والأفكار المربكة ، ولكن المتدين يقول ما يقوله الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) الى آخر ما جاء بالكتاب والسنة وهو كثير فانت ترى المتدين فاضلا خيرا كاملا .

وترى ذلك الفيلسوف جاهلا ضالا شريرا ، فالفلسفة غير مأمونة ولا مقدسة لانها من نتائج الأفكار البشرية ، بل ضررها أقرب من نفعها . بخلاف الدين الذى هو تنزيل من رب العالمين ، وبالجملة فالاسلام عظيم أمره . كبير شأنه . ولكن ضيعه أمراؤه . وفرط فيه علماؤه. منذ زمان بعيد .

يتبع

يوسف الدجوى



فصل من كتاب

الرياض المستطابة

فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة

للامام يحيى بن ابى بكر العامرى اليمنى

«فوائد تتعلق بالصحابة»
رضى الله عنهم

احداها : اختلف فى حد (١) الصحابى فقال البخارى فى صحيحه :

من صحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم او رآه من المسلمين فهو من اصحابه .

وهذه طريقة المحدثين . قال ابو المظفر السمعانى (٢) : وهذا لشرف منزلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم اعطوا كل من رآه شرف حكم الصحبة .

وحكى عن الأصوليين او بعضهم ان الصحابى : من طالت صحبته (٣) ، وتكررت مجالسته ، على مقتضى العرف .

وقد يطلق اسم الصحبة فى اللغة على الشيئين اذا كان بينهما ملابسة وان قلت ، أو مناسبة او مشابهة من بعض الوجوه . وتكون حقيقية ومجازية . وقد نطق مجموع الكتاب والسنة بالأمرين .

ثم يعرف كون الصحابى صحابيا بالتواتر والاستفاضة القاصرة عن التواتر ، وقوله أو قول صحابى بشرط العدالة .

الثانية : اجمع من يعتد به على تعديل (٤) الصحابة فى الظاهر ومن لابس الفتن (٥) منهم كذلك ، احسانا للظن بهم ، ونظرا الى ما تمهد لهم من المآثر . قال ابن الصلاح : « وكان الله اباح الاجماع على ذلك (٦) » .

قال الحاكم المعتزلى : كانت احوال المسلمين

---

١ ـ حد : تعريف وتعيين .

٢ ـ ابو المظفر السمعانى : سيرد ذكره فى فصول لاحقة ، كما يرد تعريف بفضائله وقدر علمه .

٣ ـ صحبته : للنبى صلى الله عليه وسلم .

* اشرف على تحقيق الكتاب : عمر الدايراوى ابو حجلة

(٤) ـ تعديل : اعتبارهم عدولا .

(٥) ـ الفتن : اشارة الى ثورة الامصار ومقتل عثمان ومبايعة على وانشقاق معاوية ومناهضة طلحة والزبير وعائشة وغيرهم للخليفة الرابع .

(٦) ـ ذلك : اى على اعتبارهم جميعا من الصحابة .

يومئذ (١) مستقيمة مستغنية عن اعتبارها . وكان العدالة كانت في الصحابي منوطة بالاسلام لا غير ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوصيكم بأصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد » .

رواه جماعة من المحدثين بسند جيد .

قلت (٢) : ويخرج من هذا العموم من شذ منهم وتغير حاله وتفاحش أمره ولابس الفتن بغير تأويل ، كالوليد بن عقبة ، وبشر بن أرطاة .

ثم انه لم يذهب أحد الى أن الصحابة معصومون في الباطن والظاهر ، **لكن اجمعوا على عصمتهم في الاجماع ، واجماعهم حجة قطعية** . وهذا وان كان لازما في غيرهم فانما ذكرته لأنه تساهل قوم في دينهم فأقدموا على تخبيطهم حيث اجمعوا على التقدم على علي (كرم الله وجهه) في الخلافة ، فركبوا عظيم الأخطار ، واجترأوا على هدم القواعد الكبار ، والله المستعان (٣) .

الثالثة : أكثرهم حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة مع تأخر اسلامه ، وذلك لخصوصية له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأكثرهم بعده ابن عمر وعائشة وابن عباس وجابر بن عبد الله (٤) وأنس (٥) . وأكثرهم فتيا ابن عباس . وأوسعهم علما علي وعمر . وأفرضهم زيد بن ثابت (٦) . وعن مسروق (٧) قال : انتهى علم الصحابة الى ستة : عمر ، وعلي ، وأبي ، وزيد ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود ، ثم انتهى علم الستة الى علي وابن مسعود . ومن الصحابة العبادلة فاذا أجمعوا على مسألة قيل : هذا قول العبادلة ، وهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمرو بن العاص . وليس ابن مسعود منهم ، ولا من تسمى عبد الله من الصحابة ، وهم نحو مائتين وعشرين .

الرابعة : جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة : علي ، وعثمان (٨) ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد

---

(١) ـ يومئذ : يقصد في صدر الاسلام وأيام الجيل الأول من الصحابة .

(٢) ـ قلت : المؤلف .

(٣) ـ وهذه مقالة من يجترئ على الصحابة ويخوض فيهم ، وأقل فضل لهم انهم افضل من أبويه .. مجلة الأزهر .

(٤) ـ جابر بن عبد الله : انظر حرف الجيم في هذا الكتاب .

(٥) ـ أنس بن مالك : انظر حرف الألف .

(٦) ـ زيد بن ثابت : انظر حرف الزاي الذي اشتهر بالمواريث .

(٧) ـ مسروق : انظر حرف الميم .

(٨) ـ نصت مراجع الاتفاق على حفظ الخلفاء الأربعة له .

الانصارى ، وتميم الدارى ، وعبادة بن الصامت (١) ، وأبو أيوب (٢) رضى الله عنهم .

الخامسة : لا يعرف فى بنيه من وجهين وفى الصحابة سبعة اخوة مهاجرون قيل وشهدوا (غزوة) الخندق (٣) وهم : بنو مقرن المزنيون ، النعمان واخوته : معقل ، وعقيل ، وسويد ، وسنان ، وعبد الرحمن ، وسابع لم يسم .

قال ابن الصلاح ، وتبعه النووى : ولم يشاركهم (٤) فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة فى هذه المكرمة غيرهم .

قلت ذكر ابن الجوزى فى « عجائب النساء » أن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة رضى الله عنها شهد لها سبعة بنين مسلمون بدرا ، تزوجت الحارث بن رفاعة فولدت له معاذا ومعوذا ، وتزوجت بعده بكير بن عبد ياليل الثقفى فولدت له اياسا وخالدا وعاقلا وعامرا ، ثم رجعت الى الحارث فولدت له عوفا ، فشهدوا كلهم بدرا واستشهد بها منهم : معاذ ، ومعوذ ، وعاقل ، واستشهد خالد الرجيع (٥) ، وعامر (يوم) بئر معونة ، واياس باليمامة رضى الله عنهم .

وذكر أيضا فى عجائبهن « هندا بنت عتبة » شهد له بدرا أربعة اخوة وعمان أخوان وعم مع المشركين ، وأخوان وعم مع المسلمين .

فالأخوان المسلمان : أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير ، والعم المسلم معمر بن الحارث . والأخوان المشركان الوليد بن عتبة وأبو عزيز والعم المشرك شيبة بن ربيعة .

السادسة : سئل أبو زرعة (٦) الحافظ عن حملة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ومن يحصيه (٧) ! قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه ، وسمع منه . فقيل له : هؤلاء اين كانوا ، وأين سمعوا ؟ قال : أهل مكة والمدينة وما بينهما ، والأعراب ، ومن شهد معه حجة الوداع ، كل رآه وسمع منه .

* ثم ذكر المحدثون انهم ينقسمون الى اثنتى عشرة طبقة .

الأولى : قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة كالخلفاء الأربعة .

ثم أصحاب دار الندوة .

ثم مهاجرة الحبشة .

ثم أصحاب العقبة الأولى .

ثم الثانية .

ثم المهاجرون الأولون الذين أدركوا النبى

---

(١) ــ عبادة بن الصامت : انظر حرف العين فى الكتاب .

(٢) ــ ابو ايوب : انظر حرف الالف .

(٣) ــ (الخندق) وضعنا كل اضافة بين قوسين من هذا النوع .

(٤) ــ لم يشاركهم : اى ان السابع لم يشاركه اخوته فى الخندق .

(٥) ــ يوم الرجيع : فى صفر من السنة الرابعة للهجرة ، اذ بعث النبى سرية أمر عليهم عاصم ابن ثابت ، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى الرجيع ، وهو على ثمانية أميال من عسفان ، بينها وبين مكة ، وهناك لحق بالمسلمين ما يقرب من مائة رام من بنى لحيان ، فقتلوهم الا اثنين باعوهما للمشركين فى مكة . وكانت نكبة على المسلمين .

(٦) ــ ابو زرعة : انظره فى موضعه فى هذا الكتاب .

(٧) ــ اى يحصى عدد حملة الحديث .

صلى الله عليه وآله وسلم بـ « قباء » قبل أن يدخل المدينة .

ثم أهل بدر .

ثم المهاجرون بين بدر والحديبية .

ثم أهل بيعة الرضوان .

ثم من هاجر بين الحديبية وفتح مكة .

ثم مسلمة الفتح .

ثم الصبيان والأطفال الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الفتح (١) وحجة الوداع .

وأهل المزايا منهم الذين نطق القرآن بفضلهم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، وهم الذين صلوا الى القبلتين . وقيل أهل بيعة الرضوان . وقيل أهل بدر . ثم ان ذكرهم على الاجمال والتفصيل وبيان أهل المزايا منهم باب واسع يظهر لك بمراجعة كتب هذا الفن . وأوعبها وأكثرها فائدة كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » لأبي السعادات ابن الأثير الجزري ثم بعده كتاب « الاستيعاب » للحافظ أبي عمرو ابن عبد البر . وقد عاب عليه ابن الصلاح حكايته فيه لما شجر بين الصحابة وروايته عن الاخباريين لا المحدثين .

السابعة : قال الامام أبو منصور البغدادي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان .

قلت : وقد تجتمع وجوه التفضيل كلها في شخص واحد ، وقد يتفق لبعضهم بعضها ويفوته الباقي .

ثم اختلف السلف في أولهم اسلاما فقيل خديجة ، وقيل علي ، وقيل أبو بكر ، وقيل زيد بن حارثة ، والصواب أن ترتيبهم في ذلك كما ذكرنا . والأورع أن يقال : من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان علي ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد ، ومن العبيد بلال ، والله أعلم .

الثامنة : الصحيح في سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث وستون سنة ، وكذلك أصحابه أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعائشة ، والزبير أربع وستون سنة ، (وان) اثنين من الصحابة عاشا ستين في الجاهلية وستين في الاسلام وماتا بالمدينة سنة أربع وخمسين وهما : حكيم بن حزام ، وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام .. قيل ثبت ذلك لحسان وآبائه الثلاثة .

التاسعة : آخر الصحابة موتا أبو الطفيل عامر بن واثلة ، مات سنة مائة من الهجرة ، وآخرهم قبله أنس وهو آخر من مات منهم من الأنصار . وآخر من مات من أهل الصفة جابر بن عبد الله قيل وهو آخر الصحابة بالمدينة موتا .

وآخر المهاجرين موتا بالمدينة سعد بن أبي وقاص وهو أيضا آخر العشرة موتا . وآخر من مات من البدريين أبو اليسر ، وآخر من مات منهم بمكة عبد الله بن عمرو وقيل أبو الطفيل ، وبالبصرة أنس ، وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى ، وبمصر عبد الله بن الحارث ابن جزء ، وبالشام عبد الله بن بسر ، والله أعلم .

---

١ ــ الفتح : أي فتح مكة .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب روضة البلاغة

لأبى القاسم المعافى

ان مكتبة الأزهر بما لها من مكانة علمية تزخر بالفيض الوفير والبحر الزاخر من كتب البلاغة والادب لكثير من العلماء والادباء الذين برزوا فى مجال وحلبة هذه العلوم ـ من مخطوطات نادرة ومطبوعات ترقى فى قدمها الى مرتبة المخطوط .

ومن بين هذه المخطوطات النادرة « روضة البلاغة » وهى ـ لأبى القاسم المعافى .

وهو الامام العلامة أبو القاسم عبد الملك ابن محمد بن عبد الملك من علماء أوائل القرن السادس الهجرى .

قال عنه « معجم المؤلفين » (٢) : كان حيا سنة ٥٠٤هـ (سنة ١١١٠م) وأورد فيها المعانى التى تجوزت بها الشعراء ، وأورثها موارد البلاغة ، وقرنها بنظائرها من الكتاب العزيز مبينا ما امتازت به الآيات من المحاسن واللطائف ، وذكر فيها ضروبا من الآداب والمواعظ ، والحكايات والمكاتبات والخطب ، نقلها من كتب السلف نثرا ونظما .

قال فى أولها : الحمد لله الذى أعذر الى عباده بتقديم وعده وايعاده ، أحمده حمدا يتحلى به عواطل الخطب ، ويتلالا به معاطف الكتب .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أنا اليوم بعصمتها آخذ بحرمتها لائذ ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالتبصرة والعلم ، والتذكرة والحلم ، والكتاب البديع النظم ، الى كافة العرب والعجم ، فبصرهم ما كانوا فيه يمترون ، وعرفهم ما يرجون وما يحذرون ، وعلمهم من طريق الخير ما لم يكونوا يعلمون ، وأنذرهم تأثير يوم فيه يحشرون ، وأغنى منهم من عصى بالحاتم فهلكوا ودعا المستجيبين الى مسلك الاسلام

---

١ ـ الكتاب ، بمكتبة الأزهر ، برقم خاص ٣٥٢ عام ٦٨٥٨ مكتبة أباظة .

٢ ـ ج ٢ ص ١٨٤ .

للأستاذ محمد عميرة على

فسلكوا ، وأمرهم بترك ما كانوا عليه فتركوا، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين جادوا بما ملكوا .

وبعد : فقد تفضل جماعة من أهل العلم والدراية والفهم بالحضور عندى فى شوال من سنة أربع وخمس مائة بقزوين فى غصون المعارضة وتفاعيت أنواع المذاكرة ، (فذكر البخل) وأنه مذموم بكل لسان ، وعند كل انسان .

فقلت لهم حرسهم الله ، ومن أعجب أحوال البخل أن البارى سبحانه وتعالى شهد على كافة بنى آدم بذلك بقول صريح غير محتمل لتأويل فى آيتين فى كتابه العزيز ، سوى من عصمه الله من أنبيائه — عليهم السلام — وأوليائه ، وتلوت قوله تعالى « وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ » وقرأت الآية الأخرى وهى « قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا » فاستحسن كل واحد منهم غاية الاستحسان.

ثم قلت قال : أبو احمد العسكرى ان الله طبع البشر على حب الخير لنفسه ، واجتذاب المنافع اليها ، ودفع المضار عنها ، والازدياد من المال ، والعز والغلبة ، والجمع والمنع ، وعلى بعض ما كان خلافا لذلك ، وهذه أدواء وعيوب تعتريه ، ولكنها فى بعض البشر أكثر ، وانما يتفاضلون فيما بينهم بالنقصان والزيادة وبمقابلتها بأضدادها من خصال الخيرة ومداواتها ، فيرجع الى الاعتدال كمداواة البخل بالسخاء ، والجبن بالشجاعة ، والغدر بالوفاء ، والظلم بالانصاف ، فمن غلب عليه خصال الخير كان الممدوح المحمود ، ومن غلب عليه خصال الشر كان المبغض المذموم .

فأما أصل الطبيعة التى طبع عليها فانه لا يسلس باخراج ما عنده ، وأن يضن بما حواه ، حتى يأخذ أكثر مما يعطى ، ويستفيض عاجلا وآجلا أضعاف ما يبذل مما تستلذ اليه وتميل اليه طباعه ، قال أبو أحمد العسكرى — رحمه الله :

وسمعت أبا بكر بن مجاهد وتجارينا هذا المعنى قال . سمعت ابا العباس أحمد بن يحيى ، وقد سئل عن هذا فأجاب طبع البشرية اللؤم قال : ابن مجاهد فقلت له فهذا الذى يحكى عن حاتم الطائى وغيره ، فقال ليس ذلك سخاء البشرية وانما ذلك المكافأة من الثناء ،وقول الناس يلتذ ذلك الثناء فيكون الذى للمكافأة هو أشر بنفسه وهو قياس على الذى ينفق ماله فيلتذ بالعوض منه فى مأكل ومشرب فكذلك السخاء انما عوض من الثناء والقول الجميل .

من نوادر مخطوطات

قال : ابو العيناء سمعت الفضل بن سهل يقول رأيت جملة البخل : سوء الظن بالله تعالى ، وجملة السخاء : حسن الظن بالله تعالى قال الله عز وجل « **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** » وقال عز وجل « **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** » .

ثم قلت سمعت واعظا يعظ « بأصبهان » حماها الله تعالى فى جامعها الاكبر فى سنة ثلاث وخمس مائة ويقول بالفارسية : ابن آدم مركود توكورد تواست » معناه يا ابن آدم سيئات أعمالك محيطة بك ان تركت منفذا خرجت منه وتخلصت والا فلا شك انك من الهالكين .

فقلت للأمير شرف المعالى أسعد بن محمد الظاهرى ، ــ رحمه الله ــ هذا المعنى بلفظه فى كتاب الله الكريم ، ففكر ساعة زمانية فلم يتقلع له فى ذلك ما يدل على ما ذكرت ، فقلت قوله عز وجل « **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته** » ، فتعجب من ذلك كل العجب .

وقال هذا الوعظ فى هذا المجلس ، ان من ترك عبادة الله ، فقد خرج من أمان الله ، يعنى الصلاة ، فقلت وهذا المعنى أيضا بلفظه فى كتاب الله فقال فى أى موضع ذلك فقرأت وقال الله « انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة » ومن كان الله معه فهو فى أمانه ، لأن رأس العبادات بعد الايمان بالله تعالى ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو الصلاة من تركها فحاله على الضد من ذلك ، ووافق ذلك ما روى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال « لا يزال الله مقبلا على العبد مادام العبد فى الصلاة ، ثم قلت وهذا الجنس قل أن يحرر بكتاب أو يحصر بعدد وحساب الا ان الانسان يعمل على نهاية ما انتهى اليه ومبلغ ما اتسع من العلم عليه فكان كما قال الحطيئة .

أخذت باطراف الكلام فلم ادع
ذما يضر ولا مديحا ينفع

وقال آخر معرضا بذى عاهة كان من حاضرى المجلس هو ذكر كذا فى القرآن ؟ قال نعم « **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** » الى آخر ما قال .

وقال فى شرف القرآن الكريم ان الله تعالى شرفه بأنواع التشريف ، خصه بها من دون كتبه الكريمة ، وعظمه وأوجب توقيره وحث على تلاوته ، وفرض العمل بموجبه وتدبر معانيه ، وييسره للحفظ وقربه من الفهم ، وتكفل بحراسته من زيادة أو نقصان وضمن حفظه من تغيير او تبديل ، فى وعد رسوله ــ صلى الله عليه وسلم نشره فى الافاق ، ثم أودعه القلوب ، وجمعه فى الصدور فقال عز من قائل (بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم) ، وقدمه على سائر كتبه ، وجعله أمينا على التوراة والانجيل ، ومهيمنا عليهما وعلى كل كتاب ؛ فقال عز وجل « **هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ** » وذلك لانطوائه على

أنواع الحكم ، قوليا وعلميا ، بدلالة قوله تعالى « وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ » .

وقوله تعالى « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ » لكن ليس يظهر ذلك الا للراسخين في العلم ولكونه منطويا على الحكم كلها قيل تفسيره قوله تعالى « وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا » انه اراد به تفسير القرآن ثم منازل العلماء تتفاوت في تفهمه ، ولذلك قال تعالى « وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » وأعظم ما يقصر بفهم الاكثرين عن ادراك حقائقه شيئان .

أحدهما ـ ما اختص به اللغة العربية من الايجاز والاستعارات .

والآخر : ما يوجد في القرآن خاصة من المزية والرجحان تحت ما يحويه من الاستعارات الباهرة والامثال السائرة ، والتشبيهات البديعة والحذف والايجاز والاشارات اللطيفة ، واللمحات الغامضة ، مما ليس في غيره من كلام البشر ، ولما فيه من اللفظ اليسير ، المنطوي على المعنى الكثير ، قال عليه الصلاة والسلام « أوتيت جوامع الكلم » ، فمن مثال الايجاز قوله تعالى في وصف ارتفاع الاسباب المكروهة عن أوليائه « لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » فنفى بذلك كل التنغيص ، اذ كان جميعه في حصول مكروه أو فوت محبوب وقد نفاهما بذلك .

وقال عز وجل في فاكهة أهل الجنة « لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ » فنفى بذلك جميع الآفات العارضة لمطاعم الدنيا .

وقال في صفة خمرهم « لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ » فنفى بذلك كل مكروه يعترض فيها ، وأخبر عز وجل بكل ما كان من فرعون ورهطه بألفاظ وجيزة ، وذلك قوله تعالى « كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ » فذكر فيه ما ينطوي عليه أوراق وجلود من السفر ، ومن عجيب من فيه أن كل ما علم أن بالسامع استغناء عنه من الالفاظ تركه ، وتخطى الى ما بعده نحو قوله «أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ» فترك ما كان من موسى ، ثم ترك ما كان من فرعون ومن أصحابه في دخول البحر ، وتخطى الى ذكر ما صنع بهم ، ومن الاختصار الحسن في القرآن قوله تعالى « إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ » أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات ، الى آخر ما ذكر في هذا الباب .

ثم تحدث رحمه الله في الحث على السعي في طلب الرزق والنهي عن الكسل والتواني فيه يقال : من سعى رعى ، ومن نام رأى الأحلام .

أقول : وقد أمر الله تعالى بالمشي في مناكب بساطه ، والأكل من رزقه ، وقال تعالى : « وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ » وكان بشر يقول لاصحابه : يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير ، يقال كل اناء يرشح بما فيه ، قال الله تعالى : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ » عاتب أبو عبد الله بن أحمد الشريف

المرتضى في فرط تحفيه واهتمامه بمن يقصده لطلب العلم على اختلاف منازلهم ، وتبـاين درجاتهم ، فقال المرتضى : روى عن جعفر بن محمد ـ رضى الله عنه انه قال : في قولـه عز وجل « **وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** » قال : ينبغي للعالم اذا أتاه من يطلب العلم منه أن يعرف فضله ، اذ لا يطلب العلم الا ذو فضل، والعارف بفضيلة العلم ، ثم قال لما كان الشوق انما يكون من كل مشـتاق ، الى ما يـوافقه ويلائمه ، وارتياحـه الى ما يشـابهه ويماثله ، وكانت العلوم الدينية أشرف الامور المطلوبة ، كان المشتاق اليها أشرف المشتاقين ، وكان ذلك دليلا على فضله وأعدل شـاهد على شرف نفسه ، وأولى من غيره بالكرامة .

وأورد فصلا من خطبة لامير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه ـ مقتبسا من كتاب الله تعالى ، كم من مستدرج بالاحسان اليه ، ومغرورا بالستر عليه ، ومفتون بحسن القول فيه ، وما ابتلى الله أحدا بمثل الاملالة ، مقتبس ذلك من قوله تعالى « **أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ** » .

والجزء المروى عن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم أنـه قال : « الدعاء يرد القضاء وأن البر يزيد في العمر ، وأن العبد ليحرم من الرزق بذنب واحد يصيبه » ثم تلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ** » .

قوله عليـه الصلاة والسلام « اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما أوحيته » .

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

قال سفيان :انها نزلت فيمن يخالط السلطان وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللهم انى أعوذ بك من شر فتنة الغنى والفقر .

قال مضربن حرز : سـئل أبو حنيفة رضى الله عنه عن الغنى والفقر فقال : وهل طغى من طغى من الخلق الا بالغنى . ثم تلا « **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** » .

ثم روى عن ابى هريرة أن رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم »

فقيل لأبى حنيفـة رضى الله عنـه من أغنياؤهم ؟

فقال : لا أقل الاغنياء من هذه الأمة وهذا صحيح في القياس ، لان في أغنياء هذه الامة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عـوف ـ رضى الله عنهما ـ

وقد شهد لهم النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ بالجنة ، وفقراء هذه الامة افضل من أغنياء غير هذه الامة ، قال مضر فذكرته لعبد الواحد بن زيد فقال لا تسأل أبو حنيفة عـن هذه وأشباهها ونسأل عـن المدبر والمكاتب ونحوه . اقول لقد مدحه عبد الواحد بن زايد ظن أن ينقصه لانه وضـع العلم الحـلال

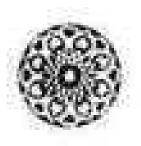
والحرام الذى هو أهم علم فى الدنيا ، وقرأت فى كتاب الربيع لابن الصابى أن جماعة شهدوا فى زمان الحاكم بمصر برشد صبى كان القاضى حجر عليه ، فسلم اليه ماله فأفسده ، فجاءت أمه وشكت الحال اليه ، فأمر بضرب رقاب الشهود ، وقال لا شك أنكم برطلتم منه وكذلك تفعلون فى أموال الناس فقال له واحد منهم اتق الله ، فانا ما رأينا منه الا الخير ، فلما حصل المال معه غيره وأحاله وبدله ، فقال له والمال يغير الانسان عن طرائق جميلة فيه، الى طرائق قبيحة لم تظهر منه ، قال نعم قال الله تعالى « كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ » فقال أف لهذه الجيف ، ما كان فيهم من يورد هذا القول فنسلم به خلوا عنه .

وختم كتابه فقال : قرأت فى كتاب الشوامل والهوامل للقاضى ابى نصر الفزارى — رحمه الله تعالى — حكى أبو اسماعيل أنه كان قاعدا فى جماعة بالرى ، فمر بهم جنازة أبى عبد الله الزعفرانى — رحمه الله تعالى — والناس يهرولون ويهرعون ، فقال بعضهم معى مصحف فهل أفتحه تنظر ما يخرج منه فى الصلاة عليه والترحم ، ففتح فخرج « وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا» فتصدع شملهم على استطراق شديد ، وملكهم التعجب ، فقال أبو اسماعيل فلم أعجب أنا وكبرت وصليت مع الامام ، ورأيت فى المنام قائلا يقول ، اربع فى رياض الجنة لمخالفتك أصحابك ، وسمعت الشيخ الامام ابا محمد الحسن ابن العراقى فى المعلا حرسه الله يقول حكى الشيخ الرئيس أبو المكارم عبد الوارث بن محمد الاسدى رحمه الله تعالى انه حضر فى بعض الرباطات بالشام ، رجل كثير الفهم والشره على الطعام ، واذا وضعت المائدة بين يدى المشايخ من أهل التصوف ، كان هذا الرجل لا يبقى ولا يذر ما فى جانب يمينه وشماله حتى يستوفيه ، فلما كثر منه ذلك الفعل ، شكوا الى شيخ الرباط سوء صنيعه ، وكان عادة هذا الشيخ أن يرجع فى سائر الحوادث والعوارض الى المصحف ويفتحه ويعمل بمقتضى ما يخرج منه ، فأخذ المصحف وفتح فخرج فى السطر الاول « وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ » فتفرقت الجماعة متعجبين من ذلك وسكتوا .

أيها القارىء الكريم هذا قليل من كثير ضمنه المؤلف رحمه الله مسائل كثيرة متفرقة والذى يهمنا أن نقدم لك تعريفا موجزا وذلك بقدر ما تسمح به حالة النشر فى المجلة .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد ، فى ٢١٩ ورقة وهى فريدة بمكتبة الأزهر .

محمد عميره على





حقيقة العبادة

ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار
وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد .
وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار .

الدنيا

دنيا محمودة : وهي التي تصل بها الى فعل خير ، وتنجو بها من فعل شر .

دنيا مباحة : وهي التي لا تقع بسببها في ترك مأمور ولا ركوب محظور .

دنيا مذمومة : وهي التي تقع بسببها في ترك طاعة أو فعل معصية .

أشد الناس بلاء

أشد الناس بلاء ، وأكثرهم عناء : من له لسان مطلق وقلب مطبق ، فهو لا يستطيع أن يسكت ولا يحسن أن يتكلم .

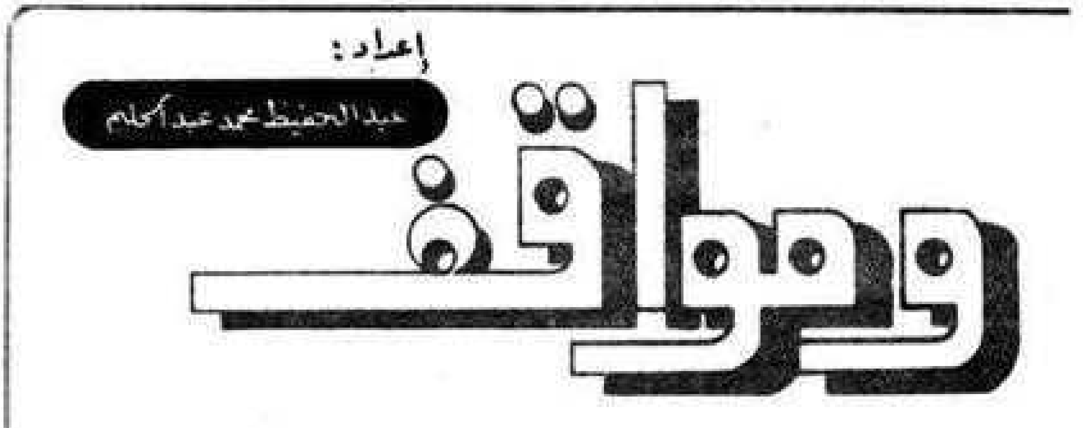
اقتباس

اقتبس بعض الأدباء من قوله تعالى : « قتل الانسان ما أكفره » ؟ .
هذين البيتين :

يتمنى المرء في الصيف الشتا
فاذا جاء الشتا أنكره
فهو لا يرضى بحال واحد
قتل الانسان ما أكفره

العرب

هم قومي ، وهم أصلي
وهم نسبي اذا أنتسب



وهم مجدى ، وهم شرق
وهم حصنى اذا ارهب
وهم رمحى ، وهم ترسى
وهم سيفى اذا اغضب

قالوا

* رحمة تطلبك ورحمة تطلبها ، فالتى تطلبك رحمة الهداية بالبيان ، ولأجلها كان ارسال الرسل ، وانزال الكتب .

والتى تطلبها هى الجنة تسعى لها بالعمل الصالح على قانون العمل النافع .

* من أهمل الصدق حيث يخاف ، استعمل الكذب حيث يرجو .

* من مدحك عند رضائه عنك بما ليس فيك ، ذمك لا محالة عند غضبه عليك بما ليس فيك .

* من نظر الى الدنيا بعين رأسه رأى غرورا وزورا ، ومن نظر اليها بعين قلبه رأى هباء منثورا .

* من ترك الحزم للوهم فهو أحمق ، ومن أقام على الشك مع امكان المصير الى اليقين فهو أخرق .

* سخر عقلك لعلمك ، وسخر نفسك لعقلك .

* من مكارم الأخلاق : التواضع فى الرفعة ، والتجمل فى القلة ، والاقتصاد فى الثروة .

* افضل الأعمال ، ما اكرهت نفسك عليه .

طرائف ... ومواقف

أدب

قيل للعباس بن عبد المطلب : أنت أكبر أم رسول الله ؟ .
ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
قال : هو أكبر منى وأنا أسن منه .

وسئل أخو زيد بن ثابت ، من أكبر أنت أم زيد ؟ .

فقال : زيد أكبر مني ولكني ولدت قبله . فتأدب مع أخيه ، وهو غائب عنه ، وقد لاحظ فى جوابه أن زيدا اعتنق الاسلام قبله ، لذلك نظر اليه نظر اكبار واعزاز .

دعاء

اللهم انى أعوذ بك من كل عمل يخزينى ، واعوذ بك من كل صاحب يردينى ، واعوذ بك من كل امل يلهينى ، واعوذ بك من كل فقر ينسينى ، واعوذ بك من كل غنى يطغينى واعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العلمانية فى الدستور ـ بقية

لاغلاقها بحجة عدم توفر الاشتراطات الصحية كل ذلك حتى ينصرف الناس عن الدين ولن يتحقق مثل هذا الهدف الا فى ظل العلمانية سواء فتحنا العين أو كسرناها وتغاضينا عن فلسفة مدلولها السياسى الذى يحاول اخفاءه من أخذوا الثقافة عن الغرب .

الا فاتقوا الله فى دينكم وفى أولادكم وفى تلاميذكم وأمتكم وفى أنفسكم

ولا تظنوا هذا ارهابا فكريا بل نصيحة خالصة فمن الالفاظ ما هو فتنة تؤدى الى أن تدخل الامة جحر الضب وراء الغرب بعد أن تتبعه شبرا بشبر وذراعا بذراع الا قتل الانسان ما اكفره فكما يكذب على غيره فى الكلام فقد يكذب على نفسه وعلى غيره فى الفهم .

محمد الليثى على

اللغة والأدب والنقد

النهج الابداعي للآمدي الناقد

رجل جنى عليه فكره

نظرات في مسيرة العمل

النهج الإبداعى للآمدى الناقد

٢

(٢) منهجه فى النقد والموازنة

(أ) منهجة النقدى

يمكن وصفه بأنه منهج علمى ذوقى تحليلى شمولى واقعى ، يأخذ بالمقيـــاس اللغوى ، والنفسى ، والسلوكى ، والانسانى ، ويحرص على التقاليد التى جرت بها عادات العـرب ، ويهدف الى تحقيق العدالة النقدية ، فى أسلوب تبدو معرفته اللغوية ممتزجة بذوقه الأدبى !٠

أما علمية هذا المنهج فأمر يلمسه الدارس لآثار الآمدى ، وأبرزهـا « الموازنة » ، فلقد اجتمعت فيه خصائص العلم المضـبوط من الموضوعية ، والشمول والتماسك ، والاقتصاد[١٥] كما تحققت فيه أصول خطوات التفكير العلمى من نظرة فاحصة ، ودراسـة عميقة لنتـاج الشاعرين الطائيين وغيرهما ، مع اسـتيعاب لما اثير حولهما من آراء ، ثم الخلوص بنظرة ابداعية فى الموازنة بينهما ، وفق خطة راشدة هادفة ، تجعل القـارىء للموازنة ناقدا خبيرا علميا[١٦]٠٠

أما ذوقيته التحليلية فلم تفارق الآمدى ، بل نراها تواكبه فى مراحل تناوله النصـوص الشعرية انطلاقا من منظوره فى مسلكه الموازنى بين شعر الطائيين : « ٠٠٠ وأنص على الجيد وأفضله وعلى الردىء وأرذله ، وأذكر من علل الجميع ما ينتهى اليه التخليص ، وتحيط بـه العبارة ، ويبقى ما لا يمكـن اخراجـه الى البيان ، ولا اظهاره الى الاحتجاج ، وهو علة مالا يعرف الا بالدربـة ، ودائم التجـربة ، وطول الملابسة ، وبهذا يفضل أهل الحذاقـة بكل علم وصناعة من سواهم ممـن نقصت قريحته ، وقلت دربته ، بعد أن يكون هنـاك طبع فيه تقبل لتلك الصناعة ، وامتزاج بهـا والا لا يتم ذلك ٠٠ ثم أكلك بعد هذا الـى اختيارك ، وما تقضى عليه فطنتك وتمييـزك فينبغى أن تنعم النظر فيما يرد عليك ، ولـن ينتفع بالنظر الا من يحسن أن يتأمل ، ومـن اذا تأمل علم ، ومن اذا علم أنصف (١٧) ٠

ففى كلام الآمدى هذا نلمح أنه يرى ملكة الذوق : طبعا مركوزا فى الناقد وحذقـا يتحقق بالدربة وفطنة تأتى من امتزاج الطبع

---

١٥ ـــ حسان د . تمام (أصول الفكر اللغـوى العربى) ص ١٤ ـــ ١٨ .

١٦ ـــ الآمدى : الحسن بن بشر (المـوازنة) ج ١ ص ٤١١   ١٧ ـــ المصدر السابق .



بقلم : أ . د . عبد الحميد محمد العبيسى

بالذوق ، فصاحب الفطنة أجدر من صاحب الطبع وحده ، أو الحذق وحده .

ولا ينسى الآمدى قارئه ، فيوجهه الى انعام النظر ، وحسن التأمل ، اذ بالتأمل يتحقق العلم ، وبالعلم يكون العدل فى الحكم .

وأما شموليته ، فانه لم يقنع بالنظر الجزئى الى حقل الظواهر التى يتناولها ، ولا يدرس البعض منها دون البعض ، بل نراه يستقرىء جوانب الحسن والقبح عندهما من خلال تحليل نقدى يحتكم فيه الى « عمود الشعر » وهو مذهب العرب القدامى فى صياغة الشعر ، ونسج القريض .. وواضح أن صنيع الآمدى فى تتبعه فنون الشعر عند الطائيين ، وفحصها ثم تعقيبه عليها بأحكام غير نهائية — لأكبر دليل على شمولية منهجه !!

كما أن أخذه بالمقياس اللغوى ، والنفسى ، والانسانى وغيرها انما يؤكد تلك الشمولية فى تعاطى المقاييس النقدية المتفاوتة على حد سواء ، بدون ايثار مقياس نقدى بعينه !! .

أما واقعية المنهج فانها تتجلى فى تطبيقه خطة « الموازنة » ، فعلى حين ينظر فى النصوص الشعرية نظرة الفاحص الواعى البصير بواقعه لا يتعلق بالخيال وأسبابه الجامحة حينا ، والمتشابة حينا آخر ، فجاءت دراسته للفن الشعرى العربى فى ضوء تلك الواقعية ، كما أن تناوله للموازنة لم يلتزم سمتا معينا ذلك أنه كان يريد أن يوازن بين قصيدتين تتحدان فى الوزن والقافية واعرابهما ، فلما وجد ذلك أمرا صعبا بعيدا أخذ بالموازنة بين معنى ومعنى ، مع الموازنة فى الوجوه الفنية ، والمسالك التصويرية التى أشار اليها فى القسمين : التاسع والعاشر المفقودين من كتابه وهما : التشبيه والأمثال عندهما ، ثم تسجيل المعانى التى ينفرد بها كل واحد منهما لتوضع فى رصيد حسناته !! .

وهو منحى — بلا ريب — يتسم بالمرونة ، والتكيف مع ظروف وطبيعة البحث الذى يقوم عليه ، مما جعله صاحب منهج علمى واقعى !!

أما أخذه بالمقياس اللغوى فانا نجده يضيق مجاله ، ويحكم القبضة عليه ، فان اللغة لا يقاس عليها ؛ ذلك أنه ينبغى أن ينتهى فى اللغة الى حيث انتهى العرب ، ولا يتعداه الى غيره (١٨) .

ولا شك فى أن ذلك التضييق للمقياس اللغوى أورثه التعنت ، وجعله مغمزا لكثير من النقاد المحدثين والمعاصرين ، وفى مقدمتهم المرحوم الناقد الأستاذ الدكتور محمد مندور فى كتابه « النقد المنهجى عند العرب » (١٩) . ومع هذا فانه لا يمارى أحد فى عمق ثقافته اللغوية ووفرتها وهى التى أحسن تطبيقها كمقياس فيما تناوله من نصوص شعرية ، مع ما شابه من الاسراف والاعتساف

٥

١٨ — المصدر السابق : جـ ١ ص ٢٢٧ بتصرف .

١٩ — ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

في دعواه من أن اللغة لا يقاس عليها !!.

وأما تعاطيه المقياس النفسي فيتضح في عنايته بالدور النفسي في التحليل النقدي ، فكثيرا ما يحيل الى نفس القارىء وذوقه ، طالبا منه أن يدقق النظر ، ويطيل التأمل ، في ضوء ما ترتضيه فطنته ، فانه « ما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقي ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو » (٣٠) .

فأنت ترى الآمدي لا يريد هروبا ولا تنصلا عن مسئولياته كقاض ناقد موضوعي ، بل يهدف الى أن يكون للقارىء تجربته الذاتية كذلك ، وهذا معنى تربوي نبيل نسجله له ، على أن الآمدي لم يقف عند هذا الحد ، وانما رأيناه يطبق المقياس النفسي على شعر الطائيين معا في « مكائهما على الظاعنين » ، فان البكاء يشفي حرارة الشوق ويطفئها ، وهذا المعنى هو الشائع الذائع في الموروث من الشعر الجاهلي ، لكن الطائيين خالفا هذا المعنى المعروف المألوف في الجاهلية ، فقال أبو تمام :

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة
فلباه طل الدمع يجري ووابله

وقال البحتري :

نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع
تلاحقن في أعقاب وصل تصرما

فارتكب الطائيان الخطأ ، ذلك أن « الدمع هو حرب للشوق ، لأنه يثلمه ويتخونه ، ويكسر حدته ولو كان ناصرا له لكان يقويه ويزيد فيه ، وليس بهذا الخطأ خفاء على أحد » (٣١)

وقد دافع المرحوم الدكتور محمد غنيمي هلال عن بيت البحتري ، بقوله : « ان الآمدي يرى أن البحتري خرج على عمود الشعر ، حين وصف أنه بكى الفراق ، وأن الدموع زادت من لهيب شوقه اثر الفراق ، والشوق يشفيه البكاء ، ولا يزيد منه ، وانما انتقد الآمدي البيت ، لأن المشهور في الشعر الجاهلي أن البكاء يشفي من حرقة الشوق ولهيبه ، وهذا صحيح من ناحية نتيجة البكاء ، أي أن الانسان يشعر بعد البكاء بما يشبه عملية « التطهير » التي تحدث عنها (أرسطو) .. ولكن من ناحية أخرى لا مجافاة للصدق في بيت البحتري ، ذلك أن البكاء في أثناء الانفعال يزيد من العاطفة ، كما يزيد الانفعال كذلك على رؤية الفواجع في « المأساة » !!

قبل أن يحدث « التطهير » فيما بعد ، على حسب نظرية (أرسطو) المشهورة في كتابه « الشعر » . فكلا المعنيين صحيح ، ولا وجه لنقد البحتري الا لأنه خالف ما جرى عليه عرف الجاهليين » (٣٢) .

وهذا الدفاع يمكن قبوله الآن ، اذ أن معنى البكاء في أثناء الانفعال ، وكونه يزيد من العاطفة لم يكن شائعا أو معروفا عند القدامى الأوائل ، وانما اتضح هذا المعنى عقب حركة ترجمة الثقافات الوافدة الى العربية ، وعليه فانا نلتمس العذر للآمدي ، اذ معياره : كون المعنى الذي يأتي به الشاعر موافقا ومطابقا

---

٣٠ ــ الآمدي : الحسن بن بشر (الموازنة جـ١ ص ٥٢٣) .

٣١ ــ المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٢ ــ ٢٣ .

٣٢ ــ هلال : د . محمد غنيمي (دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده) ص ٧ «بتصرف»

للمألوف عند الجاهليين ، وصولا الى «عمودية الشعر » ، وقد يقال : ان هذا يدخل فى صميم نقد المعنى ، وعندى أنه لا تنافى بين مقياس النفسي والمعنى ، فقد يجتمعان ــ كما هنا ــ ولكل وجهته واعتباره ، ونظرته ومجاله . هذا وقد لاحظت أن الدكتور هلال قد خص البحترى وحده بهذا الدفاع مع أن أستاذه أبا تمام قد سبقه الى هذا المعنى المنتقد ، أو يعنى ذلك أن الاستاذ الكريم ــ رحمه الله تعالى ــ كان منحازا الى البحترى ، ومحبذا طريقته فى الصياغة الشعرية ، ومؤثرا مسلكه على منحى أبى تمام ؟ .

وكم وددت أن يشير الأستاذ المرحوم الى بيت أبى تمام ، ليسلم من أى تساؤل أو انتقاد !! بيدأن دفاعه عن البحترى هو دفاع عن أبى تمام فى هذا المعنى .

اما نزعة الامدى السلوكية والانسانية فانك تلمسها فى تضاعيف كتابه ، وبين ثنايا أحكامه اذا تفحصت عبارته السابقة . « ما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى بـه الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو !! » ــ فان تلك الحقيقة تكشف عن اعجابه بالشعر المطبوع الذى لا تكلف فيه ، مصورا للواقع فى صدق ، وهى دعوة صريحة للصدق الفنى كسلوك يجب أن يلتزمه طلاب القريض من الشعراء ، وفيها مغزى انسانى رفيع ، فان الصدق الفنى يجعل الفنان مبدعا ، ويورثه ابداعا وجمالا ، فليس الابداع ــ عند الأمدى ــ خروجا على سنن القوم (العرب) « عمود الشعر » ، بل هو المعنى الصحيح اذا أتى بـه الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو .

والحاح الآمدى على التزام الصدق ليس مقصورا على الشعر ، بل تجاوزه الى النثر ، ومن ثم نراه يعقب على فضائل الكلام التى ذكرها (بزر جمهر) ، وهى « أن يكون الكلام صدقا وأن يوقع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة » (٢٣) .

ان تعقيب الآمدى هو تفسير لما يريده (بزرجمهر) ، فقال الآمدى : « أراد الكلام المنثور الذى يخاطب به الملوك ، ويقدمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالب بأن يكون قوله صدقا أى (صدقا خلقيا) ، ولا ان يوقعه موقع الانتفاع به ، فانه قد يقصد به موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتا دون وقت فبقيت الفضيلتان : أن يحسن تأليفه ، ولايزيد فيه شيئا على قدر حاجته ، وهما واجبتان فى شعر كل شاعر » (٢٤) .

وكأنى بالأمدى يفرق بين لغة النثر وهى دلالية ، وبين لغة الشعر وهى ايحائية ،لكن شاب الآمدى كما شاب النقدة المنهجيون الأقدمون من العرب فصلهم بين الشعر والخلق أو الدين !!

فان التصور الاسلامى للفنان لا يبيح له

٢٣ ــ الأمدى : الحسن بشر (الموازنة) جـ ١ ص ٤٢٣ ــ « بتصرف » .

٢٤ ــ الأمدى : الحسن بن بشر (الموازنة) جـ ١ ص ٤٢٨ .

أن يكذب خلقيا مهما كانت الدوافع أو الضغوط كما لا يسوغ له أن يقترف الايذاء ، أو يرتكب العدوان ، أو يمارس الهجاء والبهتان ، بل يجعل قريضه على طريق الخير والبر ، ودعم السلوك المهذب ، وترسيخ القيم الاسلامية ، والتواصي بالحق والصبر ، كي تسود المعاني الاسلامية المثالية في دنيا الناس التي تكالبت عليها قوى الشر !!

وأما حرصه على التقاليد العربية التي كانت سائدة في الزمان الأول فانه يتضح في مدى حرصه على تحقيق « عمودية الشعر » ، انظر مثلا الى نقده أبا تمام في قوله :

خرجن في خضرة كالروض ليس لها
الا الحلى على اعناقها زهر

فان قوله : « خرجن في خضرة » . (فيه مخالفة لما جرت به عادات النساء قديما في اختيار ألوان الثياب) ، اذ الخضرة ليست من ألوان ثياب نساء البادية ، ولا من صبغ نساء الامصار الا في القرط ، لا يلبس الا أن يكون أصل لون الثوب أخضر .

وقد جعل أبو تمام جميع لباس هؤلاء النسوة (اللون) الأخضر ، وشبهه بالروض ، من أجل تشبيه الحلي بالزهر ، وهو نبت حسن ، وغرضه في ذكر الخضرة غرض صحيح ، الا أنه غير معروف !! (٢٥) .

فأنت ترى في كلام الآمدي أن صحة التشبيه ، وصنعة الصورة ، هي التي جعلته يخالف المعروف من لون زي النساء قديما ، فولوع أبي تمام بالصنعة البديعية قاده الى تلك المخالفة للتقاليد ، وبهذين الأمرين يكون أبو تمام خارجا على « عمودية الشعر » في نظر الآمدي !!

وأما سعيه الى تحقيق نمط من العدالة النقدية في تلك الخصومة ، فانه يصرح في بداية كتاب « الموازنة » بقوله : « وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ، وأحسن في اعتماد الحق ، (وتحرى الصدق) ، وتجنب الهوى » (٢٦) .

وفي مقام آخر يحفل الآمدي بالعدالة فيذكرها قائلا : « وهذا من أعدل كلام سمعته من القول في (أبي تمام) (٢٧) .

والدارس المتأمل يحس سعيه الحثيث العادل في كل خطوة يخطوها في « الموازنة » ، محاولا الالتزام — ما أمكن — بمبدأ الحياد بين الطرفين ، ومع هذا فانا نلمس تجاوزات قد وقع فيها الآمدي ، تصل أحيانا الى مستوى العنف والقسوة على أبي تمام . انظر اليه في تعقيبه على قوله :

وكأن أفئدة النوى مصدوعة
حتى تصدع بالفراق فؤادي

---

٢٥ — المصدر السابق جـ ٢ ص ٩٦
٢٦ — المصدر السابق جـ ١ ص ٣ .
٢٧ — المصدر جـ ١ ص ٤٢٠ .

و « أفئدة النوى مصدوعة » يشبه قـوله :

وكم أبرزت منكم على صبـح خـدها
صروف النـوى من مرهف حسن القد

وما أظن أحدا انتهى فى الجهـل ، والعى ، واللكنه ، وضيق الحيلة فى الاستعارة الى أن جعل لصروف النوى قدا وافئده مصدوعة غير أبى تمام !! (٢٨) •

فهذا نقد جارح حاد لأبى تمـام الذى لم يرتكب جريمـة ، ولم يقترف ذنبـا ، فـان التشخيص ظاهرة تكمن فى الاستعارة المكنية عند العرب ، لكن تضييق الأمـر — فى نظـر الآمـدى — جعلـه مثـارا لنقـد بعض المعاصرين (٢٩) •

ومع هذا فان الآمدى ظل ملتزما منهجيته طيلة بحثه فى الموازنة التى كان يرى أن تبويبها شرط لصحة الموازنة وسـلامتها ، بقـوله :

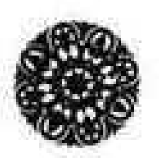
« وافتتح ذلك بما جاء عنهما (الطائيين) مـن الابتداءات فى هذه المعانى ، وأبوبها أبوابا ، لتصح الموازنة بينهما (٣٠) ولا شـك فى أن تجزئته الكتاب عشرة اجزاء قد سـاعدته على بسط فكرة الموازنة ، ومقاييسها ، وركائزها ، وان كانت تلك التجزئة قد جعلته يكرر كثيرا ، فيذكر الموضوع مرتين (٣١) او أكثر فى جزءين منها على نحو ما سنوضح تفصيلا فى خطتـه لكتابه فيما بعد •

هذا ومن الثابت المتيقن أنه لم يتخل فى منهجه عن معرفته اللغوية الممتزجـة بحاسته الأدبية الذوقية !! •

هذا عن منهجه النقدى ، فماذا عـن خطته فى الموازنة ؟

ذلك موضوع المقال التالى اذا شـاء الله تعالى —

ا • د / عبد الحميد محمد العبيسى



---

٢٨ — المصدر السابق جـ ٢ ص ٩) •
٢٩ — هلال : د • محمد غنيمى (دراسـات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده) ص ٢٠ •

٣٠ — الآمدى : الحسن بن بشر جـ٢ ص د •
٣١ — المصدر السـابق جـ ١ ص ٢٠ — ٢١ • جـ ٢ ص ١٨ — ١٩ •

أبو حيان التوحيدى

رجل جنى عليه فكره



(٣)

•• وبعد أن وقفنا على شيء من عدة أبي حيان واستعداده ، نقول :

أنه كان ــ بحق ــ جديرا بان يتبوأ من المنازل ما يصبو اليه طموحه ، وان يحتل مكانا يتكافأ وبعض ما لديه من مؤهلات ، لكنه تأخر ، بل أخر عن قصد دون من يفوقهم من معاصريه ، وهذا التخلف والتأخر هو ما نعده من جناية فكره ونكاته عليه •

على أن هذا الموضوع ــ أى ابعاده عن مكانة يستأهلها ــ قد أخذ شوطا بعيدا من القدماء والمحدثين على سواء ، وقلما وجد هذا الرجل من الانصاف ما يوائم معارفه وادراكه، بل انهم عزوا اقصاءه وتقريب غيره ممن ليسوا مثله الى انه كان يؤثر السلامة فى الخمول عن الغنيمة عند تجشم الأخطار ، وكان يقتنع بالطفيف ويحبه ، وأنه خامل جبان (١) •

وقد استنتج ذلك ــ وما أظنه حقا ــ من قولته : « أنا رجل حب السلامة غالب على ، والقناعة بالطفيف محبوبة عندى » (٢) •

ولسوف تعلم أن ذلك قد صدر منه بعد أن آب من لدن الصاحب بن عباد وأبى الفضل ابن العميد بالخيبة والحسرة والاحباط •

ومن التقولات عليه أنه :

« كان قليل الشجاعة والجراءة والتمتع بقوة النفس وحسن التدبير ، وذلك عاقه عن تقلد مركز عال » (٣) •

وعاقه كذلك « ما رمى به من الزندقة والالحاد ، أو ما اشتهر به من الاساءة الى الناس ، أو حسده لأولى النعمة فى الثراء والجاه والعلم والأدب » (٤) •

وسترى من خلال ما واجه به الصاحب ابن عباد ــ قوة القوى فى عصره بين البشر ــ أن أنّ ابعاده ومحاصرته وحرمانه ، انما

---

(١) ص ٣٠ ، ٣١ من كتاب ابو حيان التوحيدى للدكتور عبد الرزاق محيى الدين •
(٢) ١ ــ ٤ ، ١ الامتاع والمؤانسة لابى حيان ،
(٣) ص ٣٢ ابو حيان لمحيى الدين •
(٤) ص ٢٢١ ، ٢٢٢ الصاحب بن عباد للدكتور بدوى طبانه ، وهو فى ذلك متأثر بصاحب النثر الفنى ٢ ــ ١٢٣ ، وهذا الاخير يشرح آراء ياقوت الحموى التى قالها فى ١٥ ــ ٥ وما بعدها ، معجم الادباء •



للدكتور حامد الخطيب

كانت من شجاعته ، ومن توفز حسه ، وقسوة عارضته ، وحضور بديهته ، ومن قبل ذلك كله عدم مداراته ومداهنته ، وبخاصة اذا ما تعلق الأمر بالعلم ومسائله ، تلك التى تتطلب الحق والتحقيق ، ولا ترضى بالمجاملات أو الاغضاء ، اكبارا لكبير ، أو ادعاء احترام وزير ، وذلك ما كان يحدث فى مجلس ابن عباد — كما رأى التوحيدى وسجل — على أنا لو تركنا الجدل فى حسده لأولى الجاه والنعمة ، فانا لا نقبل أن يحسد غيره فى العلم والأدب ، كيف وهو — فى رأينا — كما قال أبو الطيب المتنبى :

قَطَّعْتَهُمْ حسداً اراهم ما بهم
فتقطعوا حسداً لمن لا يحسد (١)

لقد ثبت أن التوحيدى كان يزدرى أهل عصره ويترفع عليهم ، حاشا شيوخه ومن أفاد منهم ، فقد رأيت رأيه البين فيهم ، أما تكبره وازدراؤه ، فانه كان يوجهه الى المتفيهقين والأدعياء ، وقد صب حمم ذلك — بوجه أخص — على من لا يعرف الا نتفا من أمور ، ثم يدعى المعرفة بكل الأشياء .

واذا نأى أبو حيان عن أفانين النفاق والتملق اللذين كانا من صناعة غيره ، وشاعا فى عصره ، « لقى الأهوال من الأحياء ، وذاق الشقاء الذى ما كان يستحقه ، بينما يرى ويبصر من دونه يرتقون ويرتفعون الى أعلى مراتب الرياسة والشرف فى الدنيا » (٢) الدنية ، فلا غرو أن يؤثر البؤس وضراوة الفقر ، حفاظا على قدر علم ، وصونا لاباء نفس وشيم علماء من أن تركع أو تذل أمام مدع — فى رأيه — كالصاحب ابن عباد ، أو أبى الفضل بن العميد .

ذلك ، وما أظن رأيك الا من رأينا ، ولتكونن كذلك اذا قرأت قول من اتهمه آنفا (٣) : ان « الذين بلغوا ما أملوا فى عصره قل بينهم من استقامت له الأحوال ، واطردت معه الأمور ، وسوى من عرض نفسه للمهالك ، أوراضها على خدمة الوزراء ، آخذا بأسباب الملق ، ومعرفة السبل الى النفاق ، ندر أن عاش فى سعة ، وتجاوز حدود الكفاف ، ولم يقاس — على صبر ومضض — بأساء الحياة ، وضراوة الفقر » (٤) .

ولعل أبا حيان كان من هؤلاء الذين لم يرضوا لأنفسهم الهلكة ، أو خدمة الوزراء فى

---

(١) ١ — ٣٣٥ ديوانه ، والمعنى : حسدوك فبالغوا بشدة حسدهم ، حتى كأنك قطعتهم .. لأنه ليس أحد فوقك فتحسده ، وانظر ص ٣٢ من الابانة عن سرقات المتنبى للعميرى .

(٢) مقدمة الاشارات الالهية د. عبد الرحمن بدوى .

(٣) انظر ما اتهمه به د. محيى الدين من الجبن والخمول

٤ — ص ٣٣ ابو حيان د. محيى الدين .

خنوع ، أو التزلف والنفاق والتملق في سبيل عرض زائل ، ولئن ابتغوا ذلك لقد كانوا يرون العلم وتنوع الثقافة ، وجلال العلماء وحفظ تقدمهم مما يؤهلهم لما يبتغون ، بيد أن الصاحب بن عباد بلماحيته وفطنته ، رأى في صاحبنا أبي حيان طموحا لم يره عند غيره ، ، ومعارف ترفعه أعلى ذروة ، وهو — أى الصاحب — « كان يرى نفسه فرد زمانه ، وواسطة عقد دهره ، واذ رأى في التوحيدي علما وجرأة ، ثم سمع فيه قالة السوء من أعدائه ، كان لابد من أن يحرمه كل حق هو به خليق » (١) .

عليست — اذن — تهمة الزندقة والالحاد ، وليست شهرة الحسد والاساءة الى الناس ، وليس حب السلامة وبغض المغامرة ما جعل التوحيدي لا ينال ما يأمل ، ولا يوضع في مكانة تليق بمكانته ، ولكن قل :

هي مقدرة رجل متعدد الكفايات ، قد تعدد حاسدوه عليها ، وهي ذكاء وتحصيل ، ودراية بما يحصل ، وصيانة لكل ذلك ، وهو أمر لا يطيقه المتسلقون ، وأمانة علمية لا يستطيع الصبر على أن يخفيها متى وانت الحاجة اليها ، ومهما كان خطر الموقف الذي يدلى فيه بالرأي ، لذلك وسواه قد اغتالوا حقه ، وأهملوا جهده ، فأضاعوه ، وأي فتى أضاعوا !! .

لقد « بلغ أبو حيان مرتبة الأستاذية في الكتابة الفنية التي جعلت اللغة العربية سلسة القياد الى درجة نادرة ، تستجيب للذين يريدون التعبير عما في نفوسهم ، وانه كان على ذروة من ذراها ، عالما بدقائق الأسلوب الرائع ، وقادرا عليه ، بحيث لم يكتب في النثر العربي بعده ما هو أبسط وأقوى وأشد تعبيرا عن مزاج صاحبه » (٢) .

ولقد كان معاصره ابن عباد من سادة العصر وقادته ، وكان — باعتراف أبي حيان — « قطب دائرة علمية وأدبية ، وأن مجلسه كان موردا لكل وارد ، ومنهلا عذبا لا يخلو من زحام ، وبين يديه يجتمع ناس يختلفون في المواهب والمشارب ، وكان الصاحب يستمع ويستمتع بما يجول من المحاورات والمناظرات، ويفسح طريقا لكل ذي حديث » (٣) ، ولكنه — مع هذا — كان فيه تكبر وصلف ، وكان فيه استبداد وتعجرف ، حتى قال ياقوت :

« وللصاحب أخبار حسان في مكارم الأخلاق ، مع رقاعة كانت فيه » (٤) وحتى قال أبو العلاء الأسدي :

اذا رأيت مُسَجّىً في مرقعة
يأوى المساجد حرًا ضره بادى
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت
به الخطوب الى لؤم ابن عباد (٥)

ولعل ذلك ومثله قد جعل أبا الطيب المتنبي يدفع زيارته دفعا — رغم أنه هو الذي دعاه —

---

(١) ص ٣٤٢ : ٣٤٩ بتصرف ، الصاحب بن عباد د . بدوي طبانة .
(٢) ٢ — ٢٤٧ الحضارة الاسلامية لآدم متز .
(٣) راجع ٣ — ١٦٦ ، ١٧٠ يتيمة الدهر .
١٥ — ٤٤ معجم الأدباء ، ١ — ٦٥ الامتاع والمؤانسة .
(٤) ٦ — ١٧٤ معجم الأدباء .
(٥) ٣ — ٢٥١ يتيمة الدهر .

ثم يصفه قائلا لأصحابه :

« ان عليما معطاء بالرى يريد أن أزوره وأمدحه ، ولا سبيل الى ذلك » فصيره الصاحب غرضا يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع سقطاته في شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالا اياها ، وتمثلا بها في محاضراته ومكاتباته » (١) . فلا غرو أن « الناس كلهم محجمون عنه لجراته وسلاطته واقتداره .. » (ولا شك أن) صغار آفاته كبيرة ، وذنوبه جمة ، ولكن الغنى رب غفور » (٢) .

واذا ما صدق أن تلك الصفات القبيحة كانت فيه ، فهى التى دفعته الى كراهية من يلمح لديه فضلا يربو على فضله ، والذى لا ريب فيه أنه لمس في التوحيدى جملة من الصفات التى تمكنه من السبق له أو من اغفال شيء من ذكره ، فعمل جاهدا على أن يحيطه بسياج النكران والاغفال ، وأن يكنكف من تطلعه المشبوب .

ولقد يؤيد ذلك ويصدقه ما نسوق من مواقف حازمة حاسمة وقفها التوحيدى مع الصاحب ، وانها لتجل عن الحصر والتعداد ، قال : « فارقت بابه — يعني الصاحب — سنة سبعين وثلاثمائة ، راجعا الى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة ، ولم يعطنى في مدة ثلاث سنين درهما واحدا » (٣) .

ويبدو أن ذلك الازدراء والحرمان قد سبقه ما يبرره لدى الصاحب ، وكانت البداية كما « قال أبو حيان : وأما حديثى معه — يعنى ابن عباد — فاننى حين وصلت اليه قال لى : أبو من ؟ قلت : أبو حيان ، قال : بلغنى أنك تتأدب ، فقلت : تأدب أهل الزمان ، فقال : أبو حيان ينصرف أولا ينصرف ؟ قلت : ان قبله مولانا لا ينصرف ، فلما سمع ذلك تنمر ، وكأنه لم يعجبه ، وأقبل على واحد الى جانبه وقال له بالفارسية سفها — على ما قيل لى » (٤) .

فالأمر كما ترى ، اجابات تنم عن صراحة وجد ، وتكشف عن خلق رجل يعتز بعلمه أكثر من اعتزازه بنفسه ، وتشى بسرعة بديهه تفجأ المحدث بغير مقصوده ، ولكن مع حجة مسكتة ، وقول مفحم .

تأمل قول الصاحب : أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف ، ورد التوحيدى : ان قبله مولانا لا ينصرف . ولم يغب عن الصاحب ولم يعزب عنه ما يحمله ذلك القول ، ثم ما يحمله تصدير الكلم (بان) التى تنبيء عن شكوك التوحيدى في تصرفات الصاحب مع أمثاله ، بل مع من هم دونه في العلم والذكاء .

على أنا نسوق اليك من جراءة التوحيدى ما هو آلم للصاحب وأنكى ، وكل ذلك يرجع الى اظهار العلم والمصارحة بحقائقه ،

(١) ١ — ١٢٢ يتيمة الدهر ، ١٤١ ، ١٤٦ الصبح المتبى للبديعي .
(٢) ١ — ٥٤ الامتاع والمؤانسة .
(٣) ١٥ — ٣٢ معجم الادباء ، ٣١١ اخلاق الوزيرين لأبى حيان .
(٤) ٥ — ٢٨٠ معجم الادباء ، ص ٣٠٦ من أخلاق الوزيرين .

ومن ذلك قوله :

« قال الصاحب يوما : فعل وأفعال قليل ، وزعم النحويون أنه ما جاء الا زَنْد وأزناد ، وَفَرْخ وأفراخ ، وفَرْد وأفراد ؛ فقلت : أنا أحفظ ثلاثين حرفا كلها فعل وأفعال ، فقال : هات يامدعي ، فسردت الحروف ، ودللت على مواضعها من الكتب ، ثم قلت : ليس للنحوى أن يلزم مثل هذا الحكم الا بعد التبحر والسماع الواسع ، وليس للتقليد وجه اذا كانت الرواية شائعة ، والقياس مضطردا ، وهذا كقولهم : فعيل على عشرة أوجه ، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجها ، وما انتهيت من التتبع الى أقصاه ، فقال : خروجك عن دعواك فى (فعل) يدلنا على ائياك فى (فعيل) ولكن لا نأذن لك فى اقتصاصك ، ولا نهب آذاننا لكلامك ، ولم يف ما أتيت به بجراتك فى مجلسنا ، وتبسطك فى حضرتنا » (١) . أفليس ذلك بالصريح البين الذى يكشف عن أن الصاحب كان لا يحب أن يظهر فى مجلسه أحد يقول بقول هو لا يعرفه ، أو يفوه بعلم هو لا يعلمه ؟ ان الأمر عندى كذلك ولهذا الموقف نظائر كثيرة وأشباه .

ولقد كان العداء الشديد بين الصاحب وابن العميد أبى الفتح غير منكور ، وقد عرف الصاحب أن أبا حيان قرظ عدوه هذا بكلام لطيف ، فكان ذلك عليه بلاء فوق بلاء ، وعداء على عداء ، وقد صرح التوحيدى بذلك ، فقال : « ما ذنبى اذا قال لى : هل وصلت الى ابن العميد أبى الفتح ؟

فأقول : نعم ، رأيته ، وحضرت مجلسه ، وشاهدت ما جرى له ، وكان من حديثه مما مدح به كذا وكذا ، وفيما تقدم منه كذا وكذا ، وفيما تكلفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا ، ووصل أبا سعيد السيراق بكذا وكذا ، ووهب لأبى سليمان المنطقى كذا وكذا ، فيتزوى وجهه ، وينكر حديثه ، وينجذب الى شىء آخر ليس مما شرع فيه ، ولا مما حرك له ، ثم يقول : أعلم أنك انما انتجعته من العراق ، فاقرأ علىّ رسالتك التى توسلت اليه بها ، وأسهبت مقرظا له فيها ، فأتمانع ، فيأمر ويشدد ، فأقرؤها فيتمغر ويذهل » (٢) ، لماذا ؟ لأنه — فيما نظن — يرى نفسه أولى بالمدح والثناء ، فكيف يكون ذلك فيمن عاداه يوما ، وكره مقامه ، وأمر الجند بالتآمر عليه (٣) !! .

ومن المواقف التى أذكت عدم التوافق ، وأصلت العداء بين الصاحب وصاحبنا التوحيدى ، قوله :

قال لى الصاحب يوما — وهو يحدث عن

(١) ١٥ — ٢٦ ، ٢٧ معجم الأدباء ، ص ١٥٠ من مثالب الوزيرين لأبى حيان ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ من أخلاق الوزيرين .

(٢) ١٥ — ٣٦ ، ٤٢ معجم الأدباء ، ص ٤٩٦ وما بعدها من أخلاق الوزيرين .

(٣) أنظر ٣ — ١٨٦ ، ١٨٧ من يتيمة الدهر للثعالبى .

رجل أعطاه شيئا فتلكأ في قبوله — : ولابد من شيء يعين على الدهر • ثم قال : سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك ، فقلت : أنا أحفظ ذاك ، فنظر بغضب ، فقال : ما هو ؟ قلت : نسيت ، فقال : ما أسرع ذكرك من نسيانك ، قلت : ذكرته والحال سليمة ، فلما استحالت عن السلامة نسيت ، قال : وما حيلولتها ؟ قلت : نظر الصاحب بغضب فوجب حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب ، قال : ومن تكون حتى نغضب عليك ؟ دع هذا وهات ، فقلت : قول الشاعر :

الام على أخذ القليل وانما
أصادف أقواما أقل من الذر
فان أنا لم آخذ قليلا حرمته
ولابد من شيء يعين على الدهر

فسكت » (١) •

وهذه المسائل التي يعرضها أبو حيان ، ويسجل العديد منها في كتبه ، لا نظن شيئا من الافتراء فيها ؛ لأن حفظه ودرايته لم يشكك فيهما أحد حتى من أعدائه ، فأما مقولة القوالين بكذبه فان انصاف التوحيدي لألد خصومه — الصاحب وابن العميد — لتدلنا بالقطع على أنه ليس بالمدلس ولا بالكذاب ، فبالرغم من توافق كلا الرجلين في ازدرائه واحتقاره ، وحصاره وحرمانه ، فانك تجد الكثير من مثل قوله في الصاحب :

« ان الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد نتف من كل أدب خفيف أشياء ، وأخذ من كل فن أطرافا ، •• وفي بديهته غزارة ••• وفي الجملة هو أبلغ من ابن يوسف ، وأغزر واحفظ ، وأروى وأجم رئية ، وأعذب موردا وأبعد من التفاوت ، وليس ابن يوسف من ابن عباد في شيء ، •• كان الصواب غالبا عليه ، وله رفق في سرد حديث ، ونيقة في رواية ، وله شمائل مخلوطة بالدماثة ، بين الاشارة والعبارة » (٢)؛ وكذلك تجد الكثير من مثل قوله في أبى الفضل ابن العميد :

« وجملة الأمر أن ابن العميد كان حسن الكتابة ، غزير الانشاء ، جيد الحفظ ، •• وله شعر صالح في الغزل والمعاتبة ، ولأنه مشهور لا طائل في روايته ، ومن ذلك قوله :

قلبى دام به ندوب
يكاد مما به يذوب
قد كنت أخفى الوشاة جهدى
فنمّ منى به الوجيب

فهل سمعتم بمستهام
عليه من قلبه رقيب
يعمد ما ساءني ضرارا
ما هكذا تفعل القلوب

٩

---

(١) ١٥—٢٢ ، ٢٣ معجم الادباء ، ص ٤٦٢ من اخلاق الوزيرين •

(٢) ١—٥٤ الامتاع والمؤانسة لأبى حيان •

يعتــادني للصــبا غـرير
كــأنه شـــادن ربيب
جرى مـع الـدهر في عناق
فهـو لأحكـامه نسـيب
فكـل محبـــوبه بعيـــد
وكـل مكروهـه قـــريب
وكيف يرجى بقــاء صــب
نـاكده الـدهر والحبيب (١)

وعلى ذات الشـاكلة كان موقفـه من ابن العميد أبي الفتح ، رغم أنه نثليه أحيـانا ، حيث وجد فيه صفات قد ورثها عن أبيـه ، قال ـ زيادة على ما تقدم :

« وأما أبو الفتح ذو الكفايتين فانه كـان شابا ذكيا متحركا ، حسن الشــعر ، مليح الكتابة ، كثير المحاسن ، ولم يظهر كل ما كان في نفسه لقصر أيامـه ، واشـتعال دولتـه ، وطفوها بسرعة ، ومن شعره :

انى متى أهزز قنـــاتى تنتثر
أوصـــالها أنبوبة انبوبـــا
ادعو بعاليهـا الطى فتجيبنى
وأبى يحـدُّ سنانها المرهـوبا

وله كلام كثير : نظم ونثر » (٢) .

ولسنا نبتغي من ذلك كلـه أن ننزهـه أو نبرئه ، انما نريد أن ننصفه ، ولئن أنصفناه في بعض ما رمى به ، لقد بقيت مقولة حقــده ووجده ، وانه قدم الحسنات على ما ذكر من سيئات في الصاحب وابن العميد حتى قال : انه بذلك يزن بالعدل ، ويسوق الحســنة والسيئة ، ثم يحكم بالقسطاس ، فهل هـو كذلك ؟ وهل للحقد مزية يمتاز بها ، أم انـه أبدًا مرذول مذموم ؟ .. يتبـع

د / حامد الخطيب

(١) ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ مثـالب الـوزيرين لأبى حيان .
(٢) ١٤٠/ ٢١٣ـ ٢١٣ معجم الادباء لياقوت الحموى ، ص ٢٦٧ مثالب الوزيرين ، ٣ ـ ١٨١ وما بعدهـا من يتيمة الدهر .

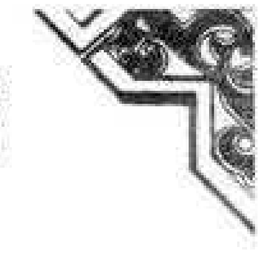
مبدأ إسلامي يدعو إليه شاعر إنجليزي ـ

فانه في النهاية لم يفز بطائل ، لأن البرلمان قد وقف دون آرائه ، واستمع الى معارضيه في ثقة مما هاج هائج « ملتون » ، فاندفع الـى تجريح ناس لمناوئيه في كتاب رابع ، جعـل شعاره الصاعق قوله :

« أجب الاحمق بما يشاكل حماقته ، والا فانه يعتقد في نفسه الحكمة ويتهيا الى نزالك من جـديد .

ولسنا نذكر هذا الشعار مؤيدين ، لاننـا نعرف قول الله : « وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » ولكننـا نذكره ليدل على ما اضطرم في نفس ملتون من غيظ أفقده الراحة والاطمئنان ، على انه لم يأسف لحظة على موقفه الجرىء ، واذا كـان قد أغضب به نفرا من الساخطين فقـد أراح نفسه من عبء ثقيل .

د . محمد رجب البيومى



نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى

٢

تأليف الأستاذ :
عمر عبيد حسنة

عرض وتعليق :
ا. د. طه مصطفى أبو كريشة

فى عدد « جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ » وقفنا عند بعض موضوعات هذا الكتاب ، التى تناولت مسئولية الداعين الى الله سبحانه وتعالى مع ضرورة الالتزام بالمنهج ، وتطوير وسائل الدعوة ، وعدم الجمود على وسائل بعينها ، لأن الوسائل اجتهادية ، وقابلة للتغيير حسب مقتضيات الزمان والمكان ، أما الأهداف والغايات الاسلامية فهى التى تتصف بالثبات وعدم قابليتها للتغيير .

وقد ذكرنا فى ختام هذا المقال السالف ، أن فى الكتاب مقالات أخرى ، تعرض فيها الكاتب لبعض جوانب التصور التى يقع فيها من يتصدرون للدعوة الى الله ، ولبعض العقبات التى تصادفهم أو توضع فى طريقهم .. وهنا نعرض لهذا الجانب من حديث الكاتب :

— ١ —

أما الجوانب التى رأى الكاتب أن فيها تصورا ، قد يعوق حركة العاملين فى حقل الدعوة الى الله ، فان من ذلك ما يلى :

* عدم علم الداعية بأحوال الأمم وعاداتها وعقائدها ، وهوتصور مبنى على تصور سابق عليه ، يتمثل فى الجهل بلغات هذه الأمم ، واللغة من غير شك هى النافذة التى يطل منها الانسان على فكر وثقافة الآخرين بطريق مباشر .

وفى هذا المجال يذكر الكاتب أن عالم اليوم بثقافاته وأفكاره ومعارفه وعقائده ، أصبح المتكلمين بغير اللغة العربية من دعاة الاسلام فى بلاد ليست العربية لسانا لها ، وقصورهم يكمن فى أنهم يتعرفون على الاسلام من خلال المترجمات ، ويكتفون بذلك دون محاولة تعلم العربية ومعرفة الاسلام معرفة حقيقية عن طريقها .

والمنزلق الخطير الذى قد ينزلق اليه هؤلاء الدعاة مع حسن النية ، هو تسليمهم التسليم المطلق بما تقدمه لهم هذه المترجمات وفيها ما فيها مما قد يسيىء الى الاسلام ، أو يعطى صورة مشوهة له ، ذلك لأن الترجمة مهما كانت دقيقة لا يمكن أن تعطى الصورة الحقيقية لدلولات الألفاظ فى لغة أخرى ، لما

نظرات في مسيرة العمل

اصطلاحاتها ، ولها استعمالاتها ، ولها مجازاتها وكناياتها ، هذا فضلا عن مقدار ثقافة المترجم ، ومدى فهمه لمدلولات الخطاب الالهي .

وليس في هذا تقليل من شأن الترجمة ودورها ، ودور من قاموا بجهود مشكورة في هذا المجال ، خاصة في مرحلة التعريف بالاسلام .

وانما الهدف من ذلك هو التأكيد على أن فهم الاسلام فهما صحيحا ، لا يتم في نهاية المطاف الا من خلال لغة القرآن ، وليس مع استدامة « وسيط » لغوي ، قد يقبل ويؤخذ عنه مرحليا ، حتى يتم الاتصال بالأصل المباشر .

ولقد أدرك هذا أوائل المسلمين من غير العرب ، حيث لم ير الواحد منهم ان في امكانه الاستغناء بلغته عن العربية ، بل كانت العربية أملا ، يعمل جاهدا من أجل تحقيقه والوصول اليه ، ومن هنا كانت الثمرة التي وكأنه دولة واحدة ، وساحه صراع فكري وحوار عقائدي ، بعد أن اختصر الزمان ، وانتقص المكان ، وأصبح الانسان يرى العالم من خلال ما قدمته المدنية الحديثة من وسائل اعلام مرئية أو مسموعة أو مقروءة ، أو من خلال وسائل النقل المتقدمة ، وأدوات الاتصال العجيبة .

ومن خلال هذا الواقع المعاش ، يمكن القول بأن الذي يرضى لنفسه أن يعيش بعيدا عن ادراك الصورة العالمية ، يكون قد رضى لها في الوقت ذاته أن يعيش على هوامش الحياة في عالمه الصغير.

وليس هذا بالوضع الذي يرضاه لنفسه من يدعو الى الله ، فاذا كان الانسان المسلم مكلفا بواجب التبليغ والدعوة الى الله ، فان ذلك لن يمكن بحال ، اذا رضى لنفسه بأن تنحصر في عالم صغير ، هو عالم لغته الخاصة فحسب .

ان الانسان المسلم لا يمكنه أن يوصل خطاب التكليف الى البشرية جمعاء ، وهو على جهل بلسانهم ، يعقبه جهل بعاداتهم وعباداتهم وعقائدهم .

واذا كان الله تعالى قال في شأن الرسل « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » ابراهيم ٤ ـ فان الدعاة الى الله في كل عصر ، هم ورثة الأنبياء ، وعليهم أن يتعلموا لسان من يوجهون اليهم الدعوة(١٠٠-١٠٢)

❋❋ ويتصل بهذا القصور قصور آخر ، ولكن ليس في جانب المتكلمين بالعربية مع جهلهم باللغات الأخرى ، وانما في جانب تقدمت في حقل الفكر الاسلامي الكثير من العلماء المفسرين واللغويين والأصوليين والمحدثين والمؤرخين ، وكثير منهم وصل الى مرتبة الامامة التي لا تتوافر الا لمن أتقن العربية وعلومها (١٠٣ ـ ١٠٥) .

❋❋ ومن جوانب القصور لدى الدعاة ، الوقوف عند حدود الرفض والادانة لواقع الأمة ، والاكتفاء بالخطب الرنانة الطنانة ، لأن ذلك لن يغير شيئا من الواقع ، وانما ينقلب الى حالة سلبية ، لا يحسن صاحبها غيرها ، وقد تؤدى به الى الانعزال بعيدا عن المجتمع .

ولتلافى هذا القصور ، ولضمان عدم

الانزلاق نحوه ، والانسياق اليه ، فان من أوجب الواجبات على العاملين للاسلام ، امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات ، والانفتاح أكثر ، وفتح منافذ جديدة للدعوة الاسلامية ، وامتلاك قدر أكبر من المرونة ، مع الابصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف، والتقدير للامكانات ، وبذلك يكون الخروج من عزلة الرفض والادانة ، الى ميدان التشخيص والعلاج والاصلاح ، من خلال وعي وفهم الداء والعلاج في آن واحد (١١٦ — ١١٧) .

* * ومن جوانب القصور ما قد ينادي به بعض الدعاة في أماكن متفرقة في العالم الاسلامي ، من ضرورة الانسحاب والانعزال عن المجتمع ، الذي يختلط فيه العمل الصالح بالعمل السيىء ، مؤكدين أن هذا الانسحاب هو نوع من الهجرة المطلوبة في تلك المجتمعات.

ويذكر المؤلف أن هناك مفاهيم مغلوطه حول الهجرة ، وقع فيها كثير من المنادين بها ممن تصدوا للدعوة الاسلامية ، اذ أن منهم من خلا لنفسه وتصوراته الخاصة الناشئة من النظر في بعض الجزئيات بعيدا عن الواقع ، واعتمد مقدمات خاطئة ، وصل من خلالها الى نتيجة جعلت بلاد المسلمين اليوم غير دار اسلام بشروطها المعروفة .

ومن ثم استباح هؤلاء لأنفسهم أن يمارسوا في مجتمعاتهم أنماطا من السلوك ، وأنواعا من المعاملات ، هي محل نظر من الناحية الشرعية ، وقد يتطور الأمر عندهم أكثر فيعلنون الحرب على هذه المجتمعات .

وقد فات من يصل الى مثل هذه النتيجة أن الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم — كان يطلق عليه في المجتمع غير الاسلامي قبل البعثة (الأمين).

ان الهجرة بالمفهوم الاسلامي ليست حركة سلبية انسحابية من المعركة ولا هروبا من الموقع ، وانما هي جهاد قد يكون من أعلى أنواع الجهاد.

ان الهجرة في الاسلام حركة ايجابية على أرض المعركة بين الاسلام الذي موطنه الدنيا كلها وبين الكفر والانحراف عن صراط الله المستقيم ومن ثم فان ذلك يتطلب معرفة الحق ، والالتزام به والثبات عليه والدعوة اليه من خلال المنهج الايجابي لا المنهج السلبي (١٢٨ — ١٣٦) .

— ٢ —

أما الجوانب الأخرى التي تمثل عقبات قد تصادف الدعاة أو توضع في طريقهم ، فان من ذلك ما يلي :

* * عقبات يصنعها الأعداء صنعا ، ويصدرونها للعالم الاسلامي كي يشتغل المسلمون بها أو يشغل بها الدعاة على وجه الخصوص ، من منطلق الدفاع عن الاسلام ، وهذه العقبات تتمثل في قضايا عامة طرحت من قبل ، وفي أزمنة وأماكن أخرى ، ومع ذلك يريد الأعداء بعثها من جديد ، أو اعادتها جذعة كما يقال.

ويؤكد الكاتب أن المشكلة كل المشكلة ، تكمن الآن في محاولة ارجاع المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعي ، من قبل خصوم الاسلام مجتمعين ، على ما بينهم من تناقض،

نظرات في مسيرة العمل

أما السبب في ذلك ، فهو احساسهم بأن الجسم الاسلامي قد بدأ يتحرك من جديد ، بعد السبات الطويل ، وأنه بدأ يخرج عن وصايتهم ، ويهدد مصالحهم .

ومن أمثلة القضايا التي يقذف بها العالم الاسلامي ليشغل بها عن صحوته ، قضية المرأة وحقوقها وعملها والطلاق وتعدد الزوجات وقضية اللغة الفصحى والعامية والحجاب والسفور ، هذا الى جانب ما يقذفه الاعداء من قضايا أخرى في مجالات سياسية واقتصادية ، وعلى رأسها قضايا القومية وقضايا المال ، وما يترتب على ذلك من عصبيات ومذاهب ، وكل هذا من غير شك يؤثر على جهد الأمة وطاقاتها ، ويبعثر قواها في أهداف جانبية .

ان مراكز صناعة الاهتمامات للعالم الاسلامي مستمرة في عملها ، وان التحذير من الثورة الاسلامية والصحوة الاسلامية ، أصبح ظاهرة لافتة للنظر ، وذلك لاعادة المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعي ، التي تقف عند هدف « درء المفاسد » دون أن تجمع اليه الهدف الآخر « جلب المصالح » لكي يحكموا الحلقة حول الاسلام ، ويمنعوه من الانطلاق .

وواضح أن دعاة الاسلام هم المستهدفون أولا بقضية اعادة طرح القضايا القديمة ، حتى يشغلوا بها من واقع غيرتهم الدينية ، وتتبدد جهودهم بالتالي قبل أن تقوم بواجب الابلاغ والانذار ونشر كلمة الاسلام ، وحتى لا تتابع بشائر الصحوة وترعاها لكي تصل الى درجة التيقظ الكامل (٩١ ـ ٩٨)

* ومن العقبات التي توضع أمام الدعاة محاولة التنفير من اللغة العربية ، والغض من شأنها ، واتهامها بالقصور في التعبير ، وهذا أمر يجعل مهمة الداعية ـ وهو يقوم بعمله ـ شاقة عسيرة ، اذ أنه لن يستطيع من خلال تمسكه باللغة الفصحى أن يصل الى ما يريد من أقرب طريق ، مادام أولئك الذين يدعوهم ، بمعزل عنه لسانا وفكرا وثقافة .

وقبل هذا فان هؤلاء سوف ينعزلون تلقائيا عن مصادر اسلامهم ، ماداموا لا يملكون اللسان الصحيح الذي يصلهم بها ، ويعرفهم بما فيها .

ان الهجوم على العربية في المجتمع العربي والاسلامي ، أمر استهدف به الدين في الواقع ، وذلك حتى تضعف الصلة أو تزول بالقرآن الكريم وهنا يمكن ادراك حجم هذه العقبة التي يصادفها الدعاة ، أو يجدونها موضوعة بين أيديهم عن قصد وارادة ، من جانب أعداء الاسلام (١٠٦) .

* ومن هذه العقبات ما يحاول أن يبذره المشككون ، من بذور التشكيك في طريق الدعاة الى الله والى تطبيق شريعته .

فاذا كان من الأهداف الكبرى التي يسعى اليها الداعون ، أن يصلوا بدعوتهم ، الى مرحلة التطبيق العملي لشريعة الاسلام في دنيا الناس وواقع حياتهم ، فان هذه الدعوة لم تخل من محاربة قامت على أساس التشكيك والتنفير ، مما مثل ـ ولا يزال ـ

عقبة تحتاج الى جهد حتى تزاح عن الطريق ، ويبقى خالصا لمنهج الله وصراطه المستقيم .

ويذكر المؤلف أنه من الطبيعي جدا أن تتزامن المطالبة بتطبيق شريعة الله في عالم المسلمين بكل جوانبها : السياسية والاجتماعية والثقافية والقضائية والأخلاقية ، مع حركة المد الاسلامي بعد هذه السنوات الطويلة ، من التجارب المريرة والغربة الموحشة ، وبعد أن حكم على اسلامهم بعدم الصلاحية وطرح جانبا وأقصى عن مجالات الحياة .

ووقوفا عند هذه العقبة التي توضع أمام الداعين الى التطبيق ، يناقش المؤلف أولئك المشككين والمتخوفين مبينا أن تطبيق الشريعة ، أو المطالبة بتطبيقها لا يعني أبدا اقامة الحدود فقط ، ذلك أن الحدود لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ، وأن الاقتصاد عليها لا يقيم المجتمع الاسلامي ، وانما شرعت لحماية المجتمع الاسلامي ووقايته .

فالمطالبة بتطبيق الشريعة تعني أول ما تعني : التربية الاسلامية للفرد والشورى في الحكم والطاعة في غير معصية ، والعدل والمساواة في القضاء وتحريم الربا والميسر والاحتكار ، وسريان روح الجهاد والاستشهاد ، والاعداد والاستعداد قدر الطاقة في الدفاع عن الأمة ، وحماية الفضيلة من الاعتداء عليها .

اما الفهم المبتور الذي يجعل صورة المجتمع الاسلامي مقصورة على ايقاع العقوبات ، ومن ثم لا يحكم الاسلام بعد ذلك أمور الحياة ولا ينظمها ، فهذه قضية على غاية من الخطورة والاساءة للاسلام نفسه ..

وهذا ما يجب أن يتنبه له الدعاة ، وينبهوا غيرهم اليه ، ليستقيم الفهم الراشد للاسلام ولرسالته .

** وبعد . فتلك أمثلة من جوانب القصور وجوانب العقبات ، وهي وغيرها الى جانب ما أشرنا اليه في المقال السابق ، تمثل رؤية المؤلف لما يدور في أفق العمل الاسلامي ، ولما يعكسه هذا الأفق من رؤى متعددة للعاملين في هذا الميدان ، الذي يشهد صحوة ملموسة في كل مكان في الأمة الاسلامية .

واذا كان لنا من تعقيب على تأملات المؤلف ، أو نظراته في مسيرة العمل الاسلامي ، فان ذلك يتمثل في تأكيد الدعوة الى أن يلتقي الداعون الى الله ، على كلمة سواء ، وأن يؤثروا أسلوب الحوار والمناصحة في قضايا الخلاف ، وأن ينبذوا أسلوب المخاصمة والمجادلة الخشنة الحادة ، ذلك لأنه ليس هناك من شيء يسعد أعداء الاسلام اليوم ، من أن يروا دعاة المسلمين وقد شغلوا بأنفسهم ، متنابذين متخاصمين ، مع ادعاء كل فريق العصمة لمنهجه والخطأ لمنهج آخر .

ثم يستمرون في اقتتالهم ، دون أن تمتد ابصارهم خارج جدران خصامهم ، لترى واقع المسلمين ، الذي يحتاج الى انقاذ سريع وعاجل ، من وهاد يوشك أن يتردى فيها ، دون أن يدري عنها الدعاة المتخاصمون شيئا .. « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » آل عمران ١٠٣ .

أ.د طه مصطفى أبو كريشة



« وصية الشيخ أحمد هل لها سند من الشرع ؟ »

س : من السيد / عبد الله محمد المنياوى ــ الرياض ــ السعودية .

ما حكم الشرع فى الوصية المنسوبة الى الشيخ أحمد .. والتى يدعى فيها انه حامل مفاتيح حرم رسول الله وانه قد رأى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المنام ... ويزعم فيها أن من قام بنشر هذه الوصية يحظى بشفاعة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم القيامة ، ويحل عليه الخير العميم وأن من لم ينشرها يحل عليه الشر الكثير من ضياع الأموال ، وهلاك الثمار وبوار التجارة .. الخ ما زعم .

ج : ما جاء فى هذه الوصية مما يدعيه الشيخ المذكور ليس له أساس من الشرع . ويجب على كل مسلم يقع فى يده هذه الوصية وما يشبهها أن يمزقها ولا يلتفت اليها ، لما فيها من الأكاذيب المنسوبة الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو منها براء . كما أن ما يذكر فيها ليس له أصل من الدين .

وهذه الوصية قديمة وضعها جماعة من اليهود بقصد اضلال السذج والعوام من المسلمين وصرفهم عن دينهم بهذه الأكاذيب الموضوعة على ألسنتهم ونسبتها كذبا الى النبى صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد ظهرت فى هذه الايام وصية أخرى مثلها ولكنها فى هذه المرة لم تنسب الى الشيخ أحمد المزعوم فليحذر المسلمون من هذه الوصايا ، والنافع والضار هو الله « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا .... وعليكم بالكتاب والسنة فلن تضلوا ما تمسكتم بهما » ..

« هل للأم الحاضنة الهجرة بمن تحضنهن ؟ » .

س : من السيد / محمد جلال الدين عبد الحميد .

طلقت زوجتى ولى منها ثلاث بنات قاصرات ، فهل لها أن تهاجر بهن الى بلد

إعداد الاستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

غير اسلامى (امريكا) ، بدون اذن منى
.. وما الحكم ؟ .

ج : لا يجوز للأم الحاضنة أن تنتقل بمن تحضنهن الى بلد غير البلد الذى يقيم به الأب بدون اذنه ، وليس لها أن تهاجر بهن الى بلد غير اسلامى ... ومن حق والد البنات أن يمنعها من أخذ البنات معها ...

« فى الميراث »

س : من السيد / حسن على خضرى.
توفيت امرأة عن : زوج ، بنت ، أم ، أب – علما بأن للزوجة المتوفاة مؤخر صداق ، ومنقولات ، ومصاغا . فمن يرث وما نصيبه ؟ .
ولمن تكون الحضانة والوصاية ؟.

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر صداق الزوجة ، ويضاف الى المنقولات والمصاغ ويعد تركة :

للزوج منها الربع فرضا ، وللبنت النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها ، وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى للأب تعصيبا .

أما الحضانة فهى لأم الأم ، والوصاية للأب أى لزوج المتوفاة والد الفتاة ...

س : من السيدة / سناء عبد المنعم الخولى .

توفى الوالد عن : زوجة ، أربع بنات ، اخوة أشقاء ، اخوة لأب .
وقد وهب فى حياته لابنته سناء : حجرة صالون ، وطقم صينى ، وطقم فضية وأشياء أخرى فرفضت الهبة ، فوهبها لابنته سهير ، كما وهب لابنته سناء عددا من شهادات الاستثمار قبل وفاته .. فما الحكم ؟ .

ج : هبة الوالد لابنته سهير ولابنته سناء صحيحة ، وتفيد ملكية كل منهما دون أن يكون للورثة حق فيما وهبه لابنتيه فى حياته .. ولا عبرة برجوعه فى هبة شهادات الاستثمار لابنته سناء ، لعدم صحة رجوع الوالد فيما وهبه لأولاده لحديث « الراجع فى هبته كالراجع فى قيئه » .

أما ماعدا ذلك ما تركه المورث فهو تركة تقسم بينهم حسب الأنصبة الشرعية : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الأربع الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للإخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف

الأنثى ، ولا شيء للاخوة لاب لحجبهم بالأخوة الأشقاء .

س : من السيد / محمد نجيب روق .
أبو حماد . شرقية .
قلت لزوجتى ان قبلت من أهلك شيئا بمناسبة العيد ودخل هذا الشيء بيتى فانت طالق ، بالثلاثة ، ولكن الزوجة ادخلت هذا الشيء بيتى . فما الحكم ؟ .

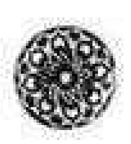
ج : هذا يمين معلق ، ان قصدت به الطلاق يقع به طلقة رجعية ، وان قصدت به التهديد والتخويف فلا يقع به طلاق .. وانت أدرى بنيتك .. والله عليم بذات الصدور .

والله أعلم

س : من السيد / ابراهيم الدسوقى حسن دنيا من اسميت ـ تليوبية .
منذ خمسة عشر عاما أقمنا مسجدا وصلينا فيه الجمعة والجماعات ، منذ اقامته للآن الا ان المسجد يحيط به من الناحية الشرقية مقابر القرية ومن الناحية القبلية قبر أحد الأولياء ومن الناحية البحرية والغربية طريق عمومى ، وجاء أحد العلماء فاخبر بأن الصلاة فى هذا المسجد لا تصح فما الحكم .

ج : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .. فنفيد بأن الصلاة فى هذا المسجد صحيحة شرعا مادامت المقابر بعيدة عنه وبينه وبينها جدار والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى
عبد الله المشد





إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عاطف زهران
عبد الفتاح السيد عبد السلام

ضياء الحق يهب حياته لتطبيق الشريعة الاسلامية:

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق انه سيضاعف من سياسته الرامية الى اضفاء الطابع الاسلامى على جميع نواحى الحياة فى باكستان بكل ما يملك من قوة وأكد ان جهوده فى المستقبل ستتركز على ادخال الانظمة الاقتصادية والسياسية الى بلاده .

وقال «اننى وهبت حياتى لمضاعفة الجهود لتطبيق الشريعة الاسلامية» .

تطبيق الشريعة الاسلامية

قرر مجلس الشعب تحديد أول مايو القادم لبدء مناقشة مشروعات تقنين الشريعة الاسلامية ، وذلك فى ضوء الدراسات التى أعدتها اللجان المتخصصة التى شكلت لهذا الغرض منذ ثلاث سنوات .

أعلن الدكتور رفعت المحجوب رئيس المجلس أن هدفنا فى المرحلة القادمة تنقية القوانين الحالية مما يتعارض مع الشريعة الاسلامية .

وصرح الدكتور رفعت المحجوب رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب أن المجلس يقوم بمراجعة القوانين التى انتهى الأزهر من صياغتها بما يتفق مع القرآن والسنة وأودعها طرف المجلس .

كان الشيخ عطية صقر عضو مجلس الشعب وعضو مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر قد تقدم بطلب وقع عليه أربعة وستون عضوا من مختلف الأحزاب لمناقشة الموضوع .

ثلاثة مراكز اسلامية

انتهى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بسنغافورة من وضع خطة جديدة لبناء تسعة مساجد ، وثلاثة مراكز علمية بمختلف المناطق التى يسكنها مسلمو سنغافورة .

صرح بذلك الدكتور أحمد مطر وزير الشئون الاجتماعية فى سنغافورة .

قال : ان عدد المسلمين فى دولته يبلغ الآن

أنباء وآراء

حوالى ثلاثمائة وستون ألفا من المسلمين ، يمثلون خمسة عشر بالمائة من اجمالى السكان .

وأضاف قائلا : ان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية برئاسة الحاج اسماعيل محمد قام أخيرا بانشاء هيئة للدعوة الاسلامية بين غير المسلمين . وذلك بالتعاون مع خمسة وعشرين هيئة اسلامية أخرى .

٣٢ ألف يعتنقون الاسلام

اعتنق سكان قرية هندية الاسلام بصورة جماعية ، واعقب ذلك تحول مجموعة كبيرة من طائفة « الهاريجان » الهنود للاسلام . وقد تجاوز عدد المعتنقين الاسلام فى هذه القرية ٣٢ ألف هندى ، وذلك لما لمسوه فى الاسلام من العدل والمساواة والحرية بعكس ما كانوا يعانون من تفرقة وعنصرية . ويأتى ذلك ضمن بوادر الصحوة الاسلامية بالهند رغم كل ما يواجهه المسلمون هناك من ممارسات غير انسانية .

كليــة للشريعة بأندونسيا

احتفل فى جاكرتا بوضع حجر الاساس لأول كلية للشريعة الاسلامية بأندونسيا . الكلية الجديدة تعمل على انشائها المملكة العربية السعودية وتشمل قاعات للدرس والندوات ومسجدا للصلاة . ومن المنتظر ان تفتح الكلية ابوابها للدراسة فى العام القادم . والكلية تعتبر جزءا من جامعة سلطان « اجونج » بمدينة (سيمارانج) بجاوة الوسطى .

مدينة اسلامية فى جورجيا

أعد محمد على كلاى مشروعا كبيرا لنشر الدعوة الاسلامية فى انحاء الولايات المتحدة الامريكية . قرر طبع مليونى نسخة من كتاب عن تعاليم الاسلام وكيفية الصلاة .

قال محمد على : انه يجرى الآن الاعداد لاقامة مدينة اسلامية متكاملة فى ولاية « جورجيا » بأمريكا ، وأنه تم بالفعل شراء أرض مساحتها ستمائة هكتار لبناء المدينة الاسلامية .

٣ جنود سوفييت يعتنقون الاسلام

اعتنق ثلاثة جنود سوفييت من القوات السوفيتية التى تحتل افغانستان الاسلام وانضموا الى المجاهدين الافغان . وقد غير هؤلاء أسماءهم الروسية الى أسماء اسلامية . وطلب هؤلاء المسلمون الثلاثة التستر على أسمائهم حتى لا تتعرض اسرهم لبطش السلطات السوفيتية .

* احتجت تركيا بشدة على بلغاريا عقب اختفاء عدد من الاتراك المقيمين بها ، ومزاولة السلطات البلغارية القمع والارهاب مع الاتراك داخل اراضيها لتجبرهم على تغيير اسمائهم الاسلامية .

سبق أن قامت هذه السلطات بمنع مؤن

الأطفال المسلمين الرضع عن ذويهم للسبب نفسه .

جامعة أم درمان الاسلامية

تبدأ في منتصف العام الحالي المرحلة الأولى من بناء جامعة أم درمان الاسلامية الجديدة بالسودان .

الجامعة الجديدة تقع جنوبي منطقة أم درمان وتغطي مساحة (٢٧) هكتارا ومن المقرر أن تستوعب الجامعة الجديدة ثلاثة عشر ألف طالب ، وستضم مجموعة من الكليات في الجزء الداخلي المواجه للنيل الأبيض بالاضافة الى قاعات المحاضرات . أما الجزء الخلفي فيضم سكن الطلبة والطالبات وهيئة التدريس ومسجدا ومبنى الادارة .

الاسلام ثابت الجذور

نشرت صحيفة « لوموند ديبلوماتيك » الفرنسية ، دراسة واسعة النطاق حول الاسلام في افريقيا السوداء .

قالت الدراسة : ان أوربا أساءت الظن بقوة الاسلام في افريقيا حين تصورت أنه دين خارجي بالنسبة للأفارقة ، وأن الارساليات المسيحية نجحت في خلق الطبقة الحاكمة في دول افريقيا السوداء ولكن الحقيقة أن الاسلام أثبت أنه ثابت الجذور في هذه الدول لأنه متآلف مع الثقافات الافريقية ، وأنه دين نشط له قوة دفع ذاتية تساعده على الانتشار .

وأوضحت الدراسة : أن الاسلام كان حاجزا ثقافيا منيعا أدى الى حماية الثقافات الافريقية من الذوبان في الثقافات الاوربية الاستعمارية في حين كانت المسيحية امتدادا لسيادة البيض .

وأضافت الدراسة : أن الاسلام لم يميز العرب الأفارقة عن الشعوب الافريقية السوداء ، بل احتفظ لهذه الشعوب بذاتيتها الخاصة دون أن ينقص ذلك من قيمتها الدينية شيئا .

حلول لمشكلة التنمية في العالم الاسلامي

انتهى الدكتور عبد العزيز الخياط عميد كلية الشريعة بجامعة الأردن من وضع تقرير مفصل عن مشكلة التنمية في الدول الاسلامية .

ذكر الدكتور الخياط في تقريره أن العالم الاسلامي زاخر بالطاقات والثروات المتنوعة تبعا لاختلاف تضاريس ومناخات رقعته الشاسعة . فهو يحتوي على سبعين في المائة من انتاج البترول وخمسة وثمانين في المائة من انتاج القطن ، وستة وسبعين في المائة من انتاج المطاط ، وخمسة وأربعين في المائة من الفوسفات وخمسين في المائة من ذهب العالم ، وسبعين في المائة من زيت النخيل ، بالاضافة الى مادة « اليورانيوم » اللازمة لانتاج

أنباء وآراء

الاسلحة القذرية .

وطالب الدكتور الخياط : بعودة التضامن بين الدول الاسلامية .

وقال : ان المسلمين استطاعوا على امتداد ألف وثلاثمائة سنة أن يحافظوا على استقلالهم الاقتصادى .

وقال : ان مفهوم التنمية فى الاسلام لا يقتصر على الجوانب المادية البحتة كما يفهمها بعض الاقتصاديين الغربيين . وانما يتسع مفهومها فى الاسلام ليشمل الجوانب الاسلامية والروحية والأخلاقية ، ومن هنا فان المال وكل الأعمال الاقتصادية والمادية ينبغى أن تكون موجهة بأوامر الله ونواهيه وتعاليمه .

الجماعة الاسلامية بالهند

نظمت الجماعة الاسلامية الهندية بولاية « كيرالا » أسبوع توعية لمنع تداول الخمر والمسكرات ومنع انتشارها فى الولاية خاصة فى أوساط الشباب وطلبة الجامعات .

وقامت الجماعة بمظاهرات احتجاج ضد شرب الخمر فى سائر انحاء الولاية وهم يحملون آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية . وقد ألقى عدد من الزعماء المسلمين فى الولاية محاضرات ركزوا فيها على الأضرار الناتجة عن شرب الخمر .

المطالبة بمنع الخمر فى الأردن

طالب الدكتور أحمد الكوفحى عضو البرلمان الأردنى الحكومة الاردنية بمنع اصدار تصاريح استيراد أو صناعة الخمور فى البلاد . كما طالب أيضا بحظر تقديمها فى الحفلات العامة . والغاء الرخص الممنوحة حاليا بتداول الخمر .

وتقدم مذكرة فى هذا الشأن الى الأمانة العامة لمجلس الأمة الأردنى قال فيها : « ان تحريم الخمر أمر قطعى غير قابل للطعن أو الاستئناف كما أن التصريح بتداول الخمور فى البلاد يعد مخالفا للدستور الأردنى الذى ينص على أن دين الدولة هو الاسلام .

القى السيد / عبد الوهاب زبير الفماوى من جيجى نيجيريا القصيدة التالية فى حفل تخريج الدفعة الاولى من اعداد الدعاة والأئمة من السودان ونيجيريا وسيراليون فى الدورة التى اقامتها مشيخة الأزهر بمدينة البعوث الاسلامية ٠

ياقبلة العلم يا أزهر الحكما	تحيى لنا المجد والآثار والنظما
بدعوة القوم تبقى منبرا أبدا	لنفع أبناء هذا الدين جد كرما
تدريبنا دورة حتا يعلمنا	نهج الرسول ونور الهدى والحكما
لانت قدوتنا لا نبتغى بدلا	فى الأمر والنهى كنت اللوح والقلما
اين السبيل الى الخيرات دونك بل	اليك يأوى الورى مغزى علا قمما
شيخ الشيوخ اجاد الحق نجل على	امامنا جاد حق الله والعظما
تبدى السلوك من الوجدان دافعه	عناية الله فى قلب صفا سلما
شيوخنا انكم ازهار عالمنا	كواكب الأرض بالأنوار وا شيما
مصر العزيزة أرض طاب صانعها	فطابت الأرض لا وبلا ولا ديما
رئيسها بطل حسنى مباركها	دامت لدولته مصر نما وسما
البيض والسود عند الله واحدة	لكن تميزهم تقوى لمن فهما
لساننا آية الواننا عبر	فلن نرى فيهما خلفا أيا علما
هذى لدورتنا الأولى قصيدة من	يرجو النجاة من الاهوال والقيما
الحمد لله بدءا ثم خاتمة	سبحان ربى لا نحصى له النعما

عبد الوهاب زبير الفماوى
مركز التعليم العربى الاسلامى
جيجى / نيجيريا

من خير ماكتب

شيخ الأزهر في حديث صحفي :

*** تطبيق الشريعة هو الحل الوحيد لوقف ظاهرة خطف الفتيات .**

*** على مجلس الشعب الاسراع في مناقشة قوانين الشريعة الاسلامية .**

اكد فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر على أن تطبيق الشريعة الاسلامية هو الطريق الوحيد لردع الذين جاهروا بمحاربة الله .. ومحاربة اخوانهم واخواتهم . اولئك الذين جرأوا على أن يغتصبوا الفتيات والنساء .

وطالب فضيلته بأن يسارع مجلس الشعب بمناقشة مشروعات قوانين الشريعة الاسلامية : وقال ان مصر مهيأة اليوم لتقبل تطبيق الشريعة الاسلامية أكثر من أي وقت مضى .

جاء هذا خلال تصريحات صحفية أدلى بها فضيلته ..

وردا على سؤال حول سبب موجة الارهاب والخطف والاغتصاب وانتشار المفاسد اللا اخلاقية قال فضيلة الامام الأكبر :

ان السبب هو غياب الخوف والايمان بحقوق الله وأوامره من قلوبنا .. كما أن الفراغ الديني ترك آثاره بين الشباب الذي لم ينشأ على منهج الاسلام وانما تربى في ظل الثقافات الوافدة من الشرق والغرب .

وأوضح فضيلته : أن علاج هذه الظواهر يكمن في العودة الى شريعة الله فهي السبيل الوحيد لردع الذين حاربوا الله والمسلمين فجرأوا على أن يغتصبوا الفتيات والنساء .. ولو اننا عملنا بأحكام الله لحمينا بلادنا وحفظنا اعراضنا من هؤلاء الخارجين على منهج الله ..

وأجاب فضيلته عن سؤال حول تأخر مناقشة قوانين الشريعة الاسلامية في مجلس الشعب بقوله :

لا ينبغي أن تحجب قوانين الشريعة الاسلامية بحجة أنها لم تقدم للمجلس بالطريقة المنصوص عليها في الدستور .. فان هذا الطريق يملكه المجلس .. واذا كان المجلس يفسح جلساته لمناقشة القوانين العادية فمن باب أولى عليه أن يسارع بمناقشة قوانين الشريعة الاسلامية .

ونفى فضيلة الامام الأكبر أن تكون القلاقل التي تحدث في السودان نتيجة تطبيق الشريعة الاسلامية هناك .. وعلل ذلك بوجود تيارات خارجية تستهدف اعاقة مسيرة الاسلام في السودان .

الأستاذ الدكتور / زكي نجيب محمود

محنة اللغة العربية وأسبابها

ليست اللغة مجموعة من الرموز مسطحة بغير اعماق بحيث نستطيع العبث بها كيف شئنا ثم تظل حياتنا مع

ذلك صحيحة معافاة ، بل لغة الانسان هي نفسها عقله وشعوره وقد انتقل من الداخل وخفائه الى الخارج وعلانيته نطقا او كتابة .

فاذا رأيت لغة قوية أو لغة ضعيفة بأى معنى فهمنا القوة هنا والضعف هناك كانت القوة أو الضعف انما تصف في حقيقة الأمر انسانا ، او أمة بأسرها ، من ناحية ما أصاب كيانها الداخلي ذاته . وليس بيننا من يساوره شك في أن اللغة العربية قد بلغت خلال هذه الحقبة الزمنية التي نحياها درجة من الضعف تستوقف النظر وتستدعي السؤال عن علة ذلك الضعف ما هي ؟

وانه لأيسر اليسر أن يجيء الجواب مسرعا بأن العلة كائنة في مدرس اللغة العربية أساسا لكني أرى أن هذه الاجابة المبتسرة السريعة لا تكفي ؟ لأن مدرس اللغة العربية هو واحد من مجتمع ضعفت فيه اللغة الصحيحة فلجأ الى لغته الدارجة أو العامية بديلا ، وتعليلنا لهذا الضعف يجب أن يشمل مدرس اللغة وغيره ممن يستخدمون اللغة كلاما وكتابة وقد نسمع من يعلل ذلك بقوله :

ان الأكفاء من المدرسين قد هاجروا الى اجزاء أخرى من الوطن العربي ولو كان ذلك تعليلا صحيحا لوجدنا قوة اللغة قد انتقلت معهم الى هناك ، والواقع هو ان ضعف اللغة شامل للوطن العربي كله ولابد من بحث عن تعليل شامل للظاهرة الشاملة .

ان الحكم على لغة القوم قوة أو ضعفا ابان فترة بعينها ، يبنى عادة لا على كلام عامة الناس في شئون حياتهم اليومية بل يبنى على ما يقوله أو يكتبه الشاعر والأديب والناشر ورجل العلوم ولست أظن أن فينا من يخالف الحكم على هؤلاء بصفة عامة اليوم ، بضعف الأداة اللغوية عندهم كل في ميدانه ضعفا قد يبلغ حد العجز أحيانا ، فشعر الشاعر (في حالات كثيرة) مليء بالخطأ وبركاكة التركيب وكذلك قل في الناتج الأدبي على اطلاقه وخذ رواية أو مقالة ، كما اتفق لك ، وانظر كم فيها مما يجاوز حدود اللغة الصحيحة من حيث المفردات أو تركيبها على السواء .

ورجل العلوم حين تكون عبارته العلمية مما لا يعتمد على رموز العلم يغلب أن تجيء في غير الدقة اللغوية التي تتلاءم مع التفكير العلمي .

والسؤال الكبير هو :

لماذا حدث هذا كله في هذه المرحلة من حياتنا على وجه الخصوص ؟

ورأيي هو أن الظاهرة اللغوية انما هي جزء لا يتجزأ من الحياة كلها في سائر أجزائها . وهذه الحياة في مجموعها قد سرى فيها شيء من اليأس بحق أو بغير حق — مما أدى الى نوع غريب من الاستهتار بكل ما يربط الفرد الواحد بسواه سواء أكان ذلك السوى من المعاصرين أم من الأسلاف السابقين ؟

واللغة انما تقع في قلب العلاقات الرابطة بين الأفراد ؟ فاستها نوابها ، وحطوا من شأنها ، وانزلوها عن عرشها . وأوشك المستهين باللغة في صحتها وجمالها أن يسخر ممن يعنى بهذه الصحة والجمال لأن العناية

أنباء وآراء

بهما مضيعة للوقت ، وانى اذ أقول ذلك فانما أردد ما قرأته ذات يوم لرجل كان قد ارتفع به منصبه فى دنيا الثقافة دون أن يكون له من اللغة العربية الا ضعفها فأراد الدفاع عن نفسه وجاء ذلك الدفاع هجوما على اللغة ذاتها .

انى أقولها عن ايمان أن عودة الاهتمام باللغة لا تتحقق الا بعودة الاهتمام بحياتنا ذاتها لا من حيث هى طعام وشراب ومنصب ومال بل من حيث هى عزة قومية أولا وقبل كل شىء آخر ؟

فاذا نحن آمنا ايمانا صادقا بأنفسنا وبتاريخنا فى مجده وبمستقبلنا فى أملنا بازدهاره،أحببنا اللغة فيما أحببناه من جوانب حياتنا وتذوقناها وحرصنا عليها حرصنا على عقولنا وقلوبنا اذ لغتنا هى تلك العقول وهذه القلوب وقد عبرت عن نفسها كلاما وكتابة،

روح الانتماء هى الأساس الأول الذى من شأنه أن يدفع العربى الى قراءة العربية فى نماذجها المثلى قراءة المتذوق وقراءة من يريد لها الثراء والغنى ، فاذا شاعت هذه الروح فى مدرس اللغة العربية شاعت من بعدهم فى تلاميذهم وطلابهم .

فلنتناول اللغة من ناحية انتمائنا اليها وحبنا لها فى ذاتها وفى كونها رمزا لعزة نفوسنا وعندئذ تتغير النظرة اليها ، ويزداد الاقبال على قراءتها فى نماذج ...ب دقتها وحلاوة جرسها وبذلك تكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق السليم .

الأستاذ / عبد اللطيف فايد

طلاب الشهرة بالهجوم على الدين

لا يليق أبدا بطلاب الشهرة أن يجعلوا دين الله مطية الى ما يطلبون فذلك بالرغم من أنه ضلال عن الطريق الصحيح الى الشهرة هو فى حد ذاته اقحام على الدين بما يجب على كل انسان ذى دين أن يتجنبه ويعزف عنه .

أقول ذلك بمناسبة ما نشر أخيرا عن اعجاز فى القرآن الكريم بالرقم (١٩) وادخال كلمة (الكمبيوتر) بما لها من سحر على الناس فى القضية ، وتحديد زمن قيام بواسطته اعتمادا على مقولات هذا الرقم ودلالاته التى أخذ صاحبها بجمعها من السور والآيات ..

صاحب البحث يعرضه فى مصر بعد أن رفضه مؤتمر العلماء المسلمين فى الجزائر ، ويطلب الرأى فيه ، ويفسر فى داخله آيات من القرآن على هواه ، مع أن مفسرى القرآن فى القديم والحديث لم يطرأ على بالهم شىء اسمه (الكمبيوتر) فقد صنعت عقولهم أشياء يحتاج احصاؤها الى آلة حاسبة هى الأخرى مصنوعة بعقل انسان .. يذكرنى هذا البحث ببحث آخر ظهر منذ عدة أعوام اسمه (الاعجاز العددى) فى القرآن الكريم ، وقد بهر هذا البحث أصحاب الثقافة الدنيا من الناس أما من عندهم ثقافة متوسطة والراسخون فى العلم فقد نظروا اليه نظرة واقعية وناقشه بعضهم وأظهر زيف ما يقول لأن اعجاز القرآن ليس مسألة حسابية .

ولأن هذا اجتراء على الدين بما ليس منه

يجعلنى أنظر بكثير من الريبة الى ما يقال من كشف علمى توصل اليه أستاذ بالجامعة لشفاء مرض (الروماتويد) لأن هذا الأستاذ نفسه نشر بحثا منذ سنوات عن أسرار الصيام فى رمضان جرد فيه الشهر الكريم من كل عظيم فيه . ونفى عن الصيام سائر الفضائل وقصره على تجنب بعض العادات السيئة مثل التدخين لأن اضراره على الجسم وبخاصة الجهازان الهضمى والدورى أخطر من أن يتحملهما انسان يريد العمل والانتاج .

والذكريات تتداعى عن طبيب آخر ظهر منذ أكثر من ربع قرن ادعى أنه توصل الى دواء يحيل الشعر الأبيض الى شعر أسود دون صبغة سائلة أو متماسكة القوام مثل المراهم، واتضح أن اختراعه هذا ليس الا مجرد توهمه أو ادعاء ، وقال عنه علماء الطب وقتها أن بحثه يتسم بالسذاجة وعدم الموضوعية .

والذين يتخذون الدين وسيلة الى الشهرة هجوما عليه أو غيره يذكرنى أيضا بآخرين اتخذوا مثل هذه الوسيلة فى الهجوم على كبار المسلمين فى التاريخ أو انكار الشعر الجاهلى وصولا الى انكار اعجاز القرآن أو القول بدعوى القصص الفنى فى القرآن الكريم أو أن الشخصيات القديمة فى القرآن هى رموز فقط للخير والشر .. هؤلاء متحرفون بالدين ومتطرفون فيه ينبغى الحذر منهم .

وعقد جلسات علمية معهم تذاع على الناس بكل أجهزة الاعلام ليعرف الناس الحقائق منهم كاملة بعيدا عن الاغراءات الكاذبة للأفكار المريضة .

الأستاذ /ثروت أباظة

القانون للكافة

اعظم ما يميز القانون انه يطبق على الجميع بغير استثناء . ويوم يتقلص القانون عن نفر من الناس ويطبق على آخرين يسقط جلاله وتمتهن هيبته ويحتقر الناس شأنه .

والقانون يستمد عظمته من احترام الناس له ويوم يشعرون انه يطبق من فوره على بعض الناس ويتلكأ فى ميوعة عند تطبيقه على آخرين يصبح القانون بل تصبح كل القوانين عند الناس هزءا وسخرية وأضحوكة . والقوانين لها عدة أشكال وشتى متجهات ومختلف مناح . فيها ما يطبقه الفرد وفيها ما تطبقه جماعة على شكل لجنة أو مجلس وفيها ما يطبقه القاضى .

والقوانين التى يطبقها القاضى لا تستطيع أن تتميع ولا تجرؤ أن تواجه قوما وتتخلف عن آخرين . ولهذا فهى دائما موضع احترام ولها فى نفوس الناس مكانها ووقارها. والذى يخرقها يعلم تمام العلم أن أمره اذا انكشف فانها محيطة به منفذة عليه لا يلفتها منها منصب أو جاه أو تربى من صاحب سلطان .

ولكن القوانين الأخرى التى يمسك بزمامها الأفراد واللجان والمجالس تستطيع فى كثير من الأحيان أن تصبح حبرا على ورق وتستطيع أن تدعى العمى أو تفتعل الصمم .



أنباء وآراء

ولا تدرى أن الجمهور صاحب بصر حديد وأذن تسمع خطو النمل . وأن هذا الجمهور له حكمه وحكم الجمهور قاطع ويزداد ضراوة اذا وجد القانون يتعامى أو يتصامم عند صاحب منصب أو عند صديق لسلطان .

فاذا لم يطبق الذين يملكون تطبيق القانون مواده التى هم عليها أمناء فعليهم اذن أن يتحملوا حكم الشعب عليهم .

والرجل العام اذا لم يرع الله كان حكم الشعب عليه وبيلا قاسيا لا قبل له به ؟ .

الأستاذ / صلاح منتصر

مجرد رأى

من البيت للشارع

لا يمنعنا استنزال اللعنات على الشباب السافل مغتصب الأعراض والشرف ، وخاطف الفتيات فى الشوارع من الاعتراف بمسئولية الأطراف الأخرى التى قصرت فى أداء دورها فى التربية .

واذا كان مكان أكبر وأصغر شجرة يبدأ من الأرض ، فان البيت هو الأرض الأولى التى يتم فيها غرس كل بذور المستقبل من شباب وفتيات .

والسؤال : هل تقوم بيوتنا بدورها فى التربية ؟ .

ان البيت ليس مجرد فندق أو ملجأ للأكل والشرب والنوم والمطالعة .. وانما البيت الحقيقى هو التوجيه والتقويم والتهذيب فى أحضان دافئة من المشاعر والعواطف .

واكبر أخطاء البيت المصرى انشغال أصحابه بمسئوليات الحياة المادية ومعاناتها

وخلع أيديهم من مسئوليه التربية اعتمادا على المدرسة . وهذه الأخيرة طفحت بالأعداد المتزايدة التى لم يعد فى قدرة المدرس التعرف عليها .. ومع زيادة الأعداد فى المدارس قلت مساحات التربية الجمالية والحسية .. فلا وردة ولا حديقة ولا مكتبة ولا ملعب ولا متنفس يأخذ الأولاد فيه شهيقهم وزفيرهم رغم قسوة السباق الدراسى الذى يدخلون فيه من أجل المجموع ومكاتب التنسيق من الابتدائى الى الجامعة ..

وبين البيت والمدرسة تحول الشارع المصرى الى ملهاة كبيرة أصبح معظم من فيه يقول يارب نفسى .

وبعد أن كان المواطن يعتبر نفسه شرطيا يحرس القانون والفضيلة انقرضت الشهامة من سوق المعاملة المصرية وأصبحت فى ندرة اللبم .

وبينما كانت احدى صفات الشارع المصرى قديما أن تنشق الأرض فى لحظة قيام أية خناقة عن الف شخص يتدخلون لانقاذ المتشاجرين وفض خناقتهم ، أصبح من النادر أن تستوقف خناقة أحد المارة أو تجذب شهامته .

وبسبب هذا البرود فى البيت وفى المدرسة وفى الشارع وجدت الأخطاء الأبواب واسعة ومفتوحة امامها بدون اى تاشيرة دخول .

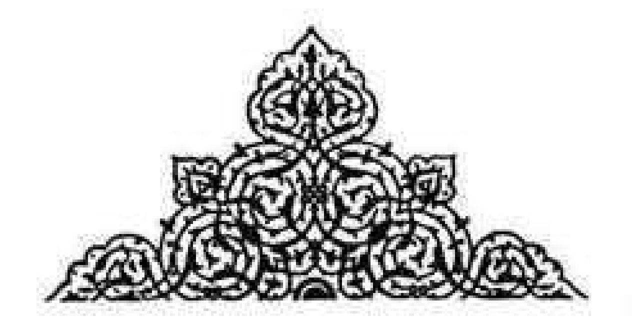


فهرس العدد

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

the Hereafter. One has to break through inspite of the thorns interspersed. A happy beautiful end had been prepared for those who struggle for it. They are the helders of the keys to Paradise. By their good deeds and good intentions they have been shown its course. We can have the pleasure to be in their company if we are true to ourselves. They are the shining stars we are to observe, their principles and teachings they are those we are to follow, respect and defend unhesitantly.



mental needs?. Of course not, man is not bound to his spiritual world, in spite of his working hard for it. Man is ordered to satisfy his physical, as well as intellectual needs. Wealth owned by a righteous man is but a means to an end, it is considered a gift from Allah, and man is advised to spend it generously to the po and miserable preferrably in secret, also in the cause of dignifying Allah's principles. Within the cont of this definition of wealth, everything into man's possession is apt for spending; God-given gifts, such as hearing, sight and mind, occupy an entire priority. A righteous man has to direct and teach his companions, provide help to the disabled. This conception of possession provides a humanitarian as well as an economic meaning . Islam lays emphasis on such characters because giving is undoubtedly a positive action far from being negative, neutral or negligent. He ranks with the higher class of humanity because he is completely conscious of great responsibilities authorized to him as a true subject of Allah.

A final extremely important fact is that muslims, in addition to believing in what had been revealed in the holy Qur'an; are also asked to believe in what had been revealed to other prophets before Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) for guidance and salvation of mankind. This crucial prerequisite puts both Christians and Jews face to face with their open denial of the Holy Quran, and superimposes Islam. It is necessary for everyone to conduct the way of righteousness, it is the only drawn line to success both in the worldly life and in

saved from being a prey to their own greed. They are warned of being selfish or egocentric. They are encouraged to be helpful characters. Man's life on Earth, in this world is bounded;its seconds and minutes, days and nights, months and years are accurately counted. struggle for a better life in the hereafter becomes great concern for these who understand and achieve logic.

It is obvious that righteous people are after high goals. They have been inspired to make use of their lives in acquiring an infinite correct tranquil life. They are not extremists, they are balanced, neither very sorrowful for what they have lost, nor very joyful for what they have gained. But how can an integral character like this live amid this intricate material world? How are good qualities within him promoted? This is done by following Allah's do's and avoiding His donots. It is necessary to be committed to your rituals, the most important of which is to perform and keep on performing prayers, an exquisite opportunity to be in the presence of Allah five time a day. Through ablution, he restores his pure, sincere, faithful character to attend in the presence of Allah. In His sublime presence, generosity, grace benevolence, and mercy are certainly attainable. Therefore,it is vital to keep performing these five prayers in their fixed times. By doing so, our souls become provided with the divine energy all along its long but exciting journey through the life.In this way a muslim is shielded against evils; he is made ready to accept, satisfactorily, what has been predestined for him. Here,a serious problem emerges: In his spiritual relation to his Creator, is man detached from aspiring his secular,

ingless argument, self arrogance, and stagnant diversity.

Each substance, element or morsel of the expansive universe around us loudly proclaim greatness, highness, majesty and sovereignty of Allah. All world of animals, birds, plants and insects, even the inanimate world declare the omniscience of Allah. Deliberate denial of this immortal fact is not in keeping with proper function of mind and brain. Satan runs through our bodies just as blood does through veins and arteries. We should faithfully try to block the way in the face of that vicious cursed enemy. This is easy to do, by advocating what is right and virtue, and by adherent obedience to the words of Allah. The belief in the hereafter comes next. The day of judgement, reward or punishment. It is an immaterial world about which none is allowed to talk except Allah. Yet, man has to subject in absolute belief.

It is inevitable to answer a question put forward by both pagants and non-believers: Is it useful to believe in the invisible realm of Allah? In other words, what dimensions will this kind of an unknown world add to the world we are living in now? Believing in the other world does not restrict our expectations into a limited, narrow, mortal world. On the other hand, it helps your hopes remain shining. For the poor, this world is an essence, because he is promised that his portion is many times doubled on the Day of Judgement, if he patiently leads a righteous life. The rich, too, are not left to satisfy their own ambitions; they are

THE WAY OF THE RIGHTEOUS PEOPLE

By: Magdy Abdel Hamid Basheer

Everybody, on reciting verses of the Holy Qur'an is taken by the wonderful ethical life style involved in the words of Allah. This is felt when one reads through the intimate memorable words revealed to the Prophet (Allah's prayers and peace be upon him) in the exposition of righteousness, its meaning and significance, its aspects and fruitful results.

It is clear to every muslim that righteousness is the road that leads its supporters to the Promised Paradise. It may appear difficult for many people to plant such a great tree when its good soil is thought to be out of hand. Contrary to that false imagination, it should be known that this good soil is within your reach. It is nearest and dearest to you. It is your heart when attached to Allah. Through His directive guidance care and patronage, seeds of righteousness can be planted chershed and sustained. Therefore, it is important to know the way to Allah as indicated in the sacred revelations; and still more important to put these instructions into practice. Without application we are plunged into mean-

this is the end of a stage, that eternity starts. In no way does this imply that man's phase of life on earth has no aim beyond delaying his other life in the Garden. Or, the creation, for the service of man, of all that is in the universe would be empty of significance. In fact life has an aim.

It is the belief in Allah that ennobles man's life and endows him with its highest impulses and purest aspirations. Almost on a par with it, is the idea of Resurrection, because it introduces a seriousness into man's life which cannot be otherwise attained. It is to fulfil a higher object and live a higher life that man is put to test and then shifted through death to the Hereafter.

Both good and evil must have their deserved reward. Hence the belief in Resurrection does not serve for a theoretical dogma or a quintessence of hope to idle away one's life in expectation of it. On the contrary, it is a wonderful principle which guides the workings of man's mind and conscience.

The idea of a life after death may seem strange to some minds, even among scientists. No wonder, then, that the Qur'an and the Sunna very often revert to it in terms of confirmation, promise and warning. One and universal is the idea that runs through all the Verses and Traditions bearing on that future life, i.e. the whole universe is bound to give place to an entirely different and superior order. This is quite consistent with man's scientific knowledge of the universe, which turns around evolution, order and sublimation.

mity, "Yaum-ul-Taghabun", i.e. the Day of Mutual Accusation, "Al-Qari'a", i.e. the Striking Calamity, "Al-Ghashia", i.e. the overwhelming disaster, "A-s- Saakhah", i.e. the Deafening Catastrophe, "A-t-Tammah", i.e. the Predominating Cataclysm, "Al-Haqqah", i.e. the Truth Establishing Affliction, and "Al-Waqi'ah", i.e. the Great Event.

Man's stay, and most probably the wearing away of his body, in the grave, is termed the "Barzakh" stage, that is the period that intervenes between death and the Great Doomsday.

Still, Resurrection is applied to several meanings. There are at least three types of resurrection: the great which is the rising up of all people for reckoning; the medium, which stamps out a whole generation or even a whole nation; and the minor in which each individual meets his end on earth. For the Prophet (be upon him peace from Allah) is reported to have said, "Men are comatose; and it is with death that they awake". As for the Great Resurrection, it is preceded by Israphil's blowing the Trumpet, which is, in its turn, followed by everybody in the Heavens and on Earth being thunderstruck and stunned, except for those whom Allah exempts.

In addition, the word is often used metaphorically in the Holy Qur'an, as when man is guided from unbelief to the blessedness of Islam, and when land, bare of vegetation, is stirred by rain to produce different kinds of plant.

Resurrection involves the entire destruction of the world and its laws, natural and man made like. However,

was created from earth. Man starts as a drop of sperm safely enshrouded and firmly secured in his mother's womb, where silently and unseen he matures his fetal stage. Last he is born to live the term and test appointed for him. Similarly, his spiritual life has three stages. First, his experience is very limited on earth, so that most people are unbelievers. Then death comes to him, and back to earth he goes, where he practices a sort of existence medium between this life and the Hereafter. An unprecedented consciousness causes the righteous to be happy and the unbelievers, and the evildoers to lament over the duties they neglected towards Allah. Last, men are raised on the Doomsday to enjoy or suffer the interminable fulfilment of their deserved reward.

It is noteworthy that the Qur'an, and the Sunna, give several names to Resurrection, and speak of two paradises and two hells. As for the names of Resurrection, these are the following. "Yaumul-Qiyamah", i.e., the day of the great rising, "A-s-sa'ah", i.e. the hour, "Al-Yaum-ul-Akher", i.e. the last day, "Al-Akherah",i.e. the future and last life, "Yaum-ud-Din", i.e. the day of Judgement, "Yaum-ul-Fasl", i.e. the Day of Decision, "Yaum-ul-Hisab", i.e. the Day of Reckoning, "Yaum-ul - Fath", i.e. the Day of Fate, "Yaum-ul-Talaqi", i.e. the Day of Meeting, "Yaum-ul-Jam", i.e. the Day of Gathering, "Yaum-ul-Khulud", i.e. the Day of Everlasting Abode, "Yaum-ul-Khuruj", i.e. the Day of Coming forth from Graves, "Yaum-ul-Baith", i.e. the Day of Being Raised to life, "Yaum-ul-Hasrah", i.e. the Day of Lamentation, or Woe, "Yaum-ul-Tanadi",i.e. the Day of Calling forth, "Yaum-ul-Azifah", i.e. the Day of the Near Drawing Cala-

LIFE AFTER DEATH

By: Soliman Barakat

Belief in Resurrection is a basic principle of Islam. According both to the Holy Qur'an and to the Traditions of the Prophet (be upon him peace from Allah) death does not bring an end to life. On the other hand, it is the door to advancement in an everlasting abode. Rather, it is a transition period between this life and Resurrection. There is no point, however, in putting in a remark that countless generations of various creatures will inevitably differ in the duration of their stay in the realm of death. Indeed, man's consciousness of time after death is very different, so that the unbelievers will swear to have been tarrying for a mere hour or even less.

Immeasurable as is the difference between this life and the Hereafter, it is in the former that the seeds of the latter are sown. Connection is not at all missing between the two lives; spiritual realities are in fact hidden from human eyes by reason of material limitations, so only a few people find the ecstasy of its uplift.

A figurative parallelism can be drawn between man's existence on the earth and his life after death. Adam

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

We regret the errors appearing in the previous volume.

Both articles are republished in the correct arrangement

they gain; and enough is God for
the believers in their fight. And Allah
is full of strength, Able to enforce His Will"

(Surat Al-Ahzab, XXXIII,23-25)

In spite of the mighty preparations and the massive forces that gathered from Koraysh and the Central Arab Bedóuin tribes, the discontented jews and the treacherous Hypocrites that gathered to the seige of Al-Madinah; all their plans were frustrated, and all their forces were shattered. Their fury and hatred availed them nothing. They departed in fear and haste. That was their last dying effort. The initiative thereafter lay with the promoting progressive growing forces of Islam.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980

Al-Yaman to discover what was taking place in the camp of the confedérates. When Huzaifa returned, he informed that the confederates were departing.

The seige of the confederates in the battle of "Al-Ahzab" was in Shawal of the fifth year of Hijrah, and ended in Zulquida. It lasted for two weeks, and some accounts report twenty-seven days. It caused much suffuring, hunger, cold nights, unceasing showers of arrows and various surpise assaults. It ended very unexpectedly by the collapse of Bani Quraiza allaince to the forces of Al-Ahzab, and the complete disorganisation of Al-Ahzab and their discomfiture by the hurricane. Islam emerged from this ordeal truimphant and certainly more firmly established than ever before. The events of the confederate alliance with the Jews, and the great siege of Al-Madinah, is documented in the holy Quran in surat Al-Ahzab. In the struggle for truth, many sacrifice their lives, all their resources, knowledge, everything, and never waver.

> "Among the believers are men who have been
> true to their covenant with Allah.
> Of them, some have completed their vow,
> And some still wait: But they have never
> changed their determination in the least.
> That Allah may reward the men of truth
> for their truth, and punish the hypocrites,
> If that be His will or turn to them in Mercy.
> For Allah is oft-forgiving, most merciful.
>
> And God turned back the unbelievers
> for (all) their fury: no advantage did

Quraiza to start battle on the following day. Bani Quraiza answered that they will not fight except when the confederates send seventy of their nobles as hostages to ensure that the confederates will not turn away and leave them face the Muslims alone. This ascertained the words of Naim Ibn Massoud to Koraysh. At this stage of events, there was no true alliance between the confederate forces and Bani Quraiza, and both parties doubted the intentions of each other. The brilliant ingenuity and talented skill of Naim Ibn Massoud in his diplomatic strategy created doubt and inconfidance between the confederates and Bani Quraiza, and this resulted is total collapse of Koraysh Jewish relationship.

Amidst all these very critical events, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims with him were firm patient and steadfast, humbly and deeply praying for relief from this dire distress. The Divine Powers interfered to answer their prayers. A Violent hurricane started which caused severe confusion disorder and disorganisation among the ranks of the confederate forces. The psychological impact of this was intense fear and doubt that Muslims would carry a surpise attack amidst this chao , possibly sided by the jews of Bani Quraiza. Orders were given by Abu Sufyan that every man must make sure of the next man to him, and beware of the enemy to infilterate. The command was to depart and return, everybody moved, the men from Koraysh, Ghatafan and the other confederate tribes. Khalid Ibn Al-Walid remained behind to cover the retreating forces. This was the end of the consortium of famous Arab tribes that intended to annihilate the Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent Huzaifa Ibn

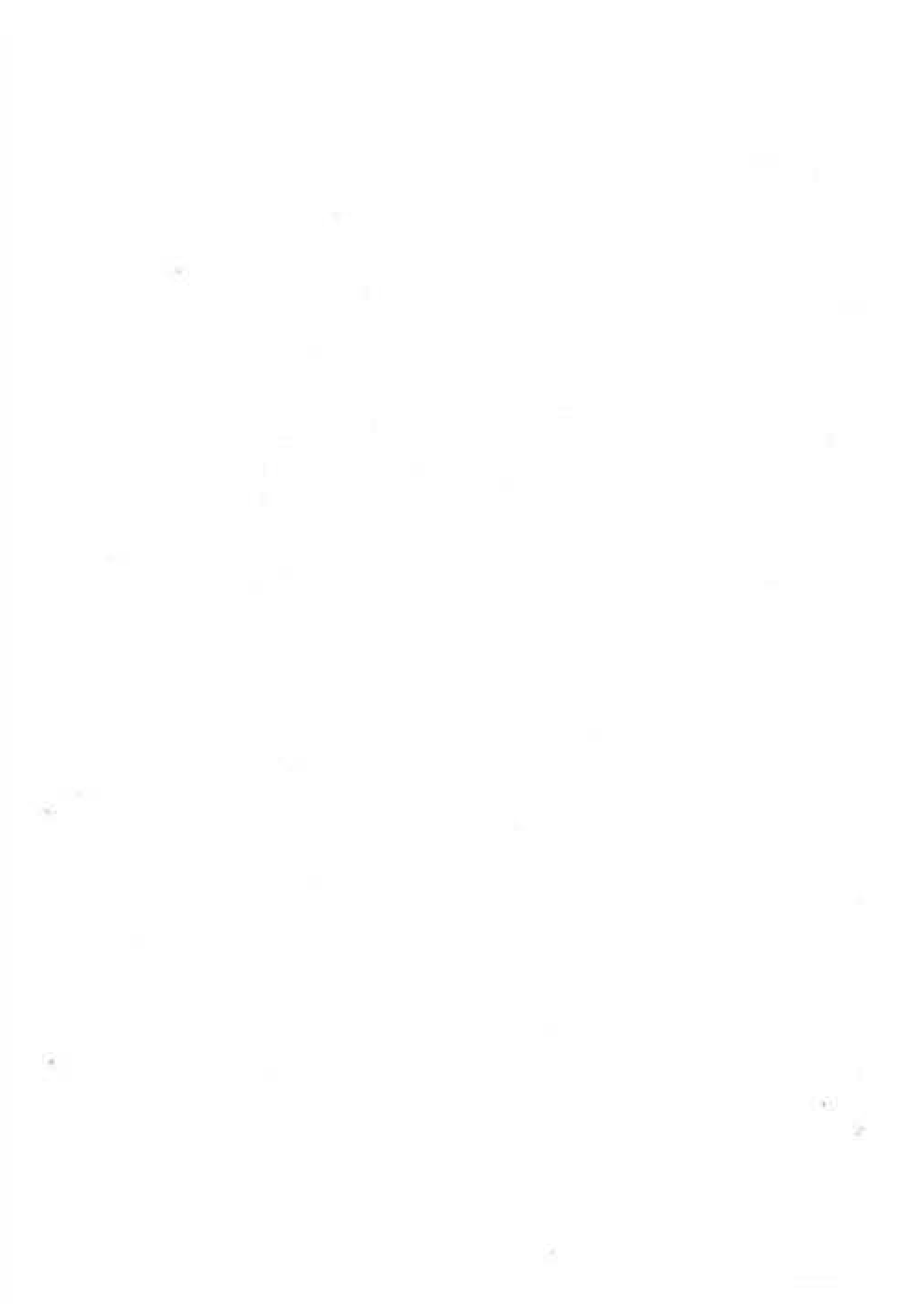
At this depressing situation, a man from Ghatafan called Naim Ibn Massoud Al-Ashgaii well known friend to Koraysh, and the jews of Bani Quraiza, came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Naim confessed his islam which he had kept as secret, and asked how he can offer help. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "you are but one man, what can you do. However, do alleviate our distress if you can, for war is cunning maneuver and shrewd skillful strategy". With these words in his ears, Naim went straight to Bani Quraiza, who were generous to him and wellcomed his presence. With the confidence of a friend, he explained with skilled diplomacy that their alliance with the confederates must be safeguarded and guaranteed; and that Bani Quraiza should ask the confederates for seventy of their nobles as hostages, to ensure that the confederates will not under any circumstances turn away from their confrontation with Muslims and leave Bani Quraiza alone. This opinion was received with great appreciation by Bani Quraiza, and accepted it as a very sincere wise advice. Naim Ibn Massoud then went to the leaders of Koraysh, where as a friend he was met with respect. Again with mental agility and skilled scheming, Naim informed Koraysh that Bani Quraiza deeply regretted their betrayal act with the Muslims, and planned to ask for hostages from the confederates to ensure their alliance; and give up these hostages to the Muslims in return of allowing Bani Qainuqaa and Bani Al-Nadhir to re-inhabit Al-Madinah. The clans of Ghatafan and Koraysh were highly grateful and acknowledged the useful information given to them by Naim Ibn Massoud. Consequent upon this, Abu Sufyan Ibn Harb leader of the confederate forces sent envoys to Bani

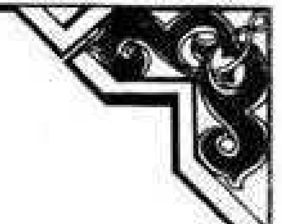
THE CONFEDERATES AND BANI QURAIZA

By.Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, P.hD.

In the Name Of Allah Most Gracious Most Merciful.

The confederate forces of Koraysh, Ghatafan, Huzail and others arrayed in flagrant ostentation opposite the inferior numbers of the humble patiently praying Muslims who were trenched in defence of Al-Madinah. This blatant disposition of the confederates became highly manifested when Huaii Ibn Akhtab from Bani Al-Nadhir influenced Kaab Ibn Assad the head of Bani Quraiza to renounce the neutrality of Bani Quraiza and declare their full alliance with the confederates. Such action on the part of Bani Quraiza was very resentful and acrimonious to the Muslims; and placed Bani Quraiza in a position of frank insolent defiant betrayal, and open enmity to the Muslims. The status quo was certainly against the Muslims, with Bani Quraiza and the hypocrites inside Al-Madinah awaiting the time to attack; and the confederates very eager to establish an occupation of Al-Madinah and a final victory over the Muslims. However, the aftermath was still in the realm of the unknown, and the heavenly powers were still to interfere.



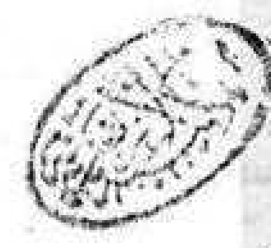



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION







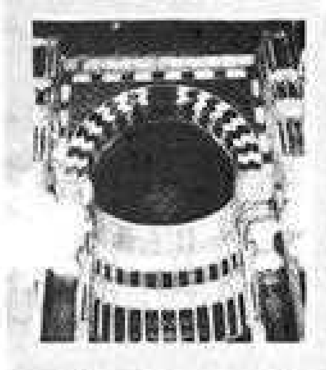
الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٢٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



لله وللرسول

ولأئمة المسلمين وعامتهم

أقول ان « الدعوة الاسلامية » لا يمكن أن تنفصل عن حاجة المسلمين . ويندر ، أن لم يكن مستحيلا ، ان يقف داعية بين النـاس ، ولا يشرئب اليه السامعون راجين أن يجـدوا لديه حلا لمشكلاتهم الخاصة :

هذا يسأله فى « يمين » صدر منه لايدرى أمره فيه .

وهذا يسأله عن « تصرف » أتاه تحت ظرف مـن الظـروف ، لايدرى : حلال هو أو حرام .

◄

الجـزء الثـامن
السنة السابعة والخمسون

شـعبان ١٤٠٥ هـ   ابريل ، مايو ١٩٨٥

وثالث يحدثه عن امر « طلاق » أو مضايقة جار ... الخ وهذا امر معروف مكرور لا نستطيع انكاره ، كذلك لا نستطيع الغض منه .

ولابد للداعية أن يسد حاجة الجمهور ، ولن يستطيع سدادها دون ان يكون « فقيها ».

ان الفقه لازم للدعوة من « العظـــة الأساسية » التى يعدها الــداعية ، ولا يمكن ــ بحــال ــ أن نعتبر الــداعية « قصصيا » **يكتب لقرائه منفصلا عنهم فى داره أو حيث يكتب دون شأن لــه بالجمهور**

داعية الذى يفقد « الفقه » يفقـــد استجابة الجمهور القلبية التى ينبغى ان لانماء الترابط الروحى المثمر فى هذا الميدان .

وليس يمكن لداعية أن يؤدى واجبــه كاملا دون « فقه » ، والا فماذا يفعل اذا استفتى ، وهو لا يعلم ...... انه بين أمرين :

أن يجيب بقوله : لا أعلم ، فيعـــود سائله أسفا صفر اليدين أو يفتى ــ بغير ــ تكون طامة .

ون ــ من ضرورة التخصص ــ أن تدرس الدعوة منفصـــلة عن الفقه ، كما تدرس « قواعــد الكــلام » منفصـــلا بعضها عــن بعض ويــدرس الاقتصـــاد » بابا بابا وفصلا فصلا .

ولكنا أمام الجمهور لا نجد الدعــوة منفصلة عن « الفقه » . وفى التخــاطب أو الكتابة لا نستخدم « النحو » بابـــا بابا ، ولا فصلا فصلا . كذلك لا يمارس الاقتصادى شئون الصفقات بفصل من كتاب .

ثم .

اننا قد خسرنا الكثير عندما طــرق الميدان داعية خلوا من الفقه ، فشجع ذلك أن ينضم الى ميدان الدعوة كل من قرأ وكتب ورغب أن يكــون « داعية » فآل الأمر الى اضطراب فى شأن الدعوة حتى تقاذفها اليمين واليسار ، ومن ليس من هؤلاء ولا هؤلاء .

ان الاسلام قد تميز من بين الأديــان بذخيرتــه الفقهية ، ثم باحساس كل مسلم ان لكل مشكلة فى حياته حلها من هذا الفقه وتلك حقيقة بدهية . الا هل بلغت .. اللهم فاشهد .

د/ علي أحمد الخطيب

في شئون الساعة

حديث لفضيلة الإمام الأكبر:
الشيخ جاد الحق على جاد الحق

إعداد: سناء السعيد

* في بداية الحديث قلت لفضيلة الامام الاكبر عام آخر يمر على الدعوة الى تحرير القدس .. ومع الوقت تضيع الهوية العربية مع تآكل حقوق العرب في القدس التي تعمل اسرائيل على تهويدها . فما هي رؤيتكم خاصة ان المحادثات السياسية قد تجمدت بالنسبة للقدس حتى اصبحت اشبه ما تكون بالقضية المعلقة ؟

* الشيخ جاد الحق : للقدس في الاسلام شأن كبير ، وكانت وجهة الرسول في اسرائه ومعراجه .. قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

فالقدس عزيزة على المسلمين - محط أبصارهم الآن واليها تتجه الأمة الاسلامية



جمعاء .. وما يجري في القدس من اعتداءات على المسجد الأقصى وعلى العرب هناك أمر لا تقره أية شريعة ولا اية مواثيق أو قوانين

في شئون الساعة

دولية ، فهو مخالف لقواعد وحقوق الانسان التي يتشدق بها بنو الانسان الآن ، والتي تتحدث عنها الدول الكبرى حين يحلو لها أن تتحدث .. انى لأتساءل أين هي الدول الكبرى من هؤلاء الذين حاولوا هدم المسجد الأقصى؟ أين هي الدول الكبرى ـ التي تتشدق بالحرية .. حين تغمض اعينها عن هذه الجرائم التي تقع على المسجد الأقصى وعلى من يتصدون لحمايته من القائمين على أمره ؟.. أي قانون يسمح بهذه الحوادث التي نسمع عنها من القاء المتفجرات على المسجد والهجوم عليه ، ومطاردة المصلين والمتعبدين فيه اللهم الا أن يكون قانون الفوضى والهمجية وشريعة الغاب .

والغريب أن تتشدق اسرائيل ـ الآن ـ بأنها واحة الحرية والديمقراطية في الشرق بينما أناسها لا يعرفون الحرية طعما .. فهؤلاء لا يعرفون الا هذه الجرائم التي ترتكب ضد العرب في كل مجال ان مرتكبيها لا يعرفون أي حق لله أو للناس .

لاتتركوا الأرض

*** ما يجرى اليوم في الارض المحتلة يجسد ما تضمره اسرائيل للمنطقة .. ويؤكد هذا ما أعلنه المسئولون الاسرائيليون مؤخرا من أن اجراءات اكثر تشددا ستتخذ ضد عرب الارض المحتلة ترقى الى الاعتقال الادارى والترحيل من المنطقة بأسرها .. بل ان ابعاد الفلسطينيين يتخذ كأداة لترضية المستوطنين اليهود ؟**

ـ فضيلة الامام الأكبر : لا شك أن هذا الذي يعلنه مسئولو اسرائيل عن اعتزامهم طرد العرب من بيوتهم وأراضيهم لهو أمر خطير ينبغي أن يواجهه العرب انفسهم .. ينبغي أن يقاتل أهل هذه الارض من يجابهونهم دفاعا عن مقدراتهم ـ وألا يخرجوا أو يتزحزحوا من أرضهم حتى وان اقتضى الأمر أن يدفنوا فيها .

* ولكن اسرائيل تعرض حياة المواطن العربي الى أخطار يومية وتنازع السكان الاصليين أرضهم وتتحدى القانون وتهدم جدار الثقة وتمارس طرد العرب بالجملة ؟!

** على فلسطينيي الأرض المحتلة أن يعلنوا للانسانية في هذا العصر الحقيقة القائلة بأن هناك شراذم من الناس وفدوا الى بلادهم واحتلوها قسرا وأنهم يطردون أهل البلاد الاصليين من ديارهم وأوطانهم .

ان الامم المتحدة التي قامت لرعاية السلام وتثبيت أركانه والدفاع عن المظلوم أهدرت حقوق عرب فلسطين وأضاعتهم وعليه فهى مطالبة اليوم بالتصدى لحمايتهم ، ولو اقتضى الأمر تدخلها عسكريا مادام العرب قد عجزوا عن هذه الحماية .

ولا يمكن أن نلوم الفلسطينيين لأنهم عزل من السلاح، فبماذا يقاومون ـ أيقاومون بأجسادهم ؟

على الامم المتحدة التي تنادى كل يوم بحمايتها للانسانية أن تتصدى لاسرائيل التي

تمارس طرد الفلسطينيين من ديارهم وأوطانهم .

لا تكفى تقارير الادانة

*** الامم المتحدة أصدرت العديد من التقارير التى تحمل ادانة صارخة لما تقوم به اسرائيل فى الارض المحتلة وانتهاكاتها المستمرة لحقوق الانسان ؟**

* لا تكفى تقارير الادانة .. وأتساءل أين مجلس الامن الذى بيده القوة الرادعة.. مادام تدخل مجلس الامن فى أماكن أخرى فلم أهمل هذه القضية ؟

ان على مجلس الامن والامم المتحدة بذل الجهد ولو بالقوة لوقف المذابح والمهازل التى تصعدها اسرائيل يوميا على أرض فلسطين مخالفة بذلك ميثاق جنيف حول حقوق العرب.

أن اسرائيل تقوم بعملية استفزاز يومى لعرب الارض المحتلة ، يشهد على ذلك الزيادة المضطردة فى عدد المستوطنين الاسرائيليين فى الارض التى تم احتلالها سنة ١٩٦٧ .. فكفى ما كان من قتل وتشريد وتخريب للفلسطينيين وابعادهم عن بلادهم .

*** رغم ان اسرائيل اكتسبت فوائد جمة يتصدرها تمتعها بحدود هادئة مع مصر ، الا انها لم تسدد حتى الآن ما فى ذمتها من تنازلات للفلسطينيين .. الا يحمل هذا دلالة أكيدة على أن حلم اسرائيل ليس السلام وانما اسرائيل الكبرى .. ومن ثم فهى تحول الوضع الى أقصى فائدة لها ؟**

* لا شك أن اسرائيل انما تهتم بمكاسبها فقط دون أن تحاول ايفاء بعض ما تعهدت به للفلسطينيين .. ولا غرو فان هذا أمر يدل على سوء النية وخبث الطوية .. ان ما نشر وما قيل عن الوطن الذى يدعونه لانفسهم هو أمر واقع فى أذهان الاسرائيليين فقط ، ومع ذلك يصرون عليه ويعملون له ـ كما يعملون على تهويد هذه المنطقة .

وعلى العرب أن يفيقوا ويتحدوا لمجابهة هذا الخطر وهو مخطط اسرائيل التوسعى .

فاسرائيل تستولى على الارض قطعة قطعة وتتمكن من أهل البلاد ، ولا أدل على ذلك من تصريحات مسئوليها حول الطرد الادارى للفلسطينيين وابعادهم عن ديارهم وهدم بيوتهم على رؤوسهم لمجرد أنهم يدافعون عن أنفسهم . وهذا ما يجب أن يلتفت اليه العالم بصفة عامة ويلتفت اليه العربومعهم المسلمون بصفة خاصة . فالعالم الاسلامى مطالب بأن يحمى العرب فى فلسطين ويدافع عنهم ويثير قضاياهم فى كل مكان حتى يرتدع هؤلاء الذين يمضون فى القتل والتخريب والتشريد ان الحقوق الانسانية تقتضى من هذه الدولة التى وفدت الى المنطقة لتتمركز وتستقر ان تراعى على الاقل حسن الجوار الذى تتحدث عنه الدول والمواثيق والذى هو حق قانونى ومشروع لكل بنى الانسان .

تحذير

*** هناك من يعرب عن التشاؤم ازاء**

في شئون الساعة

احراز سلام شامل وعادل ودائم في المنطقة رغم التحركات العربية الراهنة هل ترضون عن وقائع الحادث اليوم في العالم العربي ؟ وهل يمكن أن تهيىء هذه الوقائع ارضية تفاؤل ؟

* هناك قول قديم قاله العرب ما حك جِلْدَكَ مِثْلُ ظفرك فتول أنت جميع امورك .. فاذا لم تجتمع كلمة العرب ويرتفعوا فوق الخلافات والنزعات الشخصية واذا لم يقدموا ويحزموا أمرهم على أن يكونوا يدا واحدة وشعبا واحداً وأمة واحدة بغض النظر عن الحدود السياسية القائمة فلن ينالوا حقوقهم.

ان الحقوق انما تؤخذ بقوة صاحب الحق ودأبه على الوصول اليها .. أما أن ينام عنها فيغفل عن اغتصب يغتصب حتى لا يترك حقا لصاحبه .

على الولايات المتحدة أن تراعي حقوق الصداقة مع العرب

*** وماذا عن دور الولايات المتحدة في المنطقة ودعمها لاسرائيل في كل ما تنتهجه من سياسات ؟ .**

* ظاهر للعيان أن اسرائيل انما تستند في كل تصرفاتها وعربدتها في المنطقة على الولايات المتحدة الامريكية .. فكما قيل على لسان الزعماء العرب ان الولايات المتحدة تمد اسرائيل بالغذاء والمدفع وكل شيء دون حساب فالخزانة الامريكية مفتوحة بالكامل لاسرائيل وطلباتها .. والغريب بعد هذا الا تحاول الولايات المتحدة ـ وهي تجسد هذا الكم الهائل من المعونة والظهر القوى لاسرائيل ـ الى الآن أن تقنع أو تفحم أو ترغم اسرائيل على ان تقف وتلتزم داخل حدودها . بل انها على النقيض من هذا أعزتها بغزو لبنان .. وأعزتها بأن تجاوز حدودها لتحتله وتثير بين أبنائه وطوائفه هذه النزاعات والحروب المدمرة التي لم تنته بعد .. ثم اعزتها بأن تمضي في محاولة طرد عرب فلسطين من ديارهم وأعزتها وأمدتها بالمال الوفير لتقيم المستوطنات وتكثفها في الارض المحتلة .. وأمدتها بالمال وساندتها في نقل اليهود الاثيوبيين .. هذا كله دليل ينطق بمظاهرة الولايات المتحدة لاسرائيل في عدوانها . ولم تقتصر الولايات المتحدة على التأييد والدعم فحسب . بل هي الدافعة والمتحملة لأعباء كل ما تقدم عليه اسرائيل في المنطقة .

ومن المستغرب أن تنحو الولايات المتحدة هذا المنحى والعرب أصدقاؤها ومصالحها لديهم . ولهذا حرى بها ان ترعى حقوق الصداقة والمصالح وعلى الاقل تعامل العرب على قدم المساواة لاسرائيل .

لا هؤلاء ولا هؤلاء

*** ايديولوجية الاسلام المناهضة للشيوعية هل يمكن ان تشكل حجر الزاوية في التعويل على الولايات المتحدة لحل مشاكل المنطقة المتفاقمة والوقوف ضد التغلغل الشيوعي ؟**

* أولى بالمسلمين الا يكونوا مع الشيوعيين ولا مع الرأسماليين .. ان دينهم الاسلام وهو ليس مذهبا اقتصاديا أو اجتماعيا .. وانما هو دين من عند الله .. ان الدين عند الله الاسلام له مصادره وأسسه .

فلا ينبغي أن ينحاز المسلمون الى الشيوعية ضد الرأسمالية او الى الرأسمالية ضد الشيوعية ، وانما عليهم أن يكونوا .. على ما دعاهم اليه الاسلام — أمة وسطا في نطاق القرآن والسنة .

فلا ينبغي أن ينحازوا الى أى من المذاهب المعاصرة ليتصروا هذا على ذاك .. وانما يجب أن تكون لهم شخصيتهم وقدرهم ليكونوا فى مرتزهم كأمة اسلامية لها مقوماتها وشخصيتها .

*** معنى هذا أنكم تنبذون التوجه والتحالف مع أى من الاتحاد السوفييتي أو الولايات المتحدة الأمريكية ؟**

* التوجه نحو اى من العملاقين دعوة الى الاستقطاب الذي اثبت فشلا ذريعا وولد عواقب وخيمة نحن في غنى عنها .

لقد جربت المنطقة الانحياز الى الاتحاد السوفيتي مرة والى غيرها مرات .. ووجدت أن سياسة الاستقطاب قد أضرت بحاضرها ومستقبلها .. فنحن اذا نظرنا الى الوراء وجدنا سنين جدباء قد مرت بنا أيام أن كنا ننتمى الى تلك الدولة أو هذه .. وعلينا اذن أن نأخذ أمورنا وزمامنا بأيدينا والا ننحاز الى هذا أو ذاك .

القضية تميعت

*** ما السبيل الى تطويق الصراعات فى المنطقة خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وتذويب الفجوات بين الدول العربية وتحجيم تدخل القوى العظمى لاحراز قدر من الاستقرار .. هل يمكن لنا أن نستعين بالاسلام كحركة سياسية تعين على هذا الاستقرار ؟**

* أصحاب القضية إذا اختلفوا ضاعت قضيتهم وذهبت هيبتهم .

ان القضية الفلسطينية تميعت على الصعيد العالمي لاختلاف الفلسطينيين أنفسهم .. وتبع هذا الانقسام العرب لمناصرة هذا الفريق على ذاك وهو ما أساء الى القضية الفلسطينية كأساس ومحور لمشكلة الشرق الاوسط . ومن هنا فان على الفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم ويجتمعوا على كلمة سواء حتى يستطيعوا حماية البقية الباقية من أرضهم وأهلهم ..فاذا توحدت كلمتهم ستحل العقدة الموجودة من حولهم ، ومن ثم لن تكون هناك انقسامات . لأن العرب انقسموا بسببهم .. إنهم إذا اتحدوا زالت كل العقد والخلافات بين الأمة العربية وبالتالى بين الأمة الاسلامية التى تتبع الجسد العربي فاذا صلح كانت الامة الاسلامية قوية ورشيدة وعلى كلمة واحدة .

*** الى أى حد انتم على استعداد**

في شئون الساعة

للقيام بدور الجسر الدبلوماسي كوسيط بين العراق وايران لانهاء حربهما ؟

* الحرب طالت واستطالت .. وأمرها لا شك مؤسف للغاية .. ولو أن هذه الجيوش والاموال قد وجهت لاستعادة فلسطين لأعادتها .. لو أن ما ينفق في هذه الحروب التي تتم في الشرق العربي الاسلامي وهذا النزاع والخلاف في الغرب الاسلامي وجه ورصد لحماية فلسطين واستعادتها كلها والدفاع عن لبنان وازالة الخلاف بين طوائفه لكان الأمر غير ما هو عليه الآن .

لقد وجه الازهر النصح كثيرا للمتحاربين . وطالبهم بالقاء السلاح والجلوس حول مائدة الصلح وبينهم حكماء من امتهم لكنهم لم يستجيبوا .

ولكن اليوم ومن هذا المنبر أقول ان الأزهر على استعداد أن يكون حكما بين العراق وايران اذا ما تهيأت الظروف للصلح .. واني لأرجو أن يستمع الطرفان الى نداءات الاسلام التي وجهت اليهم من كافة انحاء العالم الاسلامي .

عليهم أن يضعوا سلاحهم ويحفظوا دماءهم وأموالهم ومقدراتهم ويجلسوا الى الصلح فان الصلح خير كما قال القرآن .

وماذا عن الحرب غير المعلنة بين بعض دول عربية ممن تنحاز الى ايران في حربها ضد العراق ــ وهي دول لها قضايا مشتركة مع الثورة الاسلامية الخومينية في ايران ؟

* الحرب غير المعلنة بين بعض المسلمين أمر واقع وحادث .. وهو أمر مؤسف بالفعل فالاسلام يعني السلام والصفاء .. بل ان الاسلام سمى المؤمنين أخوة في قوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

وهذه الاخوة ينبغي أن ترتفع دائما فوق كل الاختلافات وكل العصبيات الاقليمية أو العرقية .. فهذه الحروب غير المعلنة بين بعض دول المنطقة هي التي تضعف كيان الأمة وهي التي تفسد الصلة بين شعوبها .. ان الخلافات يجب أن تصفى وتزول عملا بما اوصانا به الله سبحانه من وجوب اصلاح ذات البين ورأب الصدع فيما اذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين فالسعي أساسا من قبلنا ينبغي أن يكون للصلح بين الطائفتين يجب أن تظل الدعوة دائما الى الصلح قائمة .. كما يجب أن تظل المواجهة بالأخطاء اذا كانت هناك أخطاء ــ قائمة بين المسلمين لأن الاخوة تقتضي أن يسود الصفاء والنقاء .

اما أن تعمق النزاع أو تصدر الفتن الى انحاء العالم العربي والاسلامي فهذا مما لا يجوز .. وعليه فان هذه الفئات التي تحترف تصدير الفتن فيما بين الشعوب العربية والاسلامية انما تتخلى عنه صفة الاخوة الاسلامية التي حث الاسلام وحض عليها .

* **وما السبيل امام أمتنا الاسلامية كي نصل الى بر الأمان ــ خاصة ان**

الاختلافات فى السياسات بين دول المنطقة لا تعود الى اختلافات عقائدية بل الى اختلافات الاشخاص الذين يلعبون ادوارا محورية فى مصائر الدول؟

** الوسيلة فى تقديرى أن يرتفع الزعماء والحكام فى المنطقة فوق أشخاصهم وخلافاتهم ، وأن يجتمعوا على كلمة سواء ليبحثوا أسباب هذه الخلافات ليتجاوزوها عاملين على تجميع رأى أمتهم دون أن يترك أحد منهم مكانه وسط شعبه أو مكانته لديهم .

** والوسيلة لوحدة الامة من وجهة نظرى تتركز فى أن يكون الحكام والزعماء فى مرتبة الجيران الصالحين المتعاونين وهو ما أرجوه أن يعم قريبا ، بحيث يسعى كل جار الى مصلحة جاره وحمايته عند الاغاثة .. واذا حدث هذا فعندئذ لن نحتاج الى نظام الحكم الواحد ولا إلى اعادة نظام الخلافة الاسلامية .

طرد الجسم الغريب

* **اذا أريد لنا كأمة اسلامية أداء دور معقول فينبغى اعادة توضيح بعض النقاط ضمن الايديولوجية المستوردة لا سيما وأن تبنى الانماط السياسية الخارجية بصورة كلية قد اثبت فشله الذريع ما هى رؤيتكم .**

** المشاهد أن لكل بيئة نظامها ، وعليه فان ادخال أى عرف أو نظام استيرادا من بيئة أخرى يكون فى أغلب الامور غير ناجح .. وبالنسبة للأمة الاسلامية أقول ان للاسلام طبعه وطبيعته .. ولقد عاش المسلمون فى ظل الاسلام أكثر من أربعة عشر قرنا صارت لهم خلالها أعراف وعادات . وبالتالى لا ينبغى أن ينزعوا منها ويوضعوا فى اطار آخر لا يتفق مع دينهم ولا مع ما تعودوه واعتادوا عليه فى نطاق هذا الدين .. فالاسلام دين يجمع بين العقيدة والشريعة وليس نظاما كما أنه ليس مذهبا اخترعه انسان أو مجموعة من البشر ــ وانما هو دين أوحى به الله سبحانه وتعالى .

دين باصوله له قواعده الأساسية فى الحكم . دين يغطى كل المجالات من اقتصاد وكل ما يمس أمور الانسان فى هذه الحياة ــ تنظمها القرآن كما تنظمها السنة ــ .

ولهذا فان ادخال أية عادات أو عناصر غريبة على هذا الدين انما يطردها الجسد الاسلامى شأن أى غريب يدخل جسد الانسان فانه يبادر بطرده .

الأخذ بالشريعة الاسلامية يقطع الطريق على المتطرفين وأدعياء الدين

* **سؤال : بعد مرور ست سنوات على ثورة الخومينى التى تعد من أهم الظواهر التى هزت العالم نتوقف برهة لتأصيل هذه الثورة ونتساءل عن أسباب شعور بعض العناصر الشابة بالرضى عن التجربة الايرانية ــ هل هى خيبة الامل حيال فشل حكومات عربية وعجزها عن**

في شئون الساعة

حل القضية الفلسطينية حتى الآن ؟

* * فضيلة الامام الأكبر : قد يكون هذا واردا — لقد استبشر الكثيرون في العالم الاسلامي بالثورة الايرانية عندما قامت — وظنوا انها ستكون نموذجا صالحا للحكم الاسلامي .

ولكن ما لبثت أن تحولت الى هذه الحرب مع العراق التى لم تبق ولم تذر . أهلكت الأموال والأنفس وخربت البلاد في ايران والعراق — وما لبثت الثورة الايرانية — كما يقال — أن اتخذت صفة الاستبداد سواء في نظام الحكم أو في تصدير الثورة الى كثير من أنحاء العالم الاسلامي — بل انها امتدت الى الأقليات الاسلامية في المهجر أيضا . وانطلقت بدعوة غير رشيدة فيما بين المسلمين في كافة أنحاء البلاد عندما دعت الى التبعية فقط الى ايران — وهذه ليست مهمة الدعوة الاسلامية التى تتركز أساسا في تجميع كلمة المسلمين واصلاح حالهم ونظامهم سواء النظام الاقتصادى أو الاجتماعي وذلك بالعودة الى مصادر الاسلام الصحيحة .

* **سؤال : ولكن اذا كانت ثورة الخوميني نموذجا للشيعة فانه من العسير أن تقدم نموذجا لأهل السنة الذين يشكلون نحو ثمانين في المائة من المسلمين ؟**

* * لا شك في أن هذا القول صحيح لأن للنظام الشيعي طريقته في الحكم التى تختلف كثيرا عن نظام أهل السنة وطريقتهم — بما يجرى وما وقع في ايران على وجه التحديد لا يعتبر نموذجا للحكم الاسلامي . كما أنه لا يجرى في نطاق ما يقضي به الاسلام من العدل والشورى واقامة حكم عادل بين الناس .

* **سؤال :اذا كانت الحركة الاسلامية قد أعطت الناس بديلا أفضل للحياة — هل يمكن القول بان ايران أعطت المثل على امكانية هذا البديل خاصة وان الثورة في ايران كانت ارتدادا عن المسلك الاوروبى — فهي رد فعل لفشل حكومات مدنية ؟**

* ان الذى يسير على الاسلام ونظامه في الحكم لا ينبغي أن يلتفت الى اية أنظمة أخرى لأن في الاسلام كل الغنى عن استيراد أى نظام آخر .

نزوات طارئة

* **سؤال : هناك من يذهب الى ان نشأة الحركة الاسلامية المتشددة حاليا جاءت رد فعل لفشل الايديولوجيات المستوردة فالفوارق بين الغرب والنظم التقليدية تجعل من المحتم أن يتجه الناس الى القديم بحثا عن الخلاص ؟ .**

* * أنا أقول دائما ان أمتنا الاسلامية أمة متدينة — فاذا خرجت بعض الشيء عن دينها عادت ثانية حين تتذكر أو تذكره وحين تنصح بالعودة الى الاسلام فما يظهر على السطح من خروج أو انفلات من أوامر الدين أو خروج بعض المسلمين على أحكام دينهم فانما هي نزوات طارئة — ولابد أن يعودوا مسلمين

مؤمنين في نطاق القرآن والسنة ـ فهم فقط في حاجة الى التبصير بأحكام دينهم •

ان الفراغ الديني الذي يوجد الآن ولا ننكره بين الأجيال الجديدة للمسلمين هو الذي يجب أن يملأ ـ يجب أن يكون الدين في كل شيء • واجب وسائل الاعلام قيادة هذه الأمة لتكون اسلامية بمعناها الصحيح لا أن تستورد لها ما يفتنها عن دينها ويحرضها على الخروج على قيمها وخلقها الذي توارثته عبر أربعة عشر قرناً •

نصيحة للمسلمين

❋ سؤال : ما مدى صحة ما يقال بأن الصراع بين الاسلام والعصرية في التفكير السياسي هو الذي أدى الى حالة عدم الاستقرار في المنطقة ؟

❋ ❋ اذا فهمنا العصرية على أنها غزو لبلادنا فهذا صحيح وهذا ما أعتقده فاني أرى أن غيرنا يغزوننا الآن بايفاد عناصر تفرق جمعنا وتشتت أفكارنا وتشككنا فيما ورثنا من دين رشيد له أسسه وقواعده حتى يسهل عليهم القضاء على صفوفنا وتماسك كل قدراتنا وهذا وأعوذ بالله أن يتم ـ ما يبدو أنهم يصرون عليه وقادرون على تنفيذه بدليل هذه الفرقة في كل مكان فالنصيحة للمسلمين ان يحذروا هذه الفرقة وهذا التشتت وأن يرتفعوا فوق الخلاف وأن يكونوا كما سماهم الاسلام وسمى بلادهم جميعا دار الاسلام فبلاد المسلمين كلها دار واحدة ولكل مسلم بيت فيها •

❋ سؤال : موجة الارهاب والخطف والاغتصاب واستشراء المفاسد الأخلاقية والتي ربما تكون اثرا من تيارات وافدة غريبة على مجتمعنا ـ تلح علينا اليوم في العود الى الجزاءات الرادعة في الشريعة الاسلامية على أساس أن هذه تردنا الى الفطرة الأساسية حيث الشريعة الاسلامية الغراء لا الى القانون الوضعي الذي لا يتمشى ومجتمعنا ؟

❋ ❋ لا شك أن الاسلام نظام متكامل يحكم الحياة كلها ـ انه اذا ذهب المريض الى طبيب فانما ينتصح برأيه ويحافظ على توجيهاته وتوصياته في الدواء لينال الشفاء • فما بالنا اذا كان طبيبنا هو الله سبحانه ـ هو الذي وضع لنا نظام العلاج لأدوائنا الاجتماعية عن السرقة والاغتصاب وكل الموبقات التي هي أمراض اجتماعية لها علاج • فاذا كان الله هو الذي وضع هذا العلاج وهو خالقنا ويعلم ما تكن نفوسنا ـ فلابد أن ننصاع الى هذه الأوامر وأن ننفذها اننا في أمس الحاجة الى هذا الدواء الآن لا سيما وأن الصحافة اليومية تطالعنا الآن بجرائم كانت غريبة عن هذا المجتمع بعيدة عنه • فماذا حدث ؟ لقد غاب الخوف والايمان بحقوق الله سبحانه وأوامره من قلوبنا ـ لأن الفراغ الديني قد ترك آثاره بين شبابنا وهذه الأجيال الجديدة التي لم تترب في نطاق الاسلام وانما تربت على ما استوردناه من ثقافات أخرى أضرت بنا في بيوتنا ومجتمعنا •

العلاج بشريعة الله

❋ سؤال : ما العلاج اذن ؟

❋ ❋ التشريع دائما علاج ـ فعلينا أن نعود

◄

في شئون الساعة

الى شريعة الله التي أنزلها لتحكم الناس وأن نقيم شرع الله فيما بيننا ليرتدع هؤلاء الذين جاهروا بمحاربة الله ومحاربة اخوتهم وأخواتهم وهؤلاء الذين جرأوا على أن يغتصبوا الفتيات والنساء وغاب عنهم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ـ وأنه سبحانه لا يرضى أن تنتهك حرماته ـ فهو سبحانه قد كشف سترهم فانكشفوا وكان العقاب لهم بالمرصاد • ولو أننا عملنا بأحكام الله وشرعناها قانونا باجراءاتنا التشريعية والدستورية كما نقول لحمينا بلادنا وحمينا أعراضنا وردعنا المخالفين بما يستحقون من عقاب •

*** سؤال : كنتم من بين من شاركوا في اعداد مشروع تقنين الشريعة الاسلامية الذي لم تبدأه من فراغ وانما كان امتدادا لما قام به مجمع البحوث الاسلامية منذ سنة ١٩٦٥ • والتساؤل علام التأخير حتى اليوم في الأخذ بالقانون لا سيما وأن هذا لا يمكن ان يكون عائدا الى الصياغة النهائية وحدها ـ فمن الذي يسأل عن التطبيق ؟**

هل هناك معوقون ممن يمكنون ولا ينفذون ام ماذا ؟

* في ظل مجلس الشعب قامت لجان لاستكمال تقنين أحكام الشريعة الاسلامية التي كانت قد بدأها الأزهر ـ كما بدأت أيضا في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية في لجنة تجلية مبادىء الشريعة الإسلامية بحيث أن لجان مجلس الشعب اتخذت أعمال مجمع البحوث الاسلامية والمجلس الأعلى لشئون الاسلامية أساسا لعملها • وظلت نحو خمس سنوات تعمل في جميع الفروع القانونية لتقدم تشريعا اسلاميا مأخوذا من فقه المذاهب الاسلامية ميسرة أحكامه للجميع مع ملاحظة ظروف العصر وتغيراته • وانتهت هذه اللجان من اعداد هذه المشروعات وقدمتها لمجلس الشعب •

الدستور والشريعة

*** سؤال : يقال ان المشروعات حجبت لأسباب ارتآها المجلس ؟**

** لا ينبغي أن تحجب هذه المشروعات بوصف أنها لم تقدم للمجلس بالطريق المنصوص عليه في الدستور فان هذا الطريق يملكه كل أعضاء مجلس الشعب • واذا كنا نتقدم بمشروعات القوانين العادية وبتعديلاتها وشرع في انفاذها وتقريرها من يوم صدورها، فمن باب أولى أن شارع وأن يتقدم نوابنا أو بعضهم باسمه بهذه المشروعات لتأخذ الصفة الدستورية وان كان الدستور لا يقف أمام الشريعة • ان مجلس الشعب وكيل عن الشعب وانه اذا لم يأخذ نفسه باصدار هذه القوانين بحيث لا يقتصر على مجرد المناقشة في شأنها ـ فانه يكون قد خالف موكله وهو الشعب • ولا أقول قد خانه فاني أنزه مجلس الشعب عن أن يخون شعبه انها أمانة « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » •

*** سؤال : التردد واللعثمة والتذبذب**

حيال العمل بتقنين الشريعة الاسلامية يعنى ضمناً امكانية ان تتغير الاحكام بتغير العرف والبيئة بغض النظر عما تقتضيه الشريعة وتستوجبه او بالأحرى يعنى امكانية الأخذ بقاعدة المصالح المرسلة ؟

❋❋ ان مصادر الأحكام الشرعية المتفق عليها هى القران والسنة والاجماع والقياس وهناك مصادر أخرى مختلف عليها بين الفقهاء منها المصلحه المرسلة ومنها العرف وكل هذا أخذ فى الاعتبار اثناء اعداد ما أصر على أنها مشروعات للقوانين مستقاة من الشريعة الاسلامية فليس هناك خلاف اطلاقا لأن العمل جرى ومنذ قديم بين المسلمين باعتبار المصالح فى التشريع وباعتبار العرف الذى يدور فى نطاق احكام الشرع لا العرف المستورد من بيئة اخرى • فالعرف هنا هو الذى أشار اليه أحد فقهائنا بقوله : ان العرف فى الشرع له اعتبار وعليه الحكم قد يدار • فعلينا اذن الا نبالى بما يقال أو بما يوجه الى الاحكام الشرعية الاسلامية من مطاعن او معايب •

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْكَرِهَ الْكَافِرُونَ » •

الشريعة فوق كل قانون

❋ سؤال : هناك من يذهب الى أنه لابد من تقنين الشريعة والأخذ بها عملا بمقولة مفادها أن العصر لا يشرع ــ لأننا ان نزلنا الى مستوى العصر بمستجداته وتياراته المستوردة لضاعت الأمور وانتفى التشريع الالهى ــ فالمعروف أن يرتفع الانسان الى منهج السماء لا أن يهبط بمنهج السماء الى الأرض ؟

❋❋ لا شك أن أصالة الشريعة الاسلامية بأصالة مصادرها • ومصدرها هو الله سبحانه وتعالى • فلا يمكن أن تقارن بأى قانون وضعى بل هى تسمو فوق كل قانون وتاريخ العمل بها مؤيد لذلك • فنحن اذا رجعنا للعصر الأول للاسلام نجد أن الأمن والأمان والسلامة والسلام قد توافرت كان الأمان أمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعرضهم ــ أمرا قائما واضحا ــ ولم يكن هذا بسطوة الشريعة وانما بقوة أحكامها وايمان الناس بعدالتها ، اننا نتحايل الأن على كل قانون بينما شرع الله لا يتحايل عليه أحد لأن الشرع يؤمن به كل مسلم ، فحين يقال للمسلمين هذا شرع الله وحكمه يخضعون بقلوبهم قبل أن يخضعوا بجوارحهم ، ان القانون الوضعى انما يعالج آثارا قد وقعت ــ أما شريعة الاسلام فتمنع الأمر قبل وقوعه فاذا وقع عاقبت ــ وهذا ما ينبغى أن يكون واضحا فى تبيان الفرق بين القانون الوضعى وقانون الله سبحانه وتعالى •

تشكيك

❋ سؤال : وسائل الاعلام العربية ، ما فتئت تشكك فى بنود تطبيق الشريعة الاسلامية خاصة فيما يتعلق باقامة الحد متغافلة عن أن الحدود يندر حدوثها وأن المراد بها أساسا هو الأثر النفسى الذى قد تحدثه ؟



في شئون الساعة

❋❋ ان الشريعة الاسلامية ليست كلهـا حدودا وليست كلها عقوبات .. ولكنها منظم لأمور الحياة ـ فهي تحوى عقوبات محـددة وهي ما نطلق عليه اسم الحدود ـ وعقوبات فوض تقـديرها لولى الأمـر وهي ما تسمى بالتعزير فالحدود حين شرعها الله وضع لهـا ضوابط ـ فهي لا تطبق الا اذا تحققت هـذه الضوابط . والمنوط بالتحقق من هذه الضوابط هو القضاء ـ وليس بوسع أى انسان ان يكون قاضيا فالقاضى من تأهل لذلك وعلم ضـوابط هذه الاحكام وتنفيذها .

ومن هنا فلا وجه للخوف من التطبيق . اذ لا يخـاف الا المنحـرف ، وعليه فاذا ما أقيم الحكم الشرعى فسيجد كل انسان أمنه لأنه لن يعاقب حينئذ الا من اقترف الاثم وثبت عليه .

❋ سؤال : وماذا عن تشكيك وسائل الاعلام الغربية ؟

❋❋ بالنسـة لتشكيك وسـائل الاعـلام الغربى ووصفها الحدود الشرعية بالبشاعة فان هذا يعود الى أنها لا تعرف ما هي الحدود وما هي ضوابطها ، وانى لأتساءل أين مجتمعنا ـ حتى بحالتـه الراهنـة ـ ومجتمعـاتهم التى يتحدثون فيها عن الحرية ـ ان مقارنة بسيطة بين حياتنا الاسلامية بمافيها من ارتباط الأسرة والصلات الاجتماعية القويـة وبين مجتمعاتهم تظهر ما يعوزهم من استقرار وأمن . ان كـل الوصـايا التى يتماسـك بواسـطتها المجتمع الاسلامى انبثقت من الاسـلام واحكامه ومن شريعته وحدوده .

❋ سؤال : يدعو البعض الى تشـكيل محـاكم خاصـة لمن يخـالف الاحكـام الشرعية بحيث تنفذ الأحكام فورا دون خضوعها لاستئناف الا عند اصدار حكم بالاعدام . هل تجدون اليوم هذه الدعوة لتـلافى ابطء فى المحاكمات التى تنظـر أمام القضاء العادى ؟

❋❋ وفى تقديرى فان مراحل التقـاضى القائمة الان وان كانت بطيئة الا أنها أضـمن للعـدالة فان الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه «فلان يخطىء الامام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة» ولا شك أن الحكم مـن محكمة الدرجة الأولى اذا استؤنف الى محكمة الدرجة الثانية كان ذلك تأكيدا له اذا تأيـد واطمئنانا الى أنه صدر صحيحا . أما معوقـات التقاضى فانه يمكن التغلب عليها بالنظر الـى الاجراءات والعمل على ازالة هذه المعوقات أن الاسلام فى نظـامه القضائى لا يمنع تعـدد درجات التقاضى وانما يسـتهدف العـدل فى الحكم .

أمـر مستبعد

❋ سؤال : السـودان شـكل أمامكم المجتمع الذى خاض تجربة تقنين الشريعة منذ ان طبقت فى سبتمبر ١٩٨٣ ـ والتى رأى فيها البعض احد الاسباب الرئيسية فى ازدياد التوتر والضغط ، والتساؤل بعد تجربتها فى السودان هل مصر مهيأة لها ؟

« البقية ص ١٣٨٥ »

بيان للناس

من مشيخة الأزهر الشريف

ننقدم فيما يلي بيان مشيخة الازهر عن البهائية ومدعي النبوة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعـــد :

فقد نشرت الصحف أن رجال الأمن قد كشفوا عن فريقين من المواطنين أحدهما فى الاسكندرية تزعمه طبيب أمراض نساء ادعى النبوة وقد تبعه نفر من الرجال والنساء وجدوا فيما يدعو اليه اشباعا لشهوات محرمة واتخذ هو دعوته وسيلة لجمع المال .

والفريق الآخر نفر اتبعوا (دعوة البهائية) تلك التى وفدت بها طائفة من شذاذ الآفاق الى مصر فى أوائل هذا القرن فضلوا وأضلوا ، وكان الله لهم بالمرصاد عندما انكشف أمرهم ، فطاردتهم الدولة ، وطردهم المجتمع المصرى الذى يلفظ كل دخيل ، والذى آمن بربه وبالاسلام دينا ، والذى يقود أمته الاسلامية على اتساع رقعتها الى خير العمل .

وانه لأمر مؤسف أن تعود البهائية للظهور فى المجتمع المصرى على يد هذه الفئة الباغية التى لم ترع للاسلام حقه ولا للوطن كرامته .

والأزهر يعيد على الناس كافة حكم الاسلام فى هاتين الفئتين :

أولا : ان مذهب البهائية قد اشتمل على عقائد تخالف الاسلام ، ويأباها كل الاباء منها: ادعاء أن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان ، وادعاء النبوة لبعض زعماء المذهب .

ومن ثم فهو مذهب باطل يرفضه الاسلام، وليس من مذاهب المسلمين المعتبرة ، وفى الوقت نفسه ليس من فرق اليهود ولا النصارى .

ويعلن الأزهر أن من تبع المذهب البهائى من



المسلمين يكون مرتدا عن الاسلام وتنطبق عليه أحكام المرتدين .

ذلك لأنهم ضالون مضلون بل ومفسدون فى الأرض ، وهذه الجماعة فى الأغلب جمـاعة سياسية تخضـع للصهيونية وتعمل على تنفيذ برامجها فى الأوطان العربية والاسلامية وآية ذلك أنهم اتخذوا قبلتهم حيفـا ، فهم أدوات للصهيونية العالمية فاحذروهم ونحوهم عن مراكزهم وأعمالهم المؤثرة،انهم جرائيم أوبئة فتحصنوا ضـدهم بالاسـلام واستمسكوا بأصليه القرآن وسنة الرسول محمـد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسـلام . قاطعوا هؤلاء الذين خرجوا على الاسلام ، ولا تتعاملوا معهم . ان مصاهرتهم محرمة ، وان طعامهم محـرم وانهم نجس لا يقربون المساجد التى أعدت لعبادة الله .

ثانيا : هـذا الذى ادعى النبوة اذا أصر على ما ادعاه كان مرتدا عن الاسلام يحـرم التعامل معه أو زيارته كطبيب ، اذ كيف يؤتمن على الأعراض بعد ما انكشف من أمره وسوء سلوكه فضلا عن ادعائه النبوة الأمر الذى يدل على تحلله من كل القيم .

ان الازهر ليدعو الفريقين الى التوبة الى الله والرجوع عما اقترفوا من آثـام ، وعـما تشربوا من عقائد فاسدة : فان استجابوا عادوا الى صفوف المسلمين لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمنْ يشاء ولأن ما اقترفوه يدخل فى حكم الشرك بالله فضلا عن جحودهم أن الرسول محمدا ﷺ خاتم الرسـل والأنبياء .

ان على المجتمع المسلم الدفاع عن الاسلام باجتناب هؤلاء الذين خـرجوا على الـدين واجترأوا على رب الناس ، فـادعوا النبـوة وأهدروا أحكام الله .

« **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَـزِيزٌ** » .

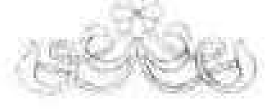


دراسات قرآنية

الواحد الصمد



الإعجاز



الاجتزاء في معرفة الأجزاء

الواحد الصمد

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » ..



بينا في العدد الأسبق أن الاسلام جاء الناس بعقيدة التوحيد الخالص واليوم نتكلم على بقية الاخلاص ، ابتداء من قوله سبحانه : « اللَّهُ الصَّمَدُ » .

قال ابن الأنباري : لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد هو : السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد اليه الناس ويقصدونه في حوائجهم وأمورهم .

وقال الزجاج : هو الذي ينتهي اليه السؤدد ويصمد اليه كل شيء .

وعن أبي هريرة : هو المستغني عن كل أحد ، المحتاج اليه كل أحد .

وعن ابن جبير : هو : الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

وقال مرة الهمداني : هو الذي لا يبلى ولا يفنى ، يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

والمفهوم من تلك التأويلات لوصف الصمد ، أنه تعالى هو ملجأ القاصدين ، ومجيب المحتاجين وأنه يفعل ما يريد ولا معقب لحكمه ، وأن كل ما عداه محتاج اليه ، وأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وأنه تعالى ليس فوقه أحد ، فكل من عداه دونه - ومن كان كذلك فلا يصح أن يعبد سواه .

وقد وصف الله نفسه تعالى بأنه « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » وهو الحق ، فان الولد يحتاج اليه أبوه في أمرين :

(أحدهما) أن يساعده فيما لا يقدر على الانفراد به .

(وثانيهما) أن يرثه في ماله ومتاعه بعد موته .

وقد اتفقت الأديان جميعا حتى الوثنية على أن الله تعالى تام القدرة تام الارادة تام العلم ، كما اتفقت على أنه تعالى حي لا يموت .

فاذا كان أمره سبحانه عند جميع الأديان كذلك ، لزم أنه غير محتاج الى اتخاذ ولد في الأمرين جميعا ، والا كان اتخاذه عبثا والعبث على الله محال .

وحيث كان الأمر كذلك بطلت دعوى الولدية لله تعالى : لأى سبب من الأسباب ، وثبت قوله « **لَمْ يَلِدْ** » .

وبعد ذلك نسأل الذين ادعوا أن لله ولدا ، لماذا زعمتم هذا الزعم فى حقه تعالى وأنتم مقرون أنه سبحانه غير محتاج الى معين ، وأنه حى لا يموت ؟ .

أظننتم أنه تعالى يلهو ويلعب ، فيتخذ ولدا يسر بوجوده من غير أن يكون له عمل فى ملكه

أظننتم أنه فى سذاجة الأطفال يتخذ الولد ليبتهج برؤيته كما يبتهج الأطفال بما يتخذونه من الشخوص والدمى !!

فان قلتم : تعالى الله عن أن تكون له سذاجة الأطفال .

قلنا لكم : فعلى أى أساس زعمتم أن لله ولدا ، ولأى غرض اتخذه ، مادامت تلك الفروض السابقة مستحيلة عليه سبحانه ، فان قلتم ان كتبكم جاء فيها أن المسيح ابن الله .

قلنا انه — عليه السلام — لم ينفرد بهذا الوصف فى كتبكم ، بل جاء فيها أن اسرائيل ابن الله البكر ، وأن من أطاع الله كان ابنا لله ، ومن عصى الله كان ابنا للشيطان .

فاذا كنتم تقولون : ان اسرائيل ليس ابنا لله من جهة النسب ولا المطيعون أبناء الله نسبا أيضا ، بل المراد أنهم مطيعون لله كالأبناء فى طاعة أبيهم ، وكذلك الأمر فى بنوة العصاة للشيطان ، فهم مطيعون له وليسوا أبناءه على الحقيقة ، فلماذا حملتم بنوة السيد المسيح على البنوة النسبية دون سواه ، أليس هذا ترجيحا بلا مرجح ، وهل أنتم أعلم به منه بنفسه .

لقد أطلق على نفسه أنه انسان مرة ، وابن انسان مرة أخرى .

فقد جاء فى الاصحاح (٨ — فقرة ٤٠) من انجيل يوحنا أنه عليه السلام قال لليهود : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » .

وجاء فى الاصحاح (٢٠) من انجيل متى أنه قال لتلاميذه : « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الانسان يسلم ليصلب » ومثل ذلك من النصوص كثير ، فاذا كان عيسى — عليه السلام — يقول هذا عن نفسه ، فكيف تلصقون به أنه ابن الله نسبا ؟ وأنتم لستم أعلم به منه بنفسه .

فاذا قلتم : فعلنا ذلك لأنه ولد من غير أب ، فذلك هو الذى جعلكم تدعونه ابن الله .

قلنا : ان آدم خلق بلا أب وبلا أم ، فهو أعجب خلقا من عيسى ، فلماذا لم تجعلوه ولدا نسبيا لله تعالى كما قلتم فى عيسى .

واذا قلتم : انه أحيى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، وهذا وذاك مما يختص به الاله .

الواحد الصمد

فلذا اتخذتموه ابنا لله .

قلنا ان ذلك معجزة لعيسى أيده الله بها ليؤمن قومه برسالته ، وشأنه فى ذلك كشأن جميع الرسل ، فانه تعالى يجرى على أيديهم ما هو من خصائصه سبحانه ، وليس احياء السيد المسيح لفرد أو أفراد موتى بأعجب من اخراج ناقة صالح وفصيلها من الجبل الأصم.

ولا أكبر من ابتلاع عصى موسى لسحر الساحرين ، وشقها أثنى عشر طريقا يبسا فى جوف البحر عبرها بنو اسرائيل الى سيناء ، والماء على أيمانهم وشمائلهم لا ينساب عليهم فيغرقهم .

ولا من تفجير اثنى عشر ينبوعا من جوف الصخر بضربة واحدة منها .

وليس أغرب من احضار عرش بلقيس من اليمن الى الشام قبل رجع الطرف معجزة لسليمان .

وليس أعظم من انشقاق القمر لمحمد — عليه وعلى جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام — ولا من سائر معجزاته ومعجزات الأنبياء والمرسلين ، فكلها خوارق للعادات ليس فى مقدور البشر صنعها — ولو كانوا أنبياء — لولا تأييد الله تعالى واذنه ، فهى من خصائص الله أجراها هو سبحانه على أيديهم وباذنه ، تصديقا لهم وتأييدا ، ولو لم يأذن الله بها على أيديهم ، لما قدروا عليها .

فاذا كان لا يحل لامرىء أن يزعم أن رسولا من هؤلاء الرسل اله أو ابن اله ، لأن الله أجرى على يده ما هو من خصائصه تعالى ، فكذلك الحكم فى شأن عيسى، ولو كان السيد المسيح الها أو ابن الله — كما يزعم الزاعمون — لاستطاع أن يحول دون صلبه والسخرية منه التى زعموها فى كتبهم — وهو منها براء « **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ** » .

فان الذى يحيى الموتى بنفسه أجدر به أن يجنب نفسه التهلكة ، ولا يغنيكم أن تقولوا انه أسلم نفسه لقاتليه ليغفر للبشر خطاياهم ، فان سبيله الى ذلك أن يقول لهم : غفرت لكم ، أو أن يشفع لهم عند أبيه ليغفر لهم ، لا أن يزيد خطاياهم حتى يصلوا الى قتل الاله أو ابن الاله .

ثم كيف تؤثر قوى البشر فى جسد الاله أو ابن الاله الى حد قتله ، فى حين أن ابراهيم — عليه السلام — كانت عليه نار المشركين بردا وسلاما — مع أنه عبد الله — وخرج منها أمام أعدائه سليما معافى .

فكيف لم يستطع ابن الله — كما يقولون — أن يكون شأنه فى السلامة أمام أعدائه ، كشأن ابراهيم ، ليكون ذلك حجة له عليهم تدفعهم الى الايمان ، بدلا من أن يوقعهم فى الاثم الكبير بقتله ثم يغفر لهم .

ان من شأن الاله أو ابن الله أن لا يؤثر فيه صنع البشر ، فهو الذى يجرى مراده فيهم وليس العكس .

ولو كان تسليمه نفسه لأعدائه ليصلبوه باختياره ، رغبة منه فى تكفير خطايا البشر — كما زعموا — لما عتب على أبيه والهه فى تركه لهم بقوله : « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى

لماذا تركتنى لهم ، لينفذوا مرادهم ولم تنقذنى من أيديهم ، ولو كان الأمر كما قالوا لما قال لربه : « لو نحيت عنى هذا الكأس » كما جاء فى كتبكم .

ان الاله لا حاجة له أن يلبس جسد البشر ، فحسبه أن يقوم رسله بتبليغ رسالته ، ان الاله يجب أن يتنزه عن صفات البشر ، وأخصها التجسد والتعرض للأذى ، ان الاله أو ابن الله لا يصلح فى العقول أن يحتويه رحم امرأة بين الروث والدم .

ان الاله لا يصح فى العقول أن ينزل هذا الملك والملكوت ليعيش فى تلك الرقعة من الأرض ، ثم تنتهى مهمته الى أدنى مما انتهت رسالة نبى من البشر كموسى ومحمد عليهما السلام .

وكداود وسليمان ، وأخيرا يقتل ويصلب ، ان ذلك كله يفتقر الى اعادة النظر فى تلك الدعوى الخطيرة .

أيظن هؤلاء أن ملك الله هو هذه الأرض التى نعيش عليها ، ان لله ملايين المجرات وكل مجرة فيها ملايين الملايين من النجوم والكواكب ، ومن وراء ذلك عوالم لا يعلمها سوى علام الغيوب الذى خلقها ، فكيف يترك الله هذا الملك الرحيب ، ليحبس نفسه فى رحم امرأة تعيش فى رقعة ضيقة فى أرض فلسطين ، ثم ليحبس نفسه فى تلك الرقعة بعد خروجه من بطن أمه يعيش فيها فى ضنك حتى ينتهى الامر بقتله ؟!

ثم نقول : لماذا آثر هذه البقعة من الأرض وترك هذا الملك والملكوت ، دون أن يتخشرف المقام به .

من الذى كان يدبر هذا الملك أثناء هذه الاجازة الأرضية الطويلة ؟ .

وأنتم تقولون أيها المسيحيون : ان الله هو المسيح ابن مريم ، وما يقال عن المسيح يقال عن عزير الذى دعاه اليهود ابن الله .

وقد رأيت أن أختم هذا النقاش ، بحجاج وقع بين النبى — صلى الله عليه وسلم ، وبين وفد كبير من نصارى نجران ، مؤلف من ستين راكبا على رأسهم قسهم ، جاءوا لمناقشته — صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى — عليه السلام .

روى ابن جرير الطبرى عن الربيع أن النصارى أتوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فخاصموه فى عيسى ابن مريم .

وقالوا له : من أبوه ؟ .

وقالوا على الله الكذب والبهتان ، لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

فقال لهم النبى — صلى الله عليه وسلم — : « ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا ويشبه أباه » ؟ .

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن الله حى لا يموت ، وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟ » ..

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شىء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ » .

الواحد الصمد

قالوا : لا .

قال : « أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا الا ما علم ؟ » .

قالوا : لا .

قال : « فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « ألستم تعلمون أن عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ولدها ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ » .

قالوا بلى ، قال : « فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ » .

قال : فعرفوا الحق ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله « **الٓمٓ . اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** .. » أى أنزل صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها للرد عليهم ، واظهار الحق في شأن عيسى ـ عليه السلام .

« **وَلَمْ يُولَدْ** » أى ليس له أب يشاركه في عز الألوهية ، لأن الولادة تقتضى احتياج الأب الذى ولده اليه ليرثه أو ليعينه والله حى لا يموت ، وقادر على كل شيء فلا يحتاج الى معين ، ولأنه لو ولده أب لكان حادثا ، والحدوث على الله محال ، لا تتضائه المماثلة للحوادث والدور والتسلسل وكل ذلك مستحيل .

« **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** » أى لم يكن له أحد مكافئا في شيء من صفاته .

فضائل سورة الاخلاص

أخرج البخاري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن » لأن القرآن يشتمل على توحيد الله وسائر صفاته ، وعلى الأوامر والنواهي ، وعلى القصص والمواعظ .

وهذه السورة قد تضمنت التوحيد والصفات ، وذلك ثلث القرآن .

وأخرج الامام مالك والترمذى والنسائى عن النبي ﷺ « انه سمع رجلا يقرأ « قل هو الله أحد » .

فقال : « وجبت » .

فقيل يارسول الله : ما وجبت ؟

قال : « وجبت له الجنة » .

اللهم ادم علينا نعمة التوحيد ، ووفقنا لطاعتك والعمل بكتابك .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

من علوم القرآن

الإعجاز

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

أن دراسة حياة النبى – صلوات الله وسلامه عليه – منذ أن صدع بأمر ربه فى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ ... » (١) .

لا تترك أى شك فى أن الصلات بينه وبين الناس قد شابها كثير من الظلال القاتمة التى ينوء بتحمل آثارها أى بشر لا ترعاه عناية الله ولا تحيط به رعايته .

ان التاريخ يحدثنا عما حدث فى ذلك اليوم الذى صعد الرسول فيه على الصفا ونادى قبائل مكة ولبى كثير من الناس نداءه وسألهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ وردوا جميعا : نعم . فما جربنا عليك كذبا قط .

فقال – صلوات الله وسلامه عليه – ولأول مرة – : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد .. وصاح أحدهم فيه قائلا : تبا لك ألهذا جمعتنا !!

ولم يكن صاحب هذا الصوت المنكر الا عمه أبا لهب . وانصرف الناس عن رسول الله وتركوه وحده .

ان هذا الحدث – على قصر الوقت الذى استغرقه ، وعلى قلة الكلمات التى تبودلت فيه – يصور لنا موقفا متكاملا من المواقف التى واجهها رسول الله مع أعداء دعوته ، ويتضح منه كيف تضيع الحقيقة فى لحظة من الزمن . وكيف يكون الصادق الذى لم يجرب عليه كذب قط موضع الانتهار والهزء من أقرب الناس اليه ممن وجدوا يومئذ حوله .

وانه ليبدو لنا ان الذين استمعوا الى رسول الله يومذاك قد أخذتهم المفاجأة عندما سمعوا – ممن لم يجربوا عليه كذبا – « إِنِّي نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » ، وأن فيهم من أحس فى نفسه بشىء من التردد والحيرة . فصدق محمد حقيقة لا ينكرها أحد ممن يعرفه . وقد أقر الموجودون جميعا به ، وما ألقى به محمد اليهم يمكن أن يكون حقا

(١) سورة المدثر : الآيتان ١ ، ٢

الإعجاز

فرفضه بمجرد سماعه لا يليق بالعقلاء ، ولو ترك هؤلاء لأنفسهم لكانت النتائج لهذا الموقف مغايرة لما حدث ، ولكن صوت أبى لهب ـــ وهو عم محمد ـــ أسمعهم ما أعماهم عن التفكير فيما أحاط بهم ، وبدد ما اعتمل فى نفوسهم من حيرة وتردد ، وانطلقوا جميعا تاركين النبى وحده .

ولسنا فى حاجة الى تصوير ما أحس به رسول الله حينئذ من ألم نفسى حاد ، فأقرب الموجودين اليه هو الذى هاجمه ، ولم يتطوع أحد قط ممن سمعوا قول أبى لهب ليرد عليه أو يقول كلمة تخفيف من وقع ما قال عن رسول الله .

فى هذا الجو القاتم الذى أحاط به صلوات الله وسلامه عليه فى أول لقاء بينه وبين قومه لينذرهم ينزل الوحى الكريم بما يخرس صاحب الصوت المنكر ويتوعده بعذاب أليم فى نار ذات لهب فى قول جازم :

« **تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ** » (١) .

وهكذا دافع الله عن رسوله ، ورد على أبى لهب بضربات موجعة لقاء ما وجه الى رسول الله من كلمات ظن أنه انتصر بها .

ويصعب على القلم ـــ أى قلم ـــ أن يصور حقيقة الأثر الذى تركه هذا الرد الالهى فى نفس رسول الله ، فقد قوى عزمه ، وسار فى طريق الدعوة الى دين الله الذى اصطفاه لتبليغه مستهينا بكل ما يلقى فى سبيل ذلك من صعاب .

كما يصعب على القلم ـــ كذلك ـــ أن يحيط بالآثار التى أحدثها هذا الرد الواضح القاطع فى نفس أبى لهب ونفوس الذين شايعوه ، انه شئ لا عهد لهم به ، وان محمدا مهما بلغت به الجرأة ـــ لا يصدر عنه مثل هذا التهديد ولا يوجه هذا الوعيد ، ولكنه يصدع بامر ربه فيقرأ ما أوحى اليه به ، ويردده كل من سمعه ، وسمعت قريش كلها بالحدث وملابساته .

هذا الحدث وما ترك من آثار كان النموذج الأول لمواقف كثيرة واجهها رسول الله فى رحلته الطويلة ، فلقد أنكر الكفار عليه رسالته ، وأعلنوا عليه وعلى دعوته الحرب التى لم يدخروا وسعا فى الهاب نارها ، وتفننوا فى الكيد له ورموه بكل ما وصلت اليه أيديهم من سهام ، فكلما طاش سهم راشوا سهما غيره فى غير كلل ولا ملل محاولين أن يطفئوا نور الله .

ويقرر التاريخ ـــ الذى لا خلاف عليه ـــ أن النصر كان حليف رسول الله لأنه كان دائما فى كنف الله ورعايته ، وعجز أعداء الله أن ينالوا بغيتهم وأتم الله نوره .

ان أعداء الله أيقنوا أن القضاء على الدعوة لن يكون الا بأحد أمرين :

---

(١) السورة رقم ١١١ .

اما اسكات صوت محمد بطريقة أو بأخرى .

واما التشكيك في القرآن الذى هو أساس دعوته .

أما محاولة اسكات صوت رسول الله فقد تكررت وتنوعت ، فجربوا بالاغراء تارة وبالتهديد أخرى ، ووصلوا الى الذروة حين مكروا برسول الله ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، ومكر الله بهم ففشل تدبيرهم ونجى الله ورسوله .

وأما محاولة التشكيك في القرآن فقد أخذت مراحل متعددة على القرآن نفسه بتسجيلها :

لقد حدد القرآن مصدره بما لا يحتمل اللبس في آيات كثيرة ، منها قول الله تبارك وتعالى مخاطبا رسوله ــ صلوات الله وسلامه عليه :

« وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » (١) .

وقوله سبحانه : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً » (٢) .

ويبين بوضوح ان هذا التلقى وهذا التنزيل كان بواسطة ملك الوحى جبريل في قوله عز وجل :

« وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ » (٣) .

وبالرغم من تحديد المصدر وطريقة التلقين فقد أمر أقطاب الكفر على انكار أن يكون هذا من وحى الله اليه .

وقال بعضهم : أن ما يأتى به محمد انما هو من باب الشعر .

وقال آخرون : انما هو ضرب مما يقول به الكهان ، ونزل قول الله يرد على هؤلاء وهؤلاء في قوله جل شأنه :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤) .

وتمادوا في خصومتهم فرموا رسول الله بالجنون لا لشىء الا لأنه أعلن أنه يبلغ عن ربه ، وجاء الرد القاطع عن مصدر القرآن نفسه ليؤكد ما يقول الرسول ويفند ما رموه به :

« فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ » (٥) .

ويزيد ذلك تأكيدا في قوله تعالى :

« نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ

---

(١) سورة النمل : الآية رقم ٦ .
(٢) سورة الانسان : الآية رقم ٢٣
(٣) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ ــ ١٩٤
(٤) سورة الحاقة : الآيات : ٣٨ ــ ٤٣
(٥) سورة : التكوير الآيات ١٥ ــ ٢٢ .

الإعجاز

« رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » (١) .

ويؤنس الله رسوله فيطلب منه الاستمرار في دعوته وما عليه مما يقول هؤلاء في قوله سبحانه :

« فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ » (٢) .

ويتوالى الوحي ويسمعون من النبي ما يبهرهم ويثير عجبهم وتأخذهم الحيرة من افطارهم ، فمحمد أمي لا يقرأ ولا يكتب فمن أين يأتيه هذا الذي نسمع ، ويصل بهم تفكيرهم المختل الى القول بأنه يتردد على بعض الأجانب في مكة ممن له معرفة بكتب الأولين فيتعلم منه ما يقول ، ونسوا أن لسان هذا المعلم الذي زعموا ليس باللسان العربي الذي لا يعرف محمد غيره، والذي أوحى الله به كتابه ، وينزل الوحي منكرا عليهم ما يخالف كل منطق وما يتصادم من الواقع ، يقول الحق تبارك وتعالى :

« وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ . إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ . لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ » (٣) .

ويقول سبحانه :

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٤) .

وكيف تملى عليه فيكتبها أو يقرؤها وهو أمي لم يسبق له أن خط أو قرأ ، وتلك حقيقة لاخفاء فيها ولا خلاف عليها ، فمن أين يكون الشك والارتياب ، وصدق الله اذ يقول :

« وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » (٥) .

وتضيق بهم الحيل ، ويلج بهم العناد ، ويطلبون من رسول الله أن يأتيهم بقرآن غير الذي يقول أو يبدله ، وينزل الوحي حاكيا قولهم وملقنا الرسول ما يجيبهم به ، يقول الحق سبحانه :

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

(١) سورة القلم : الآيات : ١ — ٤
(٢) سورة الطور : الآية رقم ٢٩
(٣) سورة النحل : الآية رقم ١٠٣
(٤) سورة الفرقان : الآيات رقم ٤ — ٦
(٥) سورة العنكبوت : الآيتان ٤٨ ، ٤٩

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ • فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ » (١) •

ثم بلغ بهم الحمق أن قالوا : ان محمدا يفتري ويكذب على ربه عندما ينسب اليه ما يؤلفه ويتلو ، ويرد القرآن هذه المرة بأكثر من أسلوب وكلها تدور حول حقيقة واحدة عبر الله عنها في قوله تعالى :

« وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » (٢) •

فليس في مقدور محمد ولا غير محمد أن يكذب على الله وينسب اليه ما ليس له ، ان الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو الذي يتولى الدفاع عن كلامه ووحيه ، ولن يدع هذا الافتراء يمر دون عقاب من تسول له نفسه ارتكاب هذه الجريمة النكراء . يقول سبحانه :

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ • لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ • ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ • فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » (٣) •

ويقول جل شأنه :

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » (٤) •

واذا صح في زعمهم ان محمدا تقول على الله فيما يبلغ فليفعلوا مثله وليحاولوا محاكاته ، فهو منهم وهم قومه ، واللغة لغتهم ، يقول عز من قائل :

« أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ • فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ » (٥) •

واذا عز عليهم الاتيان بما يساوي ما جاء به محمد فهم في حل من أن يقيموا الدليل على دعواهم اذا اتوا بعشر سور مثله •

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٦) •

واذا عجزوا عن الاتيان بحديث مثله أو بعشر سور مثله مفتريات فيكفي في تصحيح موقفهم عندنا ان يأتوا بسورة واحدة مثله •

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ

(١) سورة يونس : الآيات ١٥ ــ ١٧
(٢) سورة يونس : الآية رقم ٣٧
(٣) سورة الحاقة : الآيات : ٤٤ ــ ٤٧
(٤) سورة الشورى : الآية رقم : ٢٤
(٥) سورة الطور : الآيتان : ٣٣ ، ٣٤
(٦) سورة هود : الآية رقم : ١٣

بِمِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (١) .

وهكذا تحدى الله أعداء رسوله الذين رموه بالكذب فيما يبلغ عن ربه ، فبرأ ساحته ، ثم كان التحدى العام الذى يشمل الانس والجن جميعا ، والقطع الجازم بأنهم لن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو اجتمعوا وتعاونوا على ذلك ، فكان قول الله تبارك وتعالى :

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٢) .

وانما أطلقنا على هذه الآية من سورة الاسراء آية التحدى العام الشامل لأن التحدى فى غيرها لم يوجه الى الجن قط .

ولأنه قد يقال : ان الآيات التى تحدى فيها بالاتيان بحديث مثله أو بعشر سور مثله مفتريات أو بسورة من مثله انما وجه التحدى فيها الى هؤلاء الذين كانوا يناهضون الدعوة فى حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهم أول من سمع القرآن يتلى ، وهم الذين قالوا : تقوله فكان الرد عليهم : فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ، وهم الذين قالوا : افتراه فقيل لهم على سبيل التحدى : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وقيل لهم كذلك : فأتوا بسورة مثله ، وهم الذين خوطبوا فى سورة البقرة فى قول الله سبحانه :

« وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » (٣) .

نقول : قد يقال : ان التحدى فى هذه الآيات كلها موجه الى العرب الذين سمعوا القرآن وأنكروا دعوته ، وهو تحد لهم فحسب بحكم الخطاب والرد على ما قالوا ولا يشمل غيرهم من الناس ولا يشمل الجن من باب أولى .

ونحب أن نقول لمن ينحو هذا الاتجاه : ان التحدى فى الآيات المشار اليها يشمل كل الخلائق لقول الله سبحانه « وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ »

وهو ــ فيما نرى ــ لا يختلف عما جاء فى آية سورة الاسراء ، والفرق أن آية سورة الاسراء وضحت المراد من قوله تعالى « مَنِ

(١) سورة يونس : الآية رقم ٣٨
(٢) سورة الاسراء الآية رقم ٨٨
(٣) سورة البقرة الآيتان ٢٣ ، ٢٤

دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » وضعت الأسماء الظاهرة :

« **الانس والجن** » مكان ما تضمنه ذلك التعبير ، ولهذا الوضوح أطلقنا عليه آية التحدي العام الشامل .

وبنزول هذا التحدي للانس والجن جميعا صار « اعجاز القرآن » حقيقة ، وصار جزءا من التعريف بكتاب الله .

اذ يقول أهل العلم : « القرآن هو : كلام الله المعجز المنزل على خاتم الانبياء محمد بن عبد الله ــ صلوات الله وسلامه عليه » .

وصار الكلام عن هذا الاعجاز لا يتطلب عناء فى اثباته ، اذ يستدل عليه من مصدرين واضحين :

أولهما : ما ذكرنا سابقا من التحدى العام الذى نطقت به آية سورة الاسراء وأى مؤمن لا يحتاج الى شىء بجانب هذا القول الكريم فى اثبات الاعجاز للقرآن .

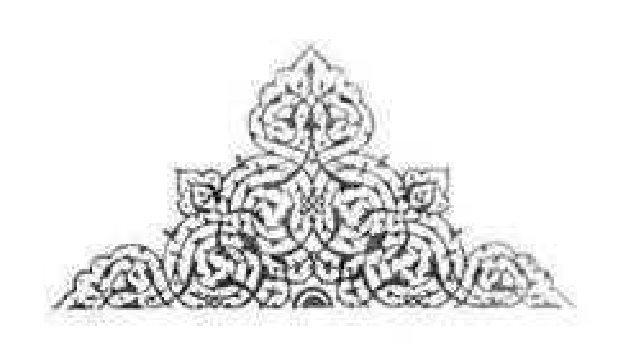
وثانيهما هو الواقع ، فمنذ أن أوحى الله الى رسوله بهذا القرآن وكل كافر بالله وبرسوله يحاول أن يطفىء نور الله بكل ما أوتى من جهد وبكل ما ملك من وسيلة ، ونور الله يتمثل فيما أوحى الله الى نبيه الكريم من قرآن بلغه للناس ، فكان أهم الأهداف التى وجهت اليه هجمات أعداء الدين الجديد الذى أرسى القرآن قواعده وثبت دعائمه .

وقد عجزوا جميعا عن أن ينالوه بشىء ، وعجز أسلافهم كذلك الى وقت الناس هذا ، حتى هؤلاء الذين حاولوا انكار المصدر الالهى للقرآن ونسبوه الى النبى ، وسيدوم عجزهم فى المستقبل الذى لا يعلم مداه الا الله .

واذا كنا نستدل بهذا الواقع الذى لا يمكن انكاره على أن القرآن معجز عندما نتحدث الى غير المؤمنين به ، فليس ذلك سوى القول بصدق القرآن فيما قرر ، ولا يخرج عن أنه استشهاد بالواقع على أحقية ما أخبر ، وصدق الله « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً » .

الحديث موصول

د. أحمد ابراهيم مهنا



الإجزاء في معرفة الأجزاء

للإمام إبراهيم بن عمر الجعبري

الحلقة الأخيرة

اجزاء ثلثمائة وستين

هذه الاجزاء لمن يريد عرض القرآن تجويدا وجمعا ودرسه اعتبارا وحفظه في سنته باسنادي الى ابي الحسن على بن محمد السخاوي .

قال ابو العيناء : بها حفظت القرآن وعلمته بعض أهلي وبلغني عن الامام المنصور انه وابنه المهدي حفظاه بها وكل اثنى عشر جزءا منها جزء من ثلاثين وكل ستة جزء من ستين وكل ثلاثة جزء من مائة وعشرين وكل مائة وثمانين جزءا نصف وكل مائة ، وعشرين ثلثا وكل تسعين ربع وكل اثنين وسبعين خمس وكل ستين سدس وكل خمسة واربعين ثمن وكل اربعين تسع وكل ستة وثلاثين عشر .

الجزء الأول بالبقرة : « في طغيانهم يعمهون » الثاني « أولئك هم الخاسرون » . الثالث « واياي فارهبون » . الرابع « لعلكم تشكرون » . الخامس « لعلكم تتقون » . السادس « وهم يعلمون » . السابع « عما تعملون » يتلوه « أولئك » . الثامن « ان كنتم مؤمنين » . التاسع . « ذو الفضل العظيم » . العاشر « كل له قانتون » . الحادي عشر « وبئس المصير » . الثاني عشر « عما كانوا يعملون » الثالث عشر « ولعلكم تهتدون » . الرابع عشر « لقوم يعقلون » . الخامس عشر « لفي شقاق بعيد » . السادس عشر « وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » . السابع عشر « واعلموا أن الله مع المتقين » الثامن عشر « واعلموا أنكم اليه تحشرون » . التاسع عشر « الا أن نصر الله قريب » العشرون « لعلهم يتذكرون » .

الحادي والعشرون « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » . الثاني والعشرون « غفور حليم » . الثالث والعشرون « واليه ترجعون » الرابع والعشرون « وانك لمن المرسلين » . الخامس والعشرون « اعلم أن الله على كل شيء قدير » السادس والعشرون « لعلكم تتفكرون » . السابع والعشرون « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » الثامن والعشرون « والله بكل شيء عليم » التاسع والعشرون بآل عمران « العزيز الحكيم » الثلاثون



تقديم الأستاذ
إبراهيم عطوة عوض

« والله بصير بالعباد » • الحادى والثلاثون « بغير حساب » • الثاني والثلاثون « ونبيا من الصالحين » • الثالث والثلاثون « فاتقوا الله وأطيعون » الرابع والثلاثون « الا من بعده أفلا تعقلون » • الخامس والثلاثون « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » السادس والثلاثون « وأولئك هم الضالون » السابع والثلاثون « الا وأنتم مسلمون » • الثامن والثلاثون « وكانوا يعتدون » • التاسع والثلاثون « من الملائكة منزلين » الأربعون « والله لا يحب الظالمين » • الحادى والأربعون « والله ذو فضل على المؤمنين » الثاني والأربعون « والله بصير بما يعملون » الثالث والأربعون « ولهم عذاب اليم » • الرابع والأربعون « فبئس ما يشترون » • الخامس والأربعون « خير للأبرار » السادس والأربعون بالنساء « نصيبا مفروضا » السابع والأربعون « والله عليم حكيم » الثامن والأربعون « ان الله كان غفورا رحيما » التاسع والأربعون « ان الله كان على كل شيء شهيدا » الخمسون « ان الله كان عفوا غفورا » الحادى والخمسون « لوجدوا الله توابا رحيما » • الثالث والخمسون « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » الرابع والخمسون « وكان الله على كل شيء مقيتا » والخامس والخمسون « وكان الله عليما حكيما السادس والخمسون « كانوا لكم عدوا مبينا » السابع والخمسون «يجد الله غفورا رحيما» الثامن والخمسون «واتخذ الله ابراهيم خليلا » التاسع والخمسون « كان بما تعملون خبيرا» الستون«وكان الله شاكرا عليما» الحادى والستون « واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » الثاني والستون « فسيحشرهم اليه جميعا » الثالث والستون بالمائدة « فان الله غفور رحيم » الرابع والستون « أولئك أصحاب الجحيم » الخامس والستون « الى صراط مستقيم » السادس والستون « انا ههنا قاعدون » السابع والستون « وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » الثامن والستون « وما أولئك بالمؤمنين » • التاسع والستون « لقوم يوقنون » السبعون « وأضل عن سواء السبيل » الحادى والسبعون « ولكن كثيرا منهم فاسقون » « كما في الأصل » الثالث والسبعون « الا البلاغ المبين » الرابع والسبعون « وأكثرهم لا يعقلون » الخامس والسبعون « اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » السادس والسبعون بالأنعام « ما يلبسون » السابع والسبعون « وهو الحكيم الخبير » الثامن والسبعون « بآيات الله يجحدون » التاسع والسبعون « الا القوم الظالمين » • الثمانون « بما كنتم تعملون » الحادى والثمانون « وهو الذى اليه تحشرون » •

الثاني والثمانون « وهديناهم الى صراط
مستقيم » الثالث والثمانون « ذلك تقدير
العزيز العليم » الرابع والثمانون « في
طغيانهم يعمهون » الخامس والثمانون « انهم
كانوا كافرين » . السابع والثمانون « لا يحب
المسرفين » الثامن والثمانون « لهديكم
أجمعين » التاسع والثمانون « بما كانوا
يصدفون » التسعون بالأعراف « أو هم
قائلون » الحادى والتسعون « ومتاع الى
حين » الثاني والتسعون « انهم كانوا
كافرين » . الثالث والتسعون « بما كنتم
تستكبرون » الرابع والتسعون « انا لنراك
في ضلال مبين » الخامس والتسعون « عذاب
اليم » السادس والتسعون « وهو خير
الحاكمين » . السابع والتسعون « فهم
لا يسمعون » الثامن والتسعون « ثم
لأصلبنكم أجمعين » التاسع والتسعون
« وما كانوا يعرشون » المائة « اتخذوه
وكانوا ظالمين » الواحد والمائة « لعلكم
تهتدون » الثاني والمائة « وانه لغفور
رحيم » الثالث والمائة « لعلكم تتذكرون »
الرابع والمائة « لتكونن من الشاكرين »
الخامس والمائة « ويسبحونه وله يسجدون »
آخرها السادس والمائة بالأنفال . السابع
والمائة « لعلكم تشكرون » الثامن والمائة
« ونعم النصير » التاسع والمائة « عذاب
الحريق » العاشر والمائة « بأنهم قوم
لا يفقهون » الحادى عشر والمائة « ان الله
بكل شيء عليم » الثاني عشر والمائة بالتوبة
ساء ما كانوا يعملون » الثالث عشر والمائة
« أولئك هم الفائزون » الرابع عشر والمائة
« سبحانه عما يشركون » الخامس عشر
والمائة « على كل شيء قدير » السادس عشر
والمائة . « لمحيطة بالكافرين » السابع عشر
والمائة « لهم عذاب أليم » الثامن عشر والمائة
« ان الله عزيز حكيم » التاسع عشر والمائة
« لو كانوا يفقهون » العشرون والمائة « فهم
لا يعلمون » الحادى والعشرون والمائة « والله
سميع عليم » الثاني والعشرون والمائة
« وبشر المؤمنين » الثالث والعشرون والمائة
« لعلهم يحذرون » الرابع والعشرون والمائة
بيونس « بما كانوا يكفرون » الخامس
والعشرون والمائة « أفلا تعقلون » « السادس
والعشرون والمائة « الى صراط مستقيم »
السابع والعشرون والمائة « من رب العالمين »
الثامن والعشرون والمائة « وهم لا يظلمون »
التاسع والعشرون والمائة « أتقولون على
الله مالا تعلمون » الثلاثون والمائة « وانه
لمن المسرفين » الحادى والثلاثون والمائة
« حتى يروا العذاب الأليم » الثاني والثلاثون
والمائة « وهو خير الحاكمين » آخرها . الثالث
والثلاثون والمائة بهود « وباطل ما كانوا
يعملون » . الرابع والثلاثون والمائة « اني
اذا لمن الظالمين » الخامس والثلاثون
والمائة « وقيل بعدا للقوم الظالمين »

السادس والثلاثون والمائة « عذاب غليظ » السابع والثلاثون والمائة « ومن وراء اسحاق يعقوب » الثامن والثلاثون والمائة « انك لأنت الحليم الرشيد » التاسع والثلاثون والمائة « وذلك يوم مشهود » الأربعون والمائة « وذكرى المؤمنين » الحادى والأربعون والمائة بيوسف « عشاء يبكون » الثانى والأربعون والمائة « ان كيدكن عظيم » الثالث والأربعون والمائة « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الرابع والأربعون والمائة « لا يهدى كيد الخائنين » الخامس والأربعون والمائة « فليتوكل المتوكلون » السادس والأربعون والمائة « هو خير الحاكمين » السابع والأربعون والمائة « انك لفى ضلالك القديم » الثامن والأربعون والمائة « أفلا تعقلون » التاسع والأربعون والمائة بالرعد « عنده بمقدار » الخمسون والمائة « كذلك يضرب الله الأمثال » . الحادى والخمسون والمائة « واليه متاب » الثانى والخمسون والمائة « وعلينا الحساب » الثالث والخمسون والمائة « ابراهيم « تدعوننا اليه مريب » . الرابع والخمسون والمائة « وما ذلك على الله بعزيز » الخامس والخمسون والمائة « لا بيع فيه ولا خلال » السادس والخمسون والمائة « وليذكر أولوا الألباب » السابع والخمسون والمائة بالحجر « من حمأ مسنون » الثامن والخمسون والمائة « لنسألنهم أجمعين » .

الستون والمائة بالنحل « ولعلكم تشكرون » الحادى والستون والمائة «بما كنتم تعملون» الثانى والستون والمائة « ان كنتم لا تعلمون » الثالث والستون والمائة « وانهم مفرطون »

الرابع والستون والمائة « بل أكثرهم لا يعلمون الخامس والستون والمائة « انكم لكاذبون » السادس والستون والمائة « من الشيطان الرجيم» السابع والستون والمائة«وهم ظالمون » الثامن والستون والمائة « والذين هم محسنون » آخرها . التاسع والستون والمائة بسبحان « حتى نبعث رسولا » السبعون والمائة « وساء سبيلا » الحادى والسبعون والمائة « الا رجلا مسحورا » الثانى والسبعون والمائة « لمن خلقت طينا » . الثالث والسبعون والمائة « خلفك الا قليلا » الرابع والسبعون والمائة « من السماء ملكا رسولا » الخامس والسبعون والمائة « وكبره تكبيرا » آخرها السابع والسبعون والمائة بالكهف « وليا مرشدا » السابع والسبعون والمائة « وكان أمره فرطا » الثامن والسبعون والمائة « وما كان منتصرا » التاسع والسبعون والمائة « وما أنذروا هزوا » الثمانون والمائة « لقد جئت شيا نكرا » الحادى والثمانون والمائة من « دونها سترا » الثاني والثمانون والمائة « ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » الثالث والثمانون والمائة بمريم « مكانا قصيا » الرابع والثمانون والمائة . « ولا يغنى عنك شيئا » الخامس والثمانون والمائة « انه كان وعده مأتيا » . السادس والثمانون والمائة « ويكون عليهم ضدا » السابع والثمانون والمائة بطه « بما تسعى » الثامن والثمانون والمائة « والسلام على من اتبع الهدى » . التاسع والثمانون والمائة « برب هارون

الإجزاء في معرفة الاجزاء

وموسى » التسعون والمائة « فأخلفتم موعدي » الحادي والتسعون والمائة « ولم نجد له عزما » الثاني والتسعون والمائة « ومن اهتدى » آخرها . الثالث والتسعون والمائة بالأنبياء « ان كنا فاعلين » الرابع والتسعون والمائة « كل في فلك يسبحون » . الخامس والتسعون والمائة « أفأنتم له منكرون » السادس والتسعون والمائة « كانوا قوم سوء فاسقين » السابع والتسعون والمائة « وجعلناها وابنها آية للعالمين » الثامن والتسعون والمائة « على ما تصفون » آخرها. التاسع والتسعون والمائة بالحج « ذلك هو

الخسران المبين » . المائتان « ولباسهم فيها حرير » الحادي والمائتان « لعلكم تشكرون » الثاني والمائتان « أولئك أصحاب الجحيم » الثالث والمائتان « ان الانسان لكفور » الرابع والمائتان « ونعم النصير » آخرها الخامس والمائتان بالمؤمنون « في آبائنا الأولين » السادس والمائتان « وسلطان مبين » السابع والمائتان » الى صراط مستقيم » الثامن والمائتان « الى يوم يبعثون » التاسع والمائتان . بالنور « وحرم ذلك على المؤمنين » العاشر والمائتان « وان الله رءوف رحيم » الحادي عشر والمائتان

« لعلكم تفلحون » الثاني عشر والمائتان « من يشاء بغير حساب » الثالث عشر والمائتان « بل أولئك هم الظالمون » الرابع عشر والمائتان « خير لهن والله سميع عليم »

الخامس عشر والمائتان بالفرقان « عليه بكرة وأصيلا » السادس عشر والمائتان « وكان ربك بصيرا » السابع عشر والمائتان « بل كانوا لا يرجون نشورا » الثامن عشر والمائتان « وزادهم نفورا » التاسع عشر والمائتان « فسوف يكون لزاما » آخرها . العشرون والمائتان بالشعراء « ان كنتم تعقلون » الحادي والعشرون والمائتان « ان معي ربي سيهدين » الثاني والعشرون والمائتان « ولا صديق حميم » الثالث والعشرون والمائتان بقصة لوط « على رب العالمين » الرابع والعشرون والمائتان بقصة شعيب « من المسحرين » الخامس والعشرون والمائتان « أي منقلب ينقلبون » آخرها . السادس والعشرون والمائتان بالنمل « ان كان من الغائبين » السابع والعشرون والمائتان

« ان ربي غني كريم » الثامن والعشرون والمائتان « بل أنتم قوم تجهلون » . التاسع والعشرون والمائتان « مما يمكرون » الثلاثون والمائتان « وهم من فزع يومئذ آمنون » . الحادي والثلاثون والمائتان بالقصص « وهم له ناصحون » الثاني والثلاثون والمائتان « الى من خير فقير » الثالث والثلاثون والمائتان « ومن اتبعكما الغالبون » الرابع والثلاثون والمائتان « وقالوا انا بكل كافرون » الخامس والثلاثون والمائتان « الذين كنتم تزعمون » . السادس والثلاثون والمائتان «ان الله لا يحب المفسدين»

السابع والثلاثون والمائتان « واليه ترجعون » آخرها الثامن والثلاثون والمائتان بالعنكبوت « الا البلاغ المبين » التاسع والثلاثون والمائتان « كانت من الغابرين » الأربعون

والمائتان « والله يعلم ما تصنعون » الحادى والأربعون والمائتان « نعم أجر العاملين » الثانى والأربعون والمائتان بالروم « بلقاء ربهم لكافرون » • الثالث والأربعون والمائتان « لأيات لقوم يعقلون » الرابع والأربعون والمائتان « هم المفلحون » الخامس والأربعون والمائتان « اذ ولو مدبرين » السادس والأربعون والمائتان بلقمان « فان الله غنى حميد » السابع والأربعون والمائتان « بل أكثرهم لا يعلمون » الثامن والأربعون والمائتان بالسجدة « لعلهم يهتدون » التاسع والأربعون والمائتان « انا من المجرمين منتقمون » • الخمسون والمائتان بالأحزاب « فى الكتاب مسطورا » الحادى والخمسون والمائتان « ولا يأتون البأس الا قليلا » • الثانى والخمسون والمائتان « وكان ذلك على الله يسيرا » الثالث والخمسون والمائتان

« وكفى بالله حسيبا » الرابع والخمسون والمائتان « على كل شىء رقيبا » الخامس والخمسون والمائتان « ولن تجد لسنة الله تبديلا » السادس والخمسون والمائتان بسبأ « الا فى كتاب مبين » السابع والخمسون والمائتان « ورب غفور » الثامن والخمسون والمائتان « ولا يستقدمون » التاسع والخمسون والمائتان « سحر مبين » الستون والمائتان بفاطر « من أصحاب السعير » الحادى والستون والمائتان « وما ذلك على الله

بعزيز » الثانى والستون والمائتان « ذلك هو الفضل الكبير من ٥٨ /ب » الثالث والستون والمائتان « ولن تجد لسنة الله تحويلا » الرابع والستون والمائتان بيس « ياليت قومى

يعلمون » الخامس والستون والمائتان « ولا الى أهلهم يرجعون » السادس والستون والمائتان « ومنها يأكلون » السابع والستون والمائتان بالصافات « سحر مبين » الثامن والستون والمائتان « على بعض يتساءلون » التاسع والستون والمائتان « فبشرناه بغلام حليم » السبعون والمائتان « الى يوم يبعثون » الحادى والسبعون والمائتان بص « لشىء يراد » الثانى والسبعون والمائتان قيل « ياداود وحسن مآب » الثالث والسبعون والمائتان « بخالصة ذكرى الدار » الرابع والسبعون والمائتان « ولتعلمن نبأه بعد حين آخرها • الخامس والسبعون والمائتان بالزمر « ذلك هو الخسران المبين » السادس والسبعون والمائتان « وانهم ميتون السابع والسبعون والمائتان « اذا هم يستبشرون » الثامن والسبعون والمائتان « ولا هم يحزنون » التاسع والسبعون والمائتان « الحمد لله رب العالمين » آخرها الثمانون والمائتان بغافر « لينذر يوم التلاق » الحادى، والثمانون والمائتان « من هو مسرف كذاب » الثانى والثمانون والمائتان « يرزقون فيها بغير حساب » الثالث والثمانون والمائتان « بالعشى والابكار » الرابع والثمانون والمائتان « أنى يصرفون » الخامس والثمانون والمائتان

« وخسر هنالك الكافرون » آخرها • السادس والثمانون والمائتان بفصلت « بما كانوا يكسبون » السابع والثمانون والمائتان،

الإجزاء في معرفة الاجزاء

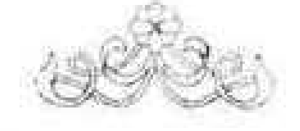
« نزلا من غفور رحيم » الثامن والثمانون والمائتان « وما ربك بظلام للعبيد » التاسع والثمانون والمائتان بمسبق « وفريق في السعير » التسعون والمائتان « لعل الساعة قريب » الحادى والتسعون والمائتان « اذا يشاء قدير » الثاني والتسعون والمائتان « هل الى مرد من سبيل » الثالث والتسعون والمائتان بالزخرف « كذلك تخرجون » • الرابع والتسعون والمائتان « وانابه كافرون » الخامس والتسعون والمائتان « لعلهم يرجعون » السادس والتسعون والمائتان « أنتم وأزواجكم تحبرون » السابع والتسعون والمائتان بالدخان « انا مؤمنون » الثامن والتسعون والمائتان « فارتقب انهم مرتقبون » أخرها • التاسع والتسعون والمائتان بالجاثية « على العالمين » الثلثمائة « وما نحن بمستيقنين » الحادى والثلمائة بالأحقاف « افك قديم » الثاني والثلمائة « ان كنت من الصادقين » الثالث والثلمائة « القوم الفاسقون » آخرها الرابع والثلمائة بمحمد صلى الله عليه وسلم « لذة للشاربين » الخامس والثلثمائة « أن لن يخرج الله أضغانهم » السادس والثلثمائة بالفتح « وكان الله عزيزا حكيما » السابع والثلثمائة « وكان الله عزيزا حكيما » الثامن والثلثمائة

« وأجرا عظيما » آخرها التاسع والثلثمائة بالحجرات « أولئك هم الظالمون » العاشر والثلثمائة بق « كذلك الخروج » الحادى عشر والثلثمائة « وما مسنا من لغوب » الثاني عشر والثلثمائة بالذاريات « انه هو الحكيم العليم » الثالث عشر والثلثمائة بالطور « والسقف المرفوع » الرابع عشر والثلثمائة « بسلطان مبين » الخامس عشر والثلثمائة بالنجم « لمن يشاء ويرضى » السادس عشر والثلثمائة « فاسجدوا لله واعبدوا » آخرها • السابع عشر والثلثمائة بالقمر قبل « كذبت قوم لوط فهل من مدكر » الثامن عشر والثلثمائة بالرحمن عز وجل « لا يبغيان » • التاسع عشر والثلثمائة « ومن دونهما جنتان » العشرون والثلثمائة بالواقعة « قل ان الأولين والآخرين » الحادى والعشرون والثلثمائة « وأما ان كان من أصحاب اليمين » الثاني والعشرون والثلثمائة بالحديد « ولهم أجر كريم » الثالث والعشرون والثلمائة « الامتاع الغرور » الرابع والعشرون والثلثمائة « والله ذو الفضل العظيم » آخرها • الخامس والعشرون والثلثمائة • بالمجادلة « فليتوكل المؤمنون » السادس والعشرون والثلثمائة بالحشر « أولئك هم الصادقون » الثامن والعشرون والثلثمائة « لعلهم يتفكرون » التاسع والعشرون والثلثمائة بالممتحنة « هو الغنى الحميد » الثلاثون والثلثمائة بالصف « والله لا يهدى القوم الفاسقين » الحادى والثلاثون والثلثمائة بالجمعة « وهو العزيز الحكيم » الثاني والثلاثون والثلثمائة بالمنافقين « وهم مستكبرون » الثالث والثلاثون والثلثمائة بالتغابن « والله غني حميد » الرابع والثلاثون والثلثمائة بالطلاق « ويجعل له مخرجا » الخامس

« البقية ص ١٢٩٥ »

دراسات اسلامية

روعة الرعاية وجمال الأدب



غزوة حمراء الأسد

الإسلام وحقوق المرأة

ابن مسكويه

روعة الرعاية وجمال الأدب

اخرج الامام احمد بسنده الى ابى عمران الجونى عن ربيعة الاسلمى قال :

كنت أخدم النبى ﷺ « فقال ياربيعة : ألا تزوج ، قال : قلت : والله يارسول الله ، ما اريد ان اتزوج ، ما عندى ما يقيم امراة ـ وما احب ان أن يشغلنى عنك شىء ، فاعرض عنى ، فخدمته ما خدمته .

ثم قال لى الثانية ، ياربيعة ألا تزوج ؟ فقلت : ما أريد أن أتزوج ، ما عندى ما يقيم المرأة ، وما أحب أن يشغلنى عنك شىء ، فأعرض عنى .

ثم رجعت الى نفسى ، فقلت :

والله لرسول ﷺ بما يصلحنى فى الدنيا والآخرة أعلم منى ، والله لئن قال : تزوج لأقولن : نعم يارسول الله مرنى بما شئت .

قال : فقال : ياربيعة ، ألا تزوج ؟

فقلت : بلى ، مرنى بما شئت ، قال :

انطلق الى آل فلان ، حى من الانصار ، وكان فيهم تراخ عن النبى ﷺ ، فقل لهم : ان رسول الله ﷺ ارسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة لامرأة منهم ، فذهبت ، فقلت لهم :

ان رسول الله ﷺ ، أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة فقالوا :

مرحبا برسول الله ، وبرسول رسول الله ﷺ ، والله لا يرجع رسولُ رسولِ اللهِ ﷺ الا بحاجته ، فزوجونى ، والطفونى ، وما سألونى البينة ، فرجعت الى رسول الله ﷺ حزينا !

فقال لى : مالك ياربيعة ؟ فقلت : يارسول الله ، أتيت قوما كراما ، فزوجونى ، وأكرمونى والطفونى ، وما سألونى بينة ، وليس عندى صداق ، فقال رسول الله ﷺ :

يابريدة الأسلمى أجمعوا له وزن نواة من ذهب ، قال : فجمعوا لى وزن نواة من ذهب فأخذت ما جمعوا لى فأتيت به النبى ﷺ ، فقال : اذهب بهذا اليهم ، فقل : هذا صداقها، فقلت : هذا صداقها فرضوه ، وقبلوه ، وقالوا: كثير طيب .

قال : ثم رجعت الى النبى ﷺ حزينا !

فقال ياربيعة : مالك حزين ؟ فقلت : يارسول الله ، ما رأيت قوما أكرم منهم ، رضوا بما آتيتهم ، وأحسنوا ، وقالوا : كثيرا طيبا ، وليس عندى ما أولِمُ ! فقال : يابريدة ، اجمعوا له شاة ، قال فجمعوا لى كبشا عظيما سمينا ، فقال لى رسول الله ﷺ : اذهب الى عائشة فقل لها ، فلتبعث بالمكتل

للأستاذ محمود محمد رسلان

الذي فيه الطعام ، قال: فأتيتها ، فقلت لها ، ما أمرني به رسول الله ﷺ، فقالت: هذا المكتل (١) فيه تسع آصع شعير، لا والله إن (٢) أصبح لنا طعام غيره خذه فأخذته ، فأتيت به النبي ﷺ ، وأخبرته بما قالت عائشة .

فقال : اذهب بهذا اليهم ، فقل لهم : ليصبح هذا عندكم خبزا ، فذهبت اليهم ، وذهبت بالكبش ، ومعى أناس من أسلم ، فقال : ليصبح هذا عندكم خبزا ، وهذا طبيخا فقالوا : أما الخبز فسنكفيكموه ، وأما الكبش فاكفونا أنتم ، فأخذنا الكبش أنا وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه ، فأصبح عندنا خبز ولحم ، فأولمت ودعوت رسول الله ﷺ .

ثم قال : ان رسول الله ﷺ أعطاني بعد ذلك أرضا ، وأعطاني أبو بكر أرضا ، وجاءت الدنيا ... » (٣) .

هذا الحديث الشريف يعطينا صورة من صور الرعاية الحسنة التى اشتهر بها رسول الله ﷺ لصحابته — رضى الله عنهم — فيسأل عن غائب ، ويعود المرضى ويواسى المصاب ، ويساعد المحتاج ، ويلبى دعوة الداعى اذا دعاه ، حتى لكأنه ﷺ الوالد البار الحنون لكل مسلم .

قال عثمان بن عفان — رضى الله عنه : « انا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ فى السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ، ويتبع جنائزنا ، ويغزو معنا ، ويواسينا بالقليل والكثير .. » (٤) .

وقال رسول الله ﷺ عن نفسه : « أنا لكم مثل الوالد ...» (٥) .

والحديث الشريف يظهر — فى وضوح — مدى حدب رسول الله ﷺ على أصحابه واعتنائه بهم ، الى سماحة صدره — صلوات الله وسلامه عليه — لما يعرض لهم أحيانا من غياب هدف رسول الله ﷺ عن أذهانهم ، فقد يسأل أحدهم الأمر فيرفضه المرة بعد المرة ، وهو — عليه الصلاة والسلام — دائب المحاولة فى رفق عجيب دون أن ينأى به الرفض عما يراه من الخير لهم .

وليس يمكن لبشر أن يلم بمدى رحمة رسول الله ﷺ وحبه ، عليه الصلاة والسلام — أنه نموذج البشرية الكامل الذى لاتحده حدود .

---

(١) المكتل : زنبيل يعمل من الخوص ، المعجم الوسيط مادة (كتلة) .
(٢) ان هنا بمعنى (ما) .
(٣) المسند ٨ / ٢٨ رقم ٣٠ وروى أبو داود بعضه ٤ / ٥٠٦ , ٥٠٧ — والترمذى ٣ / ١٢٠ .
(٤) نفس المصدر ٨ / ٣٠ ، ٣١ هامش .
(٥) يقصد الشيخ هذه المرأة وأمثالها .

روعة الرعاية وجمال الأدب

أتاه رجل فقال : يارسول الله ، ان لى خادما يسىء ويظلم أفأضربه ؟

قال — عليه الصلاة والسلام :

« تعفو عنه كل يوم سبعين مرة » (١)

والحديث الذى نسوقه واضح الدلالة على متابعة رسول الله ﷺ للامر يتعلق بأصحابه، فتراه فى حادث ربيعة — رضى الله عنه — لا يتخلى عنه بمجرد قبول الانصار لمصاهرته بل دأب يسأله عن الامر حتى تم بكل حذافيره وهو ﷺ أثناء ذلك كله يبدد له كل ما يعرض له من مشكلة .

وهذا ما ينبغى للمسلم أن يفعله مع اخوانه .

ذلك هو الاسلام المصفى الذى أراده الله فبعثه فى شخص أكمل خلقه ﷺ وان من الاسلام الرعاية والحنان بالخدم ، لا تعذيب الخادم أوكيه بالنار أو ازدرائه ، فما الخادم الا انسان اختار الله له هذا المقام ولو شاء لرفعه .

روى الشيخ أحمد شاكر — رحمه الله — قضيتين فى هذا الباب :

احداهما قضية تتصل بتعذيب الخدم والأخرى مثل جد عجيب ، قال الشيخ عنه(٢) « لا يتصل بقضايا التعذيب ولكنه يكشف عن نفسية الطبقة التى تسمى « عالية » فى بلادنا وما علوها الا الكبرياء والاستعلاء على أمتهم ، ثم العبودية لسادتهم الخواجات والاستخذاء امرأة من نساء طبقة المستوزرين جمعت جمعا من مثيلاتها فى دارها .. فنظرت هذه المرأة الى خادمها النوبى ، وعجبت لمن حولها أن يكون لهذا « العبد » حق الانتخاب دونها وهى المتعلمة المثقفة التى تراقص الكبراء والوزراء والخواجات .

وما كان الرجل عبدا لها ولا لأبيها ولا لزوجها ، وانما هو من فئة معروفة بالحفاظ والكرامة ، فئة النوبيين الأمناء .. وما أعتقد أن أمثال (٣) هؤلاء مسلمون وان ولدوا على فرش اسلامية وأن سماهم آباؤهم بأسماء المسلمين . ذلك بأنهم أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين والله سبحانه يصف المؤمنين بأنهم « أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ»

ونرى — مما سبق من حوار فى الخبر الشريف — شيئا مما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ طاعة وبرا وثقة فى أنفسهم ، وايثارا للخير وتلبية له ، فهؤلاء الانصار الذين أرسل اليهم رسول الله ﷺ ربيعة الاسلمى :

أ — لم يسألوه بينة ، وسارعوا الى التلبية حبا فى الله ورسول ، وثقة فى المؤمنين الاولين .

ب — ولم يقف أمرهم عند اجابة الطلب ، بل أسرعوا الى تقديم ما يمكنهم تقديمه لوليمة

---

(١) مسند الامام أحمد .. جـ ٤ ص ٥٨ ط. المكتب الاسلامى . بيروت .

(٢) الحديث فى المسند جـ١ ص ٣٧ رقم ٥٠٤ شرح الشيخ احمد محمد شاكر ط. دار المعارف ط. الثالثة ١٣٦٨ هـ .

(٣) من حديث ابى هريرة . راجع المسند جـ ١٢ ص ١٠٠ رقم ٧٣٦٢ ط. دار المعارف ١٣٧٤ هـ .

العقد ، متعاونين مع ربيعة — رضى الله عنه — وقومه — فيما يمكنهم أن يفعلوه ويرفعوا به ثقلا عن كاهل صهرهم رسول رسول الله ﷺ .

ج — تجلت معونته قوم ربيعة فى تلبية حاجاته التى أشار عليهم بها رسول الله ﷺ

وهكذا ترى القوم متحابين متضامنين مسارعين الى تحقيق الخير لأفرادهم وجماعتهم وهذا ما أراده الله من والاسلام . وهدى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

محمود محمد رسلان

الاجزاء فى معرفة الأجزاء - بقية

والثلاثون والثلثمائة بالتحريم « والله غفور رحيم » السادس والثلاثون والثلثمائة « وكانت من القانتين » آخرها السابع والثلاثون والثلثمائة بالملك « على صراط مستقيم » الثامن والثلاثون والثلثمائة بن « على بعض يتلاومون » . التاسع والثلاثون والثلثمائة بالحاقة « أعجاز نخل خاوية » الأربعون والثلثمائة « فاصبر صبرا جميلا » . الحادى والأربعون والثلثمائة بنوح « واتقوه وأطيعون » الثانى والأربعون والثلثمائة « الا تبارا » آخرها . الثالث والأربعون والثلثمائة . بالجن « ولا أشرك به أحدا » الرابع والأربعون والثلثمائة « ان الله غفور رحيم » آخر المزمل . الخامس والأربعون والثلثمائة بالمدثر « والليل اذا أدبر » السادس والأربعون والثلثمائة بالقيامة « ولاصلى » السابع والأربعون والثلثمائة بالانسان « شرابا طهورا » الثامن والأربعون والثلثمائة . بالمرسلات قبل ان المتقين « ويل يومئذ لمكذبين » التاسع والأربعون والثلثمائة « كنت ترابا » آخر عم الخمسون والثلثمائة بعبس « عنه تلهى » الحادى والخمسون والثلثمائة بالانفطار « وان عليكم لحافظين » الثانى والخمسون والثلثمائة بالانشقاق « حسابا يسيرا » الثالث والخمسون والثلثمائة بالبروج « ولهم عذاب الحريق » الرابع والخمسون والثلثمائة « صحفه ابراهيم وموسى » آخر « سبح » الخامس والخمسون والثلثمائة بالفجر « حبا جما » السادس والخمسون والثلثمائة بالليل « من أعطى واتقى » السابع والخمسون والثلثمائة « واسجد واقترب » آخر « اقرأ » الثامن والخمسون والثلثمائة « شرا يره » آخر « الزلزال » التاسع والخمسون والثلثمائة « كعصف مأكول » آخر « الفيل » الستون والثلثمائة من الجنة والناس » آخرها .

وهذا لترخيمه فى التجزية . بخط المؤلف فى آخره كملت بعون الله وتوفيقه .

فرغ من تأليفها الى الله تعالى ابراهيم بن عمر الجعبرى نزيل الخليل — عليه السلام — وكتب العشرين من ذى الحجة سنة ١١٦٣ من له العز والسعادة والشرف .

— تم —

ابراهيم عطوة عوض



غزوة حمراء الأسد

والنظرية الإسلامية

لاستعادة الهيبة والروح المعنوية

فى الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة وقعت غزوة أحد ، وقد واجه المسلمون فى مرحلة من مراحلها موقفا من أشد المواقف قسوة حين خالف الرماة الذين عينهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ممر الجبل لحماية ظهر الجيش اوامره فترك اغلبهم مواقعهم الأمر الذى شجع خالد بن الوليد على انتهاز الفرصة فقام بفرسانه بحركة التفاف من خلال الممر ونادى على قريش فاستجمعت قواها وهاجمت المسلمين الذين اصبحوا محاصرين بينها وبين فرسان خالد ، فانقلب ميزان المعركة بعد أن كان فى جانب المسلمين .

وبرغم أن المسلمين تمكنوا — بعد أن تكبدوا خسائر كثيرة — من شق الحصار والخلاص مما كانوا مهددين به من فناء أكيد ، الا أن ما وقع فى المعركة ترك فى نفوسهم قدرا كبيرا من الهم والحزن والأسف ولوم النفس .. « أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (آل عمران ١٦٥) . ولقد ضاعف من وطأة هذا الضغط النفسى عدة عوامل خارجية أهمها ما يلى : —

١ — قريش ، سوف تعود الى مكة بدعوى الانتصار على المسلمين ، وسوف تتضاعف قواها وحوافزها نحو استثمار النصر لتوجيه المزيد من الضربات لاستئصال شأفتهم ونحو اقناع القبائل الاخرى بالبقاء على الشرك والوقوف معها فى ضد الدعوة .

٢ — وأهل يثرب من اليهود والمنافقين والمشركين أظهروا السرور والشماتة فأظهروا اقبح القول فقالوا : « ما محمد الا طالب ملك ، ما أصيب بمثل هذا نبى قط ؛ أصيب فى بدنه ، وأصيب فى أصحابه » ، وقالوا : « لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل » .

٣ — وسلطان المسلمين بالمدينة الذى كان قد استقر فلم يبق لأحد أن ينازع فيه يوشك أن يضطرب ويتزعزع .

٤ — وكبير المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، قد خرج على الجماعة ، وعاد من أحد ولم يشترك فى القتال هو وأصحابه (ثلاثمائة



للواء أ.ح

محمد جمال الدين محفوظ

رجل) بدعوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعن برأيه (١) أو أنه عليه الصلاة والسلام غضب على مواليه من اليهود .

٥ ــ والانطباع العام الذى رسخ فى نفوس قريش وأهل يثرب من غير المسلمين عن المعركة أن المسلمين قد هزموا .. فلو ترك الأمر على هذا النحو ، لبقيت الهزيمة هى الكلمة الأخيرة بين المسلمين وقريش ولهان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على العرب ولتضعضع سلطانهم بالمدينة ولكانوا عرضة لاستخفاف قريش بهم والاستهزاء منهم فى أنحاء شبه الجزيرة .

وهكذا لم تعد القضية تنحصر فى معنويات المسلمين فحسب بل أصبحت قضية هيبة الاسلام ومكانته ومستقبل الدعوة ولذلك كان لابد من ضربة قوية وجريئة تعيد للمسلمين معنوياتهم وللاسلام هيبته ومكانته .

خروج المسلمين لمطاردة قريش :

فلما كان الغد من يوم أحد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالخروج لمطاردة قريش على ألا يخرج الا من حضر الغزوة بالأمس .

فخرج المسلمون حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة ، فلما علم أبو سفيان بخروجهم وقع فى روعه أن أعداءه جاءوا بمدد جديد من المدينة وأبلغه معبد بن أبى معبد الخزاعى ــ وكان قد مر بمعسكر المسلمين ــ « أن محمدا قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقا ، ومنكم للثأر طلبا » .

فخاف أبو سفيان لقاء المسلمين ، لكنه فكر فيما يؤدى اليه فراره من آثار فلجأ الى الحيلة والى أسلوب التخويف والضغط النفسى ، فأرسل الى المسلمين من يبلغهم انه قد أجمع السير ليستأصل بقيتهم لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغته رسالة أبى سفيان لم يتضعضع عزمه بل ظل فى مكانه يوقد النار طيلة الليل ثلاثة أيام متتابعة ليدل قريشا على أنه على عزمه وأنه منتظر رجعتهم،



(١) كان من رأى عبد الله بن أبى . البقاء فى المدينة والقتال بداخلها فقال : « يارسول الله لقد كنا نقاتل منها ونجعل النساء والاطفال فى هذه الصياصى ونجعل معهم الحجارة ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية فاذا أقبل العدو رمته النسوة والأطفال بالحجارة وقاتلناه بأسيافنا فى السكك . ان مدينتنا يا رسول عذراء ما فضت علينا قط وما دخل علينا عدو فيها الا أصبناه وما خرجنا الى عدو قط منها الا أصاب منا ؛ فدعهم يا رسول الله واطعنى فى الامر فانى ورثت هذا الرأى من اكابر قومى وأهل الرأى معهم » .

فأصاب ذلك الموقف من همة أبى سفيان وقريش ففترت همتهم وعادوا أدراجهم الى مكة مسرعين ورجع المسلمون الى المدينة وقد استردوا هيبتهم ومعنوياتهم .

الدروس المستفادة ومبادىء العسكرية الاسلامية :

١ ــ الروح المعنوية هدف استراتيجي » .

ان الدرس الأساسى الذى يستخلص من غزوة حمراء الأسد هو أن الروح المعنوية وارادة القتال لها شأن خطير فى تقدير الاسلام الى حد اعتبارها (هدفا استراتيجيا) فى حد ذاتها بحيث تجرى العمليات الحربية فى سبيلها اذا اقتضى الأمر ..

وهذا الدرس ينطوى على أحد المبادىء البارزة فى العسكرية الاسلامية وهو « أن فرصة النجاح فى معركة قد تضيع وان الرجال قد يسقطون شهداء ولكن ارادة القتال لا تضيع ولا تسقط » .

فلقد رأينا كيف قرر الرسول صلى الله عليه وسلم ــ فى سرعة مذهلة ــ الخروج لمطاردة العدو .. فمعركة أحد انتهت على موعد للقاء بين الطرفين مرة أخرى بعد عام (١) . فاذا به صلى الله عليه وسلم يأمر بالخروج فى أقل من أربع وعشرين ساعة ،

وهذا أبلغ الدليل على حرصه عليه الصلاة والسلام على الروح المعنوية .

٢ ــ استعادة الثقة بالنفس :

الثقة بالنفس من أقوى دعائم الروح المعنوية والقائد الناجح هو الذى يحرص على بناء هذه الثقة فى رجاله وتنميتها واستعادتها بسرعة اذا ما تعرضت للاهتزاز .

ولو تأملنا قرار الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بالا يخرج معه الا من حضر أحد بالأمس لتتكشف لنا حكمته البالغة ، فلقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يشعر المسلمين بأنهم مازالوا موضع ثقته وان ما حدث بالأمس لم يؤثر فى تلك الثقة ,ولا يقدح فى كفاءتهم القتالية وانهم قادرون ــ وحدهم وبغير مدد من الرجال ــ على مطاردة العدو . ولو كان عليه الصلاة والسلام قد سمح بالخروج معه لمن لم يحضروا معركة أحد لما تحقق له ما أراد من أن يستعيد المسلمون ثقتهم فى أنفسهم .

ولقد أقبل المسلمون على الخروج بروح قوية وعزم صادق رغم أن فيهم من كانت به بضع وسبعون جراحة ..

روى ابن اسحق أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين فلما أذن المؤذن بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوة

---

(١) لما انصرف أبو سفيان بعد المعركة نادى: « وان موعدكم بدر للعام القابل ، فقال الرسول ﷺ لرجل من أصحابه « قل نعم » « هو بيننا وبينكم موعد » .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها وما هنا الا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا فكان اذا غلب (أى اشتد تعبه لم يقو على السير) حملته عقبة (١) ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون ..

أما أم عمارة نسيبة بنت كعب التى جرحت يوم أحد ثلاثة عشر جرحا ، فانها لما سمعت النداء بالخروج شدت عليها ثيابها فما استطاعت من نزف الدم ، قال حمزة : لقد مكثنا ليلتنا نضمد الجرح حتى أصبحنا فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حمراء الأسد لم يصل الى بيته حتى أرسل اليها عبد الله بن كعب المازنى يسأل عنها فرجع اليه فأخبره بسلامتها فسر بذلك ..

٣ – تطهير الجيش من دعاة التخذيل :

وقد رمى الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء الاكتفاء بمن شهد غزوة أحد الى أمر فى غاية الأهمية لصالح الجيش ومعاركه المقبلة وهو الا يخرج « المنافقون » بعد أن انكشف أمرهم وما تحمل قلوبهم من أضغان وأحقاد تجعل خروجهم خطرا على الجيش وعلى ارادة رجاله القتالية لأنهم سوف يضعفون من شوكتهم ويعرقلون أعمالهم .

ومن الأمثلة التى أوردها القرآن الكريم فى هذه الحال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين – عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعداد لغزوة تبوك – الى أن يتخلفوا عن الرسول ولا ينفروا فى لظى الشمس ووهج الحر فجاءت الآية الكريمة تحذر من اتباعهم وتنبئهم أن جهنم أشد حرا وتطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الا يستعين بهم فى غزوة أخرى قال تعالى : « **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** » (التوبة ٨١ – ٨٣) .

فالاسلام لا يحذر المسلمين من الاستجابة لمحاولات تثبيط العزائم فحسب بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه .

٤ – قوة الايمان حصن منيع ضد الحرب النفسية :

ومن دروس حمراء الأسد أن العقيدة الراسخة القائمة على الايمان القوى هى

(١) عقبة : بضم العين من الاعتقاب فى الركوب اى بالتناوب .

الركيزة العظمى لتحصين المجاهدين ضد الحرب النفسية وهى بالنسبة للاعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين .

فقد رأينا كيف حاول أبو سفيان — لاخفاء خزيه من عدم مواجهة المسلمين — أن يضغط على المسلمين نفسياً بأن بعث اليهم من يقول لهم أن المشركين قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة فاخشوهم وخافوهم فانه لا طاقة لكم بهم . ورغم أن ذلك كان فى ظروف تعد فى نظر الخبراء من أفضل الظروف لحملات الحرب النفسية الا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** » ولم تنجح « مناورة » العدو فى زعزعة معنويات المسلمين بل زادتهم يقيناً فى دينهم وقوة وجرأة على مواجهة أعدائهم .

ولذلك أعطاهم الله النعمة والفضل وصرف عنهم السوء ورضى عنهم كما يشير قوله تعالى : « **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** » (آل عمران ١٧٣ — ١٧٤) .

٥ — منع العدو من استغلال نجاحه :

وقد أدت غزوة حمراء الأسد الى منع قريش من تحويل النصر الذى أحرزته فى أحد الى « نصر استراتيجى » ساحق يحقق لها غاياتها العليا وذلك بغزو المدينة قاعدة الاسلام التى تصورت أن الطريق اليها قد أصبح مفتوحاً وهذا هو ما عبر عنه قولهم :

« أصبنا أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ .. لنكرن عليهم فلنفرغنه منهم » .

٦ — استخدام الشعر فى الحرب النفسية والدعاية المضادة :

كان شعراء المشركين من أمثال أبى سفيان الحارث وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب وغيرهم ينظمون القصائد فى هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهجاء المسلمين ومحاولة التهوين من انتصاراتهم والتأثير فى معنوياتهم وكان يقف الى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة من شعراء المدينة ينافحون عنه هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكانت مهمة أولئك الشعراء لا تقتصر على هجاء الاعداء أو دعوتهم الى الله بل كانت تشمل أيضاً الرد على ما يقوله شعراء المشركين وهو ما يطلق عليه فى العصر الحديث « الدعاية المضادة » .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم

ينصب لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عنه صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول : « ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان : « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك » (رواه الشيخان) .

ويعد استخدام الشعر على هذا النحو من باب « الجهاد باللسان » الذى ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » (رواه أحمد وغيره عن انس بن مالك رضى الله عنه) .

ومن الأمثلة على استخدام الطرفين للشعر يوم أحد ما يلى :

(١) من شعر حسان ردا على هجاء أبى سفيان بن الحارث للرسول صلى الله عليه وسلم :

هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء
(رواه مسلم)

(ب) وقال شاعر المشركين عبد الله بن الزبعرى يوم أحد :

ابلغن حسان عنى آية
فقريض الشعر يشفى ذا الغلل (٢)
كم قتلنا من كريم سيد
ماجد الجدين مقدام بطل
فقتلنا الضعف من اشرافهم
وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا الوم النفس الا أننا
لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم
عللا تعلوهم بعد نهل (٣)

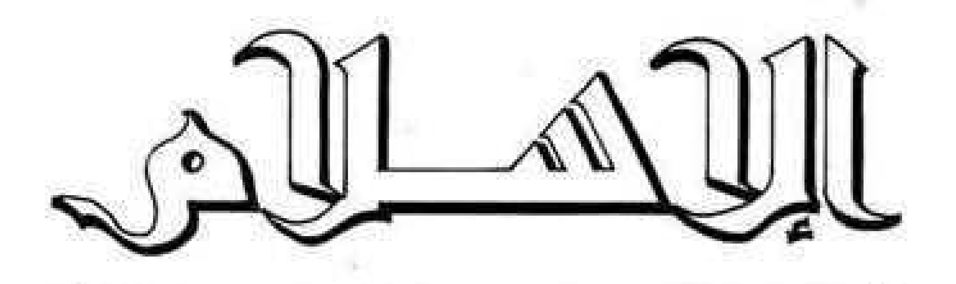
فأجابه حسان بن ثابت قال :

ذهبت يابن الزبعرى دمعة
كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم
وكذلك الحرب أحيانا دول
نضع الاسياف فى اكتافكم
حيث تهوى عللا بعد نهل
وعلونا يوم بدر بالتقى
طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم
وقتلنا كل جحجاح رفل (٤)
وتركنا فى قريش عورة
يوم بدر وأحاديث المثل

محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) اسد الغابة جـ٢ ص ٥ باب الحاء والسين .
(٢) الغلل : بضم الغين وفتح اللام جمع غلة وهى حرارة العطش .
(٣) عللا بعد نهل : بمعنى الضرب بعد الضرب .
(٤) الجحجاح : السيد - والرفل ، بكسر الراء



وحقوق المرأة



انتهينا فى المقالين السابقين الى أن الشريعة الاسلامية قد كفلت للمرأة كل اسباب الرقى والنهوض ، من خلال تشريع محكم ، يأخذ بيدها على طريق الخير فى الحياة ، ويفتح امامها ابواب الأمل ، لتكون كما أرادها الله عز وجل مدرسة لتخريج جيل قوى يؤمن بربه ، ويتحمل مسئولية وطنه بصدق ورجولة .

وذلك من خلال الأحكام الشرعية التى تنطق للمرأة بحقوق كثيرة ، حرمت منها فى تشريعات أكثر بقاع الأرض تمدينا ، وأعظمها حضارة ، بما يفصح عن سمو مبادىء تلك الشريعة الغراء وصلاحيتها لمواكبة طموحات الفكر الانسانى ، والتفوق عليه فى مجال تحقيق الخير المقصود ، والأمل المنشود : للناس أجمعين على اختلاف ألوانهم وتباين أجناسهم .

ومن هذا المنطلق قرر الاسلام للمرأة حق المساواة مع الرجل ، ولم يشأ أن يجعل من تلك القضية الخطيرة مجرد شعار يردد ، دون أن تقوم على أساس ثابت يقتضيه الطبع ، وتحتمه الحكمة (١) . ودون أن يتجاهل ما فطرت عليه طبيعة المرأة ، أو يتناسى ما هيأها الله لها فى الحياة ، ومن ثم جاءت تلك المساواة مؤسسة على التساوى فى أصل الخلقة بما لا يدع مجالا لتميز أى منهما على صاحبه بسببها ، وبما يحكم على الأفكار التى حاولت النيل من المرأة فيها بالضعف والسفه ، فلم تخلق المرأة من جوهر غير ما خلق منه الرجل ، بل ان آيات الكتاب الكريم لتنطق

(١) راجع مقالتنا بمجلة الأزهر – عدد جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ – ص ٨٨١ وما بعدها

للدكتور عبد الله مبروك النجار

بما يبرز وحدة الأصل الذى خلقنا منه ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً » (١) .

وقد أدى تساويهما فى هذا الأصل الهام ، الى التساوى بينهما فى أساس المسئولية أمام الله عز وجل عن ما كلفهما به من أحكام شرعية تتعلق بالأوامر والنواهى ، أو تدخل فى اطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بما تستلزمه تلك المسئولية من جزاء بالثواب أو العقاب ، قال تعالى : « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ » (٢) .

وقال عز من قائل : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٣) حيث دلت هاتان الآيتان الكريمتان وغيرهما ، على أن كلا من الرجل والمرأة مجزى بعمله ، وعلى هذا النحو يتأصل مبدأ المساواة بينهما .

وعلى ضوء مساواة المرأة للرجل فى أساس المسئولية ، أثبت الاسلام لها حقوقا كثيرة ، فلها حقوق المدنية ، ولها حق التعليم ، ولها فى نظر الاسلام رأى تبديه وتدافع عنه ، وتشير به (٤) .

والاسلام حين كفل للمرأة كل تلك الحقوق وغيرها ، لم يقصد أن ينال منها أو يمس بكيانها حين جعلها على النصف من الرجل فى الشهادة والميراث ، لأن الحكم فى هذين الأمرين ، قد جاء على وفق الحكمة ومتمشيا مع المصلحة رحمة بها وتخفيفا عليها (٥) ، وبما لا يدع مجالا لخصوم الاسلام بالتقول عليه ، واتهامه بمحاباة الرجل على حساب المرأة ، حقدا عليه وتأليبا للمرأة على أحكامه ، حتى يوقعوا بينها وبين أحكام ربها ، ومن ثم يصلون من خلالها الى ما يقصدون اليه من تطاول على شرع الله وتهجم على أحكامه .

كما أن الاسلام لم يقصد أن يطعن المرأة فى مشاعرها أو يهضم حقا من حقوقها ، حين أباح تعدد الزوجات ، كما يزعم خصوم الاسلام ، وكما يتقول المتظاهرون بنصرة المرأة والدفاع عن حقوقها ، ممن لا يريدون

◄

---

(١) سورة النساء ـ الآية الأولى .
(٢) سورة آل عمران ـ آية ١٩٥ .
(٣) سورة النحل ـ آية ٩٧ .
(٤) راجع فى بيان تلك الحقوق ، ونطاقها : مقالتنا السابق ص ٨٨٥ وما بعدها .
(٥) مقالتنا السابق ـ ص ٨٩١ وما بعدها .

أن يفتحوا قلوبهم له ، ولا يحبون الكلام فيه الا هجوما عليه ، وغيرهم من المبشرين الذين يعتبرون تعدد الزوجات فرصة ينتقدون فيها مسلك الاسلام ، وهم حين يستهدفون تلك الغاية الرخيصة لايهمهم مصلحة المرأة فهى لا تعنيهم ، بل هى آخر ما يفكرون فيه ، وانما الذى يعنيهم هو التهجم على الاسلام وتوجيه النقد الى أحكامه ، ولا مانع عندهم والهدف كذلك ، أن تكون المرأة وحقوقها هى وسيلتهم فى الهجوم ، على اعتبار أنه يمس شئونها ويتصل بقضاياها ، وما أسهل اثارة مشاعر النساء ، واستجلاب صراخهن على مسألة قد لا يكون للحق فيها نصيب ، من أناس لا يعنيهم الا التظاهر بالتقرب من المرأة والتودد اليها ، ومناصرة قضاياها على حساب الحق والشرع والفضيلة .

وقد رأينا أن الاسلام حين أباح للرجل أن يعدد زوجاته قيدها بالعدل وربطها بالقدرة ليؤدى التعدد رسالة اجتماعية فى الحياة تشعر كل امرأة من خلالها بكامل كيانها والأهم من ذلك كله ، كامل ايمانها بالله عز وجل الذى ما شرع حكما الا وفيه عين المصلحة لخلقه رجالا ونساء ، وليكون أداة تقويم لمسيرة المرأة على طريق الحياة الفاضلة ، وتصحيح مسلكها مع الرجل على أساس الطهر والعفة والمشروعية ، فجاءت مشروعيته متمشية مع الحكمة ، ومتوائمة مع المصلحة التى لم تقتصر على المرأة وحدها ، بل شملت الرجل والمجتمع الانسانى كله لتقيه شر الاختلاط المريب والتسيب القاتل بين الرجال والنساء (١) بينما ينجم عنهما من هلاك الحرث وضياع النسل ، والله لا يحب الفساد ، ومن العجيب أن الذين يعانون من مآسى الاختلاط المحرم بين الرجل والمرأة فى بلادهم هم الذين ينتقدون مسلك الاسلام فى اباحة تعدد الزوجات .

خصوم الإسلام ومشروعية الطلاق :

على أن مزاعم هؤلاء الذين ينتقدون الاسلام فى تشريع الأسرة ، من المبشرين ، وغيرهم ممن يرفعون شعارات باسم حقوق المرأة ، لم تنته بعد ولم تقف عند محاولة التهجم على الاسلام من خلال مشروعية تعدد الزوجات فيه ، رغم أنه موجود فى كثير من الشرائع قبله ، ورغم أن ما وجه اليه من نقد لم ينل منه ، ولا يعد شيئا يمكن أن يحجب عن القارىء المسلم جزءا ــ ولو يسيرا ــ من الفوائد التى تعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع من ورائه ، بل تعدت ذلك الموضوع الى موضوعات أخرى ، منها اباحة الاسلام للطلاق ، حيث ارتفعت أصواتهم بالنقد ، كما ارتفع صراخهم بالتهجم من قبل فى تعدد الزوجات ، بل ربطوا بين اباحة الاسلام لتعدد الزوجات ، واباحته للطلاق ،

---

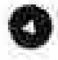
(١) راجع مقالنا الثانى فى سلسلة الاسلام وحقوق المرأة ــ منشور بمجلة الأزهر ــ عدد رجب سنة ١٤٠٥ ــ ص ١١٠٦ ــ ١١١٧ .

ربما يتوخى تضخيم المسائل أمام المرأة ، وايهامها بأن الاسلام لا يساعدها على استقرار الحياة ، دون أن يروعها بالم الفراق ، ويبعث في وجودها الخوف من شبح الطلاق ، فحياتها مهددة به ، واستقرارها مرهون بوقوعه ، ومن ثم أصبح الطلاق كتعدد الزوجات — في زعمهم — يهدر كرامة المرأة ، أو كما يقولون : « انه انتهاك للرباط الزوجي المقدس ، واهانة للمرأة التي كرامتها من كرامة زوجها ، وامتهان لحقوق الأمومة وحقوق البنوة الصحيحة ، فالأبوة ليست عملا شهوانيا ، بل هي قيمة معنوية انسانية تفقد معناها في الطلاق ، والأمومة ليست حاجة بشرية لا غير عند المرأة ، بل هي قيمة انسانية ترفع المرأة الى سمو « الام » وتفقد معناها بالطلاق ، والزوجة ليست معاشرة عابرة ، وانما هي وحدة الجسدين التي هي سبيل ودليل على وحدة القلبين والنفسين ، وتفقد هذه الوحدة الجسدية والروحية كل معناها في الطلاق ، والبنوة حرمة مقدسة يطعنها الطلاق وتعدد الزوجات في الصميم ، فتفكيك العائلة بالطلاق وتعدد الزوجات تضييع لكل هذه الحرمات والقيم الانسانية التي أرادها كتاب الخلق ..... الخ » .

تلك هي عباراتهم في نقد مسلك الاسلام في اباحة الطلاق ، أنقلها أمام القارئ بنصها — كما جاءت في كتاباتهم — ليقف معي على ما تنطوي عليه تلك العبارات من افكار تتجاهل الواقع ، ولا تصلح لحياة الناس ، وهي لا تعدو أن تكون تعبيرا عن تصور مأمول لا يقوم الا في ذهن أصحابها ، ولا يجد في الطبيعة البشرية ، ولا في سلوك الناس ما يؤيده ، والا فما قيمة كل تلك الكلمات حين يحتدم النزاع ، ويستبد الخلاف وتتفشى الكراهية بين الرجل والمرأة ؟ . ثم ما هي الفائدة التي يمكن أن تعود على المرأة أو الرجل أو الأولاد في ظل علاقة استشرت فيها نيران الحقد ، وبين جدران بيت يتربص فيه كل من الرجل والمرأة للآخر ، ليكيد له وينال منه ، على نحو ما هو مشاهد في دنيا الناس ؟ . ثم الا يكون من الأنفع لكل منهما وللأبناء جميعا بعد استنفاد وسائل الاصلاح بين الزوجين ، وفشل كل محاولات التوفيق بينهما ، أن يفترقا ، ليكون ذلك الافتراق خير علاج لتصحيح مسيرتهما في الحياة على ضوء تلك الظروف الأليمة ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا** » (١) .

أبغض الحلال عند الله :

لقد شرع الطلاق في الاسلام ليكون أداة للاصلاح ، ووسيلة للتقويم ، حتى لا تظل العلاقة بين الرجل والمرأة على ما هي عليه من شقاق لا يثمر ، وكره لا ينفع ، ومثله في تلك



(١) سورة النساء — آية ١٣٠ ، وراجع في هذا المعنى فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي — « المرأة كما أرادها الله » — ص ٥٥ — مكتبة القرآن .

الحالة كالدواء ، في مرارة الطعم وتحقيق الشفاء ، حين لا يجدى الاصلاح ولا يمكن الوفاق .

والاسلام حين شرع الطلاق ، أحاطه بالضوابط الشرعية ، التى تهذب طبيعته ، وتخفف من حدته ، ليكون مداه على الأسرة وعلى المجتمع متمشيا مع سمو التشريع الذى ما تقرره الا ليسمح به وضعا يحتم وجوده ، ويصلح به آثارا تنجم عن وقوعه ، حتى لا تضار الزوجة منه ، ولا يضيع الأولاد بسببه ، ونظرا لما ينطوى عليه من آثار تبرر قيامه ، وترفع عن الناس العنت والمشقة لغيابه ، شرعه الله عز وجل ليحقق تلك المقاصد التى تمثل عند وجودها ضرورة لا ينبغى لتشريع محكم أن يتناساها ، ولا يليق بشريعة جاءت لتحقق مصالح الناس في كل زمان ومكان أن تتجاهلها .

وهو حين شرعه لم يهمل علاج ما يترتب عليه من آثار وصولا بالأسرة الى بر الأمان ، وأخذا بيد الأولاد ـ اذا وجدوا ـ على طريق السلامة ، ومع ذلك قدر الشارع أثره على النفس ، ووقعه على المسامع ، فجعله أبغض الحلال عنده ، وضمن من خلاله رعاية حق الأمومة وحرمة البنوة ، بما لا يجعل لخصوم الاسلام فرصة للتهجم عليه ، وبما يجعل كل كلام يستهدف التشهير بالاسلام أمام منهجه القويم فيه غير ذى قيمة .

تشريع يتوائم مع الحكمة :

شرع الله الطلاق ليرفع به العنت عن خلقه ، وليكون وسيلة لتحقيق العديد من المصالح في حياة الناس ، وجعله من أبغض الأمور اليه ، لما فيه من حل الوثاق وألم الفراق .

فقد روى ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أبغض الحلال الى الله الطلاق » (١) حيث دل هذا الحديث الشريف على أنه يحسن تجنب ايقاعه ما وجد عنه مندوحة (٢) ، وكلما استطاع الانسان الى ذلك سبيلا ، الا أن ظروف الحياة قد لا تأتى على هذا النحو ، فكثيرا ما تطرأ عليهما أمور تجعل من الطلاق ضرورة لازمة بل قد يتعين وسيلة للاستقرار العائلى نفسه .

فقد يصل الشقاق بين الزوجين الى حد يستحيل عنده الصلح ، وتصبح الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ، ويصبح أفراد الأسرة جميعا ذكورهم واناثهم ، صغارهم وكبارهم مهددين من جراء ذلك بأسوأ النتائج ، وشر الكوارث في مختلف فروع حياتهم المادية والمعنوية والخلقية (٣) .

وقد تتنافر طباع الزوجين كل التنافر ، أو

---

(١) راجع « سبل السلام » ـ للصنعانى ـ جـ ٣ ـ ص ١٦٨ الطبعة الرابعة .

(٢) المرجع والمكان السابقين .

(٣) دكتور على عبد الواحد وافى ـ « المرأة فى الاسلام » ـ ص ٧٨ ـ الطبعة الثانية .

يلقى في نفس أحدهما أو كليهما كراهية شديدة للآخر ، وتعجز جميع الوسائل الانسانية عن علاج هذا الحال لأن القلوب بيد الله الذى يقلبها كيف يشاء .

وقد يتطرق الفساد الى حياة أحد الزوجين، فلا يرعى لعقد الزواج عهدا ولا يحفظ له حرمة ، ويندفع في تيار الفسق والفجور ، حتى يصبح الانتماء اليه عارا ، وينقلب الى شر وبيل لكل من يتصل به ، وتعجز جميع وسائل التقويم عن اصلاحه ورده الى الطريق المستقيم ، وقد يجن أحد الزوجين جنونا مطبقا . فيفقد جميع مميزات الانسانية فيه ، ويصبح مصدر خطر على كل من يعاشره .

وقد يصاب بمرض خطير لا يرجى برؤه ، وقد يفقد مقومات جنسه ، كما قد يكون عقيما لا يلد فلا يحقق أهم غرض من اغراض الزواج ، وقد يغيب غيبة طويلة ولا يعرف أحي هو أم ميت . وقد يحكم عليه بالسجن المؤبد ، وقد يرى الزوجان ان استمرار الحياة بينهما متعذر من جميع الوجوه ويريد كلاهما أن يفارق الآخر بالمعروف ، ليغني الله كلا من سعته (١) .

وتلك الحالات ليست من ضروب الخيال ، ولكنها كثيرا ما تقع في دنيا الناس ، ولا شك أن تحريم الطلاق مع وجودها يوقع الناس في أشد مظاهر الحرج والضيق ، ويكون القول بتحريمه هو الذى يستوجب النقد ، ويستحق النظر ، ولما كان الاسلام دينا عاما يشرع لجميع الامم والعصور ، وينظم للحياة الطبيعية الواقعية ، فقد حرص على وقاية الفرد والأسرة والمجتمع من كل ما يؤدى الى العنت والضرر ، وأباح الطلاق مع شدة تقديسه للزواج ، والنظر اليه على أنه عقد أبدى لا ينبغى فصمه بحسب الاصل ، وذلك أمر ينطق بوضوح على انه ينبغى ان يحسب للتشريع الاسلامى لا أن يؤخذ عليه .

ضمانات الاباحة في الطلاق :

لم يشأ الشارع أن يكون أمر الطلاق مباحا على الاطلاق ، بل قيده بعدد من الضمانات التى تقلل وقوعه وأحاطه بمجموعة من الاحكام التى تهذب آثاره ، وتجعل وجوده عند الضرورة خطوة نحو مصلحة الأسرة والمجتمع ، وقد جاءت تلك الضمانات تقنينا منظما للحديث الشريف الذى يدل على أن الطلاق أبغض الحلال عند الله ، وهذه الضمانات يمكن ارجاعها الى حالتين :

الأولى : قبل وقوع الطلاق .

والثانية : حال وقوعه . وينبغى بيان ذلك بشىء من التفصيل الذى يرد عن شريعة الله ما أثير من مزاعم حول اباحة الطلاق فيها ، وبيان مدى حفظ الاسلام لحقوق المرأة ، وصيانته لكرامتها من خلاله وذلك على النحو التالى :

أولا ـ الضمانات التى تسبق الطلاق :

وحتى لا يظل شبح الطلاق في حياة الأسرة

(١) المرجع السابق ـ ص ٧٩ .

لأسباب قد لا تتبصر عواقبه ، ولظروف قد لا تتدبر ما يترتب عليه من آثار تعصف بحياة الأسرة ، وتحدث فى كيان الأبناء جرحا لا يلتئم ، وصدعا لا يرأب ، أرشد الشارع الى عدد من المسائل التى لو اتبعها الزوجان ، وتمسك بها المجتمع ، لأدت الى التقليل من وقوعه ، ومنها :

١ ــ حسن العشرة والصبر على المرأة :

وفى هذا الصدد أحاط الاسلام عقد الزواج بسياج من القدسية والجلال بما يجعله متميزا عن سائر العقود ، وينزله فى النفوس منزلة المهابة والاكبار ، ولذلك وصفه القرآن الكريم بما لم يصف به أى عقد آخر ، قال تعالى :

« وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا » (١) .

وليس بخاف ما يرشد اليه ذلك القول الكريم من نظرة الاسلام الى النكاح ، ولا يعقل أن يعتبره ميثاقا غليظا ، ثم يجعل فصمه بعد ذلك من الهنات الهينات ، ولهذا بغض الاسلام فى الطلاق ، وحث المسلمين على اتقائه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وعلى هذا النحو أمر الشارع ــ سبحانه بالصبر على المرأة وحسن عشرتها .

ومن مقتضى حسن العشرة أنه لا ينبغى السير الى الطلاق لأسباب يمكن علاجها ، أو لأمور موقتة يمكن أن تتغير فى المستقبل ، ومنها : تقلب العاطفة .

فالاسلام يقرر أنه لا ينبغى أن يفكر الزوج فى الطلاق لمجرد تغير عاطفته نحو زوجته ، أو لمجرد عدم ارتياحه الى بعض أحوالها وأخلاقها ، والتى ليس فيها ما يمس الدين أو الشرف (٢) ، لأن العواطف متقلبة ، ولا يصح أن تبنى عليها أمور خطيرة تتعلق بكيان الأسرة ، فبغيض الانسان اليوم قد يكون حبيبه غدا ، والزوج ان كره من زوجته خلقا قد يجد فيها خلقا آخر يرتضيه ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » (٣) .

وقد روى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لايفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضى منها آخر » (٤) ، أى لا ينبغى للمؤمن أن يكره زوجته لخلق واحد لا يعجبه منها ، ويتغاضى عما بها من أخلاق أخرى فاضلة تعجبه .

وجاء رجل الى عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يستشيره فى طلاق امرأته فقال

---

(١) سورة النساء ــ آية ٢١ .

(٢) دكتور على عبد الواحد وافى ــ نفس المرجع ــ ص ٨٦ .

(٣) سورة النساء ــ آية ١٩ .

(٤) رواه مسلم ، ومعنى « يفرك » ، بفتح الياء واسكان الفاء وفتح الراء : يبغض ، راجع : « رياض الصالحين » للنووى ــ ص ١٤١ ــ دار الحديث .

له عمر : لا تفعل فقال ولكني لا أحبها ، فقال له عمر ويحك ... ألم تبن البيوت الا على الحب ؟ . فأين الرعاية وأين التذمم ؟ » . وهو يقصد أن البيوت اذ عز عليها أن تبنى على الحب .. فهي خليقة أن تبنى على ركنين آخرين شديدين .

أحدهما : الرعاية التي تبث الرحمة في جوانبهما . ويتكافل بها أهل البيت في معرفة مالهم وما عليهم من الحقوق والواجبات .

وثانيهما : التذمم والتحرج من أن يصبح الرجل مصدرا لتفريق الشمل . وتقويض البيت . وشقوة الأولاد . وما قد يأتي من وراء هذه السيئات من نكد العيش وسوء المصير (١) .

واحسان العشرة من الزوج واجب عليه ، يقابله حق له على زوجته بحسن عشرته . وهي من الزوج ليست خاصة بكفاية الزوجة من الطعام والشراب وصنوف الزينة . كما أنها من الزوجة ليست قاصرة على اجابتها الزوج اذا دعاها . ولا أن تهيء له طعام الغذاء والعشاء فقط . وانما هي معنى ينبعث من قلب أحدهما الى قلب صاحبه . مدفوعا بروح المحبة والمودة . وروح الايمان بالمهمة المشتركة بينهما . والملقاة على عاتقهما في تذليل سبل الحياة وتربية الأولاد وتدبير المنزل بما يضفي على الجميع متعة المادة ، وسعادة الروح(٢) .

٣ ـ وضع الأسس لحل مشاكل الأسرة :

ولم يترك الشارع سبحانه الأسرة المسلمة حتى تقع فريسة الشقاق لتنتهي الى الطلاق ، فأمر الزوجين عندما يحدث بينهما شقاق أو نفور أن يعملا على ازالته باثارة دواعي الرحمة والوئام . وفي هذا يقول الله تعالى :

« وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » (٣) .

حيث أرشد المرأة اذا خافت من زوجها فتورا في العلاقة الزوجية ، وما تقتضيه من راحة واطمئنان أن تعمل على كسب قلبه بما تقدر عليه من وسائل الترضية المشروعة التي لا تمس خلقا ولا دينا . وأن تتنازل في سبيل ذلك عما جرت عادة الزوجات بالتمسك به من الرغبات . وأن تحسن بقدر ما تستطيع معاملتها له . وتتقي تفاقم الشر بينهما ؛ وكم من كلمة طيبة أو اشراقة في وجه أو ابتسامة في مقابلة أو عدول عن رغبة يكون له الاثر الحسن في عودة النفس الى صفائها ، والقلوب الى تلاقيها (٤) .

(١) دكتور علي عبد الواحد وافي ـ نفس المرجع ـ ص ٨٣ .

(٢) . الاسلام عقيدة وشريعة ، للامام الاكبر محمود شلتوت ص ١٧٩ ـ دار القلم .

(٣) سورة النساء ـ آية ١٢٨ .

(٤) . الاسلام عقيدة وشريعة . ـ ص ١٨٤ .

تلك هى حالة خوف المرأة من نشوز زوجها ، وذلك هو توجيه الاسلام لعلاجها : أما اذا تطرق الشقاق الى قلب المرأة ودفعها للنشوز ، هنا أرشد القرآن الكريم الى أن النساء ــ أمام قوامة الرجال عليهن ــ منهن صالحات شأنهن القنوت ، وهو السكون والطاعة لله فيما أمر به ؛ ومن القيام بحقوق الزوجية ، والخضوع لارشاد الرجل ورياسته البيتية فيما جعلت له فيه الرياسة ، والاحتفاظ بالأسرار الزوجية والمنزلية ، التى لا تطيب الحياة الا ببقائها مصونة محترمة ، وهذا الصنف من الزوجات ، ليس للأزواج عليهن شىء من سلطان ، قال تعالى : « **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ** » (١) .

اما غيرهن وهن اللاتى يحاولن الخروج على حقوق الزوجية ، ويحاولن الترفع عن مركز الرياسة البيتية ، بل على ما تقتضيه الفطرة النسائية السليمة ، فيعرضن الحياة الزوجية للتدهور والانحلال .

فقد وضع القرآن الكريم لردعهن ، واصلاحهن وردهن الى مكانتهن الطبيعية والمنزلية طريقين واضحين ، مألوفين فى حياة التأديب والاصلاح ، وكل أحدهما الى الرجل بحكم الاشراف والرياسة ، وصونا لما بينهما من الشيوع والانتشار حتى يسوى ما بين الزوجين من المشاكل أن يتسمع الناس (٢) .

ذلكم الطريق هو أن يعالجها بالنصح والارشاد عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، ثم بالهجر اذا لم يثمر الوعظ ، ثم بقليل من الايذاء البدنى اذا اشتد بها الصلف ، وأسرفت فى الطغيان ، وفى ذلك يقول الحق سبحانه : « **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** » (٣) .

حدود حق الزوج فى التأديب :

وينبغى أن يكون معلوما ان حق الزوج فى تأديب زوجته بهذا النوع من الايذاء البدنى الخفيف ، لم يكن هو كل ما شرعه الاسلام من علاج ، ولا هو أول ما شرع الاسلام من علاج ، وانما هو واحد من أنواع ثلاثة ، جاء آخرها فى الذكر ، كما هو آخرها فى الالتجاء ، فالتى يكفيها الوعظ بالقول لا يتخذ معها سواه ، والتى يصلحها الهجر نقف بها عند حده ، وهناك صنف من النساء معروف فى بعض البيئات لا تنفع فيه موعظة ، ولا يكترث بهجر ، وفى هذا الصنف أبيح للرجل نوع من التأديب المادى ، وجعله القرآن آخر الوسائل الاصلاحية التى يملكها الرجل ، وبذلك كان كالدواء الاخير الذى يلجأ اليه عند الضرورة.

كما أن الاسلام يستلفت نظر الرجل حين تضطره الظروف الى اللجوء لهذا النوع من

(١) سورة النساء ــ آية ٣٤ .
(٢) « الاسلام عقيدة وشريعة » ــ ص ١٨٢ .
(٣) سورة النساء ــ آية ٣٤ .

التأديب . أن يكون حكيما فى تصرفه ، حتى لا يفلت الزمام من يده ، ليعلم أنه وسيلة للاصلاح وليس أداة للهدم وأنه كالدواء الذى يشفى ، وليس كالسم الذى يقتل ، ومن ثم ينبغى أن يكون هينا لينا لا يصل الى حد ايذاء المرأة فى مشاعرها ، أو ممتهنها فى كرامتها ، والا فانه قد يدفع المرأة الى زيادة التمرد وشدة النشوز .

وصدق رسول الله اذ يعلم الرجال حدود استعمال تلك الرخصة بقوله الكريم ، فيما رواه البخارى عن عبد الله بن زمعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ولعله أن يضاجعها » (١) . فقد دل هذا الحديث على جواز الضرب الخفيف الذى لا يصل الى حد الايذاء .

كما دل الحديث على علة النهى ، وهى أن ذلك لا يستحسنه العقلاء من الرجال فى مجرى تعاملهم مع زوجاتهم ، لأن الجماع لا يأتى الا مع ميل النفس وحسن العشرة ، والمضروب ضربا شديدا ينفر عمن ضربه ، بخلاف التأديب المستحسن فانه لا ينفر الطبع ولا يفسد الزوجة ، كما أنه يبنى ولا يهدم (٢) .

وفى هذا الصدد يقول صاحب سبل السلام : « ولا ريب أن عدم الضرب والاغتفار والسماحة أشرف من ذلك ، كما هو اخلاق رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

وقد أخرج النسائى من حديث عائشة ، « ما ضرب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — امرأة له ولاخادما قط ، ولاضرب بيده قط الا فى سبيل الله ، أو تنتهك محارم الله فينتقم لله » (٣) .

مزاعم خصوم الاسلام مستمرة :

ورغم أن التأديب المادى لأرباب الشذوذ والانحراف الذين لا تنفع فيهم الموعظة ولا يجدى فيهم الهجر ، أمر تدعو اليه الفطرة ويقضى به النظر السليم .

وقد جاء كما أرشد الهادى البشير — صلى الله عليه وسلم — ، على النحو الذى لا يجرح المرأة ولا يدمى مشاعرها ، على أساس أنه للبناء وليس للهدم ، ليكون هو البديل لتصرفات كثيرة غيره تطعن كرامة المرأة فى الصميم ، وجدير بالنظر العاقل أن يتدبر أن الامرين أحفظ لكرامة المرأة ، أن يهرع زوجها كلما وقعت فى شىء من المخالفة الى أبيها ، أو الى الحاكم ويفشى أسرار بيته ، وينشر ثوبها أمامه ؟ .

أتقبل أن تترك تسترسل فى نشوزها فتهدم بيتها وتشرد أطفالها أم تقبل بهدوء واطمئنان أن ترد الى رشدها بشىء من التأديب

(١) « سبل السلام » للصنعانى — جـ ٣ ص١٦٥
(٢) « سبل السلام » — جـ٣ — ص ١٦٥ وما بعدها .
(٣) المرجع السابق — ١٦٦ .

الاسلام وحقوق المرأة

المادى الذى لا يؤذى ولا يخرج عن المألوف فى اطار الاصلاح ؟ ومع وضوح الحق فى جانب الاسلام الا أن خصومه كعادتهم يرغمون عقيرتهم بالاسفاف والصراخ ، مهونين من مسلكه ، زاعمين أنه لا يتفق وطبيعة التحضر القاضى بتكريم الزوجة واعزازها (١) .

ويبدو من خلال ما أبدوه من ملاحظات أنهم قد انحرفوا فى فهم التأديب وأساءوا العلم به ، ولو أنهم نظروا اليه بعين الانصاف ، لوجدوا أنه ينطوى على خير كثير للمرأة قد لا يتحقق الا به ، كما غاب عن ذهن هؤلاء أن الاسلام لم يكن لجيل خاص ، ولا لأقليم بعينه ، ولا لبيئة معينة ، وانما هو تشريع وارشاد لكل الأجيال ولكل الأقاليم ولكل للبيئات ولم ينظر الى هذا العلاج الأخير الا كما وضعه بعد الوعظ والهجر (٢) .

وقد أبرز القرآن الكريم الصنف المهذب من النساء اللاتى يترفعن بخلقهن ، وتربيتهن وايمانهن ، عن النزول الى درك المستحقات للهجر فضلا عن منزلة المستحقات للضرب ، وأفرغ عليهن من صفات الاجلال والتكريم ما يجدر بكل زوجة أن تعمل على التحلى بها والانطباع عليها ، ومن المؤكد أن كل تلك المعانى لا يرقى الى النيل منها لجاج خصم ، أو اسفاف حاقد على الاسلام .

وعلى المرأة التى أنصفها الاسلام ، والحق أن هؤلاء المتأففين من تشريع القرآن فى هذا المقام ليسوا الاستمتفين لعواطف بيئة خاصة معروفة من النساء ، يتظاهرون أمامها بالحرص على كرامتها وعزتها ، وعلى أن تكون فى مستوى لا تعلق به الأبصار الا على نحو خاص (٣) .

فاذا ما اشتد الخلاف وتفاقم الامر بين الزوجين ، ولم يجد أحدهما سبيلا لاصلاح ما بينهما ، فمن واجبهما أن يقفا كل من الآخر على الحياد لا يشتط أحدهما فى ايذاء صاحبه ، ولا يتمادى فى اهانته وقهره ، ذلك واجبهما اذا لم يقدرا على غسل ما بينهما ، وتلاف ما فى نفوسهما ، وهناك واجب آخر على جماعة المسلمين ، هو حق للزوجين ، أو حق لأسرتهما ، وبالتالى حق للامة على الجماعة التى تعمل فى سبيل الخير والاصلاح بين الناس .

وقال تعالى : « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا » (٤) ، والآية الكريمة ترشد الى أن الاصلاح بين الزوجين وان كان واجبا بوجه أخص على المسلمين ، فان وجوبه على

« البقية ص ١٣٤٤ »

---

(١) ـ الاسلام عقيدة وشريعة ، ـ ص ١٨٢
(٢) المرجع والمكان السابقين .
(٣) ـ الاسلام عقيدة وشريعة ، ص ١٨٤ .
(٤) سورة النساء ـ آية ٣٥ .



ابن مسكويه

فيلسوف إسلامي يتحدث عن الموت

للدكتور محمد رجب البيومي

يعرف دارسو الفلسفة الأخلاقية فى الاسلام ، مكانة الأخلاقى المنطقى المفكر أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه احد اعلام القرن الرابع الهجرى ، وهو قرن رزق الحظوة فى ابنائه النوابغ ، واعلامه المشاهير ، اذ بلغ العقل الاسلامى فيه ذروة عالية ينبىء عنها ما ترك مفكروه من آثار رصينة فى الأدب والعلم والفلسفة والشعر .

وكان ابن مسكويه أحد هؤلاء العباقرة لأن انتاجه الفلسفى والتاريخى كان من نسق خاص يتميز به وحده ، فنظراته التاريخية فى كتابه الشهير (تجارب الامم) تدل على عمق وغور واتساع ، أما نظرياته الأخلاقية فى كتاب (تهذيب الأخلاق) فقد دلت على شخصيته أبلغ الدلالات ، واذا وجد بعض الغموض فى تعبيره فهذا شىء لا ينجو منه من يتعاطى المنطق ويكتب فى فلسفة الأخلاق ، ولاندعى أن الرجل كان أديبا من الطراز الاول حتى نجعل أسلوبه نمطا للتعبير البليغ ، وحسبه أن أفصح عن ذات نفسه ، وذخيرة علمه فى آثار تعبق بأريج الفلسفة ، وهو أريج من نوع خاص لا يقدر على استنشاقه غير الفاقهين .

وقد جمع الرجل فى حياته الخصبة الممتدة بين العلم والعمل ، اذ كان سلوكه نمطا فريدا لدارس الأخلاق الذى يحرص على نزاهة السلوك ، واستقامة السيرة ، ولابد أنه قد كابد كثيرا فى سبيل هذه الاستقامة ، اذ ان عصره السياسى كان مثار اضطرابات هائلة ، بين الحكام والوزراء وارباب الحل والعقد ، فقد يلى الامر فجأة من كان خاملا مغمورا لينهج نهجا مخالفا لسابقه ، وليعصف بمن كانوا موضع استشارته وتنفيذه وأداة حكمه ، ولابد لمن اتصل بهؤلاء السياسيين كابن مسكويه أن يحذر العواقب ، وأن يقدر لرجله موضعها قبل الخطو ، واذا استطاع النجاة فى هذا الخضم المضطرب فهو على حذق بصير !

ابن مسكويه

عهد أخلاقى

ومن أنفس آثار ابن مسكويه ما التزم به خلقيا فى سيرته المعيشية ، اذ كتب عهدا لنفسه يجعله نبراسا يهتدى به فى ظلمات عصره المتناقض الجياش ، وقد كان كثير المعاودة له ليطمئن على تنفيذ أوامره ونواهيه وتلك احدى الحيل الناجحة التى يقوم بها السلوكيون حين يلتزمون وجهة صعبة يخافون أن يحيدوا عنها، فهم يرجعون الى دستورهم الخلقى بين الفينة والفينة ليتأكدوا من نزاهة السير ، وسلامة الاتجاه وقد قال الفيلسوف فى مطلع عهده :

(هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ربه وهو يومئذ آمن فى سربه ، معافى فى جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مراءاة مخلوق ، ولا استجلاب منفعة ولادفع مضرة عاهد على أن يجاهد نفسه ، ويتفقد أمره ، فيعف ويحكم وعلامة عفته أن يقتصد فى مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعى النفس الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب فى غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر فى اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شىء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح نفسه أولا ، ويحصل من هذه المجاهدة ثمرتها التى هى العدالة).

ثم مضى العهد يتحدث عن ايثار الحق على الباطل والصدق على الكذب ، والخير على الشر ، والجهاد النفسى الدائم المبعد عن الشهوات ، ومحبة الجميل لأنه جميل والحرص على الزمن والاشفاق من الخطيئة وترك الخوف من الموت ، الى غير ذلك مما يستلزم ايضاحه كتابا مستقلا برأسه ، وبمراجعة حياته الطويلة كما كتبها مؤرخوه نجد أنه استطاع أن يلتزم بما قال قدر الطاقة فلم يؤاخذه أحد بزلة أو ريبة ، ولم يشتهر بغير ما دعا اليه من مسلك خلقى فى كتابه (تهذيب الأخلاق) ولم نر أحدا من الكاتبين حاول انتقاصه غير أبى حيان التوحيدى .

(رأى أبى حيان التوحيدى)

كان أبو حيان التوحيدى أبلغ كتاب عصره على الاطلاق ، وقد ظهرت كتبه الحافلة فى هذا العصر فأشارت الى قيمته الأدبية بما لا يقبل الانتقاص ، واذا كان قد عاش فى عصر ابن العميد والصاحب والخوارزمى والصابى والهمذانى وأضرابهم من أئمة البيان قد كان أحسنهم بيانا وأطبعهم أسلوبا ، وأعرقهم غوصا ، ولكنه لم يأخذ مكانه المطمئن فى حياته لأخلاق ترجع الى طبيعة التسرع والانفعال والمواجهة فى مسلكه ؛ أو قد تحدث عن أكثر معاصريه لينتقصهم ، وكان ابن مسكويه بين هؤلاء الذين قسا عليهم أبو حيان حين قال عنه (انه فقير بين أغنياء ، وعيى بين أبيناء وانه بخيل شحيح) وهى صفات لا تصدق من طرف واحد ، وبخاصة اذا اشتهر قائلها بالتزيد المنفعل ، وقد يكون قوله (عيى بين أبيناء) مما يرجع الى تعاطيه الفلسفة والتزامه بقيود المنطق ، لأن صاحب المنطق شحيح اللفظ نكز التعبير ولا حيلة له فى ذلك حين يخضع

لظروف ثقافته وأذكر أن هذه العبارة (عيسى بن أبيناه) قد خفيت على الأستاذ حسن السندوبي فيما كتبه عنه في كتاب المقابسات الذي قام بنشره منذ عهد بعيد فجعلها (غبي بن أبيناه) والصواب ما ذكرناه نقلا عن تصويب أحمد الزين •

الخوف من الموت

عرفنا أن ابن مسكوية قد عاهد نفسه أن يترك الخوف من الموت ، مع أن خشية الموت كالأمر الغريزي الذي لا حيلة في دفعه ، ولاشك أن الرجل قد وقف طويلا عند هذا الحدث الهائل المخوف ، وأمعن في تحليله منطقيا ووجدانيا حتى اهتدى الى أمور هامة عن الموت ، تحدث عنها باشباع وافاضة في كتابه القيم (تهذيب الأخلاق) وسنحاول أن نجمل رأيه لنرى كيف استطاع أن يملأ قلوب الناس بالطمأنينة ، وكيف حاول أن يجعل هذا الحدث الهائل شيئا طبيعيا لا خشية منه ! والافاضة هنا أمر نسبي بالقياس الى فيلسوف كابن مسكويه ، لأن مثله في التزامه بالتعبير المنطقي يحسب عباراته بالمليمتر والسنتيمتر ، وليس ممن يستفيض ويمتد ويجيش ويهدر كما نرى لدى فريق من معاصريه .ولكل وجهة هو موليها •

يقول ابن مسكويه :

ان الخوف من الموت ليس يعرض الا لمن لايدرى ما الموت على الحقيقة •

أولا يعرف الى أين تصير نفسه •

أو لأنه يظن أن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وأن العالم سيبقى موجودا وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد •

أو أنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت اليه ، وكانت سبب حلوله •

أو لأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت •

أو لأنه متحير لا يدرى على أى شىء يقدم بعد الموت •

أو لأنه يأسف على مايتركه من المال والقنيات •

وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها) •

تلك هى الأسباب التى تجعل الانسان يخاف من الموت في رأى الفيلسوف المفكر ، وهى أسباب حقيقية تجد مرآتها الصادقة في نفوس الكثرة الكاثرة من الناس ، وقد أحسن الرجل احصاءها وسردها في وضوح وتحديد ، وكان له أن يأخذ في تحليلها تحليلا منطقيا ليرد عليها أبلغ رد بما وصل اليه من حل علاجى دقيق وهذا ما وفق اليه حين وقف وقفة موضوعية أمام كل سبب رآه ، وسنلقى بعض الضوء على ما اهتدى اليه من تشريح دقيق •

حلول ابن مسكويه :

يرى ابن مسكويه :

أن من يخاف الموت لأنه يجهل حقيقته عليه أن يعلم أن الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال أعضائها كما يترك الصانع استعمال أدواته ثم يذهب خارج المصنع ، فكذلك تترك الروح الجسم وتذهب لتعيش في مكان آخر ، والروح جوهر لا عرض فهى غير قابلة للفساد كما يفسد الجسم بل انها تتخلص من كدر الطبيعة وتستعد للهناءة

ابن مسكويه

الدائمة فى عالم الخلود اذا قدمت الصالحات.

والذى يخاف الموت لأنه لا يعلم الى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بهذا انسان لا يخاف الموت على حقيقته ، وانما يجهل ما ينبغى عليه أن يعلمه ، فالجهل اذن داعية الخوف ، ولابد أن يداوى الجهل بالعلم، والعلم يقول ان الانسان فى تعريفه الحقيقى حيوان حى ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه تتحقق رسالته النهائية وهى الالتحاق بالرفيق الأعلى ، ومن علم أن كل مركب من جنس وفصل لابد أن يتحلل الى جنسه وفصله وأن جنس الانسان هو الحيوان الحى ، وفصله هو الناطق الميت علم ـ اذن ـ أنه لابد أن ينحل بعد التركيب ، وهذه حقيقة لابد أن يعرفها كل انسان وليس فى الدنيا أجهل ممن يخاف تمام ذاته وحصول كماله وذلك أن الناقص اذا خاف التمام فقد دل على جهله اذ كل عاقل يستوحش من النقصان ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله .

وأما الذى ظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى تتقدم الموت عادة فعليه أن يعلم أن الألم للحى فقط وهو الجسم أما المقابل وهو الروح فلا ألم له بعد فراق الجسم .

فاذا ذهبت الى الذى يخاف الموت من أجل ما يتوقع من عقاب على ما قدم فى الحياة من أخطاء فاننا نجده لا يخاف الموت فى حقيقته بل يخاف ما بعده ، وعليه أن يمتنع عما يغضب الله من ذنوب ، وأن يواصل ما يرضيه من حسنات وحينئذ يكون الموت مأمون العاقبة لدى نفسه، بل هو مما يشتهى لدى الصالحين من ذوى الاحسان والمروءات .

وأما الذى يخاف الموت لأنه يفقده ما ترك من الثروات والأهل والولد ،فعليه أن يعلم أن كل كائن زائل ، وأن الذى تركه لن يبقى أبدا.

هذه هى الردود التى أقنع بها الفيلسوف نفسه حين واجه الخشية من الموت مواجهة منطقية ، وقد شفع هذا التحليل بآراء فلسفية تنتهى الى أن الانسان كائن من الكائنات فهو فاسد لامحالة لأن كل كائن لابد أن يفسد ، ومن أحب ألا يفسد فقد أحب ألا يكون أصلا ، فاذا كان موجودا على الحقيقة فلابد أن ينتهى الى حده المعلوم ، ثم ختم الفيلسوف تحليله بقوله ملخصا :

(لقد ظهر ظهورا حسيا أن الموت ليس بردىء كما يظنه جمهور الناس ، وانما الردىء هو الخوف من الموت ، وأن الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته ، أما الروح فجوهر لاعرض وهى باقية بعد الانتقال) .

هذا شىء من منطق الفيلسوف نجده مع أشياء كثيرة فى كتابه القيم (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) وهو كتاب يقرن بما كتب كبار الفلاسفة من آثار ، وقد عقدت مقارنات كثيرة بينه وبين ما كتب أفلاطون وأرسطو فى باب الأخلاقيات وهو بعد : تراث اسلامى حفيل .

د / محمد رجب البيومى

شعر وشاعر

يا أيها النبي

أنا مسلم

نجوى القمر

ألوان من الأدب النسائي

إطلالة على ديوان إشراقة

القبلة ونصف شعبان

يا أيها النبي

ما بال وجهك فى السماء يتقلب … ولحاظك اليقظى تجيء وتذهب

هل فى فضاء الكون ترصد آتيا … ام فى فؤادك عند ربك مطلب ؟

اهناك موعدة وعدت بها فانت لها على ابوابه تترقب ؟

ماذا اهمك ياحبيب الله من … امر ، وان لك الخوارق توهب ؟

ان الذى اوحى اليك بدينه … لهو الكفيل بما تحب وترغب

ما جال فى احناء صدرك خاطر … الا وكان به لدينك مأرب

وخواطر الرسل الكرام من الحقيقة ومضها ، ليست بروقا تخلب

اتريد يانور البصائر قبلة … وسطا لاوسط أمة تتحزب ؟

فى الخير تجمع امرها لا تعتدى … لكن تصد المعتدين وترهب

وتقوم شاهدة على امم الورى … بالعدل والقسطاس لا تتنكب

فرسالة الاسلام توجب قبلة … مخصوصة تعزى اليه وتنسب

يهفو اليها قلب كل موحد … ان شرق قد ضمه أو مغرب

يتعانق الارواح عند رحابها … وتعب من نبع الصفاء وتشرب

الله فى كل الجهات سبيله … لكن توحيد التوجه مذهب



للاستاذ محمد عبد الرحمن صالح الدين

لك يامحمد ما تشاء فانه ... الهام ربك فى فؤادك يسكب

فالكعبة الغراء منذ اليوم قبلتـ...ك التى هى للحنيفة أنسب

ارسى قواعدها الخليل بامر ربك والذبيح وانه نعم الأب

لتكون مامن خائف وملاذ عبد قانت من ربه يتقرب

وتكون قبلة امة قد أخرجت ... للناس نورا شمسه لا تغرب

ورثت رسالات السماء فدينها ... من كل أديان البرية أرحب

اشفى على الدنيا باحكم شرعة ... للعالمين معينها لا ينضب

تهدى السعادة والرشاد لعالم ... يشقى بما شرع الهوى ويعذب

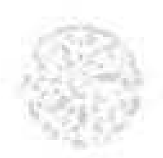
فى ظلها يجد السكينة مخبت ... ويبوء مزدجر النوازغ مذنب

فهى الجديرة بالتميز مثلما ... يمتاز فى داجى الظلام الكوكب

ياليت من جنحت به أهواؤه ... عن نهج ملته يفئ ويقرب

ليحس عند القيظ أن مظلة الاسلام كم تحنو عليه وتحدب

هل كان الا رحمة قدسية ... للناس أن لاذوا به وتأدبوا



أنا مسلم

للأستاذ أبو زيد ابراهيم سيد

قمها فانت ـ مدى الزمان ـ الأعظم
انـا قمـة شماء لاترقى لهـا

انـا غصن زيتون ونبع سماحة
انـا مورق بالنور غبى ما راى

انـا لم ارم يومـا عداء او اكن
كنت المصباح بشرعتى وعقيدتى

والغرب يشهد كيف كنت صباحه
وسكبت انوار المعارف باعثـا

وفرشت بالنور الوضىء دروبه
وبنيت جامعة المعارف والنهى

فسل الذين تشدقوا بحضارة
صاغوا عيون الابرياء تمائما

واذا راوا نور الصباح بامة
قتل الشعوب لديهم حرية

وتفننوا فى المهلكات كانما
الوحش فى الغابات يرحم جنسه

ان الحضارة لم تعد فى عرفهم
الله اكبر لا نجاة ولا هدى

واملا بها سمع الورى انـا مسلم
شمس السماء مكانة والأنجم

بالحب والايمان قلبى مفعم
للحقد ظلا فهو سم أرقم

اشدو على سيل الدماء وابسم
وهدى النبى بمهجتى يتجسم

وحياته الصماء ليل مظلم
عقلا له فى جهله يتالم

فصحا لأضواء العلوم يلملم
والغرب تلميذ بها يتعلم

فى عصرنا الذرى هذا : من هم ؟
وشدّوا على سيل الدماء ورنموا

خنقوا بنيها بالدمار وكمموا
واذا صحا شعب فهذا مجرم

لهم النعيم وللشعوب جهنم
اما بنو الانسان لما يرحموا

الا الدمار لكل شعب ينعم
الا بشرع الله فهو الأعظم

نجوى القمر

للدكتور عزت شندى موسى

كم دار حولك مجلس السمار ... وسمت اليك مسارح الأفكار
ورنت لنورك فى الظلام محاجر ... وهفت اليك لواحظ النظار
وسرى بهديك فى الفلاة مسافر ... فبقيت هدى الرحل فى الأسفار

* * *

يا بدر قد آذوك حين تطاولوا ... وسموا الى سراك فى اصرار
فجعوا الالى عشقوا سناك وشوهوا ... مذكى الخيال ومنبع الاشعار
بل دنسوا طهر الفضاء وعكروا ... صفو الضياء ومرتع الأطيار

* * *

يا أيها الرواد كيف لحقتمو ... قمر السما .. فى ليلة ونهار ؟!
بل كيف حلقت (السفينة) مثلما ... نسر يحلق دون أى عثار
ماذا سمعتم عنده .. هل أطربت ... أسماعكم ورق وشدو هزار
ولى زمان العير دون توقف ... وبآثره .. ولى زمان بخار
وستسرع الدنيا على عهد بها ... وسينقضى منها زمان قطار
وترى محطات الفضاء كأنها ... فى الجو قد حلت محل مطار

* * *

هل آمن الرواد لما شاهدوا ... صورا بدت من قدرة الجبار
الله رائدهم وتبع علومهم ... ونجاحهم قدر من الأقدار
لو شاء لم تثبت بغير حواجز ... بين الرياح الهوج والاعصار
آمنت أن الكون دان لخالق ... رب الشموس ومبدع الأقمار

* * *

يا أيها القمر خذ لى ملجأ ... بذراك .. ينجينى من الأكدار !

موكب الربيع

ملأ الأفق بهجة وبهاءا وكسا الأرض زينة ورواءا

موكب ضاحك المباسم طلق يتهادى من حسنه خيلاء

طاب أصباحه فراق صباحا وصفا ليله فرق مساء

باكرت راحه الطيور فراحت تنغم الدوح فرحة وغناء

وتناجت به الخمائل سكرى شربت من رحيقه الأنداء

وكأن الربا عرائس هبت من كراها تطارد الاغفاء

فتنة تجتلى ، وظل ظليل وعبير يعطر الأرجاء

***

موعد للمنى يفيض رغابا وشباب يجدد الأحقابا

كلما روع الزمان مشيب عاد فى ظله الزمان شبابا

هو روح تنساب فى كل شىء نفسا عاطرا ولحنا مذابا

وحياة تدب فى الأرض حتى كاد أن يفصح الجماد الخطابا

لبست من بروده حالى الوشى وحاكت خميلة جلبابا



للدكتور حسن جاد

روضة للأرواح تستاف رياها   وساق يشعشع الأكوابا

***

عاد آذار كالضحى اشراقا   يترع الكأس للندامى دهاقا

عبقر الفن يلهم الشعر علويا   فيطوى خياله الآفاقا

ولقد أيقظ المشاعر حبا   وحنينا ، وجدد الأشواقا

يسكر الروح والنواظر مرآه كما اسكر الندى الأوراقا

هام قلبى فى افقه الطلق نشوان يبارى طير الروابى انطلاقا

***

لا احس الربيع الا بنفسى   مجتلى بهجة وجلوة عرس

وبروحى أراه لا بعيونى   مطلعا للمنى ومشرق شمس

ما الربيع الضحوك الا امان   مشرقات تجلو غياهب يأس

وعبير تهفو به نسمات   ان سرت فتحت مغالق نفسى



أعلام من الأدب النسائي

الشاعرة روحية القليني

٢

ولنأت اليوم الى الشعر الوطني عند الشاعرة الراحلة روحية القليني .. حقا ان الشاعرة كثيرا ما عبرت بأصالة عن أحاسيسها الوجدانية ، وترجمت عواطفها الذاتية ، وانشغلت بأمور دنياها الخاصة في أحزان وحدتها ، ولكنها أبدا لم تنس أنها مواطنة مصرية صميمة ، تحيا فوق أرض عزيزة غالية ، تتأثر بأحداثها ، وتشعر بآلامها وآمالها ، وتحارب بالكلمة الضعف اذا وجد ، والتردد ان بدا ..

شعرها في هذا المجال يعد رسالة هادفة أمينة ، تهدى الى كل مواطنة عربية في شتى أنحاء العالم العربي .

ولم يخل ديوانها من القصائد الوطنية ، متفانية في نظمها للتعبير عن مشاعرها الفياضة ، لوطنها : مصر الخالدة .

فكتبت عن عيد الجلاء ، وقد تحررت مصر من نير الاستعمار ، ونظمت مشيدة بالسد العالي ، ولهجت بالثناء على (بورسعيد) في وقفتها البطولية ابان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ .

واتسع شعرها حتى شمل الأمة العربية كلها ، بأحداثها الجسام ، خلال مذابح الجزائر ، ونضالها المستميت .. وأرادت أن تضمد بكلماتها الرقيقة جراح فلسطين الطيبة وكانت حين ترى المحتل الغاصب يدوس بقدمه أرض مصر ، وطنها الطاهر ، تسري في عروقها دماء الوطنية المقدسة صارخة مدوية ، فتعبر عن انفعالاتها بعمق وصدق احساس ، فتستشعر عاطفة الأمومة — التي حرمت منها ولم تذق بشرياتها — فتهتف في قصيدة : « الى الميدان ياولدي » من ديوانها « لك أنت » (١) :

---

(١) ص ١٠ .



بقلم الشاعرة جليلة رضا

الى الميدان يا ولدى
الى الميدان يا ولدى
فمن للأرض يحميها
سوى الأبطال والأسد
ومن أغلى لدى هنا
لأهديه الى بلدى
اليك اليك يا وطنى
أقدم كل ما بيدى

ثم تقول ، وقد تملكها احساس حقيقى ، أن لها ابنا بالفعل ، تناجيه ، وتقول :

سأطوى الشوق فى قلبى
وما قلبى لك السالى
وتمعات أعد هدها
ببيتى الموحش الخالى
وادعو الله لى صبرا
على همى وبلبالى
برغم الحب يا ولدى
وحبك الحمى الغالى

ويشطح خيالها ، فتتفرس فى نجلها الذى يسوقه اليها الخيال الجامح ، فتقول :

رعاك الله فى دنياك
يا سر ابتساماتى
قضيت العمر ، كل العمر
، أحلم باسمك الآتى :
طبيب او محام او
... وتغمرنى خيالاتى
فاذكر ان لى وطنا
ينادينى داعيا : هات

وفى قصيدة « الأم العربية » من ديوان « أنغام حالمة » (١) تقول الشاعرة ، على لسان أم مصرية قد أعدت أبناءها للذود عن الوطن :

احب بلادى ملء قلبى وخاطرى
ومن اجل حبى كم سهرت اللياليا
سهرت أعد الجيل باسا وقوة
أعد رجالا .. كى يصونوا تراثيا

وترى المستعمر الغاشم وهو يستمتع بخيرات مصر وأرضها الغنية .

بينما الشعب يتضور جوعا وبؤسا ، فتحتج رافضة مستنكرة على لسان الوطن .

حرام سمائى أن تظل أعاديا
حرام عليهم مأوانا العذب راويا
وقومى جياع رغم خيرى ونعمتى
وأعداء قومى يستظلون زاديا

ثم لا تلبث أن تقارن بين ذاك الماضى المظلم ، والحاضر المشرق ، والمستقبل المأمول ، بعد استقلال الوطن :

لقد كنت أمشى والجناح محطم
وقد ملأ الدمع السخين المآقيا

(١) ص ٨٩ .

وابعث آهاتي فتحرق أضلعي
واطرق من ذل وقد جل مابيا
سأبني حياتي من جديد كجنة
تظل بأفنان الجنان « عاليا »
أعيد لعشي دفئه وحنانه
وأبعث فيه نغمة الحب شاديا

وتترك الشاعرة وطنها يخاطب الجزائر — الوطن الشقيق — في محنته القاسية ابان كفاحه للاستعمار الفرنسي ، مشيدة ببطولته ، في قصيدة : (بنت الجزائر) بديوان « أنغام حالمة » تقول :

انت الشقيقة ملء قلبي حبها
فاذا ألم السوء هز كيانها

وتقول :

واذا سعدت تفتحت نفسي رضا
حالي وحالك في الأسى سيان
عربية قومية وطنية
قاسيت ، ما قاسيت ، من عدوان

بنت الجزائر قاتلت مثل الفتى
وتذرعت بالصبر والايمان
و « جميلة » مثل البطولة والفدا
فاقت ببطولتها قوى الشجعان

كم عذبوها كي تبوح بسرها
فأبت وظل السر في الكتمان
قالت لهم — مهما يطل تعذيبكم
سر البلاد أصونه بجناني

من يبغ سوءا .. سوف يلقى حتفه
بيد الأباة محرري الأوطان

وروحية التي لم تنجب أبناء قط ، ولم تكن يوما ما أما ، اكتوت بنيران الحرب ، وفقدت ابن شقيقتها الأثير لديها ، وكانت تعتز به وتعده ابنا لها ، بل وأكثر من الابن ..

ولذلك عاشت من بعده بقية حياتها لا تكف عن ذكراه والبكاء عليه .

المناسبات :

وقد نظمت الشاعرة روحية القليني الكثير من قصائد المناسبات ، ولكنها في كل قصيدة من هذا النوع كانت جادة صادقة ، مع نفسها ومشاعرها .. ولست أنسى مطلقا عندما كانت تكرر على سمعي هذين البيتين من الشعر ، وهي تتمثل بقول الشاعر الراحل (محمد الأسمر) :

أراني حينما أدعى لمدح
كمن يدعى ليوضع في القيود
لعمرو أبيك لست مع التوالي
ألعّبها كتلعيب القرود !

ولذا اقتصر شعر المناسبات عند روحية على أفراد محدودين ، ومناسبات خاصة ، وظروف قاهرة .

فكتبت ترثي الناقد الدكتور محمد مندور ، موجهة شعرها عنه الى السيدة الشاعرة ملك عبد العزيز زوجته ، وهي صديقة حميمة لروحية القليني :

« منذور » هل ودعتها قبل السفر
وهل استعدت للفجيعة والقدر
هل قلت : ياملك العزيزة كفكفي
دمع الشجون ، فلا سبيل الى الحذر
أنا راحل فاطوى جناحى رقة
حول الصغار وكفكفى تلك الدرر
انا قد تركتهم حديثا لم يزل
يسرى بسمع الكتب كالدرر انتثر
قد عشت فى دنيا النهى لرسالة
سرى على نهجي مباركة الاثر

وحينما انتقلت والدة الشاعرة الى رحمة الله . فى وقت كانت روحية فيه فى أشد الحاجة اليها .

فهى أولا : أمها الغالية الحبيبة . التى تضفى عليها من معين الحب والحنان والأمومة، ما يعوض الشاعرة عن وحدتها القاسية .

وهى ثانيا ، مؤنستها الوحيدة بعد أن تفرق الأشقاء كل فى سبيل، فبكتها روحية وحزنت عليها حزنا قاسيا ، ولولا ايمانها الراسخ ، لفقدت كل أمل لها فى الحياة .

والشاعرة فى قصيدتها (أمى) (٢) تسرد كل خطوة ونبضة وكلمة حدثت ليلة الفجيعة . ثم تعود فتتساءل : كيف تحتمل العيش بدونها ؟! ذاكرة أعواما مضت كانت جوارها آمنة مطمئنة تحت جناح الأمومة الوارف .

والقصيدة — وان طالت — تستحق أن نقف عند بعض أبياتها ، وخاصة فى البدء ، حيث تذكر ليلة المصاب ، وتتساءل : كيف تنسى هذه اللحظات الرهيبة ، وكيف غابت هذه الروح الطيبة ، وكيف لن تعود ..

من ذا سيؤنس وحدتى
من بعد فرقتك السريعه
ويضمنى بالساعدين
بنظرة الأم الوديعه
من ذا سينزع منخيا
لى ليلة الموت المريعة

يوم استرد الله جل
جلاله أغلى وديعه
كم من ليال حالكا
ت كنت فى ليلى .. شموعه

رُدّى .. أهنت عليـ
ـك يا أمى فآثرت القطيعه ؟

ومن مثالا ينفطر قلبه حزنا . حينما تنساب عبراتها شعرا ، فتقول :

ودخلت حجرتك الحبيبة
علنى أحظى بكلمه

لم ألق الا وحشة
لم ألق فيها غير ظلمه

وبقية من عطر رُو
حِكِ هدهدت فى القلب همه

(١) كتاب العقاد عن اللغة العربية الذى يحمل عنوان اللغة الشاعرة .

(٢) ديوان (لك أنت) ص ٨٩ .

فســـألتها أين الحبيـــ
ـــة هـل قضـت دينـا وذمـة

قــالت : أجـل بعـد الصـلا
ة ·· وقــد قضـــت لله صــومه

راحت بشـهر الصـوم والــد
عوات ·· للرحمـــن حكمــه

راحت أعـــز عـلى مـــن
نفسى ، قضـى الخلاق حكمـه

وتغرينا روعة هذه القصيدة الطويلة ، عـلى قطف المزيد من جمالها ، وخاصة حين تقول فى المقطع التالى :

كـم كنت أهـــوى البيت ،
أسرع ـ يا إلهى ـ كى أراهـــا
فى كـل ركـن كـان نبـع
عطائهـــا ونـــدى نـــداها
أعبـــــاء يـــومى كلهـــا
كـم هدهدتهـــا راحتـــاها
ودمــــوع عــينى ثـــرة
بالعطف كـم مسـحت يـــداها
أنـــــا لا أطيـــق البيت
أدخله ·· ولا ألقى سناهـــــا

وفى اعتقادى أن هذه القصيدة من أجمل ما نظمت الشاعرة ، وربما تكون أجمل قصائدها وغرة شعرها كله ، فهى واضحة كل الوضوح، صادقة كل الصدق ، معبرة كل التعبير ·· وهى أرق قصائد الشاعرة رغم ما بها من حزن وشجن ، نبعت من أعماق القلب ، على أحن قلب ·· واستطاعت بها الشاعرة أن تكشف عن أدق خلجاتها ومشاعرها ، ببراعة وإتقان · رحمهما الله ·

(يتبع)

(جليلة رضـا)



اطلالة على ديوان اشراقة

للتيجاني يوسف بشير
شاعر السودان

بقلم : أحمد مصطفى حافظ

وقعت لى نسخة من ديوان (اشراقة) ، اثناء تنقيبي بمجموعة من ذخائر الكتب الادبية القديمة لدى احد الوراقين .. فاحسست بفرحة غامرة ، للعثور على هذا الكنز الأدبي الثمين ، الذى يحوى بين دفتيه طاقة من اعذب الشعر الجمالى وأرقه، لشاعر شاب ، اخترمته المنية وهو فى عمر الزهور ، بعد ان تجاوز عامه الخامس والعشرين بقليل كانداده الأفذاذ : ابى القاسم الشابى ، وكيتس وطرفة بن العبد .

كان شاعر السويس الراحل ، السودانى الأصل ، « محمد فضل اسماعيل » ، قد حدثنى مرارا عنه .. وكان يروى الكثير من شعره ، باعجاب واكبار ، اذ كان يعتبره شاعر السودان الأكبر ، والمجدد الأول فى أخيلة الشعر السودانى وصياغته فى الثلاثينيات » .

. وراعنى هذا الاهداء البليغ الذى خطه يراع التاجر السودانى الأديب على البرير ، الذى تولى طبع الديوان على نفقته الخاصة ، عام ١٩٤٢ ، وفيه يقول :

« الى شعره الخالد ، وليس كل الشعر ترويه القرون .

الى روحه الطيب الطاهر ، وهو بين حنايا الخلد ، ومسارب النعيم .

الى نفسه الكبيرة النبيلة ، أهدى اليها خلجاتها ، ونفثاتها ، وعبيرها ورفيقتها « (اشراقة) ..

كالبحر يمطره السحاب .. وماله فضل عليه .. لأنه . من مائه

وكان الأستاذ الأديب محمد محمود جلال، نائب بنى مزار ، قد زار والد الشاعر بالسودان ، بعد سنوات من وفاته ، ورجاه أن يأذن له بطبع الديوان ، فأجابه الى طلبه وكان الشاعر قد قام بجمع قصائده ودونها بخط يده فى كراسة صغيرة ، الا ان تلطف

إطلالة على ديوان إشراقة

العيش حال دون تحقيق أمنيته بطبع ديوانه (اشراقة) في حياته ، فتركه مخطوطا ، بعد أن قضى نحبه مصدورا عام ١٩٧٣ .

وكان الشاعر السوداني الكبير الأستاذ مبارك ابراهيم قد قام بنسخ صورة من الديوان ، باذن من والد الشاعر الراحل أيضا ، وقدمها الى الدكتور ابراهيم ناجى ، ليقوم بقراءتها واعداد مقدمة للديوان .. وعلى الرغم من شدة اعجاب ناجى بشعر التيجانى ، وتسلمه نسخة الديوان المخطوط عام ١٩٣٦ من الشاعر المبارك — أى قبيل عام من وفاة التيجانى ، الا أن الدكتور ناجى لم يقم بكتابة المقدمة .

وفي حديث للدكتور ناجى في حفل احياء ذكرى التيجانى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٦ ، يقول :

« منذ بضع سنوات زارنى أحد أصدقائى الشعراء الممتازين « أى الأستاذ المبارك ابراهيم » ومال على وسلم الى كراسة صغيرة فيها شعر مخطوط ، وهمس في أذنى أن في الكراسة شعرا نادرا فأخذتها منه ، وفي نفسى ارتياب .. ولكننى ماكدت أقرأ بيتين ، حتى أغلقتها باحترام أغلقتها الى حين ، منتظرا أن أخلو بها ، وليس بيننا ثالث . وفعلا خلوت بها ذات ليلة الى مطلع الفجر .. وتكررت هاته الليلة .. أجل أو تكررت .. والشعر العبقرى كالغانية العبقرية الجمال ، متعة وسحر ، ودوار وخيال ، وظمأ ثم رى ، ثم ظمأ .. وسفر مع النجوم ، وانتقال الى اللانهاية ، ورحيق لا ينسى ، وعبق ينصب في ذاكرة الروح » الى أن يختتم كلمته بقوله : « وصدر ديوان اشراقة ، ثم بزغ ، ثم اختفى وتخاطفته أيد قليلة ، ثم لم يعد له أثر .. (١) » .

هذا ولا شك أن التيجانى قد تأثر في نشأته الأولى بالدعوة التجديدية التى دعا اليها الشاعر السودانى « حمزة الملك طمبل » ، نائب مأمور مركز بارا بمديرية سنار بالسودان ، الذى يكبر التيجانى بخمسة عشر عاما ، وقد بدأ في أواخر العشرينيات يدعو الى نبذ التقليد ، والصدور عن عمق التجربة .. وذلك بالمقالات التى كان ينشرها بجريدة (الحضارة الخرطومية ، سنة ١٩٢٧ ، وأتبع القول بالعمل : اذ أصدر ديوانه :

(الطبيعة) عام ١٩٣١ ، الذى يشتمل على ما نظمه خلال الفترة من ١٩١٦ حتى ١٩٣٠ ، ويقول في مقدمته انه « مجموعة صور ، لا مجموعة قصائد ، بعضها لما تقع عليه العين في الأرض والسموات ، وبعضها لما تختلج به النفس من مختلف الاحساسات » .

وعلى الرغم من أن « حمزة الملك طمبل » قد عاش ٩٣ عاما ، اذ توفى بأسوان عام ١٩٦٠ ، الا أن موهبته الشعرية كانت دون موهبة التيجانى ، فقد خلمه حدسه الفنى —

(١) انظر مجلة الخرطوم عدد يوليو ١٩٦٧ مقالا بعنوان (ديوان اشراقة) للأستاذ سليمان الكشة .

أى التيجانى – من ركاكة التجربة عند الرائد الأول ، حمزة الملك طنبل ، كما تقول الدكتورة سلمى الخضراء فى مقالها « تطور الشعر العربى فى السودان » بعدد ابريل سنة ١٩٤٦ من مجلة (الخرطوم) .

وصفوة القول أن قارىء ديوان التيجانى يجد نفسه ازاء عالم حافل بالنزعات النفسية الجياشة المتدفقه ، ولا يملك الا أن يتجاوب مع شعره الرقيق ، ونفسيته القلقة المعذبة .

واذا أردنا أن نستخلص ظروف التيجانى المعيشية ، نجد أنه لم يكن على نصيب كاف من الثراء ، وربما كان الأدنى الى الصواب أن نسلكه فى عداد الفقراء ، أو فى عداد أوساط الناس ويتضح ذلك من قوله :

مابى ثراؤك من نخر ولا مال
فاستبق دنياك حسبى كنز آمالى
مابى شقيت ومابى أن نعمت وما
بالقلب زهو الغنى .. اورقة الحال

الا أنه ما يلبث أن يفىء الى نفسه معتدا بها ، فيقول :

دنياى – وهى من الدنيا على نفسى
اثرى من التبر أو أسمى من المال

ويستعطف الناس أن يدعوه وشأنه ، لعالمه الخاص ، الذى يتمس فى رحابه العزاء :

فليتركوا الى احلامى وما نسجت
حولى من الضنك ان لم يرضهم حالى

بل انه يصرح بفقره ، حينما يقول فى قصيدة أخرى :

سما بالهوى فقرى ، ومن لك بالهوى
سماوى معنى .. كله ابدا نبل (١)

وبمناسبة حديثه عن الحب ، نلاحظ فى شعره أنه لم يتحدث عن حبيبة بعينها يناجيها ويبثها هواه ، وانما كان حديثه كليا شاملا الحب كرمز ، بشتى أسراره واغواره ، أى أنه كان يحب الحب للجمال على اطلاقه ..

ونراه فى قصيدة (نفسى) – يختتمها بمخاطبة (الشمس) بقوله :

قلت : سيرى على اسرة قومى
واستحرى على مضاجع رهطى
انا جراءهم سهرت ليستغشوا
ومن اجلهم اصيب واخطى

أى أنه فى عزلته عن قومه كان لا يزال مشغولا بهم ، لا يكف عن التفكير فيهم ، وشأنه فى ذلك شأن الدكتور ناجى حينما جرب الوحدة ، واذا به يهتف ملتاعا :

ياوحدتى جئت كى انسى وها انذا
مازلت اسمع اصداء واصواتا
مهما تصاممت عنها فهى هاتفة :
يا ايها الهارب المسكين : هيهاتا

ومهما يكن من أمر ، فان التيجانى لم يكن مقلدا لغيره ، أو مزيفا لأحاسيسه ، وانما كان ذا شخصية واضحة مستقلة ، بارزة القسمات والملامح .

والشاعر العبقرى هو الذى يعطينا خير

(١) البيت من الطويل . (مجله الازهر) .

ما عنده ، ويعبر عن أصرح وأدق ما يتراءى له ، بصدق وعمق .. فهو – أى الشاعر – اذا أتيح لسائر أفراد المجتمع الذى يعيش فيه (منظار) عادى ، كان هو وحده الذى يملك « الميكروسكوب » ! .

والتيجانى ، بقصر عمره ونباهة شأنه ، يؤكد لنا صدق المثل الانجليزى القديم :

A Poet is born and not made
(يولد الشاعر ولا يصنع) ..

وقد وفق التيجانى الى تصوير العواطف الانسانية ، التى تنتظم الانسان فى كل زمان ومكان ، بشاعرية فذة تتخطى العصور والدهور ، لتبقى دائما باهرة متألقة ممهورة بالخلود ! .

ونشأة الشاعر موجزة للغاية ، اذ لم يتح لنا قراءة ترجمة شافية لحياته ، فقد ولد فى أم (درمان عام ١٩١٢ فى أسرة دينية تنتمى الى الطريقة التيجانية ، وتلقى تعليمه بخلوة الكتانى ، ثم بالمعهد العلمى بأم درمان .

**

ويصور فى قصيدة (الخلوة) ما عاناه من عنت وتزمت ، عاقا انطلاق الطفولة وسرائها ، يقول :

هب من نومه يدغدغ عينيه
مشيحا بوجهه فى الصباح
حنقت نفسه وضاقت به الجلة
واهتاجه بغيض الرواح
واهابت به الظلال وقد نشرن
فى جلوة الثرى والبطاح

الى أن يقول متحسرا :

طوفت فى خياله ذكريات الرو
ع ، واعتاده مطيف الجماح
ومشى بارما يدفع رجليه
ويبكى بقلبه الملتاح
ضمخت ثوبه الدواة وروت
رأسه ، من عبيرها الفياح !

ثم يصف موقفه من (شيخه) ، بقوله :

ورمى نظرة الى شيخه الجبا
ر مستبطنا خفى المناحى
نظرة فسرت منازع
عينيه ونمت عما به من جراح

الا أن الأمر يختلف بالنسبة لفترة طلب العلم بالمعهد العلمى ، اذ يذكرها بكل خير ، فيقول :

اليوم يدفعنى الحنين فانثنى
ولهان مضطربا الى أعتابه

سبق الهوى عينى فى مضماره
وجرى واجفل خاطرى من بابه
ودعت غض صباى تحت ظلاله
ودفنت بيض سنى فى محرابه

الا أن ما حصله من تعليم منظم ، ليس هو الذى صاغه وأعده ليقفز بالشعر السودانى تلك القفزة الرائعة بين سائر أقطار العروبة ، وانما الفضل الأول يعود الى اطلاعه الواعى الواسع ، على أرقى النماذج الشعرية الرومانتيكية والكلاسيكية ، المؤلفة والمترجمة فى مصر والشام والمهجر العربى .. واستعداده الفطرى لاستيعابها وتمثلها .. بالاضافة الى الموهبة الممتازة التى أنعم الله بها عليه وعلى وطنه الحبيب السودان .. فكما أنه لكل روضة معطارة ، بلبلها الصداح،

ولكل زمان دولة وأفذاذ ، فكذلك بيئة السودان الساحرة أوحت لشاعرها التيجانى من صور التعبير ما أهله لكى يأخذ مكانه بين كبار شعراء العربية المعاصرين ، بسائر أقطارها ، وخاصة بشعره الجمالى الذى صور به مجالى الطبيعة الساحرة من حوله ، كما جاء بقصيدته (قطرات) :

قطرات من الندى رقراقة
يصفق البشر لونها والطلاقه
ضمنتها من بهجة الورد الفوا
ف ، ومن زهرة القرنفل باقه
نثرت عقدها أصابع من نو
ر ، ترسلن خفة وأناقه

أما النيل العظيم فقد وقف الشاعر أمام عظمته خاشع الطرف والقلب ، ولم يملك الا أن يخاطبه بقوله :

أنت يانيل ياسليل الثرا
دیس نبیل موفق فی مسابك
ملء أوفاضك الجلال فمرحى
بالجلال المفيض من أنسابك
حضنتك الأملاك فى جنة
الخلد ورقت على وضيء عبابك

الى أن تتفق له هذه الصورة الحية ، بقوله :

مخرتك القرون تشمر عن سا
ق بعيد الخطى .. قوى السنابك
يتوثبن فى الشباك خفافا
ثم يركضن فى مصر شطابك

وكذلك شأنه حينما يتحدث عن عاصمة بلاده الخرطوم :

مدينة السحر مراح العجب
ومغتدى أعينه الساحره
تنام فيها حجرات الذهب
على رياض نضرة زاهرة
أضاءها الفجر .. فلما غرب
أضاءها بالأنفس الناضرة

وقد كان لمصر لديه منزلة خاصة ، لمساندتها للسودان أثناء كفاحه الطويل ضد الاستعمار ، ولوجود مناهل العلم والثقافة بها ، التى كان يطمح الى أن يعب منها حتى يرتوى ، ولكن الاستعمار حال دونه ودون الكثيرين من مثقفى أبناء وطنه ، من السفر اليها ، مما جعله يطلق هذه الزفرة الحارة :

عادنى من حديثك يامصر
رؤى وطوفت بى ذكرى
وهفا باسمك الفؤاد ولجت
بسمات على الخواطر سكرى
من أتى صخرة الوجود ففرا
ها ، وأجرى منها الذى كان أجرى
سلسبيلا عذب المشارع ثرا
را رويا جم الأوادى غمرا

الى أن يقول منشدا وداعيا الى (وحدة وادى النيل) :

انما مصر والشقيق الأخ السودا
ن كانا لخافق النيل صدرا

ثم يتحدث عن أثر ثقافة مصر على وجدانه :

كلما أنكروا ثقافة مصر
كنت من صنعها : يراعا وفكرا

« البقية ص ١٣٥٤ »

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ



الشيخ محمد محمد المدنى .. اسم نبض بالحياة فى سماء العلم والعلماء بين الثلاثينيات الى نهاية الستينيات من القرن الميلادى المعاصر ، وتبوأ مكانة العلمية ومكانه الاسمى فى محاريب الأدب والعلم ،واخذت شمائله الطيبة بمجامع القلوب .

***

كان رحمه الله يفنى زهرة عمره فى التحقيق والتدقيق ، ويضرب فى طلب العلم كما يضرب المجاهدون فى سبيل الله ، حتى صارت آثاره مقصد الدارسين ، وسند المحققين .

كان صاحب نظرات متدبرة فى علوم القرآن ، اذ ألهمه الله بخدمة كتابه ــ أستاذا فى الجامعات ، ومتحدثا فى أجهزة الاعلام مسموعها ومرئيها ، وكاتبا ألمعيا ذا قلم رفيع يعطى لكل مجال من هذه المجالى ما يناسبه من وضوح العرض ، ورصين الرأى وسليم الفهم .

درس علوم القرآن ، وأصول الفقه ، والفقه المقارن ، فى كليات الشريعة ، ودار العلوم ، بأدوات العلماء الراسخين ، وحاضر فى اعجاز القرآن وبلاغته فى المحافل والمجامع ، وفسر آيات الكتاب الكريم بأساليب متعددة ، أخذت بألباب أهل العلم ، فى كلياتهم وجامعاتهم ، وجذبت أوساط الناس وعامتهم الى بساطة عرضه وتوضيحه .

لابس ــ رحمه الله ــ القديم والحديث فتى ناشئا ، ثم لابسهما كهلا غنيا ، مكتمل الفهم والرشاد ، خراجا ولاجا ، طلعة ذواقا ، فكان بهما جد خبير « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

ومن ثم جاءت مؤلفاته كنوزا لا يزيدها الانفاق الا زكاة نماء ، وسمت آراؤه الى مستوى المجتهدين فى الفقه والشريعة بما خرج من أقوال ، وجلى من غوامض ، وفصل من مجمل وهذب وركب من مسائل ، سبيله فى ذلك ما وهبه الله من قدرة الادراك وحسن المأخذ والاقتباس ، وما تيسر له من طبع

للدكتور عبد المجيد وافي

موات وعقل نافذ وبصر ثاقب ، وما أطل عليه من سماء النبوغ .

وكما أن الحضارة مدينة لهؤلاء المخترعين بالفضل العظيم ، فان المدنية العلمية والعقلية مدينة للمؤلفين المحققين .

هكذا أدى « المدنى » رحمه الله أمانة: العلماء ، وبلغ رسالة الفقهاء كأحسن ما تكون التأدية ، وأعظم ما يكون التبليغ ، اذ كان شعاره فى منهاج حياته العلمية والعملية ، ما رسمه لنفسه ولطلاب الهداية والمعرفة فى حديثه : « ان الفقه الاسلامى هو فكرتنا ومنهاجنا فى الحياة ، ولكل أمة نظام ونهج ، وفكرة تدعو اليها وتحاول جمع الناس عليها ، فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد ، وليجعلوه منهاجهم الذى عليه يسيرون واليه يدعون ... » .

وكان ــ رحمه الله ــ لا يألو جهدا فى اسداء النصح الخالص ، وبيان ما يجب أن يسير عليه الباحثون والدارسون عامة ، والمهتمون بالدراسات الاسلامية خاصة والقرآنية بوجه أخص .

ويقول ــ رحمه الله ــ ، فى مقدمة كتابه : «المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء» .

« ان ميدان التفكير فى القرآن واسع ، وهو كميدان التصوف والتفكير فى الله ، فيجب أن يسلكه كل مكلف له ، ولكن على وتيرته الخاصة وبطابعه الخاص ، كما أن لكل متصوف



طريقته وأسلوبه فى معرفة الله ، والتفكير فى عظمته واجتلاء صفات جلاله وجماله ، فقد ينكشف للمتأخر ما لم ينكشف للمتقدم ، وقد يؤثر فى المعاصرين أسلوب جديد فى العرض أضعاف ما يؤثر فيهم أسلوب قديم ، ومن عاش فى زمان لابد أن يتعامل بأسلوب هذا الزمان ، وأن يحسب حساب أفكاره وأحواله ومقاصده ومراميه وآماله وآلامه ولغته وطريقة عرضه ، وما فيه من نقط ضعف ونقط قوة ، وما له من نواحى استقامة ونواحى اعوجاج .

كل ذلك يجب أن يدخل فى حساب من يتناول



من أعــلام الأزهــر

القلم ليكتب ، ومــن يجلس مجلس المــؤلف والموجه ، ولاسيما اذا كان تأليفه وتوجيهــه عن طريق التفسير وخدمة الذكر الحكيم .

وأما الذين لا عمل لهم الا أن يســتعيدوا ما كان ، ويرددوا ما قيل دون تصرف فيــه ، ولا تحول عن أسلوبه وألفاظه ، وجـــدله ونقاشه ، فليس لهم في معتــرك الاقــــلام والأفكار الآن مجال » .

هذه كانت همته ، وذلك كان نهجه ، اتخذ لنفسه هدفا منذ نعومة أظفاره ، فلمع كالشهاب في آفاق العلم مضيئا لمن حوله ، يقطع آفــاق العلم بخطوات واسعة .

ولــد عليــه ــ رحمــة الله ــ في مركــز المحمودية ، بمحافظــة البحيرة في ٢٨ مــن سبتمبر سنة ١٩٠٧ م ، وحفظ القرآن الكريم صبيا قبل أن يبلغ العاشرة ، وبعد انتظـــامه فترة في تلقى العلم عن شيوخ عصره ، أحس في نفسه القدرة على تخطى مراحل الدراســة النظامية ، وتلك هبــة الله ، فترك الانتظــام في الصفوف الدراسية وحصل على الشــهادة الثانوية في ابريل ١٩٢٧ ، وعلى هذا النحــو أيضا تقدم للحصول على الشهادة العالميــة ، التي حصل عليها بتفوق في أكتوبر ١٩٢٧ ، أي بعد أقل من سنة دراسية .. وهو ما لم يتحقق لغيره .

تخرج من الجامع الأزهر « جامعة الأزهر الآن » في مطلع العشرين من سنى حيــاته ، فقد حصل على العالمية من درجة أســتاذ ــ ما يعادل الدكتوراه الآن (١) ــ مــن قسم التخصص بالأزهر في علوم البلاغة والأدب بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف سنة ١٩٣٠ .

ثم عين رحمة الله عليه مدرســا في معهــد الاسكندرية .. ثم تنقل وترقى في المــراتب العلمية الأزهرية والمناصب الادارية .

وتقدم رحمة الله عليه بانتـــاجه العلمى « دراسة عن القصص الهــادف في القــرآن الكريم » من سورة الكهف ، للانضمام الى هيئة كبــــار العلمـــــاء ، وهى أكبــر هيئــة علمية في مصر والعالم الاسلامى يومئذ ، فقبل انتاجه وتمت الموافقة على انضمامه للجماعة .

ولما كان قانون الجماعة يشترط للعضــوية بلوغ سن الأربعين .. فقد أجل الانضـــمام الى حين بلوغه سن الأربعين ، وكانت ســـنه أقل من ذلك .

ثم لم تلبث الجماعة أن أوقف الانضــمام اليها بقرار عال .. فحيل بينه وبين شرف كان يستحقه علما وعملا .

وقد شارك ــ رحمــه الله ــ بقلمــه في القضايا الاسلامية العامة والخاصة ، وقـــد حملت اعداد مجلة « الرســالة » الصــادرة في الثلاثينيات والأربعينيات ، مقالات له عديدة ، مسجلا بها صفحات مجيدة في تاريخ الــدعوة لاصلاح الأزهر ، والجهاد في سبيله .

عرفها الناس ، وعرفوا بها الشــيخ المدنى

(١) وهكذا ــ فعلا ــ كان قرار مجلس كلية دار العلوم عندما طلبته استاذا بها . « مجلــة الأزهر » .

فى العالم الاسلامى ، شابا فى سنه ، شـيخا فى علمه .

ثم كان ــ رحمه الله ــ أول عالم أزهرى يشغل وظيفة مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر فى عهد المغفور له فضيلة الشيخ عبـد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر فى نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات .

ثم اختير ــ رحمه الله ــ رئيسا لقســم العلوم الاسلامية وأستاذا للشريعة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

وفى مارس ١٩٥٩ عين عميدا لكلية الشريعة بجامعة الأزهر ، ويومئذ أدخل الدراسـات القانونية فى كلية الشريعة ، على نحو يخـدم الفقه الاسلامى ويعين على المقارنة بينه وبين غيره ويبرز مزاياه .

كما أدخل دراسة فقه الشيعة ، مسـتوفيا بذلك أركان المقارنة فى دراسات الفقه المقارن بين المذاهب الاسلامية ــ وهو المنهاج الذى قام بتدريسه سنوات قبل انتقاله لكليـة دار العلوم ــ ففتح المناظر فى الفقه الاسـلامى آفاقا أعانت الدارسين ، وأتاحت الماما واضحا للتفكير الفقهى ، وما يدور حوله من تيـارات ملائمة ومعارضة .

وكان ــ رحمه الله ــ من أول المتحدثين فى الاذاعة صباحا لجماهير المسلمين مقـدما زبدة الفكر الاسلامى فى صورة رشيقة محببة ، اثبتت بعد ذلك فى كتاب « أحاديث الصـباح فى المذياع » الذى ضم بعضا مـن انتاجـه المشترك مع المغفور له الامام الأكبر الشـيخ محمـود شلتوت « رحمه الله » .

وكان ــ رحمه الله ــ أول المتحـدثين فى البرنامج « التليفزيونى » : « نور على نور » وظل فارسا من فرسانه ، وعلما مـن أعـلام البرامج « التليفزيونية » .. حتى لقى ربـه راضيا مرضيا .

وقام ــ رحمه الله ــ على رياسة تحـرير مجلة « رسالة الاسـلام » التى أصـدرتها جماعة التقـريب بين المـذاهب الاسـلامية بالقاهرة ..

تلك الجماعة التى شارك فى تأسيسـهـا والكتابة فى مجلتها .. صفوة العلماء والمفكرين الذين يمثلون المذاهب الاسـلامية فى مصر والعالم الاسلامى .

ولـما أنشىء المجلس الأعلى للشـئون الاسلامية ، تولى ــ رحمه الله ــ رياسة لجنة « القرآن والسنة » ، ولجنـة « التعـريف بالاسـلام » .

وأصدرت اللجنة الأولى « المنتخب فى تفسير القرآن الكريم » ، « والمنتخب من السنة » .. ؛ كمـا كان عضوا فى لجنة « الموسـوعة الدائمة للفقه الاسلامية » .

وكان وفيا لمبدئه فى الحفاظ على الأزهـر واصـلاحه ، فكانت له فى الثـلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات مواقف لانصـاف العلماء واقرار أوضاعهم بين العـاملين فى الدولة .

وكان أظهر مواقفه يوم جابه قانون تطوير الأزهر فى ١٩٦١ ، وما حواه من تعديلات فى مناهج الدراسة بمعاهد الأزهر وكلياته .. وكان صريحـا فى أن الذى كـان يجدر أن يكون :

● من أعلام الأزهـــر

التطوير اسلاميا فى مناهج التعليم الثانوى العام والجامعات بدلا من الحيف بالأزهر ومناهجه لصالح المناهج المدرسية والجامعية التى لا تقوم على أساس من الاسلام ومنهاجه مما كان له الاثر فى محاولة ابعاده عن التأثير من خلال المناصب العلمية والقيادية عندما تصدى للتعديلات التى أدخلت على كلية الشريعة ١٩٦٣ ، ولكن العالم الاسلامى لم ينس فضله رحمه الله فاختارته جامعة الكويت أستاذا ورئيسا لقسم الشريعة بها عام ١٩٦٧ وظل بها حتى لقى ربه فى مايو ١٩٦٨ ٠

ومن مؤلفاته :

١ ـ المجتمع الاسلامى كما تنظمه سورة النساء ٠

٢ ـ سورة الأنعام والأهداف الأولى للقرآن ٠

٣ ـ التعريف بسورة آل عمران ٠

٤ ـ القصص الهادف للقرآن الكريم كما نراه فى سورة الكهف ٠٠ وهو الدراسة التى تقدم بها لنيل عضوية جماعة كبار العلماء ٠

٥ ـ وسطية الاسلام ٠

٦ ـ مناهج التفكير فى الشريعة الاسلامية ٠

٧ ـ رأى جديد فى تعدد الزوجات ٠

٨ ـ السلطة التشريعية فى الاسلام ٠

٩ ـ خصائص القرآن الكريم ٠

١٠ ـ فقه عمر بن الخطاب ٠

١١ ـ الزواج والطلاق فى الاسلام ٠

١٢ ـ عدالة الاسلام ٠

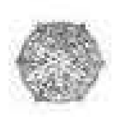
١٣ ـ الجوانب التوجيهية للعقائد والعبادات فى الاسلام ٠

١٤ ـ دعائم الاستقرار فى التشريع الاسلامى ٠

١٥ ـ محاضرات فى التعريف بالقرآن الكريم ٠

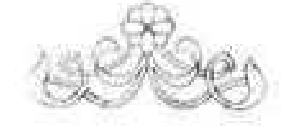
اجزل الله مثوبته فى دار البقاء مع الصديقين والشهداء والنبيين وحسن أولئك رفيقا ٠٠ على ما قدم للاسلام وخدمة القرآن الكريم ٠

د٠ عبد المجيد وافى

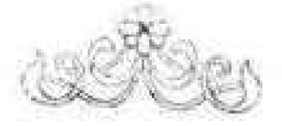


العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



التأثير التدميري للانفجار الذري



بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية

دورة بخار الماء في الجو

الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

تقديم

١ ـ لم يتركنا الله تعالى حيارى فى بيداء حياتنا الدنيا ، ولكن تجلى لنا فى كتابين خالدين : كتاب نقرؤه ونرتل آياته هو الكتاب المسطور هو « القرآن الكريم » ، وكتاب نعيش فيه ونلمس آياته هو الكتاب المنظور او الكون ٠

٢ ـ كان من الطبيعى أن يستمد الكتاب المسطور كثيرا من آياته وحكمه من الكتاب المنظور ٠ وعلى هذا النحو تحدث القرآن الكريم عن السماء ، والهواء ، والماء ، والأحياء ... الخ ٠ فقال تعالى « إِنَّ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ٠ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٠ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٠ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ » (١) ٠

هذا هو أساس سلسلة حديثنا عن الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، فالعلم انما تستنبط حقائقه بالرصد والقياس والتتبع لما فى الكون من ظواهر ونظام رائع (آيات وسنن) عام وشامل وثابت معا :

« .... فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً » (٢) ٠

وبطبيعة الحال لا يمكن أن يتم هذا الشمول وهذا الثبوت للنظام الكونى بمجرد الصدفة ، تلك التى ينفيها القرآن الكريم فى كثير من آياته ويحتكم فى ذلك الى العقل الذى ميز الله به الانسان ٠

٣ ـ ومما يؤسف له أن فريقا من غير العلميين خاضوا بأقلامهم فى موضوع الاعجاز العلمى فى القرآن ، فارتكبوا من الاخطاء العلمية ما يبرأ منه الدين ، أو حملوا الآيات من المعانى مالا طاقة لها به ٠

إننا ـ أولا وقبل كل شىء ـ إنما نلتزم ـ فى تفسيرنا أو شرحنا ـ بحقائق العلم المستمدة بالرصد والتتبع لظواهر الكون ، ولا نلجأ الى النظريات العلمية المتطورة التى يستنتجها العلميون باستخدام قوى العقل من

(١) الجاثية ٣ ـ ٦

(٢) فاطر ٤٣

بقلم
أ.د. محمد جمال الدين الفندى
عضو مجمع البحوث الاسلامية

أجل الربط بين بعض الحقائق المتصلة بظاهرة معينة ، مثل قول **« ان الضوء موجات اثرية »** (هذه مجرد نظرية) ، لنربط بين حقيقة أن الضوء ينعكس وينكسر كما انه يتشتت أو يتناثر وكلها من صفات الأمواج .

٤ ـ هناك أعماق للاعجاز العلمى فى كتاب الله بما يثيره من قضايا علمية تكون فى مجموعها موضوع ما سنكتب عنه فى باب العلم والايمان تحت عنوان :

« الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم »

العمق الاول :

مضمون هذا العمق العلمى أن القرآن الكريم هضم كافة مفاهيم البشر العلمية السليمة منذ نزل . وهذه صفة من صفات المعجزة الخالدة التى لا يقف اعجازها عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات . وسوف تلازم تلك الصفة القرآن الكريم الى يوم الدين . بوصفه المعجزة الخالدة .

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ....» (١) .

والامثلة على ذلك عديدة ، مثل تفسير كلمة (لموسعون) فى قوله تعالى :

١ ـ « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » (٢) .

ومثل تفسير كلمة (لواقح فى قوله تعالى :

٢ ـ « وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ....» (٣) .

وسوف نقصر الكلام هذه المرة على المعانى المختلفة السليمة المفسرة لقوله تعالى (لموسعون) .

١ ـ قال فريق من الأقدمين ان تفسير الآية هو : والسماء أحكمناها بقوة **وانا لقادرون على أكثر من ذلك .**

وهذا كلام سليم .

٢ ـ وقال فريق آخر ان **(موسعون)** اشارة الى الثراء والغنى ، بمعنى أنه رغم ما أودعناه فى الكون من مواد فان لدينا المزيد .

وهو كلام سليم كذلك .

---

(١) فصلت ـ ٥٣
(٢) الذاريات ٤٧
(٣) الحجر ـ ٢٢

٣ ــ قال فريق فى هذا العصر ــ كاتب هذه السطور :

أن (موسعون) اشارة الى اتساع آفاق الكون أمامنا بتقدم عمليات الرصد وتطورها بمضى الوقت ، وهذا عين ما حدث ، فعندما نزل القرآن الكريم كان الناس يعتبرون الأرض مركزا للمجموعة الشمسية ، وكانوا يعرفون من هذه المجموعة خمسة كواكب فقط هى عطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والمشترى ، ثم زحل .

وفى عصر العلم تم اكتشاف أربعة كواكب أخرى على التوالى ، هى : أورانوس ، ونبتون ، وبلوتو ، ثم كوكب رابع .

وباكتشاف بلوتو بلغ قطر المجموعة الشمسية نحو خمس ساعات ضوئية ، علما بأن الساعة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى ساعة كاملة بسرعته البالغة ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر فى الثانية ! ثم قيست أبعاد مجرتنا المعروفة باسم الطريق اللبنى أو طريق التبانة فوجد أن قطرها ١٠٠ ألف سنة ضوئية ، ثم تم قياس بعد أقرب المجرات فى السماء الى الطريق اللبنى وهى « سديم » المرأة المسلسلة التى وجد أنها تبعد عنا بمقدار ٧٥٠ ألف سنة ضوئية . ثم أمكن التعرف على مجرات فى أعماق الفضاء باستخدام أحدث المناظير الفلكية ، وهى المعروفة باسم « المناظير الراديوية » ، فوجد أنها تبعد عنا بأكثر من عشرة آلاف مليون سنة ضوئية !! وانها لفرط بعدها عنا تبدو الواحدة منها كنقطة مضيئة فى السماء رغم أن الواحدة منها تضم ملايين النجوم ، ولهذا تعرف علميا باسم أشباه النجوم أو (الكوازار) ، والله تعالى يقول : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » (١) .

ولقد دلت أرصاد المجرات أخيرا على أنها تتباعد بسرعات متزايدة ، ولذلك فان الكون يتمدد ويتسع السماء . وهذا المعنى الجديد أيضا دلت عليه معادلات النسبية الرياضية .

الكواكب الأربعة الأخيرة

فى خلال القرنين الأخيرين اتسعت مجموعتنا الشمسية اتساعا كبيرا أربع مرات :

الأولى عندما اكتشف أورانوس عام ١٧٨١ .

والثانية عندما اكتشف نبتون عام ١٨٦٤ .

والثالثة عندما اكتشف بلوتو عام ١٩٣٠ .

والرابعة فى أثر التعرف على معالم كوكب عاشر عام ١٩٧٢ .

وابتدأت الدراسات النظرية الخاصة ببلوتو عام ١٩٢٧ لما لوحظ من اضطرابات أو خلل فى مسار نبتون يحدثها ذلك الكوكب بلوتو كلما اقترب من نبتون ، وذلك قبل ثبوت وجوده

---

(١) الواقعة ــ ٧٥

بالرصد الفعلى . وهكذا قدر العلماء وجود كوكب تاسع ، فراحت المراصد تجمع له الصور الفوتوغرافية ، واشترك فى ذلك مرصد حلوان الذى أدى دورا هاما فى هذا الشأن .

و « بلوتو » كوكب صغير طول قطره نحو ٣٦٠٠ ميل فقط ، الا أنه عظيم الكثافة وله جاذبية فعالة على نبتون ، خصوصا عندما يقترب منه . وفى هذه الحالة يقترب بلوتو من حضيض مساره ، ويقطع مسار نبتون ، ويصير أقرب الى الشمس من نبتون ، وسوف يصل الى أقل بعد له عن الشمس عام ١٩٨٩ .

وحتى نهاية القرن العشرين سوف يظل بلوتو أقرب الى الشمس من نبتون ، ثم ينطلق الى ما وراء مسار نبتون متقدما الى أوج مساره ليصله عام ٢١١٣ م .

وهذا التعاقب بالقرب والبعد بين الكوكبين يجعل قوى التجاذب المتبادلة بين الكوكبين تختلف ، ومن ثم فان نبتون ينطلق فى مسار مضطرب . وعن طريق قياس تلك الاضطرابات الطارئة على المسار يتوقع الفلكيون وجود كوكب قريب نسبيا تؤثر جاذبيته على نبتون . والذى يحول دون تصادم الكوكبين هو أن مسار بلوتو يميل ميلا كبيرا على مستوى الدائرة الكسوفية .

وهناك قانون يعرف باسم (قانون بود) يرجع أساسه الى عام ١٧٦٦ م عندما أعلن الفلكى الالمانى جوهان تيتس نظاما لبعد الكواكب عن الشمس على هيئة متوالية من الأعداد هى : ٤ ــ ٧ ــ ١٠ ــ ١٦ ــ ٢٨ ــ ٥٢ ــ ١٠٠ الخ واستخدام الفلكى الالمانى (جوهان بود) هذه المتوالية بصفة أعم لكل كوكب ، ومن ذلك الحين عرف هذا التطبيق باسم (قانون بود) .

ومن الواضح أننا اذا افترضنا أن بعد الأرض عن الشمس هو (١٠) وحدات ، يكون بعد عطارد (٤) والزهرة (٧) والمريخ (١٦) ولا يوجد كوكب على بعد (٢٨) وربما يكون قد تفتت وتناثر فى القدم ، ويكون بعد المشترى (٥٢) وبعد زحل (١٠٠) وأورانوس (١٩٦) ونبتون (٣٨٨) وبلوتو (٧٦٨) ، والكوكب العاشر (١٥٤٠) وحدة .

والأبعاد الحقيقية لتلك الكواكب بنفس الوحدة هى على التوالى (٣٫٩) بدلا من (٤) ، و (٧٫٢) بدلا من (٧) و (١٥٫٢) بدلا من (١٦) ، و (٥٢) كما هى ، و (٩٥٫٤) بدلا من (١٠٠) ، و (٣٠١) بدلا من (٣٨٨) ، ثم يعظم الاختلاف .

وعلى ذلك فان (قانون بود) لم يستخدم فى التعرف على كل من (بلوتو) والكوكب العاشر ، ولكن الحسابات الفلكية الخاصة باضطرابات مسار نبتون هى التى قادت الى التعرف على بلوتو حتى تم تصويره . وكذلك فان الاضطرابات المرصودة فى مسار

٩

الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

المذنب (هالى) الذى ظهر عام ١٩١٠ وينتظر أن يعود الى الظهور عام ١٩٨٥ ؛ هى التى قادت الى التعرف على الكوكب العاشر . والغالب أن هذا هو (نفس) المذنب الذى ظهر أيام الخليفة المعتصم .

على هذا النحو يتضح أن قوله تعالى (لموسعون) أخذت عدة معان سليمة علميا تطورت بتطور معرفة البشر واتساع آفاق المعرفة ، وبذلك هضمت كافة المعلومات السليمة المتصلة بموضوع تفسيرها .

والآيات الكريمة المتصلة بهذا العمق من أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن ، الا أننا سوف نكتفى بهذا القدر هذه المرة ، على أن نعود باذن الله تعالى الى الكتابة عن نفس العمق العلمى المتضمن فى كلمة (لواقح) فى قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » ..

د/ محمد جمال الدين الفندى

الاسلام وحقوق المرأة - بقية

أهل الزوجين وأقاربهما يكون فى أقصى مراتب الوجوب ؛ لأنهم يسعدون بسعادتهما ، ويشقون بشقائهما ، وتلفح وجوههم نار الخلاف بينهما ، ومن ثم كان الصلح بين الزوجين ، واجبا عينيا أولا ، وبالذات عليهم ، ولا ترفع عنهم مسئولية التدهور العائلى الناشىء عن الشقاق بين الزوجين الا بعد عجزهم عن ازالة أسبابه ، وهنا ينتقل الوجوب الى القادرين عليه من المسلمين (*) .

وقد ذكر القرآن الكريم الأهل ، لأنهم أشد الناس حرصا على سعادة الأسرة بمقتضى صلات القرابة التى توجد بين الجميع ، لأنهم أشد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون فى أسباب الشقاق من شئون يجب أن تكتم وتخفى حتى لا تشيع بين الناس وهى مما تتأثر به كرامة الجميع .

على هذا الوضع جاءت الآية الكريمة لترسم العلاج فى حالة التفاقم وشدة الخلاف وعجز الزوجين بأنفسهما عن ازالته .

وتستكمل فى العدد القادم بمشيئة الله بيان الضمانات التى تصاحب وقوع الطلاق ، بما يحفظ حقوق المرأة ، ويرد عن دين الله مزاعم الذين يريدون أن ينالوا منه والله الموفق المستعان ..

دكتور عبد الله مبروك النجار

(*) راجع فى هذا المعنى : « الاسلام عقيدة وشريعة » للامام محمود شلتوت ـ ص ١٨٦ ، ودكتور على عبد الواحد وافى ـ المرجع السابق ص ٨٣ .

التأثير التدميري للانفجار الذرى

للمهندس محمد إبراهيم حسين عبد المطلب

« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » ٦٠ الانفال .

القنبلة الذرية :

نشأت فكرة القنبلة الذرية من معلومة أن ذرات العناصر المختلفة تربطها داخل الذرة الواحدة طاقة ربط معينة بين مكونات الذرة فاذا عرضنا هذه الذرة لما يجعلها تنقسم الى ذرات عناصر أصغر فانها تعطى كمية من الطاقة نتيجة لفقدها طاقة ربطها .

فاذا عرضنا مثلا ذرات بعض العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم أو البلوتونيوم الى (نيوترونات) منشطة ، فان ذرة اليورانيوم تنقسم الى ذرتين لعناصر أخرى وعدد آخر من (النيوترونات) وكمية من الطاقة وتستمر هذه العملية فيما يسمى بالتفاعل الانشطارى منتجة بذلك حوالى ثمانين ناتجا انشطاريا مختلفا طبقا للاحتمالات المختلفة للانشطار .

وباستخدام معادلات الربط بين الطاقة والكتلة فانا نجد أن واحد كيلو جرام من اليورانيوم ينتج كمية من الطاقة حوالى (عشرة مليون مليون جول) وهو ما يساوى ثلاثة آلاف طن من الفحم عند حرقه أو عشرين ألف طن من المتفجرات التقليدية المسماة ت . ن . ت » وهذا يدلنا على مدى خطورة هذا السلاح الفتاك فيما ينتجه من طاقة . وتتوزع هذه الكمية من الطاقة بنسب مختلفة على ما ينتج من مواد مشعة ومن أشعة نووية ومن جسيمات نووية جديدة .

وللقنابل الذرية المختلفة أعيرة مختلفة لكل



عيار كتلة حرجة معينة توضـع فى التصـميم بطريقة هندسية معينة بحيث يحافظ عليها أثناء فترة التخزين ، فاذا أردنا تفجيرها فانـه يستخدم لذلك مفجر تقليدى يقوم بتجميـع الكتلة الحرجة فيبدأ التفاعل الانشـطارى باطلاق أول (نيوترون) منه حيث يبدأ فى سلسلة التفاعلات الانشطارية منتجـا هـذه الكمية الهائلة من الطاقة •

النواتج التدميرية للانفجار الذرى :

وباختصار شديد توضح فيمـا يلى هـذه النواتج :

١ ـ موجة الضغط :

وهى عبارة عن موجة أوموجات متلاحقة من الضغط الرهيب القوة الذى يحدث التدمير لكل ما يقابله من منشآت وأفراد وعربات تـدميرا كاملا لا يبقى على شىء ، وذلك فى دائرة قطرها حوالى خمسة كيلو مترات مركزها هو مركـز الانفجار •

٢ ـ الأشعة الحارقة :

وهى عبارة عن موجات مستمرة من الاشعة ذات الحرارة المرتفعة جدا التى تصل حرارتها الى حوالى ثلاثة آلاف درجة مئوية وهى التى تؤدى الى احـداث الحـرائق فى المنشـآت والانصهار والتدمير لكافة الاجسام المعدنيـة والاحتراق الكامل للافراد •

٣ ـ الأشعة النووية :

مثل (أشعة جاما) النووية وهى عبارة عـن موجات (كهرومغناطيسية) تحدث (تـأين) للخلايا الحية التى تخترقها بسهولة مما يصيب الافراد المعرضين لهـا بمرض الاعيـاء الذرى الذى يعتبر أقل ما فيه من اعراض هو تغير الصورة التركيبية لدم الانسان ، وأكبر ما فيه هو الوفاة الفورية حيث يكتسب الأفراد جرعات اشعاعية قاتلة تصل الى حوالى ٣٠٠ رونتجن دفعة واحدة « الجرعة غير المؤثرة تأثيرا ضارا على الانسان حوالى ٥ رونتجن فى العام » ومن هذا يتضح مدى خطورة هذه الاشعة النوويـة الخارقة لجسم الانسان •

وهذه الثلاثة نواتج الأولى تحدث فى الثوانى العشرة الاولى من الانفجار الذرى وهذا أخطر ما فى الامر حيث لا يجد الانسان مفرا من الموت الحتمى • أما النـاتج الاخـير مـن الآثـار التدميرية للانفجار الذرى فهو الناتج المتأخـر قليلا عما سبقه من نواتج ولكنه يستمر طويلا فى تأثيره الخطير والقاتل فى المكان الذى يقـع فيه الا وهو :

٤ ـ المواد المشعة الصلبة :

حيث تبدأ السحابة الكثيفة النـاتجة مـن الانفجار الذرى بماتحمله من مواد مشعة صلبة فى الارتفاع الى مدى كبير حوالى عدة كيلـو مترات وعند ارتفاع معين تبـدأ فى التحـرك

الأفقى فى اتجاه وسرعة الرياح السائدة حاملة فى طريقها الموت البطىء لجميع المناطق التى تتعرض لسريانها فهى بتعبير أدق — سحابة الموت تبدأ بمجرد تحركها فى اسقاط المواد المشعة المحملة بها على طبقات الارض أسفل منها وما بها من منشآت وأفراد ومركبات وأراض ومياه ومزروعات فى مخروط يصل عمقه الى حوالى ثمانين كيلو مترا وعرضه حوالى عشرة كيلو مترات ملوثا كل ما يسقط عليه فى طريقه وبالتالى معرضا كل الكائنات الحية الموجودة فى هذه المساحة الشاسعة للتعرض لمرض الاشعاع الذرى القاتل ولفترات زمنية طويلة تقدر بالسنوات !!!

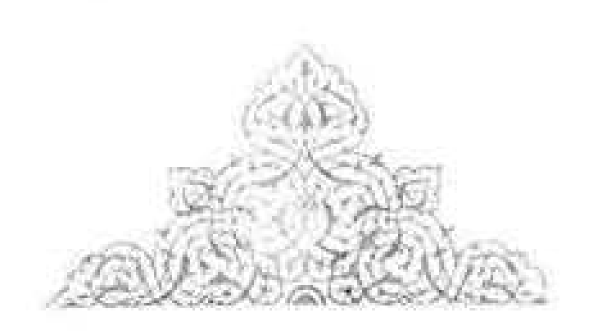
يحدث هذا كله من تأثير قنبلة واحدة ذات عيار من أصغر الأعيرة كالتى ألقيت مثلا فى اليابان فى الحرب العالمية الثانية حيث تم قتل ثمانين ألف نسمة من ثلاثمائة ألف نسمة هم سكان « هيروشيما » وتم جرح حوالى سبعين ألف نسمة ، وذلك بمعدل قتل حوالى ستة آلاف نسمة فى الكيلو متر المربع الواحد من انفجار قنبلة ذرية واحدة من أصغر الأعيرة !!!

وهذه القنبلة تعتبر — الآن — سلاحا تدميريا بدائيا فقد تطور هذا السلاح — حاليا الى القنبلة الهيدروجينية وقنبلة « الكوبالت » وقنابل « النيوترون » والأسلحة الكيمائية والبيولوجية وكلها أنواع من السلاح التدميرى الأكثر فتكا وتدميرا وبأعداد وكميات كبيرة فان المخازن — لهذه الاسلحة — أصبحت تنوء بما تحمل مما أدى بالدول المنتجة لها الى احداث أساليب للتخلص منها من كثرة ما تنتج أو لتطوير مصانع انتاجها بحيث انها يمكنها الجمع بين هذا الانتاج للأسلحة المدمرة وانتاج أنواع أخرى من الصناعات المدنية .

لقد أعدوا كل هذا ... ؟ فماذا اعددنا نحن المسلمون ؟

الم يأن لنا أن نمارس اسلامنا بحق فنكون خير الناس : قوة وعلما وعملا .

اللهم ارحم أمة محمد ﷺ رحمة عامة .



دورة بخار الماء

في الجو

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ • يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ » ٤٣ – ٤٤ – النور •

مقـدمة :

من المعروف أن الماء يلعب دورا هـاما فى حياة الانسان والكائنات الحية الأخـرى ، اذ لا يستطيع الانسان البقاء بضـعة ايام بلا مـاء ، ولذلك كـان من الضرورى اجـراء الدراسات والبحوث على الماء الـذى بدونـه تتوقف الحياة – بصورها المختلفة – عـلى سطح الكرة الأرضية •

ومن الموضوعات التى تتجلى فيهـا قـدرة الخالق سبحانه وتعالى – موضوع « دورة بخار الماء فى الجو » ، وملخص هذه الـدورة هو أن بخار الماء يتواجـد فى الغـلاف الجوى – من مصادر مختلفـة – ثم يتكثف تحت ظروف جوية معينة ليعطى سـحابا (مجموعات ضخمة من نقط المـاء مختلفـة الحجم أو من بللورات الجليد أو من الاثنين معـا) •

ثم يسقط من قاعدة بعض السحب عـلى هيئة نقط ماء أو بللورات ثلج أو الاثنين معا اذا كبر حجم البللورات وازداد وزنها وتكاثر داخل السحب ، ويشتد سقوط المطر خاصة فى مناطق ضعف تيارات الهواء الصـاعدة أو مناطق تيارات الهواء الهابطة •

وهكذا تتكرر دورة بخار الماء فى الجو • ولولا تكرار هذه الدورة لنفذت كميات المياه الهائلة الموجودة فى المحيطات والبحار والأنهار ولما استمرت الحياة – بصورها المختلفـة – على سطح الأرض • وهـذا من فضـل الله تعالى علينا •

ومن ذلك يتضح أن المـاء يوجد بصـوره الثلاث فى الغلاف الجوى ، فيوجـد الماء فى الحالة الغازية على هيئة بخار الماء فى الجو •

ويوجد فى الحالة السائلة على هيئـة نقط الماء المختلفة الحجم داخل السحب •

بقلم الدكتور
ربيع سيد فوزي

ويوجد في الحالة الصلبة على هيئة بللورات ثلج داخل السحب أيضا .

ونوضح ذلك :

الحالة الصلبة للمياه (الثلج) :

يوجد الثلج في صور متعددة اما على هيئة (بللورات) موجودة داخل بعض أنواع السحب ، أو على هيئة هطول(١) صلبة من هذه السحب وتصل الى سطح الأرض ، أو طبقات الجليد التى تتكون فوق أسطح المحيطات والبحار والأنهار عندما تقل درجة الحرارة عن الصفر المئوى ، ونذكر الخصائص التالية للثلج :

ــ كثافة الثلج تساوى ٠٫٨١٧ جم/سم³ (عند درجة حرارة الصفر المئوى) . ــ

ــ الحرارة الكامنة لانصهار الجليد تساوى تقريبا ٨٠ سعر / جم(٧٣سعر/سم³)

ــ الحرارة الكامنة لبخر الجليد (التسامى) تساوى تقريبا ٧٠٠ سعر / جم .

ــ عند درجة حرارة ــ ١°م يتحول الجليد الى ماء تحت ضغط حوالى ١٣٠كجم/سم² .

ــ تزداد صلابة الجليد بشدة مع نقصان درجة الحرارة .

الحالة السائلة (الماء) :

ــ تحت ضغط جوى ٧٦٠مم/ زئبق يتحول الماء الى ثلج عند درجة حرارة الصفر المئوى ، ويغلى الماء عند درجة حرارة ١٠٠م°، وعند انخفاض الضغط تقل درجة غليان الماء فمثلا تقل الى ٨٠°م عند ضغط ٣٥٥مم/زئبق ، وتقل الى درجة ٤٠°م عند ضغط ٥٥مم/زئبق.

ــ معامل الانكسار في الماء يساوى ١٫٣٣٤ .

ــ يوجد الماء في حالته السائلة في المحيطات والبحار والأنهار والمياه الجوفية .

ــ الحرارة الكامنة للبخر تساوى تقريبا ٥٩٧٫٣ سعر/جم .

ــ تتضاعف قيمة الحرارة النوعية للماء عند تحوله من الحالة الصلبة الى الحالة السائلة عند درجة حرارة الصفر المئوى : من ٠٫٥ الى ١٫٠٠٥ سعر / جم درجة .

ــ أكبر كثافة للماء هى ١جم/سم³ وتصل هذه القيمة عند درجة حرارة ٤°م :

من فضل الله تعالى علينا أيضا أن جعل القيمة العظمى لكثافة المياه (١جم / سم³) تحدث عند درجة حرارة ٤°م ، واذا

---

(١) كذا ، ولم نعثر على (هطول) بزنة : فعول في لسان العرب .

دورة بخار الماء في الجو

ما زادت درجة الحرارة لمقدار معين من الماء عن ٤°م فان حجمه يزداد وتقل كثافته ، وكذلك عندما تقل درجة حرارته عن ٤°م الى الصفر المئوى أيضا يزداد حجمه وتقل كثافته . وعندما يتجمد الماء مكونا الجليد الذى يطفو على سطح الماء لأن كثافته اقل من كثافة الماء عند درجة حرارة الجليد (الصفر المئوى) كما سبق ذكره .

وهذه الخاصية فى منتهى الأهمية بالنسبة لحياة الأسماك والحيوانات المائية الأخرى — عند درجة حرارة ٤°م — فى المياه المغطاة بطبقة من الجليد فى المناطق الباردة أو المناطق القطبية . فان الجليد الذى يطفو فوق الأسطح المائية للمحيطات والبحار والأنهار يعتبر طبقة عازلة تمنع (الفقد) الزائد من حرارة المياه الموجودة تحتها . وتبقى المياه هذه فى حالتها السائلة عند درجة حرارة ٤°م . وبذلك تستمر حياة الأسماك والحيوانات الأخرى وبعض النباتات وكلها تعتبر غذاء للانسان — وفى ذلك دلالة واضحة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى .

الحالة الغازية — بخار الماء :

يوجد بخار الماء فى الجو بصفة دائمة نتيجة لعمليات البخر المستمرة من أسطح المحيطات والبحار والأنهار ومن التربة الرطبة وكذلك عن طريق نتح النباتات ويؤدى الضغط الجزئى لبخار الماء دورا هاما فى عمليتى : التكثف والتسامى .

أى تكثف بخار الماء فى قطرات ماء مكونا السحاب أو الضباب أو (الشابورة) المائية .

والتسامى هو تحول الجليد الى بخار ماء دون المرور بالحالة السائلة .

ولذلك فان نسبة وجود بخار الماء فى الجو تكون متغيرة (بتغير المكان والزمان) .

ويحمل بخار الماء ، الذى يتكون فى المناطق الحارة ، الحرارة الكامنة للبخر عندما ينتقل بواسطة الرياح الى المناطق المعتدلة ليتكاثف وتنطلق منه هذه الحرارة ، وبذلك يعمل بخار الماء على تلطيف المناخ وتوزيع الحرارة بصورة مناسبة على المناطق المختلفة .

اى أن بخار الماء يعمل على التوازن الحرارى فى الغلاف الجوى ، وبدون ذلك أيضا لا يمكن أن تستمر الحياة — بصورها المختلفة — على سطح الأرض .

ومن خصائص بخار الماء أن حرارته النوعية تساوى ٤٨٧ر٠ سعر/ جم درجة (عند درجة حرارة ١٠٠°م وتحت ضغط ٧٦٠مم/زئبق) ، والنسبة بين كثافة بخار الماء وكثافة الهواء عند نفس درجة الحرارة والضغط تساوى ٦٢٣ر٠ ، ومن أهم خصائص بخار الماء أيضا انه يمتص الاشعاع الشمسى بشدة فى طيف الأشعة الحمراء وتحت الحمراء ، وأيضا الاشعاع طويل الموجة ، وهذا يوضح ماذكرناه من أن بخار الماء يعمل على تلطيف المناخ والتوازن الحرارى للغلاف الجوى مما يؤدى الى بقاء الحياة على كوكب الأرض ، واذا حدث خلل فى هذه النسب أو هذه الخصائص الهامة لا يكون هناك هذا التوازن المحكم الدقيق الذى يدل على عظمة الخالق وقدرته سبحانه وتعالى .



للأستاذ عبد المنعم حافظ فودة

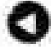
خفض الانفاق الحكومى :

قرر مجلس الوزراء خفض الانفاق الحكومى ٥٠٠ مليون جنيه فى الموازنة الجديدة للدولة ٨٤/٨٥ اى ما وازى ١٠٪ من حجمها وذلك لخفض العجز بالموازنة العامة الذى اعلنه الدكتور / صلاح حامد والبالغ ١٢٠٠ مليون جنيه ، على أن تعد الوزارات والهيئات نفسها لهذا الخفض وتلتزم به فى كافة مجالات استخدامات الباب الثانى للموازنة والخاص بالاعتمادات المالية لنفقات مستلزمات الصيانة والتشغيل والتجهيزات السلعية والمكتبية وبدلات السفر النقدية للعاملين والنفقات الجارية لاستهلاك المياه من الكهرباء والوقود وغيرها .

والخوف كل الخوف أن تستمر بعض الادارات بالدولة فى اختيار الطريق السهل وقصر الخفض فى النفقات على وسائل التشغيل والصيانة والأدوات المكتبية وهو ما يعوق عملية التنمية فى كافة صورها . فالاسراف فى الانفاق الحكومى المؤثر يتعدى هذه المسائل الحيوية لسداد نفقات لاداعى اطلاقا لها من موائد وحفلات وهدايا واستعمال خاطىء وصرف ومعرض للسيارات وأدوات الانتاج وغيرها .

ان احدى المشاكل الأساسية للاقتصاد المصرى هى الزيادة السريعة والمستمرة فى النفقات الحكومية وعدم تمتع موارد الموازنة العامة بالقدر الكافى من المرونة لمواجهة هذه الزيادة فى تلك النفقات .

ولو افترضنا أننا لمنا بكل الجهود المطلوبة لترشيد الانفاق الحكومى والحد من البذخ والحد من الاسراف وكل مظاهر التزايد فى الانفاق . فهناك العوامل الطبيعية وغير الطبيعية المبررة التى لابد أن تؤدى الى زيادة الانفاق الحكومى من سنة الى اخرى فهناك :



بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية

أ ـ زيادة في عدد موظفي الدولة تطبيقا للسياسة الاجتماعية القاضية بتشغيل الخريجين .

ب ـ زيادة البدلات والعلاوات والمكا. والحوافز الى آخره . وهناك الزيادة في تكاليف الدين العام الداخلي والخارجي من فوائد وأقساط استهلاك على الأقل في السنين القليلة القادمة الى حين تسديد هذه الديون أو على الأقل الى حين التخفيض من حجمها .

ولقد التزمت الدولة بتنفيذ الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ٨٢/١٩٨٣ ، ٨٦/١٩٨٧ كبرنامج لاصلاح الأوضاع الاقتصادية في مصر ومنها العمل على تخفيض العجز في ميزان المدفوعات من ٢٠٣٠ مليون جنيه في عام ٨١/٨٢ الى ١٥٨٠ مليون جنيه في عام ٨٢/١٩٨٣ الى ١٢٠٠ مليون جنيه في ميزانية هذا العام .

ولا شك أن من وسائل تخفيض العجز العمل على تدعيم الوسائل التي تؤدي الى زيادة قيمة المتحصلات الجارية من الصادرات السلعية خاصة الصناعية والزراعية وذلك لتحقيق معدلات عالية في الانتاج الزراعي والصناعي .

فأما عن «ميزانية التقشف» التي نادت بها بعض الأحزاب السياسية في مصر فانها ـ على الرغم من وجاهتها ، فان تطبيقها لا يؤدي الى تأثير عام بها ، فضلا عن أن بعض المشكلات الاجتماعية التي توليها الدولة اصلاحا سريعا يحول دون تطبيق هذه النظرية عموما .

كذلك فاننا ننشد زيادة الانتاج وجودته ، ومن المعلوم أن تحقيق هذا الذي ننشده يتطلب مصروفات ، ولو أننا تقشفنا لتوقفنا عن الاصلاح فيما هو ضروري ، وخطط زيادة الانتاج .

لذلك فحاجتنا الى « الترشيد » أكثر من حاجتنا الى « التقشف » وان « الترشيد » ليدعونا ـ في مقدمة ما يدعونا اليه أن نتوجه بكل وسيلة الى القضاء على الفساد والمفسدين حتى تقوم لنا قاعدة ، أخلاقية تكون سندا للقاعدة القانونية في تنظيمنا الاجتماعي .

ان مظاهر الفساد من رشوة وهدايا وعمولات واكراميات ، (بقشيش) تكون مجرمة بقدر ما ينطوي عليه النظام القانوني والخلقي في المجتمع من تجريم لها ، وحيث يكون في هذا النظام القانوني والخلقي معايير سلوكية تجرم وتحرم الاتجار بالوظيفة العامة هذه الوظيفة التي جعلت أداة لخدمة المجتمع لا وسيلة للاثراء المادي عن طريقها .

إن معالجة مشكلة الفساد تتأتى عن دراسة مستفيضة تلم بكل دروبه ومساربه ، ومتابعة هذه الدروب والمسارب للحد من تسلط كل نهاز للفرص مفسد للذمم يتصيد في الحرية والديمقراطية مستهدفا الانتفاع الشخصي على حساب الفضيلة والمصلحة الوطنية . وتدفعنا هذه الدراسة الى القاء نظرة على خصائص التجارة الدولية في وقتنا الحاضر : اصطحب النمو الاقتصادي العالمي السريع من عام ٥٠

الى عام ١٩٨٣ نموا أسرع فى التجارة الدولية ففى الفترة من ٦٥ — ١٩٧٣ وهى فترة الذروة عندما زاد الناتج القومى الاجمالى العالمى بنحو ٦٪ سنويا كان لزاما على التجارة الدولية وحركات رأس المال أن تجعل الحكومات تخفف من القيود بدرجة أكبر أمام نمو الانتاجية والدخل . وبعد حرب ١٩٧٣ اصطحب النمو الابطأ فى الاقتصاديات الصناعية نموا أيضا فى التجارة الدولية ، وهبط النمو الى المستوى المتوسط حيث وصل حجم الصادرات العالمية من الوقود من ٩٪ فى ٦٥ — ١٩٧٣ الى ٥ر٪ فى أعوام ٧٣ — ١٩٨٠ . وهبط نمو منتجات الصناعة التحويلية من ٧ر١٠٪ الى ٦ر٦٪ ، وعموما تباطأ النمو فى الصادرات نحو ٥٪ سنويا فى ٧٣ — ٨٠ ولكن فى الوقت نفسه أصبحت البلدان النامية سوقا هامة بدرجة متزايدة للبلدان المتقدمة .

إن التدهور الذى حدث بعد ارتفاع سعر النفط ٧٣ — ٧٤ والذى زاد بعد الارتفاع الثانى ٧٩ — ١٩٨٠ دفع البلدان الصناعية الى الرغبة فى المحافظة على الدخول الزراعية والصناعية مما دعاها الى الاستمرار فى توفير الحماية الزراعية والصناعية لهذه الدول على الوجه الآتى :

— الارتفاع المستمر فى أسعار المنتجات الزراعية والصناعية والغذائية مقابل الارتفاع فى أسعار النفط مما أثر فى المقابل على الدول النامية وعلى الأخص الدول غير المنتجة للنفط.

— اعتبار سوق الدول النامية سوقا من الدرجة الثانية أو الثالثة ، وعملوا على تصريف منتجاتهم بها بصرف النظر عن درجة تفاوتها أو كفاءتها أو جودتها . وأصبحت البضائع تتدرج الى رتب ودرجات تستخدم الدول المتقدمة منها الدرجات الأولى أما ما بقى منها فهو المنتج المناسب للدول النامية .

— ربط الدول النامية بالتكتلات الاقتصادية والمعاهدات ومنحها القروض المشروطة التى تقيد من حركتها وتضمن بذلك تصريف منتجاتها بصورة مستمرة مع المحافظة فى الوقت نفسه على سداد هذه القروض وفوائدها بالدرجة التى تضاعف هذا الدين وفوائده عشرات المرات على أن يكون استهلاك هذه القروض فى البضائع الاستهلاكية دون البضائع ذات الانتاج حتى لا تخلق الدول المتقدمة قاعدة انتاجية بهذه الدول .

وهناك اجماع على أن السوق الحرة العالمية انما هى سوق تحركها مصالح الدول الصناعية ضد مصالح الدول النامية ، وتقدر خسائر الدول النامية من التعامل خلال هذه السوق « الحرة » بحوالى ٧٥ — الى — ١٠٠ بليون دولار سنويا .

لذا كانت التجارة الدولية ذات سياسة اقتصادية تتناسب مصالحها الوطنية وما ارتباطها بالحكومات الغربية باستمرار وخضوعها لسياستها الا وسيلة أولية لمكاسبها من جهة واحتكارها لأسواق الدول النامية من جهة أخرى تلك الدول التى تحملت الاضافات المتزايدة على السلع المصدرة اليها ، مهما كانت تلك السلع فى مقاييس الجودة .

وقد استمر دور شركات التجارة الدولية فى

بعض مظاهر المشكلة الاقتصادية

الاقتصاد العالمى حتى بلغ انتاج هذه الشركات نحو ٣٠ ٪ من اجمالى انتاج الدول الغربية المتقدمة عام ١٩٧١ ، كذلك فان رقم مبيعات بعض هذه الشركات يفوق حجم الناتج القومى للعديد من الدول مجتمعة .

ولقد نجحت هذه الشركات فى ايجاد أكثر من شكل مريب من التوكيلات داخل البلدان النامية أدى دوره الأثيم فى تمرير أكبر كمية من صفقات تجارية مخالفة للصفات الاساسية الى درجة الصفر حتى كان منها صفقات لحوم ودواجن طلب اعدامها بمواطنها الأصلية .

وهذه التوكيلات هى التى أدت الى نشاط ما يعرف باقتصاد تحت الأرض أو الاقتصاد الخفى .

من وسائل العلاج :

يمكن أن يكون التفتيش والمراجعة المحايدين حلا جذريا ناجعا تماما فى القضاء على الفساد بكل ضروبه داخليا وخارجيا اذا صاحب عملية الانتاج فى الداخل والاستيراد فى الخارج .

ان المهمة الكبرى للسياسة الاقتصادية تكمن فى النفاذ الى مواطن الاقتصاد الخفى والقضاء عليه ويعتبر التفتيش والمراجعة المحايدين شرطى المرور الساهر على حركة العبور لانطلاق العمليات الاقتصادية فى أمان ضاربا بيد من حديد على كل من تسول له نفسه المضاربة باقتصاد البلاد .

وبالنسبة للخارج ترى غرفة التجارة الدولية فى باريس ، ونشرة معهد الأمم المتحدة للتدريب والبحوث عام ١٩٧٦ أن التفتيش والمراجعة المحايدين يجنب طرفى التعاقد كثيرا من المشاكل وفيهما ضمان الأمن والأمان للعملية الاقتصادية .

عن دراسة لـ « كوميصل »

عبد المنعم حافظ فودة

إطلالة على ديوان اشراقة - بقية

وللتيجانى أبيات ايمانية حارة تذهب بكل شك ومن انتفاضاته الايمانية أبيات تقطر بالعذوبة والجمال قال فى قصيدته التى نظمها فى ذات الله العلية :

هذه الذرة كم تحمل فى العالم سرا (١)
قف لديها وامتزج فى ذاتها عمقا وغورا

وفى فلذة أخرى من ذات القصيدة يقول :

رب فى الاشراقة الأولى على طينة آدم
أمم تزخر فى الغيب ، وفى الطينة عالم
ونفوس تزحم الماء ، وأرواح تحاوم
سبح الخلق وسبحت وآمنت وآمن

أحمد مصطفى حافظ

(١) قصيدة الصوفى المعذب بديوانه (اشراقة) ص ٦ ، ٧

* انه لأمر مستبعد أن يكون تطبيق الشريعة الاسلامية سببا فى حدوث توتر فى المجتمع السودانى باعتبار أن السودان شعب مسلم أصلا يؤدى فرائض الله ويخضع لحكم الله واذا كانت قد وقعت هناك بعض الأحداث فلعل ذلك ناتج عما يساق الى هذا الشعب من دعوات واردة اليه من خارج حدوده والتى ترمى الى اشاعة الفتن واثارة الطوائف هناك هذا من ناحية — من ناحية أخرى أقول لماذا نأخذ ما حدث فى السودان دليلا على أن تطبيق الشريعة الاسلامية غير مجد وغير مفيد ؟ لم نذهب الى هذا وتجربة السودان ما تزال وليدة عمرها أقل من عامين — لم لا نذهب الى تطبيق أحكام الشريعة فى السعودية — وهى تجربة تسير عليها منذ زمن بعيد — والتى نرى ثمارها أمنا واستقرارا ، ان تجربة السعودية ان دلت على شىء فهى تدل على مدى ما تحققه الشريعة من فوائد وخير اذا ما طبقت أحكامها واستقر التطبيق على منوال صحيح من أحكام الله .

*** سؤال : معنى هذا أن مصر مهياة لها اليوم ؟**

* نحن مهيأون لها تماما يكفى أن ننزل الى الشارع المصرى اليوم لنسمع رغبة الناس فى الأخذ بها — بل نرد الى مكتبى بالأزهر العديد من الكتابات من أفراد الشعب يلحون ويطلبون ويستعجلون ويستفسرون عن الاسباب الداعية الى تأخير اصدار القوانين المأخوذة من الشريعة ولعل مجلس الشعب يجيب على ذلك .

استئصال التطرف

*** سؤال : على حين ظهرت مخاوف لدى البعض من ان تبنى الشريعة الاسلامية قد يخلف ردود فعل التطبيق تنعكس فى ظهور جماعات سياسية تقليدية ذات طابع دينى متطرف — رأى آخرون أن تطبيق الشريعة هو أجدى سبيل لقطع الطريق على المتطرفين ، ما هى وجهة نظركم ؟**

* اننى أرى أن تطبيق الشريعة هو أجدى سبيل بالفعل لقطع الطريق على كل متطرف ذى نزوة فتطبيق أحكام الشريعة كاملة من شأنه أن يقف فى وجه كل دعى يتخذ الاسلام ستارا لعمل يريده لنفسه أو ليشكل بمقتضاه حزبا علنيا أو سريا ان تطبيق الأحكام الشرعية سيقضى على كل هذه النوازع والنوايا غير الحسنة ، فالتطبيق لن يخلق أى جماعات أو تجمعات متطرفة بل سيستأصلها ويقضى عليها جميعا بحيث لا تقوم لها قائمة .

سناء السعيد



المرء على دين خليله

قال — عليه الصلاة والسلام — :

« المرء مع من أحب » .

وقال عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — : « ما من شيء أدل على شيء ، ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب » .

وقال بعض الأدباء : « يظن بالمرء ما يظن بقرينه » .

وقال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عباد الرحمن

ينسب الى الامام على — كرم الله وجهه — أنه قال :

الناس سبع طبقات :

فالطبقة الأولى : الفراعنة .

يدعون الناس الى عبادتهم ، أما أنهم لا يؤمرونهم أن يصلوا لهم ، ولا يصوموا ولكنما يأمرونهم بطاعتهم فيطيعونهم ، فيطاعتهم لهم فى معصية الله — جل ثناؤه — قد اتخذوهم أربابا من دون الله !!

والطبقة الثانية : جبابرة أكل الربا ، وبيعهم السحت .

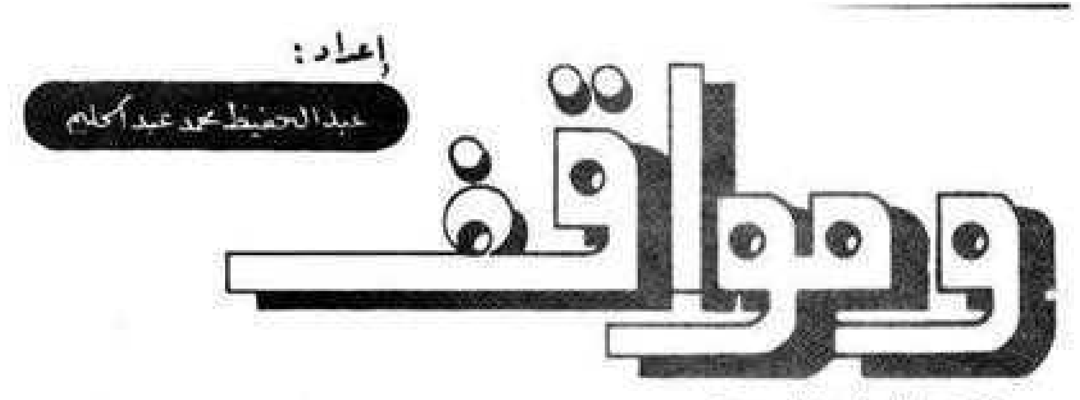
والطبقة الثالثة : فساق قد تشردوا من الدين كما ينشرد الشارد من الابل .

والطبقة الرابعة : أصحاب الرياء ليسوا يعبدون الا الدينار والدرهم .

والطبقة الخامسة : مخادعون يطلبون الدنيا بزى الصالحين .

والطبقة السادسة : فقراء انما هم أحدهم أن يشبع شبعة من الطعام ،لا يبالى أحلالا أخذها أم حراما .

والطبقة السابعة : الذين أتقى الله — عز وجل — عليهم ، فقال : « **وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا**



خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » .

البلاغة حد الاعتدال فى الكلام

قال جعفر بن يحيى : اذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا .

واذا كان الاكثار واجبا كان التقصير عجزا .

نصيحة

قال رجل لعمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ :

اجعل كبير المسلمين عندك ابا .

وصغيرهم ابنا .

وأوسطهم أخا .

فأى اولئك تحب أن تسىء اليه ؟! .

ما أعجب

سأل سليمان بن عبد الملك الأموى عمر بن عبد العزيز يوما ما تقول فى الدنيا ؟ .

فقال له : أرى دنيا يأكل بعضها بعضا .

فنظر اليه سليمان ، وقال : ما أعجبك ؟ .

فقال عمر : بل ما أعجب من عرف الله فعصاه وعرف الشيطان فأطاعه ، وعرف الدنيا فركن اليها .

سؤال وجواب

سأل السلطان عليا بن الحسين النيسابورى :

لم لا تجىء الىّ ؟ .

فأجابه : أردت أن تكون خير الملوك اذ تزور العلماء .

ولا أكون شر العلماء فأزور الملوك !!

لست أهلا لها

دعى أبو حنيفة ــ رضى الله عنه ــ ليكون قاضيا فقال : لست أهلا لها !!!

فقيل له : لابد من ذلك .

فقال : قد قلت لست أهلا لها ، فان كنت فى ذلك صادقا عذرتنى .

طرائف ومواقف

وان كنت كاذبا فبكذبي هذا قد تحقق انى است اهلا لها .

عظة بالغة

قال الأصمعي :صنع الرشيد يوما طعاما فاخرا ، وزخرف مجالسه ، ثم أحضر أبا العتاهية الشاعر .

فقال له : صف ما نحن فيه من نعيم الدنيا ، فأنشد :

عش ما بدا لك سالما
فى ظل شاهقة القصور

فقال : أحسنت ثم ماذا ؟ فأنشد :

يسعى اليك وما اشتهيـ
ـت لدى العشية والبكور

فقال : أحسنت أحسنت ، ثم ماذا ؟

فأنشد :

واذا النفوس تغرغرت
بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا
ما كنت الا فى غرور

فبكى الرشيد بكاء شديدا .

فقال بعض الحاضرين : لأبى العتاهية .

بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته ؟ .

فقال الرشيد : دعه فانه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه .

دعاء

اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا .

تصحيح

ورد بالسطر الثانى عشر بالعمود الثانى بالصفحة ١٠٧٧ بالجزء السابع من مقال (المسيح عيسى بن مريم عليه السلام) خطأ فى اسم المدينة بانه مدينة (صخر) وصحته مدينة (صور).

كما ورد بالفقرة ٢ من العمود الثانى ومن نفس المقال فى الجزء المشار اليه بالصفحة ١٠٨٠ أن ما رواه يوحنا فى انجيله هو فى الاصحاح الحادى عشر عدد ٣١ وما بعده وصحته (فى الاصحاح العاشر عدد ٣١ وما بعده) .

ورد ص ١١٣٢ من عدد رجب ١٤٠٥ بمقال : من أعلام الأزهر : الشيخ صالح موسى شرف ــ السطر الخامس بشان تاريخ ميلاد الشيخ انه فى ١٨/٧/١٩٨٤ وصحته ١٨/٧/١٨٩٤ م .

ونزيد أن الشيخ ــ رحمه الله ــ نال شهادة (العالمية) عام ١٣٤١ هـ ــ ١٩٢٤ م .

في اللغة والأدب والنقد

الوقف على المهموز

في ذمة الله يا أحمد

مع رسالة الأدب والنقد

الوقف على المهموز الآخر

الهمزة أبعد الحروف واخفاها ، لأنها من أقصى الحلق ــ والوقف عليها يزيدها خفاء ، لذهاب الحركة المبينة للحرف ــ ولذلك احتاجوا الى بيانها عند الوقف ــ ان وجدت ، وللعرب عند الوقف عليها مذهبان :

١ ــ التخفيف بالحذف أو القلب .

٢ ــ التحقيق .

فالاول مذهب الحجازيين ، واليك مسلكهم فى التخفيف .

فان كان ما قبلها متحركا قلبت الهمزة حرفا مجانسا للحركة التى قبلها فى جميع أحوال الاعراب ، فتقلب الفا فى نحو الرشا ، وواوا فى نحو أكمؤ ، وياء فى نحو مستهزىء فيصبح الآخر حرف لين فلا يجوز فيه عند الوقف الا الاسكان دون الروم والاشمام والتضعيف والنقل ــ كما عرفنا سابقا .

فتقول : هذا رشا ، ومن رشا ، ورأيت رشا ــ بالألف فى الجميع وكذلك تقول : أكمو بقلب الهزة واوا ــ وتقول : مستهزي بقلب الهمزة ياء فى جميع أحوال الاعراب .

وان كان ما قبلها ساكنا ــ نقلوا حركتها الى الساكن قبلها وحذفوها ثم حذفوا الحركة للوقف . فاذا وقفوا على نحو الخبء والردء والبطاء ــ وقفوا بالسكون على الباء والدال والطاء ، ويجوز أيضا مع الاسكان الروم والاشمام : والتضعيف .

واذا كان بعد التخفيف منونا قلبنا النون الفا ، نحو رأيت ردا . وبطا . وخبا ــ واليك ما قاله فى هذا الموضع امام هذه الصناعة .

قال سيبويه (ج ٢ ص ٢٨٦) فأما الذين لا يحققون الهمزة من أهل الحجاز ــ فقولهم : هذا الخبا فى كل حال لأنها همزة ساكنة قبلها فتحة فانما هى كألف راس اذا خففت ولا تشم لأنها ألف كألف مثنى ، ولو كان ما قبلها مضموما لزمها الواو نحو أكمو ، ولو كان مكسورا ألزمت الياء نحو أهني وتقديرها أهنع فانما هذا بمنزلة جونة وذيب ولا اشمام فى هذه الواو لأنها كواو يغزو واذا كانت الهمزة قبلها ساكن فخففت فالحذف لازم ، ويلزم الذى ألقيت عليه الحركة ما يلزم سائر الحروف غير المعتلة من الاشمام واجراء الجزم وروم الحركة والتضعيف أ هـ .

للدكتور عبد العظيم على الشناوى

والثانى : مذهب المحققين واليك مسلكهم عند الوقف .

فان سكن ما قبل الهمزة وقفوا عليها بحذف حركتها فقط فى الرفع والجر والمنصوب غير المنون (١) كما تقف على بكر ، وخالد ويجوز فيها مع الاسكان الروم والاشمام ولا يجوز التضعيف (٢) ــ كما ذكرنا قبل .

قال سيبويه : أما كل همزة قبلها حرف ساكن فانه يلزمها فى الرفع والنصب والجر ما يلزم الفرع من هذه المواضع التى ذكرت لك من الاشمام وروم الحركة ومن اجراء الساكن (٣) أ هـ .

وبعض العرب يلقى حركتها على الساكن الذي قبلها ولا يحذفها لأن الحركة قبلها تزيدها بيانا ــ والهمزة لفرط خفائها أحوج الى تحريك ما قبلها من سائر الحروف ــ ولذلك ألقوا حركتها مطلقا على ما قبلها ــ فتحة كانت أو ضمة أو كسرة ــ وقد عرفت سابقا أن الكثير يمنع نقل الفتحة فى غير المهموز .

وأيضا ألقوا ضم الهمزة الى ما قبلها فى الثلاثى المكسور الفاء نحو هذا الردء ــ بكسر فضم وألقوا كسرها الى ما قبلها فى الثلاثى المضموم الفاء نحو من البطء ــ بضم فكسر وان انتقل اللفظان بهذا النقل الى وزن مرفوض ولم يفعلوا ذلك فى غير الهمزة ــ كما تقدم ــ خصوا الهمزة بما ذكرنا لكراهيتهم وقوعها ساكنة بعد ساكن لخفائها .

ولا يجىء فى المنقول اعرابها الى ما قبلها الروم والاشمام ، لأنهما لبيان الحركة ، وقد حصل ذلك بالنقل .

قال سيبويه : واعلم أن ناسا من العرب كثيرا يلقون على الساكن الذى قبل الهمزة حركة الهمزة .

سمعنا ذلك من تميم وأسد يريدون بذلك بيان الهمزة . وهو أبين لها اذا وليت صوتا (٤) . والساكن لا ترفع لسانك عنه بصوت ، لو رفعت بصوت حركته (٥) : فلما كانت الهمزة أبعد الحروف وأخفاها فى الوقف حركوا ما قبلها ليكون أبين لها وذلك قولك :

(١) أما المنون فلا تحذف حركته على المشهور بل يقلب التنوين ألفا بعد الفتحة فحكم الهمزة ــ هنا كحكم الحرف الصحيح الموقوف عليه تماما .

(٢) قال سيبويه جـ ٢ ص ٨٦ ولم تسمعهم ضاعفوا لأنهم لا يضاعفون الهمزة فى آخر الحروف فى الكلام (الوصل) ــ أ هـ .

(٣) جـ ٢ ص ٢٨٥ .

(٤) أى والصوت لا يكون الا مع الحركة .

(٥) أى لو رفعت لسانك من السكون بصوت لتحرك .

هو الوثؤ ومن الوثئ، ورأيت الوثا الخ الأمثلة التي ذكرها ــ جـ ٢ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

وبعض بني تميم لا ينقل في نحو (هذا الردء) ولا من البطء ــ تجنبا لما يؤدي اليه النقل من الوزنين المرفوضين وهما فعل ــ بضم فكسر ــ وفعل ــ بكسر فضم (٣) ــ وانما يتبع العين الفا في حركتها .

قال الرضي جـ ٢ ص ٣١٢ ــ : وذلك أنهم لما رأوا أنه يؤدي النقل في البطء في حال الجر ، وفي الردىء في حال الرفع الى الوزنين المرفوضين أتبعوا العين الفاء في حال الجر في البطؤ ، وفي حال الرفع في الردىء فتساوى الرفع والجر فيهما فكرهوا مخالفة النصب اياهما ، فأتبعوا العين الفا في الأحوال الثلاث .

قال سيبويه : وأما ناس من بني تميم فيقولون : هو الرديء ــ بكسرتين كرهوا الضمة بعد الكسرة : لأنه ليس في الكلام فعل ــ بكسر فضم ــ فتنكبوا هذا اللفظ لاستنكار هذا في كلامهم . وقالوا : رأيت الرديء ــ بكسرتين ــ ففعلوا هذا في النصب كما فعلوا في الرفع أرادوا أن يسووا بينهما . وقالوا من البطؤ ــ بضمتين ــ لأنه ليس في الأسماء فعل ــ بضم فكسر ــ وقالوا : رأيت البطؤ أرادوا أن يسووا بينهما أ هـ .

وبعض العرب يحذف حركة الهمزة ويقلبها حرفا مجانسا للحركة المحذوفة : فيقول : هذا الوثو ، والبطو . والردو ، ومررت بالوثي ، والبطي ، والردي ، بسكون العين في الجميع ، وأما في حالة النصب فلا يمكنه تسكين ما قبل الألف اذ الألف لا تجيء الا بعد فتحه ، فيقول : رأيت الوثا والبطا والردا ، بالنقل والقلب .

قال سيبويه : ومن العرب من يقول : هو الوثو ــ بسكون الثاء فيجعلها (أي الهمزة بعد حذف حركتها) واوا حرصا على البيان ، ويقول : من الوثي فيجعلها ياء ، ورأيت الوثا بسكون الثاء في الرفع والجر ، وهو في النصب مثل القفا ــ أ هـ (جـ ٢ ص ٢٨٦) .

واعلم أن الذين تجنبوا ــ عند وجود الهمزة ــ الوزن ــ المرفوض في النقل فأتبعوا العين الفاء في حركاتها . تجنبوا أيضا هذا الوزن المرفوض عند قلب الهمزة . فقالوا : هذا البطو ، ومررت بالبطو ، ورأيت البطو ، وهذا الردي ، ومررت بالردي ، ورأيت الردي ــ باتباع العين للفاء في الجميع ــ ولزم من ذلك بقاء الواو في البطو لضم ما قبلها في جميع الأحوال ــ وبقاء الياء في الردي لكسر ما قبلها في جميع الأحوال .

قال سيبويه : وأما من لم يقل : من البطىء

---

(١) اى انك لو قلت : هذا الردؤ ، بنقل حركة الهمزة الى الدال لصار وزنه فعل ، بضم فكسر : ولو قلت : من البطىء ، بنقل حركة الهمزة الى الطاء لصار وزنه فعل ، بضم فكسر : والوزنان مرفوضان ففرارا من هذا اتبعوا العين الفاء في حركتها فكسروا العين ان كانت الفاء مكسورة وضموها اذا كانت الفاء مضمومة .

ـ بضم فكسر ـ ولا هو الردؤ ـ بكسر فضم فانه ينبغى لمن اتقى ما اتقوا (وهو الوزن المرفوض) أن يلزم الواو والياء (١) أهـ جـ ٢ ص ٢٨٦ .

هذه اللهجات التى ذكرناها اذا كان ما قبل الهمزة ساكنا ـ عند أهل التحقيق فان كان ما قبلها متحركا ، نحو الرشأ ، واكمؤ . واهنىء فانك تقف عليه كما تقف على المنتهى بحرف صحيح كجمل ورجل وكبد ، لأن حركة ما قبلها تبينها فيجرى فيه جميع وجوه الوقف الا التضعيف لما عرفنا والا النقل لأن ، ماقبلها متحرك .

قال سيبويه :واذا كان الحرف قبل الهمزة متحركا لزم الهمزة ما يلزم القطع من الاشمام واجراء المجزوم وروم الحركة أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٦ .

وبعض العرب : من الذين يحققون الهمزة ـ يقلب الهمزة حرفا مجانسا لحركتها ان كان ما قبلها مفتوحا ـ فيقول : هذا الكلو . ومررت بالكلى ورأيت الكلا يقلبون المضمومة واوا ، والمكسورة ياء ، والمفتوحة ألفا ـ وانما فعلوا ذلك حرصا على البيان لأن الفتحة عندهم كالعدم لخفتها فأعطوها حكم السكون (٢) . ولأنها لا يستثقل بعدها حرف العلة ـ بخلاف الضم والكسر .

قال سيبويه : ومن العرب من يقول : هو الكلو ، حرصا على البيان كما قالوا هو الوثو ـ يقلبها بعد الثاء الساكنة ـ ويقول : من الكلى بجعلها ياء كما قالوا : من الوثى ، ويقول : رأيت الكلا ورأيت الحبا بجعلها الفا ، كما جعلها فى الرفع واوا ، وفى الجرياء ، وكما قالوا : الوثا ، وحركت الثاء لأن الألف لابد لها من حرف قبلها مفتوح أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٦ .

عبد العظيم على الشناوى



(١) اى يلزم ضم الطاء فى البطو تبعا لحركة العين فتلزم الواو لضم ما قبلها ـ وان يلزم الكسر فى دال الردى تبعا لحركة العين فتلزم الياء لكسر ما قبلها .

(٢) اى انهم اعطوا الفتحة التى قبل الهمزة حكم السكون الذى قبلها .

فى ذمة الله يا أحمد

حين نعى الى صديق الصبا الأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى انبعثت مع الحزن عليه ذكريات عزيزة مازالت تعيش فى صدرى غضة كأنها من مواليد أمس ، وانبعاث الذكريات وتحركها مصحوبة بالنعى تكون أشد ايلاما وأقوى وقعا على النفس ، اذ يتلاقى الأمل واليأس معا ويدوران فى فلك واحد من لحم ودم .

وهذه الذكريات تمثل عهدا بالحمى : حمى معهد أسيوط حين دخلنا مع المستجدين لنتلقى العلم ونستقبل الحياة على نهج يخالف ما كنا فيه فى قرانا ، ومنا من شدا شيئا من القراءة والكتابة وحفظ القرآن فى الكتاتيب ومنا من نال حظه من المدارس الالزامية .

ومن « بنى زيد مركز أبنوب مديرية أسيوط » (المحافظة الآن) قدم الطالب أحمد حسن عبد العواض الى معهد أسيوط لينتظم طالبا مع زملائه ، وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره ، فقريته قريبة من المعهد ، فلو ضاقت به الحال كانت له مندوحة فى الذهاب الى أهله فى بنى زيد ، وقد زرت تلك القرية ومكثت فيها يوما وليلة مع جماعة كلهم من قريتى « تونس سوهاج » فوجدناها خصبة يعيش أهلها فى سماحة على عكس القرى المجاورة لها ، وأقاموا لنا حفلا فيه الطبل ورقص الخيل والتحطيب ، وكانت وسيلتنا فى الذهاب والعودة الخيل والحمير .

فالأستاذ أحمد جاء من قرية هادئة ليطلب العلم فى معهد قائم على التقوى ورعاية الطلاب ، وكان من حظنا الحسن أن المعهد عين له طائفة من الخريجين الجدد على قدر من العلم والحلم لا نظير له منهم الشيوخ أمثال :

الشيخ عبد الرحمن تاج (شيخ الأزهر فيما بعد) والشيخ محمد على السنوسى المرجع فى فقه الامام مالك ، والشيخ قطب وبراعته فى تدريس النحو ، والشيخ شبل يحيى شاعر الأزهر ، وغيرهم .

ومنهم (الأفندية) من المعلمين العليا الأساتذة :

عبد العزيز عبد الحق للتاريخ ، وعبد الخالق سليمان للجغرافية ، والرخاوى للرياضيات .

وشيوخ المعهد ممن تعطر المجالس بذكرهم منهم .

الشيخ عبد الحكيم عطا صاحب المقولة

---

١ — فى هذا الباب جادت قريحة الأستاذ رحمه الله بمقالاته فى العربية وفى نفس المقام تسجل كلمة زميله الفاضل الأستاذ السيد حسن قرون .

للأستاذ السيد حسن قرون

« لو شاع مذهب الامام مالك لجمعته مـن صدرى » والشيخ ابراهيم حمروش صـاحب النظام والانضباط (شيخ الأزهر فى المستقبل)
والشيخ محمود الديناري العـالم المتفتح لشئون الدين والدنيا .

وفى هذا الجو المشرق والرعـاية الحانيـة وجد الطالب النجيب أحمد بغيته ، وكان لـه ذكاء عرف به وأشير اليه من مدرسيه وزملائه ، وكانت لى معه زمالة وصحبة لم تنقطع حتى حين نفترق ، وقد افترقنـا كثيرا واجتمعنـا كثيرا أيضا ، وضمنا مع الدرس حبنا للصحف والمجلات فكانت الهواية ، فكنا نقرأ صـحف ذلك الزمان ، ومنها الجهاد وكـوكب الشرق والبلاغ والأهرام والمقطم ، والهلال والمقتطف والمصور واللطائف المصورة الى كثير من تـلك الأنواع وكأنها مقررة وننتظر صدورها بفارغ الصبر ولاسيما يوم الاثنين ومجلة الرسالة .

ولقد أعطاه الله عقلا متفتحا وحافظة لافظة لا يضيع منها شيء اذا حل فيها وهو فى هـذا أقرب الى البداءة منه الى الحضارة ، فالمتحضر يعتمد على الكتابة أما المبتدى فيعتمـد عـلى الرواية ، من ذلك ما حدث منه سنة ١٩٣٢ فقد كنا زمرة نسير نحو خزان أسيوط ومعنا جريدة الجهاد ، وفيها خطبة للزعيم مصطفى النحاس بمناسبة « عيد الجهاد الوطنى » وقرأ أحـدنا الخطبة ، وأغلب الظن أنهـا مبـدوءة بتـلك الفقرة :



« خمس سنوات مضت وهم يحاربون سـعدا فى مماته كما كانوا يحاربونه فى حيـاته ، فما نالوا منـه منـالا لا فى الحيـاة ولا فى الممات » .

وفى العودة أخذ (أحمد حسن) يسمع لنـا الخطبة من ذاكرته .. ألا تراه جديرا بلقب (الراوية) ، وهى ميزة تحسب له ، وقد أفادته فى تحصيل العلوم والمعارف ، وأن يطلب العلم فى المعهد ويتقدم لنيل « شهادة كفاءة المعلمين

في ذمة الله يا أحمد

الأولية » وقد كان ، وبها فارقنا ليكون في القاهرة يتلقى العلم في « دار العلوم » .

ومما يدل على تميزه أيضا أن مفتش الجغرافية دخل علينا الفصل والمدرس يشرح الرياح الموسمية وكان المدرس عبد الخالق سليمان .. وبعد قليل أشار المفتش الى طالب يجلس في آخر الفصل فكان الطالب هو « أحمد حسن » وطلب اليه أن يعيد ما شرحه المدرس ، وكانت الاجابة سديدة ، فطلب اليه أن يخرج ليرسم خريطة الدرس على السبورة .. وفي دقائق تم الرسم والكتابة على الرسم فما كان من المفتش الا الثناء على الطالب والمدرس .. وقال يكفي هذا وخرج ، وعلق أحد الطلاب بما يفيد أننا جميعا لو سئلنا لكان مالا تحمد عقباه . كنا يومئذ في السنة الثانية من القسم الثانوي ، ونرجو أن ننجح لنستقبل شهادة الكفاءة الأزهرية .. أما هو فيحمل كفاءة المعلمين التي تخول لصاحبها أن يكون مدرسا بالمدارس الالزامية .. ولم يقبل وتعجل بدار العلوم كما قلت سابقا . وحين افترقنا كانت الرسائل بيننا نصف المشاهدة ـ كما يقولون ـ .

والتقيت به سنة ١٩٣٧ أول عهدي بكلية اللغة العربية وآخر سنة له بدار العلوم ، وكانت مدة الدراسة في دار العلوم أربع سنوات على حين أن مدة الدراسة في كلية اللغة ست سنوات وكان تخرجه سنة ١٩٣٨ . وحين التقيت به في القاهرة لم أحس بالزمن الذي مضى ، وكأننا لم نفترق ، وكان سبقه اياي في الدراسة لم يغير من الأمر شيئا ، فكان حديثنا عن الأدب والكتب والصحف كما هو ، وننظر الى الكتاب والشعراء نظرة واحدة لا تعصب لأحد ولا استهانة بنتاج أحد .

وحزنت حين لم أره في العام التالي وعرفت وجدي أنه عين بسوهاج بمدرسة « بسطا » فكنت أزوره وأدعوه الى زيارة قريتي واستجاب فكان يحل بأسرتي من حين الى آخر وأنا غائب بالقاهرة ..

وشغلتنا حياتنا ، وأفنينا سنوات العمر في التدريس والتنقلات .. وعلى حين غفلة زرت مدرسة كنت أعمل بها مدرسا أول ، فوجدته حل مكاني ، وعجبت أن يكون مدرسا أول وزملاؤه مفتشون ويتحكمون في ترقيات المدرسين .. وغضبت له .. وتذكروه فكان من المفتشين (الموجهين) وكنت في الفينة بعد الفينة أقابله في صلاة الجمعة بالأزهر الشريف.

وأراد الله لي الخير لأحظى بأحاديثه كما كنت أحظى بها في الشباب المولى ، واذ بمجلة الأزهر تنشر له بحوثا نحوية .

ورجعت الى الصبا قرير العين بما أقرأ من بحوثه وتحليلاته وتعليلاته ، وفيها علم غزير ودقة متناهية في لغوياته واعرابه .. راجع ما كتبه عن « تعدي الفصل ولزومه » و « صيغ المبالغة » وأخيرا « حكم الاسم الفضلة بعد الوصف » انك ستجد ما نوهت به ، وحبذا لو جمعت بحوثه في كتيب .

ومن غريب أمره أنه في مقاله الأخير أتى بشاهدين من الشعر على بعض مسائله ، يدل أحدهما على خلقه الطيب ، والآخر على حسن

رجائه في لقاء ربه . أما الأول فهو :

مـا الراحم القلب ظلاما وان ظلمـا

ولا الكريم بمنـــاع وان حـرما

فهو رحيم القلب لا يظلم وان ظلم ، وهـو كريم لا يمنع خيره عمن حرمه ، وقد كان كذلك لم أره يميل الى الأذى حتى الحديث عن زملائه يتسم بالثناء عليهم وان كانوا غير ذلك ، فلـه من وفائه للأزهر ما يمنعه من ركوب الخطـر واقتراف المنكر .

أما البيت الآخر الذي جاء شـاهدا عـلى قاعدة نحوية وفي الوقت نفسـه يدل على حسن رجائه في لقاء ربه فهو :

فيـارب انى من عـذابك خـائف

وانى اليـك تـائب النفس باخـع

فلقد كان منذ صـغره لا يعرف ما يشين الطالب ولا ما يؤذي الصاحب ، فكيف بـه وقد صار من رجال التربية والتعليم والقـدوة للتلميذ والمدرس ؟ فهو رجل مفطور على الخير ، منذور للدرس ، كل همه في أداء الواجب وترك أمره للمقادير فلم أره شاكيا كما كنا نفعـل اذا لم نأخذ حقنا في الترقية أو المكان المرغوب فيه ، وحسبك أنه أمسك الطباشير طـويلا قبل أن يكون الموجه والمشير .

وأراني كلما ذكرته وجدت نفسي معـه في ربوع أسيوط ومساجدها وعلى جسر الابراهيمية وعلى هضابها ومعنا الكتاب والورقة والقلم ، وكانت لليلـة الاسراء والمعـراج عيـدا لنـا نحضرها لنسمع القصة من أحد شيوخ المعهد ، وحين ننتهي من السماع نخرج فنعلق عـلى القصة ونمثل صوت الشيخ وهو يلقي ، حياة بعيدة عن مطامع الدنيا ، وأظنه بقي على نهجه في الكهولة والشيخوخة ، عرف الزهد وعـرف طريق الصالحين فهو عند مـا نقله النووي في مقدمة كتابه :

« رياض الصـالحين من كلام سيد المرسلين »

ان لله عبـادا فطنـا

طلقوا الدنيا وخافوا الفتنـا

نظروا فيهـا فلمـا علموا

أنها ليست لحـي سـكنا

جعلوها لجـة واتخـذوا

صالح الأعمال فيهـا سفنا

وقد توفي .. في الثامن عشر من جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ المـوافق ٨ من فبراير ١٩٨٥ م ــ رحمه الله رحمة واسـعة ونفعنا بسيرته ..

السـيد حسن قرون



مع رسالة الأدب الصوفي

الزهاد المتأدبون

ما يزال الأدب الصوفي يرد على معين القرآن الكريم والحديث الشريف ويصدر عنه وقد ارتوى من بيانهما الرائع واخذ من اسلوبهما الناصع ما يرتفع به الى أعلى قمة وأرفع ذروة .

ومن ذلك تعبيرات أدباء الصوفية حول الزهد وآدابه وأذواقه .

وليس بعد بيان القرآن بيان في تصوير حال الدنيا والتنفير من التهالك عليها وفي دعوته الى وجوب الاقبال على الآخرة والتزود لها .

من ذلك قوله تعالى : « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ــ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ــ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ــ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » الحديد ٢٠ : ٢٣ .

وصور لنا النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ حال الدنيا تصويرا عمليا .

فمن ذلك ما رواه الامام مسلم في صحيحه في باب الزهد مرويا عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفتيه ، فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم .

والأسك : صغير الأذنين .

وكان الزهد شعار النبي صلى الله عليه

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

وسلم وللترغيب فيه كان يدعو ربه قائلا — فيما رواه مسلم — :

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية أخرى كفافا ، وهما بمعنى الكفاية من غير اسراف .

مفهوم الزهد :

والزهد بمنطق الدين والعقل والتجربة يعلم الانسان كيف يعمل على تعمير أخراه حتى يقدم على ربه وهو طامع فيما هو أبقى وأفضل ، ومؤثره على ما هو أدنى وأسفل ، وكيف يعلو بهمته فوق ما يتطلع اليه الناس ، وكيف يرفع منزلته بينهم وينجو من شرورهم، فهو بزهده فيما فى أيديهم يبعد عن ميدان تصارعهم وتنافسهم ويتحرر بذلك من قيود الاذلال ويظفر بحريته بينهم . وقديما قال الحكيم الصوفى « ابن عطاء الله السكندرى »: ما بسقت أغصان ذل على بذر طمع .

وهو تصوير جميل لحال الأطماع التى تورق الذل وتثمر الضياع فى النهاية .

وأراد الامام « ابراهيم بن عباد الرندى » شارح حكم « ابن عطاء الله » أن يعلق على هذه الحكمة المتقدمة بما يزيدها وضوحا فاستشهد على صحتها بما قاله « أبو الحسن الوراق » : من أشعر فى نفسه محبة شىء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ، ومن طمع فى شىء ذل وبذله هلك .

وقد قيل فى اهلاك المطامع لأصحابها :

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما
تقطع أعناق الرجال المطامع

ولا نذهب بعيدا فالحكمة الذائعة تقول : أذل الحرص أعناق الرجال .

ويقص « الرندى » هذه القصة :

قدم أمير المؤمنين « على بن أبى طالب » رضى الله عنه البصرة ، فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم — بمعنى أمرهم بالقيام من مجالسهم — حتى جاء الى « الحسن البصرى » رضى الله عنه — فقال : يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك .

— وكان قد رأى عليه سمتا وهديا — .

فقال « الحسن » سل عما شئت قال : ماملاك : الدين ؟ قال : الورع ، قال : فما فساد الدين ؟ قال : الطمع . قال : اجلس فمثلك من يتكلم على الناس .

ولعله لا يفهم من الزهد ترك الأسباب والتخلى عن العمل والقعود عن الطموح المباح ، فذلك مفهوم الجاهلية المتواكلين .

ولكن الزهد معناه عند الصوفية المتحققين : « عدم الركون الى الدنيا اذا هى أقبلت أو الوقوف عندها والافتتان بها ان هى أزهرت ، هى فى اليد لا فى القلب هى للانفاق لا للجمع هى وسيلة وليست هدفا .

الزهاد المتأدبون

الزهد كما قال « رويم بن أحمد » وهو من أئمة الصوفية ـ فيما يرويه كتاب اللمع للطوسى :

الزهد هو ترك خطوط النفس من جميع ما فى الدنيا .

وحين سئل « الجنيد » عن الزهد قال فيما قال : هو تخلى القلوب عن الطمع .

أما « الشبلى » فهو يتقدم خطوة أكبر فيقول : الزهدغفلة لأن الدنيا لا شىء والزهد فى لا شىء غفلة .

التصوف يدعو أهله الى العمل وينفرهم من الكسل ، وحكوا عن « عبد الله بن المبارك » قوله : لا خير فيمن لا يذوق ذل المكاسب ، وفى رواية : لذة المكاسب .

ويقول أيضا : مكاسبك لا تمنعك من التفويض والتوكل اذا لم تضيعهما فى كسبك .

والزهد والتوكل بينهما علاقة وثيقة ، فالزاهد متوكل لأنه يرمى بقصده الى الله تعالى ويعتمد عليه ولا يلجأ الا اليه وكلاهما من معين واحد ولهما هدف واحد ، هو الارتفاع بالانسان الى منزلة عليا تربطه بخالقه وتحرره من قيود المادة وأوضار الطمع وتحلق به فى سماء الروح حيث يوقن المرء أنه لا رازق الا الله ولا قادر سواه ولا معطى الا هو ولا مانع لما يعطى ولا ضار لمن ينفع ولا حول ولا قوة الا به سبحانه .

والعاقل فى حاجة الى هذا اليقين العاصم من الفتن ، وهو منحة من الله قد تأتى بالاجتهاد العلمى والعملى ، وتكتسب بالسلوك الصالح الذى يأخذ به شيوخ الصوفية مريديهم من تدريب على ألوان من الطاعات وأنماط من المجاهدات ترفع الغشاوة عن العيون وتنير الطريق أمام السعداء والمحظوظين .

الزهد والأدب :

وأصبح الزهد قيثارة يشدو على أوتارها الشعراء حتى أولئك الذين لم يكن لهم حظ من التصوف ، وكان فى مقدمتهم أبو العتاهية الذى اشتهر عنه التفنن فى التعبير عن الزهد حتى نسب اليه أنه رائد شعر الزهد فى العصر العباسى .

ومن أمثلة شعره فى ذلك :

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه
تملكه المال الذى هو مالكه
الا انما مالى الذى انا منفق
وليس لى المال الذى انا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذى
يحق والا استهلكته مهالكه

يقول الأستاذ محمود مصطفى صاحب كتاب الأدب العربى وتاريخه : لما أنشد « أبو العتاهية » هذه الأبيات قيل له : من أين قضيت بهذا ؟ قال : من قول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت .

أما « الحسن بن هانىء » المعروف « بأبى نواس » فمن شعره فى الزهد قوله

الذي أورده « الجاحظ في كتابه « البيان والتبين » :

آية نار قدح القادح
وأي جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ
وناصح لو حظي الناصح
يأبى الفتى الا اتباع الهوى
ومنهج الحق له واضح

فاسم بعينيك الى نسوة
مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي العذراء من خدرها
الا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذي
سيق اليه المتجر الرابح

وإذا كان أبو نواس له حظ في شعر الزهد فقد قال « بشار بن برد » قبله :

كيف يبكي لمحبس في طلول
من سيقضي لحبس يوم طويل
ان في البعث والحساب لشغلا
عن وقوف بكل رسم محيل ..

هذه أمثلة من أشعار الذين عزفوا على قيثارة الزهد — بعد أن أدركوا أن هذا اللون من الأدب له صدى في النفوس لأنه يخاطب العواطف المستكنة والضمائر المستترة ويحرك الايمان الذي حجبته زخارف المدنية الزاحفة من أطراف البلاد المفتوحة ، ولعلهم هم أنفسهم بدءوا يسأمون اللذات التي استهلكتهم وأخذوا يثورون على الشهوات التي استعمرتهم ..

من قصص الزهد :

وهناك شعراء وقفوا أنفسهم على الزهد وعرف عنهم التحقق بمقامه فلم يكن تعبيرهم عنه تقليدا أو تصنعا ، ومنهم « عروة بن أذينة » وقد أثر عنه في مطلع حياته شعر غزل يأخذ بمجامع القلوب ، ولكنه تحول عنه الى الزهد ، ويعده النقاد من العلماء الزهاد ومن أقواله :

نراع اذا الجنائز قابلتنا
ويحزننا بكاء الباكيات
كروعة ثلة لمغار ذئب
فلما غاب عادت راتعات

وهو تصوير جميل لواقع الناس الذين تردهم المصائب الى الله قليلا ثم لم يلبثوا بعد قليل أن يعودوا كما كانوا الى لهوهم وعبثهم وغفلتهم .

حدث كتاب « مهذب الأغاني » عن « عروة ابن أذينة » القصة الآتية :

وفد « عروة » على « هشام بن عبد الملك » في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف « عروة » فقال له : ألست القائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقي
أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى له فيعنيني تطلبه
ولو قعدت أتاني لا يعنيني ؟

وأراك تضرب من الحجاز الى الشام في طلب الرزق ؟

فقال له : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت في الوعظ وأذكرت ما أنسانيه الدهر ، وخرج الى راحلته — من فوره — فركبها وسار راجعا الى الحجاز ، فمكث « هشام » يومه غافلا عنه ، فلما كان في الليل تمار

على فراشه فذكره ، وقال في نفسه : رجـل من قريش قال حكمة ووفد الى فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هـذا شـاعر لا آمن مايقول .

فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار وقـال : الحق بهذه « ابن أذينة » فأعطه اياها ، فسار اليه فلم يدركه الا وقد دخل بيته فقرع عليه الباب فخرج فأعطاه المال . فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له : كيف رأيت قولى ؟ سعيت فأكديت ورجعت الى بيتى فأتانى فيه الرزق .

وساق « الحريرى »هذه القصة في كتـابه « درة الغواص » بعد أن ذكـر البيت الأول وقد قدم لقصته بقوله : ولهذا البيت حكـاية تحث على استشعار اليقين واعـلان الأمـل بالخالق دون المخلوقين فجنحتـه بهـا تحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله .

كما علق « الشهاب الخفاجى » شـارح « درة الغواص » على هذه القصة بقـوله : وفي معنى ذلك قول بعضهم : ـ

مثـل الظـل الـذى تطلبـه
مثـل الظـل الذى يمشى معـك

انت لا تـدركه متبعـــا
واذا وليت عنـــه تبعـك

ثم أورد « الخفاجى » حكاية أخرى رواها عن « ابن أبي الدنيا »وهو عبيد الله بن محمد ابن عبيد المتوفى سنة ٢٨١ هـ . قال : قـدم البصرة رجلان يسترفدان « عبيـد الله بـن عـامر » خـال « عثمـان بـن عفان » ـ رضى الله عنه ، وكان «عبيدالله» هـذا واليـا عـلى البصرة وكـان جوادا ممدحا ، وأحد الرجلين ابن لجابر بن عبد الله الأنصارى ، والآخر ينتمى الى قبيلة ثقيف ، فلما قربا من البصرة نزلا ، فصلى ابن جابر ركعتين ، وقال للثقفى : ما رأيـك في الرجـوع ؟ فقـال الثقفى : أتعبت نفسى وأكللت مطيتى ثم أرجع بغير شيء ؟ .

فقال « ابن جابر » : انى قد ندمت عـلى قصده واستحييت من ربى أن يرانى طالبـا رزقا من غيره . ثم قال : اللهم رازق ابن عامر ارزقنى من فضلك ، ثم قفل راجعا الى المدينة

وكان ابن عامر قد أخبر بمسيرهما ، فلمـا دخل الثقفى على ابن عامر قال له : أيـن صاحبك ؟ فأخبره بحاله ، فبكى وقال : والله ما قالها أشرا ولا بطرا ولكن قالها حقا ، فلا جرم أنى أضاعف جائزته ، فأمر للثقفى بأربعة آلاف درهم وكسـوة ، وبعث لابن جـابر بضعفها ، فخرج الثقفى وهو يقول :

أمـامة ما حـرص الحـريص بزائد
فتيـلا ولا زهـد المقيم بضـائر

خرجنا جميعا من مسـاقط رؤسـنا
على ثقة منـا بجـود ابن عـامر

فلمـا أنخنـا الناعجـات ببـابه
تخلف عنى الخزرجى ابن جـابر

وقال : سـتكفينى عطيـة قـادر
على ما أراد اليوم للناس قـاهر

وقال : الذى اعطى العراق ابن عامر

لربى الـذى أرجو لســد مفاقرى

فقلت : خـــلالى وجهــه ولطفـــه

يوجـــه لى حظ الفتى المتـــأخر

فلمـــا رآنى ســال عنـــه مبالغـــا

وحن كمـــا حنت طـــراب الأبـــاعر

وأضـعف مـن حظ لـــه فى عطـــائه

على حظ لهفان مـــن الحرص فـــاغر

فأبت وقــــد أيقنت ان ليس نافعى

ولا ضـــائرى شىء خـــلاف المقادر

تعليلات طريفة للزهد :

ولأدباء الصوفية تعليلات طريفـــة للزهـــد ولكنها منطقية :

فالسكندرى يقول : ليقل ما تفرح به يقـــل ما تحزن عليه .

وشرح ذلك كما يقول « الرندى » ينظـــر الى القضية الفقهية العامة التى تقول : درء المفاسد أهم من جلب المصالح . فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضى بذلك وقنع منها باليسير ولم يتطلع الى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه لأنه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيده حصول مصلحة الفرح الذى يزول عن قـــرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة مصـــداقا لقول الشاعر الحكيم : :

ومـــن سره ألا يـــرى ما يســـوؤه

فـــلا يتخـــذ شيئا يخـــاف لـــه فقدا

فـــان صـــلاح المـــرء يرجـــع كلـــه

فـمـادا اذا الانسان جـاز به الحـدا

قيل لبعض الصـــوفية ـــ وكـــان دائم الانشراح ـــ : لم لا تغتم ؟

فقال : لأنى لا أقتنى مـــا يغمنى فقـــده ، فالمحزون عليه هو المفروح به ، كل على قدره .. كمـــا قالوا :

على قـــدر ما أولعت بالشىء حـــزنه

ويصعب نـــزع الســـهم مهما تمكنا

ومن تعليلاتهم أيضا قولهم : ان الله جعل الدنيا محلا للاكدار ومنزلا للاحزان وموطنـــا للتقلبات والتغيرات فهى لا تدوم على حـــال، كل ذلك تزهيدا لنا فيها .

والقرآن الكريم يعلمنا ذلك فيقول لنـــا :

وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، ويقول لنا : **وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كـــان يعلمون .**

وقد أشار الصوفية الأدباء الى تقلبـــات الدنيا بقولهم :

ان الليـــالى لم تحســـــن الى أحد

الا أســـــاءت اليـــه بعـــد احسان

وقال أبو منصور الثعالبى :

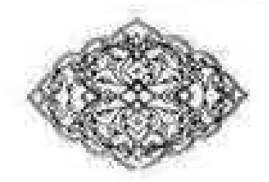
تنح عن الدنيـــا فـــلا تخطبنهـــا

ولا تخطبن قتـــــالة مـــن تناكح

فليس يفى مرجوهـــا بمخـــوفها

ومكـــروهـا امـــا تأملت راجـــح

عبد الحفيظ فرغلى القرنى



من قضايا الأدب والنقد

شعراء النقائض

وخصومات جادة

النقائض فن شعرى ازدهر فى عهد الأمويين لأسباب عديدة يذكرها دارسو الأدب ومؤرخوه .

وفى اللغة :

نقض : النون والقاف والضاد أصل صحيح يدل على نكث شىء وربما دل على معنى من المعانى على جنس من الصوت .

ونقضت الحبل والبناء والنقيض : المنقوض ولذلك يقال للبعير المهزول نقض كأن الاسفار نقضته ، وجمعه أنقاض ، والمناقضة فى الشعر من هذا كأنه يريد أن ينقض ما أتَىٰه صاحبه (١)

والنقائض فى عرف مؤرخى الأدب لا تبعد عن هذا المعنى اللغوى اذ هى : أشعار يرد بها قائلوها على غيرهم من الشعراء ، وتكون على وزن القصيدة السابقة ورويها فهى نوع من الهجاء وان روعى فيها شرط الوزن والروى .

وأشهر شعراء النقائض فى دولة الأمويين جرير بن عطية الخطفى بن كليب بن يربوع (٢) الذى شهد له الشاهدون بأنه كان يحسن ضروبا من الشعر لا يحسنها الفرزدق .

وقال ابن سلام : وأهل البادية والشعراء بشعر جرير أعجب وسئل عنه الأخطل فقال :

دعوا جريرا أخزاه الله فانه كان بلاء على من صب عليه (٣) وثانى شعراء النقائض الفرزدق واسمه همام بن غالب بن صعصعة وينتهى نسبه الى مجاشع بن دارم من تميم (٤) .

وَجَدُّهُ : صعصعة يلقب بمحيى الموءودات اذ طالما فدى البنات من القتل،وكان يدفع لآبائهن الابل ثمنا لحياتهن ووفد على النبى — ﷺ — وأخبره بفعله فى الموءودات فاستحسنه وساله هل له فى ذلك من أجر ؟ قال : نعم فأسلم (٥) .

سمع الحطيئة شعره فى سعيد بن العاص —

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس حـ ٥ مادة نقض وارب أى شدد ووثق .

(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى السفر الاول ص ٢٩٧

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٥

(٤) جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٢٢٩

(٥) الاغانى جزء ٢٥ طبعة دار الشعب

للدكتور محمد عرفة العزبي

وهو على المدينة ـ فقال :

* هذا والله هو الشعر ، لا ما نعلل به منذ اليوم أيها الأمير ، فقال له كعب بن جعيل : فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك ، فقال الحطيئة : بل والله أفضله على نفسي وعلى غيري (١) .

أما الأخطل فاسمه غياث بن غوث ينتهي نسبه الى تغلب تلك القبيلة ذات البأس والتاريخ في الجاهلية والاسلام ولقب بالأخطل لقول كعب ابن جعيل له : انك لأخطل يا غلام يرميه بالسفه وفحش القول (٢) .

ومن شعراء النقائض الراعي النميري .

وهو عبيد بن حصين ... من نمير لقب راعي الابل لكثرة صفته للابل وحسن نعته لها .

وقد هجا فأوجع حيث قال :

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم
يابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا
وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

ولكن بعد هجاء جرير له صار مثليا قتيل عنه كأنه فحل مضر حتى ضمه الليث (٣)

وقد جعلهم ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى من الاسلاميين ولو أغفلنا الراعي النميري ثم نظرنا الى الشعراء الثلاثة لوجدنا لكل منهم اجادات جعلت النقاد يختلفون في تفضيل أحدهم على الآخرين .

يقول أبو الفرج عنهم :

وهم المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعا ، ومختلف في أيهم المتقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فافتضح وسقط ، وبقوا يتصاولون على أن الأخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره وهو ـ وان كان له فضله وتقدمه ـ فليس نجره من نجار هذين في شيء (٤)

وهناك عشرات الشعراء غير هؤلاء .

قال الأصمعي وذكر جريرا :

كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا ... وثبت له الفرزدق والأخطل (٥) وقد قدمنا أن الأخطل كان « قد أسن ونفد أكثر عمره » فأكثر الهجاء كان بين جرير والفرزدق بلا مراء .

يقول ابن سلام :

لج الهجاء نحوا من أربعين سنة ، ولم يغلب واحد منهما على صاحبه ولم يتهاج شاعران في الجاهلية ولا الاسلام بمثل ما تهاجيا به (٦) .



(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٢٢ بتصرف
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٨ ، ص ٤٦٢
(٣) المصدر السابق ص ٥٠٢
(٤) الاغاني حـ ٨ ص ٢٧٥٠ طبعة دار الشعب
(٥) الاغاني حـ ٨ ص ٢٧٥٤ طبعة دار الشعب
(٦) الطبقات ص ٣٨٩

من قضايا الأدب

وبلغ كلف الناس في الكوفة والبصرة وغيرهما من مدن العراق بالنقائض مبلغا كبيرا ، وصارت المجالس تعقد للشعراء في مربد البصرة ينشدوا أشعارهم في النقائض وصار الناس يلتفون حول الشعراء الذين يذهبون الى تلك المجالس في زى وهيئة تثير الأنظار ، وتلفت العقول والنفوس جميعا .

وتورد مصادر الأدب قصة طريفة في هذا المجال فيقول :

كان راعي الابل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله وقال في ذلك :

يا صاحبي دنا الأصيل فسيرا
غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

فلما أكثر من ذلك خرج جرير الى رجال من قومه فقال :

هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ! ثم خرج جرير ذات يوم يتعرض الراعي اذا انصرف من مجلسه في المربد . وكان له وللفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها فلقيه فقال له جرير :

يا أبا جندل أنك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا وهو ابن عمي ويكفيك من ذلك هين : اذا ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه لائمة .

قال : فبينا أنا وهو كذلك واقفا وما رد على بذلك شيئا حتى لحقه ابنه جندل فرفع سوطه فضرب به عجز دابته ثم قال لأبيه :

لا أراك واقفا على كلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو خيرا . وضرب البغلة ضربة فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي .

فوالله لو يعوج على الراعي لقلت سفيه غوى ــ يعني جندلا ابنه ــ ولكن لا والله ما عاج على فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي .. وانصرف جرير حتى اذا صلى العشاء قال : أسرجوا لي فجعل يهمهم فسمعت صوته عجوز في الدار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت اليه فاذا هو يحبو على الفراش لما هو فيه .. فمازال كذلك حتى كان السحر كبر ثم قال : أخزيته ورب الكعبة . ثم أصبح حتى اذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق دعا بدهن فادهن وكف رأسه ــ وكان حسن الشعر ــ ثم قال : ياغلام أسرج لي فأسرج حصانا ثم قصد مجلسهم حتى اذا كان بموضع السلام قال : ياغلام قل لعبيد ــ يعني الراعي ــ أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق أما والذي نفس جرير بيده لترجعن اليهن بما يسؤهن ولا يسرهن ثم اندفع فانشدها .

فنكس الفرزدق وراعي الابل ثم ترحل قائلا لأصحابه : ركابكم ركابكم فليس لكم ها هنا مقام فضحكم والله جرير والقصيدة رواها صاحب النقائض وفيها :

ولو وزنت حلوم بني نمير
على الميزان ما وزنت ذبابا

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا (١)

ونقف وقفة متأنية عند هذا النص لنلاحظ بعض الأمور :

١ ــ أن الخصومة كانت عنيفة بين شعراء النقائض . وكان كثير من شعراء العصر يقفون مع هذا أو مع ذاك حسب ما يعن لهم مرجحين أحد الشاعرين على صاحبه . وقد يقولون في ذلك الشعر تأكيدا لمايذهبون اليه من ترجيح أو تأييد . ويدلنا على عنف الخصومة ما كان من سعى جرير ومحاولته ابعاد الراعي عن تلك الخصومة بالحسنى في أول الأمر ثم ما كان منه من جدة وعنف وهو يعد قصيدته في الراعي والفرزدق بعد أن خاب مسعاه .

٢ ــ أن شعراء النقائض كانت لهم مجالس معروفة معينة في المربد يقصدها الناس مستمعين مستجيبين . وكان الشعراء يحاولون جذب هؤلاء الى حلقاتهم حتى يفخروا بكثرة مستمعيهم والمعجبين بشعرهم من أعراب . وفي ذلك حكم لهم بالسبق في هذا المضمار .

وكان الشعراء يذهبون الى تلك المجالس في زى وهيئة حسنة كما فعل جرير بعد أن عزم عزمه على هجاء الراعي والفرزدق والنيل منهما جميعا .

٣ ــ أن الشعراء كانوا يبالغون في النيل من خصومهم كما فعل جرير اذ أنه اتهم عرادة النميرى الذى ظن أنه حرض الراعي ونال منهما ومن الفرزدق ، أيما منال ، حتى أنه اتهم المحصنات مثل جعثن أخت الفرزدق . وكانت امرأة مسلمة صالحة (٢) ولكن جريرا اتهمها في عفتها وذكرها بالسوء ادعاء وزورا لينال من خصومه وينتصر على مناوئيه .

وهكذا تجنبت النقائض هدى الاسلام ، ودعوته الى عفة اللسان ، والقصد في الخصومة والتزام الصدق في كل حال .

لقد رأينا أن النقائض كانت أوضح ما تكون ، وأشد ما تمثلت بين جرير والفرزدق ، وان أحدهما كان يأخذه الهم المقعد المقيم حينما يعتزم بناء قصيدة يرد بها على خصمه وينتقض بها ما ذهب اليه أو ادعاه ، كما فعل جرير عندما أجمع أمره على مناجزة الراعي ومن شايعه في مربد البصرة .

ولكنا نجد بعض الباحثين يذهبون الى أن ما بين جرير والفرزدق كان نوعا من التسلية والترفيه . وأنها لم تأخذ شكلا من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب ، ولنقرأ بعض ما قالوه :

ولعل في هذا ما يدل أكبر الدلالة على أن النقائض عند الشاعرين الكبيرين جرير والفرزدق انما كان يقصد بها قبل كل شيء الى تسلية الجماعة العاطلة التي تكونت في المدينتين الكبيرتين البصرة والكوفة ، وقد بدأت بأسباب قبلية ، ولكنها تطورت الى مناظرة يراد بها ملء أوقات العاطلين ، وهي مناظرة كانت تقاطع بالتهليل والتصفيق . ومن ثم لم تأخذ شكلا جادا من أشكال الهجاء المعروفة عند العرب ،

(١) الاغانى جـ ٨ ص ٢٧٧٥ وما بعدها بتصرف وكذلك النقائض بين جرير والفرزدق لابى عبيدة ص ١٣٢ جـ ٢ وما بعدها بتصرف
(٢) النقائض ص ٢٠٩ جـ ١

ولو أنها أخذت شكلا من هذه الاشكال لشهرت معها السيوف ، وخاصة عندما يأخذ جرير والفرزدق فى قذف نساء العشائر والامهات والأخوات ... وكل الاخبار تؤكد أن جريرا والفرزدق كانا متصافين متوادين لا متخاصمين متباغضين فهما يجتمعان سويا عند الخلفاء والولاة ، وهما يرحلان الى دمشق سويا ، واذا نزلت بأحدهما شدة أو حزبه أمر وقف الآخر معه يمد له يد العون ، فاذا طلب جرير لحرب الأزارقة تشفع له الفرزدق ، واذا هجا الفرزدق خالدا القسرى وحبسه شفع له جرير عنده ... ونراه حين يأبى القدر قبله يرثيه رثاء حارا ، فلم تكن المسألة مسألة هجاء جاد ، انما كانت مسألة مناظرة فنية بالشعر فى عصبيات القبائل والعشائر (١) .

تلك حجج القائلين بهذا الرأى الذى لا نرتضيه وهو أن ما بين الشاعرين لم يكن هجاء وخصومة جادة ، وانما كان مجرد تسلية وترفيه .

والكاتب يشير الى وجود بعض أبيات تثير الضحك فى شعر جرير مثل قوله :

وانك لو تعطى الفرزدق درهما
على دين نصرانية لتنصرا

محاولا أن يثير السخرية عليه لانضمامه الى الاخطل النصرانى ضده . وواضح أن ورود بيت أو أبيات تثير الضحك لا يقلل من جد الشاعرين ، ولا يجعلنا نحكم بأن التسلية والترفيه هى المقصد عندهما قبل كل شيء .

ثم نقف عندما أورده بعد ذلك من أدلة على ماذهب اليه وادعاه أما مسألة الذهاب الى دمشق فصاحب الأغانى ينقل رواية تؤكد أنهما لم يرحلا سويا ، وأنهما لم يرضيا باجتماعهما فى دمشق يقول :

« قدم الفرزدق الشام وبها جرير الخطفى فقال جرير :

ما ظننت أنك تقدم بلدا أنا فيه .

فقال له الفرزدق :

انى طالما أخلفت ظن العاجز .

وواضح أنهما لم يرحلا سويا ، ولم يجتمعا فى الشام عن قصد ولم يسعدا باللقاء الذى وقع ، وانما تعجب منه جرير ، ورآه الفرزدق بابا لذم خصمه والتشهير به ووصفه بالعجز والنكول .

أما مسألة شفاعة جرير للفرزدق وهو فى سجن خالد القسرى فقد قالوا :

حبسه أسد ووافق عنده جريرا فوثب ليشفع له وقال :

ان رأى الأمير أن يهبه لى ، فقال أسد : أتشفع له ياجرير فقال : ان ذلك أذل له أصلح الله الأمير .

وعندما خلى سبيله قال جرير :

وهل لك فى عان وليس بشاكر
فتطلق عنه عض مس الحدائد
يعود وكان الخبث فيه سجية
وأن قال انى منته غير عائد

(١) تاريخ الادب العربى : العصر الاسلامى ص ٢٥١ وما قبلها بتصرف للاستاذ الدكتور شوقى ضيف ، وراجع أيضا رحلة الشعر من الاموية الى العباسية الدكتور : مصطفى الشكعة

فهو يشفع له حتى يستذله فلا يرفع رأسه بفخر ، ثم هو يذمه ويحقره بعد ذلك وليس هذا فعل المتحابين بأى حال ، فأين التصافى والمودة من هذا القصد الوخيم وأغلب الظن أن شفاعة الفرزدق لجرير لا تخرج عن هذا القصد الذى صرح به جرير لمن تعجب من شفاعته فيه.

أما مسألة رثاء جرير للفرزدق فلا تنهض دليلا على محبة ولا صداقة واليك تلك الحادثة كما ساقها أبو الفرج :

نعي الفرزدق لجرير وهو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة فقال :

مات الفرزدق بعد ما جدعته

ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس ما قلت ، أتهجو ابن عمك بعد ما مات ! لو رثيته كان أحسن بك فقال : والله انى لأعلم أن بقائى بعده قليل ، وان كان نجمي موافقا لنجمه فلأرثينه . فقال المهاجر : أبعد ما قيل لك ، لو كنت بكيته ما نسيتك العرب .. ثم رثاه بأبيات منها :

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل

ولا ذات بعل من نفاس تعلت

هو الوافد المأمون والراتق الثأى

اذا النعل يوما بالعشيرة زلت

وروى أنه قام وبكى وندم وقال .

ما تقارب رجلان فى أمر قط فمات أحدهما الا وأوشك صاحبه أن يتبعه (١) .

والقصة توضح ما يلى :

ان جريرا أعلن الشماتة عندما بلغه موت الفرزدق وأن المهاجر ابن عبد الله أمير اليمامة لامه على تلك الشماتة ، لأنها ليست من أخلاق الكرام ولاسيما عند الموت ونحوه من الملمات فكان غير جميل أن يعلن جرير الشماتة بمن مات ، لولا أنه يضمر موجدة وعداوة بالغين لخصمه العنيد .

ثم ان رثاء جرير له بعد ذلك كان استجابة لنصح من أشار عليه ولامه على ما بدر منه ، ولم يكن رثاء نابعا من النفس ولا خالصا من الخصومة . وهو خال من العاطفة الصادقة والاحساس القلبى . كما انه لا ينبىء عن حزن ولا أسى وأين تلك العاطفة فى البيتين ؟ انك لا ترى لها أثرا فيها اذ هو شعر مبعثه التجمل والمداراة .

واذا كان قد بكى وندم فانه قد استشعر ساعة الموت نفسه وحياته وما يتهدده من أجل محتوم ، لقد ودع الحياة خصمه اللدود ، وعدوه الذى طالما ناصبه العداء ، ومنافسه الذى أوجعه بقوارع الأبيات وموجع التهم وقواصم المعانى فما الذى يضمن له الا يلحق به عن قريب ؟ ان الموت ماثل أمامه يتهدده ويتمثل له بعد أن ألم بعدوه القديم الذى هاجاه نحوا من أربعين سنة كما يقول الجمحى فهو يتخيله مقدما نحوه بخطاه الوئيدة ذات صباح أو ذات مساء ، فليتذكر أجله وليبك على ما ينتظره وليس ثم على الفرزدق أدنى بكاء أو عويل .

(يتبع)

دكتور محمد عرفه الغزبى

(١) الاغانى ص ٨٦٤٩ ـ طبعة دار الشعب

نظرات في مسيرة العمل الإسلامي (٢)

تأليف الأستاذ :
عمر عبيد حسنة

في عدد « جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ » وقفنا عند بعض موضوعات هذا الكتاب ، التي تناولت مسئولية الداعين الى الله سبحانه وتعالى مع ضرورة الالتزام بالمنهج ، وتطوير وسائل الدعوة ، وعدم الجمود على وسائل بعينها ، لأن الوسائل اجتهادية ، وقابلة للتغيير حسب مقتضيات الزمان والمكان ، أما الأهداف والغايات الاسلامية فهي التي تتصف بالثبات وعدم قابليتها للتغيير .

وقد ذكرنا في ختام هذا المقال السالف ، أن في الكتاب مقالات أخرى ، تعرض فيها الكاتب لبعض جوانب التصور التي يقع فيها من يتصدرون للدعوة الى الله ، ولبعض العقبات التي تصادفهم أو توضع في طريقهم .. وهنا نعرض لهذا الجانب من حديث الكاتب :

— ١ —

أما الجوانب التي رأى الكاتب أن فيها قصورا ، قد يعوق حركة العاملين في حقل الدعوة الى الله ، فان من ذلك ما يلي :

* عدم علم الداعية بأحوال الأمم وعاداتها وعقائدها ، وهو تصور مبني على قصور سابق عليه ، يتمثل في الجهل بلغات هذه الأمم ، واللغة من غير شك هي النافذة التي يطل منها الانسان على فكر وثقافة الآخرين بطريق مباشر ، وكذلك فانها الوسيلة المباشرة لتوصيل الفكر والثقافة الى المتكلمين بها .

وفي هذا المجال يذكر الكاتب أن عالم اليوم بثقافاته وأفكاره ومعارفه وعقائده ، أصبح وكأنه دولة واحدة ، وساحة صراع فكري وحوار عقائدي ، بعد أن اختصر الزمان ، وانتقص المكان ، وأصبح الانسان يرى العالم من خلال ما تقدمه المدنية الحديثة من وسائل اعلام مرئية أو مسموعة أو مقروءة ، أو من خلال وسائل النقل المتقدمة ، وأدوات الاتصال العجيبة .

ومن خلال هذا الواقع المعاش ، يمكن

مجلة الأزهر : تعيد نشر المقال لما حدث فيه من اضطراب في الضبط .



عرض وتعليق:
ا. د. طه مصطفى أبوكريشة

القول بأن الذى يرضى لنفسه أن يعيش بعيدا عن ادراك الصورة العالمية ، يكون قد رضى لها فى الوقت ذاته أن يعيش على هوامش الحياة فى عالمه الصغير ، الذى قد يراه كل شىء .

وليس هذا بالوضع الذى يرضاه لنفسه من يدعو الى الله ، فاذا كان الانسان المسلم مكلفا بواجب التبليغ والدعوة الى الله ، فان ذلك لن يمكن بحال ، اذا رضى لنفسه بأن تنحصر فى عالم صغير ، هو عالم لغته الخاصة فحسب .

ان الانسان المسلم لا يمكنه أن يوصل خطاب التكليف الى البشرية جمعاء ، وهو على جهل بلسانهم ، يعقبه جهل بعاداتهم وعباداتهم وعقائدهم .

واذا كان الله تعالى قال فى شأن الرسل « **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** » ابراهيم ٤ ـ فان الدعاة الى الله فى كل عصر ، هم ورثة الأنبياء ، وعليهم أن يتعلموا لسان من يوجهون اليهم الدعوة ، لأن ايضاح الاسلام لهم لا يمكن أن يتم الا بلسانهم (١٠٠ ـ ١٠٢) .

❋ ويتصل بهذا القصور قصور آخر ، ولكن ليس فى جانب المتكلمين بالعربية مع جهلهم باللغات الأخرى ، وانما فى جانب المتكلمين بغير اللغة العربية من دعاة الاسلام فى بلاد ليست العربية لسانا لها ، وقصورهم يكمن فى أنهم يتعرفون على الاسلام من خلال المترجمات ، ويكتفون بذلك دون محاولة تعلم العربية ومعرفة الاسلام معرفة حقيقية عن طريقها .

والمنزلق الخطير الذى قد ينزلق اليه هؤلاء الدعاة مع حسن النية ، هو تسليمهم التسليم المطلق بما تقدمه لهم هذه المترجمات وفيها ما فيها مما قد يسىء الى الاسلام ، أو يعطى صورة مشوهة له ، ذلك لأن الترجمة مهما كانت دقيقة لا يمكن أن تعطى الصورة الدقيقة لدلولات الألفاظ فى لغة أخرى ، لها اصطلاحاتها ، ولها استعمالاتها ، ولها مجازاتها وكناياتها ، هذا فضلا عن مقدار ثقافة المترجم ، ومدى فهمه لدلولات الخطاب الالهى .

وليس فى هذا تقليل من شأن الترجمة ودورها ، ودور من قاموا بجهود مشكورة فى هذا المجال ، خاصة فى مرحلة التعريف بالاسلام .

وانما الهدف من ذلك هو التأكيد على أن فهم الاسلام فهما صحيحا ، لا يتم فى نهاية المطاف الا من خلال لغة القرآن ، وليس مع استدامة « وسيط » لغوى ، قد يقبل ويؤخذ عنه مرحليا ، حتى يتم الاتصال بالأصل المباشر .



نظرات فى مسيرة

ولقد أدرك هذا أوائل المسلمين من غير العرب ، حيث لم يسر الواحد منهم أن فى امكانه الاستغناء بلغته عن العربية ، بل كانت العربية أملا ، يمثل جاهدا من أجل تحقيقه والوصول اليه ، ومن هنا كانت الثمرة التى قدمت فى حقل الفكر الاسلامى الكثير من العلماء المفسرين واللغويين والأصوليين والمحدثين والمؤرخين ، وكثير منهم وصل الى مرتبة الامامة التى لا تتوافر الا لمن اتقن العربية وعلومها (١٠٣ — ١٠٥) .

❋❋ ومن جوانب القصور لدى الدعاة : الوقوف عند حدود الرفض والادانة لـواقع الأمة ، والاكتفاء بالخطب الرنانة الطنانة ، لأن ذلك لن يغير شيئا من الواقع ، وانما ينقلب الى حالة سلبية ، لا يحسن صاحبها غيرها ، وقد تؤدى به الى الانعزال بعيدا عن المجتمع ، وعدم مواجهة ما فيه من أدواء مواجهة عملية ، تؤدى الى كشف العلاج الذى يقضى على الداء ، أو يحاصره حتى لا يستشرى فى جسم الأمة ، ويكون عاملا من عوامل القضاء عليها .

ولتلافى هذا القصور ، ولضمان عدم الانزلاق نحوه ، والانسياق اليه ، فان من أوجب الواجبات على العاملين للاسلام ، امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات ، والانفتاح أكثر ، وفتح منافذ جديدة للدعوة الاسلامية ، وامتلاك قدر اكبر من المرونة ، مع الابصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف، والتقدير للامكانات ، وبذلك يكون الخروج من عزلة الرفض والادانة ، الى ميدان التشخيص والعلاج والاصلاح ، من خلال وعى وفهم للداء والعلاج فى آن واحد (١١٦ — ١١٧) .

❋❋ ومن جوانب القصور ما قد ينادى به بعض الدعاة فى أماكن متفرقة فى العالم الاسلامى ، من ضرورة الانسحاب والانعزال عن المجتمع ، الذى يختلط فيه العمل الصالح بالعمل السيىء ، مؤكدين أن هذا الانسحاب هو نوع من الهجرة المطلوبة فى تلك المجتمعات.

ويذكر المؤلف أن هناك مفاهيم مغلوطة حول الهجرة ، وقع فيها كثير من المنادين بها ممن تصدوا للدعوة الاسلامية ، اذ أن منهم من خلا لنفسه وتصوراته الخاصة الناشئة من النظر فى بعض الجزئيات بعيدا عن الواقع ، واعتمد مقدمات خاطئة ، وصل من خلالها الى نتيجة جعلت بلاد المسلمين اليوم غير دار اسلام بشروطها المعروفة .

ومن ثم استباح هؤلاء لأنفسهم أن يمارسوا فى مجتمعاتهم أنماطا من السلوك ، وأنواعا من المعاملات ، هى محل نظر من الناحية الشرعية ، وقد يتطور الأمر عندهم أكثر فيعلنون الحرب على هذه المجتمعات .

وقد فات من يصل الى مثل هذه النتيجة أن الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم — كان يطلق عليه فى المجتمع غير الاسلامى قبل البعثة (الأمين) وأنه بعد البعثة عندما اضطر الى الهجرة وقد ائتمر به المشركون ، استخلف عليا ليؤدى الأمانات الى أهلها ، على الرغم من أن ذلك كان خطرا على حياته .

ان الهجرة بالمفهوم الاسلامي ليست حركة سلبية انسحابية من المعركة ولا هروبا من الموقع ، وانما هي جهاد قد يكون من أعلى أنواع الجهاد ، وهو جهاد يدفع الى الفاعلية وتلمس وسائل التغيير المشروعة والمجدية .

ان الهجرة في الاسلام حركة ايجابية على أرض المعركة بين الاسلام الذي موطنه الدنيا كلها وبين الكفر والانحراف عن صراط الله المستقيم ومن ثم فان ذلك يتطلب معرفة الحق ، والالتزام به والثبات عليه والدعوة اليه من خلال المنهج الايجابي لا المنهج السلبي (١٢٨ ـ ١٣٦) .

ـ ٢ ـ

أما الجوانب الأخرى التي تمثل عقبات قد تصادف الدعاة أو توضع في طريقهم ، فان من ذلك ما يلي :

** عقبات يصنعها الأعداء صنعا ، ويصدرونها للعالم الاسلامي كي يشغل المسلمون بها أو يشغل بها الدعاة على وجه الخصوص ، من منطلق الدفاع عن الاسلام ، وهذه العقبات تتمثل في قضايا عامة طرحت من قبل ، وفي أزمنة وأماكن أخرى ، ومع ذلك يريد الأعداء بعثها من جديد ، أو اعادتها جذعة كما يقال ، وذلك لكي يضعوا الاسلام في موقف دفاعي ، يكتفي فيه بالتحصن بدلا من التقدم والانطلاق .

ويؤكد الكاتب أن المشكلة كل المشكلة ، تكمن الآن في محاولة ارجاع المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعي ، من قبل خصوم الاسلام مجتمعين ، على ما بينهم من تناقض، أما السبب في ذلك ، فهو احساسهم بأن الجسم الاسلامي قد بدأ يتحرك من جديد ، بعد السبات الطويل ، وأنه بدأ يخرج عن وصايتهم ، ويهدد مصالحهم .

ومن أمثلة القضايا التي يقذف بها العالم الاسلامي ليشغل بها عن صحوته ، قضية المرأة وحقوقها وعملها والطلاق وتعدد الزوجات وقضية اللغة الفصحى والعامية والحجاب والسفور ، هذا الى جانب ما يقذفه الاعداء من قضايا أخرى في مجالات سياسية واقتصادية ، وعلى رأسها قضايا القومية وقضايا المال ، وما يترتب على ذلك من عصبيات ومذاهب ، وكل هذا من غير شك يؤثر على جهد الأمة وطاقاتها ، ويبعثر قواها في أهداف جانبية .

ان مراكز صناعة الاهتمامات للعالم الاسلامي مستمرة في عملها ، وان التحذير من الثورة الاسلامية والصحوة الاسلامية ، أصبح ظاهرة لافتة للنظر ، وذلك لاعادة المسلمين الى مواقع الفكر الدفاعي ، التي تقف عند هدف « درء المفاسد » دون أن تجمع اليه الهدف الآخر « جلب المصالح » لكي يحكموا الحلقة حول الاسلام ، ويمنعوه من الانطلاق .

وواضح أن دعاة الاسلام هم المستهدفون أولا بقضية اعادة طرح القضايا القديمة ، حتى يشغلوا بها من واقع غيرتهم الدينية ، وتتبدد جهودهم بالتالي قبل أن تقوم بواجب الابلاغ والانذار ونشر كلمة الاسلام ، وحتى لا تتابع بشائر الصحوة وترعاها لكي تصل

◄

نظرات فى مسيرة العمل

الى درجة التيقظ الكامل ، والتنبه الواعى البصير (٦١ ــ ٦٨) .

* ومن العقبات التى توضع أمام الدعاة محاولة التنفير من اللغة العربية ، والغض من شأنها ، واتهامها بالقصور فى التعبير ، وهذا أمر يجعل مهمة الداعية ــ وهو يقوم بعمله ــ شاقة عسيرة ، اذ أنه لن يستطيع من خلال تمسكه باللغة الفصحى أن يصل الى ما يريد من أقرب طريق ، مادام أولئك الذين يدعوهم ، بمعزل عنه لسانا وفكرا وثقافة .

وقبل هذا فان هؤلاء سوف ينعزلون تلقائيا عن مصادر اسلامهم ، مادامو لا يملكون اللسان الصحيح الذى يصلهم بها ، ويعرفهم بما فيها ، ويزودهم بثمراتها ..

ان الهجوم على العربية فى المجتمع العربى والاسلامى ؛ أمر استهدف به الدين فى الواقع ، وذلك حتى تضعف الصلة أو تزول بالقرآن الكريم وهنا يمكن ادراك حجم هذه العقبة التى يصادفها الدعاة ، أو يجدونها موضوعة بين أيديهم عن قصد وارادة ، من جانب أعداء الاسلام ، أو من جانب أولئك الذين انساقوا لهم ، وجاز عليهم منطقهم (١٠٦) .

* ومن هذه العقبات ما يحاول أن يبذره المتشككون ، من بذور التشكيك فى طريق الدعاة الى الله والى تطبيق شريعته .

فاذا كان من الأهداف الكبرى التى يسعى اليها الداعون ، أن يصلوا بدعوتهم ، الى مرحلة التطبيق العملى لشريعة الاسلام فى دنيا الناس وواقع حياتهم ، فان هذه الدعوة لم تخل من محاربة قامت على أساس التشكيك والتنفير ، مما مثل ــ ولا يزال ــ عقبة تحتاج الى جهد حتى تزاح عن الطريق ، ويبقى خالصا لمنهج الله وصراطه المستقيم .

ويذكر المؤلف أنه من الطبيعى جدا أن تتزامن المطالبة بتطبيق شريعة الله فى عالم المسلمين بكل جوانبها ، السياسية والاجتماعية والثقافية والقضائية والأخلاقية ، مع حركة المد الاسلامى بعد هذه السنوات الطويلة ، من التجارب المريرة والغربة الموحشة ، وبعد أن حكم على اسلامهم بعدم الصلاحية وطرح جانبا واقصى عن مجالات الحياة .

ووقوفا عند هذه العقبة التى توضع أمام الداعين الى التطبيق ، يناقش المؤلف أولئك المتشككين والمتخوفين مبينا أن تطبيق الشريعة ، أو المطالبة بتطبيقها لا يعنى أبدا اقامة الحدود فقط ، ذلك أن الحدود لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ، وأن الاقتصاد عليها لا يقيم المجتمع الاسلامى ، وانما شرعت لحماية المجتمع الاسلامى ووقايته .

فالمطالبة بتطبيق الشريعة تعنى أول ما تعنى : التربية الاسلامية للفرد ، والشورى فى الحكم والطاعة فى غير معصية ، والعدل والمساواة فى القضاء وتحريم الربا والميسر والاحتكار ، وسريان روح الجهاد والاستشهاد ، والاعداد والاستعداد قدر الطاقة فى الدفاع عن الأمة ، وحماية

الفضيلة من الاعتداء عليها .

أما الفهم المبتور الذى يجعل صورة المجتمع الاسلامى متصورة على ايقاع العقوبات ، ومن ثم لا يحكم الاسلام بعد ذلك أمور الحياة ولا ينظمها ، فهذه قضية على غاية من الخطورة والاساءة للاسلام نفسه .. وهذا ما يجب أن يتنبه له الدعاة ، وينبهوا غيرهم اليه ، ليستقيم الفهم الراشد للاسلام ولرسالته .

* وبعد ، فتلك أمثلة من جوانب التصور وجوانب العقبات ، وهى وغيرها الى جانب ما أشرنا اليه فى المقال السابق ، تمثل رؤية المؤلف لما يدور فى أفق العمل الاسلامى ، ولما يعكسه هذا الأفق من رؤى متعددة للعاملين فى هذا الميدان ، الذى يشهد صحوة ملموسة فى كل مكان فى الأمة الاسلامية .

واذا كان لنا من تعقيب على تأملات المؤلف ، أو نظراته فى مسيرة العمل الاسلامى ، فان ذلك يتمثل فى تأكيد الدعوة الى أن يلتقى الداعون الى الله ، على كلمة سواء ، وأن يؤثروا أسلوب الحوار والمناصحة فى قضايا الخلاف ، وأن ينبذوا أسلوب المخاصمة والمجادلة الخشنة الحادة ، ذلك لأنه ليس هناك من شىء يسعد أعداء الاسلام اليوم ، من أن يروا دعاة المسلمين وقد شغلوا بأنفسهم ، متنابذين متخاصمين ، مع ادعاء كل فريق العصمة لمنهجه والخطأ لمنهج آخر .

ثم يستمرون فى اقتتالهم ، دون أن تمتد ابصارهم خارج جدران خصامهم ، لترى واقع المسلمين ، الذى يحتاج الى انقاذ سريع وعاجل ، من وهاد يوشك أن يتردى فيها ، دون أن يدرى عنها الدعاة المتخاصمون شيئا .. « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » آل عمران ١٠٣ .

أ.د طه مصطفى ابو كريشة

فضيلة الدكتور الحسينى وكيلا للأزهر

*** أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك قرارا جمهوريا بتعيين فضيلة الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم وكيلا للأزهر الشريف .**

صدر القرار بتاريخ ٢٣ من رجب ١٤٠٥هـ ١٩٨٥/٤/١٣ م .

ولا يسع المجلة ــ وهى ماثلة للطبع ــ الآن تهنىء فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى داعية المولى ــ عز وجل ــ لنا وله بالتوفيق والسداد .

أنباء وآراء

الى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف :
ما رأيها ...... ؟

محكمة الاحوال الشخصية :
شهادة الميلاد لا تعتبر دليلا
على نسب الابن الى ابويه

قالت محكمة القاهرة للاحوال الشخصية فى حكم حديث لها ان شهادة الميلاد غير كافية بل ولا تصلح دليلا لاثبات النسب .

وكانت حكيمة بأحد المستشفيات العامة قد أقامت دعوى ضد زوجها ضمنتها أنها تزوجته بعقد عرفى منذ أكثر من ٥ سنوات ورزقت منه على فراش الزوجية بطفلة فى الثانية من عمرها ثم دب الخلاف بينها وبين الزوج المدعى عليه وأخذ ينكر أبوته للصغيرة .

وقالت الأم أن خير دليل على صحة ما تدعيه هو قيد الطفلة الصغيرة منسوبا الى اسم والدها المدعى عليه بشهادة ميلادها الصادرة من الجهات الرسمية وقدمت للمحكمة شهادة ميلاد ابنتها ثابت منها ان والدها هو المدعى عليه وأن والدتها هى المدعية .

أحالت المحكمة أوراق القضية الى النيابة العامة لابداء الرأى القانونى فيها حيث أعد مصطفى كمال مدير نيابة القاهرة للاحوال الشخصية مذكرة برأى النيابة العامة فى الدعوى تحت اشراف المستشار أحمد عبد الجليل المحامى العام لنيابات الأحوال الشخصية انتهى فيها الى رفض الاستشهاد الى شهادة الميلاد المقدمة من المدعية كدليل على نسب الطفلة الى أبيها وقال فى أسباب رفضه أن هذه الورقة وان كانت تعد من الأوراق الرسمية الا أنها تقوم على تبليغ أحد الأشخاص بواقعة الميلاد دون أن يضع القانون الضمانات الكافية للتحقق من صدق وصحة ما يدلى به المبلغ فى هذا الشأن الأمر الذى استقر معه قضاء محكمة النقض على عدم الاعتداد بتلك الورقة رغم أهميتها فى نظر العامة كدليل على اثبات نسب الابن لأبويه وصحته الأمر الذى لا يكون معه أمام المدعية سوى اقامة دليل آخر معتبر قانونا على صحة ما تدعيه وهو ما رأتمه النيابة العامة احالة الدعوى الى التحقيق لتتقدم المدعية شهودا على ذلك . وقد وافقت المحكمة على ما انتهى اليه رأى النيابة العامة فى

للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
أبو المجد شبيب مكى

الدعوى وقضت برئاسة الدكتور حسنى عبد الواحد وعضوية أشرف نعيم رئيس المحكمة والقاضى محب منير وأمانة سر شوقى يوسف باحالة الدعوى الى التحقيق لتقيم المدعية الدليل بغير شهادة الميلاد المقدمة منها على صحة نسب ابنتها الى المدعى عليه .

نداء من شيخ الأزهر لمساعدة منكوبى الجفاف فى افريقيا

الحمد لله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو الغنى الحميد ، سبحانه لا مانع لما يعطى ، ولا معطى لما يمنع ، وقد أعطى ، وارضى .

والصلاة والسلام على رسول الله محمد الجواد الكريم .

وبعد

فقد حملت الأنباء أخبار الجفاف والمجاعة التى وقعت فى كثير من البلاد الافريقية ، وان الآلاف من الرجال والنساء والأطفال قد ماتوا ويموتون غريبة الجوع . وان مصر التى حباها الله بالخيرات وحماها من هول المجاعات ، كانت ـ ودائما ـ تسارع الى نجدة الملهوف واطعام الجائع وكساء العارى ، ان مصر كانت وستظل بحول الله سباقة الى الخير مستجيبة لقول الله سبحانه :

« آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » ..

ولقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ . الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ..

ولقوله تعالى :

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ..

آيات كثيرة فى القرآن وأحاديث وفيرة فى

أنباء وآراء

السنة الشريفة تأمر المسلمين ، بل كل بنى الانسان بأن يؤدوا حقوق الفقراء والمنكوبين، وأن يهبوا الى غوث الجائعين واطعامهم ، ورفع ما وقع عليهم من قحط .

ان الله سبحانه فرض فى أموالنا حقوقا فقال :

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » ..

وقال :

« وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ..

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشح والبخل فقال : « واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ..

أو ليس الجائع محروما تجب اغاثته حفاظا على حياته ؟ .

أيها المواطنون :

« .. وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا » ..

فقدموا ما يدخر لكم عند ربكم ، ويعين اخوانكم فى الانسانية ويحفظ عليهم حياتهم ، ويضع عنهم اصرهم .

ان على كل منا أن يقدم ولو طعام يوم واحد ، اغاثة لهؤلاء الذين نزل بهم القحط والجدب لتحفظ عليهم حياتهم .

واننى لأدعو وزارة الشئون الاجتماعية ، أن تقود حملة لجمع وتلقى التبرعات العينية والنقدية وأن توجه كافة الجهات الخيرية والجمعيات لهذه المهمة العاجلة الانسانية بالاعتبار العام . فهؤلاء الجوعى اخوتنا وجيراننا ، حتم علينا الا نتركهم أرضا خصبة لأفكار وافدة عليهم يفقدون بها دينهم وأوطانهم .

كما أدعو وسائل الاعلام المختلفة الى دعوة مستمرة للمواطنين خاصة وسائر الناس كافة فى أنحاء العالم للاسهام فى اغاثة هؤلاء المنكوبين .

كونوا أيها المواطنون ممن قال الله فيهم :

« .. وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ..

شيخ الأزهر يرفض دعوى تدويل القدس

أكد فضيلة الامام الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر : ان القدس عربية تحمى وتحوى جميع الأديان ، وأن تدويلها أمر لا تقره الأمة الاسلامية . وقال فى رده على دعوة بابا الفاتيكان لتدويل القدس : « اننا نرفض دعوة بابا الفاتيكان ونطالب العالم أجمع بأن يقف ضد الذين لا يكفون عن العدوان على المسجد الأقصى وعلى المقدسات المسيحية » ..

موقف الأزهر من تنظيم الأسرة

طلب وفد سنغالى زار مصر مؤخرا من فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . بيان موقف الأزهر من تنظيم الأسرة . أوضح فضيلة الامام

الأكبر : أن ما اتفق عليه الرأى من خلال ما اقره مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف هو أن تنظيم الأسرة لا يجوز شرعا أن يكون خاضعا لقوانين أو قرارات من جانب السلطة • وانما يكون خاضعا لظروف الأسرة تبعا لحالة المرأة الصحية وأن الاسلام لا يبيح تحديد النسل بمعنى القضاء على أسباب التناسل عند الرجل أو المرأة •

انشاء مجلس افريقى للتعليم الخاص

قرر مجلس أمناء منظمة الدعوة الاسلامية انشاء المجلس الافريقى للتعليم الخاص يتولى مهمة انشاء المدارس والتخطيط لمناهجها بما يمكن معه توفير التعليم الجيد باختيار خيرة المعلمين المؤهلين من ذوى الخبرة والتخصص فى مجالات التربية وطرق التدريس • مع توفير المناخ التربوى الاسلامى اللازم لخلق المواطن المسلم • وقد بدأ المجلس أعماله كمرحلة أولى بانشاء روضة للأطفال ومدرسة ابتدائية بالخرطوم • وبعد نجاح التجربة يتم تطبيقها فى البلاد الافريقية الأخرى ••

مجمع البحوث انتهى من تقنين الشريعة

صرح فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة مفتى الجمهورية بأن تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر لا يحتاج الى تمهيد • بل يجب أن يتم هذا التطبيق بشكل فورى قال فضيلته : ان تطبيق الشريعة فيه حماية للحاكم وللمحكومين على حد سواء وانه سيحقق الأمن والاستقرار للمجتمع المصرى•

وأضاف فضيلة المفتى : أن حجة تهيئة المناخ لتطبيق الشريعة حجة واهية لا يقرها الاسلام • وأشار الى أن السودان أقبل على تطبيق الشريعة دون تمهيد أو تهيئة المناخ •

وقال فضيلته : ان مجمع البحوث الاسلامية قد انتهى من تقنين الشريعة الاسلامية على المذاهب الأربعة ؛ كل على حدة • ولم يبق الا أن يناقشها مجلس الشعب مناقشة جادة ومتأنية لتطبيقها •

وحول مناهج التعليم فى الجامعات : صرح فضيلته : أن مناهج التدريس فى جميع المراحل التعليمية يجب أن تكون نابعة من الاسلام ومنهاجه الرشيد •و قال فضيلته انه لو طبقت الشريعة الاسلامية ستكون كل نواحى الحياة فى مصر اسلامية من حيث وسائلها وغاياتها المرجوة ••

تطبيق الشريعة الاسلامية

اعلن اسحاق خان وزير المالية الباكستانى أنه سيحظر من الآن فصاعدا فى باكستان الحصول على فائدة على الأموال المودعة فى المصارف تطبيقا للشريعة الاسلامية • وأن جميع المصارف الباكستانية ستطبق نظام المشاركة فى الارباح والخسائر الذى يجرى تجربته منذ ثلاث سنوات • ويشمل هذا القرار المصارف الأجنبية العاملة فى باكستان وعددها عشرون مصرفا •

اعادة افتتاح أربعمائة مسجد فى وسط الصين

ذكرت المصادر الرسمية فى الصين أنه تم



أنباء وآراء

اعادة افتتاح أربعمائة مسجد بعد ترميمها خلال السنوات الست الماضية فى اقليم « هنيان » بوسط الصين التى يقطنها مليون مسلم وقد أنفقت الحكومة الصينية فى الاقليم ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدولارات خلال هذه الفترة من أجل اصلاح وترميم هذه المساجد التى تصدعت أو كانت مهملة خلال سنوات الثورة الثقافية الصينية . ويضم هذا الأقليم أكثر من مائة مدرسة اسلامية . ويتلقى الأئمة فيها دروسا فى اللغة العربية . ومن المقرر أن يتم انشاء معهد للدراسات القرآنية فى الاقليم يمكنه استيعاب مائة وعشرين دارسا سنويا ، ويقدر عدد المسلمين فى الصين بحوالى عشرين مليون شخص .

مجلة الأزهر : نأمل أن يكون هذا العمل نابعا من واجب الدولة نحو رعاياها أكثر منه عملا سياحيا أو اعلاما دعائيا .

صدور مجلة البلد الاسلامى

صدرت فى غرناطة أشهر مدن أسبانيا مجلة « البلد الاسلامى » بهدف ابلاغ رسالة الاسلام الى المجتمع الاسبانى ، سعيا وراء تكوين رأى عام لصالح الاسلام ونقل رسالته .

ثلاثة أطباء يشهرون اسلامهم

أعلن ثلاثة أطباء أسبان اعتناقهم للدين الاسلامى عقب زيارة عمل قاموا بها مؤخرا للمملكة العربية السعودية . الأطباء الثلاثة هم : « اورجيوا » أخصائى الأمراض الصدرية و « اسكوديروا » أخصائى الطب النفسى . و « يحن » أخصائى طب الأطفال . وصرح الأطباء الثلاثة للصحف الاسلامية : أنهم سيبدأون فى نشر الدعوة الاسلامية فى اسبانيا التى يصل عدد المسلمين فيها الى مائة ألف مسلم .

ويقول الدكتور محمد عبد الرحيم « اروجيوا » أنه رغم ولادته وسط عائلة كاثوليكية فقد ظل يبحث عن الحقيقة التى وجدها فى الاسلام . وأضاف :

« أن أهم أمنياتى الآن أن أكون مسلما حقا وداعية لهذا الدين الحنيف ، ومن أجل ذلك فاننى أهتم الآن باصلاح نفسى وسلوكى حتى أكون مثالا صادقا لدعوتى ، ولا يكون هناك تناقض بين قولى وعملى . فيكون أجدى وأنجح لدعوتى » .

وقال الدكتور : منصور عبد السلام « اسكوديروا » : « مهمتنا الآن أن ندعو بلاد الأندلس لدينها الاسلامى الذى فقدته . ولابد من تذكير أبناء هذه البلاد . أنهم كانوا مسلمين » . وأضاف : « أن هناك مجالا واسعا لانتشار الاسلام فى أمريكا اللاتينية . ولابد من تحرك العرب والمسلمين لضم هذه المنطقة الى دائرة الاسلام » .

عملة فضية تحمل صورة الكعبة المشرفة

تقرر اصدار عملات فضية تذكارية تحمل صورة الكعبة المشرفة . يتم توزيعها فى جميع أنحاء العالم خلال مواسم الحج سنويا .

وتتولى مصلحة سك العملة المصرية تصنيع هذه العملات التذكارية بعد أن تعاقد معها أحد موردي العملات العالميين على اصدارها .

صرح رئيس مصلحة سك العملة المصرية المهندس عبد الرحمن النوتي بأنه سيتم اصدار مائتين وخمسين ألف قطعة من هذه العملات على خمس سنوات بحيث يتم اصدار خمسين ألف قطعة في موسم الحج من كل عام . وستكون العملة من فئة خمسة جنيهات وغير قابلة للتداول .

توصيات

ملتقى الاسماعيلية الثالث للفكر الاسلامي المنعقد خلال الفترة من ١٦ الى ١٩ جمادى الاخرة سنة ١٤٠٥ هجرية

الموافق من ٨ الى ١١ مارس سنة ١٩٨٥ ميلادية محافظة الاسماعلية :

لما كان الدين الاسلامي هو الدين الخاتم الذى بعث الله به الرسول صلى الله عليه وسلم من اجل هداية الناس « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ... صدق الله العظيم .

ولما كان المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها هم جنود الاسلام ، وهم الذين يحملون شهادة التوحيد فى المشارق والمغارب .

يوصى الملتقى بالتالى :

اولا : ـ

١ ـ مناشدة المسلمين فى العالم وضع حد لمأساة الصراع الدامى فى الحرب العراقية الايرانية التى شغلت المسلمين عما يجرى فى أفغانستان وفلسطين وغيرها من البلاد الاسلامية .

٢ ـ العمل على نشر التوعية الدينية بصفة مستمرة بين المسلمين بما يبصرهم بدينهم الصحيح وقيمه الخالدة .

٣ ـ الاهتمام بالجاليات الاسلامية فى البلاد غير المسلمة ، وتيسير اعداد الداعية الملم باللغات التى يسهل بها شرح أبعاد الاسلام لهم ولغيرهم ممن لا يعرفون شيئا عنه .

٤ ـ يوصى المؤتمر الشعوب والحكومات الاسلامية بمساندة المسلمين أمام الاضطهاد الملحد الذى يبغى سلخهم عن عقيدة الاسلام.

٥ ـ العمل المستمر على اتاحة سبل التعارف بين المسلمين فى خلال المؤتمرات واللقاءات تحقيقا لقول الله تعالى « **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » .. صدق الله العظيم .

ثانيا : ـ

لما كان الاسلام يهتم اهتماما كبيرا بالانسان فى مختلف مراحل عمره ، خاصة فى مرحلة الطفولة ـ **لذلك يوصى الملتقى بالتالي :**

١ ـ الاهتمام بالطفولة ورعايتها رعاية تتفق مع تنشئة أجيال اسلامية قوية .

٢ ـ التأكيد على القدوة فى السلوك أمام الأطفال ليتعرفوا السلوك الصحيح من خلال من يحتكون بهم .

٣ ـ مناشدة الكتاب والمؤلفين المسلمين تبسيط أخلاقيات وقواعد الاسلام فى كتب

متطورة تتناسب مع مرحلة الطفولة .

٤ ـ التركيز على الأجيال الناشئة ـ أطفالا وشبابا ـ لاحترام الوالدين وأعطائهما مكانتهما التى دعانا اليها الاسلام .

ثالثا : ـ

لما كان الشباب هو عدة المستقبل ـ وهو الطاقة الاسلامية الفعالة .

يوصى الملتقى بالتالى :

١ ـ العناية الروحية بالشباب وتبصيره بدينه لمقاومة الانحرافات الفكرية.

٢ ـ مواصلة الحوار الفكرى والدينى مع الشباب فى شتى صوره : المسجد ـ المدرسة الجامعة ـ النشاطات العامة .

٣ ـ اتاحة الفرص الواسعة أمامه لممارسة الرياضة التى دعا اليها الاسلام

رابعا : ـ

لما كان الاسلام الدين الذى يقوم على العقل ، ويدعو الى احترام (١) الرأى ـ فان **الملتقى يوصى بالتالى :**

١ ـ تأكيد قيمة الرأى وحريته فى اطار من الفهم الصحيح الذى دعانا اليه الاسلام .

٢ ـ الالتزام بالحرية المسئولة التى تقدس حقوق الغير.

٣ ـ العمل على تعويد الأجيال الناشئة على أسلوب الحوار الذى يأخذ ويعطى فى اطار من الأدب الاسلامى .

خامسا : ـ

ولما كان الاسلام الحنيف يدعو الى العلم **فإن الملتقى يوصى بالتالى : ـ**

١ ـ كشف دعوة الاسلام للعلم بكافة فروعه سواء منه الدينى أو التجريبى ـ وصولا بالأمة الاسلامية الى نهضتها وتقدمها .

٢ ـ غرس حب التجارب العلمية والأسلوب العلمى فى نفوس الناشئة والشباب لأنهم الذين سيحملون المسئولية ويقومون بأداء رسالتهم وفق ما شبوا عليه .

٣ ـ حفز العلماء المسلمين الى العمل من أجل التوصل الى استخدام امكانات التكنولوجيا الحديثة.

سادسا : ـ

لما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الهداه الذين قبسوا من أنوار النبوة ، وحملوا مشاعل الهداية من المشارق الى المغارب .

فان الملتقى يوصى بالتالى :

١ ـ العمل على تعريف المسلمين بسيرتهم.

٢ ـ العمل على التعريف بالصحابة الذين لم تلق عليهم الاضواء الكافية بين أجيالنا المعاصرة .

٣ ـ التأكيد على الاحترام الكامل لهم جميعا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم ، اهتديتم » ..

---

(١) مجلة الأزهر :
وددنا لو ان الملتقى حدد هذا « الرأى » الذى يحترمه الاسلام ، فانا نعلم ويعلم كل دارس أصيل أن سماع الرأى شىء واحترامه ـ بعدئذ ـ بشىء آخر وهذه العبارات العامة كثيرا ما أدت الى غموض مكن للتلاعب والانحراف والتطرف .

من خير ما كتب

الأستاذ عصام عبد المنعم ..

الرعب الواجب .....

من المؤكد أن أحدا منا لا يود أن يصبح شاهدا ، متواطئا بالسلبية ، على عملية تغيير الملامح الأصيلة لمجتمعنا الى الأسوأ .. وان الرعب هو الشعور الطبيعي — بداية — في مواجهة ارهاصات هذا التغيير المتمثلة في « الخط الجديد » من جرائم الشباب ..

ثم بعد أن يصيبنا هذا « الرعب الواجب » علينا أن نبدأ على الفور في اعداد العدة للحرب الطويلة .. وتوفير المناعة أو الدروع الواقية لشبابنا من تلك التيارات الغريبة التي تحدثنا عنها السبت الماضي ..

قلنا ان القاء التبعة على الظروف الاقتصادية ، العالمية والمحلية ، وانعكاساتها النفسية .. أو على محاولات الغزو الفكري من جهات خارجية معادية سياسيا أو دينيا .. « والاقتناع » أن هذه الأسباب «وحدها» هي التي تكمن وراء تصاعد الانحرافات ، بداية من تعاطي السموم البيضاء وانتهاء بقتل أقرب الأقربين مرورا بالاغتصاب والسرقة بالاكراه، لا يصيب من الحقيقة سوى بعضها .. فضلا عن أنه لا يقدم حلولا ملموسة أو قريبة !!

فما هو الحل اذن .. ومن هو المسئول عنه ؟ الحل .. أو الدرع الواقية من كل هذه الانحرافات .. وما يستجد على شاكلتها — ينحصر في اتجاهين متوازيين لا ثالث لهما ..

الأول .. هو « ترويض » النفس باتباع تعاليم الدين « الاسلامي » .

والثاني .. هو «ترويض » الجسم بممارسة « الرياضة البدنية » .

والمسئول عن اعمال هذا الحل .. فهو أنت وأنا وهو وهي .. وليس أبدا الحكومة أو المسئولين أو رجال الدين !!

فعندما يدخل كل منا داره ويغلق بابه خلفه .. تبدأ مسئوليته الكبرى مع أسرته وأبنائه ، وعندما يغادره يكون قد وضع بذورا تثمر ، اما شبابا صالحا أو منحرفا ! ..

ولأن كلنا راع في بيته وهو مسئول عن رعيته ، فعليه أن « يتابع ماذا تقرأ هذه الرعية ، وماذا تشاهد في التليفزيون أو الفيديو — قبل أن نطالب المسئولين بترشيد أو تقييد هذه الوسائل الاعلامية — ثم عليه أن ينتبه الى أهمية تصرفاته التي هي بمثابة التوجيه غير المباشر ، الأقوى أثرا من النصائح المباشرة .. وأخيرا من هم « أصدقاء » هذه الرعية !! .

ويقينا أنه اذا تمت هذه المتابعة و « كتاب الله ، دستور القائم بها فان البذور سوف تنبت نبتا طيبا ، يستعصي على كل أنواع الآفات — المحلية والمستوردة — وسيتهذب فكر الشباب ويقوى « بالحقيقة » فلا يعود نهبا للغث من العادات والرغبات .

أما الاتجاه الثاني المتوازي في الطريق الى الحل ، هو ترويض جسم الشباب المتفجر بالطاقات عن طريق « ممارسة » الرياضة لا مشاهدتها !! .

أنباء وآراء

الأستاذ / عبد الرحمن الشرقاوى ..

خواطر حرة

ليتك ياسيدتى او يا ابنتى سامية صادق تنقذين مشاعر المشاهدين مما يستفزها .

وتنقذين سمعة العاملات فى التليفزيون .

وسمعة المرأة المصرية نفسها من ثلاث او اربع مذيعات تثور حولهن الشبهات وتحاصرهن الهمهمات فى مصر وفى بلاد البترول شرقا وغربا .

لا تظلمى واحدة .

ولكن حسبك سوء السمعة لكى تمنعى هذه المرأة أو تلك من الظهور على الشاشة .

وسيساعدك على اتخاذ هذا القرار ان التليفزيون والمشاهدين والسمعة المصرية وكل ما تحرص عليه سيكسب من اختفائهن ، فما منهن واحدة ذات كفاءة !!

وشكرا لك أنك وعدت بأن تقاومى التكتلات التى تفرض البرامج المستفزة أو الهابطة ..

وليتك تنقذين المشاهدين من ابتذال بعض الاعلانات .

ولا أحد يفهم كيف لا تكون مادة الاعلانات خاضعة للمسئولين عن التليفزيون .. ما شأن القطاع الاقتصادى بالمضمون ؟ .

ان اذاعة هذا الابتذال وهذه الحركات الرتيبة لجريمة فى حق المشاهدين يجب أن يكافحها المسئولون عن مضمون ما يذاع .

الأستاذ / صلاح منتصر ..

المعادلة الصعبة

اننا لا نريد أن نطفىء الابتسامة على شفاه الناس ولكننا أيضا لا نريد أن نفقد القيم . هذه هى المعادلة الصعبة التى آثارها السيد / صفوت الشريف وزير الاعلام فى رده هذا الاسبوع فى مجلس الشعب حول الاسئلة التى وجهت اليه حول تجاوز بعض الاعلانات التليفزيونية القيم ودخولها دائرة الابتذال أو التلاعب بالالفاظ والاسقاطات .

والاعلانات التليفزيونية هى البرامج المفضلة لكل الأطفال بل لعلى اتحدى أن طفلا واحدا لا يعطى كل اهتمامه وانتباهه لهذه الاعلانات ويقوم بتقليدها ومحاكاتها بنفس الطريقة التى يراها ويسمعها بها . واذا كان من حق وزير الاعلام أن نحييه على قراره الجرىء باستبعاد أكثر من ٣٠ اعلانا كان المفروض أن يقبض التليفزيون أجرا لها أكثر من مليون جنيه فى أسبوع ، فان الذى يستحق التحية أكثر هو اعلانه ان القيم الأخلاقية أغلى من أى مادة أو أى دخل ووعد أن تتم عملية تنقية مستمرة للاعلانات وبنفس طريقة تنقاوة (لطع الدودة) من أوراق القطن الخضراء .. ومع ذلك تبقى المعادلة التى أثارها الوزير وهى : كيف نحافظ على الابتسامة فوق شفاه المصريين ولكن بغير أن يكون سبب هذه الابتسامة تعليقا جنسيا أو جملة مبتذلة أو عبارة تخرق قوانين الأخلاق ؟ .

كيف يمكن أن نضحك فى أفلامنا دون أن نسخر من الأب أو نهزأ من مدرسينا،أو يصور لنا جو الحشيش والمخدرات وكأنه الدواء السحرى للانتعاش ونسمع الاسقاطات

الجنسية الغربية التي أصبحت تجرى على ألسنة ممثلين كبار مفروض أنهم قدوة في الفن أو أن نرى المرأة المفروض أنها تمثل القيم الحلوة وقد أصبحت منافسة للرجال في سباق الافساد والانحلال الذى يجرى باسم الفن ؟ .

كيف يمكن الا نجد ممثلا كبيرا يقول في أحد أفلامه : (قال بتقول انني باتاجر في (الوساخة) هو الانبساط والهدايا تبقى وساخه) ؟ .

كيف يمكن الا يوضع أول فيلم تكتب قصته وتخرجه امرأة في مصر في قائمة الأفلام الممنوع عرضها (للكبار فقط) بسبب مشاهد وألفاظ الجنس السارخة الجارحة التى فيه ؟.

كيف يمكن أن ننقذ أولادنا وقيمهم وأخلاقهم من هذه السكين الحادة التى تذبح باسم الفن كل ما هو فاضل في نظرهم دون أن تصيبهم بالكآبة واليأس ؟ .

كلمة لمجلة الأزهر :

في أواخر الخمسينيات ، وبالتحديد عندما أعلن الرئيس عبد الناصر عزمه على تأميم الصحافة ، قال ـ بالحرف الواحد : أي رجل كريم يرضى لنفسه أن يدخل بيته مجلة قذرة .. وقبيها وتأممت الصحافة ... وما هو الا قليل حتى زادت نسبة ما صرخ منه الزعيم من الفساد على صفحات كثير من المجلات ، وسمح لمجلات خبيثة أن تطأ أرضنا الطيبة .

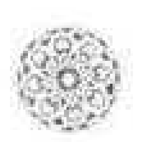
كم نرجو من السيد الوزير صفوت الشريف فقط متابعة ما تقززت منه نفسه حتى تتنفس الثقافة في جو طيب طاهر .

• • •

الى القراء ....

كتبت السيدة وفيقة عواد سلامة كلمة (حول شاعرية روحية القليني) والمجلة قد ابلغت السيدة : الشاعرة جليلة رضا بمضمونها .

ونأمل أن تستجيب .... مجلة الأزهر .

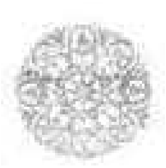


فهرس العدد

truth, honesty, kindness and genuine love. This authentic attitude attains reality when all human conduct and action is related directly to Allah, and therefore must be genuine and faithful. Brotherhood bonds are established irrespective of race, language, skin colour, social rank, or material possessions. The practice of such trends materializes in the excution of prayers, fasting, and the other disciplines of worship. The teachings of Islam urge people to lead a polite conduct in life with no infamy disrepute or disgrace, and uphold respect honour and regard to each other. Hostility, belligorence and injustice are ruled out and forbidden.

These are the highlights of the essential features that govern the Islamic social code and human relations. The total integrity of any individual; the sacredness of personal property, possession, social rights; the absolute freedom and independence; the faith and confidence of being attached only to Allah; the security of family structure; the prevailance of love and fraternity in the society; all function as necessary facets for a progressing healthy society.

How much human societies suffer both in physical and mental health and how disrupted they are ? How much societies are in need of these remedial essentials to attain the health, peace, order and harmony befitting human existance. Let us all kneel and pray that the human society at large will recover from the degrading abyss it has reached; and to recognise the cures essential for its salvation and survival.



consistant with human prosperity, opulence, and health. The directives advocated by Islam to antagonise the devil; are strict adherence to the doctrines of the faith, and close observance of one's individual conduct and practice in life. The concept of a perpetual continuous struggle against the influence of the devil, should be a fundamental understanding in the mind of every muslim.

Another essential of Islam is the maintainance of solid coherent family structure. This is achieved by a proper mutual respectful loving husband-wife relationship. The doctrines of Islam dictates that men must treat their wives with best care and sincere loving affection. The Prophet (prayers and peace be upon him) highly praised the Muslim who best treats his wife; and highly advocates honouring affectionate respectable and tender association with women. In marriage, the husband pledges to fear Allah in the treatment of his wife, with the understanding that he married her with the security of God. Islamic teaching place women in a high rank of respected esteem, and secures her from wanton avarice and degrading lust. Marriage should be highly cherished and guarded by preservation of feminine chastity and purity. Wives should be gentle and sincere in their devotion to their husbands, they are guardians of family peace and prosperity, they guide and instruct children to the elements of proper principles and ethics. Mothers in the structure of the Islamic family hold the highest rank of dignity honour and respect.

The Islamic law is very particular and specific as regards the subject of inheritance. The holy Quran documents the share of every individual in precise calculated amounts . It is absolutely unlawful and forbidden for anyone to take more than his rightful share. The wealth of orphans is strictly guarded by a very meticulous system.

One of the important concerns of Islam is to establish strong bonds of fraternity and brotherhood between Muslims based on reality,

are upon him, and a dreadful penalty is prepared for him. These are the consequences in the Hereafter, the legal legislative consequences were previously mentioned.

Islamic legislation also provides to safeguard the property of Muslims. This is attained by strict prohibition of usury, falsely devouring the property of people, theft robbery or gambling. Any form of exploitation or illicit transactions are rejected and condemned as illegal. All actions of greed, lust or covetousness and wanton desire are denounced and precluded. The Quranic text forbides "Riba" which is defined as any increase in capital through illegal means as usury, bribary, unorthodox profiteering, and all means of unlawful gain of wealth at other people's expense.

> "Those who devour usury will not stand except as stands one whom the Evil one by his touch hath driven to madness. That is because they say:
> "Trade is like usury", but Allah has permitted trade and and forbidden usury.
> Those who after receiving direction from their Lord, desist, shall be pardoned for the past; their case is for God (to judge). But those who repeat (the offence) are companions of the fire; they will abide therein (for ever). Allah will deprive usury of all blessing but will give increase for deeds of charity:" for he loveth not creatures ungrateful and wicked.
>
> (Surat Al-Baqara II; 275,276)

The Prophet (prayers and peace be upon him) distinctly directs mankind to be cautious and watchful against evil action. This is the influence of the devil (Satan); whose ultimate objective desire is to gear all human behaviour and action in a direction opposite that

" O ye who believe ! The law of equality and retaliation is prescribed to you. In case of murder: The free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman.
But if any remission is made by the brother of the slain, then grant any reasonable demand, and compensate him with handsome gratitude. This is a concession and a mercy from your Lord. After this whoever exceeds the limits shall be in grave penalty. In the law of equality, there is saving of life to you, O ye men of understanding that ye may restrain yourselves."

(Surat Al-Baqara, II; 178, 179)

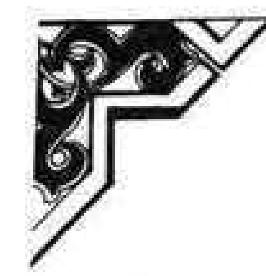
It is made clear that Islam mitigates the horrors of the pre-Islamic custom of retaliation. In order to meet the strict claim justice, equality is prescribed with strong recommendation for mercy and forgiveness. The claims of justice dictate: free for free, slave for slave, woman for woman. There is no discrimination for wealth, high birth, or social influence; among free men and women, all are equal. This law is carefully laid down refering to murder only, and is not applicable to manslaughter due to mistake or accident; for this there is no capital punishment. However, the family of the deceased is entitled to compensation unless freely and willingly remitted. It is also indicated that the mistaken man should free a believing slave, and in case he has no means of compensation and freeing a slave, he must by act of self denial fast for two consequetive months to show that he is cognizant of the grave nature of his deed, and is repentant. The Quranic text in Surat Al-Nisaa (The woman) manifestly describes the law governing manslaughter by mistake. In this connection, differentiation is made in three cases as mentioned (1) when the deceased belongs to same community as you (2) belongs to a community at war with you (3) belongs to a community in alliance with you. However, if a man kills a believer intentionally, his recompense is hell to abide therein forever; and the curse of Allah

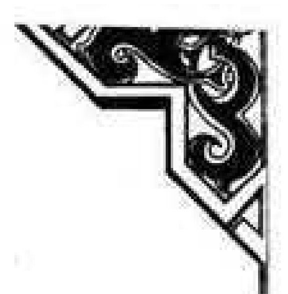
vance for your religion. O people, you have rights over wives, and they have rights over you. You must treat them with loving kindness; you have married them on the security of God. Everyone will have his share of inheritance. O People; listen to my words and understand, realize and know well that every Muslim is a brother to the other Muslim, and that all Muslims are brothers. Nothing which belongs to one is lawful unto his brother unless freely given out of goodwill. Guard yourselves against all sorts of injustice. I have left between your hand the book of Allah and the Tradition of his Prophet, therefore endure to them in adherent conforming observance, and you shall never go astray. Let him who is present relate these words to those who are absent."

In this communal speech on the sacred day after pilgrimage, the Prophet (prayers and peace be upon him) decreed the essential concepts that are recognised necessary for the security and affluence of the Islamic community and humanity at large. Such concepts constitute the social code of practice as prescribed by the Holy Quran. All muslims are obliged through their faith and belief to comprehend these fundamental concepts and practice them with willingness and devotion to maintain them as a way of life.

With these short specific statements declared in a public announcement, the Prophet (prayers and peace be upon him) formulated the basic elements of the code of Islamic social life. The substances of these elements are dealt with in elaborate precision in Quranic text and the Honourable Hadith.

One aspect is the sacredness of human life in general, and Muslim lives in particular . Absolute prohibition of murder is a landmark in Islamic legislation. In this particular connection, the Quran specifically describes the details of this aspect in meticulous analysis.





THE CODES OF ISLAMIC SOCIAL LIFE

BY NASR ELDIEN ABDEL-FATTAH SHOLKAMY

Praise be to Allah, and prayers and peace by upon the Imam of the pious our Prophet Mohammad, and on his Kins, companions, followers, and callers for his message till the day of judgement.

The Prophet (prayers and peace be upon him) in his last public address after his farewell pilgrimage indicated the basic concepts that should regulate and normalise the social structure of the Islamic community. In his words he said: "O People; listen to my words, for I may not be with you after this year in this place. Your lives and property are sacred and inviolable to each other. Sacred as this day and this month are sacred to all. Let it be well known that you will appear before God to account for all your actions. Anyone in possession of anything belonging to another must return it to him, and be faithful to any trust placed in you. Usury is prohibited, the debtor will return the capital only and none will be injustified".

"O People ; the devil (Satan) is desperate of being worshipped, but will be content with your faults; beware of him and have obser-

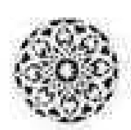


the scoraching heat; Al-hawiya, i.e. the deep abyss; and Al-hutama, i.e. the smashing one.

In contrast with the sublimity, bliss and fertility of life in Paradise, Hell is associated with sinking, tormentation and sterility in the Fire wholly enshrouded in black smoke. In vain will its inmates cry for succour or exodus.

However, like Paradise, Hell too has a living aim. It is not merely a place of unending chastisement; rather, it is the harder purgatory of sinners. Therein, they are fitted in unparalleled temperatures for spiritual advancement until, out of Divine mercy and justice, they are ordained to quit Hell and go to Paradise.

A question arises here concerning the eternity of the sinners' chastisement in Hell. It is noteworthy that the Arabic words "Khulud" and "abad" both indicate eternity in the sense of endlessness, but also bear the significance of very long durations of time - as if metaphorically likened to eternity. A Qur'anic equivalent to them in the last sense is "ahqab", i.e. very long terms of years. However, one can safely conclude from both the Holy Qur'an and the Honourable Traditions that it is to Paradise that endlessness pertains. As to Hell, however vast extends the span of its existence, it is making for its own destruction.





Traditions, the balances are palpable and absolutely accurate, while the weighed acts are records on pages.

The Arabic name in the Holy Qur'an for the abode of bliss in the Hereafter, i.e. Janna, is an eloquent nomination. At root, "Janna" - the verb - implies concealment which agrees with the concept of the unseen, on one hand; and on the other allows for discovery over and over of new unprecedented or unexpected delights.

In its portrayal of paradise, the Holy Qur'an strikes notes of sensual perceptions. It speaks of gardens with flowing rivers, shade, fruit, milk and honey. It promises the faithful the happy company of their righteous kinsfolk and offspring. Men of faith and true belief are associated with female partners who are described as pure, highly virtuous, perfect in elegance, beauty and virginity.

The loftiest blessing Allah grants the Blessed in the Abode of peace shall be His meeting them and communicating with them. They deserve the immeasurable joy of it, having so patiently worked on, in this life, to attain it. Then follows further advancement into Eternity. Blissful as it surely will be, however, man's existence in Paradise cannot end in rest. Indeed, not only will all traces of evil and shortcomings be stamped out from the dwellers of Paradise; still, the desire implanted in man to advance further and further in this life will aspire higher and higher in spiritual eternity. Not a single desire shall be checked. Nor shall man grow weary of the sublimities of immortality.

Hell, on the other hand, is the Abode of Chastisement. The Holy Qur'an gives it names, all synonymous with fire, abyss, deep fall and tormentation. They are: Jahannam, as it were its proper name, which means tremendous Hell-fire; Jaheem, i.e. the burning of fire, and the burning of vehement passions; Sa'ir, i.e. the raging fire; Saqar, i.e.



Life after death

(II)

By Soliman Barakat

It is not expressly stated in the Holy Qur'an whether man will be raised in body and soul or in soul alone. Indeed, mention of the unseen in the Qur'an is usual'y an admonitory or promisory reminder of the end that awaits man, rather than an interpretation of it.

Faith that is the light-in-the heart in this life will in the life beyond a peculiar light that runs before and after each believer; good deeds will bear their fruit. With all the unrealizable differences between this and the next world, however, there is a striking sort of parallelism between them. It is not therefore required of a believer to concern himslef with such enigmatic mysteries of the unseen as have not been revealed to him. However, according to the Traditions of the Prophet, be upon him peace and blessing from Allah, man will be raised in both body and soul, his individuality undoubtedly preserved but his appearance otherwise.

Deeds being recorded in this life by unseen angels and weighed by others in the Hereafter is oft-repeated in the Holy Qur'an and the Honourable Traditions. The balance has always been the symbol of justice. Still, it signifies the perfect order in which Allah has caused the whole creation to be integrated. Never-the-less, the weighing on the Doomsday of men's deeds must be taken as a reality and not a metaphor. For according both to the Holy Qur'an and the Honourable

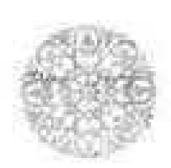
4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Yahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa , Beirut

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.





The judgement of Saad Ibn Muaz on Bani Quraiza was in accordance with the Jewish Law of the old testment in the treatment of enemies after a seige. Further, it must be comprehended that the treacherous act of Bani Quariza during the battle of Al-Ahzab would have been highly detrimental to the Muslims. Again the dominant prestige of the Muslims among the Arab tribes must be well established and preserved. This is attained by capital punishment for those who act in treachery and fraudulence. It was imperative that this action be taken against Bani Quraiza. Chroniclers state that the Jews faced the excution of their death with great courage.

The Vanquish of Bani Quraiza resulted in the clearance of Al-Madinah from the last pockets of Jewish presence. This in reality meant that the strong hand of the hypocrites has weakened. As to the Muslims, the outcome of the battle of Al-Ahzab and the decision taken against Bani Quraiza certainly established their power and superiority. They remained constant and consistent in the summons and call for the truth , to establish the word of Allah as supreme.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo printed 1980

For Allah is Oft-Forgiving, Most Merciful".
(Surat Al-Tauba, IX, 192).

When the redemption of Abu Lubanah was finally declared, Muslims hurried to inform him and release his chains, but he refused saying that he will remain chained till the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) released him.

Bani Quraiza submitted to accept any decision to be taken.At this stage, a group of Muslims from the Arab clan of Aws, previous associates of Bani Quraiza, came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and appealed that Bani Quraiza be treated as Bani Qainuqua who were associates of the other Arab clan of Khazraj. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) answered that a man from the Aws will give the final decision and judgement on how to deal with Bani Quraiza. That man was Saad Ibn Muaz the chieftain of the Aws. That famous Sahabi was brought wounded during the battle of Al-Ahzab by a stray arrow. Saad Ibn Muaz passed the judgement that all able males should be killed , women and children taken as prisoners, and possessions and property confiscated into muslims ownership. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) commented that the judgement passed by Saad Ibn Muaz was the judgement of Allah on Bani Quraiza.

"And those of the people of the Book, who
aided them-God did take them down from their
strongholds, and cast terror into their hearts
(that) Some Ye slew, and some Ye made prisoners.
And He made you heirs of their lands, their
houses, and their goods,and of a land which Ye
had not frequented before. And Allah Has power
over all things.

(Surat Al-Ahzab XXXIII, 26-27)

for he is the promised messenger as indicated in the true Jewish doctrines. The second was to kill all their wives and children, and to face him in battle after that with no fear of leaving anyone behind. The third was to fight the Muslims tonight being a Saturday, in the hope that may be a surprise attack which may succeed. Bani Quraiza refused all suggestions presenting several antagonistic arguments. They also recognised that they were involved in a loosing battle, and that utter defeat was their destiny . They asked to be treated in a similar manner as Bani Al-Nadhir, to evacuate with possessions leaving behind their arms. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not accept, and also refused the suggestion that they depart without possessions, and insisted that Bani Quraiza must succumb to whatever decision there was regarding their fate, because of their ignominious act of treachery.

Bani Quraiza requested to meet with Abu Lubanah Ibn Abdel-Munther for consultation with him regarding their situation. Abu Lubanah advised them to accept the decision of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) whatever it may be, and made a sign with his hand across his throat, meaning that the decision will be death. By doing that Abu Lubanah felt that he was not truely faithful to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and with a guilty conscious, left directly to the Mosque at Al-Madinah and chained himself to one of the pillars in repentance and penitence. There he remained tied for twenty nights, and his wife came to unchain him at every prayer time and rechain him again. This continued till the Divine Revelation redeemed Abu Lubanah by the Quranic text.

> "Others (there are who) have Acknowledged their wrong-doings; They have mixed an act that was good with another that was evil. Perhaps Allah will turn unto them(in mercy):

confederates and Bani Quraiza. The Muslim - Bani Quraiza dispute was to be settled soon; yet none could predict how soon it would be. On the same day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah, he marched to Bani Quraiza. According to most authoritative chroniclers, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched to Bani Quraiza by Divine order received through the Archangel Gebriel. Whether this be the case or otherwise, the fact is that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched to Bani Quraiza on the same day after the return from the battle of "Al-Ahzab". The Muslims were summoned to march to Bani Quraiza and perform afternoon prayer there.Some performed the prayer on the way, others waited to reach the dwellings of Bani Quraiza and performed the prayer after the prescribed time. Both parties believed that their action was correct;and as a matter of fact both actions were sanctioned by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The banner of Muslims marching to Bani Quraiza was trusted to Ali Ibn Abi Taleb; and Al-Madinah was left to the ministership of Abdullah Ibn Um Maktoom. The number of Muslims that marched out to Bani Quraiza was three thousand. Bani Quraiza realised the purpose of this march, and recognised the disgrace and infamy they incurred, and all the consequential implications pertaining to that act of uncanny betrayal.

The Jews of Bani Quraiza took refuge in their well defended forts and bastions, and the Muslims started to prepare for a long siege of Bani Quraiza.Huaii Ibn Akhtab from Bani Al-Nadhir who raised the confederates to march against the Muslims, joined Bani Quraiza inside their fortresses after the retreat of Korayah and Ghatafan. The siege lasted for twenty five days, and Bani Quraiza became certain that the Muslims seriously intended to defeat them. Kaab Ibn Assad the leader and chieftain of Bani Quraiza declared to Bani Quraiza three choices to decide upon to solve the distressing situation they faced. One was to proclaim the prophethood of Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) and to declare acceptance of his message,

and the confederate forces. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at this stage announced that Kuraysh will not attempt to face the Muslims again, but it will be for the Muslim to go out to face Kuraysh.

The Muslims returned from the grounds of the trench to their homes at Al-Madinah tired and exhausted ready to recline to rest. According to most chroniclers, there were six casualties from the Muslims: and three from the confederate forces. These few numbers of casualties indicates the nature of the confrontation as being devoid of armed combat. However, it was characterised by much suffering, hunger, cold, dispair and distress, unceasing showers of arrows and various individual surprise assaults. The battle of "Al-Ahzab" was also highly notable for its complicated challenging political intrigue and diplomatic strategy. As a matter of fact, the build up of the confederate forces "Al-Ahzab" was initiated originally by a political rally set up by the Jews in order to defeat the Muslims in a final massive confrontation. Yet, the divine powers interfered in overwhelming devastation of the confederate forces, and to establish the promoting elements of Islam as supreme, for the Right and Virtue they stand for.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims returned to Al-Madinah with the intention of getting ready to prepare for another round with Bani Quraiza. This Jewish clan resident at Al-Madinah were committed to a state of neutrality with Muslims according to previously signed agreement. During the attack of the confederate forces, they broke their neutrality and declared their full support and alliance to the confederates. This act of treacherous betrayal came at a very critical time and placed the Muslims in a position of great danger. However, that alliance ended in utter failure and disappointing frustrations to both the

THE VANQUISH OF BANI QURAIZA

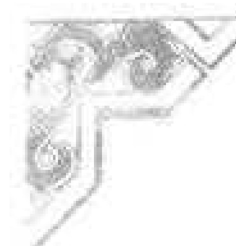
By Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR MD. Ph.D.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The confederate forces retreated completely to the last man. The forces of divine function and providence interfered to defeat the invading masses without battle inspite of the might and power they exhibited. The Muslims were saved the ordeal of actual armed combat; for which they were very thankful and grateful to Allah for His divine support. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went in prayers,and received the Quranic Revelation:-

> "And Allah turned back the unbelievers for (all) their fury: no advantage did they gain: and enough is Allah for the believers in their fight. And Allah is full of strength, able to enforce his will.
>
> (Surat Al-Ahzab, xxx III,25)

This indicates that Allah deviated the forces of evil by causing the winds to blow, and by providing angelic support. This prevented the necessity of armed confrontation between the Muslims

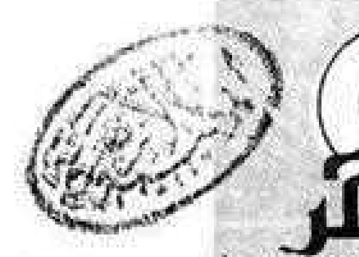


AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إلى المسلمين في مستهل

شهر رمضان

هذا موسم الإصلاح والصلح مع الله فاقبلوا :

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

افتتح الله آيات الصوم (١٨٣ ـ ١٨٥) من سورة البقرة بهذه الآية يمهد بها نفوس المسلمين لفريضة الصوم ، ويدعوهم الى الإقبال على أدائها باعتبار أن الصوم أقوى العبادات تأثيرا على الانسان قلبه وقالبه ومعلنا لهم أن تقرير هذه الفريضة عليهم ليس بدعا أو أمرا خاصا بهم ، وإنما هى ركن من أركان كل دين ، وذلك أدعى للإذعان .

◄

الجزء التاسع ※ السنة السابعة والخمسون

※ رمضان ١٤٠٥ هجرية ※ مايو ، يونيه ١٩٨٥ ميلادية ※

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الطيع

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

※ صورة الغلاف



كلمة فضيلة
الإمام الأكبر
شيخ الأزهر



إلى المسلمين فى مستهل شهر رمضان

والصوم فى اللغة: الإمساك والكف عن الشىء .
أو هو: الإمساك عما تنزع اليه النفس

وفى الشرع: الامتناع عن الأكل والشرب والمخالطة الزوجية من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس احتسابا لله تعالى وإعدادا للنفس وإعدادا لها . بما يعينها على تقوى الله ومراقبته وتربية إرادة الصائم ليقوى بذلك على ترك المحرمات وكبح الشهوات :
(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بيان وتعليل لفرض الصوم وابراز للغاية من فرضه وتحريض على الإقدام على أدائه ، حتى يعد الصائم نفسه لتقوى الله ورضوانه بترك المباح من الشهوات الميسورة امتثالا لأمر الله . واحتسابا للأجر عنده .

ومتى درب المسلم النفس وكفها عن المباحات ملك زمامها وحال بينها وبين المحرمات ، وتربت عنده ملكة الصبر على ما يشير اليه قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — : (الصيام نصف الصبر) .

(ولعل) فى تلك الآية للترجى .

والرجاء إنما يكون فيما وقعت أسبابه ، وموضعه هنا المؤمنون المخاطبون بالآية ، ومن ثم كان من لم يصم بالنية وقصد التقرب الى الله بعيدا عن أن تتربى عنده ملكة ترك المحرمات ، ولم ترج له ومنه التقوى ، فليس الصيام فى الإسلام لتعذيب النفس ، بل لتربيتها وتزكيتها .

ثم إن إعداد الصيام نفوس الصائمين ، وتوجيهها الى تقوى الله يظهر من وجوه أعظمها أنه أمر موكول الى ذات الصائم ، فالصوم سر بين العبد الصائم وبين ربه لا يطلع عليه الا الله سبحانه اذ لولا اخلاصه ومراقبته لله ومعرفته اطلاع ربه عليه لما كان له اصطبار عن تناول ماصام عنه . وفي تكرار الصوم تنمية وتقوية لملكة المراقبة لله والحياء منه أن يراه حيث نهاه . وهذه الملكة هي التي استبدلنا بها ما شاع على الألسنة في عصرنا وسميناه (الضمير) .

هذه المراقبة لله وخشيته وحده متى استقرت عليها الأنفس الصائمة لله ترقيا لسعادة الآخرة ، تؤهل أيضا لسعادة الدنيا ، فمن راقب الله وصام ايمانا واحتسابا عمر قلبه بخشية ربه . فلم يقدم على غش الناس وخداعهم ، ولم يأكل الأموال بالباطل ، ولم يبخل على الله بمنع الزكاة أو لأكل الربا ، وأموال اليتامى ، ولم يقترف المنكرات سرا وعلانية وبالجملة اكتسب صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم .

ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي ، ولا تطول غفلته عن الله وطاعته واذا نسي أو استهواه الشيطان فاقترف السيئات ، كان سريع التذكر والرجوع بالتوبة الى ربه .

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ »
فالصيام سر بين الصائم وربه ، وأعظم مرب لملكة المراقبة والارادة وأقوم طريق للتقوى .

والصوم يجعل الصائم رءوفا رحيما بالفقراء ، سخيا بالصدقات مؤديا الزكوات ، اذ عندما يجوع يتذكر من لا يجد القوت .
ثم أليس من الصفات المحمودة للمسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ؟
لقد وصف الله بهذا السابقين الأولين الى الاسلام ، ونحن من هذه الأمة ينبغي ألا ينفك عنا هذا الوصف الرباني المحمود .

ولابد للصائم أن يحفظ جوارحه عن الآثام فلا غيبة ولا نميمة ولا غضب ولا قول زور والا كان بهذه المعاصي ، وهو صائم كمن يبني قصرا ويهدم مصرا .
ان على المسلمين أن يتخذوا من صوم رمضان زادا للتقوى ، والتقرب الى الله ، والا يصوموا جوعا وعطشا ، ثم هم من وراء ذلك لا يرعون الله في أعمالهم

كلمة شيخ الازهر للمسلمين

وتجاراتهم وذوى أرحامهم وجيرانهم وأوطانهم ، بل عليهم أن يصوموا لله قانتين، حتى لا يدخلوا في نطاق ما حذر منه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش) .

فلنلتزم بالصوم الموصل الى التقوى ايمانا واحتسابا لربنا ولنلجأ اليه في شهرنا المبارك أملا في معونة الله ومدده لأمة القرآن حتى نكون خير أمة أخرجت للناس .

ولا ينبغي أن ننتقم بالليل من النهار فنقضي نهارنا نعد لموائد الليل الطعام والشراب ونتمادى في الاسراف غافلين عن حكمة الصوم وفوائده ، وعن قول الله في محكم كتابه :

(لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

انه شهر في العام — (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ..) أقام الله فيه مدرسة للصوم ، فيها نعتاد الطاعة لربنا ، وبه تقوى عزائمنا ونراقب الله ونخشاه ، ونرجو ثوابه فيه تصح أجسادنا ، كما تطهر قلوبنا . بهذا أخبر الصادق الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — في قوله (صوموا تصحوا) وقوله : (من لم يغفر له في رمضان فمتى ؟) هذا الصوم متى التزمناه صحيحا كان الوازع الديني وكانت الأمانة . وفي الحديث الشريف : (ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته) .

ان مدرسة الصوم مدرسة اصلاح نفسي وجسدي واقتصادي أستاذها الوازع الديني ، ودوام المراقبة لله سبحانه ، والامتثال لأمره ، به ترقى الأخلاق اذا اصطلحنا فيها مع الله ، فأعلنا التوبة اليه والأوبة الى كتابه وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، نحتكم اليهما في كل أمورنا دون أن نلتفت الى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، يضلون الناس ، وما يضلون الا أنفسهم تخلوا عن أمانة الكلمة فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

تعالوا أيها المسلمون نتخذ شهر رمضان موسما نتخفف فيه من أعبائنا الاقتصادية التي أثقلت كواهلنا أفرادا وجماعات وحكومات .

تعالوا الى صوم نتقرب به الى الله ، لا رياضة نفسدها بالليل بكثرة ما نعد من ألوان الطعام والشراب واللهو ، جربوا أيها المسلمون الاعتدال في أموركم ، والاستغناء عما لا ضرورة له ، فلا تثقلوا كاهل الدولة باستيراد ما تعجز مواردها

عن تدبيره من الكماليات الموسمية التى لا تدخل فى فروض الدين ، وليست من لوازم الصوم خذوا من مدرسة الصوم ما تستطيعون من فضل وفضائل أقيموا حلقات القرآن التى استبدلتم بها ندوات الشيطان ، فنزع الله البركة من أموالكم بالرغم من كثرتها ووفرتها • وبخلتم وأمسكتم عن أداء ما فرض الله عليكم فكانت الآفات والأمراض والأوجاع التى لم تكن فيمن كانوا قبلكم ، كان سلفنا يتجمعون فى القرى والأمصار حول القراء يتلون عليهم القرآن ، ومع العلماء يجلون لهم آيات الله ، فكانت البركات والرحمات ونعمة الرضا تحوطهم فضلا من الله ونعمة ، وكانت القلوب مطمئنة ، والنفوس راضية مرضية ، والرحمة سائدة والمودة غامرة ، والتعاون على البر شعارهم ودثارهم فلما صرفكم عن القرآن الصارفون وقالوا لكم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، استجبتم وانصرفتم عن كتاب ربكم ، فأنساكم الشيطان صالحكم وأضلكم عن سبيل الله ، وتفرقت بكم السبل ، حتى صرتم شيعا يقاتل بعضكم بعضا •

أقول وأكرر:أيها المسلمون إن سلفكم الصالح ما عالجوا ضائقه اقتصادية ألمت بهم بالاغداق والاسراف والاستدانة ومزيد من انفاق الأموال فى غير محلها ، وانما بالاقتصاد وبالاستغناء عما فى أيدى الغير •

فلنحزم أمرنا ، ولنجرب ما نجح به سلفنا ، ولنتخذ من شهر رمضان مدرسة نعدل بها عاداتنا التى أسرعت بنا الى هذا الغلاء الذى باءت به دخولنا ، والتى أثقلت كاهل الدولة بالاستدانة والقروض بالربا ، الذى ما دخل فى تعامل الا كان معه الخراب والدمار ونزع البركة ذلك وعيد الله وقوله فى شأن تحريم الربا :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ • فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »

هذا موسم الطاعة لله فاقبلوا عليه ، واصطلحوا مع ربكم يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم • اعقدوا فيه ندوات القرآن والسنة وأغلقوا مزامير الشيطان ووسائل الفساد • أولى بالمؤمنين أن يكونوا مع الله فى شهر رمضان فانه سبحانه قال على لسان رسوله — ﷺ — (الصوم لى وأنا أجزى به) •

اصطلحوا مع الله بطاعته فى رمضان ، لتصير الطاعة لكم عادة تستقيم عليها حياتكم اصطلحوا مع انفسكم ،مع الوالدين مع الجيران مع المجتمع كله •

البقية ص ١٤٣١



لله وللرسول

ولأئمة المسلمين وعامتهم

لا مفر من حديث « الدعـوة » حتى النهاية لله وللرسول ولأئمـة المسـلمين وعامتهم !!

وحسـبى أن أتحدث من منطلـق « البدهيات » :

... من حيث التحام الداعية بالجماهير ، وشعور الجماهير أن الداعيـة انمـا هـو « استجابة » مباشرة لشـئونهم الدينيـة ، ولا أحسب معارضـا ـ فى ذلك ـ الا منكـرا لواقع يلمسه . أو متغاضيا عن حق ينفر منه لسبب يعلمه الله .

... ثم من حيث شعور المسـلمين بـأن الداعية الذى أمامهم هو « داعية الاسـلام » وليس داعية فئة من الناس تحت أى شعار .

أى أن الداعية ـ باختصـار ـ ينبغى أن يكون فقيها فيكون استجابة لجماهيره . وأن يكون ولاؤه للمسلمين أجمعين فلا تنوشـه الظنون .

فإن فقد الداعية الفقه فقد التقى بفصاحته ... لا بالجماهير وإن تحدث باسم فئة فولاؤه لها ... لا لله .. ولا للمسلمين .

كذا ميراثنا عن رسول الله ـ ﷺ .

وهكذا ميراثنا من قاعات الدرس بالأزهر الشريف .

تعلمنـا الا يكـون الاخـلاص إلا لله ، والا نعمل لغرض نتسلق له ـ باسم الدين ـ أكتاف المسلمين .

ولا — والله — ما تحزّب رجــــل الدين لحزب ، أو آرزّ الى فئة الا استبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير . ولا عاد بعدها ســـالما قط .

وإنمــا المسلمون لُحْمَــة ، والدين عــام . على هذا ترك رسول الله — ﷺ — الأمة ، وحرص الراشدون — من بعده — على هــذه المكة .

عندما تنادى بَطْنٌ من قُضــاعة — أثنــاء المعركة مع الروم بقيادة أبى عبيدة امين الأمة — بدعوى الجاهلية ، فصـــاح بعضــهم : يالقضاعة! فريد جمع قبيلته لانصافه عصبية ، وعلم عمر فأمر بنفيهم جميعا فاذا هذا البطن من قضاعة هو « بَلِيّ » .. نفاهم عمر جميعا الى مصر فلم يطأوا ديارهم بعدها .

وأراد بعض الأعراب — من حسن نية — أن يتجمع وعشيرته ، فيضربون فى « البادية » يسكنونها فنهاهم عمر .

كل ذلك ليلتحم المسلمون على اخاء ومودة ، ويمتزجون على تقى وعفاف .

فما بالك بمن ينحاز بالدين الى فئــة ... وهو الذى للناس كافة .

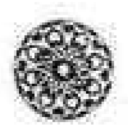
كيف يكون هــذا ...؟!!

ثم انظرْ بعد الى اى خال فى الدعــوة تَطرّقَ الى المحزنــات فانك واجد سببه احد أمرين :

إما دعوة بــلا فقه .

أو داعية ليس للمسلمين .

اللهم هل بلغت اللهم فاشهد .



٢

من علوم القرآن

الإعجاز

ما يطلق عليه لفظ « القرآن »

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا المقام أن لفظ « القرآن » يطلق على القرآن بتمامه كما يطلق على كل جزء منه ، والذى يشهد بذلك آيات القرآن نفسه :

فنحن نعرف أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تلقى القرآن نجوما وعلى فترات فى مدة طالت منذ بدء الوحى وسنه أربعون سنة الى قبيل وفاته بعد ثلاثة وعشرين عاما .

فأول الوحى كان فى مكة وظل ينزل طيلة وجود الرسول فيها ، وبقيته كان فى المدينة بعد هجرة الرسول اليها . فاذا قرأنا من سورة الرحمن — وهى مكية (١) — قول الله تعالى :

« الرحمن ، علم القرآن »

كان لزاما علينا أن نفسر القرآن فى هذه الآية بما انزل منه حينئذ ، لأنه هو المعروف فى الساحة ، وذلك بعض القرآن .

واذا قرأنا قول الله عز وجل :

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ، قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (٢) .

يكون من الخطأ أن نفهم أن لفظ « قرآن » فى هذا النص الكريم كتاب الله بتمامه ، لأن الآية نزلت فى مكة وقبل أن يهاجر الرسول الى المدينة ، وما كان القرآن قد تم نزولا

---

(١) لم نستطع الاتصال بالكاتب الفاضل لمعرفة رأيه فى قوله : مكية وهى — فى المصحف — مدنية ، فلعله سبق قلم ... مجلة الازهر

(٢) سورة يونس الآية رقم ١٥

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

يومذاك .

وعندما نأخذ أنفسنا بما أدبنا الله بـه في قوله سبحانه :

« وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (١) . فمن الحتم أن نفهم أن المراد هنا أي جزء من أجزاء كتاب الله .

وقد رأينا ــ فيما سبق ــ أن منزل القرآن سبحانه قد تحدى من رموا رسوله بالافتراء والكذب أن يأتوا بحديث مثله ، أو يأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، أو يأتوا بسورة من مثله، ومما لا خلاف فيه أن التحدي العام الشامل لهؤلاء، ومن عداهم من أفراد الانس والجن جميعا والذي تنطق به الآية الكريمة : « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (٢) .

هذا التحدي العام يحمل في طياته التحدي بأن يأتوا بسورة واحدة ، ومن هنا يطلق عليها لفظ « القرآن » .

ولأن لفظ « القرآن » يطلق على الكتاب بتمامه كما يطلق على كل جزء منه كان حديث العلماء في « القدر المعجز من القرآن » .

القدر المعجز من القرآن

وقد عني العلماء بهذا الأمر عناية كبيرة :

ففي كتاب « الاتقان في علوم القرآن » « لجلال الدين السيوطي نجد « فصل في قدر المعجز من القرآن » جاء فيه :

« الذي ذهب اليه عامة أصحابنا ، وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه ، أن أقل ما يعجز من القرآن السورة ، قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها .

قال : فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز .

قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة الى أن كل سورة برأسها فهي معجزة .

وقد حكي عنهم نحو قولنا ، الا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة ، بل شرط الآيات الكثيرة » (٣) .

وفي كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن » لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني نجد :

« ... ووجوه اعجازه (أي القرآن)

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠٤ .
(٢) سورة الاسراء : الآية ٨٨ .

(٣) ص ١٢١ من الجزء الثاني طبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م

كثيرة .. لأن كل مقدار ثلاث آيات قصار معجز ، ولو كان هذا المقدار من آية واحدة طويلة ، فقد تحدى الله ائمة البيان أن يأتوا بسورة من مثله وأقصر سورة هي سورة الكوثر ، وآياتها ثلاث قصار » (١) .

وواضح مما جاء في الكتابين أن هناك من يقول : ان كل مقدار ثلاث آيات قصار معجز ولو كان هذا المقدار من آية واحدة طويلة .

وأعتقد أن هذا القول يحتاج الى وقفة ، فالمتحدى به في القرآن كان حده الادنى سورة .

والسورة — كما هو معلوم — لها بدء ، ولها نهاية ، ولها موضوع واضح ، ولها هدف ، ويندر أن يوجد ذلك في مقدار ثلاث آيات قصار خاصة اذا كان هذا المقدار من آية واحدة .

وما اعتبره فضيلة الشيخ الزرقاني دليلا على صحة هذا القول لا يسعفه في نظرنا ، فهو يقول مدللا على ما قرر :

« فقد تحدى الله أئمة البيان أن يأتوا بسورة من مثله ، وأقصر سورة هي سورة الكوثر وآياتها ثلاث قصار » .

فاذا كان التحدى — كما قرر هو وكما هو الواقع — بالاتيان بسورة فلابد أن يكون أقل مقدار معجز له من الصفات ما يكون للسورة من بدء ونهاية وموضوع وهدف ، أى أن يكون حديثا تاما في مدلوله ، فلو قيل : أن كل مقطع من آيات القرآن يفيد معنى متكاملا واضحا ، معجزا لكان مستساغا .

وقد يكون هذا هو ملحظ من قال من المعتزلة : يشترط في القول باعجاز ما ليس بسورة أن يكون آيات كثيرة ، كما جاء فيما نقلنا عن السيوطى في الاتقان .

الى من وجه التحدى ؟

ونجد لبعض العلماء كلاما حول من وجه التحدى اليه :

فالسيوطى يذكر بعض تنبيهات ويقول في التنبيه الخامس : « هل التحدى للجن والانس أو للانس فحسب ؟ » (٢) .

وللامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » كلام حول الموضوع نفسه ، يقول : « مسألة في أن التحدى انما وقع للانس دون الجن :

التحدى انما وقع للانس دون الجن ، « **لان الجن ليسوا من أهل اللسان العربى الذى** جاء القرآن على أساليبه » .

وانما ذكروا في قوله « **لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ** » تعظيما لاعجازه .

فاذا فرض اجتماع جميع الانس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز ... » (٣) .

---

(١) ص ١٢٨ من الجزء الثاني الطبعة الثالثة (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)

(٢) ص ١١١ من الجزء الثاني من الاتقان .

(٣) ص ١١١ من الجزء الثاني من البرهان تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية . دار المعرفة — بيروت .

وما كنا نود أن نقرأ مثل هذا بعد النص الكريم :

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (١) .

والذى حاول الزركشى ومن وافقه أن يخرجوه عن ظاهره لا لشىء الا لأنهم قرروا أن وجه الاعجاز فى القرآن هو علو درجته فى بلاغة أسلوبه وسمو بيانه بالنسبة للسان العرب .

ولو وافقنا الزركشى فى رأيه والذى علل له بقوله : « لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربى » للزم أن غير العرب من الانس لا يشملهم التحدى ، ويكون لفظ « الانس » فى الآية خاصا بالعرب وحدهم ، وهذا يخالف اصطلاح القرآن فى اطلاق لفظ الانس على كل بنى آدم من عرب وغير عرب ، وهل من المقبول أن تخصص الانس بالعرب فى قول الله تبارك وتعالى :

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا .. » (٢) .

أو فى قوله عز وجل :

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣) » .

ولو قيل أن التخصيص هنا له ما يبرره وهو لسان العرب الذى نزل به القرآن كما هو واضح من كلام الزركشى ، لقلنا ان هذا بعينه هو الذى يوجب علينا البحث عن وجه الاعجاز فى التحدى الذى تنطق به آيات الله وأنه شىء أوسع وأشمل من هذا القول الملزم بتخصيص مالا ضرورة الى تخصيصه .

والذى يقرأ كتب علوم القرآن وما كتب حول « الاعجاز » تتجسم أمامه مشكلة أوقع بعض العلماء أنفسهم فيها عندما قالوا : ان أسلوب القرآن العربى هو أساس اعجازه ، فقد تبين لهم القصور فيما قرروا ، واتضح لهم أن غير العرب — على هذا القول — لا يندرجون تحت التحدى الذى تنطق به كلمات الله ، بل لا يعرف اعجاز القرآن — تبعا لذلك — الا الصفوة من أهل اللسان العربى ، ومن هنا حاولوا الخروج من المأزق فقال بعضهم : « وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا أرباب الفصاحة وفطنة المعارضة » .

وقال بعضهم :

« الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان ... فعلى اعجازه دليل اجمالى وهو : أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أعجز » (٤) .

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٨٨
(٢) سورة الانعام : الآية رقم ١٣٠ .
(٣) سورة الرحمن : الآية رقم ٣٣ .
(٤) انظر الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١١٩ .

وفى كتاب « اعجاز القرآن » لأبى بكر الباقلانى (١) كلام كثير حول هذا الموضوع ، فهو يقول :

« ... الأعجمى لا يعلم أنه (أى القرآن) معجز الا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج فى معرفة ذلك الى أمور لا يحتاج اليها من كان من أهل صنعة الفصاحة ، فاذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم وجرى مجراهم فى توجه الحجة عليه » (ص ٣٦) .

ويقول :

« وكذلك لا يعرف المتوسط من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالى فى هذه الصنعة . فربما حل فى ذلك محل الأعجمى فى الا يتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهى فى الصنعة عنه » (ص ٣٧) .

ويقول :

« فصل فى كيفية الوقوف على إعجاز القرآن » .

قد بينا أنه لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية من العجم والترك وغيرهم أن يعرفوا إعجاز القرآن الا أن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك . فاذا عرفوا هذا بأن علموا أنهم قد تحدوا على أن يأتوا بمثله وقرعوا على ترك الاتيان بمثله ، ولم يأتوا به تبينوا انهم عاجزون عنه .

واذا عجز أهل ذلك اللسان فهم عنه أعجز وكذلك نقول ان من كان من أهل اللسان العربى الا أنه ليس يبلغ فى الفصاحة الحد الذى يتناهى الى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة وما يعدونه فصيحا بارعا من غيره فهو كالأعجمى فى أنه لا يمكنه أن يعرف اعجاز القرآن الا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسى الذى بدأنا بذكره . وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء .

فاما من كان قد تناهى فى معرفة اللسان العربى ووقف على طرقها ومذاهبها فهو يعرف القدر الذى ينتهى اليه وسع المتكلم من الفصاحة ويعرف ما يخرج عن الوسع ويتجاوز حدود القدرة فليس يخفى عليه اعجاز القرآن » ص ١٥١ .

ولعل هذا الموقف الذى جعل أصحابه يحسون بخطورته هو الذى دعا الى التوسع فى القول بوجوه متعددة للاعجاز بحيث تتسع الدائرة فتشمل بجانب الأسلوب البيانى للقرآن جوانب أخرى بل نجد من الأقوال فى ذلك ما يتناسى الاسلوب العربى كلية . ويكفى أن نضع بين يدى القارىء بعض ما جاء فى كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ليتضح له الى أى حد تعددت الأقوال وتضاربت .

يقول السيوطى فى ص ١١٨ من الجزء الثانى :

« (فصل) لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا — صلى الله عليه وسلم — وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز . وقد خاض الناس فى ذلك كثيرا فبين محسن ومسىء » .

فزعم قوم أن التحدى وقع بالكلام القديم

(١) كل ما نقل هنا عن الباقلانى أخذ من المطبوع على هامش الاتقان للسيوطى طبعة دار الفكر بيروت .

الذى هو صفة الذات ، وأن العرب كلفت فى ذلك مالا يطاق ، به وقع عجزها ، **وهو مردود لان مالا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدى بـه** » (1) ٠

ويقـول فى ص ١٢١ ــ ١٢٢ من الجـزء الثانى كذلك :

« وقال ابن سراقة : اختلف أهل العلم فى وجه اعجاز القرآن ، فذكروا وجوها كلها حكمة وصواب ، وما بلغوا فى وجوه اعجازه واحد من عشر معاشره :

فقال قوم : هو الايجاز والبلاغة ٠

وقال آخرون : هو البيان والفصاحة ٠

وقال آخرون : هو كونه خارجا عن جنس كـلام العرب مـن النظم والنثـر والخطب والشعر مع كون حروفه فى كلامهم ومعانيه فى خطابهم ٠

وقال آخرون : هو كون قـارئه لا يكـل وسامعه لا يمـل وان تكررت عليه تلاوته ٠

وقال آخرون : هو ما فيه من عـلم الغيب والحكم على الأمور بالقطع ٠

وقال آخرون : هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرهـا وقـال الزركشى فى البرهان :

أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكـل واحـد عـلى انفراد ٠٠٠ » ٠

هذا التعميم فى أن الاعجـاز وقـع بجميـع ما سبق من الأقوال ، ما يتصل منها باللسـان العربى ومالا صلة له به ، والذى عبر عنـه الزركشى بأنه رأى أهل التحقيـق ٠ نجـده غير مقبول عند بعض من كتبوا حول اعجـاز القرآن ٠

ويقولون : ان الاعجاز بالبيان العربى قائم وخاص بالعرب منذ نزل القرآن ، والاعجاز بالوجوه الأخرى قائم بالنسبة لهم ولغـيرهم وان كان جاء متأخرا فى بعض الوجوه ٠

من أصحاب هذا الرأى أستاذنا الشـيخ محمد أبو زهرة ــ يرحمه الله ــ اذ نجـده يقول فى كتابه « المعجزة الكبرى ــ القـرآن الكريم » :

« ٠٠٠ نرى أن الله تعالى تحدى العـرب أن يأتوا بمثله ولو مفترى ، فكان التحـدى للعرب ابتداء بالمنهج البيانى القرآنى وهـو الذى استرعى ألبابهم ، ولعله لم تكن بلغت مداركهم العقلية والقانونية أن يعرفوا مـدى ماقى أحكام القرآن من تنظيم سليم للمجتمع فيه المصلحة الانسانية العالية التى تعلو عـلى تفكير البشر وان كان فيهم ذوق بيـانى يذوقون به الألفاظ فى الفخمـة القـوية فى رتبتهـا ٠٠ » ص ٩٥ ٠

ويقول :

« وان القرآن فيه الشريعة الباقية الخالدة ، وهو يخاطب الأجيال كلهـا العـرب والعجم والبيض والسـود والأحمر والأصفر ، فليس ما فيه من اعجاز خاصـا بالعـرب ، وانمـا اعجازه يعم الجنس البشرى كلـه ، لأنـه يخاطب الجميع ويطالب النـاس كافـة ، بأحكامه ، وفيه البينات المثبتة لكـل جنس »

الحـديث موصـول ٠٠

د٠ أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) وبهذا يرد على من قال : ان التحـدى بالأسلوب والبلاغة العربية بالنسبة لمن ليس لسانه عربيا ٠

تناسق سور القرآن الكريم

وترتيبها

ان الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه ، لا انقطاع لراتبه ، ولا اقلاع لسحائبه . والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، صاحب المقام المحمود ، واللواء المرفوع ، والحوض المورود ، صاحب الشفاعة العظمى ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وبعد :

فقد أراد الله العزة لدينه وملة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، فقيض له خرازا من العلماء والأئمة الذين اعتزوا الدين ، وجددوا أمره ، ونافحوا عنه ، وذبوا عن محارم الله .

ومن هؤلاء الصفوة التى رزق الله بهما الانسانية ، فشمخت أطناب الدين الحنيف الامام الجليل وشيخ الاسلام .

العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

ولا يطاوعني قلبي أن أكتب عن هذا الكتاب من غير أن أترجم لمؤلفه الكريم — رحمه الله — .

فلقد نشأ في القاهرة يتيما ، وقد حفظ القرآن وله تسع سنين .

ومات أبوه وعمره خمس سنوات ، وكان أديبا حافظا مؤرخا ، تربو مؤلفاته على ستمائة مجلد ، وقد انفرد بمصنفات قيمة غير مسبوق فيها .

فلما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس ، وخلا بنفسه في (روضة المقياس) بالقاهرة على النيل منزويا عن أصحابه جميعا ، ومن ثم هيأ لنفسه مناخا ملائما ، وفرصة مواتية لاخراج هذا الرصيد الضخم من المصنفات القيمة التى تزخر بها المكتبة الاسلامية ، ولا تزال تجنى غراسها حتى الآن .

راجع شذرات الذهب (٥١/٨) وآداب اللغة (٣ / ٢٢٨) ومعجم المطبوعات (١٠٧٣) وابن اياس (٤ / ٨٣) ومخطوطات الظاهرية (٣٥٥) والخزانة التيمورية (١٥١/٣) .

وقد هجر التدريس والفتيا بعد أن استقر رأيه على أن العمل بالتدريس والفتيا وغيرهما من الأسباب التى تثنى العمل في مجال البحث

للدكتور السيد الجميلي

والتأليف فلابد للبحث والتأليف من تفرغ وهذا ما كان يراه الأستاذ عباس العقاد ، وفى هذا المهجر والعزلة عن المجتمع ألف كتابه القيم « التنفيس فى الاعتذار عن الفتيا والتدريس » .

وقد التقى بالامام الصوفى الكبير الشعرانى قبيل وفاته .

***

وفى المكتبة السيوطية كتاب قيم توجد منه فى مصر نسخة واحدة ضمن مجموعة رقم (٤١٩) تفسير — تيمور — بدار الكتب المصرية .

وهذا الكتاب مكتوب بخط بين النسخ والفارسى ، ولم يرد ذكر تاريخ النسخ مع بعض الأخطاء اليسيرة ، ويقع فى اثنتين وثلاثين ورقة ، ويختلف فيه عدد سطور الصفحة ما بين ثمانية وعشرين سطرا ، واثنين وثلاثين سطرا ، وأغلب الظن أن هذه النسخة مكتوبة فى عصر المؤلف والكتاب اسمه : —

« تناسق الدرر فى تناسب السور »

والمعروف أن ترتيب سور القرآن فى المصحف يختلف تماما عن ترتيب النزول ولعل ذلك مرجعه الى اختلاف شأن حادثة التنزيل عن الحكمة من الترتيب للكتاب العزيز كله مع حفاظ الترتيب على حكمة التنزيل اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونحن نعرف أن الفترة المكية كانت أحوج الى تمكين العقيدة فى نفوس الناس وهم قريبو عهد بالوثنية الأولى ، والجاهلية الجهلاء ، ولم يشرع الله سبحانه وتعالى فى مكة الا الصلاة .

وقد كانت السورة تنزل فى مكة أو المدينة الا آيات معلومات منها ، مثلا سورة « الحج » مدنية ، الا أربع آيات منها نزلت بين مكة والمدينة هى الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

وسورة « السجدة » أيضا نزلت بمكة الا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة وهى (**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا** ..) الآيات الثلاث .

أيضا سورة « الزمر » بمكة الا الآيات الثلاث اللاتى نزلن بالمدينة فى وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب وهذه الآيات هى (**قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ...) الآيات الثلاث

وقد حدث هذا التفريق بين السور فى النزول باستثناء آية وآيات لتنزل بعد نزول أجزاء تلك السور بسنوات بعيدة كما فى سورة (البقرة) و (الأنعام) و (الأعراف) و (الأنفال) و (يونس) و (هود) و (يوسف) وأربعين سورة أخرى .

ومع ذلك فقد وضعت الآيات المتأخرة فى نزولها من تلك السور فى أماكنها متوافقة منسجمة مع سابقتها والتالية لها من غير تنافر أو نأى ، متصلة غير منفصلة .

ونحن بإزاء ترتيبين لسور القرآن : ترتيب النزول ، وترتيب المصحف .

وهذا يتجلى من سورة « المدثر » حيث ورد في مفتتح الترتيب النزولي الحديث عن القرآن الكريم والذود عن حوزته ، والتنديد بمن أعرض عنه في قوله تعالى —

« ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ • فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ • إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ » المدثر (٧٤/٢٣ — ٢٥) .

ثم قوله عز من قائل :

« كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ • فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ • وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ » .

« المدثر » (٧٤/٥٤ — ٥٦) .

راجع الفخر الرازي في التفسير الكبير (٣٠ / ٢١٣) .

ثم يصور القرآن الكريم صُدُوفَ الكفار وإرجافهم وعنادهم وعزوفهم عن دعوة الحق بقوله الكريم : —

« فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ • كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ • فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ » المدثر (٧٤ / ٤٩ — ٥١) .

راجع تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٣٨٠) في تفسير هذه الآيات .

ثم يأتي في سورة « القلم » ثانية سور القرآن الحكيم حسب الترتيب النزولي فيمضي الحديث عن الوليد بن المغيرة في قوله تعالى « عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ » القلم (٦٨ / ١٣) وما بعدها .

يقول الشيخ الصاوي — رحمه الله — في حاشيته (٤ / ٢٣٣) : —

« لم يكن الوليد يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية الشريفة بقوله تعالى في وصفه « زنيم » ، حيث اعترفت له أمه أن أباه كان "عنينا" فمكنت راعيا منها فوقع عليها ، فلما تغشاها حملت به » أهـ . بتصرف

وفي نهاية السورة يقول الحق — تبارك وتعالى — : « وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ • وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » القلم (٦٨/٥١ ، ٥٢) .

وهنا تبرز العظمة الالهية في التنسيق والابداع القرآني الذي يثبت للأفهام أن هذا القرآن معجزة الحق الكبرى وحجة السماء على أهل الأرض أجمعين ، وكلمته هي العليا وكلمة الباطل مدحوضة ذميمة مردودة .

وتأخذ العقل الحيرة عندما يجد السورة الحادية والخمسين في ترتيب النزول قد تصدرت المصحف ، وهي سورة « البقرة » ..

وحينما دققت النظر واعملت الفكر والفهم والخاطر ، استبنت معنى جديدا من معانى الترتيب ، فما يصح فى منطق القول ان نحدد مرادات الله سبحانه وتعالى ، وهو المطلق على الاطلاق .

يقول الامام السيوطى — رحمه الله — ونفعنا بعلمه وبركاته آمين : — « قال تعالى فى سورة البقرة ٢١ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ » فالعبادة هنا معناها التوحيد ، وهذا ما يلزم المسلم أن يعرفه حتما بادىء ذى بدء ، ثم يؤكد هذا المعنى بالسورة نفسها فى قوله تعالى :

« وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » .

وهو (علم الكمال) بالحق سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته .

وهذه الآية — بمعانيها الواضحة فى صدر المصحف مع أنها مدنية وليست مكية — دليل جلى وبرهان واضح على أن هذا الترتيب توقيفى من الوحى .

ثم يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة « هود » « فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ » الآية ١٣ .

وسورة « هود » مكية وترتيب هود فى المصحف يجعلها الحادية عشرة ومن ثم فان آية هود مستقيمة المعنى على ترتيب النزول .

ومن دلائل الترتيب وحكمته واتقانه أيضا قوله تعالى : « إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ » (البقرة ٣٤) والعادة التى جرى عليها القرآن أن يجمل مسائل العقيدة ثم يفصلها فيما تلاها من آيات . وهذا هو الثابت فى ترتيب المصحف .

واباء ابليس كان بيانا للعقيدة باظهار موانع الايمان بها فالضد يظهر شأنه الضد ، ثم فصلت بعد ذلك .

ثم أتى فى سورة « الحجر » فبين موضع الإباء بقوله تعالى : « إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ » (الحجر ٣١) .

ثم يقول فى سورة « الاسراء » : « قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا » وهو بيان لعلة الاباء .

ثم يقول فى سورة « ص » « إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ » (ص ٧٤) وفيها علة أخرى وهى من علل الاباء ، وهى الكبر مع تفصيل نتائجها .

***

قال تعالى فى سورة البقرة : (رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا) البقرة .

ثم يقول فى سورة ابراهيم : (رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا) ابراهيم ٣٥ .

فكلمة (بلدا) جاءت نكرة فى البقرة ومعرفة فى ابراهيم . لأن دعاءه على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى البقرة كان قبل بناء الكعبة ، وذلك مشار اليه فى قوله تعالى (بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ).

فلما بنيت الكعبة واستقر الناس حولها جاء الدعاء للمعرفة . وهى الحاضرة المعروفة المحددة المعالم .

ثم قال تعالى فى سورة « البقرة » (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) الآية — ١٩٣ .

ثم يقول سبحانه وتعالى فى الأنفال : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) الآية ٣٩ .

وهذا النسق انما جاء لترتيب القتال داخل الجزيرة العربية فى الأولى وخارجها فى الثانية ، فورد فى الأنفال (كله) .

***

ويأتى القرآن الكريم فى مخاطبة منكرى القرآن الكريم فى سورة « البقرة » فيقول :

« وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم ... » الآية ٢٣ .
ثم يأتى فى سورة « يونس » فيقول — عز من قائل :

« وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم » آية ٣٨ .
ثم يتدرج التحدى شيئا فشيئا مع الترتيب المصحفى مسايرا للملابسات حتى سورة « الاسراء » حيث وقع التحدى صراحة على جميع القرآن . توجه الكلام الى الثقلين ، الانس والجن جميعا : —

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » الآية ٨٨ .

***

هذه الأمثلة المضروبة التى أوردناها ونقلناها بتصرف فى بعض الأحيان من هذا الكتاب القيم (تناسق الدرر فى تناسب السور) للامام العلامة السيوطى — رحمه الله — ونور قبره ، انما تبين لنا أن فى ترتيب المصحف واختلافه عن ترتيب النزول حكمة بالغة العظمة ، لا يفطن اليها الا اللبيب الحصيف ، وهذه ناحية من نواحى اعجاز القرآن الكريم التى تسيطر على ملكات الجسم ، وتحتوى جوانب النفس فتطوعها بالعظمة والاجلال لقدرة الخالق جل شأنه ، وهذا مما يؤكد لنا ان القرآن الكريم ليس من قول بشر كما توهم الكفار وأرجف المشركون .

وفى القرآن اعجاز لا ينضب معينه ، لا يبرى ولا يسمو ولا يتسور الى استيعابه والاستمتاع بروعته الا من يتدبر

هذه الآيات ويقارن بين هـذه وتلك ، وهـذه الفضيلة محروم منها كثير من الناس .

ولذلك أمرنا بتدبر آيات الله واستقصاء معانيها والبحث فيها قال تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء ٤/٨٢ .

نسأل الله أن يزيدنا فقها وعلما وتدبرا فى آياته .

وأن ينفعنا بما علمنا .

وأن يرحم مؤلف هذا الكتاب ومشايخنا وأن يثبتنا على جادة السواء والاستقامة .

يتبـع

السيد الجميلى

إلى المسلمين فى مستهل شهر رمضان - بقية

ان كل أب وكل أم وكل رئيس فى عمل مسئول عما ولاه الله عليه فاحملوا المسئولية وأحسنوا القيام بها وخذوا من الصوم حكمته ، ولتكن مصاحبة لكم فى سركم وعلنكم ، وخذوا على أيدى المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان حتى لا يزيد المجتمع فسادا واستهتارا ، وعلى أصحاب الأعذار أن يستتروا حتى لا يساء الظن بهم واعلموا أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

اصطلحوا مع الله يصلح لكم نفوسكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرفع عنكم أصركم والتزموا الطاعة فى شهر رمضان تتغير به عاداتكم وتقلعوا عن أهوائكم ويكن الوسيلة الى تغيير الحال وصدق الله :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ »

أيها المسلمون : أهنئكم ببدء الصوم فى شهر رمضان حكاما ومحكومين وادعو الله أن يصلح به نفوسنا ويجمع فيه كلمتنا ، ويرفع الخلاف من بيننا وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر



« يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا. إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا »

سورة النازعات .

نشرت مجلة روز اليوسف بحثا للدكتور رشاد خليفة امام مسجد (توسان) بالولايات المتحدة عن الاعجاز الذى تصوره فى الحروف التى افتتح بها بعض سور القرآن ، وتغالى فى ذلك ، حتى حدد بها عمر الاسلام ، ووقت قيام الساعة ، فاقتضى الأمر بيان خروجه عن دائرة الحق وتجاوزه وجه الصواب ، وجرأته على الله تعالى ، ومعارضته لصريح القرآن ، واليكم البيان .

جاء بصدر المقال قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

وعلق عليه بقوله : تعلمنا هذه الآية أن الله سبحانه قد أخفى عن كل نفس العلم بما تكسب غدا ، وأخفى عن كل نفس العلم بأى أرض تموت ، ولكنه سبحانه لم ينف امكان معرفة موعد الساعة . ولم ينف امكان معرفة مكان وموعد نزول الغيث . ولم ينف امكان معرفة ما فى الأرحام .

وعقب ذلك بقوله : ونحن الآن نتنبأ بموعد ومكان نزول الغيث ، كما أننا نعرف بالضبط ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى ، بل ونعرف ان كان الجنين صحيحا أو مريضا وبأى مرض .. كذلك قال .

والواقع أن هذه الأمور الخمسة مما استأثر الله بعلمه أزلا ، وقبل أن تكون ، ولا سبيل الى علم بعضها الا بتعليم الله وابراز اماراتها عند ظهورها أو قبيله وحينئذ يخرج عن نطاق الغيب ، ويبقى قصر معرفة الغيب على الله تعالى معرفة ذاتية بما فيه هذه الخمسة ، روى الامام البخارى بسنده فى كتاب الاستسقاء من صحيحه ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « مفاتيح الغيب خمس ، ثم قرأ »

تفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

« إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ .. » الى آخر الآية .

أما قول الدكتور رشاد : ان الله لم ينف امكان معرفة موعد الساعة ، فهو قول واضح الخطأ من عدة وجوه .

أولا : أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر — كما هو معروف عند أهل العلم — وقد تقدم — في الآية لفظ (عنده) وهو خبر على لفظ (علم الساعة) وهو مبتدأ فالمعنى : ما علم الساعة الا عند الله تعالى .

ثانيا : أن الله تعالى قال في سورة الأعراف « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (١٨٧) .

أى يسألونك يامحمد عن الساعة متى تجيء قل للسائلين : ما علمها الا عند الله تعالى ، لا يظهرها لوقتها ولا يأتى بها الا الله ، لا تأتيكم الساعة الا بغتة دون سابق علم — يسألونك عنها كأنك عليم بها ، وهم مخطئون في تقدير أنك محيط بوقتها ، قل لهم مرة أخرى ما علمها الا عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، أنها مما استأثر الله بعلمه ، فلذلك سألوك عنها .

ويقول سبحانه في سورة الأحزاب « يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا » أى قل للسائلين : ما علم الساعة الا عند الله ، وما يدريك أيها الرسول لعل الساعة تكون قريبا ، فأنت مع قربها لا تعلمها ، لأنك لا سبيل لك الى درايتها .

والقرب الذى تشير اليه الآية ، انما هو بالنسبة الى عمر البشر في الدنيا ، وهو ملايين من السنين لا يعلمها سوى الله تعالى ، واذا كان الأمر كذلك ، فان من تجاوز الحق تحديد هذا القرب بثلثمائة وتسع سنين ، كما جنح اليه الدكتور رشاد ، وسنبين فيما يلى فساد استنتاجه ان شاء الله تعالى :

ويقول سبحانه في سورة فصلت « إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ .. »

◄

من الآية ٤٧ . أي الى الله وحده يرجع علم الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها وظروفها ، وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه .

ثالثا : أن السنة بينت أن هذه الخمسة هي مفاتيح الغيب ولا يعلمها الا هو سبحانه ، فقد جاء في شأن الساعة أن جبريل سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قائلا :

« يا رسول الله متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أماراتها : اذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ، واذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس . فذاك من أشراطها . في خمس لا يعلمهن الا الله « **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ** .. » الآية . رواه البخاري بسنده في تفسير سورة لقمان كما رواه أصحاب السنن .

فها هو ذا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول بصراحة : انه لا يعلم الساعة لا هو ولا من سأله عنها ، وهو جبريل عليه السلام ، وانها في جملة خمس لا يعلمها الا الله وتلا الآية .

وقال ابن مسعود : كل شيء أوتي نبيكم — صلى الله عليه وسلم — غير خمس « **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** .. » الآية .

وقال ابن عباس : هذه لا يعلمها الا الله تعالى ، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل . فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه .

ثم انا نسأل الدكتور رشاد : هل من الحكمة أن يعلم الله أحدا من الناس متى يخرب العالم ويجيء وقت الحساب ، وهل سياسة الكون العليا يليق بالبشر أن يعرفوها ، هذا خطأ في التفكير ، ونزعة غير مستقيمة في معرفة أهم سر من أسرار الكون لا يصح أن يعرفه سوى مبدئه جل وعلا .

« متى يكون نزول الغيث من الغيبيات »

يقول الدكتور رشاد انه أمكن معرفة مكان وموعد نزول الغيث ، ونحن نقول : ان الغيث يكون غيبا قبل أن يوجد أو تظهر اماراته وأما ما يحدث من توقعات خبراء الأرصاد من نزول المطر . فذلك لا يكون منهم الا بعد رصد الرياح وتحرك السحب نحو اتجاهات شاءها الله تعالى لها . أما قبل ذلك فانهم لا يعرفون متى ينزل ؟ فهم يعتمدون على امارات تفيد الظن وقد تتخلف آثارها . ولهذا نراهم في أحيان كثيرة يخطئون . اذا أخلف الله الاتجاهات فجأة فيوجد صحو مكان الغيم المتوقع . أو غيم بدون المطر المنتظر . لكن الله تعالى يعلم الغيب أزلا علما ذاتيا ويحدثه لعباده بمقتضى تدبيره فيعرفونه بمعاينته . أو يتوقعونه قبل حدوثه بأماراته . وليس لهم به علم ذاتي . فهم متعلمون من الأمارات وليسوا بعالمين . ومتعرفون وليسوا بعارفين .

« معرفة الجنين »

وكذلك معرفة الجنين ونوعه حين يكون في بطن أمه وقد تخلق . باستعمال الأشعة أو بالأمارات . فليست من باب علم الغيب ذاتيا .

ولذلك لا يستطيعون الاخبار به قبل حدوثه ولا قبل تخلقه فى بطن أمه . أما الله تعالى فيعلمه أزلا ماذا سيكون . لانه مدبره وخالقه ، وهذا العلم الذاتى هو الذى اختص الله به ، أما التعرف بالأمارات أو بالأشعة لجنين تخلق فهو تعرف لأمر موجود . بأسباب من صنع الله وتمكينه ، وبهذا علم وجه استئثار الله تعالى بعلم نزول الغيث وعلم ماق الأرحام .

« جراة الدكتور رشاد على الباطل »

وانك لتجد الدكتور رشاد متناقضا مع نفسه ومع الحق وجريئا على الباطل اذ يقول : (ويدل التعبير القرآنى على أن الله سبحانه قد جعل الكشف عن موعد نهاية العالم صعبا بل مستحيلا على أجيال قبل الكمبيوتر . الى أن يحين الموعد المحدد الذى يشاء الله سبحانه أن يكشف فيه عن موعد نهاية العالم . وقد تضافرت مجموعة كبيرة من البراهين للكشف عن نهاية العالم . بحيث لا يبقى أى شك أو ريبة فى قلب أى انسان) .

هذا كلامه . وهو يعترف فيه بأن الله قد جعل الكشف عن موعد نهاية العالم مستحيلا ، ويناقض اعترافه هذا بالكذب على الله وعلى القرآن اذ يقول : ان هذه الاستحالة موقوتة بما قبل أجيال الكمبيوتر . فأين نجد هذا التوقيت فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ، ان الله يقول « **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا. إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا. إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** » فالله تعالى يخبرنا أن نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يعلمها بقوله : « **فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا** » وأن منتهى الساعة علما وايجادا الى الله تعالى بقوله : « **إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** » ويخبرنا بأن وظيفة رسوله أن ينذر بقدومها دون أن يعلم بوقتها بقوله : « **إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** » فكيف زعم أن الله وقت استحالة العلم بها بوقت ما قبل ظهور الكمبيوتر ـ وأنى له ذلك ـ أما البراهين التى ادعاها فهى فى مقابلة حقائق القرآن أوهام لا يعول عليها كما سنبينه .

يقول الدكتور رشاد : ان القرآن تولى الرد على الطاعنين فيه بأنه من قول البشر برقم ١٩ . وذلك فى قوله تعالى : « **ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ. لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ. عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** » فبمجرد اكتشاف هذا الرقم اتضح أنه سر القرآن . فهو مساو لكلمة (واحد) من الله واحد الى آخر ما قال . وهذا الذى قاله من لغو القول . فان عدد ١٩ فى الآية لا علاقة له باثبات كون القرآن من عند الله . بل جاء ليبين حقيقة عدد الملائكة الذين يقومون على تدبير النار وتعذيب أهلها ، أما كون القرآن من عند الله فقد تولى الله اثباته بأفصح بيان كقوله تعالى : « **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** » وكقوله :

« فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ »

وقوله : « قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » وقد ثبت عجز البشر عن الاتيان بما تحداهم به ، ولو كانوا صادقين لأتوا به ليبطلوا حجيته عبر هذه القرون .

وليس اثبات حجيته محتاجا الى هذا التكلف الفاسد . أما أن يجعل بيانا للسر فى قوله تعالى : « قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » فذلك محض افتراء لا أساس له من الصحة . فمعنى الآية : قل أيها الرسول لمن يقولون عن القرآن : « هذا افك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون — قل لهم — أنزله الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض . وليس فى قدرة البشر أن يأتوا بمثله » .

أما جعل السر هو رقم ١٩ فذلك جرأة على الله تعالى . واستساغة الباطل . فان سر السموات والأرض . كل ما ستر الله علمه عن خلقه فيهما ، بل ان الغيب والسر فى كل جزء منهما يحير الأفكار وتدهش له العقول . فكيف يحدده الدكتور رشاد فى رقم ١٩ الذى بنى عليه حساباته الخاطئة . فالحق أنه لا دخل له فى بيان الغيب فى السموات والأرض .

« الدكتور رشاد وقيام الساعة »

يقول الدكتور رشاد : (ففى تفسير البيضاوى يقول فى تفسير الحروف (الم) أن هذه الحروف نزلت فى أول سورة البقرة بالمدينة المنورة ، فجاء رجال من يهود المدينة الى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وقالوا له : كيف نتوقع منا أن نؤمن لك ودينك سيعيش واحدا وسبعين سنة ، وقال الدكتور رشاد عقب ذلك : ولابد لنا أن نتوقف هنا لشرح مصدر هذا العدد ٧١ فمن المعروف أن القيمة الأبجدية للحرف (أ) هى ١ ، وللحرف (ل) هى ٣٠ وقيمة الحرف (م) هى ٤٠ ، ومجموع ذلك ٧١ ، وذكر الدكتور رشاد أن النبى لم يعترض على طريقتهم هذه ، بل ذكر حروفا أخرى ابتدأت بها السور غير (الم) فدل ذلك على أن حسابهم صحيح ، وأن ذلك دفعه الى حصر تلك الحروف التى بدئت بها السور . فوجد أن حسابها يؤدى الى أن يكون عمر الرسالة المحمدية بحساب الجمل ١٧٠٩ . وبناء على ذلك تكون نهاية العالم فى أوائل سنة ١٧١٠ هـ الموافق سنة ٢٢٨٠ ميلادية . ثم لخص كلامه بهذا الصدد فقال :

أولا : أن الرسول هو أول من أشار الى أن حروف فواتح السور تحدد عمر الرسالة المحمدية .

ثانيا : ان الآية ١٥ فى سورة طه « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ » تدل على أن موعد نهاية العالم لن يبقى خافيا ...الى آخر ما قال .

« ردنا عليه »

وردا لذلك نقول :

اولا : انما ذكره من حضور اليهود للرسول وقولهم له : كيف نؤمن بك وعمر رسالتك ٧١ سنة لم يثبت من طريق صحيح ، فلا يعول على الاستدلال به .

ثانيا : لو حضر اليهود وقالوا له ذلك لكذبهم ، لأننا لو كان من شأننا أن تعلم لما قال له ربه » « إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا » .

ثالثا : كيف يصح في نظرك يادكتور رشاد أن يعرف اليهود طريقة الوصول الى معرفة موعد قيام الساعة ، ويحرم الله رسوله من معرفتها أو معرفة طريقة الوصول اليها ، ويقول له : « فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا » الى غير ذلك من الآيات .

رابعا : على فرض حدوث ذلك من اليهود ، فان الرسول — كما ورد في الخبر المذكور — تبسم مستخفا باليهود ومستنكرا حين قالوا له ذلك ، فقالوا : فهل غيره ، فقال : (المص) و (الر) و (المر) فقالوا : خلطت علينا ، فلا ندرى بأيها نأخذ وتركوه وتركهم ، فالرسول دفع اليهم بهذه الثلاثة وعنده غيرها مما نزل في العهد المكى ، ليلقمهم حجرا ويسكتهم فحسب ، ولو كان يوافق على نظريتهم لذكر جميع ما نزل بمكة وهو أكثرها ، مثل (كهيعص) و (طه) و (يس) و (الحواميم) و (ص) و (ق) و (ن) وحيث انه لم يفعل فان ذلك يدل على أنه لم يوافق على رأيهم ، فذكر نماذج أخرى لتسفيه رأيهم .

خامسا : يستحيل أن يوافق الرسول على رأيهم ، ويدع قول الله له : « فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا » وقوله : « قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ » .

سادسا : ان توقيتك لعمر الرسالة المحمدية سنة ١٧٠٩ هـ — كما زعمت يادكتور رشاد — اعتمدت فيه على أن بدء الرسالة من الهجرة ، وتركت عشر سنين كانت في العهد المكى لها وزنها واهميتها في الاسلام ، وذلك ليتسنى لك قسمة هذا التوقيت على عدد ١٩ المزعوم ، باضافة سنة الى هذا الرقم ، وهى التى زعمت أن الساعة تقوم فيها ليصبح ١٧١٠ وذلك أعظم مكذب لزعمك .

سابعا : كيف استسغت يادكتور رشاد أن تجعل نفسك مع اليهود أصحاب حظوة عند الله تعالى ، جملته يؤثركم على نبيه محمد — صلى الله عليه وسلم — بأخباركم بغيب الساعة وعمر الاسلام دونه ، مع أنه خاتم النبيين وهو بهذه المزية أجدر .

ثامنا : ما هى الحكمة في أن يلقن الله سره الأعظم لمن يذيعه على الناس ولا يكتمه ، بل كيف يمنحه الله ذلك ، وهو يقول لرسوله « إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا » فهل يكذب الله نفسه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وبعد فأنت يادكتور رشاد فيما أذعته على الناس بعيد عن الحكمة وعن الحق ، فدع الحديث عن فواتح السور بمثل ما تقول ، وارجع فيها الى ما قاله السلف تكن من الراشدين ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مصطفى محمد الحديدى الطير

مع إبراهيم الخليل

في محكم التنزيل

نحمدك اللهم على جلائل نعمائك التي غمرت حياة البشرية ، وأصلي وأسلم على خاتم الرسل الذى أنزل عليه ربه القرآن ، وجعله المعجزة الخالدة على حين انتهت معجزات الرسل جميعا بانتهاء حياتهم في هذا الوجود ، وبعد :

فاني — حين أقدم للمكتبتين الاسلامية والعربية أبا الأنبياء خليل الرحمن كما جاء في رحاب القرآن أسأل الله أن يجعله لي ذخرا وهو حسبي .

وقد جاء ذكر ابراهيم عليه السلام في كتاب الله الكريم تسعا وستين مرة كان منها ثنتان وثلاثون في آيات مكية وسبع وثلاثون في آيات مدنية .

وكان ذكره منثورا في السور القرآنية على النحو التالي :

فكان خمس عشرة مرة في سورة البقرة ، وسبع مرات في سورة آل عمران وأربع مرات في سورة النساء ، وأربع مرات في سورة الأنعام ، وثلاث مرات في التوبة ، وأربع مرات في هود ومرتين في يوسف ، ومرة في ابراهيم ومرة في الحجر ، ومرتين في النحل ، وثلاث مرات في مريم ، وأربع مرات في الانبياء ، وثلاث مرات في الحج ، ومرة في الشعراء ، ومرتين في العنكبوت ، ومرة في الأحزاب وثلاث مرات في الصافات ، ومرة في ص ، ومرة في الشورى ، ومرة في الزخرف ، ومرة في الذاريات ، ومرة في النجم ، ومرة في الحديد ، ومرتين في الممتحنة ، ومرة في الأعلى .

وقد حملت سورة من القرآن اسم ابراهيم ، وليس ابراهيم عليه السلام وحده الذي سميت باسمه سورة قرآنية ، بل : يونس وهود ويوسف ونوح سميت سور بأسمائهم ، وسميت سورة باسم لقمان الحكيم .



للدكتور محمد محمد خليفة

أما نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — فقد سميت باسمه سورة محمد ، وسميت سورة بوصفين لحالتين من حالاته فى مشرق عهد النبوة وهما : المزمل ، والمدثر وسورة واحدة حملت اسم امرأة طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين وهى مريم .

وقد آثرت أن أقدم الآيات التى ورد فيها ذكر ابراهيم عليه السلام فى القرآن حسب ترتيب المصحف لا على حسب التقدم التاريخى ، لأن ذلك التقدم غير مقطوع به بل وقع فيه خلاف يدعونا الى البعد عنه وذلك نحو قوله تعالى :

« إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » .

حيث قيل : ان قول الله له أسلم .

انما كان قبل البلوغ وقبل النبوة ، وذلك عندما نظر فى الكواكب والقمر والشمس مما حكاه القرآن فى سورة الأنعام من قوله تعالى : « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا » الى أن انتهى الى قوله تعالى : « إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

وقيل : انما كان قول الله له : « أسلم » انما كان بعد النبوة .

وفرارا من هذه الخلافات آثرت أن أقدم الآيات التى ذكر فيها ابراهيم — عليه السلام — حسب ورودها فى المصحف ، وان تكررت الآيات فى أكثر من سورة مع اختلاف قليل فى الصيغة ، وذلك فى نحو قوله تعالى :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » من سورة البقرة .

ونحو قوله : « قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » من سورة آل عمران .

ففى الآية الأولى ، جاءت الصيغة : (قولوا) وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم ... وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون .

أما الثانية فكانت الصيغة (قل) ، وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم ... ولم يكرر

ما أوتى النبيون قبل قوله : والنبيون كما في الآية الأولى واتفاق الآيتين فيما عدا ذلك كان يدعو الى تناولهما معا في موضع واحد ولكنى كما قلت آثرت أن أقدم كل آية حسب ترتيب ورودها في المصحف والهدى هدى الله وما توفيقى الا بالله عليه توكلت •

الاسلام دين ابراهيم :

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ •

والاسلام : ملة ابراهيم — عليه السلام — « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ • وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ » •

ودعوى الكتابيين أنهم على ملة ابراهيم دعوى ينتجها عدم اقرارهم بالاسلام الذى هو ملة ابراهيم عليه السلام •

وذلك الاسلام هو الذى جاء به رسول الاسلام محمد — عليه الصلاة والسلام — ، وبه حقق الله رجاء ابراهيم عليه السلام ، فبعث من ولده في البلد الحرام رسولا يتلو عليهم آيات الله •

ومن عجب أن يتفق المشركون والكتابيون على شرف ابراهيم — عليه السلام — وفضله : فالمشركون يتشرفون بالانتماء اليه بأنهم من أولاده وساكنى حرمه وخادمى بيته ، والكتابيون من اليهود والنصارى يقرون بفضله ، ويتشرفون بأنهم من نسله وهم جميعا حين يتفقون على شرف ابراهيم — عليه السلام — يختلفون حول الايمان بملته فالمشركون جذبتهم الوثنية الى تمريغ جباههم تحت أقدام أرباب من صنع أيديهم • والكتابيون يدعون أنهم على ملة ابراهيم على حين طعن أنصار كل ملة ملة الآخر « وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ » •

ابتلاء ابراهيم وامامته •

قال تعالى « وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » البقرة ١٢٤ مدنية •

وموضع (اذ) في قوله تعالى : واذ ابتلى اما أن يكون :

١ — منصوبا على المفعولية بفعل مضمر متقدم على (اذ) خوطب به النبى — صلى الله عليه وسلم — تقديره واذكر لبنى اسرائيل وللمشركين وقت ابتلاء الله لابراهيم ليتذكروا فينتزعوا انفسهم من أغلال الأباطيل والضلالات التى طال عليهم الاستسلام لها •

٢ — أو منصوبا على الظرفية بفعل مؤخر ، وتقدير الكلام : واذ ابتلاه كان كذا ، أو واذا ابتلاه قال : « إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » •

٣ — ويصح أن ينصب بفعل مضمر معطوف على اذكروا في الآيات السابقة : يابنى

اسرائيل اذكروا ثم عطف عليه الفعل المقدر : واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه ليتدبروا قصة ابراهيم الذى يدعون أنهم على ملته وأنهم من أبنائه الذين يدعون الاقتداء به وانتهاج سيرته .

والابتلاء : الاختبار بمعنى أن الله اختبر ابراهيم بأوامر ونواه ، وامتحنه ليجازيه على ما يكون منه .

وقد كان ابتلاء الله لابراهيم — عليه السلام — ترشيحا لما سينعم به عليه ويحمله اياه من أعباء الامامة والرسالة بعد أن كلفه بما كلفه به من الأوامر والنواهي ، ومعنى ذلك أن الابتلاء وقع قبل النبوة ، وقيل وقع بعدها والظاهر أنه قبلها ومطلق الوحى لا يستلزم البعثة الى الخلق .

ويحتمل أن الله أوحى اليه على لسان جبريل بتلك التكاليف الشاقة ، فلما أتم ما كلف به جعله الله نبيا مبعوثا الى الخلق ، وقد أوحى الله الى يوسف حين ذهب به اخوته وأجمعوا أمرهم على أن يجعلوه فى غيابة الجب . فأوحى الله اليه وهو صبى : « **لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا** » .

وأوحى الى أم موسى كما ذكر فى سورة القصص : « **أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ** » .

والقراءة المشهورة فى قوله تعالى : « **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ** » نصب ابراهيم ورفع ربه على أنه فاعل ابتلى .

وقرأ ابن عباس بنصب ربه ورفع ابراهيم على أن يكون معنى ابتلاه : دعاه أى أن ابراهيم دعاه بكلمات من الدعاء كفعل المختبر هل يجيبه اليهن أولا أما معنى (فأتمهن) فى القراءة الأولى : أن ابراهيم أدى تلك الكلمات بلا توان أو تفريط وفى القراءة الثانية يكون معنى (فأتمهن) أن الله أعطاه ما طلب فلم ينقص مما طلب شيئا حين ابتلى ابراهيم ربه على معنى أنه دعاه .

ويؤيد هذا المعنى تفسير مقاتل للكلمات بأنها ما ورد فى دعاء ابراهيم من قوله : « **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا** » — « **وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ** » و « **وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ** » — « **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا** » وكثرت آراء المفسرين فى تفسير الكلمات غير ما ذكره مقاتل فقيل :

١ — الكلمات : هى الاسلام ، والامامة ، وتطهير البيت ، ورفع قواعده .

٢ — الكلمات : هى مناسك الحج : كالطواف ، والسعى ، والرمى ، والاحرام .

٣ — الكلمات : هى الكوكب والقمر والشمس التى وردت فى سورة الانعام من قوله « **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ** » الى قوله : « **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** » يضاف الى ذلك النار ، ورؤياه فى ذبح ابنه .

٤ — وقيل : ابتلاه الله من شرائع الاسلام بما جاء فى التوبة : « التائبون » الخ الآية وفى الأحزاب : « **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** » الخ الآية .

(وفى المؤمنون) من أول السورة الى قوله : « **أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ** » .

وفى سأل من قوله : « إلاّ المصلّين » الى قوله : « والذين هم على صلواتهم يحافظون » .

بهذا أخبر عكرمة عن ابن عباس وقال : لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله الا ابراهيم .

٥ ــ وقيل فى تفسير الكلمات : هى محاجته قومه فى عبادة التماثيل التى ذكرت فى سورة الأنبياء فى قوله تعالى : « إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون » الى آخر موقف المحاجة ويضاف الى ذلك : الصلاة والزكاة والصوم والضيافة والصبر .

٦ ــ وقيل فى تفسير الكلمات : ما ذكره القرآن فى قوله : « الذى خلقنى فهو يهدين » الى آخر الآيات .

٧ ــ وقيل : ان الكلمات التى ابتلاه الله بها : هى المناظرات التى دارت حول التوحيد مع أبيه وقومه ومع نمروذ .

وابراهيم : اسم أعجمى فسره السهيلى بأن معناه (أب راحم) .

وقيل : انه سيكفل فى الجنة هو وزوجته أطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا .

وذكر البخارى فى حديث الرؤيا أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رأى فى الروضة ابراهيم وحوله أولاد الناس .

(قال إنى جاعلك للناس إماما) .

هذه جملة مستأنفة جاءت جوابا لسؤال نشأ بعد قصة الابتلاء ، وكان سائلا سأل : ماذا كان من الله بعد ذلك الابتلاء ؟ وجاء الجواب : قال : « إنى جاعلك للناس إماما » .

وقد تكون جملة : « إنى جاعلك للناس إماما » بيانا لقوله تعالى : « وإذ ابتلى إبراهيم ربه » اذا فسرت الكلمات بالامامة وتطهير البيت .

والجعل فى قوله : « إنى جاعلك » بمعنى التصيير ، أى أنى مصيرك للناس اماما .

واسم الفاعل جاعل بمعنى المضارع الذى يدل على الاستمرار واسم الفاعل يدل على الدوام أي انى جاعلك اماما فلا يصرف صارف عن ذلك الجعل الذى جعله الله لأجل الناس ، والمراد بالامامة فى قوله : « جاعلك للناس إماما » النبوة ، وهذا يدل على أن ابراهيم ــ عليه السلام ــ أرسل للناس كافة رسولا من عند الله .

وكل رسل الله وأنبيائه أئمة « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » .

وكل من يتبع فى قول أو عمل فهو امام .

فاسم الامام يطلق على من يقتدى به فى حق أو باطل ، فالآية السابقة « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا » الى طريق الحق .

وقال تعالى فى قصة فرعون وقومه : « واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون » وقد امتدت امامة ابراهيم وستمتد على الزمن الى قيام

الســاعة ، فأتباع الأديان ينتسبون اليه نسبا أو دينا أو تشريعا .

وفى هذه الآية ثلاث جمل استئنافية جـاءت أجوبة لأسئلة مقدرة :

الأولى : قال « إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » وقعت جوابا لسؤال مقدر هو :

مـاذا كان بعـد أن ابتلى ابراهيم ربـه بكلمات ؟ .

وكان الجواب : قال « إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّـاسِ إِمَامًا » .

الثانية : قـال « وَمِن ذُرِّيَّتِى » ، جـاءت جوابا لسؤال مقدر : فماذا قـال ابراهيم ؟
وكان الجواب : قال « وَمِن ذُرِّيَّتِى » على تقدير استفهام : أو من ذريتى ؟ .

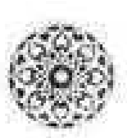
الثالثة : قال « لَا يَنَالُ عَهْـدِى الظَّـالِمِينَ » جاءت جوابا لسؤال مقدر ، فماذا قـال الله ؟
وكان الجواب : « قَالَ لَا يَنَـالُ عَهْـدِى الظَّـالِمِينَ » .

(وَمِن) فى قـوله ومن ذريتى للتبعيض ، والـذرية : الأولاد ، وأولاد الأولاد وتقدير الكلام : وجاعل بعض ذريتى مـع تقـدير الاسـتفهام ، ورد الله على استفهام ابراهيم — عليه السـلام — : ان النبوة لا ينالها ظالم .

وقـد حقـق الله رجـاء ابراهيم — عليه السـلام — فى المؤمنين من ذريته فجعل منهم أنبياء كاسماعيل ، واسحاق ، ويعقـــوب ، ويوسـف ، وموسى ، وهـارون ، وداود ، وسـليمان ، وأيـوب ويونس ، وزكـريا ، ويحيى ، وعيسى .

وقد ختم الأنبياء من ذرية ابراهيم بمحمد عليـه صـلوات الله وعلى ابراهيم والأنبياء من أبنائه السـلام .
والعهد فى قوله : « لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ » يراد به الامامة ويراد بالامامة النبوة .
وقد يراد به : الرحمة أو الطاعة .

يتبـع
د. محمد محمد خليفة



التعريف بالإمام الحافظ

أبو عمرو الداني

مصنف "البيان فى عد آى القرآن"

نشأته - ثقافته - مؤلفاته

هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموى المعروف بابن الصيرفى ، ويكنى أبا عمرو . وهو من أهل قرطبة من (ربض قوته راشة) منها (١) .

قال ابو عمرو الدانى فى مولده : « سمعت ابى ، رحمه الله ، غير مرة ، يقول : انى ولدت سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (٢) . وفى معجم الادباء : « أخبرنى أبى أنى ولدت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة » (٣) .

وقد بدأ أبو عمرو فى طلب العلم وهو لم يزل صبيا . ويقول عن نفسه : « وابتدأت أنا بطلب العلم بعد سنة خمس وثمانين (أى بعد الثلاثمائة) ، وأنا ابن أربع عشرة سنة (٤) » . وفى معجم الأدباء أنه بدأ بطلب العلم سنة ست وثمانين (٥) .

روى أبو عمرو أول الأمر فى قرطبة عن شيوخها . وقد ذكر ابن بشكوال أسماء بعض هؤلاء الشيوخ ، وهم كثر (٦) .

وسمع من أبى عبد الله محمد بن عبد الله ابن أبى زمنين الفقيه الالبيرى كثيرا من روايته وتأليفه (٧) . وسمع باستجة وبجانة (٩) وسرقسطة (١٠) ، وغيرها من بلاد الثغر ، من شيوخها كثيرا .

---

(١) الصلة ١ / ٣٩٨ .
(٢) الصلة ١ / ٣٩٩ .
(٣) معجم الادباء ١٢/١٢٥ .
(٤) الصلة ١ / ٣٩٩ .
(٥) معجم الادباء ١٢/١٢٥ ــ ١٢٦ وفى نفح الطيب (١/٣٦٨) انه ابتدأ بطلب العلم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة .
(٦) الصلة ١/٣٩٨ .
(٧) بغية الملتمس ٣٩٩ ، والصلة ١/٣٩٩ .
(٨) استجة : اسم كورة بالاندلس ، بين القبلة والمغرب من قرطبة ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ . واعمالها متصلة باعمال قرطبة . (معجم البلدان ١/٢٤٢) .
(٩) بجانة : مدينة بالاندلس من اعمال كورة البيرة . بينها وبين المرية فرسخان ، وبينها وبين غرناطة ثلاثة وثلاثون فرسخا (معجم البلدان ١/٤٩٤) .
(١٠) سرقسطة : بلدة مشهورة فى الاندلس فى شرقى قرطبة (معجم البلدان ١/٨٥٣) .



لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

توفى أبوه فى جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة (١) وهو لم يكد يجاوز العشرين من عمره . فلم يفت ذلك فى عضده ، ولم يثبط من همته فى طلب العلم .

وكأن أنحاء الأندلس قد ضاقت بهمته وشغفه بالعلم ، وكأنه قد استنفذ ما عند شيوخها وعلمائها ، فبدأ يفكر فى الرحلة الى المشرق والاستزادة من العلم هناك . وكانت الرحلات العلمية اليه فى تلك الأزمان خطة متبعة عند أهل الأندلس ، اذ كانت الحضارة فى المشرق أعرق ، وقواعد العلم أرسخ ، والعلماء أشهر ، والشيوخ أكبر وأكثر .

وقد قص أبو عمرو خبر رحلته الى المشرق، وأوردها ياقوت الحموى باختصار (٢) . يقول أبو عمرو فى رحلته : « فرحلت الى المشرق فى اليوم الثانى من المحرم ، يوم الأحد ، فى سنة سبع وتسعين . ومكثت بالقيروان أربعة أشهر . ولقيت جماعة ، وكتبت عنهم » .

« ثم توجهت الى مصر . ودخلتها اليوم الثانى من الفطر ، من العام المؤرخ . ومكثت بها باقى العام ، والعام الثانى ، وهو عام ثمانية ، الى حين خروج الناس الى مكة .

وقرأت بها القرآن ، وكتبت الحديث والفقه والقراءات ، وغير ذلك ، من جماعة من المصريين والبغداديين والشاميين وغيرهم » .

« ثم توجهت الى مكة ، وحججت . وكتبت بها عن أبى العباس أحمد البخارى (٣) ، وعن أبى الحسن بن فراس (٤) » .

« ثم انصرفت الى مصر ، ومكثت بها شهرا . ثم انصرفت الى المغرب ، ومكثت بالقيروان أشهرا » .

« ووصلت الى الأندلس أول الفتنة الكبرى التى كانت بالأندلس (٥) ، فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين » .

عاد أبو عمرو الدانى الى الأندلس من رحلته العلمية الى المشرق ، وقد تمكن من العلم ، واستوى شيخا من الشيوخ . فتصدر للقراءات خاصة ، يقرىء ويؤلف فيها . وأقام فى بلده (قرطبة) مدة من الزمن الى سنة ثلاث وأربعمائة (٦) .

على أن أبا عمرو لم تطب له الاقامة ببلدة قرطبة . فقد كانت أمور هذه المدينة قد

◄

---

(١) معجم الادباء ١٢/١٢٦ .
(٢) انظر معجم الادباء ١٢ / ١٢٥ - ١٢٦ .
(٣) هو ابو العباس احمد بن محمد بن بدر القاضى (بغية الملتمس ١/٢٩٩) .
(٤) هو ابوالحسن احمد بن فراس المكى العبقى (بغية الملتمس ١/٢٩٩) .
(٥) يريد الفتنة المعروفة بالفتنة البربرية ، وهى قيام البرابر على محمد بن هشام بن عبد الجبار الاموى الملقب بالمهدى .
(٦) معجم الادباء ١٢/١٢٧

اضطربت في هذه الأونة ، واختل فيها النظام السياسي بانقضاء الدولة العامرية ، وعودة المروانية من بني أمية الى الحكم ، ووقوع أحداث كبيرة في أثناء هذا التعيير (١) • ثم وقعت في قرطبة الفتنة الكبرى المعروفة بالفتنة البربرية بين أهل قرطبة من العامة الذين كانوا مع المروانية وبين أهل افريقية الذين كانوا أجناد العامريين (٢) •

واستمرت هذه الأحداث كالحريق الكبير اذا انطفأ منه جانب ارتفعت النيران في جوانبه الأخرى •

لذلك كله لم تعد قرطبة موطن أبي عمرو دار سكن وأمان • فتركها ، وخرج منها الى شرقي الأندلس ، وهو المعروف بالثغر ، سنة ثلاث وأربعمائة • وفي ذلك يقول : « ومكثت بقرطبة (أي بعد عودته من المشرق) الى سنة ثلاث وأربعمائة • وخرجت منها الى الثغر • فسكنت سرقسطة سبعة أعوام • ثم خرجت منها ••• ودخلت دانية (٣) سنة تسع وأربعمائة • ومضيت منها الى ميورقة (٤) في تلك السنة نفسها ، فسكنتها ثمانية أعوام • ثم انصرفت الى (دانية) سنة سبع عشرة وأربعمائة » (٥) •

ويبدو أن أباعمرو أقام في المرية (٦) مدة من الزمن ، في هذه الأثناء ، وأقرأ فيها • وكانت ريحانة الأندلسية) قد قرأت عليه القرآن هناك وأجازها (٧) •

وقد استوطن أبو عمرو (دانية) ، واتخذها دار سكن واقامة له • ولم يفارقها بعد ذلك • وقد عرف بعد استقراره في دانية بالداني (٨) وكان يعرف قبل ذلك (بابن الصيرفي) (٩) •

والسبب في اختيار أبي عمرو دانية ، دون غيرها من بلدان الأندلس هو أن سوق القراءة والمقرئين كانت نافقة في دانية بصورة خاصة من بين بلدان الأندلس الأخرى ، في هذا الزمن وذلك أن (مجاهد) صاحب دانية (١٠) وهو من موالي العامريين « كان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه ابن مولاه المنصور بن أبي عامر ، واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته

(١) البيان المغرب ٣/٥٠ ـ ١٠٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٤/١٤٩ ـ ١٥٠ •
(٢) البيان المغرب ٣/٨٧ ـ ١١٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٤/١٥٠ ـ ١٥١ •
(٣) مدينة بالاندلس من اعمال (بلنسية) على ضفة البحر شرقا (معجم البلدان ٢/٥٤٠ ، وصفة جزيرة الاندلس ٧٦) •
(٤) جزيرة في شرقي الاندلس ، بالقرب منها جزيرة صغرى يقال لها منورقة (معجم البلدان ٤/٧٢٠ ، وصفة جزيرة الاندلس ١٨٨) •
(٥) معجم الادباء ١٢/١٢٧ •
(٦) مدينة في شرقي الاندلس على ضفة البحر من اعمال كورة البيرة (معجم البلدان ٤/٥١٧ وصفة جزيرة الاندلس ١٨٣ ـ ١٨٤) •
(٧) بغية الملتمس ٣٣٩ ـ ٤٠٠ •
(٨) الصلة ١/٣٩٩ وتذكرة الحافظ ٣/٢٩٨ نفح الطيب ١/٣٦٨ • والنجوم الزاهرة ٥/٥٤ •
(٩) مفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، والنجوم الزاهرة ٥/٥٤ •
(١٠) هو ابو الحسن مجاهد بن يوسف بن على من فحول الموالي العامريين • وكان المنصور ابن علي بن أبي عامر قد رباه وعلمه مع مواليه القراءات والحديث والعربية ، فكان مجيدا في ذلك • وخرج من قرطبة يوم مقتل المهدي سنة اربعمائة ••• وسار مجاهد الى طرطوشة فملكها ثم تركها وانتقل الى دانية ، واستقل بها ، وولى ابنه على وتسمى اقبال الدولة • (انظر تاريخ ابن خلدون ٤/١٦٤) •

فكان سهمه في ذلك والقراء واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزائر الشرقية . فنفقت بها سوق القراءة ، لما كان هو من ائمتها ، وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما ، وبالقراءات خصوصا . فظهر لعهده أبو عمرو الداني ، وبلغ الغاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيدها » (١) .

قضى أبو عمرو الداني سنواته الأخيرة في دانية ، حيث وافته منيته .

قال تلميذه أبو داود سليمان بن نجاح : « توفي ، رضي الله عنه ، يوم الاثنين للنصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة . ودفن بالمقبرة عند باب (اندارة) . وقد بلغ اثنين وسبعين سنة (٢) » . ومشى السلطان صاحب دانية أمام نعشه . وكان الجمع في جنازته عظيما (٣) .

ثقافته :

عرفنا فيما سبق من القول أن أبا عمرو الداني قد بدأ بطلب العلم صغيرا في قرطبة . وعرفنا أيضا أنه رحل الى المشرق في طلب العلم . وأنه لقي الشيوخ في أثناء رحلته . وكان يسعف أبا عمرو الداني في طلب العلم وتحصيله أنه كان كما قال ابن بشكوال : « من الخط والضبط ، من أهل الحفظ والعلم والذكاء والفهم (٤) » . وكان أبو عمرو يقول عن نفسه : « ما رأيت شيئا قط الا كتبته ، ولا كتبته الا حفظته ، ولا حفظته فنسيته (٥) » .

وقد ذكر ابن بشكوال في معرض كلامه على شغف الداني بالعلم أنه كان « مفتنا بالعلوم ، جامعا لها ، معتنيا بها (٦) » .

ومن الطبيعي أن يكون أبو عمرو الداني بعد ذلك على ثقافة عميقة واسعة . كانت حصيلة طبيعية لطلبه العلم وسعيه الحثيث في سبيله .

وكانت ثقافة الرجل تتمثل في الدرجة الاولى في القرآن وعلومه . قال ابن بشكوال عنه في هذا الصدد :

« كان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه (٧) » .

وكانت ثقافته تمتد وراء ذلك الى الحديث وعلومه . قال ابن بشكوال عنه في هذا المجال أيضا : « وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته (٨) » . وقال عنه الحميدي « محدث مكثر (٩) » .

وقد ذكر أبو عمرو نفسه أنه كتب الحديث فيما كتب من العلوم . (١٠) .

وكان الى ذلك واقفا على أسرار العربية ، متمكنا من أساليبها ، عارفا بالنحو ومذاهب

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٣٦٥ . ومعجم البلدان (دانية) .
(٢) معجم الادباء ١٢/١٢٧ ــ ١٢٨ ، وفي شذرات الذهب انه بلغ ثلاثا وسبعين سنة (٣/٢٧٢) .
(٣) الصلة ١/٤٠٠ ومفتاح السعادة ١/٢٨٧ .
(٤) الصلة ١/٣٩٩ .
(٥) تذكرة الحافظ ٣/٢٢٩ . طبقات القراء ١/٥٠٤ ومفتاح السعادة ١/٢٨٧ .
(٦) الصلة ١/٣٩٩ .
(٧) الصلة ١/٣٩٩ . وانظر تذكرة الحافظ ٣/٢٩٩ .
(٨) المصدران السابقان .
(٩) جذوة المقتبس ٢٨٦ .
(١٠) معجم الادباء ١٢/١٢٧ .

التحويين . وهو القائل في مستهل كتابه « المحكم في نقط المصاحف » :

« هذا كتاب علم نقط المصاحف ، وكيفيته على صيغ التلاوة ، ومذاهب القراءة ومايوجبه قياس العربية ، وتحقيقه طريق اللغة . مشروحا ذلك بأصوله، وفروعه،مبينا بعلله ووجوهه (١)

وقد ذكر أبو عمرو نفسه أنه كتب الفقه أيضا فيما كتب من العلوم . قال :

« وكتبت الحديث والفقه والقراءات ، وغير ذلك (٢) . وقوله : « غير ذلك » ينبيء بأنه شارك في علوم أخرى أيضا .

وقد عرف الأقدمون قدر ابن عمرو الداني وأكبروا علمه وتحقيقه . ذكر ابن الجزري في ترجمته طبقات القراء نقلا عن المقامي .

« قرأت بخط شيخنا الحافظ عبد الله بن محمد بن خليل ، رحمه الله ، قال بعض الشيوخ : لم يكن في عصره (أي عصر الداني)، ولا بعد عصره بمدة أحد يضاهيه في حفظه وتحقيقه .

وقد أضاف ابن الجزري الى ذلك قوله :

« ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل ، وما وهبه الله تعالى فيه ، فسبحان الفتاح العليم : ولا سيما كتاب « جامع البيان » فيما رواه في القراءات السبع (١) » .

اشتغاله بالتأليف :

لم يقتصر أبو عمرو الداني على الاقراء والتعليم بل اشتغل الى جانب ذلك بالتأليف في أكثر علوم القرآن ، ووضع في كل منها تأليفا واحدا أو أكثر . قال ابن بشكوال :

« وكان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه . جمع في معنى ذلك كله تواليف حسانا مفيدة ، يكثر تعدادها ويطول ايرادها (٤) .

وقد أكثر أبو عمرو في التأليف ، حتى بلغ عدد تآليفه المائة أو اكثر . قال الضبي في ذلك :

« فتصدر بالقراءات وألف فيها ، وفي طبقات رجالها تواليف مشهورة كثيرة . رأيت بعض أشياخي قد جمع ذكر تواليفه في جزء نحو مائة تأليف (٥) » .

وقال الذهبي : « وله مائة وعشرون مصنفا (٦) » .

وقال السيوطي : « بلغني أن له مائة وعشرين مصنفا . ثم وقفت على أسماء مصنفاته فيتاريخ الأدباء لياقوت الحموي . فاذا فيها كتاب « التمهيد لاختلاف قراءة نافع» عشرين جزءا ... ثم عامة تواليفه جزءا جزءا (٧) .

وقد ذكر الزركلي في الأعلام أن في مكتبة الجامع الأزهر نسخة مخطوطة من « فهرس تصانيف الداني (٨) » .

---

(١) المحكم ص

(١) معجم الأدباء ١٢/١٢٨

(٣) الصلة ١/٣٨٦ .

(٤) الصلة ١/٣٩٩ .

(٥) بغية الملتمس ٣٣٩ ، وانظر معجم الأدباء ٢٢/١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٦) تذكرة الحفاظ ٣/٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، وانظر نفح الطيب ١/٣٦٨ .

(٧) معجم الأدباء ١٢/١٢٢ (في الحاشية نقلا عن طبقات المفسرين للسيوطي) .

(٨) الاعلام ٤/٣٦٧ .

على أن أبا عمرو كان الى جانب اكثاره من التأليف متقنا مجودا فيه .

قال الذهبي في طبقات القراء .

« وكتبه في غاية الحسن والاتقان (١) ».

وقال أيضا في تذكرة الحفاظ :

« الى أبي عمرو المنتهى في اتقان القراءات . والقراء خاضعون لتصانيفه ، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك (٢) » .

وقال ابن خلدون عنه في المقدمة : « وتعددت تآليفه فيها (أى في القراءات) ، وعول الناس عليها . وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتاب (التيسير) له (٣) » .

وقد ذكر المقرى أن أبا عمرو الداني « خلف كتبه بالحجاز ومصر والمغرب والأندلس (٤) » .

وقد ذكرت أكثر المصادر التي ترجمت لأبي عمرو الداني عددا من تآليفه . ويبدو لى أن هذه التآليف المذكورة في هذه المصادر هي أشهر كتبه وأكبرها . ويبدو أن ماعداها من سائر تآليفه رسائل وكتب صغيرة لا تبلغ مبلغ كتبه الكبيرة .

وفيما يلي جدول مرتب على حروف المعجم بأسماء أشهر كتب أبي عمرو الداني :

كتاب الادغام الكبير :

(برو كلمان الذيل ١/٧٢٠)

كتاب الأرجوزة في أصول السنة :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥)

كتاب الأرجوزة المنبهة على اسماء القراء والرواة واصول القراءات :

ذكره ياقوت الحموي فقال : « ونظمها (أى القراءات) في أرجوزة مشهورة (٥) » (مفتاح السعادة ١/٣٨٦ وفهرس المخطوطات المصورة ٢/١٠) .

كتاب اختلاف القراء في الياء :

وهو مجلد (طبقات القراء ١/٥٠٥) .

كتاب الاقتصاد في رسم المصحف :

وهو أرجوزة في مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ وكشف الظنون ١/١٣٥ ، ومفتاح السعادة ١/٣٦٨ ، وهداية العارفين ١/٦٥٣) .

كتاب الامالات :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١ / ٥٠٥) .

كتاب الامالة :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥) .

كتاب الاهتداء في الوقف والابتداء :

(الأعلام ٤/٣٦٧)

كتاب ايجاز البيان في قراءة ورش عن نافع :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وبروكلمان ١/٤٠٧ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧) .

كتاب تبصرة المبتدى وتذكرة المنتهى :

وهو في القراءات (مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٦١٧١) .

كتاب التحديد في صناعة الاتقان والتجويد :

وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ وكشف الظنون ١/٣٥٥ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠ ، والأعلام ٤/٣٦٧) .

(١) معجم الادباء ١٢/١٢٢ (في الحاشية نقلا عن طبقات المفسرين للسيوطي) .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣٦٥ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٣٦٥ .

(٤) نفح الطيب ١/٣٦٨ .

(٥) معجم الادباء ١٢/١٢٣ .

كتاب التعريف فى القراءات الشواذ :
(بروكمان ١/٤٠٧ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧) .

كتاب التنبيه على النقط والشكل :
(صبح الأعشى ٣/١٢ ، ١٤ ، وكشف الظنون ١/٤٩٣ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٧٤) .

كتاب التيسير فى القراءات السبع :
وهو أشهر كتبه (١) (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، كشف الظنون ١/٥٢٠ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، وبروكلمان الذيل ١/٧١٩ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

وقد طبعه المستشرق (أوتو برتزل) فى سلسلة النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية فى استانبول سنة ١٩٣٠ .

كتاب جامع البيان فى عدد آى القرآن :

هدية العارفين ١/٦٥٣ وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب جامع البيان فى القراءات السبع :
وقد أثنى عليه ابن الجزرى . وقال عنه (حاجى خليفه) صاحب كشف الظنون :
«أحسن مصنفاته » ، وكذلك قال طاشكبرى زاده صاحب مفتاح السعادة .(طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ١/٥٣٨ ، ٢/١٣١٩ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ وبروكلمان الذيل ١/٧١٩ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب شرح قصيدة الخاقانى فى التجويد :
وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٣٣٧ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠) .

كتاب طبقات القراء :
وهو فى أربعة أسفار . قال عنه ابن الجزرى: « وهو عظيم فى بابه » . (طبقات القراء ١/٥٠٥ وكشف الظنون ٢/١١٠٥ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، والاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب الفتن والملاحم :
وهو مجلد (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٤٤٥ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦) .

كتاب المحتوى فى القراءات الشواذ :
وهو مجلد . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٦١٢ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦) .

كتاب مفردات القراء السبعة :
وهو مجلد كبير . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وبروكلمان ١/٤٠٧ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧).

كتاب مفردات يعقوب فى القراءة :
(كشف الظنون ٢/١٣٢١ ، ١٧٧٣ ، وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠).

كتاب المقنع فى رسم مصاحف الأمصار :
وهو مجلد . قال عنه حاجى خليفة صاحب

البقية ص ١٤٩٣

(١) مفتاح السعادة ١/٢٨٦ .



أضواء على منهج

تبليغ الدعوة فى عهدها المدنى

للدكتور رءوف شلبى

الدعوة الاسلامية هى منهج حياة فاضلة تبتغى رقى الانسان فى عقله وعواطفه ، ومعيشته فى الدنيا ، وخلوده فى الآخرة .

فهى دعوة للخير ، والحرية ، والنقاء الوجدانى ، والسمو الاخلاقى ، والعلاقات الرفيعة .

وطبيعة الدعوة خيرة :

انها رحمة ، ومودة ، واحسان وعطف وبر ، وصلة رحم ، وبشاشة ومعروف ، وتعاون على البر والطاعة والتقوى ، والفلاح .

وتبليغ الدعوة :

ينبغى أن يهدف الى نقلة الانسان من الظلمات الى النور بهذه الطبيعة الخيرة .

ولقد حرصت الدعوة الاسلامية منذ العهد المكى على نقلة الناس من الظلمات الى النور بأسلوب كريم يظهر طبيعتها الخيرة ، وهدهدتها العباد ؛ وينفيها عن كل شبهة يتهمها بها الخصوم الألداء .

ففى زحمة العراك بين الدعوة والقرشيين لم يستطيعوا اتهام الدعوة بشبهة يقوم عليها دليل فى ذوات أنفسهم ، فكان موقفهم عبارة عن عناد شخصى لحماية أهداف شخصية فردية بدليل أن كبار المعاندين لها لما أسلموا كانوا هم من كبار المجاهدين فى سبيل نشر لوائها وأن أولاد الكبار فى الكفر لما آمنوا لم يجدوا للدعوة فى صحائف عائلاتهم الا الخير والمودة والبر والمعروف وأن الصحائف السود



انما كانت من أفاعيل آبائهم الذين هلكوا على الكفر والضلال .

لذلك كانت الدعوة فى العهد المدنى حريصة كل الحرص على أن تبدو طبيعتها مشرقة وضاءة ؛ تحرص على كل خير للانسان فى ذاته وفى أسرته وفى المجتمع الذى يعيش فيه والدولة التى ترعى شئونه ، والدار الآخرة التى تنتظر مقدمه .

تحرص الدعوة على أن التبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن (١) .

والحكمة :

هى : استخدام الشيء فى موضعه الطبيعى وقد يكون من الحكمة أن تؤدب .. الأحمق بما يصلح حاله حتى يصير معتدلا ، وقد تحجر على السفيه حتى لا يضيع ماله ويصبح عالة ، وقد تقطع الأطراف المريضة ليبقى الجسم معافى من الآلام ، فاستخدمت الدعوة فى العهد المدنى الحكمة التى كانت فى العهد المكى بأساليب تتفق مع تطورات الأحداث فى العهد المدنى وأيضا فى الاطار الذى يظهرطبيعة الدعوة: انها تريد الخير والبر والمعروف للبشرية جميعا .

فالدعوة الاسلامية فى العهد المدنى كانت تخاطب أنماطا شتى من الناس : مختلفين فى الثقافة ، وفى التقاليد والعادات ، وهم كذلك مختلفون فى البيئة الجغرافية ، فكان على الدعوة أن تلاحظ فى عملية الاتصال والتبليغ هذه الملكات النفسية والفوارق الاجتماعية ولذا فقد كان منهج التبليغ واسعا متعدد المسالك والوسائل ، والأساليب .

والذين يطالعون السيرة النبوية العطرة فى خلال العهد المدنى ، ويترسمون خطى العمل النبوى الشريف فى عملية الاتصال أو التبليغ يجدون خصائص » المنهجية فى تبليغ الدعوة وهى تقوم على ست ركائز أو ست دعائم : ـ

- ✱ **الرفق والعطاء .**
- ✱ **تصحيح اخطاء أهل الكتاب .**
- ✱ **الدبلوماسية .**
- ✱ **المعلمون والعمال (المتابعة) .**
- ✱ **القتال .**
- ✱ **الدعاية والاعلام .**

وبيان ذلك :

أولا : الرفق والعطاء

أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث وهو مشهود له بمكارم الأخلاق .

وقد وصفه الله الذى اصطفاه بأنه على خلق عظيم ، ووصفه نبيا بأنه بعث رحمة للعالمين .

ووصف القرآن بأنه يهدى للتى هى أقوم ، وفيه شفاء ورحمة للمؤمنين .

ومع ضخامة الاجراءات التى أقدمت عليها جحافل المعاندين للدعوة الاسلامية فان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن سبابا

(١) راجع كتابنا : » الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ص ٢٤١ وما بعدها جـ١ دار القلم .

ولا لعانا بل كان يقول

« انما أنا رحمة مهداة » .

والوقائع العملية فى حياته — صلى الله عليه وسلم — وهو يبلغ الدعوة أو وهو يقوم بعملية الاتصال لتوصيل الرسالة الى الناس كانت تتسم بطابع الرفق والمودة والعطاء ، ويظهر ذلك فى الوقائع التالية :

كان سهيل بن عمرو فظا غليظا على الدعوة وعلى اتباع النبى — صلى الله عليه وسلم — وقد تعدى اجرامه الى ولده أبى جندل الذى صفده فى الاغلال وكان سهيل هجاء للنبى — صلى الله عليه وسلم — فقد كان فصيحا بينا فاستخدم نعمة الله هذه فى هجاء الدعوة ورسولها — عليه الصلاة والسلام — .

فلما وقع أسيرا يوم بدر قال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، انزع ثنيته يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : « لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا ، ولعله يقوم مقاما لا تكرهه » .

❋ ❋ ❋

قال فى « السيرة الحلبية » : — .. فكان كذلك : لما مات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم أمير مكة : عتاب بن أسيد — رضى الله عنه — فقام سهيل بن عمرو — رضى الله عنه — خطيبا ، فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقال : أيها الناس من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، ألم تعلموا أن الله تعالى قال

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ) وقال : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ..) .

وتلا آيات أخر ، ثم قال : والله انى أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها .

وان الله ناصر من نصره ومقو دينه ، وقد جمعكم الله على خيركم — يعنى أبا بكر — رضى الله عنه ، وقال : ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه ... فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد رضى الله عنه وكان من قبل خائفا حتى توارى وهرب (١) .

فالرفق الذى استخدمته الدعوة الاسلامية مع سهيل بن عمرو الذى كان من قبل كافرا ..وأسيرا يوم بدر أصبح فى مستقبل الدعوة ذو رسالة جد خطيرة ، فقد توهم الناس انتهاء الرسالة الاسلامية بعد أن صعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الاعلى ، وظن كل واحد من أهل مكة حسبما زين له هواه أن يعبد الاله الذى يهواه .. وكانت فتنة كبيرة هرب من هولها أمير مكة ولم ينه هذه الفتنة الا بلاغة سهيل بن عمرو — رضى الله عنه فلو أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان قد استجاب لاقتراح سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه — فكيف

(١) بتصرف راجع السيرة الحلبيه جـ٢ ص ١٩٦ .

كان لسهيل بن عمرو بعد أن يسلم أن يقف هذا الموقف وقد دلع لسانه وسقط واسترخى بين شفتيه ؟ .

انها رأفة النبى — صلى الله عليه وسلم — التى استخدمها كمنهج فى التبليغ ثم هى واحدة من علامات النبوة التى تعلم الناس بعد رحيله الى الرفيق الأعلى — عليه أفضل الصلاة والسلام — أنه حقا رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين .

وكان عمير بن وهب بن خلف بن وهب الجمحى أجيرا عند صفوان بن أمية ابن خلف وقد وعده صفوان أن يتحمل دينه ، وينفق على عياله ان هو قتل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثائرا لوالده أمية بن خلف الذى قتل يوم بدر .. وذهب عمير بن وهب الى المدينة متوشحا سيفه ودخل المسجد يريد قتل النبى — صلى الله عليه وسلم — فلما رآه النبى عليه أفضل الصلاة والسلام قال :

ما أقدمك ياعمير ؟ .

قال : قدمت فى أسير عندكم .

قال : فما بال السيف ؟ .

قال : قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا من شىء ؟ انما أنسيته حين نزلت وهو فى رقبتى .

فقال : أصدق ؟ ما أقدمك ؟ .

قال : ما قدمت الا فى أسيرى .

قال : فما شرطت لصفوان بن أمية فى الحجر ؟ .

ففزع عمير فقال : ماذا شرطت له ؟ .

قال : تحملت له بقتلى ، على أن يقضى دينك ويعول عيالك ، والله حائل بينك وبين ذلك .

قال عمير : أشهد أنك رسول الله وأنك صادق ، وأسلم ، فقال — صلى الله عليه وسلم : « علموا أخاكم القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ، فعاد عمير يدعو الناس الى الاسلام فأسلم معه بشر كثير (١) .

أبو عامر العباس بن مرداس بن أبى عامر ابن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث أعطاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نصيبا من الابل كان دون المائة وكانت نفسه شوافة الى نصيب أكبر فعاتب أبو عامر سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى شعر له فلم يواجه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هذا الاستشراف بالرفض ولا بالزجر بل قال : صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا لسانه فأعطوه مائة » .

والمحدثون وأصحاب السير يروون عن النبى — صلى الله عليه وسلم — كثيرا من تقديم العطايا فى سبيل تثبيت الايمان فى القلوب ففى الامتاع للمقريزى : عن سعد بن أبى وقاص قال : يارسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمرى : قال — صلى الله عليه وسلم : « أما والذى نفسى بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلها مثل عيينة والاقرع ، ولكنى أتألفهما ليسلما » ؛

(١) راجع الامتاع جـ١ ص ١٠٠ .

ووكلت جميل بن سراقة الى اسلامه (١) .

وفى البخارى بسنده عن الزهرى قال أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن سعد — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلا هو أعجبهم الى ، فقلت : يارسول الله : مالك عن فلان ، فوالله انى لأراه مؤمنا ، فقال : « أو مسلما » ، فسكت قليلا ثم غلبنى ما أعلم عنه فعدت لمقالتى وعاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم قال : « ياسعد انى لأعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكبه الله فى النار » (٢) .

كان مالك بن عوف واحدا من الوفد الذى جاء الى النبى — عليه أفضل الصلاة والسلام — من هوازن ثم فر فلحق بحصن مع ثقيف فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : « انه ان يأتى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل » .

يقول الكاتبون فى « السيرة النبوية » العطرة فلما بلغ ذلك مالكا فر من ثقيف ليلا وقدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأعطاه أهله وماله واستعمله على قومه ، وعقد له لواء فقاتل أهل الشرك وأغار على ثقيف وقاتلهم (٣) .

وسفانة بنت حاتم الطائى وقعت أسيرة فى سرية كان لواؤها لسيدنا على بن أبى طالب — رضى الله عنه — كانت مهمتها تحطيم الصنم (الفلس) وكانت سفانة امرأة جزلة ذات وقار وعقل وحكمة وكان أخوها عدى قد هرب عندما سمع بخيل المسلمين فعاملها رسول الله — صلى الله عليه وسلم بالحسنى مراعاة لمستواها الاجتماعى فأنزلها فى دار (رملة بنت الحرث) فلما مر بها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جعلت تكلمه :

(يامحمد أرأيت ان تخلى عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان أبى كان يحمى الذمار ويفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويقرى الضيف ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم الطائى فقال لها النبى — صلى الله عليه وسلم — : « يا جارية : هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلو عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق » (٤) .

قال الكاتبون فى « السيرة » على لسان سفانة : فكسانى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى (٥) .

قال فى الامتاع : فأتت أخاها عدى بن حاتم فحسنت له أن يأتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « وسلم فقدم المدينة وأسلم (٦) .

قال فى « السيرة الحلبية » : على لسان عدى وهو يخاطب أخته سفانة وهى تدعوه

(١) الامتاع جـ ١ ص ٤٢٥ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب الايمان .
(٣) الامتاع جـ ١ ص ٤٣٠ .
(٤) راجع الحلبية جـ ٣ ص ٢٠٥ .
(٥) الحلبية جـ ٣ ص ٢٠٥ ، ٢٣٢ .
(٦) الامتاع جـ ١ ص ٤٤٥ .

الى الاسلام وأن يلحق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ماذا ترين فى أمر الرجل ؟ .

قالت : رأيي والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضل ، وان يكن ملكا فأنت أنت .

فقال : « من الرجل » ؟ .

فقلت : والله ان هذا للرأى .. فخرجت حتى جئته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة فدخلت عليه .

فقلت : عدي بن حاتم ، فقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعائدى اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها .

فقلت : ما هو بملك ، ثم مضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أم محشوة ليفا فقدمها الى .

وقال : « اجلس على هذه » ؟ .

فقلت : بل أنت فاجلس عليها قال : بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأرض .

فقلت والله « ما هذا بأمر » ملك ، ثم قال ى ما معناه : ياعدى بن حاتم : أسلم تسلم .. قالها ثلاثا .

فقلت : انى على دين .

قال : « انا أعلم بدينك منك » .

فقلت أنت أعلم بدينى » ؟ .

قال « نعم » ألست من الركوسية ، ألست من القوم الذين لهم دين » ؟ .

فقلت : بلى .

فقال : « ألم تكن تسير فى قومك بالمرباع كما هو شأن الاشراف » .

قلت : بلى ، فان ذلك لم يحل لك فى دينك ، فقلت : أجل والله وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يجهل ، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم .

« لعلك ياعدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى ، تقول : انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه .

ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، أتعرف » الحيرة

قلت : لم أرها وقد سمعت بها . قـال : « فوالله ليظهرن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد »

ولعلك يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم . وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » .

قال عدى : وقد رأيت المرأة تخـرج مـن القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثانية (١) .

قال ابن سعد فى « الطبقات » : وعـرض عليه الاسلام فأسلم عدى واستعمله رسـول الله صـلى الله عليه وسلم على صـدقات قومه (٢) .

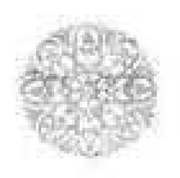
هكذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعمل مع أصناف الناس ليبلغهم الاسلام .

لقد كان الرفق ، والعطـــاء ، والعفـو واحترام مقادير الناس ، وتكريم فضــائل أخلاقهم القديمة وتحبيب الاســلام الى نفوسهم ، وازالة الريب والعلل التى تعتمـل فى صدورهم بالهدهدة الرقيقة والمناقشـــة الوديعة ، والمنطق السليم والســماحة فى العطاء والضيافة ونبل الأخلاق .

فتلكم أساسيات فى منهجية الدعوة الى الله على بصيرة .

فهل لمن يتصدى للدعوة الاسلامية فى العصر الحديث أن يستوعب أخلاقيا وسلوكيا هـذا الركن الركين فى عمل الداعية المعاصر فى تبليغ الدعـوة لأصناف الناس حسب منازلهم ؟ .

دكتور / رءوف شلبى



---

(١) المطالبة جـ ٣ ص ٢٢٦ .
(٢) الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٢٢٢ ـ راجع تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٤٨ .

رائد فقهاء القانون الدولى

الامام محمد بن الحسن الشيبانى

فقيه دقيق وعالم اسلامى كبير تبحر فى الفقه الحنفى على أئمة ذلك المذهب فى العراق كما تبحر فى الفقه المالكى على امام ذلك المذهب فى دار الهجرة النبوية ببلاد الحجاز حين صاحبه ثلاث سنين فاسمعه فقهه ، ثم اكمل شوطه العلمى بتجويده فقه بلاد الشام حينما جلس الى امامه واخذ عنه ، وهو الى ذلك من اكرم الناس ومن افضلهم .

حليم الطبع هادىء النفس واسع الصدر

ذلك هو الامام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى أحد التلامذة النابهين الذين اصطفاهم الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان .

يصفه الامام محمد بن ادريس الشافعى فيقول عن رحابة صدره فى العلم والحوار والمناقشة (ما رأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة فى وجهه الا محمد ابن الحسن) .

أما عن فصاحته وسعة أفقه فيقول (لو أشاء أن أقول ان القرآن نزل بلغة محمد بن الحسن لقلته لفصاحته ، واذا أخذ فى المسألة فكأنه قرآن ينزل عليه لا يقدم حرفا ولا يؤخر) (١) .

مولده ونشأته :

ولد محمد بن الحسن فى مدينة واسط بأرض العراق سنة ١٣٢ هجرية بعد أن نزح اليها أبو الحسن بن فرقد من قرية (حرستا) على باب دمشق فى وسط الغوطة عندما كان من جند الشام أيام الأمويين ثم كانت نشأة محمد بالكوفة وفيها تتلمذ على الامام أبى حنيفة النعمان فاغترف من علمه وفضله وخلقه

١ كتاب « وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان » لأبى العباس شمس الدين بن خلكان الجزء الثالث .

ما قد وسعه أن يعترف وعندما توفى أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ جلس الى تلميذيه زفر وأبى يوسف ، ولما كان يؤمن بالتفرغ للعلم والانفاق فى سبيل الدرس كما وصاه أستاذه أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ أنفق نصف ميراثه وقدره خمسة عشر ألفا على النحو والشعر وأنفق النصف الباقى على الحديث والفقه (٢) .

رحلاته فى طلب العلم :

لما أتم محمد بن الحسن دراسة الفقه على الامام أبى حنيفة النعمان ثم على تلميذيه زفر وأبى يوسف أخذ يرحل فى طلب العلم فرحل الى الامام أبى عمرو الأوزاعى عالم بلاد الشام ثم الى سفيان بن عيينة فى مكة والى عبد الله بن المبارك فى خراسان والى مالك بن أنس فى المدينة حيث سمع منه كتاب « الموطأ » عدة مرات فجمع بذلك طريقة علماء الكوفة وهم أهل الرأى والاستنباط مع طريقة أهل الحجاز وبلاد الشام وهم أهل فقه سنة ورواية (٣) .

بيان عن بعض تلاميذه :

بعد عودته من رحلاته العلمية الى بلاد العراق ذاع صيته وشهر علمه فأقبل عليه طلاب العلم من كل مكان ، وقصده كثيرون من بلدان بعيدة نذكر منهم : أبا حفص الكبير الذى أخذ عنه البخارى فقه أهل الرأى ، وأبا سليمان الجوزجانى الذى انتشرت به الكتب الستة ، وأبا عبيد القاسم بن سلام صاحب كتاب « الأموال » ويحيى بن أكثم واسماعيل بن توبة ، وأسد بن الفرات المشهور بفاتح صقلية ومحمد بن ادريس الشافعى صاحب المذهب الذى لازمه واستنسخ مصنفاته وأغدق عليه محمد بن الحسن الكثير من علمه وماله (٤) .

ومما يحكيه عنه الربيع بن سليمان المرادى فيقول : كتب الشافعى الى محمد بن الحسن من مجزوء الرجز وقد طلب منه كتبا له لينسخها وتأخرت عنه :

وقل لمن لم تر عـ
ين من رآه مثله
ومن كان من رآ
ه قد رأى من قبله

---

(٢) كتاب « الائمة الاربعة » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .

(٣) المرجع السابق .

(٤) شرح كتاب « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيبانى ، املاء محمد بن أحمد السرخسى الجزء الاول معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

العلم يأبى أهله
أن يمنعوه أهله
لعله يبذله
لأهله لعله

فأنفذ محمد بن الحسن الكتب اليه من وقته (١) .

توليه ولاية القضاء :

لما أتيح لمحمد بن الحسن الشيباني الاتصال بالخليفة هارون الرشيد ولاه قضاء الرقة ثم عزله بعد قضية لصالح أحد أبناء الطالبيين أحفاد الامام على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — مما يشير الى أنه لم يداهن الخليفة فتعرض لغضبه وفتشت كتبه خوفا من أن يكون فيها شيء مما يحض الطالبيين فى الخروج على سلطان العباسيين ثم أصلحت بينهما زوجة الخليفة السيدة زبيدة بنت جعفر فعاد الى مكانة عنده ، وقد ولى منصب قاضى القضاة بعد وفاة أبى يوسف (٢) يعقوب بن ابراهيم .

شهادته لصالح الإمام الشافعى :

عندما كان الامام الشافعى باليمن اتهم بالتآمر على دولة الخلافة العباسية فقبض عليه وأرسل الى بغداد ومثل بين يدى هارون الرشيد تمهيدا لقتله الا أن محمد بن الحسن الشيبانى شهد شهادة منصفة عادلة لصالح الشافعى أنقذته من هلاك محقق فسلم من القتل وبرئت ساحته (٣) .

احترامه لكرامة العلم فى نفسه :

كان محمد بن الحسن يحترم كرامته بوصفه حاملا للعلم ، تلك الكرامة التى تتأبى أن تخفض هامة صاحبها حتى فى بلاد الرشيد ، ومما يحكيه عنه فى ذلك أبو عبيد فيقول : كنا مع محمد بن الحسن اذ أقبل الرشيد فقام اليه الناس كلهم الا محمد بن الحسن فانه لم يقم ، ودخل الناس من أصحاب الخليفة فأمهل الرشيد يسيرا ثم خرج الآذن فقال محمد بن الحسن فجزع أصحابه له فادخل ثم خرج طيب النفس مسرورا .

فقال : .. قال لى الرشيد مالك لم تقم مع الناس ؟ .

فقلت كرهت أن أخرج من الطبقة التى جعلتنى فيها . انك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج منه الى طبقة الخدمة التى هى خارجة منه وان ابن عمك — صلى الله عليه وسلم — قال : (من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار) (٤) وانه انما أراد بذلك العلماء فمن قام بحق الخدمة

---

(١) كتاب « وفيات الاعيان » لأبى العباس شمس الدين بن خلكان — الجزء الثالث .
(٢) كتاب شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى الجزء الاول ـ املاء السرخسى .
(٣) كتاب « الائمة الاربعة » تأليف الدكتور مصطفى الشكعة .
(٤) رواه أبو داود والترمذى من حديث معاوية وقال حسن .

واعزاز الملك فهو هيبة للعدو ، ومن قعد اتبع السنة التي عنكم أخذت فهو زين لكم .
قال الرشيد صدقت يامحمد (١)

الكتب التي ألفها محمد بن الحسن :

الف الامام محمد بن الحسن عددا من الكتب الأصيلة ، وان الفقه الحنفي يدين بتسجيله أول ما يدين اليه فقد ترهب في محراب هذا الفقه مسجلا ومقررا وشارحا ومخرجا ومستنبطا حتى غدت كتبه هي المراجع الأولى لهذا الفقه ، ولقد قسم فقهاء الاحناف تلك الكتب الى قسمين : —

القسم الأول : مؤلفات أطلقوا عليها اسم (كتب ظاهر الرواية) وهي الكتب التي رويت عنه برواية الرواة الثقاة ومن ثم فانه لا شك في كونها ثابتة النسبة اليه بالتواتر والشهرة وتسمى هذه الكتب أيضا بالاصول وهي حسبما أوردها ابن عابدين في رسالته الكتب الآتية : —

١ — المبسوط .
٢ — والزيادات .
٣ — والسير الصغيرة .
٤ — والجامع الكبير .
٥ — والسير الكبير .
٦ — كتاب الآثار وهو خلاف كتاب الآثار المنسوب لأبي يوسف .
٧ — وكتاب الرد على اهل المدينة اي على فقهاء أهل المدينة ، وكتاب الجامع الصغير وقد رواه عن أبي يوسف وقرأه عليه .

والقسم الثاني : من كتب ذلك الامام يقال عنها (كتب غير ظاهرة الرواية) ليس لأن نسبتها اليه غير ثابتة ولكن لأن روايتها غير ظاهرة الاسناد ومن ثم كانت درجة ثبوتها أقل من درجة ثبوت القسم الاول التي هي كتب ظاهر الرواية وتلك هي ١ — الكيسانيات ٢ — الهارونيات ٣ — الجرجانيات ٤ — الرقيات ٥ — وزيادة الزيادات (٢) .

لمحة عن كتاب « السير الكبير » اول كتاب في القانون الدولي وسبب تأليفه .

هذا الكتاب هو آخر الكتب التي الفها الامام محمد بن الحسن الشيباني .

وسبب قيامه بتأليف هذا الكتاب كان غريبا من المنافسة بين علماء العراق وعلماء الشام ويذكر السرخسي أنه لما وقع كتاب « السير الصغير » في يد الامام الأوزاعي فقيه أهل الشام سأل عن مؤلفه فقيل هو لمحمد العراقي (اى لمحمد بن الحسن) .

فقال : الأوزاعي (ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب ، فانه لا علم لهم

(١) كتاب « الائمة الاربعة » تاليف الدكتور مصطفى الشكعة نقلا عن كتاب « تاريخ بغداد » الجزء الثاني .

(٢) كتاب « الائمة الاربعة » تاليف الدكتور مصطفى الشكعة .

بالسير) والمقصود بكلمة السير المغازي وان كان الامام السرخسي يقول في شرحه لكتاب السير الصغير ان السير جمع سيرة فالكتاب يبين سيرة المسلمين في المعاملة مع غيرهم ويوضح السرخسي قول الأوزاعي بأن مغازي الرسول كانت من جانب الحجاز والشام دون العراق فأهل الحجاز والشام أعلم بهذه المغازي بها .

فلما بلغ محمد بن الحسن قول الأوزاعي انصرف الى تأليف كتاب « السير الكبير » وجعله في ستين دفترا ، وتشاء المقادير أن يطلع الامام الأوزاعي على هذا الكتاب كما اطلع على كتاب السير الصغير من قبل فلم يملك الا أن يبدي اعجابه بالكتاب .

وقال : (لولا ما تضمنه الكتاب من الأحاديث لقلت إنه يضع العلم — أي يزيفه — واستطرد قائلا — وان الله تعالى عين اصابة الجواب في رأيه وفوق كل ذي علم عليم) (١)

موضوع كتاب « السير الكبير »

يدور موضوع هذا الكتاب حول جميع الأمور المتعلقة بالحرب وعلاقتها بالمشركين وأحكامها : — فتكلم الامام محمد بن الحسن عن أهل الاسلام وأهل الحرب المشركين وبين أحكام الأسارى من الفريقين سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا . واسلام المشركين والأمان على اختلاف ضروبه وألفاظه والمستأمنين والرسل الذين يفدون الى دار الاسلام من دار الحرب . والحصانات التي يتمتعون بها والغنائم والصلح والتحكيم والفداء وأحكام السلاح والرقيق والنزاع والأراضي التي يستولي عليها أهل الحرب في الحرب وأهل الاسلام في دار الحرب ونقض المعاهدات وجرائم الحرب . هذا الى مئات من المسائل المتعلقة بأهل الحروب وصلاتهم بالمسلمين في أيام الحرب والسلم معا (٢) والنزاع هي أطراف الأرض القاصية كما ورد في لسان العرب لابن منظور بالجزء العاشر .

الأسس التي اعتمد عليها الامام محمد بن الحسن في تأليف هذا الكتاب :

اعتمد الامام محمد بن الحسن في تأليفه للكتاب المذكور على القرآن الكريم وعلى الأحاديث النبوية التي قيلت في مغازي الرسول على أثر حوادث معينة وقعت ، وعلى الأحكام التي وقعت أثناء حروب المسلمين وفتوحهم . كما أعمل القياس في أحايين كثيرة ووصل في ذلك الى أحكام جيدة وبشرح الامام السرخسي له أصبح الكتاب موسوعة فقهية اسلامية في العلاقات الدولية .

كيف استقبل الرشيد كتاب « السير الكبير »

لما أرسل الامام محمد بن الحسن كتابه

---

(١) المرجع السابق .

(٢) شرح كتاب « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيباني املاء السرخسي — الجزء الأول .

« السير الكبير » الى الخليفة هارون الرشيد أعجب به وعده من مفاخر ايامه لأنه وضع أحكام العلاقات بين دولة الاسلام التي كان الرشيد حاكما لها وباقي دول ذلك الزمان ومن هنا يبدو شأنه في ناحية القانون الدولي الاسلامي ما يعد عملا فريدا في بابه ولأهمية المادة التي عالجها هذا الكتاب أرسل الرشيد ابنيه الأخيرين الأمين والمأمون يستمعانه على مؤلفه .

ولقد زاد الاهتمام بالكتاب المذكور أيام الدولة العثمانية فترجم الى اللغة التركية في أيام السلطان محمود خان سنة ١٨٢٥ م واتخذ أساسا لأحكام المجاهدين العثمانيين في حروبهم مع الدول الأوروبية (١) .

وفاة الامام محمد بن الحسن الشيباني :

في سنة ١٨٩ هجريه خرج الخليفة هارون الرشيد الى الرى واصطحب معه الامام محمد ابن الحسن الشيباني والكسائي امام اللغة فماتا في يوم واحد فحزن الرشيد عليهما وكان يقول دفنت الفقه والعربية بالرى (٢) .

ويبدو أن الرشيد يقصد بقوله هذا مايشير اليه الحديث الذي رواه ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ اذ يقول: (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء (٣)

الامام محمد بن الحسن كان أسبق من فقهاء النهضة الأوروبية بهذا التأليف

يعتبر الامام محمد بن الحسن الشيباني بتأليفه كتاب « السير الكبير » أسبق من غروسيوس الهولاندى Grotius الذي عاش في القرن السابع عشر ويسمونه هناك أبا القانون الدولي لأنه بحث في بعض الأمور الخاصة بذلك القانون بل وسبق من سبق غروسيوس أو عاصروه مثل فاسكوز Vasquez وسيوارز Suarez ، وفيتوريا Vitoria من الفقهاء النصارى (٤) .

مكانة الامام محمد بن الحسن الدولية في زماننا المعاصر .

يكفي للدليل على المكانة السامية لذلك العلامة الاسلامي الكبير بين فقهاء القانون الدولي أن علماء هذا الفن والمشتغلين به في مختلف بلاد العالم في زماننا المعاصر احتفوا به وعملوا على تخليد ذكراه : كل على طريقته .

١ ـ ففي فرنسا

أنشأ الفقهاء هناك سنة ١٩٣٢ جمعية الشيباني للقانون الدولي .

(١) المرجع السابق .
(٢) كتاب « وفيات الاعيان » لابي العباس شمس الدين بن خلكان ـ الجزء الثالث .
(٣) أخرجه الشيخان والترمذي كما ذكره العلامة المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيباني في كتاب تيسير الوصول الى جامع الاصول ـ الجزء الثالث .
(٤) شرح كتاب « السير الكبير » لمحمد بن الحسن الشيباني املاء السرخسي ، الجزء الاول .

٢ ــ وفى المانيا

أسس فقهاؤها فى غرتنجن جمعية الشيبانى للحقوق الدولية وضمت هذه الجمعية علماء القانون الدولى والمشتغلين به فى مختلف أنحاء العالم وانتخب لرئاستها بوقته الفقيه المصرى الكبير المرحوم الدكتور عبد الحميد باشا بدوى والذى كان عضوا بمحكمة العدل الدولية ، كما أنتخب الدكتور صلاح الدين المنجد محقق الكتاب المشار اليه نائبا للرئيس وتهدف هذه الجمعية الى التعريف بالامام محمد بن الحسن الشيبانى واظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولى الاسلامى .

٣ ــ وفى النمسا

لم يتردد المؤرخ النمسوى ذائع الصيت (هامرخون برجستال) أن يلقب ذلك الفقيه الاسلامى باسم (هوجو جروتيوس المسلمين)

٤ ــ وفى الامم المتحدة

أدركت الامم المتحدة آخرا قيمة ماكتبه وأبدعه هذا العالم الاسلامى الكبير فى فقه القانون الدولى فقامت بترجمته منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية ، وبهذا يمكن القول بأن كتاب السير الكبير أصبح كتابا عالميا وأنه نبه فقهاء العالم الى فضل الفقهاء المسلمين فى مجال الكتابة فى العلاقات الدولية وسبقهم فى هذا الميدان منذ مئات السنين (١) .

محمد عزت الطهطاوى

(١) مجلة منار الاسلام ربيع الاول سنة ١٤٠٥ هـ ديسمبر سنة ١٩٨٤ بحث المسلمون والقانون الدولى للدكتور محمد الدسوقى .

٤

الإسلام وحقوق المرأة

دكتور عبد الله مبروك النجار

.. توقفنا فى المقال السابق ، عند بيان مدى حرص الشريعة الاسلامية الغراء على حقوق المرأة ، وأن ما كفلته لها من مبادىء ــ تحفظ كيانها ، وترشد مسيرتها فى الحياة نحو الافضل دائما ــ لم يصل الى مثلها أى فكر وضعى ينشد تحقيق ذلك الهدف الجليل .

ومازالت الحقوق التى قررها الاسلام للمرأة متفردة فى سمو مرماها ، ومتفوقة فى بعد نظرتها ، حيث لا يقتصر الأمر فيها على حفظ حقوقها من الضياع ، وانما تمتد آثارها لتشمل كل جوانب حياتها ، فتضفى عليها جوا من الهيبة والجمال ، وتعصم وجودها مما قد يشوبه من تمزق واضمحلال ، كما تصوغ نشاطها مع الرجل فى اطار من العفة والجلال.

وتلك المقاصد السامية تمثل أمنية من أغلى أمنيات الانسانية الراقية ، التى تحلم بالوصول اليها ، والفوز حتى ولو ببعض ثمارها .

وقد كفلتها شريعة الله للمجتمعات الانسانية عامة ، وللمرأة خاصة .

.. ويبدو أن خصوم الاسلام قد عز عليهم أن يكون انصاف المرأة على يديه ، وحفظ كيانها من المبادىء التى صاغها تشريعه ، ونطقت به أحكامه ، فراحوا يتبارون فى التطاول عليه ، والتماس الحيل للنيل منه ، ولا مانع عندهم وهم يستهدفون ذلك المرمى الخبيث أن يحيدوا عن الحق فى ادراك حكمته ، ويبتعدوا عن الصواب فى الوقوف على مرماه ، ليجىء فهمهم لحقائقه ملتويا ، وادراكهم لجانب الخير فيه منعدما ، ومن

ثم أخذوا في تزييف الحقائق أمام المرأة ، ليباعدوا بينها وبين أحكام الاسلام التي حققت لها كل ذلك الخير ، ويمنعوها من التمسك به ، والاعتصام بحبله المتين ، على نحو ما رأينا فيما زعموه حول موقف الشريعة من تعدد الزوجات ، وما تقولوا به على الاسلام في مشروعية الطلاق .

حيث ارتفعت أصواتهم بالصراخ زاعمين أن الاسلام ينال من الحقوق التي قررها للمرأة ، من خلال فهمهم الخبيث لأحكامه ، كأنهم يريدون أن يفهموها أنه يعطيها بيد ، ويأخذ منها بالأخرى ، مع أن كل ما جاء في نقدهم للاسلام لا يقوى على حجب النور الذي يشع من أحكامه بالخير والرحمة والحكمة والحق والسعادة للمرأة ، بل وللمجتمع الانساني كله .

•• وقد جاء تشريع الطلاق في الاسلام لا ليكون وسيلة لهدم بيتها ، وتدمير حياتها ، فما لبيت شبت فيه نيران الحقد ، وعصفت به رياح الكراهية من وجود يخشى عليه ، وما لحياة دبت في أوصالها عوامل الوهن ، وضاع منها الأمل مع شخص مقيت من قيمة يحرص عليها .

وفي مثل هذا الوضع يكون وجوده في حياة الأسرة أمرا لابد منه ، ووسيلة لا مندوحة عنها ، في تصحيح تلك العلاقات التي باتت تؤرق وجود الزوجين ،وتحول بينهما وبين حياة هانئة هادئة ترفرف عليها أعلام السعادة ، ويحفظ للمرأة حقها ، حتى لا يقدم عليه الرجل لمجرد أسباب واهية أو تصورات شخصية خاطئة ، ويكون قرار اتخاذه قد توفر له الجو الذي يمنع وجود التهور فيه والتسرع في اصداره ، وفي ذلك مالا يخفى من المصلحة للمرأة وللمجتمع معا .

•• وقد جاء الاسلام ليشرع للدين والدنيا ، وكان طبيعيا وأمره كذلك أن ينظر الى طبائع الرجال والنساء ، ويتجنب التشديد الذي لا يجدي شيئا في المحافظة على قداسة الزواج ، ولكنه يلجىء الزوجين الى الحيلة للتخلص منه ، فيسمح بالطلاق ، ليكون في الاطار الذي رسمه له الشارع ، قسوة مكروهة ، تدفع هذه القسوة بما يستطاع من عطف الزوج والزوجة وعمل الأسرة والقادرين في هذا الأمر على الاصلاح والهداية ، فاذا ما كان وجوده لازما بعد استنفاد الوسائل المستطاعة ، فما من حل آخر يغني عنه ، وما من تحريم له الا وهو أشد قسوة ، وأقل نفعا من التحليل (١) .

•• والحق سبحانه حين اباح الطلاق . لم يشأ أن يترك الاباحة على الاطلاق ، بل قيدها بعدد من الضمانات التي تقلل وقوعه ، كما أحاطه بمجموعة من الاحكام التي تهذب آثاره ، وتجعل وجوده عند الضرورة خطوة نحو مصلحة الأسرة والمجتمع .

(١) راجع في هذا المعنى : عباس محمود العقاد « المرأة في القرآن » ص٦٦ ـ دار نهضة مصر ـ بالفجالة .

وقد جاءت تلك الضمانات تقنينا منظما للحديث الشريف الذى يدل على أن الطلاق أبغض الحلال الى الله ، وهذه الضمانات يمكن ارجاعها على نحو ما استبان لنا الى حالتين :

أولاهما : قبل وقوع الطلاق .

وثانيهما : حال وقوعه ، وقد تكلمنا أولا : عن الضمانات التى تسبق الطلاق ، حفظا لحقوق المرأة ، وصيانة لكرامتها من خلاله ، وهى تبرز من خلال المبادىء الشرعية ، التى تأمر بحسن عشرة المرأة ، والصبر عليها ، وتضع الأسس القويمة لحل المشاكل التى تعترض حياة الزوجين وقد تؤدى بهما الى الطلاق ، وتلقى بأعباء المسئولية فى علاج تلك المشاكل على الزوج والزوجة معا ، ثم على أقاربهما الذين يسعدون بسعادتهما ، وتلفح وجوههم نار الخلاف بينهما ، وهم أشد الناس حرصا على حفظ ما قد يكون فى أسباب الشقاق من شئون يجب أن تكتم ، وسر ينبغى أن يخفى ، حتى لا تشيع أسرارهما بين الناس ، فتضيع كرامتهما ، ويهتز وجودهما ، كما أن الاصلاح بين الزوجين قد يكون واجبا على جماعة المسلمين التى تعمل فى سبيل الخير والاصلاح بين الناس (١) ، وفى هذا المقال نثنى ببيان الضمانات التى تصاحب وقوع الطلاق بشىء من التفصيل الذى يرد عن شريعة الله ما أثير من مزاعم حول اباحته وذلك على النحو التالى :

ثانيا ـ الضمانات التى تصاحب الطلاق :

•• ولا يقتصر الأمر فى الاسلام على تلك الضمانات التى تسبق وقوع الطلاق ، وتستهدف التقليل من وقوعه ، حفاظا على الأسرة ورعاية لجانب الأبناء ، ولكنه يتعداها الى عدد آخر من الضمانات التى تصاحب وقوعه ، فتهدىء من حدته وتخفف من آثاره ، وترشد مسيرته فى حياة الأسرة على النحو الذى يتوخى صالح كل فرد فيها ، حتى لا يضيع حق أو تهدر كرامة ، ومن الأمور التى توصل الى تلك الغاية : ان الشارع قد جعل الطلاق بيد الرجل ، كما جعله متعددا لتتسنى المراجعة ، وطالب أن يتم فى طهر لم يجامعها فيه ، ثم فى النهاية وعندما يقع ، فانه تترتب عليه حقوق متعددة للمرأة تمثل التزامات مالية على الرجل يلتزم بها للمرأة دون مقابل لها فى ذمتها ، وينبغى بيان ذلك بشىء من التفصيل :

١ ـ جعل الشارع الطلاق بيد الرجل :

•• وتمشيا مع منهج الاسلام فى التقليل من وقوع الطلاق والتخفيف من آثاره ، فقد جعل الشارع الطلاق بيد الرجل فى الأصل ، مراعاة منه سبحانه لجانب المصلحة ،لأن المرأة فى الغالب بحسب الفطرة عاطفية ، سريعة التأثر



(١) راجع فى بيان الضمانات التى تسبق الطلاق ، الحلقة الثالثة من هذا الموضوع ـ بمجلة الأزهر عدد شعبان ـ ١٤٠٥ هـ .

والانفعال فاقتضت الحكمة أن لا تنفرد هى بأمر الطلاق وجعله بيد الرجل لأنه فى الغالب أقدر على ضبط النفس ، كما أن الطلاق تترتب عليه آثار ، منها المادى الذى يلتزم به الرجل نفسه ، من وجوب مؤخر الصداق ، ونفقة العدة ونفقة الأولاد الصغار ، وأجور حضانتهم وخدمتهم ان كان له أولاد منها فى سن الحضانة ، فوق ما يبذله من مال لزواج جديد لا تدرى نتيجته . وفضلا عن الآثار الأخرى التى تترتب عليه من هدم بيت الزوجية الذى هو عماده ، وبعد أولاده عنه ان كانوا فى سن حضانة النساء ، ان هذه الآثار العاجلة يضعها الرجل غالبا نصب عينيه عند وجود النزاع مما يدفعه الى معالجة الامر بالحكمة والعمل على تهدئة الموقف دون وصول الى طلاق (١) .

•• وحتى لا يتقول خصوم الاسلام عليه بأنه قد جعل العصمة بيد الرجل ليسىء استعمالها ضد المرأة ، ويستبد بتحديد مستقبلها ، فان المشرع الاسلامى وان جعل الطلاق حقا للرجل يملك ان ينفرد به ، فانه لم يحرم المرأة من هذا الحق ، فأجاز لها ان تشترط لنفسها عند العقد ان يكون لها حق طلاقها منه ، كما جعل لها حق طلب التطليق منه بناء على رغبتها هى ، وسواء رضى بذلك أم لم يرض لأسباب كثيرة مختلفة كتضررها لايذائه لها ، أو هجره اياها ، (٢) على نحو ما هو وارد فى كتب الفروع .

٢ ــ تعدد الطلاق لتتسنى المراجعة :

•• ولما كان وقوع الطلاق غالبا ما يأتى بعد انفعال وعدم تريث ، ثم لا يلبث الزوجان أن يفيقا ، ويشعر المخطىء منهما بخطئه ويطمئن عن رغبته فى استئناف الحياة الزوجية مع صاحبه على أساس سليم ، بعد ان مرا بهذه التجربة وتعرفا أسباب الشقاق بينهما ، فشرع الشارع فرصة اعادة الحياة الزوجية بينهما مرة ومرة فى فترة العدة مراعاة لذلك ، اما بعد الطلقة الثالثة فانها تكون دليلا على ان كلا منهما لا يصلح للاخر ، ومن الخير لكل منهما أن يختار طريقا آخر فى الحياة ، فقد تكون فيه السعادة .

•• وبهذا يكون الشارع قد أعطى للزوج فرصتين للمراجعة ، وفى ثبوت التحريم بينهما بالطلقة الثالثة ما يجعل الزوجين يحرصان كل الحرص على البعد عن أسباب الشقاق المؤدى الى الطلاق فتهدأ الحياة بينهما ، ويستقر الأمر ، خاصة بعد أن مرا بتجربة الحياة فى ظل الطلاق مرتين ، وهذب ذلك من نفسيهما ومن لا تنفع معهم هذه التجارب ، ولا تجعل

(١) دكتور محمد سلام مدكور ــ « الوجيز فى احكام الاسرة فى الاسلام » ص ٢١٨ ــ دار النهضة العربية .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٩ .

الحياة بينهم سعيدة ، يكونون غير صالحين للمعاشرة على نحو ما ذكرنا (١).

٣ ــ وقوع الطلاق فى طهر دون جماع :

•• نظرا لأن فترة الطهر هى فترة كمال الرغبة فى المرأة والشوق اليها ، حيث لا يوجد ما ينفر منها ، ويجعل الرجل يعرض عنها ،الامر الذى يبرهن على ان الرجل ما اقدم على طلاق امرأته الا لحاجة شديدة الى الفرقة ، وفى ذلك ما يدل على قيام حالة خطيرة تستدعى الطلاق ، وفى هذا يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ » (٢) ، ومن ثم رسم الاسلام أن يتم الطلاق فى طهر لم يجامعها فيه ، لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه طلق امرأته وهى حائض فى عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، ــ فسأل عمر رسول الله فقال له :

« مره فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء . » (٣) .

•• فقد دل هذا الحديث على انه اذا طلق فى غير طهر أو فى الطهر بعد المس ، يكون طلاقه بدعيا محرما ، وبذلك صرح الجمهور (٤) .

وقد أمر الشارع الزوج أن لا يخرج المرأة من بيتها قبل وفاء العدة ، ليكون فى وجودها ببيته ، وأمام نظره ، وقربها من قلبه ، ما قد يدفعه لمراجعتها ، ومن يدرى ؟ . لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

٤ ــ حماية حقوق المرأة بعد الطلاق :

•• ومتى تم الفراق الذى لا حيلة فيه ، تكفلت الشريعة للزوجة المطلقة بكل ما يلزم الرجل من حقوقها ومصالحها ، ومن حقوق أبنائها المولودين له ، وألقت على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، ومن شأن اثبات تلك الحقوق للمرأة ، وتحمل الزوج لهذه الاعباء ، أن يتريث الزوج ويتدبر الأمر قبل وقوعه ، فقد قرر الشارع أنه اذا طلق زوجته فعليه أن يوفيها مهرها ، ويقوم بنفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن مادامت فى العدة ، هذا فضلا عن نفقة أولاده منها ، وأجور حضانتهم ورضاعتهم فى مرحلة الحضانة .

قال تعالى : « وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ » (٥) .

(١) نفس المرجع ــ ص ١٢٠ ، والدكتور على عبد الواحد وافى ــ نفس المرجع ص ٨٨ .
(٢) سورة الطلاق ــ الآية الأولى .
(٣) « سبل السلام » للصنعانى ــ ج ٣ ــ ص ١٦٦
(٤) المرجع والمكان السابقين .
(٥) سورة البقرة ــ آية ٢٣٣ .

وعلى هذا النحو يحرص الاسـلام على حقوق المرأة وكرامتها ، فى الوقت الذى ينظم فيه الطلاق ويحد من الدائرة التى يقع فيها ، ولم تخل آية عرضت للطلاق من توكيد الامر بالمعروف ، والنهى عن الاساءة والايـذاء ، والحث على مغالبـة الشـح والتقتير وهى الحيطة التى لا مقترح وراءها على الشريعـة وأحكامها .

وانما يكون الاقتراح على أخـلاق الناس وعواطفهم وأدائهم ، وليست هى مما تتولاه الشريعة بقوة الأحكام .

ومن الحسن أن يفرض على النـاس طلب الكمال ، ولكنه الامل المنظور غير الواقع ، وغير ماق الامكان بين مختلف الامم والعصـور ، والشريعة الاسلامية لا تصد الناس عن المثل الأعلى من الكمال المقدور لبنى آدم وحواء ، ■ـيهم — الى أن يدركوا شأوهم من كمالهم — لا ينبغى أن يجنى أحدهم على غيره بجريرة تقصيره ، بل جريرة التقصـير المـلازم لبنى الناس أجمعين (١) .

حكمة التشريع وموقف خصومه :

.. ذلك هو منهج الاسـلام فى تلك القضية الانسانيه الخطيرة ، تشريع ينطق بالحـق ، ويتوام مع الحكمة ، ويتفق مع المصـلحة المنشودة لكل من الرجل والمرأة فى كل زمـان ومكان ، دون تجاهل لما فطرت عليه النفوس البشرية ودون اهمال لما يحفظ حقـوق المرأة والأولاد والأسرة ، ومن ثم جـاء كـاملا متكاملا .

وكانت محاولة النيل منه واهية ، بـل ان هؤلاء الذين أمعنوا فى الهجوم عليه ، وتفننوا فى التطاول على أحكامه ، لم يقـدروا عـلى تجاهل ما وضعه الاسلام من حلول فى هـذا الصدد ، ولم يـستطيعوا ان يوطنوا انفسـهم على ما يخالف منهجه فى تلك المسـألة ، رغم ما ينطوى عليه ذلك التصرف منهم من خروج صارخ على الاحـكام التى يدينـون لهـا ، ومخالفة لنصوص الكتب التى يؤمنون بها .

واذا أردنـا ان نضرب مثـلا على ذلك ، لوجدنا أن المسيحية على اختلاف مذاهبهـا تحرم الطلاق ، فالمذهب الكاثوليكى يحـرم الطلاق تحريما باتا ، ولا يبيح فسخ الـزواج لأى سبب مهما عظم شأنه ، حتى ولو وصـل الامر الى حد الخيانة الزوجية فانها لا تعتبر سببا للطلاق .

وكل ما تؤدي اليه هو التفرقة الجسـمية بين شخص الزوجين مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، وذلك أخذا عـن النص الوارد فى الانجيل على لسان المسيح حيث يقول : « من بدء الخليقة ذكرا وأنثى

(١) عباس محمود العقاد — المرجع السابق — ص ٦٩ ومابعدها .

خلقهما الله من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان » (١) .

وأما المذهبان الآخران الارثوذكسى والبروتستانتى ، فانهما يحرمان الطلاق بحسب الاصل ولكنهما يبيحانه فى حالات محددة أهمها الخيانة الزوجية ، ثم يحرمان على الرجل والمرأة كليهما أن يتزوجا بعد ذلك ، اعتمادا على ما ورد فى انجيل متى على لسان المسيح اذ يقول : « ومن طلق امرأته الا بسبب الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة يزنى » (٢) .

ثم كانت النتيجة أن وقع الناس فى حرج عظيم ، ومشقة لا قبل للنفس البشرية بها ، فراحوا يتلمسون الحيل لمخالفة تلك الأحكام والوصول الى ما ينشدونه ، واتخذت هذه الحيل أشكالا تكشف عن تمرد الناس على العنت الكامن بين طيات تلك النصوص المجافية لواقع الحياة .

وكان الامر كما يقول العقاد : « أن تحول كثير من المسيحيين فى القارتين الاوربية والامريكية الى نظام قانونى يجيز ثلاثة أحوال فى حكم الطلاق ، وهى الغاء عقد الزواج ، والتفرقة بين الزوجين والفصل بينهما مع بقاء الصفة الشرعية للزواج باتفاق الرجل مع المرأة » (٣) ، كما أكثرت بعض الولايات مع ايقاع الطلاق للزنى ، فوسعت من مفهومه ، وتساهلت فى اثباته ، فلا يلزم تقديم الشهود على وقوعه أمام أعينهم ، بل يكفى اثبات السلوك الذى يترجح معه وجوده .

ولقد يضطر الزوج الى الاعتراف بالتهمة ليحصل على حكم الطلاق ، وفقا لما يعرف بقضايا التواطؤ أو التراضى (٤) ، وكثيرا ما تصل الحيلة الى حد الخروج من الديانة كلية للوصول الى هذا الحكم . ولعل فى اضطراد سلوك الناس على هذا المنوال ما يشهد للتشريع الاسلامى بالسمو والرحمة، ويكشف عن صلاحيته لحكم تصرفات الناس أجمعين فى كل زمان ومكان .

ولقد شهد للاسلام بالفضل والحكمة فى هذا المنهج العظيم كثير ممن لا يؤمنون به ، كالمفكر الانجليزى « جون ملتون » ، الذى ألف كتابا أعلن فى مقدمته أن العاطفة الانسانية نحو الرجل من المرأة ، ونحو المرأة من الرجل، من الامور المشروعة التى وضعها الله فى

---

(١) راجع كتاب العهد الجديد — انجيل مرقس — الاصحاح العاشر — الفقرات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ — ص ٩٦ — نشر جمعيات الكتاب المقدس فى الشرق الادنى سنة ١٩٧٤ م .

(٢) المرجع السابق — انجيل متى — الاصحاح الخامس — فقرة ٣٢ — ص ١١ .

(٣) عباس محمود العقاد — المرجع السابق — ص ٩٣ .

(٤) راجع فى هذا المعنى : عباس العقاد — نفس المرجع — ص ٩٤ .

التركيب الانسانى ، واذا لم تتطو هذه العاطفة المشروعة على خطأ ، فالزواج أمر سعيد ، لأنه حينئذ التقاء موفق لعاطفتين متجانستين ، فاذا وقع خطأ ماق اتجاه هاتين العاطفتين بأن كان الزواج مجرد متعة جسدية، أو دافعا لحرص مادى ، أو وجاهة مظهرية ، فان علائقه ستقطع فى القلبين ، ليحل محلها سور حديدى غليظ تفرضه الكنيسة اجباريا دون مبرر .

وقد يخدع الانسان فيمن يتخذها زوجة ، كما قد تخدع المرأة فيمن ترحب به زوجا لها ، ثم تكشف الايام عن اختلاف المشاعر وتنابذ الأهواء ، فماذا يكون الحل ازاء ذلك كله ؟ . لا شىء غير الطلاق ، لأن الحل بدونه جحيم لا يطاق (١) .

.. هذا ما افتتح به « ملتون » كتابه الذى سماه « قانون الطلاق ونظامه » والذى يقول فى طبعته الثانية : « كيف يتسنى الاختلاط الجسدى الوثيق بين زوجين يكره أحدهما الآخر كرها شديدا ، ويود أن يعتزله أبد الدهر ؟ . وهل فتح الله باب الزواج ليغلقه من ورائنا نهائيا كما يغلق باب المقبرة على الميت الدفين ؟ .

وهل يأمن عاقل أن يزل فى الخطيئة حين يجد متنفسا آخر مع خليلة تشاركه العاطفة عن محبة وانجذاب .

وقد تكون هذه الخليلة زوجة بغيضة لقرين تعيس يكن لها ما تكن من العداوة والشحناء ؟ .

وما صورة مجتمع تتعدد فيه هذه الفظائع الدامية ، دون أن يستطيع رجاله حلا لما يوثق أعناقهم من الاغلال ، ولو فعلوا ذلك لانقذوا الآلاف المؤلفة من الازواج .

ولساعدوا على طهارة النسل ، ورفعوا كثيرا من قذارات المضاجع ، حين يبتعدون بنفر من الاشتياء عن مهاوى الاباحية البائسة » (٢) ، ولعل فى هذا القدر من البيان ما يكشف عن سمو التشريع الاسلامى ، ويدفع عنه ما يريد به خصومه أن ينالوا منه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

د. عبد الله مبروك النجار

---

(١) راجع : مقال الدكتور محمد رجب البيومى ـ مبدأ اسلامى يدعو اليه شاعر انجليزى ـ المنشور بمجلة الازهر ـ عدد رجب سنة ١٤٠٥ هـ ـ ص ١١٤٠ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ـ ص ١١٤١ ، وقد صدر فى ايطاليا وهى معقل الكاثوليكية ومقر البابوية فى اول ديسمبر ١٩٧٠ قانون باباحة الطلاق ـ دكتور على عبد الواحد ـ المرجع السابق ص ١٠٦ وهامش ١٠٨ ص ١٠٧ .

زرين تاج



Venus البابيين والبهائيين

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

امرأة (١) غنية من « قزوين » بايران كانت تعد من اقوى دعائم البابية ،وأجل زعمائها قدرا بعد « الباب » ميرزا على محمد ابن ميرزا رضا البزاز الشيرازى مؤسس هذه الدعوة ، والقائل بنسخ القرآن واحكامه ، وانه « المهدى المنتظر » القائم من آل محمد ـ ﷺ ـ .

ويقال انها كانت تسمى « أم سلمة » ، والصحيح أن اسمها « زرين (١) تاج » ومعناه بالعربية : « ذات التاج الذهبى » .

---

(١) اعتمدنا فى هذا البحث على المصادر التالية :

(أ ، ب) تاريخ ومبادىء البهائية من محادثات عبد البهاء فى لندن وباريس وأمريكا ، ويقع فى جزأين ، مترجم من الانجليزية رمز مترجمه لنفسه بالحرفين (ع ، ج) ، وطبعتها مطبعة رعمسيس بالفجالة ، ولم تذكر سنة الطبع ، لكن يقول مترجمه ص ٦ من الجزء الثانى : « وكان دولة البرنس محمد على فى أمريكا اذ ذاك » والأمير المشار اليه هو ولى عهد الملك فاروق فيما بعد . ولعل العبارة تقرب تاريخ الطبع ، والكاتب بهائى متعصب ، أثار فى الجزء الاول ثمانية مبادىء للبهائية ، وذكر فى الثانى شيئا من تاريخها وتاريخ قرة العين فينوس البهائية والبابية .

(ج) « مفتاح باب الابواب » لمؤلفه د. ميرزا محمد مهدى خان ، والكاتب يكاد يعاصر الاحداث الاولى للباب واشترك والده وجده لوالده فى محاكمة الباب ، ود. ميرزا محمد هذا هو الذى زود الامام محمد عبده بالكثير من وثائق البابية ، ومؤلفه هذا مختصر لمؤلف اكبر منه هو « باب الابواب » ويعتبر هذا المصدر مرجعا لما فى هذا الموضوع اعتمده معظم الكتاب عن تاريخ البابية داخل ايران ــ طبعة أولى مطبعة مجلة المنار سنة ١٣٢١ هجرية .

(د) « الحراب فى صدر البهاء والباب لمؤلفه الاستاذ محمد فاضل ، وهو معاصر للمؤلف السابق ، ويعتمد عليه فى بعض فصوله ، ويمتاز ببيان مناحى الشطط والخروج فى هذه العقيدة الفاسدة عن طريق بيان اصل العقيدة الاسلامية كتابا وسنة ، والطبعة الاولى من هذا الكتاب هى التى اعتمدنا عليها ــ طبع دار التقدم بمصر عام ١٣٢٦ .

◉ رزين تاج قينوس

وكان البابيون أول الأمر يلقبونها « ببدر الدجى وشمس الضحى » ، ثم بعد ذلك لقبها « الباب » (بقرة العين) فعلق بها هذا اللقب

وتتفق المراجع على أنها كانت ذات حسن باهر ، وجمال ساحر ، طلقة اللسان ، وضيحة البيان ، شاعرة ، وخطيبة ، ومحدثة ، حافظة للقرآن ، عالمة بالتفسير والتأويل عارفة بأسرار التنزيل ، فانها كانت من أسرة اشتهرت بالعلم والتقوى : أبوها « الملاصالح القزويني ، كان من أجل فقهاء عصره في ايران وعمها « الملا محمد تقي » الملقب (بالشهيد) كان مجتهدا وعلما في الاصول والفقه والالهيات ويعتقد أهل قزوين فيه الولاية ، ويتحدثون بكراماته أما زوجها فهو ابن ذلك العم وكان بدوره معدودا من زمرة الادباء والفضلاء والفقهاء .

وكان الأحرى بها وقد اجتمعت فيها صفات الجمال والكمال ، أن تركن الى علمها وتعمل به الا أن طبيعتها الملتوية ونزوعها الشرير شاءا لها أن تتأثر بما سمعت من أخبار الباب ، وبما قرأته من أقواله فمالت اليه بكل جوارحها ، وكانت تكاتبه ويكاتبها ، فلما أمرها بتبليغ دعوته ، هبت لذلك ساعية مهتمة ، تعقد الندوات ، وتخطب الناس في الخلوات ، وتناظر العلماء وتمهد الطرق لاظهار أمر (الباب).

« ولما كانت تنادي بوجوب رفع الحجاب ، وترى ترويج تسعة رجال من امرأة واحدة من وسائل الاستحباب ، غضب منها الأهل ، وذوو العلم والفضل ، وكلما بذلوا النصح لها ازدادت صلفا واصرارا على السير في غيها يغريها بذلك التفاف عدد غير قليل من الناس حولها كان يجذبهم اليها حسن عارضتها ، وقوة معارضتها .

فلما زاد الاقبال عليها ورأت الاذعان لأقوالها أتت بما تمجه النفوس ، فخرجت على عصمة بعلها بغير فسخ عقد ولا طلاق ، وحكمت بوجوب قتل الزوج والأب والعم والفقهاء والعلماء الذين يردون أقوالها ، ويستنكرون أفعالها حتى يخلو لها الجو من المعارضين وتخلص طريق دعوتها من العقبات »[1].

وقام مريدوها بتنفيذ الامر ، فتمكنوا من عمها وبعض الفقهاء والمصلين وقت صلاة الفجر فقتلوهم ونجا الزوج والأب .

ازاء ذلك لم ير المسلمون بدا من القضاء عليها والخلاص منها فجدوا في طلبها الا أنها استطاعت الهرب بأن سلكت السبل المتروكة ، والطرق غير المسلوكة ، واتجهت واتباعها الى « خراسان » وعند قرية « بدشت » التقت « بالملا محمد على البار فروش » وكتيبة من (البابيين) كانوا قادمين من « خراسان » فالتقيا عصا ترحالهما في تلك القرية وبقيا بها أياما تكررت فيها خلوتها بالبار فروش المشار اليه ، ويتدبران امرهما في نصرة « الباب » بعد أن قررت الحكومة نقله من « أصفهان » الى أحد القلاع الحصينة بأذربيجان المسماة

---

(١) الحراب ص ١٩٢ .

« قلعه جهريق » حتى تمنع الاتصال بـــه ، وتقطع عليه سبل الهرب .

وانتهت مداولتهمــا الى اتفاق « قـــرة العين » في الناس لضم أتباع يمكن بواسطتهم الضغط على الحكومة والتأثير في قرارها وكان أن أرسلا مناديا ينادى : أن هلموا أيها الناس الى رسول المهدى المنتظر . فتدافعت الحشود الى المجمع الكبير الذى أعدوه لهذا الغرض ومن فوق المنبر المهيب الذى يتوسطه وقفت قرة العين سافرة لتقول للناس :

« أيها » الأحباب (تقصد البابيين) والأغيار (تقصد غير المؤمنين بالبابية) اسمعوا وعــوا ان أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت بظهور « الباب » وان أحكام الشريعة الجديدة لـــم تصل الينا بعد ، فكل عمل الآن بما جاء بـــــه محمد هو لغو باطل لايأتيه الا غر جاهل . ان الباب سيفتح البلاد ويوحد الأديان ، فـــــلا يبقى الا دينه القويم ، وصراطـــه المستقيم ، وشرعه الذى لم يبلغنا منه الا النزر اليسير ، فلا أمـــر اليـــوم ولا تكليف ، ولا نهى ولا تصنيف ، فنحن الآن في زمن الفترة فاخرجوا من الوحدة الى الكثرة .

ومزقوا هذا الحجـــاب الـــذى بينكم وبين النساء ، وأخرجوهن من الخلوة الى الجلـــوة وواصلوهن بعد تلك الجفـــوة ، فمـــاهن الا رياحين خلقن للشم ، وتصاوير جعلـــن للثم والضم ، ولابد من قطف الريحانة وشمها ، ولثم صورة الحبيب وضمها ، دون أن يحدد عدد الشامّ ، أو يكيف كم اللاثم والضـــامّ ، فالريحانة تجنى وتقطف ، وصـــورة الحبيب تهدى وتتحف (١) .

أما المال فمشـــاع غير مقسوم ، جعل للناس ســواء بسواء فســـاووا في ذلك بـــين فقيركم وغنيكم ، ولا ترددوا من يطلب التمتع بحلائلكم أو بناتكم فلا حد اليوم ولا زجـــر ، وخذوا حظكم من هذه الحيـــاة ، فـــلا شيء بعـــد الممات »(٢) .

ولما كانت قد نطقت فحشا ، وقالت نكرا ، سخط عليها المسلمون وانفضوا مـــن حولها ، بينما البابيون يمسحون وجـــوههم بأذيالها ، ويقبلون بأفواههم أرجلها ومواطىء أقدامها .

فلما رأت اعراض الناس عنها قررت مغادرة هذه القرية الى « مازندران » لأنها معقـــل « للشيخية » من الشيعة ومذهبهم قريب مما تنادى به وسارت في صحبة (البار فروش) وفي هودج واحد معه ، فلما وصلا الى قريـــة قرية من أعمالها بالقرب مـــن «هزارجريبه» وحطوا فيها رحالهم ، اذا بأهل القرية وقـــد سمعوا بماهم عليه ، يقومون عليهم قومة رجل واحد ، يعملون فيهم ســـيوفهم ، ويسلبونهم

(١) انظر لـــ : محمد فاضل ـــ الحـــراب في صدر البهاء والباب ص ١٩٤ مطبعة التقـــدم ١٣٢٩ هـــ ـــ ١٩١١ م ـــ والمفتاح ص (١٨٠) وعزا د. ميرزا محمد مهدى هذا النص الى كتـــاب « ناسخ التواريخ » . انظر ص ١٧٩ .

(٢) يلاحظ أن هذا النص الاباحى تلاعبت به نصوص البهائية لكنها لم تستطـــع أن تخفى معناه فقد جاء في « تاريخ بهاء الله » اشـــارة صريحة الى هذه الخطبة ص ٢١ قال : « ثم بعـــد ذلك صاحت قرة العين وخلعت برقعها وقالت : إن الصور الذى تنتظرونه في اليوم الآخر هو أنا . والصافور الذى تسمعونه هو أنا . أنفـــخ الآن في الصور . فالعوائد القديمة قد مضـــت وانتهت ... الخ .

زرين تاج فينوس

أموالهم وامتعتهم ولم يتركوهم الا حفاة عراة فاستبد بهم الذعر وتشتت جمعهم فولى البار فروش هاربا الى بلدته « بار فروش » بينما واصلت « قرة العين » مسيرتها الى « مازندران » تنتقل من قرية الى أخرى ، تبشر الناس بظهور المهدى وتستقطب المزيد من الأتباع ، تقويت عصبيتها ، وصار لها جيش من عوام الناس شديد البأس ، مرهوب الجانب ، عاثت به في الأرض فسادا ، وملأت به قلوب الناس رعبا .

وقد ساعدها على ذلك اختلال نظام الملك بسبب ثورة الأفغان للخروج من سيطرة الدولة الفارسية ، ومرض « الشاه » ، وعدم انقياد الوزراء من ولاه ادارة المملكة وانقسامهم الى حزبين : أحدهما يعمل لحساب الانجليز والآخر لحساب الروس ، كما أن البابيين أشعلوا الثورات في أماكن عدة في وقت واحد ليزيدوا من ارباك الحكومة ، وزعزعة أركان السلطنة ، وضياع رونقها الاسلامى .

غير أن الامور لم تستمر على هذه الحال طويلا ، اذ توفى « الشاه » وخلفه أكبر أبنائه « ناصر الدين شاه » فأخذ على عاتقه قطع دابر البابيين واستئصال شأفتهم لكى يعود النظام ويستتب الأمن وتستقر الامور في المملكة .

ولكى يثبت لقواده اصراره على هذا الامر وعدم السماح بأى تهاون فيه قدم بعضهم ممن تربطه بهم صلة القرابة الشديدة الى المحاكمة في « ديوان الحرب » لتخاذلهم أمام « الملاحسين الخراسانى » الملقب بـ « باب الباب » .

فكان أن عادت الحمية الى القواد ، ودبت الغيرة في الجنود فأخذ الجميع على أنفسهم الا يسمعوه الا الفوز والنصر ، وقد تحقق له ذلك فبعد عدة مقاومات شديدة ، بدأت رءوسهم تتساقط فقتل « الخراسانى » في احدى غاراته على معسكر للحكومة ، واستسلم « البار فروش » فأرسل الى علماء بلده ليروا ما يتخذ في شأنه فأفتوا بقتله ومن معه من المتشيعين بدينهم الجديد ، فأنفذ فيهم الحكم طلبة العلم ، كما هلك « الزنجانى » فطرح رفاته للضوارى والكواسر ، ونفذ الاعدام رميا بالرصاص في « الباب » وواحد من أتباعه باحدى الثكنات العسكرية الموجودة « بأذربيجان » .

أما قرة العين « فما أن ظهر البهاء » بعد مقتل « الباب » حتى أسرعت فتتلمذت عليه وتنتقل الى مضارب خيامه التي نصبها وأتباعه في ميدان خارج طهران ولما كانت الأوضاع قد هدأت وكان « البهاء » قد خدع أولى الامر بالغا بعض ما سمى بـ « شرائع الباب » لم تتعرض لهم الحكومة في بادىء أمرهم ولكنها في نفس الوقت لم تكن تغفل عن مراقبة تحركاتهم وأعمالهم غير انه حدث أن ادعى البهاء المرض ونقل خيمته الى الساحل وطلب من « قرة العين » الحضور اليه فلما وصلت خيمته أمرها أن تخطب في الناس فقالت : « أنا الصور الذى تنتظرونه ، وأنا الصافور الذى تسمعون . لقد مضت العوائد القديمة (١) وانتهت وظهر الحق ، ثم أمرتهم

(١) أى أحكام الشريعة الاسلامية .

أن يقرأوا سورة القيامة من القرآن (١) .

بعدها قام « البهاء » ينصح الناس بالوفاء له والاستعداد للتضحية من أجله وإذا بالبلد يعود الى حالة الثورة مرة أخرى وتحدث المذابح فتنصح العلماء الحكومة بأن تقبض على « البهاء » و « قرة العين » وانصاعت الحكومة لرأيهم فوضع « البهاء » فى سجن بطهران وحبست « قرة العين » فى منزل والى المدينة . الا أنها انتهزت حفل عرس أقيم فى البيت فحولته الى مجلس للدعوة لمبادئها وأفكارها فأمر « الشاه » بقتلها .

وقد اختلفت الروايات فى الأسلوب الذى تم به تنفيذ حكم الشاه فيها فهناك من يقول بأنها خنقت ثم طرح شلوها على النار بينما يقول آخرون بأنها خنقت وطرحت فى بئر بحديقة المنزل (٣) .

وأيا كان المصير الذى لقيته فإن السؤال الذى يفرض نفسه هنا هو كيف انتهى بها الحال الى هذا المآل ؟

ووجه الفرضية هنا ينبع من أنها كانت حافظة للقرآن ومتمكنة من علومه ، ونصوصه ونحن نعلم أن نصوص الاسلام حاسمة فى تقرير وتأكيد الحقائق التالية :

١ ــ (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران آية ١٩ » .

٢ ــ (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل عمران آية ٨٥) .

٣ ــ « مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » (الاحزاب آية ٤١) .

كما أنها كانت محدثة والحديث قد حذر من ادعاء النبوة وأكد ختم الرسالات بمحمد ﷺ وقد روى أبو داود فى صحيحه أن الرسول ﷺ قال : « سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبى وأنه خاتم الأنبياء ، لا نبى بعدى » .

ومما لا شك فيه أن معرفتها بهذين الركنين فى الاسلام ، أو بأحدهما كان كافيا لأن يعصمها من الزلل الذى وقعت فيه فاذا افترضنا أنها كانت على مذهب أهل « التشيع » فاننا ستواجه معضلة أخرى اذ المعروف عندهم أن « القائم المنتظر من آل محمد » لا يأتى بما يخالف دين جده رسول الله ﷺ وانما سيزيل البدع ويصلح من الدين ما فسد ويرجع بالشريعة الى ما كانت عليه فى عهد صاحب الرسالة كما أنهم يستدلون عليه بأمارات هى :

أن اسمه « محمد » واسم أبيه « الحسن » واسم أمه «نرجس» ومسقط رأسه « سرمن رأى » وقد مر علينا فى بداية المقال أن اسم « الباب » على محمد واسم أبيه رضا البزاز ومسقط رأس « الباب » « شيراز » وفى ذلك كله ما يخالف امارات « القائم » فضلا عن المنكر القائم فى كونه يقرر النسخ فى شريعة المصطفى ، ندخل عليها من البدع ما نعدده فى :

١ ــ جانب العقائد :

١ ــ اذ ادعى « الباب » أنه خالق الحق وأنه

(١) وذلك للتخليط عليهم ، لاسيما وهم عامة فيرون بتلك الخديعة انهم لم يخرجوا على الاسلام وهذا النص مثبت فى تاريخ عبد البهاء ص ٢٦ .

زرين تاج قينوس

« مشخص المولى » وادعى البهاء من بعده انه « مظهر الله فنسب كلاهما لنفسه الألوهية أو حلول الله فيهما — وان اختلفا في وحدة اللاهوت اذ هي عند « الباب » مؤلفه من تسعة عشر أقنوم : الباب (الرئيس) ودعاته الثمانية عشر الملقبون (بأصحاب حى) في حين نجدها عند « البهاء » مؤلفة من ثلاثة أقانيم البهاء (الرئيس) ، وابنه (غصن الله) ، والباب .

ويزعم « البهاء » أنهم المعبر عنهم في الانجيل (بالأب والابن والروح القدس) وفي القرآن في (بسم الله الرحمن الرحيم) .

٢ — أما عن الرسل فهم يقولون بأن لكل نبى دورة زمنية ويرتبون على ذلك استمرار النبوة بعد سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه وفي هذا انكار صريح لنص القرآن كذلك يقولون بنبوة « زرادشت » و « بوذا » (١) ويدعى الباب علو منزلته على رسولنا محمد اذ يقول « أول من آمن بى نور محمد وعلى » .

٣ — وعن البعث والثواب والعقاب يقولون :

ان — جميعا — للارواح دون الابدان ، فتلتذ النفوس الطيبة بأخلاقها ومعلوماتها ، وتتألم النفوس الخبيثة بملكاتها الرديئة وجهالاتها الى أن تزول هذه الملكات عنها فتعود الى عالم الاجسام مرة ثانية (١) .

ب — جانب العبادات

وهذه أيضا لم تسلم من عبثهم على نحو ما نرى في :

١ — **الصلاة** : وقصرت على ثلاث : صلاة الصبح (ركعتان) .

وصلاة (الوضع) ويصليها الابوان حين نزول الجنين (٢) وهى ذات خمس تكبيرات يتلى فيها من أقواله (٣):(انا بكل موقنون) (١٩) (٤) مرة في التكبيرة الأولى ثم (انا بكل مؤمنون) (١٩) مرة في التكبيرة الثانية واقوال أخرى على هذا المنوال وبنفس العدد في بقية التكبيرات .

أما الصلاة الثالثة فهى صلاة الجنازة وجعلوا لها ست تكبيرات يقول في الأولى(انا كل لله عابدون) وفي الثانية (انا كل له ساجدون)(١٩) مرة .. الخ .

وصلاة الجنازة هي المسموح فيها فقط بأن تؤدى جماعة ولا يشترط في الصلاة عندهم التقيد بوضوء أو طهر من طمث أو جنابة .

٢ — **الصوم** : ومدة شهر الصوم عندهم(١٩) يوما حسب التقويم الذى اخترعوه وحددوا فيه

---

(١) انظر سفر « ول ديورانت » قصة الحضارة فيما كتبه عن الهند فصل بوذا حيث قرر أن « بوذا » ملحد جعله اتباعه الها ، وهذه الفلسفة قمة التناقض عند البوذيين ، وهو نفس ما وقع فيه البهائيون .   « مجلة الازهر »

(١) ويبدو في هذا الفكر تناقض غريب ، اذ جعل النفوس الطيبة غير الخبيثة ، فالخبيثة فقط تعود الى عالم الاجسام — أى عن طريق التناسخ ، وفي الايمان بالتناسخ ايمان مباشر بعدم عدل الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

« مجلة الازهر »

(٢) ، والمرأة نفساء عليها دم النفاس .
(٣) البهاء ، او الباب .
(٤) يلاحظ ان رقم (١٩) يلعب دورا في كثيرا من الافكار المنحرفة التى لاتزال تؤدى دورها لدى كثير من الكاتبين في ايامنا هذه .

« مجلة الازهر »

لكل شهر ألا يزيد عن هذه الايام وجعلوه يقع في الاعتدال الربيعي فاذا انتهت أيامه يليها ــ عندهم (عيد الفطر) الذي سموه : بعيد رضوان واختاروا له هذا التوقيت ليقع عيد فطرهم مع (عيد النيروز) .

وحد الصوم من شروق الشمس الى غروبها وجعل قبل الدخول في شهر الصوم خمس أيام سميت (الخمسة المباحة) خصصت لاشباع الشهوات والملذات .

٣ ــ الزكاة وجعلوها (٥٠٠) دينار على كل مثقال من الذهب ، و (٥٠) على كل مثقال من الفضة متى مر الحول على النصاب الذي قدروه بـ (٥٤١) مثقالا أو يماثله من الفضة أما المهم فيها فهو وجوب حملها الى « الباب والبهاء » في حياتهما ثم الى باقي الزعماء بعد هلاكها (١) .

٤ ــ الحج : وجعل الى « شيراز » موطن « الباب » وهو فرض على الرجال دون النساء باستثناء نسوة « شيراز » اذ هو محتم عليهن أما كعبتهم فهي (عكا) وتفسد الصلاة بالانحراف عنها .

(د) جانب العلاقات والمعاملات :

وقد امتدت أيديهم اليه لتلمس نواحي عدة فيه بالتبديل على نحو يخالف الشريعة الاسلامية مثل :

١ ــ الزواج : جعلوه رهنا برضى الزوجين دون ولى أمر أو وكيل وقصروا العقد على اثنين فقط .

٢ ــ الطلاق : ويكون بهجر الزوجة (سنة) فان لم يندم الزوج على فراقها طوال هذه المدة يطلقها ولا تحل له مطلقا اذا أوقع عليها ١٩ طلقة .

٣ ــ القصاص : وقد حرموه واقتصر على دفع « دية » أو غرامة مالية مقدارها ١٠,٠٠٠ مثقال ذهب بالاضافة الى عدم مباشرة القاتل لزوجته مدة تسعة عشر عاما .

٤ ــ عقوبة الزنا : وجعلوها « دية » تسلم الى « بيت العدل » مقدارها تسعة مثاقيل من الذهب تضاعف في المرة الثانية .

فاذا كانت عقائد الشيعة في « المهدى المنتظر » ــ كما قدمت ــ تبين أن المهدى لن ينسخ شريعة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانما يزيل عنها البدع ، ويعود بها الى نقائها الأول ، ولديها ما تقدمه من دليل على ذلك ، فان الأمر يصبح أكثر صعوبة في تعليل انقياد قرة العين للباب أو للبهاء بخاصة ، وانها على علم بالشريعة ، فلابد ــ اذا ــ من البحث عن سبب آخر يكون أكثر اقناعا لانحرافها ويكون ملائما لما عرفنا من أوصافها .

وهنا تحضرنا عبارة وردت عرضا في أحد مصادرنا المذكورة مؤداها أنها مصابة « بالسوداء » قال صاحب الحراب ص ١٩١ : « قرة العين فتاة فتانة مصابة بالسوداء ، ذات

---

(١) هنا نلاحظ اتحاد « الباطنية » في هذا الامر لطائفة الاسماعيلية اختطت وزن زعيمها ذهبا أو « بلاتين » .. ثم اهداء (الزنة) كتهبة له .

زرين تاج فينوس

حسن باهر وجمال ساحر ، تسمى « زرين تاج » .. الخ .

وهذه العبارة على قدر كبير من الأهمية ، فقد كان النهم الجنسى يشيع فى أسلوب « زرين » حديثا وحياة بعد خروجها السافر على دينها ، وتقلبها مع بعض رجال هذه الدعوة بما يؤكد عمق رغباتها الجنسية الى غور فى نفسها بعيد .

ولما كان الباب فى بداية دعوته قد نادى بنسخ الشريعة وتعطيل الحدود ، والغى الأمر والنهى والتكليف بقصد استهواء ذوى النفوس المريضة والأهواء الوضيعة بحجة انهم فى زمن الفترة الانتقالية حيث لم تصل شريعته الى تمامها بعد ، يكون سر اقبالها على دعوته قد صار واضحا ، فهو قد فتح لها الباب على مصراعيه لتنطلق مدفوعة بشهواتها ، ملبية نداء جسدها فى المتعة الحرام ، دون خوف أو وجل ، كاشفة عن مكنون رغباتها بدون حياء أو خجل ، لذا رأيناها فى خطبها تهاجم تقاليد الاسلام وتلح فى الاختلاط والسفور وتوحى لغيرها بالفسق والفجور وبأن « لا يردوا من يريد التمتع بحلائلهم أو بناتهم » وتجيز ترويج تسعة رجال من امرأة واحدة فيكون الأمر شيوعية جنسية .

ولم يكن البهاء « أقل تحمسا من صاحبه فالآخر الغى الحجاب ومنع النقاب وأحل زواج المتعة .

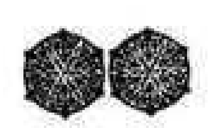
ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا : أن كلا من « الباب » و « البهاء » كانا على علم بدائها ، وكلاهما حاول استغلال امكانياتها فى التأثير على الغير ، بسبب جمالها وفصاحتها فى مقابل اعفائها من عبء « الشعور بالذنب » ويؤكد ذلك اسناد أمر الاقناع بدعوتهم والدفاع عنها اليها فهى دائما كما يلاحظ التى تناظر وتعظ وتخطب .

النقطة الأخيرة : التى نريد أن نبرزها هنا هو أن أصحاب الاتجاهات المضادة للاسلام وشريعته ـ كما يتبين لنا من عرضنا لسيرة « قرة العين » ـ هما أحد اثنين » .

(أ) شخصية غير سوية أو على أقل تقدير تستهويها الاهواء والأغراض .

(ب) شخصية جاهلة تعتقد أنها بتكوين (خلطة) من الأديان يمكن أن تصمد امام الاسلام .. أو تتغلب عليه .. ولكن الله بالغ أمره .. والنصر لدينه .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف



من أعلام الأزهر

عبد الحميد ربيع

محمد أحمد هاشم

عبد الحميد ربيع

١٩١٦/٢/١٧ - ١٩٧٨/٧/٢٧

نجلته أسرة « كريمة طيبة الأعراق » ، باحدى قرى اقليم بنى سويف ، وهى قرية « قمبيش الحمراء » الواقعة على ضفاف النيل ، فى منطقة تزخر باروع مرائى الحسن فى الوجود ، صورها الشاعر أبدع تصوير ، فى قوله :

شهدت نعيم طفولتى وهنائى
بلد (١) ، مزجت وفاءها بدمائى
ملكت فؤادى ، فهى فى حياته
وسرت حميا الحب فى أحشائى
وأنا الطروب بها ، فما من لمحة
الا وأذكر عهدها · بثناء
ياطيب ذكرك حين رن بمسمعى
صوت يشيد بـ «قمبيش الحمراء»

ونستشف من البيتين : الثالث والرابع ، أنه أمضى بقريته تلك طفولة سعيدة ، رتع خلالها بين أفاويق بها الفراشات والزهور ، وأفراح الربيع ومروجه وعرائسه ، المتمثلة فى الخضرة والنضرة ، والأدواح والأطيار ، التى يفيض بذكرها شعره ، يشقشق بينها منتشيا طروبا ، حين تشجيه بالغناء ، فيتجاوب معها بالشدو والغناء ·· ثم نرى الشاعر يسترسل فى مناجاة قريته ومسقط رأسه ، متمنيا أن يراها فى جمال وروعة مدينة (الزهراء) الأندلسية ، لتوافقها معها فى كونها ، مثلها ، درة من درر الطبيعة الفينانة ، يقول :

وأنا الذى لهواك أستبق الخطا
ليراك وادى النيل ·· كالزهراء
فهناك ، فى شط الجداول ، صبية
هم فى صفاء نفوسهم ·· كالماء
تخذوا مروجك ، فى العراء ، ملاعبا
ان المروج ملاعب النجباء

ثم ينطلق مترنما بقصيدته « نشوة الروح » :

أسقنى بين الروابى
فتنة الحسن المذاب

---

(١) جاء فى لسان العرب فصل الباء واللام : قال سيبويه : هذه الدار نعمت البلد فانث حيث كان الدار والشاعر هنا يطلق لفظ (البلد) ويريد : « قمبيش الحمراء » ·

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ



وارو سمعي بالرباب
تلقني بين التصابي
تفتدى في يدى
كل آمال الشباب

ثم يصف نشوته ازاء النيل الخالد ، الذى يمخر عبر الزهور ، بقوله :

من رحيق النيل اروى
ولزهر النيل اهوى
تفتدى روحى نشوى
حينما اسمع نجوى
من خرير في الغدير
هامسا ٠٠ بين الروابى

وكيف لا ؟ وهو الشاعر (الرومانسى) الحالم ،الذى يصور لنا أحاسيسه ومشاعره بعفوية آسرة ، حين يقول :

جنة الحب لقلبى
فوق شط النيل تسبى
أنا فيها لحن صب
ينشد الأيام حبى
والنداء بالوفاء
نشوتى بين الروابى

وحتى حينما يستفيق من سبات أحلامه الوردية ، على لأواء الحياة وبأسائها ، تراه لا يرتمى في أحضان الألم متجرعا غصصه ، وانما ينتفض قائلا بإباء (١) :

انا ساودع الالما
انا ساحيله نغما
واحيا بين آمالى
سعيد الروح مبتسما

ثم يبلغ تفاؤله والتذاذه بالحياة أقصى مداه ، حين يقول (٢) :

ان رايت الفجر بساما
فهذا الفجر ٠٠ فجرى
او رايت الزهور رغافا
فهذا الزهر ٠٠ زهرى

(١) بقصيدة : « تخفر وامل » ٠

(٢) بقصيدة « همسات » ٠

أو رأيت النسّم يسرى
عاطرا .. فالعطر عطرى
أو سمعت اللحن خفاقا
فمن أنغام سحرى

***

ورحلة عمر الشاعر ، التى أتيح لنا أن نقف على جل مراحلها تنبئنا أن الشاعر تعلم فى كتاب القرية ، وأتم حفظ القرآن الكريم فى سن العاشرة ، فتأدب فى ريعان طفولته بآدابه ، ثم أمضى فترة تعليمه بالمدرسة الأولية ، والتحق عقب ذلك بالمعهد الدينى بالقاهرة ، وفى تلك الأثناء انكب على قراءة دواوين فحول الشعراء الأقدمين ، كابن الرومى والشريف الرضى والمتنبى ومهيار الديلمى والمعرى والبحترى وأبى العتاهية وصفى الدين الحلى وغيرهم .

وقد أتاح له ذلك أن يترنم ببواكير شعره فى ريق عمره ، فشدا الشعر فى حداثته ، واستكمل أداته اللغوية بعد التحاقه بالأزهر الشريف ، وتخرجه فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٢ ؛ واستيعابه لكثير من أشعار عمر بن أبى ربيعة ، وجميل بثينة ، وعباس بن الأحنف ،وابن المعتز ومسلم بن الوليد وغيرهم .

هذا فضلا عن شغفه بالأدب الأندلسى ومطالعته لآثار أعلامه ، كابن زيدون وابن خفاجة الأندلسى وغيرهما ، وكان لذلك أثره فى اتجاه الشاعر الى اللون الغنائى فى كثير من نتاجه الشعرى ، الذى ملأ به الاذاعات المختلفه فى مصر والمملكة العربية السعودية وصوت الهند ، كما يذكر ذلك صديقنا الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة . فى نبذته عن الشاعر بكتابه « الشعر والتجديد » (١) .

ثم حصل على شهادة العالمية مع اجازة التدريس سنة ١٩٤٤ ، وعمل مدرسا منذ التخرج ، ثم مديرا بالمدارس الثانوية بالقاهرة ، ثم موجها أول للغة العربية . والتحق بمعهد الدراسات العليا وكان ترتيبه أول دبلوم هذا المعهد بدرجة امتياز سنة ١٩٥٣ .

وقدم بحثين أدبيين :

أحدهما : عن (الشاعر البائس عبد الحميد الديب ، شاعر الحرمان) .

والآخر : عن (المرأة فى العصر العباسى) ، ونال فيهما درجة الامتياز سنة ١٩٥٤ ، كما حصل على دبلوم معهد البحوث والدراسات العالية من الجامعة العربية - قسم اللغويات والنقد ، سنة ١٩٦٤ .

وكان عضوا عاملا فى جمعية المؤلفين والناشرين بباريس ، اعتبارا من عام ١٩٥٦ ،

(١) ص ٤١١ .

كما عمل سكرتيرا نشطا لرابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، التى يقول عنها :

« كنا نلتقى مساء كل ثلاثاء ، فنصل الليل جنانا وأمانا ، وننثر فيه نجوما من أدبنا : بين القصيدة ، التى يتحرك فى داخلها خفق الوجود آمالا ونضالا ، وبين القصة التى ينبض معها قطاع من حياتنا ، بتطلعاتنا وتوقعاتنا .. » .

الى أن يقول :

« ومن محاضرة تنساب فيها عذوبة الأسلوب ، الذى يحتوى أفكار الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتى دقة وعمقا ، وتكاد تلمس فيه الكلمات الوادعة وهى تقدم اليك القضايا الأدبية ، فى تواضع وحياء ..

ومن بحث يقوم به الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة ، فتحس أنك أمام مكتبة كاملة من المراجع والموسوعات ، التى تمتد بك وتمتد ، فى فكر العالم الذى يحرص على أن يعطيك كل شىء ، فى موضوع لطيف طريف .. » (١) .

وحينما التحق بالعمل بالمملكة العربية السعودية ، مارس نشاطه الأدبى أثناء عضويته فى نادى (المدينة المنورة) الأدبى .. ولم يتح لشاعر نشر نتاجه الأدبى كله فى ديوان يلم شعثه ، واقتصر الأمر على نشر مجموعة من شعره الذى نظمه أثناء اقامته واشتغاله بالتدريس بالسعودية ، بين دفتى ديوان أنيق ، يحمل عنوان : (الفيصليات) .

ويستوقفنا بهذا الديوان حديث الشاعر الهام فى تقديم الديوان ، لأنه يوضح فيه اتجاهه الفنى ، ومذهبه الشعرى ، بقوله :

« أنا لا أقول الشعر ، وانما الشعر هو الذى يقولنى .. ويفرض نفسه على : واقعا حيا ، وأحداثا نابضة ، ووجودا محسوسا ملموسا » (٢) .

ثم يصف عملية الابداع الشعرى أدق ديوان يلم شعثه ، واقتصر الأمر على نشر وصف فيرى أن التجربة الشعورية حينما تتكامل وتتحرك أجزاؤها فى انفعالات متتابعة وأحداث متداخلة متناضلة فى داخل الوجدان ، ثم منصهرة متبلرة فى وقدة العاطفة ، ثم متكاملة فى خلقها وصدقها .. عند ذلك تؤذن بمولدها ، وتفرض وجودها عملا فنيا متألقا مشرقا ، يتآلف فى النغم ، ويتعاطف فى الكلم .. حتى يصير لوحات شعورية ، ومواقف وجدانية ، تدعو عينيك وعاطفتك ، وفكرك .. للقاء معها ، تأثرا وانفعالا ، وانطلاقا مع النغم : فرحا وألما ..

ونتاج هذا الديوان يشتمل على عدد وافر من القصائد التى جادت بها قريحته ، بعد التقائه بالعاهل السعودى الكبير الراحل ،

(١) انظر مقدمة ديوانه (الفيصليات) ص ٢٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٩ .

الملك فيصل رحمه الله ، أثناء عمل الشاعر بمعهد علمي بمدينة الطائف ..

وتجددت لقاءات الشاعر مع العاهل السعودي وتعددت ، وكان منها لقاء على العمل والبناء ، في مشروع تجميل مدينة الطائف ، مصيف الحجاز ومتنزهه ، التي قال فيها الشاعر :

تشتو بمكة نعمة
ومصيفها بالطائف

وهكذا نجد الشاعر يشارك مشاركة حميمة فعالة ، في بيئته الجديدة ، أثناء العمل بالسعودية ، فلم يكن مجرد مبعوث أو وافد يؤدي عمله في التدريس ، الذي يؤجر عليه فحسب ، بل كان عاملا مؤثرا ، غائصا في مجتمعه الجديد مختلطا بشتى فئاته ، ومشاركا في أوجه نشاطه المختلفة .. باعتبار أن كل ديار العروبة داره ومناط رجائه ، لا فرق عنده بين الطائف والاسكندرية ، لأن دم العروبة الخالص يسري في عروقه نقيا خالصا ، كما يقول باحدى قصائده :

وأينما سرت بين الشرق ، لي وطن
فلن تضم بلاد العرب اغرابا
وأننا ــ العرب ــ في الدنيا ذوو رحم
الشرق جمعنا اهلا واحبابا

ويحرك شاعرية شاعرنا هواء القديم المقيم بالريف وأهله ، وروعة مناظره .. حينما قام برحلة الى جبل « الهدى » الذي ترتفع قمته عن سطح البحر بما يقرب من تسعة آلاف قدم ، وتلقاك المناظر الخلابة الجذابة وأنت تنظر الى الكون من عل عالمياه تنطلق من النبع صافية متألقة ، ثم تنحدر على الصخور متكسرة عامة ، والزهور على جانبيها تدعو عينيك أن تقوما برحلة بين مباهجها ومسارحها .

ويترجم شاعرنا كل ذلك عن الطبيعة بأبيات رقيقة ، غناها المنشدون في الاذاعة السعودية ، واختار لها عنوان (روابي الهدى) ، وفيها يقول :

دعونا الصفاء .. فلبى الندا
وسار بنا .. لروابي الهدى (١)
وجاء لنا بشهي الحديث
ترقرقه ضحكات الندى
وتنقله خفقات الخرير
الى أذنينا .. حبيب الصدى
عيون على الزهر تهفو لنا
بأفراحها .. مسبلات الردا (٢)
كأن بها خفرات العذارى
اذا مد خاطبهن اليدا

ويشف شاعرنا ويرق ، حينما ينطلق مأخوذا بين مشاهد الكون الناضرة المتألقة بين أحضان الطبيعة ، حينما يقف في حضرة

(١) الهدى ــ بفتح الهاء .

(٢) الردا مقصور الرداء ..

(الورود) . (١) ويناجيها بتدله صادق عميق . وكأنه كان يصغي ، أثناء تأملاته ، الى حديثها الفاغم الناعم :

مر في خاطرى حديث الورود
حين مالت بغصنها الأملود
يتبسمن في الخميل نشاوى
ويشاركن صدحة التغريد
ويداعبن بالحنان فؤادا
رقرق اللحن بين زهر وعود
قائلات – في كل نفحة عطر –
انني صفت للأحبة عيدى
ونشرت الجمال في كل قلب
يعشق الصفو في رحاب الوجود
وعشقت الانسان يقطر عطفا
في لقاء مع الاخاء السعيد

***

وشاعرنا ، قبل هذا وبعد هذا داعية كبير للوحدة العربية لاينى يدعو لتثبيت دعائمها . بقوله :

لغة المشاعر وحدت احساسنا
ألما وآلاما غدت ايثارا
واذا توحدت المشاعر لم تجد
حدا يمزق شملها أتطارا
ان الذى خلق الروابط في الورى
قد شاءها في شعبنا امرارا
فاذا الوداد بأفقنا متألق
يجرى الصفاء بروحنا انهارا
لا تعرف الاظلام بين قلوبنا
والله فجر بينها الانوار

ثم يذكر المتخاذلين بماضيهم المجيد ، فيقول :

أرض العروبة ما أقرت غاصبا
يوما ، وكم سحقت بها استعمارا
لا عذر للوانين عن انقاذها
ان المعارك ترفض الأعذار
حتى يعود الى العروبة فجرها
فتعز بين العالمين ديارا

***

وحينما يستقر بشاعرنا المقام بين ظهرانى رفقته الجديدة بالسعودية ويأتى عليه شهر الصيام ، وحيدا مغتربا ، نراه يتذكر أصدقاءه بندوة رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، وتنهمر عبراته في ثنايا قوله :

رمضان جئت وقد ودعت أحبابا
لكن لى فيك اخوانا واصحابا
ودعت في مصر أرواحا مرفرفة
مثل الملائك صفوا ٠٠ انسه طابا

(١) يقول الاستاذ / سيد محمد ابراهيم بالمصدر السابق : « كما اشتهرت الطائف بنوع خاص من الورد . يقتطف في زمن الربيع ، ويقطره البعض ، ويخرجون منه عطرا زكى الرائحة . نادر الوجود » ، ص ١٢٠ .

الا أنه سرعان ما يتأقلم وينسجم مع المجتمع الجديد ، ويكون فيه صداقات جديدة يعتز بها كل الاعتزاز ، ويصف اندماجه هذا ، بقوله :

فلست تبصرنا الا ذوى مرح
يشع بين حنايا القلب منسابا
من نكتة كصفاء الماء نسمعها
فتبصر الهم ، بين الصدر ، قد ذابا
ومن دعابة خل فى براعتها
تحرك الضحك فى الأفواه صخابا !

الى أن يقول :

ونملأ الليل بالأسمار نطلقها
فتبصر الليل بالأسمار جوابا

ثم يلتفت مرة أخرى الى (رمضان) ليقول متأسيا :

أقولها الآن فى حب وفى طرب
رمضان جئت ، وما ودعت٠٠أحبابا(١)

وكيف لا وقد ظفر شاعرنا فى الطائف بنخبة من الشعراء الأصفياء ، من حفدة شعرائها القدامى : غيلان بن سلمة ، وكنانة ابن عبد ياليل وغيرهم ٠

***

ويضم ديوان (الفيصليات) بين صفحاته مسرحيتين شعريتين ، أولاهما مسرحية تحمل عنوان : « مسرحية الشاعر والسلطان العادل » فى فصل واحد ، يتكون من منظرين ٠ وثانيتهما من فصل واحد أيضا ٠

والمسرحيتان تشيان بتضلع الشاعر وقدرته على ابداع الشعر الدرامى ٠

وقد مثلت المسرحية الأولى ثلاث ليال متتابعة على مسرح المدرسة النموذجية بالطائف ، وكان لها الأثر البعيد ، اذ كان الذين يقومون بالتمثيل هم الأمراء ، وأكثرهم الآن يشغلون المناصب الرئاسية فى المملكة ولعل بعض مشاهدها تطوف بالأذهان والوجدان ، كما يقول الشاعر فى تقدمتها ٠

ويدور موضوع المسرحية ، كما يستدل على ذلك من عنوانها ، على ما يتعين أن يتحلى به السلطان من عدالة ورعاية للشعب ، ويبعد عن الدجاجلة والمداحين المتملقين ، حتى ليجعل (السلطان) يجأر باللوم والتثريب بعد استماعه لهراء الثناء المصطنع من المرتزقة ، قائلا :

كذب يجيء به الغداة مهرج
ومع العشية خادع مخلوب

من قال انى للوجود مطل
من قال : انى فى الورى مرهوب ؟

حتى متى أجد الأناة لزيفهم
يا قوم ٠٠ انى بينكم (أيوب) !

---

(١) بضم التاء ٠

ثم يحدثه قومه بمرارة وأسى :

هل فيكمو من ناصح أو مخلص
ياقوم أين الصادق الموهوب ؟
انى اريد فتى يقول صراحة
فأنا ، وأنتم ، والأنام .. عيوب

وحين يظفر السلطان بالناصح المنشود ، فى شخص شاعر فقير ، ولكنه أبى عيوف ، يطرب السلطان العادل غاية الطرب ، ولا يستاء حين يخاطبه الشاعر بصراحة وشجاعة ، قائلا ، بما يصح أن يكون نبراسا لجميع الحكام :

من يتق الرحمن فهو حبيبه
احبب بارضك من احب الله
من عز فى تعليمه ، فاعزه
فالله يعلى عالما بهداه
من كان يعمل للبلاد فقوه
شجعه .. بارك ما بنته يداه
من كان يسعى فى الحياة لرزقه
فامدد له الأسباب كى يلقاه
.. الشعب اجمعه لديك امانة
اطعامه .. إلباسه .. مأواه
والله فى يوم القيامة سائل
راعى الأمانة .. حق ماأداه

ثم يضرب الشاعر الأمثال من أعلام تاريخنا الاسلامى المجيد ، فيقول :

سر فى الطريق مع الليالى واستمع
أنات لهفان أضىء مثواه
فلقد غدا (عمر) الخليفة قدوة
للعدل .. ينشر فى الزمان سناه

فاختر ولاتك فى الرعية مثله
دينا ، واخلاصا سمت عقباه
واجعل لأهل العلم حسن مشورة
فى الحكم ، يظفر بالأمان علاه
هذا الطريق ، فان تسر فى ضوئه
فالعدل والاسعاد بين خطاه

وما يكون من السلطان العادل ، حين سماعه لهذه الأبيات العامرة بالتشريع الحكيم وعلامات الطريق المستقيم ، ما يكون من السلطان الا أن يشد على يد الشاعر مغتبطا ومؤمنا ، وهو يقول لحاشيته :

هذا فقير فى الحياة ، وانه
لهو الغنى بقوة الايمان

ويستجيب السلطان لـ (طلبات) الشاعر ، بقوله :

ساجوس بين ديارهم حتى أرى
دمعا أكفكفه عن الهملان
ساجوب كل ربوعهم فى رحمة
عمرية .. فى العدل والبرهان

ويبلغ العنصر الدرامى ذروته ، حينما حاول (سلام) ـ أحد أفراد الحاشية ـ أن (يرشو) الشاعر ، بقوله (هادسا) :

اسمع كلامى ، لا تعش
بين الورى مقصورا
اصدح ونافق واغتنم
تلق النعيم بحورا

فيقول الشاعر فى ألم عميق :

ما جئت أبغى ستر ما هو عار
عرى الفتى بتفاهة المقدار
كلا ، ولم أنسج غنائى مرة
من ريقى المتحلب المدرار
والشعر ان خطب المكارم والعلا
لم يتخذ لشفاعة الفجار

ثم ينفجر الشاعر قائلا فى وجوه كافة المنافقين الذين حاولوا (شراءه) :

أيها الهاتف انى
للعلا والحق ابنى
سئمت روحى لحنى
وتأبت أن تغنى
حينما روع أذنى
أن أبيع اليوم غنى
وبماذا ؟ أبجاه ؟
ليس هذا الجاه اعنى
اننى أبغيه حرا
ملء ذاتى ، ملء ردنى
وبمال ؟ بالشعرى
انها صفقة غبن
اننى لن ارتضيه
.. قيد احسان ، ومن

ولكن لماذا يسترسل فى سرد ذلك كله ، انه يوضح لنا حقيقة الأمر الذى كان البعض يحاول أن يستدرجه اليه ، بقوله :

اننى ما كنت بوقا
للذى يبغيه منى
اننى أهوى سمائى
نح - اغوارك - عنى

وهنا تتبين لنا بعض ملامح شاعرنا النفسية الشامخة ، التى تنأى عن الصغار ، فيما أجراه على لسان أحد شخوصه ، بهذه المسرحية .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت فى مرادها الأجسام

فهو - وان تأبى على النضار والجاه ، نجده يفئ ويخضع لسلطان الجمال .. حينما يواصل « ثورته » قائلا :

انا صداح ، وقلبى
لم يهم الا بحسن
لست أبغى من غنائى
غير أزهار وغصن
خلنى للنقر حرا
لا تهب لى .. لا يعنى
لا أريد المجد الا
من يمينى .. حين تبنى

ويزيد الأمر ايضاحا ، بقوله :

اننى ثورة حق
قد حطمت اليوم سجنى
فدعوا قلبى طليقا
عند ذا .. أرسل لحنى

ويقول لا بنى البشر الموسوس :

أيها الهاتف بالقيد وبالأموال .. دعنى
اننى أحطم قيثا
رى ، اذا أخلفت ظنى

الا حياك الله أيها الشاعر الأبى الأنوف ، الذى يعتز بفنه اعتزازه بكرامته ، فنحن معك حين تقول بعد ذلك :

ليس للراكع عند البا
ب أن يحظى بإذن
أنملة من دقه في
عنقه .. من راح يجني

ويتوج ذلك كله ، حينما يسمو بنا الى عليين ، الى رواويق الصفاء والنقاء ، في رحاب الدين ، وحمى الايمان الراسخ ، فيقول :

انني جربت ايما
نى .. ويوما .. لم يخنى
فتعالوا في حمى الايما
ن بالله ، وبالفن .. نغنى
حيث يحيا الروح والالها
م في أقدس حصن
ونغنى للوجود الحر
من أرفع ركن

وليت أدباءنا وفنانينا جميعا ، سواء بسواء ، يمعنون النظر في هذه الأبيات ، ليجعلوها دليل عمل وشعار مرشد لهم فيما يبدعون من آداب وفنون ، اذن لسموا بالأذواق والعقول ، الى أشرف الغايات .

واذا رأيت الحق يرفع صوته
فجميع أسماع البلاد قلوب

كما يقول شاعرنا في قصيدة أخرى (١) .

***

وفي مسرحيته الشعرية الأخرى التي انشأها للأطفال العرب عامة ، بعنوان : « مسرحية الشمس » — التي حضر تمثيلها الفيصل العظيم ، وكان بجواره سمو الأمير فهد بن عبد العزيز (ملك السعودية الحالي) ، أثناء تمثيلها على مسرح مدرسة الثغر النموذجية بجدة — في هذه المسرحية يقدم الشاعر « أوبريت الشمس » التي مثلها الأطفال غنائيا أمام الفيصل ، وكان الملك خالد موجودا ، وقد تعلقت عيون المشاهدين بالمسرح ، وركزت نظراتها على الطفل الذي يمثل الشمس ، وهو ينشد :

أنا الشمس أنا الشمس
بأفقي للورى عرس
تعالى الله .. أرسلني
ليحيا الناس بالغرس
أعيش الدهر جاهدة
بسحر بضوئي الأنس
فهل ترضون أن أبقى
وبين قلوبكم رجس
دعوني أرحل الآنا
ففي الأسفار ما يأسو
ظلام العيش في الدنيا
لمن ضلوا .. بها درس

والمسرحية تتحدث عن الوجود المنافق ، الذي يتعامل بالبغض والحقد ، ويعيش على ادعاء الاخلاص والوفاء ، بكلام منمق مزوق ، يرفضه الواقع ويلفظه ، وتأباه (الشمس) التي توشك على الغروب عن هذا الوجود الأسحم ، قائلة :

وداعا يابني البشر
فأنتم زائفو الصور

(١) قصيدة (الوثبة الكبرى) .

دعــونى ارحــل الآنــا
فلسـت أريـد بهتــانا

وتغيب الشمس ، كما يقول الشاعر ، ويغمر الصقيع الكون ، ويهــدد الوجــود بالدمــار والانهيار ، فيتعاهد النـاس على النقـــاء والصفاء ، ويقدمون قلوبهم خالصـــة لله ، وهم يناجون الشمس منشدين :

بربك ياشـمس عودى لنـا
وجودى علينـا بحلو المنا
فعزم الأيـادى وحب العباد
غـدا يملأ الآن أوطاننـــا

وذلك بعد أن كانت :

الريــح تصــفر
والجــو يــزأر
والبــرد يمعـــتبد
والقلب يرتعــد
والزرع يحصــد
والقــوت ينفــد
وموكب الظــلام
يهــدد الأنــام
وعاصـف الفنـاء
ينفــذ القضــاء

وترق الشمس لحالهم ، عسى أن تكـون توبتهم صـادقة ، فتقول :

رجـــاء ربــى
يعيــد ركبــى
فقـــد تبــدت
ظـــلال حب

ســيروا جميعــا
وامضــوا جموعا
وابنــوا منيعـا
حصــون عــرب

***

وفى ختام هذا البحث المــوجز ، كم نتمنى على المخلصين من أخدان الشـاعر ، ومــن الغيورين ، أو المسئولين عن جمع تراث الأفذاذ من أبناء هذه الأمة ، أن يعملوا على جمع مالم يطبع من أعمال الشاعر الأدبية ، التى خلفهـا وراءه ، بعد أن قعدت به موارده الماليـة عن طبعها على نفقته الخاصة ومنها :

أولا : مجموعة من القصص القصيرة دبجها يراعه ، بعد أن صــدر فيهـا عن مشــكلات الشعب المصرى خاصة ، والشعب العــربى عامة ..

ثانيا : كتابه الذى يتناول فيــه بالدراسة الجانب العاطفى ومؤثراته فى حيـاة كثير من الشعراء المعاصرين .

ثالثا : بحوثه ودراساته المســتفيضة عن كثير من الأعــلام ، ومنها ، على سبيل المثال ، دراساته عن (المرأة فى حيـــاة أبى نواس) و (شـاعر الحرمان عبـد الحميد الـديب) و (أثر الدعابة فى أدب الجاحظ) ..

رابعا : قصائد الشاعر المتناثرة فى بطون الصحف والمجلات الأدبية ، وهى التى اختارها المجلس الأعلى للفنون والآداب ، للشـاعر ، ونشرها فى كتب تضم مختـارات عـديدة ، لأعـلام الشعر المعاصرين ، فى مصر وسائر شـعراء الأقطار العربية ، وقصائده التى تغنى فى الاذاعة ، والتى فاز عنها بعدة جــوائز ،

والقصائد التى أذيعت فى المناسبات العامة ، وما أكثرها ، فضلا عن عشرات ، بل مئات القصائد التى نظمها ولم تر النور بعد ، ومازالت تقبع بين أوراقه الخاصة لدى ذويه .

خامسا : الرسالة الجامعية التى أعدها الشاعر عن الشاعر العربى الكبير (فؤاد الخطيب) ،وقد حدثنا عنها الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر ، .. وقد قمت بالاتصال بذوى قرابة الشاعر ، وأكدوا لى أن الرسالة المذكورة لديهم ، وأنها لم تطبع بعد بالفعل ، وأن الشاعر لقى وجه ربه بالمدينة المنورة قبيل مناقشتها بأيام قلائل ..

والأمل كبير فى أن يقوم المجلس الأعلى للثقافة ، أو الهيئة المصرية العامة للكتاب ، باصدار هذه الرسالة الجامعية ، تحقيقا للفائدة العلمية التى توخاها شاعرنا ، باعداده لها .. وذلك بعد أن يقوم ورثة الشاعر بتسليمها لأى من هاتين الجهتين المتخصصتين فى طبع مثل هذه الدراسات الجادة الرصينة ونشرها . والله ولى التوفيق ..

احمد مصطفى حافظ

أبو عمرو الداني - بقية

كشف الظنون : « وهو مختصر » . (طبقات القراء ١/٥٠٥ ، وكشف الظنون ٢/١٣٣٢ ، ١٨٠٩ ،وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، ومفتاح السعادة ١/٣٨٦ ، وبروكلمان الذيل ١/٧١٩ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧ ، والأعلام ٤/٣٦٧). وقد طبع هذا الكتاب (انظر ص ١٥١ فى الحاشية ٢) .

كتاب المكتفى فى الوقت والابتدا :

(كشف الظنون ٢/١٤٧١ ، ١٨١٢ وهدية العارفين ١/٦٥٣ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠ ، ودائرة المعارف ١/٩٣٧).

كتاب الموضح فى الفتح والامالة :

(كشف الظنون ٢/١٩٠٤ ، وبروكلمان الذيل ١/٧٢٠).

كتاب الموضح لمذاهب القراء :

قال عنه الزركلى صاحب الاعلام : « صغير» (الاعلام ٤/٣٦٧) .

كتاب النقط :

وهو مختصر فى النقط والشكل ، ملحق بكتاب « المقنع فى رسم مصاحف الأمصار » . (كشف الظنون ٢/١٣٣٢ ، ١٨٠٩) . وقد طبع مع « المقنع » فى كلا طبعتيه .

كتاب الوقف التام والوقف الكافي والحسن:

(مخطوط فى دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم ٥٨٠٤) .

وبعد

فهذا قل من كثر ولله در الامام أبى عمرو عالما ومقرئا وحافظا ومحدثا ومؤلفا ــ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ابراهيم عطوه عوض



محمود أحمد هاشم

لم تشـهد الشرقية مأتما يغص بآلاف المشيعين عن حسرة كاوية ، وفجيعة كارثة كما شهدت مأتم فقيد الانسانية ورجل المروءة ، وخادم الاسلام فضيلة العارف بالله الأستاذ محمود أحمد هاشم .

فقد تراصت الجمـوع الغفيرة الى قـريته (بنى عامر) حتى امتلأت الدروب ، واكتظت الشوارع ، وشرد المتزاحمـون الى الأراضى الزراعية يلتمسون فيها مواضع لأقـدامهم ، بعد أن ضاقت بهم القرية الحزينة ، وماتزاحمت الجموع منقادة وراء داع خارجى يدفعهـا للمشاركة اضطرارا ، كمـا نشـهد فى بعض الجنازات الرسمية التى تعبأ الجهود سـاعات وأياما لتكون بحشودها المتراصة دليل الوفاء.

وقد سيق اليها الناس سـوقا بشـتى المغريات ، وأعدت السيارات والقطـارات لتجبر من لا يريد التشييع على أن ينهض .

لم تتزاحم الجموع فى توديـع الراحـل النبيل وراء داع خارجى بل ساقها سـائق اللوعة الجارفة والتقدير الحار لانسـان بذل حياته فى اغاثة الملهوف ، وعون السائل وتضميد الجراح تقديرا لمسئولية اسـلامية ، يعرفها حق معرفتها من قدر رسالة العـالم فى الاسلام تقديرها الصائب .

فهو مشعل هداية ، وطريق عون ورعاية ، وموضع آمال ورغائب ، ينادى فيسمع ، ويدعى فيجيب ، وقد لخص السيدمحافظ الشرقية مآثر الراحل الكريم فى بيان موجز نشره بالأهرام عقب رحيله ناعيا مؤبنا فقال صـادقا غـير مبالغ :

« ان الفقيد لقى ربه بعد حيـاة حافلـة لخدمة الاسلام ، والأزهر فقد تمثلت فيـه القيم العليا فى الايمان بالله اذ كان مثلا للكرم والمروءة والوفاء ، فتح قلبه الكبير ، وبيتـه العامر بالمحبة للغريب والقريب ، كما أسـهم بجهود جليلـة فى خـدمة العلم والـدعوة الاسلامية ، ورعاية مصالح المواطنين .

وقد كان قدوة يحتذى بها فى العـلاقات الاجتماعية ، وفى التعبير عـن كـرامة العلم والعلماء فاحتل فى قلوب أبنـاء الشرقيـة ، ومحبيه من سائر البلاد المكانة السامية .

واستطاع بجهوده ومثابـرته واخلاصـه وتواضعه أن يعبر أكرم تعبير عـن كـر-

للدكتور محمد رجب البيومى

العلماء وبلاغة الفصحاء وشهامة الأوفياء .

وهذا بعض مايؤدى جانبا من حقيقة هذا الانسان الكبير ، لأن عارفيه وأصدقاءه ومريديه يعرفون من مآثره ما يجب أن يدون ويذيع ليكون القدوة الحسنة لرجل العلم والتصوف ، قدوة يراها الناس كتابا حيا عامر الصفحات بالمآثر ، وهو يعد أصدق من كل كتاب يمتلىء بالحكم والمواعظ دون أن يعطى المثل الشاهد ، ويقدم الدليل المتحرك ، اى كتاب يستطيع أن يقدم فى مضمار المروءة والهمة والمشاركة الوجدانية ما تقدمه سيرة الأستاذ محمود أحمد هاشم رضى الله عنه .

وقد نسق حياته بنفع قاصديه وكان فى طوقه أن يصبح من أصحاب الثروات لو منع يده عن البذل الدافق ، والعطاء المدرار ، فاذا أعوزه المال فى بعض مواقف المروءة استدان واقترض ليأسو جراح محتاج ، ويمسح دمعة مسكين .

لقد خصص الفقيد يوم الجمعة للقاء كل وافد يؤم ساحته العامرة ، فما تحين الساعة التاسعة حتى يجلس مجلسه بين أتباعه ومريديه ، وتنظر فتجد عشرات الراجين فى



انتظاره ، فصاحب المطلب النقدى يجد الاسعاف لوقته دون انتظار ، وقد تأهب الشيخ الموقف ، فأحضر معه من المال ما يظن به سدادا من عوز ، واشباعا من جوع ، وبرءا من فاقة ، ويعجب زائره المتابع لمواقف الشيخ أسبوعا بعد أسبوع ، كيف يجد من أبواب المال ما يعينه على مروءات تتوالى وتتتابع .

أما أصحاب المآرب الأخرى فما أكثر ، وما أغزر ، هذا فتى يطلب التعيين فى عمل حكومى ، وهذا مريض يريد الالتحاق



يستشفى مجانى ، وهذا طالب يلتمس موضعا فى المدينة الجامعية اذ عز عليه أن يعيش فى منزل مستقل دون مورد ، وهذا متهم ينشد محاميا يترافع عنه ، وليس فى طوقه أن يدفع المال ، وهذا وفد من قرية يسأل المعونة فى بناء مسجد أو انشاء مدرسة ، أو ترميم مستشفى .

وهذه أرملة ستعقد قران ابنتها ويشرفها أن يتولى الشيخ كتابة العقد لتسمو به بين الناس ، حين عدمت الأب والعم ، وهذا موظف أرهقه رئيسه ، ودفعه الى تحقيق قضائى لهفوة عفاها دون قصد ، ويطلب من الأستاذ أن يزيل ما بنفس الرئيس ! كل هذه وأكثر الحاجات منها تعرض أمام الشيخ الرحيم فى مجلسه وهو يفحصها حالة حالة ليحدد لكل طالب ساعة من يوم فى الأسبوع القادم يلقاه فيها بادارة الأزهر بالزقازيق لينهض معه حيث يريد .

وقد ألفت الزقازيق أن ترى الشيخ على رأس وفد من طالبى الحاجات يتقدمهم الى المصالح الحكومية رائحا غاديا ، وقد يكون مريضا يعانى من خبيث الداء ما لا طاقة له به ، ولكنه يستجيب الى هواتف الأريحية ، ودواعى المروءة فينهض متحاملا على نفسه ، سائلا الله العون ، ولابد من يوم أو يومين فى الأسبوع للقاهرة كى يقضى مصالح من تتم مصالحهم فى العاصمة الكبرى ، ثم عليه أن يزور فى المساء من دعوه الى قرامهم فى شتى المناسبات الاجتماعية ، دون أن يكسر خاطر امرأة ضعيفة أرادت أن تتباهى بمقدمه ، كما عليه أن يمد يده بالعطاء لتلك التى دعته عن قصد لتسعد بوجوده الشخصى وخيره المادى .

وهكذا يعود الرجل الى منزله بعد طواف متواصل ، وقد يكون الرجوع فى منتصف الليل مرهقا مكدودا متعبا ، لا يقدر على الكلام ، وعليه أن يستيقظ فى الفجر ليؤم أهله فى الصلاة ، وبعد واجبات عمله الادارى والعلمى بالأزهر ، فاذا خرج من عتبة داره ، وجد شرات السائلين فى انتظاره ، ونحن فى مصر وفى غيرها من البلدان النامية ، لا نرحم رجلا من رجال الخير حين نلح عليه بما يرهق ، لأن ندرة هذا المعدن النفيس تجعل الاقبال عليه فى تحقيق المآرب ، واجابة المطالب ضرورة لابد منها ! وكم يتحمل صاحب المروءة فى بلد قلت فيه المروءات ، اذ يكون هدفا لشاق لا تنقطع ولا تبيد .

أجل ، يجلس الاستاذ فى مجلسه الاسبوعى يوم الجمعة ناظرا فى شئون الناس ، حتى يحين موعد الصلاة ، فينتقل الى مسجده الكبير وقد زخر بجموع المصلين ، فتؤدى الصلاة وتسمع الخطبة فى خشوع ، ثم تقام حلقة الذكر مدوية بالصلوات ، رنانة بالتسابيح فاذا فرغ الذاكرون جلسوا يستمعون الى آيات من كتاب الله فى هيبة وخشوع ، وعيونهم للاستاذ متطلعة وامقة ، ولا تشبع من رؤية وجهه السمح ، ومشهده المهيب ، ثم ينهض المصلون جميعا الى الغداء مهما كثف

العدد فتتجدد الموائد كلها دون انقطاع ويلتقى عليها أكثر من ستمائة طاعم يتوالى ذلك وكأنه شيء هين لا يكلف شيئا !!

لو كنت سمعت ما رأيت — والله — ما صدقت ، ولكنى أرى وأشهد وأطعم ، وليس الخبر كالعيان !

أذكر أن الكاتب السورى الأستاذ محمد كرد على نشر بحثا فى كتابه (أقوالنا وأفعالنا) يقول فيه : ان الكرم المفرط ليس ممدوحا ، وان الجود السخى من أخلاق البادية ، ولا محل له الآن ، لأنه يودى بالبيوت ويدكها دكا ، ولا يوجبه شرع أو عقل ، ذكر الأستاذ محمد كرد على فى كتابه هذا الرأى ، فوقفت عنده طويلا ، وكتبت تعقيبا عليه بالجزء الرابع من كتابى (النهضة الاسلامية ص ١١٣) أقول ، ملما ببعض مآثر الأستاذ محمود هاشم :

ان قول الأستاذ محمد كرد على يتجاهل أن وجود الكرماء ضرورة محتومة ليصونوا وجوه المحتاجين ، واذا قلت مظاهر الكرم اليوم ، فليس المراد أنه انقطع عن الناس نهائيا ، فأنا أعرف فى هذه الشدة التى أخذت بأكظام الناس رجالا يبذلون عن سعة لا تعرف الضيق ، وليسوا من ذوى اليسار المفرط الذى يدعوهم الى الاتساع الممتد دون حرج ، فهم مستورون أووا الى كرم الله ورحمته فأمدهم بالنفس الخيرة ، وسهل لهم سبل الكرم .

وقد يكون من باب الاعتراف بالحق أن اذكر من بين هؤلاء أخى البر العارف بالله الأستاذ محمود هاشم اذ أن جميع المصلين يوم الجمعة بمسجده فى قرية (بنى عامر) لابد أن يتناولوا طعام الغداء لديه ، وقد يتجاوزون المائة والمائتين فتتسع لهم المآدب الحافلة دون ضيق ، وهذا ما أعجب له ، وأراه لغرابته الزائدة فوق التعليل .

هذا ما قلته من قبل ، وأنا أكرره لأؤكد أن تسجيل المآثر الانسانية فى الصحف والكتب ، يدعو الى احتذائها وتقديرها .

وفى كتب التراث روائع خارقة للاجواد من الأسخياء ، فلماذا لا نسجل فى كتبنا المعاصرة أمثال هذه الروائع كيلا يظن ظان أن الانسانية فقدت أمثلتها الصادقة فى عصر المادة الذى سيطرت فيه الأنانية والأثرة ، وكادت تمحى المروءة والأريحية ! لولا أن ذرارى حاتم طيىء ، ومعن بن زائدة وأبى دلف العجلى وعبد الله بن جعفر لا يزالون يتناسلون ، ولن أسكت عن بعض ما فى نفسى جبنا من قوم يولعون بتكذيب الأحاديث اذا اتصلت بكرامات الملهمين ، ويعدون ما يذكر فى هذا النطاق حديث خرافة ، وهو أمر واقع نلمسه باليد .

فقد شوهد الأستاذ يحادث من يفد اليه من المرضى حديث المشجع المستبشر ، فيدعوهم الى الصبر ، ويعدهم بالشفاء ، لأن رحمة الله قريب من المحسنين ، ثم يقرأ الفاتحة

داعيا آملا ، ويرجع المريض من ساحته وقد هدأت نفسه ، وانفرج باب الأمل لعينه فترتفع روحه المعنوية ويتعاطى الدواء في ثقة وبشر ، ويجد من القوة ما يساعده على تحمل الصعاب .

ويكون من أثر ذلك كله أن يأذن الله بالشفاء في كثير من الحالات ! فكان لقاء الشيخ قوة دافعة ، وحافزا موجها ، وبه اعتصم المريض بالصبر مكافحا حتى بلغ ساحل الشفاء .

وهذا بعض ما رأيناه عن مشاهدة ، وما شهدنا الا بما علمنا ، فليهزأ من يهزأ بما نقول وان أراد ، ولكن عليه الا ينسى أن ارتفاع الروح المعنوية للمريض سلم للشفاء ، ودواء ناجع يسعف بالعلاج .

لقد زاملت الشيخ محمود هاشم ابتداء من عهد الطلب بمعهد الزقازيق ، فكان منذ نشأته الغضة كريم النفس ، مبتسم الثغر ، يدعو زملاءه يومي الخميس والجمعة الى قريته ، فيشطهم والده الكبير مولانا الشيخ أحمد هاشم — رضى الله عنه بكرمه الغامر فهو يوقظهم في الفجر لأداء الصلاة ثم يدير عليهم أكواب اللبن الواسعة بيده ، فيخدمهم بنفسه وهو سيد ، ولا يزال يرعاهم ويخصهم بما لديه من المآكل والفواكه متسائلا عن أحوالهم .

وقد ورث الابن عن أبيه هذه المزايا ، فمما أعرفه أن أحد الطلاب لم يستطع أن يكمل التعليم بالقاهرة لضيق ذات اليد ، وآثر الاكتفاء بالشهادة الثانوية ، فعز ذلك على الشيخ محمود ، وألح على زميله الحاحا متواصلا كي يسافر معه ويسكنا في منزل واحد ليتولى هو عنه ما يلزم من النفقات ، وهكذا وفى محمود بعهده لصاحبه ، فتخرجا معا في كلية الشريعة الاسلامية بعد الانتهاء من سنواتها الاربع ، ثم عين الأستاذ محمود هاشم مدرسا بالمعاهد فكان يختص الطلبة باهتمام غير عادي ، يتساءل عن أحوالهم المعيشية ، ويقدم للمحتاج ما يريد من النفقات والكتب عن سماحة لا تعرف الحدود .

واذا توسم صفاء الروح في بعض الطلاب ، قدم اليه كتب التصوف وحثه على العبادة والخشية ، ودفعه الى الجد في المذاكرة ليكون فيما بعد عالما عاملا يجمع بين العبادة والعلم فيعطى المثل الحي لرجل التصوف الصحيح !

ولا أجد أفسح رحابة من صدر الراحل الكبير ، فقد طبع على أن يبتهج عند الاساءة المقصودة كاظما غيظه ، اذ يمر باللغو مر الكرام ، كنا في مجلس يعمر بالتسبيح والذكر، فشذ زميل متسرع ، وانطلق يسب الذاكرين ويقول : انهم أعباء على المجتمع ، وتهور الزميل اللجوج فقدح في كبار الصوفية من أمثال الغزالي وابن عطاء وابن الفارض ، فسكت الشيخ محمود طويلا ، فلما لم يجد صاحبنا ردا يتيح له أن يشقق الحديث ، تخاذل وأقبل يسأل الشيخ محمودا عن رأيه في من ذكر من الصوفيين ، فقال محمود في تواضع ،

انا أقل من أن أفيهم حقهم من التقـــدير ، وانك لا تهدى من أحببت !

فشرد الزميل قائلا ، وهل نسيت خرافات الشعرانى ؟ فابتسم الشيخ وقال انى أؤلف عنه كتابا ، وسأهديه اليك عند طبعه ! ورغم عزوف الشيخ عن التأليف الا فيما ندر حيث تتناهب أوقاته شواغل الناس — فقد صمم على أن يكتب عن الشعرانى ، كتابة من يتكلم عن التصوف الصادق فى سيرة بعض أقطابه ! فأخذ يتحدث عن الارتباط بالشريعة ، والقيام بفرائض الله وصنونات العبادة ليكون العمل بالشريعة سلما للحقيقة ! مؤكدا أن التصــوف سعى فى الأرض وخدمة للناس وكدح للرزق وليس اتكالا وانعزالا .

وقد جاء الشعرانى فى كتابه صورة صحيحة لامام متصوف مكتمل تمثلت فيه خصائص الزعامة الروحية والقدوة الشعبية : اذ أعطى الحياة مثلا للمتصوف العامل الذى يشـــارك ايجابيا فى ازدهار الحياة ، ونفع الناس دون أن يلجأ الى الانزواء .

كما كتب فصلا ممتعا تحت عنوان (رسالة الشعرانى) جعله تفسيرا واضحـا لقـــول الشعرانى (حاولت المطابقة بين عقـائد أهل الكشــف ، وعقائد أهل الفكر حسب طاقتى) وأهل الكشف هم المتصوفة وأهل الفكر عنده هم الفقهاء .

وللفقيد مقالات سهلة نشرها تباعا بمجلـــة منبر الاسلام ، وهى تخاطب الوجدان بنفحات من قصص القرآن وتحليـــل لبعض الآثـــار النبوية ، تعمد كاتبها أن يصل بها الى قلـــوب العـــامة دون ارهاق بكد عقلى ، أو تخريج منـــطقى ، كما أن له أشعارا تنحو هذا المنحى الدمث جمع بعضـــها فى ديـــوان ســـماه (الهاشميات) وكتب مقدمته الامام الاكبـــر عبد الحليم محمود — رحمه الله — ، وما قاله فى ديوانه من الشعر شبيه بما يقوله مـــولانا الشيخ على عقل ومولانا الشيخ صـــــالح الجعفرى ممن يرتجلون الشـــعر فى مجالس الذكر على ايقاع النغم ، وأستاذهم السباق فى هذا المجال هو العارف بالله عبد الـــرحيم البرعى ! ولهؤلاء المتصوفة مشاعر رقيقة تتأثر بالشعر الواضح تأثرا تجرى به الدموع .

لقد أنشدت الشيخ صالح الجعفرى ذات مرة قول الشـــاعر :

فيـا نجد لو كـــان النـــوى منـــك مرة
صـــبرنا ولكن النـــوى منـــك دائـــم

فردده باكيا ، وصادف أن أنشدته الشيخ محمود هاشم فطرب وتواجد ، وأوصى أن أجمع له ما ينحو نحوه من هذه (النفحات) كما سماها ، والتعبير بالنفحات له رمزه الدال ، وفحواه الرقيق .

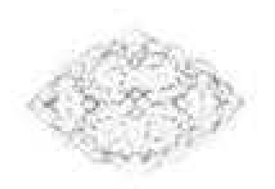
ان مشيئة الله فوق كل مشيئة ، وقد اصطفى محمودا الى جواره بعد مرض ضاعف من حسناته ومحا من سيئاته ، واذا كانت ألسنة الخلق أقلام الحق فان ما شوهد من حسرة الآلاف على رحيله ، وما سمع من بكاء عارفيه ، وتفجعهم على فقده ، ينطق بما كان له من مكانة قد احتلها بسلوكه الممتاز ، وسعيه الحميد .

فهؤلاء الريفيون الذين بكوا حول نعشه يذكرون زياراته المتصلة للقرى ، وقيامه بالصلح بين الأسر المتنازعة حين يستفحل الشر ، وتطول جلسات المحاكم فى ساحات القضاء دون جدوى ! واذ ذاك يحضر الأستاذ فى ملء من صحابته ، ويجلس بين المتنازعين مستمعا الى كل فريق ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ، ويشير بما يرأب الصدع ، ويجمع الشمل ، فاذا نشز فريق ترضاه الشيخ بابتسامته ودعائه بالرحمة والخير فيتحول النشوز الى طاعة وقبول .

ويعود الرجل الكبير وقد عصم دماء كادت تراق ، وبقلبه فرحة مبتهجة أن أطفأ النار وحال دون اندلاع الحريق ، هذا بعض جهده فلم لا يأسف المحزونون ، تلهفا على فقده .

ولعل مما يهدىء من شجونهم انه انتقل الى جوار رب كريم ، أخبر عباده بأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ولن يضيع أجر المحسنين .

د.محمد رجب البيومى



الشعر.. والشعراء

إشراف د. حسن جاد

أنت المعين

محمد بحر الهادي

في استقبال رمضان

الجانب الروحي في شعر لبيد



أنت المعين

للأستاذ عبد العليم القبانى

إلهى أنت لى عون ... ونعم العون لى أنت
إذا ما شئت كان الخير فيما شئته أنت

فأنت الواهب النعمى ... وأنت البارىء الأسمى
وأنت المرتجى حلما ... وأنت المرتضى حكما

إلهى فى دجى ليلى ... وفى إشراقة الصبح
وفى تغريدة العصفور ... حول الجدول السمح

رأيت الحسن والحسنى ... وسر الكائن الأسنى
وما فى الكون من معنى ... عميق يغمر الكونا

أنا يارب بين يديك ... فى بعدى وفى قربى
وبين يديك مهما كنت ... فى شرق وفى غرب

فيا رب السموات ... ويا سر الهدايات
لك الماضى لك الآتى ... فهبنى خير غاياتى

إلهى أنت لى عون ... ونعم العون لى أنت
إذا ما شئت كان الخير يا الله ما شئت





للأستاذ أحمد قاسم أحمد

اجعل رياضك روضة « القرآن » ... واملأ فؤادك بالهدى الربانى
واجهر بصوتك حين تتلو آيه ... يصغى اليك ويسمع الثقلان
قول من الله الحكيم بقدرة ... تعنو لديها قدرة الانسان
ان شئت نبراس البلاغة تلقه ... فيه باوضح صورة وبيان
أو رمت منه تعلما وتأدبا ... فانهل وعل فما له من ثانى
طورا يرق ففيه نغمة عازف ... تحيى وتبعث ميت الوجدان
واذا غلا فى العنف فاشهد ثورة ... تطو وتغلب ثورة البركان

* * *

قد اعجز البلغاء سحر بيانه ... حتى غدوا فى العى كالخرسان
وابان عن غيب فجاء مطابقا ... ما قال منكره سوى هذيان

* * *

فيه شفاء المؤمنين ورحمة ... للروح يصلحها وللأبدان
ياتيك دوما بالجديد فانه ... بحر بلا قاع ولا شطآن

* * *

هذا كتاب فيه سر سعادة ... للعالمين ... لمبتغى الايمان
فلنتخذه مدى العصور امامنا ... دستورنا ... ننعم بكل امان

محمد بحر الهدى

للأستاذ خالد محمود إبراهيم

ياسيدا لم ألق مثلك سيداً … هذى يدى مدت فمد لها يدا

مدت تروم نوالكم ومن الذى … يرجى اذا لم يرج مثلك للندى ؟

أشرقت فى بطحاء مكة فانمحت … ظلماؤها من فيض نورك اذ بدا

وكانما الدنيا تنادى أن لى … مع سيد الثقلين فيكم موعدا

من فاق كل العالمين كرامة … وسما على الدنيا جميعا محتدا

ومن ادعى لله ندا رده … بالمنطق الحسن القويم مفندا

ومن استبد به الهوى عبد الهوى … ومن استجاب لمنطق الحق اهتدى

قد جاء بالاسلام دينا قيما … ثبت المعالم لم يزل متجددا

دستوره وسط فلم يك هينا … يغرى السفيه ولم يكن متشددا

هو شرعة المولى الحكيم لخلقه … أوصى بها خير البرية احمدا

فاتى بها سمحاء أشرق نورها … فمحت ظلاما داسا متلبدا

يهب البصائر نورها ورشادها … أنعم به نورا وأكرم مرشدا

يشفى صدور المؤمنين فيجتلى … صدأ القلوب لتطمئن فتسعدا

يهديك للسنن القويم مرغبا … ويريك كيف تسير فيه ممهدا

هذا نبى الله خاتم رسله … من أوتى الكلم الجوامع مفردا

من بين خلق الله كان المجتبى … وبنور آى الله عاش مزودا

والله أكرمه وأسبغ فضله … وله بكل المكرمات تعهدا

فعليك خير صلاتنا وسلامنا … يا سيدا لم ألق مثلك سيدا

فى استقبال رمضان

بقلم السيد محمد الداودى

أقبل «فدينك» ساطعا لألاء ... واملأ ربوع المشرقين ضياء

واملأ قلوب العالمين محبة ... ومودة ومسرة وإخاء

وضع المعالم للطريق هداية ... للحائرين وضاعف الأضواء

وأنر طريق المدلجين ليأمنوا ... غلس الظلام ويأمنوا الوعثاء

وافتح مغاليق الوجود بحكمة ... يهب القلوب العاصيات شفاء

والق العباد (كما عهدنا) بالمنى ... وافض عليهم من نداك ثراء

واستنزل الرحمات تترى إننا ... كنا لعمرك نفتقد الرحماء

واعد إليهم عزة مأمولة ... واجنبهم البأساء واللأواء

أقبل وأحى نفوسنا بتميمة ... تمسى لأدواء النفوس دواء

أقبلت بالنور السماوى الذى ... بهر الوجود وعطر الأرجاء

أسهرت ليل الصائمين تعبدا ... وتهجدا وتلاوة ودعاء

فهجرت نومى فى هواك توسلا ... لله كى أزداد فيك صفاء

ووقفت بين يدى إلهى خاشعا ... متبتلا متذللا بكاء

رمضان كن للمذنبين شفيعهم ... وسل الإله لعابديه عطاء

رمضان كم لك من يد أسديتها ... ووهبتها للصائمين جزاء

من يضيق الحصر عن تعدادها ... ابتقلت فيها الشعر والشعراء

نصران فى «بدر» وفى «سيناء» لم ... نغفل حديثهما صباح مساء



الجانب الروحي

في شعر لبيد

عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ، عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد » :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

متفق عليه ، ومعناه :أنه من رواية البخارى ومسلم ، فهو من الأحاديث الصحيحة ، وبهذا الاعتبار دخل فكر لبيد في الأحاديث النبوية الشريفة .

ومن هذا المنطلق نتحدث عن شعره الروحي الذي يمثل الحكمة ويدعو الى مكارم الأخلاق . .

ومن جانب آخر نرى السيرة النبوية حفلت بذلك الشعر وأرخت له .

فلقد كان لبيد شاعرا كبيرا من أصحاب « المعلقات » وله وزنه وشأنه في الجاهلية والاسلام لشخصيته الموهوبة المرموقة وعراقة محتدة ومنزلة قبيلته بين قبائل العرب وسأذكر شيئا من ذلك فيما بعد . بيد أنى أتحدث عنه كرجل دخل في السيرة النبوية وروى أحداثه ابن هشام في السيرة النبوية ، وبيان ذلك ــ كما هو معروف ــ أن قريشا بمكة كانت مقصد العرب في جميع الأوقات لمكان الكعبة بين ظهرانيها ولمكانتها في جزيرة العرب والشعوب الأخرى .

ورجل مثل لبيد لابد له من زيارتها وعرض فكره على ندواتها ومجالسها ، ودخل مكة في الوقت الذي رجع اليها بعض من هاجر الى الحبشة من أصحاب محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين سمعوا أن قريشا هادنت رسول الله ودخلت في الاسلام فاذا بهم يفاجئون بأنها زادت عتوا ونفورا وقسوة على الداخلين في الاسلام ، فدخل بعضهم مستخفيا ، ودخل بعضهم في جوار سيد من سادات قريش . وكان من نصيب الصحابي الجليل « عثمان بن مظعون الجمحى » أنه دخل في جوار « الوليد بن المغيرة المخزومي » ثم كان ما حدث به ابن اسحاق ونقله الينا ابن هشام في السيرة النبوية . والرواية عن « صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف » .

قال . لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد ابن المغيرة قال : والله ان غدوى ورواحى آمنا



للأستاذ السيد حسن قرون

بجوار رجل مشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله مالا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى . فمشى الى الوليد ابن المغيرة .

فقال له : ياأبا عبد شمس وفت ذمتك ، قد رددت اليك جوارك .

فقال له : يابن أخى . لعله آذاك أحد من قومى — يقصد بنى مخزوم .

قال : لا . ولكنى أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره .

قال : فانطلق الى المسجد فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية . فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد .

فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى . قال : صدق . قد وجدته وفيا كريم الجوار . ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره : فماذا كان ؟ انصرف عثمان بن مظعون « ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر ابن كلاب » فى مجلس من قريش ينشدهم ، فجلس عثمان فقال لبيد :

« الا كل شيء ما خلا الله باطل »

قال عثمان : صدقت .

فقال لبيد :

« وكل نعيم — لا محالة — زائل »

فقال عثمان : كذبت . نعيم الجنة لا يزول .

قال لبيد : يامعشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ .

فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله . فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما : أى زاد وكثر ، فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما حدث لعثمان .

فقال : أما والله يا ابن أخى كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة .

قال عثمان : بل والله ان عينى الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله ، وانى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس .

فقال له الوليد ، هلم يا ابن أخى ان شئت فعد . وبهذه الرواية دخل لبيد فى السيرة النبوية وفى تاريخ الدعوة الاسلامية ، كان يومئذ كافرا يلتمس مجالس قريش لينشدهم شعره ، وشعره الذى يعتز به ، ويرى مكانه فى أندية قريش ، وهو شعر الروح والحكمة والموعظة الحسنة على حسب اعتقاده حين زار قريشا وألقى هذا الشعر ، وهو من قصيدة يرثى بها النعمان بن المنذر ملك « الحيرة » رضى عثمان بن مظعون بالشطر الأول من البيت

وهو : « الا كل شيء ما خلا الله باطل » ، لأنه يحمل الحقيقة الثابتة والواجب الوجود ، وفي القرآن الكريم : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ • وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » ٢٦ ، ٢٧ سورة الرحمن .

وسخط على الشطر الثاني : « وكل نعيم — لا محالة — زائل » لأنه يراه لا يفي بالمعنى الايماني ، ولأن الشاعر جعل كل نعيم زائلا ، ولم ينظر الى النعيم الدائم وهو الجنة . ونحن نرى أن الشاعر لم يخطىء وان كان لم يدخل الاسلام بعد ، فهو يتحدث عن الدنيا وتقلباتها ، وأنها لا تدوم على حال ، فكل شيء متغير ، شباب وشيخوخة ، غنى وفقر ، صحة ومرض ، نصر وهزيمة ، رضا وسخط ، سرور وحزن الى آخر ما يلاقيه البشر ، فحظي الشطر الأول برضا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجعله أصدق كلمة قالها شاعر كما حظي بتصديق عثمان ، وسكت الرسول عن الشطر الثاني ، وكذبه عثمان رضي الله عنه . وقد جاء هذا البيت — كما قلنا — في رثاء النعمان بن المنذر وهو شعر جاهلي . يقول لبيد من تلك القصيدة :

الا تسألان المرء ماذا يحاول
أنحب (١) فيقضى أم ضلال وباطل ؟

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
بلى ، كل ذي لب الى الله واسل (٢)
الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم — لا محالة — زائل
وكل اناس سوف تدخل بينهم
دويهية (٣) تصفر منها الأنامل

الى أن يقول على هذا النهج مبينا مصير كل انسان وهو الفناء :

فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب
لعلك تهديك القرون الأوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا
ودون معد فلتزعك (٤) العواذل (٥)

وهذا الشعر في منتهى العمق في وصف حال الانسان وغروره ، وما يعتريه في حياته .

فتراه في البيت الأول يقول :

اسألوا الحريص على الدنيا عما هو فيه ، أهو نذر على نفسه نذرا فلابد من القيام به أم هو ضلال وباطل من أمره ؟ .

والبيت الثاني : يريك أن الناس لا يعرفون أمر الدنيا وزوالها فذو العقل من يفعل الخير متوسلا به الى خالقه .

والبيت الثالث : يرينا أن كل شيء غير الله زائل وليس له دوام .

والبيت الرابع : يدخل في معنى قوله تعالى « **كل نفس ذائقة الموت** »(١٨٥ سورة آل عمران) .

---

(١) نحب : نذر .
(٢) واسل : طالب وراغب .
(٣) دويهية : التصغير للتعظيم المراد الموت .
(٤) فلتزعك : فلتكفك وتمنعك .
(٥) العواذل : المراد هنا الحوادث .

ومعنى البيتين الأخيرين جمعه أبو نـواس فى بيت واحد فقال :

الا كلنـا هـالك وابن هـــالك
وذو نســب فى الهـالكين عـريق

وكلمة « واســل » فى أغلب الظن أن لبيدا هو الذى استخدمها فى شعره ولم أرهـا فى شعر غيره وهى بمعنى واصـل تماما وفى القرآن الكريم : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » (٣٥ سورة المائدة) .

وواسـل ووسيلة مـن الكلمـات الجميلـة ، وما أجمـل ما تـردد : « اللهم أعط محـمدا الوسيلة والفضيلة » .

وقد عبر عن هلاك الأحياء من البشر واحدا بعد واحد بذكر من ماتوا من جيله الى جيـل معد وعدنان ، ولم يجعل الكلام عاما ، وان كان لا بأس من التمثل به ، لأنه كان شاعرا قبليـا يعتز بأرومته ومنزلة قبيلته ، فالنسب الى معد ابن عدنان ــ فى نظره ــ هـو النسـب ، ولا تكون العظة عظة الا بهم ، ولا الأمثـال المـاثرة الا بالحديث عن فقدهم . وسـتراه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يمجـد بنى « أم البنين » الذين سنعرفهم فى نسبه .

ومن هنا أحدثك عن ذلك النسب وفخره به ، واعتزازه بمكانتهم فى نجد ، ثم نعــود الى توضيح الجانب الروحى من شعره وان كـان جل شعره لا يخلو منه .

ذكر ابن هشام فى السيرة النبــوية أن اسمه : « لبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب » وينتهى هذا النسب الى « عامر بن صعصعة » وعامر من هوازن ، وهوازن من « قيس بن عيـلان بن مضر » والجد الأعلى معـد بن عدنـان ، وفى مضر يلتقى نسبه مع رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبنو جعفـر بن كلاب هم سـرة قبيلة بنى عامر ، وأم لبيـد من بنى عبس احدى بنـات « جـذيمة بن رواحة » وكـانت لخاله زهـير بن جـذيمة الرياسة على كل قبائل هوازن ومنها قبيلة بنى عامر ، فعتا عليهم وظلمهم وأكثر من فـرض الاتاوات على رجالهم ونسـائهم ، فلم يجد بنو عامر بدا من قتله ، ومن ثم كانت العداوة لداء بين عامر وعبس ، ويتحدث الرواة عن أبيه وأعمامه فيصفون أباه ربيعة بأنه « ربيعة المقترين » أى ربيع المحتاجين لكرمه ونجدته، ويصفون أعمامه لكل واحد منهم وصف خاص ، عامر لبطولته « ملاعب الأسنة » والطفيـل فارس قرزل ، وقرزل اسم فرس له ، ومعاوية معوذ الحكماء ، أولئك هم بنو أم البنين احدى المنجبات من نساء الجاهلية وكانت لبنى عامر مكانتهم المرموقة فى الجزيرة العربية ، فلهم أيامهم وغاراتهم وانتصـاراتهم وثـاراتهم واتصالاتهم بملوك الحيرة وملوك الشام .

ولما كانت العداوة متفاقمة بين عامر وعبس، وكان الربيع بن زياد العبسى من جلسـاء النعمان بن المنذر ملك الحيرة لقى بنو عامـر منه الأمرين ، فكان دأب الربيع الدائب الغض منهم والانتقاص من أقدارهم ، فكـان الملك النعمان يستجيب لقوله ولا يحسن وفادتهم ، فاتفق أن بنى عامر وعلى رأسهم مـلاعب الأسنة عادوا ليلـة من عنده غضـابا الى رحالهم ، وجلسـوا يتحدثون فيما جرى لهم ،

ولبيد معهم فسألهم عما بهم ، وكان صغيرا فلم يأبهوا لسؤاله ، فغضب وحلف الا يقوم بأمرهم في غيابهم ، فعرفوه ما كان من الملك ، وأن الأمر يرجع الى خاله الربيع بن زياد • فقال : خذوني معكم وأنا له ، فعقدوا له امتحانا ، وكان الامتحان هجاء « بقلة » من النبات عينوها له فهجاها بقول رائع • وفي الصباح حلقوا شعر رأسه وألبسوه حلة جديدة ، وانطلقوا الى باب الملك ، وكان القصر غاصا بالوفود وجماعات الناس ، ودخل العامريون وكان الربيع مع الملك يطاعمه ويحادثه ، فلما كان لبيد بحيث يسمعه الملك رجز بالربيع بهجاء مقذع جاء فيه : « مهلا — أبيت اللعن — لا تأكل معه » وذكر أشياء تنفر الملك من مجالسته ومؤاكلته لمرض معد بالربيع ، فصرف الملك وجهه عنه وأقبل على بني عامر فاكرم وفادتهم وقضى حوائجهم • وكان هذا أول بزوغ شمسه وأول ما سمع من شعره • والرواة يعدونه من الشعراء الأشراف والفتاك والمعمرين •

ومن حوادث فتكه أن « الحارث الأعرج الغساني » ملك الشام انتدب مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ليغتالوا « المنذر بن ماء السماء » ملك الحيرة ، فذهبوا اليه ، وأظهروا له الطاعة فأدناهم منه ، فلما صادفوا منه غرة قتلوه ، وهربوا ، فتبعهم جند المنذر فقتلوا كثيرا منهم ونجا لبيد • ومن هذا السياق نعلم أن لبيدا مارس الشعر والفروسية من صغره ، وأن حياته مع أعمامه تدل على أن أباه تركه صغيرا ، وكان له أخ لأمه يسمى « أربد بن قيس » وسنرى شعرا في هذا الأخ •

وجاء الاسلام ولبيد له سن وبيان ومقام ، وكانت قبيلة بني عامر احدى القبائل التي التقى بها النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — ، فماذا كان موقفها من الدين الجديد وصاحب الرسالة ؟ •

يقول ابن هشام في السيرة النبوية • قال ابن اسحاق : وحدثني الزهري انه أتى عامر ابن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه •

فقال رجل منهم : أرأيت (١) ان نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ •

قال : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء •

قال العامري : أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه •

فلما رجع بنو عامر من الموسم الى نجد حيث منازلهم التقوا بشيخ لهم كبرت سنه فلا يقدر أن يوافي معهم الموسم • فكانوا اذا رجعوا يحدثونه بما كان في سوق عكاظ ، فسألهم كعادته •

فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب ، يزعم أنه نبي ، يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ، نخرج به الى بلادنا •

فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال :

(١) أرأيت : أخبرني •

يابنى عامر : هل لها من تلاف ؟ هل لذنابها من مطلب ؟ والذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيل قط ، وانها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم ؟ .

وقد غاب رأيهم عنهم كثيرا ، ففى السنة الرابعة للهجرة جاء الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عامر ملاعب الأسنة الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة وعرض عليه أن يرسل بعض أصحابه الى نجد ليدعو قومه الى الاسلام وقال النبى له أخشى مكر العرب .

فقال هم فى جوارى ، فلما ذهب أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكر بهم عامر بن الطفيل فاستعدى عليهم قبائل من سليم وغيرها فقتلوا جميعا فى « بئر معونة » . وغاب عنهم عقلهم فى عام الوفود حين جاء عامر بن الطفيل ومعه أربد وأراد اغتيال الرسول فدعا عليه وعلى صاحبه ، فطعن عامر ، وأرسل الله صاعقة قتلت أربد .

قال الرواة : ثم ان بنى عامر بعد ذلك أرسلوا لبيدا الى رسول الله فأسلم وحسن اسلامه ، وعاد الى قومه يذكر لهم البعث والجنة والنار ، ويقرأ لهم القرآن ، وأقام بالبادية على اسلامه حتى مَصّر عمر ـ رضى الله عنه الكوفة فنزلها ، وبها أقام الى أن مات فى صدر خلافة معاوية سنة ٤١ هـ وعمره نحو مائة وثلاثين سنة .

موقفه من الشعر

أسلم لبيد فترك كل ما كان فى الجاهلية وكان فى مقدمة ذلك كله تركه الشعر ، فتنسك وحفظ القرآن كله ، فلم يرو له الرواة الا بيتا أو بيتين هما من الحكمة والتوجيه النافع بمكان . قال لبيد :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

قال بعضهم ليس له الا هذا البيت فى الاسلام وقال آخر البيت الذى قاله فى الاسلام هو :

الحمد لله اذ لم يأتنى اجلى
حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وليس بمانع أن يكون قد قال البيت الأخير عقب اسلامه مباشرة ، وأن يكون الأول قاله بعد أن حفظ القرآن وعرف السنة فالجليس الصالح له حديث مشهور . رواه أبو موسى الأشعرى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال :

« انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة . ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد منه ريحا منتنة » متفق عليه . « يحذيك » يعطيك .

ولأنه لم يقل شعرا فى الاسلام عد من شعراء الجاهلية ، لأن كل ما نظمه من شعر فى الأغراض المختلفة وفى مقدمته « المعلقة » ولقد عرضها على النابغة الذبيانى فاستحسنها قائلا : اذهب فأنت أشعر قيس كلها أو قال هوازن وفى بعض الروايات قال له : أنت أشعر العرب .. وأنا لا أريد أن أتناول شعره كله بالنقد والتحليل انما يعنينى كما قلت فى بدء الكلام

أن أتناول ما نبغ فيه ، واعتز به وهو شعر الحكمة الذي كان يجيء في المراثي التي برز فيها لأنه كان ينظر الى الدنيا وحال الناس فيها بعقل مفتوح وقلب سليم ، فهو رجل مفطور على الشمائل الكريمة ويحب أن يراها في غيره ، ويلح في الدعاء اليها ، والتنويه بفضلها ، وأنها المسلك الذي يجعل الانسان انسانا .

ومن الطرائف ما رواه أبو الفرج في كتابه « الأغاني » .

قال : جلس المعتصم — الخليفة العباسي الثامن في مجلس سار ، فغناه بعض المغنين :

وبنو العباس لا يأتون لا
وعلى ألسنتهم خفت نعم
زينت أحلامهم أحسابهم
وكذاك الحلم زين للكرم

فقال المعتصم : ما أعرف هذا الشعر فلمن هو ؟

قيل للبيد .

فقال : وما للبيد وبني العباس ؟

قال المغني : انما قال « وبنو الريان » لا يأتون لا . فاستحسن فطنه ووصله . وكان يعجب بشعر لبيد ، فاستنشدهم قوله : « بلينا وما تبلى النجوم الطوالع » وهي مرثية للبيد في أخيه لأمه أربد من خير مراثيه ، فأنشدوه اياها ، فجعل يبكي ويذكر المأمون ويترحم عليه ، ويقول هكذا كان رحمة الله عليه . وهذا الشعر الذي غنى فيه عاطفة لبيد وعقله . فالحلم والكرم هما سبيله في الجاهلية والاسلام ومن هذا أنه نذر الا تهب الصبا الا نحر وأطعم ، فوافتها هبت يوما وهو بالكوفة مقتر مملق ، فعلم بذلك الوليد بن عقبة الأموي وكان أميرا عليها لأخيه لأمه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فخطب الناس فقال : انكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكده على نفسه ، فأعينوا أخاكم ، ثم نزل فبعث اليه مائة ناقة وبعث الناس اليه فقضى نذره ، وكتب اليه الوليد وكان شاعرا :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه
اذا هبت رياح أبي عقيل
أغر الوجه أبيض عامري
طويل الباع كالسيف الصقيل
وَفَى ابن الجعفري بحلفتيه
على العلات والمال القليل
بنحر الكوم اذ سحبت عليه
ذيول صبا تجاوب بالأصيل

ولبيد لا يقول الشعر فقال لابنته : أجيبيه ، فقد رأيتني وما أعيا بجواب شاعر ، فقالت :

اذا هبت رياح أبي عقيل
دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد (١) عبشميا (٢)
أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا
عليها من بني حام قعودا

---

(١) أصيد : المراد به عزة الملوك (٢) عبشميا — ينسب الى عبد شمس بن عبد مناف .

ابـــاوهب جـزاك الله خـيـرا
نحـرناها واطعمنـــا الثريـــدا
فعـــد ان الكـــريم له معـــاد
وظنى بابن أروى (١) أن يعـــودا

فقال لها أبوهـا : أحســنت لولا أنـك استزدته ، فقالت : يا أبت ، ان الملوك لا يستحيا من مسالتهم . فقال لهـا :
وأنت فى هذا أشعر .

كانت عزيمته قوية ، فلم يعد الى الشعر وهو القادر على النظم والبراعة فيه.

وشبيه بهذا المسلك الحميد مسلكه مع عمر بن الخطاب . قالوا :كتب عمر الى عامله « المغيرة بن شعبة » بالكوفة أن استنشد من عندك من شعراء مصرك مـا قالـوه فى الاسلام ، فأرسل الى « الأغلب العجلى » أن أنشدنى . فقال :

ارجـزا تريـد ام قصـيدا ؟
لقـد طلبت هينـا موجـودا

ثم أرسل الى لبيد أن أنشدنى ، فقال : « ان شئت ما عفى عـنـه » يعنى شـعر الجاهلية . قال : لا ، ما قلت فى الاسلام . فانطلق لبيد الى بيته ، فكتب سورة البقرة فى صحيفة ، ثم أتى بها ، فقال :أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر

رثاؤه وحكمه

وسأختـــار لك ما يمثل مذهبه الشعرى فى العظة والاعتبار ، ولنقرأ بعض القصيدة التى أبكت المعتصم فكـل من الشاعر والخليفة يبكى أخـاه ، ويتعزى بالقول المصيب ، والنظرة الثاقبـة .

قال لبيد يرثى أربد :

بلينـــا وما تبلى النجـوم الطـوالع
وتبقـى الديـار بعدنا والمصـانع
وقـد كنت فى أكناف جـار مضـنة
ففـــارقنى جـار بأربـد نـافـع
فـلا جـزع ان فرق الـدهر بيننـــا
وكـل فتـى بـه الـــدهر فـاجع
وما النـاس الا كالديـــار واهلهـــا
بهـا يـوم حلـوها وغـدوا بلاقـع
وما المـرء الا كالشـــهاب وضـوئه
يحــور رمـادا بعد اذ هو ســاطع
وما المــال والأهلــون الا ودائـع
ولابـــد يـــوما أن تـرد الودائـع

الى أن يقول :

اليس ورائـى ان تـراخت منيتــى
لـزوم العصـا تحنى عليها الأصابع ؟
اخبـر أخبـار القـرون التى مضـت
ادب كـانى قمت اذ أنــا راكـــع
لعمـرك ما تدرى الضـوارب بالحصى
ولا زاجرات الطـير ما الله صـانع ؟

فاذا تركت البيت الثـــانى : « وقــد كنت ... » فأنت واجد حكمة فى كل بيت ، ومن عجيب أمره أنه لا يؤمــن بضرب الحصى ولا زجر الطير ويجعل الغيب كله لله على أن بعض المؤمنين فى زماننا هـذا يذهبـون الى المشعوزين ويعتقدون فى ترهاتهم .

البقية ص ١٥٣٢ ـ

(١) أروى : اسم أمه وامها البيضاء ام حكيم بنت عبد المطلب ، فهو كريم الاب والام .

كلمة لا بد منها

سررت غاية السرور بابلاغ الشـاعرة المبدعة ، جليلـة رضا ، بمضمون كلمتي : (حول شاعرية روحية القلينى) ، ابنة دسوق البارة .. الا أن هناك بعض الحقـائق التى أود اضافتها عن الشاعرة الراحلة ، تتعلـق بمرحلة باكورة عمرها .. وقد حازت روحيـة القلينى الميدالية الذهبية فى مهرجان الشعر ، الذى أقامته كلية الآداب بجامعة (فؤاد) ــ جامعة القاهرة حاليا .. وكانت ضمن طلبـة هذه الكلية فى عقد الثلاثينيات ، واستحقت ان يطلق عليها بجدارة لقب : (أميرة الشعـر) بالجامعة باسرها ، وهو لقب لم يظفر به أحد سواها ، لا قبلها ، ولا بعدها. (١)

وكانت ، بموهبتها وحسن استعدادها ، تعد بمثابة امتداد رصين متطـور للشـاعرتين الراحلتين : ملك حفنى ناصـف (باحثـة البادية) ، وعائشة التيمورية ، وغيرهما مـن شواعر الرعيل الأول فى مستهل القرن الحالى ــ وقد صدرت لها دراسة مستفيضة عنهمـا فيما بعد ، وعن غيرهما من شهيرات أديبـات النساء وشواعرهن فى الشرق والغرب .

أسلوبهـا وشخصيتها :

واذا أردنا أن نقف على أسلوبها ومقومات تكوين شخصيتها ، والرسـالة التى أخـذت على عاتقها أداءها فى الحياة والمجتمع ، يتبين لنا ذلك بوضوح وجلاء ، فى قولها بحـرارة وأصالة : (أنا أفهم الفن على أنه احتـراق وسهر ، وكد وتعب .. وليس مجالا للظهـور والصيت ، فالصيت يأتى طيعا ، لمن وقف ثابتا فى الميدان ، بعد عرق وكفاح) .

والشاعرة روحيـة القلينى ، تعتمـد بعـد اعتمادها على الله ــ تعتمد على ثقتها بنفسها وسلاحها ، كما تقول ، والسلاح الذى تعنيـه الشاعرة هو ــ بلا شك ــ حسـن الاعـداد والاستعداد ، واسـتكمال الأداة اللغـوية والبيانية ، والا أصبح الانسان ، كما يقـول شاعرنا العربى القديم ، :

---

(١) مثل هذه الواقعة تتحمل تاريخها الكاتبة وحدها ... مجلة الازهر .

بقلم : وفيقة عواد سلامة

كساع الى الهيجا بغير سلاح ٠

وما يهمني ذكره ، أيضا ، في هذه الكلمة المجلى ، هو أن شاعرتنا الراحلة روحية القليني ، على الرغم مما لقيته في حياتها من

عسف الأيام وذلك بمعنى ، ما أشارت اليه أستاذتنا الشاعرة الكبيرة جليلة رضا ـ فان روحية القليني لم تستسلم لمصيرها ، أو تجأر بالشكوى باكية مستبكية وانما كانت تلوذ دائما بايمانها ويقينها بالله عز وجل ورحمته ، التي وسعت كل شيء ، كمستريح يأوى لحزنه، بصبر جميل ، كما يتجلى ذلك في شعرها الصوفي ، الصادر عن ذات نفسها الخاشعة كما يبدو في أبياتها التالية ، التي تنفس فيها عما يحتفل في أعماقها ، بقولها :

آهة حرى بصدرى
ودموع حائرة

آه لو ينطق دمعى
وجراحى الغائرة

أنا لا أشكو على رغـ
م الليالي الجائرة

أتعالى ٠٠ وأخيل الد
مع : نجوى ٠٠ شاعره

أما موقفها ازاء ما أثير في مستهل حياتها ، حول جدوى تعليم المرأة تعليما عاليا ، لتكون أقدر على أداء رسالتها في الحياة ، بحنكة واقتدار ، فيتجلى في قولها :

لا يصلح الوطن الكبير بنصفه
فتعاون الجنسين سر علاه

وأخيرا ، وليس آخرا كم سرني العدد الأخير من مجلة الأزهر الغراء ، لاحتفائه بالأدب والشعر ، وفي ذلك ملء للفراغ الذى خلفه اختفاء الكثير من المجلات الأدبية ، كالجديد ، والثقافة ، والعروة الوثقى وغيرها ، تلك المجلات التي كنا نجد فيها زادا فكريا وروحيا ، أي زاد ٠

ونود أن تستوفى جليلة رضا بحث شتى جوانب شاعرية روحية القليني ، ولن تعوزها الشواهد الكثيرة ، كما أن رصيد الذكريات لديها عن صديقتها الحميمة الشاعرة الراحلة ، تجعلنا نتوقع من يراعها أن يفيض بالشيء الكثير ٠

وبالله التوفيق ٠

وفيقة عواد سلامة

ألوان من الأدب النسائى

الشاعرة روحية القلينى ٣

وطنياتها وعروبتها :

ظلت الشاعرة روحية القلينى تتغنى بذكريات بغداد ، وتحن اليها والى الأيام الجميلة التى عاشتها هناك ، مستأنسة بأهلها الكرام .

وفى ديوانها : « عبير قلب » تقول فى قصيدة « حنين الى بغداد » :

نادى لهيف الجوى بغداد ناديني
من ماء دجلة يابغداد ورويني
انى ظمئت لماء الخلد فى بلد
أفدى ثراه بعمرى وهو يسقيني
فى مطلع العمر ضمتني سواعده
لقيا الأحبة فى دنياه تغنيني
مع الصديقات كم باتت مشاعرنا
سهرانة الوجد فى ودتنا جيني
فكم سهرنا وكم غنت مرابعنا
كم قلت للفجر : لا تطلع الى حين

وتذكر الشاعر كيف أن الدخيل أراد أن يفرق بين بلدينا رغم الوحدة العربية المحتومة ..

انى احبك يابغداد فاستمعى
دقات قلبى الى مغناك تدعوني
اقول يارب انا امة خلقت
للمجد والعز لا للذل والهون
يد الدخيل أرادت أن تفرقنا
لكن وحدتنا شيدت بتمكين
العرب كلهم أهل ورابطة
لا فرق بين عراق أو فلسطين

الطبيعة فى شعرها :

ان الطبيعة فى شعر روحية القلينى تأخذ ركنا كبيرا من تفكيرها وأحاسيسها وأحلامها ، فهى تمتزج بأشياء عظيمة ، تعيش الشاعرة لها وبها .

انها وهى تعلم أن الطبيعة من صنع الخالق ، لا يسعها الا الانبهار أولا بعظمته سبحانه ، ثم بمدى جمال صنعه المتمثل فى الطبيعة . وهى حين ترى الطبيعة أداة لتفجير المشاعر

الوجدانية فتذكر آنذاك نفسها وحظها وقدرها . ومن ثم تتوغل فى دروب المشاعر الذاتية ، كاشفة النقاب عن كثير من أسرارها الدفينة .

وهى عندما تتكلم مع الطبيعة عن مشاعرها الخفية ، لا تخاطب الا كل جليل وثمين يكمن فى الطبيعة .

لا تناجى الا ما يستاهل أن يكون أمينا على مناجاتها ، ولا تخاطب الا ما كان جديرا بالاستماع اليها كائنا من كان .

فالليل عند « روحية » يأخذ مدى أرحب فى أشعارها السارية المجنحة ، كما أن لشمس الأصيل ونسمة الربيع مكانا كبيرا لديها ، أما الربيع نفسه ، فهى تسميه « ملهمها » ، ولذلك نراها كثيرا ما تستكن لديه ، وتشكو وتصب فى سمعه أدق وأعمق الاسرار . فتقول فى قصيدتها « الربيع » .

يا ربيع السحر ياحلو الصدى
انت لحن عبقرى لم تزل
عاد للطير ربيع حافل
وأنا مذغاب عنى .. ما حفل
عشت بين الناس فكرا حائرا
وطيوفا تتراءى فى المقل
اننى قيثارة أوتارها
عازف اللحن طواها .. وارتحل
وقصيد شاعر الصفو بها
ترك الأبيات لما تكتمل ؟
عاد للناس ربيع حافل
وربيعى بالأمانى لم يطل

أجل ، ان روحية كما ذكرت فى شعرها للطبيعة تميل الى التطلع الى كل ما هو عال أشم عزيز كامل .

وهى تخاطب البدر فى قصيدة من أجود قصائدها ، فالخيال فيها مجنح ، والمعنى انسانى نبيل ، تقول فى قصيدة (البدر الحزين) (١) .

يابدر لم أعهدك الا باسما
واليوم يابدرى أراك حزينا
لك بسمة يابدر فى صمت الدجى
توحى الى قلبى شجى وحنينا
يا بدر حدث اننى لامينة
سيظل سرك فى الفؤاد مصونا
حدث فؤادى عن أساك فربما
بالعطف أنسيه عذابك حينا

(١) بديوانها همسة الروح ص ٢٤ .

الى أن تقول :

لا تحسبن شكواك ضعفا ، انها
لحن حزين من شجى الموحينا
فانا وأنت على الاباء تآلفا
ليست شكايتنا لضعف فينا
لا النجم ترضيني ابتسامته ولا
أرضى سواك مواسيا يهدينا
يا بدر مالي غير ضوئك موحيا
حتى ولو كان الضياء حزينا

وفي قصيدة (شمس الأصيل) بنفس الديوان ، تبث الشاعرة شكواها .

شمس الأصيل تمهلي فكلانا
قد فارق الأحباب والخلانا
عما قليل تطلعين على الورى
وانا اعذب بالنوى الوانا
شمس الأصيل تمهلي وابقي معي
حتى ابث شكايتي أشجانا
عانيت أيامي أسى وقضيتها
شكوى وذبت على الوفاء حنانا

※※

وهكذا تتخذ الشاعرة من الطبيعة صديقة خالدة وفية ، تسرد لها آلامها وآمالها ، (كنسمة الفجر) ، و (أيها الليل) و (شجرة الصفصاف) .. ولم تنس البحر ، فقد استعطفته حيث تقول :

أقضي الشتاء بعيدة لمآرب
واعود بعد تشوق وحنين
لأبثك الشكوى وأنشد راحتي
فبموجك الحاني تخف شجوني

ولكن الشاعرة في قصيدة (الزورق الحائر) ، خالفت طريقها المعهود في بث الشكوى الى الطبيعة ، فقد تركت الزورق نفسه يبث شكواه ، الى الكون ، ناعيا حظه العاثر ، فكانت موفقة كل التوفيق حيث أجادت التعبير عن نفسها ، على لسان « الزورق الحائر » وأجد من الضروري أن أفسح مكانا ، كي أعطي الفرصة لتدبر هذه القصيدة الفريدة ، تقول الشاعرة بلسان زورقها :

انا حائر والريح تعصف
بي بلا رفق ولين
والموج يعبث بي هنا
وهناك في طيش الجنون
وانا على الحالين في شوق
الى الشط الامين

※※※

انا حائر حار الزمان
على حياتي المستترة ؟
جمعت بي الأنواء
فاستسلمت للأمواج مدة
وتبعتها كالطفل استسلم
للذي أغراه .. أمره
فاذا أنا بين العواصف
والرياح المستمرة
حيران .. روحي كم
تحن لربوة كانت مقره

وبعد ، انها قصيدة تعد من القصائد القوية في شعر الشاعرة ، ان هذا اللون من الشعر الرمزي الخفيف لم تكن روحية تميل اليه

او تنظمه ، لذلك جاءت هذه القصيدة اليتيمة كالثمرة النادرة الغالية .

خصائص شعرها :

عندما نريد أن نحدد خصائص شعرها نستطيع أن نقول :

ان شعرها ينتمى الى المدرسة الكلاسيكية المعاصرة .

لقد كان رأى روحية احترام الماضى وتقاليده الفنية وأصوله الراسخة عبر الأجيال ، حتى نقيم عليه بنيانا جديرا يكون سببا فى اهمال الضرورات الشعرية ، وأن يحطم حواجزه .

وعندما نتبين مذهبها الشعرى ، يبدو لنا ما فيه من نزعة واقعية ، وان كان للرومانسية دور كبير فيه ، وسلطان قوى عليه .

والمذاهب الأدبية كثيرا ما تتداخل ، فالرمزية قد تستعير بعض المشاعر الرومانسية ، وهكذا .. ومن ثم فان روحية القلينى تأخذ بطرف من المذهبين ، دون أن تقترب من غيرهما .

فهى واقعية حين تصور المجتمع الذى تعيش فيه ، وهى واقعية حين تتحدث عن تجاربها الشعورية الخاصة ، وتسردها قصصا ملموسة .

وهى « رومانسية » حين تصور الطبيعة والأمانى والمثل العليا والقارىء لشعرها فى مجموعه يلاحظ أنه لم يتطور أو يتغير مدرسة ومذهبا ومضمونا وشكلا ، منذ بدايته حتى نهايته ، ذلك لأن الشاعرة اعتنقت أسلوبا خاصا بها ، وظلت على عقيدتها وفية له متشبثة به ، حتى أصبح القارىء يدرك من أول بيت للقصيدة بأنه شعر روحية فهى اذن صوت مستقل ، وشخصية قائمة بذاتها ، لها مميزاتها الخاصة .

ان روحية تعد من الشعراء المجددين ، رغم شعرها العمودى ، وقوافيها الملتزمة الوحدة .

ان شعرها يقف فى منتصف الطريق الذى مر به ، ولازال يمر به عديد من شعرائنا المعاصرين .

وكما أننا لا نستطيع أن نقول ان شعرها تقليدى ، وان نظمت عددا وفيرا من القصائد الطوال والقافية الواحدة ، كذلك لا يمكننا القول ان شعرها هو الشعر الحديث ، أو الحر .. الذى يتغاضى عن عدد التفاعيل وتكرار القافية ، وعدم الالتزام بها ، والذى يعتمد كل الاعتماد على الواقع والمضمون والفكرة .

وروحية فى شعرها تميل الى القصص الشعرى ، فنرى فى دواوينها الكثير من القصائد التى تبدأ بالحدث ، وتنتهى بنهايته .

وقد نظمت من بحور معينة أحبتها ومالت اليها ، فأكثرت منها وأهملت غيرها .

وهذا أيضا لا يعيب الفنان ، فهو لا يختار ، بل يوحى اليه فينهج السبل فى صدق وأمانة وحرية .

وشعر روحية القلينى يخاطب النفوس فى بساطة ورقة وعفوية . فلا تأنق فى الألفاظ ولا تعسف فى الكلمات .

ليس فيه بحث ولا جهد ، ولماذا البحث والجهد .. وهو شعر الأحاسيس السمحة النية والقصد ، ومنبع الخواطر السانحة في لحظة الوحي والتجلي .

انه النبع الذي يسري بين الحقول ، ليروق ما يقابله من نبات وزرع ، في صفاء وتفان وتضحية .

وهو لذلك لا يعترف بالنزعة العقلية الفلسفية ، ولا يدين الا للشعور الصادق .

لذلك نراه عديم الاشارة والتلميح ، قريب الرؤى والأخيلة ، يميل الى الوضوح كل الميل ، ويتجنب الرمزية والغموض يمتاز بالتعبير المباشر والجرس الغنائي .

سلس الألفاظ ، محدود الصور والتشبيهات ، وان كان غزير المناجاة ، فياض المشاعر .

انه شعر يخرج من القلب ، الى القلب .

يخرج مشبوبا عارما ، يموج وجدانا واحساسا .

يخرج كما هو ، وكما تحس به الشاعرة ، بلا تكلف أو تصنع ، وبغير تعقيد أو تقليد .

انها تحس فتكتب فتقول ما يتوارد في ذهنها :

مالي أنها والسهد في عيني يعزف ألف آه الخ .

***

خلاصة القول ، نستطيع أن نقول ان شعر روحية القليني هو السهل الممتنع .

فالقارىء العادي يحس أن هذا ما يريد أن يقول ، ولا يستطيع قوله .

انه شعر تميز بالصدق ، لذلك أحبه الكثيرون ، واعترفوا لصاحبته بالشاعرية والاقتدار .

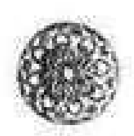
لقد أخذت روحية الشعر في بادىء الأمر كهواية جميلة ، ولكنها درست وثقفت نفسها ، بنفسها وربت ملكاتها ، وأقبلت على القارىء بعد ذلك بتذوق وفن .

ومهما يكن من أمر ، فان شعرها يعتبر فتحا جديا في عالم الشعر النسائي في جيلنا الحاضر .

لقد كشفت عن شاعرية المرأة في عصرنا الحديث ، وأصبح ذا قيمة أدبية ، في زمن نهضت فيه المرأة وانطلقت بخطى سريعة في طريق الخير والحق والايمان .

يتبع

جليلة رضا



العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

كيميائية الماء

الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم (٢)

تقديم

ليس من العسير ان يسلم الناس فى ضوء خبراتهم العادية أن أول شروط بقاء الاشياء على الارض هو عدم خروجها على الناموس او النظام الطبيعى .

فمثلا اذا ما ولد طفل برأسين فانه سريعا ما يموت ، أما الطفل الطبيعى فهو غالبا ما يعيش .

وبالمثل نجد ان اول شروط المعجزة الخالدة مسايرتها للناموس الطبيعى ، او لسنة الخالق سبحانه وتعالى ، أو النظام الذى سنه لهذا الوجود .

ولهذا السبب انتهت كل معجزات الرسل الخارقة للقانون الطبيعى وضاعت معالمها .

مثل : هدهد سليمان ، وعصى موسى وناقة صالح ....

على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

اما ثانى شروط المعجزة الخالدة فهو ان لا يقف اعجازها عند عصر معين ، ولا يحد بثقافة أو علم بالذات .

وعلى هذا النحو كان من الطبيعى أن تكون المعجزة الخالدة كتابا يتجدد اعجازه على مر العصور هو القرآن الكريم الذى يخاطب العقل ويوجه الحديث الى أهل العلم والمعرفة، ويوقظ الضمير ، ويحرك الوجدان .

وفى هذا العصر (عصر العلم) عندما اتسعت أمامنا آفاق الكون المرئى ، وعرفنا كثيرا من نظمه وسننه التى بنى عليها ، استطاع الانسان أن يرسى قواعد العلم التجريبى الذى أتى بما يشبه المعجزات ، وبهر عقول الناس .

وأساس العلم التجريبى هو تلمس آيات الخالق وسننه فى عالم الحس ، وهى آيات

بقلم الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

شاملة وسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتغير :

« وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً » الاحزاب الآية (٦٢) .

ولم يكن عجيبا اذن ان يسخر القرآن الكريم من الجاحدين عندما جاءوا الى الرسول الكريم يطلبون منه عمل الخوارق ، وهو يخاطب عقولهم ، ويعجزهم بفصاحته ومعانيه :

وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً » الاسراء الآيات (٩٠ — ٩٣)

قضايا علمية :

والحق — أيها المسلم الكريم — ان الخالق المبدع جل شأنه شاءت ارادته، لحكم واسباب عديدة جوهرية ، الا تدركه الحواس ، وهو يدرك الحواس ، وأولها البصر :

« لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » الانعام الآية (١٠٣) .

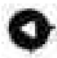
ولكن رحمة بنا (كما قلنا فى مقالنا السابق رقم — ١ —) ، لم يتركنا هكذا حيارى فى بيداء هذه الحياة الدنيا ، اذ تجلى لنا فى كتابين خالدين .

كتاب نقرؤه ليكون معجزة خالدة ناطقة بوجوده سبحانه وتعالى ويصدق رسالة نبيه الكريم ، وهو القرآن الكريم ، أو كتاب الله المسطور .

وكتاب نراه ، وندركه بحواسنا ، وندرسه ، هو كتاب الله المنظور .

وعندما تكلم الخالق بالقرآن الكريم كان من الطبيعى ان يستمد كثيرا من آياته وحكمه من الكتاب المنظور ، وهو الكون . وعلى هذا النحو تحدث عن السماء ، والهواء ، والماء ، والاحياء ، فقال — مثلا — فى سورة الجاثية :

« إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ



مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ » الآيات ٣ ــ ٦ •

على هذا النحو أثار القرآن الكريم العديد من القضايا العلمية . فى نحو ٨٠٠ (ثمانمائة آية) عرفنا جانبا من أعماق اعجازها فى ضوء تلك الآفاق الواسعة التى فتحها امامنا عصر العلم •

ومن واجبنا ، ونحن نعيش عصر العلم ، أن نظهر تلك الأعماق المعجزة الأخاذة فى ظل الثابت من الحقائق العلمية ، من غير أن نكلف الآيات الكريمة ما لا طاقة لها به من الاستعارات أو الكناية •

ونحن عندما نفعل ذلك لا ندعى أن ما نقوله هو نهاية المطاف ، لان كتاب الله سوف يبقى معجزا الى يوم الدين •

العمق الأول للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم :

ولعل أول ما يلفت انظارنا من اعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم انه هضم معلومات البشر العلمية الصحيحة منذ نزل •

وفى معنى آخر تمثت معلومات البشر العلمية الصحيحة (قديمها وحديثها) مع ما أثاره القرآن الكريم من قضايا العلم •

ولقد ضربنا مثلا لذلك فى مقالنا السابق (١) بشرح كلمة (لموسعون) فى قوله تعالى :

« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » سورة الذاريات الآية (٤٧) وفى هذا المقال سوف نلتقى بمثل آخر نشرح فيه كلمة (لواقح) فى قوله تعالى : **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ »** سورة الحجر الآية (٢٢) •

قال بعض الاقدمين فى تفسير كلمة (لواقح) انها تعنى تلقيح الرياح لبعض النباتات بحمل ونقل حبوب اللقاح كما هو معروف • وهذه حقيقة علمية ثابتة لا تزال قائمة لأنها مستمدة مما نرصده فى الكون •

وفى هذا العصر ــ وفى ضوء علم الارصاد الجوية ــ وفقنى الله ففسرت كلمة (لواقح) على انها انما تعنى تلقيح الرياح للسحاب بعد أن تثيره ، وذلك لكى يجود بالمطر •

والمعنى العلمى السليم لتلقيح الرياح للسحاب المثار هو انها تمده بجسيمات صغيرة من الأملاح أو الأحماض تعرف علميا باسم (نوى التكاثف) •

وهذه الجسيمات المجهرية هى التى تتجمع عليها جزيئات بخار الماء العالق فى الجو والذى تحمله الرياح أيضا ويسمى التكاثف ، وبهذا التكاثف تتكون قطرات الماء داخل السحب، ثم تنمو وتسقط على هيئة مطر •

وجدير بالذكر ان اول كتاب يقرر حقيقه ان السحب تكونها أو تثيرها الرياح ــ ومنهــا الهواء الصاعد ــ هو القرآن الكريم ، وذلك فى العديد من الآيات ، مثل قوله تعالى فى سورة الروم .

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً »،

الآية (٤٨) ولا يقف القرآن الكريم عنــد هذا الحد بل يفرق بين السحابة التى تمطــر وغيرها من السحب التى لا تمطر ، فيبين ويقرر أن سبب الامطار هو تلقيح الرياح للســحاب أو امداده ببخار الماء ونوى التكاثف اللازمين وتخاطب الناس فى هذا العصر بلغة العصر ،

وهكذا يتبين لنا ــ ان الآية الكريمة انمــا تثير ثلاث قضايا علمية رئيسية تظهر اعجــاز القرآن الكريم فى عصر العلم بكــل جــلاء ووضوح ، وتقيم الحجة على كــل مكــابر ، وتخاطب الناس فى هــذا العصر بلغــة العصر اى لغة العلم .

اما القضية الأولى :فهى أن كلمة (لواقح) **تهضم** : حقيقة أن الرياح تلقح النبات كما قيل مــن قبل .

كما تهضم حقيقه أن الرياح تلقح السحاب بنوى التكاثف وببخار الماء لكى يجود بالمطــر كما ثبت فى هذا العصر .

والقضية الثانية : أن هذا التفسير الحديث الذى تكشف لنا فى عصر العلم يجعل من الفاء فى قوله تعــالى (فأنزلنا) (فاء) السببية وهذا يربط بين شطرى الآية برباط ســليم فى قوله تعالى :

« وَأَرْسَلْنَا الرِّيَــاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِــنَ السَّمَاءِ مَاءً ... » .

أى أن نزول المطر انما ينجم عن تلقيــح الرياح للسحاب كما قدمنا .

وتتضمن القضية الثــالثة تقرير حقيقــة الدورة المائية ما بين السماء والأرض فى قوله تعالى :

« ... وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ » .

فكلمة (ما) هنا نافية ، تعنى أن المــاء العذب ، أو ماء المطر ، ليس مخزونا فى مكان معين ، ولكنه دورة مستمرة ، قوامها ــ كمــا نعلم ــ أن الشمس تبخر بعض ماء البحــار والمحيطات ، وتحمل الريــاح تلك الأبخــرة وتصعد بها الى مناطق اثارة الســحب ، ثم تدأب على تلقيح تلك الســحب بنوى التكاثف وببخار الماء لكى تجود بالمطر الذى لا يلبث أن يعود ماؤه الى البحر من جديد عن طريق المياه الجوفية أو الأنهار ليعيد الكرة من جديد .

وعلى ذلك فان مصدر الميــاه العذبــة على الأرض كلها وبدون استثناء هو المطر) سواء أخذناه . من الآبــار ، أو مــن العيون أو مــن الأنهـــار، أو من النافــورات . ويقــــرر القــــرآن الكــريم تلــك الحقيقة فيقول فى بساطة لفظية واعجاز علمى مبين فى سورة الواقعة :

« أَفَرَأَيْتُمُ الْمَـاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْـنُ الْمُنزِلُونَ »

الآية (٦٩) .

والمزن هو السحاب الممطر ، واللــه تعالى أعلم .

للبحث بقية

د. محمد جمال الدين الفندى

كيميائية الماء

« أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » .

صدق الله العظيم

وردت كلمة الماء فى كتاب الله العزيز فى بضع وستين آية وفى أكثر من ثلاثين سورة يمتد بساطها من « البقرة» حتى « النازعات » .

من هذه الآيات ما يشير الى مصدر الماء .

ومنها ما يشير الى اهميته للحياة .
ومنها ما يبين منافعه المختلفة .
ومنها ما يدعو للتدبر .
ومنها ما يحث على الشكر .

ومن الامور المسلم بها أن جميع الكائنات الحية على اختلاف أنواعها وفصائلها لاتحتمل البقاء بدون الماء .

ويعرف الماء عند العلماء بأنه ذلك : « السائل الشفاف الذى يسمح للضوء بالنفاذ من خلاله » . فتنبعث بذلك الحياة فى الكائنات النباتية التى تعج بها مياه البحار والمحيطات وتستطيع الجزم بأن السواد الأعظم (ان لم يكن الكل) من التفاعلات الكيميائية لا يمكن أن تتم بدون الماء فى احدى حالاته .

والماء هو السائل الوحيد المتواجد فى الأحوال العادية فى حالاته الثلاثة المعروفة وهى الصلابة (الجليد الذى يغطى قمم الجبال) والسيولة (كمياه الأنهار والبحار) والغازية (بخار الماء المتصاعد فى الجو) .

الخواص الطبيعية :

وللماء بوجه عام خواص طبيعية قلما تتوافر فى اى سائل آخر من السوائل المعروفة مثل قدرته على اذابة كثير من العناصر والغازات والمركبات ومن بينها صخور القشرة الأرضية ومعادنها والغازات الموجودة فى الغلاف الجوى ويندر وجود مادة لاتذوب فى الماء ولو بقدر ضئيل .

ومن هنا تتضح أهمية الماء أيضا كعامل من عوامل التعرية .

بقلم: الكيميائي
منير عبد الفتاح عبد الحميد

وتتميز الماء أيضا بشدة توتره السطحي بمعنى أن جزيئات الماء تميل الى التماسك مع بعضها على السطح ، ولهذه الخاصية أهمية في تكوين قطرات الندى والرذاذ وفي احداث الأمواج .

وللماء قدرة كبيرة على اختزان الحرارة، فهو يمتص الحرارة ببطء ويفقدها أيضا ببطء، ولذا كانت البحار والمحيطات ، بمثابة المنظم الفائق لدرجات الحرارة على الارض وتشغل مياه البحار والمحيطات ما يقرب من ثلاثة أرباع سطح الأرض وتشغل اليابسة الربع الباقي .

ولحكمة الهية بالغة وجب أن تكون المساحة المغطاة بالماء أكبر من مساحة اليابسة وقدتبين من الحسابات الدقيقة الدور الهام الذي تقوم به البحار والمحيطات في تلطيف مناخ الأرض عامة ، وفي توزيع درجات الحرارة على سطحها توزيعا عادلا . ولو خلا كوكبنا هذا من هذا القدر الهائل من الماء لصار كوكبا تسوده فروق هائلة من درجات الحرارة لا تساعد على قيام الحياة .

وقد تبين أن القمر لا يوجد على سطحه ماء على هيئة بحار أو محيطات (انما يوجد صقيع دائم التجمد على عمق ١٥٠ م من سطح القمر وتحته ماء) ولذا كانت درجات الحرارة فوق سطح القمر بالنهار تفوق درجة غليان الماء ، كما أنها تهبط في الليل الى ما تحت الصفر بكثير .

ويحير الماء في معظم سلوكياته الطبيعية عن القوانين المتعارفة بين علماء الكيمياء والطبيعة مما حير العلماء قديما وحديثا وأثار دهشتهم ، الامر الذي دفع ذوي البصائر منهم الى الايمان بوجود مبدع ومتقن لهذا الكون « صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » .

وليتسنى لنا توضيح بعض السلوكيات الشاذة للماء نذكر نبذة عن تركيب جزيء الماء .

جزيء المـــاء :

يعرف الجزيء عموما بأنه أصغر جزء في المادة يظل محتفظا بنفس خواص المادة . وكل جزيء عبارة عن ذرتين أو أكثر مرتبط بعضها ببعض بطريقة معينة . وما يهمنا ها هنا هو التحدث عن بنية الذرة المكونة لجزيء الماء .

ذرة الهيدروجين :

الذرة هي جسيم متناهي في الصغر تحدها أفلاك دوارة ناشئة عن دوران شحنات سالبة (الكترونات) والجسيم الصغير المستقر في قلب الذرة يسمى بـ « النواة » ويحمل



شحنة واحدة موجبة فى حالة ذرة الهيدروجين وتوجد شحنة واحدة سالبة (الكترون) تدور حول هذه النواة فى مدارات خاصة .

ولنفسح مجالا صغيرا للأرقام تستطيع تخيل مدى صغر الذرة فنقول اننا اذا استطعنا حشد عشرة ملايين ذرة متلاصقة الواحدة بجوار الأخرى فانها لا تشغل فى الطول سوى ملليمتر واحد ، اذ يبلغ قطر الذرة فى المتوسط حوالى $\frac{١}{١٠٠\ ٠٠٠\ ٠٠٠}$ (واحد على مائة مليون) من السنتيمتر .

ذرة الأكسجين :

تحوى ذرة الأكسجين فى قلبها (كأى ذرة أخرى) شحنة موجبة ذات قدرة على جذب ثمانية شحنات سالبة (الكترونات) وبالتالى وجد أن مدارات (افلاك) . هذه النواة ذات الشحنة الموجبةتحتوى علىثمانية (الكترونات) تسبح فى المدارات بسرعات متفاوته وبدقة متناهية ثابتة .

ويتكون كل جزىء من جزيئات الماء من ذرتين من الهيدروجين مترابطتين بقوى تجاذبية مع ذرة واحدة من الأكسجين وهذه الجزيئات تتجاذب أيضا فيما بينها مكونة الحالة السائلة .

الخواص الطبيعية للماء .

١ ـ درجة غليان الماء .

تعرف درجة الغليان بأنها الطاقة (الحرارة فى هذه الحالة) اللازمة لفك قوى التجاذب الرابطة للجزيئات فيتحول الماء من الحالة السائلة الى بخار الماء المكون من جزيئات مفككة عن بعضها . وهذه الطاقة الحرارية تعادل ١٠٠°م (مائة درجة مئوية) وتسمى درجة غليان الماء .

وبمقارنة بسيطة بين درجة غليان الماء ودرجة غليان بعض السوائل الأخرى المتشابهة فى تركيبها مع الماء نلحظ حيدة (١) الماء عن تلك السوائل الأخرى فمثلا : بينما تبلغ درجة غليان الماء مائة درجة مئوية نجد أن درجة غليان (النوشادر) السائل تساوى ـ ٣٣°م (ثلاثة وثلاثون درجة مؤية تحت الصفر) بينما نجد أن سائل « كبريتيد الهيدروجين » = ـ ٥٩°م (تسعة وخمسون درجة تحت الصفر) وسائل (الميثان) = ـ ١٦١° م (مائة وواحد وستون درجة مؤية تحت الصفر) ، وذلك نتيجة لمعظم قوى بين جزيئات الماء اذا ما قورنت بجزيئات السوائل الأخرى .

ب ـ درجة تجمد الماء وكثافته :

ان خفض درجة حرارة الماء يؤدى الى زيادة التقارب بين جزيئات الماء وبالتالى تتناقص

---

(١) بزنة تيقضة بمعنى حياد والفعل حاد يحيد

حجم الماء أى زيادة كثافته فيهبط الى القاع حتى اذا أخذت درجة الحرارة فى التناقص عن ٤° م أربع درجات مئوية) يبدأ الماء فى التجمد ويزداد حجمه تدريجيا وبالتالى تقل كثافته فيبدأ فى الصعود الى سطح الماء ويظهر على شكل طبقة جليدية فوق سطح الماء واذا لا تجد جليدا فى قاع المحيطات والبحار فى المناطق الباردة والا هلكت جميع الكائنات الحية التى تعيش فى الماء . هذا بخلاف السوائل الأخرى التى تظل تتناقص فى حجمها عند خفض درجة الحرارة وتكون طبقة متجمدة فى القاع .

أنواع الميـــاه :

١ ــ ميـاه الأمطار

« وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا » الفرقان (٤٨ ، ٤٩) .

يكاد يؤدى بخار الماء العالق فى الجو أهم ركن فى تكوين كافة ظواهر الجو باستثناء عواصف الرمال ، فعندما يتكاثف بخار الماء نتيجة تبريد الهواء (بالانتشار والتمدد مثلا) ويتحول الى نقط من الماء ، يمكن أن تتكون السحب المختلفة ، وعند ظروف جوية معينة يتم تكاثف بخار الماء المتصاعد تحت درجة الصفر المئوية مكونا سحبا مختلفة ، وأهم هذه السحب ما يسمى بالسحب الركامية التى تبدو فى السماء ذات قمة (أطراف) ناصعة البياض لتوافر بللورات الثلج فيها والمنطقة الوسطى منها تحوى نقطا مائية تسمى بـ (الماء فوق المبرد) واذا تعرضت هذه السحب للرياح المحملة بجسيمات صلبة فان ذلك يساعد على تحول نقط الماء فوق المبرد الى بللورات ثلجية فتنشط عمليات التكاثف وتزداد بازدياد البللورات الثلجية التى تتلاحم مع بعضها حتى تصل السحابة الى حالة « فوق التشبع » فتبدأ الأمطار فى الهطول . فالرياح اذن ذات دور هام فى هطول الأمطار ، وقد تمكن العلماء (بمحاكاة الطبيعة) من تغذية السحب الركامية المحملة بنقط الماء فوق المبرد بجسيمات مثل تلك الجسيمات التى تحملها الرياح مثل مسحوق أو أبخرة من ملح كلوريد الصوديوم أو ملح معين من أملاح الفضة أو بللورات ثلجية مما يساعد على زيادة التكاثف وهطول الامطار (الامطار الصناعية) .

وتسقط الامطار مارة بهواء الغلاف الجوى الخارجي الذى يحتوى على الغازات القابلة للذوبان ، ولذلك يلاحظ أن مياه الامطار تحتوى على نسب ملحوظة من عنصرى الأكسجين والنيتروجين ، كما تحتوى مياه الأمطار أيضا على ثانى اكسيد الكربون الذى يعتبر وجوده ذو اهمية للنباتات كما سنذكر بعون الله .

وقد وجد أن سقوط الأمطار فى المدن الصناعية التى تنتشر فيها الابخرة

كيميائية الماء

والغازات الضارة يذيب معظمها مثل الكبريت الذى يتحول الى حمض الكبريتيك حيث يتعادل الأخير مع أملاح (الكالسيوم) و (الماغنسيوم) الذائبين فى الماء فيفقد فاعليته ويعتبر ذلك من عوامل الوقاية من تلوث البيئة الناتج عن (تكنولوجيا) الصناعات الحديثة .
ومن الناحية الكيميائية تعتبر مياه الامطار على درجة عالية من النقاوة على الرغم مما تقابله من أبخرة وغازات فى الهواء الجوى .

٢ ــ مياه الأنهار :

هى مياه أمطار تجمعت ــ على سطح الأرض ــ فى بقاع معينة بنظرية جيولوجية معينة . وقد لوحظ وجود مواد عضوية عالقة بمياه الانهار كما لوحظ وجود مواد عضوية أخرى فى قيعان الأنهار ، وهى ناشئة عن تحلل نباتات وحيوانات قديمة كانت مدفونة فى باطن الأرض وحملتها المياه .

وهذه المواد العضوية تتغذى عليها أنواع من البكتريا وتنتج ثانى أكسيد الكربون الذى يحتاجه النبات والذى يذوب فى مياه الانهار مكونا (حمض الكربونيك) فيذيب أملاح (الكالسيوم) و (الماغنسيوم) الموجودة فى طبقات القشرة الأرضية ، كما أن هذه المخلوقات الضئيلة الحجم التى تسمى (بالبكتريا) تعتبر مصدرا هاما لانتاج (النوشادر) و (النيتريت) و (النترات) التى تذوب أيضا فى مياه الانهار ، وتعتبر مصدرا غذائيا هاما لنمو النباتات الزراعية أثناء عمليات الرى بمياه الأنهار .

٣ ــ مياه الآبار :

« وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ » صدق الله العظيم .

تشكل مياه الآبار مستودعا عظيما للماء . وتتكون مياه الآبار نتيجة تسرب بعض مياه الانهار والبحيرات من خلال بعض الصخور المسامية والتصدعات الصخرية . فيتغلغل الماء خلال هذه المسام والشقوق الصخرية الى الاعماق الأرضية فى حركة بطيئة وتبعا لنظرية علمية دقيقة ، وقد تستغرق مسيرته بعض المئات من السنين الى أن تتلاقى هذه المياه فى منطقة فى باطن الأرض محاطة بصخور صماء ولا تسمح للماء بالنفاذ من خلاله فتستودع فيها مكونة بئرا .

وتتفاوت أعماق الآبار من منطقة الى أخرى فهناك آبار يبلغ عمقها ٨٠٠ م (ثمانمائة متر) ويبلغ عمرها ١٦٠ « مائة وستون » عاما ، وهناك آبار عمقها ٢٢ كم (اثنان وعشرون كيلو مترا) ويصل عمرها الى ٥٠٠٠ (خمسة الاف) علم ، وقد يصل عمق البئر الى ٦٦ (سته وستين) كيلو مترا كما فى الولايات المتحدة الأمريكية ويبلغ عمرها ٣٠٫٠٠٠ (ثلاثون الف) عام . وقد تمكن العلماء من تتبع مسار المياه من خلال معرفتهم لمسامية الصخور .

ونتيجة لمرور المياه خلال مسام الصخور . يتم ترشيح الماء من المواد العالقة به ، ومن بعض المعادن والأملاح الضارة ، مما يجعله فى

أغلب الاحيان صالحا للشرب ، ويسميه العلماء بالماء الصافي .

ومما تجدر الاشارة اليه أن مياه الآبار في جنوب أفريقيا متواجد (في أغلب الاحيان) على أعماق قريبة جدا من سطح الأرض الا أن أحدا من تلك الدول التي يطلق عليها (الدول المتحضرة) ، لم يكلف نفسه بامداد هذه الدويلات البائسة بوسائل ضخ المياه على الرغم من ضآلة تكاليفها اذا قورنت بتلك المعونات التي تقدم اليها .

والجدول التالي يوضح أهم العناصر الضارة المحتمل تواجدها في الماء والنسبة التي لا ينبغي أن تزيد عنها حتى يكون الماء صالحا للشرب .

العنصر	النسبة المسموح بها مقدرة بالمليجرام / اللتر
الحديد	٠ر٣
المنجنيز	٠ر٥
الكبريتات	٢٥٠
الفلور	١٠٤
الزرنيخ	٠١ر
النحاس	١
السيانيد	٠١ر
الرصاص	٠٥ر
الزنك	٥
السكانديوم	٠١ر
الكروم	٠٥ر
الزئبق	٠٠٢ر
الزنك	٥
السيلينيم	٠١ر
اليورانيوم	—
العناصر المشعة الأخرى	—

وقد وجد أن هناك بعض مياه الآبار تحتوي على نسبة ملحوظة من العناصر المشعة ويرجح أن السبب في ذلك يعود الى تجارب التفجيرات النووية المتعددة التي يجريها الانسان .

المليجرام / اللتر = $\frac{١}{١٠٠٠}$ (واحد على الألف) من الجرام في كل لتر من الماء .

٤ ـ ماء البحار

يختلف ماء البحر عن الماء العذب في كثير من الخصائص التي أهمها أن ماء البحر أكبر كثافة من الماء العذب وذلك بالنظر لوجود كثير من الاملاح الذائبة في ماء البحر .

ثم ان ماء البحر لا يتجمد في درجة الصفر المئوي كالماء العذب . كما يختلف سلوك ماء البحر عن الماء العذب عند التبريد فماء البحر يظل ينكمش بانتظام ـ أي تزداد كثافته بالتدريج حتى يصل الى درجة التجمد .

ويحتوي ماء البحر على كثير من العناصر والمركبات الذائبة فيه . ومن أهمها الاملاح المعروفة التي توجد بتركيز ثابت في جميع المحيطات .

بيد أن الجانب الأكبر منها هو ملح الطعام المعروف (بكلوريد الصوديوم) ولو أخذنا لترا من ماء البحروسخناه حتى يتبخر الماء تماما فانه سوف يبقى في الاناء قدر معلوم من



كيميائية الماء

الاملاح • وفيما يلي تركيب هذه الاملاح الموجودة في لتر واحد من ماء البحر •

كلوريد الصوديوم	=	٢٧ر٢١٢	جرام
كلوريد الماغنسيوم	=	٣ر٨٠٧	جرام
سلفات الماغنسيوم	=	١ر٦٥٨	جرام
سلفات الكالسيوم	=	١ر٣٦٠	جرام
سلفات البوتاسيوم	=	٠ر٨٦٣	جرام
برميد المغنسيوم	=	٠ر٠٧٦	جرام
كربونات الكالسيوم	=	٠ر١٢٣	جرام

المـــاء الثقيل :

إن الحديث عن انواع المياه لابد أن يدفع بنا الى التحدث — ولو بايجاز شديد — عما يسمى بالماء الثقيل فنقول وبالله التوفيق :

يختلف جزىء الماء الثقيل عن جزىء المـاء العادى (الخفيف) في أن جزىء الماء الثقيل يحتوي على ذرتين تشابهان ذرتي الهيدروجين الا أن الذرة منهما تتكون نواتها من (بروتون) و (نيوترون) (أى شحنة موجبة وأخـــرى متعادلة) •

وتسـمى ذرة «الديوتريوم » أو نظـير الهيدروجين وتبلغ كتلته ضعفكتلة الهيدروجين العادى • ونقطة تجمد الماء الثقيل هى ٣ر٨٢°م (ثلاثة واثنتان وثمانون درجة مئويـة) وتزيد نقطة الغليان بمقدار درجة واحدة ونصف الدرجة المئوية عن الماء الخفيف •

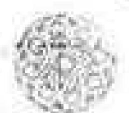
ويمكن الحصول على الماء الثقيل بواسـطـة التحليل الكهربائى (تحت ظروف خاصة) للماء الخفيف •

والواقع أن هذا الماء الثقيل يوجد كشـوائب في الماء العادى • وقد وجد أنه بتحليل ستة أطنان من الماء العادي يمكن الحصول على كيلو واحد من الماء الثقيل (بواسطة طريقة الفصل الكيميائى) •

ويؤثر الماء الثقيل على الكائنات الحيـــة تأثيرا شديدا • واذا ما أخذ بكميات كبيرة فانه يكون ساما جـدا • فقـد وجـد أن البذور المنقوعة في الماء الثقيل لا تنمو ، والحيوانات والأسماك التي توضع في الماء الثقيل تموت — كذلك — بعد فترة من الوقت •

اما استخداماته فهو يستخدم اساسا كمبطىء (مهدىء) لنشاط النيوترونات الرهيب في داخل المفاعلات الذريه كما يمكن القـول انه ايضا يسـتغل كمبرد لبعض المفاعلات الذرية الا تبلغ درجات الحرارة احيانا حوالى مليون درجة مئوية في بعض التفاعلات النووية •

منير عبد الفتاح عبد الحميد



ومن العجيب أيضا ما روى من أن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت تتمثل بقول لبيد :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وتقول : رحم الله لبيدا ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟

ومما يتمثل به منه أيضا قوله من قصيدة له طويلة مطلعها : « ان تقوى ربنا خير نفل »

واكذب النفس اذا حدثتها
ان صدق النفس يزرى بالأمل

وقد ذكرت لك سابقا قوله :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

وصاياه عند موته

لم يكن للبيد ولد ذكر ، وله ابنتان ، فلما حضرته الوفاة أوصى ابن أخيه أن يصنع صنيعه مع قومه ، فقد كانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة ليطعمهم ، وأوصاه أن يحط الطعام فاذا سلم الامام قدم الجفنتين للمصلين فاذا طعموا دعاهم لحضور جنازته . وهنا قال شعرا منه :

ابنى لو ابصرت امما
مى بنى ام البنينا
وأبى الذى كان الأرا
مل فى الشتاء له قطينا (١)
ما أن رأيت ولا سمعت بمثلهم فى العالمينا
فبقيت بعدهم وكنت بطول صحبتهم ضنينا
دعنى وما ملكت يمينى
ان شددت بها الشئونا
وافعل بمالك ما بدا
لك مستعينا أو معينا

وبهذه الأبيات وغيرها يعتبر ممن رثى نفسه قبل موته ، ومثله فى ذلك مثل مالك بن الريب المازنى وقال لابنتيه وهو يحتضر :

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا الا من ربيعة (٢) أو مضر ؟
فان حان يوما أن يموت ابوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا حليفه
اضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقد نفذت البنتان تلك الوصية .

واذا كانت معلقته التى وصفها نقاد الشعر بانها اجمل وثيقة تدل على صدق الأدب الجاهلى فان شعره الروحى بما حوى من نظرات صائبة ومنهج كريم ودعوة الى الشمائل الرفيعة والأخلاق الكريمة أجل شاهد على عقلية العربى التى تجعل من القول لبناء المجتمع الناهض الكريم ، فلقد كان قدوة اقتدى بقدوة ، وما أصدق قوله فى معلقته :

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها

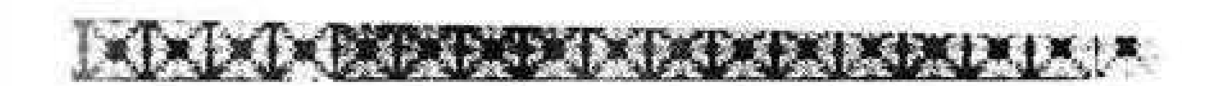
رحم الله لبيدا ، وجعل أعماله الصالحة نورا يسعى بين يديه يوم يكون القرآن شاهدا له لا عليه .

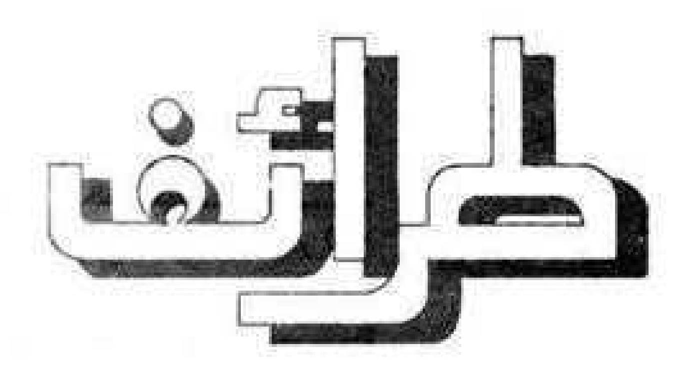
السيد حسن قرون

---

(١) قطينا : المراد كن فى رعايته .

(٢) ربيعة : يقصد اباه وقد مات مثل مضر .





أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين فى فتح الشام ، وبين أحد قواد الروم ، جاءه أمير الروم بطعام فاخر وقال له :

هذا طعام الأمير :

فقال له أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام ؟ .

قال : لم يتيسر مثله للجند .

فقال أبو عبيدة : لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام ، وبئس المرء أبو عبيدة أن صحب جندا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشىء يصيبه ، لا والله لا نأكل الا مما يأكلون .

يمين لا يحلف بها أعرابى أبداً

قال الهيثم بن عدى : يمين لا يحلف بها أعرابى أبدا « لا أورد الله لك صادرة ، ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك » .

حكم عربية

* لا سلامة لامرىء فى خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

* ينصب لكل غادر لواء يعرف به .

* لا خير فى فقه الا بورع .

* رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه .

* الأعمى من يرى بغير عينه ، والأصم من يسمع بغير أذنه .

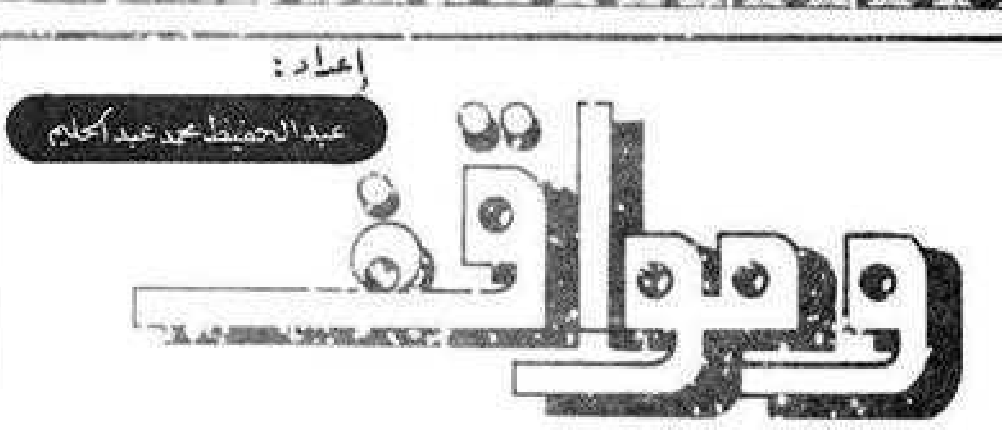
* ملاك الدين الورع ، وفساد الدين الطمع .

* الوفاء ضالة ناشدها كثير ، وواجدها قليل .

* يبصر القلب ما يعمى عنه البصر .

إعداد :

عبد الحميظ محمد عبد الحليم



* من كشف حجاب غيره ، انكشفت عورات بيته .

إني أخاف عليك

دخل السدى على عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ بعد أن تولى الخلافة .

فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ : أسرك ما وليت أم اساءك ؟ .

فقال له السدى : سرني للناس ، وساءنى لك .

فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : انى أخاف ان أكون قد اوبقت نفسى .

فقال السدى : ما احسن حالك ان كنت تخاف ، انى أخاف عليك ان لا تخاف .

اسم الذئب

قال دحية القاضى ، وكان من مجانين القصاص :

كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا .

فقالوا له : ان الذئب لم يأكل سيدنا يوسف .

فقال : فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف .

أصناف الاخوان

قال العتابى : الاخوان ثلاثة أصناف :

فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وفرع ليس له أصل .

فأما الفرع البائن من أصله : فاخاء بنى على مودة ثم انقطعت فحافظ على زمام الصحبة .

وأما الأصل المتصل بفرعه : فاخاء أصله الكرم ، وأغصانه التقوى .

وأما الفرع الذي لا أصل له : فالمموه الظاهر الذي ليس له باطن .

هكذا الحظ

قال الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ :

تموت الأسد في الغابات جوعا
ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير
وذو نسب مفارشه التراب

أدب الشعر

قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ لعبد الرحمن ابن الحكم :

انك قد لهجت بالشعر ، فاياك والتشبيب بالنساء فتعر شريفة .

والهجاء فتهجن كريما ، أو تثير لئيما .

واياك والمدح فهو كسب الأنذال .

ولكن افخر بمآثر قومك ، وقل من الأمثال ما تزين به نفسك ، وتؤدب به غيرك ، وأن لم تجد من المدح بدا فكن كالملك المرادي حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

أحلك رحلي في بني ثعل
ان الكريم لكريم محل

عيادة المريض

مرض يوما أبو عمرو بن العلاء ، فعاده بعض أصحابه .

وقال له : أريد أن أساهرك الليلة ، فأجابه :

أنت معافى ، وأنا مبتلى .

فالعافية لا تدعك أن تسهر ، والبلاء لا يدعني أن أنام .

واسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر ، ولأهل البلاء الصبر .

دعاء

« ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير » .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

لغة وأدب ونقد

من روائع تراثنا المخطوط

الدلالة في اللغة

الأدب السواحيلي

قضية البعث الإسلامي

من روائع تراثنا المخطوط

غراس الأساس

للحافظ ابن حجر العسقلاني

علماؤنا الأقدمون – رحمهم الله تعالى – أدوا واجبهم نحو دينهم ، واسهموا فى بناء صرح الحضارة الانسانية ، ابتغاء وجه الله تعالى .

وجانب من ذلك يمثل فى مخطوطاتنا العربية الكثيرة والقيمة ، والباقية الى اليوم شامخة برغم الاعتداء على مكتباتنا بسبب الاعتداء الهمجى ، أو كوارث الطبيعة أو الجهل .

وبهذا الجانب نثبت للدنيا أننا أصلا فى معارفنا وتفكيرنا وقد أثرنا فى حضارة غيرنا . كما تشهد بذلك الفضلاء . ولم نكن نقلة بريد ولا مقلدين وحسب .

وتفكير علمائنا وتآليفهم كان على أسس سليمة وقويمة على نحو ما شهد به المنصفون.

وقد أحيا الغرب على يد المستشرقين روائع من تراثنا ، فكان عملهم ريادة ، وكان منهم ولهم افادة واستفادة . وبقى أن ننهض لبعث وكشف وتجلية الكنوز المدفونة فى الظلام ، لتشرق نورا فى دنيا النور .

ومخطوطة (غراس الأساس) التى نحن بصدد تحقيقها والتقديم لها احدى روائع مخطوطاتنا ، ومن أغلى (المخطوطات) لأنها حملت عنوانها ، واسم مؤلفها ، والاشارة الى انتهاء الكتاب ، والنسخة الأصلية للمؤلف التى ننقل عنها .

وموضوعها جليل ، لأنه يتناول عملا قاموسيا معجميا لخدمة لغة الضاد الخالدة :

توثيقا واستدراكا لامام علامة هو : الحافظ ابن حجر العسقلانى ، على قاموس فذ لامام ألمعى هو العلامة الزمخشرى الذى فصل فيه لأول مرة بين الحقيقة والمجاز ، وله فى دنيا العلم والعلماء مكانة مرموقة وتبع ترتيبه الأبجدى بعده أصحاب قواميس كثيرة .

والحافظ بن حجر ولد بمصر سنة ٧٧٣ هـ فنبغ فى علوم الحديث والدين والقراءات ، أصبح ولا يزال ملء السمع والبصر وبلغت تآليفه مائة وخمسين مصنفا أعظمها : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى رضى الله

للدكتور توفيق محمد شاهين

عنه . وله ديوان شعر وديوان خطب .
والغراس الذى نحن بصدد الحديث عنه .

ولا عجب أن ينبغ فى اللغة وقد أخذها عن مجد الدين صاحب القاموس المحيط ، وتوفى الى رحمة الله فى ذى الحجة سنة ٨٥٢ هـ .

ويوجد من المخطوطة — على حسب علمنا ، وبعد سؤالنا فى الداخل والخارج — نسختان بخطين مختلفين ، رمزنا لأولاهما فى التحقيق بحرف (أ) ورمزنا للثانية بحرف (ب) للاستئناس بها فى التحقيق فقط .

وقد بين ابن حجر رحمه الله فى مقدمته منهجه فى التأليف ، والغرض من هذا الكتاب كما سنرى فى مقدمته . وفى أدب العلماء والفضلاء أشار الى أن ما يشير اليه فى (الغراس) هو من باب (المجاز) ، ومالم يسطره فى الغراس فهو من باب (الحقيقة).

وبهذا ومن خلال قراءتنا وتفهمنا ونقلنا للغراس — نرى أنه سيخالف الامام الزمخشرى فى كلمات ، سواء كانت من الحقيقة أو المجاز فى معجم (أساس البلاغة) للامام الزمخشرى .

وقد وافقه فى كثير من الحقيقة ، وخالفه فى قلة من ألفاظها كما وافقه فى بعض ألفاظ المجاز ولم يوافقه فى بعضها الآخر .

فما وافقه فيه من الحقيقة أو المجاز فهى علامة صحة للاساس ، وما خالفه فيهما فهى شهادة لابن حجر بطول الباع والبصر باللغة العربية ، بسبب التنقيب فى بطون المعاجم وامهات الكتب اللغوية والادبية ،كما أشارت مقدمة الغراس الى ذلك .

(والغراس) يعتبر مختصرا لمجاز الأساس ، ويعتبر بالتالى امتحانا واختبارا للاساس يعلى من شأنه ، ويتدارك ماند منه أو ما فاته ، ولا يغض من شأنه .

وهو يشهد بروعة بلاغة ابن حجر وتميز أسلوبه الأدبى ،وبعده عن القراءات الشاذة، وما يجرح من لفظ ، أو يوهم بجرح ، على ما سنرى .

(والغراس والأساس) اذن علامتان شامختان للادباء والعلماء والمتعلمين تهديان الى الأسلوب الرائق ودقة اللفظ وذروة البلاغة .

وعملى فيه : هو النسخ من الألف الى الياء للنسخة (أ) ، لصعوبة قراءة خطها ،ولخلوها من النقط ، على خلاف النسخة (ب) .

ولم أتدخل بإضافة الى النص الا لضرورة قصوى ، وجعلت الاضافة بين معقوفتين . وشرحت الغامض والمبهم فى ايجاز فى الهامش ، ونبهت على التصحيف والتحريف ، وسبق القلم فى الهامش أيضا ، مستعينا بالله



تعالى ، ثم بالقواميس المعتبرة وفي مقدمتها الأساس ، وكذلك الكتب اللغوية . وكان نسخي وتعليقي في كتابة املائية حديثة .

وقد كتبت — قبل ذلك — مقدمة للغراس طويلة وشافية فيها بيان وتفصيل .

وبينت أن المخالفة يشكر عليها ابن حجر لبيان الحقيقة ويرضى عنها الزمخشري ، لأنه طالب حقيقة ومرسي دعائم . وفي ايجاز للحكم على الموافقة والمخالفة ، نجد ابن حجر قد خالف الزمخشري فيما عده من الحقيقة في هذه الكلمات :

(اخوان ، أف ، أفق ، أهل ، وبتر ، وبَشّ ، ودحو ، ودد ، ودرق ، وداخ ، وربت ورمن)

كما اعتبر من المجاز : (برطل ، وبرة وبزّ ، ودسر ، ودغدغ ، ودرف ، ورال ، ورغف ، وركو ، ورصي ورمع ، ورعيا) .

وهذا وذاك في أبواب : الهمزة ، والباء والدال ، والذال ، والراء فقط .

ومن ذلك ندرك أهمية المخطوطة ..

وما كان من حكم فمرجعه الى المعاجم ، وتتبع الاستعمال ، وتاريخ الحياة للألفاظ اللغوية . وفي هذه المقدمة موضوع الكتاب المخطوط ، والاشادة بالأساس ، ومنهج ابن حجر في الكتابة والترتيب ، ونماذج لأول الكتاب تتلو بعضها ان شاء الله ، يقول رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم — وبه ثقتي الحمد لله الذي من على عباده البلغا بانطلاق ألسنتهم بوضع اللغا والصلاة والسلام على محمد أفصح من نطق ، وأبلغ من بلغ فبلغ ما ابتغى ، وعلى آل محمد وصحبه صلاة وسلاما ما هدر فحل ورغا ، وبر حالف ورغا . أما بعد :

فقد وقفت على كتاب أساس البلاغة للعلامة أبي القاسم : جار الله فوجدته كتابا نفيسا : اشتمل على الكلمات الظاهرة ، والأمثال السايرة ، واقتصر على الألفاظ المستعملة ، وتجنب المشكلة والمهملة .

وصدر ما وضع بازاء الحقيقة ، وتلى بما استعمل بطريقة المجاز ، وفصل كلا منهما بأوضح امتياز ، فجاء كتابا حافلا وجامعا كاملا .

فرأيت أن المهم منه ما تميز عن الكتب المصنفة في اللغة من تبيين الحقيقة من المجاز والتمكن من اجتناب الاسهاب ، وارتكاب الايجاز . فرأيت الاقتصار منه على ما جزم بأنه وضع على طريق سبيل المجاز ، مكتفيا بالكتب المصنفة في اللغة ، فانها أوعب لها من هذا الأساس . فمن لم يجد في هذا المختصر شيئا فليجزم بانه وضع على سبيل الحقيقة ، وسميت هذا المختصر : (غراس الأساس)

وطريقتي فيه :

أن اذكر بعد كل حرف مفرد ما يثنيه وأسلك طريق الترتيب حتى فيما يثلثه ويربعه :

فاترجم مثلا « الباء » ثم أقول : (با) ، فأورد ما أوله (با) ، ثم أنتقل الى ما بعدها مثل (بب) وهلم جرا .

وأراعي الترتيب بما ذكرت : فأقدم (باب) على (باس) ، وكذا أصنع في كل حرف طلبا للايجاز ، ورغبة في النجاز .

والله أسأل أن ينفع به ، انه سميع مجيب.

بـــاب الألف :

❋ (ابد) : قوله : بأوابـــد الكـــلام أى غرائبه ، وبأوابد الشعر وهى التى لا تشاكل مفرده (١) ،

وأنشد الفرزدق :

لن تدركوا كـــرمى بلـــؤم ابيكم
واوابـــدى بتنحل الاشــعار (٢)

❋ (ابر) القرن طرفه ، وكذا ابرة المرفق، وابرة العقرب والنحلة : شوكتها .

قال الشاعر (٣)

لابد مع الرطب من سلاء النخل ، ومـــع الشهد من ابر النحل .

ولدغته العقرب بمئبرها والجمع مـــآبر ، وانه لذو مأبر في الناس .

ويقال : خبثت منه المخابر فمشـــت بينهم المآبر . وأبر فلان فلانا : اغتابه وآذاه .

ومنه قول النابغة :

ومن دس أعداء اليك المآبرا (٤).

❋ (ابط) : الرمل : مسقطه ، وابط الجبل سفحه ، ضرب آباط الامور :أى معانيها . وضرب آباط المفازة : جازها .

❋ (ابل) فلان اذا ترك الجماع .

ومنه قيل للراهب : الأبيل .

وتقول : فلانة لورآها الأبيل لضاق (٦) به السبيل .

❋ (ابن) العداوات (٧) والعيوب ، ومنه لا يؤبن له الحرم (٨) .

يقال : أبنه بالتخفيف اذا عابه ، وبالتشديد اذا مدحه ، ولكنه غلب فى مدح النادب ،

ويقال : قرظ (٩) أحياهم وابن موتاهم .

❋ (ابى) لا ابـــا لك ، ولا ابـــا لغيرك ، ولا لشانئيك (١٠) .

يقولونه فى الحب .

ويقال : لعمر أبيك ، ولعمر ســـواك (١١) ، وأبو الأضياف ، ومـــن أبو مثـــواك وهـــو أبـــو الـــرؤيس ، اذا كـــان كبيـــر الرأس ، وأبو العمامة كذلك .

❋ (أتى) (١٢) تأتى له أمره : اذا تســـهلت له طريقه ، قال الشـــاعر : تأتى له الأمر حتى

---

(١) فى (ب) لا تشاكل جودة

(٢) الفادة وشاهد الفرزدق فى الأساس .

(٣) فى الأساس : وتقول بدلا من قال الشاعر ، لان ما بعد ذلك مثل لاشعر .

(٤) فى النسختين (المآبر) ، وما ذكرناه فى الأساس من ١٠ ، وصدر البيت : وذلك من أثاك اقوله .

(٥) ما بين المعوقتين زيادة من الاساس .

(٦) النسخة (أ) الفساق بدلا من لضاق .

(٧) فى الاصل : العدادات .

(٨) فى الأساس : ومنه الحديث ، لاتؤبن فيه الحرام .

(٩) فى الاصل : قرط بالطاء

(١٠) فى الاساس : ولا أبا بالشانئك .

(١١) فى الاساس : والعمر ابى سواك ، وانشد قول الكميت : انى لعمر ابى سواك من الصـــنائع والذخائر .

(١٢) لم يذكر الاساس مجازا فى ذلك .

انجبر ، وأدى أتاوة أرضـــه : أى خراجها ، وضرب عليهم الاتاوة : أى الجباية .

❋ (أثف) تأثفوه : اجتمعوا له حوله .
قال النابغة يخاطب النعمان ... ...
وان تأثفك الأعداء بالرفد (١) .

وتأثفنا بالمكان : ألفناه فلم نبرح منه (٢) .
وتأثف القوم على الأمر : تألبوا عليه .
وفلان مرجوم بأثاف الشرور وبثالثـة الأثاف
وبقيت منهم أثفيـة خشناء : أى جماعة كثيفة
ورجل مثفى : مات له ثلاثة أزواج .
وامرأة مثفاة ، قال (٣) .

نكحت مثفاة تهرا جمالهـــــا
واعلم ان المـوت لا بدواقع (٤)

ويقال : لا تثف قدرك لهذا الامر : أى لا تنتدب له .

ولا يثفى لهذا الامر قدرى ، أى لا أنتدب لمثله .

وثفيت قدره لكذا : اذا جعلته عدة له .

❋ (أثل) نحت أثلته اذا أنتقصه ، قـــال الأعشى :
ألست منتهيا عن نحت أثلتنا .. .. .. (٥)
ولفلان أثلة مال : أى أصل مال . وشرف مؤثل وأثيل .
والأثال : المجد .

❋ (أجج) مرّ يؤجّ فى مسيره : اذا كـان له حفيف .

وقد أج أجّة الظليم .
ومنه ، أجّة القوم : حفيف مشيهم .

❋ (احن) (٦) بينهم مؤاحنه قـديمة ، من الإحن وهى العداوة .

❋ (أخر) ابعد الله الآخر : أى من غاب وبعد .
والغرض الدعاء لمن حضر (٧) .

❋ (أخ) أخ الوداد أقـرب مـن الأخ الولاد (٨) .

بين السماحة والحماسة تآخ (٩) .
وشد الله بينكما أواخى (١٠) الاخـاء (جمع آخيـة) ، وهى ما يربط به الفرس .

❋ (أدب) جـاش أدب البحـر ، اذا كثر ماؤه .

---

(١) وأول البيت : لا تقذفنى بركن لا كفاء له .
(٢) فى الاساس : فلم نبرحه .
(٣) أنشد اليزيدى : الأساس .
(٤) وبعد هذا البيت قوله : وكنت مثفى ليت شعرى من الذى .. هو اليوم مضجوع ومن هو فاجع .
(٥) وعجز البيت : ولست ضـائرها ما أطّت الابل . الأساس .
(٦) اعتبرها الاساس حقيقة
(٧) وعبارة الاساس : ومن الكناية:ابعد اللـه الآخر ، أى من غاب عنا وبعد .
(٨) فى الأسـاس : اخوان الوداد أقرب من اخوة الولاد .
(٩) فى (الاصل) أخ .
(١٠) زيادة فى الأساس .

❋ (أدم) فلان مؤدم منشر (١) :اذا كان لينا في خشونة .

وليس تحت أديم السماء أكرم منه .
وأتيته أديم الضحى ، ورأد الضحى بمعنى
وظل أديم النهار صائما ، وأديم الليل قائما أي كله .

وفـلان إدام قومـه ، وأُدْمُ بنى أبيـه لثمالهم (٢) ومن يصلح أمورهم .

وفلان أدمة قومه : أي سيدهم . وائتدم العود : جرى فيه الماء .

ومن الكناية : ليس بين الدراهم والأدم مثله يريدون بين العراق واليمن ، لأن التبايع فيهما بالدراهم والأدم .

❋ (أدى) (٣) وشاك مؤد للكامل الأداة .
والأداوى : الحواصل .

❋ (أذن) فلان أذن : اذا كان سـمعه ، وهي أذن ، وهما أذن .
وأذن الكوز : عروته .

ومضت فيه أذنا السهم .

وفلان ناشر أذنيه : أي طامع .

وجاء لابسا أذنيه : أي متغافلا .

وفي المثل ، أَقْرَفُ الأرنب وأذنيهـا : أي لا يخفى عليّ .

وتقول سيماء بالخير مؤذنة .
وقد آذن النبات : اذا أراد أن يهيج .
❋ (أرب) فلان تارب علينا :أي تغير (٤)
❋ (أرَزَ) بتنا بليلة يأرِز من فيها :لشدة بردها .

يقال : أرزت أصابعه من البرد .
❋ (أرض) (٥) فرس بعيد ما بين سمائه وأرضه اذا كان نهدا (٦) .
ومن أطاعني كنت له أرضا : يريد التواضع
وفلان ان خـبيرت فـارض : أي لايبالي بالضرب .

أرى الجدب أرض المصر : أي العـداوة تتولد (٧) من الشر .

❋ (أزر) آزر بعض الزرع بعضا : اذا تلاحق ، وتآزر النبات .
وشد للامر مئزره : اذا شمر له .
وعم المطر فتآزرت به الأهضام ، وتعممت به الأكام .

وفلان عفيف المئزر والازار ، ومنه قوله :
الطيبون معاقد الأزر (٨) .
ويقال : عفيف الأزر خفيف الأوزار ..

◄

(١) ،بشر بالباء في الأساس .
(٢) في الأصل لثمائلهم .
(٣) لم يذكر أصل المادة في الأصل .
(٤) في الأساس : فلان تارب علينا : فلان تعسر .
(٥) لم يذكر أصل المادة في الأصل .
(٦) زيادة من الأساس .
(٧) في الأصل : ما تتولد من الشر .
(٨) القائلة هي : خِرْنِق . ومعاقد في الاصل ساقطة القاف والدال . الاساس .

وفى الحديث القدسى : « الكبرياء ازارى » (١) . وتآزر الحائط : تقويته بحائط (٢) يلزق به ، ويسمى أيضا الازار .
وآزر الكتاب تأزيرا . وكتب لى كتابا مؤزرا بكذا .

وشاة مؤزرة كأنما أزرت بسواد (٣)

وفرس آزر : أبيض العجز ، وخيل آزر (٤) ونصره نصرا مؤزرا .

❋ (أزز) تجوفه أزيز : هو فى الأصل صوت القدر اذا غلت .

❋ (أزف) فى عينيه أزف : أى ضيق (٥)

❋ (أزم) أزم علينا الدهر : اذا عض . وسنة أزمة وأزوم والجمع أوزام ، وأصابتهم أزمة ، وتتابعت الأزمات . وأزم بالقضية (٦) .عليها : اذا حافظ . والتقينا فى مأزم الطريق (٧) : أى فى مضيقه .

❋ (أزى) (٨) يقال : بنو فلان يؤازون بنى فلان : أى يقاومونهم فى كونهم ازاءً للحرب (٩) .

وفلان لايؤازيه أحد ، وكله من الازا : أى الحذا .

❋ (أسد) استأسد الرجل : صار كالأسد فى جرأته . واستأسد النبات : طال وعظم .

وآسد الكلاب بالصيد أغراه بـه وآسدبين الكلاب : هارش بينهما : **وبين القوم،حرش** (١٠)

❋ (أسر) (١١) شد الله أسره : أى قوى احكام خلقه .

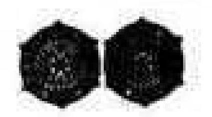
❋ (أسس) فلان أساس أمره الكذب .

❋ (أسف) أرض أسيفة : لا تمرح (١١) بالنبات .

❋ (أسو) أسوت بين القوم : أصلحت ، ومثله شابت الأواس ، وهى الأساطين الواحدة آسية (١٢) .

يتبع

د/ توفيق محمد شاهين



(١) فى الأصل (تاثر) .
(٢) فى الأساس : بحويط .
(٣) الشرح من الأساس .
(٤) فى الأصل (جبل ازر) .
(٥) كذا فى الأصل . وفى الأساس : فى عيشه أزف : أى ضيق .
(٦) كذا فى الأصل ، وفى الأساس : أزم بالضيعة
(٧) فى الأصل : مازم الطرى : أى فى مضيقه .
(٨) أزى ، لم يذكر المادة فى الأصل .
(٩) الشرح فى الأساس .
(١٠) فى الأساس . وبين القوم : افسد .
(١١) فى الأساس ، لاتموج بالنبات .
(١٢)الجمع من الأساس .

الدلالة في اللغة

دكتور فتحي أنور عبد المجيد

١ ــ تمهيد

يخلط أصحاب المعاجم وكثير من الخاصة والعامة بين مدلول ومعنى كثير من الكلمات وكثيرا ما يجعلونها من المترادفات ويطلقون بعضها على بعض مثل :

الكلام واللغة ، الكلام والقول ، الألفاظ والكلمات ، الأصوات والكتابة ، الأصوات والحروف (١) .

ولكن المتخصصين في الدراسات اللغوية والمدققين في فروعها يفرقون بين دلالة كل لفظ من هذه الألفاظ .

فالنحويون يفرقون بين الكلمات والألفاظ والكلمة عندهم : لفظ دل على معنى أي أن اللفظ ينطق به فاذا دل على معنى فهو الكلمة فالكلمة أخص من اللفظ (٢) .

كما يفرق النحويون بين الكلام والقول فالكلام : لفظ مفيد وهو ما نسميه بالجملة كما في : قام محمد .

والقول : هو اللفظ مطلقا مفيدا أو غير مفيد فكل كلام قول وليس كل قول كلاما (٣) .

واللغويون يفرقون بين الكلام واللغة واللغة عندهم ذات مصدرين :

(أ) المصدر الذهني ويطلق عليه مصطلح : اللغة

ب ــ المصدر الواقعي ويطلق عليه مصطلح: الكلام

فاللغة (أي لغة) هي صور ذهنية في عقل المتكلمين بها وحين استعمالها على لسان أي فرد من المتكلمين بها تكون كلاما .

وقيل : الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل والكلام سلوك واللغة : معايير هذا السلوك والكلام : نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام : حركة واللغة نظام هذه الحركة ، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام.

(١) القاموس (لفظ ، كلم) .

(٢) حاشية الصبان ١ ــ ١٩ وما بعدها ودلالة الألفاظ د . أنيس ــ ٣٨ .

(٣) الخصائص ١ ــ ١٧ .

الدلالة في اللغة

والكلام يحس بالسمع نطقا والبصر كتابة فالكلام هو « المنطوق والمكتوب .

واللغة هي : الموصوفة في كتب اللغة والقواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها (١) .

ويفرق علماء الأصوات بين : الأصوات والكتابة : فاللغة التي يستعملها الناس هي أصوات يعبرون بها عن أغراضهم واذا دونت هذه الأصوات فتلك هي الكتابة .

فالكتابة هي : التعبير عن اللغة المنطوقة (٢)

كما يفرق علماء الأصوات بين الصوت والحرف :

فالصوت هو ذلك العرض الذي يصحب النفس أثناء النطق فاذا انتهى الصوت تكون الحرف وبعبارة أخرى : الحرف المكتوب رمز للصوت المنطوق (٣) .

٢ ـ المقصود بالدلالة

اذا كانت الكلمة تتكون من أصوات أو حروف فلا تسمى كلمة في اللغة الا اذا حملت هذه الأصوات ـ التي تتكون منها الكلمة ـ معنى ودلت على شيء وعلى هذا فالمقصود بالدلالة في اللغة هو : دلالة اللفظ على معنى وعلم الدلالة هو « العلم الخاص بدراسة معاني الكلمات والضمائم (أجزاء الجمل) والجمل » (٤) .

٣ ـ تطور الدراسة الدلالية :

والدراسة الدلالية أي دلالة اللفظ على المعنى جعلت اللغويين يهتمون بدراسة المعنى مثل اهتمامهم بدراسة اللفظ ودراسة المعنى اللغوي ـ هو المسمى عند علماء اللغة باسم الدلالة ـ دراسة قديمة لم يهتم بها العلماء الا في العصر الحديث على يد « بريال » Breal عالم اللغة الفرنسي واليه يرجع الفضل الأول في تسمية هذه الدراسات باسم الدلالة Semantic

وفي عام ١٩٣١ ظهر عملان جليلان كان لهما أكبر الأثر في النهوض بدراسة المعنى وهما :

كتاب « المعنى وتغير المعنى » لشترن Stern وكتاب « ترير » Trier حيث تناول فيه نظرية الحقل اللغوي من أهم نظريات التحليل اللغوي على المستوى الدلالي (٥) .

هذا ،ودراسة الدلالة شائعة في كل اللغات . ولم تقتصر على علماء اللغة وحدهم بل تناولها بالدراسة الفلاسفة والمناطقة والبلاغيون والأصوليون وعلماء النفس وغيرهم (٦) .

٤ ـ المعنى اللغوي للكلمة وأنواعه .

معنى الكلمة في اللغة هو مقصودها والمراد

---

(١) اللغة العربية ـ مبناها ومعناها ـ د. تمام حسان ـ ٣٢ ومابعدها ، علم اللغة العام ـ اسسه ومناهجه ـ ٤٠ وما بعدها .

(٢) مدخل الى علم اللغة ٣٦ .

(٣) سر الصناعة ـ ابن جني ١ ـ ٦

(٤) ينظر علم اللغة العام ١٨٦ . نفسه ـ ١٨٥ بتصرف .

(٥) نفسه وقارن بدور الكلمة في اللغة ترجمة د. بشر ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٦) ينظر مدخل الى علم اللغة ـ ٧٤ واللغة العربية ـ مبناها ومعناها ـ ١٧ ومابعدها .

منها من عنى يعنى اذا أراد وقصد .

ويختلف علماء اللغة فى تحديد المقصود من المعنى اللغوى فيذهب البعض الى أن المعنى : هو العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمدلول ويقصد باللفظ الصيغة الخارجية وبالمدلول الفكرة التى يستدعيها اللفظ ، وقيل : معنى اللفظ : هو الموقف الذى يقال فيه والآثار التى يحدثها لدى السامع .

وقيل المعنى : هو مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس ، وأحدث الآراء فى تعريف المعنى هو تعريف «كيسلنج» Keseling وفيجا Wiegai الذى يفرق بين معنى الكلمة والجملة ويرى أن المعنى هو المفهوم الذى يرتبط بالكلمة (١) .

وعلى ضوء هذه التعريفات لمعنى الكلمة فاما أن تكون هذه الكلمة مكونة من أجزاء وكل جزء دال على معنى أو تكون مجردة من السياق أو موجودة فى سياق جملة .

ومن هنا فالمعنى اللغوى يمكن تقسيمه الى أنواع ثلاثة :

١ ــ المعنى الوظيفى : وهو ما تؤديه عناصر الكلمة المختلفة (الصوتية والصرفية والنحوية) من تحديد لمدلول الكلمة .

فمثلا كلمة « ضربته » : ض . ر . ب هى الوحدات الصوتية الأساسية (الأصوات الساكنة) تدل على الحدث نفسه وهو : الضرب فاذا شكلت هذه الوحدات بالحركات (الأصوات المتحركة القصيرة) الثلاث المفتوحة دلت على حدوث الضرب فى زمن مضى .

وضمير « التاء » دل على التكلم ، وضمة التاء دلت على الفاعلية وضمير « الهاء » دل على المفعولية وهكذا . وقد اشتركت كل هذه العناصر المكونة للكلمة فى أداء المعنى الوظيفى (٢) .

٢ ــ المعنى المعجمى وهو ما تؤديه الكلمة من معنى مجردة عن السياق وهو ذلك المعنى الموجود فى معاجم اللغة كدلالة لفظ لفظ : الطود على : الجبل أو عظيمه والمشرف من الرمل واطلاقه علم على جبل مشرف على عرفة وعلى رجل الخ (٣) .

سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية .

٣ ــ المعنى الدلالى أو الاجتماعى . وهو ما تؤديه الكلمة من معنى فى ضوء السياق العام للكلمات المجاورة لها .

ويقصد بالسياق العام السابق الظروف والملابسات التى تحيط بكل من المتكلم والسامع أثناء القاء الكلام (٤) وهى التى تشمل المقام الذى قيل فيه الحدث اللغوى والمقال الذى قيل به ذلك الحدث .

وفكرة « المقام » هى المركز الذى يدور حول علم الدلالة الوصفية فى الوقت الحاضر وهو الأساس لوجود المعانى السابقة

(١) راجع علم اللغة العام ١٨٦ وقارن باللغة العربية ــ مبناها ومعناها ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) انظر دلالة الالفاظ د. انيس ٤٦ ــ ٤٨ وقارن بعلم اللغة العام ١٨٦ ، ١٨٧ واللغة العربية مبناها ومعناها ٣٤١ ودور الكلمة فى اللغة ترجمة د. بشر ٦٥ ــ ٦٧ .

(٣) القاموس (طود) وانظر دلالة الالفاظ ٤٨ وعلم اللغة العام ١٨٧ .

(٤) انظر دلالة الالفاظ ٥٦ وما بعدها .

الدلالة فى اللغة

(الوظيفى ، المعجمى ، الدلالى) وعلى هذا فالمعنى الدلالى يتكون من عنصرين أساسيين هما :

المقال (ويشتمل على المعنى الوظيفى والمعجمى والسياقى) والمقام (ويشتمل على ظروف أداء المقال والقرائن الحالية) .

ومن هنا يتم فهم النص أو المقال تبعا للقرائن والملابسات والظروف التى تحيط بالمعنى وتحدده (١) .

وانظر معى الى الامام : على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ فى رده على كلمةالخوارج « لاحكم الا لله » بقوله « كلمة حق أريد بها باطل » .

لا شك فى أن الامام كان يفهم جيدا مقصود الخوارج بهذه الكلمة والظروف التى جعلتهم ينطقون بها فلو قنع الناس بالنص الحرفى لكلمة الخوارج لصدقوا أن الخوارج اصحاب حق ويدافعون عنه لكن مقصود الخوارج بهذا المقال : التستر وراء الدين فالمقال دينى والمقام سياسى فرد الامام على مفهما الناس المقال فى ضوء المقام (٢) .

٥ ـ أنواع التطور الدلالى :

ان المعنى الدلالى للكلمه يتطور من عصر الى عصر آخر وتلكظاهرة طبيعية تنادى بها سنة الحياة فى التطور والارتقاء كما أن اللغة مرآة للمجتمعينعكس عليها كل ما يدور فيهمن تطور اجتماعى أو تغير نفسى أو تقدم حضارى (٢) .

ويمكن تقسيم مظاهر التطور الدلالى الى الأنواع الآتية :

١ ـ التعميم أو التخصيص .

وهو تطور يلحق معنى الكلمة نفسه كأن يخصص معناها العام أو يعمم معناها الخاص وان كان تخصيص العام أكثر شيوعا فى اللغات من تعميم الخاص .

ومن أمثلة النوع الأول قولنا « شجرة البرتقال » فقد تخصص هنا مدلول كلمة « شجرة » التى هى اسم لجنس الشجر كله فى الكون ولكنها تخصصت باضافتها الى البرتقال ويمكن تخصيص الدلالة أكثر بأن نقول « شجرة البرتقال المصرية » فاستبعد ذلك أنقول شجر البرتقال غير المصرى وهكذا .

و « الطهارة » كلمة عامة ولكنها تخصصت فى أذهان الناس لمعنى « الختان » .

و « العيش » كذلك كلمة عامة وتخصصت فى أذهان الناس بمعنى «الخبز » .

ومن أمثلة النوع الثانى ما يحدث للأطفال فى بداية تعلمهم للغة حيث تكون الدلالات عامة عندهم ثم تتخصص بعد ذلك بمرور الزمن فالطفل يطلق لفظ « أب » أولا على

(١) اللغة العربية ـ مبناها ومعناها ٣٧ ، ٥٢ و ٣٥٢ وقارن بعلم اللغة العام ١٨٧ ومدخل الى علم اللغة ٧٥ .

(٢) راجع لحن العامة د· عبد العزيز مطر ٢٧٩ و ٢٨٠ ودلالة الالفاظ ١٢٢ بتصرف .

(٣) انظر التطور اللغوى د· رمضان عبدالتواب ١١٤ ـ ١١٧ ودلالة الالفاظ ١٥٢ .

كل رجل يشبه أباه فى طوله أو شكله أو ملابسه ويطلق الطفل كذلك لفظ « دجاجة » أولا على كل طائر وهكذا وبعد مدة نرى الطفل بعد ذلك يقف فى اطلاق هذه الألفاظ عند مدلولاتها الحقيقية .

ومن أمثلة هذا النوع كذلك لفظ « البأس » فهو فى الأصل خاص بالحرب ثم أطلق على كل شدة (١) .

٢ ــ انتقال الدلالة .

أى أن الكلمة تدل فى الأصل على معنى ثم تنتقل الى معنى آخر تربطه بالمعنى الأول علاقة وقد تصبح حقيقة فى المعنى الثانى بعد أن كانت مجازا فيه (٢) .

فمن ذلك استعمال كلمة « الشجرة » بمعنى « النخلة » و « الوغى » بمعنى « الحرب » وأصلها « اختلاط الأصوات » ، وقولهم فى الكتابات الأدبية « فلان كثير الرماد » كناية عن الكرم و «فلان يريق ماء وجهه» كناية عن « التذلل » وهكذا .

ومن ذلك النوع الألفاظ الاسلامية والشرعية التى تحول مدلولها اللغوى الى معنى اصطلاحى شرعى بظهور الاسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها .

فالصلاة كان معناها فى الأصل « الدعاء » ثم تحول مدلولها الى المعنى الاصطلاحى وهو « الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم وهكذا .

وكثيرا ما حولت العامية ألفاظا كثيرة من معناها اللغوى الأصيل الى معان أخرى .

فلفظ « البغددة » بمعنى « التدلل » ــ يكاد يقصر استعمالها الآن على وصف المرأة ــ جاءت الينا من الاستعمال القديم « تبغدد الرجل أى انتسب الى بغداد وأهلها » .

وقد يؤدى انتقال المعنى للكلمة الواحدة الى انحطاط المعنى الثانى مثل كلمة «الكرسى» فقد استعملت فى القرآن الكريم بمعنى « العرش » فى قوله تعالى « **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ** » (٣) .

وهى تطلق الآن على الكرسى الذى نجلس عليه ــ ولا ريب ــ فى أن المعنى الأول أسمى من المعنى الثانى .

كما قد يؤدى انتقال المعنى للكلمة الواحدة الى رقى المعنى الثانى ورفعته فمن ذلك كلمة « رسول » كانت تطلق فى وقت ما على الشخص الذى يرسله المرء فى مهمة أيا كان شأنها ولكنه أصبح بعد ذلك يطلق على رسل الله ــ عليهم السلام (٤) .

٣ ــ تطور فى الأساليب :

ويتحقق ذلك فى الأساليب العامية التى ترجع الى أصل عربى فصيح فنلاحظ اختلافا واضحا بين الأسلوبين مرده الى تطور دلالى ناتج عن تطور الحياة ورقى التفكير واختلاف مناحيه

(١) دلالة الالفاظ ١٥٤ ــ ١٥٦ والتطور اللغوى ١١٧ ، ١١٨ وقارن بعلم اللغة ٣١٤ ولحن العامة ٢٨٢ ــ ٢٨٥ .

(٢) وتسمى حينئذ العلاقة بين المدلولين هى علاقة المشابهة راجع فى توضيح ذلك لحن العامة د· مطر ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٤) انظر دلالة الالفاظ ١٥٦ ومابعدها والتطور اللغوى ١١٨ وعلم اللغة ٣١٤ ولحن العامة ٢٨٨ .

فمثلا « حـرم الشـخص » تعبير كان يستخدم فى القديم لكل ما يملكه الشـخص ويحرم على غيره مسه ثم تطور فى لهجـات الخطـاب الآن واختص اطـلاقه على امرأة الرجل .

وتعبير « طول اليد » كان وصـفا للسخاء والجود فأصبح الآن وصــفا للسـارق . وأسلوب « بنى الرجل بامرأته كانت تستخدم كناية عن دخوله بها لأن الشاب البدوى كان اذا تزوج يبنى له ولأهله خباء جديدا ولا تزال تستخدم هذه العبارة كناية عن المعنى نفســه مع أن الزفاف لا علاقة له فى نظمنا الحاضرة بالبناء (١) .

٤ ــ تطور فى القواعد النحوية والصرفية وتركيب الجمل والتنظيم وغير ذلك .

وهذا متحقق أيضا فى العامية المنشـعبة من العربية الفصيحة ومن ذلك التزام المتكلم بالعامية بالتسكين فتتجرد بذلك الكلمـات من علامات الاعـراب والتزام الافـراد والتثنية والجمع فى مواضعها . فمثلا يقال فى العامية « سلم لى على أخوك » ، « ضربت أخوك » وهكذا أضـيفت كلمـة « لى » على الترتيب وجر الاسم ونصب بعلامة الرفع ، ومن ذلك : تذكير كلمة « ولد » فى قولنا : « ولد صغير » قد جعل معناها يرتبط فى الذهن بالمذكر حتى أصـبحت الآن لا تطلق فى كثير من اللهجات العامية الا على الولد من الذكور (٣) .

٦ ــ عوامل التطور الدلالى :

رأينا ــ فيما سبق ــ أنواع التطور الدلالى ونماذج متعددة لكل نوع منهـــا ونريد أن نوضح الآن ــ أسـباب هذا التطور وعوامله ويمكن تقسـيم عوامل التطـور الدلالى الى قسمين :

القسم الأول : يرجع الى عوامل متعمـدة مقصودة ويقوم به المتخصصون فى هذا الفن أو المجامع اللغوية والهيئات العلميـة وذلك للحاجة الضرورية فى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ واســتحداث دلالات أخرى للتعبير عن التطورات المختلفة فى الحيـاة من سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية .

ونلاحظ على هذه العوامل المتعمدة أنها أقل أثرا فى اللغات كمـا أنها لا تهمنا فى هــذا المجال (١) .

القسم الثانى : يرجع الى عوامل لا شعورية طبيعية تحدث فى كل لغة وفى كل بيئة وهـذا النوع هو المقصود هنا ويمكن ارجاع عوامل التطور الدلالى فيه الى أمور أهمها :

١ ــ كثرة استخدام الكلمة :

وذلك أن كثرة دوران الكلمة على الألسـنة يجعلها عرضـة للتغيير والتطـور وكلما كان استخدام الكلمة أكثر كان تطورها أسرع من غيرها . وكثرة استخدام اللفظ يجعله عرضة

(١) دلالة الالفاظ ١٢٦ وعلم اللغة ٣١٤ ، ٣٢٤ .
(٢) علم اللغة ٣١٣ ، ٣٢٢ .
(٣) راجع دلالة الالفاظ ١٤٥ وما بعدها .

لتخصيص معناه وتحديده . ومن ذلك الألفاظ الشرعية المتعلقة بالعقائد أو الشعائر أو النظم الدينية كالصلاة والصيام والحج والزكاة والمؤمن والكافر والمنافق الخ فقد كان مدلول هذه الألفاظ عاما فى الجاهلية ثم تخصص بشيوع هذه الألفاظ فى ظل الاسلام .

فالصلاة كان معناها فى الأصل : الدعاء ومنهقوله تعالى « وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ » (١) شاع استعمالها فى الاسلام بالمعنى الشرعى الاصطلاحى وهو انها « أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم » وأصبحت لا تطلق الا على هذا المعنى الاصطلاحى .

وقد تؤدى كثرة استخدام الكلمة الى تعميم معناها الخاص . ومن ذلك لفظ « البأس » وهو خاص فى الأصل بالحرب ثم كثر استخدامه فى كل شدة .

كما تؤدى كثرة استخدام الكلمة الى انقراض معناها الحقيقى وحلول المعنى المجازى مكانه . فمن ذلك لفظ « الوغى » كان يدل فى الأصل على اختلاط الأصوات فى الحرب ثم أطلق مجازا على « الحرب » نفسها ثم كثر استعماله فى المعنى المجازى حتى انقرض المعنى الحقيقى .

وكثر استخدام الكلمة أيضا فى فن خاص قد يجردها من معناها اللغوى الى المعنى الاصطلاحى الجديد فالكلمة قد تطلق فى الشعر على معنى وفى الصحافة على معنى وفى القاموس على معنى وفى السياسة على معنى وفى الحرب على معنى وغير ذلك . ومن هنا نقول : لغة الأدب ، لغة الصحافة ، لغة القانون وهكذا (٢) .

٢ ـ سوء الفهم :

أى سوء فهم القارئ أو المستمع لمعنى كلمة فيفهمها خطأ ويكون ذلك عادة حين قراءة الكلمة أو سماعها لأول مرة وقد يشيع هذا الاستعمال الخطأ فيترتب عليه تطور دلالى للكلمة .

وسوء الفهم لمعنى كلمة هو ما يسميه اللغويون بالقياس الخاطئ فالانسان يقيس مالم يعرف على ما عرف من قبل .

ويحدث ذلك ـ غالبا ـ فى البيئات البدائية وفى حالات الانعزال بين أفراد الجيل الناشئ وجيل الكبار وفى حالات استنباط القارئ لمعانى بعض الألفاظ التى لم يعرفها من قبل وهو حينئذ قد يصيب وقد يخطئ فى المعنى الجديد وقد يسود المعنى الخاطئ ويظل يستعمل مع المعنى الجديد ومن هنا ينشأ ما قد نسميه بالمشترك اللفظى .

فحين تروى لنا المعاجم أن من معانى كلمة « الأرض » : الزكام (٣) نجد أنه لا صلة فى الدلالة بين « الأرض » بمعنى : الكوكب المعروف وبين الزكام الا على أساس هذا التفسير الخاطئ .

ومن أمثلة القياس الخاطئ ما تجده بين

(١) التوبة من الآية ١٠٣ .
(٢) انظر علم اللغة ٢١٩ ـ ٢٢١ .
(٣) القاموس (أرض) .

الدلالة فى اللغة

الطلاب حين يحرفون معنى كلمة « عتيد الى عتيق » أو « عنيد » وهكذا .

وقد تشيع هذه الظاهرة بين الأطفال حين يضعون اسما لشىء ما ولم يسمعوه من قبل قياسا على ما سمع فيضعون لفظ « الفرملة » مثلا « للوقاية » الخ (١) .

٣ ــ تطور المدلول :

وكثيرا ما تتغير المدلولات نتيجة لتغير الشىء نفسه لتغير طبيعته او عناصره . أو ظروفه أو ما الى ذلك .

فكلمة « الريشة » مثلا كانت تطلق فى الأصل على آلة الكتابة حينما كانت تتخذ من ريش الطيور ثم تطور مدلولها الأصلى الآن عندما تغيرت المادة المتخذة منها آلة الكتابة فأصبحت الريشة تطلق الآن على قطعة المعدن المعروفة .

ولفظ « الخاتم » كان يستخدم فى الأصل فى ختم الرسائل والوثائق والصكوك وكان ينقش عليه اسم صاحبه ولكن هذا المدلول قد تغير نتيجة لتطور الاستخدام كما هو معروف (٢) .

٤ ــ تطور أصوات الكلمة :

ومن عوامل التطور الدلالى أن تتطور بعض أصوات الكلمة فيتغير لذلك المدلول .

فمثلا كلمة « كماش » الفارسية بمعنى نسيج من قطن خشن تطورت فيها الكاف فأصبحت قافا وبذلك شابهت الكلمة العربية « قماش » بمعنى أراذل الناس وما وقع على الأرض من فتات الأشياء ومتاع البيت فأصبحت الكلمة العربية ذات دلالة جديدة على المنسوجات (٣) .

٥ ــ الابتذال :

قد تتطور بعض المدلولات نتيجة لابتذال الألفاظ الدالة عليها واستعمال ألفاظ بدلا منها لتغير الظروف المختلفة التى يعيش فيها المتكلمون وهذه الظروف المختلفة منها .. السياسى ومنها النفسى العاطفى ومنها الاجتماعى .

(أ) فقد تبتذل بعض الألفاظ نتيجة لتغير الظروف السياسية فتتطور بذلك المدلولات .

فكلمة « حاجب » كانت تعنى فى دولة الأندلس « رئيس الوزراء » ثم تطورت الى مدلولها الآن .

ومن ذلك انزواء الألفاظ التى تدل على الألقاب والرتب فى مصر فى وقت ما مثل : (باشا ، بك ، أفندم) .

أصبحت هذه الألقاب أقل الرتب بعد أن

(١) دلالة الألفاظ ١٣٥ ــ ١٣٨ وقارن بعلم اللغة ٣٢٣ .

(٢) التطور اللغوى ١١٢ وقارن بعلم اللغة ٣٢٤

(٣) التطور اللغوى ١١٢ ، ١١٣ وعلم اللغة ٣٢٢

كان لها خلال القرن التاسع عشر مركز هام ومكان مرموق (١) •

(ب) وهناك ظروف عاطفية ونفسية تكون سببا فى ابتذال المدلولات وتطورها كأن يكون اللفظ قبيحا فيستبدل بمدلول مستساغ يقبله الذوق •

ومن ذلك كلمة « البربور » أصبحت الآن قبيحة مبتذلة الا فى حالات خاصة مع اشتقاقها من أصل عربى فصيح (٢) •

ومن ذلك وجود كلمتين عربيتين وشيوع أحدهما عن الآخر (كالمدة والصديد) فقد انزوت الكلمة الأولى لابتذالها وشاعت الثانية (٣) •

(جـ) وتلعب الناحية الاجتماعية دورا هاما فى ابتذال بعض الألفاظ وتطور مدلولاتها •

فاختلاف الناس فى طبقاتهم وفئاتهم كثيرا ما يؤدى الى تطور المدلولات وخروج بعضها من معانيها الأولى •

واختلاف الناس كذلك فى الظروف الطبيعية والجغرافية ومستوى المعيشة والتقاليد والعادات ومستوى التفكير والثقافة وغيرها يؤدى الى تطور دلالى (٤) •

ففى البيئات البدائية تظهر بصورة واضحة ظاهرة التشاؤم والتفاؤل وان وجدت كذلك فى البيئات الأخرى وينعكس أثر ذلك تماما على اللغة •

فكلمة « الهلاك » تدل فى الأصل السامى القديم على مجرد الذهاب تطورت هذه الدلالة فى اللغة العربية وحل محلها لفظ « الموت » وأصبحت كلمة الذهاب يكنى بها عن الموت ثم وجدت ألفاظ أخرى للتعبير عن « الموت » كقولنا « توفى » أو « فاضت روحه » •

وقد يتغير مدلول اللفظ نتيجة لما يثيره هذا المدلول فى النفس من ألم وخوف ونفور •

ومن ذلك التكنية عن أسماء الأمراض والحشرات والحيات وغيرها بألفاظ تكون مدلولاتها أخف على السمع وأكثر قبولا •

فلفظ « الحمى » فى الأرياف قد يطلقون عليها « المبروكة » و « الملدوغ » يطلق عليه « السليم » تفاؤلا بسلامته •

كما تؤدى شدة الاحترام والهيبة لدى البعض الى عدم ذكر الاسم الحقيقى للشخص •

ومن ذلك ما يفعله التلميذ حين يتحاشى ذكر اسم معلمه أو رئيسه ويكنى عنه بكلمة أخرى مثل : الأستاذ وهكذا (٥) •

د• فتحى أنور الدابولى

---

(١) دلالة الألفاظ ١٣٩ ، ١٤٠ •
(٢) القاموس (بربر) •
(٣) دلالة الألفاظ ١٤٠ ــ ١٤٢ •
(٤) علم اللغة ٣٢٥ •
(٥) دلالة الألفاظ ١٤٢ ــ ١٤٥ •

الأدب السواحيلى

أدب إسلامي

من أعجب الظواهر فى تاريخ اللغات ، ظهور اللغة السواحيلية كلغة اسلامية فى منطقة شرق افريقية بأسرها ، وقيامها كوسيط تفاق بين شعوب عدة للتعبير عن الحضارة الاسلامية والمبادىء الأساسية فى الثقافة الاسلامية العالمية .

الشعب البانتوى :

واللغة السواحيلية هى فى أصلها لهجة أو لغة من لغات الشعب البانتوى العظيم ، الذى تمتد أوطانه الآن على رقعة فسيحة من افريقية من مصب نهر « ريودلرى » الذى يفصل جنوب (نيجيريا) عن (الكاميرون) ، ثم يسير بشكل متعرج حتى يصل الى بحيرة « البرت » ثم يدور حول بحيرة « فيكتوريا » من الشرق ويرسم نصف دائرة فى تنزانيا ، وينحرف شمالا متحاشيا « ممباسا » وساحلها حتى نهر « جوبا » ، وتشمل هذه الرقعة الفسيحة جنوب افريقيا وشرقيها والجزء الأعظم من وسطها تقريبا .

اللغة السواحيلية :

أما اللغة السواحيلية ، وهى تسمية عربية فقد تهيأ لها ما لم يتهيأ لشقيقاتها البانتويات الأخر حيث التقت باللغة العربية والثقافة العربية الوافدة من شبه الجزيرة العربية ، وقد أدى هذا الى النهل من معين العربية والأخذ منها لكل ما يلائم البيئة الجديدة حتى أصبحت أكثر قدرة على التعبير والافصاح والربط بين مختلف الشعوب فى المنطقة ، بل أصبحت لغة المسلمين الأساسية على طول ساحل شرق افريقية من « كيسيمايو » فى جنوب الصومال الى مدينة « ابيو » فى الجنوب ، مارة بساحل « كينيا و « تنزانيا » والجزء الأعظم من « موزمبيق » ، ليس ذلك فحسب ، بل أصبحت أيضا لغة سكان الجزر المجاورة للساحل ، ولغة التعامل والتفاهم فى كثير من المدن والمناطق الداخلية فى « أوغندا » و « مالاوى » و « رواندا » و « بوروندى » و « الكونغو »

دكتور عبدالله نجيب

وغيرها ، بل امتد نفوذها الى « مدغشقر » و « جزر القمر » والموانىء الجنوبية للبحر الأحمر وعلى طول السواحل الجنوبية للجزيرة العربية والخليج العربي والسواحل الغربية « لباكستان » و « البنغال » .

كتابة اللغة السواحيلية :

ولقد كتب المسلمون من العرب والافارقة اللغة السواحيلية بالحروف العربية ، التي ظلوا يستخدمونها حتى بداية القرن التاسع عشر تقريبا ، ولكن الاستعمار الاوربي كان حريصا على فصل الثقافة الوليدة عن جذورها العربية الأصيلة ، فعمل على كتابة السواحلية بالحروف اللاتينية ، وعمل أيضا على قطع الوشائج والصلات بينها وبين العربية ، ولكن هيهات أن يتم له ما أراد ، فالمسلمون اليوم في طول البلاد وعرضها يتطلعون من جديد الى الاستمداد من روافد العربية والثقافة الاسلامية

الأدب السواحيلي :

أما الأدب السواحيلي ، فينقسم منهجيا الى ثلاثة أقسام :

١ ـ أدب شعبي .
٢ ـ أدب تقليدي .
٣ ـ أدب حديث .

الأدب الشعبي :

وهو ما عبر به القوم عن ثقافتهم وأفكارهم وأحاسيسهم في مأثور القول من شعر ونثر ولكنهم لم يدونوه ، ولم يحرصوا على كتابته كدأب الامم من قبلهم ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى اهتمامهم بالثقافة العربية الأصلية ، أو قلة الكتابة والكتابيين بينهم ، أو غير ذلك من الأسباب ، ومع ذلك فقد حرص العلماء على جمع هذا التراث الضخم وتدوينه ودراسته والوقوف على مضامينه ، وهم يرون في تلك الآداب الوجه الحقيقي والسمات الاصيلة للثقافة الافريقية .

ومن فنون الأدب الشعبي :

١ ـ الحكايات والاساطير .
٢ ـ الامثال والالغاز والأحاجي .
٣ ـ الاغاني بمختلف أنواعها .

أما الحكايات ، فقد وجد منها عدد كبير ، مثل حكاية ، « الواكاماي » « أهل اللبن » و « منيري » و « الرجل الفقير وابنه » و « الثعبان والكتكوت » و « أيونتجو » و « قصة المعلم جوسو » و « السلطان المجنون » وغيرها .

ومن الحكايات ذات الشخوص الحيوانية ، والحكايات المتأثرة بالأدب العربي وجدت أعداد كبيرة ، سنذكر بعضها في هذا المقال .

هذه الحكايات تعرض كثيرا من مظاهر الثقافة الافريقية من خلال البيئة المحلية الممثلة في الغابة بما فيها من وحوش مفترسة ، وحيات فاتكة وما كان يقوم به الناس من تقديم القرابين البشرية لأربابهم حتى تجنبهم الشر ، ففي حكاية « منيرى » أن الناس كانوا يقدمون للحية طفلا تأكله كل عام حتى تسمح لهم بمرور الماء ، وكذلك في حكاية « الرجل الفقير » يقدم الناس القرابين على قبر الميت .

دور الأديان السماوية :

بعد ذلك يأتي دور على الناس يتأثرون فيه بالأديان السماوية ، فمنيرى في القصة رمز لهذا التأثر وهو يستطيع بالكلمة الربانية أن يخلص السكان مما هم فيه من هوان العقيدة والضلال فترفعه الجماعة الى مرتبة الزعامة ، وهذا رمز لما حل في وجدانها من قبول للعقيدة الجديدة .

وتلاقينا كثيرا في الأدب السواحيلي الشعبي شخصية (الفقيه) التي تعبر في مضمونها عن الوسيط الذي يدعو المقيمين من الافريقيين الى دين الوافدين من العرب المسلمين فيعتنقونه ، ويخلصهم من عقائدهم القديمة بما فيها من شرك وكهانة ووثنية .

مضمون بعض الحكايات :

حكاية الرجل الفقير وابنه : تمثل مسألة تربوية فالتسرع فيها ، يمثل العائد الذي يجنيه الابن كنتيجة لاتباع نصيحة والده ، مهما بدت غير معقولة ، لأن الحكمة لا تكتسب بالذكاء فحسب ، بل باتباع الاوامر ، ومجانبة النواهي ، اما العائد على السلطان الذي يعتريه الحسد فهو العقوبة والنقمة ، وهذا مما لا يخفى أثره التعليمي ، وثمة نقطة أخرى ، يمكن أن نستنتجها من هذه الحكاية وهي ارتباط الحكاية ببعض المظاهر الشعائرية القديمة ، فزراعة "القرع" على القبر ، تتفق مع طقوس جنائزية لدى بعض القبائل ، ومنها قبيلة « الالك » في « أوغندا » ، فهؤلاء عادة ، يبذرون نباتا ما ، على قبر الميت ، ويتعهدونه بالرعاية ويقدمون القرابين والأضحيات ، حتى يحل موسم الحصاد ، فيجمعون البذور الناضجة من هذا النبات ، ويذرونها مع الرياح ، وبذلك تتجدد للميت حياته في أماكن أخرى كما يرون .

وفي حكاية « الثعبان والكتكوت » الثعبان كما هو واضح رمز للشر ، وربما ربط السواحيلي بينه وبين الحية التي أخرجت آدم من الجنة ، فالمنطقة في هذه الفترة ، كانت في دور التأثر كما هي موجودة بالاديان السماوية ، وفكرة الحية كرمز للشر موجودة بسفر « التكوين » كما هي أيضا في مناطق أخرى من افريقيا

وهذا المعنى ، وإن كان عاما لدى العدد الأكبر من الشعوب ، الا أنه في الثقافات الشعبية

الافريقية يحتل قيمة أكبر ، نظرا لما تعوده الافريقي من أذى الحية وقدرتها على الفتك والشر ، حتى كانت رمزا له ، ومثلا على السحر والكهانة .

وثمة عدد آخر من الحكايات السواحلية ، تقوم فيها الحيوانات بأدوار مرسومة ، مثل حكاية « الأسد والضبع والارنب » « وحكاية » سلطان داراى وغيرها .

والواقع أن من يقرأ هذه الحكايات ، يخرج بعدة نتائج أهمها أن التوجيه عن طريق السماع ، كان أداة التعليم للصغار في المجتمع السواحيلي ، وربما كان ذلك نتيجة لنقص التعليم الكتابي ، وهذا السماع لم يكن يفقد الحكاية رونقها ومقدرتها على الامتاع والترفيه ، بل على العكس ، كان القصّاص يصبغ الحكاية بلون من تجاربه وخبرته ، يعلم بها الصغار كيفية التعايش في المجتمع ومراعاة مبادئه ، وفي نفس الوقت يمتعهم ويسليهم ، فكان السبب والغرض يجتمعان في الحكاية الشعبية دائما .

ويلاحظ أيضا أن الخرافات الحيوانية السواحلية بعيدة عن شئون المعتقدات الدينية ، وهي غالبا اما تعليل ساذج للظواهر الكونية والدينوية ، كما في قصة « المعلم جوسو » التي تسير بالقارىء من سبب الى سبب حتى يصل الانسان في النهاية الى السبب الحقيقي ، وتأتي النتيجة في النهاية لتقول : على المرء الا يأخذ بالاسباب الظاهرة ، بل عليه أن يتحقق من جوهر المسائل وأسبابها ، أو هي مسرودات يمتزج فيها الامتاع والمؤانسة بالموعظة والتأديب ، كما في حكاية « سلطان داراى » وهي قصة طويلة تحتوي على عدد من الحكم والأمثال مثل : « العمل السيء ليس شيئا محمودا »؟٠

وهناك عدد كبير من الحكايات ، مستمد من أصول عربية .

أشهر هذه الحكايات حكاية « الغشاش والنصال » وحكاية "حسيبو كريم الدين وملك الثعابين"٥ الاولى تشبه قصة عربية موجودة في مكتبة الدير بزنجبار .

أما الثانية فثمة مخطوطة عربية تحمل نفس الاسم ، وهي موجودة أيضا بمكتبة الدير بزنجبار ، ومن الملاحظ أن القصتين السواحليتين تختلفان عن نظيرتيهما العربيتين ، فقد أدخل الراوي عليهما شيئا من ملامح البيئة الافريقية ، وبدل أسماء الشخصيات وظروف الاحداث بما يتلاءم مع هذه البيئة .

ويوجد عدد آخر من فن الحكايات المستمدة من قصص ألف ليلة .

كذلك يلاحظ في القصة السواحيلية أيضا أنها تسجل بعض مظاهر الحياة في المجتمع السواحيلي من ذلك تلك الصورة التي يصور بها القصاص ما يصنعه التاجر عند العودة الى منزله ، فيشعل النار في كانونه كما هي عادة السواحيليين حتى اليوم ، وخاصة في ميناء زنجبار ، وليس لهذه العادة أثر في الأصل العربي من قصص ألف ليلة ، كما يلاحظ أيضا أن هذه القصة تحتوي على كلمات عربية أكثر من غيرها .

كذلك يوجد عدد من القصص المأخوذة من « كليله ودمنه » منها قصة "القرد والغيلم" التي نقلوها تحت اسم « قصة حمار الغال » وهنا نلاحظ أن مضمونها هو نفسه مضمون القصة العربية ، ولكن القصاص السواحيلي حور في القصة الأصلية لتلائم البيئة الافريقيـة . مثل استبدال شجرة التين لشجرة افريقية ومن هذه القصص أيضا قصة الغربان والبوم .

وهذه القصص لها أمثال أخرى ، مأخوذة أيضا من قصص كليلة ودمنة أو غيرها ، مثل قصة "القاضي والحمار" ، وهي مأخوذة من كتاب عربي مطبوع في الهند ، وكذلك قصة "الحمامة والنسر" ، وهي مقتبسة من "قصة سيدنا موسى" ، وقصة "الغربان والبوم" وقصة الأسد والثعبان وغيرها .

ويلاحظ في معظم هذه الحكايات ، الهدف التعليمي ، كما يلاحظ أيضا أن الارنب قد أخذ مكان الثعلب في حيازة الذكاء والفطنة والحيلة .

وتوجد عدة حكايات تصور هذا المعنى ، ومنها أيضا حكاية « الأسد والضبع والارنب الوحش » التي يستطيع فيها الارنب أيضا أن يخدع الأسد والضبع ، والأثر العربي واضح في هذه القصص سواء في المضمون أم في الالفاظ ، اذ نجد بها كلمات عربية كثيرة مثل :

معلم ــ شيخ ــ الطبيب ــ البخ .. مساء الخير .

كانت هذه الحكايات الشعبية ، تشكل مصدر التسلية الاساسي لكثير من الطبقات التي قل حظها من التعليم ، وخاصة الطبقات الفقيرة ، كما أصبحت جزءا من مكونات الثقافة والفكر وكان القصاصون يتوجهون بها الى الجمهور الذي يعايشونه معايشة يومية مستمرة ، مما جعل منها أحد الجوانب المهمة للواقع الحضاري والثقافي في تلك الفترة .

ولعل أهم خصائص الأدب الشعبي السواحيلي ، هي اعراضه الاعراض كله عن التقيد بالزمان والمكان ، ولذلك سوف نرى أن « ليونجو » كان بطلا عاما ، كما أن جميع الحكايات المروية ، ملك لجميع القبائل في المنطقة ، ومن الصعب تحديد منبعها أو نسبتها الى قبيلة بعينها ، أو عصر بعينه .

ويلاحظ الأستاذ « ستير » أن بعض الأشعار التي تروى وتغنى في أعقاب رواية هذه القصص غير مفهومة وحتى هؤلاء الذين يروونها لا يستطيعون شرح معناها ، لأنهم نسوا لغتهم القديمة على الرغم من حفظهم للشعر القديم دون أن يفهموه .

ونفس مالاحظه الأستاذ « ستير » يمكن أن نلاحظه أيضا في عدد من القصص مثل قصة « السلطان المخبون » التي تنتهي روايتها الشفوية بقصيدة شعرية تغنى بصورة جماعية ، على الرغم من أن بها كلمات ليست في السواحيلية الجارية .

د. عبد الله نجيب
معهد البحوث والدراسات الافريقية

قضية
البعث الاسلامي
المنهج والشروط

تأليف وحيد الدين خان
ترجمة محسن عثمان الندوى

عرض وتعليق
د. طه مصطفى أبو كريشة

قضية البعث الاسلامي ـ المنهج والشروط عنوان الترجمة العربية للكتاب الذى يضم مجموعة من المحاضرات ، كان قد أعدها المؤلف : وحيد الدين خان ، لالقائها فى المركز الثقافى الاسلامى ، الذى أقيم قرب نيروبى بافريقيا الوسطى .

ومع أن الكتاب مجموعة من المحاضرات فى مؤتمر للشباب العرب المثقفين ، حول الدعوة الاسلامية ، وكيف ينهض المسلمون باسلامهم .

ومع أن الكتاب مجموعة من المحاضرات فى أصله ، الا أنه كما يقول المؤلف : « يدور حول محور واحد ، هو أن البعث الاسلامى الجديد ، يقتضى منا الآن العقل المفكر ، والتخطيط الصائب ، والعمل الجاد ، وليس الأعمال التافهة ، ولا مجرد الآمال العريضة ، والأمانى الفارغة » (٨) .

وهذا هو ما حاول المؤلف أن يجعله غايته وراء كل موضوع تضمنته هذه المحاضرات ، على النحو الذى سنبينه فيما يلى ..

ـ ١ ـ

** فى اطار الحديث عن الفكر ، وكيف يكون منهجيا ، يذكر المؤلف أن المسلمين يواجهون فى هذا الزمان ، بعديد من الأعاصير، وأنواع من الطوفان ، تتمثل فى القوى التى لا تدين بالاسلام ، والتى تحاول دائما أن تصب عليها أحقادها ، وتنفث فيها سمومها .

وهنا يأتى السؤال : كيف يرى المسلمون



اليوم هذه النوائب والخطوب المحيطة بهم ؟.

ويجيب عن ذلك مبينا أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتحدثون علنا ، ويظنون في أحاديثهم بأن هذه الأمور كلها انما هي دسائس ضد المسلمين.

وينكر المؤلف على المسلمين هذه الرؤية ، ويعدها نوعا من القصور الفكرى ، الذى يحصر ما يحيط بالمسلمين من شدائد ، داخل مثل هذا الاطار ، دون أن يراه نوعا من الابتلاء الالهى ، حين ابتعد المسلمون في واقعهم العملى عن دينهم .

وموطن الانكار يعود على الأثر المترتب على هذه الرؤية القاصرة ، اذ أن رد الفعل من المسلمين كان مقصورا على مواجهة المتآمرين فحسب وعلى محاولة الثأر منهم ، والحقد عليهم ، دون أن يعملوا على أن يصلحوا من أنفسهم ، ويعودوا الى ربهم منيبين اليه تائبين . لكنهم لو أيقنوا من أول الأمر أن ، الذى نزل بهم انما هو نتيجة حتمية لبعدهم عن منهج الله ، لرجعوا الى ربهم وأنابوا ، ونشأت فيهم فكرة اصلاح النفس وتزكية القلب وتنمية العقل .

ويرتب المؤلف على ذلك أن هناك خسارة فادحة نتجت عن هذه الفكرة الخاطئة ، وهذه الخسارة تبدو في أن المسلمين تخلوا عن فكرة الدعوة التى هى مقصد وجودهم ، وحلت في نفوسهم من أجل مواجهة الآخرين فكرة الحقد وأخذ الثأر ، ثم يعقب على ذلك قائلا « فاذا كان هذا حالهم فكيف يمكن لهم أن يقوموا بعمل الدعوة باخلاص وجدية .. أجل كيف يمكن للقلب الحاقد نشر الحب ، وللعقل المظلم نشر النور ؟ » (١٧ — ٢٣) .

ونرى أن المؤلف قد جانبه الصواب هنا ، ذلك لأن الذى يقوم بصد هجوم مسلط عليه لا يسمى حاقدا ، ومن يدفع عن نفسه تآمرا مبيتا ضده لا يكون قلبه مجردا من الحب ، ومن الجور أن نصف العقول الذائدة عن نفسها عداوة أعدائها بأنها عقول مظلمة !! ان موطن المؤاخذة ينبغى أن يكون منصبا على عدم متابعة منهج اصلاح النفس واحسان الصلة بالله مع القيام بصد الهجوم ورد الاعتداء .

اذ لو كان الأمر مقصورا على جانب الاصلاح فحسب ، لما كان لكل آيات الجهاد فيما يتعلق بالاعداد وقتال المعتدين معنى ، ان نشر الحب ونشر النور من غايات الدعوة ومن غايات الجهاد في سبيل الله أيضا ، ومن هنا كان المؤلف مصيبا في مقدمته وليس فيما انتهى اليه من نتيجة ..

** وحول « الوعى الفكرى الصحيح » يورد المؤلف قول الله تعالى « **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** » الأعراف ٩٦ .

وقوله سبحانه « **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** » المائدة ٦٦ .

ويتساءل المؤلف عن الايمان المقصود في

الآية ، وينفي أن يكون المراد به مجرد كلمة ينطق بها اللسان ، فما أكثر اللاهجين بكلمة الايمان ولكنهم مع ذلك لا يجدون سبيلا الى بركات السماء ولا الى بركات الأرض .

ومن واقع الاستشهاد من حياة المسلمين العملية ، يذكر المؤلف أن الذين آمنوا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرون الأولى . كانوا يعرفون ان الايمان في الواقع ارادة فكرية وعزم صميم مصدره الشعور ، فلم يكن ايمانهم به أمرا بسيطا ميسورا ، وانما كان خروجا عن دين استقرت دعائمه ، ودخولا في دين جديد لا يعبأ به أحد .

لقد كان الأمر تخليا عن صداقة تتذرع بالمصالح ، الى صداقة لا علاقة لها بالمصالح والمنافع ، ولقد كانت هذه الخطوة مغامرة كبيرة ، هي أقرب الى أن تكون انقلابا في التفكير يترتب عليه أن ينبذ الانسان شيئا بارادته ، ويمسك شيئا آخر بارادته أيضا .

وعلى هذا الأساس فان اعادة ذلك الواقع الذى كان فيما يتصل بجوهر الايمان ، انما هو التجديد الحقيقي للدين في زماننا ، ودين الله في هذا الزمان يحتاج الى شخص يهضمه روحا وقلبا ، ويتمثله حياة وسلوكا وفي هذا الايمان يكمن حل أكبر معضلة تواجه المسلمين في الوقت الحاضر ، وهى المعضلة التي جعلت الاسلام يبدو جزءا من حركات قومية يقوم بها المسلمون لأغراض مادية

اننا أحوج ما نكون الى هذا الوعي الفكرى أو الثورة في التفكير ، حتى يحدث شعور رباني وسلوك الهي ، فاذا ما تحقق ذلك فسوف تتفجر ينابيع الرزق من الأرض ، وتنهمر أمطار الفضل من السماء ويكتب الله لهذه الأمة السيادة في الدنيا ، كما يكتب لها الفوز في الآخرة ، والخلود في الجنة (٢٤ ـ ٣٢) .

ـ ٢ ـ

وفي اطار الحديث عن الدعوة الاسلامية يعرض المؤلف لأمرين :

** أولهما التعريف بالاسلام وبيان سره** ، وفي ذلك يذكر أن سر الاسلام يكمن في كلمة التوحيد ، والتوحيد في حقيقته ليس مسألة تنتمي الى باب العدد والحساب ، وانما هو بالنسبة للانسان أثبات ذات الله تعالى ، ومعرفة ربه ومعرفة نفسه ، والايمان بأن الله قادر مطلق ، والعبد بالنسبة ، لله عاجز مطلق ، وعندما يعرف الانسان حقيقة هذه العلاقة بالله تبارك وتعالى فسوف يدرك حقيقة التوحيد ، فالتوحيد والايمان بالله ارادة واعية من الانسان ، تعني الاستسلام أمام الحق مع القدرة على الادراك ، فاذا كان القرآن يعلمنا أن الأرض والسماء وما بينهما يسجد لله تعالى ، فان الانسان عندما يضع جبهته على الأرض ساجدا لله ، فان هذا العمل بنفسه عمل جد غريب لا غرابة بعدة على ظهر الأرض ، لأن الأشياء كلها تسجد لله بدون قصد وارادة ، والانسان يسجد لله عن عمد وبقصد وبدون اكراه ولا اجبار .

وثانيهما التعريف بالحياة الايمانية وفي هذا يبين المؤلف أن المؤمن شخص دخل قلبه الاسلام على هيئة طوفان نفسي ، جعله يجد ربه أقرب اليه من حبل الوريد ، واذا دخل الايمان قلب الانسان ، فلابد أن يظهر

أثره في الخارج في صورة دعوة الى الاسلام.

ويرى المؤلف أن الدعوة الاسلامية تتوخى ايجاد تغيير في الفرد لا ايجاد زعزعة في الكيان القومي أو الدولي ، وأن التغيير الاسلامي بمثابة ثورة نفسية أصلا ، وبما أن الثورة النفسية لا تحدث الا في نفس الانسان ، فكذلك يتركز تأثير الاسلام أولا في الفرد .

وهنا يقع المؤلف في نفس المحظور الذي وقع فيه من قبل ، حين يريد أن ينحي عن الانسان مجاهدته للجماعة ، وحين يجعل محاولات الاصلاح والتغيير محصورة في داخل نفس الفرد دون أن تمتد الى الوسط الذي يعيش فيه ، مع النظرة الى كل عمل يتجه الى الجماعة بعين الشبهة والشك

وفي قوله « انطلق المسلمون في صراعهم مع العدو منطلقا قوميا ، لكنهم عبروا عنه بكلمة (الجهاد) لكن هذا التفسير أو الشرح لا يمتان بصلة الى الاسلام ، ويكون تسمية ذلك اسلاما تسمية غير حقيقية ، وهذا يستوجب العقاب ، ولا يستوجب الرحمة أو النعمة ... والحق أن كثيرا من هذه الحركات مجرد تلاؤل واضطرابات وطنية لا علاقة لها بالاسلام الحقيقي » (٣٧ ــ ٤٢) .

وهذا تعميم في الأحكام ، وهو تعميم ظالم ، يظلم أولئك الذين يجاهدون أعداءهم ، اذ ليس من اللازم أن يكون كل جهاد مؤسسا على القومية ، ولم لا يكون من واقع الاحساس بالخطر على الدين ؟ ولو حدث سكوت وتفريط في مثل هذه الأحوال ، أليس هناك ضرر محقق يعود على الدين ؟ فبماذا نسمي مثل هذا السكوت من واقع الاحكام الشرعية ؟ ان الجواب هنا واضح لا يحتاج الى بيان ، اذ ليس أكثر تفريطا في دين الله أكثر من مثل هذا التفريط .

ــ ٣ ــ

وفي اطار الحديث عن دور الاسلام في ظهور الحضارة الأوربية يذكر المؤلف أن الثورة العلمية أو الانقلاب الغربي الجديد كان وليد الانقلاب الاسلامي ، وكانت نتائج هذا الانقلاب هامة جدا من الناحية الاسلامية .

** فقد كان الملوك في قديم الزمان يحكمون الناس بحجة أنهم من سلالة الآلهة ، ولذلك ظلت دعوة التوحيد في قديم الزمان معارضة للحكم السياسي ، فكانت تتعرض للمقاومة والخطر ، الى أن قامت الثورة الفرنسية نتيجة للثورة الفكرية الاسلامية ، التي قضت على عقيدة تأليه الملوك الى أبد الأبدين ، فظهرت في التاريخ لأول مرة امكانية نشر التوحيد والدعوة اليه بدون خشية الاضطهاد .

والأمر بالمثل فيما يتصل بعبادة مظاهر الطبيعة وتقديسها ، فبتأثير الاسلام أصبحت المظاهر الكونية موضوعا للبحث والتنقيب والتحليل لا موضوعا للعبادة والتقديس ، وكان ذلك فاتحة عصر العلم ، حيث تمكن الانسان من اختراع وسائل المواصلات والاتصال الحديثة وبذلك أمكن نشر الدين على صعيد دولي .

ونتيجة لهذا الانقلاب الجديد أصبحت حقائق الكون مكشوفة ، وصارت هذه الحقائق

ذات دلالة علمية على صحة مبـدأ التوحيـد والمعتقدات المتعلقة به .

** وحين انتصر العالم الاسـلامي في الحروب الصليبية على أوربا المسيحية ، فانه بعد هذا الانتصار بدأ الوضع ينقلب تدريجياً، اذ أدركت أوربا النصرانية أن سبب الهزيمـة هو تخلفها عن العالم الاسلامي في الميـدان العلمي والفكري ، فعكفت على تعلم العلـوم الاسلامية واللغة العربية وقـد سـار الركب العلمي في أوربا سيرا حثيثا ، حتى سـبقت أوربا المسلمين في جميع مناحي العلم والعمل .

ومن ثم بدأت تتوغل في البلدان الاسلامية حتى تم لها استعمار أكثر البلدان الاسلامية .

وكان رد الفعل لدى المسلمين بعد ذلك هو القيام بالنضال السياسي ضـد هـؤلاء المستعمرين ، وأصبح ذلك شغلهم الشـاغل .

ويذكر المؤلف أنه في ظـل هـذه البيئـة السياسية لم يكن يسمح لأحد أن يبحث عـن امكانات جديدة في العالم الجديد تضـمن أو تتكفل بنجاح الدعوة الاسلامية ، ويستطرد المؤلف من ذلك الى بيان موقف الاسلام مـن النضال السياسي من خلال مفهومه ، اذ يذكر أن النضال السياسي في نظر الاسـلام هـو سيطرة أهل الحق على أهل الباطل ، ولقـد صرح القرآن الكريم بأن هذه السيطرة تتحقق بنصرة الله وتوفيقه « وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ » الانفال ١٠ .

ولكن لمن يعطى هذا النصر ؟ يذكر المؤلف أن الشرط الاسـاسي لاسـتحقاق النصرة الالهية « هو القيام بواجب الدعوة فعنـدما يقوم أهل الحق بمهمة الدعوة مستوفين جميع الشروط اللازمة ، ويصلون الى درجة التأهيل الكامل فانهم يستحقون لقيامهم بحق الدعوة جائزة من الله ــ كما يستحق أهـل الباطـل برفضهم هذه الدعوة عقابا من الله ــ فينزل الله نصره وتنقشع سحب الظلم عن المسلمين ... فاذا لم نقم بواجب الدعـوة الى الله ، فليس لنا أن نتوقع انتصار المسلمين عـلى غير المسلمين » (٤٧ ــ ٥٠) .

ومرة أخرى يعود المؤلف ليقـع كـذلك في نفس المحظور الذي وقع فيه من قبل ، اذ أنه يقصر نصر اللـه على من يقومون بـواجب الدعوة الى الله ، أما أولئك الذين يجـاهدون ويناضلون فهم خارج ذلك ، وكأنه ــ كما مر من قبل ــ يعد الجهاد والمقاومة للمنكر أمرا خارج اطار الدعوة ، ولا ندري من أين أتى بهذا التخصيص بنصر الله ؟ ولعلنا نرده الى صواب حين نذكره بقول الله تعـالى « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَـا اسْـمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّـهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيزٌ » الحج ٣٩ ــ ٤٠ .

ففي هذه الآيات بيان لمن يكـون لـه نصر الله ، انه من ينصر الله ، وفي مقدمة الآيـات توجيه واضح لعلامة من ينصر الله وكيف اذن له فيها ... ولنا مع الكتاب عودة ان شاء الله

ــ يتبع ــ

أ. د طه مصطفى ابو كريشة

الفتاوى

س : من السيد / شعبان أحمد عفيفى .

نحن أبناء بلدة البتانون فى حاجة شديدة لبناء مدرسة ابتدائية نظرا لتعدادها الضخم ، وفى بلدتنا أرض مقبرة مهجورة قد اندثرت من زمن طويل يتوسطها ضريح وهى ملك للحكومة ومساحتها حوالى ثمانية قراريط وقد بدأ الأهالى الاعتداء عليها .. ونحن أبناء الأزهر ومعنا أهل القرية حرصا منا على هذه الأرض والانتفاع بها للصالح العام نريد أن نبنى عليها مدرسة ابتدائية .. فهل يجوز لنا إزالة الضريح علما بأنه بتوسطه المكان يقف حائلا دون تنفيذ ذلك المشروع الذى يستفيد منه الآلاف ؟ .

ج : يجوز نقل رفات الضريح من مكانه الى مكان على حدود المساحة التى ستبنى عليها المدرسة لصالح أبناء القرية ، ويفتح للضريح باب خارجى ، وتبقى المساحة على سعتها دون عائق فيها ، تحقيقا للنفع العام لأهل القرية .

« كفارة اليمين »

س : من السيد / على ابراهيم الصالحى .

حلف رجل لأحد زملائه : والله ما حصل الشىء الفلانى ، وعندما اشتد الجدل غضب غضبا شديدا وقال : علىّ اليمين ما حصل هذا ، وبعد أن هدأ تذكر أنه حصل منه . فما الحكم ؟ .

ج : مادام المحلوف عليه قد حصل منه فيجب عليه كفارة يمين بالله وهى : إطعام عشرة مساكين او كسوتهم فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام .. كما ورد فى الآية ٨٩ من سورة المائدة .

س : من السيدة س . ح .

باعت والدتى أرضا زراعية ملكها ومصاغها وأعطتها لزوجها لعمل مشروع ، وكان والدى له منزل خاص به فباعه لوالدتى ولبناتها ابراء لذمته ولم يسجل عقد البيع . وعقود الإيجار باسم والدتى ... والعقد بتاريخ ١٩٦٣ ثم توفى عام ١٩٨٣ .. وقد ترك مائة جنيه .

فهل لأولاد أخيه أن ينازعوا زوجة عمهم وبناتها فى هذا المنزل مع العلم بأن ورثته هم : الزوجة ، أربع بنات ، أولاد أخ .. ؟

ج : هذا البيع بيع منجز لقاء ما لزوجته

للأستاذ عبد الحميد شاهين

من مال ، وهو بيع صحيح للزوجة وبناتها ، ولا يصح لأولاد الأخ أن ينازعوا فى هذا المنزل حيث قد أصبح ملكا للزوجة وبناتها ، ولهم حقهم فى المائة جنيه فتوزع كالآتى : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للذكور من أولاد الأخ تعصيبا ، ولا شىء للإناث منهم لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفرض والعصبات .

« خدمة الأم ونفقتها »

س : من السيد / ى محمد عبد العال .
امرأة كبيرة فى السن ومريضة وتحتاج الى من ينفق عليها ، وإلى من يقوم على خدمتها ، ولها ولد موسر وولدان معسران ، ولها بنت متزوجة فما الحكم .. ؟ وهل تلزم زوجة الابن بخدمتها ؟ .

ج : نفقة الأم تجب على أولادها الذكور ، وحيث كان أحد الأبناء موسرا فإن النفقة تجب عليه .

أما القيام على خدمتها فإن بنتها تقوم على خدمتها إذا وافق زوجها فذلك حقه ، فإذا لم يوافق على خدمتها كان على كل من أولادها أن يقوم على خدمتها إذا كان ذلك ممكنا ، وإلا وجب على الموسر أن يأتى لها بخادمة بالأجرة تقوم بخدمتها ورعايتها ... ولا تلزم زوجة الابن بخدمتها لأنها أجنبية عنها .

تصويب فتوى

نشر سهوا فى عدد رجب ١٤٠٥ هـ .. أن نصيب الأب الباقى والصحيح أنه السدس وذلك فى المسألة التالية التى نعيد نشرها بعد التصحيح والله الهادى الى سواء السبيل

س : من السيد / حسن على خضرى .
توفيت امرأة عن زوج ، بنت ، أم ، أب ـ علما بأن للزوجة المتوفاة مؤخر صداق ، ومنقولات ، ومصاغا .. فمن يرث وما نصيبه ؟ ولمن تكون الحضانة والوصاية ؟

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر الصداق ، ويضاف الى المنقولات والمصاغ ويعد تركة : للزوج منها: الربع فرضا ، وللبنت النصف فرضا لعدم وجود من يعصبها ، وللأم السدس فرضا ، وللأب السدس فرضا .

والمسألة من (١٢ جزءا) وتعول الى (١٣ جزءا) :

للزوج ثلاثة أجزاء ، وللبنت ستة أجزاء ، وللأب جزءان ، وللأم جزءان من ثلاثة عشر جزءا .

والله أعلم ..



من خير ما كتب

صرح فضيلة الامام الاكبر قال :

ان الأزهر طالب ويطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية كقانون حاكم .. لأن مصر بوضعها لابد أن تكون اماما ورائدا للعالم الاسلامى .. والشريعة تمثل الجانب العظى فى الاسلام .. منذ أن سارت الأمة الاسلامية فى أزهى عصورها ..

فلم لا يستعيد المسلمون جميعا عصورهم الزاهية الزاهرة بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ .

ان الأزهر بدأ من أكثر من عشرين عاما يقنن احكام الشريعة الاسلامية بحيث تصبح فى صورة القوانين المعهودة التى يجرى عليها العمل تيسيرا للقاضى والمتقاضى والتى اتخذ مجلس الشعب الخطوات لتشكيل اللجان التى عهد اليها بتقنين الفروع المختلفة من القوانين آخذا من الفقه الاسلامى . والأزهر شارك فى كل ذلك بعلمائه ، ولقد انتهت اللجان من عملها وتقدمت مشروعات القوانين لمجلس الشعب . وكان المأمول أن تأخذ دورها التشريعى وفقا للقواعد القانونية المعمول بها لاستصدارها .

وهى الآن أمانة فى عنق مجلس الشعب بوصفه وكيلا عن الأمة فقد اختار الشعب اعضاء المجلس ليقوموا بما كلفهم به بما فيه مصلحته . والشعب لا يكف عن المناداة بوجوب جعل الشريعة الاسلامية قانونا حاكما .

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » واذا فعلى مجلس الشعب ان يؤدى ما أؤتمن عليه .

وبشأن التربية الدينية قال فضيلة الامام :

مما لا شك فيه ان التربية الدينية عنصرا اساسيا فى تكوين المسلم وانه بعد أن صار التعليم ـ كما قيل ـ كالماء والهواء وأصبح لزاما على أولادنا أن يذهبوا للمدارس للتعليم فانه ينبغى أن تكون التربية الدينية سائدة فى جميع مراحل التعليم وأن اختلفت مادتها وعناصرها من مرحلة الى أخرى وفقا لمستويات الطلاب العقلية والعلمية وذلك بقدر كاف لتعريف أولادنا بالاسلام ، وأن يحفظوا قدرا



أحمد عبد الرحيم السايح • محمد صلاح الدين حيدر
عبد الفتاح السيد عبد السلام • إبراهيم حنفى أحمد

كثيرا من القرآن الكريم .. ولابد أن يعرفوا شيئا من عموميات علوم القرآن الكريم وأن يعرفوا أيضا حقيقة العقيدة الاسلامية والأسس العلمية التى فرضت على المسلمين .

فلابد أن يتعلم الأولاد الصلاة فى مدارسهم وفى الجامعة وان يتعلموا الصوم والزكاة .

واذا انتقلنا الى اخلاقيات الاسلام كان لابد أن يتدارسها الابناء وان يجدوا النموذج الصالح من المدرسين بحيث يكونوا قدوة لتلاميذهم .

ان القدر الذى يدرس الآن فى المدارس ليس كافيا لاعداد الفرد المسلم وهو مادة أساسية أى مادة رسوب ونجاح لكن الاهتمام العملى فى الدراسة والمتابعة يعتورها القصور – انه يتحتم على أولى الأمر المسئولين عن التعليم أن يسارعوا الى تعديل مناهج التربية الدينية فى المدارس بحيث تكون وافية كافية وبحيث تنشىء أولادنا على وعى وعلم :

لا أقول بالضروريات من الدين ، بل بما هو فوق الضروريات وعلينا أن ندخل مادة الثقافة الاسلامية والنظم التى صاغها الاسلام فى قواعد عامة أو مفصلة . وذلك فى الحكم والاقتصاد والعقيدة والشريعة وغيرها .. .. اننا ان فعلنا ذلك لن نجد بين شبابنا هذه الأفكار التى تظهر بين حين وآخر باسم الاسلام ، والتى ستظل فى جوهرها بعيدة عن مفهوم الاسلام الصحيح .

وعن الفكر العلمانى قال فضيلته :

ان الأمور قد اختلطت على شبابنا وأنا أقول دائما : ان شعبنا فى مصر والمسلمون جميعا متدينون ، وانهم مستعدون لأن يثوبوا ويعودوا للاسلام الكامل .

ولكن غلبت علينا شقوتنا .. اذ استوردنا معارف وعلوم لم نبلورها لتكون فى حضانة الاسلام ولم ننقها مما علق بها من الشوائب تزيغ عقل وقلب المسلم عن الاسلام انه لأمر عجيب أن نحظر تداول الأدوية الا بترخيص وبعد الكشف والفحص عن صلاحيتها وانها ليست ضارة بالجسد ، ثم نترك عقولنا نهبا لأفكار وفلسفات تزيغ عقول وقلوب أولادنا .. وتباعد من هدى الاسلام دون أن نقابلها بما يفسد قاطعيتها ونبين وجه الحق الذى يقول به الاسلام .

وسائل الاعلام .

وهذه وسائل أعلامنا :

أين المساحة التى تقدمها صحافتنا مثلا لتثقيف الشعب الاسلامى .

٥

من خير ما كتب

هذه اذاعتنا ، مسموعة ومرئية .
أين موقف البرامج الاسلامية من خريطتها .
وأين مساحتها .. وأنها تذاع — كما يقال — في أوقات معينة .

انها لا تواجه قضايا مثارة ولا تعلم جديدا .. انها كما يقول الناس في لغتهم الدارجة ، مجرد « روتين » .

لو أردنا أن نصلح من أنفسنا ومن شبابنا لأوقفنا الكثير مما يذاع على الناس من برامج تدعو الى الانحراف ونحن نعيش الآن في عصر جرائم لم تكن معروفة في بلادنا والاعتذار بأنها قليلة أمر مرفوض .

فاذا أردنا أن نصلح من حالنا وشبابنا وأولادنا فان علينا أن نعيد النظر في وسائل أعلامنا وما نقدمه للناس .. والله تعالى يقول : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً » .

رسالة المسجد :

منذ صدر الاسلام كانت رسالة المسجد تقوم على تربية المسلمين وتعليمهم أحكام الاسلام وكان مقرا للفتوى والقضاء والحكم وعندما كثر تعداد المسلمين وامتدت رقعة الاسلام وبحكم مصنفات العصر خرجت قضية المهام المذكورة عن نطاق المسجد في الدعوة .. اذ لا شك أن الاسلام وقد فرض على المسلمين خمس صلوات في اليوم والليلة وسن الرسول — صلى الله عليه وسلم — صلاة الجماعة في هذه الفروض كما فرضت عليهم الجمعة كل أسبوع لا شك أن ذلك يشير الى أن المسجد هو ناد أو منتدى للمسلمين يتشاورون فيه ويتدارسون أمورهم وما يصلح مجتمعهم وفيه يقفون صفوفا بين يدى الله في هذه الصلوات وفيه يرتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم « فليس المسجد ، كما هو واقع الآن ، مجرد مكان للصلاة وانما رسالة عامة شاملة لأمور المسلمين جميعا .

الأستاذ / مصطفى أمين

قلبي يتمزق عندما أرى مظلوما . عرفت الظلم وذقته أشكالا وألوانا انه أشبه بالسياط تنهال على برىء ينزف منه الدم ، وهو أحيانا أشبه بالصواعق تنهال بلا حساب . وأكثر ما يؤلم المظلوم ان يكمم فلا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، وأن يقيد فيعجز عن رد الاعتداء .

وعزائي أنني رأيت دائما مصارع الظالمين ونهايات الطغاة .

المهم عندما يحيط بك الظلم من كل جانب الا تيأس ولا تنهار . ولا تتوهم أن الدنيا دامت لظالم فما دامت الدنيا لأحد .

وكم رأيت من طغاة ظنوا انهم سيحتفظون بعروشهم الى الأبد . فاذا بالتأييد ينتهي بعد ٢٤ ساعة . ويتلفت الظالم فلا يجد الكرسي المسحور الذى كان يجلس فيه ، وينظر حوله فلا يجد المصفقين والهاتفين . ويصبح كالأجرب يخاف الناس من الاقتراب منه . فاذا ظهر اختفوا . واذا مشى على الرصيف

الأيسر مشـوا هم على الرصيف الأيمن • هذه الوحدة القاتلة وهذه المقاطعة الاجماعية هي أقسى عذاب يصيب الظالم ، وهو يتضاءل من أسد جسور الى برغوث • بل أقل شأنا من البرغوث ، لأن البرغوث يلسع ، والطاغية السابق لا حول له ولا قوة ولا قدرة له على القمع والانتقام • وهو يوم يفقد السلطة يصبح كالمروحة الكهربائية عندما تنزع منها سلك الكهرباء • وبعض الطغاة لا يعرفون الندم ، ويتمنون أن تعود اليهم السلطة ليضاعفوا من طغيانهم وليزيدوا من استبدادهم ، وليعاقبوا المظلومين الذين شكوا من ظلمهم واحتجوا على طغيانهم • ويقولوا :

ان البلد ليس فيه أخلاق لأن المكممين نزعوا كماماتهم ، ولأن المقيدين كسروا سلاسلهم ، ولأن المسحوقين رفعوا أصواتهم بالأنين • كأن الأخلاق الكريمة توجب علينا أن نشكر الذين أذلونا ونحمد الذين داسوا علينا بالأقدام •

من حق المظلوم أن يلعن الظالم ، وأن يقاومه فاذا عجز عن المقاومة ، لا يستسلم ولا ييأس • فنهاية الظالم مؤكدة ، لأن لكل ظالم نهاية • وهي نهاية تأتي فجأة في وقت يتصور فيه الظالم أنه في قمة سلطته ، وأنه أصبح أقوى الأقوياء فاذا رأيت ظالما تنتفخ أوداجه غرورا بسلطانه فلا تجزع فهذه هي احدى علامات الساعة • هي صحوة الموت • هي دليل النهاية •

وعندما أقف أمام أي مظلوم شاعرا بالعجز عن أن أساعده وأن أمد يدي اليه أشعر بهوان عجيب كأنني أموت وأنا على قيد الحياة •

أحس أنني شريك الظالم في ظلمه واستبداده • وأحاول أن أطلب من المظلوم أن يصمد ، وأن يتأكد أن السياط تسقط دائما من حامل السياط ، وتقع في يد من يلهب ظهورهم •

أحاول أن أقنعه أن الحقيقة لا يمكن أن تهزم الى الأبد وأن الباطل لا يمكن أن ينتهي الى الأبد •

احاول أن أقول له انني رأيت الشمس تشرق في منتصف الليل ، وأن الله لا يتخلى عن مظلوم حتى لو حاصرته كل قوى البغي والطغيان • ولكن المظلوم لا يريد أن ينتظر العدل البطيء • وهو معذور لأن عذاب الظلم شيء لا يطيقه بشر ! •

اللهم اسرع بنجدة كل مظلوم •

الدكتور / **أحمد عمر هاشم**

علاج الظواهر الخارجة عن الاسلام

في هذه الآونة الأخيرة ظهرت بعض الظواهر الغريبة على مجتمعنا وأمتنا •• من بين هذه الظواهر : الاغتصاب وخطف البنات ، وقتل أحد الأبناء لأبويه وادعاء النبوة والبهائية والرجوع عن الحجاب وغير ذلك من الظواهر التي تتنافى مع ديننا وعقيدتنا وتقاليد أمتنا •

وليس الذين يدعون ذلك أو يقومون به جماعة جهلوا أمر الدين أو أنهم بعيدون عن الثقافة أو العلماء حتى يعذروا •

من خير ما كتب

ويبقى أن نتساءل . ما الذى كان وراء هذه الظواهر وغيرها ، وهى تدل على الخروج عن الدين وقيمه ؟ .

لقد كانت احدى هذه الظواهر تحمل مؤشرا له خطره ، وهو أن الولد الذى قتل والديه كان يقرأ كتب الفلسفة الوجودية .. وهنا نقف على بعض الخيوط التى تؤدى الى أهم الأسباب التى تدفع الى اللا مبالاة والتى تدل على عدم وجود الايمان فى قلوب أصحاب هذه الظواهر .

ولا علاج لهذه الظواهر الخارجة عن الاسلام الا بالعودة الى كتاب الله وسنة رسوله وتطبيق شرعه ونشر الثقافة الاسلامية الأصيلة ورد سماسرة الغزو الفكرى الذين يحاولون التشكيك فى هذا الدين ، وقد قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » .

الأخبار

من الأنباء الطيبة :

باحث امريكى يعتنق الاسلام فى القاهرة

اشهر باحث امريكى فى علم الحشرات اسلامه فى الشهر الماضى .

ويعتبر الباحث من العلماء الشبان وقد سمى نفسه يحيى وكان اسمه (جون سن باير) امريكى الجنسية باحث فى علم الحشرات الطبية ويعمل مستشارا علميا لوزارة الصحة الأمريكية وممثلا لها فى المشروع البحثى بينها وبين جامعة عين شمس بالقاهرة .

ويبلغ من العمر ٣٧ عاما .

وقد تزوج من مسلمة مصرية كانت تعمل فى نفس المجال .

كان نصرانيا كاثوليكيا .

وبسؤاله عن مدى معرفته بالاسلام قبل اشهار اسلامه ؟

قال : لم يكن حدود علمى بالاسلام اكثر من تراث الشرق الذى يضفى على الجو الشرقى عبق التاريخ وسحر الآثار .

وعن سبب تحوله الى الاسلام .

قال : عندما زرت مصر واستوطنت بها لظروف عملى لأكثر من عامين أحسست بأن هناك روابط تسع مجتمعا له سمات الطيبة والألفة والمودة .. بين أفراده .. وأن الناس متحابين ومتعاطفين ويسارع بعضهم لنجدة البعض ، وأن الأسرة المسلمة والمصرية لها روابط تفتقدها الأسرة الامريكية فأحسست بالدفء بين المصريين .

ومن خلال عملى مع قطاع من المصريين على مستويات مختلفة وبخاصة أثناء الرحلات القومية التى تستغرق أكثر من يوم كنت أرقب بعضهم وبخاصة المتمسكين منهم بالدين وهم

يؤدون الصلاة وخلال شهر رمضـــان كنت ألحظ جدهم وتعبهم واصرارهم على انهـــاء العمل كاملا وهم صائمون وأحيـانا كـانوا يفطرون بعد الموعد (آذان المغرب) بساعتين فأحسست بسكينة وطمأنينة غريبـة لا أدرى لها سرا .. فكانت البداية .

ومنذ بدأت أبحث وأفكر وأسأل وأتحـاور مع أصـدقائى المصريين حيث اننى لا أجيـد العربية والمطبوعات باللغة الانجليزية بمصر في هذا الشأن قليلـة- سـاعدنى أكثر مـن صديق مسلم فى توضيح بعض الاسئلة التى كانت تثور فى ذهنى .

وعن هذه الاسئلة وماهيتها ؟ .

أجـاب .

كلها كانت تدور حول المقارنة بين ما ورد فى الأناجيل والقرآن وبخاصة قصص الأنبيـاء وخاصة قصة المسيح والعذراء .

وكذلك موضـوع الزواج والطـــلاق فى الاسلام والعلاقة بين الرجل والمرأة ؟ .

وماذا كانت الصورة بعد ذلك ؟ .

قال : شعرت أن الاسلام نظام اجتمـاعى كامل وضع حدودا أو اطارا لحمـاية الفـرد والمجتمع وصيانة الانسـان من عبث الأفكـار والتشريعات الوضعية .. وأجمل مافى الاسلام هو انقياد المسلم وتوجهه كلية الى الله وحـده الذى يملك كل مقدرات الحياة .

كذلك فالاســلام ينبـذ القـــوة والعنف ويرفض الحرب والتدمير ويحث على السلام .. ويهتم بالانسـان أيما اهتمام ويسـمى لجعله رسول اعمار وحارسا لمقومات الحيـاة على الأرض . كمـا فهمت الكثير من القضايا العلمية التى كان للقرآن فيها السبق وذكـر العديد منها .. وأجمل صور التعاطف والرحمة والصور الكريمة فى خلق علاقة طيبة بين أفراد المجتمع غنيه وفقيره .

وعن شعوره الحالى يقول :

السعادة والراحة والطمأنينة لقد وجـدت ما كنت أبحث عنه وأفتقده فى نفسى وأحـاول فهم الكثير من خلال ترجمة معـانى القـرآن الكـريم وبعض الكتب التى أهدانيهـا بعض الزملاء بالانجليزية ، وكذلك أحاول تعلم العربية لأستطيع اقامة تعاليم الاســلام كـاملة ان شاء الله .

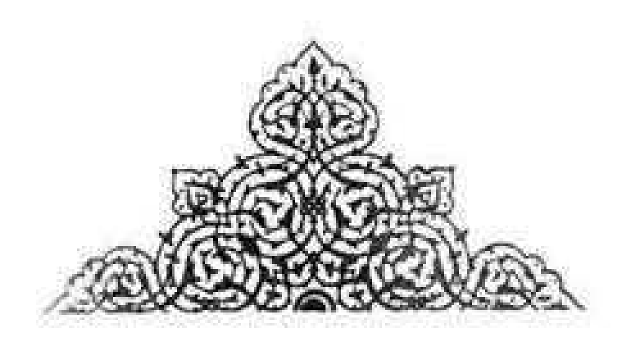
وماذا تقول للمجتمع الذى فيه نشـــأت واليه ستعود ؟ .

ان المجتمع الامريكى مجتمع حـر مفتـوح .. لكل انسان حرية الـراى والعقيـدة لكنى سأحاول دعوة أصدقائى وأسرتى للاســلام وأسرتى أول من علم بنيتى فى الدخـــول فى الاسلام وذلك فى زيارتى الأخيرة لهم بأمريكا منذ حوالى ثلاثة أشهر وكان تعليقهم : هذه حريتك .

فهرس العدد

The superb and splendid experience tangible during sincere proper truthful fasting is in true reality beyond description. Only when honest faith subdues the body to obey the commands of the Creator, that the mind and spirit will taste the nectar splendor of fasting. The dainty airiness and satisfied self,the unburdened mind and free spirit , the humbleness and piety are all but a few of the majestic superb and splendid experience.

Let us all pray to Allah to grant us power to fast and accept our fasting in obedience of his commandement, and redemtion of ourselves.



Allah prescribed fasting for leaving food and drink only, but also for abandoning slander lying and keeping out of transgression.The Prophet (prayers and peace be upon him)clearly shows the true aim of fasting by saying "He who renounces not falshood in speech and work , Allah does not need from him to leave his food and drink ". He also said " Fasting is a shield against one to indulge in foul speech." The manners of fasting should agree with the teachings of Allah and His Prophet to ward off evil, and that is the actual benefit for fasting correctly. The Prophet said in his tradition " If it is the fasting day for one of you, he should not be agitated or excited, and if he were insulted or offensed by anyone, he would have to say by Allah I am fasting ".

Since the Qur'an was initially revealed in Ramadan, Muslims are asked to recite and think over it day and night, teach it to renew their activity.

As the night of power is in Ramadan, Muslims are asked to strive and do their best for seeking the pleasure of Allah by meditating in the mosques performing all kinds of worship and multiply and increase their efforts in search of Allah's satisfaction.

Inspite of the fact that fasting Ramadan is a prescribed worship to all Muslims who witness the month, however, certain exemptions are sanctioned. These exemptions are specified in the Qur'an as illness (including menestruating females), travel, in which cases fasting should be performed on other days. Those individuals who find it very hard and cannot tolerate to fast, may compensate by feeding a poor man. However, this class is advised that fasting is certainly more to their advantage and good, if they realise. Matrimonial relations are sanctioned during non-fasting hours.



ctions aimed at purifying man and directing him to the proper path. If man fails to achieve these results, his worship becomes meaningless and not conforming with the real purpose of fasting. The important thing is that in performing fasting,man must do so with sincere intention and dedication.

The Prophet (prayers and peace be upon him)said " Actions will be judged according to intentions and it is only man's intention that counts". So man must perform fasting willingly and yearningly. In doing so with faith and sincerity, people will be influenced with benefit as long as they observe it.

Islam expounds the true meaning of fasting as the spiritual discipline which purifies the soul and protects man against evil and abomination. Fasting has social morals and physical values because its practice attains social equality in its most effective and superior forms . All men are equal under the supression of hunger, and the other limitations imposed.

Fasting therefore removes the self built social barriers existing between the various human classes. With this experience and aptitude, charity and good will for helping the needy is especially enjoined in the month of Ramadan following the best example the Prophet (prayers and peace be upon him).

Fasting creates honesty and self censorship in man's conscious. It elevates the soul and prevents it from stress or agitation. With this attained spiritual elevation, the sense of nearness to Allah and his universal presence is deeply experienced. A keeper of the fast abstains from food and drink simply because he believes that it is the commandment of Allah that he should. An inner voice is deepended in the heart that Allah is with him and observes him.



Fasting of Ramadan and its morals

By:
Nasr Aldien Abdelfattah Sholkamy

Fasting Ramadan is one of the worshios prescribed by Islam. It was dictated by Divine authority in Sha'ban of the second year after Hijrah. It was made obligatory, and the month of Ramadan was chosen for this purpose. Allah indicates in the Holy Qur'an: " The month of Ramadan in which was sent down the Qur'an as guidance to mankind and clear proofs of the guidance and the criterion (of right and wrong). Whosoever of you is present, let him fast the month" (Surat Al-Baqara, II; 185).

The practice of fasting has been recognised in all religions but the forms and motives vary. Allah states in the Holy Qur'an " O ye who believe: Fasting is prescribed to you as it was prescribed for those before you, that ye may learn self restraint (Surat Al-Baqara, II, 183).

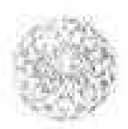
The Prophet (prayers and peace be upon him) defined that fasting starts with the appearance of the crescent signifying the beginning of the month, and ends with its total disappearance. Ramadan is therefore a lunar month not a solar one, which indicates a mass movement of rotation of its time along the months of the solar year. This affects a changing course in the Muslims' daily life. The daily period of fasting is prescribed to start at dawn and lasts till sunset.

Fasting is not an exercise which is practised automatically only to express obedience and submission, but it is a discipline for instru-

Each chapter being introduced with holy verses from the Glorious Qur'an, declension marks, enlightening paraphrase, and precious instructions will be observed whenever advisable. A Hadith appendixed with " Agreed upon " is one present both in Sahih Al-Bukhary and in Sahih Muslim.

I hope, should the book happen to be finished, that it will be an incentive to good and a barrier against the ill-fate of sinning; and I pray whosoever gains a benefit from it to call on Allah invoking His mercy on me, my parents, my tutors, the rest of our dear folk, and all Muslims.

In Allah I repose trust, and to Him I commit my cause. On His support I lean, and with His protection I suffice myself, for it is to Allah that might and power belong.



THE ENGLISH SECTION OF AL-AZHAR MAGAZINE PLANS TO PRODUCE A FULL TRANSLATION OF " RIYAD AL-SALEHEEN ". THIS WILL BE PUBLISHED IN SEQUENT ISSUES. MAY ALLAH PROVIDE US WITH KNOWLEDGE, SUPPORT, AND SUSTENANCE.

mown, as though it has not flourished only the day before. Thus we expound signs for those who will ponder ".

(Surat Younus, X , 24).

Other verses to the same effect are many in the Qur'an. Such as is the world with its attributes, and man with his duty. Every accountable human must take it upon himself to abide by the spotless paths of goodness and follow the clear ways of piety, in earnest and with due heed. There can be nothing for him to do better than behave himself with the verities of the noble conduct of the Prophet,be upon him and the rest of apostles blessing and peace from Allah; for he is admittedly the master of creatures, past, present and future, and the best example for both the departed and the living.

Allah says, exalted be He: " Help one another in righteousness and piety ". (Surat Al-Maidah, V,2). It is also reported with full confidence that the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, has said: "Allah will help a man so long as he is helping his brother", (Muslim) "Whoever points to a piece of good shall deserve a reward equal to that of him who does it", (Muslim), and "Whoever calls to a piece of guidance shall have an equal requital to that of its doers, not reducing a bit of them." (Muslim).He is also reported to have said to Ali Ibn Abi Talib, " By Allah, it avails you more good than cattle of distinction that Allah guides a man through you". (Bukhary).

It, therefore, dawned upon me to make a concise compilation of Genuine Hadiths which embraces in one tenor the road to the other life, and the guide to inward and outward virtues of the moral man. There is in it persuasion to do good and forewarning against the outcome of evil, pointing out the merits of austerity and self-discipline and the remedy for the ills of mind and soul, and the like. I intend to abide stricity by authentic and luminous Hadiths derived from the reputed Genuine compilations.

everlasting abode; averting all that calls forth His wrath and-inevitably - results in banishment to the abode of perdition.

Him I give due thanks, most sincere, far-aspiring, plentiful, and ever growing. And I witness that He alone, Allah , God , the All-Benign, Bountiful, Compassionate and Merciful. I also witness that our Master, Mohammad, is His servant and apostle, and His favourite and intimate. He has guided us to the straight path and called us to the right faith, blessing and peace from Allah be upon him and all the other apostles, their worthy kinsfolk and the line of righteous followers.

Allah, exalted be He, says: " It is but that they may serve Me that I have created jinn and men. I do not require of them sustenance, or want them to feed me."

(Surat Al-Thariat, L I, 56)

It is, therefore, incumbent on them to heed the message which they have been sent into being to carry out, and to turn backs on the lures of the world. This life is sure to pass and expire, and their stay in it cannot last without end. Rather than an oasis for settlement, it is indeed a vehicle to that which is beyond. A time must come for them to part with it who have long inclined their hearts to it. As a matter of fact, the righteous are only the awake, and the wisest are those with the least requirements.

Allah, exalted be He, says: " The likeness of the life of the present is as water which we send down from the skies, so with it mingles the produce of earth which man and animal eat. Then, when the earth is clad with its ornaments and decked out in beauty, and the folks on it think they have all powers of disposal over it, our command befalls it, by night or day, to render it like a harvest-clean



RIYAD AL-SALEHEEN *

BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL -NAWAWY AL-DEMASHQI.

TRANSLATED BY
SOLIMAN BARAKAT

Written almost eight hundred years ago, this invaluable text is still an acknowledged fountain of guidance to the standards of conduct for Muslims the world over. It is a goal-directed compilation of strictly authentic and approved Hadiths derived from first rate sources, mainly Sahih Al-Bukhary and Sahih Muslim.

The author of this famous text is Imam Abi Zakaria Yehia Ibn Sharaf Al-Nawawy Al-Demashqi, who was born in 631 Hijri and died 676 Hijri. He interpreted Sahih Muslim. May Allah pardon him with mercy and blessings.

The Author's Introduction:

Praise be to Allah, the One, Supreme and Irresistible God, who causes night to overtake day as a reminder to those possessed of vision and an insight to those capable of thinking. He awakes from among His creation whomsoever He chooses to inspire in them disinclination for the pleasures of this life and busy them with regarding Him and pondering His signs and admonitions. He guides them to diligently obey Him and to be ready in all states and stages for departure to the

* Paradises for the Righteous.

months of the fifth year after Hijrah. The march of time was continuing and the promotion of Islam was promising in confident progress. The revelation was continuing to direct, instruct, and provide the intricate lacework and infrastructure of knowldge and code of the rapidly spreading creed. The road was still arduous.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References

1. Alsira Alnabawiah
   3rd, Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo printed 1980

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramadan Albooty
   7th., Edition, 1977
   Dar Al-Fikr, Cairo

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Dar Al-Maarifa, Beirut

8. Zaad Almaad
   Ibn Qayem Al-Gouziah
   Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
   and Abdel-Quader Al-Arnaoot
   Mouassasa Al-Risalah
   Beirut, 1981.

with them. And the command of Allah must be fulfilled.

(Surat Al-Ahzab,XXXIII, 38)

took pride in the fact that her marriage to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was ordained by Divine directions . This marriage took place in the latter months of the fifth year after Hijrah. Many tales of slander are related concerning this marriage by non-muslim authors. Such, however, are incompatible with truth and not consistant with the characters of the man selected by Allah's divine choice to be the Messenger of the Qur'an. Zainab Bent Gahsh Al-Kurashiah daughter of Umaymah Bent Abdel Mutaleb, was an early emigrant to Al-Madinah and accepted Islam in Mecca during the early years.She was reputed for her piety and benevolence.

Following the marriage of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Zainab Bent Gahsh, the Divine order of the women's veil came about by Quranic revelation to the female kins of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and all women believers in general.

"O Prophet I Tell thy wives and daughters,and the believing women that they should cast their outer garments over their persons. That is most convenient, that they should be known (as such) and not molested; and Allah is oft forgiving most merciful.

(Surat Al-Ahzab, XXXIII, 59)

The object was not to restrict the liberty of women, but to safeguard their honour, purity and distinction.

These were the final events that took place during the last few

fifth year of Hijrah. These events were more concerned with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in person; others were concerned with the Muslims creed and its legislations as revealed by Qur'an revelation.

The Prohpet (prayers and peace from Allah upon him) sent Amre Ibn Umayah Al-Dhamri to Al -Nagashi king of Ethiopia asking him to marry Um Habibah daughter of Abu Sufyan, widow after the death of her husband Ubied Allah Ibn Gahsh. Al-Nagashi informed Um Habibah of the request of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

She accepted and deputised Khalid Ibn Said Ibn Al-As to act on her behalf being her cousin. She accepted, and King Al-Nagashi declared that in a gathering of all Muslims resident at Ethiopia at the time. The exact year of the marraige of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Um Habibah is disputed among chroniclers. However, circumstanial evidence given by many, points to the marriage taking place during the latter months of the fifth year. However, other evidence may point to the fact that the marriage was in the sixth year.

All chroniclers agree that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Zainab Bent Gahsh daughter of his aunt Umaymah, after she was divorced from Zayed Ibn Harithah. He married her according to divine directions through Quranic revelation. Zainab Bent Gahsh

> "Then when Zayd hau dissolved his marriage with her with the necessary formality, We joined her to thee in marriage. In order that in future , there may be no difficulty to the believers in the matter of marriage with the wives of their adopted sons, when the latter have dissolved with the necessary formality their marriage

The Khazraj were now eager to equalise the credit , and took permission of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to kill Ibn Abi Al-Huqayq. Five men from the Khazraj all from Bani Salamah went out to Khaybar seeking the man to kill him. The five men were Abdullah Ibn Ateek, Massoud Ibn Senan, Abdullah Ibn Unyis, Abu Qatadah Al-Harith Ibn Ribie, and Khuzaii Ibn Aswad; and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) appointed Abdullah Ibn Ateek as their ameer; and forbid the killing of children and women. The five men planned the strategy to enter the house of Ibn Abi Al-Huqayq, inside a settlement, and succeeded to work their swords in his body as he lay recumbent in his room. The man died, and the whole household was up with lanterns searching for the men who killed Ibn Abi Al-Huqayq. On their way out, Abdullah Ibn Ateek sprained his ankle severely. The group of five men safely returned to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and informed him of the death of Ibn Abi Al-Huqayq.

Another man was Khalid Ibn Sufyan Ibn Nubayh Al-Hathli who was known to gather troops and raise armies to fight the Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Abdullah Ibn Unyis and directed him to go to Khalid Ibn Sufyan and kill him; the man is characterised by his tremors and shivers. Abdullah Ibn Unyis went out to seek Khalid Ibn Sufyan. He found him in one of his dwellings with some of his women. When Ibn Unyis approached Ibn Sufyan, the latter asked who the stranger was. Ibn Unyis replied that he was an Arab who heard of Ibn Sufyan gathering to march against the Muslims. They walked together away from the women, and when it was possible,Ibn Unyis took his sword and killed Ibn Sufyan. Ibn Unyis returned and reported the events to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Certainly with the death of these two men Ibn Abi Al-Huqayq and Khalid Ibn Sufyan, the Muslims were saved the outcomes and disasters of their actions, intrigue and hatred against Islam.

Several other events took place during the latter months of the



THE END OF THE FIFTH YEAR

BY:
Dr. Anas Moustafa El-Naggar.MD, PhD.

In the name of Allah, most Gracious, most Merciful.

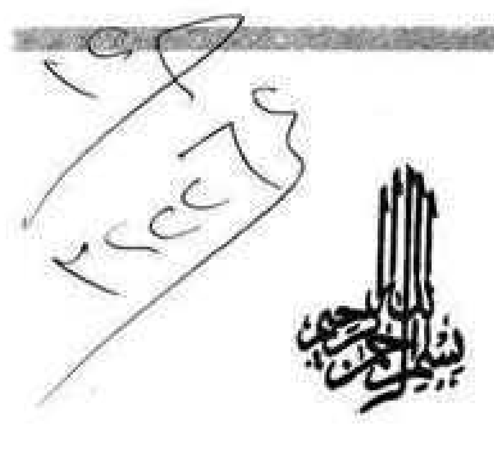
The confrontation with the confederate forces (The battle of the Trench) and the vanquish of the Jews of Bani Quraiza was in the month of Shawal in the fifth year after the Hijrah. These critical events in the history of Islam established an unprecedented superior prestige and mastery of the Muslim community over all other Arab tribes. However, the cumulative overall domination of Islam in the Arab peninsula was still to be achieved. Most Arab tribes remained alien to the growing powers of the new creed. Several of these tribes provoked enmity and opposition towards Muslims, and many of their leaders prepared to wage war against the forces of Islam. Some sporadic cases of individuals of high rank among their people, retained within themselves a perpetual hideous hatred to Islam and the person of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Some of these men were already killed such as Kaab Ibn Al-Ashraf, and others remained alive to plot and contrive with indignity and insolent audacity.

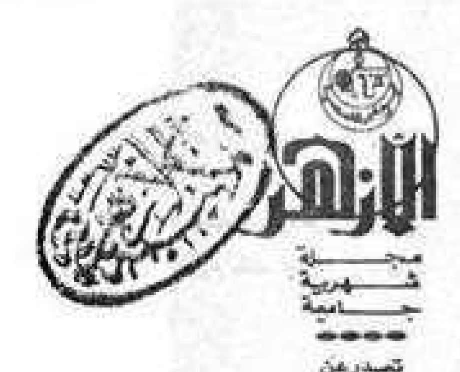
Among such men was Abi Rafei Sallam Ibn Abi Al-Huqayq the famous Jewish merchant living in Khaybar. The muslim clans of Aws and Khazraj of Al-Ansar were in continuous competition to serve the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Aws had previously arranged and excuted the killing of Kaab Ibn Al-Ashraaf.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION







مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. محمد أحمد الطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحميد

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
* صورة الغلاف



مسجد أبي العباس المرسي

عود حميد أيها العيد السعيد

يا بهجة الأرض ، ورحمة السماء ، وريح الجنة دنوت بالغبطة ، وسرت بالأمل ، فتفاءل بك الكبير ، وفرح فيك الصغير ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، وكسا الغفران نفوس المؤمنين .

تلوّت رمضانُ ، شهر الصبر والقرآن ، فختمته خيرا ورحمة وبرا وبركة ، وسخوّت في نفوس المؤمنين ، فعرفوا نعمة الله لأكف البائسين .

٩

* الجزء العاشر * السنة السابعة والخمسون *

* شوال ١٤٠٥ هجرية * يونيه ـ يوليه ١٩٨٥ ميلادية *

عود حميد أيها العيد السعيد

تلوت رمضان شهر الضمائر الحية ، والسرائر النقية ، والأنامل السخية .

رمضان الذى أمّ المؤمنين على رحمة ثم مغفرة الى براءة وعتق من النار حتى اذا انتهى بهم اليك فأطللت عليهم كنت مشرق زكاتهم ومغرب ذنوبهم ، وكنت الرضا من ربهم .

فيا لسمو الروح وجمال اليقين !!

عيد :

وسام الطهر والجلال وعظمة الانسان الذى عرف ربه ، فعرف نفسه عبدا خالصا .

لله منه كل شيء ، وليس له من الأمر شيء .

وهنا عظمة الانسان .

فكم يكون عظيما فريدا اذا آمن بأن كيانه لا يسمح له بالكبرياء .

وأجمل من ذلك وأروع أن يلتقى بانسانيته فلا يندفع الى تمزيق الأبرياء ، وتخضيب وجه الأرض بالدماء ، فلا يعرف عيدًا ولا يعرفه عيد !

وهل تكونُ عيدا لأمثال هؤلاء ؟!!

إنما العيد لمن سلمت يداه ، وطهر قلبه ، وآمن برحمة الله فسلم المسلمون من لسانه ويده ، وسار بين الناس بهدى وسلام .

لست عيدا لأقطاب النار والدمار والثكل واليتم والحرام .

لست عيدا لأقطاب تتصافح من الشرق الى الغرب بالصواريخ .

ولست عيدا لأقطاب تتراشق من الغرب الى الشرق بالقنابل .

وبينهم — على الشاطئين — صرعى المسلمين .. آلاف .. وآلاف لا يملكون من أمرهم شيئا الا أن يموتوا أشلاء ممزقة لحرب — عرفت لأول مرة — كيف يُهرَّبُ الطفل من وطن لآخر يستجدى الأمومة فى مصيبة تجل عن العزاء .

وأين .. ومتى .. وكيف تدرك الأم ، وتعرف هذا الوليد ان قدر لها أن تعيش وتنجو من براثن الأقطاب الذين تَرَدّتْ لحومهم وتَوَدّثتْ عقولهم ، وتدلت أنيابهم فى لهث الذئاب ، وحال بينهم وبين الرحمة والحب غلظ الأكباد ، وخرس الفؤاد ، والفرحة بالدماء .

لسوف يذكرك المستضعفون — يا عيد — بدمع الشتاء ، فاذكرهم بالعزاء ، ورحمة السماء .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

كلمة العيد

تخلف المسلمون لأنهم تخلوا عن مبادئ الإسلام

فتوى الأزهر بشأن الماسونية والليونز والروتاري

كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين فى عيد الفطر



شكر وذكر ومودة ورحمة

يتفرد العيد فى الاسلام بما يضفى عليه سمات العلو والسمو ، لانه من اجل فكرة مجيدة ولتحقيق هدف نبيل ٠

فالأعياد فى شريعة الاسلام الغراء ليست فصلية او كونية او وطنية او شخصية ، وانما هى اعياد تدور مع السنة القمرية وتأتى فى كافة الفصول ، وتعقب جهدا فى العبادة والطاعة فهى روح وايمان ٠٠

والأعياد فى الاسلام أيام شكر وذكر ٠٠

انها تلى عبادة من أسس هذا الدين ومن ثم كان بدؤها بالتهليل والتكبير ويبدأ المسلمون يوم العيد بالصلاة التى تنتظم فيها الصفوف ، وتندمج فيها كل الطبقات من الأمة سمة من سمات المساواة بينهم وآية على وحدة العقيدة ٠

وفى العيد تأصيل وتجديد الصلات الاجتماعية بين المسلمين من تواصل واخاء وتعاون ومحبة ٠

فها هى صدقة الفطر التى سنها الاسلام طهرة للصائم ومعونة للمحتاج واغناء له فى يوم العيد واسعادا لأهله وغيره من ذوى الحاجات هذا يوم عيد الفطر ، يوم كرم الله فيه المسلمين بعد أن أتموا صوم رمضان فزكت به نفوسهم ، وترفعت عن دنس البخل ، فجادوا بالأموال عطاء فى سبيل الله :

« قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ » ٠

هؤلاء الصوم القوم فى شهر رمضان عليهم أن يستمروا فيما ألفوا فيه من ذكر لله وطاعة له وبذل فى سبيله ٠



« فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى • وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » •

هذا يوم يعلو فيه هتاف المسلمين الله أكبر مستظلين بلا اله الا الله محمد رسول الله أمرنا بالجهر بها تثبيتا لقلوبنا وجمعا لصفوفنا ، ورجوعا الى ربنا ، فهى تداؤنا ننطق بها جهرا ونفى بها عملا •

لا اله الا الله والله أكبر : علمنا الذى نتجمع عنده اذا انفرط منا العقد ، وهى رباط قلوبنا اذا عز الصبر أو اهتز ، هى التى تذكرنا بأن الهنا واحد وكتابنا القرآن ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والكعبة قبلتنا فى الصلاة ، ورمضان شهر صومنا الذى أديناه •

هذا يوم الفطر تقرب فيه القرابة ، وتوصل فيه الأرحام يلتقى فيه المسلمون صافية قلوبهم نقية ضمائرهم •

هذا يوم نرجو أن يكون فاصلا فى حياة المسلمين ، فتوقف الحروب فيما بينهم ، تلك التى قطعت أوصال الأمة وقتلت شبابها وهدمت ديارها وبددت أموالها وأصبحت تسام الخسف بيد أبنائها وبأسلحة عدوها •

هؤلاء المسلمون فى أفغانستان يقاومون قوات عاتية بغت وعاثت فسادا فى الأرض ، وهؤلاء اخوتنا فى لبنان استهوتهم الفتن فراحوا يقتتلون دون أن يرحموا

كلمة شيخ الأزهر في عيد الفطر

الامهات الثكلى والأطفال ، يتصارعون فيما بينهم والعدو من خلفهم وعن أيمانهم وشمائلهم يسومهم الخسف والدمار ويسلب من تحت أقدامهم الديار ، اذكرهم بحق وطنهم فى الوحدة والصفاء ويحرمه هذه الدماء، وبأن ما هم عليه من خلف وشقاق انما هو من فعل الأعداء ، وأدعوهم الى الوفاق .

وهذه الحرب المستعرة بين ايران والعراق ، قد انعقدت من أجل انهائها المؤتمرات وجرت الوساطات ، أكرر النداء الى أولى النهى والأمر فيهم أن يتخلوا عن الاستمرار فى هذه الحرب المدمرة للبلدين فقد أهلكت الشباب وأتلفت الأخضر واليابس .

لقد صدق الله « **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** » فاحزموا الأمر أيها المسلمون حكاما ومحكومين وأظهروا أنكم غير راضين عن هذه الحروب الضروس وتوجهوا الى الله فى الصلاة أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات وأن يرد عنهم كيد أعدائهم وأن يجمع كلمتهم على الأخوة وأن يأخذ بأيديهم الى سبل الأمن ، فيشفى القلوب من الفرقة التى أضاعتهم وأغرت بهم الأعداء .

فى هذا اليوم ـ عيد الفطر المبارك ـ أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء البلاد العربية والاسلامية وأهنىء الشعوب الاسلامية بهذا العيد وأدعو الجميع كافة أن يفيئوا الى أمر الله ويحتكموا الى كتابه حتى تجتمع كلمتهم ويرد العدوان عن أمتهم .

« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** » .

باسم الأزهر استنهض الملوك والرؤساء المسلمين أيلتقوا لاصلاح ذات البين وليوقفوا هذه الانفجارات المتتالية بين صفوف المسلمين ، وهذه الحوادث التى تدبر للاضرار بالمنشآت والبلاد ، والاعتداءات التى توجه الى القادة والأفراد ان نفع هذا البلاء انما هو للاعداء .

يناشد الأزهر جامعة الدول العربية أن تتحرك فى جد وحزم ومنظمة المؤتمر الاسلامى أن يكون لها حركة ذاتية بين الشعوب الاسلامية المتصارعة والمتحاربة، نعم على هذه وتلك ان تزاول مهامها ولتستمع الى قول الله « **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً** » .

توجهوا جميعا الى الله صافية قلوبكم أن يجعل هذا العيد تعلو فيه المودة والمحبة والرحمة حتى تجتمع الكلمة ، وتتم النعمة ويصدق علينا قول الله سبحانه فى محكم كتابه .

« **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ** » .

حديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تخلف المسلمون

لأنهم تخلوا عن مبادئ الإسلام

أجرى الحديث : سناء السعيد

* « العقيدة الاسلامية هى أم الأديان السماوية وآخرها .. قال الله سبحانه وتعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » . فالاسلام هو دين الله الخالص الواحد الذى انتهى الى الانسانية ليكون دينا الى يوم القيامة .. فالاسلام كعقيدة لا يتغير ولا يتزعزع والاسلام كعقيدة لا ينفصل عن العلم بل يؤكده .. والاسلام كعقيدة كرم الانسان ومنحه الحرية .. والاسلام كعقيدة لا ينتسب الى افراط ولا تفريط حيث لا تشدد ولا قسر ولا ارهاب . والاسلام كعقيدة دين ودولة .. ويتحدث فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق عن هذا كله ... عن الاسلام كعقيدة .

* سؤال : مادمنا نتحدث عن الاسلام كعقيدة هناك تساؤل قد يبدو ساذجا ولكن من الضرورى طرحه ومؤداه هل يمكن أن يتعرض الاسلام كعقيدة لأية هزات أو فترات ضعف .. أو بالأحرى هل يمكن لدرجة التشبع بكل ما فى العقيدة الاسلامية من صلات أن تخف حدتها مع مرور الأيام فتهن أو تخفت .. أو تنقلب او تتعرض لهوى النفس البشرية ؟

٥

** الشيخ جاد الحق : ما تعرضين له الآن هو ظواهر تمس العقيدة التى نشأت عن أفكار انسانية - أما العقيدة التى جاء بها الاسلام فتختلف فالاسلام لا يتغير وعقيدته لا تتزعزع - وان كان المسلمون معرضون لأن تطرأ عليهم نوبات الضعف والقوة على السواء شأن البشر فى كل زمان ومكان .

**** أمن أجل هذا عدت القرون الخمسة الأولى من الاسلام أقوى من الفترات التى جاءت بعدها ؟**

** نعم .. لأن هذه القرون وبترتيبها فيما بينها كانت أقرب الى عهد الرسالة وأوثق صلة بالاسلام .. ولم يكن قد دخل عليها الغريب العجيب من عادات وأعراف الشعوب التى دخلت فى الاسلام اما صادقة واما لتصد افساد المسلمين كما تقول حركة التاريخ .

**** قد يستدعى البعض نظرية فى علم النفس يطلق عليها ، الحتمية الطبقية ، تقرن بين تصرفات وسلوكيات الفرد وبين انتمائه الى طبقة معينة - لتحليل وتفسير سلوكيات بعض المسلمين . فغالبا ما تعقد المقارنة بين المجتمعات الأوربية وبين المجتمعات الاسلامية ليقال بأن الأخيرة غارقة فى كم من الاهمال والفوضى واللامبالاة والسطحية . كيف تفسر الفجوة الواسعة بين العقيدة الاسلامية وتخلف المسلمين ؟**

** لا شك أن الاسلام كدين الله قد عنى بتنظيم حياة الانسان بوصفه انسانا .. بتنظيم صلته بالله .. ثم بتنظيم صلة بنى الانسان بعضهم ببعض من بدء الاسرة الى المجتمع الصغير الى المجتمع الانسانى الكبير .. فلم يترك ناحية الا ونظمها ووضع لها القوانين سواء المحددة تحديدا نهائيا أو القواعد التى يدور فى نطاقها الاصلاح والتنظيم . وعليه فان نسبة ضعف المسلمين أو تفككهم الى الاسلام نسبة غير صحيحة .. فلا دخل للعقيدة الاسلامية فى تخلف المسلمين .. ذلك أن تخلفهم نجم فى الأصل عن تخليهم عن مبادىء الاسلام وانحرافهم عن الجادة ، ان ما يعين هنا على التدليل والاستشهاد بدورات التاريخ . فحين كان المسلمون ملتزمين بدينهم كانوا أقوياء وكان العلم بينهم رائدا وسائدا . ولكن حين تخلوا وابتعدوا عن مبادئهم الاسلامية ضعفوا وتفرقوا وانتهبتهم الأمور . فانفراط العقد والتراخى والاهمال وعدم الأمانة صفات تنجم عن ضعف الوازع الدينى وتنجم عن بعد المسلمين عن أحكام الاسلام الذى يحض أساسا على الالتزام والنظام وأداء الواجب وكل الأخلاق الراقية .

*** هناك من يعزو هذا الى المتربصين بالاسلام الذين أغرقونا عن عمد فى هذه المتاهة السلوكية عندما وردوا لنا تيارات غربية لم تسفر الا عن وقوعنا فى التخبط والضلالة ؟ .**

** ان الغزو الفكرى والاعلامى الموجه للامة الاسلامية الآن قد أعان بالفعل على ذلك . ويكفى أن ننظر الى نوعية ما يصدر الينا من اعلام لنرى هل هو بالدافع الداعى الى التماسك والقوة؟بالطبع لا..فهو يوجه الى الأمة الاسلامية ليسوق لها كل عوامل التخريب — ولا شك أن لذلك تأثيرا ضارا لاسيما فى نفوس الشباب والنشء . ونحن بوسائلنا الاعلامية تساعد بالتالى على هذا الهدم لأنه ليس لنا ذاتية اعلامية تنبع من قوميتنا وديننا وبيئتنا . فنحن دائما نستورد الأفكار والتيارات الضالة التى تغرر بشبابنا وتبعدهم حتى عن التمسك أو الانتماء لبلدهم الذى يعيشون فيه . وواقع الحال فان المسلمين معرضون الآن لغزوات مؤثرة اذا لم يتداركوا أنفسهم ويوحدوا ثقافتهم ومصادرهم . اننى أدعو المسلمين الى توحيد الثقافة ، والمصادر لنعود الى مصادرنا الاساسية — ويجب الا يفهم هذا على أنه دعوة للانغلاق حيال أى تفكير جديد يمكن أن نستفيد منه وانما هو فقط تحذير من أن تكون الثقافة الوافدة مدمرة كما هو الواقع الآن . ونحن لا ننسى سياسة دانلوب التى استهدفت فى المقام الأول الغاء الكتاتيب ومكاتب تحفيظ القرآن وصرف التعليم عن أن ينتسب أو يأخذ من الاسلام شيئا ينفع .

*** ما هو كم الحرية الذى منحته العقيدة الاسلامية بالنسبة للدعوة لما يسمى التزاما وجوديا بالحرية الانسانية هل العقيدة الاسلامية منحى ومبنى آثرت منح الانسان الحرية المطلقة ؟**

** لقد كرم الاسلام الانسان أيما تكريم فهو يضع أمامه المعايير السليمة الصحيحة المدعمة بالمنطق والدليل والحجة ثم يقول بعد ذلك « **لا اكراه فى الدين** » يضع أمامه كل المعايير ثم يقول له فكر واعتقد — ثم لابد أن يكون الاعتقاد قلبيا أساسيا . حتى فى الأعمال التى تخفى فيها النوايا وتستتر أسند المثوبة والعقوبة فيها الى النية — تماما كما قال الرسول الكريم : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » فهذا هو الأساس الذى قام عليه الاسلام ولا نجد دينا سابقا فى الأديان السماوية — أو حتى دينا من تلك التى انتحلها البشر . قد ترك للانسان هذه الحرية . وهذا لأن الاسلام أراد لايمان الانسان أن يكون ذاتيا نابعا من

نفسه . وأن يكون اقدامه على أى عمل اقداما تلقائيا بحيث لا يكون مدفوعا بأى مؤثر خارجى على الاطلاق .

*** فى الاسلام كعقيدة يسود التبسيط والتيسير لا التعقيد والتهويل واتساءل فى ظل هذا هل نفر الاسلام كعقيدة سمحة غراء من الحركات الاسلامية المتشددة التى تجسد التعصب وتنحى التسامح وتستخدم الدين وسيلة لسفك الدماء وازهاق الأرواح ؟ .**

* لا شك أن الاسلام لا ينتسب الى افراط ولا تفريط .. **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا »** هكذا قال القرآن ووصف المسلمين .. فالاسلام دين التزم بتعاليمه الوسيطة فلم يفرط ولم يتشدد اطلاقا . وانما وضع للمسلمين نظم حياتهم ميسرة بحيث لا يكون هناك تشدد أو قسر أو ارهاب وان كان هذا لم يمنع من ظهور الفئات المتسيبة أو المتشددة على حد سواء بين المسلمين كبشر – فهذا أمر لا تخلو منه المجتمعات أيا كانت هويتها أو – دينها . ولكن يجب ألا تؤخذ هذه الطوائف التى تنتسب الى الاسلام ولكنها لا تعمل به أو تخرج عنه سواء افراط أو تفريط – على أنها صورة حقيقية للاسلام . فهى صورة مشوشة الاسلام منها براء . ان للاسلام مصدرين أساسيين القرآن والسنة – كما قال رسول صلى الله عليه وسلم . « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتى » .. وعليه يجب أن نعود الى هذين المصدرين لنحكم على أية فئة أو حركة تنتسب الى الاسلام لنرى هل هى فى نطاق الاسلام الصحيح أم أنها أفرطت أو تمالت فيما تقول وتدعو اليه . ويجب أن يكون المعيار فى هذا هو ما قضى الله به فى كتابه الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

*** تمذهب المسلمين وتفرقهم الى شيع متحاربة متنافسة اظهر الاسلام كما لو انه ساحة تتنازعها بعض المذاهب للتفرد بها دون غيرها فكل يحاول ان يثبت نفسه ككيان أوحد يستظل بعقيدة الاسلام ويمارسها وفق فكره ومذهبه وتجلى هذا مؤخرا فى لبنان الى حد رأينا فيه التقاتل على أشده بين الشيعة والسنة والدروز وكأنها لا تنضوى تحت عقيدة واحدة هى الاسلام ؟**

* لاشك أن تمذهب المسلمين بمذاهب مختلفة أمر غير مرغوب فيه ولا هو من طبيعة الاسلام .. قال تعالى : **« ان هذه أمتكم أمة واحدة »** ـ ولم نجد فى صور الاسلام هذه المذاهب المتقاتلة كان هناك اختلاف فى الاجتهاد بين فئات ولكنها

لم ترق الى أن تكون مذاهب متقاتلة أو متخاذلة . ولكن هذه المذاهب انما ــ نشأت أو تحولت من مذاهب فكر واجتهاد فى استنباط الاحكام الاسلامية على وجه صحيح ـ إلى مذاهب سياسية تتقاتل على أسلاب وأعمال الحكم والادارة . فلم تعد تدل على جوهر أساسى لها كفكر اسلامى ــ وانما أصبحت كما قلت مذاهب سياسية أو أحزابا للحكم اذا شاء المرء تسميتها بالاحزاب . وهذه للأسف هى الصورة المؤلمة التى تبدو الآن على واجهة العالم الاسلامى ولعل المثل الذى ورد فى المناقشة وهو لبنان لابد أن يدل على سوء ما وصلنا اليه فالتقاتل بين المسلمين ــ شيعة وسنة ودروز ــ يبعد بهم عن حقيقة الاسلام سواء فى سياسته العامة للمجتمع أو فى سياسته وتعاليمه الخاصة للانسان كانسان .

*** ولكن كعقيدة هل ثمة تعارض بين الاسلام كدين وبين السياسة أو ما اصطلح على تسميته بالحكم خاصة وان هناك من ذهب الى تغليف القوانين بحصانة دينية امر قد يعرضها ويعرض سمعة الدين معها للخطر ؟**

* * الاسلام كما قلت ، وكما هو واقع فى مصادره نظم أمور الانسان كلها فى أسرته .. فى ذاته .. فى مجتمعه ، نظم الحكم كدولة وأمة .. وحينما اجتمعت للمسلمين دولة فى المدينة أقام الرسول صلى الله عليه وسلم نظام الحكم، وجاء بعده الخلفاء الراشدون فساروا على منهجه وكونوا الحكومة وامتدت رقعة الدولة . وكل ذلك كان يجرى فى نطاق الاسلام . لم يقل أحد إن الدين فى جانب والسياسة فى جانب آخر . وانما كانت ــ السياسة تأخذ نظمها وطرقها وأحكامها من مصادر الاسلام لأن القرآن والسنة نظما كل أمور الانسان . فما يقال عن أن الحكومة الدينية أو اصطباغ القوانين بصبغة دينية أمر يجعلها متحيزة أو منحازة أو غير صالحة من الوجهة الاسلامية . قول غير صحيح وغير رشيد ــ ولربما عَنَّ هذا للبعض من جراء اختلاط وخلط فى الفكر بين ما عرف فى العصور القديمة فى أوربا من سيطرة رجال الدين الكنسى عامة على الدولة هناك فكان النفور الذى اشتد حتى قامت الثورات هناك وانزوى سلطان الكنيسة عن الحكم .. أما الاسلام فليس هكذا ولأنه كما أقول دائما ليس فيه رجال دين وانما علماء متخصصون للدين ..... قال تعالى : « **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** » . فهذا ليس سلطة .. لأن الاسلام ليس فيه السلطة الزمنية فرجل الدين كغيره من المواطنين . عليه

واجبات لله وواجبات تجاه الناس ووطنه . فاذن ليس هناك مدعاة على الاطلاق لأن يتردد دائما فى بلاد المسلمين قول مؤداه بان الدين شيء والدولة شيء آخر — بل يجب أن نستمد قوانينا من أصول الاسلام الأساسية فقيها ضمان حياتنا وسعادتنا .

*** الاسلام كعقيدة على حين نجده أنه قد طور نفسه مجموعة من القوانين إلا أن هناك بعض الحكام فى المنطقة لم يطبقوا فى العادة بعض المثل الدينية العليا ؟**

* * ذلك من أسباب عدم الارتباط بين الجمهور وبين حكامهم — أو : عدم ارتباط الجمهور الاسلامى بوجه عام بجميع ما يقضى به الاسلام فالاسلام يجعل من الحاكم اماما ويطلق عليه لفظ الامام — وهذا يعنى القدوة الحسنة لشعبه ولمن يقودهم .. ومن هنا كان على الحكام المسلمين أن يكونوا قدوة بالفعل فى الالتزام بالاسلام عقيدة وشريعة والا كان هذا الواقع الذى يعيشه المسلمون فى الأمة اليوم — عندما ينظرون الى حكامهم فيجدونهم غير مرتبطين ارتباطا وثيقا بأحكام الاسلام . وكما يقال فالناس على دين ملوكهم .

*** فى معرض تسليط الضوء على العلاقة بين الاسلام كعقيدة والنظريات الاقتصادية هناك نظرية لمكسيم روبنسون يقول فيها ان الاسلام كعقيدة لم يمنع تطور الراسمالية . وأسأل :هل يعطينا الاسلام القواعد الرئيسية الواضحة لتنظيم الاقتصاد ؟ .**

* * الاسلام لا ينتسب الى الراسمالية أو الاشتراكية أو غيرها من المذاهب والنظريات التى شاعت فى هذ العصر . ولكن الاسلام هو الاسلام . نظم الأمور المالية والحياة الاجتماعية بمعيار وارد فى مصدريه الرئيسيين — القرآن والسنة — فالاسلام لم يتعرض للملكية الخاصة ولم يحاربها ولكنه أوجب فيها الحقوق لكل من يسعى ويكسب شريطة أن يتم هذا بالطرق المشروعة فلقد الزم كل مسلم بالتزامات ليس له فيها خيار . ففرض الزكاة مثلا فرض دينى .. ليس فيها خيار . والزكاة لها أبواب ثمانية المصارف حددها القرآن الكريم . ثم بعد ذلك راعى الترابط الأسرى — فأوجب على المسلم الموسر أن يعول المحتاجين من اقاربه بدرجات متفاوتة أوضحها المجتهدون فى استنباط الاحكام كل هذا يعطينا المؤشر

أو القواعد الرئيسية التي تظم بها الاسلام الاقتصاد . لأن أهم ما يكون في النظام الاقتصادي هو الكسب والاستثمار . والاسلام لم يمنع ذلك ولم يحرم أحدا من أن يكسب ويستثمر كسبه ـ شريطة أن يتم هذا في نطاق مشروع وبطرق مشروعة . فهناك محرمات مثل السرقة والنصب والتحايل والقمار . ولكن خلافا لهذا فقد حث الاسلام على العمل والسعي . يقول القرآن : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله »** . فهذا أمر بالعمل . بل إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما جاءه أحد الناس يسأله صدقة عدة مرات . فكان أن أعطاه الرسول وأعطاه . ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم :(لأن يحمل أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه). فهذا هو الاسلام دين يدعو الى العمل والى الاستثمار . فلا ينبغي أن تنسب قواعده الى الرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية وانما هو بعيد عن كل هذا لأنه هو الاسلام .

*** هل يعني هذا أنه يمكن التعويل عليه اليوم في ايجاد حل حاسم وجذري لأزماتنا الاقتصادية ـ هل من وجهة نظركم يمكن لنا اللجوء اليه لنستقي منه قراراتنا الاقتصادية ؟ .**

** انني بداية لا أود أن استخدم مصطلح القرارات الاقتصادية بعد أن تداوله الكثيرون . ولكني أود أن أقول كم عانى المسلمون من أزمات في حياتهم وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فبماذا كانوا يواجهونها ؟ هل كانوا يواجهونها باطلاق أيديهم في الاستدانة والانفاق ؟ أم بالاستهلاك المتزايد ؟ هل كانوا يواجهونها بما نواجهها به نحن الآن ؟ بالطبع لا .. وانما كانوا يواجهونها بالعلاج الحاسم .. كانوا يمتنعون عن الطعام حين المرض اراحة للجهاز الهضمي .. وكانوا يمتنعون ، عن كل المسببات التي تؤدي الى زيادة الانفاق . ان هذا هو معيار الاسلام وهو ما يجب ان نعالج أمورنا به ان وضعيتنا اليوم يرثى لها ذلك أننا أصبحنا عالة على غيرنا في كل ما نحتاج اليه من طعام وكساء .. هذا يحدث بكل الأسف رغم أننا بلد زراعي علينا اذن أن نتعاهد وان نقود الدولة الى حملة نوقف بواسطتها هذا النزيف المستمر لاقتصادنا . حتى ندخر أموالنا التي تذهب الى الخارج في الاستيراد . فالأولى أن نعمر بها بلادنا .

تخلف المسلمون ...

اننى أدعو اليوم ونحن مع بداية شهر رمضان أن نوقف الاسراف والا تكلف الدولة باستيراد الأنواع الكثيرة التى تستدين من أجلها العملات الأجنبية وتزداد معها ديونها . وأتساءل .. ماذا لو ألغينا كل الكماليات ؟ علينا أن نصوم حقا - وأن نوفر لمجموعنا كدولة ما نسدد به هذه الديون المتراكمة لكى تخفف بذلك عن كاهلنا كأفراد ودولة كل هذه الالتزامات التى لا مبرر لانفاقها . لو عدنا الى الوراء ورأينا كيف عالج المسلمون منذ - أوائل الاسلام فى عصوره الرشيدة الأزمات الاقتصادية .... لوجدناه علاجا جذريا نابعا من عقيدتهم ومن أنفسهم . ولعلنا نذكر أن المسلمين كانوا يجاهدون فى سبيل الله وهم جياع . كانوا يربطون الحجارة على بطونهم ولم يمدوا أيديهم لأعدائهم ان سياسة جوع كلبك يتبعك هى التى تتبعها تلك الدولة التى تمدنا بالطعام والمال .. تمنحه باليسار وتأخذه باليمين ... اننا نرى أن كل القروض التى تأتى يأتى وراءها موظفوها وخبراؤها ليأخذوها ويأخذوا قوتها أرباحا - وهكذا نظل نحن مدينين وغير قادرين على رفع رءوسنا - وبالتالى غير قادرين على التحرك والمطالبة والدفاع عن حقوقنا .

*** أين الخلاص اذن ؟ .**

** الخلاص فى أن يكون اقتصادنا اسلاميا ومصريا - الخلاص فى أن نشرع بعلاج أمراضنا الاقتصادية بواقعنا ومن خلاله . الخلاص فى أن يكشف المسئولون الأوراق كاملة وبوضوح للشعب ويقولوا لهم ليس من المصلحة أن نستدين من أجل استيراد ما نستطيع الاستغناء عنه .

*** كيف يمكن لنا أن ندحض المزاعم التى تروج ما مفاده أن اشتراكية العقيدة الاسلامية لم تسفر عن شىء يذكر حتى الآن - فليس لها أية انعكاسات ؟ .**

** أولا أنا لا أوافق اطلاقا على تعبير اشتراكية اسلامية - فما أعرفه هو الاسلام فقط اما أن ننسب الاسلام الى الاشتراكية أو الاشتراكية الى الاسلام فهذا لا أوافق عليه اطلاقا - لأن الاسلام هو الاسلام لا يتمذهب بأى اصطلاح وافد أو شائع فى هذا العصر .

* يقولون اشتراكية اسلامية لتمييزهـا عن الاشـــتراكية الشيوعية ؟ .

** هذا ليس تمييزا وانما تمييعا للفهم الاســـلامى الصـحيح ـ فالاسلام هو الاسـلام بكل مقوماته وتعاليمه ـ فهو ليس بنظرية وانمـا دين له أسسه الالهية الثابتة ـ وعليه لا يمكن أن ننسبه الى أية نظرية تقبـل الجـدل أو الخطأ وتقبل امكانية التراجع عنها .

* لتفسـير المنحى أو التوجه الاسلامى بالنسبة للمـال كـان لابد من استخدام مصطلح معين ـ ومن ثم استعيرت الاشـتراكية ونسبت الى الاسلام ؟ .

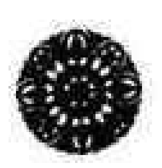
** ولم لا نقول الاقتصاد الاسلامى والعـادات والعـرف الاســلامى ولا ننسبها الى هذه المصطلحات التى وفدت على بلادنا وفكرنا ـ والتى بكـل أسف انتمينا اليها وجربناها فلم تفلح معنا ولم نفلح معها .

* أيا كان الأمر .. هل أسفر الاقتصاد الاسلامى عن شىء ما فى التطبيق بالفعل بالنسبة لمجتمعاتنا ؟ .

** أسألك بدورى سؤالا ـ منذ متى لم يطبق الاقتصاد الاسلامى ؟ . بالطبع لم يطبق منذ فترة طويلة للاسف . ولا شك أن مجتمعاتنا نسيت ما يقال عن الاقتصاد الاسلامى والعلوم الاجتماعية الاسلامية ونسيت أن مابالاسلام يفوق ويطغى على النظريات والمصطلحات التى استعارتها والتى نحن بصدد الحديث عنها الآن ... وعليه لا يمكن أن أقول بأن الموجود الآن على الساحة العربيـة الاسلامية هو اقتصاد اسلامى لأننا استعرنا ثياب غيرنا فلم تستر أجسـادنا بل على العكس ظللنا عرايا كما نحن .

أعده للطبع

مصطفى عبد السلام عتيقى



بيان للمسلمين من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بشأن

الماسونية والأندية التابعة لها

مثل الليونز والروتارى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين أما بعد ..

فان الاسلام والمسلمين يحاربهم الاعداء العديدون من كل جانب وبكل الاسلحة من مادية وادبية يريدون بذلك الكيد للاسلام والمسلمين ولكن الله ناصرهم ومعزهم .

قال الله تعالى :

« إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » (١) .

ومن بين هذه الوسائل التى يحاربون بها الاسلام وسيلة الاندية التى ينشئونها باسم الاخاء والانسانية ولهم غاياتهم واهدافهم الخفية وراء ذلك ، وأن من بين هذه الاندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها الليونز والروتارى ، وتلك من أخطر المنظمات الهدامة التى يسيطر عليها اليهود والصهيونية ستقون بذلك البسطة على العالم عن طريق القضاء على الاديان واشاعة ال... خلاقية وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطنهم باسم الانسانية .

ويحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها ، وواجب المسلم الا يكون امعة يسير وراء كل داع وناد ، بل واجبه ان يمتثل لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

(لا يكن احدكم إمَّعَة يقول : إنْ أحسنَ الناسُ احسنتُ وإنْ اساءوا أسأتُ ولكن وَطِّنُوا انفسكم إن أحسنَ الناسُ أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم).

وواجب المسلم أن يكون يقظا لا يغرر به وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم ولها مقاصدها وغاياتها العلنية فليس فى الاسلام ما تخشاه ولا ما تخفيه والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى عبد الله المشد

(١) سورة غافر (٥١) .

دراسات إسلامية

وتعاونوا على البر والتقوى

فتنة المال

فقه آية كريمة

هاروت وماروت

الإسلام وحقوق المرأة



وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

"سورة المائدة"

« عام الرمادة والتعاون فى الاسلام »

ورثنا الاسلام العظيم من قوانين التعاون والتراحم ، ما كان له أعظم الأثر فى قوة المسلمين وانتشار الاسلام ، واقبال الناس فى بقاع الأرض على معينه العذب ليرووا منه ظمأهم ، وعلى ظله الظليل ليتفيئوا من ظله ، وعلى حصنه الحصين ليحتموا به من أهل البغى والعدوان .

تامل معى قوله تعالى « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ »

وقوله جل وعلا « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » .

واقرأ معى قوله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر » .

وقوله « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » الى غير ذلك من دساتيره وقوانينه التى بنى عليها المجتمع الاسلامى الثابت الدعائم ، فلما انحرفوا عنه خروا سجدا وبكيا وقد تجلى التعاون فى الاسلام فى عام الرمادة ، حيث استجابت البلاد الخصبة الى نداء الأخوة الأسلامية ، فبعثت بأقواتها الى البلاد التى حدثت فيها المجاعة .

ففى سنة ثمانى عشرة من الهجرة النبوية ، وفى عهد عمر بن الخطاب ، أصاب الناس قحط شديد ، وميضبة قاسية بسبب احتباس المطر ، وفقدان الكلأ والطعام ، وكانت الريح تسفى رمادة — أى ترابا — وسميت هذه السنة عام الرمادة من أجل ذلك .

وقد اشتد الجوع بالانسان والحيوان ، حتى أضعف الشراسة فى الحيوانات المفترسة ، فكانت تأوى فى ذلة الى الناس ، لعلها تجد لديهم ما يرد عنها الجوع والظمأ .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وقد أصيبت الحيوانات الأليفة بالهزال الشديد ، حتى كان الرجل يذبح الشاة فيعافها لقبح منظرها بعد سلخها ، بسبب تجردها من اللحم والشحم .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه شديد التأثر بما يصيب المسلمين ، عظيم الخوف من الله تعالى ، فلذا كان يشاركهم فيما يصابون به من المحن ، فلا يعيش فى رغد وهم فى شدة وعناء ، فلهذا أقسم أن لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى تنتهى المجاعة ويعود الرغد والسعة الى الناس .

ومن عجيب شفقته على الناس ومشاركته لهم فى ضرائهم ، أنه نزل بسوق المدينة وعاء من جلد ملىء بالسمن ، وآخر مثله ملىء باللبن ، فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهما ، وجاء بهما فرحا الى عمر فقال : يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وأعظم أجرك ، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن اشتريتهما بأربعين درهما ، فقال عمر لغلامه : أغليت بهما — أى اشتريتهما غاليا بسبب المجاعة — ثم أمره أن يتصدق بهما ، وقال : انى أكره أن آكل اسرافا، وكيف يعنينى — أى يهمنى — شأن الرعية اذا لم يصبنى ما أصابهم .

طريقة عمر فى علاج المجاعة

لما حدثت المجاعة كتب عمر الى أمراء الأمصار ، يطلب منهم اسعاف أهل المدينة ومن حولها بالأزواد فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة عامر بن الجراح أمير الشام ، وقد جاءه بأربعة آلاف راحلة من طعام ، فعهد له بقسمتها فيمن حول المدينة ، فنفذ أبو عبيدة أمر عمر ، ولما عاد اليه بعد التقسيم أمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال : لا حاجة لى بها يا أمير المؤمنين ، انما أردت وجه الله ، وادخرت عملى عنده ، فلا تدخل على الدنيا ، فقال خذها فانك لم تطلبها ، ولا بأس عليك فى تناولها ، فأبى أبو عبيدة أن يقبلها تورعا ، ولكن عمر ألح عليه حتى قبلها وانصرف الى عمله .

فانظر الى ورع أبى عبيدة وزهده فى مال الأمة ، وقارن بينه وبين غيره من حكام المسلمين الذين لا يتورعون عن أكل أموالهم بغير حق ، وتأمل حرص عمر على حسن مكافأة أبى عبيدة ، ليفتح بذلك باب الجزاء على احسان العمل ، حفزا للهمم ، وتنشيطا لدواعى الخير فى نفوس الولاة ، ثم تتابع أمراء الأمصار باحضار الطعام الى المدينة ، وأصلح عمرو بن العاص ميناء بحر القلزم وأرسل منه الطعام الى المدينة فكثرت الأرزاق هناك ، وأضحى سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر .

أحداث فى عام الرمادة

قدعرفت أنباء المجاعة التى حدثت بالحجاز ، وكيف عالجها عمر ـ رضى الله عنه ـ ، والآن أحدثك عن حادث جلل فى بلاد الشام عام المجاعة ، فقد شرب نفر من المسلمين الخمر بها، وخرقوا بذلك ما أجمع عليه المسلمون من تحريمها والامتناع عن شربها ، وكان منهم ضرار وأبو جندل ، فلما علم بهم أمير الشام أبو عبيدة بن الجراح ، بعث اليهم وسألهم :

كيف شربتم الخمر مع تحريم الله تعالى لها ، فأجابوه بأن الله لم يحرمها عليهم ، بل خيرهم بين الانتهاء عن شربها وبين شربها بقوله سبحانه « فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ » فكتب أبو عبيدة الى أمير المؤمنين عمر يخبره بخبرهم ، ويستفتيه فى أمرهم ، ومما قاله فى كتابه لعمر بعد أن ذكر له أمر الشاربين وأسماءهم :

« سألناهم فتأولوا وقالوا : خيرنا فاخترنا ، قال : « فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ » ولم يعزم علينا أى لم يوجب علينا الامتناع عنها على القطع ، كذلك زعموا .

فكتب عمر الى أبى عبيدة كتابا جاء فيه (ادعهم على رءوس الناس وسلهم ، أحلال الخمر أم حرام ؟ فان قالوا حرام فاجلدهم ثمانين ثمانين ، وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم فسألهم فقالوا بل هى حرام ، فجلدهم أبو عبيدة وندموا على لجاجتهم ، وقال : ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث ، فحدث الطاعون .

والواقع أن قوله تعالى « فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ » أمر بالانتهاء ، فهو فى قوة وانتهوا ، ولكنه جاء بهذا الاسلوب ليقولوا انتهينا يا ربنا كما حدث من الصحابة فى عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وذكر الطبرى أن هؤلاء الشاربين بعد أن جلدوا لزموا البيوت حياء وخزيا ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، وطلب اليه أن يكتب اليهم وينصحهم ، فكتب عمر الى أبى جندل قائلا :

(من عمر الى أبى جندل « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ » فتب وارفع رأسك ، وابرز ولا تقنط ، فان الله عز وجل يقول « يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » فلما قرأ عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه أى ضحك وأشرق وجهه .

وكتب عمر الى الآخرين الذين شاركوه فى الشراب ولزوم البيوت بعد اقامة الحد عليهم ، فبرزوا وخرجوا من بيوتهم ، وكتب الى الناس (عليكم أنفسكم ، ومن استوجب التغيير فغيروا عليه ، ولا تعيروا أحدا فيفشو فيكم البلاء) .

طاعون الشام وموقف أبي عبيدة وعمر منه

في عام الرمادة أصيب المسلمون في الشام بمحنة كبرى هي محنة الطاعون . وأول ظهوره كان في قرية عمواس الغربية من بيت المقدس ، ثم انتشر حولها ، وكان أبو عبيدة عامر بن الجراح أمير الشام - كما تقدم - فلما علم عمر بما أصاب الناس منه ، أراد أن ينقذ منه أبا عبيدة ، لأنه صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأمين هذه الأمة ، وأحد عظماء قادتها وأصحاب الرأي فيها .

فكتب اليه (سلام عليك - أما بعد فقد عرضت لي اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك اذا أنت نظرت في كتابي هذا ، أن لا تضعه من يدك حتى تقبل الى) فعرف أبو عبيدة ما أراده عمر فكتب اليه (يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك الى ، وانى في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله في وفيهم أمره وقضاءه ، فحللني من عزيمتك .

فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس : يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال لا وكأن قد - يعني أنه في حكم الأموات لاحاطة الوباء به ، وكتب اليه عمر أن يرتاد للجند منزلا يبعدون به عن هذا الوباء ، فعهد أبو عبيدة بذلك الى أبي موسى ، فسار بهم الى الجابية ، ولكن الطاعون قتل أبا موسى وقتل أبا عبيدة ،

وقد استخلف على المسلمين قبل موته معاذ بن جبل فأصابه الطاعون ، فاستخلف بعده عمرو ابن العاص ، فخطب في الناس قائلا :

ان هذا الوجع اذا وقع فانما يشتعل بالناس اشتعال النار ، فتجبلوا منه في الجبال ، فعارضه أبو واثلة الهذلي ، فأصر عمرو بن العاص على رأيه ، وخرج بالناس الى الجبال ، فرفعه الله عنهم - تلك احدى روايتين في قصة وباء عمواس بالشام .

وهناك رواية أخرى خلاصتها أن عمر بن الخطاب قدم الشام ، فلما كان بسرغ (١) لقيه أمراء الاجناد وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ، فأخبروه بالوباء وشدته ، وكان معه المهاجرون والأنصار ، فاستشارهم فاختلفوا عليه .

فمنهم من قال : خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ، ومنهم من قال : انه بلاء وفناء نرى أن تقدم عليه ، فقال لهم : قوموا عني ، ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش ، فلم يختلفوا عليه ، وأشاروا بالعودة الى المدينة .

فقال أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ، فقال عمر : نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ، أرأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان (٢) . احداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ،

◄

(١) سرغ منزل من منازل الحاج الشامي ، بين المدينة وتبوك .

(٢) تثنية عدوة وهي جانب الوادي .

وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فبينما الناس على ذلك اذ أتى عبد الرحمن بن عوف – وكان متخلفا عن الناس – فقال : ما شأن الناس ؟ فأخبر الخبر ، فقال : عندى من هذا علم ، فقال عمر : فأنت عندنا الأمين المصدق ، فماذا عندك ؟

قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، واذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه » ، وهذه الرواية أصح من سابقتها ، فان البخاري ومسلما خرجاها فى صحيحيهما ، ولأن أبا موسى كان فى هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام .

ولما سمع عمر – رضى الله عنه – ماحدث به عبد الرحمن بن عوف ، انصرف بالناس عائدا الى المدينة .

وقد فتك الطاعون فى هذا العام بأهل الشام فتكا ذريعا ، ولكن الله حفظ منه سائر البلاد الاسلامية بمنع الخروج من الشام الى غيرها ، ومنع الوصول اليها من سواها بتطبيق الحديث النبوى الشريف ، الذى يعتبر أول قانون للحجر الصحى يطبق على البشرية لمنع سريان الوباء .

وبذلك يعتبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول واضع لنظام الحجر الصحى بالحديث الشريف الذى رواه عبد الرحمن بن عوف ، كما يعتبر المسلمون أولا من طبقوه ونفذوه .

الاستسقاء بالعباس فى عام الرمادة

قد علمت أن الطعام كثر بالمدينة ، ولكن توالى الأيام كفيل بانتهائه ، فما لم ينزل الله المطر فتخضر الأرض وتكثر المراعى والأقوات فان الأمر سيعود الى المجاعة ثانيا .

وقد حدث أن أهل بيت من مزينة قالوا لصاحبهم بلال بن الحرث : قد هلكنا فاذبح لنا شاة ، فأخبرهم أنه ليس فى الشياه لحم ، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة ، فسلخها عن عظم أحمر ، فنادى : يا محمداه ، فرأى هذا الرجل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى النوم يقول له : أبشر بالحياة ، ائت عمر فاقرأ عليه منى السلام وقل له : انى عهدتك وأنت وفى بالعهد ، شديد العقد ، فالكيس الكيس (١) ياعمر . فجاء حتى أتى باب عمر ، فقال لغلامه : استأذن لرسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فأتى عمر فأخبره ففزع ، وظن أن بالرجل مسا من الجنون ، فان الرسول – صلى الله عليه وسلم – انتقل الى الرفيق الأعلى ، فكيف يكون هذا الرجل رسولا له ، فلهذا سأل عمر غلامه قائلا : هل رأيت بالرجل مسا ؟ قال لا ، قال فأدخله ، فدخل وأخبره الخبر . فخرج عمر فنادى فى الناس وصعد المنبر وقال : نشدتكم الله الذى هداكم .

(١) الكَيْسُ ضد الحُمْق،ويطلق على العقل

هل رأيتم مني شيئا تكرهونه ؟ قالوا : اللهم لا ولم ذاك فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر ، فقالوا : انما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا ، فنادى في الناس وخرج معه العباس ماشيا ، فخطب وأوجز وصلى بالناس ، ثم جثا على ركبتيه وقال : اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة الا بك ، اللهم فاسقنا الغيث وأحي العباد والبلاد .

وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال : اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبقية آبائه وأكبر رجاله ، فانك تقول : وقولك الحق « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة » فحفظتهما لصلاح آبائهما فاحفظ اللهم نبيك في عمه ، فقد دلونا

ـ أي توسلنا ـ به اليك مستشفعين مستغفرين ، ثم أقبل على الناس فقال « استغفروا ربكم انه كان غفارا » .

وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان ، ولحيته تجول على صدره ، وهو يقول :

اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة ، ولاتدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا (فانه لاييأس الا القوم الكافرون) فنشأت طريرة(١)من السحاب ، فقال الناس:

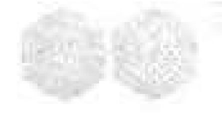
ترون ترون ؟ ثم التأمت (٢) ، ومشت فيها الريح ثم هدأت ودرت (٣) فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار ، وقلصوا المآزر (٤) ، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئا لك ياساقي الحرمين ، فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب

بعمي سقى الله الحجاز وأهله
عشية يستسقي بشيبته عمر

توجه بالعباس في الجدب راغبا
اليه فما ان رام حتى أتى المطر

ومنا رسول الله فينا تراثه
فهل فوق هذا للمفاخر مفخر

مصطفى محمد الحديدي الطير



---

(١) الطريرة هي الطريقة المتشعبة من السحاب
(٢) أي اجتمعت بعد تفرق .
(٣) أي أمطرت مطرا غزيرا .
(٤) (ما تروحوا) أي ما عادوا الى بيوتهم آخر النهار (واعتنقوا الجدار) أي امسكوا به خشية الانزلاق من كثرة المطر (وقلصوا المآزر) أي رفعوها الى أعلى حتى لا يصيبها الوحل . والمآزر جمع مئزر ، وهو ما يستر أسفل الجسد .

من علوم القرآن

الإعجاز ٣

وعلى ذلك نقسم وجوه الاعجاز الى قسمين :

أولهما : ما يتعلق بالمنهج البيانى ، وهـذا النوع أول من يخاطب به العرب لما ذكرنا فى صدر كلامنا من أنه جـاء بلغتهم.

القسم الثانى : الاعجاز بما اشتمل عليـه من ذكر لأخبار السابقين ولأخبـار مستقبلة وقعت كما ذكر ، واشتماله على علوم كونيـة وحقـائق لم تكن معـروفة فى عصر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذلك ما اشتمل عليه من شرائع أثبت الوجود الانسانى أنهـا أصلح من غيرها وأنها وحدها العـادلة ، وأن هذا النوع معجزة للأجيال كلها وهو يحتـاج الى مجلدات ضخام ٠٠ » ٠

وبعد هذه الجولة فيما كتب حول وجـوه اعجاز القرآن نستطيع أن نلخصها فى الآتى :

(أ) هناك من يحصر ذلك فى البيـــان القرآنى ، والقرآن نزل بلغة العرب ، فالتحدى عند هؤلاء موجه للعرب ، بل لمن بلـغ منهم منتهى البلاغة والفصاحة بحيث يرى وجـه الاعجاز ويحسه ، أما غيرهم من الجماهير العربية ومن الأعاجم الذين لا علم لهم بلغـة القرآن فعجزهم تابع لعجـز من تحـدوا ، لأنهم اذ عجزوا فغيرهم أعجز ٠

(ب) وهنـاك من يرى تعـدد وجـوه الاعجاز ، اذ تشمل البيان وغيره من اخبـار بالغيب ماضيه ومستقبله ، ومن اشتماله على أنواع العلوم والمعارف والتشريعات الصالحة الدائمة ٠٠ الخ والتحدى عند هؤلاء موجـه للعرب ولغيرهم على سواء ٠

ولا ندرى كيف يكون غير العرب ممن وجه لهم التحدى بالنسبة للبيان القرآنى العربى ٠

(جـ) وهناك من يرى تعدد وجوه الاعجاز ولكن على التقسيم ، فما يتصل بالبيـــان واللسان العربى التحـدى فيـه موجـه الى العرب ، وما يتصل بالوجوه الأخرى يشملهم ويشمل غيرهم ٠

ونحب أن نتساءل :

هل فى هذه الأقوال ، مفرقة أو مجتمعة ، ما يتفق مع نص القـرآن الكـريم فى آيـة التحدى العام ؟ ٠

وقبل محاولة الاجابة عن هذا الســؤال لابد من أن نشير الى أمرين :

للدكتور أحمد ابراهيم مهنا

أولهما :

ان اعجاز القرآن الكريم لأصحاب اللسان العربى من جهة سموه فى البلاغة والفصاحة والبيان أمر لا يمكن انكاره ولا ينبغى أن يحور حوله خلاف ، لأن الله تبارك وتعالى عبر عنه بأنه نزل « بلسان عربى مبين » وليس بعد قول الله بيان ، ولأن كتب التاريخ الاسلامى والسيرة النبوية مليئة بالأخبار التى تتحدث عن شدة اعجاب كفار مكة ــ وهم صفوة أهل اللسان العربى حينذاك بما كانوا يسمعون من آيات القرآن حتى ان كثيرا من رؤسائهم وأولى الأمر فيهم رغم عداوتهم الضارية لرسول الله وكتاب الله كانوا يتسللون لواذا متسترين بظلام الليل ليسمعوا رسول الله وهو يردد كتاب الله .

وقصة الوليد بن المغيرة وما قاله فى وصف القرآن وأنه لا يمكن أن يكون من الشعر أو من السحر أو من الكهانة ... الى آخر ما قال مشهور معروف .

وقد أشار القرآن اليها فى قول الله تبارك وتعالى :

« ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ .... » (١) .

وثانيهما :

ان بعض الكاتبين خلط بين التحدى الذى تنطق به آية سورة الاسراء والتحدى الذى وجهه الله لبعض الناس فى أمر معين ، فنجد أستاذنا الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ــ جزل الله له الثواب ــ يقول فى كتابه « مناهل العرفان » :

« قال الله تعالى فى موقف من مواقف الخصومة والمحاجة بين الرسول وبين أعدائه اليهود :

« قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » .

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » (١) وهذا من ابرز شواهد

(١) سورة المدثر : الآيات ١١ ــ ٢٦ .

(١) سورة البقرة : الآيتان ٩٤ ، ٩٥

الاعجاز والتحدى ، اذ كيف يتسنى لرجل عظيم فى موقف من المواقف الفاصلة بينه وبين اعدائه أن يجرؤ على تحديهم بشيء هو من شأنهم وحدهم ، وكان فى استطاعتهم عادة ، بل فى استطاعة أقل واحد منهم أن يقول ولو ظاهرا : « انني أتمنى الموت » ليظفروا بذلك التمني على محمد – صلى الله عليه وسلم – ويبطلوا به دعوته ويستريحوا منه على زعمهم ، ولكن كل ذلك لم يكن ، فما تمنى أحد منهم الموت ، بل صرفوا ومازالوا مصروفين عنه أبدا ، ثم سجل القرآن عليهم ما هو أبعد من ذلك اذ قال عقيب تلك الآية :

« وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » (١) .

اننا لا ننكر أن التحدى هنا قائم ، وما قاله فضيلة أستاذنا الزرقاني صحيح ، ولكن هذا هو التحدى الشامل الذى نتحدث عنه ، وهو الحكم بعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل القرآن الكريم ! .

لقد بينا – فيما سبق – أن آية التحدى العام الشامل هي قول الله تبارك وتعالى فى الآية الثامنة والثمانين من سورة الاسراء :

«قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

وان قواعد اللغة العربية تقرر وجوب حمل النص على ظاهره الا اذا تعذر ذلك .

واعمالا لهذه القاعدة نرى :

أن التحدى موجه الى جميع أفراد الانس بأجناسهم المختلفة وألوانهم المتباينة وألسنتهم المتعددة .

وأن هذا التحدى بدأ منذ نزول القرآن الكريم ويمتد الى أن يأذن الله بفناء هذا العالم .

وكما أن التحدى موجه الى جميع أفراد الانس فهو موجه كذلك الى جميع أفراد الجن ، أى موجه الى كل من ينطبق عليه لفظ الجن فى علم الله . وليس لنا أن نذهب أبعد من هذا ، فالجن من عالم الغيب وعلمنا بأحواله وما يتعلق به يتوقف على ما يأتينا به المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ومحاولة تخصيص التحدى للانس فقط دون الجن كما قال البعض ، أو تخصيص الانس بالعرب وحدهم وغيرهم تبع لهم كما يقول آخرون ، لا يمكن قبولها لأنه ليس هناك ما يمنع من ابقاء النص على ظاهره .

والذين قالوا بهذا التخصيص أو ذاك اضطروا اليه عندما حددوا وجه الاعجاز فى البيان العربى للقرآن وسموه ، وهو – فيما نرى – عكس لما ينبغى أن يكون ، لأنه يجعل الفهم

(١) انظر مناهل العرفان الجزء الأول ص ٨٣ (مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه) .

الانسانى أصلا والنص القرآني فرعا ، وكم عانينا من ذلك فى تراثنا عندما جعل أصحاب المذاهب - سواء أكانت عقدية أم فقهية - ما يقولون به من آراء أصلا ، وحاول كل فريق أن ينزل النص على ما يقول :

واذا كان النص يوجه التحدى الى جميع أفراد الانس والجن فمن الحتم أن يكون فى القرآن ما يعجز هؤلاء جميعا حتى يتحقق الاعجاز .

ومن الحتم كذلك أن يكون واضح المعنى بحيث يفهمه كل فرد ممن وجه اليهم التحدى .

ومن الحتم أيضا أن يكون مستمرا منذ كان التحدى والى نهاية هذا العالم .

ومن هنا نرى أن كثيرا من وجوه الاعجاز التى عددها العلماء لا يحقق ذلك :

فمثلا القول بأن وجه الاعجاز هو ماق أسلوب القرآن من سمو فى البيان وان صدق على العرب فانه لا يصدق على غيرهم .

والقول بأن وجه الاعجاز هو ما اشتمل عليه القرآن من أخبار السابقين وان نهض دليلا على أن القرآن ليس من تأليف محمد لأنه أمي لم يقرأ شيئا عن هذه الأخبار فى نطاقها فانه ينقصه عنصر العموم اذ لا يعلم ذلك الا هؤلاء الذين علموا حقيقة هذه الأخبار من أصحاب الكتب السابقة وهم لا شك أفراد قلائل .

والقول بأن وجه الاعجاز هو ما جاء فى القرآن من أخبار مستقبلة وقعت كما ذكر لا ينهض دليلا على الاعجاز وقت توجيه التحدى ، اذ يحتاج لاثبات أحقيته الانتظار الى أن يقع ، ومع ذلك فهو تحد مؤقت ينتهى بوقوع الحدث ، وهذا لا يمنع من القول بأنه عند وقوعه يضيف دليلا جديدا على صدق رسول الله فيما بلغ لأنه وقع كما قال مع تأكيده على أنه صلوات الله عليه وسلامه لا يعلم الغيب .

والقول بأن وجه الاعجاز هو اشتماله على علوم كونية وحقائق لم تكن معروفة فى عصر محمد - صلوات الله وسلامه عليه - يؤدى الى أن تظل الآيات التى تحدثت عن هذه العلوم غامضة مبهمة غير مفهومة حتى يأذن الله بظهورها ، ويؤدى - كذلك - الى أن التحدى يكون مقصورا على من يفهم هذه العلوم ، ولم يكن أحد من هؤلاء موجودا فى عصر نزول القرآن وبعد ذلك بوقت طويل ، وعند ظهورها فقط يمكن ربطها بالاعجاز فى الحدود الضيقة التى ذكرنا .

ثم : هل هناك اتفاق بين علماء المسلمين على أن القرآن كتاب علم بالمعنى الذى يفهم مما يقال فى هذا المجال ؟ .

ان الكثرة الغالبة من العلماء يرون خطورة كبيرة فى ربط القرآن بالنظريات العلمية أو تفسير آياته تبعا لما يظهر فى مجال العلم ، لأنه متغير ويقررون أن الصواب أن يقال :

ان القرآن لم يصادم حقيقة علمية أو قانونا علميا توصل اليه العلماء وصار غير قابل للنقض منذ أنزل من لدن الله الى يوم الناس هذا ، وليس يصادم شيئا من ذلك فيما يعتقدون لأن القرآن كلام الله والعالم كله من خلق الله .

ونخلص من ذلك الى أن وجه الاعجـاز فى القرآن هو شىء آخر غير ما قيل ولابـد وأن يكون أمرا موجودا فى القرآن نفسـه .

وأن يكون واضحا يفهمه كـل فرد سـليم العقل ، نال شيئا من العلم أو حرمته ظـروف الحياة من ذلك .

وأن يكون هذا الأمر الذى يعجـز الانس والجن قائما فى كل وقت ، ولا يمكن أن يكون فى متناول أحد ممن وجه اليهم التحدى بـأى حال من الأحوال حتى لو ظاهر بعضهم بعضا .

هذا ــ فى رأينا ــ هـو ما يفهم من النص الكريم «قل:

لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

فما هـو ؟

ان الدارس لكتاب الله يجد أن الله عبـر عنه ــ فى كثير من آياته أنه « الحق » نقـرأ ذلك فى قول الله تبارك وتعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ » (١) .

وفى قوله جل شأنه :

« الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » (٢)

وفى قوله عز وجل :

« وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ » (٣) .

وكون القرآن هو الحق يلزم عنه أن يكون كل جزء من أجزائه حقا كذلك ، وهذا ما نجده فى مواضع كثيرة من الكتاب الكريم :

يكرم الله مريم وابنها عيسى فيبين انهمـا ممن اصطفى من عباده ويفند كل ما دار حولهما من أباطيل ثم يقول :

« إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ... » (٤) .

ويقص الله على رسوله أخبار عـدد ممن سبقه من اخوانه المرسلين ثم يقول :

« وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ » (٥) .

ويحكى الله اعتراض الكافرين على تنجيم القرآن وعدم نزوله جملة واحـدة فى قـوله تعالى :

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا : لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً » ثم يجيب سـبحانه بقوله :

« كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا .

(١) سورة يونس : الاية ١٠٨
(٢) سورة الرعد الاية ١
(٣) سورة فاطر : الاية ٣١
(٤) سورة ال عمران الاية ٦٢
(٥) سورة هود : الاية ١٢٠

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » (١) .

ويعنى القرآن ببيان بعض ما يميز المؤمنين عن الكافرين فنقرأ من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا .. » (٢).

وقوله سبحانه :

« الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ » (٣) . وقوله جل شأنه :

« وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ .

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ... » (٤)

ويستنكر القرآن التسوية بين المؤمن والكافر فيقول :

« أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » (٥).

وفى الحديث عمن آمن من أهل الكتاب بما جاء به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نقرأ قول الله سبحانه :

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » (٦) .

وهكذا نجد الوصف بالحق ملازما للقرآن فى جملته وفى كل جزء من أجزائه ، وفى التعليل للايمان به .

والحق هو الثابت الذى لا يقرب من ساحته شك ولا ارتياب .

وكما عبر الله عن كتابه بأنه الحق أخبر — فى بيان واضح — أنه أنزل الى رسوله بالحق ، فهو صحيح ثابت فى ذاته ، وأنزل بطريق مأمون وصل الى الرسول كما هو فى صحته وثبوته .

نقرأ فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » (٧) .

---

(١) سورة الفرقان الاية ٣٢ ، ٣٣
(٢) سورة البقرة : الاية ٢٦
(٣) سورة محمد : الايات ١ — ٣
(٤) سورة سبأ : الايات ٦ — ٨
(٥) سورة الرعد : الاية ١٩
(٦) سورة القصص ، الاية ٥٢ ، ٥٣
(٧) سورة الاسراء : الاية ١٠٥

وقوله سبحانه :

« ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق .. » (١)

وقوله عز وجل :

« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق .. » (٢)

ومن هنا كان رد القرآن على من رموا رسول الله بالافتراء في نسبة القرآن الى الله بالتأكيد على انه الحق الذى لم يقرب الافتراء من ساحته لا في أصله ولا في ايحائه الى من اصطفاه الله لتلقيه وتبليغه ، يقول الله في بيان واضح :

« أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون » (٣) .

ويقول :

« بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين . ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون » (٤) .

ويقول :

« أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور » (٥) .

وكما نجد التركيز على أن القرآن هو الحق في الرد على من رموا رسول الله بالكذب نجد نفس الشيء في الرد على من رمى رسول الله بالجنون ، يقول الله جل شأنه :

« أم يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون . ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ... » (٦)

هذا الذى ذكرناه ــ مستندين الى آيات الكتاب الكريم من :

تعبير الله سبحانه عن كتابه بأنه الحق ، وعن كل جزء من أجزائه كذلك ومن أن المؤمنين اتبعوه لأنهم علموا انه الحق ، وأن الكافرين اتبعوا الباطل فضلوا الطريق .

ومن أن رد الله على من رمى رسوله بالافتراء او قالوا عنه انه مجنون كان عماده أن الرسول قد جاء بالحق ، ومن يفترى لا يصدر عنه الا الباطل ، والمجنون لا يفرق بين الحق والباطل .

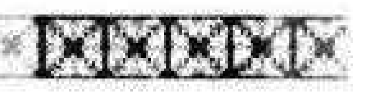
كل ذلك يجعلنا مطمئنين الى القول بان وجه الاعجاز في القرآن الكريم هو تركيزه على الحق في كل أشكاله وفي جميع صوره ، فقد جاء الحق في كل قضية عالجها ، وذلك يستلزم العلم الشامل والهيمنة التامة وأنى للمخلوق أن يكون كذلك ؟؟

يتبع

د . أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) سورة البقرة : الاية ١٧٦
(٢) سورة النساء : الاية ١٠٥
(٣) سورة السجدة : الاية ٣
(٤) سورة الزخرف : اية ٢٩ ، ٣٠
(٥) سورة الشورى : اية ٢٤
(٦) سورة المؤمنون : اية ٧٠ ، ٧١





من كتاب الله
سحر بابل

فقه آية كريمة

للدكتور عبد الباقى أحمد سلامه

هاروت وماروت

اسمان أعجميان كطالوت وجالوت ·

قيل : هما ملكان (١) ·· وقيل ملكان (٢) ··وقيل : هما من الجن ·· وقيل : من الانس ·

ويؤيد الرأى الأول : ما روى عن على وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدى والكلبى · ما معناه : أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام · وذلك فى زمن ادريس عليه السلام · عيرتهم الملائكة · فقال الله تعالى : أما انكم لو كنتم مكانهم · وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم · فقالوا : سبحانك · ما كان ينبغى لنا ذلك · قال فاختاروا ملكين من خياركم · فاختاروا هاروت وماروت فأنزلهما الى الأرض فركب فيهما الشهوة فما مر بهما شهر حتى فتنا بامرأة اسمها بالنبطية (بيدخت) وبالفارسية (ناهيل) وبالعربية (الزهرة) اختصمت اليهما · وراوداها عن نفسها · فأبت الا أن يدخلا فى دينها · ويشربا الخمر · ويقتلا النفس التى حرم الله · فأجاباها وشربا الخمر وألما بها · فرآهما رجل فقتلاه· وسألتهما عن الاسم الذى يصعدان به الى السماء · فعلماها · فتكلمت به فعرجت · فمسخت كوكبا · وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة · فاختارا عذاب الدنيا · فهما يعذبان ببابل · فى سرب من الأرض · وقيل : معلقان بين السماء والأرض · يعلمان الناس السحر ·

قال الفخر الرازى : لهم فى الزهرة قولان :

(١) بفتح الأول والثانى ·

(٢) بفتح الأول وكسر الثانى ·



الاول : لما ابتلى الله الملكين بشهوة بنى آدم ، أمر الله الكوكب الذى يقال له (الزهرة) وفلكها أن اهبطا الى الأرض فكان ما كان ، ثم ارتفعت الزهرة وفلكها الى موضعهما من السماء ، موبخين لهما على ما شاهداه منهما .

الثانى : أن المرأة فاجرة من أهل الأرض واقعاها وعلماها الاسم الأعظم وعرجت الى السماء ، ونسخت كوكبا .

وهذه الرواية : يقول عنها الفخر الرازى : فاسدة غير مقبولة لأنه ليس فى كتاب الله ما يدل على ذلك .

ولأن الأدلة قائمة على عصمة الملائكة .

وتخييرهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاسد ، والأولى تخييرهم بين التوبة والعذاب .

ومن العجب أنهم يعلمون السحر وهم يعذبون .

ثم يقول : والسبب فى انزالهما وجوه :

كثرت السحرة فى ذلك الزمان ، وادعوا النبوة وعلم الغيب فبعث الله الملكين ليعلما الناس السحر ليتمكنوا من معارضة مدعى النبوة .

العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر يتوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السحر ، فبعث الله الملكين لتعريف ماهية السحر لتظهر حقيقة المعجزة .

أن الله بعثهما ليعلموا السحر الذى يفرق بين أعداء الله ، ويؤلف بين أوليائه .

أن تحصيل العلم بكل شىء حسن ، ولما كان السحر منهيا عنه وجب أن يكون متصورا

كان عند الجن أنواع من السحر لا يعرفها البشر ، فلابد أن يتعلمها البشر ليعارضوها .

قد يكون ذلك تشديدا فى التكليف ، فاذا تعلموه ، ثم منعوه ، استوجب ذلك الثواب الزائد ، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر « إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ...» (١)

فهذه وجوه لا يبعد أن ينزل الله الملكين من أجلها ، والله أعلم (٢) .

ويقول الفخر أيضا :

اعلم أنه تعالى شرح حالهما « وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » أى هذا الذى نصفه لك ، وان كان الغرض منه تمييز الفرق بين السحر والمعجز ، لكنه يمكنك أن تتوصل به الى المفاسد والمعاصى ، ونحن بعثنا فتنة ، ليتميز المطيع من العاصى ، فاياك

(١) سورة البقرة ٢٤٩ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٣ ص ٢٢٠

بعد الوقوف عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه (١).

ويقول القرطبي : هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره « يشير الى أن ما روى عن الزهرة صاحبة هاروت وماروت) لا يصح منه شيء . فتدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه . وسفراؤه الى رسله « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(٢).

« بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » (٣).

« يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » (٤).

وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية من الملائكة . ويخلق فيهم الشهوات . اذ في قدرة الله تعالى كل موهوم . لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك الا بالسمع . ولم يصح . ومما يدل على عدم صحته : أن الله خلق النجوم وهذه الكواكب ــ ومنها الزهرة ــ حين خلق السماء . ففي الخبر (ان السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوارة : زحل والمشترى وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر) فثبت بهذا أن الزهرة كانت قبل خلق آدم(٥).

ويرجح القرطبي أن « ما » في قولة تعالى « وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ » نافية . وليست مفعولة معطوفة على السحر . فتقدير المعنى : وما كفر سليمان . وما أنزل على الملكين . أى على لسان الملكين جبريل وميكائيل . من أمر السحر شيء . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت . فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله « وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا » وخص هاروت وماروت بالذكر . بعد دخولهما في عموم الشياطين لزيادة تمردهما .

وقال : هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل . وأصح ما قيل فيها . ولا يلتفت الى سواه . وذلك أن اليهود قالوا : ان الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر . فنفى الله ذلك (٦)

وروى ابن جرير عن ابن عباس من طريق العوفي . في قوله تعالى « وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ » يقول : لم ينزل الله السحر .

وعن الربيع بن أنس : ما أنزل الله عليهما السحر .

وأول ابن جرير الآية كتأويل القرطبي . الا أنه قال ــ بعد ما ذكر أن جبريل وميكائيل

◄

---

(١) المصدر السابق .
(٢) سورة التحريم ٦ .
(٣) سورة الأنبياء ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) سورة الأنبياء ٢٠ .

(٥) ، (٦) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٠ بتصرف .

لم ينزلا بسحر ، وأن الله برأ سليمان منه ، وأخبر أن السحر من عمل الشيطان — قال :

ان الذين يعلمونهم ذلك رجلان ، هما هاروت وماروت ، فهما على هذا التأويل ترجمة عن الناس .

وروى ابن أبى حاتم : أن الآية نزلت « وما أنزل على الملكين داود وسليمان » قال أبو العالية : لم ينزل عليهما السحر ، أى أن « ما » نافية هنا أيضا .

وشرع ابن جرير فى رد هذا القول ، وأن « ما » بمعنى الذى ، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله الى الأرض ، وأذن لهما فى تعليم السحر ، اختبارا لعباده ، وامتحانا ، بعد أن بين لهم النهى عنه على ألسنة الرسل ، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان فى تعليم ذلك .

وروى ابن أبى حاتم عن الضحاك : أنهما علجان من أهل بابل ، وجعل الانزال بمعنى الخلق ، لا بمعنى الايحاء ، مثل « **وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ** » (١) « **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** » (٢) .

وذهب كثير من السلف الى انهما كانا ملكين من السماء ، أنزلهما الله الى الأرض ، وكان من أمرهما ما كان ، وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع ، رواه أحمد فى مسنده ، وقد سبق فى علم الله لهما ذلك ، فيكون تخصيصا لهما ، فلا تعارض ، كما سبق فى علمه من أمر ابليس ما سبق .

روى الامام أحمد فى مسنده ، عن نافع عن ابن عمر ، أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ان آدم لما أهبط الى الأرض ، قالت الملائكة : أى رب ، « **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا** .. **قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** »(٣)

قالوا : ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم ، قال الله تعالى للملائكة : هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما الى الأرض ، فننظر كيف يعملان ، قالوا : ربنا ، هاروت وماروت .

فاهبطا الى الأرض ، ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر ... الى آخر ما مر ذكره ، مع اختلاف فى اللفظ وزيادة ونقص .

وعن سالم أنه سمع ابن عمر يحدث عن كعب الأحبار ، به ، واسناده أصح (٤).

والآثار الواردة بمثل ذلك عن الصحابة والتابعين كثيرة .

---

(١) سورة الحديد ٢٥

(٢) سورة الزمر ٦

(٣) سورة البقرة ٣٠

(٤) يراجع تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

ومن ذلك ماروواه ابن أبى حاتم عن ابن عمر باسناد جيد ٠ وفيه : أنهما أترا لها بدينهما المجوسية وأتياها ٠ وصعدا بها الى السماء بحسب شرطها ٠ وهناك اختطفت منهما ٠

وقطعت أجنحتهما ٠ وسقطا نادمين يبكيان ٠ وفى الأرض نبى (لعله ادريس) فأتياه ليطلب لهما التوبة ٠ فأجيب بتخييرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ٠ فاختارا عذاب الدنيا فجعلا فى بكرات من حديد فى قليب مطوءة بالنار ٠ عاليهما سافلهما ٠

قال ابن كثير (١) : بعد ان ذكر عديدا من الاحاديث والآثار :

وقد رى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدى والحسن وقتادة وابى العالية والزهرى والربيع بن انس ومقاتل بن حيان وغيرهم ٠

وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتاخرين ٠

وحاصلها راجع فى تفصيلها الى أخبار بنى اسرائيل ٠ اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق المصدوق المعصوم ٠ وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب ٠ فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن الكريم على ما اراده الله تعالى ٠ والله اعلم بحقيقة الحال ٠ ا هـ

وقد ذكر الفخر الرازى (٢) أن الحسن والضحاك وابن عباس قرأوا « ملكين » بالكسر ٠ واحتج هؤلاء بوجوه ٠

١ ــ لا يليق بالملائكة تعليم السحر ٠

٢ ــ كيف يجوز انزال ملكين مع قوله تعالى « وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ » (٣) ٠

٣ ــ لو انزل ملكين فاما ان ينزلا فى صورة البشر فيحصل التلبيس على الناس ٠ واما فى صورة الملك ٠ فيقدح فى قوله تعالى « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ » (٤) ٠

واجاب الفخر : بما تقدم فى سبب انزالهما (٥) وبان قراءة ملكين (بفتح اللام) متواترة ٠ ونزلا فى صورة رجلين ٠ ولم يحصل لبس ٠ كما كان ينزل جبريل فى صورة دحية الكلبى (٦) ٠

يتبع

د / عبد الباقى احمد سلامه

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤١
(٢) تفسير الفخر جـ ٣ ص ٢١٨ ، ٢١٩
(٣) سورة الانعام ٨
(٤) سورة الانعام ٩
(٥) قبل ثلاث صفحات
(٦) يلاحظ ان الاثنين رقم ٣ ، ٤ ذكرهما الفخر هكذا ٠ ولكنهما يحتاجان لاعادة ترتيبهما ٠

هاروت وماروت

فصل من تفسير

صفوة البيان لمعاني القرآن

قال فضيلته فى الآية الكريمة :

« واتبعوا ما تتلو الشياطين ... » الآية قال:

« واتبعوا ما تتلوا » .

أقبل اليهود لما نبذوا التوراة على كتب السحرة من أهل بابل ، التى كانت تخبر بها الشياطين والكهنة فى عهد سليمان ، وزعموا أنها علم سليمان ، وأنه كان ساحرا ولم يتم له الملك والسلطان على الانس والجن والطير والريح الا به ، فأكذبهم الله بهذه الآية . فالتلاوة بمعنى الاخبار والتحديث . ولتضمن الفعل معنى الكذب عدى بعلى .

« يعلمون الناس السحر » .

الضمير للشياطين أو لليهود . وقد ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمته : أن السحر والطلسمات علوم بكيفية استعدادات ، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير فى عالم العناصر بغير آلة ولا معين ، أو بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد وبعض الموجودات . فالنفوس الساحرة تؤثر بالهمة والتوجه فى الأشياء ، فان كان بغير معين وآله فهو السحر وان كان بمعين فهو الطلسم .

وأن هذه العلوم كانت شائعة فى أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفى أهل مصر من القبط وغيرهم قبل بعثة موسى عليه السلام وكان لها فى زمن بعثته أسواق نافقة ، ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدعون ويتناغون فيه . وهناك نوع ثالث من التأثير ، وهو تأثير النفوس فى القوى المتخيلة بالقاء أنواع من الخيالات والمحاكاة والصور فيها ، حيث ترى كأنها واقعية وليست الا خيالا ، وهو المسمى بالشعوذة . وأن خلاف العلماء فى أن السحر حقيقة أو تخييل خلاف لفظى . فالقائلون بأن له حقيقة نظروا الى النوعين الأولين .

والقائلون بأنه تخييل نظروا الى النوع الثالث . والشريعة لم تفرق بين السحر والطلسمات ، وحرمتها جميعا لما فيها من الضرر . وأما النوع الثالث فقد قال ابن خلدون انه ملحق بهذين النوعين فى التحريم ، لما فيه من الضرر .

والحق أنه لا يحرم منه الا ما فيه مضرة ، وأما ما ليس فيه مضرة فلا يحرم ، وانما ينبغى تركه لأنه لا يعنى الجادين . و (من حسن

(١) رواه الترمذى .

للاستاذ محمد حسنين مخلوف

اسلام المرء تركه مالا يعنيه » (١) .

وما جاء في الحديث من عد السحر من الكبائر، وعده كفرا ، اذا كان الساحر يتجه في رياضته بالتعظيم والعبادة والتذلل لغير الله تعالى ، فهو محمول على النوعين الأولين . ثم ذكر الفرق بين المعجزة والسحر بأنه راجع الى التحدى ، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما ادعاه ، وأن الساحر مصروف عن مثل هذا التحدى ، فلا يصح منه . ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، فراجعه . وفي الآية اشارة الى أن تعليم السحر موجب للكفر .

« وما انزل على الملكين ببابل » .

أى ويعلمون ما أنزل على الملكين : هاروت وماروت ، ببابل : أى ما ألهماه وعلماه وهو السحر . وعطفه على ما قبله لتنزيل تغاير المفهوم منزلة تغاير الذات ، وكان نزولهما لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى وامتحانا للناس . فمن تعلمه وعمل به كفر ، ومن تعلمه وتوقى العمل به ثبت على الايمان ، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء ، كما امتحن قوم طالوت بالنهر . وكانا يحذران الناس أشد التحذير من العمل به ، فلا يصفانه لأحد ، ولا يكشفان له وجوه الاحتيال فيه حتى يبذلا له النصيحة ، فيقولا له :

« انما نحن فتنة فلا تكفر » . وكذلك كان للتمييز بين السحر والمعجزة ، حيث كثر السحر في ذلك الزمان ، وأظهر السحرة من الأمور الغريبة ما يوقع الشك في النبوة ، فبعث الله تعالى هذين الملكين لتعليم أبواب السحر ، حتى يزيلا الشبه ، ويميطا الأذى عن الطريق . والظاهر أنهما نزلا بصورة آدمية ، ولا بعد في ذلك ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بصورة دحية الكلبي وغيره . وما يرويه المفسرون في قصة هاروت وماروت لا أصل له ، وهو من أكاذيب الاسرائيليين فلا يعول عليه . وقد أنكره من الأئمة : القاضي عياض والامام الرازى والشهاب العراقى وابن كثير والآلوسي .

« انما نحن فتنة »

ابتلاء من الله ، واختبار للناس . أيتبعون النصح ولا يعملون السحر ، أم يخالفونه ويعملون السحر . من الفتن ، وأصله ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته . ثم استعمل في الاختبار والامتحان بالمحن والشدائد ، وبالمنح واللطائف ، لما فيه من اظهار الحال والحقيقة . وأكثر ما تستعمل فيه الفتنة: الامتحان بالمحن . وعليه يحمل تفسير بعضهم الفتنة بالمحنة . وابتلاء الله العباد ، ليس ليعلم أحوالهم ، لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الأزل ، ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة ورداءة ، وهي الأحوال التي يعلمها الله تعالى أزلا .

« خلاق » نصيب من الخير ، هو ما اكتسبه الانسان من الفضيلة وتخلق به . وفسر الخلاق: بالقوام وبالقدر ، والمعاني متقاربة .

« شروا به أنفسهم » باعوا به أنفسهم .

« لمثوبة » لأجر وجزاء . وسمى بذلك لأن المحسن يثوب اليه ويرجع .

٢

مع إبراهيم الخليل في محكم التنزيل

وقال تعالى :

« وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ »

البقرة ١٢٥ والآية مدنية .

المراد بالبيت : البيت الحرام ولا يراد به الكعبة وحدها في هذه الآية ، لأن الله وصفه بكونه آمنا ، والأمن وصف للحرم كله لا للكعبة فقط ويجوز اطلاق الكعبة وارادة الحرم .

ويؤيد هذا قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد : الحرم كله ، لأنه لا يذبح في الكعبة ، ولا في المسجد الحرام .

وكذلك قال الله تعالى في أمر المشركين : فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، والمراد بهذا منعهم من الحج وأداء النسك في الحرم كله وهم على الشرك والعامل في (اذ) من قوله تعالى : (واذ جعلنا) مقدر تقديره : واذكر اذ جعلنا ، وهو معطوف على واذ ابتلى . واجعل : بمعنى التصيير .

والمثابة : المرجع الذي يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه من ثاب الماء اذا رجع الى النهر بعد انقطاع ، ومثاب ومثابة لغتان ، وقيل الهاء في مثابة للمبالغة .

وقيل : المثابة : موضع ثواب ، لأنهم يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — : انه لا ينصرف عنه أحد الا وهو يتمنى العود اليه (وللناس) متعلق بمحذوف صفة لمثابة أي مثابة كائنة .

(وأمنا) بمعنى آمنا وقع المصدر موقع اسم الفاعل مبالغة ، أو على تقدير مضاف أي ذا أمن . أو آمن كل من حجه مخلصا صادقا من عذاب الآخرة حيث ان الحج المبرور هو الذي يمحو ما قبله من السيئات .

وقد فسر الأمن في قوله : « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا » انه أمن من القحط

والجدب قال تعالى : « أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ » •

أو المراد : أن الله أمر الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع أمنا من الغارة والقتل ، وقد أخبر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بتحريم مكة فقال : ان الله حرم مكة ، وانها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ، وانما أحلت لى ساعة من نهار •

وقد عادت حرمتها كما كانت ، وقد أحلت لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ساعة عام الفتح ومن وجب عليه حد ضيق عليه حتى يخرج من الحرم ، فاذا خرج أقيم عليه الحد وان لم يخرج حتى قتل فى الحرم جاز ، ومن قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه « وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى » •

هنالك قراءة : واتخذوا بصيغة الماضى ، وهذا عطف على جعلنا البيت ، وهو اخبار عن أولاد ابراهيم عليه السلام على معنى أنهم اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

ويجوز العطف على واذ جعلنا بتقدير : واذ جعلنا البيت مثابة واذ اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

أما قراءة : واتخذوا من مقام ابراهيم بصيغة الأمر فاما :

١ ــ أن يكون العطف على اذكروا نعمتى أى واذكروا نعمتى واتخذوا •

٢ ــ أن يكون عطف على انى جاعلك والمعنى أن الله لما ابتلاه بكلمات فأتمهن قال له : جزاء ما فعلت انى جاعلك للناس اماما وقال : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

٣ ــ أو هذا أمر لأمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقع اعتراضا فى قصة ابراهيم •

٤ ــ أو على ارادة القول أى وقلنا اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى •

والأمر فى واتخذوا على الاختيار لا على الوجوب •

وكثرت الأقوال حول مقام ابراهيم الذى جاء الأمر باتخاذه مصلى فقيل :

١ ــ هو موضع الحجر الذى قام عليه ابراهيم عليه السلام •

وفى بيانه قال الحسن وقتادة والربيع : انه الحجر الذى وضعته زوجة اسماعيل تحت قدم ابراهيم عليهما السلام حين غسلت لابراهيم شق رأسه فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغاصت فيه قدمه ، ثم نقلته تحت الرجل الأخرى وهى تغسل الشق الآخر من رأسه ، فغاصت كذلك رجله الثانية فى الحجر •

وقد جعل الله غوص قدم ابراهيم عليه

السلام على ذلك الحجر معجزة له أما ابن عباس فيقول : كان ابراهيم عليه السلام يبنى البيت واسماعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان ، وضعف ابراهيم عن عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم ويؤيد هذا القول ما رواه جابر أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما فرغ من الطواف أتى المقام وتلا قوله تعالى : **«وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»** وقراءة هذه الآية عند ذلك الموضع يدل على أنه المقام الذى وردت فيه الآية .

وكذلك ما روى من أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ مر بالمقام ومعه عمر ، فسأله عمر : أليس هذا مقام ابراهيم ؟ قال : بلى ، قال عمر :أفلا نتخذه مصلى ؟ قال عليه الصلاة والسلام : لم أومر بذلك ، ولم تغب شمس اليوم حتى نزلت الآية : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

٢ ــ وقيل : أن مقام ابراهيم الحرم كله ، وذلك ما يراه مجاهد .

٣ ــ وقيل : هو عرفة والمزدلفة والجمار ، وذلك قول عطاء . ٤ ــ وقيل : هو الحج كله .

أما ما يراد بالمصلى فى قوله **« وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى »** فأما .

١ ــ أن يراد به مكانا للدعاء على معنى أن الصلاة فى اللغة : هى الدعاء ، وهذا يؤيد أن الحرم كله مقام ابراهيم لأنه مكان للدعاء .

٢ ــ أن يراد به القبلة أى اتخذوا من مقام ابراهيم قبلة ومكانا للصلاة ، ويدل على ذلك فعله ــ عليه الصلاة والسلام ــ حيث صلى هناك بعد أن تلا الآية .

وحول الأمر فى قراءة واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، على أنه فعل أمر اختلف هل الأمر للوجوب ، ومعنى ذلك أن أداء ركعتى الطواف فرض اذا كان الطواف فرضا .

وقيل : الأمر ليس للوجوب ، فأداء ركعتى الطواف سنة وذلك اذا كان الطواف سنة والطواف الفرض : طواف الافاضة ، والطواف السنة : طواف القدوم وطواف الوداع .

فضل البيت وخلقه :

سأل أبو ذر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أى مسجد وضع على الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام .

قال : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى وسأل أبو ذر : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : خلق البيت قبل الأرض بألفى عام ثم دحيت الأرض منه ، وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : أول بقعة وضعت فى الأرض موضع البيت ، ثم مدت منها الأرض .

وأول جبل وضعه الله على الأرض : أبو قبيس ثم مدت منه الجبال .

(واثبت العلم حديثا صدق رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث قال العلم : أن الكرة الأرضية دائرة مركزها مكة ومن أربعة عشر قرنا قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : أول بقعة وضعت فى الأرض موضع البيت ثم منها مدت الأرض ــ ما أصدق ما أخبرت به يارسول الله !!) .

(وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) أى الزمناهما وأمرناهما بتطهير البيت بعد بنائه وتأسيسه على التقوى والمراد بالتطهير : تطهيره من الشرك أو أمرهما أن يعرفا الناس أن البيت الحرام طهرة لهم يحجونه .

أو أمرهما الله بعد بنائه أن يحولا بين أهل الشرك وبين مزاحمة الطائفين والعاكفين والركع السجود .

أو أن الله أمرهما أن يطهراه من الأوثان وكل ما يدل على الاشراك ومن الأنجاس ومن طواف الجنب والحائض .

ثم قدم أصنافا ثلاثة يتمتعون بذلك التطهير وهم :

الطائفون : وهم الذين يطوفون حول البيت أو يقصدونه للحج والاعتمار .

العاكفون : من يقيمون هنالك أو من يجلسون فى البيت الحرام .

الركع السجود : هم الذين يصلون فى البيت الحرام .

دعاء ابراهيم للمؤمنين من سكان مكة :

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » البقرة ١٢٦ والآية مدنية .

ان مكة محصورة بين سلاسل من الجبال لا تصلح للزرع ولا للغرس ، وانه ليتعذر العيش فيها الا مع الصبر ، وهذه البيئة الصحراوية يكشف عنها القرآن فى آية أخرى ينادى فيها ابراهيم عليه السلام ربه : « رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ » .

والآية : وإذ قال ابراهيم ، معطوفة على قوله : وإذ جعلنا البيت مثابة ، والعامل فى (وإذ) مقدر بقوله : واذكر ، ثم عطف على ما سبق .

وهنالك تأخير فى التلاوة وتقدم فى المعنى بين هذه الآية وبين آية : وإذ يرفع ابراهيم القواعد وهى الآية التالية لهذه ، لأن هذا البلد وهو مكة لم يكن قد وجد الا بعد رفع قواعد البيت وبنائه ، فالبيت بُنِيَ أولا ثم وجد البلد ، وكأنه يريد بالدعاء : اللهم هذا الوادى من البلاد الآمنة أو من الوديان أو الأرض الآمنة ، وروى ابن عباس — رضى الله عنهما : أن ابراهيم عليه السلام لما أسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متجها الى الشام تبعته هاجر وهى تقول : الى من تكلنا فى هذا البلقع ، وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت : آلله أمرك بهذا .

فقال : نعم .

قالت اذا لا يضيعنا ، ورضيت ، ومضى حتى صعد ثنية كداء وأقبل على الوادى ، ونادى ربه الذى لن يضيع اسماعيل وهاجر : ربنا انى أسكنت من ذريتى الآية .

وقد استجاب الله دعاء ابراهيم ــ عليه السلام ــ فجعل هذا البلد آمنا من كل جبار وقد فعل بأصحاب الفيل الأفاعيل ، وحملت سورة الفيل من كتاب الله الكريم أنباء الطير الأبابيل التى حملت حجارة من سجيل ، فجعلتهم كعصف مأكول ، أما عدوان الحجاج على الكعبة فلم يكن يقصد تخريبها ، وانما كان يريد الوصول الى ابن الزبير .

والمراد بالبلد الآمن : المأمون فيه ، أو الآمن أهله .

وقد اختلف المفسرون حول الأمن.

١ ــ فقال بعضهم : الأمن من القحط ، لأنه ترك أهله بواد غير ذى زرع .

٢ ــ وقال بعضهم : الأمن من الخسف والزلازل والبراكين .

٣ ــ وقال البعض : الأمن من القتل .

أما المطلب الثانى لابراهيم ــ عليه السلام ــ فهو أن يرزق المؤمنين من ساكنى مكة بأقواتهم .

وقد استجاب الله دعاءه فأتتها ثمرات كل شيء .

وقيد ابراهيم عليه السلام طلب الرزق بأن يكون للمؤمنين من سكان مكة وذلك فى قوله : « وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ » ولكن الله (قال ومن كفر) سأرزقه ، لأن الذى خلق لابد أن يصل رزقه الى المطيع والعاصى ، والمؤمن والكافر ، فمن أطاع وآمن فله رزق الدنيا وثواب الآخرة فرزقه موصول فيهما .

واما من عصى وكفر فيمتعه فى الدنيا ومثواه النار فى الآخرة (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ.وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ) .

فمتاعه الدنيوى منقطع بانقطاع حياته ولا يظلم ربك احدا حين يقول :

« وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) فالى مصير الطغاة يحمله الله ويدفعه الى حيث الجحيم .

يتبع

د. محمد محمد خليفة

٢

تناسق سور القرآن الكريم وترتيبها

للدكتور السيد الجميلي

افتتح الحق سبحانه وتعالى كتابه الكريم بسورة الفاتحة ، يقول ـ عنها ـ الامام السيوطى (رضى الله عنه) : « قد جمعت مقاصد القرآن ، ولذلك كان من أسمائها : أم القرآن ، وأم الكتاب ، والأساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال » .

(راجع الزمخشرى فى الكشاف ٤/١) ط . بولاق والاتقان (١٨٩/١) .

ويقول الامام الحسن البصرى : ان الله أودع علوم الكتب السابقة فى القرآن ، ثم أودع علوم القرآن فى المفصل ، ثم أودع علوم المفصل فى الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة .

وبيان اشتمال سورة الفاتحة على علوم القرآن ، قد قرره الامام الزمخشرى فى كشافه (٤/١ ط . بولاق) باشتمالها على الثناء على الحق سبحانه وتعالى بما هو أهله ، وعلى التعبد له جل شأنه ، وعلى الأمر والنهى ، وعلى الوعد والوعيد ، ومجمل آيات القرآن لا تخرج عن هذه الأمور .

يقول الامام الفخر الرازى:

ان المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الالهيات ، والمعاد ، والنبوات واثبات القضاء والقدر :

فقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » يدل على الالهيات .

وقوله : « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » يدل على نفى الجبر ، وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره

وقوله : « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » الى آخر السورة ، يدل على اثبات قضاء الله ، وعلى النبوات ، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة ، التى هى المقصد الأعظم من القرآن .

راجع تفسير الفخر الرازى الكبير (٦٥/١) بتصرف

ونقل السيوطى عن الامام الطيبى قوله : هى مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التى هى مناط الدين أهمها اثنان .

٩

أحدها : علم الأصول ، ومعاقده معرفة الله عز وجل وصفاته ، واليها الاشارة بقوله (رَبِّ الْعَالَمِينَ ٠ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، ومعرفة المعاد ، وهو المومأ اليه بقوله (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ٠ راجع تفسير غريب القرآن ص٣٨٠

وثانيها : علم ما يحصل به الكمال وهو علم الأخلاق ، والتزام طريق الاستقامة واليه الاشارة بقوله تعالى : (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) وجميع القرآن كما يقول الطيبي تفصيل لما أجملته الفاتحة ، لأنها بينت اجمال ما يحويه القرآن مفصلا ٠

وهذا هو كلام الطيبي في شرحه للكشاف : ١/ ١٢٩ ٠ مخطوط بالأزهرية

قال بعض الأئمة عن سورة البقرة أنها قد تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها ، وهذه وتلك امتداد لسورة الفاتحة حيث تضمنت سورة الفاتحة الاقرار بالربوبية والاعتصام بالدين القيم ، دين الاسلام ، والاحتراز من دين اليهود والنصارى ٠

يقول السيوطي رحمه الله (فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولذلك ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى(١)

وقد أوجب الحق تبارك وتعالى الحج في آل عمران ، وأما في البقرة فقد ذكر أنه مشروع ، وأمر باتمامه بعد الشروع فيه لقوله تعالى (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ) الآية ١٩٦ من سورة البقرة ٠

« راجع القرطبي (٢ / ٣٧١ ، ٣٧٢) والطبري (٣/ ٣٥) والبحر المحيط (٢/ ٦٠)»

يقول السيوطي رحمه الله « وكان خطاب النصارى في آل عمران كثيرا كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والانجيل فرع لها ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعا اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر ، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميع الناس ، والسور المدنية ، فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخوطبوا بـ (يا أهل الكتاب) ، (يابني اسرائيل) ، (يا أيها الذين آمنوا) ٠

وقد قال بعض العلماء : افتتحت البقرة بقوله تعالى : « الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ » فانه اشارة الى الصراط المستقيم في قوله في الفاتحة « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » ٠

وقد قال امام المفسرين الشيخ محمد بن جرير الطبري وغيره من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا : « الصراط المستقيم كتاب الله »

جامع البيان للطبري (١/ ١٧٣) ولكن الحاكم أخرجه عن ابن مسعود موقوفا ، فأرجو مراجعة المستدرك (٤/ ٨٣) ٠

وهذا من أجمل وأحسن المعاني الرقيقة التي تشير الى ارتباط البقرة بالفاتحة ٠

وقال أحد العلماء : ان أوائل سورة البقرة

(١) أتممنا هذا اللفظ حتى يتم المعنى (الكاتب)

مناسب لأواخر سورة الفاتحة ، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى ، قال قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه ، وقد اهتديتم الى الصراط المستقيم المطلوب المسئول (٤) .

ويقول السيوطى فى مجمل العبارة ما آراه استنباطا رائعا جميلا : ـــ

(ان كل سورة تفصيل لاجمال ما قبلها ، وشرح له ، واطناب لا يجازه ، وقد استقر معى ذلك فى غالب سور القرآن ، طويلها وقصيرها ، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل مجملات الفاتحة) اهـ .

ويشرح لنا ذلك بقوله رضى الله عنه :

فقوله (الحمد لله) تفصيله ، ما وقع فيها من الأمر بالذكر فى عدة آيات ومن الدعاء فى قوله (أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) الآية ١٨٦ .

وفى قوله تعالى (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) الآية ٢٨٦ راجع القرطبى ٣/٤٠٥ والطبرى (٦/١٣٧) .

وبالشكر فى قوله « فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ » الآية ١٥٢ .

وقوله تعالى : « رَبِّ الْعَالَمِينَ » تفصيل قوله « اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » ٢١ ، ٢٢ .

وقوله ـــ عز من قائل « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » الآية ٢٩ .

ولذلك افتتحها بقصة خلق آدم الذى هو مبدأ البشر ، وهو أشرف الأنواع من العالمين . وذلك شرح لاجمال (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ١٠هـ سيط.

قال تعالى (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) قد أشار اليه بقوله فى أمر سيدنا آدم عليه السلام (فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) الآية ٥٤ . راجع الطبرى (٢/٧٩) .

وفى قصة سيدنا ابراهيم لما سأل الرزق للمؤمنين خاصة بقوله : ـــ

« وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ » الآية ١٢٦ .

فقال « وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا » ١٢٦ . وذلك لكونه سبحانه وتعالى رَحْمَٰنًا .

وما وقع أيضا فى قصة (بنى اسرائيل) (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم) الآية ٥٢ الى أن اعاد الآية بجملتها فى قوله « لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ » الآية ١٦٣ .

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى آية الدين ارشادا للطالبين من العباد ورحمة بهم ، وقد رفع عنهم الخطأ والنسيان والاصر ، وما استكرهوا عليه ، وما لا يطيقونه ، ثم ختم

بقوله عز من قائل : « وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا » الآية ٢٨٦ .

وذلك شرح قوله « الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ » .

وقوله تعالى « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » انما هى تفصيله ما وقع من ذكر يوم القيامة فى عدة مواضع ومنها قوله تعالى «وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ » الآية ٢٨٤ .

والدين فى « الفاتحة » : الحساب فى « البقرة » وقوله : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » مجمل شامل لجميع مقصود الشريعة وأنواعها المتفرعة ، وقد فصلت فى البقرة أبلغ وأجمل تفصيل ، فقد ذكر فيها « الطهارة » ثم الحيض والصلاة والاستقبال وطهارة المكان والجماعة ، وصلاة الخوف ، وصلاة الجمع ، والعيد ، والزكاة بأنواعها ، وأنواع البر المختلفة وغير هذا من مسائل الفقه الاسلامى وأصوله .

ولاجرم أن أبواب الشريعة كلها مذكورة فى هذه السورة ، وقوله : « وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » انما هو شامل جامع لعلم الأخلاق وقد ذكر منها فى هذه السورة الجم الغفير ، من التوبة والذكر والصبر والشكر والتفويض والمراقبة والخشية والاخبات .

وقوله تعالى : «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » الى آخره ، تفصيله ما وقع فى السورة من ذكر طريق الأنبياء ، ومن حاد عنهم من النصارى ، ولذا فلقد ذكر فى الكعبة أنها قبلة ابراهيم فهى من صراط الذين أنعم الله عليهم وقد حاد عنها اليهود والنصارى معا . ولذلك قال فى قصتها « يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » ١٤٢ تنبيها على أنها الصراط الذى سألوا الهداية اليه .

وكذلك فقد ذكر « وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ » ١٤٥

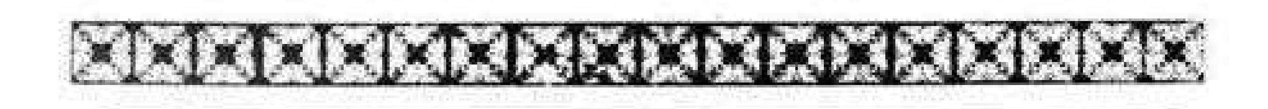
وهم المغضوب عليهم ، والضالون هم الذين جنفوا عن طريقه ، ونكبوا عنه .

ثم أخبر سبحانه وتعالى بهداية الذين آمنوا الى طريقهم ثم قال : « وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » ٢١٣ ، فكانت هاتان الآيتان تفصيل اجمال « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » الى آخر السورة .

والذى يتدبر تسلسل النظم القرآنى وانسجام البعض مع البعض الآخر ، فهذا يفصل ذاك ، وهذا يقيد ذاك ، ومع التدبر المتأنى والتأمل الفاحص والنظر العميق المدرك تتجلى روعة الجلال ، وجلال الروعة ، وقدسية البيان القرآنى المعجز الذى يثبت للفطرة والجبلة الانسانية أنه تنزيل من رب العالمين ، رب الملك والملكوت ، وان الشعور بالمتعة المتصلة المضاعفة ، والارتياح النفسى ، والطمأنينة الروحية لقراءة القرآن كل ذلك دليل على أن خالق الانسان وفاطره هو الذى يخاطب ملكاته وهذا هو سر البهجة والسكينة .

والله سبحانه وتعالى من وراء القصد .

السيد الجميلى



فتنة المال

لفضيلة الشيخ
عبد الحكم عبد القوى حسن

عن عياض بن عبد الله أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال : « لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا فقال له رجل : يارسول الله أيأتى الخير بالشر ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال : كيف قلت ؟ قال : قلت وهل يأتى الخير بالشر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الخير لا يأتى الا بخير . أو خير هو ؟ ان كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أويلم الا آكلة الخضر . أكلت حتى اذا امتلأت (امتدت) خاصرتاها استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم اجترت فعادت فأكلت فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له ومن يأخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذى يأكل ولا يشبع » رواه ابن ماجه.

معانى بعض الجمل والمفردات

« ما أخشى عليكم .. الخ » أى ما أخاف عليكم الفقر وانما أخاف عليكم الغنى .

« زهرة الدنيا » حسنها وبهجتها .

« أيأتى الخير بالشر ؟ » أى المال الخير لقوله تعالى: «ان ترك خيرا» فكيف يترتب عليه الشر حتى يخاف منه ؟

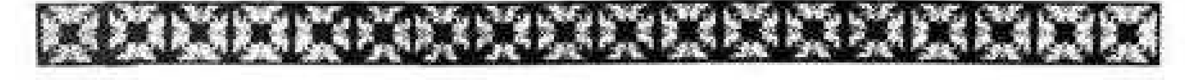
« ان الخير » أى الخير المطلق « ان الخير لا يأتى الا بخير » يعنى أن الخير الحقيقى لا يأتى الا بالخير لكن هذا ليس خيرا حقيقيا لما فيه من الفتنة والاشتغال عن الاقبال على الله .

« أو خير هو ؟ » استفهام انكارى أى انكار كل الزهرة خيرا بل فيها ما يؤدى إلى الفتن .

« الربيع » قيل هو الفصل المشهور بالانبات من فصول السنة الاربعة وهى الربيع والصيف والخريف والشتاء .

وقيل الربيع هو النهر الصغير المتفجر من النهر الكبير — أى مثل ترعة تتفرع من النيل





« الحَبَط » انتفاخ البطن من الامتلاء وهى التخمة . « أو يلم » أى يقرب من القتل .

« الخضر » نوع من البقول ليس من جيدها وأحرارها .

« الا آكلة الخضر » الاستثناء هنا منقطع والمعنى لكن آكلة الخضر « امتدت خاصرتاها» أى شبعت .

« ثلطت » ثلط البعير . اذا ألقى رجيعه سهلا رقيقا .

الحديث

ان الحديث الذى نتناوله بالشرح لهو حديث ممتع حقا لمن يتدبر ما جاء فيه من عظات وحكم وأمثال فهو جامع لمعان يحتاج اليها كل مسلم يرعى حقوق الله ويخاف سلطانه ولا تغره الدنيا بحلاوتها فالدنيا فانية وما الحياة الدنيا الا معبر لحياة دائمة كاملة بلا متاعب وهى الحياة الأخرى . وليس معنى ذلك أن يترك المسلم الدنيا ولا ينعم بطيباتها بل عليه أن يأخذ منها ما يكفيه ولا يجرى وراءها متسابقا مع غيره حبا فى الجمع ويترك أمر الآخرة بل يجب على المسلم أن يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته حتى يفوز بالدارين وجمع المال الحلال وتأدية حق الله والتصدق على الفقراء والمحتاجين منه لابأس به فى الاسلام . أما جمع المال من حرام فأمره ظاهر ولست أعتقد أن المسلم الحقيقى يسمح لنفسه أن يجمعه كما هو واضح فى هذا الحديث لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث مثلين كما جاء فى النهاية .

أحدهما : للمفرط فى جمع الدنيا والمنع من حقها .

، والآخر : للمقتصد فى أخذها والنفع بها ، فقوله : « ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أويلم » فانه مثل للمفرط الذى يأخذ الدنيا بغير حقها وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول فتكثر الماشية منه لاستطابتها اياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاحتمال فتنشق أمعاؤها من ذلك فتهلك أو تقارب الهلاك . وكذلك الذى يجمع الدنيا من غير حلها ويمنعها مستحقيها قد تعرض للهلاك فى الآخرة بدخول النار وفى الدنيا بأذى الناس وحسدهم وأما قوله « الا آكلة الخضر » فانه مثل للمتصدق . وذلك أن الخضر ليس من أحرار البقول وجيدها التى ينبتها الربيع بتوالى أمطاره فتحسن وتنعم ولكنه من البقول التى ترعاها الماشية بعد هيج البقول ويبسها حيث لاتجد سواها وتسميها العرب الجنبة فلا ترى الماشية تكثر من أكلها ولا تستمر بها . فضرب آكلة الخضر من المواشى مثلا لمن يقتصد فى أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها فهو بنجوة من وبالها كما نجت آكلة الخضر .

الا تراه قال : أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت .

أراد أنها اذا شبعت منها بركت مستقبلة عين الشمس تستمرىء بذلك ما أكلت وتجتر وتثلط فاذا ثلطت فقد زال عنها الحبط . وانما تحبط الماشية لأنها تمتلىء بطونها فتنتفخ أجوافها فيعرض لها المرض فتهلك .

وأراد بزهرة الدنيا حسنها وبهجتها وبيركات الأرض نماءها وما يخرج من نباتها .

وبعد .

فاذا قرأنا الحديث وتدبرناه فاننا نرى أن رسول الله ﷺ لا يخاف على أمته الا من فتنة الغنى فكثيرا ما يذهب الغنى بالناس بعيدا عن الدين والاخلاق فهو سبيل التكبر والعجرفة واحتقار ضعاف النفوس من الأغنياء لمن هم دونهم .

يقول الله جل وعلا « كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى » وفى هذا اجتراء على الله وكفر بالنعم التى أنعم الله بها على الأغنياء فمن واجبهم أن يشكروا الله على هذه النعمة ويسخروا مالهم لخدمة الدين والمجتمع ويساعدوا المحتاج ويقيموا المشروعات التى تعود على الأمة بالخير.

وفى هذه الحال يأتى الخير بالخير فزهرة الدنيا ليست خيرا كلها بل تأتى زهرة الدنيا بالشر أيضا وذلك عندما تستعمل فى غير ما هو مفروض فيها كاستغلال المال فى القهر والظلم واحتقار الناس وعدم أداء حق الله من هذا المال وفى تلك الحال تكون الزهرة قد أتت بالشر مع اعتقاد الناس أن الغنى المطلق خير وعندما أجاب الرسول ﷺ السائل الذى سأله وهل يأتى الخير بالشر ؟ فقال الرسول ﷺ ! « ان الخير لا يأتى الا بخير . أو خير هو ؟ » انكار أن يكون كل الزهرة خيرا بل فيها ما يؤدى الى الفتن .

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح الى البحرين ليأتى بمال منها فقدم أبو عبيدة من البحرين فسمعت الأنصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول ﷺ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين رآهم ثم قال :

« اظنكم سمعتم ان أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين ؟ » .

قالوا : أجل يا رسول الله قال : « أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .

اخى المسلم .

خذ الدنيا بحقها ولا تنس نصيبك منها ولكن خذه بالحلال يثمره الله لك ، ولا تتكالب عليه فلن تأخذ الا ما قسم الله لك .

واذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من دنياك الا ثلاث مالبست فابليت وما أكلت فافنيت وما تصدقت فابقيت » .

ما يؤخذ من الحديث

١ ــ عدم السعى وراء جمع المال من حرام

٢ ــ الاقتصاد فى جمع المال الحلال وتأدية حق الله منه .

٣ ــ الانذار لمن يجمع المال من حرام بان مصيره الى النار .

٤ ــ البشرى لمن يجمع المال من حلال ويؤدى حق الله منه فان مصيره النجاة من النار ودخول الجنة ان شاء الله .

٥ ــ القناعة فى جمع المال من الحلال .

هذا وبالله التوفيق

عبد الحكم عبد القوى حسن

أضواء على منهج

تبليغ الدعوة

فى عهدها المدنى



« ثانيا : تصحيح أخطاء أهل الكتاب »

الدين الاسلامى هو رسالة الانبياء جميعا تختلف شرائعهم وملهم حسب الزمن والبيئة التى ارسلوا اليها ، لكن الاطار العام الذى جاءت فيه هذه الملل هو الدين الاسلامى الذى ارتضاه الله للناس كافة وبلغه الأنبياء جميعا ، ثم كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو العاقب الذى جاء ليصحح ما وقع فيه الاتباع السابقون من تحريف ابعدهم عما اوصله اليهم الانبياء (١)

وتصحيح أخطاء أهل الكتاب ليس أمرا مستحدثا فى العهد المدنى بل هو أمر أساسى منذ العهد المكى .

ففى سورة الكهف ، وسورة مريم ، والزخرف والأعراف وآيات كثيرة فى سورة يونس والأحقاف والصافات والأنبياء ليعالج قضية « دفع أن الله له ولد » ـ استغفر الله ـ ولقد عالجت الموضوع فى العهد المكى من حيث :

تصحيح فكرة أن الله له ولد ، وعالمية الدين الاسلامى ومفهوم التدين (٢) .

اما العهد المدنى فقد امتاز بامرين :

الاول : أنه حدد أنماط الكفر والضلال التى وقع فيها أهل الكتاب يهودا أو نصارى .

الثانى : انه استنطق اهل الكتاب صحة ما جاء به سيدنا محمد ﷺ .

❋ **أما الاول** : فان القرآن الكريم ناقش

(١) راجع الموضوع بتمامه فى كتابنا : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء .

(٢) راجع الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ص ٤٥٨ : ٤٧٢ .



للدكتور رءوف شلبي

أفكار الذين قالوا عزير ابن الله ، والمسيح ابن الله .

يقول الله تعالى :

« وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » (٣٠ ـ التوبة) .

فهذا رد على واحد من افتراءات اليهود وهو قولهم (عزير ابن الله) وهناك آيات أخر ترد على افتراءاتهم على عيسى ابن مريم وقتلهم الأنبياء ذكرتها آيات النساء وسورة مريم وسورة البقرة .

وهي كذلك رد على نوع من افتراءات النصارى فيما يتعلق بسيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وهناك ردود على من قال ان عيسى اله أو أنه واحد في أقنوم ثالوثي يقول الله تعالى :

« لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » (٧٣ ـ ٧٥ ـ المائدة) .

« لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

(١٧ ـ المائدة)

والله سبحانه وتعالى يقول للنصارى :

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ »

(٥٩ ـ آل عمران) .

فلا داعي للاسراف في التأويل لأمر هو من خلق الله سبحانه وتعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

ومنذ العهد المكي والله سبحانه وتعالى يعلم البشرية لماذا جاء عيسى الى الدنيا بهذا الأسلوب الخاص .

قال الله تعالى :

« وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » (٥٧ — ٦٠ الزخرف) .

على أن القرآن الكريم منذ العهد المكي قد وضع قاعدتين فيما يتعلق بمروق أهل الكتاب وكل من يدعى أن الله له ولد .

القاعدة الأولى :

« لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ » (١٧ — الأنبياء) .

القاعدة الثانية :

« قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ » (٨١ — الزخرف)

وفى كلتا الحالتين يرد القرآن قائلا :

« سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ » (٨٢ — الزخرف) .

« فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ » (٨٣ — الزخرف) .

« وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ » (٨٤ — الزخرف) .

ولقد كانت سورة الكهف فيصلا تاما منذ العهد المكى بين حقيقة التوحيد التى جاء بها الاسلام وأباطيل الأديان قديمها وحديثها التى صنعها الحاخامات والقساوسة والبراهمة والوجوديون والفلاسفة الباقون ، يقول الله تعالى :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » (١ — ٥ الكهف)

فلم يكن هناك بعد هذه التصحيحات الا أن يستنطق أهل الكتاب بالحق الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ .

الثانى : استنطاق أهل الكتاب بالحق الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ .

ثم يكن أهل الكتاب يجهلون بعث سيدنا محمد ﷺ بل كانوا على ذكر منه ، وكان بعضهم على أحر من الجمر ينتظر مقدمه فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة وهو آخذ بجدية تامة فى نقلة الناس من الضلال الى الهدى ، ومن الظلمات الى النور ومن الجور الى العدل ومن مملكة الانسان الباغى الى حكومة الاسلام العادلة .

استنطق أهل الكتاب بالحق الذى جاء به من عند الله .

❋ أما النصارى فقد باهلهم ، يقول الكاتبون فى السيرة النبوية : وأرسل نصارى نجران العاقب والسيد فى نفر فأرادوا مباهلة رسول الله ﷺ ، فخرج ومعه فاطمة وعلى والحسن والحسين عليهم السلام فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ، ولم يباهلوا وصالحوا على ألفى حلة ، ثمن كل حلة أربعون درهما ، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ ، وجعل لهم عليه الصلاة والسلام ذمة الله وعهده على الا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا ولا يحشروا ، ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به (١) .

❋ وأما اليهود فقد أقر سيد بنى قريظة الحاخام الأعظم كعب بن أسد بصحة الاسلام وصدق سيدنا محمد ﷺ يوم حربهم وخيبتهم فى يوم الأحزاب .

يقول الكاتبون فى السيرة النبوية :

فأبى رسول الله ﷺ أن ينزلوا على حكمه وعاد نباش اليهم بذلك ، فأشار عليهم كعب بن أسد :

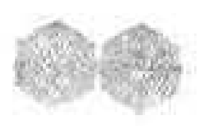
ـ بأن يدخلوا فى الاسلام وذكرهم بما عندهم من العلم بنبوته فلم يقبلوا رأيه .

ـ فأشار عليهم أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا فيقاتلوا حتى يقتلوا أو يظفروا فأبوا ذلك .

ـ فأشار عليهم أن يخرجوا ليلة السبت والمسلمون آمنون فيبيتونهم فقالوا : لا نحل السبت ـ ٠٠ واختلفوا ٠٠ (١)

والشاهد هو فى قول كعب بن أسد : انهم يعرفون صدق نبوته وأشار عليهم بناء على ذلك بالدخول فى الاسلام ٠٠ فلم يقبلوا لعنة اليهودية . «يتبع»

رءوف شلبى



---

(١) راجع الامتاع جـ ١ ص ٥٠٢ .

النظرية الإسلامية

فى استعادة الهيبة والروح المعنوية

هيبة المسلمين

تناولنا فى مقال سابق غزوة حمراء الأسد التى وقعت فى اليوم التالى مباشرة لغزوة أحد (أى يوم ١٦ شوال عام ٣ هجرية) وبينا كيف ان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أدرك بثاقب بصره ما تركت « أحد » من آثار على الروح المعنوية للمسلمين ، وما سوف يتعرض له المسلمون من استخفاف المشركين بهم والاستهزاء بهم فى انحاء شبه الجزيرة ، وأن القضية قد أصبحت قضية هيبة الاسلام ومكانته ومستقبل الدعوة ، ومن أجل ذلك كان قراره الحاسم السريع بالخروج فى اليوم التالى مباشرة (لغزوة أحد) لمطاردة المشركين فكان ذلك عملا قويا وجريئا استعاد به للمسلمين معنوياتهم ، وللاسلام هيبته ومكانته .

نظرية اسلامية محكمة

غير أن الباحث المدقق فى أحداث « غزوتى أحد » و « حمراء الاسد » وما ترتب عليهما من آثار ، يستطيع أن يستخلص نظرية محكمة فى عبور النكسات (١) وازالة آثارها واستعادة الهيبة والروح المعنوية وارادة القتال ينبغى أن ندرسها ونتدبرها ..

ان من طبيعة الحرب وقوانينها أنها سجال بين الأطراف المتحاربة ، وتبادل وتعاقب بين الضرب وتلقى الضربات ، وبين الكسب والخسارة فى نتائج المعارك ، والأمم الحية هى التى تدرك هذه القوانين ادراكا واعيا ورشيدا حتى اذا ما تعرضت لهزيمة فى معركة لاتستسلم ولا تيأس ، بل تتحمل أحزانها فى صبر وعزة ، وتعبر الجسر من الهزيمة الى العمل الايجابى لمحو آثارها والاعداد المادى والمعنوى لانتزاع النصر فى معركة أخرى .

---

(١) نص سيدنا ابن كثير ـ رضوان الله عليه ـ على أنه لايجوز أن تنسب هزيمة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا هو الواقع فان ثبوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موقعة حرب أمر لاشك فيه .



للواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

وتقرر العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية لمثل هذا الموقف الأسس والمبادىء التى تحفظ للأمة الاسلامية أعلامها مرفوعة على الدوام مهما قست التحديات ومهما اشتدت المواقف وهذه المبادىء نجملها فيما يلى : ـ

١ ـ تحديد الأهداف « الاستراتيجية » .
٢ ـ استيعاب دروس الهزيمة .
٣ ـ الوقاية من أساليب التدمير الذاتى .
٤ ـ اليقظة والحذر ومنع العدو من استغلال الموقف .
٥ ـ القضاء على محاولات تدمير المعنويات او تفتيت وحدة الأمة .
٦ ـ التحذير من مهادنة العدو .
٧ ـ المعركة مستمرة حتى النصر .

المبدأ الاول : تحديد الاهداف الاستراتيجية .

ان أول مهمة على القيادة أن تباشرها هى تحديد الأهداف الاستراتيجية التى فى ضوئها تعمل الأمة كلها جيشا وشعبا وقيادة ، فان تحديد هذه الاهداف بجلاء يحقق وضوحا فى الرؤية ووحدة فى الاتجاه والفكر والعمل ، وكلها من أسس النجاح فى انجاز المهام بسرعة وكفاية .

٭ أهداف العدو

ولكى يأتى تحديد الأهداف الاستراتيجية دقيقا وواقعيا فلابد من اجراء تصور شامل للأهداف التى يتوخاها العدو بعد أن كسب المعركة والتى يمكن أن يكون من بينها ما يلى :

(أ) السعى الى تحويل النصر الذى أحرزه الى « نصر استراتيجى » ساحق يحقق له غاياته السياسية العليا مثل السيطرة أو الاستعمار باى شكل من اشكاله .

ب ـ الدعوة الى الاستسلام واشاعة روح اليأس وفقد الثقة والتشكيك فى امكانية الحصول على النصر فى معركة أخرى .

جـ ـ بث الفرقة بين طوائف الأمة وتفتيت وحدتها وتماسكها .

د ـ اجهاض محاولات اعادة البناء للقوة العسكرية ماديا ومعنويا .

هـ ـ محاولة فرض الحصار الاقتصادى لاعاقة عملية الاعداد والبناء .

و ـ محاولة التأثير على الرأى العام العالمى لكسبه فى جانبه .

٭ أهداف الأمة

وفى ضوء هذا التصور لأهداف العدو بالاضافة الى الأهداف المبدئية التى تقدم عليها

النظرية الاسلامية

سياسة الأمة واستراتيجيتها العليا (١) : تصبح الأهداف الاستراتيجية للأمة كما يلى :

أ ــ ازالة الآثار النفسية والمعنوية للهزيمة .

ب ــ اعادة بناء المعنويات واستعادة الارادة القتالية .

ﺟ ــ اعادة بناء القوة الحربية وما يساندها من قوى اقتصادية واجتماعية وسياسية .

د ــ كسب الرأى العام العالمى وفرض العزلة على العدو .

ﻫ ــ تحقيق النصر على العدو فى معركة قادمة «باسترداد الأرض التى اغتصبها مثلا» وازالة آثار العدوان .

المبدأ الثانى : استيعاب دروس الهزيمة

يقضى الفكر العلمى ــ قبل اتخاذ خطوات العلاج ــ بتحليل الأسباب والعوامل التى أدت الى الهزيمة ، « فالتحليل » وسيلة الى « التشخيص » السليم الذى هو المدخل العلمى الى العلاج السليم لأية مشكلة من جهة والى الوقاية من الوقوع فى الأخطاء فى المستقبل من جهة أخرى « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

وتقدم لنا الاستراتيجية العسكرية الاسلامية هذا الأسلوب بطريقة عملية على أمثل وجه فى غزوة أحد وغزوة حنين ، وقد احتوى هذا الأسلوب على العناصر الآتية : ــ

١ ــ النظرية الشاملة للموضوع

ان الفكر العلمى يقضى بألا تنظر الى أية مشكلة من زاوية واحدة فقط ؛ بل يفرض ــ لكى يأتى الحل سليما ــ أن تنظر اليها نظرة شاملة تحيط بكل جوانبها .

وهذا هو ما يوجه اليه الاسلام وما يشكل جوهر منهجه العلمى منذ أربعة عشر قرنا والذى سبق بـه نظريات العصر الحديث فى بحث المشكلات وآخرها وأحدثها نظرية بحوث العمليات (٢) . فان من أبرز خصائص هذه النظرية ما يطلق عليه علماء الادارة « المدخل الشمولى المتكامل » الذى يقوم على احتواء المشكلة ــ التى يراد تحليلها ــ بجميع جوانبها وأبعادها ، ويتخذ من ذلك أساسا لوصف الظواهر والعوامل والأسباب لكى يصل من خلال ذلك ، ومن خلال تحليل علاقات التفاعل بين هذه العناصر كلها الى « التشخيص » الذى يساعد على اكتشاف الحل السليم .

فالقرآن الكريم قد خص غزوة أحد بستين

---

(١) الاستراتيجية العليا أو الكبرى أو الشاملة (Grand strategy) اصطلاح يعنى تنسيق وتوجيه جميع امكانيات الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغيرها نحو تحقيق الغاية السياسية للحرب ، ولا يقتصر اهتمام الاستراتيجية العليا على حالة الحرب فقط ، بل يمتد ليشمل حالة ما بعد الحرب ، لذلك فان هدفها البعيد هو تحقيق السلام الدائم والمستقر .

(٢) نظرية بحوث العمليات Operations Research ظهرت فى الاربعينيات من القرن العشرين ، وهى تقوم على أساس تطبيق الطريقة العلمية لتحليل المشكلات والبحث عن الحلول المثلى لها .

آية من آيات سورة آل عمران وهى الآيات ابتداء من قوله تعالى: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» .. الى قوله تعالى: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» .

، وقد احتوت هذه الآيات غزوة أحد احتواء كاملا وافيا ووضعتها فى اطارها التاريخى الشامل ولم تعاملها كظاهرة منعزلة عن بقية التفاعلات الاجتماعية التى حدثت فى مجتمع المدينة أو أى مجتمع انسانى (٢) ، كما ربط القرآن الكريم غزوة حنين بما قبلها من غزوات كتب فيها الله تبارك وتعالى النصر للمؤمنين تعميقا للعبرة والدرس .

٢ ــ الاستعانة بالخبراء والمتخصصين

ويتصل بالدراسة الشاملة ويكملها أن يشترك فى بحثها أصحاب الرأى من الخبراء والمتخصصين ومن عاشوا التجربة وعاصروها، فلا شك فى أن ذلك يحقق أعظم النتائج فى حل المشكلات وفى وضع الخطط لأعمال المستقبل على أساس سليم . وقد وجه الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد الى أن يستشير أصحابه فقال جل شأنه :

« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »

(آل عمران ١٥٩) ، ويفهم من ذلك ما يلى :

* أن المشورة واجبة .
* وأنه ليس معنى الهزيمة أن يفقد الذين عاشوها أو كانوا سببا لها حقهم فى ابداء الرأى .

٣ ــ التعرف على أسباب الهزيمة :

ولكى يتسنى فحص الموضوع وتحليله فى اطار النظرة الشاملة فلابد من التعرف على أسباب الهزيمة وهذا ما عرضه القرآن كمايلى :

* فى غزوة أحد

كان سبب الهزيمة مخالفة الرماة الذين عينهم الرسول ﷺ على الممر لحماية ظهر الجيش لأوامره لهم بالا يتركوا أماكنهم سواء رأوا المسلمين منتصرين أو منهزمين ، الا أنهم تركوا مواقعهم وراء الغنائم فانقلب ميزان المعركة ، قال تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ».

* وفى غزوة حنين

كان سبب الهزيمة استهانة المسلمين بعدوهم فقالوا : «لن نهزم اليوم من قلة (٣) وقد دفعهم اعتمادهم على كثرة عددهم واستهانتهم بقوة

---

(٢) انظر « دروس من غزوة احد » للدكتور عبد العزيز كامل ففيه دراسة وافية لهذا الموضوع .
(٣) كانت قوة المسلمين ١٢٫٠٠٠ مقاتل بين راكب وراجل وهو اكبر عدد بلغه جيش المسلمين حتى ذلك الحين .

النظرية الاسلامية

عدوهم الى اهمال دراسة ميدان المعركة بدقة واهمال استطلاع مواقع العدو والتعرف على أوضاعه ونواياه وتوزيع قواته وأسلحته الى غير ذلك من اجراءات الاستطلاع التكتيكي (١) ففاجأهم العدو بهجوم عنيف مركز فانقلبوا راجعين لا يلوى أحد على أحد ، واضطرب الجيش ، وفر من فر ، ولم يثبت حول الرسول ﷺ الا القليل وكادت أن تتكرر هزيمة أحد لولا القيادة الفذة للرسول ﷺ الذى استطاع اعادة تجميع جيشه وقام بهجوم مضاد قوى لم يملك معه العدو الا الانسحاب من الميدان ، وقد عبر القرآن عما وقع فى غزوة حنين فى قوله تعالى :

« لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » .

٤ ــ استعراض وتحليل الجوانب المختلفة للمعركة

وقد ورد فى القرآن فيما يتعلق بغزوة أحد استعراض وتحليل للجوانب المختلفة للمعركة نذكر منها ما يلى :

ا ــ تحديد المسئولية :

لقد كان من الطبيعى أن يدور التساؤل بعد المعركة عما حدث ، وكيف حدث ، ولماذا ؟

بل ان الصحابة تساءلوا كيف حدث والرسول بينهم ؟

فجاءت آيات الله موضحة هذا التساؤل مجيبة عليه :

« أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ب ــ تحليل سير المعركة

قال تعالى : « سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ . وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم (٢) بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ . وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا

---

(١) الاستطلاع التكتيكي هو الذى يجرى « قبل المعركة مباشرة، وخلالها فى نطاق مكانى محدود » .

(٢) تحسونهم : اى تقتلونهم قتلا ذريعا .

تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون » .

فى هذه الآيات دراسة موضوعية وتحليل دقيق لسير المعركة تمكن الباحث عن الحقائق والأسباب من الاحاطة الكاملة بجوانب المعركة وتطورها وأسباب الهزيمة تفصيلا :

*ففى المرحلة الأولى من المعركة كان ميزان المعركة فى جانب المسلمين مع قلة عددهم وتفوق عدوهم (١) .

*وفى المرحلة الثانية انقلب ميزان المعركة ودارت الدائرة على المسلمين بسبب مخالفة الرماة لتعليمات الرسول ﷺ بالا يتركوا أماكنهم على المر لحماية ظهر الجيش .

• ـ المقارنة بمعارك النصر

ومن المفيد فى مجال استيعاب دروس الهزيمة أن تجرى دراسة مقارنة بين المعركة التى هزم فيها الجيش وبين معركة أخرى انتصر فيها ، فمن خلال هذا الربط بين أسباب الهزيمة هنا وأسباب النصر هناك يعمق الدرس ويرسخ وتزيد الرؤية وضوحا ويستبين الطريق نحو المستقبل وهذا بالضبط ما تقرره النظرية الاسلامية ويتضح من ذكر « غزوة بدر » ونصر الله المسلمين فيها ضمن الآيات المتعلقة بغزوة أحد فى سورة آل عمران اذ يقول الله تعالى :

« وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم . إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

فالله تعالى يذكر المسلمين بنصره سبحانه لهم ببدر لصدق ايمانهم وحسن طاعتهم وكانوا أذلة لقلتهم وكثرة عدوهم (٢) ، وقد وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم خير وصف فى دعائه لهم : « اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك » .

كذلك وردت المقارنة والربط بين أسباب الهزيمة وأسباب النصر فى قول الله تعالى فى غزوة حنين : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

فالله تعالى يقول مخاطبا المؤمنين :

« ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة من مواطن القتال مع قلة عددكم وعدتكم كيوم بدر والأحزاب وخيبر وفتح مكة وقتال يهود بنى قريظة والنضير وغير ذلك ، وخص يوم حنين بالذكر لما فيه من العبر الكثيرة فقال : « ويوم حنين » أى اذكروا يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم .

◄

(١) كان عدد المسلمين ٧٠٠ رجل بينما كان عدد المشركين ٢٩٠٠ رجل .

(٢) كان عدد المسلمين فى بدر ٣١٥ رجلا بينما كان عدد المشركين ٩٥٠ رجلا .

المبدأ الثالث : الوقاية من أساليب التدمير الذاتى

تنتاب أبناء الأمة التى تخسر المعركة — عادة صور شتى من الضغط النفسى الذى ينشأ فى داخلهم وفيما بينهم مثل الهم والحزن ولوم النفس والآخرين وتبادل الاتهامات الى غير ذلك من أساليب التدمير الذاتى التى تؤدى — اذا لم توقف أو يتغلب عليها — الى الضعف واليأس والسلبية وتدهور المعنويات وارادة القتال، فتشكل بذلك أخطر عقبة فى سبيل اعادة بناء القوة والاعداد للنصر فى المستقبل .

ثم ان هذه الجوانب لا تخفى على العدو الفطن الذى يستغل الموقف أفضل استغلال بتغذية تلك الأحاسيس المدمرة فيميل على الأمة بكل أساليب الدعاية والحرب النفسية قاصدا الاجهاز التام على قوتها وارادتها .

وتقدم لنا توجيهات الاسلام خير منهج لوقاية الأمة من أساليب التدمير الذاتى ، وقد امتحن المؤمنون وامتحن أنبياء الله اليهم ، فكانوا بايمانهم أقوى من الأحداث التى واجهتهم كما يقول الله تعالى :

« فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » (١)

وهذه الأساليب نذكر منها ما يلى : —

١ — الصبر

فالصبر فى الشدائد من أقوى أساليب الوقاية والعلاج معا لازالة تلك الضغوط النفسية يقول الله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** » .

« **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** » .

« **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** » .

ويقول الرسول ﷺ : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر

البقية ص ١٦٨٩

(١) أى ماضعفت عقيدتهم ولا ضعفوا ولا فتروا عن القتال وما خضعوا لعدوهم .

الاسلام وحقوق المرأة

للدكتور عبد الله مبروك النجار

خصوم الاسلام ونظام التسرى :

ومن المسائل التى استجلبت صراخ خصوم الاسلام بالنقد لنظمه الاجتماعية مسالة اباحته للرجل أن يتسرب بجواريه اللائى يملكهن ويعتبرن فى عداد رقيقه بدون تقيد بعدد ولا بعقد زواج ·

وقد وردت هذه الرخصة فى قول الله تعالى : وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ · فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (١) وملك اليمين هو الرقيق ، كما ورد فى آيات أخرى كثيرة منها قوله تعالى فى وصف المؤمنين : وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٢) أى لا يقربون سوى أزواجهم التى أحلها الله لهم ، أو ما ملكت أيمانهم من السرارى ، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ، ولهذا قال : فانهم غير ملومين (٣) ، وواضح أن هاتين الآيتين تدلان على جواز التمتع بالاماء ومن ثم راح خصوم الاسلام يقررون أن اباحته للسيد أن يستمتع بجواريه بدون عقد زواج ، أو اكتفاء بملك اليمين ، تنطوى على

(١) سورة النساء ـ اية ٣ ·
(٢) سورة المؤمنون ـ الايتان : ٥ ، ٦ ·
(٣) راجع : مختصر تفسير ابن كثير ـ جـ ٢ ص ٥٥٩ ·

اهدار لكرامة الانسان بصفة عامة ، وكرامة المرأة بصفة خاصة ، لأن الجارية تعامل معاملة السلعة يتصرف فيها المالك كيف يشاء ، وكما تسمح له أهواؤه ، بدون رعاية لحرمة انسانيتها وبدون ارتباط معها بعقد ولا ميثاق ، كما يقولون ان في اباحة الاسلام لهذا النوع من الاستمتاع بالاماء ، دون تقيد بعدد معين تيسيرا لانطلاق الغرائز الحيوانية من عقالها ، وتحريرا لها من القيود التى قيدتها بها الحضارة (١) .

خلط بعيد عن الصواب :

•• ويظهر من خلال ما أبداه خصوم الاسلام من زعم يتعلق بهذه المسألة ، أن الامور قد اختلطت عليهم ، أو انهم لا يعلمون عن أصل المسألة شيئا ، وكل ما يهدفون اليه هو الهجوم على الاسلام بمحاولة الباس الحق ثوب الباطل ، حقدا وحسدا ، أو جهلا بأحكامه ، والواقع وكما يقرر العقاد : أن قضية الاماء والسرارى تعتبر جزءا من قضية الرق على عمومه ، لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد بمشكلاتها التى سبقت مشكلات الرق في المجتمعات البدائية ، لأن سبى النساء أقدم من تسخير الرجال في العبودية ، ولان مشكلات الاماء على اتصال وثيق بمشكلة المرأة في بيتها وفي بيئتها الاجتماعية ، ولم تكن حقوق الزوجات الحرائر في القدم تفضل كثيرا نصيب الاماء المستعبدات (٢) وعلى هذا النحو فالموضوع قد اختلط في نظر الزاعمين ، بالرق ، وجاء التجنى على الاسلام فيه ، متناسين موقف الاسلام الحضارى من قضية الرق ، وتشريعه القويم لمعالجتها ، على النحو الذى يحفظ للانسان كرامته ، ويحمى آدميته ذكرا كان أو أنثى ، وبما يعتبر مفخرة لهذا التشريع العظيم .

الاسلام لم يشرع الرق :

•• لقد تناسى هؤلاء الزاعمون أن الاسلام قد شرع العتق ولم يشرع الرق وأنه بهذا المسلك الرفيع يعتبر مفخرة للبشرية كلها ، لان الرق كان مشروعا فيها قبل الاسلام وكان يمثل دعامة من الدعامات التى يقوم عليها كيان المجتمع في كثير من الحضارات ، وفي العديد من الفلسفات ، كان الرق معروفا قبل الاسلام في القوانين الوضعية ، بل وفي الشرائع السماوية بجميع أنواعه : رق الاسر في الحروب ، ورق السبى في غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ورق الاستدانة أو الوفاء بالديون (٣) . وكانت هذه الانواع من الرق معروفة في فلسفة أرسطو ، كما أقره افلاطون في جمهوريته الفاضلة ، وعرفته الحضارة اليونانية وتفننت في تنويعه الى رق عام للخدمة والحراسة ، ورق خاص لتسخير العبد في خدمة البيوت والافراد ، عرفته البادية كما عرفه الحضر ، وعرفته اليهودية كما أقرته المسيحية

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافى ــ المرجع السابق ــ ص ١٦٥ .

(٢) عباس محمود العقاد ــ المرجع السابق ــ ص ١٠٣ .

(٣) عباس محمود العقاد ــ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ــ ص ١٨٩ ــ دار نهضة مصر .

وشرعته ، وصاغت له فلسفة وجوده ، واعتبرته حالة من الحالات التى خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية وليس مما يناقض الايمان أن يقنع الانسان من الدنيا بأهون نصيب . (١) وقد جاء فى رسالة بولس الرسول الى أهل افسس أيها العبيد !! أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح ، ولا بخدمة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح ، عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين أن مهما عمل لكل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أم حرا ، وانتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد عالمين أن سيدكم أنتم أيضا فى السموات وليس عنده محاباه (٢) ، على هذه الحالة كان العالم كله يوم مبعث الدعوة الاسلامية وعلى هذا النحو كان وضع القضية قبل الاسلام ، فماذا كان موقفه منها ؟ .

علاج الاسلام لقضية الرق :

.. جاء الاسلام والعالم ينوء بوزر تلك القضية الشائكة ، فنحى بالانسانية منحى كريما لائقا يتوائم مع الكرامة الانسانية التى خلق الله الناس عليها ، فلم ينهج مسالك تلك الفلسفات التى أقرته ، والديانات التى شرعته وانما اختط الوسائل لتصفيته والقضاء عليه والأخذ بيد الارقاء على طريق الحياة الحرة الكريمة ، فشرع للعتق ، ولم يشرع للرق ، وصاغ منهجا يعالج مشاكله ، اتسم بالدقة والسمو ، وينطق بعظمة التشريع الذى جاء به وهذا المنهج الاسلامى يستهدف سد منافذ الاسترقاق ، والتدرج بالرقيق نحو الحرية ، ثم تصفية بقاياه بكثير من القنوات الشرعية المتعددة ، ونود أن نشير الى ذلك بشىء من التفصيل :

اولا : سد منافذ الاسترقاق :

.. كان أول ما صنعه الاسلام فى مشكلة الرق ، أن نظر الى منافذها ، والروافد التى تغذيها ، فسد تلك المنافذ ، وحرم استرقاق الانسان لأى سبب . فاذا كانت الانسانية قد عرفت قبله ، ومازالت تعرف أسبابا متعددة للاسترقاق ، فان الاسلام قد صادر تلك الاسباب ، ولم يبق منها غير سبب واحد يتيم ، اقتضت الطبيعة البشرية وجوده ، وهو رق الأسر فى الحروب ، ثم تركه للقنوات الشرعية لتتولى تصفيته والقضاء عليه ، وفحوى ذلك كما يقرر العقاد : انه قد صنع خير ما يطلب منه أن يصنع ، ولم تأت الأمم الانسانية بجديد فى هذه المسألة بعد الذى تقدم به الاسلام فيها قبل الف واربعمائة عام (٢) ، فالسبب الذى ابقاه الاسلام للرق مباح اليوم فى أمم الحضارة التى تعاهدت بشأنه ، منذ القرن الثامن عشر الى الآن ، لأن هذه الامم قد اتفقت

(١) عباس محمود العقاد ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ـ ص ١٨٩ ـ دار نهضة مصر .

(٢) العهد الجديد ـ رسالة أهل افسس ـ الاصحاح السادس ـ الفقرات من ٥ ـ ٩ ـ ص ٤١٥ ـ الطبعة المشار اليها .

(٢) عباس محمود العقاد ـ المرجع السابق ص ١٩١ .

على معاهدات الرق ، تبيح الاسر واستبقاء الاسير الى أن يتم الصلح بين المتحاربين على تبادل الأسرى ، أو التعويض عنهم بالفداء والغرامة . هذا كل ما تركه الاسلام من أسباب الرق . أو الأسر بعد أن كفل له العلاج ، ولم يعرف لمثل هذا المنهج الاسلامي نظير في غيره من المجتمعات الانسانية التي تزعم التحضر ، وترفع شعار حق الانسان في الحرية والمساواة، ثم تتسابق فيما بينها بشتى الطرق ، ومختلف الاساليب من أجل اذلاله وقهره ، والسيطرة عليه واستعباده .

ثانيا : التدرج بالرقيق نحو الحرية :

•• والاسلام حين أباح السبب الوحيد للرق على مضض كما رأينا ، لم يشأ أن يجعل من الرقيق كما مهملا ، بل قدر فيه جانب الانسانية ونظر له بما سوف يؤول حاله اليه ، فأمر بالرفق به والاحسان اليه ، وشرع التسرى على نحو ما سبق . لا ليكون وسيلة لاشباع شهوة ، أو اداة لتحقيق نزوة ، بل شرعه ليكون طريقا لعلاج الفساد الاجتماعي في مجتمع العدو وعقب الحرب المشروعة بين المسلمين وأعدائهم ذلك أن قهر العدو والتغلب عليه ، يستتبع علاج أحواله ، وأهمها تلك الكثرة الهائلة من نساء العدو بعد مقتل كثير من أزواجهن وآبائهن بسبب الحرب ، وهذه الكثرة من النساء تكون بعد الهزيمة مشتتة الفكر ضائعة المستقبل فمن مصلحتها أن يتم توزيعها على بيوت المسلمين وهي بيوت يذكر فيها اسم الله كثيرا مما يسرع بتغيير المجتمع القديم الى مجتمع اسلامي جديد ، فضلا عن أن هذا التوزيع من شأنه أن يعلم نساء العدو عادات المسلمين وطباعهم ، فتسود في المجتمع الجديد كلمة الحق التى يتواصى بها المسلمون . (١)

•• الى جانب ذلك ، نجد في الاسلام قواعد لتطوير نظام التسرى تطويرا من شأنه أن يقضى عليه بالتدريج ، حتى لايكون عامل هدم في حياة الاسرة المسلمة ، من ذلك أن الأمة المتزوجة برجل حر وبعبد ولو كان رجلا من العدو ، لا يحل التسرى بها لأنها زوجة لرجل آخر وان كانت مملوكة ، وزوجة الغير لا تحل لغير زوجها في الاسلام ، سواء كان هذا الغير عبدا أم حرا كافرا أم مسلما ، أما اذا كانت الأمة غير متزوجة فيحل لسيدها أن يجامعها بعدة قيود : منها أنه لا يحل له أن يجامع أختين مثلا ، واذا جامع السيد أمته غير المتزوجة فحملت منه ثم ولدت له ، كانت أم ولد (٢) ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع أمهات الاولاد وقال : لا يبعن ولا يوهبن ولا يورثن ، يستمتع بها السيد مادام حيا ، واذا مات فهي حرة (٣)

---

(١) دكتور عبد الناصر العطار ــ تعدد الزوجات ــ ص ١٧٤ ــ مجمع البحوث الاسلامية ــ مارس ١٩٧٢ م .

(٢) المرجع السابق والمكان .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ــ ج ٦ ص ١٠٣ وما بعدها .

•• وكذلك يعتبر ولدها حرا ، هكذا يضيق الاسلام عليه تدريجيا حتى ينتهي ، كما أنهى الفساد الاجتماعي عقب الحرب بنظام التسرى ذاته ، وقد أسند الله ملك الاماء الى اليمين ، وهي صفة مدح ، لأن اليمين مخصوص بالمحاسن لاستعمال الانسان اياها في معظم الاحيان ، فهي المعاهدة المبايعة المؤكلة المسلمة المتفقة وفي ذلك ما يشعر بمراعاة آدمية الرقيق وانسانيته ، والاحسان اليه والرفق به والى هذا المعنى يشير قول الله تعالى ، **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** (*) .

ثالثا : تصفية بقايا الرق .

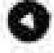
•• ولم يقتصر الامر في الاسلام على ذلك بل شرع من الوسائل ما يتحرى به تعميم العتق وتحرير الرقاب ، وتعجيل فكاك الاسرى ، فجعل العتق شريعة خاطب بها المسلمين على المستويين الفردي والجماعي :

١ ــ على المستوى الفردي :

•• ندب الشارع الى تحرير الرقاب ، وجعل العتق كفارة عن كثير من الذنوب ، كالقتل الخطأ والحنث في اليمين ، ومخالفة قسم الظهار ، والفطر المتعمد بالجماع ، كما جعله واجبا بالنذر وتطقت بكل تلك الوسائل للعتق آيات الكتاب الكريم ، قال تعالى : **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا** (١) وقال تعالى : **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** (٢) ، وقال تعالى : **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا** (٣) ويحسن تحرير الرقاب في غير ما ورد النص عليه ، حيثما وجب الشكر على النعمة والتوبة من الذنب ، وحسن الجزاء على الولاء ، قال تعالى : **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** (٤) ، وهكذا شرع الاسلام العتق وخاطب به المسلمين .

٢ ــ وعلى المستوى الجماعي :

•• لم يقتصر مسلك الاسلام في تصفية الرق على تلك السياسة التي تنتهج الوصول الى سد منافذه ، والتدرج بالرقيق نحو الحرية ثم



(*) سورة الانسان ــ اية ٨ ، والاسير هو العبد كما قال عكرمة وابن جرير ، راجع مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ٣ ــ ص ٥٨٢ .
(١) سورة النساء ــ آية ٩٢ .
(٢) سورة المائدة ــ اية ٨٩ .
(٣) سورة المجادلة ــ اية ٣ .
(٤) سورة البلد الايات : ١١ : ١٥ .

تصفية بقاياه عن طريق الخطاب الموجه الى الافراد ، بل جعل العتق واجبا على الدولة ، وخصص شريحة فى المال العام تنفق فى سبيل تحرير الرقاب ، وهكذا أضاف الاسلام الى شريعته فى الرق نوافل وشروطا تسبق الشريعة الدولية بأكثر من ألف سنة ، فاذا كانت الشريعة الدولية لم تعرف الدولة فيها فكاك رعاياها من الأسر فقد سبق الاسلام الى فرض هذا الواجب على الدولة فجعل ، من مصارف الزكاة انفاقها فى الرقاب ، أى فكاك الأسرى ، وان يحسب للأسرى حق فى الفيء والغنيمة كحق غيرهم من المقاتلين ، قال تعالى : إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١)

واذا كان ارتباط الأسرى ضريبة لازب فى الحروب الحديثة ، فان الاسلام لم يجعله حتما مقضيا فى جميع الحروب ، بل حرص على التخفيف من شدته ما تيسر التخفيف منه ، وجعل المن فى التشريع أفضل الخطتين (٢) ، قال تعالى : « فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » (٣) ، وحث المسلمين على قبول الفدية من الاسير أو من أوليائه ، قال تعالى : « وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ (٤) » وعلى هذا المنوال كثرت وصايا النبى صلى الله عليه وسلم بالارقاء والدعوة الى تحرير رقابهم (٥) .

..وبعد ، فتلك هى بعض السمات التى تحدد ملامح التشريع الاسلامى فى اخطر قضية انسانية ، وهذه بعض أحكامه التى تتعلق بوجود الانسان فى الحياة عزيزا مكرما ، ذكرا كان أو انثى ، والتى حاول خصومه أن يهاجموه من خلالها فكشفوا عن حقدهم الدفين عليه ، وعلى الانسانية التى انصفها وكرمها وشرفها ، وكان مثلهم كمثل الذبابة التى حاولت ان تحجب الشمس بجناحها ، فاحترق الجناح وضاع منها الأمل ، حيث شاء الله أن يتم نوره ولو كره الحاقدون ، هذا وبالله التوفيق .

تم البحث

دكتور عبد الله مبروك النجار

(١) سورة التوبة ـ اية ٦٠ .
(٢) عباس محمود العقاد ـ المرجع والمكان السابقين .
(٣) سورة محمد ـ اية ٤ .
(٤) سورة النور ـ اية ٣٣ .
(٥) وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الارقاء ، حتى كان اخر ما أوصى به قوله : الصلاة وما ملكت ايمانكم ، راجع : ابن كثير ـ المرجع والمكان السابقين .

الشعر والشعراء

يشرف عليه
د. حسن جاد

بفضلك يا الله

عظمة الخالق

في رحاب المصطفى

الشاعرة روحية القليني

بفضلك يا الله

للأستاذ عبد العليم القبانى

بفضلك يا إله الكائناتِ ... سرَتْ فى الكون أنسامُ الحياةِ
وأشرقت النجومُ هدى ونورا ... ولاح الصبح فضى السماتِ

* * *

بفضلك يا إله العالمينا ... أنرْتَ سبيلنا دنيا ودينا
ومهدتَ الطريق لكل حىّ ... وألهمت الرشادَ المؤمنينا

* * *

بفضلك يا إلهى كن نصيرى ... وخذ بيدى إذا ضاقت أمورى
وكن ـ يارب ـ فى الأخرى مجيرى ... فمالى غير عطفك من مجير

* * *

إلهى . أنت ربى ، لا سواكا ... وليس لمن خلقتَ سوى رضاكا
وكيف أفى بحمدك طول عمرى ... وعمرى بعض ما صنعت يداكا

عظمة الخالق

للشاعرة جليلة رضا

النمل يمشي في رضا وسلام
ويدب فوق الارض في استسلام
يجري ـ كمن يخشى فوات أوانه
متعثر الخطوات ... دون نظام
وانا على « الافريز » أرقب سيره
حيرى ينازعني شعور دام
امشي مقيدة الخطا ... هيابة
حتى اجنبه اذى اقدامي
يانمل .. يانمل انئد .. اقلقتني
اخشى انطواءك في عباب زحامي

* * *

انا ! من انا ؟ انى أدين لنملة
ببساطتي ... وتواضعي المتسامي
وبذلك الثوب الربيعي الذى
اكسو به جنبي وبرد عظامي
يا أيها النمل الأصيل ... أهجتني
وبعثت في طرائف الأحلام

* * *

انى أرى « الخلاق » (١) جل صنيعه
في نملة .... تطوى الطريق امامي

---

(١) التعبير على حذف مضاف

فى رحاب المصطفى

شعر د. مختار الوكيل

الكون نور بالبشير الهادى ... والفجر اطلق ضحكة الاسعاد
والدوح غازله النسيم مداعبا ... فى نشوة النساك والعباد
وانا اسير الى رحاب المصطفى ... نشوان من نور هناك بادى
فهنا التقى نور السماء وفيضها ... بالأرض ،فى ركن من الأمجاد !
فى روضة الهادى الحبيب ، ومن ترى ... غير الحبيب .. رنا اليه فؤادى
فمتى دنوت حسوت من ضوء الهدى ... وسلبت كل عزيمة ورشاد
وظللت نشوان الفؤاد متيما ... متدفق العبرات والانشاد

* * *

فاذا تدفت الى حماه كزائر ... صار التزود من سناه .. زادى
ومكثت اصغى للحديث مطهرا ... يدعو الانام الى الهدى وينادى
الحق فيه رائع .. لا ينثنى ... يهمى بآيات من الارشاد
صحراء (طيبة) تيمت قلبى الذى ... هو فى الدجى يحيا مع الزهاد
فى رملها الذهبى هامت مهجتى ... وجعلت فى ظل النخيل مهادى !

* * *

المسلمون اتوا لروضك خشعا ... واتيت ابكى .. والدموع مدادى
ياسيدى دعنى ابثك شكوتى ... دعنى ابثك دامع الانشاد
اسرى بك الله العزيز لقدسه ... فسمت مكانتها على الأطواد
القبلة الأولى .. غدت نهب العدا ... وبها اباح الظلم عهد فساد
احفاد (احمد) ساهرون على الطوى ... انقذ بفضلك عثرة الاحفاد

المنبع

للأستاذ
محمد عبد المنعم ابراهيم

عينى لنور المصطفى تتطلع ... وتفيض من توق اليه وتدمع
وصلاح امرى أن افيء ليثرب ... فأنا المتيم والشجى المولع
قرب الثمانين التى مرت سدى ... ما عاد لى عمر اروح اضيع
أغلى الأمانى ان امر بقربه ... فله بـ « أخرانا » المقام الأرفع

* * *

يا أيها الهادى البشير تحية ... تسمو الى القدر السنى وترفع
تلك الصحارى قد عمرت بيابها ... واحلتها نبتا وغرسا يونع
لولاك ما سطعت شموس للتقى ... كلا ولا فيها نجيم يطلع
شعب الجزيرة كان شعبا سادرا ... بالجاهلية ـ فى الغواية ـ يرتع
وغدا بفضلك خير شعب قدته ... فى نشر دين الله لا يتضعضع

* * *

انا من غزا حب الرسول جوانحى ... فوجدتنى روحا تشف وتسطع
ووجدت أندى الشعر فى اشعاعه ... بالصفو والاشراق فهو المنبع
ان جاء يوم لست اذكره به ... فهو النهاية لى وبئس المصرع
ما جاء الا للظلام مبددا ... اذ جاء بالحق الذى لا يدفع
صلى عليك الله فى (قرآنه) ... صلى وسلم كل عبد يركع

الشاعرة

روحية القليني

ذكريات ودراسة

كتب الكثيرون عن شاعراتنا في الأجيال الماضية ، ولكن الفارق كبير بينهن وبين شواعرنا في وقتنا الحاضر ، فقد كانت الشاعرات من امثال : عائشة التيمورية وملك حنفي ناصف ووردة اليازجي .. لا يبدين عواطفهن ، مراعاة لظروف البيئة السائدة في ذلك الزمان .

فلم نظفر منهن بشعر الوجدان المشبوب ، بل كثر نظمهن في فن الرثاء بلوعة صادقة ،كما كثر أيضا في الاخوانيات ، والتودد الى الأهل والأصدقاء ، في مواقف اللقاء والوداع .. وان كانت باحثة البادية « ملك حفني ناصف » قد قالت الشعر في مناسبات كثيرة .. ومن ذلك ردها على قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، حين قال :

صداح يا « ملك الكنا
ر ويا أمير البلبل

حيث ردت عليه قائلة :

سميتني ملك الكنا
ر وأنت رب المنزل
وجعلتني رهنا لأقفا
ص الحديد المقفل

ان لم تكن لي حارسا
من كل عاد مقبل
فالحسن والبيداء يستو
يان عند الأعزل
لو كان حبك صادقا
لفككتني من معقلي

ومهما يكن من قيمة هذا الشعر وما يشابهه، فانه يأتي في درجة أدنى بكثير مما تجود به قرائح شواعرنا المعاصرات ، فهن عادة أحرص على التعبير عن تجاربهن الوجدانية الشعورية وعلى ابداء آرائهن في الحياة والناس ، والوجود عامة بل انهن اليوم يزاحمن الشعراء الرجال في المهرجانات والندوات الشعرية ، وينافسنهم في الاجادة والابداع وعمق التأثير .

وقد قدمت الشاعرة الراحلة (روحية القليني) الكثير في ضروب الشعر المختلفة ، فهي مثل بارز حقا للمرأة العربية الشاعرة ، التي تعبر بصدق وأصالة عما يجول بخاطرها ، وتنقل ــ بأمانة وإبداع ــ مشاعرها العاطفية. ولابد لنا ، قبل الحديث عن شعرها العاطفي ، أن نلم ببعض المعلومات عن (صفاتها وعاداتها)

لأن ذلك قد يساعد كثيرا على تفهم الاطار الصحيح لشعرها العاطفى ، الذى يمكننا أن نتفهمه جيدا على ضوئه .

وفى عامها الأخير ـ وقد لازمتها يوميا خلاله ـ كنا نخرج نمارس رياضة المشى على الاقدام بحكم قرب مسكنينا ، فكانت تهمس لى ـ فى حسرة بالغة وأسى ساخر بضعف بصرها .

وفى الحقيقة أن اكثر ما كانت تفكر فيه « روحية » وأشقى ماكنت ـ أنا ـ على علم به هو افتقادها ـ تدريجيا ـ نعمة الابصار ، فطبيبها اخصائى العيون « الدكتور أحمد أيوب » صارحنى ـ ذات مرة ـ فى حزن وأسى باستحالة علاج بصرها حتى فى الخارج وكانت من فرط شعورها بجميله ـ وقد أولاها عنايته الخاصة الفائقة ـ قد نظمت فيه قصيدة رائعة ، ظلت ، وستظل ، معلقة فوق جدار حجرة المرضى بعيادته .

وفى عامها الأخير : شغلت نفسها فى تعلم الطهى ، وكانت تستشيرنى فى أمور كثيرة تتعلق به .

ذلك أن الوحدة كانت تكاد تقتلها ، ولم تكن مكالماتها « التليفونية » المستمرة طوال اليوم بكافية لملء فراغها العميق .. ولما كنا متجاورتين فى السكن ، لا يفرق بيننا غير منزلين فى الحى ، فقد اتفقنا على أن تمر احدانا على الأخرى كل صباح ، لقضاء حوائجنا المنزلية سويا ، وللترفيه عن النفس.

وعندما كنا نجلس ساعة الأصيل فى شرفة دارها المطلة على حديقة عامة واسعة جميلة يسمونها بمصر الجديدة : (الغابة). كنت أتأمل جمال الكون وخضرة الاشجار الباسقة النامية ، واتساع المدى وصفاء الأفق ، وأشعر بالحزن العميق يجثم فوق صدرى ، وأنا أرى روحية لا تكاد تتبين ببصرها الضعيف ، هذا الجمال الرائع .

وكان من صفات روحية الاسهاب فى التحدث مع أى انسان ، وبلهجة سريعة منفعلة فلم تكن تترك لمستمعها فرصة الرد عليها ، أو مناقشتها وكان حديثها عنيفا صاخبا ، تردده عاليا فى عصبية ظاهرة كأن أمامهاناء فارغا ، تود لو تصب فيه جام ما تشعر به من انفعالات محمومة ! ..

وكم نجد لها العذر فى ذلك ، كلما فكرنا فى أنها فى أعوامها الأخيرة ، لم تكن بتمتع بلذة القراءة ، وفى القراءة ما يدفع الانسان بالقاء كل متاعبه خلف الظهر ، ومن ثم فلم تكن تطيق أن يجادلها احد فى رأى اتخذته ، أو منهج سارت عليه كانت معتدة بنفسها كل الاعتداد ، محبة فى إصرار للحرية والانطلاق وربما كان ذلك ، بل هو فعلا ، أهم الأسباب

الرئيسية التي منعتها من الزواج ، الا قبيل ختام حياتها .

ومن اسباب احجامها عن الزواج ايضا خوفها من الخضوع لانسان ما ، قد يتحكم بطريقة او باخرى فى هذه الحرية التى تعتز بها وهى التى تعودت أن تبدى الراى ، وتأمر من حولها فى عزة وكرامة تقول :

اذا اذل سواى النفس فى طلب
فصون نفسى عندى.. غاية الطلب
فلى إباء به أزهى ولا عجب
فتلك عادة اجدادى وطبع ابى

ومع ذلك .. فقد تزوجت الشاعرة خلال عامها الأخيرين من رجل مثقف ، متقدم فى السن ، توفيت زوجته تاركة له ابناءه الكبار .

وعاشت معه ثمانية اشهر لا غير ، وانتهت تلك الزيجة ، بانتهاء حياة الزوج ، واسدل الستار .

ومن صفات الشاعرة ، التى تعين على تفهم شعرها الواجدانى وبواعثه ، انها كانت تتسم بصراحة غير عادية ، فلا تجد مثلا غضاضة فى ابداء رايها ، فيمن تخاطبه ، سواء كان فى اعتقادها منافقا ،او ظالما ، مما يثير دهشة من حولها .

تلك الصراحة المتناهية فى الاسراف ، اوقعتها فى كثير من الاحيان ، فى مواقف صعبة عسيرة ويقدر ما كان لها من اوفياء خلصاء مقدرون لها ، بقدر ما كان هناك ايضا من يضمر لها العداء ، ولكن ... فى تكتم وخفاء.

ومع ذلك ، فانه يمكننى القول أن روحية كانت ذات خلق عظيم ووفاء نادر ، وفى أعماقها معين من الحنان الذى لا ينضب .

واكثر من ذلك كله ، ايمان راسخ بالله عز وجل ، يدفعها الى الرضا وان كثرت الشكوى ، والى الصبر .. وما أندر الصبر فى رحلة الشقاء والألم التى قطعتها الشاعرة .

تقول فى قصيدتها (صفاء) من ديوان « همسة الروح » :

أحب العيش خلوا من رياء
واجهر بالحقيقة .. كالضياء
ولا اخشى من الانسان لوما
وهل اخشى .. سوى رب السماء ؟

ولعلى — الآن — لا أذيع سرا اذا شرعت فى وصف الشاعرة « روحية القلينى » من الناحية الشكلية .

كانت — رحمها الله — بدينة الجسم ، متوسطة الطول ، ذات وجه عربى أصيل لم يغيره الزمن ، أو يشق فيه أخاديده وغضونه، برغم بلوغها الستين ، وكانت تلبس دائما (نظارة) سوداء حتى لا تكشف عن عينيها ،وقد داهمهما المرض . ذات سمرة محبوبة تستعمل لشعرها « الباروكة » .

وقد تعددت أشكالها كانت أنيقة الملبس تميل الى اللون الداكن فتبدو اقل بدانة ، وتلبس الحذاء العالى وتعشق تناول الفاكهة ، وعلى الأخص « التفاح » تحرص كثيرا على تناول الـ « جريب فروت » الذى يقلل من نسبة السكر فى الدم ،فقد كانت — رحمها الله — مصابة — به .

هذه عجالة عن الجوانب « الحياتية » عند

روحية تناولتها في ايجاز وتركيز ، ولست أعدها عيوبا عند الشاعرة ، فنحن – جميعا – بشر ، لا نخلو من ميول وأهواء .

« دواوين روحية »

يبلغ عدد الدواوين التى أصدرتها الشاعرة روحية القلينى في حياتها ثمانية دواوين ، هى حسب الترتيب الزمنى .

١ – همسة الروح .
٢ – ابتهالات قلب .
٣ – انغام حالمة .
٤ – عبير قلب .
٥ – لك انت .
٦ – حنين الى ..
٧ – عطر الايمان .
٨ – رحيق الذكريات .

مضافا الى ذلك كتابها « نساء عربيات » .

وعندما أصدرت أول ديوان لها في فبراير عام ١٩٦١ ، كانت قد سبقته الى القاء الشعر في الجمعيات النسائية ، وعلى منبر الجامعة ، وفي المجتمعات الأدبية والنوادى الشعرية . والى الكتابة في الصحف والمجلات الأدبية ، وبالتالى .. كان اسمها قد ذاع وانتشر .. فاستقبل الديوان استقبالا رائعا ، وكتبت جريدة الجمهورية يوم ٨/٥ ١٩٦١ تقول : « همسة الروح – الديوان الأول للشاعرة المصرية روحية القلينى ، حديث الأوساط الأدبية منذ صدوره . ينتظر النقاد أن يصدر بعده ديوان ثان للشاعرة ، وهى أول فتاة تخرج من دسوق وتنهى دراستها الجامعية ، ويتردد اسمها في الأوساط الأدبية » .

وكتب الشاعر الراحل « خالد الجرنوسى » عن هذا الديوان يقول في صفحات الديوان الأخيرة – التذييل .

« ان روحية القلينى تعد نسيجا وحدها فيما أخذت نفسها به من اتجاهات أدبية ، فلا هى مقلدة لأحد ، ولا هى متأثرة بأحد .. ومهما يكن شعرها مزيجا من "الرومانسية" والواقعية ، فهى في "رومانسيتها" أو واقعيتها، في سمت النساك ، تنشد المجهول في غيبوبة حالمة ، كصلوات العارفين . »

أما الشاعر الراحل عبد الله شمس الدين ، فقد وفاها حقها ، بقوله :

من كل معنى فيها
جاءت معانيها
بوفائها بصفاتها
فاضت مآقيها
وبحبها وبخوفها
صلت أغانيها
وبطيبها وبنشرها
رفت أمانيها
أنفاسا عربية
عزت قوافيها

وحينما صدر ديوانها الثانى عام ١٩٦٤ (أنغام حالمة) ، أهدته الى أمها ، قائلة تناجى الله عز وجل .

يا من وهبت لنا الحياة أمومة
ممزوجة بالعطف والرحمات
وبمحكم القرآن توصى دائما
بالأم .. أفديها وأبذل ذاتى

وفي هذا الديوان كتبت المقدمة « الأميرة

الشاعرة روحية القليني

دينا عبد الحميد » ، تقول : « ما أكبر الفرق بين أحاسيس وخلجات الفنان الصادق ، الذى يشركنا فى أعمق تجاربه ، وبين كلمات الناقد أو القارىء العاجز ، حينما يحاول أن يترجم انعكاسات تلك الأحاسيس فى نفسه » .

خصائص شعرها :

وتوالت بعد ذلك دواوين الشاعرة فى فترات متقاربة ، فقد كانت رحمها الله ، غزيرة الانتاج مشبوبة الانفعال ، سريعة الكتابة . وحينما نحاول أن نحدد خصائص شعرها ، نستطيع أن نقول :

انه ينتمى الى المدرسة الكلاسيكية المعاصرة .

لقد كان من رأى روحية احترام الماضى وتقاليده الفنية ، وأصوله الراسخة عبر الأجيال ، حتى لا نقيم عليه بنيانا جديدا ، يكون سببا فى اهمال الضروريات الشعرية ، وأن يحطم حواجزه .

وعندما نريد أن نتبين المذهب الشعرى عند روحية تبدو لنا ما فيه من نزعة واقعية ، وان كان للرومانسية دور كبير فيه ، وسلطان قوى عليه .

فالشاعرة ، مع ميلها الى الرومانسية ، تستخدم الواقعية فى كثير من الأحيان ولا يعد هذا عيبا ذلك أن المذاهب كثيرا ما تتداخل ولا تستقل ، فقد تأخذ الرومانسية من الواقعية ، وقد تستعير الرمزية بعض المشاعر الرومانسية ، وهكذا وان غلب مذهب على آخر .

والشاعرة روحية تأخذ بطرف من المذهبين ، دون أن تقترب من غيرهما .

فهى واقعية حين تصور المجتمع الذى تعيش فيه .

وهى واقعية حين تتحدث عن تجاربها الخاصة ، وتسردها قصصا طموية .

وهى رومانسية حينما تصور الطبيعة والأمانى والحب والجمال .

والقارىء لشعرها ، فى مجموعه الكلى ، يلمس انه لم يتطور أو يتغير مدرسة ومذهبا ومضمونا وشكلا منذ بدايته حتى نهايته .

ذلك لأن الشاعرة اعتنقت أسلوبا خاصا بها ، وظلت على عقيدتها .. وفية له ، متشبثة به حتى أصبح القارىء يدرك من أول بيت للقصيدة أنه من شعر روحية .. فهى اذن صوت مستقل وشخصية قائمة بذاتها ، لها مميزاتها الخاصة .

وعن ذكرياته مع الشاعرة روحية القلينى ، كتب الأستاذ عبد المنعم شميس عنها غداة رحيلها فقال (١) : « عرفت روحية القلينى فى مقاعد الدرس بكلية الآداب ، جامعة القاهرة وهى تترنم بالشعر مع زميلتها السيدة الشاعرة ملك عبد العزيز ، وكان ذلك فى أواخر الثلاثينيات ، وأوائل الأربعينيات . » ثم يستطرد قائلا : « تعلمت روحية القلينى فى المدرسة العظيمة ، التى اجتمع فى رواقها بكلية الآداب طه حسين وأمين الخولى وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام ومصطفى عبد الرازق ، ومن كان معهم من أساتذة الطبقة الثانية من المدرسين . وكان تأثر روحية ، مثل أبناء جيلنا،

---

(١) مجلة الجديد عدد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٨٠

يرتبط بطه حسين وأمين الخولي ــ وهمــا فرسا رهان في النهضة الأدبية الحديثة ــ وكانا يلتقيان عند فكرة التجـديد ، ويختلفـان في مناهج التجديد . » وكانت الفتاة الريفيــة القادمة من مدينة دسوق الى رحاب الجامعة في القاهرة لا تكاد تدرك معنى هذه الفلسفــات المنهجية ، التي جعلت من غرفة المدرسـين في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، قاعة ملتهبة بالنار والأفكار .

ويستطرد الأستاذ شميس : « ولازلت أذكر ما جرى بين أمين الخولي وبين روحية القليني ، عندما بدأنا الدراسة في الشهور الأولى مـن حياتنا الجامعية ؛ فقد عجزت الفتاة الريفيـة الساذجة عن المناقشة ؛ بل عجزت عن الاجابة على أسئلة الأستاذ ، فصاح بها : ــ عـودي الى البلد ، واجلسي أمام الفرن ، واخبزي لك فطيرة ! .. هذا خير لك من الجلوس هنـا في الجامعة .. »

ولكن البنت الصغيرة بكت بكاء مـرا ، ولم يسأل عنها أحد ، واستمرت المحاضرة ، وعلـى شفتي الشيخ ابتسامة .

ومنذ تلك اللحظة تعلمت روحية القليني أنه يجب عليها أن تقرأ لتتعلم ، وأدرك جميع زملائها هذه الحقيقة من لا يقرأ ، لا يتعلم .. والدرس القاسي يعلمنا كيف نتعلم .. أمـا الصحفي الراحل محمد زكي عبد القادر ، فكتب عنهـا يقول بصحيفة الأخبار ــ : « .. جاء شعرهـا رقيقا سهلا ، فيه بعض الحنين وصفاء الايمان، وكأنها استبدلت به كل ما تمنت ، ولم يتح لها ، فلجأت الى الله تبثه هواها ونجواها ، ووجدت كل المنى والرغبات قد ارتفعت عن المادة التي تفنى ، الى الروح التي لا تفنى .. »

وكان للشاعرة عمل بالسياسة الى جانب خبرة ببلادها العربية ، فقـد عملت بالتـدريس في العراق ، واستقرت ببغداد فترة . وعن عملها بها قالت :

ناوي لهيفَ الهوى « بغدادُ » ناديني
من مـاء دجلـة يا بغـداد رويني
اني ظمئت لمـاء الخلد في .... بلد
أفدي ثراه بعمري وهو يسـقيني
في مطلع العمر ضمتني ســواعده
لقيا الأحبة في دنيـــاه تغنيني
مع الصـديقات كم باتت مشاعرنا
سهرانة ، وكم باتت تنـــاجيني
فكم سهرنـــا وكم غنت مرابعنـــا
كم قلت للفجـر : لا تطلع الى حين

وبعـــد :

فمازال بالجعبة الكثير مما يمكنني قوله عن « روحية الشاعرة » الكبيرة ، وأكتفي ــ اليوم ــ بما أوردته عنها ، وما ألقيت من ضوء على شاعريتها عسى أن يحفز ذلك الدارسين الى الاهتمام بحياتها وفنهـا فيوفـونه حقـه داخـل أطـروحاتهم ورسائلهم الجامعية ، وحبذا لو أسرعوا ولازال معاصروها من العارفين بها أحياء حتى يمكن توفيتها حقها فلا يصدق عليها قول الزهاوي :

تلك للشــاعر والشــــا
عــر ذوسـهم يطيش :
أنت إن عشــــت تمت
أنت إن مُتَّ تعـيش

جليلـة رضـــا

من شعراء الأزهر

محمد عبد الرحمن صان الدين

من نبت أرض مصر الطيبة ، وفى ركن قصى بأعماق الصعيد ، ببلدة « برديس » — مركز البلينا بمحافظة سوهاج ، ولد الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين فى الثالث من يناير سنة ١٩٢٣ ، ولم يرزق والداه بمولود ذكر سواه .. ومن ثم كان حرصهما على تزويده بالقدر الممكن من التعليم النظامى ، خاصة وأن والده كان يمتلك عشرة أفدنة ، تغل ريعا مناسبا ، يتيح للأسرة أن تحيا حياة ميسورة وتعفى الغلام البازغ من مشقة العمل فى الحقل كلداته من أبناء البلدة ، فى سن مبكرة ..

وبدأ الفتى اليافع (محمد) رحلته مع الأيام ، بالالتحاق بالمدرسة الأولية وبعد اتمام حفظ القرآن الكريم بكتاب البلدة ، التحق بالأزهر الشريف ، بالقسم العام ، وبعد سنوات ، تحول الى معهد قنا الدينى وكان يرأسه الشيخ عبد السلام العسكرى ، ثم عاد فانتقل الى معهد القاهرة الدينى ، حيث استمر به الى الصف الثالث الثانوى ، ورجع الى بلدته « برديس » ليعمل مأذونا شرعيا بها لمدة ثلاث سنوات ، وخطيبا بمسجدها الكبير لمدة عشر سنوات ، بمكافأة رمزية قدرها جنيهان شهريا .. وفى أثناء هذه الفترة حصل على الشهادة الأهلية الأزهرية القديمة عام ١٩٥١ م وعين مدرسا للغة العربية والدين بالمدارس الابتدائية القديمة التى حولت الى ابتدائى واعدادى فيما بعد ثم حصل على دبلوم الدراسات التكميلية التربوية التى جعلته مؤهلا للتدريس وظل يعمل بالتدريس فى مدارس بلدته الابتدائية والاعدادية رافضا الترقية الى الوظائف الأعلى الى ان استقر به المقام عام ١٩٧١ بالنقل للعمل بالقاهرة ، ليكون قريبا من المحافل الأدبية ، والمكتبات العامة ، كدار الكتب بباب الخلق التى كان يرتادها حينما كان طالبا وقضى فترة عامين فى العمل وكيلا لمدرسة محمد فريد بعابدين ، ثم أعير للعمل بالكفرة بليبيا لمدة أربع سنوات ، عمل مدرسا بمدرسة الكتانى القرآنية ، ومدرسة المعلمات .. وبعد انتهاء فترة الاعارة عمل بادارة التخطيط والتنسيق بديوان عام وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ، الى أن خرج الى المعاش المبكر ، مختارا ، عام ١٩٨١ للتخلص من قيود الوظيفة ، والتفرغ للابداع الأدبى الذى ملك عليه لبه .. والطريف فى الأمر ، أنه بدأ فى نشر شعره ، لأول مرة فى حياته ، منذ ذلك التاريخ فقط ! .. حينما « وجد نفسه » كما يقول ، واستطاع أن يلتقط أنفاسه ، فى خضم الحياة .. كما أنه

بقلم الأستاذ
أحمد مصطفى حافظ

كان منطويا على نفسه دائما ، عازفا عن النشر لاشفاقه من عرض انتاجه الشعرى على من قد لا يقدره حق قدره .. ولاعتقاده الراسخ أن الشعر تعبير ذاتي ممتاز ، مثل شاذة القاعدة والقانون ، تعبير غير مضطرد ، عارض غير مستديم ، ومن ثم فهو أسمى ضروب فن القول ، لأنه موهبة سامية يتعين صيانتها عن الابتذال . فالشعر ، والحالة هذه ، ما هو الا التعبير الخالص من الشوائب ، عن أعمق وأرق المشاعر والأحاسيس الانسانية ، التى يصوغها الشاعر فى أبياته بصدق انفعال ، وليس كتكليف بعمل ، أو كوظيفة تؤدى ..

كما أن شاعرنا يميل الى العزلة والانفراد ، ويشعر بأنه غريب فى دنياه ، حتى بين أهله وعشيرته وأترابه .. على الرغم مما كان يلاقيه من احترام واجلال أينما حل .

وكما يعبر هو نفسه عن ذلك ، بقوله بقصيدة (الحيرة) :

صرت أمشى فى طريق
موحش .. فردا شجيا
كالذى يمشى بقفر
لا يرى فيه .. نجيا

وقوله بقصيدة (حائر) :

يا اولى الالباب انى
حائر قد ند حلمى
واختفى عنى طريقى
فى غيابات الخضم



أين شرقى ؟ أين غربى ؟
والسوافى الهوج تعمى
خبرونى كيف اخطو
فى ضباب تحت غيم
فوق أشواك وصخر
فى طريق العيش تدمى

كما أن تمسكه بأهداب الدين والفضيلة ، جعله لا يجنح الى نظم الشعر الغزلى ، حتى لا يتطرق اليه (شيطان) الشعر ، فيمعج من حيث لا يشعر الى وصف مفاتن المرأة .. وفى هذا ما فيه من غواية وتضليل ، يحترز منهما الفطن اللبيب ، حتى لا يدون مثل هذا الشعر فى سجل سيئاته فيحاسب عليه حسابا عسيرا (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

قال تعالى « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » فهو يريد للمرأة أن تكون دائما

من شعراء الأزهر

عزيزة الجانب ، بمنأى عن الأقاويل والتخرصات والتهويمات .. ويقول فى ذلك ، بقصيدته المتنوعة القوافى : (أنت منى .. ولكن) ، بالمقطع الثالث منها .

هل أنت ياحواء مخلوق يعد من الضعاف ؟!
ام ان أعتى الناس طفل فى أناملك اللطاف ..؟
كم راض دمعك ، بل دلالك عدون قهر .. كل جاف
تغدا اليك ــ وان تظاهر بالتجهم ــ فى انعطاف
ما أنت الا لجة البحر العميق .. بلا ضفاف

ويضيف ، بالمقطع الرابع من نفس القصيدة ، ما يعد فصل الخطاب بالنسبة لرأيه فى المرأة ، وشعوره الصادق نحوها :

لا تحسبى حواء أنى
عنك مشغول الجنان
هل أنت الا قطعة
منى استقلت عن كيانى ؟
مازلت أبحث عنك
فى كل الأماكن والزمان
لا يعرف القلب السكينة
.. ان نأيت عن العيان
لكننى ابغيك يا
حواء .. عالية المكان

ويعلى من قيمتها بعد ذلك ، ويحاول أن ينأى بها عن زحام الحياة ومعتركها الخانق ، فيقول بالمقطع التاسع :

انى رأيت مليكة النحل الحكيمة فى الخليه
قبعت جلالتها تدير أمر هاتيك الرعيه
وتظل فى كوارة السلطان هانئة رضيه
لا تشتكى مللا وضيقا فى الغداة أو العشيه
وهى التى بجناحها تطوى المسافات القصيه

ويختتم هذه القصيدة الفريدة حقا بقوله:

ورأيت أن الله زود كل جنس فى الخليقه
بخصائص فطرية ليشق فى الدنيا طريقه
لو غوصت فى البحر أحياء الثرى صارت غريقه
او ناءت الحيتان عن لجاتها .. ماتت خنيقه
كل معد فى الحياة لدوره .. وهى الحقيقه

وبعد هذه الترجمة الموجزة لحياته العملية ، وسماته العامة ، يتعين أن نلقى الضوء على الجانب الآخر من سيرة الشاعر الأدبية ، التى تتعلق بحياته الوجدانية .. فقد شغف منذ نعومة أظفاره بقراءة القصص والسير والملاحم الشعبية والتاريخية ، وكان من أسباب تكوين شاعريته المبكرة ، التفاته الى الشعر الذى ورد فى ثناياها ، وهو لايزال دون الثالثة عشرة ، واستظهاره لهذا الشعر ، خاصة وأن بعضه كان يفيض باللوعة والحنين الى الأحباب ، كما يبدو ذلك واضحا فى قصة (معاذ بن جبل) الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، ليعلم الناس هنالك أحكام الدين الحنيف ، بعد اسلامهم .

وقد زخرت قصة معاذ بمقطوعات وحواريات شعرية بينه وبين والدته ، التى كانت تقرض الشعر بدورها . (١)

---

(١) يلاحظ ان الاخبار الصادقة للقوم صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا تقدمها عادة كتب الاخبار والسير ، وانما المستند فى صحتها ثقة مخبريها عن الثقات مثلهم .... مجلة الأزهر

وبدأ شاعرنا بدوره ينظم الشعر — شعر الحنين أيضا فى هذه السن الغضة — محتذيا شعر والدة سيدنا معاذ(١) بصفة خاصة لتأثره الشديد به بما يفيض به من مشاعر الشوق الجياشة نحو ولدها .

وشاء له قدره أن يعانى بعد ذلك بحوالى نصف قرن من الزمان ، من آلام الغربة ولأوائها ، بعيدا عن أرض الوطن ، أثناء اعارته للعمل بليبيا ، ففاضت عبراته مع أبياته التالية بقصيدة (حنين) :

تعج بقلبى ضروب الجوى
ويهفو بروحى حنين النوى
كأنى فطيم قبيل الأوان
جفته المراضع حتى ذوى

الى أن يقول مخاطبا وطنه المفدى (مصر) :

فانعم بأرضك يامصر حتى
ولوغالنى فيك ناب الطوى !

ويحدث بعد ذلك أن يقوم أحد الليبيين بزيارة لمصر ، ثم يعود بعدها ليتحدث ، مبهورا ، عما شاهده فيها .. بمسمع من الشاعر ، فيثير لديه كوامن الذكريات والحنين وينطلق قائلا — فى قصيدة أخرى بعنوان : (أشواق مغترب) :

يا قادما من أرض مصر بلادى
حياك قلب فى الجوانح صاد
فتدان منى — قد فديتك — اننى
أستاف منك أريج عرف بلادى

الى أن يقول :

هل زرت قاهرة المعز وجلت فى
أنحائها .. فى دهشة المرتاد ؟

ثم يطلق بعد ذلك هذه الزفرة اللهيفة :

أواه يا مصر الحبيبة اننى
مذ بنت عنك .. حُرِمتُ طِيبَ رقادى
تا الله ما فتر الحنين بمهجتى
كلا .. ولا أغفت عيون فؤادى
هل كنتُ الا قطعة من تربها
أبدا .. تحن لأصلها .. وتنادى

وتأتى الطامة الكبرى ، وهو فى غربته تلك ، حينما يأتيه خبر نعى والدته الحبيبة ، بعد اصابتها بداء الفالج ، فتنساب هذه العبرات المنظومة :

قد كنت يا أماه تشكين الجوى
لوحيدك النائى بواد مغلق
وتصارعين الداء فى غلوائه
وتغالبين يد الحمام المحدق

الى أن يقول بالتياع مذيب :

ورحلت يا أماه ظماى مهجة
عن هذه الدنيا .. ولما نلتقى
وبقيت مشبوب الأسى فى غربتى
أبكى بقلب فى الأضالع موثق
لا أرتجى رؤياك الا حالما
مسترجعا صورا لماض مشرق

واذا أردنا أن نزداد تعمقا فى سبر أغوار الشاعر ، واستكناه مراحل تكوينه الأدبى ، والوصول الى الجذور الاولى لروافد ومنابع تثقيفه الذاتى ، فيتعين أن نتابع التنقيب فى رحلة حياته فى مراحلها الأولى ، لنجده يعكف فى صباه الباكر على نظرات المنفلوطى ، وعبراته و (مجدولين) ووحى قلم الرافعى وسائر نفثاته فى : (اعجاز القرآن) و : (أوراق الورد) و : (حديث القمر) و : (السحاب

الأحمر) .. كما يصاحب السباعي في ترجمته لرباعيات الخيام ، والزيات في نفثات قلمه وترجماته لعيون الشعر والقصص الفرنسي الى العربية ، كما يطيل الوقوف لدى المتنبي في حكمه وروائعه ، والمعري في فلسفته وتطيره ، وابن الرومي وبشار في صورهما البيانية وبراعتهما الفكرية .. وتظل هذه الآثار الأدبية الشامخة ، وغيرها ، تعمل عملها السحري في تعميق ثقافته ، وتكوين أدواته التعبيرية ، وصقل موهبته الشعرية ، فنراه ــ وهو لايزال صبيا بالصف الثالث الابتدائي ــ يجيد النظم ، لدرجة أن قصيدته التي نظمها في المولد النبوي الشريف في ذلك الحين ، يتم اختيارها بمعرفة هيئة التدريس بمعهد قنا الديني ، لتلقى أمام مدير المديرية بقنا ، بعد كلمات أساتذة المعهد مباشرة.

ومن عجب أن هذه القصيدة نفسها، هي التي نشرت بعد ذلك بزهاء نصف قرن من الزمان ، بعد تعديل طفيف ، بمجلة الأزهر ،في ذات المناسبة العطرة ومطلعها :

نور يشع على الدنا وضياء
لا الشمس تبلغه ولا الجوزاء

والأمر الأعجب أن الشاعر « محمد صان الدين » لم يمض قدما على الدرب في نظم الشعر فقد مزق كل ما تجمع لديه من شعر ، في لحظة يأس ، وانقطع تماما عن نظمه لفترة طويلة تقرب من عشرين عاما ، كانت كفيلة بانضاب ينابيع الشعر في مخيلته ، بعد مالاقى من المثبطات ، ومن عنت الحياة .. بسبب مشاكل أسرية واجتماعية عويصة ، وما لاقى من انكار وجحود واحباط ، يتمثل في الحط من قدر الشعر ، ممن ليسوا بأهل للحكم عليه وتذوقه .

الا أن شاعرنا ،على الرغم من ذلك كله ، اندفع مترنما فجأة بعد طول الصمت والاحتباس ، وكأنه النهر الذي يتدفق مزبدا ، ليكتسح ما يعترض طريقه من صخور وجنادل ليقول بقصيدته (بأشدو) :

أأفصح أم أموت بما أعاني
وأمضي بين تيار الزمان
وفي قلبي أنا شيد عذاب
وفي الوجدان أبكار المعاني
وأطمر تحت أنقاض الليالي
عديم الذكر مجهول المكان ؟

كلا،لن يحدث ذلك ، وملكة الشعر القوية لديه ، لازالت تعتمل في كيانه وتمور في وجدانه ، وان بدا (السطح) ساكنا هادئا .. ويستطرد بعد ذلك قائلا :

وكم في القاع من دُرّيتيم
خفي .. لم تلامسه يدان
كتمت روائع الأنغام دهرا
وقيدت الشوارد في جناني
وعشت ، كما يعيش الغمر قدما
حليف الصمت معتقل اللسان
فلم تنبس بأفكار شفاهي
ولم يخطر على طرس بناني

ياللخسارة ! وياللمأساة الداوية التي يصورها قوله بعد ذلك ، بطواعية واقتدار ، لما شيع وأشاع :

تقضى من حياتي ما تقضى
وموج الشعر يهدر في كياني

واقران الخواطر فى اقتتال
كأن القلب ميدان الطعان
ويختتم قصيدته تلك ، بهذا البيت الفريد :
أنائى دوحة الدنيا هزار
وهل يحيا الهزار .. بلا أغان ؟ !
لا وربى ! .. والا فما الفرق بين الهزار .
واليوم !أومن العجيب حقا:أن شاعر السويس الراحل محمد فضل اسماعيل ، صادف فى حياته فترة انقطاع طويلة أيضا ، عن نظم الشعر ، وحينما فتح الله عليه ، نظم قصيدة من نفس البحر والقافية فى الثلاثينيات فى نفس الغرض ، استهلها بقوله :
أطلت الصمت فاتهموا بيانى
وعفت اللغو فاتهموا لسانى
وغالبت الشجون فقيل ماتت
عواطفه .. وعاش بلا جنان
وكم فى الصمت من آى فصاح
وكم فى الصمت من بكر المعانى
اذن من أنت ؟!.
يجيبنا الشاعر بعد ذلك عن تساؤلنا هذا ، من يستقلى قائلا :
ولكن عازف لم يلق عودا
يهيج رنينه طرف البنان
وشاعر أمة لم يلق فيها
سوى قصص وأحداث روانى
ويخلص بعد ذلك الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، بقوله :
فيا قلمى مدحتك يوم تلهو
ويا شعرى اطرح ذكر الحسان
وهزا هذه الدنيا وصوغا
تحياتى قلائد من جمان
وخصا خير مبعوث بآى
يرددها المدى والخافقان
فباسم (محمد)بسمت ليال
وباسم (محمد) . صفت الأمانى
وقد اتفق مثل ذلك من قبل ، لشيخ الشعراء (اسماعيل صبرى) ، فى قصيدته عن (الدواة) التى انتهى فى ختام مناجاته لها ، الى قوله مادحا رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فاذا لم يكن بقلبك الا
ما أعد الاخلاص للمخلصينا
فاجعليه (١) حظى لأكتب منه
شرح حالى .. لسيد المرسلينا
وفى قصيدة (صمت الطيور) نجد الشاعر محمد صان الدين وكأنه كان يخاطب بنات أفكاره هو التى لم تعد تواتيه بأبيات الشعر ، حينما يقول متعجبا ومتحسرا :
لم لا تغنى يا طيور
لم لا تطيرى فى البكور
مالى أراك قد انطويـ
ـت فلا رفيف ولا حبور
وركنت للصمت الحزين
وانه القلب الحسير
وكأنه يتذكر ماضيه المنصرم فى قرض الشعر الذى مزقه وأنكره من قبل حينقول :
انى عهدتك تصدحين
بكل الحان السرور

(١) أى المداد .

وترفرفين علـى الخمـــا
ئل والجـداول والجسـور
حيث الوداعة والأمـــا
ن ودفء مضجعك الوثـير

الى أن يقول :

مــاذا دهـــاك فصـــرت دا
مية المدامــع والشعور
وتحول المـــرح الجميـــ
ــل .. الى انين او زفـير

ويتولى هو الاجابة بنفسه عن هذه التساؤلات ، التى تضع النقاط على الحروف ، بقوله :

الروض صوح ايكـــــه
والمـاء غاض من الغدير
والأرض قد غصت بفتـــاك
الأفاعي والنمــور
والجـو قد ملكته أسـ
ـــراب الجوارح والصقـور
والعيش تحكمه قـــوا
نين المخـالب .. والغـرور

وفى هذه الأبيات الرمزية افصاح عما لاقى الشاعر من المصاعب والمنغصات فى حياته الحافلة .. ولم يقتصر عطاء الشاعر على الابداع الشعرى فحسب ، بل نراه يتجه مؤخرا الى القصة القصيرة ، يوحى سليقته لتتاح له حرية الحركة للتعبير عن بعض الافكار والخواطر ، التى تعن له ، ولا ينصاع لها الشعر فى قيوده ، قدر انصياع النثر بترسله وانطلاقه .. وكان من نتاج ذلك قصصه التى تحمل عناوين : (المرآة) (١) ، و (العقدة)(٢) و (خنس الأحول) (٣) و (فى البرزخ)(٤) وغيرها .. والتى أفسحت لها كثير من المجلات الأدبية والدينية صدرها ، بمصر ودول العالم العربى .

ومهما يكن من أمر ، فان الشاعر (صان الدين) لا يبدع شعرا أو نثرا ، الا من منطلق عقيدته الدينية الاسلامية الراسخة فى وجدانه منذ طفولته ، والتى جعلته يجأر بالابتهال الى مولاه ، بقصيدته (ياربا ه) قائلا :

أتغسل كل اخطائى الـدموع
ويمحـوها التبتـل والخشـوع ؟
اذا مـا الليل غاض علـى الروابى
وغاصت فى دياجره الـربوع
ولف الصـمت حولى كـل شىء
وغشى أعـين النـاس الهجوع

الى أن يقول بخشية واجلال :

اتحرقنى بنـارك يـا الهى
وضعفى عند بابك لـى شـفيع
فمـن بالعفـو والغفـران يحظى
اذا مـا فـاز بالخلـد المطيع ؟

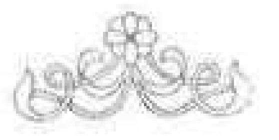
ولقد يعجب القارىء اذا علم ان هذا الشاعر المجيد لم يصدر له ديوان بعد ، ولذا كم نهفو الى رؤية نتاجه الشعرى بين دفتى ديوان ، يصونه ويستنقذه من يد التشتت والضياع .
والله ولى التوفيق ... يتبع

---

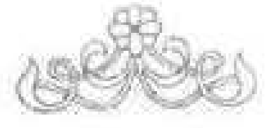
(١) بمجلة الوعى الاسلامى عدد ربيع الاول سنة ١٤٠٣ هـ .
(٢) بمجلة الوعى الاسلامى عدد جمادى الاخرة سنة ١٤٠٣ هـ .
(٣) مجلة الوعى الاسلامى عدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ .
(٤) بمجلة منار الاسلام عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٤ هـ

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



البحوث المدنية في ميزان الإسلام



الدين والدنيا معا

٣

الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

فى سورة الطور يقسم رب العالمين بالسقف المرفوع فيقول :

« وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ » الآية (٥) ، ويقول فى سورة الرعد الآية (٢) :

« اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا » ، ويذكر هذا السقف المرفوع ويلفت الأنظار الى خدماته التى يؤديها لأهل الارض فيقول فى سورة الانبياء الآية (٣٢) :

« وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ » .

فما هو ذلك السقف المرفوع والمحفوظ ؟ ومن هم الذين يعرضون عن تدبر آياته وعدم التفكير فى خدماته ؟ هذا هو مجمل موضوع هذا المقال نبين فيه بايجاز كيف يستبعد القرآن الكريم عنصر (الصدفة) الذى ينادى بـه الكافرون والمكابرون فى تفسير نشأة الكون وماحوى من آيات بينات ونظام شامل لا يتغير بتغير الزمان او المكان ، ويحتكم القرآن فى كل ذلك الى العقل السليم ، ويلقى اللوم على من لا يسمع أولا يعقل ، فيقول فى سورة (الملك) الآية (١٠) :

« وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ » .

وهذا هو العمق الثالث للإعجاز العلمى فى القرآن الكريم .

اننا سوف نقصر الحديث على الثابت من حقائق العلم ، من غير أن نحمل الآيات ما لا طاقة لها به :

والسماء فى اللغة اسم لكل ما ارتفع فوق رؤوسنا وعلانا ، وعلى هذا النحو يعنى لفظ السماء هنا غلاف الأرض الجوى الذى يرتفع الى نحو ١٠٠٠ كيلو متر فوق رؤوسنا .

ثم الفضاء الكونى الذى تسبح فيه أجرام السماء من شهب ، ونيازك ، وكواكب ، وأقمار ، ونجوم ، وسدم ، ومجرات .

ولا تقع أجرام السماء هذه على سطح أو سقف واحد ، فمواقع النجوم يختلف بعدها عنا

بقلم أ . د .
محمد جمال الدين الفندى

بمسافات تفوق حدود الوصف والخيال ، حتى أن منها مجموعات تكون مجرات يبلغ بعدها عنا آلاف ملايين السنين الضوئية بحيث تبدو الواحدة من تلك المجرات النائية كأنها مجرد نقطة ضوء (أو نجم واحد) ، وهكذا تعرف علميا باسم أشباه النجوم (أو الكوازار) .

ومن المعجز حقا أن يقسم الخالق جل وعلا بمواقع النجوم في (سورة الواقعة) الآية (٧٥) والآية (٧٦) فيقول :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ » .

والخلاصة أن نجوم السماء وسائر أجرامها لا تقع على سطح واحد أو قبة بالذات .

وأن القبة السماوية التى تبدو ليلا مرصعة بالنجوم هى مجرد صورة ظاهرية فقط لا تمثل الحقيقة والواقع من حيث مواقع النجوم .

أما القبة الزرقاء التى نراها فوق رؤوسنا أثناء النهار فهى مجرد ظاهرة ضوئية تحدث فى هواء الأرض أو غلافها الجوى السفلى الذى يرتفع الى علو نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط فوق سطح الأرض ، وذلك بسبب وفرة وغزارة تشتت أو تناثر أشعة الشمس الزرقاء التى ترسلها الشمس مع سائر أشعتها أثناء النهار .

ومعنى ذلك أن ارتفاع القبة الزرقاء فوق رؤوسنا لا يزيد على نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط ، وعندما يصعد رجال الفضاء فوقها بالصواريخ ، أو بالأقمار الصناعية ، يرونها من تحتهم بينما يبدو الفضاء الكونى على حقيقته مظلما حالك الاظلام ، ويزداد عدد النجوم بسبب ظهور تلك التى يحول دون رؤيتها غلاف الارض الجوى ويحجب اضواءها الخافتة . كل ذلك كما تبدو الشمس متوهجة جنبا الى جنب مع سائر نجوم السماء ، حتى ليخيل لرجل الفضاء لأول وهلة كأنما قد سحر بصره أو أصيب بمرض عصبى . ولعله فى هذا المعنى يقول القرآن الكريم فى سورة الحجر الآية (١٤) مثلا :

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » .

ومهما يكن من شيء فانه من وجهة نظر العلم ــ على الأقل ــ ليس للأرض من سقف سوى غلافها الجوى الذى يتكون معظمه من غازى « الأزوت والأوكسيجين » بنسبة ٩٩ فى المائة تقريبا ، بالاضافة الى بعض غازات أخرى نادرة ومقادير مختلفة من بخار الماء .

ولعل أهم ما يثير عجب القارىء الكريم فى أمر هذا السقف أنه ليس من مادة صلبة على

غرار كل الأسقف التى نألفها . وأعجب من ذلك أننا اذا جمعنا أمهر مهندسى الأرض ليصمموا لها سقفا تتوفر فيه بعض المزايا والخدمات التى يؤديها الغلاف الهوائى لأهل الأرض ما استطاعوا الى ذلك سبيلا !

ان هذا السقف مرفوع الى علو ألف كيلو متر فوق سطح الارض بقوة اندفاع الهواء الى الفضاء الكونى ، أو الفضاء الذى تسبح فيه الأرض ، فمن أهم خصائص الغازات ــ ومنها الهواء ــ شدة ميلها للانطلاق الى الفضاء « أو الفراغ تجاوزا » الذى تعرض له . وعلى هذا النحو توجد قوة تدفع الهواء الى أعلى ، الا أن الارض بدورها انما تمسكه بقوة جاذبيتها وتحول دون تسربه الى الفضاء الكونى . وتتعادل القوتان فيظل الغلاف الجوى مرفوعا بغير عمد نراها ، كما يظل محفوظا بأكمله أبد الدهر ولا ينساب الى الفضاء الكونى كما حدث على القمر نظرا لضعف جاذبيته فأصبح القمر عالما بلا سقف وهكذا تسرب ماؤه أيضا وصار غير صالح للحياة . وهذه الحقائق العلمية المشاهدة انما تفسر لنا ببساطة قوله تعالى :

« **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا** ... »

أما قوله تعالى :

« **وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** » .

فهى قبل كل شىء اشارة صريحة الى استبعاد عنصر الصدفة عندما ندرس وننظر الى الخدمات والمنافع التى يوفرها لنا هذا السقف ، ذلك لأن الصدفة لا يمكن أن توفر لأى شىء العديد من الفوائد ولا يمكن أن تجعلها مستمرة أبد الدهر . والحقيقة العلمية التى لا جدال فيها هى أن الصدفة التى ينادى بها الكافرون ويركن اليها الجاحدون لا يمكن بأى حال أن توفر لسقف الأرض من الفوائد والخدمات عشر معشار ما يوفره غلاف الارض الجوى وهو السقف الذى صنعه الله تعالى . ويقيم القرآن الكريم الحجة على الكافرين وكأنه يقول : أن مجرد دراسة خدمات سقف الارض المرفوع بغير عمد نراها يجعلهم يستبعدون عنصر الصدفة ويؤمنون بالخالق المدبر القدير .

والآن دعنى الخص لك أيها القارىء

بعض تلك الخدمات أو الآيات فى ظل الثابت من حقائق العلم .

فأولا ــ وقبل كل شىء : لو أن سقف الأرض كان جسما صلبا لجعل من أهل الأرض كائنات داخل أشبه شىء بالصندوق المقفل الذى يحجب ضوء الشمس والقمر والنجوم ، ويحول دون مشاهدة الكون الفسيح المترامى الاطراف . ومعنى ذلك فى واقع الامر انعدام مقومات الحياة على الأرض ، وانتشار الجليد الدائم .

ولولا سقف الأرض الذى خلقه الله تعالى بحكمته وعلمه لتبخرت المحيطات وتسربت أبخرتها الى الفضاء الكونى ، وصارت الأرض عالما ميتا خربا على غرار القمر ، والمعروف أن الماء هو أساس الحياة :

« **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** » .

سورة الانبياء الآية (٣٠)

ثانيا : فى سقف الارض يوجد غاز الاوكسيجين اللازم لحياة كل الكائنات على الأرض ، حتى الكائنات البحرية انما تعيش على حساب الأوكسيجين المذاب فى الماء . ويدخل

الاوكسيجين الى الرئتين مع هواء الشهيق ليجدد نقاء الدم ويكسبنا القدرة على العمل . وتقل مقادير الأوكسيجين « وضغط الهواء الجوى بصفة عامة وتتناقص سريعا بالارتفاع فوق سطح الارض ، كما يحدث عند تسلق الجبال العالية ، أو عند التحليق بالطائرات أو بالصواريخ أو بالأقمار الصناعية بعيدا عن سطح الأرض . وعند ذلك يشعر المرء بالحاجة الى مقادير اكبر من الهواء الذى يستنشقه ، أو فى معنى آخر هو يشعر بضيق الصدر ، حتى يحدث الاختناق على ارتفاعات تتجاوز ١٢ كيلو مترا مثلا ، ما لم يكن داخل غرفة أو حلة مكيفة محكمة الاغلاق تتوفر داخلها نفس الظروف الطبيعية التى على سطح الارض . ونحن نجد الاشارة الى هذه الحقيقة الكونية فى قوله تعالى :

« وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » سورة الأنعام، الآية (١٢٥) .

ثالثا : يحتوى سقف الارض أيضا على غاز ثانى أوكسيد الكربون الذى يخرج مع هواء الزفير وكافة عمليات الاحتراق .. وفى ضوء الشمس تأخذ النباتات هذا الغاز لتستخلص منه عنصر الكربون ولكى تحوله الى خشب ، أو الى سكر ، أو الى نشا ، أو زيوت .. وذلك بتدخل المادة الخضراء التى فى الأوراق ، والتى تعرف علميا باسم (الخضر) ، أو (اليخضور) ، أو (الكلوروفيل) . ونحن نجد فى سورة الانعام الآية (٩٩) مثلا اشارة صريحة « ومعجزة علمية » الى كل ذلك :

« وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا » .

رابعا : يحتوى هذا السقف الذى تتعدد آياته على بخار الماء الذى تحمله الرياح وتثير به السحب عندما تصعد :

« اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا .. » سورة الروم الآية (٤٨) ، وعندما تستمر الرياح الصاعدة فى تلقيح السحب أو امدادها ببخار الماء وتوى التكاثف اللازمين للامطار فان السحاب يجود بالمطر :

«وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ » سورة الحجر الآية (٢٢) .

خامسا : يحدث ضوء النهار فى الطبقة الرقيقة من هذا السقف (أو طبقة الغلاف الجوى) التى تعلو سطح الأرض مباشرة ، والتى يعيش فيها الانسان ويمارس نشاطه ــ ... يحدث ضوء النهار نتيجة تشتت أو تناثر ضوء الشمس فى تلك الطبقة لأن كثافتها عالية نسبيا .

وتنسلخ تلك الطبقة ، ومن ثم ينسلخ النهار من الظلام الذى يخيم على الأرض وباقى الغلاف الجوى والفضاء الكونى ، بدوران الارض حول محورها أمام الشمس بحيث تظل تواجه الشمس دائما :

« وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » • يس الآية (٣٧) •

ولا يتسع المقام للكتابة عن تفاصيل المزيد من الآيات الأخرى التى يؤديها سقف الأرض لأهل الارض ، ولكن يمكن ذكر اهمها فائدة مثل :

١ ـ فى الغلاف الجوى يسرى الصوت وبذلك يمكن أن يسمع بعضنا بعضا ، مما لا يتوافر على القمر •

٢ ـ يحمينا هذا السقف من أهوال الفضاء مثل درجات الحرارة المنخفضة جدا ، مثل (٢٧٠) درجة سنتجراد تحت نقطة تجمد الماء •

٣ ـ يحرق الشهب فى أعالى الجو ، وتكون أكاسيدها الناجمة عن الاحتراق نوى تكاثف جيدة عندما تروح متساقطة الى مناطق اثارة السحب • ولهذا يقال ان السنين التى تمر فيها الأرض بأسراب وفيرة من الشهب تعتبها فى العادة سنين مطيرة •

٤ ـ يفتت النيازك قبل أن ترتطم بالأرض وما عليها فيحول دون حدوث دمار واسع النطاق فى حالة نزول النيازك •

٥ ـ تعمل الرياح على توزيع الطاقةالحرارية فى جو الارض بحيث تنقلها من مناطق وفرتها بين المدارين الى مناطق شحنتها عند القطبين ، وتعرف التيارات الرئيسية للهواء باسم (الدورة العامة للرياح) •

٦ ـ فى الجو يطير الطير •

٧ ـ كانت للرياح اهميتها فى دفع السفن الشراعية قبل عصر التكنولوجيا •

للبحث بقية

أ • د • محمد جمال الدين الفندى



والبحوث المدنية في ميزان الإسلام

للأستاذ كارم السيد غنيم

انه لن الواضح الجلى أن العلم نور يضىء للانسان ظلمات حياته ويمحو ظلامها ، وهو المحرر لعقله من القيود التى اثقلته والأصفاد التى أعيته عبر حقب من مسيرته منذ هبط الى عالم الأرض ليحقق الخلافة التى أرادها الله منه فى حياته الدنيا .

وان الناظر فى آيات كتاب الاسلام الخالد « القرآن » ليجد العديد منها يدعو بكل قوة الى حرية العلم وانطلاق الفكر واتباع التأمل والبحث والتقصى واعمال العقل فى النظر والتدبر والفحص والسعى فى سبيل تقدم مقرون بايمان وعبادة لله الواحد القهار .

بل ان الاسلام بأساسيه : القرآن والسنة يدعو المسلمين الى الأخذ بكل وسائل التحضر والمدنية الرشيدة النقية من أدرانها وأدوائها .

وكانت نقطة البداية فى هذه الدعوة الكريمة هى آيات تدعو الى ما أسلفناه ، تلك هى :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق ١ — ٥) .

ولقد أنزل الله خاتم الكتب السماوية وجعله مميزا وجعله :

معجزا فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه .

معجزا بما قصه من سير الأولين .

معجزا بما تضمنه من تشريعات حكيمة .

معجزا بما حواه من مثل عليا تتفق وطبائع البشر السوية وتكمل فطرهم وتضمن سعادتهم .

معجزا بما احتوى عليه من آيات العلم والمعرفة الصحيحة فى مجالات العلوم المادية وأنواع المعارف الكونية حتى أعجز علماء الحضارة المعاصرة ناهيك برجال القرون الأولى



الذين لا مجير لهم ولا سفينة نجاء .

جاء هذا الدستور الحكيم والكتاب القيم بعلوم ومعارف تقطع بالحق اليقين أنه منزل من لدن حكيم عليم ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

« الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم ١) .

« كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » (ص ٢٩) .

« أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » (الشعراء ٨) .

« أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (الاعراف ١٨٥) .

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب » (الزمر ٢١) .

وحينما دعا القرآن الى وحدانية الله والى أحديته ، فانه عمد في ذلك بالدعوة الى استعراض آفاق الدنيا والتفكر في جوانب الكون والتدبر في ظواهر الحياة حتى تنبعث في النفوس بواعث التسليم بوحدانية الخالق ، وحتى تذعن العقول بمطلق القوة والحكمة والعظمة له سبحانه وتعالى ، وحتى توقن القلوب بأحدية ربوبيته ومطلق قيوميته على سائر خلقه وكافة مخلوقاته ، ولنذكر على على ما ذهبنا اليه من الكتاب العزيز آيات بينات تدعو الانسان الى التقلب في علوم الكون وجوانب الطبيعة حتى يخلص من ذلك الى الايمان والاذعان لله بالالوهية المطلقة والربوبية المحضة ، حيث يقول الحق جل وعلا :

« إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم

لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ... ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » (الانعام ٩٥ ــ ١٠٣) .

ميادين العلوم الكونيـة :

حينما نتكلم عن الكونيات وعلومها وجوانبها ومجالات النظر فيها ودعوة الاسلام الى ذلك فان من الجدير معرفته معانى الكون ومقاصده وأنواع علومه ومعارفه فالكون كل ما يحيط بالانسان من أرض وسماء ونبات وحيوان وجماد وماء وهواء ، ويطلق عليه أحيانا مصطلح « الطبيعة » (Nature) الا أنه فى قليل من الأحيان يعبر عنه بلفظ « البيئة » (Environment) وعلماء الغرب يستعملون الآن كلمة « الطبيعة » استعمالا غير الذى كان مستعملا عندنا فى كتب الفلسفة القديمة التى كانت عند المسلمين والمأخوذة عن اليونان فكلمة « طبيعة » بالعربية ــ وكذلك فى مختلف اللغات ــ يقصد بها حاليا كل ما فى هذا الكون الفسيح ، كما أننا من الممكن بل من الأفضل أن نطلق على مقصود الطبيعة مصطلح « عالم الشهادة » ذلك الذى نصل اليه بحواسنا المجردة أو المستعينة بوسائل (تقنية) وأساليب علمية . وكلمة « الكون » (Ecosystem) استخدمت قديما أيضا وفى القرآن اشارة اليها حيث يقول الحق جل وعلا « **انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون** » (النحل ٤٠) فالكون هو الذى كونه الله وخلقه (١) .

والقرآن الكريم حينما يتعرض لمسائل كونية فانه يتميز فى تعرضه هذا بخصائص يمكن اجمالها فيما يلى :

(أ) **الدعوة الى الاهتمام بالكونيات نظرا وبحثا وتدبرا ورؤية** لآثار الخالق العظيم ودلائل قدرته فى مخلوقاته ومر معنا بعضا من الآيات الداعية الى ذلك .

(ب) **الشمول** : حيث أن تناول القرآن للاشياء يأتى شموليا ، فتناوله للنباتات أو الحيوانات أو الافلاك أو البحار أو طبقات الأرض أو غير ذلك يأتى بطريقة العموم وهذا لا ينفى التفصيل أحيانا ، وقد تضم الآية القرآنية تفصيلا لأنواع مخلوقات ثم تعقبها بتعميم أو العكس حسب هدف الآية وما تدعو اليه ، ومن النماذج الدالة على ذلك قول الله تعالى :

« **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ، يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** » (النحل ــ ١٠) .

(١) لذا يأخذ تعريفه فى العقيـدة بأنه .. اى الكون : ماسوى الله ... مجلة الأزهر .

« وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ » (النحل ٨) .

(جـ) **الديناميكية** : كل شيء تناوله القرآن من المحتويات الكونية انما يدل على استمرارية الحركة فيه ، حتى لنجد أن الاشارة الى (ديناميكية) الكونيات والظواهر الكونية قد امتدت الى الوحدات البنائية في الكون والتى اكتشف العلم الحديث أنها أجزاء من الذرة التى أعتقد قديما انها أدق مافى الوجود ، ومن النماذج القرآنية فى هذا الصدد قول الله تعالى « وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » يس ٤٠ .

« وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ » (الحج ٥) .

« وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » (النمل ٨٨) .

(د) **السببية** : يشير القرآن الى توالى حوادث الكون واستمرارها تبعا لنواميس وضعها الله سبحانه وتعالى لتسير عليها ظواهر الوجود ، وكل حادثة فى الكون تتلوها أخرى وتترتب عليها ثالثة ، وهكذا لنرى الكون كله أجزاء مترابطة لا انفصال بينها ولا تعارض أو تفكك وذلك دال دلالة واضحة على ترابط كتاب الله المنظور وتكامل أجزائه وانسجام آياته ذلك أن الكون كتاب الله المنظور والنواميس التى تسير عليها الأحداث والظواهر الكونية هى ما نسميه « سنن الله الكونية » والتى يطلق عليها أحيانا « قوانين الطبيعة » .

(هـ) **تهذيب نظرة الانسان الى ظواهر الكون** : ذلك أن الاسلام حارب أمور الكهانة والخرافات والاساطير التى حيكت عبر الأزمنة حول ظواهر فلكية أو احداث كونية ، حتى اعتبر أن الكهانة والعرافة والتمائم وما شاكلها ضروبا من الشرك .

لقد دعانا الاسلام الحنيف بأن نأخذ بأسباب القوة والمنعة وأن نسلك كل سبيل العلوم وميادين البحوث التى من شأنها تسهيل حياة الانسان على هذا الكوكب الأرضى وتذليل وتسخير كل مكونات الوجود التى خلقها الله ، فاذا كان الله قد سخرها طوع ارادة الانسان فان من هذا التسخير أيضا أن وهبه آلة التفكير فى توسيع مجالات التسخير الا وهى العقل ، وما من علم الا وجدنا له أصل فى كتاب الاسلام الخالد تصريحا أو تلميحا، ولا نود عقد سباق بين القرآن والعلوم الحديثة ، وان ما نريد قوله هو أن الفاهم للقرآن فهما رشيدا يجد لكل مسألة فى الكون ما يهديه الى التفكير فيها أو يرشد مسلكه خلال بحثه لها ، وأمام علماء الكونيات المسلمين نشير الى قضايا هامة :

اولها : استمرارية التقدم العلمى وعدم ثبات الكشوف العلمية :

من المعلوم أن الوصول الى القانون العلمى يستلزم أمرين :

أولهما : الحصول على الحقائق ، وهذا لايتاتى الا بالوسائل الحسية .

والامر الثانى : هو الاستنتاج . ولما كان الامر كذلك فاننا لا نتوقع أن يكون أى قانون علمى نهائيا ولا يحتمل التغير أو التبديل ، اذ أن وسائل المشاهدة وجمع البيانات تتطور باستمرار مع ازدياد المعلومات التى تتوافر لدينا ويؤدى هذا التطور الى تحسين يكشف عن تفاصيل أغفلتها الوسائل الأولى ، ولم تدخل فى الحسبان عند التفكير فى الاستنتاج .

كذلك فان الافكار والمقومات التى يبنى عليها الاستنتاج تتطور بازدياد الخبرة البشرية ويتسع أفقها بازدياد المعرفة . فاذا كان شخص ما يرى منظرا طبيعيا بعينه المجردة من مسافة بعيدة عنه ، فانه تتكون لديه صورة عنه تختلف عنها اذا استخدم فى ذلك منظارا مكبرا ، ففى الحالة الاخيرة يمكنه أن يصف لنا أنواع الاشجار ومحتويات المنظر غابة كان أو حقلا أو حديقة ، واذا كان هذا الشخص متخصصا فى علوم الحياة (Biology) استطاع أن يمدنا بتفاصيل أخرى دقيقة ، وهكذا نجد ان الحالات الثلاث صادقة ولكن كل على حسب وسائله وامكانياته المتوفرة لديه .

ولكن هناك نظريات لاقت من الترويج المغرض أيام ظهورها (كما سنوضح بعد) ما يمكن لها من الانتشار وذيوع الصيت على الرغم من نقض الكشوف العلمية الحديثة لجوانب أو نصوص منها ، فمثلا نظرية التطور المطلق (Theorem of Absolute Evolution) التى سرت فى آفاق العالم حتى اعتبر كلام داروين ولامارك وهكسلى (Darwin, Lamark and Huxley) من المسلمات العلمية وما توصلوا اليه يعد من الحقائق الثابتة ، أظهرت البحوث العلمية الحديثة بوسائلها المتقدمة وبآراء العلماء المنصفة المحايدة تصدعا كبيرا فى جدران نظرياتهم ، وليس هنا محل التفصيل فى ذلك .

ثم من النظريات أيضا التى اكتشف العلم الحديث خطأها نظرية التضاد بين المادة والطاقة (Antagonism between matter and energy) حيث توصلنا الى أن المادة والطاقة شكلان لشىء واحد ، التحول بينهما مستمر وخاضع لقانون ثابت ، وأن الاصل فى الشكلين هو الاشعاع (Radiation) . وحيث ان الاشعاع أحد عناصر الضوء ، اذا فالضوء هو نقطة البدء فى الموضوع كله . وهدم نظريات أو نقض بنائها أو اكتشاف أخطاء فيها ينفى كمال العلم .

يقول العالم ول ديورانت (Wel Deurant) (أين ذهبت اليوم قوانين نيوتن (Newoton) العظيم حيث قلب اينشتين (Einstein) وغيره الكون رأسا على عقب ، وأين مكان نظرية عدم فناء المادة وبقاء الطاقة فى الميتافيزيقا (Metaphysics) المعاصرة وما يكتنفها من فوضى وتنازع مما أصاب علومنا ، وهل فقدت فجأة قداستها وما فيها من حقائق أزلية ؟ !!!

أيمكن أن تكون قوانين الطبيعة سوى فروض انسانية ، هذه الحقيقة الناصعة التى يجهلها الكثيرون : وهى أن القواعد العلمية الحديثة ليست سوى فروض قام الانسان بوضعها لتفسير الغوامض التى تحيط به من كل جانب ، وقد يكون نصيبها النجاح أو الفشل ، واذا أصابها النجاح فالى أى مدى وزمن مقدر عندما ظهرت النظريات الجديدة التى أثبت العلم وجودها ببراهين رآها العلماء مقنعة ونسخت النظريات القديمة وحلت محلها ، فاذا بالجديدة تعجز عن تعليل بعض الظواهر !!!) .

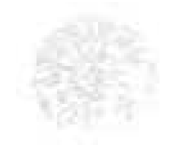
ومن هنا علينا أن نستخدم تعابير كحقيقة علمية (Fact) مثلا فى حدود ضيقة وليست بالمعنى الذى يفهمه عامة الناس ، **اذ ليس هناك ما يسمى حقيقة علمية مطلقة ،** حيث أكد ذلك العالم الكونت دى نواى (Cont de Nouy) الذى يقرر (أن التغيير لا الثبوت هو الطابع الذى يتميز به العلم — اليوم — وأن أبحاث العلماء وأقوالهم تؤكد نقص العلم البشرى وأن هذه النظرية الجديدة هى الصحيحة — هذه جديدة على فكر ذلك العالم أما بالنسبة للانسان المسلم فهو يعلم يقينا قول الله عز وجل « **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** » — التى تعبر عن الحقيقة والواقع ، وتساهم بدفع العلم الى الأمام بعكس النظرية القديمة التى تشكل أكبر عقبة فى طريق ازدهار العلم وقطف ثماره) .

ثانيا : وجود بعض القوى العالمية وراء ترويج المذاهب والنظريات :

لقد عرف العالم الحديث الآن أن ما اكتشف خطأ فى دائرة المعارف البيولوجية قد كشف القناع عن ظاهرة مرة اذ ما كان لهذه المذاهب أو النظريات أن تحظى بما نالته من الشهرة والانتشار لولا تبنى جهات عالمية ذات أهداف معينة ، ولولا نفع هذه المذاهب والنظريات بما يحقق النفع لهذه الجهات او الفئات فى النهاية فى تدبير خبيث مبيت فى ليل بهيم ولعل ما يوضح ذلك ويفصله هو كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » الذى ترجمه الى العربية محمد خليفة التونسى .

يتبع

كارم السيد غنيم





الدين والدنيا معا

للأستاذ محمد فريد وجدى

إعداد:
الأستاذ عبد الفتاح الزيات

الاسلام : بما شرع الله فيه من احكام ، وسن فيه من قوانين وبما هيأ لاتباعه من اسباب البحث والسعى ،وحث على الحركة ، نجده فى ذات الوقت ينهى عن الكسل والتواكل . ذلك لان شرع الله جعل الايمان والعمل قرينين متلازمين . بل انه جعل العمل من كمال الايمان .

والشريعة الاسلامية شريعة حياة . ولا حياة بدون حركة . ولكن ينبغى أن تكون حركة واعية منتجة . مثمرة لا حركة تخبط وتخليط .

جميل أن يبتل المرء ــ المؤمن ــ وسعه فى العبادة . ولكن الأجمل أن يقرن العبادة بالعمل . لان الانقطاع للعبادة بالكلية انقطاع تبتل وترهب يضاد ناموس الحياة .

لقد خلق الله الانسان . وجعله خليفته فى عمارة الكون بالسعى والكفاح وعمارة الأرض . والعيش فى الدنيا بما احل الله فيها من الطيبات من الرزق فيذوق ثمرة كفاحه وعمله فيذكر نعمة الله عليه .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم . المسجد يوما فاذا رجل متعبد فى مكانه لا يبرحه ليلا او نهارا . فقال : من هذا ؟ قالوا : عابد منقطع . فقال : فمن

ينفق عليه ؟ قالوا : أخوه . فقال عليه الصلاة والسلام « أخوه أعبد منه » .
او كما قال ـ صلى الله عليه وسلم

وفى هذا أبلغ توجيه لأولئك الذين يتركون السعى والضرب فى الارض ناسين قوله تعالى : « وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » زاعمين ان كمال الايمان لا يتحقق الا بالجلوس فى صومعة أو مسجد تعود تبتل وترهب والدين الاسلامى لا يقر هذا ولا يرضاه . قال تعالى : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »

قال الاستاذ الكاتب ـ رحمه الله

الدين والدنيا معا

« رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً »

مما يأخذه علماء الاجتماع على اكثر المتدينين انهم يقصرون فى التبسط فى الماديات ، ولا يتناولون منها ما به استصلاح معيشتهم . واستكمال حاجاتهم . بل من الاديان ما صرف الناس عن الماديات جملة ، اما ذهابا منها الى الطرف المناقض لما عليه المترفون ، ليثوب الناس الى اعتدال ، كما يعالج الأخلاقيون المصاب بالسرف بلزوم الامساك المطلق لتتذوق النفوس فضيلة الاعتدال فتعول عليها ، واما تضليلا من قادة الاديان للناس ، ليتركوا ما بأيديهم ليستأثروا هم به ، وفى تاريخ الاديان امثلة كثيرة لهذين الأمرين.

ولاننسى أن التدين فى ذاته يحبب فى الزهد فى الدنيا ، والانصراف لأمور الآخرة ايثارا لما هو خير وأبقى . ولقد كان لتغالى بعض الأمم فى هذه النزعة أثر كبير فى تأخير النهضات الاجتماعية ، وخاصة بعد أن تخلصت أوروبا من الوصاية الكنسية ، واندفعت فى طريق استكمال الوسائل العلمية والاقتصادية ، فزاحمت الأمم المقصرة فيها على ما بيدها ؛ فكان ذلك موجدا لعوامل جديدة فى جمودها .

فان كانت توجد أمة يقيها دينها من مثل هذا الجمود المادى ، فهى الامة الاسلامية ، لأن دينها يدعوها للاهتمام بحاجاتها المادية ، ويحثها على العمل لدنياها ، استكمالا لوجودها العالى الذى يستدعى أن تكون منها مثلا أعلى للامم فى الأرض فقال تعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ » .

وأمر المسلم أن يقول فى دعائه : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » وقال تعالى : « وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ » .

وحثت السنة النبوية على استغلال الارض واحياء مواتها ، وعلى السعى على المعاش من جميع الوجوه المشروعة وصرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ادخار المال ليس فيه بأس فقال : « ما أديت زكاته فليس بكنز » أى اذا أديت زكاة ماليك من الذهب والفضة ، فلا يعتبر ادخارك لهما كنزا ينطبق عليه قوله تعالى:

« وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

وكان أبو ذر الغفارى قد رأى أن ادخار المال غير جائز شرعا ، وأشاع ذلك فى المؤمنين ، فشكاه معاوية الى عثمان رضى الله عنهما ، فنفاه الى الربذة يقيم فيها بعيدا عن الناس ، حتى لا يفتتن بمذهبه المسلمون ، فيقصروا فى أمور دنياهم .

ولسنا نكتفى بهذه الأدلة النقلية وان كانت بالغة أقصى غايات التدليل العلمى ، فان أمامنا دلائل عملية ليس فى وسع أى مكابر أن يتردد فى قبولها ، وهى ما بلغته الأمة الاسلامية من تأسيس مدنية حاملة على جميع المقومات الروحية والمادية ، فأقامت بازاء كل أصل قيم بثته فى الأرض صرحا عاليا من صروح التكمل المادى : من تمصير الأمصار ، واقامة المبانى ، والذهاب فى استخراج كنوز الأرض الى أقصى ما تبلغه القارة البشرية ، حتى ان كتبهم فى الزراعة واستخراج المعادن والانتفاع بها تعتبر الى اليوم من أنفع الكتب وأولاها بالعناية .

قال العلامة (درابر) فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة (٦٣٨) ميلادية ، أى بعد موت محمد ﷺ بست سنين ، ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى كانوا مستأنسين بجميع الكتب العلمية اليونانية ، ومقدريها قدرها الصحيح » .

الى أن قال : « ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم » .

ثم قال : « الفلكيون العرب قد اهتموا أيضا بتحسين آلات الأرصاد وتهذيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال ، والساعات المائية ، والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض .

« أما فى العلوم التجريبية ، فقد اكتشفوا الكيمياء ، وبعضا من محللاتها الشهيرة : حمض الكبريتيك ، وحمض النيتريك ، والكحول .

« استخدم العرب علم الكيمياء فى الطب ، لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات ، والأقرباذينات ، واستخراج الجواهر المعدنية .

« أما فى علم الميكانيكا ، فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة .



الى أن قال : « ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر (تأمل) الذى نالته الصنائع على عهدهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى أساليب الرى والتسميد ، وتربية الحيوانات ، وسن النظامات الزراعية الحكيمة ، وادخال زراعة الأرز والسكر والبن . وقد انتشرت المعامل والمصانع (تأمل) لكل أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن . وكانوا يذيبون المعادن ، ويجرون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها » .

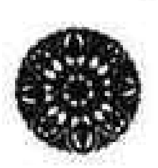
وقال العلامة (سديو) فى كتابه (تاريخ العرب) : « كان المسلمون فى القرون الوسطى متفردين فى العلم والفلسفة والفنون والصنائع . وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم الى أوربا ، فكانوا سببا لنهضتها وارتقائها » .

وقال العلامة (درابر) المتقدم ذكره :

« أول مدرسة أنشئت للطب فى أوربا هى المدرسة التى أسسها العرب فى (بالرم) (عاصمة سيسيليا) من ايطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون فى اشبيلية بأسبانيا . ولو أردنا أن نستقصى نتائج كل هذه الحركة العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم » .

يرى القارئون من كل ما مر أن العرب الأولين قد اتجهوا بحافز من دينهم الى طلب العلم ، منذ احتلالهم الاسكندرية ، تحت قيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وانهم اندفعوا فى هذا التيار لا توفية لشهوات عقولهم فحسب ، ولكن ليطبقوه على العمل ، ويزيدوا به مادة المدنية الفاضلة التى تقتضيها خلافة الله فى الأرض ، مصداقا لقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) وقد وفوا بما ندبهم الله اليه من الاضطلاع بهذه المهمة ، فأسسوا ملكا لم ينبغ لأمة قبلهم ولا بعدهم الى اليوم ، وانتهت اليهم الزعامة العامة فى كل ماله صلة بالانسانية فى أخص نواحيها وأعمها .

محمد فريد وجدى



النظرية الإسلامية
بقية

بشرا ، كما يقول فى وصف المؤمن : « وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » .

٢ ــ تجنب الضعف النفسى والاستسلام للحزن

يدعو الله تعالى المؤمنين الى تجنب الضعف النفسى (الوهن) الذى لو أصابهم ضاعت قوتهم وأصبحوا غثاء كغثاء السيل ، كما يدعوهم جل شانه الى عدم الاستسلام للحزن لكى يستعيدوا قوتهم ، ويبقوا على روحهم المعنوية وارادتهم القتالية القوية ، ويذكرهم بحقهم الذى يجاهدون من أجله وبعدالة قضيتهم وبالايمان الذى يملأ قلوبهم فيقول سبحانه :

« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ » .

٣ ــ ملء النفس بالثقة والأمل .

من أروع صور الارتفاع فوق الأحزان والآلام النفسية وملء النفس بالثقة والأمل فى أحلك الأوقات أن النبى ﷺ قال لأصحابه بعد معركة أحد : « اصطفوا نثنى على الله

فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء وتوجه الرسول الى الله بالدعاء :

« اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا هادى لمن اضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت ، انى أسألك من بركتك ورحمتك وفضلك وعافيتك ، اللهم انى اسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم انى اسألك الأمن يوم الخوف ، والغنى يوم الفاقة ، عائذا بك من شر ما أنطيتنا (أعطيتنا وهى لغة يمنية) وشر ما منعت منا ، اللهم توفنا مسلمين ، اللهم حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا ، وكره الينا الكفر والعصيان واجعلنا من الراشدين » .

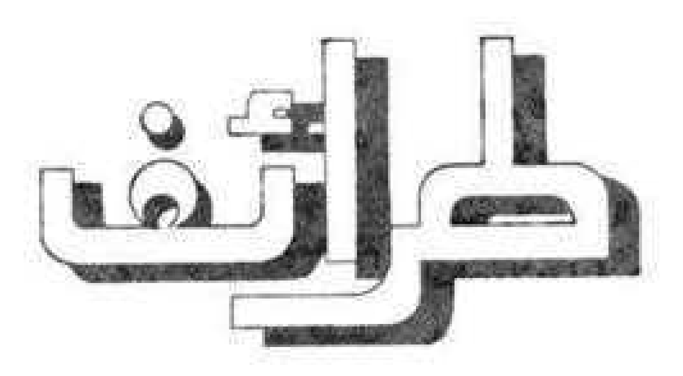
لقد استطاع ايمان الصحابة أن ينتزع من النكسة أروع معانى القوة والثبات والثقة والأمل والايجابية التى تتكافأ مع دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم .

« اللهم لك الحمد كله » !

للبحث بقية

محمد جمال الدين محفوظ





عــلاج

جاء رجل الى ابى حازم القاضى .

فقال له : ان الشيطان يأتينى ، فيقول : انك قد طلقت امرأتك فيشككنى !!

فقال له : أو ليس قد طلقتها ؟ .

قال : لا

قال له : ألم تأتنى أمس فتطلقها عندى ؟ .

فقال : والله ما جئتك الا اليوم ولا طلقتها بوجه من الوجوه .

فقال له : فاحلف للشيطــان كمــا حلفت لى وأنت فى عافية .

ابن المقفع يصف صديقا له

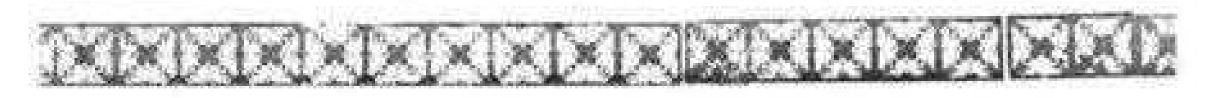
وصف ابن المقفع صديقا له ، فكان مما وصفه به قوله : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيــا فى عينه .

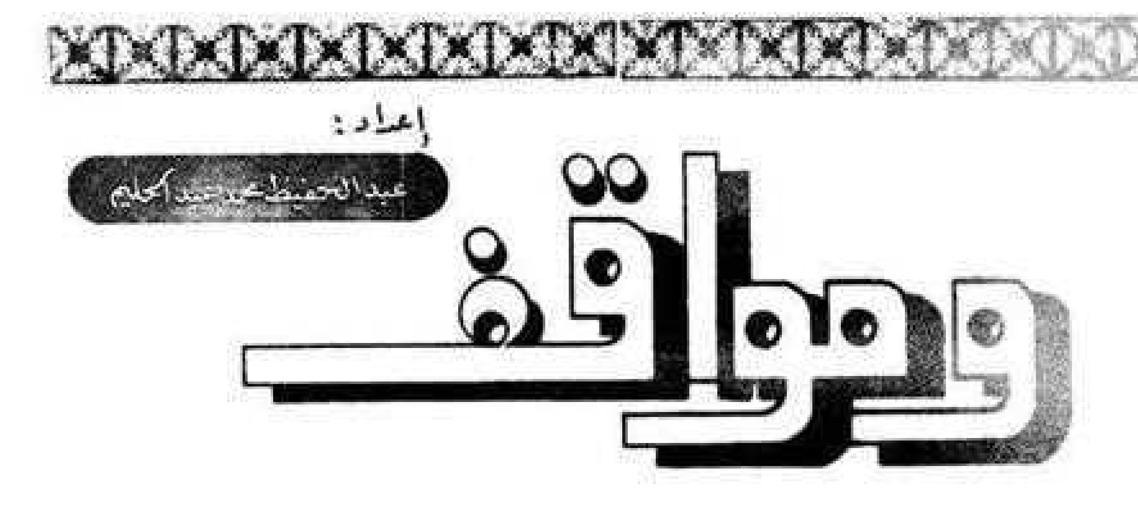
وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عنــد مصيبة . وكان خارجا من سلطان لســانه فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم .

وكان أكثر دهره صامتا ، فاذا قال بز القائلين وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنــده البرء ، ولا يستشير صاحبا الا أن يرجو عنده النصيحة .

وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكى ولا يشتهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يغفل عــن الولى ، ولا يختص نفسه بشىء دون اخوانــه من اهتمامه وحيلته وقوته .

فعليك بهذه الأخلاق ان أطقتها ولن تطيق ، أخذ القليل خير من ترك الجميع .





أبواب الملوك

كتب بعض ملوك فارس على بابه : تحتاج ابواب الملوك الى : عقل ، ومـال ، وصبر •

فكتب بعض الحكماء تحته من كـان عنـده واحدة من هذه الثلاث ، لم يحتج الى ابواب الملوك !! •

فامر الملك باجازته ومحو الكتابة •

ليس لثلاث

قال حكيم : ليس لثلاث حيلة :
فقر يخالطه كسل •
وخصومة يخامرها حسد •
ومرض يمازجه هرم •

عند الهرم

قال عبد الملك بن مروان للعريان بن الهيثم كيف تجدك ؟

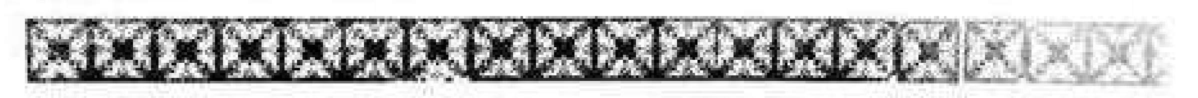
قال : اجدني قد ابيض مني ما كنت احب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد مني ما أحب أن يلين ، وقال :

سـلني أنبئك بـآيات الكبـر
نـوم العشـاء وسعال بالسحر

وقلة النـوم اذا الليـل اعتكر
وقلـة الطعم اذا الـزاد حضر

وسرعة الطـرف وتحميج النظر
والناس يبلون كما يبلى الشجر





طرائف ،، ومواقف

أفضل وقت للطعام

قيل لبعض الحكماء : اى وقت افضل للطعام ؟

قال : اما لمن قدر فاذا جاع ، واما لمن لم يقدر فاذا وجد ٠

«حقا»

قال محمد بن يزيد النحوى : أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة ، فوسع لى، وكرهت ان اضيق عليه فانقبضت ، فاخذ بعضدى وقربنى الى نفسه ٠

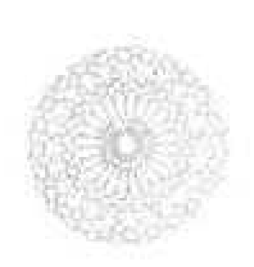
وقال : انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين ٠

دعاء

« رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » ٠

اللهم انى اسالك من خير ما سالك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم واعوذ بك من شر ما استعاذك منه محمد نبيك صلى الله عليه وسلم ٠

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



من أعــلام الأزهــر

يوسف الدجوى

فقيــه بحاثة داعيــة

للدكتور محمد رجب البيومى

قضى يوسف الدجوى خمسين عاما من عمره الذى شارف الثمانين ، وله فى كل يوم مجلس علم فى الصباح وندوة دينية فى المساء ، هذا الى مقالاته التى ظلت تملأ الصحف والمجلات دون انقطاع ، اذ كان احد الكبار فى الأزهـر ممن يستمع الى آرائهم حين تشتبه الأمور فى قضية من قضايا العلم والدين ، كما كان موضع الثقة فى الفتوى الدينية ، تأتيه الأسئلة مـن شتى بلاد الاسلام فى تتابع لا ينقطع .

فيؤدى أمانة العلم مجيبـــا فى تدفق واسهاب ، ولم يلتفت الى نفسه فيجمع مئات المقالات ، ومئات الفتاوى فى كتب يسـهل تداولها بين الناس ، ولكنه تـرك الكثير مـن آثاره فى أنهار الصحف متفرقا غير مجموع ، حتى نهض مجمع البحوث الاسلامية فجمع بعض بحوثه فى مجلـدين كبيرين تقـرب صفحاتهما من ألف وستمائة صفحة . وقـد راجعت ما جمع ، فعرفت أن الكثير من آثاره لم يجمع بعد ، ولكن ما قـام المجمـع بنشره يعطى فكرة صادقة عن منحـــاه العلمى فى التفسير والفتوى والبحث الدينى . هذا الى ما تعورف من كتبه المتداولة مثل : رســائل السلام ، وسبيل السعادة والرد على مدعـى التحريف فى القرآن ، وسنلم ببعض مسـائلها فى هذا النطـــاق الوجيز .

ولد رحمه الله فى قرية (دجوة) من أعمال محافظة القليوبية سنة ١٢٨٧ هـ ، فى بيت علم وفضل ووجاهة اذ كان والده رئيس قريته ، ومنزله محط الغادين والرائحين ، ومثابة من يفد على القرية من العلماء والأعيان وله مكتبة عامرة بكتب الفقه والأدب والتاريخ ، وقـد دفع بولده الصغير الى من يحفظه كتـــاب

الله فبدت دلائل النبوغ على الطفل الناشىء اذ تمتع بذاكرة حافظة تستوعب ما يراد استيعابه دون أدنى جهد ، وكان يسمع الحوار العلمي في منزل والده فيعيه على حداثة سنه ، فاتجهت الرغبة الى الحاقه بالأزهر الشريف بعد أن درس في القرية مبادىء الفقه والتجويد والنحو والسيرة النبوية المطهرة كاد وما كاد ينتظم في دروسه حتى برز بين أقرانه لأن ما درسه في القرية من مبادىء العلوم كان سلما الى ارتقاء ذهنه ، وقد أوتى جلدا على الدرس ، فكان لا ينقطع عن حلقات الدروس بالأزهر فهو دائم التردد على مجالس الأساتذة ، حتى أصبح موضع الثقة بين زملائه ، يفزعون اليه حين يحتاجونه الى استعادة ما قال الأستاذ في درسه ، ويذهبون في المساء الى منزله ليتذاكروا معا مسائل العلم ، وما مر زمن حتى أخذ يدرس لاخوانه كتب الأزهر قبل أن ينال درجة العالمية ، فيجتمع حوله الطلاب واثقين بعلمه ، مع أنهم يأبون الجلوس لحديثى العهد من حملة العالمية ظانين أنهم لم يتمرسوا بعد بدقائق التدريس ، فما بالهم يرحبون بمجالس الطالب الناشىء قبل أن يمنح الدرجة ، لم يكن ذلك الا لما لمسوه من فضله وتبريزه ، وكان لامتحانه النهائى يوما مشهودا اذ اجتمع له الأفذاذ من علماء الأزهر متحرين مكانته ، وفي مقدمتهم : شيخ الأزهر العلامة الشيخ سليم البشرى ، فأطالوا نقاش الطالب ليكتشفوا عن معدنه النفيس ، ومنحوه أعلى الدرجات ، وسارع بعضهم الى زيارة منزله مهنئين واثقين بما سيجرى على يده من خير للعلم ، ورأت المشيخة أن تسند اليه تدريس الكتب العويصة على غير عادتها مع زملائه ، فالتف حوله الطلاب ، وشهدوا باحاطته الشاملة ، وبصره النافذ في الدقائق المشتبهة ، وقد تنوعت دروسه ، فلم تقتصر على فن واحد ، حتى رئى أن يقتصر على تدريس مادة (الأصول) حين احتيج اليه في هذا العلم الدقيق ، وكان رواده من النجباء ، ولكن الشيخ أراد أن يتسع بعلمه الى أرحب مجال ، فدعا الى دروس عامة في التفسير يلقيها بالرواق العباسى تشبها بالأستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ، فاتسعت حلقة درسه ، وحضر الطلاب بأوراقهم ليسجلوا ما يفتح الله به على الشيخ من آيات ، وقد جمع ابن أخيه الشيخ عبد الرافع الدجوى نحوا من أربعين كراسة تمتلىء بشروح الأستاذ لآيات الكتاب مما قاله في عام واحد ! وقد حاول طبعها بعد وفاته فلم يتيسر من يساعد على ذلك ، على أن جهد الشيخ يوسف لم يقتصر على الطلاب ، اذ رأى أن تكون الصحافة بعض ميادينه العلمية ، وكانت شبهات الضالين من الكتاب تتردد في بعض المجلات متسترة وراء الحرية العقلية ، ومتجهة الى رمى العلماء بالجمود والرجعية ، فكان الدجوى يتعقب هذه الشبهات ليرد عليها ، ثم رأى أن يؤلف جمعية أسماها (جمعية النهضة الاسلامية) يكون مجالها مقاومة الالحاد في شتى مظاهره ، واختار لها ذوى الغيرة الدينية من رجالات مصر ،

فكانت الجمعية الدينية الثانية فى مصر ، اذ سبقتها (جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية) التى أنشأها الأستاذ زكى سند لهذا الغرض بعينه ، وقد بذلت الجمعيتان جهدا ذاتيا ملحا فى مقاومة الجمعيات التبشيرية ، دون أن تجدا النصير ، الا من قلة أخلصت لله وثابرت على النضال ، وكان من أشبال (جمعية النهضة الاسلامية) الأساتذة محمود أبو العيون ومصطفى القاياتى ، والزنكلونى وعبد الباقى سرور نعيم وعبد الله عفيفى ، وما منهم الا ... محمود ، اذ واصلوا الجهاد ... السياسى ، وحين شبت ثورة سنة ١٩١٩ ... وا ألسنتها الناطقة فى المنابر ، وأقلامها المدوية ... الصحف ، كما كان الشيخ يوسف أحد المدافعين عمن اعتقلوا من الشباب فى انتفاضات الحرية ، وقد وجه خطابا الى ملك انجلترا جورج الخامس حين حكم الانجليز بالاعدام على الشيخ الأزهرى محمد الشافعى البنا مطالبا بانقاذ الطالب المجاهد ، وكان لخطاب الدجوى تأثيره فخفف الحكم .

وواصل الشيخ مسعاه لدى المسئولين حتى أفرج عن الكثير ، وتلك مواقف لم تجد من يسجلها فى تاريخ الكفاح السياسى ، اذ جبل نفر من محترق الكتابة على هضم نضال العلماء ، وفيهم من يكتب عن ثورة سنة ١٩١٩ مجلدا ضخما ثم يتحاشى ان يذكر كفاح الأزهريين ، ومنبر الازهر لا يزال قائما يذكر الناس بمارن فوقه من صيحات تزلزل الاستعمار ، وبما دفع من مظاهرات قوبلت بالرصاص ، وجرى الدم بسببها فى انحاء القاهرة مدرارا ، حتى تبدل الوضع من حال الى حال .



فضيلة الشيخ يوسف الدجوى

لقد كان الأستاذ الدجوى لسانا فصيحا من ألسنة الأزهر فى عهده ، وكانت ثقة الكبار من رجاله فى علمه وفضله ، تكافىء ثقة المتدينين من غير الأزهريين ، فما يوجه للأزهر من سؤال عويص فى أمر دينى الا وكان الدجوى فى طليعة المجيبين ، وقد يكتفى بقوله عن قول سواه ، لقد أرسل باحث أمريكى هو (ايفان م . وى) خطابا الى شيخ الأزهر الأستاذ الأكبر سليم البشرى يذكر فيه أنه اعتنق الاسلام كما اعتنقه ألوف « من أبناء أمريكا الجنوبية لأسباب نبيلة دعته الى ذلك » ويريد أن يكون داعية لهذا الدين ، ولكن معلوماته عنه لا تكفى لتصدره فى الحديث عن الاسلام فى وسط يناقش الحجة بالحجة ويدحض الدليل بالدليل ، ويرجو من مشيخة

من أعلام الأزهر "يوسف الدجوي"

الأزهر أن تدله على كتاب ينقع الغلة، ويشفي الأوام (١)، فعهدت المشيخة الى الأستاذ يوسف الدجوى فقام فى أيام معدودة بتأليف كتابه (رسائل السلام) وبدأه بالحديث عن عالمية هذا الدين، وكيف جاء ليكون هداية للانسان فى كل زمان ومكان حاملا عناصر بقائه الموائمة للفطرة الانسانية، واتسع المجال فى الباب الأول لحديث شاف عن أوامر الاسلام ونواهيه، وخص الجانب الأخلاقى بتفصيل واضح لأنه أساس السلوك الناجح فى المجتمع، كما تحدث عن مزايا التشريع باسهاب يعتمد على الدليل، وقد تكون هذه المسائل الآن من الوضوح بحيث لا تتطلب الافاضة والاشباع ولكنها كانت منذ ثمانين عاما فى حاجة لمن يعرضها فى قوة ووضوح.

أما الباب الثانى فقد تحدث عن رسول الله الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ملما بالظواهر البارزة فى حياته، ودلائل نبوته، وبشائر الكتب القديمة بمقدمه وصفاته النفسية التى أهلته لحمل الرسالة العالمية.

وجاء الباب الثالث خاصا بالقرآن الكريم، وما تضمنه من قواعد تشريعية، واصلاحات اجتماعية، وارشادات نفسية.

وكل ما كتبه الأستاذ مفيد سديد، ولكنى ــ من وجهة نظرى الخاصة ــ أرى أن حديث الأستاذ فى هذا الكتاب بالذات (وقد وجه الى المسلمين وغير المسلمين فى أمريكا الجنوبية) عن المعجزات الحسية لنبى الاسلام ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتكليم الجمادات، وتكثير الماء والطعام، واجابة الدعاء ليس مما يناسب مقتضى الحال لأننا نتجه بالحديث الى أناس يريدون الأدلة العقلية وحدها ليهتدوا الى الاسلام بوحى من التفكير المنطقى الخالص، وحين يشرق عليهم نوره يسهل تصديقهم بالمعجزات الحسية، ومهما يكن من شىء، فقد أحسن الأستاذ فيما كتب وأفاد.

وقارىء مقالات الدجوى يرى فيها اختلافا واضحا من حيث الدقة والتعمق فى بعضها، والاستطراد والسرعة فى بعضها الآخر، وذلك لاختلاف المقام الداعى للقول، فقد يدعى العالم الكبير الى القاء محاضرة فى جمعية تضم الفئة المثقفة من المستمعين، فيختار الموضوع الدقيق، ويلتزم المنطق الجاد الأصيل، وقد يلقى درسا للعامة فى مسجد فيتحدث بما يناسب الحاضرين، ومريدوه دائما يتبعون أحاديثه فيسجلونها بأقلامهم فى أوراق يعدونها من قبل، ثم ينشرونها فى الصحف، كما قالها دون رجوع اليه، والرجل لا يبغى غير النفع فيما يقول، فهو لا يقصد المباهاة بالغوص والتدقيق، بل يقدم لكل قارىء أو سامع ما يسمح به الموقف، وفى محاضراته الثقافية اشباع وامتاع، كما تسطع بها روح الهداية والايمان، وسأتناول بعضها بايجاز يبرز منحاها الأصيل.

حين راجت فى مصر الأسطورة الدروانية، وتلقفها دعاة الالحاد دليلا على بطلان

---

(١) ... العطش ..

الاديان : دعت (جمعية الشبان المسلمين) جمهور المثقفين الى سماع محاضرة يلقيها الأستاذ يوسف الدجوى عن علم الطبيعة وصلته بالالحاد ، فابتدأ المحاضر الكبير يحلل قول العلامة الانجليزى سبنسر « ليس الغرض من تعلم الطبيعة معرفة الظواهر ولكن الغرض هو الوصول الى الأسرار الباهرة التى تفسر بها هذه الظواهر ، مع صعوبة هذا الوصول واستحالته فى كثير من المسائل » والالحاد لا يجتمع مع التعمق فى الدراسات الكونية ، لأن نسقها المحكم الدقيق يدل على وجود اله مدبر يدير الكون ! وتابع الشيخ يقول مستشهدا بأقوال العلماء : ان ما حصل من الاكتشافات العلمية يدل على أن الكثير منها لا يزال طى الخفاء ، لأن العلماء يكتشفون فى اليوم ما كان مجهولا بالأمس ، ولو سلمنا جدلا أنهم عرفوا كل النواميس الطبيعية ، فان ما عرفوه ينحصر فى مشاهد الأرض وحدها ، فلهم أن يقولوا انا عرفنا عناصرها وتركيبها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا انهم عرفوا ما اشتملت عليه العوالم الفسيحة من أسرار ، فليست أرضنا الا ذرة صغيرة بازائها ، ويكفى أن تعلم أن الأرض جزء من ألف ألف وثلثمائة جزء من الشمس ، وليست الشمس الا شيئا صغيرا بجانب غيرها ؟ ونحن لا نجد الدليل على هذا المجهول ، وعدم الدليل لا يدل على عدم المدلول ، أما كنا نجهل الميكروبات والكهرباء آلاف السنين ثم كشف العلم عنهما ؟ أيكون جهل الأقدمين بهما دليلا على عدم الوجود ، واذا كان العلم ينقض فى غده ما أثبته فى أمسه فكيف يكون حجة قاهرة على ما جاء به القرآن من أسرار ، وكيف تبجح من يعلم القليل فينكر وجود خالق السموات والأرض ، واذا كانت الافتراضات غالبة فى تحليل العلماء فكيف يكون الفرض الاحتمالى يقينا لا جدل فيه .

وبعد افاضة مشبعة تملأ عدة صفحات (١) ينقل المحاضر قول العلامة (كاميل فلامريون) .

ان من الضلال أن نصدق كل ما يقال ، ويساويه فى البطلان ألا نعتقد شيئا أصلا » .

ويمضى فى تفسير هذا القول ليؤكد قصور الملحدين وأخذهم بالقشور دون اللباب .

وواضح أن الشيخ قد افترض أن بعض سامعيه لا يعترف بالأدلة النقلية من القرآن الكريم والحديث الشريف فرأى أن يترك الأدلة النقلية ليأتى بالبراهين العقلية مؤيدة بأقوال الكبار من أساتذة أوربا ، ومقتضى الحال يوجب ذلك لأن المفتونين بالغرب ، يؤيدون الحادهم بقول من شايعوهم فى أوربا ، اعتقادا منهم أن هؤلاء هم وحدهم فى الميدان ، فاذا أثبت الأستاذ الدجوى أن أكثر علماء الطبيعة فى أوربا مؤمنون ، وأن وقوفهم على بعض الأسرار الكونية فى اختلاف الليل والنهار ومشاهد السموات والأرض قد دفعهم الى الايمان بوجود الخالق .

(١) المنتقى من محاضرات جمعية الشبان المسلمين ما بين ص ٣٥ ، ص ٥١ ط المكتبة السلفية ج ١ .

من أعلام الأزهر «يوسف الدجوى»

اذا أثبت الدجوى ذلك فقد أتى الشىء من بابه الصحيح ، وهذا ما أشار اليه العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى فى رثائه للعلامة الدجوى بمجلة الأزهر حين قال :

« ومن مميزات الفقيد — رضى الله عنه — أنه يأنس الى البحوث النفسية الحديثة فى أوربا ويراها خير أداة لكسر شوكة الماديين ، فاعتمد فى بحوثه على ما حققوه منها ، وكان لا يخشى فى مجاهرته بذلك لومة لائم » (١).

وفى محاضرة ثالثة ألقيت بجمعية الشبان المسلمين حول اثبات الروح ، استجابة لاقتراح بعض المتشككين سلك الشيخ مسلكه السابق فى الاستعانة بالأدلة المنطقية ، وقد ركزها فى نقاط مرقمة ، وقسمها بادىء ذى بدء الى أدلة عقلية ، وأدلة حسية :

فمن الأدلة الأولى أن المشاعر الانسانية والعواطف الشريفة من ود واخلاص وايثار لا يصح فى منطق العقل أن تكون من أوصاف المادة الصماء ، ولكنها أوصاف لشىء آخر تتضح به الروح ، كما أن الجسم فى تغير دائم تتبدل خلاياه وتتجدد ، فكان من الحتم حينئذ أن تضيع المعارف بتبدد الجسم ، ولكنها تبقى لأن الروح بمنجاة عن التبديل ، واذا كان لكل عضو فى البدن وظيفة خاصة به ، فاننا نلحظ أن الغاضب والحزين لا يشتهيان طعاما أو شرابا مع وجود المعدة وجهازها الهضمى ، فلو كان الغاضب والمدرك شيئا واحدا ما وجد هذا العزوف فعرف أن الروح ذات كيان خاص ، واذا كان عمل المادة آليا كالهضم والتنفس فان الأعمال الفكرية ذات الارادة والتدبير والنظام لا تكون من وظائف المادة بحال .

هذا بعض ما أفاض فيه المحاضر من الأدلة العقلية ، أما الأدلة الحسية فقد ذكر منها مشاهد التنويم المغناطيسى نقلا من المترجمات الأوربية ، وقد كان رحمه الله مشتركا فى مجلة الحياة التى يصدرها الأستاذ فريد وجدى ، وهى مما وجهت لمحاربة المذهب المادى بأسلحة العلم ، فعرض وقائع مشهودة لعلماء ذوى سمعة طيبة فى دوائرهم العلمية ، وكلها تؤكد انفصال الروح عن الجسم فى فترة معينة ، ثم عودتها الى الوضع الأول ، وقد أصبحت هذه الحوادث من الاشتهار بحيث لا نجد عناء فى سردها ، وقد رأى المحاضر بعد أن أشبع بأدلته الحاسمة أن ينقل مما رواه البخارى ومسلم والترمذى والحاكم والبيهقى من الأحاديث ، ما يؤكد بقاء الروح ، وقد كان لهذه المحاضرة صدى بعيد اذ تناولتها الجرائد اليومية بالتعليق اثباتا ومعارضة ، ووصل صداها الى بعض المقيمين فى أمريكا فكتبوا فى مجلة الفتح ما يؤكد الحقائق التى رواها الشيخ الدجوى ، وفى هؤلاء من كان موضع التنويم فشاهد عن ملاحظة وعيان .

كما انتشر صدى الاجابات العلمية للأستاذ لدى المثقفين من رجال التربية وعلماء النفس والاجتماع فأخذ طلاب البعثات الأوربية

البقية ص ١٧٣٤

(١) مقدمة الجزء الاول من كتاب (مقالات وفتاوى) — ٤ — ٥ .

اللغة والأدب والنقد

عمالقة الأساس

كيف يستقبل العارفون العيد

شعراء النقائض

٥

اجتلاب هاء السكت

من خصائص الوقف اجتلاب هاء السكت للتوصل الى بقاء الحركة فى الوقف وسميت هاء السكت لأنها يسكت عليها دون آخر الكلمة.

وتطرد زيادتها فى ثلاثة مواضع :

١ ـ الفعل المعل بحذف آخره .

٢ ـ « ما » الاستفهامية .

٣ ـ كل مبنى على حركة بناء دائما ولم يشبه المعرب ـ واليك الكلام عنها تفصيلا .

الموضع الأول « الفعل المعل الآخر » .

اذا أعل الفعل بحذف آخره ، وقد بقى على حرف واحد . وأريد الوقف عليه ـ وجب اجتلاب هاء السكت فتقول فى الأمر من وقى ومن رأى ، قه ، ره ـ عند الوقف وانما لزم اجتلاب الهاء ، لأن الوقف لا يكون الا على ساكن أو شبهه ، والا بتداء لا يكون الا بمتحرك فلابد من حرف بعد الابتداء يوقف عليه فجىء بالهاء لسهولة السكوت عليه أ.ه رضى .

أما اذا بقى الفعل بعد حذف حرف العلة على أكثر من حرف نحو لم يق ولم ير ونحو لم يرم ولم يغز ، وارم ، واسع ، واغز . ونحو لم يهتد ، واهتد فهذا كله وأمثاله يجوز الوقف عليه بهاء السكت وهو الأجود وبعض العرب يقف بدونها .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٧٧) هذا باب ما تلحقه الهاء فى الوقف لتحرك آخر الحرف : وذلك قولك فى بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن لام فى حال الجزم ارمه ، ولم يغزه ، واخشه ، ولم يقضه ، ولم يرضه ، وذلك لأنهم كرهوا ذهاب اللامات والاسكان جميعا فلما كان ذلك اخلالا بالحرف كرهوا أن يسكنوا المتحرك ، فهذا تبيان أنه قد حذف آخر هذه الحروف وكذلك كل فعل كان آخره ياء أو واوا وان كانت الياء زائدة (١) لأنها تجرى مجرى ما هو من نفس الحرف ... ثم قال :

وقد يقول بعض العرب : ارم فى الوقف واغز ، واخش (باسكان الآخر) حدثنا بذلك عيسى بن عمر ويونس وهذه اللغة أقل اللغتين أ هـ .

ويرى سيبويه ان بقى الفعل على حرفين أحدهما زائد ـ أى ذهب من أصله حرفان ـ مثل لم تع ، وان تف . يرى وجوب الحاق هاء السكت به عند الوقف .

(١) وذلك كالامر من سلقى بمعنى طمن ـ فانك تقول : سلقه عند الوقف ـ باجتلاب الهاء وان كان المحذوف زائدا .

للدكتور عبد العظيم الشناوى

قال سيبويه : وأما «لاتقه من وقيت ، وإن تع أعه من وعيت فانه يلزمها الهاء في الوقف من تركها في : اخش ، لأنه مجحف بها لأنها ذهبت منها الفاء واللام فكرهوا أن يسكنوا في الوقف فيقولوا : ان تع أع فيسكنوا العين مع ذهاب حرفين من نفس الحرف (الكلمة) وانما ذهب من نفس الحرف الأول (اخش) حرف واحد وفيه ألف الوصل فهو على ثلاثة أحرف وهذا على حرفين وقد ذهب من نفسه حرفان — ا هـ جـ ٢ ص ٢٧٧ وقد أخذ بهذا الرأى ابن مالك فقال :

وليس حتما في سوى ما كع او
وكيع مجزوما فراع ما رعوا

يعنى أن الوقف بهاء السكت على الفعل المعل بحذف الآخر ليس واجبا في غير ما بقى على حرف واحد مثل « عه » أو حرفين أحدهما زائد مثل : لم يعه » فزيادة هاء السكت فيهما واجبة ولكن ابن هشام قال في التوضيح وهذا — أى اجتلاب هاء السكت وجوبا في مثل لم يع — مردود باجماع المسلمين على وجوب الوقف على « لم اك » (١) و « ومن تق » (٢) بترك الهاء — ا هـ .

ولقد كثر الجدل حول هذا الموضوع تأييدا ورفضا — راجع الصبان ، والتصريح .

وخير ما قيل في هذا — ما قاله السيرافي بعد أن وضح رأى سيبويه — قال : ومن العرب من لا يثبت الهاء في ذلك أيضا ، لأنه على حرفين الأول منهما متحرك فيبتدأ به ، والثانى ساكن — ا هـ .

وبعض العرب يكسر ما قبل هاء السكت في نحو : ادعه ، واغزه مع أنه في الأصل مضموم — وكأنهم تدروا سكون ما قبل الهاء فحركوه بحركة التخلص من التقاء الساكنين والأصل في هذه الحركة الكسر .

قال سيبويه : وزعم أبو الخطاب (الأخفش الأكبر) أن ناسا من العرب يقولون : ادعه من دعوت فيكسرون العين كأنها لما كانت في موضع الجزم (٣) توهموا أنها ساكنة اذ كانت آخر شيء في الكلمة في موضع الجزم فكسروا حيث كانت الدال ساكنة لأنه لا يلتقى ساكنان كما قالوا : رد يافتى — بكسر الدال وهذه لغة رديئة وانما هو غلط كما قال زهير :

(١) من قوله تعالى — ولم اك بغيا — الآية ٢٠ من مريم .

(٢) من قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) الآية ٩ من غافر .

(٣) أى لما كانت العين في موضع الجزم توهموا سكونها فحركوها لوجود الساكن قبلها وهو الدال — كما تخلصوا من التقاء الساكنين في رد بالكسر — واعتبر سيبويه توهم سكون العين غلطا — كما غلط زهير اذ عطف كلمة « سابق » بالجر على خبر ليس المنصوب توهما منه أنه مجرور بالباء الزائدة فكان الكلام — لست بمدرك — ولا سابق وقد ذهب الرضى الى أن الساكنين في نحو : ادعه العين وهاء السكت وهو مخالف لما ذكره سيبويه .

بدالي أني لست مدرك ما مضى
ولاسابق شيئا اذا كان جائيا

الموضع الثاني : « ما الاستفهامية المجرورة » :

وذلك أنه تحذف ألفها اذا جرت ولم تركب مع « ذا » فان جرت بالحرف كان حذف الألف واجبا نحو عم ، ولم ، وفيم ؟

قال الرضي : وبعض العرب لا يحذف الألف من « ما الاستفهامية المجرورة كقوله (١) :

على ما قام يشتمني لئيم
كخنزير تمرغ في رماد

وان جرت بالاسم كان حذف الألف جائزا . نحو مجيء م جئت ـ باثبات الألف وحذفها ـ والأجود الحذف وبعضهم أوجبه .

فاذا وقفت عليها محذوفة الألف ألحقتها هاء السكت حفظا للفتحة الدالة على الألف المحذوفة .

وان بقيت الألف فلا يجوز الاتيان بهاء السكت .

ويكون الوقف بالهاء جائزا ان جرت (ما) بحرف نحو لم ، وعم ؟ فان وقفت جازلك الاتيان بالهاء فتقول : لمه ، وعمه ؟ وجاز عدم الاتيان فتقول : لم وعم ؟ فان جرت (ما) باسم وجب الاتيان بهاء السكت عند الوقف وذلك لأن المضاف مستقل بفائدته في مدلوله الافرادي .

فلفظ (ما) معه كالمنفصل وهو على حرف واحد فوجبت معه هاء السكت .

أما حرف الجر فلا يستقل بمعناه فكأنه مع (ما) كالكلمة الواحدة وهي كجزء منه فجازت معها الهاء .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٠) : وأما قولهم : علامه ، وفيمه ، ولمه ، وبمه ، وحتامه ؟ فالهاء في هذه الحروف أجود اذا وقفت لأنك حذفت الألف من (ما) فصار آخره ارمه ، واغزه . وقد قال قوم : فيم وعلام ، وبم ، ولم ؟ باسكان الميم ـ كما قالوا : اخش وأما قولهم : مجيء م جئت ، ومثل م أنت ، فانك اذا وقفت الزمتها الهاء ولم يكن فيه الا ثبات الهاء ، لأن مجيء ، ومثل يستعملان في الكلام مفردين لأنهما اسمان ، وأما الحروف الأول (١) فانها لا يتكلم بها مفردة من (ما) لأنها ليست بأسماء فصار الأول والآخر بمنزلة حرف واحد لذلك ا هـ .

الموضع الثالث : كل مبني على حركة بناء دائما ولم يشبه المعرب .

وقد أفاض سيبويه في هذا الموضع حتى أوفى على الغاية ـ فقال :

(فمن ذلك النونات التي ليست بحروف اعراب ولكنها نون الاثنين والجميع ، وكان هذا أجدر أن تبين حركته حيث كان من كلامهم أن يبينوا حركة ما كان قبله متحركا مما لم يحذف

---

(١) هذا البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه يقول في رفيع بن صيفي بن عابد وكان قد قتل يوم بدر كافرا . والاستشهاد بالبيت على أن من العرب من يثبت ألف « ما » الاستفهامية المجرورة غير مبال بالالتباس وقد قرىء قوله تعالى «عم يتساءلون» بالألف . قال ابن جني : واثبات الألف أضعف اللغتين .

(٢) أي الحروف الداخلة على «ما» الاستفهامية .

منه شيء (١) ؛ لأن (٢) ما قبله مسكن فكرهوا أن يسكن ويسكن ما قبله وذلك اخلال به وذلك هما ضاربانه ، وهم مسلمونه ، وهم قاتلونه ٠ ومثل ذلك : هنه وضربتنه ، وذهبتنه فعلوا ذلك لما ذكرت لك ومـــع ذلك أيضا أن النـــون خفية (٣) فذلك أيضا مما يؤكد التحريك اذ كان يحرك ما هو أبين منها ٠٠٠ ومثل ذلك : أينه ، تريد أين ؛ لأنها نون قبلها ساكن وليست بنون تغير للاعراب ولكنها مفتوحة على كـل حـال فأجريت ذلك المجرى ، ومثل ذلك قولهم : ثمة ؛ لأن في هذا الحرف ما في أين أن ما قبله ساكن وهي (٤) خفية كالنون وهي أشبه الحروف بهـا في الصوت ، فلذلك كانت مثلها في الخفـاء ـ ومثل ذلك قولهم : هلمه قال الراجز ٠

* يا أيها الناس ألا هلمه *(٥)

وانما يريد هلم

وغير هؤلاء من العرب وهم كثير لا يلحقون الهاء في الوقف ولا يبينون الحركة ، لأنهم لم يحذفوا شيئا يلزم هذا الاسم في كـــلامهم في هذا الموضع كما فعلوا ذلك في بنات اليـاء والواو ٠

قال السيرافي : يريد أن قوما يدخلون الهاء في (ارمه) و (لم يغزه) وما أشبه ذلك مما ذهب منه حرف أو حرفان ولا يدخلونها فيما ذكره في هذا الباب لأنهم قدروا ادخالهـا عوضا مـن الذاهب في (ارمه) ونحوه ولم يذهب من هذا الباب شيء يجعل الهاء عوضا عنه ا هـ ٠

ومثل ما ذكرت لك قول العرب : (انه) وهم يريدون (ان) ومعناها أجل ٠ وقال (٦) ٠

ويقلن شيب قد عـــلا ك وقد كبرت فقلت انه

ومثل نون الجمع قولهم « اعلمنه (٧) ؛ لأنها نون زائدة وليست بحرف اعراب وقبلها حرف ساكن فصار هذا الحرف بمنزلة هن ٠ وقالوا في الوقف ٠ كيفه ، وليته ، ولعله في كيف وليت ولعل لما لم يكن حرفا يتصرف للاعراب وكان ما قبلها ساكنا جعلوهـا بمنزلة ما ذكرنـا وزعم الخليل : أنهم يقولون :انطلقته يريدون انطلقت لأنها ليست بتاء اعراب وما قبلها ساكن ٠

ومما أجرى مجرى مسلمونه : علامة المضمر التي هي ياء وقبلها ألف أو ياء ؛ لأنها جمعت أنها خفية وأن قبلها ساكنا فأجـريت مجـرى مسلمانه ومسلمونه (٨) ونعليه ، وذلك قولك : غلاماية ، وغلاميه (٩) ، وعصاية ، وبشرايه ؛

---

(١) يريد انه لما كان من كلام العرب ان يبينوا حركة ما قبله متحرك بالحاقه هاء السكت عنـد الوقف مثل هو وهي ــ كان هذا أجدر أن تلحقه هاء السكت لبيان حركته عند الوقف لان ما قبله ساكن فاذا لم تلحقه الهاء لبيان الحركة وقفنا عليه بالسكون وقبله ساكن وهم يكرهون التقـاء الساكنين ٠

(٢) تعليل لكونه اجدر بالهاء لبيان الحركة ٠

(٣) تعليل ثان لكونه اجدر ببيـان الحـركة المقتضية لاجتلاب هاء السكت ٠

(٤) أي الميم ٠

(٥) قال الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة الميم في الوقف بهاء السكت ، لانها حركة بناء لا تتغير لاعراب فكرهوا تسكينها ، لانهـا حركة مبنى لازمة ٠

(٦) البيت لابن الرقيات ـ وقال الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة النون بالهاء ٠ ومعنى : ان ــ ههنا نعم ٠

(٧) تمثيل لنون التوكيد ٠

(٨) تثنية نعل ٠

(٩) مثال للمثنى المضاف لياء المتكلم في غير الرفع ـ والمثال الذي قبله تمثيل للمثنى المرفوع المضاف لياء المتكلم ، وعصايه ، وبشرايه تمثيل للمقصور المضاف لياء المتكلم ، وقاضيه ، تمثيل للمنقوص المضاف اليها ـ وكلها قد سكن ما قبل الياء فيها ٠

اجتلاب هاء السكت

وقاضيه ثم قال :

« هذا باب ما يبينون حركته وما قبله متحرك »

فمن ذلك الياء التي تكون علامة المضمر المجرور ، أو تكون علامة المضمر المنصوب وذلك قولك : هذا غلاميه ؛ وجاء من بعديه ، وانه ضربنيه كرهوا أن يسكنوها اذا لم تكن حرف الاعراب وكانت خفية فبينوها .

وقالوا : (هيه) وهم يريدون (هي) شبهوها بياء بعدي ، وقالوا : (هوه) ، لما كانت الواو لا تصرف للاعراب كرهوا أن يلزموها الاسكان في الوقف فجعلوها بمنزلة الياء كما جعلوا : كيفه ، بمنزلة مسلمونه . ومثل ذلك قولهم : خذه بحكمكه (أراد بحكمك) ومن لم يلحق هناك الهاء (أى في الذى قبل آخره ساكن) في الوقف لم يلحقها هنا وقد قال في أثناء ذلك — (وجميع هذا اذا كان بعده كلام ذهبت منه الهاء ، لأنه قد استغنى عنها وانما احتاج اليها في الوقف لأنه لا يستطيع أن يحرك ما يسكت عنده — ا هـ (يريد أن هاء السكت تذهب في الوصل) .

١ — فعلم مما تقدم أن هاء السكت لا تلحق المعرب في الوقف سواء كان اسما نحو هذا خالد ، أم فعلا نحو على يحضر . وذلك لأن حركة الاعراب تعرف بالعامل فلا تحتاج الى بيان بهاء السكت — وشذ أعطنى أبيضه .

قال سيبويه : وحدثني من أثق به أنه سمع أعرابيا يقول : أعطنى أبيضه — بتشديد الضاد والحاق هاء السكت — يريد أبيض والحق الهاء كما الحقها في هنه وهو يريد : هن

— ا هـ جـ ٢ ص ٢٨٣ .

٢ — ولا تلحق المبنى على السكون ، لأن هاء السكت لبيان الحركة . فلا يجوز الحاقها في نحو اكرم . ومن لعدم الحركة .

٣ — ولا تلحق ما كان بناؤه عارضا (غير دائم) نحو : لا رجل ، ويا غلام . ومن قبل ، لأن بناءهن عارض غير دائم فالحركة فيهن شبيهة بحركة الاعراب لعروضها بسبب شئ يشبه العامل .

٤ — ولا تلحق الفعل الماضي : كضرب ، وتعد لمشابهته للمضارع المعرب في وقوعه صفة وصلة وحالا وخبرا وشرطا — وهذا رأى سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٠) .

وذهب بعضهم الى جواز الحاق هاء السكت به عند الوقف مطلقا (لازما ، ومتعديا) ، لأن حركته لازمة — وذهب آخرون الى أنها تلحقه اذا لم يخف اللبس كأن تدخل على الفعل اللازم نحو : ذهب فان خيف اللبس فلا تلحقه كالوقوف على الفعل المتعدى نحو ضرب لالتباسه بالمفعول .

هذا ، واعلم أن كل ما لحقه هاء السكت على سبيل الجواز . فان كان محذوفا منه شيء نحو: لم يخش ، ولم يغز ، ولم يرم ، وعلام ، وحتام ، فالهاء به أولى منها بما لحقته ولم يحذف منه شيء نحو : هي وكتابي — وكلمتك .

وان لم يحذف منه شيء فانه بما قبل آخره ساكن نحو : ليته ، وكيفه اولى منه بما قبل آخره متحرك نحو هوه ، وهيه ، وغلاميه ، لأنك ان لم تلحق هاء السكت فيما قبله ساكن ، سكنت المتحرك الأخير فيلتقى ساكنان ، وعدم التقائهما أولى وان كان ذلك مغتفرا في الوقف.

يتبع

د . / عبد العظيم الشناوى

غرائب الأساس

تحقيق الدكتور
توفيق محمد شاهين

* « أشب » عدد آشِبٌ : أى مختلط وفى المثل : منك عيصك وان كان أشِبًا(١) وتأشبوا [وائتشبوا : تجمعوا من هنا وها هنا] (٢) : تجمعوا . وجمع مؤتشب (٣) غير صريح ، وعنده أشابة من الناس : جمع مختلط . وأشابة من المال : تخاليط من حلال وحرام . وهم أشابات وأشائب .

* « أشر » برق أشر : متردد فى لمعانه ، ونبت أشر : اذا علا ونما ، قال نصيب (٤) :

ان العروق اذا استسر بها الثرى
أشر النبات بها وطاب المزرع

* « أصّ » : فلان لا أصل له ولا فصل « أى » : لا نسب ولا لسان . ولفلان أصيلة: أى أرض تليدة يعيش بها . وجاءوا بأصلهم : أى بأجمعهم .

* « أضّ » : عليه درع كالإضاة (٥) : أى كالغدير .

* « أطر » أطرت فلانا على مودتك ، وبنو فلان إطار(٦) لبنى فلان اذا نزلوا حولهم.

* « أط ط » يقال : أطت بك الرحم : أى رقت وحنت . هم أهل أطيط وصهيل : أى أهل إبل وخيل .

* « أطم » يقال : تأطم السيل : ارتفعت أمواجه . والنار : ارتفع لهبها ، و (تأطم) على فلان : تطاول فى غضبه .

٥

---

(١) فى الأساس عيصك منك وان كان أشبا .
(٢) زيادة من الأساس .
(٣) وفى الأصل : موشب .
(٤) هو نصيب الأصغر ، كما فى الأساس .
(٥) فى الأصل كالاضاءة
(٦) فى الأصل إطاو بالواو .

❋ « أف » : ركب يافوخ فلان : اذا غلبه، وضرب يافوخ الليل : اذا سار فى أوله .

❋ « أفق » يقال : فلان فائق آفق (١) : أى غالب فى فضله،وقد أفق على غيره . وفرس آفق : رائع،وشربت الابل حتى امتدت أفقها : أى جلودها .

❋ « أفك » أرض مأفوكة مجدودة من المطر والنبات . وسنة آفكة : أى مجدبة .

❋ « أك » فلان أكل غنمى وشربها ، وكذا مالى : أى خرقه (٢) .

وجرح بآكلة اللحم : أى السكين . وأكلت أظفاره الحجارة . وفلان ذو أكلة وهى الغيبة وآكل بين القوم : أفسد . وأكلت النار الحطب. أفنته . واستأكلت النار : اشتد التهابها (٣) وتأكل السيف : توهج من البريق . وكذا تأكل الاثمد والفضة المذابة وكل ماله بصيص.وفى المثل : مأكول حِمْيَر خير من آكلها : أى رعيتها خير من واليها . وفلان من ذوى الآكال : أى من أهل المرباع (٤) وآكلتك فلانا : أمكنتك منه قال الشاعر

فان كنت مأكولا فكن خير آكل (٥)

وقال آخر :(٦)

{فى المثل } : لا آكلك ولا أؤكلك غيرى .. وفلان يستأكل القوم:يأكل أموالهم،وحديثهمأكل الأحاديث . وَتأكّل جسده : به أكلة . وهم أكلة رأس : أى قليل . وانقطع أكله : مات . وثوب ذو أكل : صفيق . وفلان كثير الأكل من الدنيا: أى كثير الحظ . وأكل البعير روقه (٧) : اذا هرم وتحاتت أسنانه .

❋ « أكم » لاتَبُلْ على أكَمة : أى لا تنشر سرك .

❋ « أمر » مُهرة مأمورة : أى كثيرة النتاج وما فى الركية تامور : أى ماء.

❋ « أمّ » تقول : من أم مثواك : أى صاحبة منزلك . وبلغت الشجة أمّ الدماغ

وهى الجلدة التى تجمعه . وشجة آمّة ومأمومة (٨) . ورجل أميم ، وقد أمّه بالعصا. ويقال للمجرة : أمّ النجوم . وفلان من أمهات الخير : أى أصوله .

❋ « أمن » ويقال : فرس أمين القوى ، وناقة أمون : أى قوية مأمون فتورها

أعطيت فلانا من آمن مالى : أى من نفيسه . جعلنا حَرَمًا آمنًا : ذا أمن .

---

(١) فى الاصل آنق آفق ، وفى الاساس فائق آفق .

(٢) فى الاساس : اى اطعمه الناس .

(٣) فى الاساس : اشتد لهبها .

(٤) من اهل المرباع اى من السادات .

(٥) القائل هو الممزق ، وعجز البيت : وإلا فادركنى ولما أمزّق .

(٦) القائل هو النعمان .

(٧) فى الاساس ، الاكمة : المكان المرتفع ، وتمام المثل : ولا تفش سرك الى أمَة .

(٨) أنكر ذلك على بن حمزة ، وقال : انما الآمة الشجة ، والمأمومة : أم الدماغ المشجوجة ، كما فى لسان العرب ، وراجع الاساس ص ٢١ هامش .

* « أنث » فلان مخنث مؤنث ، وسيف أنيث ومئناث ومئناثة (١) ويقال : أنّثتَ في أمرك تأنيثا : أي لان ، وأرض أنيثة : رخوة .

* « أنس » يقال ، جارية أنيسة : طيبة النفس والحديث ، وفلان ابن أنس فلان : أي خليله الخاص به ، ويطلق ابن الأنس على النفس ، وباتت (٢) الأنيسة أنيسة : أي النار وهي المؤنسة ، والمؤنسات : للسلاح (٣) وكتب بإنسيّ القلم ، وإنسيّ الدابة ضد وحشيها (٤) .

* « أنف » هو أنف قومه ، وأنف الجبل ، وأنف اللحية ، وأنف عمله ، وسار في أنف الذ وكان ذلك على أنف الدهر .

ويقال : (٥) كأس أنُف ، روض أنف ، وجارية أنف : لم تحض (٦) ، وأتيته آنفا ، ومضت آنفة الشباب ، وفلان يتأنف الاخوان : أي يطلبهم [آنفين] لم يعاشروا أحدا ، واستأنف الشيء وأتنفه ، ونصل مؤنف : محدد، وفلان يتبع أنفه : أي يتشمم .

* « أنق » هو يتأنق في عمله وفي كلامه : أي يتبع الأينق وهو الأحسن .

* « أود » آدني (٧) هذا الأمر : بلغ مني الجهد ، وآد الشيء : انثني ، وآد العشيّ (٨)

* « أور » كاد يغشى عليه من الأوار : أي العطش ، وبالمطي أوار ، ورجل أواريّ : شديد العطش .

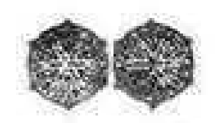
* « أول » فلان يؤول الى كرم ، ومالُكَ يؤول الى كفيل (٩) : اذا انضم واجتمع . وأحسن تأويلا : أي عاقبة ، وتأولت فيه الخير: توسمته ، والآلة الحدباء : النعش : (١٠) ..

* « أهل » فلان أهل لذا ، وقد استأهل له ، وهو مستأهل له . وسمعت أهل الحجاز يستعملونه كثيرا .

* « أيد » انه لايَدُّ الغداء والعشاء: اذا كان يكثر . وقد آدت ضيافته (١١).

انتهى حرف الالف

توفيق محمد شاهين



---

(١) في الاصل : ومئنايف ومئنانه .
(٢) في الاصل : وباتت الاتية انيسة ، وهو تحريف .
(٣) اي لبس السلاح ، لانه يؤنس بحملة .
(٤) في الاصل : ضد وحشتها .
(٥) عد هذا في الاساس من المشتق من المجاز .
(٦) في الاساس : لم تطمث . وفي القاموس المحيط : انفت المرأة : حملت فلم تشته شيئا .
(٧) في الاصل : اودى هذا الامر .
(٨) اى انثنى ورجع .
(٩) في الاساس ومالك تؤول الى كتفيك اذا انضم اليها واجتمع .
(١٠) في الاصل : النعس بالسين .
(١١) في الاصل : وقد آديه ضيافته .

كيف يستقبل العارفون العيد؟

وردت كلمة العيد فى القرآن الكريم مرة واحدة ، فى قوله تعالى فى سورة المائدة على لسان عيسى بن مريم — عليه السلام — : « اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

وألقى اللغويون الضوء على معنى كلمة العيد ، ومنهم أخذ المفسرون ، فقد جاء فى تفسير القرطبى :

قال الجوهرى : العيد أصله من عاد يعود أى رجع ، فهو عود بالواو فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ، وقيل ليوم الفطر والأضحى عيدا لأنهما يعودان كل سنة .

وقال الخليل : العيد كل يوم يجمع الناس كأنهم عادوا اليه .

وقال ابن الأنبارى : سمى العيد عيدا للعود فى المرح والفرح ، فهو يوم سرور الخلق كلهم الا ترى أن المسجونين فى ذلك اليوم لا يطالبون ولا يعاقبون ولايصاد الوحش ولا الطير ، ولاتنفذ الصبيان الى المكاتب ؟

وقيل : سمى عيدا لان كل انسان يعود الى قدر منزلته ، الاترى الى اختلاف ملابسهم وهيئاتهم ومآكلهم ، فمنهم من يضيف ومنهم من يضاف ، ومنهم من يَرحم ومنهم من يُرْحَم .

وقيل : سمى بذلك لأنه يوم شريف تشبيها « بالعيد » وهو فحل كريم مشهور عند العرب وينسبون اليه ، فيقال : ابل عيدية ، قال الشاعر وهو رذاذ الكلبى :

ظلت تجوب بها البلدان ناجية
عيدية أرهنت فيها الدنانير

قال ابن منظور فى اللسان : وبنو العيد حى تنسب اليه هذه النوق العيدية . وفى اللسان كذلك : العيد — أيضا — شجر جبلى ينبت عيدانا نحو الذراع ، أغبر لاورق له ولا نَوْر ، كثير اللحاء والعقد ، يضمد بلحائه الجرح الطرى فيلتئم ، ووجه الشبه هنا أن العيد يكفكف دموع المحزون ، ويلأم جراح المنكوب ، ويرسم البسمة على الشفاه ، ويشيع الفرحة فى القلوب ، ويفرج كربة المكروب .

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

ويجمع العيد على أعياد لا أعواد بمخالفة للقياس ، وهو فى ذلك ليس مثل ريح التى تجمع على أرواح ومخالفة القياس فيه مراعاة للبدل لا الأصل ، وللتفرقة بين جمع عيد وجمع عود الخشب .

وقد يكون اشتقاق العيد من العادة لاعتياد الناس له ، والعادة فيها معنى العود أيضا ، لأن الانسان يعود الى ما اعتاده دائما .

الفرح والعيد :

والفرح يصحب العيد كما فهم من التفسيرات السابقة ، وان كان ابن منظور يعزو الى الأزهرى : أن العيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح والحزن ــ على السواء . الا أن الناس جروا من قديم الزمان على أن يجتمعوا فى العيد للفرح والمرح واللعب ، وعلى أن يجتمعوا فى المأتم للحزن واجترار الآلام .

وربما جرى تناوب فى الألفاظ ، فقد يستعمل المأتم فى اجتماع مفرح كما قال أبوحية النمرى :

رمته أناة من ربيعة عامر
نؤوم الضحا فى مأتم اى مأتم

سياق يقتضى هنا أن المأتم يسوده الفرح لا الحزن .

وارتباط العيد بالفرح فى اذهان الناس خاصتهم وعامتهم ، هو الذى يلزمهم بالاستعداد لاستقباله استعدادا اجتماعيا يظهر فى اعداد ما يليق به من زينة ومتاع وتوسعة على الأهل والولد والأقربين، واستعدادا نفسيا يبدو فى التخفف من المتاعب والأعباء ومحاولة نسيان الآلام والأحزان . حتى اننا نرى شاعرا مبدعا كالمتنبى ييأس لأنه لم يستطع أن يعد نفسه لاستقبال العيد فى مصر بما ينبغى له من بشر وتفاؤل ، فقد حالت همومه التى ناء بها بينه وبين رؤية العيد على حقيقته ، فكتب قصيدته المشهورة التى هجا فيها كافورا الاخشيدى ونجا بنفسه

عيد بأية حال عدت ياعيد
بما مضى ام لأمر فيك تجديد :
اما الاحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيدا دونها بيد
لم يترك الدهر من قلبى ولا كبدى
شيئا تتيمه عين ولا جيد

لقد امتلأ قلبه بالحزن وانشغل عقله بالهم فلم يعد يخرجه منهما تلك الاستعدادات الضخمة التى تموج بها البلاد وتضطرب بها الأنحاء ــ ومصر منذ قديم الزمان تجرى فى احتفالاتها بالمناسبات المختلفة على غير قياس فحق له ان يقول :

اصخرة انا مالى لا تحركنى
هذى المدام ولا هذى الأغاريد ؟

مشروعية الاحتفال بالعيد

أما احتفال المسلمين بالعيد فأمر شرعه الله تعالى ، وأوجبه على نحو يربط الانسان بخالقه ويذكره بنعمته ويجعله يتساق مع فطرته الانسانية مع تعديل طيب لمسيرتها ، فقد أوجب عليه الفرح والابتهاج في هذا اليوم وأوجب عليه أن يشرك معه غيره فيه دون افراط أو اسراف.

ومشروعية الابتهاج بالعيد يترجمها الحديث الشريف الذى ورد فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، ورواه ابو داود عن أنس — رضى الله عنه — قال : « قدم رسول ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : ان الله قد أبدلكما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر ».

وجاء فى صحيح مسلم عن أم عطية — رضى الله عنها — قالت : « أمرَ — تعنى رسول الله ﷺ أن تخرج فى العيد العواتق وذوات الخدور ، وأمر الحيض ان يعتزلن مصلى المسلمين » .

وروى مسلم عنها أيضا . قالت : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن فى الفطر والأضحى ، العواتق والحيض وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين . قلت : يارسول الله ، إحدانا لا يكون لها جلباب ؟ قال : لتلبسها أختها جلبابها » .

أن ذلك يدل على حرص النبى ﷺ على الا يحرم أحد حقه فى الاحتفال بالعيد وشهود بهجته والمشاركة فى وجوه البر ونفحات الخير التى يفيضها الله على عباده فى هذا اليوم المشهود .

وأعظم احتفال بالعيد فى شريعة الاسلام الاجتماعية والانسانية والروحية يكون بصلاة العيد فى مكان جامع . يحتشد فيه المسلمون، ويلتقون مع اشراقة اليوم بوجوه مشرقة وقلوب مبتهجة وآمال متفتحة ، يكبرون ويهللون . ويشهدون الصلاة ويستمعون الى خطبة تذكرهم وتعظهم وتوقظ وجدانهم وتحيى نفوسهم ، ثم ينصرفون من طريق غير الذى جاءوا منه لتشهد لهم الطرق وتسعد بهم الأماكن .

وفى هذا اليوم المشهود يسعد الناس بعضهم ببعض . ويتناسون الاحقاد ويجددون الصلات ويصلون الارحام ويتزاورون ويتهادون.

اللهو البرىء :

واللهو البرىء مباح فى هذا اليوم طالما لايجر الى منكر ولا يتعدى الى قبيح .

روى مسلم فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : دخل على أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث . قالت : وليستا بمغنيتين . فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ ؟ . وذلك فى يوم عيد — فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا » وروى عنها أيضا قال : قالت عائشة — رضى الله عنها — : جاء حبش يزفنون — يرقصون —

فى يوم عيد فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ ، فوضعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر الى لعبهم ، حتى كنت أنا التى أنصرف عن النظر اليهم » .

وأخرج عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله ﷺ بحرابهم ، اذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى الى الحصباء يحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ : دعهم ياعمر . » .

ابتهاج الصوفية بالعيد :

والصوفية يبتهجون بالعيد شأنهم فى ذلك شأن الصادقين من المسلمين ، وهم ينظرون فى هذا الابتهاج الى قوله تعالى « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » يونس ٥٨ ، وهم يتفنون فى مقام الاحسان الذى ورد تفسيره فى الحديث المشهور « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

انهم يرون فى العيد معنى تجلى الله سبحانه وتعالى على عباده بالرحمة السابغة والفضل العميم ، وهم فى عبادتهم يفطنون الى أسرارها العميقة التى تكمن فيها ، فاذا كان الصوم لله — كما يقول الحديث القدسى — وهو يجزى به ، فمقتضى ذلك عندهم شهود الاخلاص فيه وقطع العلائق النفسية ومراعاة حق العبودية فاذا جاء العيد بعده شهدوا معه قبول صومهم عند اللـه ، فكان فرحهم بذلك القبول واجتيازهم اختبار اللـه اياهم بالنجاح .

وكذلك الامر بالنسبة للعيد الأكبر ، فالحج عندهم حسن القصد والالتجاء وصدق النية فى التلبية والتجرد والتضحية وأداء المناسك المختلفة فى الحج .فاذا تحقق ذلك من العبد فمن حقه أن يفرح بقربه من ربه وفوزه بما صح له من قبول نسكه وصدق قصده وشعوره بجمال القرب وحنان الرب ، أليس هو ضيف الله وفى جوار بيته الذى من دخله كان آمنا ؟ وهو اذا لم يكن حاجا فانه مستشعر — بمشاركته الوجدانية الصادقة وتعاطفه مع اخوانه المؤمنين — فيض الرحمة الالهية التى يلمسها المخلصون من عباد الله ، فيفرح بنعمة الله ويسعد بالفوز برضاه .

ان العيد الحقيقى فى نظر هؤلاء العارفين يكون فى التيقن برضاء الله عنهم وتوفيقه لهم، يروى السلمى فى طبقات الصوفية أن أبا بكر الشبلى — وهو من أئمة الصوفية توفى سنة ٣٣٤ هـ رئى فى يوم عيد خارجا من المصلى وهو يقول :

اذا ماكنت لى عيدا
فما أصنع بالعيد ؟
جرى حبك فى قلبى
كمجرى الماء فى العود

ان ما يشغله هو معرفة اللـه ، وشعوره بقربه هو ذلك العيد الذى يملأ كيانه ويشمل وجدانه ، ومظهر فرحه بالعيد لم يكن فى اعداد الطعام والشراب وزينة الثياب (١) — كما

(١) وهى أمور مرغوب فيها شرعا أيضا اذا تمت بحسن قصد دون اسراف او مخيلة .

كيف يستقبل العارفون العيد

يفعل سواد الناس ، ولكن فرحه أكبر من ذلك كله ، ولذلك حق له ان يقول :

فذكرك – سيدى – أكلى وشربى
ووجهك – ان رأيت – شفاء دائى

فاستقبال العارفين للعيد يحكمه معرفتهم بالله وشوقهم اليه واجتهادهم فى تحقيق رضاه همهم كله تحرى رضا الله فى أوامره ونواهيه ، والركون الى حكمه فى الاعطاء والمنع والسعة والضيق . وفى رسالة القشيرى أبيات للاديب الصوفى «ابى على الروذبارى» المتوفى بمصر سنة ٣٢٢ تشير الى هذا المعنى الذى يعيشون فى ظله .

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه
فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما
قلب يرى الفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس ان تلقى الحبيب به
يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا املى
والعيد ماكنت لى مرأى ومستمعا

ان فرحهم الحقيقى فى طاعة الله وسعادتهم العظمى فى سكونهم لحكم القضاء.

أما فرحهم بالطاعة فله معنى دقيق وفهم عميق ، يترجمه « ابن عطاء الله السكندرى » فى حكمة من حكمه حيث يقول : « لاتفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك » ان هذه الحكمة ترجمة صادقة

لقوله تعالى : « **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا** .. »

والذائقون يفرحون بالطاعات من ثلاثة أوجه – كما يقول الشيخ زروق شارح الحكم – :

فرح بها من حيث ما يرجى من ثوابها أو يخشى من عقاب فواتها .

وفرح بها من حيث وجودها وظهورها على يديه لتركيته بها .

وفرح بها من حيث ان الحق ذكره بالتوفيق لها ومن عليه بوجود تحصيلها مع تحصيل العبودية وامتثال الأمر بها .

وهذا الوجه الأخير أفضل مما سبقه ، وما سبقه أفضل مما قبله ، لأن الوجه الأول فيه رائحة الاعتماد على العمل ، وهو من أصول العلل – أى الاعتماد على العمل وحده دون نظر الى فضل الله ورحمته –

لقد أدرك الصوفية حسن توفيق الله لهم حيث وجههم الى سلوك الطريق المؤدى الى معرفته ، وفطنهم الى التمرس بما يؤدى الى فهم اسرار ما تعبدهم به ، فكان حتما عليهم ان يشتد فرحهم بنفحات الله التى ينثرها الله على عباده فى الأيام المباركات ، وليس عجيبا بعد ذلك ان نسمع احدهم يقول :

نحن فى لذة لو ادركها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى



أبو حيان التوحيدي

رجل جنى عليه فكره

للدكتور حامد إبراهيم الخطيب

لقد أنهينا مقالنا السابق بتساؤل ، يقول : أكان التوحيدي حقودا ؟

وهل الحقد يكون محمودا ؟ .

ونجيب عن الأول بأنا لم نر — نحن — أبا حيان كذلك أبدا ، وإن أكد وصفه بالحقد غيرنا من القدماء والمحدثين (١) ، ولئن لمح فيه شيء من ذلك لقد خلقته لديه المتعنتون خلقا ، وحملوه عليه حملا ، ويمكنك أن تستشف ذلك من خلال ما رأيت من مواقفه مع الصاحب ابن عباد ، وما سوف ترى له من مواقف أخرى مع الصاحب أيضا وابني العميد .

ونجيب عن الثاني بالمأثور عن القدماء ، وما ساق التوحيدي في كتابه « مثالب الوزيرين » .

أراد يحي بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضي الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك ، بلغني أنك حقود ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الشر والخير ، إنهما لباقيان في قلبي : فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحدا احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك .

وقد مدح ابن الرومي الحقد ، وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك ، وزاد فيه ، فقال لعائب عابه بذلك :

لئن كنت في حفظي لما هو مودع
من الخير والشر انتحيت على عرضي

---

(١) انظر ما كتبه ياقوت الحموي نقلا عمن وصفوه بذلك ، وطبقات السبكي ، والسندوبي في المقابسات و د . بدوي طبانه في الصاحب بن عباد ، د . زكي مبارك في النثر الفني ، وغيرهم .

لما عبتني الا بفضل ابانة
وربّ امرىء يزرى على خلق محض
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها
بل العيب أن تدان دينا ولا تقضي
وخير سجيات الرجال سجية
توفيك ما تسدى من القرض بالقرض
اذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع
من البذر فيها فهي ناهيك من أرض
ولولا الحقود المستكنات لم يكن
لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى
وبعض السجايا ينتمين الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذى اساءة
فثم ترى شكوا على حسن القرض (١)

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك أيضا : ان خصالك كاملة سوى حقد فيك ، فقال : أنا خزانة تحفظ الخير والشر (١) .

وروى الصولى عن أبى العيناء ، قال : لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته ، فاستحسن خطابى ، وقال : يامحمد ، بلغني أن فيك شرا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال في التزكية « نعم العبد انه أواب » وقال في الذم : « هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم » فذمه الله تعالى حتى قذفه ، وقد قال الشاعر :

اذا أنا بالمعروف لم أثن دائبا
ولم أذمم الجبس (٢) اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه
وشق لى الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب ، يلسع النبى والذمى بطبع لا يتميز ، فقد صان الله عبدك عن ذلك (٣) .

وهذه المعانى برمتها لم تغب عن ذاكرة التوحيدى ، فقد سجل منها كثيرا في كتابه « مثالب الوزيرين » ، ومنه قوله :

« ولم صنف الناس المناقب والمثالب ؟ ولم نشروا أحاديث الكرام واللئام ؟ » .

وكثير من الناس ــ عافاك الله ــ لا غيبة لهم ، أوفى غيبتهم أجر ، وقد وقع في الخبر عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس .

وحدثنا بركان الصوفى ، قال : ذم بشر الحافى بخيلا ثم قال : ان البخيل لاغيبة له ، قيل : وكيف ؟ قال : لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يابنى سلمة ، من سيدكم؟ قالوا : الجد بن قيس على بخل فيه . قال : فاى داء أدوى من البخل ؟ فذكره وليس هو بالحضرة (٤) .

ثم قال : من لم يذمم المسىء لم يحمد المحسن ، ومن لم يعرف للاساءة مضضا لم تجد عنده للاحسان موقعا (٤) .

(١) الحصرى ــ زهر الآداب ٦٧٩/٢ ، ٦٨٠ ط السعادة ، ٢٩٠/١ من امالى المرتضى ط الحلبى .
(٢) الجبس : الجبان اللئم .
(٣) ٢٩٩/١ امالى المرتضى .
(٤) مثالب الوزيرين ٢٢ ، ٢٧ .

وبعد فحمد المحسن وذم المسيء أمران جاريان على مر الزمان منذ خلق الله الخلق ، وعلى ذلك يجري الى أن يأذن بفنائه ، وهو ـ عز وجل ـ أول من حمد وذم ، وشكر ولام ألا تراه كيف وصف بعض عباده عند رضاه عنه ، فقال : **نعم العبد انه أواب (١) وقال في آخر : « **انه كان صادق الوعد** » (٢) وعلى هذا فانه أكثر من أن تبلغ آخره ، ثم انظر كيف وصف آخر عند سخطه عليه وكراهته لما كان منه فقال : « **هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد اثيم . عتل بعد ذلك زنيم** » (٣) وهذا فوق ما يقول مخلوق في مخلوق (٤) . وفي الجملة . من جهل حقك فليس يلزمك أن تعترف له بحقه ، ومن لم ينظر فيما لك عليه لم يجب عليك أن تنظر فيما له عليك ، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى لـه .

ولكن . كيف اتصل بسابقي العميد والصاحب ؟

ولم وضع كتابا مستقلا في ثلبهم ؟

لقد عرفت أن التوحيدي كان ضنك العيش ضيق اليد مظلوما محارفا (٦) ، والانسان ـ لا شك ـ مطبوع على أن يد تشرف أفقا أرحب ، وعيشا أهنأ ؛ وصاحبنا انسان ، دفعه تطلعه يوما الى أن يذهب الى الوزير المهلبي (٧) ، ولكن الوزير هذا لم ترقه أفكار أبي حيان الجريئة ، والتي وصلته مزيدة ومشوهة ، فغضب عليه بشدة ونفاه (٨) ، رغم أنه كان يشرب ويتماجن (٩) ، لكنه رغم ذلك ـ كان قاسيا عنيفا على ذوي البدع والانحرافات (١٠) ، ورغم أن التوحيدي يكثر من ذكر المهلبي ، فان حقيقة صلته به ، ومدتها وكيفية انتهائها ينتابها غموض كثيف (١١) .

ومهما يكن ، فقد خلص نجيا ، ولم ييأس من ان ينال حظا خيرا مما هو فيه ، وفي تلك الآونة كان ابن العميد : أبو الفضل عين المشرق ، ولسان الجبل ، **فانتجعه الشعراء والأدباء من كل صوب ، وساقوا اليه جياد المدائح ، وورد عليه أبو الطيب المتنبي ، ومدحه بغرر القصيد (١٢) . وبعد الغضبة المهلبية التي خالها أخذت عليه أقطار الحياة ، وجعلته متوجسا يتوقع الموت بين الفينة والفينة ، تراءى له أن يذهب الى الري ، يطلب

(١) ص ٤٤ .

(٢) مريم ٥٤ .

(٣) القلم ١٣ .

(٤) ٤٧ مثالب الوزيرين .

(٥) ٦٥ مثالب الوزيرين .

* من حقك أيها القارىء أن ترى هذا نقلا مطولا ، ومن حقنا أن نقول : لقد أردنا أن نزيدك من نفحات التراث . عساك تقرأ وتتصل .

(٦) المحارف : المحدود المحروم .

(٧) هو الحسن بن محمد الوزير المهلبي من ولد المهلب بن أبي صفرة ولد سنة ٢٩١ وتوفي سنة ٣٥٢ هـ ١/١١٨ معجم الادباء .

(٨) ٥/٢٨٧ طبقات الشافعية الكبرى ، ٦/٢٦٩ لسان الميزان .

(٩) ١/٣٢ الاغاني ط الهيئة سنة ١٩٧٠ .

(١٠) ص ١٨ ، ١٩ أبو حيان للدكتور الكيلاني .

(١١) المرجع والصفحة .

(١٢) ٤/٦٠ النجوم الزاهرة ٢/١٧٧ يتيمة الدهر ، ٤/١٩٧ وفيات الاعيان .

رفد ابن العميد ، ولا غرو ، فقد تسمع أنباءه واغرى بأخباره التى كانت فى أوجها وهو فى أوجه ، فوصل اليه ، وصدم بما لم يكن يتحسبه ، فقد شاهد رجلا غريبا صائما فى عشية من عشايا رمضان وقت الافطار يخرجه أعوان أبى الفضل (١) ، كذلك شاهد محنة شاعر مجيد يمدحه أمام الحضور ، ويبثه حاله البائس وينظم ذلك فى رائعة ، يقول فيها :

برح اشتياق وادكار
ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها
ترفض عن نوم مطار
لم يبق لى عيش يلذ سوى معاقرة العقار
احيا بالحان قمرت بهن الحان القمارى
واذا استهل ابن العميد تضاءلت ديمُ القطار
فكانما زفت مواهبه بأمواج البحار
وكاننا مما تفرق راحتاه فى نثار
ان الكبار من الامور تنال بالهمم الكبار

والى أبى الفضل اتبعت هواجس النفس السوارى .

ولكن صلة ابن العميد تأخرت ، فشفع الشاعر هذى القصيدة بقصيدة أخرى وأتبعها برقعة فلم يزدد الا اهمالا ، ثم أدخل عليه يوم خميس ، وهو فى مجلس حافل بأعيان الدولة ، ثم وقف بين يديه ، وقال : أيها الرئيس انى لزمتك لزوم الظل ، وذللت لك ذل النعل ، وأكلت النوى المحرق ، انتظارا لصلتك ، والله ما بى من الحرمان ، ولكن شماتة الأعداء ، وهم قوم نصحونى فأغششتهم ، وصدقونى فاتهمتهم ، فبأى وجه القاهم ، وبأى حجة أقاومهم ، ولم احصل من مديح بعد مديح ، ومن نثر بعد نظم ، الا على ندم مؤلم ، ويأس مسقم ، فان كان للنجاح علامة فأين هى ؟ وما هى الا أن الذين تجسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك ، وأن الذين هجوا كانوا مثلك ، فزاحم بمناكبك أعظمهم شأنا ، وأنورهم شعاعا ، وأمدهم باعا ، وأشرفهم بقاعا .

فحار رشد ابن العميد ، ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه ، وقال : هذا وقت يضيق عن الاطالة منك فى الاستزادة ، وعن الاطالة منى فى المعذرة ، واذا تواهبنا مادفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه ..(٢) وخرج الشاعر بعد أن حدث ما استثار ابن العميد ، حتى قال له : لست ولى نعمتى فأحتملك ، ولا صنيعتى فأغضى عنك .. (٢) ، فلما سكت عن ابن العميد الغضب ، التمسه ليعتذر اليه ، فانما غاص فى سمع الأرض وبصرها ، فكانت حسرة فى قلب ابن العميد الى أن مات (٢) .

---

(١) ٢٢٨ مثالب الوزيرين ، ٢/ ١٥٤ معاهد التنصيص .

(٢) ٤/١٩٧ وما بعدها من وفيات الاعيان ، ٢/١٩٦ وما بعدها من النثر الفنى ، ص ٢٢٤ من مثالب الوزيرين ، ١٥٦ : ١٥٩ من الصبح المبنى للبديعى — ومعنى قول ابن العميد : واذا تواهبنا ... الخ : ان ابن العميد اذا تنازل عن موقفه من ابن نباتة وحرمانه ، وتنازل ابن نباتة عن الحاحه ، فى الطلب ، استأنف كل منهما ما يجعل الموقف محمودا ، فيعطى ابن العميد ، ويرضى ابن نباتة — ص ١٥٨ هامش الصبح المنبى .

ولقد عرض الدكتور « زكي مبارك » لهـذه القصة ، وذكر ما قاله ابن خلكـان مـن أن التوحيدي نسب القصيدة والحوار الى شاعر من الكرخ ، وأن غيره نسبها لابن نباتـة . والذي يهمنا تعليق الدكتور الذي يقول فيه : اننا نجزم جزما قاطعا بأن هذا المجلس الذي نقلناه آنفا من صنع التوحيدي ، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية ، فاننا نعرف التوحيدي معرفة قوية ، لطول ما صحبناه (١) وعاشرناه ، ولو ألقيت جملة من كـلامه في أكداس من الأوراق لميزنـاها لأول نظـرة ، فليكن الشاعر من يكون ، وليكن المخـاطب من يكون ، فان واضع المجلس هو التوحيدي على كل حال ، ولا يبقى الا أن نرجح انه أداره على ابن العميد لا على غيره ، لأن هـذه الحفيظة من التوحيدي ما كانت لتثور في هذه القـوة على رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثلبه وتجريحه حينا من الزمان (٢) .

وهذا كلام يصدق بعضه ، وينهار بعضـه الآخر !

أما الصادق ، فكون كلام أبي حيان يميـز من بين الأكداس ، لأنه ـ كمـا قلنا ـ لـه سمته التي تجعله متميزا ومتفردا .

وأما ما ينهار فما عدا ذلك ، لأن القصـة لا تعدو أن تكون اتهاما بالبخل والشح لابـن العميد ، وليس من الصواب أن تكذب تكذيبا مطلقا ، فقد يكون ابن العميد على جانب من ذلك ، بل ثبت أنه كذلك ، وقد يعتريه ما يعتري الانسان من تقلب المزاج . وهذا الخبر الذي ساقه التوحيدي له نظائر ، ولم يشر اليهـا أبو حيان، ولكن الفكرة المسبقة ، والمتـأثرة باتهامات معاصري التوحيدي ـ والمعاصرة حجاب أو حرمان ـ من أنه وضاع مختلق ، وكذاب ملفق ، وليس هو كذلك في الحقيقة ، ذلك التأثر بما قيل ، وتلك الفكرة المكونـة سلفا ، هي هي ما جعلت كل شيء يصـدره الرجل محل شك وتردد ، والا ، فلم لم يكن للدكتور زكي مبارك مثل ذلك الرأي فيمـا أورده الثعالبي المعاصر للتوحيدي وابن العميد ونقله الدكتور نصا في نثره الفني ؟ . قـال الثعالبي : « وحدثني أبو الحسين محمد بـن الحسين الفارسي النحوي ، قال : سـمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقـد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا اذ ذاك في ريعان الشـباب ، فلمـا تقـوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل الافطار ، تكـرت ذلك فيما بيني وبين نفسي ، واستقبحت اغفاله الأمر بتفطير الحاضرين ، مع وفور رياسته ، واتسـاع حاله ، واعتقدت أن لا أخل بـه اذا قمت يوما مقامه (٣) . فمضمون قــول



(١) نسوق هنا تعليقا طريفا لاستاذنا الشيخ عبد الظاهر ـ عافاه الله ـ على كلمة مبارك : لا انازعك في ادعاء صحبته ومعاشرته طويـلا ، ولكن لا استطيع ارغام نفسي على تصديقك في انك تعرفه ، وانك قادر على تمييز كلامه لأول نظرة ، لأن الرجل لم يكن يقرض الشعر ، ولم يرو له شيء منه في اي كتاب من كتبه او كتب سـواه ، فماذا اجدت عليك صحبته ومعاشرته ؟

(٢) ٢/ ١٩٦ ، ١٩٩ النثر الفني .

(٣) ٣/١٧٢ من يتيمة الدهر ، ٢/٢٤٣ النثر الفني .

الصاحب هذا ، هو مضمون ما قرره التوحيدى ولكن الأمر على حد قول عبد الله بن معاوية ابن جعفر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

اما أنا فمازلت أقول : ان الرجل قد ظلم بشدة فى كثير من الامور ، وان فكرة الغرام بثلب الكرام ربما اتى بها التنافس والصراع بين النظراء ، فالصقت به الصاقا ، وربما أتى بها احساسه الدائم بأنه محسود محارف منكود .

ومهما يكن فقد رأى التوحيدى بخلا فى ابن العميد لم يكن يتوقعه ، فتركه موليا ، ثم أخذ يترصد أخباره ويضم ما يسمع الى ما رأى عيانا ، ومن خلال هذا وذاك تكون عنده ما حدابه أن يسلكه فى سلك الصاحب ، وأن يثلبه معه فى « مثالب الوزيرين » وأن يصوب اليه مقذع الهجو ، ومؤلم الكلام .

وكان التوحيدى فى تلك الأثناء يعرف ابن العميد أبا الفتح قبل أن يتقلد الوزارة ، وحين « كان مقتبل الشباب ، قليل التجارب ، غير مفكر فى العواقب » (١) وعرفه بعد تقلد الوزارة ، اذ « كان شابا ذكيا متحركا يحسن الشعر ، مليح الكتابة ، كثير المحاسن ، ولم يظهر كل ما فى نفسه ، لقصر أيامه واشتعال دولته ، وطفوها بسرعة (٢) » ولأن التوحيدى قد ألم الماما بسيرة ذى الكفايتين وأخباره ، لم يجد ياقوت الحموى مايترجم به أوفى مما سجله أبو حيان حيث وجد فى ذلك وصفا ضافيا لأبى الفتح بن العميد .

ولقد مدح التوحيدى فيه ذكاءه وكرمه ، وحسن تأتيه فى المنادمة ، ثم عاد فوضعه مع أبيه فى قرن ، فذم فيه السفه والطيش وقلة التجارب ، والفقر فى الكياسة ، وسياسة الكبار من الامور ، وذلك ما أودى بحياته ، وحياة كثير من المقربين » .

واذا اتسم اتصال التوحيدى بأبى الفضل ابن العميد بقصر المدة ، وقلة الاختبار عن كثب ، فقد كان اتصاله بأبى الفتح — فيما يبدو — طويل الأمد ، قصير الأمل ، فقد قدم اتصاله هذا برسالة مطولة كثرت الأقوال حولها ، وكانت سببا — كما المعنا — فى تنكر الصاحب وقلب ظهر المجن له ، وقد نشرت هذه الرسالة مرة على أنها مثال للأدب العالى ، والنسج الرفيع (٣) ووضعت مرة أخرى ضمن ما وصم به من الخسة والدناءة ، ومن التملق والتهافت المقيت (٤) .

ومهما يكن من شىء ، فقد كان حظه كما عهده ، منذ ورد نوخيبة وحرمان ، ورغم أن هذه الرسالة قد أجراها على نمط أساليب عصره السائدة الممدوحة — رغم بغضه وكرهه

---

(١) ١٤/١٩١ وما بعدها • معجم الادباء
(٢) ١٤/٢٣ المرجع ، ٦ ، ٤ اخلاق الوزيرين •
(٣) ص ٣٢٤ من دائرة المعارف الاسلامية ، ص ٤٦٢ من عصر الدول د• شوقى ضيف ، ص ١٧٧ من • ابو حيان د • عبد الواحد الشيخ •
(٤) ص ٣٦ من ابو حيان د • محيى الدين • ص ١٠٨ مقدمة المقابسات للسندوبى •

لها ـ فقد أثارت حوله زوابع مآخذ ، ولنا على ذلك تحليل ورد ، ليس هنا موطنه ، ولكن نسوق أنموذجا ، قال في افتتاحها :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم هيء لي من أمري رشدا ، ووفقني لرضائك أبدا ، ولا تجعل الحرمان علي رصدا ، وأقول : ـ وخير القول ما انعقد بالصواب ، وخير الصواب ما تضمن الصدق ، وخير الصدق ما جلب النفع ، وخير النفع ما تعلق بالمزيد ... ، ثم أخذ في وصف أبي الفتح وامتداحه .

وقد عقب السندوبي على الرسالة بقوله : « ما أشبه هذه الرسالة الا بالرقى والتمائم ، وهي بالخب والاستغفال أشبه منها بالجد في حسن السؤال ... » (١)

ووافقه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، مع تخالف في التعبير ، فقال : « وأقول : ان أبا الفتح ما انخدع ، ولا استغفل بهذه الرسالة ،وقد بدت له ناحية الضعف في نفس منشئها ، فكانت من بواعث خيبته وحرمانه ، حتى حرم عليه الأجر والشكر » (٢) .

ولكن لعلك على ذكر من الاسباب التي ارتأيناها ، وكانت هي أس الابعاد والحرمان ، ونرجح مع الطنجي أن هذه الرسالة أبدت لابن العميد شخصية أديب واسع الثقافة ، اكسبته صلته بالناس ـ على اختلاف طبقاتهم ، ومشاركته لهم في حياتهم ،يخبرها وينفذ الى أعماقها ـ تجربة واسعة ، ناقد مر ، لا تكاد عينه تخطيء مواطن النقص ، ذي حس مرهف ، ينفعل لأخف المؤثرات ، ويسجل أسرع الحركات وأخفاها ، مع قدرة لغوية فائقة تسعفه على نقل أحاسيسه نحو الناس ـ مهما دقت ـ في غاية من الوضوح والصفاء ، ومثل ابن العميد فطنة وذكاء لا يخفى عليه شيء من ذلك ، ورجل تلك صفاته ـ كالتوحيدي ـ لو مكن لأمكنه أن يتصدر ،ويتأخر كثيرون . واذا ثبت حرمان التوحيدي من رفد ابني العميد ، واذا تأكد لديه أنهما يضمران له كل ما يسد عليه طريق مكان يستأهله ، فقد استأهلا منه ما وصمهما به في « أخلاق الوزيرين » .

واذ يئس من مكرمة ينالها من أبي الفضل العميد ، وكان على شاكلته ابنه، فقد سمع صاحبنا ـ كما سمع غيره ـ أنباء الصاحب بن عباد ، وكيف يهب ويعطي ، فذهب اليه وجميعه آمال ، وكان أمله الأكبر أن يترك عنده حرفة النسخ والكتابة ، تلك التي تقضي على البصر والعمر ، فماذا كان ؟!

يتبع

د / حامد ابراهيم الخطيب

---

(١) ١٠٨ مقدمة المقابسات .

(٢) ٤١ أبو حيان التوحيدي .

٩

من قضايا الأدب والنقد

شعراء النقائض

وخصومات جادة

في مقالي السابق عرفت بشعراء النقائض وعرضت رأي من يقول بأن النقائض لم تكن قائمة على خصومة جادة وانما كانت للترفيه والتسلية ، ثم نقدت ما روى من أن جريرا والفرزدق كانا متصافيين وأن جريرا رثى الفرزدق عندما مات رثاء حارا واستكمل الآن مناقشة تلك الدعاوى فأقول وبالله التوفيق :

أما القول بأن تلك الخصومة ليست جادة « لأنها لو كانت كذلك لشهرت معها السيوف وبخاصة عندما يأخذ جرير والفرزدق في قذف نساء العشائر والأمهات والأخوات كما يقول الكاتب الكبير .

فليس الامر كذلك والحقيقة :

أن جريرا كان ينال من نساء مجاشع ويتهمهن بكل كبيرة ، كما كان الفرزدق يصنع نفس الصنيع ولا يتورع عن مأثمة أو كيد ، والمتتبع لقصائد الشاعرين الكبيرين يرى هذه الحقيقة دون أدنى عناء ، وإذن فلا داعي لشهر السيوف مادام كل منهما يأتي ما يأتيه خصمه من قذف وافحاش .

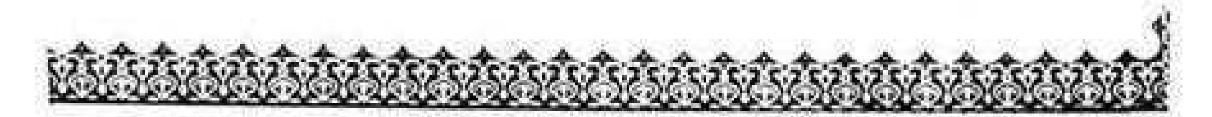
وارجع ان شئت الى قصيدة جرير التى قدمت ذكرها قبل فستراه يذكر جعثن أخت الفرزدق كما يذكر الرباب احدى نساء مجاشع رهطه أيضا ويتهمها ويرميها زورا كما قدمت ، ويرد عليه الفرزدق فيعيره بأمه ويرميها كما يذكره بيوم (أراب) ، وما حل فيه من هزيمة على رهط جرير بنى يربوع ؛ وقسم نساء قومه بين فرسان تغلب الغازين .

ولن أستطيع الاستشهاد الا بالنزر اليسير مثل قوله :

عواني في بني جشم بن بكر
فقسمهن اذ بلغ الايابا
نساءكن يوم اراب خلت
بعولتهن تبتدر الشعابا

---

(١) النقائض ص ١٨٠ وما قبلها ج ٢ .



للدكتور محمد عرفه المغربى

ثم يعيره بلؤم قومه وجبن عشيرته جميعاً.

ومادام كل من الشاعرين ينال من خصمه ويسقيه من نفس الكأس فلا داعى حينئذ لشهر السيوف أو حمل السلاح .

وبقيت مسألة هينة تتمثل فى قول كاتبنا الكبير :

أما العوامل الاجتماعية فمردها الى حاجة المجتمع العربى خاصة فى البصرة الى ضرب من الملاهى يقطع به الناس أوقاتهم الطويلة ودائما حين تنشأ المدن تنشأ معها أوقات فراغ تبعث أهلها على أن يملئوها اما بالدرس والنظر العقلى واما بلهو يختلفون اليه وفعلا نهضت دراسات دينية وعقلية مختلفة ، وكان لابد أن ينشأ بجانبها نوع من أنواع الملاهى يجد فيه الفارغون من العمل تسليتهم ... وكانت قبائل العراق شديدة الصلة بحياتها البدوية القديمة وأخذت نيران الهجاء تشتعل فيها اشتعالا شديدا (١) .

وهنا مسألتان :

الأولى : تتعلق بحياة المدن الجديدة التى نشأت فى الاسلام وما كان فيها من لهو وفراغ كان شعراء النقائض وسيلة القضاء عليه بشعرهم الذى لا يمثل جدا خالصا ، وانما هو وسيلة تسلية وترفيه ــ كما يقول الكاتب !!

ونحن نعلم من تاريخ البصرة والكوفة أنهما بنيتا فى عهد عمر رضى الله عنه وبأمره وأن الخليفة قصد ببناء البصرة فى ذلك الموضع أن تكون مركزا للجيش العربى لأنه وجدها بقعة قريبة من النهر تشرف على السهول والوادى الخصيب وتقرب من المشارف والمراعى (٢).

ويروى الطبرى أن عمر رضى الله عنه قال لعتبة بن غزوان الذى قام بأمر بناء البصرة وكان اسمها أرض الهند :

ياعتبة انى استعملتك على أرض الهند وهى حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها (٣) .

فلم يكن هناك كبير فراغ ، وكانت الحرب دائرة بين المسلمين وبين أعدائهم فى شرق الدولة وشمالها وغربها طيلة حكم الأمويين .

فلم يكن هناك ما ذكره الكاتب من فراغ وملاء وتسلية وترفيه .

أما الأخرى : فهى ما ذكره الكاتب من أن نيران الهجاء أخذت تشتعل فيها اشتعالا شديدا لشدة صلة قبائل العراق بحياتها البدوية القديمة .

وهذا كلام أرتضيه تماما اذ يتسق مع

(١) تاريخ الأدب العربى ــ العصر الاسلامى ص ٢٤١ بتصرف يسير .

(٢) الحياة الادبية فى البصرة الى نهاية القرن الثانى الهجرى للدكتور أحمد كمال زكى ص ٢١ .

(٣) تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ٥٩٣ .

ما أقوله من أن الهجاء بين شعراء النقائض يمثل خصومة جادة وليس ضربا من التسلية والترفيه فهو حجة لي كما أنه يتناقض مع ما يقوله كاتبه عيلة تماما .

وتبقى دلائل الخصومة بين الشاعرين ولعل من أوضح الأدلة على أن ما بين الشاعرين كان خصومة جادة ولم يكن مجرد لهو وتسلية هذه التسمية نفسها .

أن تلك التسمية لما صدر عنهما من شعر لا تكون الا في حال الخصومة الأصيلة والعداء الحقيقي ، فلم يسم الرواة وعلماء اللغة ما جمعوه من شعر في هذا المجال هجاء مثل ما يكون عادة شعرا للتعبير عما في النفس من غضب عارض أو خصومة وقتية سريعة ، وانما اختار أبو عبيدة لما جمعه من شعر جرير والفرزدق والأخطل والراعي ونحوهم اسم « النقائض » التي سبق أنها تدل على التقويض والهدم ، ونكث الأمر وذلك لا يكون الا في الخصومة الشديدة ، ولا يكون من باب التسلية والترفيه .

وقد كانت الخصومة عنيفة بين مشركي مكة وبين الرسول الكريم وسائر المسلمين وبخاصة عندما بدأ القتال بين الفريقين بعد الهجرة ومن هنا كانت النقائض بين الفريقين تعبيرا عن تلك الخصومة الجادة العنيفة تلك التي أورد ابن هشام في السيرة النبوية الكثير من أخبارها وما قيل فيها من كلا الفريقين .

وارجع الى سيرة ابن هشام لترى كثيرا من النقائض بين المسلمين والمشركين بسبب ذلك العداء بين الفريقين .

وعندما بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عبد المطلب في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين غسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقي بها جمعا من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، الا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم بينهم ، فكان أول سهم رمى به في الاسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وانحاز الى المسلمين المقداد ابن عمرو حليف بني زهرة وعتبة بن غزوان المازني وكانا مسلمين وكان على المشركين عكرمة بن أبي جهل .

حينئذ استشعر المسلمون القوة والحماسة وقال شاعرهم :

ترى من لؤى فرقة لا يصدها
عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا
عليه وقالوا : لست فينا بماكث
اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا
وهروا هرير المحجرات اللواهث

الى أن يقول :

لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم
ولست اذا آليت قولا بحانث
لتبتدرنهم غارات ذات مصدق
تحرم أطهار النساء الطوامث

ويجيبه عبد الله بن الزبعرى (١) فيقول :

ومن عجب الأيام والدهر كله
له عجب من سابقات وحادث

---

(١) بكسر الزاي وفتح الباء وتسكين العين وفتح الراء .

لجيش أتانا ذى عرام يقوده
عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث

لنترك أصناما بمكة عكفا
مواريث مورث كريم كوارث

فلما لقيناهم بسمر ردينة
وجرد عتاق فى العجاج لواهث

نقيم بها اصعار من كان مائلا
ونشفى الذحول عاجلا غير لابث

فكفوا على خوف شديد وهيبة
واعجبهم امر لهم امر رائث (١)

فهذا الشعر الذى قيل والنفوس تتاجج بالكراهية بين المسلمين والمشركين هو النقائض وهى لا تكون الا فى مثل هذه الحالات التى تدفع الى قتال شديد كالذى كان بعدها فى بدر وما بعد بدر من غزوات .

ففى هذا دليل على أن النقائض لا تكون تسلية وملهاة للعاطلين فى البصرة أو فى الكوفة بحال من الأحوال .

ومما يؤكد أن النقائض كانت جدا خالصا وخصومة حقيقية موقف والى البصرة : خالد الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الذى وليها لابن الزبير من سنة ٦٥ : ٦٧ هـ وكان يلقب بالقباع وقد رأى فى تلك الخصومات سببا للشغب بين قبيلة (دارم) رهط جرير و «مجاشع» رهط الفرزدق والعجيب أن الأستاذ الدكتور عرض اشىء مما كان من هذا الوالى وذكر أنه كان يتوعد جريرا على الاستمرار فى الهجاء مع الفرزدق لما يثيران من عصبيات القبائل ، فالرواة يروون أنهما لما تواقفا بالمربد فى ولايته أرسل اليهما عباد بن الحصين فهدم دارهما وطلبهما وذكرا ذلك فى نقيضتين لهما يقول الفرزدق فى أولاهما :

احارث دارى مرتين هدمتها
وكنت ابن أخت لا تخاف غوائله

ويقول جرير فى ثانيتهما :

وما فى كتاب الله هدم بيوتنا
كتهديم ماخور خبيث مداخله (٢)

ولم يذكر الأستاذ الدكتور أن هذا الوالى حبس جريرا وهرب منه الفرزدق بسبب تلك الخصومة المحتدمة .

يقول أبو عبيدة :

لما واقف جرير الفرزدق بالمربد طلبا ، فهرب الفرزدق وأخذ جرير فحبس وأخذت نوار بنت أعين امرأة الفرزدق فحبست كما حبس جرير فزاد جرير فى قصيدة له :

فبانت نوار القين وخوا حتابها
تنازع ساقى ساقها حلق الحجل

تقبح ريح القين لما تناولت
مقذ هجان اذ تساوفه فحل

فاقسمت ما لاقيت قبلى من الهوى
واقسمت ما لاقيت من نكر مثلى

ابا خالد أبليت حزما وسؤددا
وكل امرىء مثنى عليه بما يبلى



(١) السيرة النبوية لابن هشام تحقيق د. محمد فهمى السرجانى جـ ٢ ص ١٦٩ وما قبلها ولم انسب القصيدة الاولى لانها نسبت الى ابى بكر رضى الله عنه ثم شكك المؤلف فى هذه النسبة .

(٢) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ط دار المعارف ص ١٧٦ .

أبــا خالــد لا تشــمتن أعاديــا
يــودون لو زلت بعهلكــة نعــلى

وكان والى أهل البصرة (١)

والقدر الذى نقله الاستاذ الدكتور عن مصادره يدل قطعا على احساس الوالى وخوفه من فتنة عارمة بين بطون (تميم) فى البصرة قد تمتد الى غيرها من الامصار ولهذا أمر بهدم داريهما ، وليس هذا جزاء من يقصد الى التسلية والترفيه بالامراء •

وأما القدر الذى نقلته عن النقائض فانه يؤكد هذا المعنى والسجن رادع عن الاستمرار فى تلك الخصومة الجادة ، والوالى لم يسجن جريرا وحده بعد أن هرب الفرزدق وانما بالغ فسجن النوار زوجة الفرزدق وذلك أدل على ما نقول • ولو كانت الخصومة تمثيــلا للتسلية لما تمادى جرير ونال مــن النوار فى قصيدته ورماها معيرا لها بالقيــد والمبيت فى السجن واقبالها عليه بالهوى والــمودة حيث لا مجال لهذا اللهو ، ولكنه يريــد المبالغة فى الكيد لخصمه اللدود ثم أقبل على الوالى فى ضراعة حتى لا يشمت به خصومه والشامتين فيه ، وهم بلا شك من يذكرهم فى نقائضــه وأهاجيه •

ولعل من أبلغ الأدلة على أن النقائض كانت عداء خالصا ما تناولته من موضوعات ، ذلــك أنها بالغت أى مبالغة فى النيل من الخصوم ورميهم بكل قبيحة ، والصاق العورات بهم ان حقا وان باطلا •

وقد لا نستطيع الاستشهاد على ذلك فى يسر اذ أن كثيرا من الشعر فى هذا المجــال لا يستسيغه ذوقنا المعــاصر الذى ينفــر مــن الفحش الى حد كبير ، وحســبك أن تعلم أن جريرا نال من جعثن أخت الفرزدق ورماهــا بالفاحشة وكرر هذا المعنى فى كثير من قصائده وانظر أبياته التى ترد بعد هــذا البيت فى ديوانه :

ومــا لاقيت ويلك مــن كــريم
ينــام كما تنــام عــلى التراب (٢)

لنتأكد من افحاش جرير الذى وصف بانه كان عفا والحقيقة أنه من أبعــد الناس عن العفة والاعتدال •

وهذا الغلو فى النيل من خصومه دليل قــوى على أن الامــر جــد محض لا تسلية فيه ولا ترفيه ، ولا ســيما اذا قــال جــرير اليربوعى ــ فى الفرزدق المجاشعى وكلاهما ــ كما أسلفت ــ من تميم •

محمد عرفه المغربى

---

(١) النقائض بين جرير والفرزدق جـ ١ص١٥٣ وما قبلها •
المحل : القيد ، والقذ خلف الاذن ، والهجان الابيض ، تسارقه : تشامه وأراد بالفحل نفسه •
(٢) ديوان جرير ط دار المعارف جـ٢ ص ٨٢٨ •

الإعلام الإسلامي
الأسس والمبادئ

للأستاذ حسن علي محمد العبيسي

* عود على بدء : —

قدمنا في الحلقات الماضية عرضا لبحوث الاعلام الاسلامي ، وأسباب تأخر هذه الدراسات ، ثم قدمنا توضيحا لمفهوم الاعلام الاسلامي ، وفي الحلقة الثالثة قدمنا توضيحا لبعض الاستفهامات التي طرحها القراء ، ونأتي في هذه الحلقة الى الاسس والمبادىء العامة في الاعلام الاسلامي ، ونحن في هذا الجانب لن نتحدث عن أخلاقيات العمل الاعلامي وانما سنركز الجهد حول العملية الاتصالية نفسها وفقا للقيم والمعايير والمبادىء الاسلامية وبما يخدم العمل الاعلامي نفسه .. !!

* وحسبنا أن نعلم أن الاعلام الاسلامي مثله الاعلى في « التأثير » و « التوصيل » ، القرآن الكريم فانه رسالة اعلامية ، وان الاعلامي المسلم مثله الأعلى — في عطائه وفي أخلاقه — النبي — ﷺ — ، فقد كان قرآنا يمشي على الأرض .

* والمتأمل للقرآن الكريم ، وللسيرة النبوية ، وسيرة التابعين ، سيقف على لباب النجاح في الاتصال بالجماهير ، وعلى جوهر النجاح في « التأثير » ، وهو الأساس في أية رسالة اعلامية لذا نقول لرجل الاعلام .

اذا أردت النجاح — وهو حلم رجال الاعلام في التوصل الى الجماهير — فعليك بالقرآن الكريم وبنهج محمد ﷺ معلما وقدوة ونحن لن نزيد على أن نجلو لك ما تيسر لنا فهمه من حقائق اعلامية في كتاب الله الكريم ثم نقدم لك هذا كله في ضوء أحدث الدراسات الاعلامية وبحوث الاتصال ، وبهذا نقف معا على الخير هنا .. وهناك .

⁕ أسس ومبادىء اعلامية فى القرآن الكريم:

١ ــ المكى والمدنى من آى القرآن فى ضوء المنطق الاعلامى العام والخاص فى بحوث الاعلام : ــ

القرآن الكريم يخاطب العامة من الناس ويخاطب الخاصة فيجد فيه كل بغيته ولقد كان بدء نزول القرآن بمكة ، ثم كانت الهجرة مع استمرار التنزيل المبارك ، أثناءها ومن بعدها بالمدينة . وكان من الطبيعى أن تكون بعض موضوعات القرآن بالمدينة غيرها فى مكة فقد كثر التشريع بالمدينة ، مع استمرار الاهتمام بأصول الرسالة .

كان القرآن الكريم ــ فى مكة ــ يركز على العقيدة الخالصة مبينا فساد غيرها من العقائد سواء : كانت دهرية تنكر الألوهية ، او كانت مشركة تدعى أكثر من اله ، او كانت وثنية تعبد من دون الله زلفى اليه . وفساد هذه العقائد الثلاث يعنى التنديد بوسائلها أيضا ، ومن هنا كانت حملة القرآن الكريم على العادات السيئة والتقاليد الآثمة المنتشرة فى هذا الوسط .

ومع هذه القضايا الأساسية على القرآن ــ فى مكة أيضا ــ باهتمامات الناس وأسلوب معاشهم وتاريخهم فخاطبهم فى أمور حياتهم ، وحدثهم عن رحلتى : الشتاء والصيف ، وحادث الفيل ذكرا بنعمة الله عليهم .

ثم لنا أن نلحظ بعد ذلك « التكنيكات » التى استخدمها القرآن فى عرض هذه القضايا قضية « التوحيد » مثلا :

يقدمها القرآن الكريم مرة فى قالب قصصى أخاذ فى حديثه عن الأمم الغابرة وتكذيبها للرسل ، وجهاد أنبيائها بالاقناع فى أدب جم بالغ .

وتارة يقدمها فى شكل توجيه مباشر .

وثالثة بضرب الأمثال ... الى غير ذلك وكم يستحثهم عقليا وتفسيا بالقاء الأسئلة عليهم استحثاثا يملى عليهم وجوب التفكير حتى أبرز فى النهاية خلوهم من الدمغة واستمساكهم بالعناد فحقت عليهم لعنة الله.

والاعلامى المسلم عليه أن يتأمل هذه الجوانب بعين الباحث ، فاذا كان طلاب الاعلام يدرسون « الحملات الاعلامية » لتقديم الموضوع الواحد فى اكثر من شكل اعلامى ، وبأكثر من وسيلة وفى أكثر من مناسبة ، فان مما يزيد من فاعلية الرسالة أن تقدم فى توقيتات معينة ، وأماكن بعينها .

ومن السيرة النبوية الشريفة نرى ذلك واضحا :

نرى كيف كانت « أيام الحج » فرصة ذهبية للدعوة ... وأنت بثمارها على سنواتها المتتاليات .. ألم تكن سببا فى انتشار الاسلام بالمدينة .. حتى قبل أن تأتيها اعداد المهاجرين ؟

وكان الحرم ، وبعض الأماكن العامة ، أماكن « استراتيجية » طرقها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فاذا عدنا الى المكى والمدنى فى الكتاب العزيز ، وأمعنا النظر فى التعريفات الخاصة به أعطانا جوانب فى الاعلام ــ جديرة بالاهتمام من الباحث الاعلامى المسلم وما من شك أن وجهات النظر فى المكى والمدنى وما

وما يتصل بها من الاهتمام بالمكان من مكة الى المدينة ... كل ذلك له عطاؤه الذى يوضح لنا الى أى مدى يؤثر أحد أركان العملية الاتصالية فى تكوين الرسالة الاعلامية نفسها.

وليس من شك فى أن للمكان وهو ــ بيئة الاتصال ــ دورا أساسيا فى أسلوب العرض ، والموضوعات التى تثار فيه ، وأنت تجد أيضا جمهور « المدينة المنورة » غير جمهور مكة ، كل هذه أمور لها وزنها وقيمتها فيما نحن بصدده من دراسات الاعلام فليس من شك فى أن خصائص المكان والجمهور تستتبع اعداد اللون الاعلامى المعين بما تقتضيه هذه الأحوال .

ونلاحظ أن الكتاب العزيز خاطب العرب بلسان عربى مبين ، ومن رائع بيانه قوله ــ عز وجل:

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ »

لذلك يطرق آذانهم بما علموه من أساليبهم فهو يعبر عن « العام » بالألفاظ التى وضعها العرب لافادة الشمول والاستغراق كلفظ « كل » و « جميع » و « كافة » .

وبالنكرة فى سياق النفى ... الخ

قال تعالى :

« كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ » البقرة ١١٦

« هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا » البقرة (٢٩)

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ » سبأ (٢٨)

« وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ » الحجر (٢١) .

وليس ذلك كل ما هنالك من أساليب ، فان القرآن أوعب وأشمل من ذلك ، انما أردت ذكر شىء يعين الباحث الاعلامى على فهم « المحتوى » من حيث هو « رسالة اعلامية » يرغب الباحث فى بناء رسائله على نسق يماثل هذا النسق القرآنى مع اختلاف الموضوع والظروف وهنا موطن الاستفادة .

* والمنطق الاعلامى يتحدد فى (المرتكزات الاعلامية) التى يضيفها الاعلام الاسلامى فى شكل رسائل اعلامية موجهة الى مستقبل الرسالة الاعلامية ، ولهذا أمكن التوصل الى المنطق الاعلامى الخاص بالمشركين أو غيرهم بالرجوع الى المرتكزات المنطقية الواردة فى سياق الآيات ولهذا تبدو أهمية معرفة المكى والمدنى فى القرآن ، فاذا كان من الواضح أن القرآن بهذا له منطق خاص بكل قطاع من الجماهير ، فانه كذلك لهمنطق عام ، وهذا المنطق نراه يتطور من وقت لآخر وفقا لمقتضيات الظروف ولأحوال الناس ، ولامتلاك زمام المبادرة من الاعلام المضاد .

كذلك تلاحظ أن القرآن الكريم اذا توجه الى الناس كان للجملة بناء معينا وللصياغة شكلا معينا ، واذا توجه الى المؤمنين كان له ايقاع وصور تختلف عن اللون السابق ، فان لكل مقام مقال .

ــ مصادر اسلامية :

١ ــ د. صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن (دار العلم للملايين ــ ط تاسعة) ١٦٧٧ .

٢ ــ الامام محمد ابو زهرة : المعجزة الكبرى (القرآن) دار الفكر العربى ط ١٩٧٧ .

٣ ــ د. احمد بدوى : من بلاغة القرآن .

٤ ــ الشيخ محمود شلتوت : الى القرآن الكريم ، الهلال ، العدد ٢٩١ .

٥ ــ الشيخ محمد حسنين مخلوف : صفوة البيان لمعانى القرآن ، ط. الامارات .

٦ ــ محمد فريد وجدى : المصحف المفسر .

٧ ــ محمد رشيد رضا : تفسير المنار ، ط. المنار .

٨ ــ الامام السيوطى : اسباب النزول ، مطبعة تحسير .

قضية البعث الإسلامي

المنهج والشروط

تأليف وحيد الدين خان
ترجمة محسن عثمان الندوى

فى عدد « شهر رمضان ١٤٠٥ هـ » عرضنا للمقالة الأولى عن هذا الكتاب الذى قلنا عنه : انه مجموعة من المحاضرات كان قد أعدها المؤلف لالقائها فى المركز الاسلامى الذى أقيم قرب نيروبى فى أفريقيا الوسطى .

وقد ذكرنا انه على الرغم من أن الكتاب مجموعة من المحاضرات ، الا أنه كما قال مؤلفه يدور حول محور واحد ، هو ان البعث الاسلامى الجديد ، يقتضى منا الآن العقل المفكر ، والتخطيط الصائب ، والعمل الجاد ، وليس الأعمال التافهة ، ولا مجرد الآمال العريضة ، والأمانى الفارغة .

وقد عرض المقال السابق لموضوعين فى الكتاب هما : الفكر وكيف يكون واعيا ومنهجيا صحيحا ، والدعوة الاسلامية وكيف ينبغى أن تقصر على التعريف بالاسلام والحياة الايمانية .

ومع بيان وجهة نظر المؤلف ، فقد أخذنا عليه تقليله من أهمية الجانب المادى الذى يصاحب الدعوة ، وبينا كيف جانبه الصواب حين أراد أن يقصر الدعوة على جانب الاقناع فحسب ، دون أن تلجأ الى القوة اذا احتاجت اليها لرد غائلة المعتدين ، ظانا أن ذلك شأنه أن يجور على حقيقة الدعوة الى الله .. وفى هذا المقال نسير مع المؤلف فى موضوعات كتابه الباقية .

— ١ —

فى اطار الحديث عن الاسلام ، وتحت عنوان « الاسلام يغلب » يتابع المؤلف عرض فكرته ، التى كانت موضع مؤاخذة المقال السابق ، ونراه يلح الحاحا كثيرا فى سبيل تأكيدها وتأصيلها وترسيخ جذورها .



عرض وتعليق:
د. طه مصطفى أبو كريشة

* * في صدر هذا الموضوع يقول المؤلف ان البعث الاسلامي الجديد ليس أمرا هينا يحدث بحركات سياسية عشوائية طائشة . وانما هو قضية مقاومة لاستبداد الكفر وسيطرة الشرك ، انه تحويل الحضارة الغالبة عن مكانها القيادي ، واحلال حضارتنا الاسلامية (المغلوبة) في مكان القيادة .. لكن كيف تتم المقاومة ، وكيف يتم التحويل ؟ هل باعداد وتخطيط يقوم به المسلمون . أو بأمر آخر ؟

يجيب المؤلف عن هذا السؤال الوارد بقوله : « ان المسلمين لا يمكن أن يحققوا النصر في هذا العصر، ومع هذا الوضع العالمي المعروف بجهودهم فقط ، فمعونة الله هي الكفيلة بتحقيق النصر » .

فما المعونة التي يعنيها هنا ؟ يقول « ان خالق الأرض والسموات لن يتركنا وحدنا ، ولسوف يعيننا اذا استحققنا نصره،بالرياح والعواصف التي تهب لتقتلع خيام الأعداء ، وتمهد الطريق للملة الاسلامية . ولسوف ينزل الله المطر من السماء ليغمر الأرض بالخصوبة التي تيسر الوسائل الصحيحة للحياة في جانب ، بينما تحدث زلزلة تندثر بها مرتفعات ، وترتفع منحدرات في جانب آخر ، ولسوف ينزل الله الأمن على جيشنا المسلم ، وينزل رعبا على الجيش غير المسلم ، عندما تدور رحى الحرب ، وبهذه الأمداد الالهية بلغ الركب الاسلامي غاياته المنشودة في عهده الأول ، ولن يبلغها في الوقت الحاضر الا بعودة هذه المعونة الالهية» (٦٠)

ومعونة الله تعالى بالصورة التي يشاؤها سبحانه . ليست موضع جدال أو مناقشة ، لكن الذي نسأل عنه هو : لمن هذه المعونة الالهية ؟ هل هي للذين يكتفون بجهاد الصمت ؟

هل هي للذين يكتفون بالقعود والتقاعس عن جهاد القوة انتظارا للمعجزات وخوارق العادات ؟

ان هذا هو ما يفيده كلام المؤلف في قوله « ولاستحقاق هذا النصر من السماء يجب أن يتميز المسلمون بميزة واضحة هي القيام بالدعوة الاسلامية والاصلاح الذاتي وتزكية النفس » (٦٠)

ثم لا شيء وراء ذلك من القيام بما يتطلبه الأمر للمسلمين باعداد القوة ما استطاعوا ، وبالجهاد في الله حق جهاده . وبقتالهم في سبيل الله من يقاتلونهم دون أن يعتدوا .

هذا الاتجاه في المقاومة الصامتة ، ينصح به المؤلف أولئك الذين ابتلوا في حاضرهم اليوم من المسلمين . بتسلط الأعداء عليهم في بلادهم، وفي سذاجة ظاهرة ، وربما في جراة بالغة نراه

يقول : « ان المسلمين يعيشون اليوم وفى كل العصور مع شعوب أخرى ، حيث تنهب جماعة جماعة أخرى ... وان هذا التصارع يخلق مشكلات للمسلمين ، وفى كثير من الأحيان يتعرضون لاعتداءات جماعة أخرى غير مسلمة وينتج عن ذلك أن ثائرة المسلمين تثور ضد شعوب أخرى عندما يجدون أنفسهم فى خطر ، ويريدون الجهاد ضدهم ، ولكن اذا تأملنا فى هذه المسألة من المنظور القرآنى فسوف نجد حلا مختلفا عن الحل الذى يطرحه دعاة الثورة (يقصد بدعاة الثورة من يريدون الجهاد)».

فان القرآن يعلمنا أن الازمة مهما كانت جسيمة أو تعود بخسارة كبيرة فى الأموال والأرواح فان حلها هو بالدعوة الى الله (٦١) ويستدل على ذلك بقول الله تعالى « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » (المائدة ٦٧) ومعقبا عليه بقوله : « ان سر العصمة من الناس كامن فى الدعوة الى الله » وقد نسى المؤلف أو تناسى — لخدمة فكرته — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد جاهد أعداءه جهادا عمليا مبنيا على الاستعانة بوسائل القوة المادية ، حين تألب المشركون وحشدوا حشودهم ضد المسلمين ، واذا كان المؤلف قد قرأ هذا النداء الموجه من الله سبحانه وتعالى الى نبيه — صلى الله عليه وسلم — فهل فات عليه أن يقرأ نداء آخر مثله ، يجده فى قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » التحريم (٩) .

** وفى سبيل تثبيت هذه الفكرة ، يستدل المؤلف بأحداث بعينها من التاريخ ، غاضا الطرف عن أحداث أخرى ، تنقض عليه مقدماته ونتائجه ومما استدل به ما كان من أمر المسلمين فى المدينة المنورة ، بعد أن هاجروا اليها من مكة ، ونتركه يعرض علينا استدلاله ، يقول « ولئن كانت الهجرة قد وفرت للمسلمين منطقة خاصة لهم ، فان أعداء الاسلام قد أججوا نيران الحرب من جديد ، مما أحدث للمسلمين وضعا خطرا جديدا ، وأصبح الاسلام محفوفا بالخطر حتى كاد الأعداء يطفئون نور الله بأفواههم ، ولكن القيام بواجب الدعوة قد فتح أبوابا جديدة للاسلام مرة أخرى ، وهذه الأبواب تتمثل فى صلح الحديبية الذى كان له فضل انهاء التنازع والتصارع والمصادمة (٦٣) .

فماذا عن غير « صلح الحديبية » من الغزوات التى واجه فيها المسلمون قوى الكفر ؟ لا شيء وكأن عشرات الشهداء الذين سبقوا صلح الحديبية لم يكن لهم أثر فى تثبيت دعائم الدعوة وفى فتح أبواب جديدة امام الاسلام ، لكنه النسيان أو التناسى المقصود من أجل خدمة فكرة بعينها .

ومثل ثان يستدل به المؤلف وصولا الى تلك الغاية ، وهو استنتاج مأخوذ مما حدث بعد فتح مكة ، فيما عرف « بغزوة حنين » ، وان كان المؤلف لم يأت بكلمة « غزوة » فى حديثه ، يقول « ولقد ظهرت بعد فتح مكة مسألة أخرى ، وهى مسألة ثقيف ، فقد كانت هذه

القبيلة متمردة جدا ، وكانت تعيش فى مدينة الطائف التى كانت محاطة بالجبال ، ولذلك كان من الصعب شن الهجوم على هذه المدينة ، ولم يكن الطريق الذى أخضع قبيلة ثقيف فى هذه الآونة الا طريق الدعوة ، فدخلت قبيلة هوازن فى الاسلام ، وكانت حليفة لقبيلة ثقيف ، ولما اعتنق جميع أفراد قبيلة هوازن الاسلام ، أحست ثقيف بأن أجنحتها قد تكسرت ، ولم يبق أمام أهلها مجال الا أن يذهبوا الى المدينة ويعتنقوا الاسلام .. وهكذا كان باب الطائف مغلقا أمام الحملة العسكرية ، ولكنه أصبح مفتوحا أمام زحف الدعوة الاسلامية » (٦٤) .

ماذا يقصد المؤلف من وراء سياق هذا المثل ؟ هل يريد أن يقول : ان اعداد الجيش الاسلامى ، والتقدم بالألوف من المسلمين نحو الطائف لم يكن له معنى ؟

هل يرى أن سبب الهزيمة التى لحقت بالمسلمين فى بادىء الأمر ، مرده الى لجوئهم الى القوة وتخليهم عن الدعوة ؟ ان مثل هذا الفهم عبث بالتاريخ ، وتشويه للحقائق وطمس لصفحات ناصعة من الجهاد الاسلامى.

ان على المؤلف أن يعود الى سورة التوبة من كتاب الله ، وأن يقرأ حديث القرآن الكريم عن يوم حنين ، ليقف على السبب ، ويقف على النتائج ، ويعرف موطن اللوم ، وكيف تحولت الهزيمة الى نصر مبين ، يقول الله تعالى : «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » التوبة (٢٥ — ٢٦) .

ثم يبقى علينا بعد ذلك أن نفهم كيف تحول الحال من الزحف العسكرى الى زحف الدعوة فى وقت واحد ، وفى لحظات سريعة متتابعة ، ليتم بعد ذلك تعذيب الذين كفروا ، ولينالوا جزاء مكرهم وتآمرهم . أليس هذا تحريفا للكلم عن مواضعه ؟

ومثل ثالث يأخذه المؤلف من القرون التالية ، ذلك حين غزا التتار مقر الخلافة العباسية فى بغداد ، وكان ما كان مما هو معروف فى التاريخ ان المؤلف يتجاوز الوقوف عند وقت الهزيمة ، الى وقت آخر بعده ، دخل فيه التتار الاسلام، ومن ثم أخذ يلتمس التعليل لهذا التحول بقوله : «فى هذه اللحظة الحاسمة كانت قوة الدعوة الاسلامية هى التى أصبحت سدا ضد سيل التتار ، فبدأت قلوب التتار تتفتح على الاسلام بعد هزيمة المسلمين العسكرية ... فكيف تحقق هذا النصر ؟ .

ان التاريخ ليقدم لنا ما تطمئن به قلوبنا ، وما يدلنا على كثير من الجهود التى قام بها رجال الله الصالحون لجذب قلوب هؤلاء التتار الى دعوة الاسلام ، غير أن الذى لاجدال فيه أن الانتصار على التتار لم يتحقق بالقوة العسكرية بل بفضل قوة الدعوة الاسلامية » (٦٥) .

ونعود فنسأل لماذا وقف المؤلف ليعلل سبب دخول التتار الاسلام ، راداً ذلك الى قوة الدعوة الاسلامية التي وجهت اليهم ، وليس الى قوة عسكرية منظورة ؟ ولماذا لم يقف قبل ذلك ليعلل سبب هزيمة المسلمين وهل كان السبب لتقصير في مجال الدعوة ، أو لتقصير في مجال اعداد القوة التي أمر المسلمون أن يكونوا قائمين عليها دائما ، والا كانوا مقصرين في جانب كبير من جوانب دينهم : اننا نعلم ونؤمن أن القوة العسكرية ليست هي وحدها التي تملك الكلمة الفاصلة ،ولكننا نؤمن كذلك بأن اغفال القوة العسكرية في اي صراع هو تفريط ان لم يكن خيانة لأمانة المسئولية الملقاة على عاتق ولاة الأمر نحو دينهم وأوطانهم .

ثم بعد ذلك نسائل الكاتب ، وماذا تقول في انتصار جيش المسلمين المصرى على التتار في عين جالوت ؟ هل كان نصرا مبرأ من حساب القوة العسكرية ، أليس هذا النصر هو الذي رد هؤلاء الغازين على أعقابهم ، ومن بعده تحللت قواهم وانكسرت شوكتهم ، ونتيجة لذلك أخذوا يدرسون الاسلام ويفسحون له مكانا في نفوسهم حتى اعتنقوه ؟

ويستطرد المؤلف من البحث عن الأدلة في التاريخ الماضي ، ليأخذ الشواهد من التاريخ الحديث ، وفي ايجاز سريع يذكر تلك الظاهرة التي يرصدها من يعيشون العصر ، وهم يرون بأعينهم تزايد عدد الداخلين في الاسلام .

وعن ذلك يقول : « بدأ المنبوذون والطبقات المستضعفة في الهند ، وكثير من المفكرين الأوربيين يعتنقون الاسلام ، وبدأت الطبقة المثقفة اليابانية تميل الى الاسلام بسرعة ، واتجه السود في أمريكا الى اعتناق الاسلام ، وبدأت القبائل المختلفة في أفريقيا تلتف حول راية الاسلام زرافات ووحدانا ، كما اعتنق كثير من المثقفين في كل بلد تقريبا الدين الاسلامي ، وكل هذا دون أن يبذل المسلمون أقل الجهد وأقل المال » (٧٠) .

وهذا فضل نحمد الله تعالى عليه ، لكن المؤلف انما يسوق هذه الظاهرة لكي يؤكد رأيه في أن الاسلام ليس في حاجة الى الجانب المادي المتمثل في القوة وما يدور حولها ، كما تشير الى ذلك كلماته في آخر الاقتباس السابق لماذا ؟ لأن هذه القوة لم تصنع أثرا واضحا حين استخدمها الحركات الاسلامية المعاصرة ، كأنه ينتظر من القوة أن تكره الناس على الدخول في دين الاسلام ، وغفل عن أن هذا ليس أمرا واردا في مجال الدعوة وانما الوارد هو تأمين الدعوة ، وحماية أتباعها ، ورد غائلة المعتدين .

وفي مجال الاستدلال على اخفاق القوة في احداث الأثر الناجح حين استخدمت يقول المؤلف : « ما ان برزت مسألة الاستيلاء الغربي على الشرق الاسلامي ، حتى ظهرت في العالم الاسلامي حركات كثيرة للدفاع عن الاسلام ، ولا تزال هذه الحركات باقية » ثم يقول : « لقد ذهبت جهود هذه الحركات أدراج الرياح ، وبالرغم من التضحيات الجمة

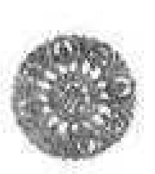
بالأموال والأرواح ، فلم يتمكن المسلمون من تحقيق النجاح حتى في المستوى السياسي وهو تحقيق الوحدة السياسية العالمية بين المسلمين ... وقد بذل المسلمون في سبيل التخلص من الاستعمار السياسي الغربي دماءهم وأموالهم وأنفسهم ونفائسهم بسخاء ، ولكن الواقع المرير هو أن الغرب حقق سيطرته عليهم مرة أخرى بمكره ودهائه عن طريق العلم والتكنولوجيا » (٦٩) .

لكن اذا كان الواقع في النهاية كذلك ، فماذا كان على المسلمين أن يصنعوه من البداية ؟ هل كان عليهم أن يسكتوا ، وأن يخفضوا الرأس والجبين للصليبية الحديثة الغازية ، مادامت الأسباب لم تحقق النتائج المطلوبة وهل يدري السائر في أول الطريق أن النهاية ستكون على هذا النحو المرير ؟ ربما يدري اذا كان على بصر بما اتخذه من وسائل ، وحينئذ لا نلومه لأنه سار في طريق لابد من السير فيه ، وانما يكون موطن اللوم لأنه لم يعد للأمر عدته ، ولم يقف على أنسب الوسائل ، ولم يعمل حساب ما يعترضه من عثرات في الطريق .

ثم لنا أن نتساءل مع هذا عن تسلط شرس موجود الآن في بقاع متعددة من بقاع الأمة الاسلامية ، وهو تسلط من أمم تكن الحقد على الاسلام وتريد القضاء عليه ، وتعمل على مطاردته في بلادها وخارج بلادها ، وليس ذلك بالأمر الذي يخفى على أحد ، هل من المقبول على رأى المؤلف أن نوجه نداء الى المجاهدين في تلك البقاع والبلاد ، يدعوهم الى الكف عن المقاومة الحربية ، وأن يلتزموا الصمت والسكوت انتظارا للمعجزات وخوارق العادات ، لأن الطريق الذى سلكوه لن يصل بهم الى شىء ، ولهم في حركات أخرى مماثلة عظة وعبرة اذا كان على بصر بما اتخذه من وسائل ما نظن أن ذلك بالمنطق الذى يقبله أحد ، ولو أنهم صنعوا ذلك لما وجد الأعداء غنيمة باردة مثل هذه الغنيمة التى تقدم لهم في لفائف حريرية ناصعة من الخضوع والخنوع !! .

يتبع

طه مصطفى أبو كريشة



من أعلام الأزهر
بقية

يرجعون اليه حين يجدون بعض الشبهات فيما يدرسون بأوربا من مسائل العلم الحديث :

واذكر أن الأستاذ الدكتور ابراهيم سلامة عميد كلية دار العلوم الأسبق كان ذا اتصال علمي بالشيخ الدجوى ، اذ راسله في مسائل كثيرة ، نذكر منها ما يدور حول حديث (كل مولود يولد على الفطرة) حيث تساءل الدكتور سلامة عن المراد بالفطرة ؟ وهل يصل الانسان الى الاسلام وان نشأ بعيدا عن محيطه ، فرد الأستاذ ردا مسهبا ملاه بالوقائع المشاهدة لدى الطفل ، فهو يدرك بالفطرة أن الجزء أقل من الكل بدليل أنه يفضل التفاحة كاملة عن الاكتفاء بنصفها ، ويعترف بعجزه أمام مالا يستطيع أن يفعله لتصوره الذاتى ، ويفرق بين الكذب والصدق اذ يتحاشى بفطرته أن يظهر أمام والده في مظهر الكاذب ، ويعرف القبيح من الحسن قبل أن يلج حجرات الدراسة ليتعلم . وهو بذلك كله لابد أن يعتقد أن لكل فعل فاعلا ، وأن الانسان لا يستطيع أن يوجد نفسه فلا بد له من خالق ، وبهذا الاحساس صار الانسان قابلا لأن يكون أرفع المخلوقات فاذا تلقى تعاليم الاسلام مع سلامة فطرته وجدها تسير مع اتجاهه في تيار واحد ، فالفطرة في الحديث النبوى وفي قول الله عز وجل « فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » معناها قبول الانسان للحق ، واستعداده للدين الصحيح اذا ترك لطبيعته النقية ، لأن الاسلام يوائم ميوله الأصيلة كل المواءمة .

يقول الزمخشرى في تفسير قول الله : فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » : اى ألزموا فطرة الله القابلة للتوحيد ودين الاسلام .

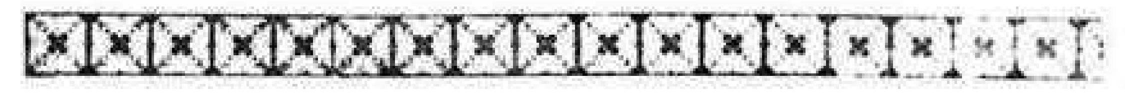
ويقول القسطلانى في شرح الحديث « ان الفطرة هى الجبلة السليمة والطبع المهيء لقبول الدين فلو ترك الانسان عليها لاستمر على لزومه » ثم ختم الأستاذ بحثه قائلا .

« والخلاصة أن هناك أمورا عامة تكفى في الوصول اليها سلامة الفطرة ، واستعدادها الذى خلقت عليه ، وأن ماعدا هذه الأصول لابد لها من تعليم وتهذيب .

هذا وقد كان الباحث الكبير الأستاذ محمد أحمد جاد المولى كثير الاستشهاد بآراء العلامة الدجوى في مسائل الأخلاق ، وبحوث السيرة النبوية ، يذكرها مع ما يختاره من الآراء القيمة لكبار المفكرين في القديم والحديث ، اذ يجد فيها ما يقنع ويفيد .

يتبع

د . محمد رجب البيومى



أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
فؤاد السيد
عبد الفتاح السيد عبد السلام

مشاكل الدراسة بالأزهر وقانون التطوير

ناقش مجلس الشورى التقرير الذى أعدته لجنة الخدمات بالمجلس حول التعليم الجامعى فى مصر .

طالب أعضاء المجلس باتخاذ خطوات عاجلة للقيام باصلاح جذرى فى مناهج وخطط المعاهد الأزهرية وتوفير الامكانات المادية لها .

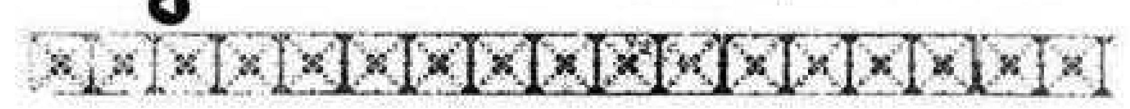
وضرورة وقف قبول طلاب التعليم العام بالمعاهد الأزهرية الا اذا اجتازوا امتحانا خاصا فى الدراسات العربية والاسلامية وفى حفظ القرآن الكريم كله .

كما أشاروا الى أهمية توسيع قاعدة التعليم الأزهرى بالتعاون مع وزارة التعليم لاستيعاب الملزمين بالمرحلة الأولى .

وتطرقت مناقشات الأعضاء الى قانون تطوير الأزهر الذى صدر عام ١٩٦١ وطالب الأعضاء بوقفة تقويم النتائج التى أسفر عنها قيام كليات التجارة والهندسة والزراعة والطب بعد مضى ربع قرن على انشائها ومدى تأثير قانون التطوير على قيام الأزهر برسالته باعتباره جامعة نوعية متخصصة فى تدريس العلوم الدينية والعربية وتخريج العلماء المتخصصين فى الدعوة الاسلامية والحفاظ على التراث الاسلامى .

الغاء الربا فى البنوك الباكستانية

صرح الشيخ محمد عبد القادر آزاد رئيس مجلس العلماء الباكستانى أن باكستان ستكفل تطبيق الشريعة الاسلامية . حيث اتمت تطبيق ألف ومائة وخمسة عشر قانونا



اسلاميا فى المجالات الاقتصادية والقضائية والتعليمية .

وقال ان الحكومة الباكستانية قد الغت التعامل بالربا فى جميع البنوك بما فيها الاجنبية داخل الأراضى الباكستانية .

وقال : ان باكستان قد اتجهت لتعليم اللغة العربية تعليما اجباريا فى المدارس والجامعات ونشر دروس اللغة العربية لعامة الباكستانيين عبر أجهزة الاعلام .

نقابة الأطباء فى مصر والربا..وأطباء التعذيب

قرر مجلس نقابة الأطباء تحويل أموال النقابة من البنوك الربوية الى البنوك الاسلامية كما قرر احالة الأطباء المسئولين او المشتركين على عمليات التعذيب داخل السجون والمعتقلات المصرية الى مجالس تاديبية .

مركز اسلامى للمعلومات

افتتح فى الرباط مؤخرا مركز اسلامى للمعلومات فى مقر منظمة العلوم والثقافة والتربية الاسلامية . وصرح مسئول فى المركز بانه سيخدم جميع الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى والمسلمين فى جميع دول العالم ويضم المركز الجديد معلومات واحصاءات حول الدول الاسلامية .

سوق اسلامية مشتركة

طالب الرئيس مامون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف بانشاء سوق اسلامية مشتركة على غرار السوق الأوربية المشتركة .

وقال : ان المجموعة الاسلامية ومعظمها دول تنتمى الى العالم الثالث تواجه صعوبات فى نمو اقتصادها مما يتطلب الاسراع بانشاء هذه السوق .

مركز دولى للسنة النبوية

تقرر انشاء مركز دولى للسيرة والسنة النبوية يتبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ويرأسه فضيلة الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق . سيتولى المركز تجميع وتصنيف المخطوطات الاسلامية لكل فرع من فروع السنة والسيرة .

أكبر مشروع اسلامى فى البحرين

بدأت وزارة الاسكان بالبحرين تنفيذ المرحلة الأولى من بناء أكبر مشروع اسلامى فى تاريخها .

المشروع الجديد اسمه « بيت القرآن » ويضم مسجدا كبيرا ومكتبة اسلامية جامعة تحفظ اكثر من اربعين الف مجلد وعددا من الوثائق والمخطوطات ، ومتحفا يضم خمس صالات . ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة كبرى للاجتماعات والمحاضرات والندوات .

الغاء العادات المنافية للاسلام فى ماليزيا

قررت وزارة الدفاع الماليزية الغاء العادات التى غرسها الاستعمار البريطانى فى الجيش والتى تعتبر منافية لتعاليم الاسلام ، وأكد محمد يوسف سكرتير عام الوزارة : أن الأجراس التى تدق بمناسبة الحداد وطلقات التحية للميت فى مراسم دفن الجنود المسلمين . وقال ان هذه القرارات تندرج فى اطار مشروعات الحكومة الماليزية لادخال القيم الاسلامية فى ادارة القوات المسلحة . وأضاف قائلا :

ان المشروبات الكحولية لن تقدم الآن ف الاستقبالات الرسمية وان مقصف الضباط والجنود على جميع الرتب سيغلق يوم الجمعة وطوال شهر رمضان .

منهج لتدريس الطب الاسلامى

يقوم مركز الطب الاسلامى ف السعودية باجراء دراسات لاعداد مناهج لتدريس الطب الاسلامى ليكون ضمن مقررات الطب بالجامعات السعودية .

مركز طبى اسلامى يعالج بالطب النبوى

افتتح ف مصر اول مركز طبى اسلامى انشاته جمعية الشبان المسلمين. يعتمد المركز الجديد ف علاجه على الطب النبوى الذى كان متبعا ف عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

الرسالة الاسلامية

تعد جمعية « الاعلام الاسلامى » بالمملكة الاردنية الهاشمية اصدار نشرة باللغة الانجليزية موجهة لغير المسلمين لتوضيح مفهوم الرسالة الاسلامية ، وأركان الاسلام الاساسية .

دورة تدريبية للمدرسين بأمريكا الشمالية

أكد الاتحاد الاسلامى بأمريكا الشمالية ضرورة التركيز على القيام بحملة توعية بين صفوف الآباء والأمهات ليساهموا بقسط كبير ف برامج التربية الاسلامية .

وكان الاتحاد الاسلامى قد انتهى من دورة تربوية تدريبية استمرت يومين بمركز الجالية الاسلامية بمدينة « جاردن جرون » بمقاطعة « أورانج كاونتى » موضوعها : « نحو تربية اسلامية ف أمريكا الشمالية

من خير ماكتب :

الاستاذ / مصطفى امين ..

فكرة

انى أستمد صبرى وصمودى من ايمانى . هذا الايمان يقوينى اذا ضعفت ، ويشد عزيمتى اذا انهارت قواى . ويهدينى اذا ضللت الطريق وبفضل هذا الايمان احتملت كثيرا من الشدائد ونجوت من العديد من الأخطار وهذا سر تفاؤلى الدائم . فما رأيت ضيقا حتى أعقبه الله بالفرج ولا صادفت ازمة الا دعوت الله أن يأخذ بيدى وأنا أعمل وأكافح للتغلب عليها . فالله لا يأخذ بيد الكسالى

انى أومن بالله ، وبمحمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وأحترم جميع الأديان السماوية وأشفق على هؤلاء المساكين الملحدين الذين خلت قلوبهم من الايمان فعاشوا ف الحياة بلا عمود فقرى يسندهم ويصلب طولهم .

ولا أستطيع أن أتخيل عاقلا يعبد فردا ، فالذين يعبدون الأفراد كالذين يعبدون الشيطان .

وأضحك ساخرا من الذين يدعون النبوة ،

من خير ما كتب

فالأنبياء يصنعهم الله ولا يصنعون أنفسهم ٠

وأسخر أكثر من الذين يلفقون كتبا سماوية ويدعون الناس للايمان بها ٠ وأعجب أن يجد هؤلاء الأفاقون سذجا يصدقون دعواهم ويؤمنون بأكاذيبهم ٠

وكما نقاوم الالحاد يجب أن نقاوم هذه الحركات الخارجة عن الدين ٠

ونحن عندما ندعو الى الديمقراطية انما ندعو الى الشورى وعندما نطالب بحقوق الانسان نطالب بما نصت عليه الأديان السماوية من حب واخاء ،

ولقد لعن الله الطغاة والمستبدين وتوعدهم بالجحيم جزاء للنار التى أشعلوها فى شعوبهم، والعذاب الذى أنزلوه بمواطنيهم ٠

انى أومن أن الانحلال الذى أصيب به عالمنا هو نتيجة لغياب الدين ، فالقلوب التى تخلو من الايمان تتجرد من الحب ومن الانسانية ٠

هذه الجرائم التى اشتدت موجتها فى أنحاء العالم سببها الاساسى أن الدين لم يعد يحظى بالاهتمام الذى كان يحظى به فى المدارس ٠ فيجب أن نغير ونبدل فى طريقة تعليمنا للدين فى مدارسنا ٠ بحيث يكون درسا اساسيا ، وفى الوقت نفسه يجب أن نعلم أولادنا أن الدين هو التسامح لا التعصب ٠ وهو الرحمة لا القسوة ، وهو العفو لا الانتقام

الأستاذ / أحمد بهجت ٠٠

الشريعة السمحة

اذا كنت راضيا عن الغاء التعديلات التى أدخلت على قانون الأحوال الشخصية ، فان هذا لا يعنى أن قانون الأحوال الشخصية كما هو قد بلغ حد الكمال ، ان القانون القديم قد يكون بحاجة الى تعديل مثلما أن تعديلاته كانت بحاجة الى الالغاء ٠

ونحن نحلم بقانون ينصف المرأة والرجل معا ، ويضع فى اعتباره حماية الأطفال ويكون متسقا مع الشريعة نابعا منها لا متصادما معها ولا متطاولا عليها ٠ ذلك أن الاسلام يرفض الضرر والضرار ويكره للرجل أن يظلم المرأة كما يكره للمرأة أن تظلم الرجل ٠

وفى الشريعة الاسلامية عدل يتجاوز آفاق أى عدل متصور ٠

من سوء الأدب مع الله أن يوصف أمر أباحه سبحانه بأنه اضرار اذا كنا نريد تعديل القانون فينبغى أن يتم هذا فى مجلس الشعب وأن يتوافر الوقت الكافى للدراسة والنقاش ان العودة الى الشريعة الاسلامية رغبة شعبية عامة ٠ والأصل أن القانون لا يكون قانونا الا اذا رضيه الناس ، والناس لا يرضون عن قانون الا اذا كان المشرع له أهلا للتشريع

اذا لم يقتنع هذا تحايل الناس على القانون واخترقوه من تنام شمعه فظل حبرا على ورق ٠

نحب أن نقول ــ للذين سوف ترتفع صيحاتهم : ان الشريعة الاسلامية لا تنتصر للرجل ولا تنتصر للمرأة على الرجل ،

ولا تسمح باعنات المرأة ولا تسمح بظلم الرجل ، وانما هى تنتصر للعدل والحق .

لا خوف اذن على حقوق المرأة ولا على حقوق الرجل ، ولا على حقوق الاطفال المهم أن ينبع القانون من الشريعة وأن يعبر عن روحها الكريمة السمحة .

الاستاذ / صلاح منتصر

اضطهاد المسلمين

فى عام ١٩٦٧ أصدر أنور خوجة ديكتاتور ألبانيا الذى مات قبل أسبوعين ــ وبعد فترة حكم طويلة وقياسية استمرت ٤٤ عاما ! قرارا بالغاء الدين فى بلاده وتحويل المساجد والكنائس الى مسارح ودور للسينما . وبسبب أوضاع العزلة الغريبة الفريدة التى أحاط بها أنور خوجة بلاده

أقول : بسبب هذه العزلة التى كانت فيها ألبانيا فى عام (٦٧) أو (النكسة) التى كان فيها العرب فى ذلك الوقت لم يبد أحد التفاتا الى ما جرى للمسلمين هناك فى ألبانيا .. ولكن شيئا مثل ذلك على ما يبدو يحدث الآن فى بلغاريا للمسلمين هناك :

فمسجد صوفيا الشهير قيل : انه تحول الى متحف !

وقد اختفى نداء (الله أكبر) من فوق مآذن المساجد الأخرى !

وأصبح من يحمل اسم (محمد) مطاردا من الدولة

والمسلمون فى بلغاريا يشكلون نسبة كبيرة ، وحتى لذا كانت نسبتهم قليلة أو محدودة فان تعرض فئة للاضطهاد والارهاب بسبب ديانتها أمر مرفوض وكلمة الرفض يجب أن تكون باجراء عملى تتخذه الدول الاسلامية ، والعربية ــ بالطبع ــ فى مقدمتها .. ولكى أكون محقا فاننى لم أسمع سوى صوت من الكويت التى اجتمع مجلس أمتها وأصدر بيانا أدان فيه التصرفات التى يواجهها مسلمو بلغاريا والصورة كما تتضح من بيان مجلس الأمة الكويتى لا يقبلها ولا يجب أن يقبلها مسلم .. وهناك وسائل عديدة يستطيع أن يتخذها المسلمون العرب أكثر من البيانات .

هناك المقاطعة الاقتصادية والسياحية والتجارية وغير ذلك من الوسائل المادية والعملية .

هذا اذا كنا فعلا غيورين على الاسلام حيثما كان .

الاستاذ / مرسى عطاالله

ما الذى جرى للمسلمين .

ما الذى جرى .. لقد تشابكت الأمور وتعقدت المسائل واختلطت القضايا وتاهت الحلول ، لا لشىء الا لأننا فى أحيان كثيرة نفعل عكس ما نقول ، ونتصرف بعيدا عن المنطق المقبول ، ونتصارع ونتناحر بأسماء غريبة ومسميات أغرب فنبعثر الجهود ، ونشتت الفكر ، وندوس المبادىء .

ثم بعد ذلك كله يدعى بعضنا أنهم مسلمون وتحت راية الاسلام يسيرون .

مسلمون ، أو هكذا يدعون ، أولئك الذين اختاروا غرة الشهر الكريم موعدا لهجومهم الغادر على النساء والاطفال والشيوخ فى مخيمات بيروت ، وكأنهم يختبرون فروسيتهم ضد صابرا وشاتيلا وبرج البراجنة .

من خير ما كتب

ومسلمون ، أو هكذا يتصايحون ، من يرفضون كل عروض السلم والسلام ويصرون على مواصلة القتال وسفك الدماء وتخريب المنشآت دون احترام لحرمة الشهر الفضيل .

أي ضمير ذلك الذي يتحرك بين الجوانح ويسمح بارتكاب كل هذه الجرائم .. أي قلوب تلك التي ماتت وتبلدت وفقدت كل احساس بالدين والدنيا على السواء .

نسألك يارب العزة أن تزيل عن أمة المسلمين كل هم وكرب في هذا الشهر الكريم ، وأن تجنب الاسلام والمسلمين شرور من يتاجرون باسم الدين ، وأن تعيد الحب والوحدة والوئام والصفاء بين كل أقطار الاسلام فأنت وحدك الحق المجيب .

الأستاذ / مجدي عبد الحميد :

راحة البال أيام زمان

عشنا - فيما مضى من الزمان - دون عناء على الرغم من عدم وجود وسائل التكنولوجيا الحديثة .

عشنا - في راحة - بلا « تليفزيون » ، وبلا « فيديو » ، وفي زمن لم يتقدم فيه الطب الحديث أو وسائل الاعلام ، أو يخطر فيه انسان بأرض القمر .

وجاءت المخترعات الحديثة التي أريد بها المتعة للانسان ، ففقدنا الاحساس بالراحة .. بسبب الصراع العجيب الذي يمارسه الانسان من أجل الحياة ، والذي لاتبدو - معه - نهاية فأسدل على المتعة بجمال الحياة حجابا كثيفا لا يخترقه انسان .

الغلاء سرى مرضا في شرايين الحياة يدفع الى طلب المزيد والضغط على الانسان المنصب ضرب - وحده - في الصراع ، وهدف يراه البعض ضروريا للحياة بينما هو ضروري للتلف (طاحونة) التهمت أكثر المشاعر لتلفظ أسوأ الامراض ، ويكتشف الانسان في لحظاته الاخيرة أنه انزلق اليها طواعية ، وليته عاد صفر اليدين ، انما عاد محملا بالامراض ، وذكرى من نلمهم من الأحياء .

ليتنا نعيش كالأمس

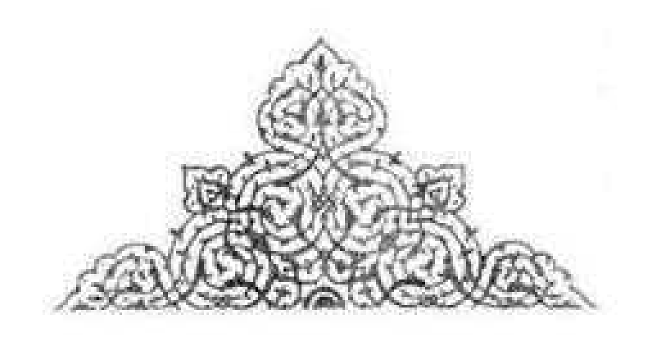
ليس على حساب الأخلاق

وليس على حساب الأفراد

بل على بساطة النفس وضياء الضمير حتى نشعر بما أعطاه الله لنا من خيرات .

فهرس العدد

He said: "Let it be one-third. One-third, anyway, is plenty." And he went on to say:
"You would rather leave your heirs well-bequeathed than leave them indigent and reduced to beggary. "You will not expend in charity to content Allah but will have its proper requital, even that which you put in your wife's mouth."
I then said to him: Apostle of Allah, will I happen to be left in Mecca behind my friends? He said:
"Even though you had to stay behind, you shall but rise in rank and increase in dignity with every good seeking the pleasure of Allah. "Probably you will stay behind for the benefit of some people and to be detrimental to others. "Allah, achieve for my companions their emigration. Do not turn them back on their heels, as was fated of poor Saad Ibn Khawala." (Agreed upon).
The last plea was made by the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, in pity of the late Saad Ibn Khawala whose return to Medina was interrupted by death.



crossing the same vales as you, and deserving the requital you deserve. They have been immured by illness." (Muslim).

A very near report is also given on authority of Anas, may Allah be well pleased with him; said:

On our way back from the battle of Tabuk with the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah he said:

"There are behind us in Medina men who nevertheless have been traversing with us every mountain-path and every vale we have trodden. They are helplessly reduced to confinement." (Bukhary).

---

(5) On authority of Maan Ibn Yazid Ibn Al-Akhnas, companion and son and grandson of companions, may Allah be well pleased with them all; said: Having forgone a few dinars as free will charity, my father committed them to a man in the mosque. I called on that man and had the sum for myself. I then went to see my father who, on learning what had become of the money, said: By Allah, I would not mean you.

I argued with him before the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, who said :

"Acknowledged is your intention, Yazid; and yours is that you have got, Maan." (Bukhary).

---

(6) On authority of Saad Ibn Abi Waqqas, one of the ten men, assured the promise of Paradise; said: Once in the year of the Farewell pilgrimage. I fell very ill and the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, came to see me. I said: Apostle of Allah, disease has attacked me to the degree you see. I am quite well off and have no heir other than one daughter. May I forgo two-thirds of my wealth for charity?" "No" he said. I said: "Then one half Apostle of Allah". "No" he said I said; Then one-third, Apostle of Allah.

Allah, be upon him blessing and peace from Allah, say:
"Rather than actions, it is intentions that count. Indeed, everyone will be judged by his inner purpose. So, he is reckoned to be in the cause of Allah and His Apostle who has forsaken his home in the cause of Allah and His Apostle; and he is accorded his own choice who has gone out after a worldly gain or a woman to marry." (Agreed upon).

---

(2) On authority of Aisha, Mother of the Faithful, may Allah be well pleased with her; said: The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:
"An army will attack the Kaaba. While they are on an open field, the earth will be caused to swallow them altogether, the first and the last."

Aisha said to him: How is that, Apostle of Allah? Shall the earth be caused to swallow them altogether, the first and the last, much as among them should be the subjected and the alien? He said in retort: "The earth will be caused to swallow them without exception, the first and the last, and they will be raised each with his own intention." (Agreed upon).

---

(3) On authority of Aisha, may Allah be well pleased with her; said: The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:

"There shall be no emigration after the Victory. However, strife and watch over one's intention. And if you are called to battle, answer the call." (Agreed upon).

---

(4) On authority of Abi Abdullah Jaber Ibn Abd Allah, may Allah be well pleased with them; said:

We were in battle in company of the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah; He said:

"In Medina as they certainly are, there are men trooping wit[illegible] you.

RIYAD AL-SALEHEEN

BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHQI

Translated by: Soliman Barakat

CHAPTER I

Sincerity, Devotion and Presence of Wholehearted Intention in all one's actions, utterances and states both conspicuous and hidden.

Allah, gloried and high exalted be He, says:
"It is but to serve Allah that they have been enjoined, in adherence to sincere devotion as men by nature upright, and to establish prayer and pay the alms-tax. That is Religion, right and true." (Surat 98,Al-Bayyina, 5).
"Neither the flesh nor the blood of them * will reach Allah; but piety on your part". (Surat 22, Al-Hajj, 37).
"Whether you conceal what is in your hearts or reveal it, Allah knows it." (Surat 3, Al Imran 29).
* The animals they sacrifice.

---

(1)On authority of Commander of the Faithful, Caliph Omar Ibn Al Khattab, may Allah be well pleased with him, said: I heard the Apostle of

mple, the teacher, the instructor, the leader, the friend, the mostly loved, and the highest esteemed. With Divine authority, he formulated the structure of Islamic legislation and way of life. The Divine Revelation of the Holy Quran was still continuing, and the road was still far beyond.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981.
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramdan Albooty
   7th., Edition, 1977.
   Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Vol. 2, 1983 Edition.
   Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
   Ibn Qayem Al-Gouziah.
   Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
   and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
   Mouassasa Al-Risalah.
   Beirut, 1981.

at Al-Gamoum, who had retreated and dispersed. The Muslims returned with spoils and captured two men as prisoners.

Zaid Ibn Harithah was also sent out in hundred and seventy men to intersect a camel convoy for Koraysh travelling south to Mecca. The whole convoy was captured. Among the men was Abu Al-As Ibn Al-Rabie husband of Zainab daughter of the Prophet (prayers and peace form Allah upon him Zainab was then a Muslim emigrant living at Al-Madinah. Abu Al-As asked his safeguard of his wife Zainab which she granted and was approved. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)freed him with all belongings. Later in Mecca, Abu Al-As announced his Islam and returned to Al-Madinah to join his wife Zainab after he has now become a Muslim.

During later months of the sixth year after Hijrah, several other deployments took place. In Rajab, Zaid Ibn Harithah went out to Bani Fazarah. In Shabaan, Abdel Rahman Ibn Aof was deployed in seven hundred men to subdue Bani Kalb in Dawmat Al-Gundel. They summoned them to Islam and some accepted including their chieftain Al-Asbagh Ibn Omar whose daughter married Abdel Rahman Ibn Aof. No armed combat took place.

Also in Shabaan, Aly Ibn Abi Taleb was deployed commanding hundred men to Bani Saad Ibn Bakre in Fadek near Khaibar who were arranging an alliance with the Jews at Khaibar. No armed combat took place, and t e Muslims returned with five hundred camels after Bani Saad dispersed.

All these sporadic engagements between Muslims and several Arab tribes, ascertained the confident mastery of Muslims and their ability to seek distant places from Al-Madinah and engage themselves in confrontation, and strategy. The summons to the creed of Islamic was their only objective, and to this understanding all their actions, conduct, behavior and mental attitudes were directed. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was the messenger of Quran, he was the exa-

ims had displayed their presence very close to Mecca for several days, without encountering any opposition, they returned to Al-Madinah.

Few days after the return of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Al-Madinah, Uyinah Ibn Hisn raided the outskirts of Al-Madinah at a forest place where some camels that belonged to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were gazing. The raiders killed the camel driver and carried away his wife, and drove with them the camels. The whole incident was witnessed by Salamah Ibn Amre Ibn Alakwaa Al-Aslami from the Ansars. He cried aloud for help and followed the raiders and when close enough, delivered showers of sling shots. His cries were heard at Al-Madinah, and several horsemen came out in pursuit of the raiders, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at the head of a contingent marched out to reach a place at Zi Qard. Most of the camels were retrieved, two of the raiders were killed, and also one muslim. The raiders continued to escape towards Ghatafan in fear that Muslim horsemen pursuid them. The wife of the camel driver was also saved and reached Al-Madinah on one of the recaptured camels.

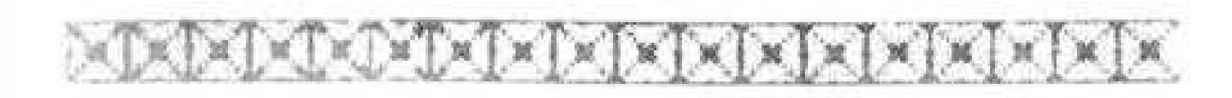
During the early months of the sixth year after Hihrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)sent out several contingents to establish security and authority of Muslims around Al-Madinah. Ukashah Ibn Muhson headed a group of forty men to Bani Asaad to disband them, and drove hundred of their camels to Al-Madinah.

Mohammad Ibn Masslamah went out in ten men to Zi Al-Qissa. These men were killed during their sleep save Ibn Masslamah who returned to Al-Madinah. Abu Ubaidah Ibn Al Garah went out in forty ment to retaliate the death of the men.

Zaid Ibn Harithah was ordered out with a contingent to Bani Salim

rnal Truth. He returned to face the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and declare his confession into Islam. On his way home, he passed by Mecca to visit the Kaaba, and announced his Islam in Mecca Koraysh intended to harm him, but remembered that such action would severe their relations with Bani Hanifah who provided Koraysh with all their needs of grain. Once at Al-Yamamah, Thumamah prevented the supply of grain to Koraysh, who after distress had to seek the help of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Thumamah was instructed to supply Koraysh with their needs of grain. Thumamah proved truthful and genuine to Islam at the time when many of Bani Hanifah reverted from Islam to follow Mussailamah the Imposter after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Thumamah with the prestigious confidence of a genuine Muslim publicly expounded to men of Bani Hanifah to avoid dark trends that are devoid of light, where misery anguish and affliction were the ordained fate for those who follow. Several from Bani Hanifah remained steadfast and true to their faith.

The encounter with Bani Lihyan during which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) performed the prayer of fear at Ussafan, took place in Jumad Al-Awal of the sixth year. However, the exact time is disputed, and most authors agree that it took place during the fifth month of the sixth year. Bani Lihyan are those who in cold blood killed Assem Ibn Thabet and his companions at the famous incidence of Al-Ragiee in Safar of the fourth year. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) still felt grief and remorse for those killed treacherously at Al-Ragie. He marched in two hundred mounts concealing his real intentions, till they reached Bani Lihyan who had dispersed into the mountains. The Muslims reached the valley of Ussafan to demonstrate to Koraysh how close they came to Mecca. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) prayed the prayers of fear at both Ussafan and Bani Sulaym. The Archangel Gibriel instructed the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) how to conduct the prayer of fear. After the Musl-



THE BEGINNING OF THE SIXTH YEAR

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

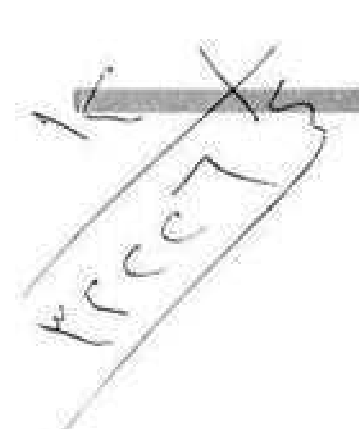
Several events took place between the distinguished victory of Muslims over the confederates and Bani Quraiza; and the challenging opposition between Muslims and Koraysh at Hudaybiah. Some of these events were recorded at the end of the fifth year after Hijrah; others took place during the early months of the sixth year.

During the first month of Moharram of the six year, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent thirty horsemen commanded by Mohammad Ibn Masslamah to raid the camps of Bani Bakre Ibn Kallab. After defeating them, Ibn Masslamah returned with his men to Al-Madinah. On their way, they met Thumamah Ibn Athal Al-Yamami, an outstanding personality of Bani Hanifah. Ignorant of his identity, they took him prisoner, and tied him to a pillar at the Mosque at Al-Madinah. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) saw him, he recognised him and tried to convince him of Islam, but Thumamah rejected; however, he was set free. Thumamah was blessed by Divine Light to conceive the Ete-

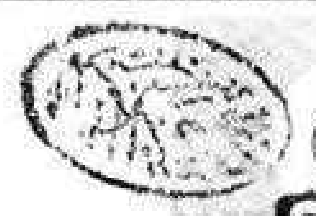
AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION









الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف:



مسجد الشهداء / العراق

وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ

اعنى بهم اهل الثالوث : الماسونية والشيوعية والبهائية واشياعهم ٠

اقرا ــ لهذا الثالوث ولاشياعه ــ ماشئت : حيث تتركز افكارهم ، او حيث تنتشر تفاسيرها بعباراتها الساحرة ، وأسلوبها المفتن ، وثيابه المسرحية ، فانك واجد ثلاثتها يشيع فيها مبدأ واحد رئيسى مشترك ، هو مَقْتُها « القومية » إِذ القومية هي السد الذي تتحطم عليه أهدافها ، فلا عجب أن تلاقت في العمل على القضاء عليها :

◄

❋ الجزء الحادي عشر ❋ السنة السابعة والخمسون ❋

❋ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ ❋ يولية ــ اغسطس ١٩٨٥ م ❋

يحكي الجنرال (جواد رفعت آتلخان) عن فرقة من الجيش التركي اعتنقت مبادىء «الماسونية » واحتل بعض أفرادها مراكز مرموقة في الجيش وعندما أرسلت الفرقة للحرب ألقت السلاح معتصمة بمبادئها لا يعنيها أن تخون الواجب (١) .

وكتب التابعى — رحمه الله — مثل ذلك عن فرقة فرنسية اعتنقت الشيوعية — في الحرب العالمية الثانية — وفعلت ما فعلت الفرقة التركية بماسونيتها ، فألقت السلاح وامتنعت عن التصدي للأعداء .

ولما كانت قومية « العشيرة » ومثلها « القومية الوطنية » كلتاهما تأخذ — حتما — مدارها في تلك الظواهر الاجتماعية من ناحية ، والسياسية من ناحية أخرى ، كان من الممكن أن يعتريهما التغيير من آن لآن .

ولست تشك في أن أسلوب حياتنا في القرن العشرين خلافه في القرن الماضي حيث لم تكن كهرباء ، ولا مذياع ، ولا « تليفون » ولا صناعة متعددة أغرت الكثير بترك مسقط رءوسهم ، وتكوين أُسَر بأماكن مختلفة من أرض الوطن فَوَهَنَ شيئا فشيئا ارتباطها بالأسرة الأم، بل لم تكن ظاهرة « الهجرة » وترك الوطن كله قد بدت بعد في حين أصبح لها اليوم جهاز يتولى أمرها ، وينظم شأنها .

وقل — في التاريخ السياسي — ما قلت — في الاجتماع ، وضع إصبعك حيث شئت من أرض على خريطة هذا العالم ، فانك لن تجد — الا في النادر وَنَادِرِهِ — شعبا لم يحكم بغير أبنائه ، حيث النفوذ لمن غلب فقهر فاستبد بالحكم .

وليس كذلك « القومية الدينية » أو الرابطة الدينية ، فهى — وحدها — القومية التى لا تتفتت ، فليست سلعة قابلة للعرض والطلب ، أو رعية يمكن أن يتعاورها أكثر من حاكم في أكثر من لون ، وأشد هذه القومية صلابة — لما تتمتع به من بساطة ووضوح ونهج سليم — « قومية الاسلام » فلا جرم أن كانت في ميزان القوى أخطر أعداء الثالوث .

وبسياسة محكمة — الى جانب ظروف دولية — تمكنت الصهيونية من احتضان الثالوث :

قِبْلَةُ البهائيين في « حيفا » وقد ساهمت الشيوعية في دعم إقامة دولة إسرائيل ، وتقرأ « أسرار الماسونية » بين يديك لتجدها في خدمة الصهيونية عن طواعية ، وهكذا تبلور الصراع — في النهاية ، فاذا الثالوث في مقابلة « القومية

(١) اقرأ الحادث في هدية العدد : أسرار الماسونية .

الاسلامية » واذا القومية الاسلامية فى مقابلة الثالوث،وزاد الصراع حـــدة مامَرَّ بالمسلمين من تجارب مريرة أشعلت نخوتهم فأصابتهم حساسية الحذر الذى شَكَّل وجودُهُ جدارا صلبا فى مقاومة الثالوث .

وسياسة الثالوث الا يهاجم الاسلام فى سفور . فقد ترك المهاجمة السافرة ترمى بمقذوفها — على فترات متباعدة جدا — بقصد تحصيل معرفة دقيقة بمقدار تهاون المسلمين فى دينهم ، وهو أمر — بمشيئة الله — لن يكون .

ثم بقصد معرفة رءوس المتحدثين عن الاسلام ليكونوا هدفا لهجومهم ، ومقاومة آثارهم بكل ما أعدت لذلك من وسائل .

فاذا تركنا الهجوم السافر المتباعد جدا ، وجدنا للثالوث « لوبيا » يعمـــل لتحقيق أهدافه من وراء ستار . وما أهدافه الا هز القيم الاسلامية فى النفـوس لتتهاوى كلية ، أو لتفقد الحماس لهـا ،فتكون أثرا تاريخيـا ، أو لا شىء عـلى الاطـــلاق .

« وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » .

وتحليل كيان هذا « اللوبى » يسير :

فأنما يمثله « مبهور » بالحضارة الغربية بهرا خلص الى كيانه بـ « إحباط » وشعور بالضعة ، فتقبل تلك الحضارة خير قبول ، وأنزلها من نفسه خير منزلـة فهولها داعية يسبح بحمدها ، ويستجيب لها فى نفسه وأهله وبيته فهو يدعو الى ما تدعو اليه ويرنو الى أهدافها آملا أن تكون .

« ومأجور » قدم امكانياته للهدف بمقابل سخى ، وشرح ذكى وكان فيه مـن خَوَاء « القومية » وتفاهة الكيان ما جعله سلمة ، فاندفع ضد دينه وقوميته يذلل للهدف ما يملك من آلة وحيلة آملا أن يُرضِى وَيُرْضَى عنه .

عندما أتى الشيخ مصطفى صبرى شيخ الاسلام بتركيا فى زيارة الى مصر زار الأزهر الشريف فتجمع حوله بعض عارفى فضله من العلماء والطلبة ، وامتدح جهده فى كتاباته ضد الالحاد والملحدين ، والرجل الفاضل صامت حتى اذا أوعب المتحدثون قال :

« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت مـا كتبت شـيئا ، ولجمعت هؤلاء الخصوم ، وبذلت لهم المال فكتبوا خيرا مما كتبت »

والتقى الجمعان : المبهور والمأجور ، وعملا فى أكثر من ميدان :

عملا فى « فن التمثيل » فاندمج فى الماسونية أقطـاب الممثلين المصريين ،

وجلسوا فى المحفل الماسونى وارتدوا شعارات الماسونية (١) وأخلصوا لهدفهـا العمل لا سيما فى جانب التمثيل « الكوميدى » .

وحسبك أن تراجع ـ ذاكرتك ـ فيما شهدت من أدوار لتجد أكثر من « اسم » من « أسماء الله الحسنى » اتخذ أداة للتلاعب به وإثارة الضحك بواسطته ، ولعل أقرب ما شاهدت فى ذلك « شاهد ما شفش حاجة » فتذكر : ماذا حدث من تلاعب فى اسم الله « الشكور » فى المسمى « عبد الشكور » فى المحكمة ، وليست هذه هى المرة الأولى ، فقد سبق التلاعب بـ : « عبد الصمد » و « الحى » سبحانه ، وقد تعمد الممثل أن يجعل « الحاء » خـاء ، لأنه يتحـدث بهذا الاسـم الجليل الى (خواجه) فى مسرحيته

وإذا كان هذا مايحدث فى « أسماء الله » وهو الذات العليـة سبحانـــه فما دونه كلأ مباح ، فالعمامة ورداؤها وشخص الشيخ قلما يسلم من سخرية وهزؤ يحط من شأنه ، ويزعزع الثقة به ، ويجعله هدفا لكل نادرة لتكون الحصيلة فى النهاية « تفاهة شخصية رجل الدين المسلم والحط منه،وزعزعة القيم الدينيـة التى يمثلها هذا الشيخ » .

وأدلى بعض الصحفيين ، وبعض الصحافة ، بدلـوه فى نفس المستنقع ، فنشط فى النكيل للدين فى الوجه الذى تيسر له مادام فى الأمر سعة ؛ وليس ثمـة محذور .

ونشطت أقلام : بعضها صحفية ، والأخرى بَسَطت لها صحافةٌ معروفة صدرَ صفحاتها عن طيب خاطر ، وعملوا :

فكان لهم (زفة) فى كل عام إذا اقترب رمضان ، متخذين من رؤية الهلال أداة للتشنيع على القاعدة الشرعية :

« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » مدعين أن الحساب الفلكى يغنينا ويكفينا .

ورحم الله الأستاذ محمد زكى عبد القادر ، فقد دعا مرة ـ وأحسبه عـلى براءة إن شاء الله ـ إلى بداية الصيام بيوم معين حدده الحساب الفلكى ، فشوهد القمر قبل تحديده فثبت أول رمضان قبل الحساب الفلكى بيوم ؛ فما عـاد ـ رحمه الله ـ الى هذا الموضوع بعدها أبدًا يرحمه الله ، ويرحم الله ـ معه ـ فيما توارت ، فكم من خير تضح بـه .

---

(١) راجع هلال يونيو ١٩٧٧ ص ٢٨ ـ ٣٩ .

واعجب إذ تعلم أن أهل النصرانيـــة ـــ فى الغرب والشرق على ســـواء ـــ يتبعون « نظاما » يحدد على ضوئه « أول الصيام الكبير » الذى ينتهى بعيـــد الفصح ، وموعده يتغير من عام لعام بحيث يدور العيد بين «ابريل ومايو » وليس له ثبات على يوم بعينه من كل عام ، وهم يحتفلون بالميلاد فى الغرب فى موعـد يختلف عنه فى الشرق وما سمعنا « تابعا » ثار ولا سخط ولا تناول رجال دينـه بالتهكم والسخرية بينما « تابع الزفة »يريد أن يفرض « خَوَاءه »على المسلمين .

فاذا انتهت « زفة القمر » فهناك ترتيب لغيرها ، وعادة ما يتصل فى اضطهاد أمر ما ترتفع بسببه للقوم صيحات الاستنكار والتنديد يليهما ما ينضح به داخــل الكاتب من « رمتاه » الى قلمه ولا زالت فى الذاكرة كلمات وصفت بسخرية مـــن رجال الدين والأزهر نذكر منها من عشرات السنين :

« لا ... ياشيخ أبو زهرة ... »

« ليس للأزهر ولايه على المسلمين »

ولا زال العهد قريبـا بحملة مسعورة شنت على الإمـام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله .... الخ

وهنا يستثمر بعض الصحفيين ما عليه بعض القراء من ضحالة فى المعرفـة الدينية بمستواها العلمى ليبث فكره واقرأ :

« قل (١) لى : واجب أن تحكم بلادنا بما جاء به القرآن أقول لك : ياليت..

ولكن بعد ذلك ، من حقى أن أقول لك :

ومن الذى يفسر أحكام القرآن ؟

ومن الذى يفتى بالرأى الصحيح الذى يجد الصيغة بين القرآن الذى نزل لكل زمان ومكان ، وبين التطبيق السليم له فى هذا الزمان وهذا المكان بالذات .

تلك هى القضية » .

ها أنت ترى الكاتب يعطى حكمه بالاستحالة فى قوله : «ياليت » ثم يمرق بعدها الى خلط « احكام القرآن » بـ « تفسيره » ثم ينتهى الى نفى وجـود الأشخاص الذين يمكنهم استخراج الصيغة للتطبيق السليم لأحكام الشريعـة الاسلامية .

ولسنا على علم بمذهب الكاتب السياسى ، ولكنه يستخدم أسلوب « الشيوعية » فى « تمييع » أية قضية تطرح للمناقشة عن طريق « تفريغها »الى

(١) انظر الشرق الاوسط ١٢ المحرم ١٤٠٢ ص ٧ .

عدة فروع من جهة ، ثم إغراق المناقش في تعميماتها من جهة أخرى ليخلص لـه بث سمومه ، يقول الكاتب :

« تلك هي القضية :

قضية عمرها من عمر مقتل عثمان بن عفان وخلافة علي بن أبي طالب — رضي الله عنهما ... ثم اندلاع المذاهب الى سنة وشيعة ، وأموية ، وخوارج، ومعتزلة ... » الخ

رأيت : كيف استغل الكاتب الكلمة ، ثم كيف شقق القضية امعانا في تصوير « الاستحالة » التي جمع لها ذهنه وأجهد لها قلمه ولو أراد الحق لسأل أهل العلم إذاً لعرف أن « أحكام القرآن » من « محكم » القرآن ظاهرة للعيان حتى لاتحتاج الى تفسير ، وليس في أمرها خلاف .

فأين وجدت الخلط — ياسيدي — وعدم بيان التفسير في قوله تعالى :

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »

« أَفِي اللَّهِ شَكٌّ » (١)

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (٢)

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » (٣)

« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ » (٤)

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » (٥) .

« وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (٦).

هذه آيات في « العقيدة » وفي « الرسول صلوات الله وسلامه عليه » وفي وجوب الطاعة ، والتزام المؤمنين بالشريعة ، ومروق المشاقين فيهما ، وتركهم

(١) ابراهيم ١٠ .
(٢) الشورى ١١ .
(٣) الفتح ٢٩ .
(٤) التغابن ١٢ .
(٥) التوبة ٧١
(٦) النساء ١١٥ .

ليكونوا أولياء لمبادئهم ومن ثم عبيدا لسادة هذه المبادىء ، ثم مأواهم جهنم فأين عسر الفهم فيها ؟!

ثم لنخلص معك الى آيات أحكام الشريعة التى أجهدت نفسك فى صدها وتسلم معك — ابتداء — بوجود هذه المذاهب ، ولابد أنك — يا سيدى — قارىء لها ، ملم بها ، قد استوى لديك أطرافها ، هاتها جميعا — على اختلافها — ثم بين لنا — يا سيد — هل اختلفت فى : أن الله حق ، وأن المعتدى القاتل يقتل ، وأن الزانى يجلد ، وأن السارق يقطع .. الى آخر أحكام القانون الاسلامى ؟! أين خلافها — فى هذا — يا سيد — ؟

ولماذا مزجت أسباب الخلاف ، وهى خارجة عن دائرة أحكام القانون الاسلامى بالقانون الاسلامى وبنيت — عن قصد — أفكارك ؟!

دلنى — وأنت المسلم ، ودل المسلمين — على خلاف هذه المذاهب فى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى » (١)

وهى مبادىء — لسوء وضعك — ذُكِرَتْ أحكامًا فى التوراة والإنجيل :

« وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا (٢) أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ » (٣).

وهى أحكام شرعية لاتزال مسطورة فى العهد القديم .. فانظر مادمت خضت هذا المضمار !!! فإنما القرآن « هدى للمتقين ».ولْنخلص الى ثالثهم ، وثالثهم...

له بالسياسة عرق وشيق يمضى بالذاكرة إلى « الأربعينيات » حيث قرأنا « أرقاما » لسابة بالمحفل الماسونى كانت علاقتها بالأحزاب « العلمانية » وثيقة كأقوى ما تكون الوثاقة يشهد بها « المنصف » من الأحياء .

ونذكر — حينئذ — ممثل مصر فى « لجنة حقوق الانسان » بالأمم المتحدة فى « الأربعينيات » ، وكانت — يومئذ — وليدة النشأة ، عاد ، وعادت معه « حصانته » وما هو الا قليل حتى كان بمصر "تعداد للسكان"، وكان من بداهة التعداد السؤال عن « أفراد الأسرة » و « دينهم » .

---

(١) البقرة ١٧٨ .
(٢) أى فى التوراة،و يعمل بها أهل الانجيل .
(٣) المائدة ٤٥ .

حدثني شيخي مصطفى مجاهد عبد الرحمن رئيس قسم الفقه المقارن الأسبق بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ـ رحمه الله ـ أن موظف التعداد طرق باب « ممثل حقوق الانسان » اياه ومضت الاجراءات حتى اذا سأله عن دينه ، سخر من السؤال ، ورمى الموظف ولمز « الدين » بما شاء هواه، والدين ـ كما تعلم ـ من حقوق الانسان ، سخر منه « ممثل حقوق الانسان ».

وسوف تجد لأخي الدكتور محمد رجب البيومي حديثا عن هذا المندوب في مقاله بهذا العدد .

وجاء الثالث ، جديدا على « الكار » ليس له دُرْبَةُ أسلافه ، فما أن طرق الميدان حتى ألقى بذخيرته دفعة واحدة .. ألقاها على « الدين » وعلى «الرسول» صلى الله عليه وسلم ، وعلى « الحجاب » في مصر .

وطالب ـ وهو « المفكر الاسلامي المستنير » في إحدى صحف الخليج باعادة النظر في التشريع الاسلامي مستنكرا أن تُفْرَض فرائضه كالصيام مثلا في القرن العشرين ، واعجب ـ اذ تعلم ـ أن عمله يحتم عليه أن يمثل مصر بقوميتها خالصة

هاهو أراد أن يسخر من رجال الدين فسخر من الدين .

وأراد أن يسخر من "أحكامه" فسخر من حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال صاحب الفكر المستنير :

« كيف يمكننا الآن أن نقول :

إن من أحكام الاسلام الدائمة والخالدة أبد الآبدين أن شهادة الرجل تعادل شهادة امرأتين .

هل يمكن أن تكون شهادة بواب عمارتنا تعادل شهادة أمينة السعيد وسهير القلماوي معا ، هل نستطيع الآن أن نقول هذا » .

نعم ، نحن نقوله ، ونؤمن به ، ونشهد الله ـ سبحانه ـ على الايمان به ، ولتكن المرأتان ما تكونان ، فالنص صريح :

« **فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** » البقرة ـ ٢٨٢

ولقد قالتها امرأة من قبلك : كيف تكون شهادتي نصف شهادة « فراش مكتبي » عليك سَلَّمْتَ بالنص أو تَمَثَّلْت بعزيز !

فأما السخرية بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فاليكم هي بعد

أن نقرأ الحديث ، الذى أثار سخرية المفكر الاسلامى المستنير قال رسول اللـــه ــ صلى الله عليه وسلم:

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهـود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشـجر يامسلم ، ياعبد الله ، هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله ،الا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود »

صدق رسول الله ﷺ وآمنا بما قال فما ينطق عن الهوى ، إنْ نطقه إلا وحى يوحى إليه من رب العالمين،قال المفكر الاسلامى المستنير : (١)

« سوف أضرب لك مثلا واقعيا :

لقد جاءنى قريب شاب متخرج من كلية الهندسة ، وتلقى تعليمه فى مدارس أجنبية ، وسألنى قبل أسبوع واحد :

ــ أتعتقد ياعمى أن العداء بين اليهود والمسلمين سيظل إلى آخر الزمان ٠

اجبته قائلا : « ليس بالضرورة » ٠

قال معترضا : لا لأن هناك حديثا عن النبى ﷺ يقول : إن فى آخر الزمان سوف يجرى المسلمون وراء اليهود وسوف يختبىء اليهود منهم وراء الشـجر ٠ وسوف ينطق نوع من الشجر ويقول : أيها المسلمون أن اليهود مختبئون خلفى ٠٠ تعالوا واقتلوهم فيذهب المسلمون الى قتلهم ٠ أما النوع الآخر من الشجر ،فسوف يتستر عليهم ٠ ولن يُخْبِرَ المسلمين عنهم وسوف يتضح ان هذا النوع من الشجر هو يهودى ٠

نعم شجر يهودى !! هذا مهندس شاب ، يقول لى عـن إيمان مثل هـــذا القول ٠

ولو أن فلاحة فى قريتنا سمعت هذا الحديث ما صدقت بصحته ، أليســت كارثة كبرى !!

أنا لست أدرى : ممن سمع الحديث أو أين قرأه ؟ ولكن يخيل الى أحيانــا كما لو أن هناك ميكروبا فى هذا الجو » (٢) ام

كذا ٠٠٠ شجر يهودى ٠٠٠ فلاحة لا تصدق بصحته،ثم ماهو هذا الميكروب فى الجو المصرى ؟ أهو حديث رسول الله ﷺ ؟

(١) صحيح مسلم ١٨٨/٨ كتاب التحرير القاهرة ١٣٨٤ ٠

(٢) روز اليوسف ــ العدد ٢٩٧٥ فى ١٧/٦/١٩٨٥ ص ٣٤ ، ٣٥ ٠

هذا ما نصح بـه المستنير بشأن هذا الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معترفا بأنه لا يدرى : ممن سمع مُخَاطِبُهُ هذا الحديث ، ولا أين قرأه ؟! أهذا سلوك علمي ؟! ... وهو .. وهو المستنير .

سل ، أيها المستنير المنصفين : كم داء ، وكم دواء أطلق عليه اسم مكتشفه، فلم يثر ذلك سخرية أحد ، وَمَنْ أكْثَرَ مِنْ شيء، نُسِبَ اليه .

على أية حال .. آمن « إلياهو بن اليزار » بما سخرتَ منه فامتلأت بالغرقد صحراء النقب .

ولا تظلم « فلاحة بلدكم » فإن ايمانها متين .

والحديث ــ يا أيها المستنير ــ بصحيح مسلم والبخارى بأكثر من نص (١) نسأل الله أن يعصمنا من « استنارتك » .

ثم بعــــد

فلنا كلمة علمية محضة فى النظر الى نص الكتاب العزيز ، وحديث رســـول الله ﷺ :

إن يرِ مجتمع ــ أى مجتمع ــ أن على علماء الدين أن يتجاوزوا أحكـــام النصوص بتأويل يتخطون به الكتاب العزيز ، والحديث الشريف فليس الى ذلك سبيل : آمَنَ مَنْ آمن ورفض من رفض ، فإذا قالوا :

هؤلاء علماء الدين فى الغرب يفعلون ويفعلون ، قلنا : هنا ينبغى الفصـــل والتوضيح بأسانيد علمية :

لسنا على « كاثوليكية روما » التى تقرر :

« أن كتبها المقدسة لم تذكر كل شىء »

« وأن (البابا : رأس الفاتيكان) نائب المسيح فى الأرض ، وأنه معصوم من الخطأ فى أحكامه الدينية ، فكل ما يشرعه فى جانب الايمان ، وما يحـــدده فى العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل ، كما أنها ــ أيضـــا ــ ليست بحاجة الى موافقة الكنيسة عليها .

البقية ص ١٧٨٥

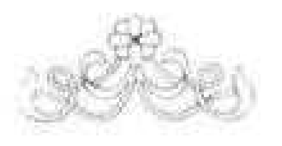
---

(١) نفس المصدر ص ٢٤ عمود أول .

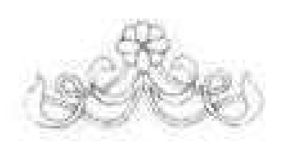
(١) انظر صحيح مسلم فى الموطن المذكور ، وصحيح البخارى ــ الجهاد ــ قتـــال اليهــــود .

دراسات إسلامية

العقيدة والعقل



الإعجاز تحت لواء القرآن العظيم



تقنين الشريعة الإسلامية

العقيدة والعقل

لاشك اننا امة ذات تراث فكرى وحضارى عريق .

والمتامل فى تراثنا الفكرى بوجه خاص يلاحظ ظاهرة حقيقية جديرة بالدراسة : وهى ان تراثنا الفكرى يتميز بالاصالة والعمق ، والثراء والتفتح ، عندما تكون ينابيعه وروافده مستمدة من القرآن والسنة .. بينما تقل اصالته ، ويبدو ضحالته ، وتظهر عليه اعراض الجمود والانغلاق ، عندما يجنح الى الابتعاد عن هذين المصدرين الخالدين ، ويتجه الى تقليد ثقافات وفلسفات « علمانية » بالغت فى تمجيد العقل البشرى ، بل تأليه هذا العقل ، والادعاء بانه يستطيع ان يبحث كل شىء ، ويعرف كل شىء ، ويحل كل مشكلة ، وان الانسان ـ لذلك ـ يكفيه عقله ، فلا يحتاج قط الى هدى الله .

ومن المعروف ان هذا الاتجاه « العلمانى » له جذوره العميقة فى الفلسفة اليونانية . التى تبالغ فى تمجيد العقل البشرى . والتنكر للوحى الالهى .

ثم ترعرع هذا الاتجاه فى أوروبا فى عصر النهضة . وذلك لأسباب تاريخية ودينية . ترجع الى اضطهاد رجال الكنيسة للعلم والعلماء . ووقوفهم ضد حرية الفكر والضمير . وضد الصلة المباشرة بين الانسان وخالقه . وذلك حين انتحلوا لأنفسهم دور الوساطة بين العبد وربه وأنه عن طريقهم وحدهم يكون الغفران أو العقاب الالهى .

ولكن هـذا الاتجاه غريب كل الغربة عن الاسلام :

فليس فى الاسلام اضطهاد للعلم والعلماء .

وليس فى الاسلام وأد لحرية الفكر او حرية الضمير .

وليس فى الاسلام كهانة ولا وساطة بين الانسان وخالقه .

والقرآن الكريم حافل بالآيات التى تكرم العقل . وتحث الانسان على التفكير فى كل المجالات الممكنة للعقل البشرى فى عالم الشهادة أى فى كل الظواهر الكونية والانسانية . وذلك بدراستها والاستفادة من هذه الدراسة فيما يعود بالخير على الانسانية جمعاء . ويجعل الحياة على هذه الارض حياة طيبة .

والقرآن كذلك حافل بالآيات التى تكرم العلم والعلماء .

ولكن العلم فى الاسلام هو العلم النافع

للدكتور أحمد عبد الحميد غراب

للناس ، المرتبط بالايمان بالله ، والمؤدى الى خشيته وتقواه : « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » (فاطر : ٢٨) •

ولذلك لا يستعمل العلم فى الاسلام للتخريب والتعذيب واهلاك الحرث والنسل والافساد فى الارض ، كما يستعمل اليوم فى الغرب الرأسمالى والشرق الشيوعى •

وانما يستعمل العلم فى الاسلام لتحقيق الخير للناس فى الدنيا والآخرة ، أى لتحقيق التقدم الشامل المتوازن ، الذى لايجعل الانتاج الكمى للمواد الاستهلاكية أكبر همه ، بل يشبع حاجات الانسان المادية والروحية بصورة متكاملة ، بلا اسراف ولا رهبانية ، ويسمو به — فى الوقت نفسه — عن الاخلاد الى الارض ، فيهيئه للمكانة الربانية التى كرمه الله بها حين نفخ فيه من روحه ، وجعله فى الأرض خليفة •

ويحفل القرآن كذلك بالآيات التى تقرر مسئولية الانسان عن أعماله ، تلك المسئولية التى تقوم على مقدرته على التمييز بين الخير والشر ، وحريه اختياره الهدى أو الضلال ، وانه على نفسه بصيرة ، وانه لا اكراه فى الدين •

وكذلك يؤكد القرآن الكريم الصله المباشرة بين الانسان وخالقه ، وأن الانسان لتوثيق هذه الصلة لايحتاج الى الوسطاء ، حتى من الرسل والأنبياء :

« **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** » (البقرة ٢ : ١٨٦) •

وبالرغم من هذا كله فقد تجمعت فى تراثنا الفكرى ، ولاسيما ذلك التراث الخاص بدراسة العقيدة ، بعض الرواسب التى انتقلت اليه عن طريق التقليد لتلك الثقافات والفلسفات ذات الطابع المادى الضيق المحصور فى حدود العاجلة ، والغريب عن توازن الاسلام ، وسعته للمادة والروح والفكر ، وجمعه بين خيرى الدنيا والآخرة •

هذه الرواسب ينبغى أن ننبه اليها ، ونسلك مسلك الحكمة فى التخلص منها •

وفيما يلى نشير الى بعضها على سبيل المثال :

فى دراسة العقيدة الاسلامية نواجه فى كثير من المؤلفات الكلامية والفلسفية القديمة ، وبعض المؤلفات الحديثة — نواجه تلك التفرقة المصطنعة بين العقل والنقل ، أو بين العقل والوحى ، والزعم بأن الاهتمام فى دراسة العقيدة الاسلامية يجب أن يوجه أولا للعقل وللأدلة العقلية التى تثبت وجوب وجود الله ووحدانيته وسائر صفاته تعالى وأسمائه الحسنى • وذلك — فيما يزعم أصحاب هذا الاتجاه — لسببين :

الاول : ان الوحى قضية ايمان ونقل ، لا قضية فهم وعقل •

٩

العقيدة والعقل

والثانى : ان القرآن الكريم وحى من الله تعالى ، وهو دليل للمؤمنين به فقط ، فلا يصلح ان نستدل به خارج دائرة المؤمنين ، أى لايصلح أن نخاطب به الكفار والملاحدة ، لانهم ينكرونه ولا يؤمنون بانه وحى من عند الله • فينبغى لذلك أن نخاطبهم بالعقل وحده ، ونحاول أن نقنعهم بالأدلة العقلية والفلسفة وحدها •

ويترتب على هذا الموقف أننا من أجل أن نبين عقيدتنا للناس ونقنعهم بصحتها — ينبغى أن نبدأ أولا بدراسة الفلسفة ، وبخاصة الفلسفة اليونانية القديمة ، والفلسفة الأوروبية الحديثة . ونستشهد بوجه خاص بأولئك الفلاسفة اليونانيين والأوروبيين « المؤمنين بالله » •

والواقع أن تصور (الله) فى الفلسفة اليونانية بوجه عام . وفلسفة أفلاطون وأرسطو بوجه خاص ، تصور خاطىء بل وثنى من أساسه • ولايحتوى على فكرة الوحدانية أو الخلق من العدم وهما صفتان من صفات الله تعالى •

وتصور (الله) فى الفلسفة الأوروبية المسيحية مختلط بعقيدة التثليث ، فالله عندهم يعنى غالبا الاله الاب ، أول الأقانيم الثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •

ان استعمال هذه الأدلة الفلسفية لاثبات صحة الايمان بالله الواحد الأحد معناه — بوضوح — أن نثبت بالكفر صحة الايمان وبالشرك صحة التوحيد ، وبالعقل الانسانى المغرور ، المخلد الى الأرض ، المتمرد على وحى السماء — صحة هذا الوحى ، وأنه حق من عند الله •

ينبغى أن نؤكد أن معظم المفكرين المسلمين القدامى الذين اتخذوا هذا الموقف « العقلانى » قد اتخذوه بحسن نية ، وذلك لأنهم اتخذوه فى عصر احتكاك المسلمين بالشعوب المجاورة ذات الحضارات القديمة ، كالهند والفرس واليونان وكان هدف هؤلاء المفكرين المسلمين هو الدفاع عن الاسلام بسلاح الفلسفة ، فى عصر كانت فيه الفلسفة اليونانية بوجه خاص تشبه السحر أو الكهانة فى تأثيرها على العقول المفتونة بحضارة اليونان • كما أن لتقدم العلوم والتكنولوجيا فى عصرنا الحاضر تأثيرا يشبه السحر أو الكهانة على العقول المفتونة بحضارة الغرب •

ومع هذا فان حسن النية لم يمنع أولئك المفكرين المسلمين — ولاسيما المعتزلة — من التأثر بعقلية العدو الذى كانوا يحاربونه بأسلحة من صنعه هو • ولو كانت هذه الأسلحة مادية لهان الأمر . ولكنها كانت أسلحة فكرية حضارية مستوردة ، أى ليست من الانتاج الذاتى المتميز لحضارتهم الاسلامية •

ومن المعروف أن المعتزلة قد تأثروا تأثرا واضحا بالفلسفة اليونانية ، والمنطق اليونانى، وطريقة الجدل اليونانى •

بل ان مفكرا كبيرا من أهل السنة ، ومفسرا مشهورا من مفسرى القرآن الكريم ، وهو الفخر الرازى ، كان فى بعض مراحل حياته الفكرية لا يكتف بالتفرقة بين العقل والنقل ، بل يذهب الى حد القول بأن العقل أكثر يقينا

من النقل . وأن « الدلائل النقلية ظنيــــة ، والعقلية قطعية » (معالم أصــول الدين ط . القاهرة ص ٢٤) .

وقد أدى هذا الموقف الذى يقوم عــلى الثنائية بين الوحى والعقل ، الى ظهور ذلــك التيار السائد فيما يسمى بالفلسفة الاسلامية ، وهو التيار الذى يحاول التوفيق او « التلفيق» بين الوحى والعقل ، أو بين الدين والفلسـفة، أو بين الشريعة والحكمة .

وقد انساق فى هذا التيار معظم من يسمون « فلاسفة الاسلام » : منذ الكندى فى القرن الثالث الهجرى حتى يبلغ التيار قمته عنــد ابن رشد فى القرن السادس . وذلك فى كتابه : فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصـــال .

وانا لا اتهم هؤلاء الفلاسفة بالكفر . بــل أفترض فيهم حســن النية . وأقدر جهودهم الفكرية والعلمية . ولكن هذه الجهـــود هى « اجتهادات » بشرية تخطىء وتصيب !

المنهج الاسلامى :

ان فصل العقل عن الدين هو أمر قد يصح بالنسبة لدين كالمسيحية ، ولكنه لا يصــح مطلقا بالنسبة للاسلام .

ففى القــرآن الكــريم آيات لاتكاد تحصى عددا تطالب الناس جميعا (ولا سيما الكافرين منهم) بتنحية كل الحواجز التى تحــول بين الانسان وبين اكتشاف الحق والعمــل به ، وبخاصة فيما يتصل بالايمان بالله الواحــد الأحــد .

ومن أخطر هذه الحواجز : الاكراه فى الدين ، والتقليــد الأعمى للآباء والاجداد ، واتبــاع الهوى والظن ، واتخاذ الوسـطاء بين اللــه والناس .

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليـــه وســـلم :

« أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »؟ (يونس ١٠ : ٩٩) . ويقول تعالى :

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (البقرة ٢ : ٢٥٦) .

وينعى القرآن على المشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم وأجدادهم فى العقيدة والسلوك ، رغم جهل هؤلاء وضلالهم :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّـهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (المائدة ٥ : ١٠٤) .

كما ينعى عليهم انهم لا يستجيبون لدعــوة الحق لأنهم يتبعون أهواءهم :

« فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ » (القصص ٢٨ : ٥٠) .

ويتبعون الظن :

« وما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » (يونس ١٠ : ٣٦) .

وكذلك ينعى على اليهود والنصارى أنهم :

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ » (التوبة ٩ : ٣١) .

العقيدة والعقل

وبعد استبعاد هذه الحواجز يدعو القرآن الناس جميعا الى التفكير فى خلق السموات والأرض ، وفى خلق الانسان ، أى فى جميع الظواهر الكونية والانسانية ، للاستدلال بدراستها واكتشاف ما فيها من القوانين والعلاقات ووحدة النظام والتدبير الحكيم — على وجود خالق واحد قادر مريد ، عليم حكيم ، رؤوف رحيم .. له الأسماء الحسنى .

فأى منهج أفضل من هذا المنهج علمية وموضوعية ، واتساعا على الكون والانسان ، وانفتاحا على البشرية فى كل مكان وزمان ؟!

ولا يقتصر التفكير على الطبيعة والانسان ، بل يمتد الى آيات القرآن :

فهذا الكتاب الكريم قد نزل للناس لا لمجرد أن يحفظوه بدون فهم ، أو يتغنوا به بدون عمل — كما نفعل نحن المسلمين اليوم — وانما نزل ليتدبروا آياته ويعملوا بها :

« كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ » (ص ٣٨ : ٢٩) .

ولكن القرآن الكريم لا يخاطب عقل الانسان وحده ، وانما يخاطب كيان الانسان كله :

يخاطب عقله وحسه وخياله ووجدانه وبصيرته .

اى يخاطب فطرته المتكاملة : « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » (الروم ٣٠ : ٣٠) .

ولعل هذا بعض ما يجعل للقرآن تأثيرا على النفس الانسانية لا يعادله تأثير اى كتاب آخر فى تاريخ البشرية على الاطلاق .

ومن المعروف ان كثيرا من المهتدين الى الاسلام — وبخاصة فى الغرب — قد توسعوا فى دراسة الفلسفة ، ولكنهم غالبا لم يهتدوا الى الاسلام عن طريقها ، وانما عن طريق الكتاب العزيز ، أو السنة النبوية الشريفة ، التى هى فى حقيقتها تفسير وتطبيق حى للقرآن الكريم .

فكيف لا نخاطب بهذا القرآن جميع الناس وقد نزل لجميع الناس ؟

كيف لانخاطب به الا المؤمنين وقد خاطب الله به — صراحة أو ضمنا — المؤمنين والمنافقين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين اشركوا ؟!

كيف لا نخاطب به الانسانية كلها وقد ارسل به الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ؟!

وكيف لا نبينه وقد امرنا بتبيينه للناس جميعا ، وقد لعن الله كل من كتم هداه ، وحال بين نوره وبين الناس :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا » (البقرة ٢ : ١٥٩ — ١٦٠) .

وبعد هذا التبيين فليؤمن من يؤمن ، وليكفر من يكفر ، لانه : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » .

د . أحمد عبد الحميد غراب

من علوم القرآن

الإعجاز

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

بيان ذلك :

ان أول سورة فى كتاب الله هى سورة الفاتحة وهى قول الحق تبارك وتعالى :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ . »

ومن اليسير على كل من يقرؤها أو يسمعها أن يدرك اشتمالها على طرفين ونوع الصلة التى تربط كلا منهما بالآخر .

أما الطرف الأول : فهو المعبر عنه بلفظ الجلالة « الله » و « الله » علم على الذات العلية المتصفة بكل كمال والمنزهة عن كل نقص، الذات القائمة بنفسها ولا تحتاج الى سواها ، لا فى وجودها ، ولا فى دوامها ، فهى واجبة الوجود ، وواجبة البقاء ، لا أول لوجودها ولا نهاية له .

وأما الطرف الثانى : فهو المعبر عنه بـ « العالمين » وهو جمع عالم ، والعالم ما سوى الله تعالى ، وما سوى الله أنواع ، وهذا هو سر الجمع فيه .

ومن العوالم ما هو مكلف ، ومنها ما هو غير مكلف ، وكلها عاجزة عن أن توجد نفسها ، أو تقوم بما يحفظ عليها حياتها بعد أن توهب الوجود ، ووجودها محدود بما يأذن به الواهب من وقته ، ومن هنا كانت فى حاجة الى من يوجدها ، وفى حاجة دائمة الى من يرعاها طوال الفترة التى أذن لها بالحياة فيها .

و « الله » هو الذى وهب هذه العوالم كلها الوجود ، وهو الذى مدها ويمدها من العطاء ما تقيم به حياتها ، فهو مالكها ، وهو سيدها ، وهو مربيها ، وهو مدبر أمورها بحكمته التى لا يعتريها خلل ولا اضطراب ... الى آخر ما

تشير اليه كلمة « الرب » فى لسان العرب الذى أنزل الله به القرآن ووصف نفسه فيه بأنه « رب العالمين الرحمن الرحيم » .

وكل من نعمة الخلق والايجاد . ونعمة الامداد والعطاء . ونعمة الرحمة والعطف تستوجب الثناء والحمد لواهبها . فاذا جاءت كلها من مصدر واحد ـ ولا مصدر لها الا الله ـ وجب الا يكون ثناء الا عليه . والا يكون شكر الا له وهذا معنى قوله تعالى :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ » .

واذا كان الله هو واهب النعم كان هو وحده الذى ينبغى أن يطاع ويعبد . واذ كان هو «رَبِّ الْعَالَمِينَ» فهو الذى ينبغى أن يستعان عند الحاجة . وهذا هو معنى قوله سبحانه :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

ولسنا فى حاجة الى القول بأن افراده تعالى بالعبادة والطاعة . والاتجاه اليه وحده فى طلب العون والمدد انما يكون ممن خصه الله بالتكليف من خلقه . فالمكلف هداه الله النجدين . واختياره لأحدهما مع احاطته بالمكاره والشهوات ليس بالأمر الهين . فهو فى حاجة الى من يأخذ بيده الى طريق الصواب . ومن غير خالقه يضرع اليه أن يهديه الى الخير ؟ . وهذا هو توجيه الله لعباده فى سورة الفاتحة فى قوله تعالى :

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ »

ومادام هناك تكليف ، وهناك طاعة ومعصية ، فلابد من التفرقة بين من أطاع ومن عصى ؛ فليس من الحكمة فى شيء أن يسوى بينهما ؛ وقد حدد الله يوما للجزاء فيثيب من اتقى ويعاقب من فجر . وسماه « يوم الدين » وأخبرنا فى سورة الفاتحة انه وحده هو :

« مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ » .

هذه هى سورة الفاتحة وهى ـ كما يقول اهل العلم ـ تلخيص لكل ما جاء فى القرآن كله:

ففيها الحديث عن « الله » وهو الحق .

وفيها الحديث عما سوى الله من عوالم . ونحن ـ بنى الانسان ـ نوع منها وفيها الحديث عن صلة الله بالعوالم كلها وصلتها به سبحانه .

وفيها الحديث عن « يوم الدين » وهو اليوم الذى يضع الله فيه الموازين القسط للتفرقة بين المتقين والفجار .

وكل ما جاء فى القرآن يدور حول أمر من هذه الأمور . اما لتقرير الأمر فى نفسه والاخبار بأحقيته . واما بشرح تفاصيله أو اقامة الدليل عليه للتوضيح والبيان .

وسنحاول أن نضع بين يدى القارىء بعض نماذج من آيات القرآن الكريم لكل من هذه الأمور التى عالجها لنبحث معا عما فيه مما يعجز الانس والجن وهو ما يعبر عنه بـ « وجه الاعجاز فى القرآن » .

الحديث عن الله

ونبدأ بالحديث عن « الله » تبارك وتعالى ؛ ولقد أجمع اهل العلم على أن لفظ الجلالة «الله» علم على الذات العلية .

وأول ما يلفت نظر دارس القرآن أنه تعالى هو الذى سمى ـ بهذا اللفظ ـ نفسه ولم يسمه سواه . نقرأ فى حديث الله تعالى لموسى عليه السلام :

« إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » (١) .

ويجانب لفظ الجلالة هناك اسماء أخرى طلب الله منا أن ندعوه بها فى قوله سبحانه :

« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... » (٢)

ولم يدع تحديد الأسماء الحسنى لسواه ، وانما تولى ذلك بنفسه وعددها فى آيات كتابه نذكر من ذلك قوله تعالى :

« هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . » (٣)

وقوله جل شأنه :

« سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٤)

وقد نلاحظ ــ ونرجو الا نبعد عن الحق ــ أن الاسماء الحسنى تحدد ــ فى مجموعهـا ــ

خصائص الألوهية :

من الوحدانية التى لا يشوبها تعدد فى أى ناحية من نواحيها ، لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال ، فهو سبحانه كما عبر عن نفسه

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » (٥) .

ومن العلم الشامل الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ظهر ذلك أو خفى . وصدق الله حيث يقول :

« ... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (٦)

وحيث يقول :

« قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . » (٧)

ومن القدرة النافذة التى عبر عنها فى قوله عز وجل :

« إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » (٨) .

ولا يخفى على أى دارس للقرآن الكريم أن الحديث عن خصائص الالوهية قد استوعب من الآيات مالا يتسع المقام هنا لحصره ، ويكفى أن نقتبس هنا بعض آيات تغنى عن مثيلاتها ،

(١) سورة طه : الآية ١٤ .
(٢) سورة الاعراف : الآية ١٨٠
(٣) سورة الحشر : الآيات ٢٢ ــ ٢٤
(٤) سورة الحديد : الآيات ١ ــ ٣
(٥) سورة الشورى : الآية ١١
(٦) سورة الحديد : الآية ٤
(٧) : سورة آل عمران : ٢٩
(٨) سورة النحل الآية ٤٠

ومنها قول الله تبارك وتعالى :

« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٠ »

« وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ٠ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ » (١) ٠

وقوله سبحانه :

« اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » (٢) ٠

وقوله جل شأنه :

« إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ٠ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٠ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٠ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ٠ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٣) ٠

وقوله سبحانه :

« إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (٤) ٠

---

(١) سورة الأنعام : الآيات ٥٩ ــ ٦٢
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٥
(٣) سورة الأنعام : الآيات ٩٥ ــ ٩٩
(٤) سورة الأعراف : الآية ٥٤

وقولــــه :

« الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون » (١) .

وقولــــه :

« الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير » (٢) .

وقولــــه :

« الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... » (٣) .

وقولــــه :

« خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين » (٤) .

وقولــــه :

« إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا » (٥) .

وقوله سبحانه :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » (٦) .

تلك بعض آيات من كتاب الله ـ ومثلها في القرآن كثير ـ ذكر فيها ما تفرد به سبحانه من صفات ، وأسند فيها الى ذاته كثيرا من الأفعال التي لا تصدر الا عنه ، وكلها جاءت بأسلوب التقرير والاخبار لأنها حقائق لا ينكرها أحد من أصحاب العقول السليمة أو يشكك فيها .

وهل يمكن لمخلوق ـ أيا كان هذا المخلوق ـ أن يصف نفسه بشيء منها أو يسند الى نفسه

---

(١) سورة الروم : الآية ٤٠

(٢) سورة الروم : الآيات ٤٨ ـ ٥٠

(٣) سورة ابراهيم : الآيات ٣٢ ـ ٢٤

(٤) سورة لقمان : الآية ١٠ ، ١١

(٥) سورة فاطر : الآية ٤١

(٦) سورة الاخلاص

أى فعل من الأفعال التى ذكرت فيها . هـــل هناك ــ غير الله ــ من يمكن أن يقول « **عِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ... الخ** » أو انه « **لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ** » أو « **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** » أو « **لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** » او انـه « **الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ».

وهل هناك ــ غير الله ــ من يمكن أن ينسب الى نفسه أنه « **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** » او « **يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ... الخ** » أو « **سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** » أو انـه « **يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ...** »

وبجانب الآيات الكريمة التى تقرر الحقائق وتخبر بها نجد آيات تقدم الدليل العملى على أحقية ما تقرر ، وفى حديث القرآن عن المنافقين أكثر من دليل واقعى يؤكد انه سبحانه « عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » وهو أخفى ما يكون من السر من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** » (١) .

وقوله جل شأنه :

« **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** » (٢) .

ان نفى الايمان عن هـؤلاء الذين قـالوا « **آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ** » والحكم عليهم وعلى من ذهبوا الى رسول الله وقالوا : « **نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ** » بانهم كـاذبون لا يكون الا ممن اطلع على حقيقة ما فى أنفسهم مما لا دليل عليه فى الخارج . وهل هناك من المخلوقين من يستطيع ذلك ؟ ان رسول الله ـــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وهو أقرب عباد الله الى الله ــ لم يدع لنفسه هذا . ولم يقبل عذر من قتل رجلا بعد أن قال : « **لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ** » قال : « انه قالها تقية » . لقد قال له رسول الله « هلا شققت عن قلبه » ؟

ويقول الله تعالى فى صدد الحديث عن غزوة أحد وملابساتها :

« ... **وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ**

(١) سورة البقرة : الآيات ٨ ــ ١٠

(٢) سورة المنافقون : الآية ١

«وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (١) .

ونقرأ قوله سبحانه :

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (٢) .

فهل يمكن لغير منزل القرآن أن يفضح هؤلاء بكشف سرهم وإظهار ما أسروا في أنفسهم ؟

ويفرق الله سبحانه بين من ينفق ماله رئاء الناس ومن ينفقه ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه فيقول :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (٣) .

فهل يمكن لمخلوق ــ أيا كان هذا المخلوق ــ أن يفرق بين الاثنين وقد تساويا في الانفاق ؟ إن التفرقة كانت لأمر لا يطلع عليه إلا علام الغيوب . وصدق الله في قوله : «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» .

وكما نطقت بعض الآيات بالدليل الواقعي على شمول علم الله ، فقد نطقت آيات أخرى بالدليل الواقعي على أن قدرته تعالى نافذة لا يعجزها شيء ، وأن القوانين التي خلق الخلق عليها لا تقيد قدرته لأنه خالقها ، فإن شاء أطلق تأثيرها ، وإن شاء أوقفه .

نقرأ في ذلك ما قصه الله في القرآن عن رسوله زكريا عليه السلام عندما استبعد تحقيق البشرى التي سمعها من الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» «قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ» وجاء الرد : «كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» (٤) وولد له يحيى .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٤
(٢) سورة المجادلة : الآية ٨
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤ ، ٢٦٥
(٤) سورة آل عمران : الآيتان ٣٩ ، ٤٠

من علوم القرآن الإعجاز *

ونقرأ ما جاء في حديث القرآن عن مريم عندما قالت لها الملائكة : « يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين .

ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين »
وكان ذلك غريبا عليها ومستحيلا فيما ألف الناس فقالت :

« رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر »
وجاءها الرد الواضح :

« كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » (١) .

وكان الحمل دون أن يمسها بشر وولد عيسى عليه السلام .

ومن هذا القبيل ما نقرؤه في قصة موسى وفرعون عندما أسرى موسى بمن معه تنفيذا لأمر الله فأتبعهم فرعون بجنوده :

« فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم » (٢) .

وما نقرؤه في قصة ابراهيم عليه السلام وما دار بينه وبين أعداء الله من حوار بعد أن جعل أصنامهم جذاذا وانتهى أمرهم بأن : « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين » . (٣)

وكان نصر الله لخليله المعبر عنه بقوله سبحانه :

« قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم » (٤) .

وتحقق قول الله تبارك وتعالى :

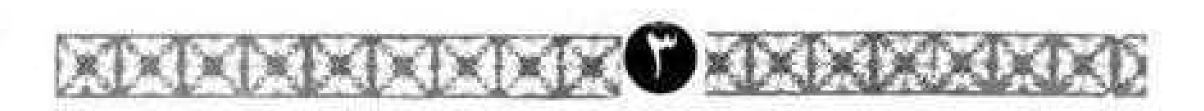
« وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين » (٥) .

الحديث موصول

د. أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) آل عمران : الآيات ٤٥ ـ ٤٧
(٢) سورة الشعراء : الآيات ٦١ ـ ٦٨
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٦٨
(٤) سورة الأنبياء : الآية ٦٩
(٥) سورة الأنبياء : الآية ٧٠



فقه آية كريمة

سحر بابل

للدكتور عبد الباقي أحمد سلامة

إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ :

هذا هو الميثاق الذى أخذه الله على الملكين ، عندما انزلهما بالسحر ليعلما الناس البلاء الذى أراد الله أن يبتلى به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما احدا حتى يقولا له .

« إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » .

هذا قول الحسن ، وقال قتادة مثله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا أتاهما الآتى يريد السحر نهياه أشد النهى ، وقالا له : « إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والايمان ، فعرفا أن السحر من الكفر ، فاذا أبى عليهما أمراه أن يأتى مكان كذا وكذا ، فاذا أتاه عاين الشيطان ، فعلمه ، فاذا تعلمه خرج منه النور فنظر اليه ساطعا فى السماء فيقول: ياحسرتاه ، ياويله ، ماذا صنع ؟ ! .

وعن السدى : اذا أتاهما انسان يريد السحر وعظاه وقالا له : « إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » فاذا أبى قالا له : ائت هذا الرماد فبل عليه ، فاذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء، وذلك الايمان وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل فى مسامعه وكل شيء ، وذلك غضب الله ، فاذا أخبرهما بذلك علماه السحر ١ ــ (أعاذنا الله منه) .

تسمية السحر كفرا :

من السحر ما هو حرام وكبيرة وليس بكفر ومنه كفر .

فالكفر منه : ما يقوله الفلاسفة والصابئة ، وما كان عليه الكلدانيون فى بابل من اعتقاد تأثير الكواكب ، وتصرفها ، وعبادة الناس لها ، واتخاذ تماثيل لها .

أما ما كان على سبيل الشعوذة أو

فقه آية كريمة

استخدام التراكيب الهندسية ، أو الاستعانة بخواص الأطعمة أو ما شابه ذلك فليس بكفر .

وقد سمى الله تعالى السحر كفرا في قوله: « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » بقول السحر ، « وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا » به وبتعليمه . فالمراد نفي السحر عن سليمان واثباته للشياطين ، ويكون المراد منه : السحر بمكفر ، وهو الشائع في بابل ، وحرص عليه اليهود ، وعلمته الشياطين للناس بقصد اضلالهم .

ومن هذا ماقيل : لا يجترىء على السحر الا كافر (عن ابن جريج) (١) وسيأتي تفصيل القول في «حكم الساحر» ان شاء الله.

ماذا يتعلم الساحر ؟

يقول تعالى « فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » هل هذا كل ما يتعلمون ؟ فلا يقدرون على شيء سواه ؟

قال القرطبي : ذهبت طائفة من العلماء الى أن الساحر ليس يقدر على أكثر مما أخبر الله عنه من التفرقة بين المرء وزوجه . لأن الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر ، والغاية في تعلمه ، فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره (٢) .

أو يتعلمون فنونا كثيرة ، أقواها هو ما يستطيعون به التفريق بين المرء وزوجه ؟ فالعلاقة بين الزوجين أقوى العلاقات ثبوتا واستقرارا ، وهي قائمة على السكن والمودة والرحمة ، قال تعالى ، « خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً » (٣) فاذا استطاع الساحر — تلميذ الشيطان — أن يفعل ذلك يكون قد أتى الأمر العظيم والدرجة العليا التي ينال بها تقدير الأب الأكبر عنده (ابليس اللعين) .

روى مسلم في صحيحه عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ان الشيطان ليضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه في الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : مازلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا ، فيقول ابليس : لا والله ما صنعت شيئا ، ويجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله ، قال : فيقر به ويدنيه ويلتزمه ويقول : نعم أنت (٤) .

قال الفخر الرازي (٥) : لم يذكر الله تعالى ذلك لأن الذي يتعلمون ليس الا هذا القدر ، لكن ذكر هذه الصورة تنبيها على سائر الصور ، فان استكانة المرء الى زوجته وركونه اليها معروف زائد على كل مودة ، فنبه الله تعالى بذكر ذلك على أن السحر اذا أمكن به هذا الأمر على شدته فغيره به أولى . اهـ

ضرر السحر باذن الله

قال تعالى « وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ

---

١ — يراجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٢
٢ — تفسير القرطبي جـ٢ ص ٥٥
٣ — سورة الروم ٢١
٤ — تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٢
٥ — تفسير الفخر جـ٣ ص ٢٢١

إلا بإذن الله » تحدثت الآية الكريمة عن ضررين يقعان بسبب السحر .

نوع يقع على الساحر « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » وسيأتى .

ونوع يقع على المسحور « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » فسرها سفيان الثورى : الا بقضاء الله .

وقال محمد بن اسحق : الا بتخلية الله بينه وبين ما أراد .

وقال الحسن البصرى : من شاء الله سلطهم عليه ومن لم يشأ لم يسلط (١) .

وقال القرطبى : (٢) ما هم : اشارة الى السحرة . وقيل : اليهود . وقيل : الشياطين واذن الله : ارادته وقضاؤه . لا أمره . لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء .

وقال الزجاج : الا بعلم الله .

وقال النحاس : بعلم الله : غلط . لأنه يقال فى العلم : اذن « بفتح الأول والثانى » ولكن . لما لم يحل فيما بينهم وبينه وظلوا يفعلونه كان كأنه أباحه مجازا . ا . هـ

أما الفخر الرازى فقد جمع كل ذلك فقال (٣) .

اعلم أن الأذن حقيقة فى الأمر . والله لا يأمر بالسحر . ولأنه تعالى أراد عيبهم وذمهم ولو كان قد أمرهم به لما ذمهم . فلابد من التأويل . وفيه وجوه :

أحدها : قال الحسن : المراد منه التخلية يعنى الساحر اذا سحر انسانا . فان شاء الله منعه . وان شاء خلى بينه وبين ضرر السحر .

وثانيها : قال الأصم : المراد : الا بعلم الله . وقد سمى الأذان أذانا لأنه اعلام للناس . وسمى اذنا لأن بالحاسة القائمة به يدرك الاذن . ومنه « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر » (٤) .

« آذنتكم على سواء » (٥) يعنى أعلمتكم .

وثالثها : أن الضرر الحاصل عند فعل السحر انما يحصل بخلق الله وايجاده . فيصح أن يضاف الى اذن الله . كما قال « إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٦)

ورابعها : أن يكون المراد بالاذن الأمر . بأن يفسر التفريق بين المرء وزوجه . بأن يصير كافرا . والكفر يقتضى التفريق . فان هذا حكم شرعى . ولا يكون الحكم الا بأمر الله . ا هـ

السحر يضر الساحر

أما الضرر الذى يقع على الساحر . فقد ذكره الله تعالى فى قوله « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم » .

---

١ ـ تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٢
٢ ـ تفسير القرطبى جـ٢ ص ٥٥
٣ ـ تفسير الفخر جـ٣ ص ٢٢١
٤ ـ سورة براءة ٣ ـ اى اعلام
٥ ـ سورة الأنبياء ١٠٩
٦ ـ سورة النحل ٤٠

٥ فقه آية كريمة

قال ابن كثير (٢) : يضرهم في دينهم ، وليس لهم نفع يوازي ضرره ، وليس لهم خلاق في الآخرة ، اى نصيب ، كما قال ابن عباس ومجاهد والسدى .

وقال قتادة : من جهة عند الله .

وعن الحسن : ليس له دين .

وعن قتادة : عهد الله الى أهل الكتاب أن الساحر لا خلاق له في الآخرة ، ولقد علموا ذلك ، اهـ .

والقرطبي : يفسرها : بأن السحر يضر الساحر في الآخرة وان أخذ به نفعا قليلا في الدنيا .

وقيل : يضرهم في الدنيا ، لأن الساحر اذا عثر عليه يؤدب ويزجر ويلحقه شؤم السحر (٣) .

وقال الفخر الرازي : ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة — والشراء هو مبادلة — لوجوه :

أحدها : لأنهم نبذوا كتاب الله ، واقبلوا على ما تتلوه الشياطين من السحر ، فهذه مبادلة .

الثاني : قصد الملكان بتعليم السحر الاحتراز عنه ، ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الآخرة ، فلما استعمل السحر ، فكأنه باع منافع الآخرة ، واشترى بها منافع الدنيا .

الثالث : لما استعمل السحر تكلف مشقة شديدة ليتمكن من هذا الاستعمال ، فكأنه اشترى قدرته على هذا الاستعمال بالمحن والمشقات التى تحملها ، اهـ ، بتصرف (٣).

ثم قال (٣) : أثبت الله لهم العلم ثم نفاه عنهم ، في قوله : « ولقد علموا ..... لو كانوا يعلمون » .

فكيف ذلك ؟

والجواب من وجوه :

أحدها : الذين علموا غير الذين لم يعلموا . فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى تعلمه ، وهم المقول فيهم « نبذ فريق » ، أما الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر فهم الذين لا يعلمون ، هذا جواب الأخفش وقطرب .

ثانيها : هم واحد ، علموا شيئا ، وهو : أنهم ليس لهم في الآخرة خلاق ، وجهلوا ولم يعلموا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة .

ثالثها : القوم واحد ، والمعلوم واحد ، ولكنهم لم ينتفعوا بعلمهم ، بل أعرضوا عنه ، فصار ذلك العلم كالعدم ، كما سمى الله الكفار « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ » (٤) اذ لم ينتفعوا بهذه الحواس ، اهـ

الخير في الايمان والتمسك بكلام الله

ختم الله تعالى هذه الآية الكريمة بقوله « **وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » .

الضمير عائد الى اليهود ، الذين نبذوا كتاب الله ، واتبعوا ماتتلو الشياطين ، ولما بين الله فيهم الوعيد بقوله « **وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا**

---

١ ـ تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٤٢ بتصرف
٢ ـ تفسير القرطبي جـ٢ ص ٥٥ ، ٥٦ بتصرف
٣ ـ تفسير الفخر جـ٣ ص ٢٢٢ بتصرف
٤ ـ سورة البقرة ١٨ ، ١٧١

بِهِ أَنفُسَهُمْ» اتبعه بالوعد ، جامعا بين الترهيب والترغيب ، لأن الجمع بينهما ادعى الى قبول الطاعة ، والعدول عن المعصية ، وكان ذلك منه تعالى كرما بعباده ورحمة بهم .

فالمطلوب منهم – ان أرادوا الخير لأنفسهم أن يؤمنوا بما نبذوه ، سواء كان هذا الذي نبذوه هو القرآن الكريم أو التوراة التى بشرت به ، أو هذا معا ، كما تقدم (١) ، وان يتركوا ما اتبعوه مما تتله شياطين الجن أو الانس افتراء على ملك سليمان ، وتعليمهم الناس السحر ، الذي تحقق ضرره بالمسحور ثم بالساحر فى الدنيا والآخرة .

انهم ان فعلوا ذلك : أثيبوا ثوابا عظيما من عند الله ، وشتان بين ما ينتفع به الساحر فى الدنيا ، وبين فضل الله وثوابه فى الدنيا والآخرة ، فما عند الله خير وأبقى .

فهل يعلمون ؟ ومتى يتعقلون ؟

السحر وأنواعه :

قال الراغب : السحر يطلق على معان :

احدها : ما لطف ودق ، ومنه سحرت الصبى: خادعته واستملته ، وكل من استمال شيئا فقد سحره ، ومنه سحر العيون لاستمالتها النفوس ، وقولهم الطبيعة ساحرة ، ومنه قوله تعالى « **بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ** » (٢) ومنه حديث (**ان من البيان لسحرا**) .

الثانى : ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها ، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده ، وذلك كالاشارة بقوله تعالى « **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** » (٣) وقوله تعالى « **سحروا اعين الناس** » (٤) ومن هناك سموا موسى عليه السلام ساحرا .

الثالث : ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب اليهم ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « **وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** ... » .

الرابع : ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم ، وقد يجمع بعضهم بين الآخيرين (٥) .

وقال أبو بكر الرازى فى الأحكام (٥) : كان أهل بابل قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة السيارة ، ويسمونها آلهة ، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما فى العالم ، وعملوا أوثانا على أسمائها ويتقربون اليها ، وهم الذين بعث اليهم ابراهيم عليه السلام .

وكان السحرة منهم يستعملون كل أنواع السحر ، وينسبونها الى فعل الكواكب ، لئلا يبحث عنها ، وينكشف تمويههم .

والسحر قد يطلق ويراد به الآلة ، وهى قد تكون من المعانى كالرقى والنفث فى العقد ، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور ، وتارة يجمع الأمرين (٦)

وذكر الرازى فى تفسيره (٦) : أن لفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجرى



١ – تقدم مفصلا ص ٣ ، ٤ .
٢ – سورة الحجر ١٥
٣ – سورة طه ٦٦
٤ – سورة الاعراف ١١٦
٥ – فتح البارى جـ١٠ ص ٢٢٢ بتصرف
٦ – جـ٣ ص ٢٠٦ – ٢١٢مع تصرف واختصار

مجرى التمويه والخداع .. ثم قال :

اعلم ان السحر على أقسام :

١ ـ **سحر الكلدانيين** : كانوا يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنها المدبرة ، وهم الذين بعث اليهم ابراهيم عليه السلام ـ فهم أهل بابل ـ ولقد استقصى الرازى فى « كتاب السر المكتوم فى مخاطبة الشمس والنجوم » المنسوب اليه ، ويقال : انه تاب منه ، وقيل : بل صنفه على وجه اظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد ـ وذكر فيه طريقهم فى مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة ، وكيفية ما يفعلون ، وينسكون به .

٢ ـ **سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية** : فالهمم والنفوس القوية أثر كبير ، وللوهم تأثير بأن الانسان يمكنه أن يمشى على الجسر أو الجذع الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشى عليه اذا كان ممدودا على نهر ونحوه .

٣ ـ **الاستعانة بالأرواح الأرضية وهم الجن** : خلافا للفلاسفة والمعتزلة الذين ينكرون وجود الجن ... واتصال النفوس الناطقة بالأرواح الأرضية أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية لما بينها من المناسبة والقرب ، والاتصال بها يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد ، وهذا هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير .

٤ ـ **تخيلات وأخذ بالعيون وشعبذة** :

ويكون بصرف البصر والخاطر عما يفعله المشعوذ .

وقال بعض المفسرين : ان سحر السحرة بين يدى فرعون كان من هذا النوع .

٥ ـ **الأعمال العجيبة** : التى تظهر من آلات مركبة على النسب الهندسية ، كالصور التى يصورها الروم والهند ، ولها وجوه ضاحكة وباكية ، وكان سحرة فرعون من هذا القبيل ، فقد قيل انهم عمدوا الى الحبال والعصى فحشوها زئبقا ، فصارت تتلوى ، بتأثير حرارة الشمس فى الزئبق .

٦ ـ **الاستعانة بخواص الأدوية فى الأطعمة والدهانات** : كأن يجعل فى طعامه بعض الأدوية المزيلة للعقل ، والدخن المسكرة وذلك كأثر المناطيس .

٧ ـ **تطيق القلب** ، بأن يدعى الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه ، فاذا كان السامع ضعيف العقل اعتقد أنه حق ، وتعلق به قلبه ، وحصل فى نفسه نوع من الرعب ، فيؤثر فيه الساحر بسهولة .

٨ ـ **السعى بالنميمة والتقريب من وجوه خفيفة لطيفة** . اهـ (١)

وقال القرطبى (١) : السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعانى فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هى به ، كالذى يرى السراب من بعيد فيخيل اليه انه ماء ، وكراكب السفينة يخيل اليه ان ما يرى من الأشجار والجبال تسير معه . ا هـ .

يتبع

١ ـ ويراجع ايضا تفسير ابن كثير جـ ٦ من ص ١٤٤ الى ص ١٤٧ .



سماحة المؤمن فوق حقه

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن جابر رجب

روى الامام احمد فى مسنده باسناد صحيح:
حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا يونس يعنى ابن عبيد حدثنى عطـاء بن فروخ مولى القرشيين : أن عثمان اشترى من رجل أرضـا فابطأ عليه فلقيه فقال له :

ما منعك من قبض مالك ؟
قال انك غبنتنى ، فما ألقى من الناس أحدا الا وهو يلومنى .

قال أو ذلك يمنعك ؟

قال : نعم .

قال : فاختر بين أرضك ومالك .

ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم .

أدخل الله عز وجل الجنة رجلا كان سـهلا مشتريا وبائعا وقاضيا ومقتضيا ؟

ورواه أيضـا من طريق محمـد بن جعفـر وحجاج عن شعبة عن عمر بن دينار عن عثمان ومن طريق حماد بن سلمة عن عثمان .

ورواه النسائى وابن ماجه .

وأخرج نحـوه البخـارى فى الوكـالة ، والاستقراض .

ومسلم فى البيوع فى بـاب جواز اقراض الحيوان ، واستحباب توفيته خيرا مما عليه .

رواه الترمذى والنسـائى وابن مـاجه فى الأحكام .

ومداره عندهم عن سلمة بن أبى سلمة عـن أبى هريرة .

وأخرج البخارى مثله عن جابر بن عبد الله





رضى الله عنه فى البيوع فى باب السهولة والسماحة فى البيع والشراء :

المفردات :

قال فى المصباح سمح بكذا يسمح جاد وأعطى أو وافق على ما أريد منه .

والسمح : الجواد ولفظ « السمح » صفة مشبهة تدل على الثبوت .

المعنى :

سبب الحديث يشرح المقصود منه . ويوضح ما جاء فى قوله تعالى « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (١) » فيجازيكم عليه قليلا كان أو كثيرا جليلا كان أو حقيرا .

وما جاء حكاية لما قال شعيب لقومه « وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ (٢) » أى الكيل والوزن بالعدل والسوية ولا تنقصوا الناس أشياءهم .

وما جاء فى قوله تعالى : « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » (٣) .

أى حزن وهلاك ومشقة من العذاب للمطففين الباخسين الناقصين فى الكيل والوزن . الذين اذا اكتالوا على الناس حقهم منهم يستوفونه ويأخذونه وافيا واذ كالوا لهم أو وزنوا لهم ينقصون وهى عادتهم فى أخذ حقهم . وهذا يدل على أنهم لا يراقبون يوم البعث والحساب ولو فعلوا لارتدعوا عن نقص الكيل والوزن للناس .

والمراد من المساهلة فى الحديث أن يترك للمشترى فى الأول والبائع فى الثانى بعض الشىء أو يوافق فيهما صاحبه ، والأخذ والعطاء بغير عقد البيع والشراء .

وسهولة القضاء أن يؤدى الحق لصاحبه كاملا تاما .

وسهولة التقاضى بالعفو عن بعض ، وترك المضاجرة ونحوها فى المعاملة بين الناس .

وليس المراد من السهولة عدم المماكسة ، أى محاولة تخفيض السعر عما يقوله البائع فلا شىء فيه اذا جرى بالحسنى .

---

(١) البقرة ١٩٧ .
(٢) هود ٨٥ .
(٣) المطففين ١ ــ ٦ .

وتلك صورة قريبة لسيدنا عثمان ترينا ما عليه من فضل وورع وتناس لحقه استمساكـا بتعاليم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحبا في المسلمين وهي ـ الى ذلك ـ تكشف لنا عن خلق من خاض فيه بغير علم ولا حياء رضي الله عن سيدنا عثمان وأرضاه ونفعنا به.

احمد حسن جابر

واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ـ بقية

وسلطة البابا تمتد الى كل ما في الكنيسة من المقررات والشرائع اللازمة ، فله سن الشرائع الكنسية ، والتحريمات والتفسيحات (١) من شرائع أسلافه ، وله الحكم المطلق في كل الكنيسة مباشرة وله أن ينشر تعليما ايمانيا ، ويحتم حفظه ، لأن فحص الآيات أمر خاص به منذ أجيال عديدة » (٢) .

فاذا قالوا : ان كتبهم المقدسة لم تذكر كل شيء

قلنا ـ نحن المسلمين ـ قال تعالى :

« مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ » (٣) .

واذا كان لهذا « البابا » سلطة التحريم والتفسيح وتمتد يده الى المقررات والشرائع بما يراه

قلنا ـ نحن المسلمين ـ قال تعالى :

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ » (٤) .

ثم لا علينا بعد من زئير أسود « السيرك » فانه يثير الشفقة ، ولا يبعث الرعب .

والقرآن الكريم ، والحديث الصحيح هما وحي الله المتين سبحانه وتعالى .

والناس صنفان : فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه .

ويتوب الله على من تاب ، وقد خاب من افترى .

د. علي الخطيب

---

(١) التفسيحات ضد التحريمات .

(٢) راجع للقس الكاثوليكي : يوسف لويس ـ شرح التعليم المسيحي ١٢٧/١ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٩ ـ ١٧٦ مطبعة البرتيري ١٩٣٩ .

وللأب نعمة الله العذاري ـ المرسل اللبناني ـ سلاحك أيها المسيحي ص ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ٢٢٢ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨ .

(٤) سورة الأنعام ١١٥ .



تناسق سور القرآن

وترتيبها (٣)

ان الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه ، وأخلص الصلوات ، وأطيب التسليمات على حبيبنا وشفيعنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المبعوث بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وبعد ٠

فكلما تأملنا القرآن ، وتدبرنا التنزيل ، وجدنا كل ما يمتع العقل ، ويروق الخاطر ، ويطمئن النفس ، من اعجازات كتاب الله التى تملأ القلب خشوعا وخشية واخباتا للحق جل شأنه ٠

ومن روائع التنسيق القرآنى الجميل أن يتصل مؤخر سورة بمقدم تاليتها ، وأن تتوافق نهاية هذه بصدر اللاحقة بها مما يبين لنا أن هذا الترابط العضوى واللغوى والبيانى لم يأت عبثا ، ولم يرد عفوا ، انما هو تناسق وترابط وتوافق جميل لا يتذوقه الا من كان لديه علم وفهم وذوق ؛ فنسأل الله أن يرزقنا الفهم الذى يرقى بنا ويتسامى الى فهم معانيه الدقيقة ، واشاراته اللطيفة ، ومقاصده العظيمة ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يشرح صدورنا ببرد يقينه ٠

ومن دواعى الاعجاز أن توضع سورة الأعراف عقب سورة الأنعام وقبل الأنفال ٠

ان سورة الأنعام جاءت ببيان الخلق فقال تعالى فيها : « **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ** » (١) وفى بيان القرون « **كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ** » (٦) وقد أشير فيها الى ذكر المرسلين وتعداد الكثير منهم ، وقد بسط فيها خلق آدم عليه السلام بسطا مستفيضا لم يحدث فى سورة أخرى وقال تعالى أيضا فى الأنعام « **كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** »(١٢) وهو سرد موجز ثم أتبع ذلك بسطا فى الأعراف بقوله تعالى : « **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** » (١٥٦)

ثم نرى بين الأنفال والأعراف ترابطا يمتد فى دقة واتقان ، وتتصل العلاقة فيه أيضا بين سورة براءة والأنفال ؛ ففى الأنفال قد تولى قسمة الغنائم ، وجعلها فى قوله تعالى « **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ**

---

(١) قبل الاحزاب : السجدة ٠٠ مجلة الازهر

(٢) أى الاحزاب ٠٠ مجلة الازهر



وَابْنِ السَّبِيلِ » (الآية ٤١) .

وفي براءة تولى قسمة الصدقات وجعلها لثمانية أصناف من الناس في قوله تعالى :

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (الآية ٦٠) .

وقد حشد الامام السيوطي آراء كثيرة أضافها — من اجتهاداته الشخصي — في هذا الصدد لايتسع المقام لسردها جميعا انما نقتصر على شذرات منها ، ونسأل الله سبحانه وتعالى عموم النفع بها .

يقول السيوطي في مناسبة سورة مريم لما قبلها وهي سورة الكهف : —

« أقول ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها : أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب : قصة أصحاب الكهف ، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب ، وقصة موسى مع الخضر وما فيها من الخوارق وقصة ذي القرنين . وهذه السورة فيها أعجوبتان .

الأولى قصة ولادة يحيى بن زكريا على نبينا وعليهما أفضل الصلاة السلام —

والثانية : قصة ولادة عيسى ، فناسب تتاليهما » اهـ .

ثم يبين لنا السيوطي رحمه الله وجه اتصال سورة طه بما بعدها وهي سورة الأنبياء فيقول : —

إنه سبحانه وتعالى لما قال : « **قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا** » الآية (١٣٥) ، وقال قبله « **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى** » الآية (١٢٩) قال في مطلع هذه : « **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ** » الآية (١) اشارة الى قرب الأجل ، ودنو الأمل المنتظر ١٠. هـ

ووجه اتصال سورة الأحزاب بما قبلها (١) : تشابه مطلع هذه ومقطع تلك ، فان تلك ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن الكافرين ، وانتظار عذابهم ، وذلك في قوله تعالى : « **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ** » الآية (٣٠) .

يقول السيوطي رحمه الله (ومطلع هذه (٢) الأمر بتقوى الله ، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين ، فصارت كالتتمة ، لما ختمت به تلك حتى كأنهما سورة واحدة) اهـ .

ولعل السيوطي رحمه الله ، وطيب ثراه ، وسقاه من سحائب الرحمة والرضوان كان أول من لفت الأنظار الى هذه الناحية الحيوية من مناحي اعجاز الترتيب والتنسيق القرآني ، ليثبت للدنيا جميعا أن هذا القرآن ليس من قول بشر بل ليس في مقدور مخلوق أن يرقى الى نبع بيانه السخي ، وفراته السائغ .

سبحانك ربي وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك .

تحت لواء القرآن العظيم

إنه لقول فصل وما هو بالهزل

أو لم يكن آية للناس ونعمة كبرى ما بقيت السموات والأرض ، أن يتفضل الله تعالى بانزال هذا الكتاب المعجز الجامع لمصالح الدنيا والدين ، والفنى بتشريعه القوى المحكم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . حقا انه لاعظم آية ومعجزة لاعظم نبى ، ولخير امة اخرجت للناس (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

القرآن رسائل الهية ، يتحدث فيها الخالق الى خلقه ليخرجهم من الظلمات الى النور ، ويبلغهم فيها عهوده ، ومواثيقه ، وأوامره ونواهيه . ولو أنزله غير معجز فى أسلوبه وعلومه وتشريعه وحديثه عن الغيبيات وغير ذلك ، لما ازداد اهتمام الباحثين به . ولهذا كان الخير كله فى دوام تلاوته وحسن تدبره ، والاصغاء اليه ، والأخذ عنه ، والاستمداد منه ، فانه حبل الله المتين ، وسراجه المنير ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم قال الله تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) وقال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوا القرآن فانه يجىء يوم القيامة شفيعا لصاحبه » فما أعظم هذه الفوائد والمزايا الأخروية الى جانب الفوائد والمزايا الدنيوية .

وليس ما فى القرآن وتلاوته من جمال ونعيم روحى ، مقتصرا على القارىء وحده ، بل يشاركه فيه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . ورب مستمع أوعى من قارىء .



لفضيلة الشيخ

إبراهيم عطوة عوض

فقد أخرج البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه اقرأ : فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل؟ فقال اني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأ من أول سورة النساء، حتى بلغ قوله تعالى : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا » فقال حسبك ، فالتفت فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان .

ومما تلزم مراعاته في التلاوة ، أن يسأل الله عز وجل الرحمة . وأن يتعوذ من عذابه اذا مر بآية عذاب . يفعل ذلك القارئ، والمستمع جميعا .

روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ، ولا بآية رحمة الا سأل ، ولا بآية تنزيه الا سبح . وعلى القارئ، أن يجلس للقراءة متواضعا خاشعا ، مستحضرا عظمة القرآن .. ومن أنزل القرآن تبارك وتعالي : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » .

التغنى بالقرآن الكريم

وقد اختلف العلماء في جواز التغنى بالقرآن الكريم ، ونحن نبينه للناس في اختصار واستيفاء .

الحق أن ما عليه كثير من القراء اليوم من التمطيط واضاعة صفات الحروف ، كالشدة ، والجهر في الباء والدال وغير ذلك . واخراج الحروف من غير مخارجها ، والسكت على السواكن، وتوليد حروف زائدة في القرآن ، واضعاف بعد الحروف وقتلها قتلا ، وقياس قراءة القرآن على القطع الموسيقية بادخال النغمات والأصوات المخزية المنكرة الى غير ذلك من الأصوات الرقيقة المخنثة التى لايحسن مثلها بعض النساء حياء وأدبا .. كل ذلك حرام واثم عظيم ، ولو نظر من أجاز التغنى كالامام الشافعي الى هذا ــ لم يتردد في القول بتحريمه ونستطيع أن نلخص الموضوع في كلمات :

الأولى : ترقيق الصوت بالقراءة وتحسينه مع الخشوع والخشية والتعظيم ، واعطاء الحروف حقها ومستحقها مستحب ومرغوب فيه

٥

شرعا ، وهو من عمل فضلاء الصحابة ولا خلاف فيه لأحد .

الثانية : ما عليه كثير من القراء اليوم مما وصفناه حرام أشد التحريم .

الثالثة : القراءة مع اعطاء الحروف ما تستحقه فى أداء حسن ونغمات فيها تطريب مختلف فيه .

ومعاذ الله أن يجيز الامام الشافعى بعض ما عليه القراء اليوم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فانه سيجيء أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم . روى صدره مالك فى الموطأ ، والنسائى فى سننه . وروى باقيه البيهقى فى شعب الايمان ، والطبرانى فى الأوسط مع اختلاف فى الألفاظ ، كلهم عن حذيفة رضى الله عنه . فما أعظم هذا الحديث وما أدله على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام فقد تحقق ما جاء به كما تحقق أمثاله من المغيبات التى أخبر عنها . وانا لله وانا اليه راجعون .

وقد ابتلينا بقراء جاوزوا حدود التجويد وأصوله بالزيادة فيها ، والنقص عنها ، واستحداث بدع دخيلة عليها كغرائب الابل فيفرطون فى المد ويتجاوزون مقداره ، ويشبعون الحركات حتى يتولد منها أحرف لم ينزل بها القرآن الكريم ، ويدغمون فى غير موضع الادغام ، ويقصرون المد الطبيعى أو يسقطونه ، ويقفون على الحرف الأول فى ابتداء القراءة وعلى الحرف الأخير عند الوقف ، فلا تسمع لهما صوتا . ويقرأون بالترقيص والترعيد والتحزين ، ويرومون السكت على السواكن، ثم يندفعون فى عجلة وهرولة مع التطنين فى الغنات ، وترقيق المفخم لا سيما لفظ الجلالة المنصوص على تفخيمه وابدال حرف بحرف آخر أو اخفاءه بحيث تنعدم صفاته .

ومن قبيح أعمالهم تخفيف الحرف المثقل ، وتحريك السواكن ، واسكان الحروف المتحركة مع التخنث والتكسر ، واجتلاب الموسيقى ودراستها ليطبقوها فى تلاوة القرآن الكريم بأصوات خبيثة آثمة . ولهذا حرموا بركات القرآن ، وبعدوا عن الوقار ، وسيما الصالحين كما حرموا من الانتفاع والاتعاظ بما فيه . ومثلهم فى ذلك المستمعون الذين جعلوا القرآن متاعا ولهوا يتلهون به . وما هكذا كان السلف .

روى أن رجلا قرأ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرب فأنكر ذلك عليه القاسم ابن محمد . وقال يقول الله تعالى : (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

وقال النووى فى زوائد الروضة الصحيح أن الافراط على الوجه المذكور حرام يفسق به القارىء ، ويأثم به المستمع لأنه عدل به عن منهجه القويم . قال وهذا مراد الشافعى بالكراهة (انتهى) .

نقول ولهذا صرحوا بأن من حلف أن ما يقرأ هؤلاء الآثمون الملحنون ليس بقرآن ، فهو بار

في قسمه لأن الله تعالى يقول : « إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ » وقد كان السلف ينكرون على من فعل أقل من ذلك بمراحل ويأبونه كل الاباء .

روى الطبراني في معجمه الكبير بسند رجاله ثقات . أن ابن مسعود كان يقرأ ، فقرأ رجل (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) مرسله اى مقصورة . فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقال كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن . فقال أقرأنيها (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) فمدها قال الامام ابن الجزرى هذا حديث جليل .

ونص في هذا الباب : وقد اشتدت حاجتك بعد هذا البيان الى ذكر البراهين الدالة على أن تحسين الصوت بقراءة القرآن وتعمد تزيينه ، والتغني به وابرازه في صورة قوية مؤثرة ، تستولى على القلوب وتأخذ بالألباب ، مع الخشوع والتعظيم والتوقير ، واستحضار من انزله عز وجل ، ومع المحافظة على حسن الترتيل ، ورونق التلاوة ، وقواعد التجويد والقراءة من غير تفريط ولا افراط ، وأن هذا من عمل الرسول عليه الصلاة والسلام . ومن سنته وسنة أصحابه والاعلام . فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » . والصحيح في معناه أن المراد الغناء ، وهو مد الصوت ، والجهر بالقراءة ، كما يعين على ذلك كلام علماء اللغة .

وروى أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه وابن حبان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وفي البخارى ومسلم من حديث أبى موسى أنه عليه الصلاة والسلام استمع الى قراءة أبى موسى . فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود .

وروى البخارى ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلى رضى الله عنه اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم . فاذا اختلفتم فقوموا عنه . وروى عبد الله الحاكم : لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى .

ولقد سمعنا في أيامنا هذه ، القرآن من قوم قرأوا ليالى وأياما لم يسأمهم الناس لخشوعهم وحسن أدائهم مع اظهار معانيه وأغراضه في قراءتهم . (وفي كتاب أسد الغابة لابن الاثير وغيره عن أبى سعيد الجزرى عن أسيد بن حضير وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن ، قال : قرأت ليلة سورة البقرة وفرس لى مربوط ويحيى ابنى مضطجع قريب منى وهو غلام ، فجالت الفرس . فقمت وليس لى هم الا ابنى ثم قرأت : فجالت الفرس . فقمت وليس لى هم الا ابنى . ثم قرأت فجالت الفرس فرفعت رأسى فاذا شىء كهيئة الظلة في مثل المصابيح مقبل من السماء فهالنى ، فسكت ، فلما أصبحت

غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اقرأ أبا يحيى . فقلت قد قرأت ، فجالت . فقمت ليس لى هم الا ابنى فقال لى : اقرأ أبا يحيى فقلت : قد قرأت فجالت الفرس فقال : اقرأ أبا يحيى فقلت : قد قرأت فرفعت رأسى فاذا كهيئة الظلة فيها المصابيح فهالتنى ، فقال : تلك الملائكة دنوا لصوتك ، ولو قرأت حتى تصبح لأصبح الناس ينظرون اليهم) .

ويستحب ترتيل القرآن أى قراءته قراءة مفسرة واضحة مبينة حرفا حرفا حتى لتكاد تعدها عدا . قال العلماء فى بيان معنى التحقيق ، وهو عند أهل هذا الفن عبارة عن اعطاء الحروف حقها من اشباع المد ، وتحقيق الهمز ، واتمام الحركات ، وتوفية الغنات ، وتفكيك الحروف وهو بيانها ، واخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة ، والوقوف على الوقوف الجائزة ، والاتيان بالاظهار والادغام على وجه وهو الذى يستحسن الأخذ به للمعلمين من غير أن يتجاوز فيه الى حد الافراط من تحريك السواكن وتوليد الحروف من اشباع الحركات ، وتكرير الراءات ، وتطنين النونات بالمبالغة فى الغنات الى غير ذلك مما تنفر عنه الطباع وتمجه القلوب والأسماع .

نقول وهذه المرتبة من القراءة كما تسمى بالتحقيق ، تسمى بالترتيل . كما نص عليه المحققون ، وهو قول الأكثرين . وثوابها أجزل وأعظم ، والأجر فيها أتم ، لأن ذلك يعين على فهم القرآن وتدبر آياته ، والتلفظ به ، والانتفاع بما فيه من المواعظ والعلوم الكثيرة القيمة . والمقصود من التلاوة هو التدبر .

قال تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)

ولحديث أم سلمة رضى الله تعالى عنها أنها نعتت قراءة النبى ﷺ . فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح . والترتيل مطلوب حتى ممن لا يستطيع التدبر والاستنباط من القرآن الكريم . وذلك لما فى الترتيل من تعظيم القرآن وتوقيره والعناية به ، وأدائه كما أنزل الينا . ولما يستدعيه من رياضة اللسان والاجتهاد . والتدريب توصلا لاتقان التلاوة .

قال تعالى : (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) . وقال علماؤنا رحمهم الله . قال تعالى : (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) . روى عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل » أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه . وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال : (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) .

قال ابن عباس : بينه . وقال مجاهد : تأن فيه . وقال الضحاك انبذه حرفا حرفا . كأن الله تعالى يقول : تثبت فى قراءتك وتمهل فيها وافصل الحرف من الحرف الذى بعده .

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل ، حتى أكده بالمصدر اهتماما به وتعظيما له ليكون ذلك

عونا على تدبر القــرآن وتفهمه . وكذلك كان ﷺ يقرأ ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها .

ومن مراتب القــراءة (التدوير) وهى تلى (الترتيل) من حيث الأجر والثــواب . وهو الاسراع بالقراءة مع اعطــاء الحروف حقها ومستحقها طلبا لآخر السورة ، أو القدر الذى يراد قطع القراءة عنده .

ومن مراتب القــراءة الحــدر وهو : ادراج القــراءة والاسراع فيها أكثر من الاسراع فى التدوير الســابق ، مع اعطــاء الحروف جميع ما تستحقه ، فتراعى أحكام التجويد من اظهار وادغام ، وقصر ومد ، ووقف ووصل وغير ذلك والا كان القارىء مخطئا خارجا عن طباع العرب العرباء . ويجب أن يتجنب القارىء بالحدر ، بطل حروف المد ، وذهاب صــوت الغنــة ، واختلاس الحركات . وهذه المرتبة أقل أجــرا ومثوبة ، وان زادت بسببها القراءة . وهذا قول أكثر الســلف والخلف ، وان قلت القــراءة فى الترتيل . لأن المقصود من القراءة فهم القرآن للعمل به .

سئل مجاهد عن رجلين قرأ أحدهما البقرة ، والآخر البقرة وآل عمران فى الصلاة ، وركوعهما وسجودهما واحد ، أيهما أفضل ؟ فقال : الذى قرأ البقرة وحدها أفضل .

ولكن نقول : سئل مالك رضى الله عنه عن الحدر فى القــرآن . فقال : من الناس من اذا حدر كان أخف عليه . واذا رتل أخطأ والناس فى ذلك على ما يخف وذلك واسع .

وقد بقى شىء يقال له الهذرمة وهى الاسراع فى القراءة أكثر من اسراع فى الحــدر حتــى يخطىء القارىء ويخالف أصول التلاوة ومايجب التزامه فيها وهى حرام واثم كبير .

والله نسأل أن يرزقنا حســن النظر فيمــا يرضيه .. انه نعم المولى ونعم النصير .

ابراهيم عطوة عوض

تصويب

وقع بعدد شوال ١٤٠٥ الأخطاء التالية ، والى القراء تصحيحها بالمقال .

« من روائع تراثنا المخطوط ص ١٧٠٥ »

« أص » ص ١٧٠٥ سطر ١٢ صوابه : « أ ص ل »

« أض » ص ١٧٠٥ سطر ٢ صوابه : « أضى »

« أف » ص ١٧٠٦ سطر ٢ صوابه : « أفخ »

« أك » ص ١٧٠٦ سطر ٩ صوابه : « أ ك ل »

« أم » ص ١٧٠٦ سطر ١٣ صوابه : « أمم »

« وسار فى أنف الذ » ص ١٧٠٧ سطر ١٢ صوابه : « وسار فى أنف النهار »



حرس رسول الله

" صلى الله عليه وسلم "

نزلت الرسالة المحمدية وجاء الوحي الكريم بكتاب الله العظيم ، وبلغه جبريل لرسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . وأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وأعلن الوحي ، وتلا على الناس وعلى قريش كتاب الله في محافلهم وأنديتهم وفي كل مكان يجتمعون فيه ، ويلتقون عنده ، وردد الرسول الأعظم آيات الوحي السماوي الكريم :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » (الأعراف ١٥٨) .

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا »

(٤٥ و ٤٦ و ٤٧ الأحزاب) .

شاهدا على أمته لنفسه بابلاغهم الرسالة ، ومبشرا لأهل طاعته ، ونذيرا لأهل معصيته ، وداعيا الى الله أي الى توحيده وطاعته وعبادته . وسراجا منيرا أي يهتدى به الى الحق .

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » (سبأ ٢٨) .

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ » (١٦٣ النساء) .

واستمعت قريش الى أنباء الرسالة ، وخبر الوحي ، فكذبت ولجت في التكذيب ، وعاندت وطغت وأسرفت في العناد والطغيان ، ومضى رسول الله ﷺ في طريقه ، من تبليغ الرسالة ، والدعوة الى الدين ، وقريش ماضية في طريقها سادرة في ضلالاتها . وفي غرورها وشركها . وفي اضطهادها لكل من دخل في دين الله .

وتفاقمت مؤامرات قريش على رسول الله ﷺ وعند كل عمل . ولدى كل قول ، وحين يتم نصر أي نصر لرسول الله ولدين الله .. ترتفع كفة المؤامرات ، وتزيد حدة وعنفا .. وحيال ذلك كله كان لابد من حرس يحرس رسول الله ﷺ .

— ٢ —

قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله فيما كانوا يظهرون من عداوته ؟

قال عمرو بن العاص لابنه :

لقد حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل — يريدون محمدا صلوات الله وسلامه عليه — وقد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم .

فبينما هم في ذلك اذ طلع رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت .

فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، قال ابن العاص : فعرفت ذلك في وجه رسول الله .. ثم مضى .

فلما مر بهم في طوافه المرة الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ، ثم مضى .

فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : (أتسمعون يامعشر قريش ، أما والذى نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح) ، أى ان تماديتم في كفركم ومؤامراتكم ، فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم تحريضا عليه ، ووصاة بايزائه ، ليسكنه بأحسن ما يجد من القول ، ويقول له : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا في الحجر ، وأنا — أى عمرو بن العاص — معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجى

منه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه .

فبيناهم كذلك طلع رسول الله ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقوله رسول الله من عيب آلهتهم ودينهم ، فيرد عليهم رسول الله : نعم أنا الذى أقول ذلك : فرأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداء رسول الله ، يكاد يخنقه فقام أبو بكر دونه ، وهو يبكي ، ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله .

فانصرفوا عن رسول الله .

قال عمرو بن العاص لابنه : فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا من رسول الله قط .

وتتابعت مواقف الدعوة وتبليغ الرسالة ، في مكة ثم في المدينة ، وكثرت الصفوف التى تعادى رسول الله ﷺ وكثرت معها مؤامراتهم على النبى — عليه الصلاة والسلام — ودخل اليهود في المدينة في زمرة الأعداء والمتآمرين على الرسالة والرسول ، وبلغ بهم الامر أن حاولوا قتل رسول الله ، لما خرج الى بنى النضير ، يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فقال بعضهم لبعض : لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن ، فمن يظهر — يصعد — هذا البيت فيرميه بصخرة فيريحنا منه ، فقال رجل منهم : أنا ، فنزل



الوحي على الرسول بالأمر والمؤامرة ، فانصرف عنهم ، فنزل قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم » (١١ سورة المائدة) .

— ٣ —

مواقف كثيرة تعرض لها الرسول ﷺ للمؤامرات مما حتم اتخاذ حرس لرسول الله ﷺ .

ولما قدم رسول الله المدينة كان سيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول ، لا يختلف عليه في شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين غيره حتى جاء الاسلام ، ومعه في الأوس رجل هو في قومه شريف مطاع ، هو أبو عامر عبد عمرو ابن صيفي ، وكان قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، فكان يقال له الراهب ، فشقيا بشرفهما وحسدهما لرسول الله ويتآمرهما عليه .

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ، ثم يملكوه عليهم ، فلما انصرف قومه عنه الى الإسلام زاد حقده ورأى أن رسول الله ﷺ قد سلبه ملكا ، فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام ، دخل فيه كارها على نفاق وحقد وضغينة .

وأما أبو عامر فأبى الا الكفر والفراق لقومه ، فخرج من المدينة ، ومعه خمسون رجلا من أتباعه ، مفارقا للاسلام ولرسول الله ، فقال رسول الله : لا تقولوا عنه : الراهب ولكن قولوا : الفاسق ، فكان أبو عامر وهو في المدينة أتى رسول الله ﷺ فقال : ما هذا الدين الذي جئت به ؟ فقال له رسول الله : جئت بالحنيفية دين ابراهيم ، قال : فأنا عليها ، فرد عليه رسول الله : انك لست عليها قال : بلى ، انك يا محمد أدخلت في الحنيفية ما ليس منها ، قال له رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ما فعلت ، ولكن جئتكم بها بيضاء نقية .

وهاجر أبو عامر الى مكة ليعيش مع المشركين فيها ليتآمروا على رسول الله ، ولقد كان أول المحاربين لرسول الله في « أحد » .

وابن سلول كان في « أحد » داعية الخيانة ، وكان ابو عامر بن صيفي في مكة يقول لقريش : ان حربا لو قامت ورأى أهل المدينة من الأوس مكانه مع قريش ، فسوف يخرجون جميعا من صفوف محمد الى صفوف قريش ، ولن يبقى مع محمد احد منهم ، فلما نشبت معركة أحد كان أبو عامر أول من برز لهم وأخذ ينادي : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، فردوا عليه : لا مرحبا بك ، ولا أنعم الله بك عينا يا فاسق ، فلما سمع كلامهم ، قال : لقد أصاب قومي بعدي شر وأخذ يقاتلهم قتالا شديدا ، ويرميهم بالحجارة .

وكان هو وراء مؤامرة مسجد الضرار الذي دعا جماعة من المنافقين رسول الله ﷺ للصلاة فيه ، بقصد اغتياله ، فحفظه الله ونجاه من شرهم .

— ٤ —

كان لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه جملة من الموالي ، منهم : ثوبان (ـ ٥٤ هـ) ، ورويفع ابو رافع (ـ ٤٠ هـ) ، وشقران الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وأبو كبشة ،

وفضالة ، ومهران ، وكان أنس بن مالك خادم رسول الله .

وكان لرسول الله كذلك خدم منهم أنس ، وبركة أم أيمن .

وكان يحرس رسول الله فى « بدر » : سعد ابن معاذ .

وفى « أحد » : محمد بن مسلمة .

وفى « غزوة الخندق » : الزبير .

وفى « الحديبية » : المغيرة بن شعبة .

ومن حراسه صلوات الله وسلامه عليه :

عباد بن بشر وكان قيس بن سعد بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير (١/٦٥ زاد المعاد)

وكان أبو طلحة الأنصاري كذلك يقوم بمنزلة أعمال الحراسة بين يدى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وقد قام بذلك أيضا فى غزوة أحد ، فكان يرمي ورسول الله يسوى له النصال ويجمع السهام ، وكانت زوجة أبى طلحة هى أم سليم بنت ملحان ، وقد اشتركت مع زوجها فى « غزوة حنين » وفى القتال واسعاف الجرحى .

— ٥ —

وقصة اليهودية التي وضعت السم فى شاة مشوية قدمتها لرسول الله لتغتاله معروفة ، وقد أكل منها الرسول ، وأكل معه بشر بن البراء ، فمات بشر بالسم ، ولكن رسول الله لفظ ما أكل فمرض ، واستمر يعاوده المرض ، حتى ليروى أنه مات بسبب ذلك ، وحكى ابن اسحاق أن المسلمين الأولين كانوا يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبوة (٢٠٩ الشفاء للقاضي عياض) .

وقد حاول عمير بن وهب وصفوان بن أمية اغتيال رسول الله بعد « غزوة بدر » . وكان عمير شيطانا من شياطين قريش ، وممن كانوا يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقون منه شدة ، وكان ابنه فى (بدر) من أسرى المعركة، فجلس عمير فى الحجر بعد (بدر) فى يوم من الأيام ، فذكر مصاب أهل (بدر) من قريش ، فقال له صفوان : والله ما فى العيش بعدهم من خير.

فرد عليه عمير : صدقت والله : أما والله لولا دين على ليس عندى له قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت الى محمد حتى اقتله .

فاغتنم صفوان الموقف ، وقال له : أنا على دينك أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا .

عمير : اكتم على ذلك .

صفوان : أفعل ذلك .

عمير : يشحذ سيفه ويسقيه السم ، ويخرج الى المدينة .

فبينما عمر فى جماعة من المسلمين يذكرون ما أكرمهم الله به من النصر ، اذ نظر ، فرأى عميرا قد دخل المسجد النبوى متوشحا سيفه ، فقال : هذا عمير عدو الله ما جاء الا لشر وقال لرجال من الأنصار : ادخلوا فاجلسوا عند رسول الله ، واحذروا عليه من هذا الخبيث أن ينال الرسول بشر ، فانه غير مأمون ، ودخل عمير على رسول الله مدعيا أنه جاء لفداء ابنه الأسير ، وعمر آخذ بحمالة سيف عمير فى عنقه،



فقال رسول الله لعمر : أرسله ياعمر ، ثم قال لعمير : ادن ياعمير مني ، فدنا ، فقال لــه الرسول : ما جاء بك ياعمير ؟ فقال : جئت في الفداء فرد عليه الرسول : أصدقني ياعمير ، ما الذي جئت له ؟ قال ما جئت الا لذلك ، قال له صلوات الله وسلامه عليه : بل قعدت أنت وصفوان في الحجر ، وتحاورتما فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت لصفوان لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ماتريد ، قال عمير : أشهد أنك رسول الله قد كنا يارسول الله كذلك ، واني كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وانا أحب أن تأذن لي حتى أقدم مكة ، فادعوهم الى الله عز وجل ، فأذن له الرسول ، فلحق بمكة .

وكان صفوان حين خرج عمير الى المدينة يقول لأهل مكة : أبشروا بواقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، يريد اغتيال رسول الله ﷺ وكان صفوان يخرج الى ضواحي مكة ، يسأل الركبان حتى قدم راكب، فأخبره عن اسلام عمير فحلف الا يكلمه أبدا .

— ٦ —

وقال أنس : هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ، فأخذوا ، فعفا عنهم الرسول ﷺ

وعن فضالة بن عمرو قال : أردت قتل رسول الله عام الفتح ، وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوت منه ، قال : أفضالة ؟ قلت : نعم ، قال رسول الله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال فضالة : لاشيء ، فضحك الرسول واستغفرلي، ووضع يده على صدري ، فسكن قلبي .

وعن الحكم بن أبي العاص ، قال : تواعدنا على قتل النبي ، فلما رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما سمعنا مثله فوقعنا مغشيا علينا ، فما أفقنا حتى قضى رسول الله صلاته ورجع الى أهله .

وحاول أبو جهل رمي رسول الله بصخرة شديدة اغتيالا له ، فنجاه الله من شره .

وحاول رجل من بني المغيرة قتل رسول الله فطمس الله على بصره فلم ير رسول الله .

ومحاولات كثيرة أخرى ، وكل ذلك مما اقتضى حراسة رسول الله ﷺ وهذه الحراسة عامة يشترك فيها المسلمون جميعا ، وبخاصة كما رأينا في وجود حراس مخصوصين لرسول الله يقومون بحراسته .

ولما نزل قوله تعالى :"والله يعصمك من الناس" (صرف رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حراسه ، كما تذكر بعض الروايات .

وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري هذا الحارس الكبير لرسول الله ، نتركه لحديث آخر باذن الله .

د . محمد عبد المنعم خفاجي

تقنين الشريعة الإسلامية

على مقال المستشار/محمد سعيد العشماوى

اولا : فى العدد الصادر باسم الله ـ من مجلة اكتوبر الغراء بتاريخ ١٧ من رجب ١٤٠٥ ـ الموافق ٧ من ابريل ١٩٨٥ ـ مقال مستفيض فى باب « آمنت بالله » تحت عنوان : « حتى لانقع فى الخلط بين الشريعة والفقه » للسيد المستشار/محمد سعيد العشماوى .

ومن حق القراء علينا ـ ومن حقكم وحق السيد المستشار سعيد العشماوى ـ ان نناقش بعض ماجاء فيه ـ انطلاقا من المفهوم الذى تلقيناه عن الاصوليين من فقهاء المسلمين حين يقولون : رأينا هذا صواب يحتمل الخطأ . ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

وقد أسرف صاحب المقال المذكور على نفسه وعلى واضعى القانون المدنى المعمول به من ١٥ اكتوبر ١٩٤٩ وعلى واضعى الدستور المصرى سنة ١٩٧١ والتعديل الدستورى الذى ورد على المادة الثانية من الدستور فى سنة ١٩٨٠ اذ أصبح نصها : « مبادىء الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع وذلك باضافة : « ال » للتعريف والتخصيص .

رد من المستشار
السيد عبد العزيز هندى

قولا منه بأن هذا الخلط بين الشريعة والفقه الذى وقع فيه المشرع المصرى قد أدى الى أوخم العواقب وأسوأ الآثار على الفكر القانونى من جانب ـ وعلى العمل السياسى من جانب آخر ـ لا فى مصر وحدها ـ بل ربما فى العالم الاسلامى بأسره .

وخلص المقال الى أن المشرع قد قسم الأحكام الشرعية الى أحكام قطعية الثبوت وأحكام اجتهادية تتغير بتغير الزمان والمكان ـ والأحكام القطعية ـ فيما يراه الكاتب ـ هى أحكام الشريعة فيما يتعلق بالعبادات . أما الأحكام الاجتهادية فهى آراء الفقه . وأن هناك فارقا كبيرا بين المبدأ الشرعى والمبدأ الفقهى . أو القاعدة الشرعية والقاعدة الفقهية . فالمبدأ أو القاعدة الشرعية . فيما يراه كاتب المقال

◄



ـ هي ما أخذ مباشرة من القرآن أو السنة ـ أما المبدأ أو القاعدة الفقهية فهي كل مبدأ أو قاعدة وضعها الفقهاء ـ حتى ولو كانت استلهاما لروح الدين أو الشريعة •

ولست أدرى أى مشرع قال بما يقوله الكاتب ••

ثم انتهى كاتب المقال من ذلك كله الى أن دعوى تقنين الفقه (المسمى خطأ بالشريعة) قد تكون دعوى سياسية أو حزبية أو قومية ـ أو فئوية ـ ولكنها على اليقين ـ فى نظره ـ ليست دعوى دينية وأن القول بغير ذلك يؤدى الى نتائج غريبة وشاذة •

وأن النص الدستورى يعتبر تحصيلا لأمر حاصل ـ وتقريرا لوضع قائم بالفعل فى النظام القانونى ولايعتبر عند الفحص والتمحيص دعوة الى أى تغيير آخر أو أساسا لأى مطلب لتقنين جديد •

ثانيا : ونرى لزاما علينا ـ أن نرد على هذا المقال على هدى المبادىء المقررة التالية ـ وأن ندعو الله مخلصين له الدين ـ أن يجنب كاتب المقال ـ وسائر المشرعين ـ شر الخلط والشذوذ ـ الذى يصم به الكاتب كل من خالفه الرأى ـ دون تورع ـ وأن يهدينا جميعا ـ واياه • سواء السبيل ••

١ ـ ان قضاء محكمة النقض مستقر على أنه : « اذا خالف الحكم نصا من القرآن أو السنة أو خالف الاجماع ـ فانه يبطل ـ واذا عرض على من أصدره ـ أبطله ـ واذا عرض على غيره أهدره ـ ولم يعمله ـ لأنه لا يحوز قوة الأمر المقضى الا اذا اتصل به قضاء فى محل مجتهد فيه » •

(نقض مدنى ـ ٢٣ من يونيه سنة ١٩٧٥ ـ طعن رقم ٣٥٨ م ٤٠ ق ـ مجموعة الأحكام ٢٦ ـ ص ١٢٤١ ـ نقض مدنى ـ ١٣/١٢/١٩٧٢ ـ مجموعة ٢٣ ـ ص ١٣٧٧ •

٢ ـ ان معنى الشريعة الاسلامية ـ كما عرفها العلماء ـ هو : ماشرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من التكاليف والأحكام والآداب ـ على لسان خاتم أنبيائه ورسله ـ محمد صلى الله عليه وسلم •

وهى تشمل أقساما ثلاثة :

(أ) ما يتعلق بالعقائد ـ والعلم الذى يبحث فيه هو علم التوحيد أو الكلام •

(ب) ما يتعلق بالأخلاق والآداب ـ والعلم الذى يبحث فيه هو علم الأخلاق •

(حـ) ما يتعلق بأفعال المكلفين وتصرفاتهم ـ والعلم الذى يبحث فيه هو علم الفقه •

وعلم الفقه ينقسم بدوره الى عدة أقسام :

١ ـ فمنه مايقصد به التقرب الى الله تعالى وتزكية النفس وتطهيرها واصلاح المجتمعات الانسانية وهو فقه العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج ـ وهى ما تعرف بالعبادات •

(ب) ومنه مايتعلق بالبحث في شئون الأسرة (الاحوال والتصرف فيها) ــ من زواج وطلاق ورجعة ونفقات وعدة ونسب وحضانة ونحوها ــ وتعرف بالأحوال الشخصية .

(هـ) ومنه ما يتعلق بالبحث في الامــوال والتصرف فيها من بيوع واجارة ورهن وسلم ، وشركات وربا ــ ونحو ذلك ــ وهو مايســمى « بفقه المعاملات » .

(د) ومنه ماكان متعلقا بالجرائم ، ومايترتب عليها من عقوبات وجزاءات ــ وهو مايســمى بفقه الحدود والتعزيرات أو العقوبات .

(هـ) ومنه ماكان متعلقا بالقضاء والدعاوى وأدلة الاثبات ــ وهو ما يسمى بالمرافعات .

(و) ومنه ماكان متعلقا بالحروب والمعاهدات والصلح وعلاقة الأمة الاســلامية بغيرها من الأمم وهو ما يعرف بالجهاد والسير .

(نرجو التفضل بالرجوع الى ذلك تفصــيلا في مذكراتنا ومحاضراتنا للسادة أعضاء النيابة العامة ــ في المركز القومي للدراسات القضائية ــ بوزارة العدل ــ وشكرا) .

٣ ــ ولما كان ذلك ــ فان ماعهد اليه الســيد كاتب المقال من افتعال تناقض مزعوم بيــن مفهوم كل من الشريعة والفقه يكون لا أساس له من الصحة فالشريعة عامة شاملة متكاملة ــ تشمل الاقسام الثلاثة التى سلف بيانها ــ في البند السابق ومن بينها الفقه ــ فالفقه انمـا هو جزء منها ــ لاينفصل عنها ولا يتعــارض معها ــ وهو خاص بالبحث في أفعال المكلفين وتصرفاتهم ــ وينقسم بدوره الى تفريعات عدة على النحو الذى سلف بيانه .

٤ ــ والأحكام التى تعتبر من النظام العام ــ ولا يجوز مخالفتها بحال ــ هى تلك التــى لاتخالف نصا من القرآن الكريم أو السنة أو الاجماع ــ قطعى الثبوت قطعى الدلالة .

أما اذا كان متعلقا بأمر مجتهد فيه ــ فــلا حظر على مجتهد ــ فله أجران اذا أصاب ــ ولا يحرم أجره اذا أخطأ في الاجتهاد .

ومن المتفق عليه عند فقهاء القــانون ــ أن المشرع لا ينبغى أن يورد تعريفات معينة لكل مايقننه ، بل ان ذلك متروك لفقهاء القانــون في شروحهم المستفيضة ــ فاذا سكت المشرع عن ايراد تعريف للشريعة الاسلامية أو للقانون أو للدستور أو للعرف ــ فان ذلك موكول الى الشراح ــ شريطة الا يخالف شرحهم نصـا صريحا قطعى الثبوت قطعى الدلالة في هــذا المقام ــ على النحو الذى تواضع عليه العلماء.

ومن ثم فلا وجه لاعتراض كاتب المقال على عدم ايراد تعريف معين للشريعة الاســلامية في الدستور أو في القانون . فان ذلــك ليس موضعه ــ ولو أتى به لأخــذه بعض شراح القانون عليه .

٥ ــ أما ما ذهب اليه السيد كاتب المقــال من أن المشرع ولم يذكر الكاتب من هو هــذا المشرع قد قسم الاحكام الشرعية الى أحــكام قطعية الثبوت وأحكام اجتهادية ــ وأن المقصود



بأحكام الشريعة قاصر على العبادات ـ وأن الأحكام الاجتهادية هي آراء الفقه ـ فهو قول يبدو أنه مستورد من بيئة تفرق بين العلم والدين وبين الدولة والدين ـ وتجعل الدين بمعزل عن حياة الناس وتصرفاتهم .

وهي على أية حال ـ لاتمت الى هذا الوطن العزيز بأية صلة ـ وقد جاء في بيان السمات التي تميز بها مشروع قانون العقوبات الذي أعدته لجنة خاصة بمجلس الشعب تضم صفوة ممتازة من علماء القانون وعلماء الشريعة الاسلامية :

« ان هذا التشريع يحمي القيم الأخلاقية الاسلامية أساسا ـ فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الاخلاق . وهذه احدى سمات التشريع الاسلامي والشرائع الدينية بوجه عام . ويبين أثر ذلك في المشروع عن طريق حماية القيم الأخلاقية والانسانية

بنصوص أكثر فعالية من النصوص الوضعية .

كما أوردت المذكرة الايضاحية للمشروع في مقدمتها أن مصر ظلت اكثر من الف عام تطبق الشريعة الاسلامية وحدها بحكم انتمائها الاسلامي وما توجيه قيمها ومصالحها الوطنية ـ وظل الأمر كذلك حتى نهاية القرن الماضي تقريبا حين تزايد النفوذ الاجنبي الذي استهدف القضاء على استقلال البلاد وافقادها ذاتيتها وشخصيتها القومية . وان تطبيق القوانين الأجنبية قد واكب جيوش الاحتلال منذ سنة ١٨٨٢ حتى انتهى الاحتلال الى غير رجعة .

وان ابقاء قانون العقوبات الحالي المستمد أصلا من القانون الفرنسي ـ كان مصدر ايلام نفسي ومشكلات اجتماعية ـ ومن ثم بدأ التفكير الجدي في بحث الأصول الحقيقية للمجتمع المصري التي يجب أن يعكسها القانون ، وخاصة قانون العقوبات الذي يهدف الى ارضاء الشعور بالعدل والى حماية المصالح الاجتماعية .

وأن النص الدستوري الأخير سنة ١٩٨٠ بأن مبادىء الشريعة الاسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع ـ لم يكن منشئا لحقيقة اجتماعية بقدر ما كان كاشفا لها . ذلك أن مصر دولة اسلامية عريقة بحكم الواقع . والاسلام دين الدولة الرسمي وفقا لكافة دساتير مصر المتعاقبة ـ وان الواقع الاجتماعي في مصر يفرض علينا أن نتجه الى أصولنا الثابتة الممثلة في الشريعة الاسلامية .

٦ ـ أما ما انتهى اليه السيد صاحب المقال من أنه لا حاجة الى تعديل في القوانين القائمة .

فان حسبنا في هذا المقام أن نورد ما أوضحناه في المذكرة المقدمة منا الى فضيلة الامام الاكبر المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وقتئذ والمؤرخة ٦ من المحرم ١٣٩٦ هـ ـ الموافق ٧ من يناير سنة ١٩٧٦ عن خطة العمل في اللجنة العليا لتعديل القوانين بما يطابق الشريعة الاسلامية ـ بالأزهر الشريف . وقد جاء فيها :

أنه لما كانت القوانين الوضعية المطبقة حاليا تتضمن أقساما ثلاثة :

(أ) قسم منها مصدره الشريعة الاسلامية الغراء ـ ومطابق لأحكامها ـ فلا حاجة بنا

حاليا لاعادة تقنينه .

(ب) قسم آخر — لا يخالف رأيا مقطوعا به يحكم فيها — ولا حاجة بنا بالتالى لاعادة تقنينه كذلك .

(د) قسم ثالث وأخير — ينقسم بدوره الى فرعين :

اولهما : يقتضى الحكم بعدم مشروعيته مزيدا من البحث والتروى — فيجب بحثه بحثا مستفيضا قبل القطع فيه برأى .

وثانيهما : مقطوع بأنه مخالف مخالفة واضحة للقواعد الأساسية للشريعة الاسلامية — ويأتى فى مقدمتها الحدود الشرعية والربا وعقود الغرر .

واذا كان ذلك — وكان السكوت على العمل بالأحكام المخالفة للشريعة الاسلامية — مخالفة واضحة — والتى هى معروفة من الدين بالضرورة من أحكام الشريعة الغراء — ريثما تنتهى اللجان العديدة — من استعراض وبحث أحكام الفقه فى المذاهب الأربعة — ثم تقنينها وتوحيدها . يعتبر تعطيلا لحدود الله الواجبة النفاذ فورا وبدون معوقات . فقد أضحى لزاما أن تبدأ البحث فى القوانين القائمة — وذلك لحصر واستظهار ما يناقض الأحكام القطعية والقواعد الاساسية للشريعة الاسلامية — والعمل فورا على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة — موافقة للشريعة الاسلامية . أخذا من مختلف المذاهب — مع تخير أصلح الحلول لمعالجة المجتمع القائم . مما له أصل ثابت فى الفقه الاسلامى أو غير متعارض معه — وذلك ريثما تنتهى اللجان من أبحاثها المتكاملة — فيتم العمل بشريعة الله — فى كل شأن من شئون الحياة .

وقد وافق المرحوم الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وقتئذ على هذه الخطة — وأصدر القرار رقم ٣ لسنة ١٩٧٦ بتكوين لجنة عليا — لمراجعة التشريعات الوضعية وتعديلها بما يتفق مع المبادىء الاساسية للشريعة الاسلامية — مكونة من بعض علماء الأزهر الأجلاء وبعض المستشارين بوزارة العدل — وأتمت اللجنة — بحمد الله وتوفيقه — اعداد مشروع قانون الحدود الشرعية — وقدمته الى الجهات الدستورية المختصة باصداره — والتى شرعت بدورها فى دراسته مقارنا بمشروعات الحدود المقدمة من اللجنة العليا التى شكلتها وزارة العدل بمصر لهذا الغرض — وبمثيلاتها من المشروعات والقوانين الصادرة بهذا الخصوص من بعض البلاد الاسلامية الأخرى — وأعدت مشروع عقوبات اسلامى متكامل يكون من ٦٣٠ مادة — مستمدة من أحكام الشريعة الاسلامية الغراء — توطئة لاتخاذ الاجراءات الدستورية المشروعة لتقديمه واصداره بمشيئة الله فى الوقت المناسب .

٧ — ومن كل هذا يتبين أن التشريعات القائمة وان كانت صالحة فى بعض جوانبها لأن تكون بعض الركائز التى يقوم عليها قانون سليم غير مشوب بما يخالف شريعة الله — فانه يتعين من

ناحيــة أخرى المبـادرة الى تنقيتها من كــل ما يشوبها مما يتعارض مع شريعة الله ــ على النحو الذى سلف أن أوردناه .

ثالثا : وأخيرا وليس آخرا .

فانه اذا كنا لا نقبل للمرافعــة أمام محكمة النقض الا فئة ممتازة من قدامى المحاميــن المؤهلين للمرافعة أمامها ــ من الراســخين فى العلم بالقانون واجراءات التقاضى ــ حتى تبرأ ساحتها من المهاترات ــ فهلا يوافقنى الأستاذ المستشار محمد سعيد العشماوى صاحب المقال ــ على أن أذكر نفسى وأذكره ــ بأنه يتعين على من يتصدى للمناقشة فى علوم القرآن ــ أن يكون على معرفة بالمكى والمدنى والمتقدم والمتـأخر فى النزول من السور والآيات ليعرف الحكمــة من التشريع ــ وأنه اذا كان هنــاك تعــارض فى الظاهر بين نصين ولم يمكن الجمع بينهمــا ــ حكم بالمتأخر فهو ناسخ لما قبله مع مراعاة أحكام العام والخاص فى هذا المقام ــ ومراعاة أن الســورة قد تكون كلها مكية الا بعض آيات منها ــ وقد تكون مدنية الا بعض آيات منها .

وأنه لابد مــن الاطلاع على كل النصــوص الواردة فى الموضوع الواحد فى الكتاب والسنة ــ فالنصوص يفسر بعضها بعضا ــ ولابد من معرفة ــ أسباب النزول ومعرفة وجوه القراءات لاستنباط الحكم الشرعى ــ فقد يستفاد الحكم من قراءة دون أخرى ــ الى آخر تلك العلوم التى يتعين على من يتصدى للقول بالحــل والحرمة فى موضوع ما أن يستظهرها ويتمكن منهــا .

ويفتــح الله عليه بمكنون أسرارها ويشرح صدره لفهمها واقتباس أنوارها .

وليس فى هذا حجــر على حــرية النــاس فى فهم الدين ومعرفة أصوله ــ ولكنه دعــوة الى العلم بالدين لمعرفة أصوله ــ وعلينا أن نســأل أهل الذكر لنعلم ما لم نكن نعلم ــ وقد علمنا ربنا سبحانه حين أوحى الى رسوله الكريم أن يقول : « **وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** »

كما وعد سبحانه ــ المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالخير العميم حيث يقول : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (الآية ٥٥ من سورة النور) .

وصدق الله العظيم .

هذا ــ وبالله التوفيق ..

المستشار السيد عبد العزيز هندى

ضوابط الشورى
فى الفقه الإسلامى

للدكتور عبد الله مبروك النجار

تعتبر الشورى واحدة من المبادىء الاسلامية التى أمر بها الشارع سبحانه فى كتابه ، لتكون اداة لتقويم الفكر ، وتدعيم الرأى ، ووسيلة لوحدة الصف من خلال احترام الطاقة العقلية التى أودعها الله فى الانسان .

ومن ثم كان دائم الحركة من اجل اظهـارها لتتفاعل مع رأى الآخرين وأفكارهم ، فترتاح نفسه ، ويهدأ قلبه ، وتتاح الفرصة كاملة أمام المجتمع ليختار من بين تلك الآراء المجتمعـة أقواها فكرا ، وأصوبها فهما ، ومن المؤكد أن تلك المصالح الجليلة لا يمكن الوصول اليها الا باحترام ضوابط الشورى ، والالتزام بحدودها على النحو الذى قـررته الشريعة الاسلامية الغراء .

ولهــذا أمر الله نبيـه ـ ﷺ ـ بهـا فى قوله الكريم : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » (١) .

كما وصف الحق سبحانه أمة الاسلام بأنها هى التى تمارس الشورى ، وهى تحترم أحكام الله عز وجل فتطهر القلب من النفـاق ، وتنزه الجوارح من الاثم والفواحش ، وتراقب الله فى أحكامه ، فتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، فجاء أمره عز وجل بها بين تلك الأحكام ذات الخطر فى قوله عز وجل : « وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا

◄

---

(١) سورة آل عمران ـ آية : ١٥٩ .

هُمْ يَغْفِرُونَ. وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (١) .

ويظهر من هذا النص الكريم أن الشورى من الامور التى خاطب الله بها أمة الاسلام ، وان اقترانها فيه بالصلاة والزكاة يشعر بأهمية الحرص عليها ، وجعلها عنصرا من العناصر التى تتميز بها الشخصية الايمانية الحقة اذ هى السبيل لتبيين الحق ومعرفة الاراء الناضجة ، كما حرص عليها النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حياته (٢) ، وامر المسلمين بها فيما رواه على بن ابى طالب قال : سئل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن العزم فقال : « شاور اهل الرأى » (٣) .

كما حرص عليها أصحابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، بما يجعل أمر مشروعيتها قائما على الكتاب والسنة وعمل الصحابة والمعقول .

نظام اسلامي متميز :

والشورى فى الفقه الاسلامى تعتبر نظاما متميزا ، أودع الله فيه كل ما يحقق ملكة الفكر واعمال العقل ، دون اغفال للاحكام التى قررتها الشريعة الاسلامية الغراء ، فكفلت أحكامها للناس تحقيق ما ينشدونه من خير فى أمور حياتهم ، مع المحافظة على أحكام الله ، ومن خلال هذين الأمرين معا تتحدد معالم الشورى فى الاسلام ، ذلك أن تجاهل أى منهما يخرج بالشورى عن اطرها الاسلامى ، ويجعل منها فكرة مجردة قد لاتتفق مع أحكام الاسلام ويخطىء من ينظر الى الشورى فى الاسلام من خلال تصوره للنظم الوضعية التى قد تتفق معها فى بعض الصفات أو تشتبه بها فى الهدف ، ترديد الشعار يظنه فى صالح الاسلام ، وما هو كذلك ، فمصلحة المسلمين تتمثل اساسا فى احترام أحكام الله ، ولن يعدل هذه المصلحة أن يقال عليهم ممن فتنتهم المصطلحات الوضعية انهم « ديمقراطيون » ، والا فما قيمة هذه الديمقراطية او الشورى اذا جاءت على غير ما امر به الله ؟ وهل نتبع فى تلك الحالة ما امر به الله او ما اسفرت عنه الشورى ليقال عنا ذلك ؟

خلط جانبه الصواب :

نعم الاسلام يقرر الشورى ولكنه يوائم بين ذاتيتها الاسلاميه ، وبين أحكام الشريعة ، لتكون كما أراد الشارع سبحانه أداة بناء فى حياة المسلمين لا شعارا يتخذ دون تدبر لما قد يسفر عنه من نتائج قاسية ، جعلت بعض الذين التبس عليهم فهمه يقررون امرا غريبا لا يقره الاسلام ولا يتفق مع ما شرعه الله من احكام حين يندفع احدهم ليقول ان العمل بالشورى

---

(١) سورة الشورى : الايات من ٣٦ الى ٣٨ .

(٢) راجع ما رواه البخارى فى امر « هوازن » حيث طلب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مشورة اصحابه ــ صحيح البخارى ــ جـ ٥ ص ١٥٤ . والسيرة النبوية لابن هشام ــ جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٣) راجع : مجمع الزوائد ــ كتاب العلم ــ جـ ١ ص ١٧٨ .

ملزم حتى ولو تعارض مع نصوص الشريعة ، لان فيه مصلحة ، استقر معناها في وعي الدول الاجنبية كبريطانيا ، والمصلحة في نظر صاحب هذا الادعاء الباطل تقدم على النص (١) ، وهذه هي عبارته كما جاءت في كتابه انقلها للقارىء بنصها ليقف معي على جسامة ما وقع فيه من خطأ ، يقول . « اقول مهما يكن من رأى العلماء في هذه المسألة ومن اختلافهم في تقديم العمل بالنص كما يرى الجمهور ، أو العمل بما تقتضيه المصلحة كما يرى الطوفي ، فانني أرى أن المسلمين كدولة لا يعيشون في عزلة عن العالم ، بل لابد أن تنشأ بينهم وبين العالم الخارجي معاملات يتبادلون فيها ما يعود على كل بالخير ، ومن الطبيعي أن تنظم الدولة الاسلامية علاقاتها بالعالم الخارجي على أساس الاسلام ، ولكن في بعض الأوقات تجد الأمة الاسلامية نفسها في حاجة حيوية الى نوع من التعامل ، وتشترط الدولة الأجنبية شروطا لاتتمشى مع نظامنا الاسلامي كأن تشترط مثلا أن يكون تعاملنا المالي معها على اساس النظام الربوي ، والمسلمون كأفراد ايضا قد يتعرض احدهم لظرف قاهر يضطره ان يختر بين التجاوز عن حكم اسلامي او تتعرض حياته او مصالحه لاضرار لا قبل له بها » (٢) .

ويتضح من هذه الفقرة ان الرجل يجيز التحلل من احكام الاسلام اذا تعارضت مع مصالح الانسان ورغباته ، او كان فيها مايعرض حياته للخطر ، ولست ادري ما هو الخطر الذي يمكن ان يحصل لانسان على حياته من احكام الله ، وهي التي تقرر حماية الحياة وحفظها بنصوص قاطعة ، وعقوبات رادعة ؟ ثم ما هي تلك المصلحة التي تجبر خسارة تنجم عن مخالفة حكم من أحكام الله ؟ . ان متاع الدنيا بأسرها لا يعدل ذلك مهما بدا من وجوه المصلحة فيه ، وكيف يكون ذلك ، والله يقول : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (٣) . ثم يتمادى الرجل في تقديم الحكمة على ما يزعمه من تقولات في شريعة الله فيقول : « ولما كان الاسلام دينا واقعيا لايقف موقفا سلبيا أمام وضع من الأوضاع فقد افترض وجود مثل تلك الحالات واعترف بها وأعطاها حقها في الاعتبار » (٤) .

ثم يقول : « ومعنى ذلك أن الأمة اذا رأت مصلحتها في أمر يتعارض مع نص شرعي وكانت هذه المصلحة ضرورية لها لا يمكنها بحال الاستغناء عنها أو تأجيلها أو قضاءها عن غير هذا الطريق المحرم ، ففي هذه الحالة يجوز أن يخالف النص وتقدم المصلحة نزولا على حكم الضرورة (٥) » ، ولايخفى على القارىء مدى

---

(١) راجع في هذا المعنى : عبد الغنى بركة ـ الشورى في الاسلام ـ ص ٥١ .

(٢) عبد الغنى بركة : الشورى في الاسلام ـ دراسة في النظم الاسلامية ـ ص ٥٢ . ـ طبعة مجمع البحوث الاسلامية ـ السنة العاشرة ـ الكتاب الخامس ـ مايو ١٩٧٨ .

(٣) سورة الاحزاب ـ آية : ٣٦ .

(٤) عبد الغنى بركة : الشورى في الاسلام ـ ص ٥٣ .

(٥) المؤلف المذكور ـ ص ٥٣ .

ما تنمح عنه تلك العبارة من جهد خارق لصاحبه في تجاهل احكام الله والتضحية بها في سبيل الثروة والهوى . وفي تصوري أن ذلك الخلط الواضح والفهم السيء لم يأت الا من جراء عدم التروي في ادراك ذلك الطابع المميز للشورى في الفقه الاسلامي ، مما جعل صاحبه يقع فريسة الافتتان بما يقترب منها في النظم المدنية ، وكانت النتيجة ما رأيناه من خطأ في الفهم وخلط في التعبير .

عناصر تحديد ضوابط الشورى :

ومن خلال تلك الذاتية المستقلة لنظام الشورى في الاسلام تتحدد عناصر الموضوع في بيان اهدافها ، ومجالها ، ومدى الزامها والعمل بها ، وسوف نقوم بتوضيح تلك المسائل على النحو الذي تستهدفه تلك الدراسة .

أولا : اهداف الشورى في الاسلام :

— وعلى ضوء ما ورد بشأن الشورى في الكتاب والسنة ، يمكن القول ان هدف الشورى على نحو ما قرره الفقهاء والمفسرون ، يمكن ارجاعه الى نقطتين هامتين لهما ابلغ الاثر في حياة الناس على المستويين الفردي، والجماعي هما :

احترام الطاقة الفكرية الخلاقة في الانسان، بالقدر الذي يضمن الوصول الى أقوى الآراء حجا ، وأكثرها وعيا وفهما ، وأقربها للحق والصواب .

وكذلك المحافظة على وحدة الصف في الامة وجمع شملها حتى تستطيع أن تشق طريقها في الحياة وتحقق رسالتها على أكمل وجه ، فالوصول الى أحسن الآراء ، والمحافظة على وحدة الأمة هما الهدفان اللذان تقررت لهما الشورى وينبغي الاشارة اليهما بشيء من التفصيل .

١ — اختيار اقرب الآراء للحق :

من المؤكد أن الشورى قد تقررت في الاسلام لتكون اداة للوصول الى احسن الآراء فهما ، وأقربها للحق والصواب ، ولاشك في نظرنا أن الحكم على الرأى أيا كان صاحبه بالصواب أو القرب من الحق مقتصر على غير ما حكم به الشارع سبحانه ، أو ورد فيه نص في الكتاب أو السنة ، فاذا كان الله قد حكم ، فلا مجال للرأى ، ولا محل للمشورة ، ومن ثم فأن أى رأى يخالف حكما من أحكام الله لا يعتد به مهما بدا من وجوه النفع والعبقرية للناس فيه ، اذ المصلحة الحقيقية تتمثل في احترام ما جاء عن الله ، لأن ذلك هو الذي يكشف عن حسن القيام بواجب العبودية لخالق عظيم قادر ، خلق الانسان لمهمة حددها له تتمثل في عبادة الله بالتزام ما جاء عنه ، وليس من واجبات العبودية لله ، بل ولا آدابها أن ينصب الانسان من نفسه حكما على الله فيقرر بعقله حكما على خلاف ما أمر به الله ، فذلك هو الضلال بعينه .

وقد حذر الحق سبحانه عباده من مغبة الوقوع

فى شرك تلك الرذيله ، ويبين لهم ما تنطوى عليه من سفه وضلال رغم ما قد يظهر على اصحابها من نزعات التيه والاعجاب .

قال تعالى : « أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » (١) ، والوصول الى أحسن الآراء وأقربها للحق والصواب لايتحقق الا من خلال العمل بالشورى ، لأنها هى التى تكفل لكل رأى أن يظهر ، وهى بهذا المعنى تتوائم مع سنة كونية فطر الله الناس عليها ، حيث خلقهم على درجات متفاوتة فى القدرة والملكات والادراك ، ومن ثم كان كل واحد منهم فى حاجة الى أخيه ، ليستعين بما تفوق فيه من خبرة ، وبما برز فيه من علم ، وكانت الشورى هى الأداة لتحقيق تلك الاستفادة على أحسن الوجوه ، وهذا المعنى يظهر من قول الله تعالى : « وشاورهم فى الامر » (٢) ، مما صح عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال لعلى بن أبى طالب : « شاور أهل الرأى » (٣) ، ومن ثم يكون الوصول الى أحسن الآراء فى الأمور التى يكون للرأى فيها مجال ، هدفا من أهداف الشورى .

٢ — تحقيق وحدة الصف :

ومن الاهداف التى تضمن الشورى تحقيقها، المحافظة على وحدة الصف فى الامة ، وجمع شمل ابنائها وتوجيه طاقتهم نحو العمل المثمر البناء ، وذلك من خلال ما يخلقه التعبير عن الرأى من احساس صاحبه بالعزة والكرامة ، وتستقيم انسانية تنطلق فى ظلها الملكات الى أقصى غاياتها ، تفانيا فى سبيل الله والحرص على المصلحة العامة ، كما يتسنى من خلالها القضاء على عامل الفتنة والتمزق التى غالبا ما تظهر (٤) فى جو الكبت المسموم والتسلط القاتل قال تعالى : « وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » ، وفى هذا المعنى يقول الزمخشرى فى تفسيره : « خاطب الله المصطفى الأمين بقوله الكريم : « وشاورهم فى الامر » ، أى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى لتستظهر برأيهم ، ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم » (٥) ، هذا بالنسبة لأهداف الشورى فى الفقه الاسلامى ، أما مجالها ومدى الزام العمل بها ، فسوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم باذن الله والله المستعان .

دكتور عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة فاطر — آية : ٨

(٢) سبق تخريج الآية ، وراجع فى ادراك هذا المعنى منها : تفسير الرازى — جـ ٣ ص ١٢٠ ، وتفسير القرطبى — جـ ٤ — ص ٢٤٨ .

(٣) سبق تخريج الحديث .

(٤) سبق تخريج الآية .

(٥) راجع : تفسير الكشاف — جـ ١ ص ٢٢٦ ، وتفسير الرازى جـ ٣ — ص ١٢٠ ، وتفسير القرطبى — جـ ٤ ص ٢٤٨ .



الفتاوى

طلاق بالإكـــراه

س : من السيدة / س. ح. ندا :

أقمت مع زوجى ما يقرب من ثلاث وثلاثين سنة حتى بلغ سن الشيخوخة ومرض مرض الموت ، وكانت سنه ثمانين سنة ، وأصر أولاده على طلاقى حتى لاأرث من زوجى دون رضاى وجاء اشهار طلاقى بتاريخ ١٩٨١/٥/٧ ثم توفى بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٩ بعد سبعة أشهر من طلاقى تقريبا .. فما حكم ميراثى منه مع العلم بأن سنى عند الوفاة ثلاث وخمسون سنة (تاريخ ميلادى ١٩٢٨/٣/١٦).

ج : الذى يطلق زوجته بعد الدخول بها فى مرض موته دون طلب ولا ابراء منها قصد حرمانها من الميراث فانه يعامل بنقيض قصده ما دام أثر الزوجية قائما ، وذلك اذا كانت العدة باقية ، بهذا قال الأحناف وبهذا أخذ القانون .

وما دامت الزوجة لم تبلغ سن اليأس وهو خمس وخمسون سنة فان عدتها تكون بالاقراء لا بالاشهر ، وتصدق الزوجة فى عدم مجىء الحيض سنة كما نص القانون .

وبذلك فاذا ادعت هذه المطلقة أن عدتها لم تنته خلال عام من طلاقها فانها ترث من زوجها الذى طلقها . باعتباره فارا من الميراث ... هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .

بناء المقابر فوق الأرض

س : من السيد / ع ــ ع ــ عيسى .

فى بلدتنا مقبرة للأموات تحيط بها الأراضى من كل ناحية .. وبذلك ترى المياه فى المقابر . فهل لنا أن نبنى المقابر فوق الارض وندفن فيها ؟

ج : الدفن انما يكون فى الأرض ، فاذا كان



إعداد : عبد الحميد السيد شاهين

•••

ويجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

هناك ضرورة تمنع من الدفن فى الارض كما ذكر فى السؤال حيث توجد المياه فى المقابر .

فانه يجوز أن تبنى المقابر فوق الأرض ويوضع تراب أو غيره حتى تبعد عن رشح المياه ، وعلى أهل القرية أو البلدة أن يحفروا مصرفا حول المقابر حفاظا على الأموات .

ميراث

س : من السيدة / ع . عبد القادر .

توفى رجل عن : زوجة ، أختين شقيقتين .. أولاد أخ شقيق ذكور واناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللاختين الشقيقتين الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما أو يحجبهما . يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى ، ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوات الأرحام المؤخرات فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

س : من السيد / ع عبد الفتاح

توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، أولاد ابن ذكور واناث .. فمن يرث وما نصيبه ؟

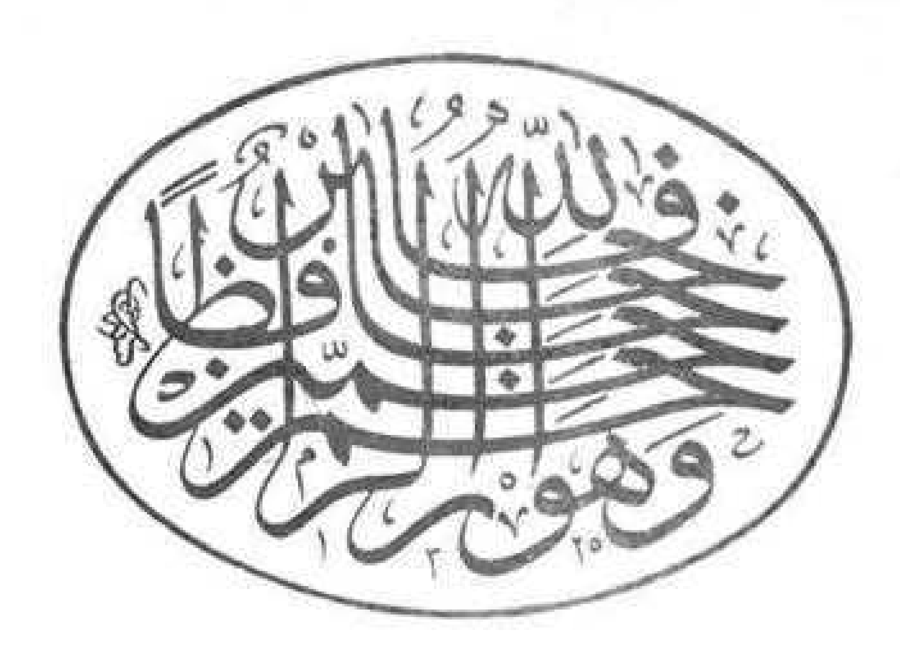
ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها ، والباقى لأولاد الابن تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الانثى .

الطلاق والخمر

س : من السيد / س عبد الله .

١ ــ رجل اشترط على نفسه اذا تعاطى





الفتاوى

مشروبات روحية تكون زوجته طالقا طلاقا لا رجعة فيه ثم شرب .

٢ ــ وذهبت زوجته الى بيت أبيها فطلبها بالتليفون وقال لها : اذا لم تحضرى فى ظرف أربعة وعشرين ساعة الى بيت الزوجية تكونين طالقا .. طالقا .. طالقا .. ولم تحضر .

٣ ــ وأخيرا اشترط على نفسه بالا يضرب زوجته .. وفى حالة عصيانها سيرسلها الى بيت أهلها للتفاهم .. فما الحكم ؟

ج : **عن الاول** : أن قصد به منع نفسه عن الشرب لا يقع به طلاق ، وان قصد به طلاقها حين حصول المحلوف عليه وهو الشرب كان طلاقا .

وعن الثانى : ان كلمها بالتليفون وطلب منها الحضور الى منزله فى خلال أربع وعشرين ساعة والا تكون : طالقا : طالقا : طالقا .. هذا يمين معلق : فان قصد به التخويف والتهديد لأجل أن تحضر فى الوقت المحدد لا يقع به طلاق .

أما ان قصد به الانفصال عنها وطلاقها ان لم تحضر ... ولم تحضر : فانه يقع به طلقة واحدة رجعية يجوز له أن يراجعها مادامت فى عدتها ، فان انقضت عدتها لاتحل له الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، مالم يكن اليمين مسبوقا بطلقتين فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويطلقها أو يموت عنها وتنتهى عدتها منه .

وعن الثالث : لا يقع به طلاق لانه ليس صريحا ولا كناية عن طلاق ... والله أعلم ..

« عبد الحميد السيد شاهين »

الشعر والشعراء

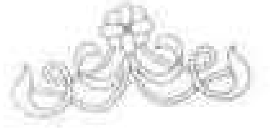
يشرف عليه
د. حسن جاد

من آل النبي
صلى الله عليه وسلم

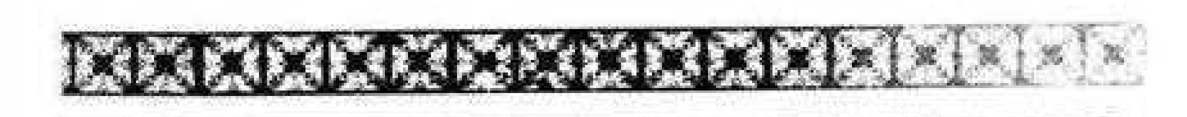


المتسلقون

أزف الرحيل



الإمارة في دولة الشعر



من أيام النبيّ

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ عبد العليم القبانى

اسرى بى الوجد ؟ ام اغرانى الأمل ؟ ... ام هزنى الشوق ؟ ام طافت بى المثل ؟

سمعى غناء ، وعينى فرحة ورؤى ... طوبة ، وفؤادى هائم ثمل

ماذا ارى ؟ والمساء السمح يجمعنا ... فى موكب ، حوله الأنوار تكتمل ؟

ان الذى هزت الدنيا نضارته ... عيد على شرفات الخلد ينتقل

الله اكبر ، هذا اليوم مبتسم ... جلاله بهدى المختار متصل

عجبت للبحر رقراقا ، اسرته ... سمحاء ، موجاته لله تبتهل

والنجوم تبارت فى معارجها ... يزهو بها الحب او يغفو بها الخجل

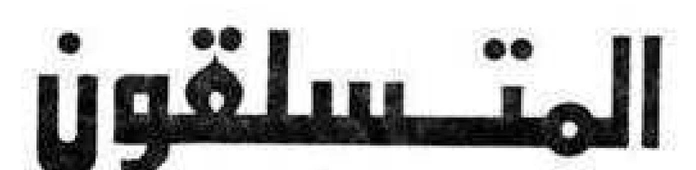
وللخمائل القت من غلائلها ... واقبلت بشعاع الفجر تغتسل

يا ايها الكون ، ته ماشئت وافخر بما ... طويت من صفحات خطها الأزل

ان اليتيم الذى ماذاق عطف اب ... بعطفه الآن اضحى يضرب المثل

ومن تولت على يأس مراضعه ... امس ، وفى راحتيه يورق الأمل

محمد ، خير خلق الله منزلة ... ومن به عقد وحى الله يكتمل



للأستاذ الدكتور حسن جاد

لا تهنيء من فاز بالعلياء ... في زمان الأوغاد والجهلاء

أهزلتها فوضى التسلق حتى ... سامها كل مفلس عداء

وتساوى من ليس كفئا بكفء ... في زحام التجار والوسطاء

يا صديقي هذا زمان المداجي ... ليس هذا الزمان للأكفاء

لقد اختلت المقاييس حتى ... غام وجه الحقيقة الغراء

وجرى الحظ في المناصب كالناس ... جزافا بالسعد أو بالشقاء

فتهنا حينا بعذب الأغاني ... وتعزى حينا بندب الرثاء

وإذا ما العلياء زفت لوغد ... فالى القبر زفها والفناء

ربما حازها ملح وصولي ... أثيم الهوى خبيث الدهاء

أشعبي الأطماع ينهب ما شاء ... بلا عفة ولا استحياء

ويكيل المنافقون له المدح ... على نبل فضله والذكاء

وتزف (الشيكات) زلفى إليه ... وهي مدموغة بلعن السماء

وإذا من بالأمس كان جهولا ... صار في الحال أعظم العلماء

وإذا المستغل سحتا غدا في ... لمحة الطرف أنبل النبلاء

كيمياء النفاق أعجزت السحر ... وأعيت تجارب الكيمياء

فإذا لامست من الخلق قردا ... حولته لغادة حسناء

ليس من يعتلي المناصب عفا ... مثل من يستغلها للثراء

أزف الرحيل

اعنى أيها الجسم العليل ... اعنى أيها الفكر الكليل

وكن طوع الأنامل مستجيبا ... لفكرى أيها القلم الكسول

لاخرج ما بقلبى من كنوز ... وانغام فقد أزف الرحيل

وذا ضوء السراج الى خفوت ... فما فى زيته الا القليل

وشمس العمر ترعش فى خطاها ... وقد أوهى اشعتها الأصيل

ساقفل راجعا من حيث جئنا ... وما موت الفتى الا قفول

* * *

صحبت العيش لونا بعد لون ... واحوالا تبدل أو تحول

فماذا غير أطياف تراءى ... واشباح مقطبة تهول

واوهام بها يفتر ثغر ... واوهام بها يعلو عويل

وشعوذة بها يردى صحيح ... وشعوذة بها ايشفى عليل

وغاب فيه أطيار تغنى ... وغيلان مزمجرة تغول

وساعات تمر مجنحات ... وأيام لها زحف ثقيل

وآمال ترعرع ثم تزوى ... فتتشرها دبور أو قبول

للاستاذ محمد عبد الرحمن صبان الدين

وقطعان عشاوى هائمات | بليل الجهل يحدوها ضليل
تغيرت المعالم يا الهى | وضلت في المتاهات العقول
فاصوات الهراء لها دوى | وصوت العقل مختنق هزيل
اذا نعب الغراب فقد تلاشى | من الايكات في الروض الهديل
قفا للحياة اذا اكفهرت | وعمى في مجاهلها السبيل

* * *

سارحل يابنى الدنيا وانى | لتلك الرحلة الكبرى عجول
فما في غابة الدنيا حقير | به قلبي تعلق او جليل
هناك على الحقيقة سوف أحيا | حياة لم يدنسها جهول
واسبح في ضياء سرمدى | فلا قيد يحد ولا سدول
وقد سطع الوجود أمام عينى | بشمس ليس يعروها أفول
على شطآن نهر الخلد أخطو | فيسكر خاطرى ظل ظليل
وداعا ايها الناسوت انى | سارحل والفؤاد به غليل
فلم أحمد مقامى فيك يوما | وهل حمدت لدى حر كبول



جولة داخل النفس

كان الربيع يفيض بالاشراق ... وبيث نور الكون فى الأحداق

ووقفت فوق الدرب ثابتة الخطى ... وأنا على صمتى وفى اطراقى

ووقفت والذكرى تموج بخاطرى ... والذكريات هى الوجود الباقى

عشر من السنوات مرت هاهنا ... فى مسكن ولى بغير تلاق

قد هدمته يد البناء بقسوة ... وطوت معالمه بلا اشفاق

وبدت على نفس المكان .. عمارة ... تعلو المدى .. وتشب كالعملاق

ووقفت والأمس القريب يهزنى ... ويشد فى عنف القوى وثاقى

اهفو اليه بحلوه وبمره ... ما دام منترعا من الاعماق

هى جولة فى مسكنى تمنا بها ... انا والخيال .. ولوعة الأشواق

* * *

ومشت بى الذكرى أجول «بفيلتى» ... وانا كطفل طائع منساق

وفتحت بابا للحديقة واسعا ... وعبرت تحت سقيفة ورواق

وعلوت سلمها العتيق خفيفة ... وانا وظلى فى مجال سباق



للشاعرة جليلة رضا

فاذا الكلاب تحس دبة خطوتي
وتئط في لهث وتلعق ساقي

ودخلت تحميني الديار بصمتها
والصمت للعزلاء درع واقي

ودلفت نحو البهو أنشد مقعدا
يا كم عليه تردت في استغراق

فاذا النوافذ تسترد نفوذها
وتفر من مزلاجها الخفاق

واذا الستار يرف حولي راقصا
واذا الأثاث يضمني بعناق

هي جولة في مسكني قمنا بها
أنا والخيال .. ولوعة الأشواق

* * *

ومشت بي الذكرى أجول بمخدعي
في حيرة المتهيب المشتاق

فهنا استقر الكون فوق وسادة
محمومة .. حملته في ارهاق

وهنا غدوت بمخدعي روحا سرت
من سجنها الأرضي للآفاق

وهنا التناقض كله في كائن
لتي الأسي من قلبه الخفاق

وهنا فرحت.. هنا ضحكت.. وهاهنا
مسحت دموعي أسطر الأوراق

وهنا مللت ، هنا زهدت وهاهنا
أج النوى والشوق في أعراقي

وهنا نسجت من التوحد حلة
رصعتها بالدين والأخلاق

هي جولة في مسكني قمنا بهـا
أنا والخيال .. ولوعة الأشواق

* * *



رباعيات

للدكتور عزت شندى موسى

ذاك البـدر نوره خـلاب ... جل من صور السنا الوهاب
فاهجر النوم وارقب البدر نصـا ... قبل ان يحجب الضياء سحاب
واجل عينيك بالبهاء مليـا ... وتأملـه فالحياة سراب
انما النور ساعة ثم تمضى ... وستتلوه فى الظلام حقاب

* * *

انـا ان جد بى هوى وذنوب ... فرجائى فى اللـه ليس يخيب
يا قريب الدعاء عفوك سؤلى ... انت للسؤل سامع ومجيب
يا فسيح الجناب بابك قصدى ... وعن البـاب لا يرد منيب
يا كريم الجنـاب انت ملاذى ... انت من صـاحب الدعاء قريب

* * *

ان تكن قربتى اليك بيـانى ... فلكم جئت طـالب الغفـران
فاكشـف الغمة الكثيفـة عنى ... وترفق بعثـرتى وهـوانى
وكفانى وخـز الضميـر ودمع ... هو ثوب الشعور والوجدان
يا قـديم الاحسان وجهك بـاق ... وجميـع الوجود دونك فـان

* * *

يا بديع النجـوم والآفـاق ... قد رفعت السمـاء سبع طبـاق
انـا فى حبه مصطفاك وحسبى ... اننى بين زمرة العشـاق
ولئن تطلب الشفاعة ان لـم ... تك للمستجير بالخـلاق
فتقبـل تضرعى ودعـائى ... يا عظيم الحنـان والاشـفاق

من شعراء الأزهر
محمد عبد الرحمن صان الدين

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

تتمة

اذا كان ثمة برج عاجى يتحرى فيه الأديب صفاء الفكر ونقاء الخلق ، وكان هذا البرج هو الصخرة التى ينبغى أن يعيش فوقهـا الكاتب مرتفعـا عن بحـر الدنايا الذى يغمر عصره ، ويعطى من شخصه مثلا لكل نبيل رفيع جميل ، فان هذا القول ، فى رأينا ، أكثر ما يكون انطباقا على شاعرنا (صـان الدين) الذى عرفنا فيه انطوائـا عن الناس ٠٠ لا تعاليا عليهم ، ولكـن ٠٠ بحكم نشـأته وتكوينـه النفسى ، ومزاجه الشـخصى ٠ وان كان ذلك لم يمنع أن الناس ظلوا قابعين فى صميم وجدانه ، حتى النخاع ! فـلا يكف عن التفكير فيهم ، حين يخـلو الى نفسه وتأملاته ، فى معمله الســحرى ، وعالمه الجمالى ، مستعرضا همـوم عصره ، ومستغرقا فى دراسة مشكلات الحياة من حوله ، ومحاولته ـ فى ابداعه الشعرى السمو بهم الى آفاق الســموق والرفعـة ، فى اطار (الكتـاب) و (السنة) ٠٠ لأن تمالات صـان الدين ـ (وله من اسمه نصيب) ـ ومثله العليـا ٠٠



تهيب به دائما أن يكون من العاملين بما علموا ، الداعين الى سبيل ربهم بالحكمـة والموعظة الحسنة ٠٠ فان : من كتم علما عن أهله ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار ٠٠

وقد ارتقى صان الدين منبر الخطابة بالمساجد فترة طويلة من الزمن ، داعيا الناس الى التحلى بمكارم الأخلاق ، ونبذ الخلافات والشقاق ، والبعد عن اقتراف الآثام والمعاصى ٠ وفى ذات الوقت ، خلصت لنا من عصـارة فكره ونبض



من شعراء الأزهر

وجدانه حصيلة شعرية وافية ، سنحاول اليوم أن نقف قليلا أمام جزء هـام منها ، ألا وهو شعره الديني ، الذي تتضح فيه ــ أكثر من سواه ــ سماته الفكرية البارزة ، وموهبته الذهبية المتوهجة ، في محيط الروابط الانسانية، واستمدادها من فيوض الخالق عز وجـل ، بمنأى عن الزيف والضياع ..

وشعره الديني ــ الذي سداه (المضمون) ولحمته (الشكل) ــ يستقر كل منهما ــ أي الشكل والمضمون ــ في الآخر ، حتى يصبح من المحال الفصل بينهما .. بحيث يخيل للمدقق أن الشاعر لم يكن يملك الا أن يضع هذه التجربة في هذا القالب ، بعينه .. الامر الذى جعـل شعره الديني ، بهذه الخاصية ، يحتل مكان الصدارة في نتاجه كله ، ومن هنا أصبح له مذاق خاص ، لا يذكرك بشعر آخر لسـواه .. وصان الدين لا ينتمي الى مدرسة أدبية معينة ، وان غلب عليه الطابع الوجداني المتقد ، لأن الشعر لديه ، يصدر عن احساسه الخاص ، ورؤيته الذاتية ، وشعوره الجياش . وهو لا يشرع في ابداعه الا بعد اختماره ، وتداعي صوره ، وتكاثف معانيه وأخيلته .. بحيث لا يستطيع مدافعته أو التراخي في تدوينه .. ويصبح في حالة يملك الشعر عليه لبه ، ويموج أعماقه ، ويأخذ بتلابيبه ، فلا يجد مناصا من الاستجابة والاحتشـاد لـه . ويكون مثله ــ في تلك الاثناء ــ كمثل الينبوع الصافي الذى ينبثق فجأة ، وبلا مقدمات ، من أعماق الارض ، أو كالشلال الذى ينحدر من عـل ، مكتسحا ما قد يعترض طريقه من عوائق .. واذا كان بعض الشعر الديني لديه ، أو جله ، يتعلق بمناسبة ما ، فانه يخلص من شوائب الصنعة ، والحرص على النظم لمجرد الاستجابة لدواعي المناسبة ، حتى لا يرمى بالتقصير أو التقاعس ، كما هو الشأن مع شعراء المناسبات ــ وما أكثرهم .. وذلك لأن صان الدين يطلق العنان لشاعريته الفذة في لحظات التجلي ، كي تجود بمكنوناتها ، بتداع حر ، لتقول ما عنده ، وما يحرص على ابدائه من وجهة نظر خاصة ، أثناء الدفقة الشعورية ، مهتبلا فرصة امطارها .. خذ مثلا قصيدته التي كتبها من وحي ذكرى الهجرة النبوية العطرة ، بعنوان : (يا نسمة الذكرى) التي لا يسرد فيها شيئا من وقائع الهجرة ، المعروفة للكافة ، وانما يستهل القصيدة بمناجاة للذكرى ، تبرز فيها ذاتيته وانفعاله الصادق العميق حين أظلته فيقول :

ردى الى الحيران نور صوابه
واستنقذيه من ضنى أوصابه
وتداركيه من نداك بقطرة
تروى أوام الروح بين اهابه

ثم يسلط أضواء شاعريته على مايدور في عالم اليوم ، من احن وشحناء ومتاهات ، رغم الرغد المادى الذى يملأ وطابه ، وبخاصة في الدول المتقدمة : في أوربا وأمريكا .. يقول :

العالم المفتون يركض لاهثا
في القفز خلف مضللات سرابه

المال مالك يمينــــه والعـــلم ملك
شـمائه ٠٠ والجـاه تحت ركابه

ومع ذلك :

ياويحه ما باله يشـــكو الظمـــا
وكئوســـــه ملأى بحلو شرابه ٠٠

وهو يعنى بذلك : شكوى (الظمأ الروحى) ، بدليل تساؤله عنه بعد ذلك :

ما باله مستوحشـــا فى سربـه
شـ قـا بغص بريقه ولعـــابه ؟

ثم يشخص الداء ويشرح أسبابه ودواعيه ، بقوله :

ان الذى قد ند عن مدد السـما
ء وتاه فى الديجور عن أســـبابه
غول الشقاء ينوشــــه حتى ولو
كانت ملوك الجن ٠٠ من حجابه !

ثم يلتفت الى (نسمة الذكرى) ، متهجدا ، بقوله :

ردى الى الرحمن عبدا شـاردا
كالوحش يركض ٠ فى مسارب غابه

وهو يعنى بالعبد هنا ، انسان القرن العشرين عامة ، وما أصابه من أوضار الحضارة الغربية الزائفة ، بعد ابتعاده عن منابع الدين الصافية ٠٠ ويتضح ذلك بجلاء ، بعد أن يستقلى قائلا :

فلعله بعـد التمزيق والفســـنى
يجد السـكينة فى ظلال رحابه

أى فى رحاب الهدى ودين الحق ، مشرئبا الى عظمة الرحمن الرحيم ورحمته وكيف لا ٠٠؟

والله نور القلب فى ظُلَمِ الوجـــو
دفلا يحس ولا يـرى الا ٠٠ به

ولا يلبث الشاعر أن يزيد الأمر ايضــاحا ، مبديا وجهة نظره الخاصة ، بشىء من التفصيل بقوله :

الله رب الكون شــرع للحيـــا
ة سبيلها الباقى على أحقـــابه
دنيا ودين ٠٠ فى ظـلال حكومة
محكومة ، من ربهـــا ٠٠ بكتـابه

الا ما أروع هذه (الحكومة المحكومة) ، التى تهدى اليها فكر الشاعر بثاقب رأيه ، ودقـة صـياغته وتراكيبــه ٠٠ والتى اذا أتيح للأمة الوسط ــ الأمة المحمــدية ــ أن تظفر بها ، لا نفرجت فى التو أزماتها ومشـكلاتها ٠٠ هذه الحكومة من سمات وجودها أن تكون : لا شرقية ولا غربية ٠٠ وذلك بأن :

تعنو الجبـاه لحكمـة منقـادة
للـــه ٠٠ لا لمدجج بحــرابه
لا الشرق باســـتبداده وجحــوده
كــلا ، ولا الغرب المدل بعـابه

ولكن ، ما السبب فى رغبته فى الابتعاد عن المعسكرين المتطاحنين ؟ ان السربكمن فى أن :

هذا وذاك ٠٠ كلاهمـا متحـال
ركب الضـلال وتاه بين ضـبابه
وكلاهما ، فى ضـــفنه ودهـائه
حرب على الاســـلام فى محرابه

أرأيت كيف تعامل الشاعر مع (موضوعه) ؟ وكيف جعل منه فرصة ســانحة ، ليبدى رأيه الحر الصريح ، فيما ينبغى أن يكون عليه عالمنا الاسلامى اليوم ، وسط الكتل المتصارعة ، فلم يقتصر فى قصيدته على الجانب الدينى وحده ،

من شعراء الأزهر

بل انتقل منه الى منظور سياسي وطني ، أراد به أن ينبه الغافلين ، ويرسم أمامهم سواء السبيل ، للعودة الى النبع الاسلامي الصافي ، الذي تنكبنا الطريق السوي الى موارده العذبة فحاق بنا ما حاق ، من الكوارث والمصائب .

وعسى الا تكون قصيدته تلك : صيحة في واد ! كالمعتاد .. ونأتي بعد ذلك الى قصيدة أخرى بعنوان : (من وحي أم القرى) ، أي مكة المكرمة ، حينما أتيح له زيارتها أثناء قيامه بأداء فريضة الحج ، اذ فوجيء هنالك بالحر اللافح ، والمشقة البالغة في الانتقال بين الوعور وصلد الصخور ، فتعجب من أن مثل هذه البيئة بالذات هي التي خرج منها رسول الانسانية الرءوف الرحيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .. ويستهل قصيدته مشدوها ، بقوله :

هذي الصخور الصلدة الصماء ؟
هذي الجبال الوعرة الشماء ؟

ونتساءل : ما بالها يا شاعرنا ؟.. فيجيبنا :

من بين هاتيك الدياجرو
المجاهل أشرقت في العالمين ذكاء (١)
وتفجرت فيها ينابيع الهدى
حتى ارتوت من فيضها البطحاء
وجرت بانحاء الوجود جداولا
منها استمد الحكمة الحكماء

ونلاحظ هنا أن الصورة الشعرية في ثنايا هذه الأبيات لم ترد عبثا ، أو رغبة في اظهار المهارة والقدرة على التوليد والابتكار ، وانما أبدعها الشاعر للتأكيد على المعنى الذي يتوخاه .. كما يقول الشاعر الانجليزي المعاصر Louis macnice (لويس ماكنيس) عن الصورة الشعرية « من الخطأ أن ننظر الى صورة لشاعر ، على أنها زخرف فحسب .. صحيح أن ثمة صورا تبدو كأنها الصقت على القصيدة من الخارج ، زائدة على معناها .. لكن الصورة في الأغلب ، توجد في القصيدة لتوضيح المعنى .. أو لتثبيته في نفس المتلقى ، بقوة .. ثم انه في قصائد كثيرة، تتسع الصورة والمعنى ، (أو يلحمان) ، بشكل يستحيل معه فصلهما .. وقد جعل الرمزيون هذا مبدأ من مبادئهم (٢) » .

ثم ينتقل الشاعر « صان الدين » ليدلل على صدق الرسالة المحمدية ، بأمية السيد الرسول الأعظم ، التي حققت تمام المعجزة ، بقوله المفحم :

لله فرد من سلالة هاشم
تاهت على الدنيا به الصحراء
من صير الأمي بحرا زاخرا
بمعارف ضاقت بها الغبراء ؟
من ذا الذي أفضى اليه بما حوت
في عمقها الأفلاك والأجواء ؟
كيف استقى نبأ الأوا
ئل والأواخر ، باليقين .. دون ذاك عماء

---

١ ــ ذكاء : الشمس ، وهو يعني : شمس النبوة

٢ ــ انظر كتاب « جدلية الخفاء والتجلي » للدكتور كمال أبو ديب ص ٢٣ ، ٢٤ .

أبدا .. ولا جاب المدائن والقـرو
ن فجمعت في ذهنـه الأنبـاء

الى أن يقول بسلاسة آسرة متدفقة :

ما ضمه في شـيبه وشـبابه
الا الشعاب ، وداره ، وحـراء ..

وهذه الأبيـات تذكرنا بأبيات من قصـيدة صديقنا الشاعر الكبير الراحل محمود غنيم ، بعنوان (ميلاد رسول وأمة) ، يقول فيها :

النبى الامى جـاء بـآى
تركت سـادة البيان .. جمـودا
اخرسـت كل ناطق تركت كـل
لسـان من عيـه معقـودا
والان القـلوب وهي غـلاظ
يشـبه الصخر طبعهـا والبيدا

الى أن يقول :

شرعـة ظـلت بادواحهـا من
حل بيدا أو حل قصرا مشـيدا
الحضـارات منـذ قمن عـلى الار
ض تفيـأن ظلها الممـدودا (١)

وعندى أن أبيات صـان الدين أكثر اقتناعا وأبعد مغزى من أبيات غنيم تلك ، وربمـا كان السبب في ذلك يعود الى أن صان الدين أمعن في التفكير والتأمل ، ونأى عن الصنعة ، أو ترديد المعاني الشائعة ، بصياغة جديدة .. وأبى الا أن يقدم رؤيته الخاصة الخالصة التى تهـدى اليها بعد طول تدبر وامعان نظر .. دون أن يدع سبيلا لتحكم القافية أو جلجلة الألفاظ ، حتى لا يحيد عما يريد أن يعبر عنه ، بدقـة وجلاء وتحديد .

ويمضى الأستاذ الشاعر « محمد عبد الرحمن صان الدين » يرشى ، حيث يشاء ، أنوار فكره :

فتفور السفوح خصبا وتهمى
شرفات الغيـوب بالالهـام

حينما يتساءل ، في احدى قصائده الايمانية ، وومضاته النورانية :

أيشرع الانسـان للانسـان ما
ينجى من العثرات والأخطـار ؟

ثم يعطينا الدليل عـلى خطل هـذا الرأى ، بقوله بعد أبيات :

لو كان في الانسان عقل مجزىء
ما كان رسـل الله في الأعمـار
ولمضى في الأرض بسجدخاشعا
للنجم والحيوان والأحجـار !
ولما اسـتبد بـه الغـرور فظن
ان يديـه تملك قـدرة الجبـار
فمضى يبث قذائفـا من صـنعه
ادهى من البـركان والاعصـار

وهو يشير بلا شـك في البيت الأخير الى التدمير الرهيب الذي يحدثه تفجير القنـابل الذرية والهيدروجينية .

وأخيرا ، نصل الى قصيدته الآتـية : (الى الشـاطىء المحجب) وجلين .. ففى هـذه القصيدة يودع ذات نفسـه وذوب فؤاده بين حروفها وثنـاياها ، حينمـا يخـاطب (برزخ الأرواح) بقوله :

◄

١ ـ القصيدة منشورة بعدد مجـلة « المجلة » الصادر في سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

من شعراء الأزهر

يا برزخ الأرواح انى قـــادم
كدحا اليك ٠٠ وقد شددت رحالى
من غربة الدنيا التى قد أثخنت
قلبى ، وأوهت بـالأسى سربالى

ورغم أنه انسان فاضل ، شديد التدين ، يعرف ربه ، ويؤدى فرائضه ٠٠ الا أنـه يفرق من ذنوبه وآثامه ، التى لا يعلمها الا الله ٠٠ وهو لا يخشى الموت ، ولكنه يخشى هذه الذنوب والآثام ، فيقول ملتاعا متحسرا :

ومضى حصاد العمر احمل وزره
تاسـر فى وهن وفـرط كلال
أواه من عمـر تسرب من يدى
أواه من وزرى ومن أحمـــالى

ويعود الى الاكثار من ذكر (هازم اللذات) ، بعد أن تقدم فى العمر ، ولم يعد فى الأجل مثل الذى انقضى ، ومن يعبر عباب الستينيات ، يحق له أن يقول فى خواتيمـه (والله يحسن ختامنا جميعا) :

وه ئية الموت المحتم قـد دنت
وشراعها المنشور ٠٠ صار حيالى

وقديم الموت غير قديم ، والتفكير فيه يصاحب المرء من البداية للنهاية ٠٠ الا أن شاعرنا يحدق فى وجه الموت كأمر واقع لا مفر منه ، أصبح يترقبه مع نفس يتردد فى صدره يقول :

فى غمضة أو شـهقة أغدو بهـا
فى الراحلين ٠٠ أجر فى اسمالى

ثم يتوجـه بالخطاب الى (وادى الموت) متسائلا بالتياع مذيب محير :

أترى مقرى فيك جـدب قـاحل
أم أنه ٠٠ فى روضـة وظلال ؟
أيكون من فوق الأرائك مضـجعى
أم فوق جمر محرق وصـلال ؟

ثم يطلق هذه الصيحة الرهيبة ، مشـفقا من سوء المصير :

ويحى اذا دنت المنـــون وقصرت
بى، عن صعود المرتقى ٠٠ اعمالى

ثم يخشع ويخضع أمام جلال ربـه ، وقـد أوشك أن يلقى وجهه الكريم :

ربـاه انى من لقـائك مشـفق
وجل ٠٠ تكاد تخور بى أوصـالى
ويكاد يسكتنى الحياء ٠٠ مصليا
ويتـوه عن بث الضراعـة بالى

ولأن قدر المؤمن عند الله باعتقـاده ، ان كان خيرا فخير ٠٠ فان شـاعرنا سرعان ما يسـدل ستار الختام فى هذه القصيدة الفريدة ، بهـذا البيت الفذ المتفائل :

وانا ــ وان قصرت ــ عبـد مؤمن
بك ٠٠ تائب من سـورة الصلصال

وخلاصة القول ، اننا قد سعدنا غاية السعادة بهذه الجولة مع هذا الشـاعر الكبير المتنـوع المناحى ، فى دروب الفجر وأدغال السـهاد ٠٠ وعسى أن تظفر المكتبة العربية قريبـا منـه ، بديوان يجمع شمل ما تبدد من نتاجه الشعرى، بين بطون المجلات الأدبية والدينية ٠٠ وعـلى الله فليتوكل المتوكلون ٠

أحمد مصطفى حافظ



للأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم

اطلعت – في عدد رمضان الماضي من مجلة الأزهر الغراء ، بتذييل ص ١٥١٤ – على العبارة التي وردت بالهامش من ادارة المجلة بتحميل الأستاذة الأديبة وفيقة عواد سلامة ، كاتبة مقال : (كلمة لابد منها) مسئولية تاريخ واقعة اطلاق لقب : (أميرة الشعر) ، بالجامعة بأسرها ، على الشاعرة الراحلة « روحية القليني » أثناء التحاقها بكلية الآداب في الثلاثينات (١) ...

وقد وقعت على مقال للأستاذ « محمود البكري حبيب » ، عن الشاعرة روحية القليني ، بمجلة « الطالبة » عدد يناير سنة ١٩٦٥ ، وردت في ثناياه العبارة التالية بالحرف الواحد :

« .. وعندما أقامت الجامعة مهرجانا للشعر حازت الشاعرة الطالبة روحية القليني الميدالية الذهبية . لأ بزت الطالبات والطلبة من أقرانها في فن الشعر . ولا غرابة اذا لقبت حينئذ ، بـ « أميرة الشعر » بالجامعة .. » .

وعندي أنه لا غرابة في اطلاق ألقاب الامارة وغيرها على الشعراء . بل وعلى الشاعرات أيضا .. فقد اشتهر من الشاعرات . كما يقول الرافعي (٢) : « الذلفاء . وعنان جارية الناطفي : ويقولون : انها (أشعر الناس) وجنان صاحبة أبي نواس . وفضل الشاعرة ، جارية الخليفة المتوكل . وكانت « أفصح أهل زمانها .. » .. الخ ..

وقد زخر الشعر العربي في شتى عصوره ، بأبيات رنانة في فخر الشعراء واعتدادهم بأنفسهم .. وقديما قيل : ذكاء المرء محسوب عليه .. ويحضرني قول الطغرائي :

وما منصب الا وتدري فوقه
ولو حط رحلي • بين نسر ، وفرقد!

◄

---

(١) لا تعني عبارة المجلة اكثر من أن تضع الامانة بأيدي أصحابها مع كامل التقدير لهم والوفاء لحقوقهم وتقدير المجلة للسيدة الكاتبة هو الذي دفعها لتقرير واقعة تداولها الكاتبة الفاضلة – مجلة الأزهر .

(٢) بكتابه « أوراق الورد » تحت عنوان : (صدر من التاريخ) ص ١٤ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٠ .

الإمارة فى دولة الشعر

ولا شك أن القول القديم المأثور : (حيث الرجل ، تكون المرأة) ، لم يطلق عبثا .

فالرجل — وهو القوام على المرأة ، بنص التنزيل الحكيم — اذا أحسن قوامته ووجه المرأة الوجهة الصحيحة ، لتلقى العلم والمعرفة .. فسوف يجنى ثمرة ذلك تفوقا ونبوغا ، فى كثير من الأحيان ، لديها .. وهذا أمر طبيعى ، واذا كان :

عمر الرجال بالمجد الذى
شادوه لا بتقادم الميلاد .

فكذلك الشأن بالنسبة للمرأة .. والنساء شقائق الرجال ، كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

* * *

ولم يعرف العرب فى تاريخهم الأدبى القديم ألقاب الامارة فى الشعر ، كما حدث فى العصور الحديثة ، واقتصر الأمر على وصفهم لشاعر كبير كحسان بن ثابت مثلا ، بأنه : (أشعر الناس) .

وكقول (أبى عبيدة) : ان العرب اتفقت على أن أشعر أهل المدر : (يثرب) ، ثم : « عبد القيس » ، ثم : « ثقيف » .. وأن أشعر أهل يثرب : « حسان بن ثابت » .

وقال أيضا : فضل حسان الشعراء بثلاث فقد كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى النبوة ، وشاعر اليمن فى الاسلام .

* * *

وفى عصرنا الحديث ، نجد حافظ ابراهيم (شاعر النيل) يخاطب الرافعى مقرظا ، بقوله بمناسبة ظهور ديوان الرافعى :

أراك — وأنت نبت اليوم — تمشى
بشعرك فوق هام الأولينا
فزن تاج الرياسة بعد «سامى» (٢)
كما زانت فرائده الجبينا

كما نجد صديقنا الشاعر الكبير الراحل « محمود غنيم » يقول بختام قصيدة له ، متبرما (٣) :

وانى لمغبون ، اذا صرت (قيصرا)
وتوج بالنعماء سامى منعم !

ولا غرابة فى قول غنيم هذا ، لا سيما وأن « العقاد » يرتفع بمنزلة الشعراء الى منزلة الملوك ، وليس — الى مرتبة الأمراء فحسب حين يقول :

ملوك .. فاما حالهم .. فعبيد
وطير .. ولكن الجدود قعود
اقاموا على متن السحاب ، فأرضهم
بعيد .. وأقطار السماء بعيد

ثم يتألم من أجلهم ، وهو منهم ومثلهم ، قائلا :

فوارحمتا للظالمين نفوسهم
وما أنصفتهم صحبة وجدود

---

(١) كنا نود أن يذكر الكاتب مرجع الحديث الشريف فهذا الأمر مما تحرص عليه المجلة حرصا شديدا .. مجلة الأزهر .

(٢) يقصد بـ (سامى) رب السيف والقلم محمود سامى البارودى .

(٣) بقصيدته المشهورة (كأنى قبض) .

ويذرون من مس العذاب دموعهم
وينظم منها : جوهر وعقـــود ..
بل نراه يتوجه بعد ذلك الى الناس جميعا ، في شتى أنحاء العالم ، قائلا :

بني الأرض ، كم من شاعر في دياركم
غبين ، وغبن الشـــاعرين شديد
بني الأرض .. أولى بالحياة جميلة
محب ، عليها ، من حلاه .. نضود

وذلك ، لأن الشاعر ، أيضا :

مقيم على عرش الطبيعـــة ، حاضر
ولكنه ، بين الأنـــام ، فقيـــــد
اذا جال بالعينين .. فالكون بيتـــه
فان مد بالكفين .. فهو طـــريد
وأقصى مناه في الحياة .. نهـــاره
وأدنى مناه ، في الممات .. خلود !
شقاوته في الشعر ــ وهو هناؤه ــ
وليس له ــ عن حالتيه ــ محيد ..

* * *

وقد حفظ لنا تاريخ الأدب العربي الحديث ، في أنصع صفحاته ، قصة المؤتمر المهيب الحافل الذي انعقد بدار الأوبرا بالقــاهرة ، تحت رئاسة سعد زغلول ، في التاسع والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٢٧ ، وأمه عدد غفير من شعراء الأمة العربية ، وفدوا خصيصا من شتى أقطارها ، لمبايعة (شوقي) بامارة الشعر ... وتلا كل منهم قصيدته ، مشيدا بعبقرية شوقي وأصالته ، واقرار مبايعته أميرا الشعراء ... وتشوقنا في قصائد هـذا المهرجان الأدبي التاريخي ، قصيدة (شاعر النيــل) حافظ

ابراهيم ، التي أنصف فيها شوقيا أيمـــا انصاف ، وخاصة حين انتهى الى قوله :

تملكت من ملك القريض .. فسيحه
فلم تبق ياشوقي لنا .. قيد اصبع

وقوله :

امير القـــوافي ، قد أتيت مبايعـــا
وهذي وفود الشرق قد بايعت .. معي

ويذكر الرواة من شهود الحفل ، أن شوقيا هب واقفا حينما استمع الى هذا البيت الفريد وأسرع الى معانقة حافظ ، مقدرا متأثرا .

وقد حفظ شوقي لحافظ ، نده ورضـيفه ، وغناءه وايثاره وصدقه مع نفسـه ، بما أبـداه نحوه في قصيدته العامرة تلك ، وتبدى ذلك في مرثيته لحافظ ، بعدهذه الواقعة بأكثر من خمس سنوات ، فقال منوها :

بالأمس حليتني بقصــــيدة
غراء .. تحفظ كاليد البيضـــاء
غيظ الحسود لها ، وقمت بشكرها
وكما علمت مـــودتي ووفـــائي
في محفل بشرت آمـــالي بـــه
لما رفعت الى السمــاء لــوائي

وفي الحقيقة ، لقد كان شوقي بالفعل ، جديرا باطلاق هذا اللقب عليه ، فهو ــ كما قال بحق عن نفسه في ختام هذا المهرجان ، شاكرا لوفود الشعراء اسهامهم فيه ، بتلقائية وتحمــاس وطواعية :

يا عكاظا تألف الشــرق فيـــه
من فلسطينه .. الى بغـــدانه
موكب الشـــعر حرك (المتنبي)
في ثراه .. وهـــز من حسـانه
شرفت مصر بالشموس من الشر
ق : نجـوم البيان من أعيـانه

الإمارة فى دولة الشعر

الى أن يقول بتواضع النوابغ :

لست أنسى يدا الاخوان صدق

منحونى جزاء مالم أعانه

رب سامى البيان .. نبه شانى

أنا أسمو .. الى نباهة شانه

وحبونى : الحمام لذة سجع

أين فضل الحمام .. فى تحنانه ؟

وتر فى اللهاة .. ما للمغنى

من يد فى صفائه أو .. ليانه

ونحن لسنا مع شوقى فى بيته الأخير ، بحكم ما نلقى من عناء ، مستحب ، أثناء ممارستنا لنظم الشعر ، ومعرفتنا : لشرود اللفظ عند الطلب .. كما يقول غنيم ، رحمه الله .

ومهما يكن من أمر ، فان زمام التواضع ، يفلت من شوقى ، بعد ذلك ، حين يقول البيت الفذ التالى ، الذى يصور بحق دور شوقى ومكانته فى عالم الشعر :

كان شعرى الغناء فى فرح الشر

ق .. وكان العزاء فى أحزانه

❋ ❋ ❋

ومن عجائب المصادفات ، أن يقام فى نفس شهر أبريل ، وفى تاريخ يوم مقارب لتاريخ مهرجان شوقى — ولكن بعد مرور ثمانية عشر عاما ، على مهرجان شوقى — فى مساء يوم الجمعة الموافق ٢٧ من أبريل سنة ١٩٤٥ ، أن يقام حفل مماثل لتكريم (العقاد) ، بمناسبة نظمه للنشيد القومى ، برئاسة « مصطفى النحاس » . فى مسرح الأزبكية بالقاهرة ، شهده جمهور غفير ، وتحدث فيه نخبة من أعلام الأدب والفكر ، وأشادوا بموهبة العقاد الشعرية والفكرية ، وكان فى مقدمتهم : الدكتور طه حسين ، الذى اختتم كلمته البليغة فى تكريم العقاد ، بالدعوة الى تنصيب « العقاد » أميرا للشعراء ، بقوله : « ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد ، وقولوا للادباء والشعراء ، أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء ، فقد رفعه لكم صاحبه .. » .

❋ ❋ ❋

وهناك قصة مشهورة ، لا بأس أن نختم بها مقالنا هذا ، فحواها أن بديع الزمان الهمزانى حين أراد أن يلتحق بالعمل لدى الصاحب ابن عباد ، عمد الصاحب الى اختبار قدرة بديع الزمان على الترجمة ، بأن طلب منه ترجمة ثلاثة أبيات من الشعر الفارسى ، الى الشعر العربى .. فما كان من بديع الزمان ، الا أن سأل الصاحب : أى قافية تريد ؟

فاقترح عليه الصاحب قافية صعبة ، هى قافية الطاء .. وسأله بديع الزمان عن البحر الذى يريد نظم الترجمة فيه ، فقال الصاحب :

— اسرع يا بديع ، فى البحر السريع !

فارتجل البديع ترجمة وافية ، نصها :

سرقت من طرته شعرة

حين غدا يمشطها بالمشاط

ثم تدلجت بها مثقلا

تدلج النمل بحب الحناط

قال أبى : من ولدى منكما

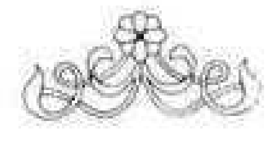
كلاكما يدخل سم الخياط

وبذا اثبت بديع الزمان بحق ، أنه .. بديع الزمان .

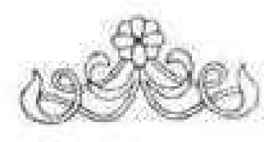
محمد عبد المنعم ابراهيم

العلوم الكونية

للإعجاز العلمي في القرآن الكريم



تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوي



شهادة كبار الفلاسفة للإسلام



فى القرآن الكريم ٤

العمق الثالث للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم على عكس ما يدعيه البعض من ان القرآن الكريم غير معجز علميا ، نجد ان هذا العمق انما يتصل مباشرة باثارة تفاصيل بعض ظواهر الكون ، وحقائق العلوم التى لا يعرفها غير المتخصصين فى هذا العصر . ومن أقرب الأمثلة على ذلك (آية الركام) فى سورة النور — الآية رقم ٤٣ — ونصها :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » .

وهناك أنواع عديدة من السحب ، تختلف من حيث تركيبها الرأسى ومن حيث ارتفاع قواعدها فوق سطح الارض . ولكل منها اسم معين . ومن السحاب ما يجود بالمطر وبغير المطر مثل الثلج ، والبرد . كما ان منه ما يسبب عواصف الرعد أو تنقض منه الصواعق ، أو يصاحب الأعاصير .

و « الركام » أهم أنواع السحب ، اذ يعطى « زخات » المطر الشهيرة ، وهو وحده الذى يجود بالبرد ، ويحدث فيه البرق والرعد ، أو قد تنزل منه الصواعق ، مما جعل له أهمية علمية خاصة حملت العلماء على دراسته ورصده وتصويره فى كافة مراحل نشاطه .

وفى عالم الطبيعة تنقسم السحب من حيث تركيبها الرأسى ووسيلة نموها الى قسمين أساسيين هما :

السحب الركامية ، وتتميز بكونها تنمو رأسيا وتتراكم أجزاؤها فى طبقات بعضها فوق بعض حتى تصبح كالجبال العالية .

والسحاب الطبقى أو الباطى الذى ينمو وينتشر فى طبقة معينة حتى يصير أشبه شىء بالبساط .

والقرآن الكريم هو أول كتاب على الاطلاق بين للناس هذين النوعين بآيات معجزة أخاذة فى مثل قوله تعالى .

للاستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

١ ـ « اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ٠٠٠٠ » .

سورة الروم الآية (٤٨) .

٢ ـ « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ٠٠٠ » سورة النور الآية (٤٣) .

والودق ما تجود به السحب الممطرة من ماء مختلف الصفات .

وهناك قانون طبيعى ـ أو سنة من سنن الخالق جل شأنه يقررها القرآن الكريم ويكشف لنا عنها فى الآية الأولى مجملها :

أن الرياح وهى الهواء المتحرك ، ومنها الهواء الصاعد الى أعلى هى التى تثير السحاب أو تكونه ، وذلك عندما تبرد فى طبقات الجو العليا ولا تقوى على حمل أبخرة المياه العالقة فيها ، فتتكاثف هذه الأبخرة أو هى تتحول الى نقط من الماء أو بلورات من الثلج حسب درجات حرارة الطبقات العليا التى تثار فيها السحب . وهذه حقيقة علمية ثابتة لا مبدل لها الى يوم الدين .

ومن الحقائق العلمية الثابتة فى هذا المجال التى يقررها القرآن الكريم كذلك لأول مرة فى تاريخ الأرض ، يضع بذلك حدا لكثير من الأباطيل والخرافات فى موضوع المياه العذبة ومصادرها ما يذكره من أن المطر هو مصدر المياه العذبة كلها على الأرض ، سواء فى ذلك ما جرى منه فى الأنهار ، أو انبثق من العيون أو الينابيع كماء زمزم ، أو ما رفعناه من الآبار .. اذ نقرأ فى سورة الواقعة (٦٨ ـ ٦٩) قوله تعالى :

« أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ » .

والمزن هو السحاب الممطر .

وهناك المزن الطبقى أو البساطى .

كما أن هناك المزن الركامى .

وهذا هو عين التقسيم العلمى فى هذا العصر :

وعندما نفسر آية الركام علميا نجد أنها تتضمن أربع حقائق أو قضايا علمية هامة هى فى مجموعها مثل من أمثلة أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز التى تدخل فى صميم العلم الطبيعى على النحو الآتى :

الحقيقة العلمية الأولى تتضمن بيان خطوات تكوين المزن الركامى ـ الذى هو أهم أنواع السحب كمصدر للمياه العذبة أو مصاحب للأعاصير المطيرة ـ وذلك حسب ما تم الحصول عليه بالصور الفوتوغرافية أو بالرادار ، منذ الابتداء، حتى يصير كالجبال الشامخة التى قد ترتفع قممها الى علو عشرين كيلو مترا أو أكثر عبر السماء .

تبدأ هذه السحب عادة على هيئة سحب صغيرة « أو خلايا » من الركام ، لا تلبث أن تتحد كل ثلاث خلايا منها أو أكثر مع بعضها البعض لكى تنمو سريعا مكونة المزن الركامى

النامى . ويصف القرآن الكريم هذه المرحلة التى تعرفنا عليها بالرصد والتصوير ، والمشاهدة الدقيقة فيقول :

«ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ....»

وبستمر الآية الكريمة فتصف هذه السحب الممطرة بأنها كالجبال ، أى أنها تنمو رأسيا وهو مضمون الحقيقة العلمية الثانية حيث تقول :

«... وينزل من السماء من جبال ....»

أما الحقيقة العلمية الثالثة فهى أن المزن الركامى وحده دون سائر أنواع السحب الأخرى هو الذى يجود بالبرد . وتقول الآية الكريمة :

«... من جبال فيها من برد ...»

والذى يتيح فرصة تكوين البرد فى هذه السحب المطيرة هو نموها الرأسى نموا عظيما بحيثتتكون داخلها طبقات متميزة من حيث درجات الحرارة ، ومن ثم من حيث مكوناتها الناجمة عن تكاثف بخار الماء فيها .

والبرد غير الثلج الذى يتساقط فى المناطق الباردة . ويكون البرد عادة كبير الحجم نسبيا ، وقد تنمو حباته المتساقطة فى بعض العواصف حتى تصبح فى مثل حجم البرتقال الصغير ، وعندئذ يسبب تلفا كبيرا وضررا واسع النطاق ، خصوصا للنباتات وثمارها وكذلك المنشآت والأنعام .

ومنذ نحو ثلاثين عاما تساقط على القاهرة فى احدى عواصف الرعد فى الخريف برد كبير نجم عنه تلف واسع النطاق .

ولا يتساقط البرد فى المناطق القطبية ، ولكن الذى يتساقط هو الثلج الذى يتكون من بلورات دقيقة لها أشكال هندسية رائعة ، يلتصق بعضها ببعض فتتكون صفائح الثلج التى تصاحب تولد عواصف الثلج فى تلك المناطق على النحو الذى نشاهده فى الطبيعة .

وقد يذوب البرد وهو فى طريقه من قاعدة السحابة الى سطح الأرض وبذلك يتحول الى نقط نامية من المطر يطول قطر النقطة نحو ربع سنتيمتر فى المتوسط تهطل على هيئة (رخات) شديدة ، أو هو قد يصل سطح الارض على هيئة حبات من الجليد مختلفة الحجم ، فيصيب به الخالق القدير من يشاء من الناس ويصرفه عن من يشاء .

والبرق لا يحدث الا فى المزن الركامى ، وهو عبارة عن تفريغات كهربائية بين أجزاء السحابة الواحدة بعضها يحمل شحنات موجبة ويحمل البعض الآخر شحنات سالبة . وقد يحدث البرق أيضا بين سحابتين متجاورتين من سحب المزن الركامى . وهذا يعنى أن البرق عبارة عن شرارات كهربائية هائلة ينجم عنها تسخين عظيم ومفاجىء لطبقات الهواء التى تنبعث فيها الشرارات ، فيتمدد هواء تلك الطبقات فجأة ثم ينكمش محدثا دوى الرعد .

أما جلجلة الرعد أو هديره الذى يلى ذلك فانه ينتج عن انكسار الدوى الأول من قواعد السحب أو المرتفعات عامة (الصدى) . أما اذا حدث التفريغ الكهربائى بين أسفل السحابة الركامية المشحونة بالكهرباء وسطح الأرض ، خصوصا ما عليه من مرتفعات ـ مثل المنازل

والشجر والأبراج ـ حدثت الصواعق منقضة على المرتفعات لكونها أقرب الأشياء الى السحابة .

ومنذ فجر عصر العلم حاول العلماء معرفة الوسيلة التى بها يتم شحن المزن الركامى بالكهربائية ، وعمدوا الى اجراء العديد من التجارب المعملية ، الى جانب رصد وقياس تلك الشحنات داخل السحب بوسائل عديدة ، وظهرت عدة نظريات الى أن ثبت ابان الحرب العالمية الثانية وتقدم علوم وفنون الطيران فيها وتبين أن البرد هو الذى يؤدى الدور الرئيسى فى شحن المزن الركامى بالكهربائية ، وذلك خلال مراحل نموه ، ثم مراحل تحول أجزاء منه الى ماء سائل (تميعه) ، أو حتى تبخره فى أطراف السحابة تحت عامل اختلاف درجات الحرارة .

وقد تنشط تلك العمليات كلها فى المزن الركامى النامى الذى قد تصل قمته الى علو نحو عشرين كيلو مترا فوق سطح الارض ، بينما يغطى قواعده العديد من الكيلو مترات ، حتى أن سحابة واحدة قد تغطى مدينة باكملها وبذلك تكون أشبه شىء بالمولد الكهربائى (أو الدينامو) الذى يعمل على شحن السحابة بالكهربائية الموجبة فى مناطق نمو البرد ، وبالكهربائية السالبة فى مناطق تميعه أو تبخره على جوانب السحابة . وفى بعض عواصف الرعد الاستوائية قد يحدث الرعد بمعدل نحو ٤٠ مرة فى الدقيقة الواحدة !

ومن أظهر وأعجب آيات الاعجاز العلمى فى هذا المجال أن تربط الآية الكريمة بين البرد وحدوث البرق فتقول :

« وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » .

فالضمير هنا فى كلمة (برقه) انما يعود على البرد ، وهذا هو مضمون الحقيقة العلمية الرابعة فى الآية الكريمة . وجدير بالذكر أن كثيرا من الناس يجهلون هذه الحقيقة حتى يومنا هذا . بل ومازالت بعض الكتب والمؤلفات تعزو حدوث البرق الى أمور خيالية أو ظنية مثل التحدث عن احتكاك وهمى بين السحب على غرار دلك قطعة من (الكهرمان) بقطعة من الصوف .

وثمة حقيقة علمية خاصة تتعلق بتأثير البرق على البصر (أو العين) عندما يشاهده الانسان وبخاصة قريبا من مناطق انبعاثه ، كما هو الحال فى أعالى الجبال أو فى الطائرات مثلا . عندئذ يصاب المرء بالعمى المؤقت أى أنه خلال لا يبصر لفترة وجيزة من الزمن عندما يرى مباشرة وميض البرق أو سنا البرق كما عبر القرآن الكريم اذ يقول :

« يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » .

ومعنى (يكاد) هنا أن الزمن الذى يذهب خلاله البصر هو زمن قليل ، أو أن ذهاب البصر ظاهرة محدودة بفترة وجيزة من الزمن .

وعلى هذا النحو أيها القارىء ترى أن من آيات كتاب الله العزيز آيات تثير العديد من قضايا العلم ، وتدخل بنا فى جانب من تفاصيلها بطريقة موجزة ومعجزة فى نفس الوقت ، ولعمرى تلك صفة المعجزة الخالدة أبد الدهر ، والله أعلم .

للحديث بقية

أ . د . محمد جمال الدين الفندى

تركيب الطبقة الدنيا

من

الغلاف الجوى

الطبقة الدنيا :

يقصد بالطبقة الدنيا (أو الطبقة الحدية) من الغلاف الجوى - طبقة الغلاف الجوى التى تبدأ من سطح الأرض ويصل سمكها الى حوالى ١٠٠٠ متر فى المتوسط .

وتتوقف خصائص الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى على التأثيرات الحرارية والتأثيرات (الديناميكية) لسطح الأرض وفى الحقيقة يتغير سمك هذه الطبقة من الغلاف الجوى مع تغير المكان . والزمان وفى حالات الاستقرار الجوى الشديدة فان سمك هذه الطبقة يساوى (٣٠٠ ــ ٤٠٠ متر) بينما فى حالات عدم الاستقرار الجوى الشديدة يزداد سمك هذه الطبقة ليصل الى (١٥٠٠ ــ ٢٠٠٠) متر .

وبصفة عامة يزداد سمك الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى بزيادة معامل خشونة سطح الأرض وبزيادة شدة الحركة الدوامية ، ولذلك فان سمك هذه الطبقة يزداد كلما زادت سرعة الرياح وكلما نقصت درجة استقرار الجو .

ونتيجة لنقصان قوة الاحتكاك كلما ابتعدنا عن سطح الأرض فان سرعة الرياح تزداد بزيادة الارتفاع فى الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى وتقترب من سرعة الرياح الانحدارية عند الحد العلوى لهذه الطبقة ، وفى هذه الحالة تقترب زاوية ميل اتجاه الرياح على خطوط تساوى الضغط الجوى « الأيزوبارز » من الصفر .

طبقة الهواء السطحية :

يسمى الجزء الأسفل من الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى بطبقة الهواء السطحية ، ويتغير سمك طبقة الهواء السطحية من « ٥٠ الى ١٠٠ متر » من سطح الأرض وقد يصل فى بعض الأحيان الى « ٢٠٠ ــ ٢٥٠ مترا » من سطح الأرض .

وتتميز طبقة الهواء السطحية بثبوت الفيض الدوامى لكل من كمية الحركة والحرارة وبخار الماء مع الارتفاع عن سطح الأرض ، وتكون التغيرات الرأسية التى تحدث فى سرعة الرياح

ودرجة الحرارة والرطوبة فى هذه الطبقة عشرات أضعاف (وأحيانا مئات أضعاف) تلك التغيرات الرأسية التى تحدث فى هذه العناصر الجوية فى الطبقات التى تعلو طبقة الهواء السطحية .

وتزداد سرعة الرياح بزيادة الارتفاع عن سطح الأرض فى هذه الطبقة طبقا للقانون (اللوغاريتمى) ، وعمليا لا يحدث تغير فى اتجاه الرياح فى هذه الطبقة مع الارتفاع .

وكثيرا ما يتطابق الحد العلوى لطبقة الهواء السطحية مع الحد العلوى للانقلاب الحرارى أو الضباب الاشعاعى أو الضباب الدخانى فى حالة وجود أى منها :

ويتوقف سمك طبقة الهواء السطحية عموما على سرعة الرياح ومعامل خشونة سطح الأرض ودرجة استقرار الجو .

ضرورة دراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى :

نظرا لأن معظم الظواهر الجوية تحدث فى الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى ، ففيها تحدث العواصف الرملية أو العواصف الترابية ، وفيها يحدث الضباب أو (الشابورة) ، وتتكون السحب وتحدث الأمطار والعواصف الرعدية أحيانا ، ويتكون العجاج الترابى « الأتربة العالقة بالجو » وتنتشر فيها الملوثات الجوية بأنواعها المختلفة « سائلة أو صلبة أو غازية » تلك التى تلحق بالانسان والكائنات الحية

للدكتور ربيع سيد فولى

الأخرى التى تعيش فى هذه الطبقة من الغلاف الجوى أضرارا بالغة قد تؤدى الى الوفاة اذا توافرت شروط جوية معينة .

لذلك كان من الضرورى دراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى لتجنب ما يمكن تجنبه من هذه الآثار السيئة .

فلسفة النماذج الرياضية لتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى :

لو أدركنا أنه مهما أوتينا من امكانيات فلن نستطيع توفير أجهزة لقياس تركيز الملوثات الجوية على اختلاف أنواعها وبصفة مستمرة فى كل مكان ، وحتى اذا أمكننا مراقبة تركيز الملوثات الجوية فى أماكن كثيرة على سطح الأرض فلن يمكننا مراقبتها على ارتفاعات مختلفة من نفس السطح .

ولو أدركنا أن قيم تركيز الملوثات الجوية تتوقف ـ بطريقة معقدة جدا ـ على عوامل متعددة منها سرعة واتجاه الرياح ودرجة استقرار الجو ومواقع مصادر هذه الملوثات الجوية وارتفاع هذه المصادر عن سطح الأرض ومعدل انبعاث هذه الملوثات من مصادرها



تركيب الطبقة الدنيا

وفترات تشغيل هذه المصادر أيضا .

فانه يتضح لنا الأهمية العظمى للنماذج الرياضية لتركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى ، ودراسة هذه النماذج والعمل على تطويرها جنبا الى جنب مع مراقبة (قياس) تركيز هذه الملوثات الجوية فى مواقع متعددة للتأكد من دقة نتائج النماذج الرياضية عند حساب تركيز الملوثات الجوية على مسافات مختلفة من مصادرها ، وذلك بحل معادلة الانتشار الجوى مع معادلات تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى .

الفوائد العملية لدراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى :

تؤدى نتائج دارسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى دورا هاما فى معالجة عدد كبير من المشاكل التطبيقية لعلم الارصاد الجوية ؛ فمن الممكن استخدام هذه النتائج فى مجالات تخطيط المدن الجديدة ، والاختيار الأفضل لمواقع المشروعات الصناعية ، وتخطيط حركة مرور السيارات ... الخ . على أساس سليم بحيث يكون تأثير الملوثات الجوية الناتجة من عوادم السيارات ومن المصانع المختلفة والناتجة عن أنشطة الانسان على اختلاف أنواع هذه الأنشطة اقل ما يمكن على صحة وسلامة الانسان والكائنات الحية الأخرى ، وللمحافظة على سلامة وجمال المناطق والمبانى ذات القيمة الأثرية .

وذلك بالاضافة الى الدور الهام الذى يلعبه تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى فى مجال الزراعة اذ أن العوامل الجوية فى هذه الطبقة تؤثر على مراحل نمو النبات المختلفة وكذلك على أمراض النبات وحشراته ، وعلى صحة حيوانات الزراعة وانتاجها ، وفى النهاية تؤثر العوامل الجوية على انتاجية الأرض الزراعية .

ومن ناحية أخرى نظرا للتفاعل المستمر بين الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى والمحيطات والبحار والأنهار فان تأثير تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى قد يصل الى الطبقة العليا من مياه المحيطات والبحار (٥٠ — ١٠٠ متر) وبذلك يمتد هذا التأثير الى الأسماك والكائنات البحرية الأخرى .

الخلاصة : يؤدى تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى دورا هاما فى شتى المجالات الصناعية والزراعية والصحية والتخطيطية والاقتصادية ... الخ

وذلك يوضح الأهمية العظمى لدراسة تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى والنماذج الرياضية الخاصة بها .

وهكذا لا يقف العلم عند حد معين ، فعند الانتهاء من دراسة معينة تنتج مجموعة من الاستفسارات والتساؤلات التى تستلزم اجراء بحوث جديدة للاجابة عن كل منها ، وبلا نهاية ، وسبحان الخالق القائل :

« وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً »

د / ربيع سيد فولى

من أعلام الأزهر ٢

الشيخ يوسف الدجوى

فقيه - بحاثة - داعية

للدكتور محمد رجب البيومى

ترك الدجوى تراثا خصبا فى الفتوى الشرعية ، اذ كان موضع الثقة العلمية لدى المسلمين فى عالم الاسلام خارج مصر وداخلها فكانت الاسئلة تفد اليه دائما دون انقطاع ، وقد يجيب عنها بالبريد محتفلا فى الاجابة ، وقد يرد على صفحات المجلات الدينية ، وكان له مخالفون فى بعض ما يصدر من الاحكام ، واختلاف الفقهاء أمر طبيعى متكرر ، لا فى المذاهب المختلفة ، بل فى المذهب الواحد ولكن بعض المخالفين لم يتئدوا فى جدلهم عند آداب البحث والمناظرة ، وفيهم رءوس مرموقة ذات نباهة واشتهار ، بل احاطوا ردودهم بما يشينها من أساليب التجريح ، وما كان أبعد ذوى الصدارة عن هذا الشطط ، لو اتسعت الصدور ، وهدأت النفوس !

أجل كان السيد محمد رشيد رضا رحمه الله احد هؤلاء المتوثبين ، ومنزلته فى العلم ليست موضع خلاف ، ولكن حدته القلمية ، دفعت الشيخ الى مقابلة الاعصار باعصار ، فاذا تركنا السيد رشيد الى من دونه من شباب العلماء ،



فضيلة الشيخ يوسف الدجوى

فاننا نجد الدجوى قد امتحن ، حتى ألف بعضهم كتبا خاصة ، بتجريح الشيخ الكبير ، وقد نسى هؤلاء ، أن وجود المفتى المحافظ ضرورى كضرورة المفتى المجدد . ليحدث التوازن الطبيعى فى الرأى اذ يحد المحافظ من وثبات الرأى ، كما يدفع المجدد زميله الى سعة التأمل،



وكلاهما صاحب نفع محقق وله أجره المشكور، على أن الشيخ يوسف لم يكن من ذوى التعصب لرأيه ، بل كان يقدم لفتاويه بأنها محض اجتهاد وأن رأيه ليس الأوحد الذى لا محيد عنه وقد وضع الأستاذ فى هذا الباب من الحدود الفقهية مايجب أن يكون موضع تدبر لمن يشارك فى بحوث التشريع الاسلامى ، فهو يقول عن نفسه انه حين يسأل عن حكم فقهى يذكر ما يرجحه من آراء العلماء فى هذا الحكم ، وليس معنى ذلك أنه لا خلاف فيه، بل معناه أن المختار هو ما يتجه اليه وقلما نجد مسألة مما يسأل عنه لا خلاف فيها ، يقول الأستاذ ما نصه (١) .

ولهذا ننصح لكل مشفق على دينه محتاط فى أمره أن يكون أحد رجلين ، اما باحثا منقبا عن كل ما قال العلماء ، غير مقتصر على بعض الآراء ، ولا مغتر بما يزينه كثير من أرباب الأهواء ، ويكون مع ذلك ذا أهلية للمقارنة بين الأقوال ، والموازنة بين الأدلة ، قد جرد نفسه من النزعات الخفية قدر الاستطاعة ، بحيث يكون متهما لنفسه ، غير مسارع للحكم بما يراه أول وهلة ، شأن أئمة الهدى وعلماء السلف .

أما الرجل الثانى فهو رجل نظر لنفسه بالانصاف ، فرآها قاصرة عن بلوغ هذا المدى، ورأى الادلة متشعبة ، والامر وانما يحتاج الى فهم دقيق ، وعلم غزير بما يحيط بالأدلة وما يعارضها وبالعمومات وما يخصصها ، وبالمطلقات وما يقيدها ، وبالنصوص وما ينسخها ، وبالظواهر وما يقدم عليها ، وبالضعيف وما يرجح عليه الى آخر ذلك البحر الزخار ، فعرف قدره ولم يتعد طوره ، فاختار ما عليه السواد الأعظم من المسلمين ، ولم يشذ عنهم فى قليل أو كثير ، عالما أن الذئب انما يأكل الشاة القاصية (١) .

والصنف الثانى : الذى تحدث عنه الأستاذ كان مصدر ضجة فارغة العاقبة بين القراء ، اذ تصدر بعض من لم يصلوا الى مرتبة الافتاء الحقيقى لمنازلة الشيخ ، معتمدين على ما فهموه من ظاهر آية ، أو منطوق حديث ، وقد أظهروا من الغطرسة والاستعلاء مارمى بهم الى تجريح الكبار من أئمة المذاهب ، أو التهوين من شأنهم اذ حكموا بأن كتب المذاهب ليست مرجع الافتاء ، انما المرجع نصوص القرآن وأحاديث الرسول ﷺ ، ناسين أن أئمة الفقهاء لم يبنوا أحكامهم على غير هذه النصوص ، وقد رزقوا من الكفاءة ما أعانهم على تسديد القول ، وصحة الرأى ! فما بال أشباه العامة يتصدرون للدعوى العريضة فى تهور يرثى له المشفق النصيح ، يقول الشيخ الدجوى فى نصيحة هؤلاء (١) .

« ليعلم القارىء الكريم أن المجتهد الذى يأخذ من الكتاب والسنة » لابد أن يكون عارفا بمواقع العموم والخصوص والاطلاق والتقييد، عارفا درجة كل حديث ، باحثا عما عسى أن يكون فيه من علة خفية لا يعرفها الا حذاق

(١) مقالات وفتاوى جـ ٢ ص ٤١٥ للأستاذ الدجوى .

الحفاظ ، عالما بطرق الترجيح حتى يقدم بعضها على بعض عند التعارض ، غير خاف عليه مواقع الاجماع والاختلاف ، وقد قالوا ان المحدث كالصيدلى ، والمجتهد كالطبيب ، ولاشك أن الصيدلى اذا جعل نفسه طبيبا قتل من المرضى أكثر ممن صادف دواؤه الداء فيهم ، فكأن هؤلاء الحفاظ ، هم المشار اليهم فى حديث البخارى بذكر الأجادب من الارض التى أمسكت الماء ، فانتفع الناس وسقوا وزرعوا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : رب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه ليس بفقيه (١) ».

وقد أبرأ الاستاذ نفسه حين كرر مرارا أن المسائل الاجتهادية الفرعية (٢) ، يكفى فيها الظن ، ولا ينبغى فيها التنازع ، وكل من طلب فيها الدليل القطعى ، فهو اما جاهل لا ينبغى أن يكون فى عداد العلماء ، واما سىء القصد لا يريد الا الظهور بأى وسيلة .. وان من أكبر بلايانا التى نئن منها ولا ندرى منتهاها ، وجود طائفة بيننا لا تفهم ، ولا تقلد من يفهم ، ولو كان عندهم أدنى شفقة على المسلمين ، أو اخلاص لهم لعرفوا أن « الدين النصيحة » ، وأنه ليس من الدين ولا من العقل أن نعرض العامة للخوض فى الأدلة ، والموازنة بين المجتهدين ، فذلك ليس من شأنهم ، ولا هو فى متناول قدرتهم ، ولا نتيجة له غير ضعف الثقة بأئمتهم وتشكيكهم فى دينهم وعقيدتهم».

فقلت هذه الاراء لتفهم روح الشيخ فى فتواه ، ولتعرف ضيقة ممن يتصدرون للافتاء دون مقومات ، وقد يظن ظان أن « الدجوى » يجمد عند آراء السابقين دون أن يعمل فيها رأيه النافذ ، ولكن واقع ما أصدره من الاحكام يدل على سعة النظر ، وثقوب الفكر ، وشمول الاطلاع ، ونستشهد بجواز تشريح الميت عند الضرورة ، اذ اختلفت الانظار فى حكم التشريح منذ ستين عاما ، وأصدر المفتى الاكبر الاستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعى رحمه الله فتواه بعدم الجواز ، ولكن الشيخ الدجوى اباحة قائلا أن نصوص الفقهاء فى التراث القديم لم تتعرض له ، ولكن العارف بروح الشريعة وما تتوخاه من المصالح وترمى اليه من الغايات يعلم أنها توازن بين المصلحة والمفسدة ، فتجعل الحكم لأرجحهما على ما تقضيه الحكمة ، ويوجبه النظر الصحيح ، ومن نظر الى ضرورة التشريح فى بعض المواقف كما اذا اتهم شخص بجناية على الآخر ، وقد يبرأ من التهمة عندما يظهر التشريح ، أنه غير جان يجد أنه لا مفر منه ، وقد قرر الفقهاء أن الميت اذا ابتلع مالا جاز شق بطنه لاخراجه ولو كان مالا قليلا ، ويقدره بعضهم بنصاب السرقة ، فاذا قسنا ذلك المال الضئيل على ما نجنيه من فائدة التشريح ،وجدنا وجه الجواز واضحا ، على أن الواجب أن نقتصر فيه على قدر الضرورة فحسب .

هذا لب الفتوى وقد عورضت بفتوى العلامة الشيخ محمد بخيت (١) اذ ذكر نصوصا لابن



(١) مقالات وفتاوى جـ ٢ ص ٤٣٥

(٢) مقالات وفتاوى جـ ٢ ٤٩٦

قدامة والشيرازى والرافعى والنووى ، وأسهب فى التحليل ينتهى الى قوله « ومن هذا يعلم أن التشريح الذى من لوازمه شق البطن لا يجوز ، نعم ان فتح البطن لاجل العلاج الطبى يجوز لانه محافظة على الحياة فلا اهانة فيه (١) » .

وقد اضطر الشيخ الدجوى الى أن يعيد الكلام فى مقال آخر تأييدا لفتواه ، فذكر من الأدلة القوية ما يؤكد منحاه فى جواز التشريح عند الضرورة ، وكان مخلصا للحق حين قال فى مطلع حديثه :

« على أننا صرحنا بان ذلك (جواز التشريح) مبنى على قياسنا مسألة التشريح على مسألة المال الذى ابتلعه الميت فان كان ذلك القياس صحيحا فلله الحمد على توفيقه وان كان غير صحيح فهو مردود على مرتئيه ، ولا شىء علينا بعد أن تبين أن هذا هو رأينا الخاص ، ونرى من الاخلاص للدين والعلم أن نقول : ان مثل هذه المسألة محل اجتهاد يصح أن تختلف فيها الأنظار » .

وللأستاذ فتاوى مشتهرة فى الوصية والوقف والطلاق والبيع والقرض والربا والميراث ؛ وقد طال النزاع بينه وبين مخالفيه فى مسألة التوسل ، وهى احدى المسائل التى عارضها الشيخ محمد رشيد رضا معارضة ساخنة وانحاز اليه فريق هاجموا الشيخ فى ضراوة وظهرت كتب خاصة تقدح فى الشيخ الدجوى قدحا منكرا ، وكان الاولى أن يلتزم المناقشون بآداب الاسلام ، وحقوق المناظرة ، واذا كان الشيخ الدجوى قد أخطأ (على سبيل الفرض) فهو مجتهد له أجره ، ولن يلزم أحدا بما قال .

هذا وقد حرر الشيخ باب التفسير فى مجلة الأزهر حينا من الدهر ، وكان الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالى يتولى تحريره من قبله ، ولكل من الشيخين الجليلين منحاه الخاص ، فللاستاذ الجبالى رحمه الله بيانه المشرق ، وسلاسته الطيعة ، وأخاذته الوافية ، ظهر ذلك جليا فيما تداوله من تفسير سور النور والحجرات والرعد ، ولقمان ، اذ جاء ما كتب آية من الآيات ، وليت أحد العلماء يقوم بجمعه محتفا فى كتاب خاص .

وأظهر فارق بين تفسير الجبالى وتفسير الدجوى أن الاول يعيش فى نطاق النص القرآنى .ى يعالج تفسيره ، اما الشيخ الدجوى فقد تأثر بأبى حامد الغزالى رضى الله عنه اذ يقوم باستطرادات وافية ، هى فى حد ذاتها رائعة قوية ، ولكنها لا تتصل بالنص القرآنى مباشرة ، ويجوز أن تقتطع لتكون عظة دينية شافية ، ولعل الرجل الكبير يميل الى التأثير الوجدانى بعد الشرح المنطقى ، ليجذب القراء الى صفاء نقى شفاف ، وقد تناول على صفحات مجلة الأزهر تفسير سور

(١) مجلة الازهر ، المجلد السادس سنة ١٣٥٤ ص ٦٢٢

الأعلى والعصر والاخلاص والشمس ، والانشراح والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والهمزة وقريش والماعون والكافرون ! وفى بعضها قد أوجز ، وفى بعضها الآخر قد أطال مستطردا ، فقد احتل تفسير سورة الأعلى ما بين ص ١٢٠ الى ص ١٧٥ من مجموعة آثاره .

وقد بدأه بتحديد العناصر الاجمالية للسورة الكريمة فحصرها فى أربعة ، وشرع فى البيان التفصيلى آية آية ، وحين تحدث عن « العلو » المفهوم من قوله (الأعلى) اتسع المجال الى ايضاح مذهب السلف ومذهب الخلف ، وشرح أدق مسائل علم الكلام فى وضوح يناسب قارئى مجلة سيارة ، ثم لجأ الى الاستطراد معترفا بذلك لانه فى مقام تصحيح العقيدة فذكر الأدلة على وجود الله وتنزيهه ، وأنه لا شئ مثله وجال جولة موفقة ختمها بقوله (١)

« وقد شط بنا القلم ولكن الى مادعت اليه الحاجة ، وأوجبته الضرورة ، واقتضاه جهل كثير من الناس فى هذا العهد الذى تراكمت ظلماته ، وتعاظمت آفاته ، وتكاثر مدعوه ، وقل منصفوه ، فالى الله المشتكى ، وبه المستعان »

نذكر هذا القول لنؤكد أن المفسر الكبير كان يستطرد عن عمد ، اذا دعت الضرورة الى الاستطراد والذين يطلبون منه التركيز فى نقطة محددة ينسون أن الناس مشارب وأذواق وقارئ التفسير فى مجلة دينية يتطلب هدوءا واسترواحا ينعشان الوجدان ، وهذا ما يدعو الشيخ الى التكرار فى بعض المواقف فقد ألم فى تفسير سورة الاخلاص ببعض ما اتجه اليه فى تفسير سورة الأعلى ، لأن تطهير العقيدة فى رأيه فرض محتوم ، ومن استطراداته فى مجال هذه السورة ما كتبه عن محبة الله ، وتعداد نعمه الكثيرة ، والاستدلال ببدائع الصنعة على قدرة الصانع ، ناقلا من الأشعار الرائعة ، والحكم الفائقة ما يهز القارئ مستشهدا بمبدعات الكون من شمس وقمر وبحر وجبل ، وكل ذلك لا يتصل بتفسير السورة بسبب قريب ، ثم ختم التفسير بما سماه « داعى المقام » فنقل عن علماء أوروبا وفلاسفتهما ما يثبت عظمة الله وكماله ، وأطال فى ذلك ، وعذره أن بعض الناس حينئذ كانوا يؤمنون بمقدرة الاوربيين ، واهتدائهم الى الحق فى تؤدة ويقين ، فاذا أتوا بما يؤيد العقيدة فى القدرة والوجدانية فالاستئناس بأقوالهم سديد !

وقد دارت معارك فكرية فى النصف الاول من هذا القرن تعرضت للمأثور من كتاب الله ، وصحيح التشريع ، فكان للاستاذ يوسف الدجوى مقام كريم فى نصر الشريعة الاسلامية ، حيث خص كتاب (الاسلام وأصول الحكم) بمقالات رنانة نشرتها الصحف اليومية ، وجمعت عقب ذلك فى كتاب



---

(١) مقالات وفتاوى جـ ٢ ص ١٣٠

خاص وفى الطبعة الأخيرة من كتاب (رسائل السلام) ملحقان هامان لم يكونا بالطبعة الأولى ، اذ نشرت الصحف خلاصة لما كتبه الأديب الانجليزى (هـ • ج • ويلز) فى مؤلف تاريخى عن الاسلام ورسوله ﷺ وفيها تخرصات باطلة لم يوح بها اطلاع بسيط ولكنها آلمت كثيرا من النفوس بأوربا وبالشرق اذ أرسل دكتور « مصرى الى الاستاذ الدجوى ترجمة وافية لما قال ويلز ، ودعاه الى نقضها بالدليل فكتب الشيخ عدة مقالات تدحضها ، ونشرها بأعداد متوالية من جريدة المقطم سنة ١٩٢٣ ثم طبعها فى الملحق الأول بكتاب (رسائل السلام) (١)

وقارىء مقالات الدجوى يعجب لبحاثه انجليزى كبير يكتب عن الاسلام متتبعا بمصادر سيئة تحرف الكلم عن موضعه ، وتذكر عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم من الجهالات ما يختلق اختلاقا لحاجة فى النفس دون رجوع الى سند صحيح ! وصاحب الكتاب يتحدث عن موجز تاريخ العالم بأكمله ، فاذا كان ماكتبه عن الغابرين من اعلام التاريخ فى الشرق والغرب يشبه ماكتبه عن نبى الاسلام ، فقد ملأ كتابه الضخم بالاباطيل ، وقد تردد ماكتبه ويلز عن نشأة نبى الاسلام والاسراء وحادث الغرانيق، وزواج الرسول بصفية بنت حيى فى كتب كثيرة، لكتاب حاقدين ، ولكن الدجوى وأمثاله من المحققين ، قد كشفوا عن الحق زيف الباطل ، وطهروا تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم من شبهات المفترين •

أما الملحق الثانى فخاص بنقد الاستاذ ما كتبه الاستاذ محمود عزمى عن الشريعة الاسلامية، اذ كتب فى الاهرام مقالات يدعو فيها الى ترك الشريعة الاسلامية جانبا ، واتباع قوانين الغرب فى مسائل الطلاق والميراث وما يعرف بالأحوال الشخصية ، ووجد من فسح له مجال المحاضرة فيما ادعاه ، فكتب وحاضر وكاثر بشيعته التى له ، فنشر الشيخ الدجوى نقدا ناصفا بادعاءاته ، وبين أن الاستاذ محمود عزمى يتحدث عن الشريعة الاسلامية دون أن يدرى عنها شيئا ، وذكر موقف الاسلام من الربا والخمر والزنا، وكيف ينتظم مسائل الحياة ليرسم لها النهج الصحيح ، ثم دعا الى اقامة مناظرة فكرية بين مناوئى الشريعة وبينه فى مجلس حاشد يؤمه أرباب الفكر فى مصر ، ليدلى الاستاذ عزمى بآرائه ، وليستمع الرد عليها، ثم يصدر المستمعون حكمهم العادل وفق ما يقتنعون به ! وطبيعى أن يحجم الاستاذ عزمى عن مثل هذه المناظرة ، لانه ألف أن يتحدث فى وسط خاص يتابع هواه ، ويصفق له : أخطأ أم أصاب •

هذا بعض ما ناضل به الاستاذ الدجوى فى سبيل الله ، وقد نسيه أبناء اليوم فلم يرجعوا

(١) رسائل السلام ص ٢٢٢ وما بعدها •

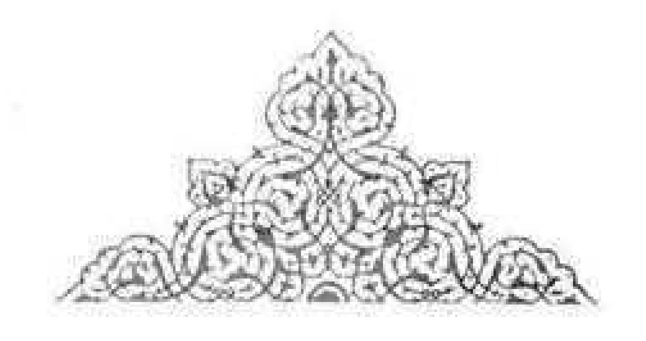
الى صحائف علمه : ومصادر نضاله ، وما أظن أحدا خصه بالتحليل الناقد منذ وفاته سـنة ١٩٤٦ م وقد مضى على رحيله أربعون عاما ! وأذكر أن الدكتور زكى مبارك كتب عنه كلمة قصيرة فى كتاب (الاخلاق عند الغزالى) قال فيها (١) .

« الاستاذ الشيخ يوسف الدجوى عالم من هيئة كبار العلماء ، وهو ذو نفوذ كبير فى الأزهر والمعاهد الدينية ، وأكثر العلماء المختارين اليوم من تلاميذه ، ومن الخطأ أن تعرفه من مؤلفاته ، لأنها مع قلتها ضعيفة ، ولأن الفرق بعيد بين ما يقوله فى دروسه الخاصة ، وبين ما يدونه فى تلك المصنفات ، اذ كان يريد أن يصل بكتبه الى أفهام الجماهير .

ثم قال : ويكاد يعد الشيخ الدجوى خليفة للغزالى فى هذا العصر ، ففيه تقريبـــا كل خصائصه من القدرة والاخلاص ، وقوة النفوذ ، وبغض الفلسفة ، والحذر من أن يتجاوز العقل ما له من حدود .

والدكتور ـ فى ظنى ـ يعنى بالمؤلفـات الضعيفة ما نشره الاستاذ لهداية العامة من مباحث خفيفة تلائم وجهة أنظارهم ، وميدان العامة فسيح يجب الا نتركه لغير الفاقهين ، واذا كان الدكتور زكى مبارك يرى أن الدجوى يعد خليفة للامام الغزالى فى هذا العصر ، اذ فيه كل خصائصه من القدرة ، والاخـلاص ، وقوة النفوذ ! فما أظن اطراء صادقا يبلغ هذا الاطراء ، ولعلى ذكرت أن استطرادات الدجوى ذات نفحة غزالية تذكرنا بكتـاب احياء علوم الدين ، وهو ما يلمسه الدارس الحصيف .

د. محمد رجب البيومى



(١) الاخلاق عند الغزالى ص ٣١٩ ط دار الكاتب العـربى .

شهادة كبار الفلاسفة للإسلام

برنارد شو يعتقد بأن أوربا ستدخل فيه

« الفضل ما شهدت به الأعداء » والعداوة هنا ليست عداوة حرب . ولكنها عداوة فى العقيدة . ان جاز هذا اللفظ .

فقد يكون شخص ما . معاندا . أومكابرا ، اما بطبعه . او بتأثير البيئة او بحكم الظروف المحيطة . او بتأثير عوامل خارجية أخرى .

وكلمة الحق ليس لها شخص معين . ذو مواصفات محددة . فقد يجريها الله على قلب شخص ما ولسانه اذا كان الغرض منها . اصلاح معوج أو تقويم مائل . أو هداية ضال او اضاءة شمعة تبدد ظلام التيه الذى يتخبط فيه بعض الناس .

وكتاب الغرب وفلاسفته المنصفون عرفوا الكثير عن الاسلام ونبى الاسلام وذلك من خلال تعاليمه . وسننه . وشريعته . بعد بحث ودراسة وهداهم بحثهم . ودلتهم دراساتهم . على ما فى الاسلام من سمو . وعظمة . وخلود . ان صلاح العالم لن يكون الا بالدخول فى دين الاسلام .

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ » (١) .

قال الكاتب ــ رحمه الله :

برنارد شو الكاتب الفيلسوف الانجليزى لا يحتاج لتعريف ، فهو ليس برجل عظيم فحسب ، ولكنه طليعة الأفذاذ ، والعالم كله يهتم بقراءة أخباره . ومن أخص مميزاته آراء جريئة يبديها بصراحة لا يستطيعها غيره . وهو ممن يعتقد عقيدة راسخة بأن الأمة الانجليزية

---

١ ــ الانعام ١٢٥ ــ ١٢٦



إعداد: الأستاذ عبد الفتاح الزيات

ستدخل فى الديانة الاسلامية قبل أن ينتهى هذا القرن .

ولقد وقفنا على حديث له فى رسالة انجليزية تحت عنوان « نداء للعمل » كشف فيها القناع عن عقيدته فى صلاحية الاسلام لجميع الأمم ، وفى كل الأطوار التى تدخل فيها فى أى مكان وزمان .

فقال فى ذلك الحديث أثناء سياحته فى بمباى:

[صلى الله عليه وسلم]

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس .

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوات كبار الرجال . ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم . وقد صور اكليروس القرون الوسطى الاسلام بأحلك الألوان ، اما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم .

« ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح . ولقد درسته **باعتباره رجلا مدهشا** فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الانسانية . وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجل مثله دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما . ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال (كارلايل) و (جوت) و (جيبون) القيمة الذاتية لدين محمد*، وهكذا وجد تحول حسن فى موقف أوروبا من الاسلام ولكن أوروبا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفى القرن التالى ربما ذهبت الى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشاكلها . فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوتى . وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ومن أهل أوروبا قد دخلوا فى دين محمد ، حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوروبا الى الاسلام قد بدأ » انتهى .

يرى القارئ مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برنارد شو يعتقد عقيدة راسخة فى أن أوروبا قد بدأت تعشق الاسلام ، وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينا لها ، وعهدت اليه فى حل مشاكلها .

وأحسن ما قاله فى حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها .

فهذه الأقوال لا تصدر الا من رجل يكون قد

عرف حقيقة الاسلام ، وشعر كيف يؤثر بجماله على القلب ، ويتسلط بجلاله على النفس .

وليس (برنارد شو) أول من شعر بهذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم « جوت » الفيلسوف الألمانى المشهور المتوفى سنة (١٨٣٢ م) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبعد نظر ، يؤثر عنه انه نظر فى الاسلام فأعجبه فقال : « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » . وليس يخفى أن الألمانيين فى ذلك العهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

مما يلفت نظر الباحث الاجتماعى فى حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : ان أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الاسلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : انه لو تولى رجل على مثل صفات محمد ﷺ دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما ، فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها ، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير ، فان القرآن الكريم أرشد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معتدلا لا يدع للافراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبى ﷺ بتطبيق ذلك النظام الالهى على الآحاد الذين اتبعوه ، فألف منهم أمة ما فتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العلى فى كل مجال من مجالات النشاط العقلى والمادى ، حتى انتهت اليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح فى معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ﷺ فيطبق عليها ما أرشد القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

هذا كلام لا غبار عليه ، وقد رددناه فى افتتاحياتنا هنا وقرناه بالأدلة العلمية المحسوسة فاذا صح هذا فى الأمة الاسلامية الأولى وصح على الأمم الأوروبية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الاسلامية الراهنة فتسترد به مجدها الضائع ، وتستعيد فتاءها الزائل ، وتصبح جديرة بالانتساب لأسلافها الأولين ؟ وهذا ما رددناه كثيرا ونردده فى كل فرصة ، وبالله التوفيق .

ان أكبر المسائل الاجتماعية التى تهدد مدنية أوروبا فى العصر الراهن المسألة الاقتصادية ، فان النظام الرأسمالى المتطرف الذى يقوم عليه الغرب قد استدعى فى الأزمنة الأخيرة أن يتولد فى السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لاتقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التى تبنى نظرياتها على الأصول الاقتصادية الا لتترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب فى جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات ، مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات .

ولما كان من شأن الأمراض الاجتماعية أن تستشرى وتعضل اذا لم تستأصل جراثيمها ، فان هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت فى مزاعمها ، وتبسطت فى مدعياتها ، قد استحالت الى برامج انقلابات خطيرة تهدد وظائف المجتمعات بالدك عند سنوح أقرب الفرص ،

وقد أفضى التناهي ببعضها الى الشيوعية البحتة .

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة، وتؤدى الى تداعي بناء المدنية العربية وسقوطها عند أول صدمة ، فاذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر .

وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الاسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرنا قبل أن توجد المجتمعات الأوروبية الحالية ، وقبل أن تستفحل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة ؟

نعم : لقد شرع الاسلام للعالم نظاما تعاونيا حكيما فيه كل ما فى المبدأ الراسمالى من حسن ونافع ، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب ، فجاء نظاما حاصلا على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشيء من مساوئهما .

فاذا كان النظام الراسمالى يغمط حق العمل فى الانتاج ، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعي العام .

واذا كان المذهب الاشتراكي يتغابى عن مكان رءوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للامم ، ويرى أن من الواجب هدمه ، وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعي العام ، متعاميا كلاهما عما يترتب على تطرفهما من النتائج الخطيرة .

فان الاسلام لم يغفل ذلك أصلا ، فأتى بنظام حكيم يقر رءوس الأموال الفردية من ناحية ، ولا يغضى عن المحرومين منها ، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى . فكان هذا الحل كما ترى وسطا جامعا لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين . وخالصا من عيوبهما ، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة ، ويبطل تناحرهما عليها ، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة ، ويسود بين فريقيها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية ، ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الاسلام ركنا من أركانه.

فماذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض فى مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها ؟

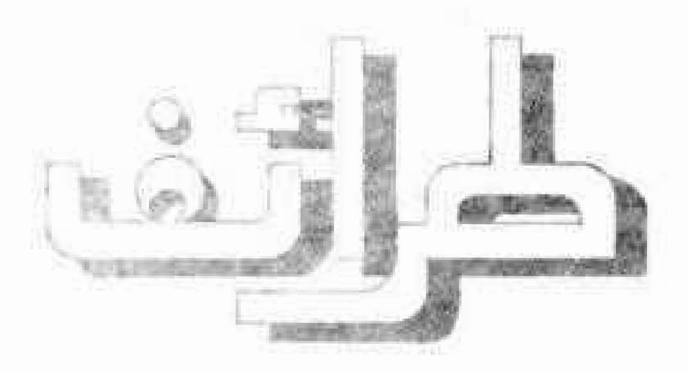
وماذا يبغى صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله فى مقابل حصة من ربحه يؤديها لحكومة تضعها مواضعها ، مما نص عليه الكتاب فى آية الزكاة المعروفة «**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ** (أى الزكاة المفروضة) **لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا**» الخ الآية الكرية ؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنابذين سلاحا يشهره فى وجه منافره ، ولا يترك له طريقا الى ملاحاته .

فهذه علة من العلل التى يعنيها الفيلسوف (برنارد شو) ويقول انها تشفيها متى أخذت أوربا بالاسلام وعملت به . وفيها علل أخرى لكل منها دواء خاص فى الاسلام لا يتسع المقام للكلام عنها فى عجالة واحدة ، فندخرها لفرص أخرى ان شاء الله .

وبعد : أفلا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .





خوف الله

قال أعرابي لسيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ يستعطفه :

يا عمر الخير جزيت الجنة
اكْسُ بُنَيَّاتِي وَأُمَّهُنَّهْ
وكن لنا من الزمان جُنَّة
أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر : واذا لم أفعل ؟

فقال : اذن أبا حفص لأذهبنه

فقال عمر : واذا ذهبت ؟

فقال :

يكون عن حالي لتسألنه
يوم تكون الأعطيات منه
وموقف المسئول بينهنه
اما الى نار واما جنة

فبكى عمر .. ثم قال : ياغلام أعطه قميصي هذا .. لله لا لشعره ، والله لا املك غيره .

مؤهلات السيادة

قال أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه : انما يستحق السيادة من لا يصانع ولايخادع ولاتغره المطامع .

وقال معاوية ـ رضي الله عنه ـ لعرابة الأوسي : بم سدت قومك ؟

فقال : لست بسيدهم . ولكني رجل شددت على يد حليمهم . وعطفت على ذي الخلة منهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي ، ومن قصر عني فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزني فهو أفضل مني .

وقد مر رجل بأهل البصرة .

فقال : من سيدكم ؟

قالوا : الحسن .

قال : بم سادكم .

قالوا : احتاج الناس الى علمه ، واستغنى هو عن دنياهم .



فى طلب الحاجـة

كتب رجل من أهل البصرة الى أخ لـه ، أما بعد :

فـانه يسـهل على طلب الحـاجة أمران فيك ، وأمران لى ، وأمر من قبل الله وبـه تمامهما .

فأما اللذان فيك : فاجتهادك فى النجـح ، ومبالغتك فى الاعتذار .

وأما اللذان لى : فانى لا أضيق عليك بعذرى ولا أهون عنك شكرى .

وأما الذى من قبل الله ـ عز وجـل ـ فايمانى بأن كل مقدور كائن والسلام .

أمهـات

يقال :

أمّ الطعام للحنطة .

وأم الخل للخمر .

وأم شملة للشمس .

وأم الندامة للعجلة .

وأم عامر للضبع .

وأم الفضائل للعلم .

وأم الرذائل للجهل .

عشر خصال فى عشرة أصناف

عشر خصال فى عشرة أصناف من الناس أقبح منها فى غيرهم :

الضيق فى الملوك .

◄

طرائف

والغدر فى الأشراف ·
والكذب فى القضاة ·
والخديعة فى العلماء ·
والغضب فى الأبرار ·
والحرص فى الأغنياء ·
والسفه عند الشيوخ ·
والمرض فى الأطباء ·
والزهو فى الفقراء ·
والفخر فى الفقراء ·

حقيقة

نظر رجل من الحذاق الى رجل من جهال الناس عليه ثياب حسنة ،ويتكلم ويلحن ·
فقال له : تكلم على قدر ثيابك ، او البس على قدر كلامك ·

حقا

عليك اذا ضاقت امورك والتوت
بصبر فان الضيق مفتاحه الصبر

ولا تشكون الا الى الله وحده
فمن عنده تأتى الفوائد والنصر

من أشعر الناس ؟

قيل لبعض الشعراء : من أشعر الناس ؟

قال : النابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، وجرير اذا غضب ، وعنترة اذا ركب ·

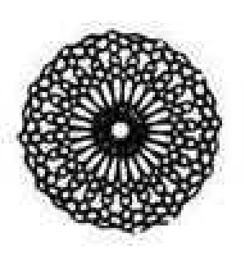
قال عبد الملك للفرزدق : من أشعر الناس فى الاسلام ؟

قال : كفاك بابن النصرانية اذا مدح
(يريد الأخطل شاعر بنى أمية النصرانى)

دعاء

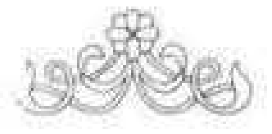
اللهم هب لى حقك ، وأرض عنى خلقك ، وهب لى الاصلاح فى الولد ، والامن فى البلد ، والعافية فى الجسد ، انك سميع مجيب ·

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

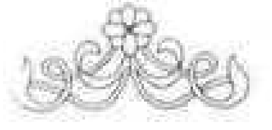


اللغة والأدب والنقد

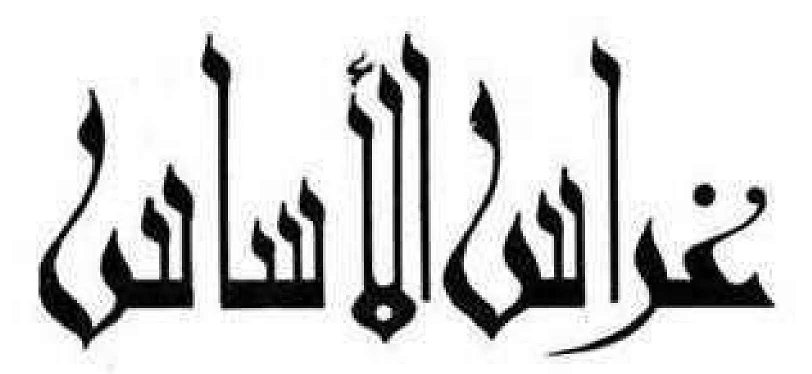
من روائع تراثنا المخطوط



الأدب السواحيلي أدب إسلامي



الغفران وتوظيف التراث



باب الباء — ٢ —

* (بتر) لبتــه اعارنا أبتريه : عبده وحماره (١) .

* (بثّ) بثثتــه ما فى نفسى ابثــه وابثثته اياه وباثثته سرى : أطلعتـــه عليــه . وكانت بيننا مباثثة (٢) ، وبث الخبر (٣) : أشاعه .

* (بثق) انبثق عليهم بنوفلان : اذا اقبلوا بغتة . وانبثق بالشر (٤) .

* (بجّ) بج الكلأ الماشية : اذا فتق خواصرها سمنا .

* (بجد) : فلان عالم ببجـــدة أمرك : أى بحقيقته ، من بجد بالمكان اذا طالت اقامته به . ويقال بالعارف الأرض : هو ابن بجدتها (٥) .

* (بجر) : ألقيت اليه عجرى وبجرى : أى أطلعته على معايبى . وأصل العجر : ما تعقد من العروق الناتئة ، والبجر : ما تعقد منها على البطن خاصة .

* (بحّ) : فى صـــوته بحة ، ورجـــل أبح الصوت . واذا وصـــف الجماد بذلك كان من المجاز : كالعودّ اذا غلظ صوته .

* (بحر) : استبحر المكان : اتسع وصـــار كالبحر فى ســـعته ، وتبحر فى العلم واستبحر فيه . واســـتبحر الخطيب : اتســـع له القول . ودم بحرانى : أسود ، نسب الى بحر الرحم وهو عمقه . وامرأة بحـــرية : عظيمة البطن ، شبهت بأهل البحرين (٦) وهم مطاحيل .

* (بخع) بخعــه الوجد : اذا بلغ منــه المجهود ، قال الشاعر :

الا ايها الباخع الوجد نفسه (٧) .

---

(١) هما ابتران : لقلة خيرهما .
(٢) فى الاســاس : مباثة ومنافثة .
(٣) فى الاصل : الخبر بالباء .
(٤) فى الاصل : بالشر .
(٥) عبارة الاســاس : يقال : اصبح فلان باجدا بأرضه : اذا كان لايدأبها لايريم . ويقال للخريت : هو ابن بجدتها .
(٦) فى الاصل : شـــبهت بأهـــل البحـــر . وفى الاســاس : بأهل البحرين ، وهم مطاحيل عظـــام البطون .
(٧) أنشده ســيبويه ، والبيت لذى الرمة ، وتمام البيت : لشىء نحته عن يديه المقادر .



وبخعت له نفسي ونصحي : جهدتهما • وبخع بالحق : اذا أقر (١) •

* (بدّ) استبد الامر بفلان : اذا غلبه فلم يقدر على ضبطه • وقال بعضهم : (٢) خرجت ابدد : نفى بذلك عن البول •

* (بدع) : أبدعتْ حجتُك : اذا ضعفت • وأبدع بي فلان : اذا لم يكن عند ظنك به في أمر وثقت به في كفايته واصلاحه •

* (بدأ) : بدأت عيني فلانا : ازدرته ولم تقبله • ووصفت لي أرض فلان فما بدأتها عيني •

(بذر) ان هؤلاء لبذر سوء : أي نسل سوء • ومال مبذور : كثير وبذرت الارض : أخرجت نباتها متفرقا • وأرض أنيثة (٣) مبذار النبات : لذات الربع • ولو بذرت **فلانا لوجدته رجلا : أي لو جربته وقسمت** أحواله • وفلان من المذابيع البذر : جمع بذير (٤) ، وهو الذي يفشي السر •

* (بذل) : يقال لهذا الفرس صون وبذل : أي يصون بعض جريه ، ويبذل جريه ، لا يخرجه دفعة ، وهذا وصف مدح • ويقال : صونه (٥) خير من بذله : أي باطنه خير من ظاهره •

* (بذم) : ويقال : فلان ماله بذم : أي حزم •

* (برح) هذه فعلة بارحة : لم تقع عن قصد • وقولهم : برح الخفاء : أي وضح الامر وزال خفاؤه •

* (برد) : برد لي على فلان حق : أي وجب ومنه : لا يبالون ما يبردوا عليك (٦) • وبرد فلان في أيدي من أسره : اذا لم يفدوه • وضربته حتى برد (٧) • وبرّد ظهر فرسك ساعة : رفّهه عن الركوب • وبَرَدَ مضجعَهُ : اذا تركه • ولا تبرد عن ظالمك : لا تخفف عنه بدعائك عليه (٨) • وبردت عظامه : اذا هزل وضعف ومنه بارد العظام • وجاءنا فلان باردا مخه • ورعب فبرد مكانه : اذا دُهش • وبرد عليه الموت : بان أثره (٩) • واستبرد (١٠) لساني عليه : أرسلته كالمبرد • ووقع بينهما قد برود ثمينة (١١) : اذا تخاصما ، وهو مثل في شدة الخصومة • وفلان يبرد به : أي يطيعه •

---

(١) في الاساس : اذا اقر اقرار مذعن ، بالغ جهده في الاذعان به .
(٢) القائل هو مرشد بن معضاد الخفاجي •
(٣) في الاصل أنيثه .
(٤) في الاساس : جمع بذور •
(٥) في الاصل : صونه بالثاء .
(٦) عبارة الاساس : ما بَرَدوا عليك : أي ما اوجبوا واثبتوا .
(٧) في الاساس : حتى برد : وحتى جمد .
(٨) ومنه الحديث الشريف : «لاتسبخي عنه» .
(٩) في الاصل : بان أبره .
(١٠) في الاساس : واستبرد عليه لساني .
(١١) في الاساس : برود بمضة : بمعنى غالية .

غراس الاساس

* (برّ) : برت السلعه : اذا نفقت .

* (برز) : خرج الى البراز : أى الغائط .

* (برص) : أرض برصاء : عارية من النبات . وبرّص رأسه : حلقه .

* (برض) تبرّض فلان حاجته : أخذها شيئا بعد شيء . وفلان يتبرّض بالقليل : يتبلّغ به (١) .

* (برطل) : رأس مبرطل : طويل من البرطيل وهو الحجر المستطيل . وألقمه البرطيل : وهو الرشوة ، وفى المثل : البراطيلُ تنصر الأباطيل .

* (برق) : فلان يبرق لى ويرعد : اذا هدد . وابرقت وأرعدت (٢) . اذا تزينت . ورأيت فى يده بارقة : أى سيفا . والجنة (٣) تحت البارقة أى تحت السيف وأرسل برقاويه أى عينيه اذا بكا (٤) وبرق عينيه : فتحهما (٥) جدا . وكله من اللمعان (٦) .

* (برك) : ابترك الفرس فى عدوه : اذا اجتهد . ومن المجاز : ابترك فى عرض فلان : اذا استغاث به (٧) . وابتركوا فى الحرب : اذا جثوا على الركب .

* (برم) : أبرم الأمر . وأمر مبرم . وبَرِمَ فلان بحجته : اذا لم تحضره . ويقال للعيى (٨) برم اللسان . وأمر سحيل ومبرم . والأصل الخيط : فان كان طاقا واحدا فهو سحيل ، وان كانا طاقين فهو مبرم اذا فتلا حتى صارا واحدا .

* (بره) أقام عندنا بريه بريهة : أى ابراهيم (٩) .

* (برى) برى الناقة بالسير وبراها السفر وناقة ذات براية : فيها بقية بعد برى السفر لها . وانك لذو براية ، وفلان يبارى الريح كرما . وأعطته الدنيا بريها (١٠) : اذا تمكن منها وحظى بها .

* (بزخ) : تبازخ (١١) عن الامر : تقاعس .

* (بزر) : مثلى لا تخفى عليه أبازيرك : أى زيادة القول (١٢) . وقد برز فلان كلامه وتوبل . ويقال للرجل المريب : البازور .

* (بزّ) : بزه ثوبه : استلبه ، ومنه : من عز بز . وجيء به عزا وبزا : أى حزما لا محالة فيه . ورجعت الامارة بزّيزى : أى لا تؤخذ بالاستحقاق (١٣) .

* (بزل) : بزل الامر : استحكم . وأمر بازل ، ويقال ، خطب بازل : لا تلقيه الا الى قارح (١٤) . وتقول : نزلت بى نازلة ،

---

(١) فى الأصل يتبلغ فقط بدون الجار والمجرور .
(٢) فى الأساس : وابرقت لى فلانة وأرعدت : اذا حسنت لك وتعرضت .
(٣) فى الأصل : الجبن تحت البارقة .
(٤) فى الأساس : أى عينيه ليرق لوتبهما .
(٥) فى الأساس : فتحهما جدا ولمعهما .
(٦) زيادة ليست فى الأساس .
(٧) فى الاصل : اذا استغابه بدون الثاء .
(٨) فى الأصل : للعى .
(٩) فى الأساس : يريد مصغر ابراهيم على الترخيم حكى عن الفراء .
(١٠) فى الأساس : بِرتها .
(١١) فى الأصل : تبازح بالحاء .
(١٢) فى الأساس : أى زياداتك فى القول ووشاياتك .
(١٣) كل ما ذكر فى هذه المادة عده الاساس من الحقيقة لا المجاز ص ٣٨ ، بينما عده ابن حجر من المجاز .
(١٤) فى الأساس : خطب بازل لا يكفيه الا رأى قارح .

وما عندهم بازلة (١) : أى بلغة تبزل حاجتى أى تقضيها •

❋ (بسر) ابتسر الحاجة : طلبها قبل وقتها • وابتسر الفحل الناقة : ضربها من غير ضبعة وابتسر الجارية : اقتضها قبل الادراك • وغلام بُسُرٌ : غض الشباب • والشمس بسرة : أى شديدة الحمرة والشعاع • وان خرجت فيك بثرة فلا تبطلها (٢) •

❋ (بسّ) : بس عليه عقاربه : اذا أرسل عليه نمائمه • والترهات البسابس : الأباطيل •

❋ (بسط) : انبسط وانقبض : اذا انشرح وحزن • وبسط عليهم العذاب : أى أوسعه • وزاده بسطة فى العلم : أى فضلا • وبسطنى الله عليه : فضلنى عليه • وبساط الأرض : اتساعها • وفلان بسيط الباع واللسان • وحفر (٣) قامة باسطة وبسطة : وهو أن يمد يده • وفرش لى فرشا لا يبسطنى : أى لا يسعنى • وباسطه مباسطة • ويده بُسُطٌ بالعطا (٤) •

❋ (بسق) : بسق على أصحابه : طالهم بالعطاء (٥) • ولفلان سوابق وعُلاً بواسق • ويقال : لا تُبَسِّق علينا : اى لا تطول •

❋ (بسل) : نبيذ باسل : أى شديد • وغضب باسل (٦) •

❋ (بسم) : تبسم البرق • وتبسم الطلع : تفلقت (٧) أطرافه • ويقال : ماتبسمت منه (٨) : أى ما ذقته •

❋ (بشر) : بَشَرَةُ الأرض : ما يخرج من نباتها فيلبسها • تباشير الصبح : أوائله • وفيه مخايل الرشد وتباشيره • وتباشير النخل : بواكيرها • وهبّت المبشرات وهى الرياح التى تبشر بالغيث • وباشر الامر : حضره بنفسه • وباشر النعيم بشر فى فلان بخير : اذا أعطى •

❋ (بشع) رجل بشع الخلق والمنظر • وامرأة بشعة القيم : اذا تركت التخلل والاستياك • ونحت العمود (٩) حتى ذهب بشعه • وقد بشع الوادى بالناس : اذا ضاق بهم ، واستبشعوا المقام فيه •

❋ (بشم) : بشم من كذا : اذا سئم منه •

❋ (بصر) : آية مبصرة ، وأبصر الطريق : اذا بان ووضح • ورتب فى البستان مبصرا : أى ناظرا • وأريته لمحا باصرا (١٠) أى أمرا مفزعا ، وكذا أرانى الزمان لمحا باصرا • واجعلنى بصيرا عليهم : أى رقيبا • ومالك بصيرة فى الشىء : أى عبرة ؟ وله بصيرة : أى فراسة • والبصاير الظنون الصادقة • وذات البصائر • وأتيته بين سمع الأرض وبصرها : أى خلاء (١١) ، قال الشاعر :

◄

(١) فى الأصل بذات بازلة •
(٢) فى الأساس : وان خرجت بك بثرة فلا تيسرها (لا تفقأها) •
(٣) فى الأصل وحز •
(٤) وفى الحديث الشريف : « يدا الله بسطان » •
(٥) فى الأساس : طالهم وفضلهم •
(٦) فى الأصل : عضب بالعين •

(٧) فى الأصل تعلقت بالعين •
(٨) أى اذا كان لايحلى بالعين •
(٩) فى الأساس : ونحت متن العمود •
(١٠) وفى الصحاح : أريته لمحا باصرا : اى نظرا بتحديق شديد •
(١١) فى الأساس : اى خلاء ما يبصرنى ولايسمع بى الا هى •

غراس الأساس

أبصرته على فأبصر قصده (١) .

* (بصص): بصّصَ النور: إذا تفتح . وبصبص عندى بذنبه أي تملق . ما يبص حجره: لم يأتِ بخير . وما بص له بشيء من المعروف . وما عندى إلا بصيصه .

* (بضع) من رضع منك رضعة فهو منك بضعة (٢) . وبضع المرأة وباضعها بضاعا . وملك بُضعها: إذا عقد عليها . وبضعت من الماء حتى رويت . لأنك تقطع الشرب عند الري . قالوا: حتى متى تكرع ولا تبضع . وبضعت عن فلان إذا سئمت من تكرار نصحه فقطعته .

* (بطر): لا يبطرن جهل فلان حلمك: أي لا تجعله بطرا خفيفا . ولا تبطرنّ (٣) صاحبك ذرعه: أي لا تكلفه غيرما يطيقه . وذرعه: بدل اشتمال . وبطر فلان نعمة الله: استخفها فكفرها . ومنه: « بطرت معيشتها » (٤) . وذهب دمه بطرا: أي مبطورا مستخفا، إذا لم يقتص به (٥) وفلان عالم بيطار: أي خبير بالأمر جدا .

* (بطش): يبطش في العلم بباع بسيط . وبطشت بهم أهوال الدنيا . وسلكوا أرضا بعيدة المبانش (٦) وَقِدُوا بمباطشها (٧) . وما أُنقِذوا من معاطشها . وجاءت الركاب تبطش بالأحمال: أي ترجف بها (٨) . وبطش من الحمى: أفاق منها .

* (بطن): لا ترش سهمك ببطنان قرسه (٩) وبطنان الشباب: وسطه (٩) والبطين: بطن الحمل . واستبطن الشيء (١٠) دخل بطنه: كما يستبطن العرق (١١) اللحم .

ونزلوا بطن الوادى، وهم في بطن مكة (١٢) . وبطون العرب . واستبطن الكلأ: توسطه . وتبطن الجارية: جمعها بطانة له . وفلان مجرب قد بطن الأمور: أي عرف حقائقها . وأنت أبطن بهذا الأمر: أي أكثر خبرة . وبطانة الرجل من يطلع على سره . وهم أهل بطانته . والبطانة: ما يجعل تحت الحكم (١٣) من قربة ونحوها . وبزّت به البطنة: أي أبطره الغنى . وفلان عريض البطانة: أى غنى . وشأو بطين: بعيد وتباطن المكان: تباعد .

---

(١) في الأساس: وبصرته بالسيف: ضربته فبصر بحاله وعرف قدره . قال:

قلما التقينا بصر السيف رأسه
فأصبح منبوذا على ظهر صفصف

وهو من معنى قوله:

ارجانه على فأبصر قصده
وكويته فوق النواظر من عل

١ هـ الأساس ص ٤١ .

(٢) في الأساس: من رضع منك .

(٣) في الأصل: لا يبطرن .

(٤) القصص ٥٨ .

(٥) في الأصل: إذا لم يقتص .

(٦) في الأساس: بعيدة المسالك قريبة المهالك .

(٧) في الأصل: وقدوا لمباطشها

(٨) في الأساس: أي ترجف بها .

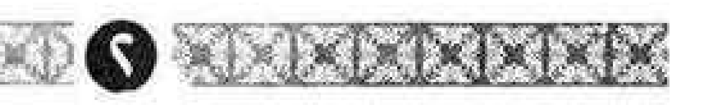
(٩) عبارة الأساس: رش سهمك بظهران ولا ترشه ببطنان .

(١٠) في الأصل: وسط .

(١١) في الأصل: بباطن مكان (الشيء) .

(١٢) في الأصل: كما يستبطن العرب اللحم .

(١٣) في الأصل: ومنه بطن بلدى أى الوادى .



الأدب السواحيلي

أدب اسلامي

الأدب المكتوب

للأستاذ عبدالله نجيب محمد

ازدهر الأدب السواحيلي ازدهارا لم يسبق له مثيل منذ النصف الاول من القرن الثامن عشر واستمر في ازدهاره وتطوره حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريبـــا ، وتعتبر هذه الفترة بحـق العصر الذهبي للأدب السواحيلي .

١ ــ في هذه الفترة ظهر عدد من الادبـاء الأفذاذ على رأسهم «موياكا بن حاجي غـاني» «وسيد أبو بكر عبد الرحمن » المعروف باسـم منصب وسيد عيد روس وغيرهم قاد هـؤلاء الأدباء الحركة الادبية وبلغوا بها الغاية في هذه الفترة كما بلغ الانتاج الأدبي الذروة واستكمل أشكاله الفنية واتضحت الى جانب ذلك أساليبه وفنونه وهذه الفترة أيضا تعتبر من الناحيـة النظرية امتدادا طبيعيا للفترة السابقة والنتيجة المنطقية لما سبقها من الاحداث القومية فهـذه الفترة تواكب انحسار النفوذ البرتغالي حيث نشهد تغلب التيار الاسلامي على هذا النفوذ . وتهيأت الظروف التي مكنت الامارات الاسلامية الجنوبية من التحرر من ربقة الاحتلال البرتغالي ثم بدأ الاسلام يتوغل حقيقيا الى الداخل وبدأ الدعاة ينشرونه في موزمبيق وسفالة (سوفاله) ونفذ الاسلام الى تنيا سلاند كما نفذ الى هضبة البحيرات ودخل يوغندة وتجاوزها الى وسـط افريقيا .

---

١ ــ بعد القرن التاسع عشر تقريبا كتب معظم الادباء انتاجهم باللغات الاوروبية مما دفع عددا من الكتاب الى ان يعيب عليهم هذا الاتجاه وينبههم الى خطورته « الباحث »

وفي خلال القرن الثامن عشر انشئت المساجد في القرى الواقعة على طول الطرق التجارية الموصلة الى بحيرات نياسا وتنجانيقا . ويذكر (هتشنز) أنه لا تكاد تخلو قرية في قلب هذه المنطقة من مسجد للمسلمين ويبدو أن المحنة البرتغالية وما اعقبها من تحرر وانطلاق قد انتجت نهضة ادبية شاملة وصلت الى غايتها في هذين القرنين وفي هذه الفترة التاريخية ايضا استكملت الثقافة السواحيلية شخصيتها وتطورت اللغة السواحيلية حتى بلغت مرتبة عالية من القوة والقدرة على التعبير بما تهيأ لها في العصور السابقة من شعراء وخطباء ومحدثين وغيرهم واكتسبت اعتراف الناس بها كوسيلة للتفاهم والتخاطب والتكلم فكان ذلك عاملا من أهم العوامل التي أدت الى ازدهار الأدب في فنونه وأشكاله وأساليبه المختلفة . والأدب تعبير ومادام الامر كذلك كان ثراء الأدب في هذه الفترة دليلا على ما كان بها من ثراء ثقافي وحضاري وتلك هي الحقيقة بعينها .

ففترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر علاوة على أنها قمة الامتزاج البشري والثقافي كانت أيضا فترة الثراء في المعارف والعلوم والحضارة ففيها افتتحت المدارس وكثر المحدثون والفقهاء والدارسون ورجال العلم وفيها أيضا التقى الأفارقة بالوافدين من العربيين مما اثرى الحياة الأدبية والثقافية .

أغراض الادب السواحيلي الاسلامي :

تعددت أغراض الأدب السواحيلي في هذه الفترة ومع ذلك ظلت متأثرة الى حد كبير بالأدب العربي ويمكن أن تقسم الاعمال الأدبية الصادرة عن تلك الفترة من حيث الاغراض الى :

١ ـ القصص والملاحم .
٢ ـ الشعر التعليمي الأخلاقي .
٣ ـ الشعر الغنائي .

مع ملاحظة أن الغرضين الأولين يدوران في نطاق الدين فالشعر التعليمي والقصائد الحماسية والملاحم قد اتخذت موضوعاتها من الدين والثقافة الاسلامية بصفة عامة .

١ ـ القصص والملاحم :

وجد الأديب السواحيلي في قصص القرآن الكريم مادة غنية استغلها في أهم أغراضه فنجده يتخذ من قصص خلق الكون وخلق آدم وغيرها موضوعات لكثير من القصص والقصائد التي تهدف في المقام الاول الى الوعظ والارشاد وبيان العلاقة التي تربط الانسان بخالقه .

وكذلك اتخذ الاديب السواحيلي من حياة الرسول الكريم ﷺ : مولده ونشأته وزواجه وبعثته ورسالته وغزواته والاسراء والمعراج موضوعات نظم فيها أروع قصائده وأبدع قصصه وخير الامثلة على هذا القصص قصة الاسراء والمعراج وقصة المقداد ومايه وأما الملاحم فأشهرها ملحمة هرقل وملحمة رأس الغول وملحمة أحد وملحمة سيدنا الحسين ابن علي رضى الله عنهما وملحمة هرقل وهي من أقدم ما عثر عليه من شعر الملاحم ، وتسمى أيضا « تبوك Tonbuka » وقد كتبها « بوانا ويونجو بن عثمان » للسلطان النبهاني «فومو لايبتي» سنة ١٧١١ م وهي تتكون من ١١٤٥ بيتا وهي تحكي قصة معركة « تبوك » ومعركة « مؤته » ومعركة « اليرموك » .

والقصة السواحلية لا تفرق بين هـــذه المعارك وتصورها وكأنها حدثت فى عهد النبى ﷺ كما أن شخصيات الملحمة تبدو فى صـــور مختلفة عما نعرفه من الحقائق التاريخية .

أما ملحمة « رأس الغول » فقد كتبها «محمد ابن البوصيرى » وهى ملحمة ذات أصول عربية ولاتزال النسخ العربية منها تباع حتى الآن فى كثير من مكتبات « ممباسا » و« زنزبار » وغيرها من بلاد الساحل الافريقى .

والقصة السواحلية لاتطابق الأصول العربية وهى قصة يمنية تصور مغامرة حربية قام بهـــا بعض الصحابة لنصرة سيدة يمنية أسلمت ، واسمها « وافارى » قتل ابنها « سالم » على يد ملك يمنى كافر هو « المحرق » الـذى قتل زوجها أيضا ثم خطف أحد أبنائها وأراد تحويلها عن الاسلام فاستعانت بالنبى ﷺ الذى أرسل بعض الصحابة فخلصوها من هذا الملك وقتلوه .

قصة الاسراء والمعراج :

اهتم أدباء السواحلية بهذه القصة اهتماما لانجد له مثيلا فى كافة الآداب الاســـلامية الأخرى فمن هذه القصة مالا يقـــل عن عشرة منظومات لشعراء مختلفين ويلاحظ أن الاديب السواحيلى قد خرج كثيرا عما نعرفه من حقائق هذه القصة ، وخلط كثيرا من أحداث مختلفة ، وتغنى قصة الاسراء والمعراج فى كثـــير من المناسبات والأعياد الاسلامية المختلفة .

ومن أشهر القصص الشعبية السواحلية قصة « المقداد ومايسة » ولا يعرف الكثـــير عن « المقداد » كشخصية تاريخية فيما عدا ماذكر من أنه اشترك فى غزوة بدر ، واختلفت الروايات العربية بشأن موته ، فقيل انه استشهد فى بدر وقيل فى صفين ، وهناك أسطورة فى العربيـــة تصور المقداد كبطل حيث ظفر بالزواج من ابنة شيخ « كندة » واسمها « مايسة » التى رفضت الزواج الا بمن يتغلب عليها فى المبارزة — وكانت بطلة — فتغلب عليها المقداد ، وبعد عدة مغامرات وأسفار ومتاعب يتزوجها ويساعده فى الزواج بها الرسول ﷺ وهى قصة طويلة تقع فى ١٧٠ بيتا ومؤلفها مجهول وكانت مكتوبة بحروف عربية مما يدل على قدمها النسبى ، وهذه القصـــة وان كانت عربية الأصل الا أنها تصور كثيرا من عواطف الشاعر السواحيلى وأحاسيسه وتصور شيئا من البيئة الافريقية والثقافة الافريقيـــة بصفة عامة بعيدا عن واقع الأحداث المسجلة فى السيرة النبوية .

٢ ــ الشعر التعليمى :

يوجد لدينا عدد كبـــير من المنظومــــــات السواحلية التى اتخذت من تعليم الاخـــلاق موضوعا لها ، وهى فى جملتها تصور لنا ما كان يدور بذهن السواحيلى المؤمن وما كان يرجوه من سمو العقيدة وحسن السيرة وشيوع لمبادىء الحق والخير والعدالة وأشهر المنظومات التى تدور حول الحض على مبادىء الاخلاق هى :

١ ــ الهمزية :

ألفها (السيد عيداروس الشيخ على) من أهل (لامو) واقدم نسخة منها مؤرخه ١٧٢٨ م ولغتها تدل على قدمها وفيها نزعة صوفية حيث يرى المؤلف أن التصوف هو جمال الفضائـــل الخلقية وهو أيضا روح الايمان وجوهـــر العقيدة .

٢ ــ منظومة القيامـــة :

ألفها على سالم زكوانى ويبـــدو من هـــذه

المنظومة روح المبالغة والميل الى الترهيب والتخويف من عذاب النار وهي في جملتها دعوة صريحة للتمسك بآداب الدين والتخلص من العادات السيئة والمحافظة على أداء الواجبات الدينية والبعد عن المعاصي وكبائر الاثم وغير ذلك .

٢ ــ منظومة الانكشاف (الانكشاق) :

ألفها (عبد الله بن علي) سنة ١٧٥٠ م على رأي المستشرق هاريس وسنة ١٨٠٠ م على رأي (جان كنابرت) وهي الفترة التي تلت سقوط مدينة باتا وخرابها وهي من أعظم القصائد التي نظمت في هذا القرن يدل على ذلك اهتمام السواحيليين بها ووضعهم لها في المقام الأول بين منظومات الشعر السواحيلي بل ان كثيرا منهم يحفظونها عن ظهر قلب ويحتفظون بنسخ منها لديهم ولذلك حفظت هذه المنظومة بأصول ثابتة رغم تعدد نسخها وقد اختار الشاعر لقصيدته وزنا طويلا حيث يحتوي السطر على أحد عشر قدما .

والشاعر يبدأ كما هي العادة بالثناء على الله ــ بما هو أهله ــ والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم ثم يتحدث عن قصيدته والغرض من نظمها ويسأل الله لنفسه المغفرة ويتضرع اليه ثم يتحدث بعد ذلك عن سقوط (باتا) ثم يتلو ذلك الغرض الأساسي وهو الارشاد والوعظ وهي تتكون من ٩٩ بيتا وهذا الرقم يماثل أسماء الله الحسنى .

والهدف الأساسي من المنظومات الخلقية هو التربية الدينية وترويد النشء بالقصص التي تنمي لديهم الوازع الديني ، وتقدم لهم بعض الخبرات الأساسية للتعامل مع المجتمع .

وبعض هذه المنظومات لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه فتقدم الأساس العلمي والمنطقي لهذه المبادئ في صورة تجارب ونظريات مستمدة من واقع الحياة .

مثال ذلك ما جاء في « الانكشاف » عن خراب مدينة « باتا » للتدليل على الفناء الدنيوي ، يقول الشاعر :

هذه الدنيا بحر عاصف
له صخور مرجانية وله تقلبات عظيمة
من يركبه يعرف أنه طاغية
وانه مسئول عن كل خسارة

ويشبهها بعد ذلك بالسراب والغبار في الشمس وغير ذلك من الصور ، ثم يقول عن حكام (باتا) الذين ذهبوا مع خرابها :

والآن يرقدون في مدينة مساحتها أشبار
بلا ستائر رقيقة أو وسائد
واجسادهم محطمة
فقد هجم عليهم جبروت المقابر
انفاسهم جاءت لها نهاية
يخرج منهم الصديد والتراب الناعم
والدود يمر من أنوفهم وافواههم
والجمال والوقار قد ارتحل عنهم

ثم يقول :

ان كنت لا تصدق وتقول ذلك افتراء
فاذهب الى منازلهم وادر رقبتك
اذا دعوتهم لا يجيبوا مجرد صدى
صوت الرجال قد جاءت له نهاية
أين رجال سلطنة باتا الشجعان
رجال الشرف والرتب العالية

لقد اضطروا لدخول قصور الرمال الأبدية
الملك والقدرة قـــد زالت عنهـــم

٤ ــ منظومة الشفقة :

ولا يعرف مؤلفها وهي مأخوذة من أصـــول عربية حسبما يذكره المؤلف في مقدمتها ، وهي عبارة عن تعاليم خلقية للشباب وتحـــاول ان تغرس في نفوسهم الايمان والهداية وحســـن الخلق .

ــ منظومة العقيدة :

ألف هذه المنظومة عبد الله بن سعود بن سالم المزروعي الذي ولد سنة ١٢١٢ هـ ١٧٩٧ واشار فيها الى عدد من الاحداث التاريخية الهامة التي وقعت في عصره وقد أكثر الناسخون من نسخ مخطوطاتها فتعددت صيغها باختلاف النسخ نتيجة لما حدث بها من تحريف وتصحيف ومنهـــا الآن حوالي ٦٠ نسخة مختلفة .

٦ ــ منظومة موانا كوبونا :

ألفتها السيدة كوبونا قبل موتها ببضع سنين وقد عاشت « موانا كوبونا » خلال النصـــف الاول من القرن التاسع عشر وتوفيت حوالي ١٨٦٠ م وكان زوجها معروفا في التـــاريخ السواحيلي وهو (بوانا « السيد » مكاتا) شيخ مدينة « سيو » وكان للسيدة كوبونا طفلان من زوجها أحدهم يدعى محمد والثاني بنت اسمها هاشيما واليها كتبت السيدة كوبونا هذه المنظومة في القصيدة المسماة باسمها وكان ذلك قبل موتها ببضع سنين عندما أحست بدنو اجلها وكثير من مخطوطات هذه القصيدة لايزال موجودا في مدينة (لامو) وفيما يلي بعض ما جاء في هذه القصيدة :

(أ) البداية : تبدأ الشاعرة قصيدتها بداية مؤثرة فتطلب من ابنتها الاستماع اليها وفهم وصاياها لأن المرض قد تغلب عليهـا وأصبحت تتوقع الموت تقول :

اســـتمعي الى يـــا ابنتى
فانا لا اســـتحق الحسنات
ما لـم تعقـلى وصايای الاخيرة
فـربما نفعت بهـــا نفســـك
لقـد تغـلب عـلى المـرض
اســتمر عـــاما كامـــلا
ولم تعــد لى فرصـة لكى ابثك
كلمـــة تحمـل لك نصيحة طيبة
اقتــربى منــى واجلسى
بالحبـــر والقـــرطاس
لـــدى فى قلبـــى اشـــياء
اشتقت طـــويلا كى اقولها لك

٢ ــ قيمة النصيحة :

وخذى منى هذا الحرز الذى اعطيك
واربطيـه جيـــدا عـلى حبـل
واعتبريه شـــيئا ثمينـــا
وعامليـــه بعنـــاية
ودعينى أصـــنع لـك عقـدا
من اللـــؤلؤ والمرجـــان
دعنى أزينك كامـــرأة ذات شـان
عندما نمع الحـــلى عـــلى رقبتك

٣ ــ النصيحة الاولى :

بعد ذلك تبدأ السيدة كوبونا نصيحتها الاولى وهي التمسك بالدين وحسن الخلق والصـــدق تقـــول :

فى المقـام الأول تمسكى بالـدين
لا تهمـــلى اداء الفـــروض

والسنة مــا أمكنــك ذلــك
وأدى مــا عليــك من واجب
والثانية كوني حسنة الأدب ...
ولسانك يجب ان يكون ثاقب الرأى
حتى تصــيرى محبــوبة
فى أى مكــان تدخليــن

* * *

والثانيــة كــونى صــادقة
ما عليــك قومى به مهما شق عليك
الرجــل الذى لايتمســك بالخلق
لاتتبعيــه فى طــريق

٤ ــ وعن معاملة العلية من القوم :

وعلاوةعلى ذلك ياطفلتيكيفتتصرفين
امام ذوى الرتبــة من النــاس
عنــدما مــا ترينهــم فى مكــان
أســرعى فى تحيتهــم

* * *

عنــدما يدخلــون قفــى
وليفــرح قلبــك
ثــم قــوديهم الــى الامــام
عنــدما يرغبــون فى الذهــاب
اجعــلى نفســك متحفظــة
ولا تقــولى نكتا ســليطة
ممــا يكرهــه النــاس

* * *

تحــدثى معهم بســرور
فيمــا يجلب لهــم الفــرح
وإذا كــانت الكلمــات غير مريحة
فمــن الخيــر الســكوت
ولاتذكــرى آراء غــريبة
فى الأشياء التى لا تــدرك بسهولة
الثرثرة وكثــرة الكــلام
ســتكون عــلى حسابك

٥ ــ وعن معاملة العبيد تقول :

لاتجتمعــى مــع العبيــد
فيمــا عدا ما يختص بادارة المنزل
ســوف يجــرونك الى العــار
هــذا ما أقــوله لك بالتأكيــد

٦ ــ وعن معاملة الاغنياء تقول :

لا شــأن لــك بالاغنيــاء
الذين لا يعرفون التحكم فى أنفسهم
وأيضــا غير المتواضــعين منهم
تجنبى أيــة علاقــة بهــم

٧ ــ أما عن معاملة الزوج فهى تحتل جزءا كبيرا من المنظومة من ذلك قولها :

أمىالصغيرةاستمعى الىهذه النصيحة
توجــد خمس نعــم
بهــا يجلب المرء لنفســه السلام
فى الحيــاة الأخــرى وفى الدنيا

* * *

محبــة اللــه ونبيــه

احتـــرام الأب والأم جيـــداً
والخامســـة زوجــــك
تأكـــدي من هـــذا جيـــداً

* * *

عيشي معــــه بالأدب ......
ولا تضـــطريه الى الغضـــب
واذا زجـــــرك ......
لا تردي تحكمي في لســــانك
احفظي الايمــــان معــــه
عنــدما يرغب لا تتمـــنعي
لا تتنــازعا معـــا ......
الخــلاف دائمـــا يضــر

ثم تمضي السيدة « كوبونا » فتتقدم لها النصائح الواحدة تلو الأخرى ولا تترك صغيرة ولا كبيرة الا نبهتها اليها ، فالرجل كما تقول لها كالطفل ويجب أن تعامله على هذا الاساس ومن بين ما قالت .

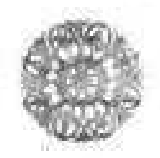
* * *

افــرحي عنــدما يكــون فرحا
لا تعتـــرضي عــلى أوامــره
اذا ســـبب لـــك المــا
اللــــه ســـيحميك

ثم نصحتها بالعناية بنفسها وزينتها وتوجهها الى خير السبل للعناية بمنزلها وما يجب أن تفعله للمحافظـــة عليــه ، وتضرب لها مثلا بنفسها وكيف كانت تعامل زوجها حتى مـــات راضيا عنها ، وتختم منظومتها بالدعاء لنفسها ولابنتها وللمسلمين وهذه المنظومة تذكرنا بوصية « امامة بنت الحارث » لابنتها أم اياس بنت عوف بن محلم الشيباني ، عنـد زواجهـا فالوصيتان متشابهتان في كثير مما جاء بهما ، ولكن منظومة السـيدة كوبونا أكثر تفصيلا وشمولا كما أنها تحتوي على كثير من مبادىء الاخلاق الاسلامية ، لان الاولى قالتها أمامه في العصر الجاهلي أما الثانية فقد نظمتها «كوبونا» في ظل مبادىء الاسلام كما أنها بالشعر وليست بالنثر كالوصية الاولى .. ويلفت نظرنا في الوصيتين طريقة البدء التي تهيىء نفس ابنتها لتقبلها والاستجابة لها فتذكرها بمرضها وأنها على وشك الموت وهي لا تريد أن تموت قبـل أن تترك لها وصية تنفعها في حياتها ، أو تتزين بها كالعقد الثمين أو هي لها بمثابة الحرز الشاق كما يلفت نظرنا في هذه الوصية أيضا ما جـاء بها من صور بديعة توضح مدى ما عليه السيدة كوبونا من خبرة بالحياة ، ومـدى ما عليه من ثقافة وعلم وأدب وتدين .

وعلى أي حال فهذه المنظومة الرائعـة تبين بجلاء مدى ما وصلت اليه الحضارة السواحيلية من تقدم وازدهار ، ومدى ما بلغته اللغة الســـواحيلية والأدب السواحيلي من قوة وقدرة على التعبير .

دكتور عبد الله نجيب محمد



أبو حيان التوحيدي

وحديث عن مؤلفاته

... وكما أغرى أبو حيان بما سمع عن ابن العميد، أغرى وأغرم بما سمع عن الصاحب بن عباد، فرحل اليه، يحدوه أمل عريض فى أن يقيله من «حرفة» النسخ والوراقة التى تقضى على البصر، وتأتى على العمر (١)، ولكنه آب بخفى حنين، وفارقه سنة ٣٧٠ هـ صفر اليدين وقد عرضنا لك أطرافا من لقائه بالصاحب، وبعضا من محاوراته، وأن الكراهية بين الرجلين بدأت من أول لقاء. وحول ذلك كثرت التفاسير، وتعددت الآراء (٢).

واذ يئس صاحبنا من رفد الصاحب الذى أمله، كتب الى صديقه «أبى الوفاء المهندس (٣)» يقول:

«خلصنى أيها الرجل من التكفف، أنقذنى من لبس الفقر، أطلقنى من قيد الضر، اشترنى بالاحسان، اعتبدنى بالشكر، استعمل لسانى بفنون المدح، اكفنى مؤونة الغداء والعشاء، الى متى الكسيرة اليابسة، والبقلة الذاوية، والقميص المرقع؟ الى متى التأدم بالخبز والزيتون؟ قد - والله - بح الحلق، وتغير الخلق، الله الله فى أمرى» (٣). فاستجاب له هذا الصديق، ورعى عهده وقدمه الى الوزير «ابن سعدان» (٤).

وهذه الاتصالات على اختلافها فى اسعاده

---

١ - ١/١٣، ٢٨ معجم الادباء
٢ - ٦/١٨٦ معجم الادباء، ١١/٢١٥ البداية والنهاية، ٢/١٢٣ النثر الفنى، ص ٢٣ من أبو حيان للكيلانى.
٣ - محمد بن محمد بن يحيى أبى العباس، ولد ببوزجان من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ هـ قرأ على جملة من العلماء ما كان من العدديات والحسابيات والهندسة والفلك، وله مؤلفات فى فنون مختلفة - رحل الى العراق سنة ٣٤٨ ومات سنة ٣٨٨ - ٢٩٤ الفهرست، ٢٨٧، ٢٨٨ تاريخ الحكماء
٣ - ٢/٢٢٦، ٢٣٠ الامتاع والمؤانسة
٤ - أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان، كان وزيرا لصمصام الدولة بن عضد الدولة البويهى سنة ٣٧٣ الى سنة ٣٧٥ هـ اذ تآمر عليه ابن يوسف حتى سجن، ثم قتل ليتولى هو الوزارة بعده - ص ٢١٧ أبو حيان لمحيى الدين نقلا عن بيست مقسانة، ص ٤٥ من كتاب «المقابسات».

للدكتور حامد الخطيب

أو اشتقاته ، كان لها نتائج باهرة ، حيث سجل عن تل لقاء كتابا ممتعا ، وفكرا رائعا .

فنتيجة لاتصاله الشمولي بالوراقة ، والنسخ والكتابة ، ومن مجالساته المختلفة نتج سفره الضخم « البصائر والذخائر » ، وبقى لنا منه ، أو في أيدينا الآن منه سبعة أجزاء كبار ، وكل ما فيه يدل على ثقافة موسوعية ووعي بماضي تراث أمته وحاضره وقد قال هو عن هذا الكتاب :

« عند تصفح ما تضمن هذا الكتاب ، فانك مع النشاط والحرص ، ستشرف على رياض الأدب ، وقرائح العقول ، من لفظ مصون ، وكلام شريف ، ونثر مقبول ، ونظم لطيف ، ومثل سائر ، وبلاغة مختارة ، وخطبة محبرة ، وأدب حلو ، ومسألة دقيقة ، وجواب حاضر ، ومعارضة واقعة ، ودليل صائب ، وموعظة حسنة ، وحجة بليغة ، وفقرة مكنونة ، ولمعة ثاقبة ، ونصيحة كافية ، والقناع مؤنس ، ونادرة ملهية ، وعقل طلقح ، وقول منقح ، وهزل شيب بجد ، وجد عجن بهزل ، ورأى استنبط بعناية ، وأمر بيت بليل ، وسر كتم على الزهد ، وحجة استخلصت من شوائب الشبه وشبهة أنشئت من فرط جهالة ، وبلادة طباع رويت بلسان عي ولفظ مرذول عن صدر حرج ، وفؤاد عيام (١)، جمعت ذلك كله في هذه المدة الطويلة ، مع الشهوة التامة ، والحرص المتضاعف ، والدأب الشديد ، ولقاء الناس ، وقلى البلاد » (٢) ومن بعد ذلك يفصح عن مصادره التى استقى منها ، وفي مقدمتها يذكر « القرآن الكريم » و « الحديث الشريف » .

وعن الاتصال الشمولي أيضا والتجوال والحوار ، وضع كتابه «المقابسات» ، ومضمون الكتاب يؤكد المامه بالاتجاهات الفلسفية ، والالهيات والطبيعيات ، وغير ذلك مما تزاحم في عصره من علوم وفنون ، حتى ليعد الكتاب « أقوم كتبه التي حفلت بمسائل الفلسفة والاجتماع ، وأدقها تصويرا لما كانت تموج به بغداد من البحوث المتنوعة » (٣) وقد أفصح هو عن سبب تأليفه ، فقال :

« واعلم أن الغرض كله من وضع هذا الكتاب وجميع ما اثبت عن هؤلاء الشيوخ ، انما هو ايقاظ النفس ، وتأييد العقل ، واصلاح المسيرة واعتياد الحسنة ، ومجانبة السيئة » (٤) .

ويذكر التوحيدى أنه حين كان في مدينة

---

١ ــ العيي الثقيل .
٢ ــ ٢ ، ١ ، ٤ البصائر والذخائر
٣ ــ ٨١٤/١ البصائر ، ١٣٨/٢ النثر الفني
٤ ــ ص ٢٠٩ المقابسات

● أبوحيان التوحيدى

السلام « بغداد » سمع منه كلام فى الصداقة والعشرة ، والمؤاخاة والألفة ، وما يلحق بذلك من الرعاية والحفاظ ، وسئل أن يقيد ذلك فاستجاب ، لكنه أغفل عما دوّن حتى عام ٣٧١هـ اذ ذكر شيئا من ذلك « لزيد بن رفاعة » (١) الذى نماه الى ابن سعدان قبل تحمله الوزارة ، فأبدى ابن سعدان رغبة فى أن يدون التوحيدى ذلك ، فجمع من ثم كتابه « الصداقة والصديق » (٢) ولكن هذا الكتاب لم يأخذ سمته الذى هو عليه الآن الا فى رجب سنة ٤٠٠ هـ حين عثر على المسودة وبيضها (٣) •

فالبداية كانت حديث مشافهة ، ثم دونه بعد أن استحسن ورغبه فى ذلك الوزير ابن سعدان، ويفصح عن حالته حين كتبه ، أو حين كتب بعضه ، فيقول :

« ومن العجيب والبديع أنا كتبنا هذه الكلمات والحروف على ما فى النفس من الحرق والأسف ، والحسرة والغيظ ، والكمد والومد » (٤) ، ويفصح أيضا عن مضمونه فتقول :

« قد أتت هذه الرسالة على حديث الصداقة والصديق ، وما يتصل بالوفاق والخلاف ، والهجر والصلة والعتب والرضا ، والملق والاخلاص ، والرشاء والنفاق ، والحيلة والخداع ، والاستقامة والالتواء والاستكانة والاحتجاج والاعتذار »(٥) •

ومن ثم جاء الكتاب مرآة صادقة ، يمثل أفكار أربعة قرون فى هذا النوع المتميز من الأدب ، ويعالج الظاهرة الاجتماعية تلك ، بمعيار نفسى فلسفى (٦) • وبعد أن كتب التوحيدى الى صديقه « أبى الوفاء المهندس » ليخلصه من وحدته ، قدمه هذا ــ كما سلف ــ الى « ابن سعدان » ، فسامره أكثر من ثلاثين ليلة ، ولما أطلع أبو الوفاء على تلك المسامرات، ذكره بما قدمه له من أياد ، وسأله أن يدون تلك المسامرات الطريفة . فجاء كتابه الممتع «الامتاع والمؤانسة » (٧) وكان مما قاله ابن سعدان :

« انك تعلم يا أباحيان انك انكفأت من الرى الى بغداد فى آخر سنة ٣٧٠ هـ بعد فوت مأمولك من ذى الكفايتين ، عائبا على ابن عباد ، مغيظا منه ، مقروح الكبد لما نالك من الحرمان ، فأرعيتك بصرى ، ووعدتك صلاح الحال ، بأن أخطب لك قبول ابن سعدان ، أفكان من حقى عليك أنك تخلو بالوزير ليالى متتابعة فتحدثه بما تحب ويريد ؟ ••• وبعد ، هذا فراق بينى وبينك ، الا أن تُطْلِعَنِى طَلْعَ جميع ما تحاورتما وتجاذبتما هدب الحديث عليه » (٨) فلبى

---

١ ــ انظر ٩ ، ١٠ من الصداقة والصديق

٢ ــ ١٥/٦ معجم الادباء ، وص ١٠٠٦ من الصداقة والصديق

٣ ــ ١٥/٧ معجم الادباء

(٤) ــ ص ٨ الصداقة والصديق ، والكمد : الحزن الشديد ، والومد : شدة الحر مع سكون الريح

(٥) ــ ٢٠١ ، ٢٠٢ الصداقة والصديق

(٦) ــ ٥٢٧/٢ ، ٥٢٨ امراء البيان

(٧) ــ ص ٧٩٢ تراث الانسانية ،

(٨) ــ ٢/١ ، ١٠ الامتاع والمؤانسة ،

ابو حيان قائلا : « أنا سامع مطيع ، وخادم شكور » (٢) ، لكنه طلب الا يكتب على البديهة فأجابه الوزير ، ومضى التوحيدى يسترجع ليالى المسامرة ، حتى سجل الامتاع فى ثلاثة أجزاء ، وهو كتاب يصور على الطبيعة كل مناحى الحياة ، وقد كانت المسامرة تبدأ بسؤال من الوزير ، ثم ينطلق التوحيدى مجيبا ، وكل مسامرة كانت تنتهى بطرفة وداع .

• • •

وعود التوحيدى من لدن ابنى العميد والصاحب بالخيبة ، كانت أجدى على الأدب من كل جدوى ، فهو من خلال قربه واحتكاكه بهم ، ومحاوراته الصاخبة مع الصاحب نتج كتابه اللاذع « أخلاق الوزيرين » .

ولئن أبداه هذا الكتاب أهجى وأفحش من ابن الرومى بين الشعراء ، ومن شعراء النقائض » (١) لقد أبان عن قلم ينسج من الحروف أروع ما عرفه النثر العربى من آيات البيان على مداه الطويل ، وكشف عن أبرع اديب ملهم متمرس مفطور ، يعبر عن النفس وأعماقها فى يسر وسمو بيان . وهذه التحفة « أخلاق الوزيرين » أو « مثالب الوزيرين » أكثره مسلط على الصاحب بن عباد ، وباقيه موجه الى ثلب ابنى العميد ، وقد كشف عن أسباب حنقه ، فقال :

انى رجل مظلوم من جهته ، وعاتب عليه فى معاملتى ، وشديد الغيظ لحرمانى ... على انى عملت رسالة فى أخلاقه وأخلاق ابن العميد أَرْدَفْتُهَا تَقْيِين العزيز ، ولفظى الطويل والقصير ، وهى فى المسودة ، ولا جسارة لى على تحريرها فان جانبه مهيب ، ولكره دبيب وقد قال الشاعر :

الى أن يغيب المرء يرجى ويتقى
ولا يعلم الانسان ما فى المغيب (٢)

وقد مر فى ثنايا كلامنا طرف مما برر به هجاؤه وثلبه للصاحب ، وكذلك ابنى العميد . وجمع رحم العلم بين التوحيدى و « ابن مسكويه » خازن مكتبة ابن العميد ، ومكتبة عضد الدولة البويهى ، وفى هذه الفترة توجه أبو حيان بعديد من الأسئلة المنمية المختلفة الى صديقه ابن مسكويه ، صاحب الفلسفة الأخلاقية ، وسميت الأسئلة « الهوامل » ، وأجاب عنها ابن مسكويه ، تارة بالسهاب ، وأخرى بالتضاب : وسميت « الشوامل » ومن تلك المحصلة التى بلغت مائة وخمسا وخمسين مسألة ، جمع صاحبنا « الهوامل والشوامل » .

وهذه المسائل التى تضمنها الكتاب تتفرع منها مسائلات أدبية ، ولغوية فلسفية وأخلاقية

وقد أثبت التوحيدى من خلال أسئلته انه استطاع ربط التفلسف بالتساؤل ، فجعل من الفلسفة نزعة تساؤلية ، تتولد عن الدهشة ، وتقترن بالحيرة ، ولا تكاد تنفصل عن القلق ، فكان بحق فيلسوف التساؤل » (٣) وأديب

١ ــ ٢/١٧٧ النثر الفنى . ١٩٦ ابو حيان لمحيى الدين
٢ ــ ١/٥٢، ٥٤ الامتاع والمؤانسة .

٣ ــ مقدمة الهوامل والشوامل ، ٧٣١ عصر الدول د/شوقى ضيف

أبو حيان التوحيدى

المتسائلين . ويمدك ابن مسكويه على بساطته وعمق أبى حيان بقوله : « ارفق بنا أبا حيان — رفق الله بك — وأرخ من خناقنا ، واسعفنا ريثنا ، ودعنا وما نعرفه من أنفسنا من النقص ، فانه عظيم .. ، ولا تبكتنا بجهل ما علمناه ، وفوت ما أدركناه (١) . وكان ابن مسكويه فطنا ذكيا ، لكنه — على مايبدو — كان كثير التقصير ، قليل التحصيل ولذا قال التوحيدى حين سئل عنه :

انه « فقير بين أغنياء ، وعَيِيٌّ بين أَبْيِنَاء .. ولقد فطن العامرى .

[فيلسوف ومن أعلام عصره]

الرى خمس سنين جُمْعَةً ، وَدَرَّسَ وَأَمْلَى ، وصنف وروى ، فما أخذ عنه مسكويه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه بينه وبينه سد » (٢) .

واذا كانت هذه الكتب التى ذكرت قد وضعها نتيجة اتصالاته وتطوافه ونتيجة اثارة أو استجابة لرغبة صديق ، ففى معتقدنا أن كتابه «الاشارات الالهية» قد جاء بعد أن حلب من الزمن شطريه ، وذاق منه أفاويق الحلاوة والمرارة ، ألفه بعد أن آثر التقرب الى ربه ، ونفض يديه من طلب بهرج الحياة ، والكتاب ناطق بنضج فكره ، وقوة تعبيره وايحائه ولعله لم يبلغ فى كتاب من كتبه

الأخرى ما بلغه فى هذا الكتاب سموا وحرارة ، وموسيقى ، وتمكنا من الأداء.(٢) هذا مع الالحاح فى المناجيات والاغراق فى نشوة التجليات ، انه « كتاب غنى بما فيه من منهج فى المناجاة ، لا نكاد نجد له نظيرا قبل التوحيدى ، وبهذا يمكن أن يعد رائد نوعه ، والنموذج الأول لكتب المناجيات التى سنراها من بعد فى الأدب الصوفى » (٣) بوجه عام. وأكثر قصد التوحيدى ومراده فى الكتاب موجه الى تلاميذه ، وبخاصة المتصوفون منهم يدعوهم الى تهذيب النفوس ، وتعليتها بما يزيدها عرفا بالله ، « وليس فى الكتاب تصريح أو تعريض بأحد من الناس ، بل يبدو أبو حيان وكأنه يقف فى نقطة متوسطة مادا يده الى شخص مثله ، أو أدنى منه لينتشله مما ألم به من حيرة »(٤) وما اكتنف حياته من ويلات .

ولقد ربط الدكتور عبد الرحمن بدوى هذه المناجيات فى تقديمه للكتاب بمزامير داود ، وكان الأولى أن يربطها بنظائرها مما جاء فى المصادر الاسلامية . وسلف أن سقنا لك نموذجا من مناجياته ، ونحب أن نزودك بآخر يقول فيه :

« ... ياهذا : ارفق قليلا ، والحق معنى جليلا : احتجب عن الجهل بالحلم ، وغض عن الفهم بالوهم ، وانثر الذكر بالفكر ، واطلب المزيد بالشكر ، وأخف المكر فى الأمر ، وامزج الصحو بالسكر ، وألف ما بين العذل والعذر وشرف القول بالفعل ، وتردد بين الفصل والوصل ، ثم رق على الكل فى الكل ، فان محقق الكل فوق الكل .

---

١ — الهوامل والشوامل
٢ — ٣٦،٣٥/١ الامتاع والمؤانسة .
٣ — مقدمة الاشارات الالهية د/عبد الرحمن بدوى
٤ — ١٢/١ الاشارات الالهية تحقيق دكتورة وداد القاضى .

أتدري ما الذي وجدت فيما وجدت ممن أوجد كل واجد ما وجد ؟ وجدت الجملة المويصة على الجمهور هي التفصيل المشكل على الافراد . والحال المفروضة بالكمال هي النهاية المنقوضة بالتحقيق عند الخواص ، فأنا عند العيان قائم مع البهت ، وعند الخبر واقف مع التهمة .. فأنا كما قال بعض العارفين :

عرفت الحب لما صار قلبي
يدانى كله صبا عميدا
أشرت اليه من أمم لأني
أمنت من الهوى فيه صدودا
فتهت به عليه اذ حباني
بمعناه ، وصرت به وحيدا
أنست به لبعد الخلق مني
فقد أصبحت موجودا فقيدا
معادى انت في وهمي وحسي
بأن أصبحت مبدئي المعيدا
وقالوا : قد وصلت ، فقلت قولا
أكون به غويا أو رشيدا
ظننتم أنني أدركت معنى
وأني يدرك العدم الوجودا

ياهذا : هذا لسان التصوف ، والتصوف اسم يجمع انواعا من الاشارة ، وضروبا من العبارة ، « وجملته التشبه بالحق والتحرز على الخلق » (١) هذا . ولأبي حيان رسائل مختلفة في فنون متعددة ، مثل رسالته في فن الكتابة التي عرضنا لشيء منها سابقا ، وله غيرها أيضا .

تلك هي مؤلفاته الباقية . أو التي هي بين أيدينا . اما مؤلفاته التي لم يرد سوى ذكرها فقد أورد ياقوت الحموي ، وابن خلكان ، والسندي ، وحاجي خليفة ، وغيرهم أوردوا له عددا مهولا منها ، نذكر منه :

١ ـ الحج العقلي اذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي ، وهو الكتاب الذي قيل : انه أغضب عليه الوزير المهلبي ، حتى استتر منه، ومات الوزير وهو في الاستتار .

٢ ـ كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي ، وهو الكتاب الذي به تتقى عنه شبهة تعصبه على الصاحب بن عباد ، لأن ابن جني من محبي المتنبي والمتعصبين له ومادحيه، وابن عباد من مبغضيه ومترصدي هفواته ، فلو كان أبو حيان ممن يتقول ويكذب ، لكان في صف ابن جني ضد من حرمه وهو ابن عباد ، فآية عدالته أن يقف في صف شانئه ومعاديه .

٣ ـ كتاب تقريظ الجاحظ ، وقد نقل ياقوت جملة من نصوصه .

٤ ـ كتاب المحاضرات والمناظرات . ونقل ياقوت كثيرا منه أيضا .

٥ ـ كتاب الزلفة ، وقد نقل منه أبو شجاع فصولا في ذيل تجارب الأمم .

٦ ـ كتاب التذكرة التوحيدية ، وقد نقل منه طرفا صاحب غرر الخصائص الواضحة ، وذكر عنه المستشرق « مرجليوث » المجلد الثالث (١) ، مما يوحي بضخامة الكتاب وأهميته .

نتاجه الأدبي وتكوينه الفكري

ومن هذه الكتب الباقية بين أيدينا ، ومما

١ ـ الاشارات الالهية ص ١١٢ تحقيق د/عبد الرحمن بدوي ، ص ١١٢،١١٣ تحقيق د/ وداد القاضي

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية مادة « واحد »

أبوحيان التوحيدي

نقلته المصادر من كتبه التي أحرقها ، أو التي لم تزل في طي الكتمان ، من هذا المتاح استقينا أفكاره وأدبه وعرفنا اتجاهه وآراءه ، وأمكن من خلالها معرفة أطوار تكوينه الفكري ونتاجه الأدبي ، ورجح لدينا أنه مر بثلاثة أطوار .

الطور الأول : هو ما كان فيه معجبا بالجاحظ وكلامه ، حتى قال عنه : « ... وكتبه هي الدر النثير ، والنور المطير ، وكلامه الخصر الصرف ، والسحر الحلال ، ولن رأيت ما رأيت رجلا أسبق منه في ميدان البيان .. اذا جاء بيانه خجل وجه البليغ المشهور ، ومتى رأيت ديباجة كلامه رأيت حوكا كثير الوشي ، قليل الصنعة ، بعيد التكلف ، حلو المجنى ، فسبحان من سخر له البيان وعلمه » (١) .

ومن ثم رأيته يجري على سننه في كتابه « البصائر والذخائر » حيث لاتبويب ولا ترتيب ، ولا تصنيف لمعلومات .

الطور الثاني : وقد كان أرقى من سابقه ، سواء في التنظيم وتناول الموضوعات ، أم في سمو الفكرة ودقة التعبير عنها ، وبخاصة ما كان يعرض له من نقد الأعمال العلمية المختلفة ، وكذلك نقد الرجال ، وأوضح ما يكون ذلك في « الامتاع والمؤانسة » و « أخلاق الوزيرين » و « المقابسات » .

الطور الثالث : وهو ما تتمثل فيه انابته وتقربه ، وخشوعه وخضوعه ، وقد ضمن كل ذلك كتابه « الاشارات الالهية » ، رجحنا ذلك من حيث انه بلغ فيه قمة الزهد والصفاء الروحي ، والتطهر الداخلي ، وفيه يتضح مدى هروبه من زخرف الحياة ، ولياذه بساح المغيثين .

أضف انه « لم يسبق أن بلغ باسلوبه تلك الدرجة التي بلغها في الاشارات ، سموا ، وحرارة ، وموسيقى ، وتمكنا من الأداء ، .. والموضوع هنا يهب الأسلوب بطبعه أجنحة وردية ، ترف في نور الايمان المتقد ، كما أن نضوج الأسلوب بهذا المستوى يكشف عن تأخر العهد ، ويعبر عن نفس دلفت الى الايمان المستسلم ، بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالا طوالا » (٢) .

واكبر ذلك دليلا على تأخر تأليف الكتاب ، وعلى أنه كان في أواخر عمره ، قوله : « أنا نطقت بهذه الأشياء بعد تسعين سنة ، وقد تحطمت قناتي ، وتكمشت شواتي (٣) ، وتفللت صفاتي (٤) ، واضمحلت حسناتي ، وبليت لحمتي وسداتي ، وفقدت شهواتي ولذاتي ، ومنيت بموت أحبتي ولداتي » (٥)

والذي لا ريب فيه ، أن ذلك الفيض من النتاج ، هذا السمو في التصوير والتعبير ، يقتضي أن يوازن بينه وبين نظرائه ، حتى تتضح ميزته على غيره ، أو ميزة غيره عليه ، وقد يقتضي تقسيم أدبه ونتاجه الى موضوعات ، وذلك من واقع أعماله ، واتجاهات أفكاره.

يتبع

١ ـ ١/٦٦ ، ٢/٢٧٦ الامتاع والمؤانسة .
٢ ـ مقدمة الاشارات د/عبد الرحمن بدوي
٣ ـ الشواة : جلدة الرأس
٤ ـ الصفاة : الصخرة ـ يكنى بها عن تحطم قوته .
٥ ـ ٢٢٦ الاشارات الالهية .

الغفران وتوظيف التراث

للأستاذ السيد حسن قرون

ما المراد بتوظيف التراث ؟

وكيف يكون التوظيف ؟

وهل يعتبر القائم به مبتكرا ؟

وما موقف النقاد منه ؟

أسئلة تدور في خلدي كلما تناولت « رسالة الغفران » لفيلسوف الأدب العربي « أبي العلاء المعري » .

المولود «بمعرة النعمان » بسورية سنة ٣٦٣ هـ والمتوفى بها سنة ٤٤٩ هـ بعد أن ألف الكتب والرسائل وقرض الشعر مجموعا في ديوانين ، مازالا في يد عشاق الأدب هما « سقط الزند » و « لزوم ما لا يلزم » .

وفي نهاية شبابه قام برحلة زار فيها بغداد ليعرض علمه وثقافته على المجتمع البغدادي فخاب أمله باهانته في مجلس « الشريف المرتضى » كبير العلويين في ذلك الزمان ، فرجع ليحبس نفسه في داره فلا يغادرها ويسمى « رهين المحبسين » الدار والعمى ، فقد كف بصره في الثالثة من عمره على أثر جدري أصيب به .

وهو من أسرة عربية عريقة لها مجدها في القضاء والوظائف الادارية ومات والده وهو في الحادية عشرة من عمره ، فرثاه وهو في تلك السن الصغيرة .

وعاش أبو العلاء المعري على ما ورثه من أبيه وأمه وهو غير قليل على عكس ما تقول الرواية العربية ، وكان له تلاميذ كثيرون يتلقون عنه ويأخذون منه .. والأسئلة التي صدرناها في أول المقال ستأتي الاجابة عنها أثناء عرضنا لصنيعه في « رسالة الغفران » ففي تلك الرسالة وظف التراث العربي الذي درسه وعاش عمره الطويل يعالج لغته ونحوها وصرفها وبلاغتها وهو على علم بكل ما قال شعراؤها ونطق حكماؤها ، وطريقته في التوظيف هنا أنه لا يأخذ الحدث ويصنفه من جديد على طريقة مؤلفي التاريخ الأدبي ، ولكنه يسلك به سبيل القصص مع استخدام الخيال وتسلسل المناظر ووضع الحبكة الفنية التي تنتظر حلا لها آخر الأمر .

وقد هيأ له عصره هذا الأداء الفني بظهور القصة القصيرة التي نسميها « المقامات » مثل مقامات « بديع الزمان الهمذاني » المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ومقامات الحريري التي جاءت بعد ذلك وظهور القصة الطويلة مثل قصة « الانسان والحيوان أمام محكمة الجن » لاخوان الصفا ، و « التوابع والزوابع » لابن شهيد الأديب الأندلسي المتوفى سنة ٤٢٦ هـ ... ويغلب على تلك القصص الطويلة أنها من نتاج المفكرين الاسلاميين . ولم يشذ عن هذا الا ابن شهيد فقد كان اديبا من قمة رأسه الى أخمص قدمه .

وأبو العلاء يجمع بين الفلسفة والأدب ، ولئن وصفناه بالفلسفة أو الطابع الفكري في جل نتاجه فهو في رسالة الغفران أديب وصاحب خيال ، وقد استمد نسيج قصته من موضوع التوبة والغفران وعالم الآخرة الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والأحاديث النبوية . واضعا نعيم الجنة في أسلوب شائق رائق ، وعذاب النار في أسلوب مروع مفزع .

وحين أخذ أبو العلاء المعري في تدبيج الغفران راعى ما حصله مما ذكرنا ولا سيما قصة الاسراء والمعرج . وخلق بأدبه جنة ونارا ومنعمين ومعذبين من الناس والجن والحيوان أيضا وأرانا طوائف مختلفة من أوز وحيات وكلها تتكلم وتتحدث في الأدب وغيره . ورسالة الغفران ليست كلها قصة ، انما القصة هي الجزء الأول منها ، لأن الرسالة كانت ردا على رسالة بعث بها اليه أديب حلب الشيخ « علي بن منصور بن طالب » المعروف بابن القارح ، يذكر فيها أن اسمه ذكر في مجلس أبي العلاء ، وقيل عنه : انه هجا « أبا القاسم المغربي » وفي الرسالة تناول ابن القارح قضايا عدة مثارة في العالم الاسلامي وتحدث عن شئونه وشجونه وشكا وبكى من تنكر حلب حين رجع اليها بعد غياب طويل .

وابن القارح تلقى علومه على نابغي عصره في حلب وبغداد ، فلما وثق بما نال من علم وأدب قصد الحواضر الاسلامية يتكسب بهذه المعارف والعلوم . واتصل المقام في القاهرة زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي . وكان مؤدب ولدي القائد « الحسين بن جوهر الصقلي » وطوف في البلاد . عرفته دمشق والموصل وبغداد وديار بكر .

قال ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » : انه ولد سنة ٣٥١ هـ وكان آخر العهد به في تكريت سنة ٤٦١ هـ ولم يتزوج . ويؤخذ من رسالة الغفران انه كان يكتب الرد على ابن القارح عام ٤٢٤ هـ ومعنى هذا أن ابن القارح قد نيف على السبعين من عمره في ذلك الأوان . ومن ثم كان الجزء الثاني من الغفران يحتوي ردا موسعا على القضايا التي أثارها ابن القارح في رسالة وتهوينا لما لقي من متاعب وأوجاع ، وان داعبه كما داعبه في الجزء الأول القصصي .

ولندخل في الجزء الأول وفي القصص ، ولابد للرواية من بطل ، والبطل في « الغفران » هو ابن القارح فقد أدخله أبو العلاء الجنة بعد خطوب وخطوب . وجعله محتفظا بما تلقى من أدب وعلم ، لأنه بمعونة آل البيت لم يطل مكثه بين أهوال الحشر ، وان ذاق منه مايشيب لهوله الولدان ــ حسب التعبير الدنيوي ــ ومن ثم لم يضع منه محصوله العلمي ولا محفوظه الأدبي .

وعلى ذلك سارية في الجنة يقابل الشعراء والنحاة ، ويعقد المجالس ، ويتناول ما لذ وطاب مما لم يخطر على قلب بشر ، ويقوم بنزهة في الجنة ويزور جنة الجن ، ويحب أن يرى بعض الناس في الجحيم فينال ما قصد ، وهو في كل مجال لا يكف عن السؤال والحوار .

تقول القصة (١) : ثم انه ــ أدام الله تمكينه ــ « الحديث عن ابن القارح » يخطر له حديث شيء كان يسمى النزهة في الدار الفانية فيركب نجيبا من نجب الجنة خلق من ياقوت ودر في سجسج بعد عن الحر والقر ، ومعه اناء فيهج (٢) ، فيسير في الجنة على غير منهج ، ومعه شيء من طعام الخلود ذخر لوالد سعد أو مولود ، فلما رأى المناظر الخلابة وأنواع الأشجار والأزهار اليانعة رفع صوته متمثلا بقول الأعشى :

ليت شعري متى تخب بنا النا
قة نحو العذيب فالصيبون ؟
محقبا زكرة وخبز رقاق
وحباقا وقطعة من نون

« العذيب والصيبون » مكانان للنزهة ، ومحقبا معلقا ، وزكرة وعاء من جلد للخمر ، وحباقا نبتا طيب الرائحة ، والنون الحوت . والمعنى يتمنى الشاعر الذي هو الأعشى في دنياه أن تسرع به ناقته الى هذين المكانين معه أدوات النزهة من خمر وخبز رقاق ونبت ذي رائحة ذكية وبعض لحم الحوت ليقضي وقتا ممتعا .

وحين يرن صوت ابن القارح بهذا الشعر بين المروج والشجر يهتف هاتف : أيها العبد المغفور له لمن هذا الشعر ؟ فيقول ابن القارح :

حدثنا (٣) أهل ثقتنا عن أهل ثقتهم يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى يصلوه بأبي عمرو بن العلاء ، فيرويه عن شيوخ العرب حرشة الضباب وجناة الكمأة أن هذا الشعر « لميمون ابن قيس بن جندل أخي بني ربيعة بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل » فيقول الهاتف : أنا ذلك الرجل من الله علي بعد ما صرت من جهنم على شفير ، ويئست من المغفرة والتكفير ، فيلتفت اليه الشيخ هاشا باشا مرتاحا ، فاذا هو بشاب جميل ، قدم متامة في الظل الظليل ، وقد صار عشاه حورا ، وتقوس ظهره قواما معتدلا . يقول له ابن القارح : كيف كان خلاصك من النار وسلامتك من قبيح الشنار ؟

يشير الى ولعه بالخمر ، فيقول : سحبتني الزبانية الى سقر ، فرأيت رجلا في عرصات القيامة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر والناس يهتفون به من كل أوب : يامحمد ، يامحمد ، الشفاعة الشفاعة ، نمت بكذا ونمت بكذا ، فصرخت في أيدي الزبانية : يا محمد أغثني ، فان لي بك حرمة . فقال : يا علي ، بادره فانظر ما حرمته ؟ فجاءني علي ابن أبي طالب وأنا أعتل كي ألقى في الدرك الأسفل من النار ، فزجرهم عني . وقال : ما حرمتك ؟ فقلت : أنا القائل : (وذكر شعرا منه) :

الا أيهذا السائلي أين يممت
فان لها في أهل يثرب موعدا

(١) نختار بعض الحوادث لطول بالا في ابن القارح .

(٢) مكيال الخمر .

(٣) صورة من طرق الرواية .

فاليت لا ارثى لهـــا مـن كلالة
ولا من حفى حتى تــلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشـم
تراحى وتلقى من فضـائله نـدى
نبى يــرى مـــا لا ترون وذكـره
اغار (١) لعمرى فى البلاد وانجدا

وينشد شعرا آخر فيه معالم الايمان .

فذهب على الى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، هذا أعشى قيس ، قد روى مدحه فيك ، وشهد أنك نبى مرسل ، فقال : هلا جاءنى فى الدار السابقة ؟ فقال على : قد جاء ولكن صدته قريش وحبه للخمر ، فشفع لى فادخلت الجنة على الا أشرب فيها خمرا ، فقرت عيناى بذلك وان لى منادح فى العسل وماء الحيوان . وكذلك من لم يتب من الخمر فى الدار الساخرة لـم يستها فى الآخرة .

لقد استطاع أبو العلاء أن يدخل فى قصصه حكاية الأعشى متخيلا أنه يدخل الجنة ويلتقى بابن القارح الجذلان الذى يرفع صوته بشعره أثناء النزهة ويكون الهتاف والسؤال عن القائل، والسائل هـو القائل ، ويتعارفان ، ويتعجب كيف دخل الجنة ؟ ويقص الأعشى نجاته مـن النار بعد أن أشرف على سقر .

وفى القصص حوار وتشـــويق وانتظار لما كان ، وفقه يتصل بحكم شارب الخمر . هنا أدخل أبو العلاء الأعشى الجنة .

أما فى الجزء الثانى عند الرد على ابن القارح فقد حكم بكفره لأنه لم يؤمن ولم يرحل الى النبى — ﷺ —

وقد صنع هذا الصنيع مع « عبيـد بـن الأبرص » وعبيد شاعر جاهلى عـاصر امـرأ القيس الكندى وله معه خطوب ، عمر عبيـد طويلا حتى قتله المنذر ابن ماء السـماء حين ورد عليه فى يوم بؤسـه . وأبو العلاء يتصرف مع ابن القارح فى شأنه هكذا :

ثم ينصرف الى « عبيد » فاذا هو قد أعطى بقاء التأبيد . فيقول : السلام عليك يا أخـا بنى أسد ، فيقول : وعليك السـلام ، وأهل الجنة أذكياء لا يخالطهم الأغبياء : لعلك تريد أن تسألنى : بم غفر لى ؟ فيقول : أجل ، وان فى ذلك لعجبا : أألفيت حكما للمغفرة موجبا ولم يكن عن الرحمة محجبا ؟ فيقول عبيـد : أخبرك أنى دخلت الهاوية ، وكنت قلت فى أيام الحياة الفانية :

من يســـأل الناس يحرموه
وســـائل اللـــه لا يخيب

وسار هذا البيت فى آفاق البلاد ، فلم يزل ينشد ويخف عنى العـذاب حتى أطلقت من القيود والأصفاد ، ثم كرر الى أن شـملتنى الرحمة ببركة ذلك البيت ، وان ربك لغفـور رحيم .

والتوظيف هنا هادف ولا ريب ، فقـراء العربية منذ عهد أبى العلاء الى اليـوم اذا وقع نظرهم الى ما سطر فى منزلة هذا البيت لا يسأمون التأمل فيه لا لخياله وبراعة لفظه ، وانما يرون فيه رسما بارزا ووصفا شـاهقا لعزة النفس ومطلب العفة ، والدعوة الى العمل

(١) اغار هنا بمعنى : غار التى معناها ضد انجد ولا داعى للبحث الطويل فيها كما صنع ابو العلاء والشمر لشاعر جاهلى .

وكسب المعاش والاعتماد على الله ، فلا يركن الانسان الى سواه ، ولا يجعل غيره مسئولا ، فالخيبة في سؤال الناس ، والظفر كل الظفر في سؤال الله ، فمن يسأل ليعطى سائل ، ومن يتملق لينال مطالب النفس الأمارة بالسوء سائل ، ومن يقرض الشعر مادحا سائلا ، ومن ينم ليحظى سائل ، ومن يكتم الشهادة أو يزور سائل ، والسؤال مذلة وان كان تعريضا أو تلميحا . وأبو العلاء بهذا الطريق غير المباشر أدى حق الوعظ عليه ، وجلا معنى لبيت جديرا أن يلتفت اليه ، ويكون من المثل العليا لورثة قحطان وعدنان ومارسوا لأبنائهم من المثل العليا الى آخر الزمان ، وهذا البيت من الشعر الجاهلى لا يتجافى عن تعاليم الاسلام فالشاعر الاسلامى يقول :

الله يغضب ان تركت سؤاله
وبنى آدم حين يسأل يغضب

والقرآن الكريم يقول في شأن الأعفاء «**لا يسألون الناس الحافا**» ٢٧٣ سورة البقرة

وشتان بين الموقفين ، وما أجمل حديث أبى العلاء عن بيت عبيد الذى بسببه نال النجاة والتخليد في جنة أعدت للمتقين .

وأراد أن يمجد فضيلة الصدق وأن المرء يقول الصدق ولو على نفسه فكان صنيعه أن يدخل الحطيئة الجنة وهو رجل كان ينتسب الى بنى عبس ويتكسب بالشعر ويكثر من الهجاء ، وأسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام حين أدب أبو بكر من ارتدوا عن الاسلام ، ثم حوكم في عهد عمر لهجائه أحد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واسمه : « الزبرقان بن بدر » ثم عفا عنه عمر واشترى منه أعراض المسلمين .

وضعه أبو العلاء في كوخ موقعه في أقصى الجنة كأنه يبعده عن الناس ويبعد الناس عنه تقول القصة والحديث مع ابن القارح : فيذهب — عرفه الله الغبطة بكل سبيل — فاذا هو ببيت في أقصى الجنة كأنه حفش ، وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة قميئة ثمرها ليس بذلك . فيقول : ياعبد الله ، لقد رضيت بحقير قليل ، فيقول ، والله ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط « الهياط أشد السوق الى الورد ، والمياط أشده الى الصدر » « ويقال في المثل هم في هياط ومياط أى في اضطراب ومجيء وذهاب » وعرق وشقاء وشفاعة من قريش وددت أنها لم تكن .. أنا « والحطيئة العبسى » فيقول : بم وصلت الى الشفاعة ؟ فيقول : بالصدق ، فيقول : في أى شيء ؟ فيقول : في قولى :

أبت شفتاى اليوم الا تكلما
بهجر ، فما أدرى لمن أنا قائله ؟
أرى لى وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

والهجر القول الفاسد ، وواضح أنه يهجو نفسه ، فيقول ابن القارح ما بال قولك :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

لم يغفر لك به ؟ فيقول : سبقنى الى معناه الصالحون ، ونظمته ولم أعمل به فحرمت الأجر عليه ، فيقول : ما شأن « الزبرقان بن بدر » ؟ فيقول الحطيئة : هو رئيس في الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائى ولم ينتفع غيره بمديحى .

وقارىء هذا القصص تغلب عليه الابتسامة فقد اختار خيال المعرى أفقر المنازل فى الجنة ومنازل الجنة ليس فيها فقر ، وجعله نائيا لا يزور ولا يزار ، ومع ذلك لم يصل اليه الا بعد هياط ومياط وشفاعة لم يشكرها وكأن عادة الدنيا من دناءة نفسه لم تفارقه لا يعترف بجميل .. وقد دخل الجنة بفضيلة واحدة هى « الصدق » ولم يدخله بيته الرائع :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

لأنه مسبوق فيه ولأنه لم يعمل بما قصد اليه .

ومعروف أن العمل ثمرة العلم ، فما نظمه شاهد عليه لا له ، وهو صادق فى هذا أيضا . فالصدق هنا هو هدف القصص . وفضيلة أخرى نوه بها وصاغها صياغة فنية هى فضيلة « الوفاء » .

ويرجع عمله الأدبى هنا الى مثل عربى قديم ، والأمثال كما تعرف نوعان : نوع من واقع الحياة ، ونوع من صنع الخيال نسميه « الفرضى » فمن النوع الأول : سبق السيف العذل ، وعلى نفسها أوقومها جنت براقش ، ومن النوع الثانى :

« كيف أعاودك وهذا اثر فاسك ؟ »

وأصل المثل كما حكته العرب أن أخوين أجدبت بلادهما ، وكان بالقرب منها واد خصيب ، فيه حية تحميه ، فهبط أحدهما الوادى مخالفا نصيحة أخيه ، فرعى فيه زمنا ، ثم نهشته الحية فقتلته ، فجاء أخوه الوادى يطلب ثاره ، فقالت له الحية : هل لك فى الصلح ؟ ادعك فى هذا الوادى وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت فحلف لها أن لايؤذيها ما وفت . فلما حسن حاله ذكر أخاه فأخذ فأسا ثم تبعها وضربها فاخطأها ، وأثرت الفأس فى جحرها ، فقطعت عنه الدينار ، فخاف شرها وندم . فقال لها : هل لك فى أن نتواثق ونعود كما كنا فقالت « كيف أعاودك وهذا أثر فاسك ؟ » يضرب لمن لا يفى بالعهد. فماذا صنع خيال المعرى فيه ؟ الجواب يأتيك من رسالة الغفران ، حيث سميت الحية باسم عرفه العرب ودونه أبو العلاء : « ذات الصفا » وإليك حكايتها :

ثم يضرب « ابن القارح » سائرا فى الفردوس فاذا هو بروضة مونقة ، واذا بحيات يلعبن ، يتمايلن ويتقابلن ، فيقول : « لا اله الا الله » ، وماتمتنع حية فى الجنة ، فينطقها الله ــ جلت قدرته ــ بعد ما ألهمها المعرفة بهاجس الخلد ، فتقول : أما سمعت فى عمرك « بذات الصفا » الوافية لصاحب ما وفى ؟ كانت تنزل بواد خصيب ، ما زمنها فى العيشة بجديب وكانت تصنع اليه الجميل فتعطيه من الدنانير مايغنيه ويكفيه فلما ثمر بودها ماله ، وأمل أن يجتذب آماله ذكر عندى ثاره وأراد أن يقتفر (١) آثاره ، وأكب على فأس معطلة يحد غرابها للآملة ، ووقف للساعية على صخرة ، وهم أن ينتقم منها بآخرة ، وكان أخوه ممن قتلته ، جاهرته فى الحادثة أو قيل ختلته ، فضربها ضربة لوأصابها كانت نكية فلما وقيت ضربة فأسه

(١) يقتفر ــ يتتبع .

والحقد يمسك بأنفاسه ندم على ما صنع أشد الندم وسن له في الجدة بالعدم ، فقال للحية مخادعا ولم يكن صادعا : هل لك أن تكون خليتي ، ونحفظ العهد الذي « جارين » ودعاها بالسفه الى حلفه ، وقد سبق من الغدر بخلفه ، « الخلف حضة ضرع الناقة » .

فقالت : لا أفعل وإن طال الدهر ، وكم فصم بالغير ظهر (الغير حوادث الدهر) انى أجدك فاجرا مسحورا « مخدوعا » لم تال في خديك حورا (الحور الهلاك) تأبى لي صكة فوق الرأس عارستها أباس مراس ، ويمنعك من أريك قبر محفور ، والأعمال الصالحة لها وفور .. هكذا دخلتذات الصفا الجنة لوفائها والحفاظ على عهدها واخائها ، ويؤكد كلامه بشعر النابغة الذبياني ، ويهدف من هذا الى غرس فضيلة الوفاء ، ونزع رذيلة الغدر وللعرب اشادة بتلك الفضيلة في أشعارها وخطبها وأمثالها ومن ذلك قولهم : « أوفى من السموءل » والسموءل ضحى بابنه حتى لايقال غدر . وتقول حية أخرى وموجز ما قالت أنها كانت تسكن في دار « الحسن البصرى » فسمعته يقرأ القرآن ، فكان يقرأ **« فَالِقُ الأَصْبَاحِ »** (١) بفتح الهمزة ، كأنه جمع صبح وكذلك « **بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** » (٢) كأنه على حد قولهم بكر وأبكار ، كما يقال جند وأجناد .

فلما توفي الحسن البصرى انتقلت الى جدار في دار « عمرو بن العلاء » فأنكرت منه فتح همزة الانجيل . فلما توفي أبو عمرو أقامت في جوار « حمزة بن حبيب » فسمعته يقرأ بأشياء ينكرها عليه أصحاب العربية كخفض الأرحام في قوله تعالى : « **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ** » (٣) وكسر الياء في قوله تعالى : « **وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيِّ** » (٤).

وقد ناقش أبو العلاء هذه القراءات ، ورضيها في غير القرآن ، واستشهد على ذلك بالشعر — والمقال لا يتسع للتفصيل — ويعجب ابن القارح بتلك الحية المثقفة ، ويظهر اعجابه ، فتقول له : الا تقيم عندنا برهة من الدهر ؟ انى اذا شئت انتفضت من اهابى فصرت مثل أحسن غوانى الجنة ، لو ترشفت رضابى لعلمت انه أفضل من الدرياقة التى ذكرها ابن مقبل ، ولو تنفست في وجهك لأعلمتك أن صاحبة عنترة تغله صدوف ، والصدوف الكريهة رائحة الفم ، وعنت به للذعر .

يقول الراوى : ويذهب مهرولا في الجنة ، فيقول في نفسه : كيف يركن الى حية شرفها السم ولها بالفتنة هم ؟ فتناديه وبالشعر تغريه وتناغيه .. لو أقمت عندنا الى أن تخبر ودنا وانصافنا لندمت انكنت في الدار العاجلة قتلت حية أو ثعبانا .

فيقول وهو يجرى ويسمع خطابها الرائق : لقد ضيق الله على مراشف الحور الحسان ان رضيت بترشف هذه الحية .

بمثل هذا القصص الفني ينوه أبو العلاء بالفضائل مثل عفة النفس والصدق والوفاء ، ويعالج أثناء ذلك مسائل اللغةوالنحو والصرف والقراءات ويجعل بعض ذلك على لسان مالا يعقل ليمتع ويفيد .

---

(١) من الاية ٩٦ سورة الانعام .
(٢) من الاية ٤١ سورة آل عمران .
(٣) من الاية الاولى من سورة النساء .
(٤) سورة ابراهيم اية ٢٢ .
ملحوظة : تصرفنا في أسلوب ابى العلاء بعض التصرف .



قضية البعث الإسلامي

المنهج والشروط

تأليف وحيد الدين خان
ترجمة محسن عثمان الندوى

— ٢ —

وتحت عنوان « الاسلام والعلم الحديث » يتناول المؤلف موقف الاسلام من العلوم بصفة عامة ، متتبعا ذلك فى الماضى والحاضر ، موضحا كيف سارت العناية بالعلوم الطبيعية جنبا الى جنب مع الدعوة الى التوحيد ونبذ الشرك .

** وفى البداية يذكر المؤلف أثر الاسلام فى الاتجاه نحو الطبيعة لتسخيرها للانسان ، فالاسلام هو الذى جعل الطبيعة مادة مدروسة ، وليست مادة معبودة ، لا يستطيع أحد الاقتراب منها ، ويوضح ذلك فى قوله : « وما كان للعلوم الطبيعية أن تبرز الى حيز الوجود وتبلغ المستوى الذى بلغته الا باعتبار هذه المظاهر الطبيعية أولا مواضيع تدرس وتبحث فتسخر لخدمة الانسان ، فالانسان المشرك يعتبر القمر معبودا ، فكيف يجترىء على أن يطأه بقدميه .

والانسان المشرك ينظر الى السيول على أنها قوة تستحق العبادة ، فكيف له أن يفكر فى توليد الكهرباء منها بعد تسخيرها ، هذا هو الاسلام الذى أخضع الشرك ، وأعطى فكرة التوحيد مكانة أسمى » (٩١) .

ونتيجة لذلك فان المسلمين كانوا يسايرون موكب العلم ويحملون رايته حتى انقرض نظام الخلافة العربية بسبب خلافات سرت فى المجتمع الاسلامى فحمل راية الاسلام الأتراك العثمانيون ، فكان ذلك حدثا غير مجرى التاريخ ، وحول الأحداث الى نهج جديد .. ويبين المؤلف موقف الأتراك من العلم فيقول : « لقد كان الأتراك بواسل شجعانا وأصحاب عزيمة ، ولكن كانت تنقصهم

الميزة العلمية فلم يدركوا أهمية البحوث والدراسات العلمية ، بل كانوا يحسبونها خطرا عليهم ولذلك أصبحوا يعادون الأعمال العلمية » .

ثم يقول عن العلماء الذين نزحوا من بغداد الى الآستانة « بينما كان الخلفاء العباسيون يضعون العلماء موضع الاجلال والتقدير ويغدقون عليهم الأموال ، كان الأتراك على العكس ... ثبطوا هممهم وضيقوا الخناق عليهم ، ولم يجدوا بريق الأمل في مستقبل كريم فنزحوا الى الديار الفرنسية والايطالية ، ومن ثم انتقلت الأعمال العلمية من عالم الاسلام الى الغرب » (٩٥) .

ويخلص المؤلف من ذلك الى بيان أن المسلمين احتلوا مكان الأستاذية في العلم حتى القرن السادس عشر ، ثم أتى عليهم حين من الدهر لم يكونوا الا متطفلين على مائدة الغرب ، وسبقتهم أوربا بقرون في ميدان التقدم والنهضة العلمية » .

ويستطرد من هذا الى توضيح الغاية التى يريد الوصول اليها ، وهى أنه كان من الواجب على المسلمين بعد هذا التراجع العلمى أن يستعيدوا مجدهم التليد ، لكنهم لم يفعلوا لسببين :

أولهما : ابتعاد المسلمين عن العلوم الطبيعية لعدة قرون .

للأستاذ الدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

وثانيهما : وهو الأهم : أن الأشخاص الذين أفاقوا بعد سبات طويل ، ودعوا المسلمين الى الحصول على العلم ، لم يكونوا أكفاء ، ومن دلائل ذلك أنهم حاولوا انجاز هذا العمل الصحيح بطريقة خاطئة ، فلم ينالوا قبولا يستحقونه في الحقيقة بين أوساط المسلمين ، وفى بيان ذلك يقول المؤلف : « فمثلا للتأكيد على العلم الجديد قالوا ان كلمة العلم أينما ذكرت في القرآن ، انما تعنى العلوم الطبيعية ... وكان هذا برهانا خاطئا استخدم لمقصد صحيح ، اذ أن الواقع هو أن العلم الذى ذكرت فضيلته في القرآن والحديث انما هو علم الدين لا العلوم الطبيعية » .

ونحن نرى أن مدلول كلمة (العلم) أعم وأشمل ، ومن الجور قصر الكلمة على مفهوم واحد ، لكن المؤلف يريد أن يقصرها على العلوم الدينية فحسب .

أما العلوم الكونية فانه يريد أن يأخذها من آيات أخرى تتحدث عن القوة لا عن العلم ، على اعتبار أن علوم الكون سبب للقوة .

وبناء على هذا التحديد القاصر لمدلول الكلمة ، نرى المؤلف يفرق بين نظر رجل

العلم ، ونظر رجل الايمان حين يفكر كل منهما فى خلق السموات والأرض — وكأنه يعتقد أنهما فى الواقع رجلان لا يمكن أن يلتقيا فى رجل واحد !! .

— اذ يقول « ينطوى مفهوم العلم على دراسة حقائق الكون ببساطة وهذه هى السمة التى وردت فى القرآن عن أهل الايمان ، انهم « يتفكرون فى خلق السموات والأرض » فرجل العلم يقوم بالعمل نفسه الذى يقوم به رجل الايمان ، ولكن مع فرق واحد ، هو أن العالم يقتصر فى بحثه على البحث العلمى ، بينما يهدف المؤمن بهذا العمل الى العبرة ، وبالتالى يطمئن العالم الى الكم الهائل فى المعلومات ، بينما يطمئن المؤمن الى ما يطمئن اليه قلبه وضميره وعقله المؤمن » (٩٨) .

ان هذا التفسير عجيب ، فما الذى يمنع الناظر فى الكون من أن يكون عالما مؤمنا ، يجمع بين عقل العالم وقلب المؤمن ؟ .

ان الاسلام لا يقيم حاجزا سميكا بين المؤمن والعالم ، وانما تمتزج الصفتان « الايمان والعلم » فى الاسلام فى شخصية واحدة نفهمها من قوله تعالى : « **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » فاطر ٢٨ .

ثم لماذا نحجر على رجل الايمان — حسب تعبير المؤلف — أن لا يتجاوز حدود التأمل الى منطقة الفحص والدراسة وجمع المعلومات ؟

ان ذلك تضييق لما اتسع من أمور الدين والدنيا .

— ٣ —

ومن الحديث عن الاسلام والعلم ، ينتقل المؤلف الى موضوع آخر ، جعل عنوانه « علم الكلام الجديد » وهو يشير بهذا العنوان الى أن هناك من قبل « علم الكلام القديم » الذى نعرفه ، وهو العلم الذى يتخذ العقل والمنطق مصدرا للأدلة والبراهين التى يستدل بها على حقائق الدين .

❋❋ وفى صدر الحديث عن هذا الموضوع ، يفصح الكاتب عن مدلول هذا العنوان بقوله : « تتلخص حقيقة علم الكلام الجديد فى أنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التى تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة ، وتوصل التعاليم الاسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد » (١٠٢) .

والجدة هنا ليست الا بالقياس الى ما كان من جهود العلماء ، أو من اتجاهاتهم العلمية السابقة ، لكنها ليست جديدة فى الاسلام ، كيف ذلك ؟ يبين المؤلف أن جوهر هذا العلم انما هو الاستدلال بالحقائق الطبيعية وصولا الى توضيح حقائق الدين ، وهذا هو ما نجده فى القرآن الكريم ، حين دعا الى التأمل فى آيات الكون ، ومن ذلك ما نراه فى قوله تعالى « **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** » الغاشية ١٧ — ٢٠ .

وعلى هذا فان « علم الكلام الجديد انما

هو علم الكلام القرآنى ، وليس علم الكلام الجديد الا العودة إلى (الكلاميات) القرآنية » (١٠٤) .

ويذكر المؤلف أن هذا المنهج فى الاستدلال كان سائدا فى الصدر الأول ، لكن لما بدأ تدوين العلوم الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى ثم ترتيب علم الكلام الاسلامى على نسق من المنطق والفلسفة، وجرت الأمور التعليمية على هذا النحو قرونا طويلة دون انقطاع ، حتى غدا علم الكلام مرادفا لعلم المنطق ، وكان ذلك انحرافا عن منهج القرآن ، حين وضع علم الكلام أبنية الاستدلال الاسلامى على أساس المنطق القياسى ، بينما وضع القرآن أبنية الاستدلال الاسلامى على أساس الشواهد الطبيعية (١٠٥) .

فاذا كنا ندرك ذلك فان علينا أن ننحى تلك المناهج المنحرفة ، وعلينا أن نعود الى أسلوب القرآن القويم ، وفى الأمكان التعرف على علم الكلام القرآنى جملة وتفصيلا بتتبع آيات الكتاب ، على أن نعترف بأن هناك آيات لا يستطيع العقل الانسانى ادراك مراميها ، أو تفسيرها على وجه واحد معين ، ويستشهد المؤلف على قصور العقل الانسانى بقول الله تعالى : « **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** » الاسراء ٨٥ .

ويأخذ المؤلف بعد ذلك فى عرض المبادىء العامة لاتجاهات هذا العلم الجديد ويذكر من بينها اتخاذ الأسلوب السلس الواضح للكلام ، لأنه هو الذى يسترعى طبيعة الانسان ، وينفذ فى أعماقه ، ويسيطر على وجوده ، بخلاف الكلام الصناعى المعقد الذى لا تشربه طبيعة الانسان ولا يستطيع أن يهضمه هضما صحيحا ، واذا كان الأسلوب الأخرى فى عصرنا ، هو ما يعرف بالأسلوب العلمى الذى يقدم الكلام بصورة واقعية وحقيقية ، فان هذا الأسلوب هو أسلوب القرآن الكريم .

اما أسلوب المنطق والفلسفة فليس أسلوبا علميا ، لأنه أسلوب معقد وصناعى ، ولا يقدم الحقيقة فى وضوح وموضوعية ..

— ٤ —

وفى ختام الكتاب يأتى مقال بعنوان « مشروع البعث الاسلامى » وفيه يحدد المؤلف الوسائل التى تؤدى الى أن يعود الاسلام مهيمنا على الحياة ، وهى وسائل يحددها المؤلف من واقع نظريته العامة السائدة فى الكتاب كله .

❋ يذكر الكاتب أن الناس يتساءلون « ما المشروع الذى لديكم » ؟.

ويجيب عن ذلك قائلا « ان الضرورة لاتقتضى مشروعا ، بل يحتاج الأمر الى « قافلة مؤمنة » فقط » « ان قضية البعث الاسلامى تبحث عن انسان كمم فمه خوف الله بين الناس الصائمين الناطقين باسم الله ، وتبحث بين الذين يجرون

وراء الدنيا - عبيدا لها - عن انسان أتعبته الآخرة .. وتبحث عن انسان بين المتحاربين باسم الدين تخلى عن الصراع والتحارب .

ان الاسلام يحتاج الى رجال ينظرون الى الحقائق حتى لا تحجبهم مسألة لفظية عن الحقيقة ، ولا تشوبهم شائبة العواطف ، حتى لا ينحرفوا عن الحق بسبب النزاع أو الشجار ... هؤلاء هم قوام الاسلام فى عهده الأول ، وسيكونون لبنات الاسلام فى عهده الثانى ... والطريق الوحيد لاعداد الأفراد هو اثارة حركة خالصة على أساس الدين القويم تمس فطرة الانسان وتوقظه من منامه » (١٧٢) .

وينتهى المؤلف من ذلك الى أن الطريق الوحيد لبدء عمل اسلامى حقيقى فى القرن الخامس عشر الهجرى « هو القضاء على هذا الوضع الذى يسمى كل حركة سياسية فى العالم (حركة اسلامية) » (١٧٣) .

ثم يقول : « ان هذا العمل هو البدء الصادق (بالدعوة) علمنا نقهر عصر الشرك الجديد (الشيوعية والعلمانية) وأيضا لعلنا نمشى فى الطريق الذى تدفعنا اليه كل المؤشرات الكونية المترجمة للارادة العليا ، سائرين نحو بناء انسانية مؤمنة ، وحضارة تعمل للدنيا وترجو الآخرة فى سياق واحد » (١٧٦) .

وواضح من كلام المؤلف أنه لا حساب للقوة الى جانب القيام بالدعوة فى مجال العمل من أجل قهر الشرك الجديد وعلى رأسه الشيوعية .

ونقول : وهل الشيوعية - فى محاولة السيطرة على غيرها - تكتفى بالجانب السلمى فحسب ؟ وهل بقيت حبيسة عقر دارها ولم تقم بغزو غيرها من البلدان ؟ أو أن الواقع غير ذلك ، وفى بلدان اسلامية خير شاهد على ذلك الواقع ؟ وما قيمة الاكتفاء بجانب الدعوة فى وسط تفرض فيه الشيوعية مبادئها وتحميها بقوة السلاح ؟ ان هذا لهو الأمر العجاب .

- ٥ -

وبعد : فان هذا الكتاب قد يخدع فى مظهره كثيرا من القارئين المتعجلين ، الذين تخدعهم النظرة الأولى ، ذلك حين يرون المؤلف يولى - فى حماس ظاهر - جانب الدعوة الاسلامية كل هذا الاهتمام ، وحين يؤثرها لتكون طريقا وحيدا يبعث الاسلام فى نفوس المسلمين .

ونحن لا نريد أن نتعجل باتهام ما ، من شأنه أن يؤدى الى التشكيك فى صدق النوايا الحسنة الدافعة الى هذا الكتاب ، أو الكامنة فيه لكن الجوانب التى وقفنا فيها مع فكر المؤلف بالعرض والتعليق كافية لأن تبرز أمام أعيننا أكثر من علامة استفهام ، لأننا لو سلمنا بما يذهب اليه المؤلف لكان معنى ذلك أننا نعزل الاسلام عزلا كاملا عن توجيه الحياة ، مكتفين منه بأن يكون فقط وصايا حكماء ، أو توجيهات مرشدين ، أو عظات واعظين .

وبالاضافة الى ما قلناه فى تلك الجوانب التى وقفنا عندها نقول : ان بعث الاسلام فى نفوس المسلمين لا يكفى فيه أن يقوم به أفراد يعتلون المنابر ، ويرسلون عظاتهم معرفين بالاسلام .

ان الحكومات التى تدين بالاسلام مطالبة هى الأخرى قبل الأفراد أن تبعث الاسلام فى تشريعاتها وقوانينها وأحكامها ، وسياستها واقتصادها .

ان الاسلام قد اكتمل فى مصدريه : الكتاب والسنة بوابست القضية الآن هى قضية الدعوة لكى يدخل مسلمون جدد فى الاسلام وانما القضية الملحة هى كيف تبعث الاسلام الحقيقى العملى فى نفوس المسلمين أنفسهم ، كيف ننقلهم من واقع التسمية الى واقع المضمون والجوهر . فهل يكفى أن نقوم مع هؤلاء بواجب الدعوة فحسب ثم لاشىء بعد ذلك ؟ .

كذلك نقول : ان الاسلام قد تجاوز دور المراحل بعد أن نزلت الآية الكريمة « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » المائدة ٤ . فلماذا يراد بنا استئناف المراحل من جديد ، ويطلب منا أن نكتفى الآن بالدور الذى كانت عليه الدعوة فى مكة قبل الهجرة ؟ وهل يكفى فى الانتساب الى الاسلام اليوم أن يعتصم به أناس يكممون أفواههم بالصمت أو يعتصمون به فى الصوامع، أو يهربون به فى رءوس الجبال ؟

ان الاسلام جاء ليخرج الناس من ظلمات العزلة ومن كهوف الصمت ، جاء ليخلق أمة حية متحركة ومحركة ، أمة من شأنها ان تقود العالم ، لأنها خير أمة أخرجت للناس ، ولن يحدث ذلك الا اذا توافر فى مفهوم (الأمة) وفى واقعها ما يجعلها جديرة بأن تكون فى موضع القيادة والقدوة .

فهل يعى ذلك من يريدون أن تكون الدعوة الاسلامية مقصورة على ميدان لا يغادر فيه القائمون عليها فراشهم الناعم الوثير ؟ ! « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » الذاريات ٥٥

تم

د . طه مصطفى أبو كريشة

تصويب

نأسف لوقوع خطأ فى عدد شوال ص ١٦١٧ سطر ١٨ اذ وقع ضبط كلمة « الحق » فى الآية السادسة من سورة سبأ بالضم ، وصحتها الفتح فلزم التنبيه مع رجاء التصحيح .



مع رسالة جامعية

المفاهيم الدينية اللازمة

لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسي

رسالة جامعية تناقش موضوع المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ مرحلة التعليم الاساسي .

تكونت لجنة المناقشة من الاساتذة :

الاستاذ الدكتور : الاحمدى ابو النور وزير الاوقاف .

الاستاذ الدكتور : حسن شحاته جامعة عين شمس .

الاستاذ الدكتور : حامد عبد العزيز العبد عميد كلية التربية .

الاستاذ الدكتور : محمد على نصر استاذ المناهج وطرق التدريس المساعد .

وقد منحت اللجنة الطالب : زين محمد شحاته درجة الماجستير بتقدير ممتاز واوصت بطبع الرسالة وتوزيعها وتبادلها مع الجامعات المختلفة .

ناقشت كلية التربية بجامعة المنيا رسالة الماجستير المتقدمة من الطالب/زين محمد شحاته وموضوعها (المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ مرحلة التعليم الاساسى) وتقديم محتوى المناهج الحالية فى ضوئها .

وتقوم فكرة الرسالة على أن الرسول ﷺ استطاع أن يحول أصحابها بالتربية الاسلامية الى صور حية من القرآن الكريم فصار كل رجل منهم قرآنا يمشى على الارض ونموذجا مجسما للاسلام ، يراه الناس فيرون الاسلام ولقد انتصر المسلمون يوم صاغوا من فكرة الاسلام رجالا وحولوا ايمانهم بالاسلام عملا وطبعوا من القرآن ألوفا بل مئات الألوف لم يطبعوها بالمداد على صحائف الورق وانما طبعوها بالنور على صحائف القلوب .

لقد أقاموا بالتربية الاسلامية القديمة المجتمع الفاضل ، الذى كان حلم المفكرين وأمنية الفلاسفة منذ القدم ، وكيف لا والقاضى يجلس بينهم سنتين لا يتخاصم اليه اثنان ؟

ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟

ولماذا يختلفون وهم يحبون لأنفسهم مايحبونه لغيرهم .

ولماذا يتباغضون والاسلام يأمرهم بالمحبة والاخاء ؟

صفوت عبد الجواد

ونمضي مع رسالة الطالب زين محمد شحاته حيث يوضح أن الاجيال المسلمة ظلت عبر القرون تستقي من معين فضائلهم ، وتستضيء بنور مكارمهم ، وتنتهج في التربية نهجهم ، الى أن جاء عصر استبدت بالمسلمين الأهواء وبدأوا يبتعدون عن كتاب ربهم وسنة نبيهم فخبت منهم شعلة التربية الاسلامية فتحولوا من أمة عظيمة تخشى بأسها الأمم الى أمم متناحرة ودويلات متخاصمة تتقاذفهم الأهواء وتفرقهم المبادىء ويتساقون وراء الشهوات والملذات ويسيرون بلا هدف ولا غاية يجتمعون على الفرقة ويتفرقون على الوحدة وانكمش دور التربية الاسلامية فبعد أن كانت روحا لكل ما يتعلمون وأساسا لكل ما يدرسون ، صارت مادة دراسية منفصلة عن بقية المواد .

والأمر لم يقتصر على ذلك بل صارت نافلة وفضلة ، حصصها قليلة جدا وقد يدرس المعلم مادة غيرها في وقتها ودرجاتها لا تضاف لمجموع التلميذ فهي يتيمة لا كافل لها ومهضومة لامدافع عنها .

ويضيف الباحث قائلا :

ولا يستطيع الباحث ان ينكر أنه بدأت في الآونة الأخيرة نداءات تدعو الى الاهتمام بها ومراجعة مناهجها واعداد معلمها ولكن هذه محاولات فردية ما تلبث ان تتبخر في الهواء والأمر يحتاج الى تكاتف الجهود وتآزر الهمم من أجل تنشئة الأبناء تنشئة اسلامية قويمة .

وهذه الدراسة محاولة على هذا الطريق فهي تهدف الى معرفة المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ الحلقة الاولى من التعليم الأساسي وتقويم محتوى المناهج الحالية في ضوئها وقد اختار الباحث الحلقة الاولى من التعليم الاساسي لأنها تمثل قاعدة للسلم التعليمي في مصر وبالتالي فهي نقطة البدء في تعليم أساسيات المعرفة .

وتتكون الدراسة من ستة فصول :

يتناول الفصل الاول : مشكلة البحث واهميتها وحدود البحث والمصطلحات التي وردت في البحث والخطوات التي اتبعها الباحث في هذه الدراسة .

ويتناول الفصل الثاني : الاطار النظري للدراسة .

ويتناول الفصل الثالث : البحوث والدراسات التي تمت في مجال التربية الدينية بصورة عامة وفي مجال المفاهيم الدينية بصفة خاصة .

ويتناول الفصل الرابع : أدوات البحث التي استخدمها الباحث في تعرف المفاهيم الدينية اللازمة لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي .

ويتناول الفصل الخامس : تحليل كتب

مع رسالة جامعية

التربية الدينية المقررة على الصفوف الدراسية من الفصل الأول حتى السادس في مرحلة التعليم الأساسي •

ويدور الفصل السادس : تلخيصا للبحث بصورة عامة ونتائجه والتقدم ببعض التوصيات والمقترحات •

وفي التوصيات التالية توضيح لمفهوم الرسالة :

التوصيات :

يمكن التقدم بمجموعة من التوصيات التي تساعد في الأخذ بنتائج هذا البحث الى حيز التطبيق ، وهذه التوصيات هي :

اولا : بالنسبة لمناهج التربية الدينية :

١ ــ اعادة النظر في مناهج التربية الدينية في جميع المراحل التعليمية ، وبناء هذه المناهج على أساس المفاهيم الدينية اللازمة للتلاميذ في كل مرحلة ، وهذا الامر يحتاج الى جهد جماعي تقوم به لجان من المتخصصين في التربية وعلم النفس وعلوم الشريعة الاسلامية وتقوم هذه اللجان بالمهام التالية :

(أ) حصر المفاهيم الدينية وتحديدها في كل المراحل الدراسية •

(ب) تصنيف هذه المفاهيم بحسب الصعوبة والسهولة والتبسيط والتركيب •

(ج) وضع تعريفات محددة لكل مفهوم بشكل متدرج من مرحلة التعليم الاساسي الى التعليم العالي •

(د) الاشراف على الأعمال التجريبية في مجال بناء المفاهيم الدينية وتكوينها وفي طرق تدريسها •

٢ ــ ربط مادة التربية الدينية بالعلوم العصرية والمواد الدراسية المختلفة •

٣ ــ مراعاة مستوى نمو التلاميذ عند بناء مناهج التربية الدينية •

٤ ــ العناية بكتب التربية الدينية من حيث الطباعة والشكل والاطلاع على أحدث الأبحاث التربوية في هذا المجال •

٥ ــ مراعاة عدم الحشو والتكرار في محتوى مادة التربية الدينية •

٦ ــ مراعاة الترابط بين موضوعات المنهج•

٧ ــ زيادة حصص التربية الدينية الى خمس حصص أسبوعيا : حصتان للقرآن، وثلاث حصص للمادة العلمية •

ثانيا : بالنسبة لطرق التدريس والوسائل التعليمية :

١ ــ التنويع في طرق التدريس في مجالات التربية الدينية واختيار الطريقة التي تناسب كل مجال •

٢ ــ الاهتمام بالوسائل التعليمية وتنويعها في تدريس التربية الدينية على أن تكون هذه الوسائل واضحة وذات ألوان متباينة وقادرة على مقابلة الفروق الفردية بين التلاميذ •

٣ ــ مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ في تدريس وتحفيظ النصوص الدينية •

ثالثا : بالنسبة للنشاط الديني :

١ ــ الاشراف على النشاط الديني بالمدارس في جميع المراحل التعليمية مع ربط النشاط الديني بالمنهج المقرر •

٢ ـ الاشراف على انشاء المساجد فى جميع المدارس بحيث تكون مناسبة لعدد الطلاب وتمارس فيها جميع الأنشطة الدينية تحت مسئولية مدرس التربية الدينية .

٣ ـ اعداد مكتبة اسلامية كاملة تزود بالمصادر والكتب التى تنهض بالعلوم والثقافة الاسلامية ، بحيث تناسب جميع المستويات فى المدارس .

٤ ـ اصدار النشرات والتوجيهات الخاصة بمادة التربية الدينية وتنظيم اقامة الندوات الدينية فى المدارس .

٥ ـ انشاء الجماعات الدينية من التلاميذ لخدمة المدرسة والبيئة المحيطة .

٦ ـ التعاون بين المدرسة والمدرس والاسرة والمجتمع بالوسائل التثقيفية المختلفة وخاصة وسائل الاسلام المرئية والمسموعة لتربية الابناء تربية اسلامية سليمة . وبدون هذا التعاون نكون كالذى يحرث فى بحر ويحصد فى هشيم .

رابعا : بالنسبة لتقويم منهج التربية الدينية :

١ ـ الارتقاء بوضع مادة التربية الدينية ، وذلك بضم درجاتها الى المجموع الكلى للدرجات . فلا يعقل فى دولة مسلمة أن تكون التربية الدينية فى هامش شعور رجال التعليم فيها .

٢ ـ أن يتعدى التقويم الجانب التحصيلى لدى الطالب الى الجوانب الاخرى .

٣ ـ الاهتمام بتنويع وسائل التقويم فى التربية الدينية .

٤ ـ الاهتمام بصياغة الأسئلة صياغة دقيقة واضحة .

٥ ـ مراعاة توفير أسئلة عامة فى نهاية المنهج .

خامسا : بالنسبة لمعلم التربية الدينية :

١ ـ وضع الخطط اللازمة لتأهيل معلم التربية الدينية ثقافيا ودينيا وتدريبه على استخدام الطرق والأساليب الحديثة فى تدريس المفاهيم الدينية فى كل مجالات التربية الدينية واستخدام الوسائل التعليمية .

٢ ـ مراعاة أن يتوفر فى مدرس التربية الدينية القدوة الحسنة ففاقد الشىء لايعطيه .

٣ ـ أن يقدر معلم التربية الدينية دروس الدين ويعتنى باعدادها ويعمل على خلق جو من المهابة والتقديس فى حصة التربية الدينية مع الاهتمام بسلوك التلميذ وتقويمه .

٤ ـ ضرورة اطلاع معلم التربية الدينية على الأهداف العامة للمرحلة التعليمية والأهداف الخاصة بالمادة ، وربط الدروس بالحياة ، وتلاوة القرآن مع الخشوع ، والاهتمام بشرح المناسبات التى قيلت فيها الأحاديث النبوية .

٥ ـ جعل مدرس التربية الدينية من المتخصصين فى العلوم الاسلامية والشرعية .

٦ ـ أن يعمل مدرس التربية الدينية على تقوية ميول التلاميذ للمحافظة على شعائر الدين ومبادئه السامية من غير نفور أو تشدد متخذا من يسر الاسلام وسماحته ما يحمله على الاتزان فى جميع أعماله .

٧ ـ اصدار مرشد للمعلم توضح فيه مجموعة من الطرق وأساليب التدريس التى يمكن استخدامها ويتسلمه المعلم فى أول العام الدراسى .



أنباء وآراء

« انجازات اللجنة العليا للدعوة الاسلامية » في خمسة اجتماعات

تعرضت مصر في أواخر سنة ١٩٨١ م ، ١٩٨٢ م لحملة تزعمها ادعياء الدين ومن هم على حرف فاشتبه الدين على العامة عن شعب مصر الطيب فاخذ التنطع ينتشر والتشدد يسود ، ونظرا لان العبء الاكبر من مسئولية الدعوة الاسلامية يتحمله الازهر الشريف والأوقاف فان مسئوليتهما في قيادة العمل مسئولية كبيرة بل لا ابالغ اذا قلت انها مسئولية ثائرة ومؤثرة وتاريخية في الوقت نفسه .

لهذا قررت الدولة انشاء لجنة عليا للدعوة الاسلامية تتبع الأزهر الشريف لتصحيح مفهوم الناس عن الدعوة الاسلامية يقوم برياستها فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر ، ونائبا له في حالة غيابه وزير الأوقاف .

وتضم في عضويتها السادة نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالي ووزراء التربية والتعليم والاعلام والثقافة والمجلس الأعلى للشباب والرياضة ورئيس جامعة الأزهر وكبار الشخصيات المهتمة بشئون الدعوة الاسلامية في مصر .

وفي مقدمة مهام اللجنة بحث شئون الدعوة الاسلامية في الداخل والخارج وما تتعرض له من مشاكل ومن أهم ما تختص به اللجنة :

١ ــ اقتراح خطة وسياسات الدعوة الاسلامية في الداخل والخارج .

٢ ــ دراسة وسائل الامكانيات التي تساعد على نشر الدعوة الاسلامية .

٣ ــ التنسيق بين الأجهزة المختلفة العاملة في مجال الدعوة الاسلامية أو المتصلة بها .

٤ ــ اقتراح واعداد التشريعات واللوائح والقرارات المنظمة للدعوة الاسلامية .

٥ ــ دراسة المشكلات التي تواجه جهاز

تقديم: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عبد المنعم حافظ فودة

الدعوة واقتراح الحلول الملائمة لها وكذلك التقارير التى تقدمها الأجهزة المختلفة العامله فى حقل الدعوة الاسلامية .

٦ ــ دراسة تقارير لجان التوعية الدينية بالمحافظات للوقوف على مسار الدعوة بالمحافظات والعقبات التى تعوقها لتذليلها وتوفير وسائل النهوض بها .

٧ ــ دراسة التقارير التى تقدمها لجان التوعيه الدينية بالمحافظات عن نشاط مجالس ادارة المساجد التابعة لها .

٨ ــ المشاركة فى وضع منهج التوعية الدينية بين حجاج بيت الله الحرام وفى تنظيم أداء مناسك الحج والعمرة .

٩ ــ المشاركه فى وضع التخطيط الذى يدعم القيم الدينية فى اجهزة الاعلام المختلفه .

١٠ ــ دراسة احوال الأقليات الاسلامية فى البلاد الأجنبية والعمل على مساعدتها ماديا ومعنويا فى ضوء التقارير الواردة من المبعوثين والمراكز الاسلامية بالاشتراك مع الجهات المعنية .

وقد اجتمعت اللجنة خمسة اجتماعات لبحث شئون الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج وكانت الجلستان الرابعة والخامسة للجنة على جانب كبير من الأهمية فكان من توصياتهما :

١ ــ انشاء صندوق تمويل الدعوة الاسلامية ودعمها لتحمل أعباء الدعوة فى الداخل والخارج . وقد تشكلت على وجه السرعة لجنة لدراسة انشاء الصندوق من السادة :

الاستاذ الدكتور/ابو الوفا التفتازانى
مقررا

الاستاذ المستشار / السيد عبد العزيز هندى
عضوا

المستشار الدكتور/جمال الدين محمود
عضوا

الاستاذ الدكتور/رؤوف شلبى
عضوا

الاستاذ الدكتور/عبد الودود شلبى
عضوا

◄

● أنبـــاء .. وآراء

واجتمعت اللجنة خمسة اجتماعات . وانتهت بوضع لائحة للصندوق سوف تعرض على اللجنة العليا للدعوة الاسلامية في اجتماعها القادم لاقرارها . ثم رفعها للجهات المختصة لاستصدار قرار جمهوري بانشائها .

٢ ــ كما أوصت اللجنة في جلستها الخامسة بالاستيثاق من موضوع مأساة المسلمين في بلغاريا وتفويض فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر لاتخاذ مايلزم تجاهه .

٣ ــ أوصت اللجنة بتفويض فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر لمتابعة موضوع كتابة ــ آيات قرآنية على الملابس الداخلية التي تدخل الى بعض الدول العربية والاسلامية كما ورد في مجلة أكتوبر . واتخاذ مايلزم تجاهه .

٤ ــ أوصت اللجنة بتشكيل لجنة لبحث موضوع تدريس مادة الثقافة الاسلامية بالجامعات المصرية من السادة الآتية أسماؤهم على أن تختار هذه اللجنة مقررها من بين أعضائها :

١ ــ صاحب الفضيلة الشيخ/عبد العزيز عيسى

٢ ــ الاستاذ الدكتور/أبو الوفا التفتازانى

٣ ــ الاستاذ الدكتور/جمال الدين محمود

٤ ــ الاستاذ الدكتور/رؤوف شلبى

٥ ــ الاستاذ الدكتور/محيى الدين الصافى

٦ ــ صاحب الفضيلة الشيخ/محمد عبد الواحد

٧ ــ الاستاذ الدكتور/عبد الودود شلبى

ومن يرى فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر ضمه للجنة الموقرة بناء على اقتراحها .

٥ ــ أوصت اللجنة بتخصيص جلسة خاصة لموضوع التبشير في الداخل والخارج ، كما أوصت ببحث امكانية مزيد من التعاون بين وزارة الاعلام واللجنة العليا للدعوة الاسلامية .

٦ ــ كما أوصت اللجنة بالغاء المادة ٢٠١ من قانون العقوبات رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٢ م والخاصة بتقييد مهمة الامام أو الواعظ . وفوضت فضيلة الامام الاكبر شيخ الازهر برفع مذكرة باسم اللجنة العليا للدعوة الاسلامية للجهات المختصة .

نسأل الله التوفيق والسداد فيما أسند الى اللجنة العليا للدعوة الاسلامية في خدمة الاسلام والمسلمين في انحاء العالم .

تطبيق الشريعة الاسلامية
في رأس الخيمة

اكد الشيخ صقر بن محمد حاكم امارة رأس الخيمة وعضو المجلس الاعلى للاتحاد بدولة الامارات العربية المتحدة : ان بلاده سوف تمضى قدما في تطبيق الشريعة الاسلامية

بهدف تحقيق مجتمع الكفاية والعدل والمساواة. وقال الشيخ صقر : أن شعب رأس الخيمة شعب مسلم يناصر ويؤيد كل دعوة من شأنها تحويل مسيرة المجتمع نحو شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

مؤتمر العقاد والدراسات الاسلامية

أوصى المؤتمر العلمي السنوى الثامن الذى عقد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى جامعة القاهرة ــ حيث ناقش السياسة فى اسلاميات العقاد ــ بتأسيس جمعية للمستشرقين لخدمة البحوث الاسلامية ، وتوثيق الصلات بين هؤلاء المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسلامية فى سائر انحاء العالم . وتعد هذه الطريقة طريقا جديدا امام ترجمة مختلف الكتب الاستشراقية حتى تلك التى تعصبت وتميزت ضد الاسلام من أجل التعرف على خطط اعدائه . شارك فى المؤتمر لفيف من مفكرى العالم وأدبائه وبعض كبار الشخصيات الاسلامية والسياسية فى مصر والعالم .

تشكيل مجلس اسلامى للعمال فى أوربا

تم مؤخرا فى العاصمة الفرنسية ــ باريس ــ تشكيل المجلس الاسلامى للعمال المسلمين المهاجرين فى أوربا . يضم المجلس نخبة من العمال المسلمين العاملين فى انحاء أوربا ، ويتولى الدفاع عن مصالحهم الدينية والثقافية والاجتماعية والتعليمية .

جامعة اسلامية للدعاة فى افغانستان

قام المجاهدون الأفغان ضد الغزاة السوفييت بتأسيس جامعة اسلامية للدعوة والجهاد الاسلامى .

الجامعة الجديدة قام بافتتاحها المجاهدون حديثا فى قرية (بيشاور) التى يهاجر اليها المجاهدون . وتهدف الجامعة الى اتاحة الفرصة أمام أبناء المجاهدين للدراسة الاسلامية والصمود امام عملية غزو الافكار الشيوعية التى يقوم بها السوفييت .

حملة تعريب شاملة فى الصومال

أدى نحو مائتى الف مواطن صومالى من بينهم خمسون الفا من العاملين بالهيئات الحكومية امتحانات نهائية للمرحلة الثالثة لحملة التعريب فى الصومال . وكانت هذه المرحلة قد بدأت فى السابع عشر من شهر يوليو الماضى . وقد حشدت الحكومة الصومالية لهذه المرحلة خمسة آلاف معلم من ضمنهم عددا

أنبـــاء .. وآراء

من المعلمين التابعين لمنظمة التربية والثقافـة والعلوم العربية .

انتشار الحجاب الاسلامى في ماليزيا

نشرت صحيفة (الجارديان) البريطانيـة تقريرا اخباريا عن الصحوة الاسـلامية في ماليزيا . قالت فيه : اهم ما يلفت الانتباه في المدارس والجامعات الماليزية هـو انتشار الحجاب الاسلامى الذي ترتديه الفتيات .

وقالت الصحيفة : « ان صيحة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية في ماليزيا اصبحت تدوى في أنحاء البلاد » .

المركز الاسـلامى الافريقى

اعد المركز الاسلامى الافريقى بالخـرطوم خطة لتطوير مناهجه ومواده الدراسية بهـدف خدمة القضايا الاسلامية المعاصرة . قال مدير المركز : ان أهم ملامح الخطة ترتكز عـلى تدريس العلوم الاسلامية باللغات الاجنبيـة وخاصة الانجليزية والفرنسية والايطاليـة بهدف تخريج الداعية الذي يجيد حمل كلمـة الاسلام الى ربوع العالم . كما تهدف الخطة الى تدريس التيارات الفكـرية المناهضة للاسلام مثل الشيوعية والالحاد .

معهد اسلامى ومدينة اسلامية

قامت جمعية الوحدة الاسلامية بجامبيا ببناء معهد اسلامى ومسكن للطلبة الوافدين بمدينة « شكر الله » . انتهت الجمعية من تأسـيس اثنى عشر فصلا . تقوم بتدريس مبادىء الدين الاسلامى .

صرح رئيس الجمعية . بأن الجمعيـة أسست لنشر الاسلام وتعليم اللغة العربيـة ومحاربة تيارات التبشير والمذاهب التى تعارض الاسلام .

قوانين الشريعة المعدة صالحة للتطبيق فورا

صرح الدكتور عبد الغفار عزيز بأن فـؤاد سراج الدين : أعلن انه تأكد بعـد قـراءته لقوانين الشريعة الاسلامية التى انتهى المجلس السابق من اعدادها . بأنها فعلا صـالحة للتطبيق فورا ، وانه لم يعد هناك داع لفكـرة تنقية القوانين التى أعلن عنها مجلس الشعب.

انشاء مركز اسلامي بلندن

يجري العمل في انشاء مركز إسلامي كبير في شرق لندن بانجلترا . يخدم المركز نحو نصف مليون من الجاليات الاسلامية والعربية في انجلترا ويضم مكتبة اسلامية ضخمة ، وتسجيلات بالصوت والصورة لندوات ومؤتمرات اسلامية ، ودارا كبرى للتجمعات الاسلامية .

التقويم الهجري العمل به بدولة الامارات

قرر مجلس وزراء دولة الامارات العربية المتحدة العمل بالتاريخ الهجري في جميع مكاتب الدولة مقرونا بالتاريخ الميلادي .

محطة تليفزيون

اشارت الانباء الى محطة تليفزيون بالولايات المتحدة ستكون اسلامية ، وسيغطي ارسالها كل الولايات المتحدة الامريكية حتى كندا ، استغرق اعدادها نحو عشر سنوات .

تقدر تكاليف السنة الاولى للارسال بثلاثة ملايين دولار.نرجو أن تكون اسلامية !

من خير ما كتب :

الاستاذ/نجيب محفوظ

معركة الحرية والحضارة

اننا نخوض معركة ضارية .علينا ان نتأمل هذه الحقيقة وأن نؤمن بها رغم السلام المحدود المعلن ، رغم السلام الذي نسعى بكل مثابرة واخلاص الى نشر الويته حتى يرفرف فوق منطقتنا الممزقة بل فوق العالم الجريح كله من جنوب أفريقيا الى افغانستان .

رغم ذلك كله فنحن نخوض معركة ضارية معركة الدفاع عن النفس ، الدفاع عن الحضارة . الدفاع عن التراث والتاريخ والحاضر والغد ، معركة مشمرة ضد التخلف والفقر واضطراب ميزان الحياة . سمها معركة التخلف اذا شئت أو معركة النهضة ان

من خير ماكتب

احببت ، أو التنمية الشاملة كما تعـودنا أن نسميها . واستراتيجيتها تستهدف انتزاع موضع لنا فى حضارة العصر ، و (تكتيكهـا) يقوم على العمل اليومى اليقظ يشترك فيه كل مواطن من عامل النظافة حتى رئيس الجمهورية وهى هدف وأى هدف لن يفتقدون الهـدف ويؤكدون على ضرورته ، وهى « ايديولوجية » واسعة مرنة لن يبحثون عن الانتماء ، ونحـو هذا الاتجاه يجب أن ترتفع الاصوات وتنطق الاقلام وتهدر أجهزة الاعلام .

ومن حسن الحظ أنها معركة انسـانية مفتوحة ، لاتتخذ ذريعة الى كبت أو قهـر أو استبداد ، ولاتدعو الى الا يعلو صوت علـى صوت المعركة . انها معركة لاتنتصر الا فى جو الحرية ولا تحقق انجازاتها الا تحت مظـلة الديموقراطية فالتخلف عدو الجميع والانتصار عليه هدف كل مواطن أمين . ولكنها أيضـا تحتاج الى الحرية المسئولة ، الحرية التـى تحترم النظام .

كما تحترم الراى الآخر وتنزع الـى الاستقرار كما تنزع الى التعبير المطلق حرية الأحرار العاملين المجدين المجتهدين الساعين للخير بالقلب والارادة والعقل.

الأستاذ : محمود عبد المنعم مراد

كلمـات

ظاهرة تستحق أن نقف عندها . فقد صدرت فى السنوات الاخيرة أحـكام كثيرة بالادانة ، فى جرائم القذف والسب العلنى ، أدين فيها كثيرون من الكتـاب فى الصحف والمجلات ، كما أدين فيهـا بعض الوزراء أيضا .

ويرتبط بذلك ، مانسـمعه الآن فى المجالس والبيوت والشـوارع والأندية من ألفـاظ وعبارات تخدش الحياء ، وتخرج عن حـدود الآداب خروجا عنيفا ظاهرا ليس له حدود .

وكثيرا مايسمع المرء رغم أنفه ، معارك كلامية تدور بين الناس على مختلف أعمـارهم ومراكزهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية .

تقال فيها عبارات يعاقب عليها القانون ، وتتنافى مع الخلق وحسن التربية أو تؤكد الاسـتهتار العام بالحيـاء والأدب . وأمـا القراء الذين يرسلون بتعليقاتهم أو ردودهم أو انفعالاتهم لما يكتبه الكتاب فى الصحف ، فهؤلاء يستطيعون أن يأخذوا راحتهم على آخرها فيما يكتبـونه بغير توقيع ، أو بأسماء وهمية ، ويستخدمون ألفاظا نابية بذيئة فى أدنى درك الانحطاط ، ومعظم الكتاب ، ان لم يكن جميعهم بغـير استثناء ، يتلقون مثل هذه الخطابات بين وقت وآخر ، والقلائل هم الذين يناقشون الـرأى بالرأى وبالكلمة المهذبة الرقيقة ، مهما يكـن الخلاف حادا بين الكاتب وقارئه .

....

والذى جرى . ان كثـيرين من الآبـاء والأمهـات ، والمدرسين والمدرسات ، يعجبون من قاموس الالفاظ المستخدمة الآن فى البيوت

والشوارع . هل تتحمل بعض أفلام السينما ومسلسلات التليفزيون قسطا من المسئولية عن هبوط مستوى الحديث في بلادنا ؟ ربما .

الاستاذ/أنيس منصور

السيدة الباحثة الاسلامية أمينة الصاوى اجتهدت كثيرا جدا جـدا في مسلسل (لا اله الا الله) .. ومن آيات هذا الاجتهاد انها جعلت الفراعنة يتحدثون « لغة المسلمين » . بل يكادون يكونون مسلمين .

ولذلك كنت أتوقع من حين الى حين أن أسمع صوت المؤذن .. فقد تكون لها رؤية (درامية) في التاريخ الفرعونى معناها : ماذا لو عاش أحمس في مكة والمدينة على أيام الرسول عليه الصلاة والسلام فكان واحدا من المهاجرين والأنصار .. ماذا لو احتفل الفراعنة بذكرى دنشواى .. ماذا لو كان رمسيس الثانى هو قائد العبور الى سيناء سنة ١٩٧٣ ؟ ممكن . ولكنها لم تفعل ذلك . ولم تعلن عن هذه المحاولة الجريئة في التحدث والمعاصرة بين الفرعونى والاسلامى ؟.

الله أعلم ، ربما كانت السيدة أمينة الصاوى قد فسرت الآية الكريمة (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) بأن كل الأديان السابقة على الاسلام اسلامية الا قليلا .. وانها تتطور في الطريق الى ذلك أو تعجز عن بلوغ الاسلام .. وعلى ذلك فالفراعنة ليسوا مسلمين تماما .. وانما هم مسلمون الى حد ما .

والمشكلة هي ماهى حدود اسلامهم .. والى درجة يساعدها الواقع التاريخى وأين يقف الواقع وأين يبدأ الاجتهاد .. ثم ماهى حدود هذا الاجتهاد وأين الحقيقة وأين الخيال في النهاية .

صحيح لم نسمع أحدا قد أعلن اسلامه .

ولكن الجو العام يوحى بكل ذلك .. الا اذا كانت السيدة أمينة الصاوى تريد أن تدخل الفراعنة الجنة من أوسع أبوابها ، اعجابا بهم وطمعا في رحمة الله . فجعلتهم يسلمون اسلاما اخناتونيا ، مغايرا للواقع ومخالفا لكل النظريات الدينية والفلسفية والتاريخية ... ولكن القرآن الكريم قد سبقها الى ذلك .

قال تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) . فلا عذاب للشعوب التى لم تر الرسول عليه الصلاة والسلام .

والسيدة أمينة الصاوى هكذا تتعسف في تفسير القرآن الكريم وتتجنى على الواقع التاريخى — مهما كانت حسنة النية .

الى القراء ..

كتب الينا الاستاذ محمد نجيب لطفى محمد ، مدرس اللغة العربية والتربية الاسلامية بالعدوة — الفيوم — بملاحظات على قسم « الشعر والشعراء » .

الى الاستاذ محمد نجيب بالغ شكرنا ونرجو الله — سبحانه — أن يوفقنا الى العمل بملاحظاته .... مجلة الأزهر

فهرس العدد

الشـــعر والشـــعراء

العلوم الكونية

اللغة والأدب والنقد

القسم الانجليزى

مراجعة وعناوين داخلية
عبد المنعم ابراهيم مهنا

Indeed, a word against a man might bring ruin to him.

II- The delay of God's response to a prayer

I have contemplated a strange case. An adversity comes upon a believer, and so he prays and prays to Allah, but sees no trace of his prayer being heard. Then as he verges on despair, he searches his heart If he is content with his lot, undespairing of Allahs bounty, it is quite probable that his prayer is going to be answered. For it is then that faith is rectified, the Evil one defeated, and the magnitudes of men are distinguished. To this it refers in the Holy Qur'an: "... that even the Apostle and those of faith who were with him cried: When is the help of Allah to come ? " (Surat Al-Baqara, II, 214).

That was what befell Jacob, be upon him peace from Allah, He did lose a son; however, he did not lose faith in Allah's mercy. His next son was taken but he kept on believing in Allah's grace. He said:"Maybe God will bring them back all to me..." (Surat Youssuf,XII, 83). So did Zacharia say: "God, never am I unblest, in my prayer to you." (Surat Mariam,XIX, 4).

So, beware of protesting against Allah delaying His response to your prayers. Always remember He is the Owner and Wise Arranger who knows best what is best, He tests you to enveil your innermost self, and to see you supplication, and He wants to recompense you to the utmost of your patience. It is to cause you to fight evil whispers that He delays the answer to your prayer.

Each one of these, does strengthen faith in Allah's grace and cultivate in us a strong feeling of indebtedness to Him. He qualifies you with misfortune to deserve His hearing your requests. Indeed, such helplessness as pushes man into seeking His protection is perfect sufficiency.

EXCERPTS FROM SAYD -- UL - KHATER

By Imam Ibn Al-Jawzy.

Translated by :

Sonia Hill

I- On screening one's affairs

Human tendency is world wide to make one's superiorities clear to and felt by others. However, the malice of envy is a reality which exists everywhere. So, one should exhibit only the least and most indespensible parts of the powers and graces Allah has endowed him with.

Man finds delight in being looked on with esteem and admiration. However, he can be eyed by a faithless friend whose fiery looks would aim untold grudge at the grace he is possessed of. From here I dare safely say it is a necessity to screen one's affairs, and that to conceal one's privacy is an act of wisdom. For it is pleasure that the envious take in one's misfortunes, and it is with malevolence that they watch ones joys.

One must not seek self assertion to the extent of endangering one's self through exposure to evil eyes and ill-wills. Or, in old age, they will deride him, while in young age they will despise him. Should he uncover his mind, his opponents will wage war against him. He will be scorned in poverty and envied in riches. So, one's age, mind and wealth must be one's most invaluable treasure which he must keep behind strong walls of reserve.

had to sleep the night in a cave. Hardly were they inside when a rock rolled down off the mountain to lock them in. They agreed that nothing would rescue them other than their supplicating Allah on account of their good deeds.

One of them said: Allah, my parents were advanced in years, and I used to give them their supper milk in precedence of any other person, wife or child. One day I sent cattle too far to grass, so that I was not able to be back until they had gone to sleep.

Hating to awake them or to give anybody else, wife or child, milk to drink before them, I kept waiting with the cup in my hand for them to wake up till dawn was bright, while at my feet, my children were bleating out their cries. My parents rose from sleep and had their milk. Allah, if it was for your sake that I so did, relieve the distress caused to us by this rock. The rock made too small a divergence to let them pass through.

The second man said: " Allah, I had a cousin whom I loved as ardently as it is in the power of a man to love a woman. I tried to seduce her but she would not yield to me. Then befell her a time of strait and dearth. She came to see me and I gave her a hundred and twenty dinars that she might surrender herself to me. She agreed this time, but I was no sooner between her legs than she said to me: Fear Allah and do not break the virgin save by its right. I turned away from her, even though she was then the dearest human to me, and I parted leaving the gold which I had given her " Allah, if this I did was for the sake of your favour, relieve the distress we are in." Again the rock diverged, but they still were not able to get through.

The third one said: "Allah, I hired a number of men for help and gave them their fares except a man who left his due and went away. I invested the sum until a good wealth came out of it. Some time later, he came to see me, and he said: Subject of Allah, concede my fare to me. I said: Here you are. All that you can see of cattle, cows, sheep and slaves are yours. He said: Subject of Allah, do not mock at me. I said: I am not mocking at you . He took them all and drove them before him, leaving nothing. "Allah, if I did so seeking Your pleasure, relieve the distress we are in.

The rock diverged so that they walked away " (Agreed upon).

I said to him; Apostle of Al..h, the killer deserves it, but why the killed?" The Prophet, be upon him blessing and peace from Allah said: " He too was eager to slay the other man." (Agreed upon).

10- On authority of Abi Huraira, may Allah be pleased with him; said: The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said: "A man's prayer in congregation exceeds his prayer at home or in the market by more than twenty ranks. This is because if a man well preforms his ablutions and takes his way to the mosque, notning inciting him from within or spurring him from without other than the intention to do his devotions - if so, then at each step he will rise a rank and get unburdened of a sin, until he walks into the mosque.

"Inside the mosque, so long as nothing but prayer is immuring him, he is reckoned to be at devotion. " The angels invoke mercy and blessing on each of you throughout his stay in his praying-place. " They say: Allah, show mercy to him; Allah, forgive him his sins ; Allah, relent towards him - so long as his ablution remains unoffended." (Agreed upon).

11- On authority of Abd-Allah Ibn Abbas, may Allah be pleased with them, father and son: Relating about his God, glorified and high exalted be He, the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, said:

"Allah has made it clear that He has written down virtues and sins. However, He will reckon it with Him a whole righteous deed any good act a man was minded to do but did not carry out. Should he purpose it and then put it into effect, Allah will then reckon it with Him from ten to seven hundred folds and even more. On the other hand, once a man is about to do an evil but abstains, Allah will reckon it with Him a righteous deed; but if he actually does it, Allah will reckon it one sin".(Agreed upon).

12- On authority of Abd-Allah Ibn Omar Ibn-AlKhattab, may Allah be pleased with them, said: I listened to the Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, when he said:

" Three people of former days happened to be so late out that they



RIYAD AL-SALEHEEN BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHQI

Translated by: Soliman Barakat

CHAPTER 1

Sincerity, Devotion and Presence of Wholehearted Intention in all one's actions : utterances and states both conspicuous and hidden.

CONTINUED

7- On authority of Abu Huraira Abdul Rahman Ibn Sakhre blessed be he said:

The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:
" Allah does not look at the figure or form of the outer man; He looks at your hearts, and your deeds." (Muslim)

8- On authority of Abi Moussa Al-Ashaary, may Allah be pleased with him:
A question being put to the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, concerning men fighting bravely, out of zealotry, and for show: which is in the cause of Allah? He said:
" He is certainly in the way of Allah who fights so that the Word of Allah may by uppermost and supreme." (Agreed upon)

9- On authority of Abi Bakrah Ibn-Al-Harith Al-Thaqafy, may Allah be pleased with him:

The Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, said:
"Should two Muslims encounter with the points of swords, then both the killer and the killed will go to Hellfire."

from Allah upon him) ordered Abd Allah the son to be good and kind to his father, for these are the teachings of Islam.

Prayers and peace be upon our magnanimous Prophet.

The second of the two incidents will be discussed at length in the following issue In Sha Allah. That will be the incident of the Slander.

<u>References:</u>

1. Alsira Alnabaviah
   3rd. Edition 1981.
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramdan Albooty
   7th., Edition, 1977.
   Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Vol. 2, 1983 Edition.
   Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
   Ibn Qayem Al-Gouziah.
   Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
   and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
   Mouassasa Al-Risalah.
   Beirut, 1981.

Among the men with Ibn Salool was a youngester Zaid Ibn Al-Arqum who was a devout believer, and related the exact words of Ibn Salool (the Hypocrite) to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who repeatedly questioned Zaid to ascertain the accuracy and truth of his words. Omar Ibn Al-Khatab asked permission to kill Ibn Salool, and was absolutely denied it, with the wise reasoning that , how will it be accepted that Mohamad (prayers and peace from Allah upon him) kills his companions. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) was dee-ply discontent, aggrieved and repugnant to what he heard Ibn Salool had said. With intelligent foresight and astute sagacity, the Prophet (pray-ers and peace from Allah upon him) announced immediate departure at a time not customary for him to travel. This was to avoid the people to indulge in idle antagonistic prattle and chatter, they were better off being occupied actively and separately in the process of travel. The ma-rch continued at a steadfast pace for the rest of the day, all night,and the following day till noon. The men were so tired that they soon slept.

Abd Allah Ibn Salool came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to deny the words he had said, and disclaim them. At th-is stage, the Quranic revelation of Surat Al-Munafiqun was revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), to expose the evil intentions of the Hypocrites, and proclaim the truthfulness of the Youn-gester Zaid Ibn Al-Arqum.

It is related that Abd Allah son of Abd Allah Ibn Ubaii Ibn Salool stood on their return at the doors of Al-Madinah and prevented his father Abd Allah Ibn Ubaii from entering Al-Madinah without the approval of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who allowed and sanct-ioned. Abd Allah the son also asked that if the Prophet (prayers and pe-ace from Allah upon him) had the intention to order the killing of the father Ibn Ubaii Ibn Salool;to grant him the duty to do that; fearing that if some other man did it, there will always remain a feud of reve-nge between the son and the other man. The Prophet (prayers and peace

Bani Ghafar of the Muhagereen crowded over the water with Senan Ibn Wabar Al-Gahney ally to Bani Aof from the Khazraj of Ansar, and fought in struggle together. Gahgah shouted for the supoort of the Muhagereen,and Senan shouted for the support of the Ansar. Several men from both parties came to the suppor of their man, and an outbreak of fighting was about to take place. On hearing the chaos and confusion, the Probet(prayers and peace from Allah upon him) came out and said " what is that dark ignorance of chauvinism", and made peace and counsel between both men, and the dispute absolutely subsided. Abd Allah Ibn Ubaii Ibn Salool from the Khazraj and the vicious head of the Hypocrites, heard the details of the quarrel and said " I have not seen more degrading humility before this day, this is what you have done to yourselves,(addressing a group of Ansars from the Khazraj), accepted them in your land, shared with them your property. By God, if you prevent them your generosity , they will seek some other place to go. It is true that when you feed your dog it bites you (referring to the Muhagereen)".

Ibn Salool also made his famous statement that once they were back at Al-Madinah, the more honourable (referringto himself and his clique) will expell the meaner(referring to the Muhajereen). This particular statement was documented in the Holy Quran to expose the Vile and false intentions of the Hypocrites.

> "They are the ones who say "Spend nothing on those who are with the Apostle of Allah till they disperse and quit. But to Allah belong the treasures of the heavens and earth. But the Hypocrites understand not. They say: If we return to Medinah, surely the more honourable (element) will expel therefrom the meaner. But honour belongs to Allah and His Apostle and to the Believers; but the Hypocrites know not".

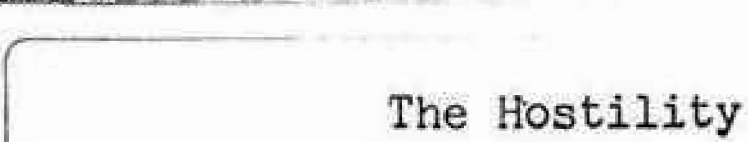
(Surat Al-Munafiqun, LXIII, 7-8)

Among the women prisoners was Guwairiah daughter of Al-Harith Ibn Dirar who was taken as a war slave by Qais Ibn Shamas. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) knowing her eminent rank among Banu Al-Mustaliq and their reputation for dignity and honour, paid her ransom and freed her from slavery. Later, the Prophet (prayer and peace from Allah upon him) asked the consent and approval of her father Al-Harith Ibn Dirar and married Guwairiah, who had embraced Islam. When it was announced that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Guwairiah daughter of Al-Harith, all Muslim worriors refused to keep any from Banu Al-Mustaliq as prisoners and slaves of war, now being related to the Prophet(prayers and peace from Allah upon him) through his marraige to Guwairiah.They were all freed completely with no ransom. As a consequence of all this, all the clan of Banu Al-Mustaliq announced their Islam, and became its champions and supporters instead of being enemies.

It is related that Guwairiah Bint Al-Harith had recognised in her dreams a few nights before the battle, that the moon approached from Al-Madinah and settled on her garment. She kept the dream to herself, and when she was taken prisoner, she wished that the dream may become reality. Guwairiah was reputed for her distinction of wisdom, honour, rank and benevolence.

At this stage, the events of the encounter with Banu Al-Mustaliq came to an end. However, two very important incidents took place that may have had deplorable and distressing repercussions on the Muslim society; was it not for the grand faculty of wisdom and dexterity of tactfulness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The first of the two incidents was the dispute that started between the Muhagereen and Ansar. This dispute was heightened by hypocrites present at the time during the encounter with Banu Al-Mustaliq.The story goes that at one of the water wells some crowdness took place and one of the hired men for Omar Ibn Al-Khatab named Gahgah Ibn Massoud from



The Hostility with Banu Al-Mustaliq

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, PhD.

In the Name of Allah most Merciful and Compassionate.

Most eminent chroniclers agree that the incident of Banu Al-Mustaliq took place in the month of Shabaan in the Sixth year after Hijrah. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) received news that Al-Harith Ibn Dirar, the head of Banu Al-Mustaliq from the tribe of Khuzaah, was gathering men to wage war on Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched out with seven hundred men, and left Al-Madinah under the ministership of Abu Zar Al-Ghaffary. The Muslims encountered Banu Al-Mustaliq at one of their water wells called Al-Merisie towards the coast. When both oponent parties were face to face, Omar Ibn Al-Khatab called them to Islam to save themselves and their property. Banu Al-Mustaliq refused, and both parties started actual fighting. Soon the Muslim carried a mass attack and Banu Al-Mustaliq were soon defeated and dispersed after the death of ten men, and several taken prisoners including many woman and children. The spoils of battle were two thousand camels and five thousand sheep.

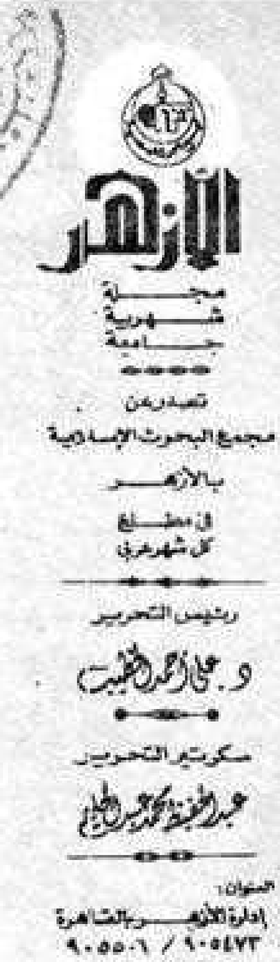


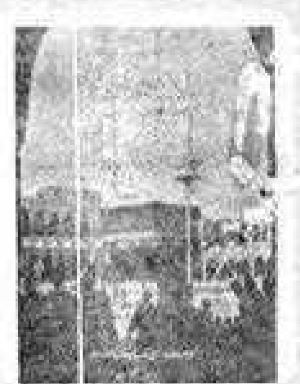
AL AZHAR
MAGAZINE



ENGLISH SECTION









«دائما أبدا»

في مركز الضوء سداد التوفيق

ذلكم هو محمد خاتم النبيين والمرسلين — صلوات الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته عليه دائما ابدا على خير ما يحب ربنا ويرضى لصفوة خلقه، وأحب عباده.

روى الامام ابن ماجه فى سننه قال:

عن القاسم بن محمد بن عباد المهلبى، حدثنا عبد الله بن داود، حدثنا سفيان قال:

«حج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثلاث حجات: حجتين قبل أن يهاجر، وحجة بعدما هاجر من المدينة». (١)



* الجزء الثانى عشر * السنة السابعة والخمسون *

* ذى الحجة ١٤٠٥ * سبتمبر ١٩٨٥ *

والنص الكريم يحدثنا عن حَجتين لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل الهجرة وشأن هاتين الحَجتين يضعنا ــ فى نطاق البحث ــ أمام أمور تدفعنا الى التساؤل :
عن مقصود الراوى ــ رضوان الله عليه ــ بلفظ «قبل أن يهاجر»؟
أيعنى أن كلتا الحجتين وقعتا فى الفترة التى بدأت بالبعث وانتهت بالهجرة ؟
أم هو يعنى زمن ما قبل الهجرة كله . فيتناول سِنِى رسول الله ــ ﷺ ــ من عهد الصبا حتى الهجرة .. ؟
واذا كانت الحجتان وقعتا كلتاهما فى فترة البعث ــ قبل الهجرة ــ ففى أى السنوات الثلاث عشرة كانتا .. ؟ وكيف حج النبى ــ ﷺ ــ ؟
منذ بعث رسول الله ــ ﷺ ــ وأرسله الله ــ سبحانه ــ الى الناس كافة رحمة للعالمين ، وهو ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى كوكبة من الايمان تمدهــــــا الجماعة المؤمنة : قَلَّتْ ام كَثُرَتْ . كانت الدعوة سرا أم جهرا . فكان ــ ﷺ ــ فى دائرة الضوء وملتقى الابصار من هذه الفئة التى صَبّرَ نفسه عليها غدوا وعشيا لا يعدو عنها يعلمها دينها فتمارسه أمامه . ويهديها من صراط ربها ما أذن بتنزيله ، فهم من ذُكَّاهُ على علم . ومن عطه على بينة ــ رضوان الله عليهم .
ولسنا نستطيع ــ بحال ــ أن نجزم بحجة لرسول الله ــ ﷺ ــ أو حجتين فى هذه الفترة كلها دون أن نكون مجاوزين لمنطق الاحداث مغامرين بأسلوب العلم، فان حجا يقع منه ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى هذه الفترة ولا يعلم به أحد من هؤلاء القوم لضرب من سرحة الخيال .
والأمر عندى أن رسول الله ــ ﷺ ــ انما حج هاتين الحجتين . وقـــد يكون غيرهما كثير قبل بعثته ــ ﷺ ــ وقد ذكر الامام البخارى إحدى حجاته هذه فى صحيحه عن جبير بن مطعم ــ رضى الله تعالى ــ عنه وسياقها يفيد أداءها قبل بعثته ــ ﷺ (١) .
وكان رسول الله ــ ﷺ ــ يؤدى حجه هذا على إرث الخليل ــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .
فأما حجه بعد الهجرة فمعروف ، وبذلك نعلم أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كما كان فى دائرة الضوء رسولا ، كان دائما فى ســـداد التوفيق من رب العالمين .

د/ على أحمد الخطيب

---

(١) سنن ابن ماجه القزوينى ٩٦٥/٢ دار احياء الكتب العربية .
(٢) انظر صحيح البخارى ــ باب الوقوف بعرفة ، وانظر مجلة الازهر ــ العدد الثانى عشر لعام ١٤٠٤ هجرية ص ١٩٩٢ .

مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تعالوا إلى كلمة سواء

بيان لفضيلة الإمام الأكبر

تعالوا الى كلمة سواء

اثار موضوع تطبيق الشريعة الاسلامية حوارا ارتفع صوته ، وعلا صراخه ، حتى جاز أن نسميه جدلا خرج عن الجادة ، وانحرف عن الهدف ، فصار قضية ساخنة مثيرة ، تتصارع حولها الاقلام ، وتجرى بها أنهار الصحف ، وبرز في هذه الجولة حول الشريعة ، — ولا أقول عليها — من اخترعوا ألقابا ومسميات دخلوا بها على الناس حتى يصيخوا السمع لما يقولون ، أو ليقرءوا مايكتبون .

فهذا كاتب اسلامي ، وذاك مفكر اسلامي ، مسوغات ورخص اخترعوها لأنفسهم حتى يبيعوا مايخترعون من فكر وأوهام باسم الاسلام ، إحياء للجدل حول العلمانية والإسلام ، وهل الاسلام دين ودولة — أو أنه دين فرض العبادة لله ولا شأن له بحياة عباد الله على هذه الأرض ؟

وخلط وبعد عن استيعاب أصول الاسلام وفروعه ومقاصده ، ودوامات من الفكر يتوه فيها الحكماء والعلماء ، فما بالنا بهذا الجيل الذى انتبه بعد الى العودة الى الذات ، ذات المسلمين وسماتهم وليس الا الاسلام سمة لهم .

الاسلام فى عدله .

الاسلام فى حرصه على العلم والتعليم

الاسلام فى حرصه على الترابط والتكافل الاجتماعي .

الاسلام فى تربيته للفرد وللجماعة وللأمة .

الاسلام فى حرصه على السلام الاجتماعي والالفة بين طوائف الشعوب والأمة فلا تفرقة بسبب اللون ، أو الفقر ، أو الغنى ، ولا اضطهاد بسبب الدين .

الاسلام الذى حرم الغش فى العقود وحمى من لايحسن التعاقد .

الاسلام الذى حث على عمارة الأرض ، واشاعة الحياة والأمن والأمان .

الاسلام الذى جاء بفروض محددة لاتقبل الاجتهاد فى صلة الانسان المسلم

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

بالله ، كما بين الحلال والحرام فى التعامل فى الحياة الاجتماعية بين بنى الانسان « وفصل لكم ماحرم عليكم » — لأنه أقل بكثير مما أحل وقال « **واحل لكم ماوراء ذلكم** » .

الاسلام السماحة والتسامح .

الاسلام نظافة المظهر والمخبر .

هل الاسلام — وهو كما جاء فى القرآن الكريم وفى سنة رسول الله ﷺ نختلف كل هذا الاختلاف حوله ونتجادل ؟ لا بقصد الفهم وانما فى لجاجة وغلظة ونمطر الاسلام وشريعته وابلا من السخط وكثيرا من النقد دون ان نستوعب هذه الشريعة بل حتى دون أن نفقه ما قرأنا . « **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** » ..

هذا الجدل الصارخ الذى انعزل عن الطريق الحق عندما نحا بالقضية ، قضية تطبيق الشريعة الاسلامية الى سبيل من الصد عن سبيل الله وعن الاستقامة ، الى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الاسلامية .

حتى لقد بلغ ببعض الكتاب أو المتحاورين التجاوز بأن قال : ان حدود الاسلام وأحكامه شرعت لتقعيد الاسلام ، وقد تجاوزته الحياة الحاضرة بمعضلاتها وحضاراتها .

ولقد اشتجر الكاتبون فيما اذا كان تطبيق الشريعة فورا وبالمسيرات والمظاهرات أو أنه ينبغى أن يتم فى تريث وعلى مهل ودون عنف .

وما كان الاسلام بالمظاهرات والمسيرات .

وما كان تطبيق شريعة الاسلام بالشعارات التى تلصق على المركبات أو ماكانت أحكام الاسلام موقوتة بعصر النبوة والخلفاء الراشدين — رضوان الله عليهم — .

وانما هو الاسلام عقيدة وشريعة ، ودين ودنيا لكل العصور مابقى المسلمون قانتين لله ، حافظين لحرمات الله ، يتلون كتابه ويعملون به .

تعالوا إلى كلمة سواء

حين بدأ مجلس الشعب فى دور سابق بحث (تنقية) القوانين القائمة لرفع مايكون منها مخالفا للشريعة ، وحين صرف أعضاؤه والمتعاونون معهم من العلماء:علماء الشريعة والقانون ، الوقت والجهد ، وأنفقت الأموال فى هذا الصدد، لم يكن ذلك مظاهرة أو مسيرة وانما كان عملا جادا انتهى الى نتاج طيب ، ارتضاه المخلصون لهذا الشعب الحريصون على استقلاله وذاته ، وعلى مستقبله كرائد وقائد لهذه الأمة العربية والاسلامية .

فاذا تأخر الاجراء الدستورى أو تباطأ ، فان ذلك على أى حال مسئولية **« مجلس الشعب » الذى انتخبه الشعب لولاية هذه السلطة ، يسائله الشعب حين يعود اليه عاجلا أو آجلا .**

ولا تكون المماطلة بهذه الطرق المعيبة التى قد تودى بسمعة البلاد واستقرارها وأمنها .

ولا يكون الرد على المطالبة الفورية لتطبيق الشريعة بهذه المقالات وذلك للجدل الذى أشبه الصراخ ونعت الشريعة بعدم الصلاحية للتطبيق ، وفقه فقهائها بأنه صار رثا باليا لاحياة فيه ولا يصلح لهذا الزمان ولحكم هذه الحضارة .

ان هؤلاء الذين علا صوتهم ، وارتفع صرير أقلامهم قد أساءوا الى مايطلبونه حين يمسون مشاعر المسلمين فى أقدس مايهمهم ، وأهاجوا كوامن نفوسهم ، حين يطلق هؤلاء القول على عواهنه لايرعون فى الله إلاً ولا ذمة ، ولا للوطن وللمواطنين حرمة ولا كرامة .

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتئام ماجرح اللسان

نعم : « تعالوا الى كلمة سواء » : اجعلوا حديثكم الى هذا الشعب ومن ورائه الأمة العربية والاسلامية فى حتمية التطبيق للشريعة الاسلامية فورا او أن الامر يحتاج الى تريث .. وضحوا فى أقوالكم التبرير لما تقولون ، دون أن تطعنوا الشريعة ذاتها أو تسيئوا الى السلف الصالح الذين بذلوا فى سبيل التأصيل والتفريع جهدا يذكر ويشكر ويحتذى .

وقد تكون تلك الطعون التى سالت بها أنهر الصحف والمجلات منذ ثارت هذه القضية ، عن سوء قصد كما قد تكون عن قصور فى الفهم والتحصيل وكلا الأمرين معيب .

وقد قيل قديما : الناس أعداء لما جهلوا :

قولوا للناس : لا نريد الربا ولكن نريد قبل أن نقرر الغاء التعامل بالربا تحديده في المعاملات الجارية وايجاد البديل له ، حتى لاتضطرب أمـــورنا الاقتصادية المتشابكة مع غيرنا ، وأن نكون جادين في القول الرشيد .

قولوا للناس : أن من تطبيقات الشريعة استقامة السلوك ، وان المسئول عن هذا كل فرد في الأمة قبل الدولة .

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الرجل في بيته راع وهو مســئول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها » .

قولوا للنـــاس : ان رســول الله ﷺ قال :«الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهـــم » .

فهل قام كل رب أسرة وكل ربة أسرة بذلك أم تريدون سلطة الـــدولة لتسيير أمور الأسرة في المنزل بين أفرادها التي جعل الله المودة والرحمة هي الصلة التي تربط بينهم ؟

قولوا للناس : قاوموا الانحراف والسرقات وأدوا الأعمال بأمانة وهمة حتى تتوقف الرشوة والفساد . **« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْـــدِي النَّـــاسِ »** .

نعم على الدولة واجب الحكم والردع لمن لايجدى معه النصح والارشاد .

ولاصلاح لهذه الأمة الا بمـــا صـــلح به أولها:كتاب اللـــه وســـنة رســوله ﷺ .

والأمـــة جميعا حكاما ومحكومين مطالبون بذلك كل في حدود مسئوليته .

نعـــم :

« تعالوا الى كلمة سواء » ياوسائل الاعلام وأخص الصحف والمجلات .. هل راعيتم حق الله والوطن والمواطنين حين تثيرون هذه الحملة الظالمة عـــلى الشريعة وتطبيقها وتتخذون التطبيق أو انحرافه في بعض البلاد مثلا على عـــدم صلاحيتها فذهبتم تحرفون الكلم عن مواضعه ، بعلم أو بغير علم ، وغاب عنكم أن هذا الشعب المتدين ــ المسلمين والمسيحيين ــ لا يرضى منكم ولا لكم هذا . بل انه يسوءه أن تهوى المعاول لهدم قيمه وشريعته ، بل ووحدته التي علت في كل الأزمات والملمات .

لقد عاش هذا الشعب حينا من الدهر أكثر من عشرة قرون في ظل الاســـلام وشريعته عيشة راضية ، مستقرة ، مستنيرة كل يعرف حقـــه وما عليـــه من واجبـــات .

فأعيدوا الى هذا الشعب هدوءه النفسي وأوقفوا هذه الحملات على الشريعة الاسلامية وتطبيقها ، ووجهوا النصح في أناة وروية وموضوعية لن تروتهم قـــد

تعالوا إلى كلمة سواء

انتهجوا طريقا غير مشروع للمطالبة بالتطبيق الاسلامي ، دون أن تملأوا الصحف بهذه الأنهر من التجني على الاسلام وشريعته ، وتوقيتها أو توقف صلاحيتها .

فان التاريخ سيحكم عليكم .

والأثر العاجل لما تقولون : أنكم تضللون هذا الجيل الذى لم يدرس ولم يتعلم من الاسلام الا القليل .

نعــم :

« تعالوا الى كلمة سواء » فقد هلع المثقفون على مستويات عالية من هذه الحملة ضد تطبيق الشريعة .

وحضرت الى « شيخ الأزهر » وفود من أساتذة الجامعات ورجال التعليم ووردت تعليقات وتعقيبات جزعة مما يكتب وتتناقله عنا وسائل الاعلام فى بلاد العرب والمسلمين التى نحن منها بمنزلة القلب ، واتخذتها بلاد أخرى وقودا لما تهدف من فتن .

اقترح على « نقابة الصحفيين » أن تبحث التصدى لهذه الظاهرة . ظاهرة التعدى على شرع الله ، والجراة على الله ممن يقولون فى الاسلام بغير علم أو من هوى مضل ، فقد نشرت كلمات أقل ماتوصف به أنها « غير مسئولة » .

أن حرية الكلمة مكفولة بشرط ألا تضر بالقيم الأساسية للاسلام وللمجتمع الاسلامى .

وهل من حرية الكلمة أن نسخر من بناتنا وسيداتنا الملتزمات وان نغريهن بالخروج عما التزمنه بدعوى أن لفظ الحجاب لم يرد فى القرآن ؟

أو أنهن انما لجأن الى هذا الالتزام لفقرهن وعجزهن عن مسايرة التطور الحضارى وكأن الحضارة ليست الا فى عرى النساء وتبذلهن .

اقترح على « نقابة الصحفيين » : أن تنشر الصحف بحوثا تعالج وتواجه الانحراف عن الاسلام وتبصر المسلمين رجالا ونساء بحقائق الاسلام وأباطيل خصـــومه ، تقويما للسلوك وتبيانا للشريعة لمن غابت عنهم أحكامها وقصر فهمهم لهـا .

ان الصحف والمجلات أصبحت مصدرا هاما للتثقيف والمعــرفة ، فافتحوا صحفكم لما يصلح وزيدوا رقعة الثقافة الاســلامية مرات ومرات فى الاسبوع لا فى يوم الجمعة فقط .

« وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » .

« وهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ » .

« ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

صدق الله ، ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

جاد الحق على جاد الحق



بيان

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر

الى المسلمين .. عما سأل عنه ، سماحة الشيخ/أبو بكر نجار رئيس المجلس الاسلامى بجنوب أفريقيا ونصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فقد اطلعت على كتاب سماحة الشيخ أبو بكر نجار رئيس المجلس الاسلامى لجنوب أفريقيا المؤرخ ٥ من شهر صفر سنة ١٤٠٢ هـ وقد جاء به :

ان اتباع مرزا غلام أحمد ، انقسموا الى طائفتين :

الاولى : القاديانية وهى التى تنكر صراحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

والاخرى : الأحمدية (لاهور) .

وهذه الطائفة تدعى أنه[1] نبى مجازى ، وانه المسيح المنتظر ، وأنه المهدى والمصلح ، وأنه المجدد المبعوث على رأس القرن الرابع عشر الهجرى ، وان سيدنا عيسى عليه السلام هو (ابن يوسف النجار) وانهم لايؤمنون بمعجزات الأنبياء .

وقد طالب هؤلاء بنفس حقوق المسلمين ، وبالذات : حقهم فى الصلاة فى مساجد المسلمين ، ودفن موتاهم فى قبورهم — بدعوى أنهم يشهدون بوحدانية الله وبرسالة رسوله سيدنا محمد ﷺ .

وقد أقاموا دعوى — أمام محكمة (كيب تاون) (رأس الرجاء الصالح) بدولة جنوب أفريقيا ضد المجلس القضائى الاسلامى والجمعية الاسلامية والشيخ محمد صالح دين — طلبوا فيها الحكم لهم بنفس حقوق المسلمين ، وبالذات :

(١) اى ميرزا غلام أحمد

الصلاة فى مساجدهم ودفن موتاهم فى قبورهم بادعاء أنهم مثلهم ، يشهدون لله بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، وأنهم يصلون ويصومون ويزكون .

وقد أنكر عليهم المجلس القضائى الاسلامى والهيئات الاسلامية الأخرى أن يكون لهم حقوق المسلمين .

وقد انتهى سماحة الشيخ/أبو بكر نجار — رئيس المجلس الاسلامى لجنوب افريقيا ، ورئيس المجلس الشرعى لاقليم الكاب الى توجيه الأسئلة التالية :

١ — هل تعتبر طائفة الأحمدية (لاهور) من المسلمين أم من غير المسلمين ؟

٢ — هل لهم الحق — اذا لم يعتبروا مسلمين — أن يدخلوا مساجد المسلمين لأداء صلاتهم وأن يدفنوا موتاهم فى قبور المسلمين ؟

٣ — تحت أية ظروف يكون للمشرفين من المسلمين على المساجد الاسلامية أن يمنعوا أى شخص من الصلاة فيها ؟.

ونفيد :

بأن فرقة الأحمدية فرع من القاديانية التى قال عنها المرحوم الدكتور/ محمد اقبال أحد كبار المفكرين المسلمين فى البنجاب : (ان القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ ومؤامرة ضد الاسلام وديانة مستقلة ، وان القاديانية وحدها ليست جزءا من الأمة الاسلامية العظيمة) . ذلك لأن هذه الجماعة خالفت اجماع المسلمين واتفاقهم على أمور صارت معلومة من الاسلام بالضرورة .

من هذا ابتداعهم تفسيرا لقول الله سبحانه (.. وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ..) (١)، مخالفا لما وقع عليه الاجماع من أن رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين فلا نبى ولا رسول بعده الى يوم القيامة .. اذ قال القاديانيون مفسرين قول الله تعالى : (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٢) لأول مرة فى تاريخ المسلمين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين .. اى طابعهم فكل نبى يظهر الآن بعده تكون نبوته مطبوعة بخاتم تصديقه ﷺ ، وهذا تفسير باطل يخرج به صاحبه عن اسلامه .

وقد سارت فرقة الأحمديه فى عقيدتها وسلوكها الدينى على نهج أصلها

---

(١) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب . (٢) من الآية ٤٠ من سورة الأحزاب .

(القاديانية) وانتسبت الأحمدية الى المرزا غلام أحمد الذى تواترت كتاباته : بادعائه النبوة ، يصرح بها ويكفر من لايتبعه وان حاول بعض اتباعه تفسير كتاباته بادعاء أنها مجاز وليست حقيقة .

وأطلقوا عليه اسم المسيح الموعود ، أو أن روح المسيح قد تقمصته وأن له معجزة هي تنبؤه بالخسوف والكسوف قبل وقوعهما .

واذا كانت عقيدة هذه الطائفة على هذا النحو كانوا على غير الاسلام . ولشعبة لاهور فوق هذا ضلالة قاصمة يبثونها فى كتبهم بلسان زعيمهم وهى : انكار أن يكون المسيح عليه السلام ولد من غير أب ، وقد صرح زعيمهم محمد على " بأن عيسى عليه السلام ابن يوسف النجار وان مريم كانت متزوجة به وأن المسيح ولد بطريق عادى ، وقد حاول تحريف بعض الآيات لتوافق هذه العقيدة ، ويذكر أن عقيدة ولادة المسيح من غير أب ليست من عقائد الاسلام التى يجب الايمان بها ، وأنها من مبادىء المسيحية .

وهذا القول من مفتريات اليهود على رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام كما أخبر به القرآن فى قول الله سبحانه (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (١) .

وطائفة الأحمدية هذه بهذا المتقدم وغيره وكذلك أصلها القاديانية كلتاهما فى مسلكهما وطرقهما المتشعبة بدءا واستمرارا بعيدتان عن الاسلام ، اذ لا شك أن عقيدتها فى كل أجزائها تخالف ما أجمع عليه المسلمون من عهد النبى ﷺ من أنه نبى ورسول من الله وأنه خاتم النبيين وما صرح به رسول الله ﷺ من أنه آخر الأنبياء ، وأن الله قد ختم به الرسل ، وأنه لا نبى بعده . وما نسبته هذه الطائفة لزعيمها من نبوءات ، كالتنبؤ بالكسوف للشمس والخسوف للقمر ، قبل وقوعهما ، لا يعد معجزة لانه يقع من علماء الارصاد ، والفلك ويتكرر وقوعه ، بناء على حسابات يجرونها ولم يدع واحد من هؤلاء العلماء أنه نبى أو رسول ، بل انه العلم والمعرفة التى نمت وتكاملت فى بنى الانسان على مدى حياته على الأرض ..

لما كان ذلك فاذا كانت معتقدات القاديانية والأحمدية على هذا النحو تكون قد خرجت بهم عن الاسلام ، حيث خالفوا عقيدته وشريعته فى كثير من الأمور المعلومة من الاسلام بالضرورة — على ما تقدمت الاشارة اليه — وكانت الاجابة على الاسئلة الموجهة من سماحة الشيخ أبو بكر تجار — رئيس المجلس الأعلى الاسلامى فى هذا الشأن على الوجه التالى :

(١) الآية ١٥٦ من سورة النساء .

السؤال الاول :

هل تعتبر طائفة الأحمدية (لاهــور) من المسلمين أم من غير المســلمين .

والجـــــواب

أنه اذا كانت المعتقدات المنوه عن بعضها آنفا لهم كانوا بها خارجيــن عن الاسلام باعتبارهم قد خالفوا فى كثير من الأمور المجمع عليها ، والتى صــارت معلومة من الدين بالضرورة ، فضلا عن أن فى بعض معتقداتهم تكذيبا لما ورد فى القرآن الكريم ، ولا مراء فى أن من كذب القرآن خارج عن الاسلام ولا يعـد من المسلمين .

الســـؤال الثانى :

هل لهم الحق ــ اذا لم يعتبروا مسلمين ــ أن يدخلوا مساجد المسلمين لاداء صلاتهم وان يدفنوا موتاهم فى قبور المسلمين ؟.

والجـــــواب

أنه اذا كان هؤلاء ــ القاديانية والأحمدية ــ قد فارقوا الاسلام بتــلك المعتقدات وبرئت منهم عقيدته وشريعته صاروا مرتدين عن الاسلام وجــرت عليهم أحكام غير المسلمين فى شأن دخولهم المساجد . ذلك قول الله سبحانه :

« مَاكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » (١) .

فقد حرم الله فى الآية الأولى على غير المسلم دخول المساجد وذلك بأسلوب تقريرى ملزم للمؤمنين وهذا هو المفهوم من قول الله **« ما كــان للمشركين أن يعمروا مساجد الله »** . فالعبادة كما تطلق على بناء المساجد واصلاحها تطلق كذلك على لزومها والاقامة فيها لعبادة الله ، والمعنى على هذا : أنه لاينبغى للمشركين ، وليس من شأنهم أن يعمروا بيوت الله "المساجد" وهم على حالة الكفر والبعد عن

البقية ص ٢٠٤٢

(١) سورة التوبة الآيتان ١٧ ، ١٨ .

دراسات إسلامية

الرد على رسالة الأب

مع إبراهيم الخليل

فقه آية كريمة

ضوابط الشورى في الفقه الإسلامي



الـرد على ماجاء بالرسالة الثانية

للأبِ اليزيو كاميروتا

السيد الأستاذ الأب اليزيو كاميروتا ..

تحيـة طيبـة .. وبعـد ..

فقـد جـاءنى كتـابكم المـؤرخ بتـاريخ ١٥/٣/١٩٨٥ م منذ أسبوعين ، ردا عـلى البيانات التى بعثت بها اليكم ، لكشف اللثام عما وراء العقيدة المسيحية من أخطار ، يوم يقـوم الناس لرب العالمين ، حيث يعلم النصارى يومئذ انهم أشركوا بالله بعض عباده ومخلوقاتـه «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا » واستحقوا عقاب المشركين ، ولقد أحسنت الظن بنيتكم فى ارسال خطابكم الأول الى فضيلة الامام الأكبر ، فقلت: لن الأستاذ اليزيو يبحث عن الحق فطلبه مـن جهته .

* لكن كتابكم الذى بعثتم به ردا على كتابى خالف ظنى ، فاسمحوا لى أن أسالكم ما هو الداعى الى ارسالكم الرسالة الأولى الى فضيلة الامام الأكبر ، مادمت لا تطلب بها معرفـة الحق ، أتريد الطعن على دين الدولة فى شخص الامام الأكبر ، وهل هذا يتفق مـع العـرف السـياسى أو مـع حقـوق الضـيافة ؛ وهل مصر مسـتعمرة أفريقيـة بـدائية حتى تحاول التبشير فيها ، وهل لم يبلغك شأن الأزهر وكلياته وعلومـه ومنهـا المقارنـة بين الأديان ، فظننت أنه يهتز من تشكيكاتك ، وهل الاسلام دين ناشئ ، لم تعرف مكانته ولم يقف على قدميه ، حتى أقدمت على النيل منه ، أفما علمت أنه دين العقل والعلم ؟ وأنه يدين به أكثر من ستمائة مليون نسمة على سـطح الأرض ، وأن أمته نشرت العلـوم والمعـارف فى جميع الأمم فى أوج عزها ومجدها ، وأنه يزيـد ولا ينقص ، وأن العباقرة من جميع الأديان يسرعون اليه مـؤمنين ، بعـد دراسـة واعية ، برغم الحملات الصليبية ضده .

تعال معى الى كتابك الذى بعثت به الى ردا على اجابتى لكم :

(ا) لقد جاء فى الصفحة الأولى منه ـــ ردا على قولنا : ان أناجيلكم من صنع البشر ـــ جاء فيها أن المطبعة الكاثوليكية رأت اليوم أن تعيد النظر فى ترجمة هذه الأناجيل من اللغة اليونانية الى العربية ، لتكون أقرب الى الأصل اليونانى لهذه الأناجيل ، وقام بترجمتها صبحى حمدى، ويوسف قوشاقجى ، وهذب عبارتها بطـرس البستانى .

ولست أدرى ماذا تصنع هذه الترجمـة فى الأصل اليونانى لهذه الأناجيل ، انها أناجيـل كتبها أصحابها باللغة اليونانية فنسبت اليهم ،

لفضيلة الأستاذ الدكتور
مصطفى محمد الحديدي الطير

وأعيدت كتابتها ، وتحسينها قديما عدة مرات .
يقول (سلسوس) من علماء القرن الثانى الميلادى : ان المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أكثر ، ويعلل (سلسوس) ذلك بأن الكذب والخداع كان بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ ، بل ان (أرجن) كان من الذين أفتوا بجواز تأليف الكتب الكاذبة ونسبتها الى الحواريين أو القسيسين المشهورين ، وقد ذكر ذلك فى الباب الثالث من تاريخ « كليسيا » المطبوع سنة ١٨٤٨ م ، لوليم ميور باللغة الأوردية ، ويقول دكتور (بليس) من علماء البروستانت : ان جميع الكتب ماكانت واجبة التسليم الى عهد « يوسى بيوسى » ويقول القسيس « ميل » : انه لو أمعن النظر لوجد من الاختلافات بين نسخ العهد القديم والجديد ما يزيد على مائة وخمسين الفا (١)

واذا كان الأمر كذلك ، فهل تريدون باعادة الترجمة الى العربية اضافات جديدة وتغييرات مستحدثة كما فعل الأقدمون ؟ .

* يقول هارون فى الباب الثانى من القسم الثانى من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ م ما نصه (الحالات التى وصلت الينا فى بادىء زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة بتر اء وغير معينة على الوصول لأمر معين ، والمشايخ الأقدمون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم ، تعظيما لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر ، وتعذر نقدها على المتأخرين .

* هذه تعليقات بعض كتابكم على كتبكم ، ومنها ترون أننى لم أتجاوز الحقيقة فى وصفى لهذه الأناجيل بأنها مصطنعة ، لما فيها من التناقض والتضاد وعدم التجانس .

* وانى أسالك يا أستاذ اليزيو : أين انجيل عيسى الذى أنزله الله عليه شريعة لأمته ، فانه مرسل به اليها ، لو كان موجودا لما تعددت الأناجيل واختلفت ، واما نسب الانجيل الى كاتبه بل كان يقال : انجيل الله .

(ب) يقول الاستاذ (موريس غورن) ناظر مدرسة العلوم العليا بباريس : انه يشك فى

٩

(١) انظر كتاب (محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن) للمستشار محمد عزت الطهطاوى ــ الفصل الثانى .

صحة نسبة الأناجيل الثلاثة (متى ومرقص ولوقا) التي من نسبت اليهم لدرجة تشبه الرفض ، وأما انجيل (يوحنا) فلاشك في انه مزور ، ولقد صدق على شهادته ٥٠٠ خمسمائة عالم في جمعية دار المعارف الكبرى بباريس .

* ألم تعلم أن مجمع نيقية أحدث مجزرة رهيبة في أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة ، ومنها أناجيل ناطقة بالتوحيد ، فهل هذه المجزرة لم تنبهكم الى أن أسلافكم مختلف فيه اختلاف هذه الأناجيل ، وان محاولتكم تضييق هذا الخلاف بقصرها على أربعة لم تفدكم ، وقد رأيت ما قاله علماؤكم من انها مزورة ، فما رأيك في ذلك كله ؟

* اذا قرأت أي انجيل من الأناجيل المتداولة ، لاتشعر أنه كتاب الهي ، بل مذكرات كتبها أصحابها ، لتنقلات عيسى عليه السلام بين بنى اسرائيل ووعظه لهم ، ولقد اعترفت أنت في ص ٢ بأن انجيل « متى » كتب باللغة الآرامية بعد عشر سنين من رفع المسيح ، ثم ترجم الى اللغة اليونانية وضاع الأصل الآرامي ، كما اعترفت بأن انجيل (مرقس) مأخوذ من بطرس وبولس ، حتى سماه الأقدمون مذكرات بطرس ، وانه كتب في رومية سنة ٦٠٤ ، وأن انجيل لوقا كتب سنة ٦٨ ، وأن انجيل « يوحنا » أنكره بعض المؤرخين في القرن الماضي وفي عصرنا ، وأن عدد فصول مرقص ١٦ ومتى ٢٨ ولوقا ٢٤ ويوحنا ٢١ ، ونستنتج مما ذكرته أنت أن هذه الأناجيل لم تسجل في عهد المسيح ، وأن أقربها اليه كتب بعد عشر سنين من رفعه ، وأن باقي الأناجيل كتب في عهود متباعدة ، ونزيد على ذلك أنها روايات قصصية لرحلات عيسى وموقف بني اسرائيل من مواعظه وليس فيها من الهدى الالهي شيء ، وأنها ليست متفقة الفصول والوقائع ، وهذا مما يقطع بأنها ليست انجيل السيد المسيح الذي أنزله الله اليه ، كما أنه لادليل على صحة نسبتها الى قائليها ، كما قاله الأستاذ موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا ، ومعه خمسمائة عالم من جمعية دار المعارف بباريس .

(جـ) جاء في الصفحة الثالثة من كتابك ، أن لاتناقض بين التثليث والتوحيد ، وجئتم بنص ميثاق الايمان عندكم ، وسنتكلم معك على أساسه ، برغم أنه لا يمثل أصل ميثاق نيقية والقسطنطينية .

جاء في الميثاق في حق الله تعالى ــ حسب روايتك ــ نؤمن باله واحد ضابط الكل خالق السموات والأرض ، كل مايرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الدهور ، غير مخلوق ، مساو للأب في الجوهر الذي كان به كل شيء ، الذي من أجلنا نزل من السماء لخلاصنا ــ ثم قلت : وصعد الى السماء ــ أي بعد قيامه من الموت ــ وجلس على يمين أبيه ، وسيأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات ، الذي لافناء لملكه ، ونؤمن بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب والابن) ونلاحظ على هذا الميثاق ما يلي :

١ ــ أنه لا أصل له في أناجيلكم ، بل هو من وضع دعاة التثليث في مؤتمر أتكم ، فهؤلاء

حاربوا الموحدين ووضعوه ليقيدوا حرية الفكر المسيحى حتى يقبل المتناقضات .

٢ — أن البنوة فى العهدين ليستقاصرة على عيسى ، ففى انجيل متى « طوبى لصانعى السلام لانهم أبناء الله يدعون » ص ٢ — ٩ .

٣ — وجاء فى انجيل لوقا أن آدم ابن الله ص ٣ — ٣٨ .

٤ — وجاء فى انجيل متى « سمعتم انه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك ، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ، لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات ص ٥ — ٤٣ .

٥ — وجاء فى سفر الخروج (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب : اسرائيل ابنى البكر ص ٤ — ٢٢ ، ٢٣ .

٦ — وفى سفر أرميا (انى صرت لاسرائيل ابا ، وافرايم — أى ابراهيم — هو بكرى) ٣١ — ٩

٧ — وفى مزمور داود (انى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : أنت ابنى) مزمور ٢ — ٧ .

٨ — هذه نصوص مراجعكم ، بالاضافة الى ما هو شائع — من أطاع الأب فهو ابنه ، ومن أطاع الشيطان فهو ابنه ، فلماذا اختصصتم بالنبوة عيسى وسميتموه الابن الوحيد مع أنها لغيره ، ومع أن بعضهم سمى عندكم بالابن البكر ، وهل من عصى الله هو ابن للشيطان حقيقة ، ومن أين جئتم فى ميثاقكم بأن عيسى من جوهر أبيه .

٩ — لقد قلتم ان الأب خالق كل شىء — السموات والأرض وما يرى وما لا يرى ، وقد دخل عيسى فيما يرى وما لا يرى ، فيكون مخلوقا للاب ، وهذا مناقض للميثاق نفسه من ادعائه أنه غير مخلوق .

١٠ — قلتم فى الميثاق : ان عيسى كان به كل شىء وهذا مناقض لما جاء عن الاب من أنه خالق كل شىء .

١١ — جاء فى الميثاق أن عيسى سيأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والاموات ، وهذا يناقض ما سبق فى الميثاق من أنه ضحى بنفسه لخلاص البشرية من الخطيئة كما أنه يهدم العقيدة المسيحية من أساسها فهى تقوم على أنه تجسد وصلب ليغسل خطايا البشر .

١٢ — جاء فى الميثاق أن روح القدس هو الرب المحيى ، المنبثق من الاب والابن ، فكيف يتفق هذا مع ما جاء فى الميثاق من أن المسيح تجسد بقوة الروح القدس ؟ كيف يكون منبثقا عنهما وأثرا لعيسى وأبيه ثم يؤثر فى عيسى فيجسد كما يزعمه ميثاقكم ومرجعكم . ولماذا لا يجسده أبوه الذى هو خالق كل شىء .

١٣ — ماذا صنع عيسى فى بنى اسرائيل اكثر من دعوتهم الى الله ، وهى مهمة الرسل من قبله ، وماذا كان اثرها فى قومه لقد كفر به معظمهم ولو كان ابن الله كما زعمتم لكان هداه لهم أبلغ تأثيرا من المرسلين قبله ، ولما كفر به أحد ، لأنه كان به كل شىء — كما زعمتم —

١٤ — زعمتم أنه ضحى بنفسه لتخليص البشرية من خطاياها ، وهذا يناقض مازعمتموه من أنهم قتلوا ابن الله ، وارتكبوا بذلك خطيئة أكبر من جميع خطاياهم ، وهى قتلهم ابن الله

بزعمهم فيكون نزوله عبثـا ، ولذلك زعمتم فى الميثاق أنه سيدين الأحياء والأموات .

١٥ ـ كيف قبلتم أن هؤلاء الثلاثة اله واحد مع أن كل واحد منهم اله فى زعمكم وأنه يسجد لكل واحد منهمويمجد ، وأنلكلواحد منهمعملا أسنده له الميثاق ، وحينما قلت لكم : ان الأليق بعقيدتكم أن يسمى هؤلاء الأرباب المزعومون (شركة الأرباب المتحدة) قلتم : ليس من السداد أن يدعى الثالوث الأقدس « شركة الآلهة المتحدة » مع أن هذه التسمية هى المناسبة لواقعكم (١) .

١٦ ـ قلت لكم : ان الأبوة تسبق البنوة ، وهذا يقتضى حدوث الابن ، والحدوث من صفات المخلوق وليس من صفات الخالق ، وقد زعمتموه خالق كل شىء كأبيه ولم اجد لكم جوابا مقنعا عن ذلك ، ومن العجب أن أناجيلكم طافحة بأن التمجيد كله لله ، ووصف المسيح بأنه ابن الانسان وانه عبد ، وان الله له كل شىء فى الدنيا والآخرة ، ولكنكم تتركون كل ذلك ، وتؤثرون عليه ميثاقا وضعه بشر متأثرين بآراء فلاسفة اليونان وعقائد الهنود التى لا يقبلها منصف تحرر من ربقة التقليد ، وسوف أعقد لكم مقارنة بين عقيدتكم وعقيدة سواكم من أرباب التثليث بعد الفراغ من مناقشة رسالتكم .

١٧ ـ لماذا يحتاج الله الى ولد اسمه عيسى ، والى ملك اسمه روح القدس ، وقد خلق كل ما يرى وما لا يرى باعتراف ميثاقكم . وكلاهما مما يرى وما لا يرى . فهما اذن مخلوقان لله ، فهل أدركت الشيخوخة الله سبحانه . فاحتاج الى ولد ليعينه أو ليرثه . والى روح القدس لينفخ فيه روح الشباب ويمنحه القوة . تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا .

عودة الى مناقشة رسالتك

(د) قلت فى رسالتك الأولى ان الحق واحد، والله واحد والله لايناقض نفسه . وان التوراة جاءت بالتوحيد ، ثمطور المسيح ذلكالوحى،بأن كشف لكم التثليث فى التوحيد . ثم أتى القرآن وعاد الى فكرة التوحيد ، وقد رددنا فى كتابنا السابق بأنه ليس من حق المسيح أن يطور التوحيد ويجعله تثليثا ، وان التوراة والقرآن اتفقا على التوحيد وهو الحق ، لان الاله ليس مادة صالحة للتطوير ، ولكنك فى كتابك الثانى قلت فى (رابعا) انه لم يطور ولكنه كشف التثليث فى التوحيد ، فأنكرت كلمة التطوير التى كتبتها بيدك .

ونحن نقول : أيخفى التثليث فى شريعتى ابراهيم وموسى وسائر شرائع المرسلين ولا يكشف الا فى المسيحية . ولا يقف عند ذلك الحد بل يسمى توحيدا . انها فتنة مؤتمر نيقية ، والمسيح برىء من كل ذلك .

ولا وجود لهذا التثليث فى كتبكم كما سنبينه فى آخر كتابنا هذا . وصدق الله اذ يقول عن السيد المسيح : « مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

(١) وما رأيك فيما جاء فى سفر التثنية ٤ ، ٥ (اسمع يا اسرائيل . الرب الهك رب واحد . فتحب الرب الهك . من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك) فكيف يتفق هذا مع تثليثكم ؟!

مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » .

(هـ) جاء في البند (خامسا) من كتابكم الثاني أنكم متحررون ، وأنك تود أن يحصل للقرآن ما حصل للانجيل من النقد والانكار والتكذيب ، ثم قلت : ان المسيحي ليس مقيدا برباط التقليد حتى يتحرر من سجن التقليد المظلم ، وذكرت من مظاهر انفتاح النصارى أنهم يطبعون الكتاب المقدس بصورة حديثة ، حسب متطلبات فنون الاخراج العصرية ، كما أن الفاتيكان فتح مكتبته ودائرة وثائقه ، كما فتح أبواب الكنائس لجميع الحجاج بلا استثناء لأن النور لا يخاف الظلام ، في حين أن الظلام يخشى النور ، هل يسمح للنصارى مثلا بزيارة مكة والمدينة ، كما يسمح لغير النصارى بزيارة المسيح ، وقلت : ان النصارى يمتنعون عن دق أجراس الكنائس باكرا ، مراعاة لراحة البشر من الأطفال والمرضى وغيرهم ، وقلت : أين تلك المرونة ، وذلك الانفتاح على الغير في المجتمع الاسلامي ، ثم قلت : أما ترون أن بعض التعديل يجب أن يجري في مظاهرنا الدينية الى آخر ما قلتم .

(وردا على ذلك نقول)

انكم خرجتم بهذا عن الموضوع الذي دعوناكم الى التحرر فيه من سجن التقليد المظلم فقد دعوناكم الى التوحيد الخالص وترك التثليث الذي تقلدون فيه أسلافكم ، وقلنا ان الثلاثة لا تكون واحدا ، وان قوانين الكون واحدة ، لأن مدبرها وخالقها واحد « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فما علاقة ذلك بما قلتموه لقد قلتم انكم متحررون ، فهل تحررتم من توحيد الآلهة والأرباب المتعددين ، كلا فلا زلتم عليه مقيمين وقلتم : ان الانجيل حصل له من النقد ما تود أن يحصل مثله للقرآن ، وردا عليه نقول : ان القرآن ظل مضطهدا في مكة ثلاث عشرة سنة ، وظل موضع هجوم لجميع الأديان حتى الآن ، ولكنه ظل كالصخرة العاتية تحطمت على جنباته جميع المحاولات ، لأنه كتاب الحق والفكر والبرهان ، ولا أدل على ذلك مما استشهدتم به في ص ٥ من كتابكم « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره « ٦ — ٦٨ » وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون « ٦ — ١٢١ » .

وقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، ولو قدروا لجاءوا بذلك ليبطلوا حجته والواقع أن القرآن لاحتوائه على حقائق علوية وعقائد نظيفة ، وشرائع جليلة ، وعلوم نفيسة ، وأخبار المرسلين ، جاء به أمي لا يقرأ ولا يكتب ، بعث في أمة أمية أول ما بعث وقد عرف بين قومه بالصدق والأمانة ، ولم يورث أهله درهما ولا دينارا ، مع أن الدنيا كانت ملك يديه ، كل ذلك شاهد على كونه من عند الله ، وأن محمدا صادق في دعوته « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » فهذا هو الحق والحق لا يخشى الظلام ، لأنه

نور ساطع أما ماذكرته عن اجراس الكنائس وأصوات المآذن وانفتاح المكتبات وعدم وصول غير المسلمين لمكة وأمور أخرى ، فهى أمور بعيدة خارجة عن أصول الدين التى نتكلم فيها ، ولقد علمت أن المآذن تنادى (الله أكبر) وهذا أمر يطرب له المؤمنون ويكرهه سواهم ، ولو جعل مكانه باسم الأب والابن والروح القدس اله واحد ، لما انتقدته يا أستاذ اليزيو ، وأين الأذان المنادى بالدعوة الى الحق ، من ناقوس الكنائس المزعج ، فهل بينهما مجال للقياس ؟

ان أجراسكم بلا شك مزعجة لكم ولغيركم ، لأنها تحدث أصواتا وهزات مرعبة ، فهى حرية بالمنع فى الأوقات المبكرة ، وغيرها ، وقد أحسنت الكنائس فى منعها فى الصباح الباكر .

وليست مكتباتكم هى المفتوحة وحدها للقراء من جميع الملل ، فمكتباتنا كذلك ، ومساجدنا مفتوحة للسائحين من جميع الأديان ، ولقد كان يدخلها المسيحيون ويخطبون فيها فوق المنابر فى ثورة ١٩١٩ ضد الانجليز مع علماء المسلمين ، كما كان علماء المسلمين يفعلون مثل ذلك فى كنائس المسيحيين ، أما دخول الحرمين الشريفين ، فمحظور دخولهما لاعتبارات دينية وسياسية لا مجال للحديث عنهما فى هذه الرسالة .

أما قولكم انكم طبعتم كتبكم المقدسة أخيرا حسب أحدث طرق العصر ، تسهيلا للقارىء فنحن نرد عليه بأن هذا تعريض ببقاء القرآن على الرسم العثمانى ، وهذا من مفاخرنا فنحن نحافظ على كل شىء فى القرآن ، حتى على رسمه العثمانى الذى كتب به المصحف الامام ، ولحرصنا على ذلك حفظه الله من التغيير والتبديل عبر هذه القرون ، وما منع هذا أحدا من حفظه عن ظهر قلب ، وهو الكتاب الوحيد الذى تحفظه ذاكرة الناس ، أما كتبكم فلا نجد أحدا يحفظها ، وأنتم على الدوام تحدثون فيها من التغيير والتبديل باعترافكم واعتراف مؤرخيكم .

وأما حرية النقد لكتبكم ، فهى حديثة بعد الثورة ضد الكنيسة وسلطانها ، فقد كان لا يجرؤ أحد على مخالفة رأيها مهما كان باطلا ، والا تعرض للاعدام ، والشواهد كثيرة أنت على علم بها .

(و) قلتم فى كتابكم عند قولكم (سادسا) مستدلا على ألوهية المسيح : ان الشياطين يقرون بألوهيته حينما كان يعالج من به مس منهم ، وكانت الأرواح النجسة تسجد له وتصفه بأنه ابن الله ، وذكرتم أنه اقام الموتى واحيا نفسه ، واستدللت على ذلك بنصوص من انجيل مرقس ولا نجد ردا على ذلك أشد الزاما وافحاما مما جاء فى الأناجيل الأربعة من أنه استنجد بالله وهو على الصليب لكى ينقذه من العذاب الذى هو فيه ومن بصقهم فى وجهه ، ووضع الشوك على رأسه وتجريعه الخل ، فقد قال فى استنجاده ايلى ، ايلى لما شبقتنى : أى الهى الهى لماذا تركتنى فى هذا العذاب والهوان فاذا كان عاجزا عن انقاذ نفسه واستنجد بأبيه فكيف يكون ربا كان به كل شىء ؟ وهو لا يستطيع أن ينجى نفسه

من القتل والصلب . وما رأيك فى الشيطان الذى صحبه الى الجبل وأراه ملكوت السموات والارض ، وطلب منه ابليس أن يسجد له ليعطيه هذا الملكوت فنهره قائلا : لا سجود الا لله — وسيأتى بيان ذلك فى آخر الكتاب — فهل يصح أن يضحك الشيطان على ابن الله ، ويلاحظ أنه فى هذه القصة المهزوزة لم ينس أن يقول للشيطان لا سجود الا لله ، لكنكم تقولون انه يسجد له ولروح القدس لأنهما أرباب فما رأيك فى هذا التناقض ؟ .

على أن العلاج من مس الشياطين لا ينفرد به السيد المسيح ، ففى أوربا وامريكا جمعيات وأطباء لعلاج تلك الحالة ولعلاج الأمراض المستعصية ، وقد كان بمصر جمعية يرأسها المرحوم الأستاذ احمد فهمى أبو الخير تروى عنها العجائب فى علاج هذه الحالات ومن ذلك ما كتبه طبيب مسيحى فى صحيفة قديمة كانت تسمى (البلاغ) وصاحبها المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، حيث قال : انه كان مصابا بسرطان فى فقرات ظهره . فشفى بعد جلسات روحية ثلاث وقد ملأ بهذا المقال صحيفة كاملة . فما رأيك فى هذا يا أستاذ أيزيو ؟

أما ما ذكرته عن شاول الذى كان ينكل بالمسيحيين ثم تنصر . فأنت أعلم بما قيل عنه وعن افساده لدين عيسى ، بعد ادعائه الدخول فيه . ومعظم ذلك بأقلام مسيحية .

ز — قلت فى ص ٦ من رسالتك الثانية : (بالرغم من أن الوحى ختم بتعاليم يسوع ورسله يأتى فيما بعد فى معتقد فئة أخرى من الناس ملك من السماء بتعليم يخالفه التعاليم السابقة ، وهل يكفى القول بأن جميع الأناجيل والأسفار التى لا تتناسب والقرآن هى من وضع البشر ومحرفة ، ان هذه العبارة من نبوءات المسيح بالأنبياء الكذبة ، بعد تحذير بولس الرسول الواضح المكرر لا تقنع من تحرر من رباط التقليد وسجنه المظلم) وكل ذلك لا أساس له من الصحة ومحض افتراء واليك البيان .

(ردنا على تلك المفتريات)

ان دعواك أن الوحى ختم بتعاليم يسوع ورسله ، دعوى مرفوضة وغير صحيحة ، ترفضها حتى كتبكم مع ماحدث فيها من التغيير ، ففى الاصحاح الأول من انجيل يوحنا سأل اليهود يوحنا قائلين فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبى فهذا يدل على أنهم يعرفون من كتبهم أنه سيأتى بعد ايليا والمسيح نبى وهو محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وفى سفر التثنية « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار . فى يمينه سنة من نار » فمجيئه من سيناء اعطاؤه التوراة لموسى ، ومجيئه من ساعير اعطاؤه الانجيل للمسيح، واستعلاؤه من جبل فاران ، انزاله القرآن على محمد ، فان فاران هى أرض بالحجاز بين ثلاثة جبال بمكة ، هى : أبو قبيس وقيعان وحراء وفى سفر التثنية ص ١٨ قال لى

الرب : سوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيهم به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى ، فأنا أكون المنتقم منه) أى أن الله قال لموسى : انه سوف يرسل لهم نبيا من بنى اسماعيل أخى اسحاق جد بنى اسرائيل ، وقوله (مثلك) معناه مماثل لك فى المجىء بشريعة كاملة ، تتحدث عن المبدأ والمعاد ، وتعطيهم من أحكام الدين والدنيا ما يلائم عصرهم ، ولم يأت بعد موسى نبى بشريعة جديدة لا من بنى اسحاق ولا من بنى اسماعيل سوى محمد — صلى الله عليه وسلم — ، ولا مجال للزعم بأن المقصود بقوله : (من بين اخوتهم) أنه من بنى اسرائيل ، فانه حينئذ يكون منهم ولا يقال فيه من بين اخوتهم ، ولا ينطبق على عيسى لأنه منهم وليس من اخوتهم ، ولأنه لم يأت بشريعة جديدة ، فشريعته هى شريعة موسى ، وهى ما تسمونه بالعهد القديم ومعنى : (واجعل كلامى فى فمه) أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب .

والاشارات الى نبوته فى كتبكم كثيرة تحتاج الى كتاب مستقل .

ولقد قلت فى أواخر ص ٦ « لابد لنا أن نشير الى سورة الصف » **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ** » وعلقت على ذلك بقولك : نتساءل فى أى انجيل وردت هذه الآية القرآنية ، ولو وردت فى الأناجيل، **فما قيمتها والأناجيل كلها محرفة ومن قول البشر**) كذلك قلت يا أستاذ اليزيو .

ردا على ذلك نقول : انك على علم بأن انجيل عيسى لا وجود له ، ولهذا تعددت الاناجيل واختلفت كما تعلم المجزرة التى أحدثتها مجامعكم فى الأناجيل المخالفة لعقائدها ، ويشاء الله أن يبقى على انجيل واحد ناطق بانسانية عيسى ونبوة محمد ، ومكذب لفرية الصلب المزعومة لعيسى ، وأن يعثر على هذا الانجيل فى مكتبة بابا روما ، وقصته معروفة لديكم ، وقد جاء فيه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — بيانات وافية تحكى الهدى الذى جاء به ، مقرونة باسمه الشريف ، ومن ذلك ما ذكر فى الفصل ٣٦ رقم ٦ ونصه (وقد جاء الانبياء كلهم الا رسول الله الذى سيأتى بعدى ، لأن الله يريد ذلك ، حتى أهيىء طريقه) وهذا النص على لسان السيد المسيح وفى الفصل ٣٩ يقول المسيح : (فلما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتلألأ كالشمس : لا اله الا الله محمد رسول الله — ١٤ .

وفى الفصل السابع والتسعين ١٣ — ١٨ (أجاب يسوع ان صيا عجيب ، لأن الله نفسه سماه : لما خلق روحه ووضعها فى بهاء سماوى قال الله : اصبر يا محمد لأنى لأجلك اريد أن أخلق الجنة والعالم وجماعة كثيرة من الخلائق التى أهبها لك ، حتى أن من يباركك يكون مباركا ، ومن يلعنك يكون ملعونا ، ومتى أرسلتك الى العالم أجعلك رسولى للخلاص ، وتكون كلمتك صادقة ،

حتى أن السموات والأرض تهتزان . ولكن ايمانك لا يهن أبدا . ان اسمه المبارك محمد . حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : ياالله أرسل لنا رسولك . يامحمد تعال سريعا لخلاص العالم) .

وبعد فلو أن الأناجيل المختلفة للثالوثيين بقيت . لرأيت الشهادة برسالة محمد وختمه للمرسلين . ولقد اعترفت يا أستاذ البزيو بأن أناجيلكم التى استبقيتموها لم تكتب فى عهد المسيح . وانما كتبت بعده بمدد مختلفة . أقلها عشر سنين . وأكثرها ثمانى وستون . وبعضها ١٦ فصلا وبعضها ٢٨ فصلا وبعضها ٢٤ . وبعضها ٢١ . ولو كانت انجيل عيسى لما اختلفت الى حد قال عنه القسيس ميل (انه لو أمعن النظر لوجد من الاختلافات ما يزيد على مائة وخمسين ألفا) .

« نبوة محمد ليست بحاجة الى كتبكم »

* ان اثبات نبوة محمد ليست بحاجة الى شهادة كتبكم . ولا الى شهادة المقلدين منكم . ان نبوته ورسالته . يشهد بها هذا الاصلاح العالمى الذى تناول العقائد والفكر البشرى . والسلوك الانسانى . والتشريع العادل . والحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات . والعمل على اصلاح شئون الدنيا والآخرة . كما شهد به المنصفون منكم : أولئك الذين لم يستول الحقد والكراهية على نفوسهم . أولئك الذين أبصروا الأمور على حقائقها . دون تأثر بزيف المزيفين . وتقليد للشانئين المجازفين وكل ماجاء به الاسلام من أسس الاصلاح أساسه القرآن العظيم الذى « **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** » ومن بعده البيان النبوى الذى نطق به المعصوم محمد — صلى الله عليه وسلم — شرحا لمقاصد القرآن . حسبما أمره ربه بقوله « **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** » وقد أمرنا الله ان نأخذ ببيانه للقرآن بقوله :

« **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** » وذلك لأنه كما قال تعالى « **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ** » .

ولم تقتصر معجزاته — صلى الله عليه وسلم — على القرآن . فقد طلبت منه قريش أن يطلب من ربه شق القمر قطعتين . فدعا الله تعالى فاستجاب له . ورأوه منشقا فى السماء . ولكنهم كشأن المعارضين للرسل كذبوا وقالوا سحر مستمر . وفى ذلك يقول الله تعالى : « **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ. وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ. حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** » .

ومن معجزاته تسبيح الطعام بين يديه ومن حوله يسمعونه . وتسليم الحجر والشجر عليه بالرسالة حينما يمر عليه . أخرج الترمذى بسنده (كنت امشى مع النبى — صلى الله عليه وسلم — بمكة . فخرجنا فى بعض

نواحيها ، فما استقبله شجر ولا حجر الا قال : (السلام عليك يارسول الله) وذلك عقب ما أوحى الله اليه ، ومنها حنين الجذع الذى كان يخطب الى جواره بعد ان تركه الى منبر أعده له باقوم الرومى ، لكى يخطب من فوقه، ولم يسكن حنينه وجؤاره حتى نزل اليه النبى — صلى الله عليه وسلم — واحتضنه . ويوم الحديبية عطش الناس عطشا شديدا ، ولم يوجد سوى ماء قليل بين يدى النبى — صلى الله عليه وسلم — فوضع يده فى الاناء ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، فسأل راويه جابرا : كم كنتم ، قال جابر : لو كنا مائة ألف لشربنا كنا خمس عشرة مائة .

* ومن معجزاته تكثير الطعام القليل وجعله كثيرا يكفى العشرات والمئات . وشفاء عيون المرضى بريقه الشريف . وتنبؤه بهزيمة فارس فى بضع سنين ، وغير ذلك كثير مروى بصحاح الأحاديث ، ولو أحصيت معجزاته لاحتاجت الى كتاب مبسوط لايرادها وتحليل أسانيدها الصحيحة ، وبيان الغاية منها وكيف تتم والناس جلوس مشاهدون سامعون .

لا أقول ذلك لكى أحملك على الايمان يا أستاذ البزيو ، فالهدا المقرر عندنا هو ما قاله الله : « **لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ** » ولا أقوله لأستزيد واحدا أو عشرات أو مئات من المؤمنين ، فالمفكرون يسعون اليه ، ورجال الدين الأحرار منكم يهرعون اليه ويؤمنون به ، والمؤمنون بحمد الله يزيدون ولا ينقصون .

* ولكن أقوله لأنك قلت : لا يكفى ان يقول بعض الناس جاءنى الوحى ، أو كلمنى الرب ، وقلت ان الوحى قد انقطع برسالة المسيح ، وقد بينا خطأ هذا القول من نصوصكم ، وأقوله أيضا لأنك قلت : ان المسيح تنبأ بالأنبياء الكذبة ، وبولس كرر التحذير منهم ، فهل محمد نبى كاذب يا أستاذ البزيو . وان كان نبيا كاذبا فمن سواه يكون صادقا؟ . وهل يصح أن نقبل فى عيسى ما قالته اليهود فيه وفى أمه ، وهم قومه .

* لقد كرر بولس التحذير من الانبياء الكذبة ، لأنه كذاب أثر أفسد المسيحية وصدقتموه مع أنه كان يستر بمظاهره نواياه السيئة ضد المسيحية .

* تقول : ان المسيح تنبأ بالأنبياء الكذبة ، ويقول القرآن — وهو الحق — ان المسيح تنبأ برسالة محمد ، فلماذا لم تصدق نبوءة الحق . وأسأت تأويل ما جاء فى انجيلكم من تنبئه بالأنبياء الكذبة ، فعرضت بذلك بنبوة محمد — صلى الله عليه وسلم .

* فكيف تنزل بلادنا ، وتنكر نبوة نبينا بهذا الاسلوب الذى يأباه ما تلقاه فى بلادنا من كرم الضيافة وما يعلمه المنصفون من عظمة محمد ورسالته . وما الذى دعاك الى هذا السلوك غير اللائق ، مع أكبر هيئة دينية فى البلاد ، حيث تبادئها بهذا التجنى ولم يتحرش بك أحد ، فمن أغراك بالحق ؟ من وراءك يا أستاذ البزيو ؟ لقد رأيت أن أضبط عواطفى فى ردى عليك ، برغم ما بدأت به من عدوان مقصود .

وحسبى أن أقول : اذا كنت أنت ومن جعل الثلاثة واحدا لا يؤمنون بمحمد ولا بمعجزاته . فقد كفر اليهود بعيسى وأمه . وقالوا فيهما ما تعلمون . فكونوا أنتم مثلهم فى انكار الحق « كل امرىء بما كسب رهين » .

«الأمية والأناجيل»

* جاء فى البند (سابعا) بنص ٦ قولك : اذا صلحت الأمية لتثبيت معجزة القرآن . فلماذا لا تصلح لاثبات معجزة الأناجيل . فان المسيح كان أميا .

* ونحن نقول : ان الأمية ليست معجزة . ولكن مجىء العلم الفياض من الأمى والفصاحة والبلاغة التى تجاوزت قدرة البشر فى بيانه . فذلك هو المعجزة . ونحن المسلمين لا نحتاج فى اثبات نبوة عيسى الى أميته . فقد جاءنا بنبئها القرآن العظيم . وأثبت له معجزاته التى خصه الله بها . كما أثبت نزول الانجيل عليه لا على أنه معجزة . بل على أنه شريعة مصدقة للتوراة . وليحل لهم بعض الذى حرم عليهم . ولكن أين هذا الانجيل الذى انزله الله على عيسى يا أستاذ اليزيو . لقد فقد تماما ولا يستطيع احد من النصارى أن يثبت وجوده : أما الأناجيل الحالية فذلك صنعها قائم فى اختلافها وتباينها وركاكة عباراتها وتفكك موضوعاتها . وغير ذلك مما شهد به باحثوكم وسبق بيانه . وقد اعترفت أنت بأن أناجيلكم كتبت فى أوقات متباعدة من عشر سنين الى ثمان وستين سنة . ولم تكتب فى عهد المسيح ولا عقب وفاته . ولم يقم دليل على حفظها فى الصدور . واقد شك المحققون منكم فى صحة نسبة هذه الأناجيل الى من نسبت اليهم .

« القرآن يتحدى »

* ذكرت فى ص ٧ بجانب قولك (ثامنا) انني قلت فى الصفحة الثانية عشرة من رسالتى اليك (ولا يزال القرآن يتحدى كل المفكرين أن يأتوا بمثله) « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ » .

وعقبت على ذلك بقولك : ان الكلمة — تريد المسيح — لم يأت الى العالم ليخلبه بمظاهر الحكمة وبكلام رنان طنان على غرار قدامى الفلاسفة والمفكرين . ولكن فى صورة وديعة متواضعة . اذ قال : تتلمذوا لى أنا الوضيع المتواضع القلب ..) ثم قلت فى آخر هذا البند بآخر الصفحة : وبشأن الجن . كيف يستطيع الجن أن يأتى بمثله . والجن ليس فى الوجود ينسب الى الأساطير اليونانية .

* وردا على ذلك نقول : ان كلامك يشعر بأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — جاء الناس بكلام طنان رنان على غرار قدامى الفلاسفة . وذلك بقوله : « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ » وذكرت أن فيه استعلاء من محمد مخالفا للتواضع الذى كان عليه عيسى — وهذا منك يا أستاذ اليزيو منتهى التجنى

٩

والافتيات ، ألست تعلم أن لكل مقام كلاما يناسبه ، فمقام يقتضى لين القول ، وآخر يقتضى شدته ، فالنبى حين أمر بانذار عشيرته الأقربين يقول الله له : « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ.وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » نفذ هذا الأمر تماما فجمع عشيرته وقال لهم : ان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا اله الا هو انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا،وانها لجنة أبدا أو لنار أبدا » وكان جم التواضع ، فكان يسبق غيره فى الأعمال الجماعية ، وكان يقول : من تواضع لله رفعه ، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس ولذا قال الله فى شأنه « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » ولو قرأت شمائله الشريفة لعرفت منها أروع الأمثال فى مكارم الأخلاق . ولهذا خاطبه ربه بقوله « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

* وحين جاء أمته بمعجزة القرآن قالوا انه من كلامه ، فقال انه لاقدرة له ولا لغيره على أن يأتى بمثله ، ولاثبات كونه معجزة تحداهم أن يأتوا بمثله ، فلما عجزوا ، ظهر أنه فوق طاقة البشر ، وفوق طاقة محمد الأمى فهو مثلهم ، وأنه آية أيد الله بها نبيه . فلما أكثروا الجدال فى ذلك ، عرفهم حقيقة اعجازه وقوة تأييده لرسالته بقوله مبلغا عن الله :

« قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » فهذا تقرير للواقع وبيان للاعجاز ، وليس فيه تكبر ولا استعلاء ، فقد ملأ القرآن دنيانا ايمانا بالواحد القهار ، وأنكر الوهية سواه فهم خلقه وعباده . كما ملأها علما وعرفانا ، فى وقت كانت البشرية فيه مغلفة بالجهالة ، والكنيسة تحرم العقول من الحرية ، وتبطش بأهل الفكر والرأى ، وأنت على علم بذلك .

* واذا كنت قد ذكرت فى هذا البند (ثامنا) أن عيسى رد على من قالوا له : يامعلم نريد أن نرى منك آية — رد عليهم قائلا : جيل فاسد فاسق يطلب آية)فكيف تعيب على محمد ان يعرف قومه حقيقة الاعجاز فى القرآن ومداه ، توضيحا لكونه آيته ومعجزته التى أيده الله بها ، حتى لا يطالبوه بآية سواها . على أنه بعد ذلك جاءهم بمعجزات كثيرة سبق بيان بعضها .

أما الجن فكيف تنكرهم وتدعى أنهم من أساطير اليونان ، مع اعترافك بهم فى ص ٧ فقد قلت : (حتى الأرواح النجسة بأمرها

فتطيعه) وقلت في ص ٥ ان الشياطين كانوا يقرون بألوهية المسيح ، فما هذا التناقض في الفكر والقول جميعا ، لاحول ولا قوة الا بالله .

تاسعا

* في آخر ص ٧ وأول ص ٨ تحدثتم في البند (تاسعا) فقلتم : انكم تعتمدون على نورين نور العقل ونور الايمان : ثم قلتم ان الوحدة في التثليث سر من أسرار الدين . ونحن نسألك : ما هو الدليل العقلي على أن الثلاثة واحد ؟ وما هو الدليل النقلي ؟ لقد اعترفت أنت بأن الوحدة في التثليث سر من أسرار الدين . وبذلك أخرجتها عن المضمون العقلي ، وناقضت نفسك في ادعاء اعتمادكم على العقل ثم ناقضت نفسك مرة أخرى حين قلت : ان هذا لا يناقض العقل البشري ، فالطبيعة الالهية واحدة والأشخاص متعددون في تلك الطبيعة ــ وهذا معناه أن الآلهة ثلاثة أشخاص وطبيعتهم واحدة وهي الألوهية والربوبية ، أي : أن كل أحد منهم له شخصية مستقلة في الألوهية والربوبية ، وهذا عين ما في الميثاق من أن الأرباب ثلاثة ، وأن لكل منهم عمله المتعارض مع عمل الآخر ، وأنه يسجد لكل واحد منهم، فأين هذه الوحدة العقلانية في هذا ؟

* أرأيت لو كنت أستاذا في كلية ، ومعك فيها أستاذان آخران ، ولكل واحد منكم تخصص غير تخصص سواه أو مماثل له ، فهل اتحادكم في الانسانية ينفي أنكم ثلاثة رجال أو ثلاثة أساتذة ، فكيف تكون أنت وزميلاك رجلا واحدا أو أستاذا واحدا ؟ وكيف تكون الوحدة بينكم عقلانية ؟

* أما قولكم ان الشمس واحدة ولها شعاع وحرارة ، ولاينافي هذا وحدتها ، فهو مغالطة مكشوفة ، ان أقنعتم بها أنفسكم ، فلا يقتنع بها تلميذ في مدرسة ، فان كلا من الشعاع والحرارة لا يقال له شمس وانما هما صادران عن الشمس ، فهما أثران لامؤثران ، وهذا غير ماتدعون من أن كل اله مؤثر وموجد وغير ذلك من الاختصاصات ، وأن الابن اله يجلس على يمين أبيه ، وروح القدس يسجد له كما يسجد للأب والابن ، فأين التشابه المزعوم ياسيد اليزيو ، هل يعقل أحد ان الأثر عين المؤثر ، لو قلتم ان عيسى وروح القدس اثران لقدرة الله وبعض مخلوقاته وعباده ، ولا ألوهية لهما على الاطلاق ، لكان التشبيه بالشمس وأثرها عقلانيا ، ولكان قولكم حينئذ متفقا مع الواقع ، من أن عيسى عبد الله ورسوله فحسب ، وروح القدس ملك عظيم من ملائكة الله ولا ربوبية لهما .

* وكما أنه لا يوجد دليل عقلي على هذا التثليث ولا على وحدته ، فانه لا يوجد دليل عقلي على أن الأناجيل التي بأيديكم جاءت بهذا التثليث ــ بصرف النظر عن رأينا فيها ــ انكم تبدءون كلامكم قائلين : باسم الأب والابن والروح القدس اله واحد آمين ، فأين هذه العبارة في أناجيلكم ؟ انها من اختراع مجامعكم ، كما أن التثليث كذلك .

لقد كانت فكرة المجمع الأول عندكم على تأليه عيسى ، لكونه يعبر عنه بابن الله في تلك

الأناجيل ، مع أنها نسبت البنوة لغيره كما تقدم . وقد استبعد هذا المجمع الروح القدس من التأليه ، وفي المجمع الثاني اقترحت طائفة منكم ضمه الى الالهة ، فقبل هذا الاقتراح : ألم يكن الأمر كذلك ياسيد اليزيو — اشهدها للحق يارجل — فمجامعكم وبولس هما أصل هذا الانحراف بالمسيحية ، ألم تقرأ في انجيل مرقس ص ١٢ ج ٢٩ ما يلي (فأجابه يسوع : ان أول كل الوصايا هي : اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد) فأين انتم من عشرات النصوص المتشابهة التي تنادي بأن الرب واحد ، وأنه هو الذي يسجد له .

* ولما اختلط رجال دينكم بالأمم نقلوا اليكم ثالوث البوذيين وقدامى المصريين واليونانيين ، ان الأبوة والنبوة في كتبكم مجازية مراد منها الانتماء والاعتزاز ، كما تقول لشخص أحببته أنت ابني أو أبي ، مع أنه غريب ، وقد سبق من النصوص عندكم ما يشهد بذلك ، ومن ذلك ماجاء بانجيل متى (طوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون) ص ٢ — ٩ ولكنكم حولتموها في عيسى الى بنوة نسبية انشطارية من جوهر الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

« قضية الخلاص بالصلب »

* نقول لكم ان ذنب آدم هو الأكل من الشجرة ، فهل كان تجسيد (ابن الله بزعمكم) وقتله لتخليص آدم من خطيئته ، أم لتخليص البشر من خطاياهم ، لا يصح هذا ولا ذاك ، لأنه اله ورب بزعمكم ، وهو يملك الهداية ويملك العفو ، ويملك ارسال رسول لهدايتهم وارشادهم بدلا من أن يعرضهم لأكبر جريمة في الأرض ، هي قتلهم ابن الله بزعمكم ، فأين هذا من أكل آدم من الشجرة ومن جميع خطايا ذريته أجمعين . وقد أجبتم في (عاشرا) بجوابين متعارضين « أحدهما » قولك : ان الأب شاء أن يتجسد ابنه الحبيب الوحيد ويموت من الصلب ، وعقبتم ذلك بقولكم : أي نعم : ان هذا لشيء عجاب ، بل ضرب من الجنون ، ولايفسر العمل الجنوني الا الحب هذا هو الذي قلته ياسيد اليزيو ، وهو اعتراف منك بأن هذا التصرف من الأب عمل جنوني غير معقول . أما تعليله بالحب فلا قيمة له ، لأن حب الله لعباده لا يكون بارتكابه أقبح القبائح التي لا يفعل مثلها شر المجانين ، وانما يكون بحسن التصرف معهم بهدايتهم لا بقتل ولده . ثم اني أسألك فأجبني بصراحة:

هل استفاد البشر من قصة صلب ابن الله المزعوم ؟ هل امتنعوا عن خطاياهم ؟ ألم يزدادوا اثما وقتلا وغصبا وفتكا وتدميرا ، وأنت على علم بما يحدث في لبنان وفلسطين والأفغان ، وبما حدث في الحربين العالميتين السابقتين . وبما يجرى من المظالم في شتى بقاع الأرض ، فهل رأيت مبلغ الفشل الذريع التي منيت به سياسة الأب في قصة الصلب . فكيف تجردون الله العلي العظيم عن الحكمة في تصرفاته ، وتجعلونه شر المجانين ؟ وكيف

صدقتم هذا الزعم ؟ مع أن عيسى كان يشكو الى ربه ويعاتبه ويستغيث به ليخلصه من تعذيبهم ــ الهى الهى لماذا تركتنى ؟ أى انه كان رافضا لما هو عليه . فكيف زعمتم انه فعل ذلك راضيا ليخلصهم ؟

* على أن هذا الزعم ينقضه ما جاء فى ميثاقكم ، من أن عيسى سيدين الأحياء والاموات فى الآخرة . اما العجيبة الثانية التى جاءت فى البند (عاشرا) فهى قولكم : ان الله ضحى بنفسه على الصليب لأجلكم . فهل الابن هو الأب . ما هذا التناقض ؛ ماهذا الاضطراب . ماهذه الفوضى ؟ تارة تقولون ان الأب ضحى بابنه ، وأخرى تقولون انه ضحى بنفسه ألم تقولوا فى ميثاقكم انه بعد قيامه من الموت جلس على العرش على يمين أبيه ، صدقنى ياسيد اليزيو : أنتم تعيشون من عقائدكم فى دوامة لا نهاية لها ، ومع هذا تقولون انها عقلانية ؛ متى ترون شمس الحقيقة ؟

اليكم فيما يلى طائفة من المتناقضات لديكم

* يتضمن العهد الجديد تناقضات ونقائص تمس السيد المسيح وتلاميذه ، وقد تقبلتموها ومنها :

١ ــ ورد بانجيل متى أن عيسى من نسل سليمان بن داود ، وأن جده فارص الذى هو من نسل الزنى من يهوذا بن يعقوب ص ١ ــ ١٠ .

٢ ــ وفى انجيل يوحنا أن يسوع أهان أمه فى جمع من الناس ص ٢ ــ ٤

٣ ــ وفى يوحنا أن أول آية صنعها يسوع تحويل الماء خمرا فى عرس فآمن به تلاميذه ص ٢ ــ ٧

٤ ــ وفى انجيل يوحنا : ان يسوع كذب على اخوته فقال لهم : أنا لا أصعد الى أورشليم فى هذا العيد فصعد خفية ــ يوحنا ص ٧ ــ ٦

٥ ــ وان يسوع نقض كلام نفسه مع اليهود ، فقال لهم مرة : ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا ــ يوحنا ص ٥ ــ ٣١ ، وقال لهم مرة أخرى : ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ــ يوحنا • ص ٨ ــ ١٤ •

٦ ــ وأنه شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا فى بنى اسرائيل هم سراق ولصوص ــ يوحنا ص ١٠ ــ ٨ •

٧ ــ وأن بطرس كبير تلاميذه ، أنكر علاقته بالهه على زعمكم ، وأقسم ولعن مؤكدا أنه لا يعرفه ــ متى ص ٢٦ ــ ٧٤ •

٨ ــ ان رئيس الكهنة (قيافا) الذى ثبتت نبوته فى نفس الاصحاح ، أفتى بتكذيب المسيح وحكم بقتله ، مع أنه الهه فى زعمكم ــ يوحنا ص ١١ ــ ٤٩ •

٩ ــ فى بعض أعيادكم يعجن القسيس دقيقا ، ويصنع منه فطيرة ، ويخاطبها بكلمات، ثم يخرلها ساجدا مخاطبا لها : أنت الــه

السموات والأرض ، وانت ابن الله المولـود قبل العوالم كلها ، أنت من اجل خلاصنـا تمجدت فى بطن مـريم ، أنت الـذى فتحت للمؤمنين الجنة ، أنت الجالس على يمين ابيك فى السماء ، اسالك أن تغفر لى ولأمتك التـى خلصتها بيدك ، لهذه وثنية الفطيرة .

« فى العهد القديم »

* انكم تؤمنون بالعهد القديم كما تؤمنون بالعهد الجديد ، وقد جاء فى العهد القـديم ما يلى :

١ ــ نسب الى موسى عليه السلام انه اوصى قومه ليلة خروجهم من مصر أن يسرقوا حلى المصريين وأمتعتهم ففعلوا ــ سفر الخـروج ص ١٢ ــ ٣٥ .

٢ ــ ونسب الى هـرون أخى موسى انـه صنع عجلا وعبده مع بنى اسرائيل ــ سـفر الخروج ٣٢ ــ ١

٣ ــ وأن ابراهيم عليه السلام قدم امرأته سارة الى فرعون لينال منه عطاياه ــ تكوين ١٢ ــ ١٤ .

٤ ــ وأن لوطا عليه الســلام شرب خمرا حتى سكر ، وزنى بابنتيه ، واحدة بعد أخرى تكوين ١٩ ــ ٣٠ .

٥ ــ وان يعقوب ــ اسرائيل ــ عليه السلام سرق مواشى من حميه ، وخرج بـاهله خلسة ــ تكوين ٣١ ــ ١٧ .

٦ ــ وأن راوبين زنى بزوجة أبيه يعقوب، وأن يعقوب ــ اسرائيل ــ علم بهذه الكـارثة وسكت ــ تكوين ٣٥ ــ ٣٢ .

٧ ــ وأن يهوذا بن يعقوب زنى بزوجـة ابنـه ، فحملت وولـدت توأمين ، احدهمـا فارض جد المسيح والثانى زارح ــ تكـوين ٣٨ ــ ١ .

٨ ــ وأن داود عليه السـلام زنى بزوجة أحد رجال جيشه ، ثم دبر حيلة لقتله فقتـل فاخذ زوجته وضمها الى نسائه ــ صـموئيل الثانى ١١ ــ ١ .

٩ ــ وأن امنون بن داود اغتصب أختـه وافتض بكارتها ، وعلم داود بذلك وسـكت ــ سفر صموئيل الثانى ــ ١٣ ــ ١٤ .

١٠ ــ وان سليمان عليه السلام ، ارتد فى آخر عمره ، وعبد الأصنام وبنى لهـا معبـدا ــ سفر الملوك الأول ١١ ــ ٥ .

* تلك نماذج من مراجعكم الدينية التى زعمتم اصالتها وصحتها ، وقد رأيت مافيهـا من التناقضـات والنقائص ، منســوبة الى انبياء الله ورسله وأولادهم ، والى عيسى عليه السلام ، فهل بعد ذلك تصرون على أنها توراة الله وانجيله .

« التشابه بين ثالوثكم وثالـوث البوذيين »

* قلت لكم : ان ثالوثكم انتقل اليكم من مخالطة أهل الثالوث بعد قيام النصرانيـة على التوحيد أول أمرها كسائر الاديان واليك مثلا لتشابه ثالوكم بثالوث البوذيين .

رأى الوثنيين فى بوذا	رأى المسيحيين فى عيسى
١ ــ ولد بوذا من العذراء مايا من غير مباشرة الرجال .	١ ــ ولد عيسى من العذراء مريم بغير مباشرة الرجال .
٢ ــ تجسد بوذا بحلول روح القدس على العذراء « مايا » .	٢ ــ تجسد عيسى بحلول الروح القدس على العذراء « مريم » .
٣ ــ دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى افق السماء يدعونه نجم المسيح .	٣ ــ دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى الشرق يدعى نجم المسيح .
٤ ــ لما نزل بوذا من مقعد الارواح الى رحم العذراء « مايا » صار رحمها كالبللور ، وظهر بوذا كزهرة جميلة .	٤ ــ لما نزل يسوع من مقعده السماوى الى رحم مريم ، صار رحمها كالبللور الشفاف ويسوع فيه كزهرة جميلة .
٥ ــ ولد بوذا يوم عيد الميلاد فى ٢٥ كانون الاول .	٥ ــ ولد يسوع فى ٢٥ كانون الاول .
٦ ــ لما ولد بوذا فرح اهل السماء ورتلت الملائكة اناشيد المجد قائلين : ولد اليوم بوذا على الأرض كى يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور الى الأماكن المظلمة ، ويهب بصرا للعمى .	٦ ــ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الاناشيد ، قائلين : المجد لله فى الاعالى وعلى الارض السلام وبالناس المسرة .
٧ ــ عرف الحكماء بوذا وأدركوا لاهوته ، ولم يمض يوم على ولادته ، حتى جاء الناس ودعوه الاه الآلهة .	٧ ــ زار الحكماء يسوع ، وادركوا أسرار لاهوته ، ولم يمض يوم حتى دعوه الاه الآلة .
٨ ــ وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من المجوهرات والأشياء الثمينة .	٨ ــ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر .
٩ ــ لما كان بوذا طفلا قال لأمه (مايا) انه أعظم الناس جميعا .	٩ ــ لما كان يسوع طفلا قال لأمه : أنا ابن الله .
١٠ ــ كان بوذا ولدا مخيفا ، وقد سعى الملك جمارا لقتله لما أخبروه أنه سينتزع منه الملك ان بقى حيا .	١٠ ــ كان يسوع ولدا مخيفا ، وسعى الملك هيرودوس لقتله حتى لا ينتزع الملك منه .
١١ ــ بوذا هو الابن الوحيد للأب ، وتجسد فى الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ، ولهذا يسمونه المسيح والمخلص والابن .	١١ ــ الابن يسوع هو الكلمة التى تجسدت فى المسيح ، وقد صلب تكفيرا لخطيئة آدم الأزلية ، التى انتقلت الى ذريته حتى خلصهم المسيح منها بقتله وصلبه

الپريوكاميروتا

* وبعد هذا البيان والذى قبله اقتضاهما واجب الرد على رسالتيك اللتين بعثت بهما الى فضيلة الامام الاكبر والى باعتبارى عضوا بمجمع البحوث الاسلامية . لأنك هاجمت بهما مقدسات الاسلام دون مبرر يقتضيه . وكذلك مدفوع من هيئة تبشيرية واذى كتاب الفه الأستاذ محمد بكير الأمين . المحامى بالاستئناف العالى ومجلس الدولة . عنوانه (مائة دليل على أن المسيح عبد الله ورسوله . استقاها من اناجيلكم الأربعة . بدءها بتجربة ابليس له . تلك التجربة المقررة فى اناجيلكم . والتى تعصف بدعواكم الوهيته . فلعلك تحصل على نسخة منه لترى التناقضات المروعة فى عقائدكم . حتى لاتهاجم الحق بالباطل . ولست أرى بعد هذا النقاش خيرا من أن أقول لك ما قاله الله فى سورة آل عمران «خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ٥٩ . وما قاله فى سورة المائدة « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون »٧٥ . وما قاله فى سورة آل عمران : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » ٧٩ ، ٨٠ . وقوله فى سورة النساء : «لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا» ١٧٢ ، ١٧٣ وفى سورة المائدة : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم . لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا » ١٥ — ١٧ .

وفيها أيضا « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد

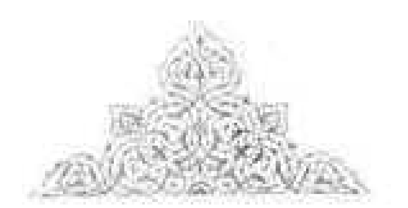
ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ » ٧٧ .

واختم رسالتي هذه بما دعا به رسول الله قيصر ملك الروم ، والمقوقس ملك القبط « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » آل عمران ٦٤ .

وبقوله تعالى لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ » سورة القصص ــ ٥٦ .

والله تعالى ولى التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير



« تصويب »

ورد فى مقال « الامارة فى دولة الشعر » فى العدد الحادى عشر ص ١٨٣٠ أن العقاد أقيم له حفل تكريم بمناسبة نظمه للنشيد القومى فى مساء يوم الجمعة الموافق ٢٧ من أبريل سنة ١٩٤٥ والصحيح أن حفل التكريم للعقاد كان فى عام ١٩٣٤ ورأس الحفل الزعيم مصطفى النحاس ، وأعلن الدكتور طه حسين امارة الشعر للعقاد .

وغير معقول أن يكرم العقاد ، وقد فصل من الهيئة الوفدية عام ١٩٣٥ ، ولم يعد العقاد للوفد بعد فصله .

« السيد حسن قرون »

صورة من رسالة الأب اليزيو كاميروتا

إلى مجمع البحوث الإسلامية – جامعة الأزهر – القاهرة .

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير أدامه الله

سلام الله عليكم أجمعين . وأما بعد فإني تلقيت
في [illegible] كتابكم الكريم المؤرخ [illegible] الصادر من الأمانة الفنية لمجمع البحوث الإسلامية ملحقًا به تعليقكم المطول
وكان بحثكم مستوفيًا دقيقًا مما أفاد حوارنا الأخوي إفادة لا يستهان بها وفتح أمامنا آفاقًا واسعة .
لقد تأملت في بحثكم مليًا واتضح لي من خلال سطوره ما يجمعنا من حقائق غالية وما يفرق بيننا من وجهات نظر
سائلًا المولى تعالى أن يبعث شعاعًا من نور السنى على عباده العطاشى .
كانت أساليبكم قوية إجمالًا ومن ترجع كثيرًا إلى التوراة والإنجيل وكان سعيكم في الاستشهاد بهما حميدًا .
بيد أني وددت لو كان انطلاقكم في إبداء الرأي من إحدى الجامعات الدينية الشهيرة طبقًا للقول المأثور بعد أكثر
ومهنكم القرآن ولو أكل نصفه ! ... وهل لجأنا أنا في بحثنا الديني إلى غير جامعة الأزهر قلب الإسلام ...
ومهما يكن من أمركم فإني قد تأملت في تعليقكم النقاط التالية :

<u>أولًا</u> – قد قلتم في الصفحة الثانية : « وهذه الأناجيل كلها دس وحرف ولوفا وموضوعات من صنع البشر » .
الجواب : لو طالعتم الكتاب المقدس – العهد الجديد الطبعة الكاثوليكية (بيروت في [illegible]) لوجدتم
بشأن صحة الأصول جوابًا شافيًا في مقدمات كل من أسفاره . نقرأ فيها ما نصه : « بين يديك ترجمة عربية جديدة
للعهد الجديد (الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل والرؤيا) . وهي أحدث الترجمات العربية وأكثرها شرحًا وأتقنها
طباعة وأفصحها لغة وأقربها إلى الأصل اليوناني كما يقرره كبار علماء الكتاب المقدس في عصرنا .
إن الطبعة الكاثوليكية وقد أصدرت منذ مائة سنة ترجمتها العربية للكتاب المقدس رأت اليوم أن تعيد النظر فيها
لتفيدها ما وصلت إليه دراسات الكتاب المقدس وأساليب الترجمة الصحيحة وأوضاع اللغة العربية وفنون الإخراج
والطباعة . كان الثلاثة العاملون من أساتذة العهد الجديد وقام بترجمتها من الأصل اليوناني الأبوان صبحي حموي ويوسف
قوشاقجي وهذبها عبارتها الأستاذ بطرس البستاني .
وقد أضيف إلى متن الترجمة الجديدة كثير من العناوين والمقدمات والفوائد والحواشي والشواهد والفهارس
لتكون متناول جميع الناس للقراءة والمراجعة والتأمل الروحي والتعليم الديني .
أمل الطبعة الكاثوليكية من هذا التجديد العلمي والفني أن يزداد المسيحيون وغير المسيحيين رغبة في
الإقبال على كلام السيد المسيح ورسالته وذلك الكلام « روح وحياة » (يوحنا ٦/٦٣) » .
ثم إنه أضيف إلى ذلك بالضرورة نبذة من مقدمات كل إنجيل فإنجيل .
١ – إنجيل متى : « متى أول من كتب إنجيل يسوع كتبه بالآرامية وهي اللغة الدارجة عند اليهود في ذلك
العصر والتي بها خاطب يسوع الناس ، والسريانية كثيرة الشبه بها . ذكر المؤرخون المسيحيون الأقدمون أن متى

٦

كتب الإنجيل في السنة العاشرة لارتفاع يسوع أو السنة ٤٠م ولم يسبقه أحد إلى يوحنا ما ينقض قولهم. ونقل المسيحيون الأولون إنجيل متى إلى اليونانية ثم فقد الإنجيل الآرامي وبقيت ترجمته اليونانية وعليها المعول عليه في البحث والنقل إلى سائر اللغات ».

٢- إنجيل مرقس: « أخذ مرقس الإنجيل من بطرس وبولس حتى إن الأقدمين سموا إنجيله مذكرات بطرس. كتبه في رومية سنة ٦٣م أو في ما يقرب منها بناء على طلب مسيحيي تلك المدينة. وإنجيل مرقس أقصر الأناجيل الأربعة عدد فصوله ١٦ وعدد الفصول ٢٨ في إنجيل متى و٢٤ في إنجيل لوقا و٢١ في إنجيل يوحنا. وجميع ما رواه مرقس مروي في إنجيل متى ولوقا منفردين أو مجتمعين ما عدا فقرات قليلة، فتوهم بعض الأقدمين أن إنجيل مرقس ليس إلا مختصر إنجيل متى. والذي عليه العلماء [illegible] بعد البحث أن شخصية بطرس ظاهرة فيه أوضح منها في سائر الأناجيل مما يؤيد صلة إنجيل مرقس بتعليم بطرس رئيس الرسل ».

٣- إنجيل لوقا: « كتب لوقا إنجيل السيد المسيح سنة ٦٥ أو في سنة قريبة منها، وألف بعد بضع سنوات كتاب أعمال الرسل فروى فيه انتشار إنجيل يسوع على يد الحواريين وأعوانهم في القرن المسيحي الأول. والرأي الراجح أنه كتب الإنجيل في رومية للمسيحيين اليونانيين ذكر أحدهم في مقدمته وهو ثاوفيلس الذي أهدى إليه الكتاب كما جرت العادة في الكتابة عند الأقدمين. وأخذ لوقا الشيء الكثير من أخبار يسوع من إنجيل مرقس. أما الأخبار والأقوال التي انفرد بروايتها فقد أخذها من شهود عيان للكلمة (لو ١: ٢) ومنهم كما ورد السيدة مريم العذراء وغيرها من حدث عنهم وربما أشار إلى ذلك إذ كتب: « وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور وتتأملها في قلبها » (لو ٢: ١٩ و٢: ٥١). ولا شك في أنه عرف في أنطاكية ثم في أورشليم ورومية أناسا من المسيحيين الأولين وعلم منهم بعض ما انفرد بتدوينه.

وتجد في إنجيله ما يناهز خمسمائة آية لم يرد مثل منها في سائر الأناجيل. وهكذا حفظ لنا لوقا من أحداث حياة يسوع ومن أعماله وأقواله الشيء النفيس كالذي نقرأه في الفصلين الأولين وبشارة الملاك لزكريا وبشارته لمريم وميلاد يوحنا وميلاد يسوع وصعوده إلى الهيكل في سن الثانية عشرة ».

٤- إنجيل يوحنا: « يوحنا شاهد عيان وصاحب آخر الكتب من أخبار يسوع وأعماله في الإنجيل الرابع. وذلك قول المسيحيين منذ بدء الكنيسة إلى أيامنا. وأنكر بعض المؤرخين في القرن الماضي وفي عصرنا صحة نسبة الإنجيل الرابع إلى يوحنا وحاولوا إثبات زعمهم بكلام كثير باطل. وكتب يوحنا ثلاث رسائل والرؤيا وهو آخر كتب العهد الجديد. ودون يوحنا الإنجيل في آخر حياته الطويلة في مدينة أفسس. فترك ما رواه متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم إلا القليل، وذلك بأنه لم يشأ أن يكرر ما قاله غيره قبله بل أراد أن يتمم ما كتبوه. فأكثر ما جاء في إنجيل يوحنا من أعمال يسوع وكلامه جرى أو قيل في اليهودية في حين أن أكثر ما كتب متى ومرقس ولوقا جرى أو قيل في الجليل إلا ما هو مدون في الفصول الأخيرة من أناجيلهم قبل دخول يسوع إلى أورشليم يوم الشعانين ومن بعده ».

هذا، ويتضح من هذه النصوص الدقيقة أن الأناجيل كتبت [illegible] اللغة اليونانية بعد صعود المسيح إلى [illegible] بفترة من الزمن قصيرة في القرن الأول للميلاد لا في القرن الخامس وعلى يد شهود عيان عاصروا يسوع وتلاميذه، ثم إن الكنيسة قبلت تلك الأناجيل الأصلية منذ البدء في حين أنها لم تقبل قط الأناجيل المنحولة المتعددة

وهي مشكوك فيها "مشيئة" وحفظتها بكل حرص وأمانة إلى يومنا هذا. ومن الملاحظ أن ما ورد في القرآن
من حوادث المسيح وأمه مريم لا يرجع إلا إلى تلك الأناجيل الأصلية بل إلى هذه الأخيرة غير المعتمدة التي تسربت فيها أحياناً
معجزات لا تليق بكرامة السيد وبرسالته الخلاصية.

ثانياً - قلتم في الصفحة الأولى: «إن الأناجيل جمعت بين المتناقضين: التثليث والتوحيد...»

الجواب: لا يتناقض التثليث مع التوحيد في المعتقد المسيحي إذ كان موضوعهما أمرين اثنين متمايزين لا
شيئاً واحداً. فالوحدة عبارة عن الطبيعة الإلهية نفسها "غير المنقسمة بين الثلاثة" والتعدد عبارة عن عدد الأقانيم في
تلك الطبيعة الواحدة. وبناء عليه فليس من السداد أن تدعوا الثالوث الأقدس شركة بالألوهية المتحدة كما ليس من السداد
أن تدعو البشرية شركة الناس المتحدة! فكل إنسان جامع في نفسه خواص الطبيعة البشرية بكمالها ولا ينقصه شيء
منها. وكذلك عبارتكم «إن هناك ثلاث آلهة في الثالوث الأقدس» لا يقبلها المسيحي الذي يسلم بسم الآب والابن
والروح القدس الإله الواحد. آمين. ومن الملاحظ أن المسيحي لا يقول «باسماء... الآلهة الثلاثة!» وما دام أخونا
ليس منه قدرة على التمييز بين هذين الأمرين الجوهريين الواقعيين فمن المحال أن يتوصل إلى نتيجة. فإذا شققنا أساس
البناء فالجدران والسقف يا ترى كيف يقفان! لا يسعني إلا التعجب إلى هذه الـ " وجهة القائلة: «إن الأناجيل من صنع
البشر كلها محرفة»... لكن مثل هذه العبارة ليست وجيهة فحسب بل هي خالية من الإيجاز والبساطة وهي بالتالي مردودة أصلاً.

ومن اللازم الضروري هنا أن نورد عليكم قانون الإيمان المسيحي الذي كما انبثق من مجمعي نيقية والقسطنطينية وكما
يتلى في كل كنيسة كاثوليكية: «نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى. وبرب
واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور. إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير
مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد
بقوة الروح القدس من مريم العذراء وتأنس. وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي، تألم ومات وقبر، وقام في اليوم الثالث
كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب. وأيضاً سيأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء
لملكه. وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن، الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد، الناطق بالأنبياء.
وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونترجى قيامة الموتى والحياة
في الدهر الآتي. آمين».

من الملاحظ أن في هذا القانون يتكلم عن [illegible] بالوكالة «الابن» مولود من الآب غير مخلوق وأنه مساوٍ للآب في الجوهر
أي في الطبيعة الإلهية. وكذلك الروح القدس هو الرب المحيي المنبثق من الآب والابن الذي مع الآب والابن يسجد له ويمجد
أي أنه إله كالآب والابن على التساوي بلا ترتيب. ولما كان كل منهم حاوياً الطبيعة الإلهية نفسها فلا بد من أن
ننسب إليهم الثلاثة الأفعال الإلهية والأسماء الحسنى بينهم" وإن انفرد بالآب أعمال القدرة والخلق وبالابن أعمال
الحكمة والفداء وبالروح القدس بأعمال المحبة والتقديس إلى منتهى الدهر.

ثالثاً - قلتم أيضاً: «إن الأبوة تقتضي التقدم والبنوة تقتضي التأخر...»

الجواب: أجل إن الأمر على كذلك في عالم الماديات حيث العلة تسبق المعلول لا في إلهية الثالوث

الذين يجمعهم الطبيعة الواحدة غير المنقسمة "هم على التساوي في جميع الصفات منذ الأزلية فالآب أزلي والابن أزلي وروح القدس أزلي لا سابق فيهم ولا تابع. ورب سائل يقول: كيف إذن هذه الولادة والانبثاق؟ هل الروح ابن أو أبنة!...

أجيب: الطبع ليس الابن الروحي كالابن المادي مما يستصحبه عقل الإنسان المنغمس في المادة. ولكن هناك بعض التشابيه من شأنها تسليط النور على حديثنا. ألم تقل العرب أيضاً بالأزهرية:

- بنت الشفة هي الكلمة" وبنت الأذن هي لوزة الحلقة وبنت البين هي القهوة" وبنت العنقود أو الكرم هي الخمرة وبنت العين هي الدمعة" وبنات بنات الأرض هي الأنهار الصغيرة" وبنات الصدور هي البغضاء" وبنات الليل أو الصدر هي الهموم وبنات الدهر هي المصائب والخ؟... وقد جاء في لغة الضاد أيضاً: "ابن السبيل هو المسافر وابن الطود هو الصدى وابن ليلة هو صاحب الأمر المهيب!" وأغرب من ذلك قد قيل: "إنسان العين هو بؤبؤها!..." وهل السبيل والطود يلدان ولدا من لحم وعظم أو هل الشفة والدهر يحبلان بنات كبنات آدم؟!...

ذلك وحوذا إذن أن يكون المسيح "كلمتنا" وهو الإنسان الحق والإله الحق بنوته من الآب السماوي وقد أتى من السماء معلناً لنا وفادياً. وحقاً انطلق بعضنا في خطة الإنجيل الطاهر من هذه الحقيقة كالقائل عن المسيح: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله والكلمة هو الله. كان منذ البدء لدى الله. به كان كل شيء وبغيره ما كان شيء. هو الحياة لكل موجود..." والكلمة في المعتقد المسيحي هو ابن الله "كلمة الله النقية وصورته الحقيقية كالأنبياء الذين رأوا في المرآة صورته."

رابعاً - قد قلتم أيضاً في الصفحة الثانية: "وليس من حق المسيح أن يحول هذه الوحدة ويحولها إلى ثلاثة" فإن الحق لا يتغير والألوهية ليست مادة قابلة للتطوير...".

الجواب: إن المسيح لم يحول الوحدة ولا حولها إلى ثلاثة" بل كشف لنا عن الوجه الثاني من الحقيقة وذلك الوجه هو التثليث" مضيفاً إلى الوحي السابق غير الكامل ما كان ينقصه. وفي مثل هذا الأمر لا مخالفة للتوراة والقرآن إذ يوحي صاحب الوحي إلينا أسراره متى وكيفما شاء. إن ذلك من باب الاستكمال لما كان ناقصاً ليس في جوهره الإلهي ولكن في معرفتنا له. وبالتالي لا تحول ولا تطور المقاييس الإلهية بل عرفنا نحن البشر من غير أن يتحول الله في جوهره أيما تحول.

خامساً - وقد قلتم في الصفحة الخامسة بشأن البراهين: "وهذا تدعيه شأن جميع التعاليم التي يعيش فيه النصارى" ولو أنكم تحررتم من رباط التعاليم ومن سجنه المظلم...".

أجيب: أولاً إن النصارى لو يحصل للقرآن ما قد حصل للإنجيل من النقد والإنكار والتكذيب من الإسلام والجدال على كل صعيد وبكل حرية" لأن الحرية في الإنسان من حقوقه الأساسية المشروعة بل هي من أعظم مواهب الله للخليقة" ولا إكراه على الدين. ثم قد قام على الإنجيل منذ القرن قرنين إجماعاً من عهد التنوير والعقلانية" الفلاسفة والملحدين والكفرة وغزوا العالم بمؤلفاتهم الجارحة الكاذبة وأنكروا في المسيح حتى وجوده التاريخي. ولكن عبثاً لأن الرد على أكاذيبهم آل إلينا بفوائد جمة لم تكن في الحسبان.

ثم قد قيل إن المسيحيين ليس مقيداً برباط التقاليد حتى يتحرر منه ومن سجنه المظلم. إن المسيحي يعبد الله

٥

قبل كل شيء بالروح والحق: «ستأتي ساعة بل أتت الآن حين يسجد العباد الصادقون للآب بالروح والحق لأن الآب يريد مثل هؤلاء العباد. إن الله روح يجب على العباد أن يعبدوه بالروح والحق» [يوحنا ٤: ٢٣ و ٢٤]. وبناء عليه فالنصارى هم على مرونة وانفتاح على العالم مشجعين لحرية انتقاداتهم الفكرية والأدبية والدينية في حين أنه من المحتم على أخينا المسلم أن يتحاشى الجمود والتباعد لما ورد في القرآن سورة الأنعام بهذا الصدد: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» : ٦٨

«إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون» : ١٢١

ومن مظاهر انفتاح النصارى على عالم الثقافة والاجتماع والدين نشاهد أنهم يطبعون الكتاب المقدس بصورة حديثة من حيث علامات التنقيط وتنظيمات فنون الإخراج العصرية تسهيلا للقراءة من غير أن يختلط الحقيقة مبتدئا. مثل أن الفاتيكان فتح باب مكتبته الشهيرة ... على مصراعيه حاسبا كما فتح أبواب الكنائس لجميع الحجاج بلا استثناء سواء يكن لونهم أو دينهم، لأن النور لا يخاف الظلام في حين أن الظلام يخشى النور. فالنصارى مثلا بزيارة مكة والمدينة كما يسمح لغير النصارى بزيارة قبر المسيح في بيت المقدس أو قبر مار بطرس في روما.

تسمع الكنائس تدق أجراسها باكرا أو من إذاعة الخطب نبرات بكرات الصوت الجارحة للآذان مراعاة لإخواننا البشر من أطفال نائمين ومرضى متألمين وطلبة جالسين على مقاعد العلم وأساتذة مجتمعين لنقاش شؤون التلاميذ أبنائكم وبناتهم جميعا... أين تلك المرونة وذلك الانفتاح على الغير والتمتع بالحرية يا فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير؟ أما ترون أن بعض النصوص يجب أن يحرف في نظامكم الدينية؟ وهل كان الله قد أمر في دين من الأديان أن يكرم هو تعالى بجلب الإيذاء على مخلوقه البشر. ألا يجب ... على أساس كل سنة أن القرآن دستور الدين والتمدن في آن واحد؟ إني أتمنى يا فضيلة الشيخ أن يتم هذا التعاون الجميل في القريب العاجل إذ كانت تلك المظاهر من الوقت الحاضر أمرا لا يطاق، وعلى كل فإني متعصب فخور بكم جدا بإتاحتكم لي فرصة تبادل الآراء في أمور شتى في تتويج بإذن الله باتجاه جديد وعصر جديد.

سادسا - قلتم في الصفحة الثانية بشأن معجزات المسيح: «ومثل ذلك يقع في كل زمان وقد نقل مثلا عن صوفية المسلمين والهندوس». ثم أضفتم في الصفحة العاشرة: - إحياء الأموات كاهف النبي المسيح -

الجواب: الله أعلم بحقيقة الأمر وعلى كل تهمة نزلة التطابق يبقى لدينا ما لا يوجد إلا لدينا أخص به البرهان الحاسم القاطع على ألوهية المسيح فيما يلي:

١ - إن الشياطين أنفسهم كانوا يعرفون ألوهيته ... كانوا يطردون بأمر المسيح من بيوتهم ... من الشيطان. ولا يشطح هذا القول إن الشيطان كاذب أو ... إنه أبو الكذب. «واتفق أنه كان في مجمعهم رجل فيه روح نجسة فأخذ يصيح: ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ أجئت لتهلكنا؟ أنا أعرف من أنت: أنت قدوس الله - فانتهره يسوع قائلا: - اخرس واخرج منه!» [مرقس ١: ٢٣-٢٥] فالقداسة من صفات الله ... «وكانت الأرواح النجسة إذا رأته تسجد له وتصيح: أنت ابن الله! فكان ينهرها بشدة من كشف أمره» [مرقس ٣: ١١-١٢].

٢ - إن المسيح لم يحي الموتى فحسب بل أقام نفسه من الموت أيضا [لا ننسى أن فيه طبيعتين: الإلهية والإنسانية] بقوته الذاتية [لا بإذن الله] وبعد نبوات متكررة سابقة إلى هذا الحادث الذي لا يمكن دحضه.

٧

فالناس الرومان لم يكونوا لديهم خبرة اتفاقاً لأن يطلب على منوال أعداء المسيح. وهل كان الإنجيل اليوم أعداء أو منكرين جدداً؟ وقد أمكنك وأمثالهم أعداء ومنكرين سابقين كانوا على أشد كفر وعداء؟

من باترة كانت أشد أعداء، وإنما من شاول الذي كان "من الأمة اليهودية" يكفّر النصارى ويسجنهم! إذ المسيح المتراءى له وهو يعدو على أبواب دمشق الشام عند الظهيرة، وحوله من ذهب مغتر بسبب الرسل ودعاه إلى رسول للأمم، وكشف له حقائق الإنجيل مباشرة، ثم بشر به بكل استبسال وجرأة حتى لا استشهاده. ذلك الرسول الذي كتب إلى أهل غلاطية: "… فأذكركم أيها الإخوة أن البشارة التي بشرتكم بها ليست على سنة البشر، لأني ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان بل هي وحي من يسوع المسيح" (الفصل الأول ١١ - ١٢)، وأيضاً: "… هنالك قوم يلقون البلبلة بينكم ويبغون أن يبدّلوا بشارة المسيح. فلو بشرناكم نحن أو بشركم ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به فليكن ملعوناً! قلنا لكم قبلاً وأقول اليوم: إن بشركم أحد بخلاف ما بشرناكم به فليكن ملعوناً!" (الفصل الأول ٧ - ١٠)

وبالرغم من أن الوحي ختم في العقيدة المسيحية بتعاليم يسوع ورسله الأمناء منذ جيل متتابع، فمن ذلك يأتي محمد بعد ذلك بمعتقد مبنية أخرى من الناس لا أكثر من السماء ليعلم خلاف التعاليم السابقة. وهل يكفي القول إن جميع الأناجيل والأسفار التي لا تتناسب والقرآن هي من صنع البشر ومحرّفة؟ إن هذه العبارة بعد نبوات المسيح الأنبياء الكذبة، وبعد تحذير بولس الرسول الواضح المكرر، لعبارة بسيطة ساذجة لا تقنع من تحرر من ظلام التقليد وعبودية الظلام … ومن المبادئ البديهية المسلّمة أنه ما أثبت بحجة فقد أنكر بحجة …

سادساً – قلتم في الصفحة الحادية عشرة: "كان لا بد لذلك الرسول أن تكون معجزته عقلية منطوقة، فكانت معجزة القرآن العظيم … ينزله الله على رجل أمي لم يقرأ ولا يكتب …"

الجواب: إذا صحت هذه الحجة لتثبيت معجزة القرآن فلماذا لا تصلح حجة الأمية نفسها لإثبات معجزة الأناجيل؟ من الثابت أن المسيح وأمه كانا أميين لم يدخلا المدارس ومع ذلك فقد أدهش حكمته السامعين ودحض خصومه. وكان كذلك معظم الرسل أميين صيادين سمك. كيف استطاعوا أن يأتوا إلى الناس خطباً منطوقة بالحجج الدامغة؟ ولكن، ولماذا يعتبر القرآن منزلاً في حين أن الأناجيل تعتبر محرّفة من صنع البشر …

ولا بد لنا أن نشير هنا إلى سورة الصف ٦: "… وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد …"، فنتساءل: ١ - فأية آية إنجيلية وردت هذه النبوة القرآنية؟ ٢ - ولو وردت في الأناجيل فما قيمتها والأناجيل كلها محرفة وكلام بشر؟ ٣ - ومن الثابت لدينا أن موسى قد تنبأ بنبي أتى من بعده داعياً شعبه إلى أن يسمعوا له وهو المسيح.

وأما كلام المسيح فكان بعكس المعنى: "… فحينئذ من يعرفان أناس كثيرون، ويسلم بعضهم بعضاً ويبغضونه، ويظهر كثير من الأنبياء الكذبة ويضلون أناساً كثيرين …" (متى ٢٤: ١٠ - ١١)، "… فإذا قال لكم قائل: ها هوذا المسيح هنا … هناك … فلا تصدقوه. فسيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذبة يأتون آيات عظيمة وأعاجيب لو استطاعوا لضللوا المختارين أنفسهم. فها أنا قد أنبأتكم …" (متى ٢٤: ٢٤ و٢٥)

ثامناً – قلتم في الصفحة الثانية عشرة: «ولا يزال القرآن يتحدى كل الكافرين أن يأتوا بمثله، وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله».

الجواب: إن الكلمة "وهو حكمة الله الأزلية" لم يأت إلى العالم ليخاطبه بظاهر الحكمة وبكلام رنان طنان على غرار قدماء الفلاسفة والمفكرين، ولكن في صورة وديعة متواضعة إذ قال: «تعلموا مني إني أنا الوديع والمتواضع القلب» (متى 11: 29). لقد أقام نفسه (?) وبذل نفسه عنا إذ قال: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا يجب أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. إن الله أحب العالم حتى إنه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا 3: 14-16).

علم أن المسيح الرب والمعلم العظيم: «أنتم تدعونني معلماً ورباً وأصبتم فيما تقولون فهكذا أنا. وإذا كنت أنا الرب والمعلم قد غسلت أقدامكم فيجب عليكم أنتم أيضاً أن يغسل بعضكم أقدام بعض. فقد جعلت لكم من نفسي قدوة لتصنعوا ما صنعت إليكم» (يوحنا 13: 13-15).

وأيضاً: «تخلقوا بخلق المسيح فهو إذ هو في صورة الله لم يعتد مساواته لله غنيمة بل تجرد من ذاته متخذاً صورة العبد وصار على مثال البشر وظهر بمظهر الإنسان فوضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الأسماء كيما تجثو لاسم يسوع كل ركبة في السماء وفي الأرض وفي الجحيم ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب» (رسالة القديس بولس إلى أهل فيلبي الفصل 2: 5-11).

وبعد ذلك نجد قوته تعالى الإلهية بالقوات الباهرة لا كفيلسوف العالمين: «فدهشوا جميعاً وأخذوا يتساءلون: ما هذا؟ إنه لتعليم جديد يلقى بسلطان! حتى الأرواح النجسة يأمرها فتطيعه» (مرقس 1: 27). إنه هو قد علمنا سبيل الحق والرجاء قائلاً عن نفسه: «أنا نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة» (يوحنا 8: 12). وأيضاً: «أنا الطريق والحق والحياة». «السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول» (متى 24: 35).

وبالإضافة إلى ذلك فهو أيضاً يتحدى خصومه الطالبين آية منه: «يا معلم نريد أن نرى منك آية. فأجابهم: جيل فاسد فاسق يطلب آية ولن يعطى له سوى آية النبي يونان. فكما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا سيبقى ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» (متى 12: 38-40). وفي مكان آخر تصدى له اليهود فقالوا: «أية آية ترينا حتى تفعل هذا؟». فأجابهم يسوع: «انقضوا هذا الهيكل أقمه في ثلاثة أيام!». قال له اليهود: «بني هذا الهيكل في ست وأربعين سنة فكيف تقيمه في ثلاثة أيام؟». ولكنه كان يعني هيكل جسده» (يوحنا 2: 19-21).

وبشأن الجن: كيف يستطيع أن يأتي بمثله والجن ليس في الوجود، إذ إنه مخلوق مزعوم بين الأنس والأرواح ينتسب إلى الأساطير اليونانية؟

تاسعاً – قلتم في الصفحة الرابعة عشرة: «إن منهجكم أيها النصارى يتمثل في هذا المبدأ القائل: آمن أولاً ثم ابحث عن الدليل...».

الجواب: حجتكم مرفوضة، فنحن كما سبق أن قلنا نستعين بنورين: نور العقل ونور الإيمان

أفلا يرضا من الله مصدر كل عطاء. ومع أن حقيقة الوحدة في التثليث سر من أسرار الدين، فهو من
الناحية الأخرى لا يناقض العقل البشري لأن في هذا السر موضوعين: الأول وهو الطبيعة الإلهية والثاني
وهو تعدد الأشخاص في تلك الطبيعة. وهل من تناقض لو قلنا: في الشمس الواحدة النور والحرارة والشعاع في
الشمس الواحدة "ثلاثة أشخاص" في الطبيعة الإنسانية ملايين الأشخاص؟ إنه مبدأ لنا قبل كل شيء هو التمييز بين
موضوع وموضوع وهذا من صحة العقل قبل الإيمان.. لو قلنا مثلا إن الأبيض هو أسود فذلك أي السير هو
التناقض كل التناقض!.. ثم إننا في التعليم [illegible] البحث من جوهر مختلف لا نستعين إلا بالبراهين
المنطقية وبالأدلة الصوابية.

عاشرا – ورد أخيرا في الصفحة السادسة عشرة: ".. أما كان [illegible] يغفر [illegible] الشيء عجاب .."

الجواب: نعم قد كان من الممكن أن يغفر الله من الإنسان الخاطئ من غير أن يطالبه بشيء ما وهذا
من قبيل رحمته اللانهائية [illegible]. ولكن من قبيل العدل والوجهة التأديبية كان التعويض من خطايا جميع البشر
لازما ضروريا. ولما كان الإنسان المحدود عاجزا عن تقديم ذلك التعويض فقد ارتضى الله أن يحمل خطايا العالم ويكفر عنها.
[illegible] بإعتبار الشخص [illegible] المهين (فالإهانة الموجهة إلى الملك [illegible] أعظم من
التي توجه إلى الوزير). وبالتالي فإهانة الإنسان لله كانت إهانة غير محدودة لأن الله هو غير محدود في جوهره، ولم
يكن ليوجد من يرضي الله [illegible] تعويضي [illegible] غير محدود. [illegible] فقد شاء الله [illegible] أن يجسد
ابنه الحبيب الوحيد ويموت موت الصليب الشائن من الخلائق ليكفر لنا عن إهانة الإثم ويظهر محبته لنا. [illegible] أن هذا
الشيء عجاب بل ضرب من الجنون [illegible] الحب [illegible] المتفاني [illegible] النفوس [illegible]
[illegible] ولكن أخيرا [illegible] ضرورة [illegible] الحب [illegible] بالحب.

• ولكن لا [illegible] أخونا المسلم تجاه هذا الأمر العجاب [illegible] إلى بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث قال:
".. لما كان اليهود يطلبون آية واليونانيون يبحثون عن الحكمة، فإننا نبشر بمسيح مصلوب، عثار لليهود وجهالة للوثنيين،
وأما المدعوون من اليهود واليونانيين فهو المسيح قوة الله وحكمة الله. لأن الجهالة من الله أكثر حكمة من الناس
والضعف من الله أقوى من الناس .." (١ كو ١: ٢٢–٢٥) [illegible] والمحبة عبارة عن [illegible] فالله قد أحبنا بكل
ما لنا... [illegible]. المحبة هي التعبير عن خواطر النفس: فالله قد كلم الأنبياء وابنه [illegible]: فها هو الوحي. المحبة
هي التشبه بالمحبوب: فالله صار إنسانا: هو ذا التجسد. المحبة هي التألم في سبيل المحبوب: فالله [illegible] على الصليب لأجلنا:
هو ذا الفداء. المحبة هي [illegible] الدائمة بالقرب من المحبوب: هو ذا سر القربان [illegible] في الكنائس المسيحية. المحبة هي الاتحاد بالمحبوب
[illegible]: هو ذا التناول [illegible]. المحبة هي اشتراك المحبوب في [illegible]: هو ذا الفردوس [illegible] علينا أن
نبلغ مبلغ محبة الله لنا. [illegible] الشيطان فجعلنا بني الله. كنا [illegible] ففتح
لنا باب السماء. كنا كثيري الخطايا فغسلها في دمه [illegible] الجزء الثاني [illegible].

شاكرا [illegible] البالغ في [illegible] على [illegible] أسأل الله [illegible] الشيخ مصطفى محمد [illegible]
[illegible] بطول العمر والتوفيق. [illegible] الأب إليزيو كاميروتا – E. Elisio Camerota – الإسكندرية في [illegible]
الأب إليزيو كاميروتا E. Elisio Camerota

[illegible]

مع إبراهيم الخليل

فى محكم التنزيل

بناء البيت ودعاء ابراهيم :

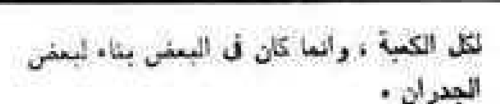
قال تعالى : « وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » البقرة ١٢٧ .

والآيات مدنية واذ يرفع عطف على ما قبله من قوله : واذ قال ابراهيم ، وعبر بصيغة المضارع يرفع لاستحضار الصورة — القواعد : جمع قاعدة ، وهى الاساس والأصل لما يقام عليه ورفع القواعد : رفعها بالبناء .

وقد قيل : ان الكعبة بنيت عشر مرات .

وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام ، فقال له ولحواء : ابنيا لى بيتا ، فخط جبريل ، وجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا أصاب الماء من تحته قال : حسبك آدم ، فلما بنياه أوحى اليه أن يطوف به ، فقيل له : أنت أول الناس ، وهذا أول بيت » وبناه كذا بنو آدم بيتا من الطين والحجارة ، فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى أن مسه الغرق فى عهد نوح عليه السلام ، وبناه ابراهيم كما ذكر فى القرآن فى هذه الآية وبناه العمالقة ، وبناه عبد الله بن الزبير ، وبناه الحجاج .

وكل ما حدث فى البيت من بناء لم يكن بناء



لكل الكعبة ، وانما كان فى البعض بناء لبعض الجدران .

وقال البعض : ان بنـاء الكعبة لم يكن الا خمس مرات .

وأكثر رواة الأخبار يقولون : ان البيت كان موجودا قبل ابراهيم عليه السلام . وقـوله تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد » يدل على أن تلك القواعد كانت موجودة . ولكنها متهدمة الا ان ابراهيم رفعها وعمرها .

وقد اشترك اسـماعيل مع أبيـه ابراهيم عليهما السلام فى البناء بدليل عطف اسماعيل على ابراهيم وان كان البعض يسـند الى اسماعيل رفع الحجارة والطين . وابراهيم هو الباقى بمعنى أن ابراهيم هـو الذى كـان يضع الحجارة ويلصقها بالطين . وعـلى ذلك فرفع اشترك فيه كلاهما .

فلما أتما رفـع القـواعد اتجهـا الى الله بالدعاء ، وكان أول دعائهما :

١ ـ « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ » .

ظـاهر هـذا الدعـاء يفيـد أن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام كانا يقولان معـا : ربنـا تقبـل منـا الخ الآية .

وقيل : ان ابراهيم كان فى شـغل برفع القواعد والداعى كان اسماعيل ، وقد دعا عنه وعن أبيه بهذه العبارة : « **رَبَّنَا تَقَبَّـلْ مِنَّا** » أى منه ومن أبيه عملهما فى رفع قواعد البيت وأعمـال البناء وكان تذييل الدعاء : « **إِنَّـكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** » .

وفى هذا التركيب من التـأكيد ما يقـوى جانب الاسـتجابة التى يتطلعان اليها فى قبول دعائهما ثم سـاقا فى التركيب صـيغتى المبالغة :

الأولى : السميع وتفيـد أنه يسـمع جميـع المسـموعات ومنها ذلك الدعاء الذى يتجهان به الى الله .

والصـيغة الثانية : « العليم » وهى كذلك صـيغة مبـالغة تفيد أن علمه يحيط بجميـع المعلومات ومنها ما تنطوى عليـه نية ابراهيم واسماعيل وما يكنه قلباهما من الاخـلاص فيما يقومان من بناء البيت .

والى جانب ما تقدم من التاكيد والمبالغة فان اسلوب « انك أنت السميع العليم » يفيـد الحصر ومعنى ذلك : أنه لما كان كمال صـفتى السمع والعلم فيه سبحانه وتعالى جعل كأنه مختص بهما دون غيره .

٢ ـ أما الدعاء الثانى فكـان : « رَبَّنَـا



«وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» .

الاسلام في قوله : « واجعلنا مسلمين لك» قد يكون المراد منه : الدين والاعتقاد ، أو الاستسلام والانقياد .

(واجعلنا) قد يكون من الجعل بمعنى التصيير ، أى صيرنا مسلمين ، وقد يكون بمعنى الأمر أى أؤمرنا بان نكون مسلمين .

والتعبير بقوله : « واجعلنا مسلمين لك » يفيد الحصر على معنى نكون مسلمين لك لا لغيرك ، وكمال السعادة في أن يكون العبد مسلما لقضاء الله وأحكامه موحدا مخلصا لا يعبد الا الله أما قوله : « ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » فالمراد : واجعل من أولادنا أمة مسلمة مخلصة لك و (من) للتبعيض ، وخص البعض ، لأن الله أعلم ابراهيم من قبل بانه (لا ينال عهدى الظالمين) حين أخبره الله بانه جاعله للناس اماما ، فقال ابراهيم : (ومن ذريتي) .

فقال الله : (لا ينال عهدى الظالمين) ومعنى ذلك : أن بعض ذرية ابراهيم ممن اتصفوا بالظلم لن ينالوا الامامة والنبوة .

وقد دعا ابراهيم ربه أن يجعل من ذريته أمة مسلمة لله ، وان الاتفاق على أبنائه ومن تناسل من أبنائه هو الذى حداه الى هذا الدعاء ، وقد استجاب الله الدعاء فكان من ولد ابراهيم واسماعيل على اختلاف الأجيال والعصور من عبد الله ولم يشرك به شيئا .

وقد كان في الجاهلية القريبة من فجر الاسلام : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الايادى وعامر بن الظرب ، وهؤلاء آمنوا بالبدء والاعادة والثواب والعقاب ووحدوا الله ولم يعبدوا الأوثان .

وقيل : عبد المطلب جد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان كذلك ومعنى قوله : « وأرنا مناسكنا » أى علمنا شرائع الحج وما ينبغى أن نفعله من أعماله فتكون الرؤية في قوله : « وأرنا » علمية بمعنى عرفنا .

وقد تكون الرؤية بصرية فمعنى أرنا مناسكنا أظهر المناسك لأعيننا حتى نراها وقد قال الحسن : ان جبريل أرى ابراهيم ــ عليه السلام ــ المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال له : أعرفت ما أريتك من المناسك ؟ قال : نعم ، فسميت تلك المنطقة التى قيل عندها هذا القول : عرفات) .

وقد أراد ابراهيم أن يزور البيت يوم النحر ، فعرض له ابليس ، وسد عليه الطريق ، فأمره جبريل أن يرميه بسبع حصيات ، ففعل ، فذهب الشيطان ، ثم عرض له في اليوم الثانى والثالث والرابع وفي كل يوم يأمره جبريل برمى الشيطان بالحصيات فيرجمه ، فيذهب عنه (والنسك) بضم النون المشددة والسين : هو التعبد ، وسميت أعمال الحج مناسك .

وقد قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ لحجاج بيت الله من أصحابه : « خذوا عنى مناسككم

لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وكان ذلك فى حجة الوداع » .

والمواضع التى تقام فيها شرائع الحج تسمى : مناسك .

قال تعالى : « لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ » والاراءة فى قوله : « وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا » تعريف أعمال الحج ، وقد يراد المواضع فتكون الاراءة لتعريف البقاع .

ويكون معنى : أرنا مناسكنا : علمنا كيف نعبدك وأين نعبدك ، وبماذا نتقرب اليك حتى نخدمك به كما يخدم العبد مولاه .

(وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .

ان ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — على الرغم من اجتهادهما فى طاعة ربهما فانهما ليشعران بالتقصير الذى يدعوهما الى أن يسألا ربهما التوبة من ذلك التقصير أو من السهو الذى يقع منهما .

وقد يكون المراد من طلب التوبة ارشاد ذريتهما الى طلب التوبة مما يقترفون ولو من صغائر الذنوب .

وقد يكون المراد (وتب علينا) أى على المذنبين من ذريتنا .

وقد حكى الله عنه فى آية أخرى ،

« وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » أى ومن عصانى فانك قادر على أن تتوب عليه وتغفر له ما سلف من ذنوبه .

وقوله : « إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » تعليل للدعاء ولتحقيق الاجابة .

وفى التركيب تأكيدات وهو يفيد الحصر والمعنى « إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » لاغيرك وقد ساقه بعد طلب التوبة فى قوله : « وَتُبْ عَلَيْنَا » .

أما الدعاء لابراهيم وهو ما حكاه القرآن فى قوله : « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

سأل ابراهيم — عليه السلام — ربه فى آية سابقة أن يجعل من ذريته أمة مسلمة له ، وفى هذه الآية سأل ربه أن يبعث فى تلك الأمة المسلمة له رسولا يكمل لتلك الأمة المرجوة دينها ، ويثبتها على الاسلام ، وأن يكون ذلك المبعوث المرسل من عند الله من تلك الذرية حيث يعرفون مولده ونشأته وتربيته وخلقه ، وانه اذا كان منهم كان أحرص على خيرهم .

وقد كان الرسول المعنى فى قولة ابراهيم عليه السلام (وابعث فيهم رسولا) محمدا — عليه الصلاة والسلام — .

وقد روى أنه — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى » . وأراد بالدعوة هذه الآية :

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ » ، وخص ابراهيم لأنه الأصل فى الدعاء واسماعيل معه يردد قوله ، وذلك فى بعض الآراء على نحو ما بينا فى تفسير صدر هذه الآيات .

أما بشارة عيسى فهى التى جاءت فى سورة الصف فيما حكاه القرآن عنه « وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » .

وذلك الرسول الذى طلبه ابراهيم من ربه حقق له ما طلبه من ربه فى قوله : « وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ » حيث أجرى ذكر ابراهيم على لسان أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — فى التشهد فى صلاة الفروض والنوافل ويبقى ذكر ابراهيم حيا على لسان أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد وضع ابراهيم عليه السلام لذلك الرسول المنشود منهج عمله فيما يلى :

١ — أنه يتلو عليهم آيات الله (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) والمراد بتلك الآيات التى يتلوها القرآن الذى أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — .

وقد يراد بالآيات : الدلائل التى تدل على وجود الله ووحدانيته ، ومعنى تلاوتها : تذكيرهم ودعوتهم الى الايمان بها .

٢ — تعليمهم الكتاب « وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ »

أى أنه يعلمهم معانى الكتاب ، وتعليمهم ما فيه من الدلائل وكيفية استنباط أحكام الشريعة الاسلامية منه .

٣ — تعليمهم الحكمة (والحكمة) وهى : الاصابة فى القول والعمل ، ووضع كل شىء موضعه وقد قال الامام مالك : « ان الحكمة : هى معرفة الدين والفقه » .

وقال الامام الشافعى وقتادة : ان الحكمة هى سنة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى القول والعمل .

وقيل : الحكمة : هى الفصل بين الحق والباطل .

وقيل : المراد بتعليمهم الحكمة : حكمة الشرائع وما فيها من مصالح العباد .

٤ — التزكية : ويزكيهم أى يطهرهم من الشرك .

وقيل المراد بالتزكية : الطاعة والاخلاص ، او الترغيب فى العمل والترهيب عن الاخلال بالعمل ثم ختم الآية بقوله : « إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ، والعزيز : القادر الذى لا يغلب .

والحكيم : العالم الذى لا جهل شيئا وفى هذا التذييل الذى ختمت به الآية تأكيد ، واسمية الجملة تفيد الثبوت والداوم وهى الى جانب ذلك تفيد القصر فهو العزيز لا غيره وهو الحكيم وحده .

د. محمد محمد خليفة





الإعجاز

للدكتور أحمد إبراهيم مهنا

الحديث عما سوى الله

اما حديث القرآن عن « ما سوى الله » فيبدو لنا أن الأساس فيه قول الحق تبارك وتعالى :

« .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » (١) وقوله سبحانه :

« وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (٢) .

وآيات القرآن تشرح ذلك تفصيلا .

فاذا كان الله سبحانه هو الأول بلا بداية ، لانه تعالى واجب الوجود ، اذ وجوده لذاته ، فكل ما سواه على العكس من ذلك ، فليس هناك شيء ينعم بالوجود الا والله مبدعه وخالقه ، وصدق الله حيث يقول :

« ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ .. » (٣) .

وحيث يقول :

« اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٤) .

واذا كان الله سبحانه هو الآخر بلا نهاية لوجوده ، فكل ما سواه يلحقه الموت ويهلك ، وهذا هو الواقع الذى لا يمكن انكاره .

وقد عبر القرآن عن ذلك فى قول الله جل شأنه :

« وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ .. » (٥) .

(١) سورة الشورى : ١١
(٢) سورة الاخلاص : ٤
(٣) سورة الانعام : ١٠٢
(٤) سورة الزمر : ٦٢
(٥) سورة القصص : ٨٨

وإذا كان الله قائما بنفسه ولا يحتاج الى سواه ، فكل ما سواه محتاج اليه فى وجوده ، وفى دوام هذا الوجود ، نقرأ فى ذلك قول الله عز وجل :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ » (١) .

وقوله سبحانه :

« قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ .. » (٢) .

وقوله تعالى :

« أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ .. » (٣) .

والقرآن واضح فى أن ما سوى الله نوعان :

مكلف وغير مكلف .

والمكلف فى عالم الشهادة هو الانسان ، وهو الذى جعله الله خليفة فى الأرض مميزه بالعقل وعلمه ما كان يجهل ليدرك مكانته فى هذا الوجود ، ومن رحمة الله به أنه أفاض فى الحديث عنه فى القرآن ، فحدثه عن وجوده وخلقه ، وفصل له ما أسبغ عليه من نعم هى قوام حياته ، وكشف له عن أعدائه ليأخذ حذره ويحصن نفسه ، ولم يبخل عليه بالهداية فأرسل له رسله بشرائعه وما ينير الطريق أمامه ، وقص عليه من أنباء ما قد سبق ليكون له فيه موعظة وعبرة ، ووضح له — بما يقطع كل شك — أنه مسئول عما يعمل ، وأنه مجازى عليه ، وأن الجزاء من جنس العمل .

وأكد له أن العدل الالهى لابد وأن يأخذ مجراه فى يوم آت لا ريب فيه ، وستضع بين يدى القارىء نماذج من آيات الله التى تتصل بالانسان وفضل الله عليه لنحاول معا أن نتبين وجه الاعجاز فى القرآن الكريم .

ان القرآن يلخص لنا حياة الانسان فى هذه الدنيا فى آيات ثلاث ، هى قول الله تبارك وتعالى :

« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا . إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا . » (٤) .

ومن هذا القول الكريم يتضح :

١ — ان الانسان (أى انسان) كان — قبل أن يخلقه الله — فى دائرة العدم ، (لَمْ يَكُن

(١) سورة فاطر : ٣
(٢) سورة الانعام : ١٤
(٣) سورة الملك : ٢١
(٤) سورة الانسان : ١ ، ٢ ، ٣

شَيْئًا مَذْكُورًا) وهذه حقيقة لا مراء فيها ولا تحتاج الى دليل .

٢ — وأن خروجه من دائرة العدم يبدأ من « نطفة أمشاج » وهى الخليط من ماء الذكر وماء الأنثى عندما يلتقيان .

وبدء الوجود بهذا الخليط حقيقة محسوسة لا يطلب عليها برهان . والذى قد يطلب عليه الدليل والبرهان هو القوة الخالقة .

فقد يحلو للبعض أن يقول : ان اختلاط المائين كاف فى وجود ما كان معدوما .

ومن هنا عنى القرآن بما يرد هؤلاء الى الصواب فى أسلوب واضح ، ولفت النظر الى أن اختلاط المائين لاينتج شيئا بذاته والا لكان من الحتم أن يكون هناك وليد اذا تم اللقاء بين أى ذكر وأى أنثى ، والواقع المشاهد لايؤيد ذلك

وانما المشاهد المتفق عليه ولا خلاف حوله أن هذا اللقاء وما يعقبه من اختلاط المائين قد يثمر وقد لا يثمر .

وهنا لا مفر من القول بالقوة المؤثرة التى عبر الله عنها بالخلق وأسندها الى نفسه ، ووضح — فى آيات أخرى أن ذلك تابع لمشيئته هو ، فان شاء وهب ، وان شاء منع ، وليس ذلك فحسب ، وانما تتنوع الثمرة — فى حالة الاعطاء — تبعا لمشيئته كذلك ، فتارة ذكر وتارة أنثى ، وذلك لأن خلق الانسان جزء من الكون ، والكون كله ملك لله ، يقول جل شأنه :

« لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » (١) .

ولئلا يفهم البعض أن اللقاء بين الذكر والأنثى أمر حتمى لتعلق مشيئة الله وقدرته بخلق ثمرة هذا اللقاء ، وضح الحق فى كتابه أن ارادته تعالى حرة لا يقيدها شىء ، وأن قدرته نافذة لا تخضع لأسباب ، فلفت نظرنا — فى أكثر من موضع من كتابه الكريم — الى أنه خلق الانسان الأول حيث لم يكن هناك ذكر ولا أنثى ، ثم خلق له زوجا من طبيعته ليسكن اليها ، ومن هذين الزوجين كانت الكثرة من الرجال والنساء ، نقرأ فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً .. » (٢) .

وقوله سبحانه :

« هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا .. » (٣) .

---

(١) سورة الشورى : ٤٩ ، ٥٠ .
(٢) سورة النساء ١ .
(٣) سورة الاعراف : ١٨٩ .

ويوضح المقام الذي نحن بصدده أكثر قول الله تعالى متحدثا عن نفسه :

« الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ • ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ » (١) .

والسلالة المذكورة هنا هي بنفسها التي عبر عنها في سورة الانسان بـ « نطفة أمشاج » وهي الخليط من ماء الرجل وماء المرأة ، وهو ما جعله سببا عاديا لوجود النسل .

وتدليلا على أن ذلك لا يحدد مشيئته ولا يعجز قدرته خلق سبحانه ــ بعد أجيال وأجيال من البشر ــ عيسى بن مريم كما خلق آدم دون أن يمس أمه بشر ، وصدق الله حيث يقول :

« إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ • الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ » (٢) .

ويحدثنا القرآن عن النطفة التي أراد الله أن يكون منها انسان وعن تطورها في رحم الأم فيقول :

« ثم خلقنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » (٣) .

وهذا واضح في أن كل طور يختلف عما قبله اختلافا بينا يستلزم خلقا جديدا ، وهو تفصيل وبيان لما جاء في قول الله عز وجل :

« ... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ ... » (٤) .

ويبين القرآن ما يحدث عندما يبلغ التطور في رحم الأم مداه في قول الله سبحانه :

« ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا .. » (٥) .

وفي قوله جل شأنه :

« ... ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (٦) .

فحياة الانسان في هذه الدنيا ــ منذ ولادته الى موته ــ محددة تبعا لمشيئة الله سبحانه ، وما نظن عاقلا ينكر ذلك أو يجادل فيه ، لأنه مرئي في كل يوم ومحسوس في كل مجتمع .

هذا الانسان الذي أنعم الله عليه بنعمة الوجود ، وحدد مدة حياته في هذه الدنيا ، خلق لرسالة معينة عبر الله عنها في سورة

---

(١) سورة السجدة : ٧ ، ٨ .
(٢) سورة آل عمران : ٥٩ ، ٦٠ .
(٣) سورة المؤمنون : ١٤ .
(٤) سورة الزمر : ٦ .
(٥) سورة الحج : ٥ .
(٦) سورة غافر : ٦٧ .

الانسان بقوله تعالى : « نبتليه » .

وعدل الله يقضى الا يبتلى عاجزا ولا مكرها ، ومن هنا هيأ الانسان للانتفاع بكل ما يحيط به فوهبه السمع والبصر وخصه بقوة التمييز بين الصواب والخطأ وبين الحق والباطل ، وترك له حرية الاختيار ، فاما شكر النعمة وأطاع مانحها ، وهذا هو جانب الصواب والحق ، واما كفر النعمة وعصى من وهبه اياها ، وهذا هو جانب الخطأ والباطل ، وصدق الله حيث يقول :

« فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » (١) .

ولم يقف فضل الله على الانسان عند خلقه مهيأ لأداء رسالته التى تتلخص فى عبادته تعالى تبعا لما شرع ، وانما ضمن له رزقه وسخر له كل مافى الكون ، سمائه وأرضه .

وقد أفاض القرآن فى هذا المجال بما يشبع نهم كل باحث ويقطع الطريق على كل منكر ، ومما نقرأ فى ذلك قول الله تبارك وتعالى :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٢) .

وقوله :

« اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... » (٣) .

وقوله :

« هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ . وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

---

(١) سورة الانسان : ٢ ، ٣ .
(٢) سورة البقرة ٢١ ، ٢٢ .
(٣) سورة ابراهيم : ٣٢ ، ٣٤ .

وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ » (١) .

وقوله :

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ .. » (٢) .

وقوله :

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. » (٣) .

ولنا الآن أن نتساءل : هل حديث القرآن عن خلق الانسان فى جميع أطواره يخرج عن ذكر حقائق واضحة لا سبيل الى انكارها ، وهل هناك مجال لأن تنسب هذه الحقائق الى غير الله ، وكل ما سوى الله مخلوق وعاجز ومحتاج ، وأين هذا المخلوق الذى تحدثه نفسه بأن يقول : انه « خلق الانسان » ويعين المادة التى خلق منها فى أول وجوده ، وأين المخلوق الذى تحدثه نفسه بأن يقول : انه خلق نسل هذا الانسان من « نطفة أمشاج » ، وأين هذا المخلوق الذى تحدثه نفسه بأن يقول : انه تولى أمر هذه النطفة بعد استقرارها فى الرحم فخلق منها علقة ، ثم خلق من العلقة مضغة ، ثم خلق من المضغة عظاما ، فكسا العظام لحما ، ثم أنشأها خلقا آخر . خلقا آخر له من المواهب ما يمكنه من الانتفاع بكل ما سخر له فى هذا الكون ويسيطر على كثير من القوى التى سخرت له ، هذا الكون الذى لا يد له فى ايجاده ، واذا حرم من بعض ما فيه من نعم وقف عاجزا ولم يسعفه كل ما حوله من عوالم فى الحصول عليها .

ان القرآن الكريم الذى عدد ما أسبغ الله على الانسان من نعم ، وضع ــ أمام من ضل من أفراده وتنكب الطريق ــ بعض الأسئلة ليجيب الانسان عنها بنفسه ، ولفت نظره الى خطورة انكار الحقيقة الواضحة وعدم الاعتراف بالفضل لصاحب الفضل وقد وهب العقل وميز بالعلم ، يقول الله تبارك وتعالى :

« أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

(١) سورة النحل : ١٠ ـ ١٦ .
(٢) سورة الاسراء : ١٢ .
(٣) سورة لقمان : ٢٠ .

أمَّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (١) .

ويقول جل شأنه :

« قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون » (٢) .

ويقول سبحانه :

« قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين » (٣) .

اننا نوقن ـــ ويزداد يقيننا كلما تلونا آيات الله ـــ أن وجه الاعجاز في القرآن للانس والجن انما هو تركيزه على الحقيقة في كل سورها ، الحقيقة التي يجملها الحق في قوله :

« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » (٤) .

ونقرأ تفاصيلها في آيات القرآن ، ونرى دلائلها في أنفسنا وفي كل ما يحيط بنا في كون الله .

ان عجز الانس والجن عن الاتيان بمثل هذا القرآن لا ريب فيه ، وان التحدي الذي وجهه الله اليهم شامل لهم أفرادا وجماعات في أي زمان كانوا وبأي لسان تكلموا .

ومن اليسير على القارئ، أن يلاحظ أن حديث القرآن الكريم عن الانسان في مرحلة الاختبار ـــ وهي فترة الحياة الدنيا ـــ يرتكز على ما أسبغ الله عليه من نعم وما سخر له من مخلوقات ، وكل ذلك اما في السموات واما في الأرض ، وهذا هو بقية الكون .

واذا كان الانسان مخلوقا لله فكل ما عداه مخلوق مثله وقد عنى القرآن بهذه الحقيقة في كثير من آياته ، نقرأ من ذلك قول الحق تبارك وتعالى :

« الله خالق كل شيء ...» (٥) .

وقوله سبحانه :

« .. وخلق كل شيء فقدره تقديرا . » (٦)

وقوله جل شأنه :

« بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء .. » (٧) .

وكل شيء يشمل « ماسوى الله » ومن هنا كانت المقابلة الواضحة بين « الله » و « ماسواه » ، فلا خالق الا الله ، وكل ما سواه مخلوق . يتبع

د. أحمد ابراهيم مهنا

---

(١) سورة النمل : ٦٠ ، ٦٤ .
(٢) سورة القصص : ٧١ ، ٧٢ .
(٣) سورة الملك : ٣٠ .
(٤) سورة الملك : ١ .
(٥) سورة الزمر : ٦٢ .
(٦) سورة الفرقان: ٢ .
(٧) سورة الانعام : ١٠١ .

تناسق سور القرآن وترتيبها

حمداً لله الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على حبيبنا رسوله الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، سليل اكرم نبعة ، وقريع اشرف بقعة ، جاء بامته من الظلمات الى النور وأفاء عليهم الظل بعد الحرور ، خيرة الله من خلقه ، وحجته فى أرضه ، الهادى الى حقه، والداعى الى رشده ، وبعد .

آثرت فى هذا المقال الأخير من مقالات الاعجاز فى ترتيب سور القرآن الكريم أن أحشد ما يسر الله به من ترابط كل سورة بتاليتها من الجزء الأخير فى المصحف الشريف .

مثلا سورة البلد متصلة بسورة الفجر التى قبلها ، اذ أنه لما ذم فيها من أحب المال ، وأكثر التراث ، ولم يحض على طعام المسكين ، وذكر فى هذه السورة (البلد) الخصال التى تطلب من صاحب المال ، من فك الرقبة ، والاطعام فى يوم ذى مسغبة .

أما سورة « ألم نشرح » فانها شديدة الاتصال بسورة الضحى ، لتناسبهما فى الجمل ، وهذا ما كان سببا فى ذهاب بعض علماء السلف الى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما .

لذلك قال البعض : ان غلبة الظن بذلك ترجع الى أن قوله (أَلَمْ نَشْرَحْ) كالعطف على « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » الآية (٦) فى الضحى

وسورة الشرح مكية بالاجماع على ما فى القرطبى (٢٠/١٠٤) ، راجع تفسير الفخر الرازى الكبير (٨ /٤٥٥) والطبرى (٣٠ / ١٥٠) .

وسورة التين قد ورد فيها بيان خلق الانسان فى أحسن تقويم ، ثم جاءت بعدها مباشرة سورة العلق تبين أصل جبلة الانسان المفطورة منها فى قوله تعالى (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) الآية (٢) وذلك ظاهر الاتصال ، فالأول بيان العلة الصورية ، وهذا بيان العلة المادية .

راجع تفسير الآية فى القرطبى (١١٩/١٩) ط . دار الكتب المصرية ١٩٥١ م

ثم لا يخفى ما بين قوله فى الزلزلة

للدكتور سيد الجبيلى

(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)وما جاء فى سورة العاديات الآية (٢) فى قوله تعالى (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) آية ٩ ففيهما من التناسب والتوافق ، مما يدل على حتمية الترتيب والتتابع .

ولما ختم الحق تبارك وتعالى سورة العاديات بقوله (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)(١١) فكأنه قيل : وما ذاك ؟ فقال : هى القارعة ، قال السيوطى رحمه الله : « وتقديره ستأتيك القارعة على ما أخبرت عنه بقولى (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) (٩) .

راجع تفسير هذه الآية فى الطبرى (٣٠ / ١٨٣) والقرطبى (٢٠ /١٦٧) والفخر الرازى الكبير (٨/٤٩٤)

يقول الامام السيوطى فى معرض حديثه عن سورة الاخلاص : « قال بعضهم : وضعت هنا للوزان (١) فى اللفظ بين فواصلها ومقطع سورة « تبت » ، وأقول : ظهر لى هنا غير الوزان فى اللفظ : أن هذه السورة متصلة بـ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)فى المعنى ولهذا قيل : من أسمائها أيضا الاخلاص ، وقد قالوا انها اشتملت على التوحيد ، وهذه أيضا مشتملة عليه ؛ ولهذا قرن بينهما فى القراءة فى الفجر ، والضحى ، والطواف ، وسنة المغرب ، وصبح المسافر ، ومغرب ليلة الجمعة » أ هـ .

وقد أخرج الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢/ ١٢٠) عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قرأ فى الفجر سفرا بالكافرين والاخلاص .

أما سورتا الفلق والناس ، فقد نزلتا معا ، كما ذكر البيهقى فى الدلائل ؛ لذلك قرنتا ، مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين ، والافتتاح فى كل منهما بـ (قل أعوذ) ثم عقب بهما سورة الاخلاص ، لأن الثلاثة سميت فى الحديث بالتوافل وبالمعوذات .

وقد قدمت سورة الفلق على الناس — على أنها أقصر منها — لمناسبة مقطعها فى الوزان لفواصل سورة الاخلاص مع مقطع « تبت » ، اذ أن مقطع الفلق « حسد » مناسب لفواصل الاخلاص (أحد الصمد ، أحد) ومقطع تبت (مسد) وكلها متفقة فى الوزن .

هذا طرف من دقة اعجاز القرآن التى وقف العقل عاجزا ازاءها لما اشتملت عليه من روائع الحكم النفسية التى لا ينضب معينها ، ولا تخلق جدتها ، ولا تذوى مع الأيام نضارتها. ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير.

تم البحث ..

السيد الجميلى

---

(١) وزان بكسر الأول بمعنى ، وزن بزنة : ألف

فقه آية كريمة

"السحر حق" خاتمة

(أ) اختلف العلماء هل للسحر حقيقة أو لا ؟ فقد نقل ابن كثير (٢) : ان الوزير ابن هبيرة ذكر فى كتابه (الاشراف على مذاهب الأشراف) بابا فى السحر . فقال: اجمعوا على ان السحر له حقيقة . الا ابا حنيفة . فانه قال : لا حقيقة له عنده .

ونقل القرطبى (٣) : أن الغزنوى الحنفى ذكر فى (عيون المعانى) له :

أن السحر عند المعتزلة لا أصل له .

وعند الشافعى وسوسة وأمراض .

وعندنا أصله طلسم يبنى على تأثيرات خصائص الكواكب . كتأثير الشمس فى زئبق عصى فرعون . أو تعظيم الشياطين ليسهلوا له ما عسر .

قال القرطبى (٤) : وعندنا انه حق وله حقيقة . يخلق الله عنده ما شاء .

وقال : ذهب أهل السنة الى أن السحر ثابت وله حقيقة . وذهب عامة المعتزلة . وأبو اسحق الاستراباذى من أصحاب الشافعى . الى أن السحر لا حقيقة له . وانما هو تمويه وتخييل . وايهام لكون الشىء على غير ما هو عليه . وأنه ضرب من الخفة والشعوذة . كما قال تعالى : « يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ »[٥] ولم يقل تسعى على الحقيقة . ولكن قال : « يُخَيَّلُ إِلَيْهِ » . وقال أيضا « سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ »[٦] .

وهذا لا حجة فيه . لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر . ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل .

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٣ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٧ .
(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٤ ، ٤٦ .
(٤) كان القرطبى مالكيا .
(٥) سورة طه ٦٦ .
(٦) سورة الاعراف : ١١٦ .

للدكتور عبد الباقي احمد سلامة

وورد بها السمع . فمن ذلك ما جـاء في الآية : « يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ .. » من ذكر السحر وتعليمه . ولو لم يكن لـه حقيقة لم يكن تعليما . ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس . فدل على أن له حقيقة . وقوله تعالى :« وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ » (١)

وسـورة الفلق مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ماكان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما خرجه البخارى ومسلم . وفيه : أن الله شفانى . والشفاء انما يكون برفع العلة وزوال المرض . فدل على أن له حقا وحقيقة . فهو مقطوع به باخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه . وعلى هـذا أهـل الحـل والعقد . أ هـ بتصرف .

قال : وهم الذين ينعقد بهم الاجماع . ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة .

ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان، وتكلم الناس فيه . ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين انكار لأصله .

وروى سفيان عن ابن عباس : علم السحـر في قرية من قرى مصر يقال لها (الفرما) (٢) فمن كذب به فهو كافر (٣) .

وقال النووى : والصحيح أن له حقيقـة وبه قطع الجمهور . وعليه عامة العلماء . ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة . أ هـ

وقيل : هو تخييل فقط . ولا حقيقة له .وهذا اختيار أبى جعفر الاسترابادى من الشافعية . وأبى بكر الرازى من الحنفية . وابن حـزم الظاهرى . وطائفة (٤)

قال ابن حجر (٤) : ومحل النزاع : هل يقع بالسحر انقلاب عين أولا (٥) ؟ فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك . ومن قال ان له حقيقة اختلفوا . هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض أو ينتهى الى الاحالة؟ بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسـه . فالذى عليه الجمهور الاول . وذهبت طائفة قليلة الى الثانى .

ونقل الخطابى : أن قوما أنكروا السحـر مطلقا . وكأنه عنى القائلين بأنه تخييل فقط . والا فهى مكابرة .

وقال المازرى : جمهور العلماء على اثبات السحر وأن له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته

(١) سورة الاعراف : ١١٦ .
(٢) تقدم الحديث عن الفرما تحت عنوانخاص
(٣) تفسير القرطبى ج ٢ ص ٤٦ .
(٤) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٢ .
(٥) اى تحـول مادة الشيء الى غـيرها .

وأضاف مايقع منه الى خيالات باطلة وهو مردود • لورود النقل باثبات السحر • ولأن العقل لاينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام (١) •

والفخر الرازى (٢) : هل كل أنواع السحر ممكنة أولا ؟ أما المعتزلة فقد اتفقوا على انكارها ــ الا النوع المنسوب الى التخيل • والمنسوب الى اطعام بعض الأدوية المبلدة • والمنسوب الى التخريب والنميمة • فأما الأقسام الخمسة الأخرى فقد أنكروها • ولعلهم كفروا من قال بها وجوز وجودها • واحتجوا على انكاره بوجوه :

احدها : قوله تعالى « **وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** » (٣) •

وثانيها : قوله تعالى فى وصف محمد ﷺ « **إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** » (٤) ولو صار عليه السلام مسحورا لما استحقوا الذم بسبب هذا القول •

وثالثها : لو جاز ذلك من السحر فكيف يتميز المعجز عن السحر ؟

ثم قالوا : هذه الدلائل يقينية • وما ذكره أهل السنة من باب الآحاد • فلا تصلح معارضة لهذه الدلائل •

واما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير فى الهواء • ويقلب الانسان حمارا الا أنهم قالوا : ان الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة • فأما أن يكون المؤثر فى ذلك الفلك أو النجوم فلا • واستدل أصحابنا على وقوع السحر بالقرآن والخبر :

أما القرآن فقوله تعالى « **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** » والاستثناء يدل على حصول الآثار بسببه •

وأما الأخبار : فما روى من أنه عليه السلام سحر ، وأن السحر عمل فيه • وأن امرأة يهودية سحرته • فلما استخرج ذلك زال عنه ماكان يعرض له من أنه يخيل اليه أنه يقول الشىء أو يفعله • ولم يقله ولم يفعله • وأنزل المعوذتان بسببه •

وأتت امرأة عائشة رضى الله عنها فقالت لها : انى ساحرة • فهل لى من توبة ؟ فقالت : وما سحرك ؟ قالت : صرت الى الموضع الذى فيه هاروت وماروت ببابل لطلب علم السحر فقالا لى : يا أمة الله : لاتختارى عذاب الآخرة بأمر الدنيا • فأبيت فقالا لى : اذهبى فبولى على هذا الرماد • فذهبت لأبول عليه ففكرت فى نفسى • فقلت : لا أفعل • وجئت اليهما • فقلت : قد فعلت • فقالا لى : مارأيت ؟ لما فعلت • فقلت : مارأيت شيئا • فقالا لى : أنت على رأس أمر • فاتقى الله ولاتفعلى • فأبيت فقالا لى : اذهبى فافعلى • فذهبت ففعلت • فرأيت كأن فارسا مقنعا بالحديد قد خرج من فرجى فصعد الى السماء • فجئتهما فأخبرتهما فقالا : ايمانك قد خرج عنك • وقد أحسنت

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٢ •
(٢) تفسير الفخر جـ ٣ ص ٢١٣ ، ٢١٤ •
(٣) سورة طه : ٦٩ •
(٤) سورة الاسراء : ٤٧ •

السحر . فقلت : وماهو ؟ قالا : ماتريدين شيئا فتصوريه فى وهمك الا كان . فصورت فى نفسى حبا من حنطة فاذا أنا بحب . فقلت : انزرع فانزرع . فخرج من ساعته سنبلا . فقلت : انطحن فانطحن من ساعته . فقلت : انخبز فانخبز . وأنا لا أريد شيئا أصوره فى نفسى الا حصل . فقالت عائشة : ليس لك توبة .

ومايذكرونه من الحكايات فى هذا الباب كثيرة ومشهورة أ هـ .

سحر الكلام ..

سمى رسول الله ﷺ الفصاحة فى الكلام واللسانة فيه سحرا .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (١): أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا . فعجب الناس لبيانهما . فقال ﷺ : ان من البيان لسحرا . أو ان بعض البيان سحر .

فسحر الكلام : اذا خلب القلب وغلب على النفس واستمالها .

والذى يشبه بالسحر من الكلام هو المذموم الذى يصرف الى الباطل ويحسنه حتى يتوهم السامع أنه حق .

ومن ذلك قوله ﷺ (لعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض) وقوله (ان أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون) . فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وهو عليه . فالكلام محمول على الذم .

ويمكن حمله على المدح للبلاغة . والتفضيل للبيان . اذا كان فى تزيين الحق . ويسمى سحرا . لأن السحر يطلق على الاستمالة (٢).

سحر الدنيا ..

هو محبتها والتلذذ بشهواتها . والتمنى بأمانيها الكاذبة . حتى تأخذ بالقلب .

والدنيا تسحرنا بالخدع . وتكتمنا فتنتها وتدعونا الى التحارص عليها والتنافس فيها .

والجمع لها . والمنع . حتى تفرق بيننا وبين طاعة الله . وتفرق بيننا وبين رؤية الحق ورعايته . وتأخذ بالقلب عن الله . وعن القيام بحقوقه وعن وعده ووعيده .

فلهذا جعلها النبى ﷺ أسحر من هاروت وماروت فقال : (اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده انها لأسحر من هاروت وماروت) (٣)

حكم السحر ..

لاشك أنه من كبائر المعاصى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ

---

(١) البخارى : كتاب ٧٦ باب ٥١ ـ ومالك . وغيرهما .
(٢) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٥ وفتح البارى ١٠ ص ٢٣٧ .
(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٥٢ .

فقه آية كريمة

قال : اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا : يارسول الله : وماهن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات (١) .

وقد مال البخارى الى اختيار الحكم بكفر الساحر ، حيث أورد الآية « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ » فى أول باب السحر .

وقال فى قوله تعالى « إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » : فيه اشارة الى أن تعلم السحر كفر ، فيكون العمل به كفرا .

وهذا كله واضح على ما قررته من العمل ببعض أنواعه (٢) .

وقال ابن حجر : وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر ، وهو واضح فى بعض أنواعه التى قدمتها ، وهو التعبد بالكواكب أو بالشياطين ، وأما النوع الآخر الذى هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلا .

قال النووى : عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع ، وقد عده النبى ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه مايكون كفرا ، ومنه مايكون معصية كبيرة ، فان كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر ، والا فلا ، وأما تعلمه وتعليمه فحرام ، وتقبل توبته اذا تاب ، واذا لم يكن فى سحره مايقتضى الكفر عزر واستتيب .

وعن مالك : الساحر كافر ، يقتل بالسحر ولايستتاب كالزنديق .

قال عياض : وبقول مالك قال أحمد وجماعة من الصحابة والتابعين (٣) وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين :

١ ــ لتمييز ما فيه كفر من غيره .

٢ ــ لازالته عمن وقع فيه .

فأما الأول : فلا محذور فيه الا من جهة الاعتقاد ، فاذا سلم الاعتقاد ، فمعرفة الشىء بمجرده لاتستلزم منعا ، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للاوثان ، لان كيفية ما يعلمه الساحر : انما هى حكاية قول أو فعل ، بخلاف تعاطيه والعمل به .

وأما الثانى : فان كان لايتم ، كما زعم بعضهم ، الابنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا ، والا جاز للمعنى المذكور (٤) .

وسيأتى مزيد لذلك فى الكلام عن النشرة واستخراج السحر ، وأخرج الترمذى من حديث جندب مرفوعا : حد الساحر ضربه بالسيف ، وفى سنده ضعف .

وعن رواية بجالة : أن عمر رضى الله عنه كتب اليهم : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة .

وزاد عبد الرزاق عن بجالة : فقتلنا ثلاث سواحر .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الوصايا ، باب ٢٣ ـ وانظر فتح البارى جـ ٥ ص ٣٩٣ .

(٢) انظر فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٥

(٣) انظر فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٥ .

(٤) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

وأخرج البخارى أصل الحديث دون قصة قتل السواحر (١) .

وعن أحمد ، عن بجالة : قال : كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس ، فأتانا كتاب عمر ، قبل موته بسنة ، أن اقتلوا كل ساحر ، وربما قال سفيان : وساحرة ، وفرقوا بين كل ذى محرم من المجوس ، وانهوهم عن الزمزمة ، فقتلنا ثلاثة سواحر (٢) .

قال ابن بطال : لايقتل ساحر أهل الكتاب عند مالك والزهرى الا أن يقتل بسحره فيقتل .

وهو قول أبى حنيفة والشافعى .

وعن مالك : ان ادخل بسحره ضررا على مسلم لم يعاهد عليه نقض العهد بذلك فيحل قتله .

وانما لم يقتل النبى ﷺ لبيد بن الأعصم ، لأنه كان لاينتقم لنفسه ، ولأنه خشى اذا قتله أن تثور بذلك فتنة بين المسلمين وبين حلفائه من الأنصار ، وهو من نمط ماراعاه من ترك قتل المنافقين ، سواء كان لبيد يهوديا او منافقا ، على ماورد من الاختلاف فيه (٣) .

قال القرطبى (٤) اختلف الفقهاء فى حكم الساحر المسلم والذمى .

فذهب مالك الى أن المسلم اذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولايستتاب ولا تقبل توبته ، لأنه أمر يستسر به كالزنديق والزانى ، ولأن الله سمى السحر كفرا « وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ » .

وهو قول أحمد ، وأبى ثور ، واسحق والشافعى ، وأبى حنيفة وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبى موسى وقيس بن سعد ، وسبعة من التابعين .

وروى عن النبى ﷺ : حد الساحر ضربه بالسيف ، وقد تقدم منحديث جندب ، وخرجه الترمذى ، وليس بالقوى ، فقد انفرد به مرفوعا : اسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب ، وهو ضعيف عندهم ، ورواه الطبرانى من وجه آخر مرفوعا ، والصحيح أنه موقوف .

قال ابن المنذر : وقد روينا عن عائشة أنها باعت ساحرة كانتْ سحرتها ، وجعلت ثمنها فى الرقاب .

وقال : اذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا ، وكذا لو ثبت ببينة : وجب قتله ان لم يتب .

فان كان أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص ، اقتص منه ان تعمد ، والا ففيه دية ذلك .

وقال أيضا : اذا اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسألة وجب اتباع أشبههم بالكتاب والسنة ، وقد يجوز أن يكون السحر الذى أمر من أمر منهم بقتل الساحر سحرا يكون كفرا ، فيكون ذلك موافقا لسنة رسول الله ﷺ ، ويحتمل أن تكون عائشة رضى الله عنها أمرت ببيع ساحرة لم يكن سحرها كفرا .

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٦ .
(٢) مسند بن حنبل جـ ١ ص ١٩٠ .
(٣) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٦ .
(٤) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤٧ وما بعدها .

ولوصح حديث جندب ـ المذكور ـ احتمل أن يكون أمر بقتل الساحر الذي يكون سحره كفرا • فيكون ذلك موافقا للأخبار التي جاءت عن النبي ﷺ أنه قال : لايحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث (النفس بالنفس • والثيب الزاني • والتارك لدينه المفارق للجماعة) •

قال القرطبي : وهذا صحيح • ودماء المسلمين محظورة لاتستباح الابيقين •ولايقين مع الاختلاف • والله تعالى أعلم •

وقال بعض العلماء : ان قال أهل الصناعة ان السحر لايتم الامع الكفر أو تعظيم الشيطان : فالسحر اذا دال على الكفر على هذا التقدير •

وروى عن الشافعي : لايقتل الساحر الا ان يقتل بسحره ويقول : تعمدت القتل • وان قال لم أتعمده لم يقتل وكانت فيه الدية كقتل الخطأ وان أضربه أدب على قدر الضرر •

قال ابن العربي : وهذا باطل من وجهين :

١ ـ أنه لم يعلم السحر • وحقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب اليه المقادير والكائنات •

٢ ـ أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال • « وما كفر سليمان » بقول السحر ولكن الشياطين كفروا به وبتعليمه • وهاروت وماروت يقولان « انما نحن فتنة فلا تكفر » وهذا تأكيد للبيان •

وقال القرطبي في ساحر الذمة : قيل يقتل وقال مالك : لا يقتل الا اذا قتل بسحره • فان لم يقتل يعاقب (١) وقال غيره : يقتل لأنه نقض العهد •

وأما الحربي : فيقتل الا اذا تاب •

وقال مالك في المرأة تعقد زوجها عن نفسها أو عن غيرها :تنكل ولا تقتل • ١ هـ • كلام القرطبي بتصرف •

وحكم المرأة اذا سحرت حكم الرجل الا عند أبي حنيفة • فانها لاتقتل • ولكن تحبس •

ومن أصحاب أبي حنيفة من قال : ان تعلمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر • ومن اعتقده جائزا أو أنه ينفع كفر •

وقال الشافعي : اذا تعلم السحر • قلنا له: صف لنا سحرك • فان وصف مايوجب الكفر • مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وأنها تفعل مايلتمس منها فهو كافر • وان كان لايوجب الكفر واعتقد اباحته فهو كافر (٢) •

قال الفخر الرازي (٣) : العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور • اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف • وأيضا لعموم قوله تعالى : « هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة • والعلم بكون المعجز معجزا واجب ، ومايتوقف الواجب عليه

(١) تقدم قريبا أن ابن بطال نسب الى مالك قوله يقتل الذمي اذا أحدث ضررا بمسلم لنقضه العهد •

(٢) يراجع ابن كثير جـ ١ ص ١٤٧

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ ٣ ص ٢١٤

فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا • ومايكون واجبا كيف يكون حراما ؟• أ هـ

وعارضه ابن كثير فقال : هذا الكلام فيه نظر من وجوه :

١ ــ قوله : ليس بقبيح • ان عني به ليس بقبيح عقلا فمخالفوه من المعتزلة يقبحونه • وان عنى ليس بقبيح شرعا ففي هذه الآية تبشيع السحر « **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ** » • وفي الصحيح (من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد) • وفي السنن • (من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر) •

٢ ــ قوله : اتفق المحققون على أنه غير محظور •• كيف لايكون محظورا مع وجود الآية والحديث ! واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نص على هذه المسألة ائمة العلماء أو أكثرهم • فأين نصوصهم ؟

٣ ــ وادخاله علم السحر في عموم قوله تعالى « **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** » فيه نظر : لأن هذه الآية انما دلت على مدح العالمين العلم الشرعي (١) ــ ولم قلت ان هذا منه ! ثم ترقيه الى وجوب تعلمه بأنه لايحصل العلم بالمعجز الا به ! هذا ضعيف بل فاسد • لأن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي القرآن الكريم • لايتوقف العلم بأنه معجز على تعلم السحر أصلا (٢) ــ ثم ان من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم كانوا يعلمون المعجز ويفرقون بينه وبين غيره ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه • أ هـ

النُّشْرَةُ وحل السحر عن المسحور ••

أجاز ذلك سعيد بن المسيب على ماذكره البخاري • واليه مال المزني • وكرهه الحسن البصري • وقال الشعبي : لابأس بالنشرة (٣) قال ابن بطال : وفي كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر ، فيدقه بين حجرين • ثم يضربه بالماء • ويقرأ عليه آية الكرسي • ثم يحسو منه ثلاث حسوات • ويغتسل به • فانه يذهب عنه كل مابه ان شاء الله تعالى • وهو جيد للرجل اذا حبس عن أهله (٤) •

قال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب ــ أو يؤخذ عن امرأته ــ أيحل عنه أو ينشر ؟ قال : لابأس به انما يريدون به الاصلاح • فاما ماينفع فلم ينه عنه (٥) •

ورجح ذلك البخاري بايراده في صدر الباب •

وفي لفظ عن قتادة : يلتمس من يداويه ؟ فقال : انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع •

وأخرجه الطبري بلفظ آخر • في التهذيب وقال قتادة : وكان الحسن يكره ذلك • يقول : يكشف ويزال •

---

(١) سورة الزمر : ٩ •
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٤ ، ١٤٥ •
(٣) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج • يعالج به من به مس من الجن • فينشر عنه أي

(٤) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٤٩ ، ٥٠ •
(٥) أورده البخاري في باب هل يستخرج السحر ٤٩ كتاب الطب •

فقه آية كريمة

لايعلم ذلك الا ساحر . قال : فقال سعيد بن المسيب . انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع .

وأخرج أبو داود في المراسيل عن الحسن رفعه : النشرة من عمل الشيطان .

ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر .

وقال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور . ولايكاد يقدر عليه الا من يعرف السحر .

وسئل أحمد : عمن يطلق السحر عن المسحور ؟ فقال : لابأس به . وهذا هو المعتمد .

ويجاب عن الحديث والأثر (النشرة من عمل الشيطان) أنه اشارة الى أصلها . ويختلف الحكم بالقصد . فمن قصد بها خيرا كان خيرا والا فهو شر .

ثم الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره . لأنه قد ينحل بالرقى والأدعية والتعويذ فيحتمل أن تكون النشرة نوعين (١).

فأهل الاباحة أكثر . ورأيهم أقرب وأرجح .

ويوافق رأى سعيد بن المسيب ماورد في باب الرقية من حديث جابر عند مسلم مرفوعا (من استطاع أن ينفع أخاه المسلم فليفعل) .

ويؤيد مشروعية النشرة (٢) ماذكر في حديث (العين حق) في قصة اغتسال العائن (عامر ابن ربيعة) بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فراح سهل بن حنيف مع الناس ليس به بأس (وهو الذى أصابته عين عامر بن ربيعة) .

وقد أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبى قال : لابأس بالنشرة العربية التى اذا وطئت لاتضره . وهى أن يخرج الانسان في موضع عضاه . فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل ثم يدقه ويقرأ عليه . ثم يغتسل به .

وفي كتاب الطب النبوى لجعفر المستغفرى قال : وجدت في خط نصوح بن واصل على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخارى .

قال : قال قتادة لسعيد بن المسيب ، رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل له أن ينشر ؟ قال ، لا بأس . انما يريد به الاصلاح . فأما ماينفع فلم ينه عنه . قال نصوح : فسألنى حماد بن شاكر : ما الحل ؟ وما النشرة ؟ فلم أعرفهما . فقال : هو الرجل اذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ماسواها . فان المبتلى بذلك . يأخذ حزمة قضبان وفأسا ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارا في تلك الحزمة .

حتى اذا ما حمى الفأس . استخرجه من النار وبال على حره فانه يبرأ باذن الله . وأما النشرة : فانه يجمع أيام الربيع ماقدر عليه من ورد المفازة وورد البساتين . ثم يلقيها في اناء نظيف ويجعل فيها ماء عذبا . ثم يغلى ذلك الورد في الماء غليا يسيرا . ثم يمهل حتى اذا فتر الماء أفاضه عليه فانه يبرأ باذن الله . قال حاشد (من رواة الصحيح عن البخارى) : تعلمت هاتين الفائدتين من الشام .

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٣٣ .

(٢) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٠٤ .

وأثر قتادة المذكور : علقه البخاري ، ووصله الطبري في تفسيره (١) .

وفي حديث زيد بن أرقم ، عن سحر النبي ﷺ : (فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين ، وقيه ، فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية ، فجعل يقرأ ويحل حتى قام كأنما نشط من عقال) .

وفي رواية عمرة عن عائشة (فنزل جبريل بالمعوذتين ، فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجدلها ألما ثم يجد بعدها راحة) .

وفي حديث ابن عباس نحو ماتقدم (٢) .

قال ابن كثير (٣) : أنفع ما يستعمل لاذهاب السحر : ما أنزل الله على رسوله ﷺ في اذهاب ذلك وهما المعوذتان ، وفي الحديث (لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما) ، وكذلك قراءة آية الكرسي ، فانها مطردة للشيطان .

وقال ابن القيم (٤) : أنفع الأدوية ، مقاومة السحر الذي هو تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة ، فامتلاء القلب بالله وبذكره من أعظم الأسباب المانعة من اصابة السحر ، فسلطان السحر هو في القلوب الضعيفة ، ولهذا : غالب مايؤثر في النساء والصبيان والجهال — ويعكر عليه ، سحر النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه — ويمكن الجواب : بأن ماذكره ابن القيم محمول على الغالب ، وما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز .

العجوة دواء للسحر ..

روى البخاري (٥) : سمعت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر .

قال ابن حجر (٦) ولم أقف في شيء من طرق الحديث على حكم من تناول ذلك في أول الليل ، هل يكون كمن تناوله أول النهار ؟ حتى يندفع عنه ضرر السم والسحر الى الصباح ، والذي يظهر خصوصية ذلك بالتناول أول النهار ، لأنه يقع غالبا على الريق ، فيحتمل أن يلحق به من تناول أول الليل على الريق كالصائم ، والظاهر المواظبة على ذلك .

قال الخطابي : كون العجوة تنفع من السم والسحر ، انما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة ، قال ابن التين : يحتمل أن يكون المراد نخلا خاصا بالمدينة .

وقال عياض : عجوة العالية قد خصت بذلك ، كما وجد الشفاء لبعض الأدواء في الأدوية التي تكون في بعض البلاد دون ذلك الجنس في غيره ، لتأثير يكون في ذلك من الأرض أو الهواء .

والقرطبي يرى ذلك أيضا .

وخصوصية هذا العدد وردت في مواطن كثيرة من الطب وذلك لخاصية لا يعلمها الا الله . اهـ .

خاتمة

لاريب ان هذه الآية الكريمة « واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ... » . نزلت في ذم اليهود ، وتقبيح حالهم ، وبيان انحراف سلوكهم .

◄

(١) يراجع فتح الباري جـ ١٠ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤
(٢) فتح الباري جـ ١٠ ص ٢٣٠ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٨ .
(٤) فتح الباري جـ ١٠ ص ٢٣٥ .
(٥) كتاب الطب باب ٥٢ .
(٦) يراجع فتح الباري جـ ١٠ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

لكنها مع ذلك تفيد أمورا أخرى ٠ منها :

١ ـ وجوب التمسك بكتاب الله تعالى ٠ وعدم نبذه الى غيره ٠

٢ ـ السحر من عمل الشيطان ٠ ويعلمه لأتباعه ٠

٣ ـ السحر قديم ٠ ومعروف ٠ وله حقيقة٠

٤ ـ لم ينزل الله السحر على لسان جبريل وميكائيل ولا غيرهما ٠

٥ ـ هاروت وماروت كانا ملكين ـ على الأرجح ـ أنزلا للفتنة ٠

٦ ـ لم يكن سليمان عليه السلام ساحرا ٠

٧ ـ الساحر كافر ما أتى بمكفر ٠ والا فالسحر كبيرة ٠

٨ ـ يقتل الساحر ـ على الأرجح ـ سواء قتل بسحره أو لم يقتل ٠

٩ ـ النافع والضار هو الله ٠ والسحر لايؤثر بنفسه ٠

١٠ ـ السحر يضر بالمسحور في الدنيا ٠ وبالساحر دنيا وأخرى ٠

١١ ـ لا باس في علاج المسحور ٠

١٢ ـ مبادىء الايمان هي التي تحقق الثواب عند الله ٠

والحمد لله رب العالمين ٠٠

د ٠ عبد الباقي أحمد سلامة

المراجع

المصحف الشريف

تفسير القرآن العظيم لابن كثير المكتبة الشعبية

تفسير فتح القدير للشوكاني طبع دار الفكر

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن طبع دار الكتب المصرية

التفسير الكبير للفخر الرازي دار الكتب العلمية طهران

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٠ محمد فؤاد عبد الباقي

مفتاح كنوز السنة محمد فؤاد عبد الباقي

فتح الباري شرح البخاري لابن حجر المطبعة السلفية

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الشعب

مسند الامام أحمد بن حنبل المكتب الاسلامي ٠ بيروت

معجم البلدان ياقوت الحموي طبع بيروت ١٩٥٧ م

رسم المصحف

حكم اتباعه فى هجائه وفوائده

للشيخ ابراهيم عطوة عوض

لقد هالنى ما قرأت لبعض الأدباء من كلمات مسمومة محمومة ، وافزعنى ان يجرؤ ناقد او ينكر جاحد « الرسم العثمانى » ويبغوا عنه بديلا « وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » الحق ان التزام رسم المصحف سنة متبعة تجب رعايتها والتحرى فى نقلها من مظانها الموثوق بها دون تصرف . فان هذا الامر توقيفى صادر عن صاحب الشريعة عليه أفضل الصلاة واتم السلام .

ومن مزايا الاسلام ورحمة الله تعالى وعظيم فضله واحسانه ان جمع المسلمين على رسم توقيفى ثابت منذ نزل القرآن الكريم

حتى يأتى أمر الله العظيم . ولا يخفى ما فى هذا الاتصال برسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام عن طريق هذه الأسانيد الصحيحة التى تعود على أهل القرآن بالخيرات والبركات ، وهذه المزية شرفنا الله بها واهتدينا بأنوارها .

حكم اتباع الرسم العثمانى والأدلة على ذلك وفوائده

يرى أكثر العلماء المحققين وأعلام الأمة سلفا وخلفا من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم — أن اتباع رسم المصحف العثمانى واجب مفروض تحرم مخالفته ولو فى حرف واحد — بل لقد قال القاضى عياض فى كتابه الشفا : من غير منه حرفا بزيادة أو نقص أو بدله بحرف غيره فهو كافر . ووافقه على ذلك شارحاه : الخفاجى وملا على القارى . جاء فى مقدمة كتاب تفسير المبانى (١) : ان من تعمد خلافا لهجاء المصحف بمنزلة من خالف لفظه فى حال التلاوة والقراءة .

وقال أبو عمرو الدانى : هذا الرسم

◄

رسم المصحف

العثماني أجمعت عليه الأمة ولم يخالف فيه أحد من الصحابة والتابعين ــ وتابع التابعين ــ رضى الله عنهم أجمعين .

ومن الأدلة على ذلك أن القرآن كله كتب بهذا الرسم نفسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرهم على هذا الرسم ــ وقد قال الله تعالى « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (١) » ، « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ (٢) » ، « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ (٣) » .

وقد تمت كتابة القرآن فى عهد أبى بكر وفى عهد عثمان ، بحضور اثنى عشر الف صحابى رضى الله تعالى عنهم جميعا بهذا الرسم نفسه ، الذى أقره الرسول عليه الصلاة والسلام . ورضيه لأمته ، ولم يخالف أحد من الصحابة فى شىء مما كتب ــ ولو وقع ذلك لنقل عنهم ــ فصار هذا اجماعا يجب اتباعه وتحرم مخالفته لقوله تعالى : « وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٤) » .

وقال عليه الصلاة والسلام : (فانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) .

جزاء من يخالف ذلك :

واذا فالمغير فى شىء من رسم المصحف متبع غير سبيل المؤمنين مخالف لما أقره الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، تارك لسنة الخلفاء الراشدين والمهديين رضى الله عنهم ، مشاق للرسول من بعد ما تبين له الهدى مؤثر على ذلك رأيه الفاسد وأهواءه الجامحة ، لا لشىء الا رغبته فى محاربة هذا الدين من هذا الوجه ليضيع هذا الميراث العظيم ، ويحل محله التحريف والتغيير شيئا فشيئا من الجهل بفوائد هذا الرسم واستكباره أن يتعلم ــ ومعظم النار من مستصغر الشرر .

سئل الامام مالك عمن كتب مصحفا هل يكتبه على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال : لا . الا على الكتبة الاولى .

قال الامام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو ــ أو ألف ــ أو ياء ــ أو غير ذلك .

وقال الامام البيهقى فى كتابه ــ السنن الكبرى ــ :

من كتب مصحفا ينبغى أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف

---

(١) سورة آل عمران : ٣١ .
(٢) سورة المائدة : ٩٢ .
(٣) سورة الحشر : ٧ .
(٤) سورة النساء : ١١٥ .

ولا يخالفهم فيه ؛ ولا يغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة — فلا نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .

ومثل هذا في حواشي المنهج من كتب الشافعية . وفي كتاب — المحيط البرهاني في فقه الأحناف — وبه قال الامام النيسابوري ، والامام الخزاز ، والامام الشاطبي ، والعلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي في كتبهم وفي شروحها رحمهم الله رحمة واسعة .

وروى الامام الداني في كتابه — المقنع — باسناده الى مصعب بن سعد قال : أدركت الناس حين شقق عثمان رضي الله عنه المصاحف فأعجبهم ذلك ولم يعبه أحد . وللعلماء في الرسم كتب قيمة كالامام الداني صاحب — المقنع والمحكم — والامام الشاطبي صاحب عقيلة أتراب القصائد وشرحها خلق كثير — الجعبري ، والزبيدي ، وأبو العباس المراكشي . صاحب عنوان الدليل في رسم خط التنزيل — والتنزيل لأبي داود — ومورد الظمآن — وله شروح كثيرة — كدليل الحيران — وهو يدرس بجامعة الزيتونة بتونس ، ويدرس بالأزهر الشريف . ومحمد بن أحمد الشهير بالمتولي صاحب — اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من المرسوم — والشيخ محمد خلف الحسيني الذي شرحه وذيله بكتاب — مرشد الحيران في معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن — وارشاد القراء والكاتبين — للامام أبي عيد محمد بن رضوان .

هذا وللرسم العثماني :

١ — أهداف سامية شريفة وغايات عليا بعيدة المدى الى معان بديعة وثيقة الصلة بالقراءات واللغة ، مرتبطة تمام الارتباط بتفسير الكتاب العزيز . وما يؤخذ منه من أحكام فقهية عملية — مثال ذلك : كتابتهم قوله تعالى : « **قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ** » (١) برسم واحد صالح لما في هذا اللفظ الكريم من قراءات أربع ، بحيث يرشد كل قارىء الى الوجه الذي تلقاه في هذه الآية مع اختلاف الأوجه : فيها تشديد . (ان) وتخفيفها ، وهذان بالألف والياء . فرسم هكذا يؤدي هذه المهمة في أمانة واختصار يعد بلا ريب عظيم الأثر في أداء هذا العلم وتيسيره لطلابه . فان القوم لم يعتمدوا على الشكل والنقط ، وأشاروا الى المد فجزاهم الله عنا خيرا . ومن رماهم بالجهل لقواعد الكتابة فهو الجاهل المغرور الذي لا يدرك مدى جهله .

٢ — ومن فوائد الرسم العثماني مساعدة المعنى والسعي اليه ، وتنبيه القارىء على مكانه من ألفاظ القرآن الهادية اليه . مثال ذلك كتابتهم قوله تعالى : « **أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً** (٢) » بقطع (ام) عن (من)

(١) سورة طه : ٦٣ .

(٢) سورة النساء : ١٠٩ .

٥ رسم المصحف

للدلالة على أنه لا أحد لهم يوكل اليه أمرهم والدفاع عنهم ، وللتنبيه على أن (ام) هنا منقطعة بمعنى (بل) وكتبوا (أم) متصلة فى قوله تعالى : « أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (١) لأنها متصلة من حيث المعنى لوقوعها بعد همزة التسوية ، ولأن الذى يمشى سويا لم يقطعه الله تعالى . بل وصله بأوليائه وأحبابه .

٣ — ومن فوائده الايماء الى معنى بديع محجوب على أكثر العقول لا يكاد يهتدى اليه كزيادة الياء بعد الهمزة فى قوله تعالى : « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ (٢) » فان زيادتها هنا تفيد عظم قدرة الله تعالى وانقياد الأشياء له عز وجل . ولهذا السبب حذفوا الواو من قوله تعالى « ويدع الانسان ، ويمح الله الباطل ، يوم يدع الداع ، سندع الزبانية » قال أبو العباس المراكشى : فى كتابه — عنوان الدليل — والسر فى حذفها فى هذه الأربعة سرعة وقوع الفعل . وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل والمتأثر به فى الوجود .

٤ — ومن هذه الفوائد تعيين الحرف الذى قلب الى حرف غيره ، والتنبيه على التفخيم والتعظيم ، فقد زادوا الواو فى « الصلوات » وأصلها الواو فقلبت ألفا . وفى ذلك تفخيم شأنها — كالزكاة ، ومشكاة —

ومن هنا يتبين أن الأحرف التى اختلفت فيها المصاحف كلها صحيحة الخ .

٥ — ومنها الاشادة بلغة عربية فصيحة لتتخذ لها مكانا فى اللفظ القرآنى كغيرها من اللغات المعتبرة . ومثال ذلك كتابتهم هاء التأنيث تاء ممدودة ، فانها لغة طيء وحذف الياء من المضارع المرفوع فى قوله تعالى « يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ (٣) » ، « قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ (٤) » اعزازا للغة هذيل

٦ — ومنها مزيد العناية بضبط القرآن وتلقيه والرجوع فى كل شىء يتعلق به كأدائه وكتابته الى أهله المتقين الثقات ، المجمع على ورعهم وأمانتهم ودينهم وعلمهم . فان قداسة القرآن وحقه على أهله يحتم عليهم الا يستقلوا بأخذه دون معلم ثقة تلقاه عن ثقة . وهكذا الى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ليتصل آخر الأمة بأولها . وهذه الأسانيد الى غير ذلك من الفوائد الجمة .

هذا : وان أبا بكر الخليفة الأول رضى الله عنه جمع القرآن فى صحف . وان عثمان جمعه ونسخه فى مصاحف . والفرق بين الصحف والمصاحف فى الأصل أن الصحف جمع صحيفة — وهى القطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها .

أما المصحف فهو بزنة اسم المفعول من أصحفه أى جمع فيه الصحف ، فكان المصحف ملحوظ فى معناه اللغوى . دفتاه وهما جانباه ، أو جلداه اللذان يتخذان جامعا لأوراقه . ضابطا لصحفه ، حافظا لها .

---

(١) سورة الملك : ٢٢ .
(٢) سورة الذاريات : ٤٧ .
(٣) سورة هود : ١٠٥ .
(٤) سورة الكهف : ٦٤ .

ولا يلحظ هذا فى معنى الصحف ، وان كان يصح استعمال كلا اللفظين فى كلا المعنيين استعمالا متوسعا فيه . هذا فى أصل اللغة ، أما فى الاصطلاح فالمراد بالمصحف الأوراق المجردة التى جمع فيها القرآن فى عهد أبى بكر ، وكانت سورا مرتبة آياتها فقط كل سورة على حدة .

والمراد بالمصحف اصطلاحا الأوراق التى جمع فيها القرآن مع ترتيب آياته وسوره جميعا على الوجه الذى اجتمعت عليه الأئمة أيام عثمان رضى الله عنه . وقد أطلق بعضهم لفظ المصحف على صحف أبى بكر ، وتوجيهه لا يخفى .

وقد بقيت الصحف عند أبى بكر حتى حضرته الوفاة فدفعها الى عمر لأنه وصى له بالعهد . ولما مات عمر انتقلت الى ابنته أم المؤمنين حفصة بوصية من عمر . ثم طلبها عثمان ونسخ المصاحف منها وردها اليها . وبقيت عندها حتى توفيت رضى الله عنها .

وقد حضر جنازتها مروان والى المدينة وقتئذ ، ورغب الى أخيها عبد الله بن عمر أن يبعث اليه بالصحف . وكان مروان قد طلبها من السيدة حفصة من قبل ـ فأبت رضى الله عنها .

أخرج ابن أبى داود فى رواية أن مروان أحرق هذه الصحف ! وفى رواية أنه غسلها ، وفى رواية أنه شققها . ولا مانع من الجمع بين هذه الروايات الثلاث بأنه غسلها أولا ثم شققها ثانيا ثم أحرقها أخيرا . مبالغة فى التكريم والمحو . كما روى أنه قال : انما فعلت هذا لأنى خشيت ان طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب . أى يظن أن فيها ما يخالف المصاحف . فانها كانت صحفا منثورة لا تأخذ شكل المصاحف المجموعة المنظومة .

عدد المصاحف : اختلفوا فى عدد المصاحف التى استنسخها عثمان رضى الله عنه . فصوب ابن عاشر أنها ستة : المكى ، والشامى ، والبصرى ، والكوفى ، والمدنى العام . الذى سيره عثمان رضى الله عنه من محل نسخه الى مقره . والمدنى الخاص به الذى حبسه لنفسه . وهو المسمى بالامام .

وقال صاحب زاد القراء : لما جمع عثمان القرآن فى مصحف سماه الامام ـ ونسخ منه مصاحف فانفذ منها مصحفا الى مكة ، ومصحفا الى الكوفة ، ومصحفا الى البصرة ، ومصحفا الى الشام . وحبس مصحفا بالمدينة . وهذا القول كسابقه فى أنها ستة . وذهب السيوطى وابن حجر الى أنها خمسة . ولعلهما أرادا الخمسة ماعدا المصحف الامام فيكون الخلاف لفظيا بينه وبين سابقيه .

وقيل انها ثمانية بزيادة : المكى ، ومصحف البحرين ، ومصحف اليمن . وقيل ان عثمان رضى الله عنه أنفذ الى مصر مصحفا .

ولعل القول بأن عددها ستة هو أولى الأقوال بالقبول . والمفهوم على كل حال أن عثمان رضى الله عنه قد استنسخ عددا من المصاحف يفى بحاجة الأمة ، وجمع كلمتها ، واطفاء الفتنة . ولا يتعلق بتعيين العدد كبير

رســم المصحف

غرض فيختلفوا فى التعيين ما وسعتهم أدلة ذلك الاختلاف . والله تعالى أعلم بالحقيقة .

كيف انفذ عثمان المصاحف العثمانية

كان الاعتماد فى نقل القرآن — ولا يزال — على التلقى من صدور الرجال ثقة عن ثقة ، واماما عن امام ، الى النبى صلى الله عليه وسلم . لذلك اختار عثمان حفاظا يثق بهم .

وأوفدهم الى الأقطار الاسلامية . واعتبر هذه المصاحف أصولا ثوانى مبالغة فى الأمر وتوثيقا للقرآن ولجمع كلمة المسلمين ، فكان يرسل الى كل اقليم مصحفه مع من يوافق قراءته فى الأكثر الأغلب . وقد روى أن عثمان رضى الله عنه أمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدنى . وبعث عبد الله بن السائب مع المكى ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر ابن القيس مع البصرى . ثم نقل التابعون عن الصحابة فقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفهم تلقيا عن الصحابة الذين تلقوه من فم النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم تفرغ قوم للقراءة والأخذ والضبط حتى صاروا فى هذا الباب أئمة يرحل اليهم ويؤخذ عنهم . وأجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم واعتماد روايتهم . ومن هذا نسبت القراءة اليهم . واجتمعت الأمة — وهى معصومة من الخطأ فى اجماعها — على ما فى هذه المصاحف ، وعلى ترك ما خالفها من زيادة أو نقص وابدال لأنه لم يثبت عندهم ثبوتا متواترا أنه من القرآن .

ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب فى الفرقان (**وعتو عتوا كبيرا**) بغير ألف . وفى سبأ (**والذين سعو**) بغير ألف . وفى الحشر (**والذين تبوؤ الدار**) بواوين من غير ألف . وفى النبأ (**كنت ترابا**) بغير ألف . وفى القلم (بأييكم المفتون) بياءين . وفى آل عمران (أفاين مات) بالياء . وفى الأنبياء (افاين مت) بخميرياء وكتب (أناقلتم) ونحوه بالألف . (فادارءتم) ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف فى جميع المصاحف .

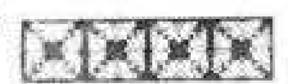
وكتب فى الحاقه لبيان الحركة (كتابيه ، وحسابيه ، وماليه ، وسلطانيه) وفى القارعة (ماهيه) باثبات الهاء . والهاء فى (لم يتسنه ، و «فبهداهم أقتده» لبيان الحركة أو لغيرذلك؟

وكتب فى سورة النساء (فمال هؤلاء القوم) وفى الكهف (مال هذا الكتاب) وفى الفرقان (مال هذا الرسول) وفى المعارج (فمال الذين كفروا) باللام مع ما مقطوعة عما بعدها .

وبعد فليس فيما نرى ونسمع ونحس ونجد — كتاب أحيط بالاجلال والتقديس كالقرآن الكريم . حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه (كتاب مكنون) وحكم بأنه لايمسه الا المطهرون وأقسم على ذلك اذ يقول (فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)

ابراهيم عطوة عوض





صلاح البطانة صلاح للرعية

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه . وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم الله » رواه البخاري

بطانة الرجل ووليجته : خصيصته وصفيه . شبه ببطانة الثوب كما يقال : فلان شعاري : أي متصل بي بمنزلة الشعر من الجسد .

وبطن يبطن من باب نصر ينصر بطنا وبطونا خفي : وبطنت هذا الأمر : عرفت باطنه : وبطنت بفلان . صرت من خواصه : وبطانة الثوب بالكسر ضد ظهارته . وبطانة الرجل أيضا : وليجته : وابطنه : جعله من خواصه وبطن (١) الثوب تبطينا : جعل له بطانة .

لما كان كل راع مسئولا عن رعيته ولايستطيع أن يقوم بأعبائها وحده جعل الله تعالى له من رعيته من يعاونه ويساعده وينفذ أقواله ويشرف على من يسند اليهم الأعمال من الرعية ويكون ناصحا له أمينا في قوله وفعله مرشدا لصاحبه الى طريق الخير حتى يحفظوه من الأخطاء ويصونوا الامة من عبث الرؤساء والأمراء .

وقد وضح الرسول : صلى الله عليه وسلم : ذلك بقوله : اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه، واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه : رواه ابو داود .

ومن هنا وجب على الراعي لعمل من الأعمال أن يختار البطانة الصالحة التي

(١) بالتشديد .



تساعده على قيادة مرءوسيه الى الحق والصواب وتحفظهم من كل سوء وتفتح لهم أبواب الخير وتنزل عليهم السكينة .

أما اذا اتبع الراعى هواه واتخذ بطانة السوء من المفسدين والمنافقين فانهم يفسدون عليه أعماله حيث يستولون على قلبه بمجاراته فى آرائه وتحسين رغباته وتزيين ماتسول له به نفسه فيوردونه موارد التهلكة ويكونون سببا فى سخط رعيته عليه فتسوء حالته فى الدنيا كما أن ذلك يجر عليه الوبال فى الآخرة .

لذلك نهى الله تعالى المؤمنين أن يتخذوا بطانة السوء بقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** » آل عمران » .

وقد قال ﷺ : اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه . ومن ولى من أمر أمتى فرفق بهم فارفق به . رواه مسلم .

وهذه البطانة السيئة التى استهواها الشيطان وغر قلبها حب الدنيا وتغلب عليها الطغيان لتعلم بان لها يوما يجعل الولدان شيبا **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً** : « الفرقان » .

لذلك كان الخلفاء رضى الله عنهم يختارون البطانة الصالحة التى تساعدهم على طاعة الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه والمسارعة لاسعاد الرعية وحفظها من الشرور والاثام وفتح باب الجنة لهم ومن هنا دعا أحد خلفاء العباسيين عالما صالحا ورعا لايخاف فى الله لومة لائم وطلب منه أن يقدم له نصيحة نافعة له فى دينه ودنياه فقال : يا أمير المؤمنين : لأن تصحب من يخوفك حتى تبلغ الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تبلغ الخوف :

ويقصد بذلك أن يحسن الامير أو الرئيس اختيار البطانة ومستشاريه المخلصين .

لأنهم سيحمونه ويحمون الأمة من أخطائه ويصلون به الى بر السلامة : فعن أبى يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله : صلى الله عليه وسلم : يقول : مامن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الاحرم الله عليه الجنة : متفق عليه .

وليجعل الأمراء والرؤساء والعلماء ماكتبه الامام الحسن البصرى رضى الله عنه الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .. نصب أعينهم حتى يسيروا على منواله ليصلوا بأنفسهم وأممهم الى شاطىء الأمان .
كتب اليه يقول :

اعلم يا أمير المؤمنين ان الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف . ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف .

والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على ابله الرفيق بها يرتاد لها أطيب المرعى • ويذودها عن مراتع الهلكة • ويحميها من السباع ، ويحميها من أذى البرد والحر • وهو كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويطعمهم كبارا يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته •

والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها •

ووضعته كرها • وربته طفلا • تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة ، وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته ، وهو كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده، وهو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر الى الله ويريهم ، وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وبدد ماله •

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها ، وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم ، واذكر يا أمير المؤمنين الموت ومابعده وقلة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر • واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك ويفارقك عنده أحباؤك • يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا فتزود له مايصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه•

واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر ما فى القبور وحصل مافى الصدور • فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها•

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لاتحكم فى عباد الله بحكم الجاهلية ولاتسلك بهم سبيل الظالمين • ولاتسلط المتكبرين على المستضعفين فانهم لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك • وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك • ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك • ولاتنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحى القيوم •

ودخل عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى على المنصور فقال له : اتق الله يا أمير المؤمنين فان ببابك نيرانا تأجج لايعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فقال له بعض الجالسين :

اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال عمرو :

ويلك ، أما كفاك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت أن تحول بينه وبين من ينصحه • اتق الله أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فأنت كالماسك

بالقرون وغيرك يحلب وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا ٠

ومن هنا صارت الرئاسة حسرة وندامة على صاحبها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله الا تستعملنى : فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه منها : رواه مسلم ٠

قال عوف بن مالك رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ٠ وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم: رواه مسلم ٠

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اذا كان أمراؤكم أشراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم موكولة الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها : رواه الترمذى ٠

وتعاليم الاسلام أصلح لهذا الزمان ، والنادر من يراها غير ذلك ٠

عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — أنّ النبى — ﷺ — قال : لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ، ألا ولاغادر أعظم غدرا من أمير عامة" رواه مسلم ٠

فليحذر الأولياء والعلماء غضب الله — سبحانه — وغضب رسوله — صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فلن يصلح حال هذه الامة الا بما صلح به أولها ٠

وعليهم الا يحتجبوا عن الرعية ، عن أبى مريم الأزدى — رضى الله عنه أنه قال لمعاوية ابن ابى سفيان — رضى الله عنهما : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول ٠

« من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » ٠

فجعل معاوية — رضى الله عنه — رجلا على حاجة الناس ٠

رواه ابو داود والترمذى ٠

د ٠ محمد محمود شعبان



أضواء على منهج تبليغ الدعوة

فى عهدها المدنى "الخاتمة"

للدكتور رءوف شلبى

ثالثا : الديبلوماسية

يقول الكاتبون فى تاريخ الديبلوماسية وأساليبها : ان عمليات السفراء وتنظيم العلاقات الدولية لم تأخذ حظها المنتظم الا فى القرن الخامس عشر الميلادى عندما استقر نظام الدولة فى أوربا ، ويذكرون ان اول حالة مسجلة لاقامة بعثة ديبلوماسية كانت عام ١٤٥٠ م عندما بعث (دون ميلان الى كوزمودى ميدتش سفيرا) وذلك فى حالة التنافس الذى وقع بين جنوه والبندقية فى التسابق التجارى بينهما نتيجة ذلك الصراع الذى وقعت فيه كل من اسبانيا وفرنسا ، وانجلترا وايطاليا فى ذلك الوقت .

وكان مفهوم الديبلوماسية فى ذلك الوقت عبارة عن : كتابة تقارير عن التطورات التى تحدث فى الدول ، وغالبا ما كانوا يتدخلون فى السياسة الداخلية عن طريق : تقديم المعونات المالية بقصد ارباك الدولة ماليا لتكون فريسة توجيه سياسى معين ، أو يؤيدون أحزاب .. المعارضة بقصد اثارة الشعب فى الجبهة الداخلية ، أو اقامة العقابيل أمام مصالح دول .. أخرى والغاية من كل هذا هو محاولة السيطرة على الدولة المعنية (٢) .

ولقد وقعت الخلافة الاسلامية فى تركيا فى هذا الفخ حيث در عليها الأجانب وبخاصة اليهود القروض حتى أغرقت فى الديون وظل اليهود بأساليبهم الخبيثة يساومون حتى انكشف أمرهم فى المطالبة بالهجرة الى فلسطين مقابل سداد ديون الخلافة ، وانشاء اسطول بحرى ولما لم يستجب السلطان عبد الحميد ــ رحمه الله ــ عملوا على اسقاط الخلافة على يد مصطفى أتاتورك (٣) .



(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤ .

(٢) راجع كتاب : أصول الديبلوماسية وأساليبها للسفير الهندى بانيكار .

(٣) راجع تاريخ القرن التاسع عشر : المسألة الشرقية .

لكن الدبلوماسية الاسلامية لا تأخذ هذا المفهوم : مفهوم الانتحار الاخلاقي من أجل كسب مصالح للدولة أو من أجل التأثير في سياسة دولة أخرى .

بل الدبلوماسية الاسلامية هي : محاولة التعامل بالحسنى واللطف لتبليغ دعوة الاسلام ومن أسلم من كبار رجال الدولة يبقى على ماهو عليه في سلطانه وملكه مادام يقيم شرع الله فان لم يقبل الاسلام دينا قبل الالتزام بسيادة الدولة الاسلامية على المسلمين لديه والا يؤذي المسلمين والا يعترض سبيل الدعوة ومظهر ذلك هو دفع الجزية .

والدبلوماسية الاسلامية منذ العصر القديم متكاملة في الشكل وفي المضمون ....

※ فمن حيث الشكل :

اتخذ النبي — صلى الله عليه وسلم — له خاتما يختم به الرسائل ، وقد عقد ابن سعد في الطبقات الكبرى فصلا خاصا عن خاتم سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من حيث شكله المادي ومن حيث النقوش التي التي كانت عليه ، ومن حيث ما صار اليه أمر هذا الخاتم الكريم (١)

※ كذلك كان ﷺ يبعث بالكتاب مع سفير مناسب للقوم الموجه اليهم الكتاب ومصداق هذا ما حكم به المقوقس عظيم القبط في مصر بعد أن جرى بينه وبين حاطب بن أبي بلتعة حوار تغلب فيه حاطب فقال المقوقس مقالته المشهورة :

أحسنت : أنت حكيم من عند حكيم (٢) .

بل لقد تعلم كل سفير لغة البلد التي سيسافر اليها .

قال ابن سعد : وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم (٣) .

كذلك من مظاهر الدبلوماسية المتعارف عليها حسن المظهر فالنبي ﷺ كان اذا جاءه وفد من الخارج لبس أحسن ثيابه وأجملها ، ففي الامتاع للمقريزي :

« وكان ﷺ اذا قدم الوفود لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك » (٤) .

※ أما من حيث المضمون :

فان من يقرأ كتب النبي ﷺ يجد أمرا عجبا ، ذلك أن مضمون كل كتاب يتفق مع النتيجة التي وقعت كأنما النبي ﷺ كان يبلغ الدعوة الى الملك أو الرئيس المعين وهو يقول له أنت ستكون مسلما أو كافرا . على نحو ما سنوضحه ان شاء الله .

ولقد اتخذت الدبلوماسية الاسلامية في المضمون ثلاث وسائل :

الأولى : الرسائل والسفارات .

الثانية : استقبال الوفود والبعوث .

الثالثة : الصلح والأمان .

لأن الغاية من الدبلوماسية الاسلامية هي تبليغ الدعوة وانتشار سيادة الدولة الاسلامية .

فالأولى : الرسائل مضمونها ونتائجها :

---

(١) راجع الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٧٢ . ٤٧٨ .

(٢) الحلبية ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ .

(٤) الامتاع ج ١ ص ٥٠٩ .

يمكن تقسيم الرسائل الى قسمين : ـ

* قسم خارج الجزيرة العربية .

* وقسم داخل الجزيرة العربية .

* أما القسم الخارج عن الجزيرة العربية فهي رسائل الدولة الاسلامية الى : قيصر الروم ، وكسرى فارس ، وعظيم القبط في مصر ، والنجاشي في الحبشة .

* فرسالة قيصر الروم حملها دحية الكلبي، وسفارة سيدنا دحية بن خليفة الكلبي تبرهن على عظمة النبي ﷺ في اختيار سفيره الذي يحمل شرف تبليغ كتابه فأدى السفير الرسالة دون أن يمارس تقاليد البلاط القيصري ودون أن يثير أزمة دبلوماسية فلا هو تعجرف ولا هو ركع اعتزازا منه بدينه وبنفسه من السقوط فوضع الكتاب على عتبة منبره الذي يجلس عليه لأن أحدا لن يحركه حتى يأخذه القيصر ثم دخل عليه دخولا عاديا ونجا سيدنا دحية من كارثة دبلوماسية .

ومحتوى الكتاب يدل على النتائج التي رجع بها سيدنا دحية فقيه :

من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم :

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ، فاني أدعوك بدعاية الاسلام : اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم الأريسين (١) .
وكان هرقل حذاء ينظر في النجوم من قبل ، وقد عرف مبعث النبي الخاتم وكتب الى عماله في الآفاق يبحثون له عن هذا الخبر ، وكان أبو سفيان في محلة القيصر تاجرا فدعاه وسأله عن خبر النبي العربي وفي نهاية الحديث قال : لو كنت عنده لغسلت عن قدمه .

ثم دعا قومه الى الاسلام فحاصوا حيصة حمر الوحش ، وتناخروا ورفعوا الصليب فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من اسلامهم وخافهم على نفسه وملكه فسكنهم ثم قال : انما قلت لكم لأختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم فقد رأيت منكم الذي أحب فسجدوا له (٢) فوقع عليه اثم الأريسين كما قال ﷺ في كتابه له .

* ورسالة كسرى فارس حملها عبد الله بن حذافة لأنه كان يتردد عليه كثيرا ، وكلتا الرسالتين تتنبأ بالنتيجة فرسالة كسرى تسجل أن عليه اثم شعبه اذا تولى وكفر ، بل فيها زيادة وهي الارهاص بذهاب ملكه في قوله : « ويحق القول على الكافرين » ، وآية ذلك : ان كسرى مزق الكتاب وأرسل الى عامله باليمن ليجرد جيشا الى المدينة المنورة لحرب الرسول ﷺ وقد فرق الله ملكه حسبما سجل ذلك في التاريخ فقد سلط الله عليه ولده شيرويه فقتله (٣) ولم تقم للكسروية قائمة بعده .

وأما القسم الداخلي في الجزيرة العربية فله كتب كثيرة يكفينا منها :

كتاب رسول الله ﷺ الى المنذر بن ساوى ملك البحرين فقد حمله العلاء بن الحضرمي،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٢٥٩ ـ الحلبية جـ ٣ ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٢) راجع الحلبيــة جـ ٣ ص ٢٤٢ـ٢٤٦ ـ الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٢٥٩ ـ البخاري كتاب بدء الوحي جـ ١ ص ٧ـ٨ .

(٣) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ١ ص ٢٦٠ ، السيرة الحلبية جـ ٣ ص ٢٤٧ .

ومحتواه : بسم الله الرحمن الرحيم سلم أنت فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد : من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول ، من أحب ذلك من المجوس فانه الآمن ومن أبى فان عليه الجزية .

فأسلم المنذر للتو ، ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم — بكتاب سياسى رائع يستشيره فى الاقليات التى عنده فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : يارسول الله فانى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبأرض مجوس ، ويهود فأحدث الى فى ذلك أمرك ؟ "

فكتب الرسول عليه الصلاة والسلام يقول له :

انه من يطع رسلى ويتبع امرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى ، وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا ، وانى شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية (١) .

* وكتاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك اليمامة هوذة بن على الحنفى حمله سليط بن عمرو العامرى ، ومحتواه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على : سلام على من اتبع الهدى، وأعلم أن دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم واجعل لك ما تحت يديك .

وسياق الأسلوب يفيد أن هوذة سوف لا يسلم لأنه مغرور بما عليه من الملك والرياسة .

يقول الكاتبون فى التاريخ الاسلامى : ان هوذة كتب فى رده على النبى عليه الصلاة والسلام : ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومى وخطيبهم ، والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر اتبعك .

فلما بلغ ذلك النبى ﷺ : لو سألنى قطعة (سياية) من الأرض ما فعلت باد ، وباد ما فى يده (١) ، ولم يلبث هوذة أن هلك عام الفتح ، وظلت اليمامة حتى كان أمرها فى عهد سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وهى صاحبة معركة القراء .

الثانية : الوفود والبعوث :

الديبلوماسية الاسلامية واسعة الصدر كثيرة الأساليب لأنها تعمل لصالح الاسلام وصالح البشرية على السواء ، فمن مهمة الديبلوماسية فى الاسلام أنها تسعى لعرض الاسلام على الملوك والرؤساء ، وأصحاب الوجاهة والنبل فى المجتمع من أجل أن تنقلهم من حياة السلطان البشرى الى السلطان الالهى ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا ورضوان الله فى الآخرة ، ولهذا فهى ترسل السفراء ، كما تستقبل البعوث والوفود التى تأتى لتسأل عن الاسلام رغبة فيه أو تعرفا عليه .

(١) راجع الحلبية جـ ٢ ص ٢٥٢ .

ولقد استقبل سيدنا رسول الله ﷺ وفودا كثيرة تربو على السبعين وفدا . وقد كانت السمة العامة عند استقبال الوفود هي :

* نزولهم في دار الضيافة وهي دار رملة بنت الحارث الأنصارية أو دار المغيرة بن شعبة وأحيانا يكون المسجد .

* تحديد موعد مسبق لاستقبال النبي ﷺ غالبا .

* توظيف مسئول لأداء المراسم وهو سيدنا بلال — رضي الله عنه وأحيانا يكون خالد بن سعيد بن العاص .

* تقديم الهدايا للوفود عادة دائمة .

وقد آثرت الدبلوماسية الاسلامية هذه فأسلم أكثر الوفود :

* فقد أسلم وفد فلسطين الذي جاء تحت رأس فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم على فلسطين وما حولها وأهدى هو الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بغلة بيضاء .

* كما أسلم وفد الأزد وعقد لرئيسه لواء الجهاد وهو صرد بن عبد الله فسار الى مدينة جرش فحاربهم ثم جاءوا والمدين الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلموا وحمى لهم رسول الله — عليه الصلاة والسلام — حول القرية للفرس والراحلة والمثيرة التى تحرث الأرض .

وهكذا نجد آثار الدبلوماسية في استقبال الوفود ، وأن أكثرية الوفود ، قد كرمت في الضيافة ، وأهديت بالعطايا ، وقابلت النبي — صلى الله عليه وسلم — وناقشوه ، وسمعوا منه وآمن من أراد الله له الهداية وشرح صدره ومن أخلد الى الأرض واتبع هواه ضل وغوى

هذا منهج ثابت في عملية التبليغ يجب احترامه .

ولم يبق علينا في العصر الحديث الا أن نتمثل — نحن المسلمين — هذا المنهاج في حياتنا بدل ذلك الذي صدع الأمة ، وفرق كلمتها وأسلم قيادها لأعدائها .

"انهم يختلفون باسم الاسلام ويظنون أنهم على شيء ولو كانوا صادقين لما اختلفوا ولا أولوا ولا فرقوا ، وكانوا عباد الله اخوانا .. !!

الثالثة : الصلح والأمان :

لم يكن السيف في الاسلام حجة اقناع لدخول الناس في دين الله ولا كانت العقيدة الصحيحة التي جاء بها الاسلام ترغب في أن ترفع السيف على رقبة أحد ، فقد علم الناس من قديم : ان كانوا أهل كتاب أو عرافة أن نبيا سوف يختم الله به رسالاته وأن مبعثه مكة المكرمة وأن مهاجره أرض ذات نخل .

وكانت هذه الدلائل شائعة في جميع مستويات الناس خارج الجزيرة العربية وداخلها والاسلام جاء ليكون له السيادة على الدين كله ؛ لأنه الوحي الصحيح المعصوم الخالد والاسلام لا يقبل أن يساق الناس سوقا الى الايمان فانه لا اكراه في الدين .

الدعوة الاسلامية تهدف الى أن يفسح السيف الاسلامي الطريق ، فيقضي — فقط — على من وقف عقبة في سبيل الدعوة فلا أراد أن يؤمن ولا أراد للناس ايمانا حتى يكون للناس حرية النظر في هذا الدين بعيدا عن

الجاذبية الادارية الحاكمة الطاغية أو العادات الجبرية المتحكمة ولهذا قبل من الذين رفضوا الدخول فى الاسلام الصلح وأعطاهم الأمان :

* لما طلب يهود تيماء الصلح صالحهم رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا على أموالهم .

* ولما جاء أكيدر بن عبد الملك وهو ملك من ملوك كندة وكان نصرانيا صالحه رسول الله ﷺ على الجزية وخلى سبيله وسبيل أخيه وكتب لهم أمانا ولم يعاملهم معاملة مجرمى حرب مع أنهم جاءوا مع خالد بن الوليد بعد معركة خسر فيها أكيدر .

هكذا كانت الدعوة الاسلامية فى العهد المدنى تستخدم أسلوب الموادعة والأمان والصلح طريقة لتفتح أبواب التفكير والتدبر والتفهم حتى يدخل الناس فى دين الله عن طواعية ورغبة .

واذا كان هذا هو أسلوب الدعوة فى العهد المدنى فانه منهج وليس أمرا عشوائيا ، فمن أغمض العين عنه فقد ضل طريق الأسوة الحسنة ، كما ضل المستشرقون جهلا وتعصبا فقالوا ان الاسلام قد انتشر بالسيف ولم يتفهموا هذا الجهد الكبير فى مصالحة من حمل السلاح وأغمد السيف ، ورمى الرمح ، واستعاذ من الفتنة وقبل الاسلام رغبة أو صالحه وأمنه ولم يقف فى طريق الدعوة .

وكم نحن بحاجة ماسة الى تفهم هذا النهج من الدبلوماسية الصالحة المفيدة .

رابعا : المعلمون والعمال (المتابعة)

المتابعة أمر مهم جدا فى عملية تبليغ الدعوة ولقد أسس سيدنا محمد ﷺ منهج التبليغ على قاعدة المتابعة وهى :

عبارة عن العناية بمن يدخل فى الاسلام أو من يرضخ لنظامه من الذين قبلوا الصلح والأمان .

فعملية المتابعة مهمتها استمرار التعهد بمن دخل فى الاسلام ليتعرف على تعاليم الدين وليواظب على ممارستها اذ المطلوب أن تنتظم تعاليم الاسلام جميع حركات المسلم فى حياته كلها .

كذلك فان الذين قبلوا الأمان والصلح لابد أن يكون عليهم مراقب يتعرف على مبلغ صدقهم فى « ميثاق » ، ودفعهم الجزية ، ويتعهد مطالبهم وحاجاتهم وحقوقهم حسبما نص العهد أو الأمان أو الميثاق ، وليتيح « الأمان » لمن شاء أن يسلم منهم أن يمارس عبادته على خير وجه وأحسنه .

فعملية المتابعة لها أهمية خاصة فى حماية الدعوة من جانب ، وحماية المجتمع من جانب آخر ، وتثبيت الايمان فى قلوب الذين دخلوا فيه حديثا ، ورعاية جانب الحق فى المستأمن وأهل الموادعة والصلح .

ولهذا فان رسول الله ﷺ كان يرسل المعلمين ليعلموا الناس القرآن وأصول الاسلام كما كان يرسل العاملين على الصدقات والخارجين للخراج ، من ذلك :

أ ـ انه ﷺ وهو مازال فى مكة المكرمة أرسل مصعب بن عمير ـ رضى الله عنه ـ الى أهل يثرب بعد المعاهدة الأولى ليعلم

الناس القرآن ويدعو الى الاسلام ، وحديث ذلك فى كتب السيرة مشهور ومعروف .

(ب) كذلك أرسل سيدنا رسول الله ﷺ عمرو بن حزم الى نجران يعلمهم شرائع الاسلام ويأخذ منهم الصدقات وكتب له رسول الله ﷺ كتابا ليحملهم على ما فيه وبين فيه الأحكام ، والزكوات ، ومقادير الديات (١)

(جـ) ولما فتح رسول الله ﷺ خيبر ساقى يهود على الشطر من الثمر والزرع ، وكان يزرع تحت النخل ، وكان يبعث عبد الله بن رواحة رضى الله عنه — يخرص (٢) عليهم النخل فلما استشهد عبد الله بن رواحة فى غزوة مؤتة كان يخرص عليهم أبو الهيثم بن التيهان وقيل جبار بن صخر وقيل فروة بن عمرو (٣) .

(د) ولما فرضت الصدقات بعث رسول الله ﷺ عماله يجمعون الصدقات :

— فأرسل بريد بن الحصيب بن عبد الله ابن الحارث الى أسلم وغفار .

— وأرسل عباد بن بشر الأشهلى الى مزينة وسليم .

— وأرسل عمرو بن العاص الى فزارة .

— وأرسل الضحاك بن سفيان بن عوف الى بنى كلاب . (٤)

وهكذا كانت متابعة النبى ﷺ الأقاليم التى دخلت فى دين الله من أجل الطمأنينة على اسلامها سلوكا أو الوفاء بما عاهدت عليه ان كان أصحابها من أهل الصلح والموادعة .

وهذه المتابعة هى التى جعلت سيدنا أبو بكر — رضى الله عنه يقوم بتأديب مانعى الزكاة ابقاء على الالتزام بتعاليم الاسلام كاملة ، وحرصا على استمرار سلطة الدولة على أقاليمها ورعيتها .

وان الذى أو هى الخلافة الاسلامية فى العصور الأخير انها لم تحترم المتابعة كمنهج اسلامى فى حماية الدعوة والدولة (٥) .

خامسا : القتال :

يستخدم القتال لعدة أهداف أو بواعث :

* فالقتال يستخدم للوقاية من هجوم متوقع يعده الخصوم مثلما حدث فى غزوة حنين حين اجتمعت هوازن وثقيف بعد فتح مكة وقالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزه قبل أن يغزونا فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النضرى .. فكان لابد من اجهاض هذه الجموع وقاية للدعوة وللدولة ولخير البشرية على السواء .

* والقتال يستخدم للدفاع عن العرض والدين والوطن كما حدث فى أحد والخندق حيث تجمعت قريش وسارت برجالها لتضرب الاسلام عن قوس واحدة .

* والقتال يستخدم لتأديب ناكثى العهد وناقضى المواثيق والخائنين للمعاهدات مثل

---

(١) الامتاع جـ ١ ص ٥٠١_٥٠٢ .

(٢) أى يقدر ما أخرجت النخل من ثمار .

(٣) الامتاع ١_٢٢٨ .

(٤) راجع السيرة لابن هشام ، وامتاع الاسماع للمقريزى ١_٤٢٢ .

(٥) ليس ذلك فقط ، فان الخلافة الاسلامية فى عهدها الاخيرة لم تراقب عمالها انفسهم ولا كبار موظفيها الذين ارتشوا فاكثروا ، واقاموا الارهاب حديدا ونارا فاوقدوا بذلك نعرة القوميات البغيضة وفتتوا كيان الخلافة .... مجلة الأزهر

ما حدث فى حرب بنى قينقاع ، وبنى النضير وبنى قريظة ، وفتح مكة .

* والحرب تستخدم لترفع العصابة السوداء عن أعين الذين يحبون الهداية ولكن أئمة الكفر تحجب الناس دون ذلك ومن هذه الحرب كانت عدة مواقع فتح الله بها للناس بابا فى دين الله بعد أن زهقت العقبات الكئود وهى رؤوس الكفر والضلال .

فلم يكن القتال لدافع سياسى ولا لنعرة وطنية ، ولا لمصلحة دولة أجنبية بل كان للهداية وقد حققت الحرب غرضها فدخل الناس فى دين الله بعد أن أزال القتال الرمد الذى كان يحجب رؤية البصيرة ، وفك العصابة السوداء التى كانت تحجب عن القلب نور الايمان .

سادسا : الاعلام والدعاية :

(ا) الاعلام هو : توصيل الحقائق الصادقة الى الناس ليتجنبوا شرورا سوف تصيبهم فى العاجل أو الآجل وليس هو كما قال العالم الألمانى أتوجروت .

« التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت » . ذلك لأن الاعلام ليس بذى هدف شهوانى فى النظرية الاسلامية بل ذو هدف انسانى .

لا يحنو هامته لعقلية الجماهير ، ولا يصد عنها ما كان خيرا لها فهو يأخذ بيدها الى طريق النجاة دون أن يخدعها أو يمارس تضليلها أو دفعها الى الشهوات ، وبهذا المنهج بلغ الدعوة وأثر فى حياة المسلمين فيما بعد :

ففى مرحلة تبليغ الدعوة استخدمت الدعوة الاعلام لتوصيل حقائق الدعوة الى الناس.

ففى مكة صعد النبى ﷺ على الصفا ونادى قريشا وقال لهم : « انى أنا النذير العريان ».

ولقد صدقوه فى أنهم لم يعهدوا عليه كذبا قط وارتكسوا فى نتيجة التصديق ، لكن موضوع الدعوة قد وصل اليهم وتفاعلوا معه.

وهذه ميزة فى الاعلام الاسلامى أنه يحاول أن يشرك المستمع فى الموضوع ، ويستجليه الرأى ويزيل الغشاوة التى على عينيه أو الشبهة التى تقسم له الحق بين الظن واليقين .

(ب) الدعاية هى : التأثير فى الأفراد والجماهير واستقطاب مشاعرهم وعقولهم نحو فكرة معينة وهى فى الاسلام محاولة ربط السلوك الانسانى بخصائص الاسلام عن طريق توضيح أسراره وشرح مميزاته (١).

وقد استخدم الاسلام هذه الدعاية فى عديد من أنماط العمل الاسلامى :

(ا) ففى ضيافة الوفود أظهر النبى ﷺ سماحة الاسلام وكرمه فترك بعض النصارى يؤدى صلاته وأجزل العطاء لكل واحد من أعضاء الوفود .

(ب) وفى عمرة القضاء أمر النبى ﷺ المعتمرين أن يضطبعوا وهم يطوفون حول الكعبة وقال :

(١) لم نفهم من فضيلة الكاتب ما اذا كان يقصر الدعاية فى الاسلام على هذه المحاولة فقط ؟ فما موقف الاسلام من الدعاية وميادينها فى العصر الحديث ، وبعضها شريف كريم والاسلام لكل زمان ومكان ؟!!

مجلة الأزهر

« رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » .

* كذلك استخدم العرض العسكري في يوم فتح مكة فرأى أبو سفيان كتائب الله تمر به وراحت كل قبيلة تصيح هاتفة عند مرورها .. وراح أبو سفيان ينظر طويلا :

ـ خالد بن الوليد في بني سليم : وهم ألف يحمل لواءهم عباس بن مرداس .

ـ والزبير بن العوام ومعه راية سوداء يزحف في خمسمائة .

ـ ومر أبو ذر الغفاري ومعه بنو غفار ثلثمائة .

ـ ثم جاء بنو ليث وهم مائتان وخمسون يحمل لواءهم الصعب بن جثامة .

ـ ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواءان واحد يحمله معقل بن سنان ، والآخر يحمله نعيم بن مسعود .

ـ ثم طلع رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء فرأى أبو سفيان سوادا وغبرة من سنابك الخيل لكثرتها ومر الناس حتى مر النبي ﷺ على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير ، ومعه المهاجرون والانصار ، فيها الرايات والالوية مع كل بطن من الانصار راية ولواء .. وكان في الكتيبة ألف دارع وسعد بن عبادة يحمل لواء رسول الله ﷺ .

يقول الكاتبون في السيرة ان أبا سفيان قال بعد أن شاهد هذا العرض الجليل للعباس رضي الله عنه : ما رأيت هذه الكتيبة قط ، ولا خبرتنيه مخبر ، ما لأحد به طاقة ولا يدان . لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .

ذلك هو التأثير الذى التصق بنفسية أبى سفيان أثر الدعاية التى زلزلت وجدانه . غير أن عبارته : لقد أصبح ملك بن أخيك مازال فيها نكهة الجاهلية لان النبوة شيء والملك شيء آخر والدولة الاسلامية شيء والدولة الجاهلية شيء آخر ، فصحح سيدنا العباس بن عبد المطلب منطق أبي سفيان ليتساوى مع الايمان السليم فقال : يا أبا سفيان ، ليس بملك ولكنه النبوة يقول الكاتبون في السيرة « فنعر » يعني صاح من خيشومه صياحا شديدا ، فقال له العباس : ويحك أدرك قومك قبل أن يدخل عليهم ، فخرج أبو سفيان حتى دخل مكة وهو يقول : من أغلق بابه فهو آمن .

حتى انتهى الى هند بنت عتبة فأخذت برأسه وقالت : ما وراءك ؟ قال : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد وقد جعل لي : من دخل داري فهو آمن ، فقالت له ، قبحك الله رسول قوم وجعل يصرخ بمكة يا معشر قريش : ويحكم انه قد جاءكم مالا قبل لكم به ... فأسلموا تسلموا وجعلت هند تقول : اقتلوا وافدكم هذا .. وهو يقول : ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم ، رأيت مالم تروا ، رأيت الرجال ، والكراع ، والسلاح فما لأحد بهذه طاقة .

فانظر أيها العاقل كيف استطاعت الدعاية الاسلامية القائمة على الحق والحقيقة أن تؤدى رسالتها داخل مجتمع الكفر دون سيف يرفع أو رمح يدفع .

فهل سيتعقل الشباب المعاصر ويدرك معنى تبليغ الدعوة ويتأسى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

او هل سيظل سادرا في هرطقات الجزئيات التريثيرها والاصطلاحات المصماة التى استرخى فكره لابتداعها ؟ لقد بلغت والله يشهد .

مكانة الأمن فى الإسلام

عن سلمة بن عبيد الله عن أبيه « وكانت له صحبه » قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

(من اصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا)

رواه الترمذى .

أولا : اللغة ١ ــ سربه بكسر السين : أى فى نفسه ، مستريح البال وبفتح السين : أى فى طريقه ومسلكه .

٢ ــ حيزت : أى جمعت .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث

١ ــ معنى الأمن .

٢ ــ مكانة الأمن فى الاسلام .

٣ ــ الأمن والأمان لابد له من أركان

٤ ــ الأمن نعمة تستحق الشكر .

البيان

١ ــ معنى الأمن :

هو أن يشعر الانسان بالطمأنينة القلبية ، والراحة النفسية ، وتتاح له السعادة والهدوء والاستقرار ، وأن يهىء له ذلك أن يتمتع بما حوله من خيرات .

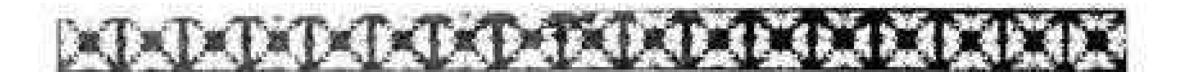
٢ ــ أركان الأمن فى الاسلام :

جاء الدين الاسلامى بالأمن والأمان ، وانتشر نوره السماوى فعم الأنام ، وشمل أقطار الدنيا ، بفضل مبادئه القويمة ، وتعاليمه السديدة .

ولكى يتحقق الأمن لكل انسان ، ويعم الأمان فى البلاد لابد للناس أن يكونوا على صلة بالله ، وتتوافر فيهم أركان الأمان ومن ذلك :

(ا) الايمان بالله : ففى ظل الايمان يعيش الانسان فى أمان ، فاذا انتفى الايمان أو ألبس الايمان بالشرك ، أو زاغت القلوب وضلت ، فلم تؤمن بآيات الله فان الخوف ينتابها ، والانقاء فى ايمانهم ، قال تعالى :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى



لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور ٥٥

(ب) الاستقامة والتقوى :

الايمان اذا صحبته الاستقامة والتقوى ، بلغ المسلم الذروة من الأمان وقيض الله له أسبابه ، قال تعالى « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ » (١) .

والأمن كما هو نعمة وطمأنينة فى الدنيا ، فهو من نعم الله فى الآخرة ، جعله الله جزاء عباده المتقين « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ » (٢) وهو الجنة ، آمنوا فيها من الموت ، والخروج من كل النوائب والأحزان ، واغراء الشيطان .

(ج) الرجوع الى كتاب الله ورسوله وأولى الأمر فيه :

وهكذا كل أمر صمام الأمن ، والأمان فيه ، ان ترده الى حكم الله ، وحكم رسوله ، والمتخصصين المخلصين لله ورسوله ، قال تعالى « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(٣) ويقول تعالى :

« وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » (٤) .

للشيخ محمد صابر البرديسى

فاذا لم تتوافر أركان الأمن ، راح الناس فى طغيانهم يعمهون ، فحل عليهم الخوف بما أحدثوا فاذا هم فى رعب اليم .

٣ ـ الأمن نعمة تستحق الشكر :

ونعم الله يجب أن تقابل بما تستحقه من الشكر لله والثناء على ذاته بما يليق بمجده ونعمه التى لا تعد ولا تحصى ، ومنها تلك النعمة العظمى التى لاقرار للانسان بدونها : نعمة الأمن المستتبعة لنعمة الرخاء وكان الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ يخلص الشكر لله تعالى ـ على ما قل من النعم فكيف بنعمه الكثيرة وشكره الله من أجلها ، قال تعالى : « شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ » (٥) .

وهذا من أدب النبوة التى ختمت بنبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحامد الشاكر ، وصدق اذ يقول :

« من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » .

(١) سورة فصلت : ٣٠ ، ٣٢ .
(٢) سورة الدخان : ٥١ .
(٣) سورة الأنبياء : ٧ .
(٤) سورة النساء : ٨٣ .
(٥) سورة النحل : ١٢١ .



النظرية الإسلامية
فى استعادة الهيبة والروح المعنوية
" الخاتمة "

فى الحلقة الأولى من هذا البحث تناولنا ثلاثة مبادىء من النظرية الاسلامية فى استعادة الهيبة والروح المعنوية وهى :

١ ـ تحديد الأهداف الاستراتيجية .
٢ ـ استيعاب دروس الهزيمة .
٣ ـ الوقاية من أساليب التدمير الذاتى .

المبدأ الرابع ـ اليقظة والحذر ومنع العدو من استغلال الموقف

لابد فى خلال الفترة الحرجة التى يجرى فيها اعادة بناء القوى المادية والمعنوية والاعداد للنصر فى معركة قادمة من اتخاذ أقصى درجات الحيطة واليقظة والحذر لمنع العدو من استغلال الموقف واستثمار ما أحرزه من نجاح فى المعركة اعتمادا على ما يتصوره من فتور الهمم والسلبية والانطواء .

ومهما كان هناك تركيز للجهود ـ فى الداخل ـ فى عملية اعادة البناء ، فان الشعار الذى يجب أن يبقى مرفوعا فى كل لحظة هو : « يد تبنى ، ويد تحمل السلاح » قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ » (النساء ٧١) كما قال جل شأنه : « وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً » (النساء ١٠٢) .

المبدأ الخامس : القضاء على محاولات تدمير المعنويات أو تفتيت وحدة الامة

ومن أهم الاهداف التى يتوخاها العدو المنتصر محاولة تدمير معنويات الامة وتفتيت وحدتها ، لذلك يوجه الاسلام الى التصدى لهذه المحاولات بقوة الايمان والوعى المستنير والعزم والتصميم ، تعرض المسلمون ـ بعد أحد ـ لمحاولات من هذا القبيل تعددت صورها وأشكالها ، وكانت هذه المحاولات امتحانا للمسلمين ، فاثبتوا أنهم بايمانهم أقوى من



المحاولات والأحداث التي واجهتهم ، وكانــوا مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :

« فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا » .

ونذكر فيما يلي بعض هذه المحاولات لنرى كيف واجهها النبي ﷺ وكيف واجهها المسلمون معه لنستخلص الدرس والعبرة :

(ا) قتل الدعاة :

حاول المشركون والمنافقــون أن ينالوا من المسلمين وأن يؤثروا على معنوياتهم لكيــلا يطمئنوا الى ارسال دعاتهم خارج المدينــة وبذلك يحصرون الدعوة في محيط ضيق لا يتسع لآمالها القريبة والبعيدة .

فقد قدم على رســول الله ﷺ رهط من عضل والقارة فقالوا : يا رسول الله ان فينــا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهــونا ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام ، فبعث معهم عشرة رهط وأمر عليهم عاصم ابن ثابت (وقيل مرثد بن أبي مرثد الغنوي) فخرجوا حتى اذا بلغوا الرجيع (مكان بين مكة والطائف) غدروا بهم فقتلوا منهم ستة (١) .

كذلك غدر ابن الطفيل من بني عامر مع بعض الاعراب بأربعين داعيا من دعاة الاسلام في

بقلم : لواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

بئر معونة بنجد وقضى عليهم الا رجلا عاد الى المدينة يحمل أخبار الشهداء .

وقد تحمل المسلمون هذه الأفعال الغادرة ، ولم يؤثر استشهاد الدعاة على معنوياتهم بــل استمروا على ارسال دعاتهم وخرجوا لأخــذ ثارات هؤلاء الدعاة حتى لا يعود المشركون الى الغدر بالمسلمين مرة أخرى (وسوف نوضــح ذلك فيما بعد) .

(ب) حديث الافك :

وحاول المنافقون التأثير على معنــويات المسلمين بأسلــوب آخر هو أسلــوب اختلاق الأكاذيب فاختلقوا حديث الافك بعــد غزوة بني المصطلق وكانت تلك الفرية ايذاء للرسول ﷺ ونفسه في أهله وكادت تقوم بسببها فتنة لولا حكمة الرسول وحسن مداخلته .

وقد بلغ من تأذيه صلوات الله وســلامه عليه بتلك الاكذوبة أن قام يوما في النــاس يخطبهم فقال أيها الناس : « ما بال رجــال



(١) قتلوا اربعة وباعوا اثنين لقريش في مكة فقتلتهما ومما يجدر ذكره ان قريشا قالت لزيد ابن الدثنة (أحد الاثنين) : يا زيد ، انشدك الله أتحب انك الان في اهلك وأن محمدا عندنا مكانك نضرب عنقه ؟ فقال : لا والله لا أحب أن محمدا يشاك في مكانه بشوكة تؤذيه واني جالس في اهلي . فقال ابو سفيان : والله ما رأيت من قوم قط أشد حبا لصاحبهم من أصحاب محمد له .

يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق والله ما علمت منهم الا خيرا ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيرا وما يدخل بيتا من بيوتي الا معي » .

وقد أنزل الله براءة عائشة فخرج النبي الى المسجد فالقى على المسلمين الآيات التي نزلت وأولها : « **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** » وقد نفذت عقوبة رمي المحصنات فيمن أفصحوا بالفاحشة تنفيذا لحكم القرآن : « **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** » (النور ٤) .

(جـ) فتنة عبد الله بن أبي بين المهاجرين والانصار :

في غزوة بني المصطلق كان لعمر بن الخطاب في الجيش أجير يقود فرسه فازدحم بعد انتهاء الموقعة مع أحد رجال الخزرج على الماء فاقتتلا فتصايحا : يقول الخزرجي : يا معشر الانصار، ويقول أجير عمر : يا معشر المهاجرين . وسمع عبد الله بن أبي النداء، وكان قد خرج مع المنافقين في هذه الغزوة ابتغاء الغنيمة ، فثار ما في نفسه على المهاجرين وعلى محمد ﷺ من حفيظة وقال لجلسائه : « لقد كاثرنا المهاجرون في ديارنا ، والله ما عدنا واياهم الا كما قال الأول : (سمن كلبك يأكلك) أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . ثم قال لمن حضر من قومه : « هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتولوا الى غير داركم » .

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ بعد فراغه من عدوه ، وكان عنده عمر بن الخطاب فهاج عمر لما سمع وقال : مر بلالا فليقتله ! ، هنا ظهر النبي ﷺ كدأبه مظهر القائد المحنك والحكيم البعيد النظر اذ التفت الى عمر وقال : « فكيف يا عمر اذا تحدث الناس وقالوا ان محمدا يقتل أصحابه ؟ .. لكنه عليه الصلاة والسلام قدر في نفس الوقت أنه ان لم يتخذ خطة حازمة فقد يستفحل الأمر ، لذلك أمر أن يؤذن في الناس بالرحيل في ساعة لم يكن يرتحل المسلمون فيها ، وترامى الى ابن أبي ما بلغ النبي عنه ، فأسرع الى حضرته ينفي ما نسب اليه ويحلف بالله ما قاله ولاتكلم به ، ولم يغير ذلك من قرار الرسول الرحيل شيئا ، بل انطلق بالناس طيلة يومهم حتى أمسوا ، وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا ، وصدر يومهم الثاني حتى آذنت الشمس ، فلما نزل الناس لم يلبثوا حين مست جنوبهم الارض أن وقعوا من فرط تعبهم نياما ، وأنسى التعب الناس حديث ابن أبي ، وعدوا

بعد ذلك الى المدينة ومعهم ما حملوا من غنائم بنى المصطلق وأسراهم .

المبدأ السادس - التحذير

من مهادنة العدو

ان المناخ النفسى العام بعد الهزيمة عادة ما يغرى أعداء الأمة من الداخل من الحاقدين والمنافقين وضعاف الايمان ومرضى القلوب واليائسين من ضعاف الارادة ودعاة الهزيمة بالسعى الى مهادنة العدو وموالاته ، كما ان العدو فى الوقت نفسه لا يفوت تلك الفرصة على نفسه ، بل يسعى بكل الوسائل لتغذية هذه الاتجاهات وتشجيعها .

ولقد حدث بعد عودة المسلمين من أحد أن دارت التساؤلات وتعددت الآراء وتصاعدت حول ما حدث فى أحد ، وكان المنافقون فى هذا الوقت من أنشط الناس فى الارجاف والتشكيك والتثبيط : مالنا ولصراع أهل مكة ؟ لماذا لا نتفق مع أبى سفيان ؟ وكان عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين هو المرشح - بطبيعة الحال - للتفاوض مع قريش ، فعلاقته بأبى سفيان طيبة ، وهو قد رفض خطة الرسول فى أحد ، ولم يحضر المعركة ، وماذا تريد قريش أكثر من أن تمشى الفيرم السود نفوس الصحابة وأن يكون فيهم سماعون للسوء ولأراجيف المنافقين ؟ وماذا يحدث لو بدأ مجتمع المدينة طريق المساومة ليتولى الأمر فيه أمثال عبد الله بن أبى اتصالا بالمشركين واتفق معهم على المدينة لا من أجلها ؟

هنا يأتى قول الله صريحا واضحا يحدد خط السير : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** » (١)

فليس وراء الاستماع لقول التردد والضعف الا السير على المنحدر الوعر الى مهادنة العدو ثم الخضوع له ولارادته ، لن يكون حالكم غير حال المغلوب مع الغالب ، وماذا يود أعداؤكم غير هزيمتكم نفسيا وعسكريا ؟ والله يبين أن فى هذا خسران الدنيا والآخرة :

الدنيا بالخضوع للعدو والحرمان من ثمرات الكفاح والنصر وعدم التمكين للعقيدة أو قيام الحياة على أمن عادل قوى .

وفى الآخرة ثواب الله للعاملين الصابرين المتقين ، فلا تفكروا - أيها المؤمنون - فى ولاية أبى سفيان وحزبه ، ولا ولاية عبد الله ابن أبى وشيعته ، ولا تصغوا لاغواء أعدائكم اذ يحدثونكم وسط الجراح والألم ، ويوسوسون فى صدوركم بعد النكسة ، ولكن استمدوا من ربكم عونا ترتفعون به فوق الألم واستعيدوا ثقتكم فى أنفسكم سيرا على طريق الكفاح . « **بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ** »

حكم الله فى موالاة الأعداء :

(١) سورة آل عمران .

ان الأعداء محاربون لله ورسوله ، وكل من والاهم انما هو محارب لله ورسوله لانه ينصر أعداء الله على أولياء الله ، فهو من الأعداء ومعهم ، انه بعمله ذلك محارب لله ومحارب لرسول الله وقد قال الله تعالى :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (المائدة ٣٣)

وقد أراد الاسلام أن يضمن سلامة الداخل وأن يقاوم ما استطاع أعداء الخارج ولو كانوا ينتسبون للاسلام فكان لابد من عقاب الردع لهؤلاء وأولئك يتمثل فيما يراه الحاكم الاسلامي مما ذكرته الاية الكريمة من القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي ، ولقد بين الله سبحانه لهؤلاء وأولئك أنهم خارجون على الاسلام وأن الايمان قد انتفى من قلوبهم يقول سبحانه :

« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (المجادلة ٢٢)

وكل من يوالي الأعداء اذن هو كائن انتفى من قلبه الايمان ، والموقف الاسلامي اذن هو أن يجد المحاربون لله ورسوله في المؤمنين غلظة ، بذلك يأمر الله تعالى فيقول : « وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً » (التوبة ١٢٣)

ولقد اتخذ المسلمون الأولون حكاما ورعية هذه المواقف الاسلامية بالنسبة للاعداء ، فها هوذا المؤمن الصادق عبد الله بن عبد الله ابن أبي يعرض على رسول الله ﷺ أن يأتي له برأس أبيه اذا شاء ﷺ فيقول : يارسول الله انه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرني وأنا أحمل اليك رأسه (١) .

وهذا هو الموقف الاسلامي الصحيح أن لا يوالي المسلم من يحارب المسلمين ولو كانوا آباء أو أبناء أو اخوة أو عشيرة ، والا فقد باء بغضب من الله والرسول واستحق العذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة .

---

(١) كان ذلك بعد موقف أبيه عبد الله بن أبي في غزوة بني المصطلق من محاولة الفتنة بين المهاجرين والانصار وما كان من قوله : اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد انزل الله تعالى سورة المنافقين في ذلك الشأن .

المبدأ السابع ــ المعركة مستمرة حتى النصر

من توجيهات الاسلام فى القتال أن المجاهد فى سبيل الله يضع نصب عينيه أحد أمرين : النصر أو الاستشهاد ، وأن الاستسلام للعدو أو الفرار أمامه جريمة لا تخطر على بال مؤمن، وأن المؤمن لا يغلب أبدا (أى لا يقهر) لأنه لا ينطبق عليه ما قد ينطبق على غيره وهو أن يكون فى المعركة (اما غالبا أو مغلوبا) فالله تعالى يقول :

« فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » (النساء ٧٤) ومعنى هذا أن المقاتل المجاهد « لا يكف عن قتال العدو » حتى يكتب له النصر، فاذا لم يتحقق « فالمعركة مستمرة » ما لم تزهق روحه ويقع سلاحه .

ولقد طبق الرسول القائد عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ بعد معركة أحد على أمثل وجه :

✱ ففى صبيحة اليوم التالى مباشرة لمعركة أحد ، أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه ممن حضروا المعركة بالخروج لمطاردة قريش حتى بلغ حمراء الأسد (١) كما ذكرنا فحقق بذلك العمل السريع استعادة الروح المعنوية وارادة القتال لدى المسلمين والتخفيف من وقع النكسة على نفوسهم .

✱ وفى خلال الفترة فيما بين أحد والخندق (٢) ــ وهى المعركة الحاسمة التى تمت فيها المواجهة ــ لا بين المسلمين والمشركين فحسب ، بل بين المسلمين وقريش والقبائل العربية المتحالفة معها واليهود ــ قام المسلمين بعدة عمليات عسكرية ذات طابع تعرضى (٣) (أى هجومى) للدفاع عن قاعدة الاسلام فى المدينة اذ كان النبى ﷺ لا ينتظر حتى يشن أعداؤه هجومهم على المدينة بل كان يبادر بالاغارة عليهم فور علمه بما عزموا عليه .

وتعتبر الروح الهجومية ــ فى مثل تلك الظروف التى أعقبت معركة أحد ــ « تعبيرا عمليا » عن الارادة القتالية الصلبة التى تستطيع أن ترتفع فوق الآلام والاحداث .ومن هذه العمليات العسكرية نذكر ما يلى :

١ ــ سرية أبى سلمة وقوامها مائة وخمسون راكبا وراجلا ، وقد بعثها الرسول ﷺ للقضاء على قبيلة بنى أسد بعد شهرين من أحد لمنعها من غزو المدينة .

٢ ــ دورية عبد الله بن أنيس لمنع الأعراب من غزو المدينة ، وقد قتل عبد الله بن أنيس

---

(١) موضع على ثمانية أميال من المدينة .

(٢) كانت غزوة أحد فى شوال عام ٣ هجرية، والخندق فى شوال عام ٥ هـ .

(٣) لا يصح أن نتصور أن الهجوم معناه العدوان ، وانما هو شكل من أشكال العمليات العسكرية تستلزمه ظروف المعركة حتى فى اطار الاستراتيجية الدفاعية .

خالد بن سفيان الهزلي الذي كان يحشد الأعراب للغزو ، فتفرقوا .

٣ ــ غزوة بني النضير بقيادة الرسول ﷺ للتخلص من يهود بني النضير لتآمرهم على اغتياله عليه الصلاة والسلام .

٤ ــ غزوة ذات الرقاع وقوامها أربعمائة راكب وراجل بقيادة الرسول ﷺ للقضاء على بني ثعلبة وبني محارب الذين احتشدوا للقيام بغزو المدينة وأخذ ثأر الشهداء من الدعاة المسلمين الذين غدر بهم المشركون في بئر معونة بنجد .

٥ ــ غزوة بدر الآخرة وقوامها ألف راكب وراجل بقيادة الرسول ﷺ بعد أن مضى عام كامل على يوم أحد لملاقاة قريش كما وعد أباسفيان حين سمع نداءه « وان موعدكم بدر للعام القابل » ، ولقد خرج المسلمون برغم أن العام كان عام جدب ، وكان أبو سفيان يود لو يؤجل اللقاء الى عام آخر فبعث رجلا الى المدينة يقول للمسلمين : ان قريشا جمعت جيشا لا قبل لجيش في العرب بمواجهته لتحاربهم به حتى تقضي عليهم قضاء لا يعد ما تم بأحد الى جانبه شيئا ، لكن الرسول ﷺ لم يكترث بهذا الوعيد وأصر على الخروج . وقد وصل المسلمون بدرا وانتظروا قريشا هناك ولكن المشركين الذين خرج بهم أبو سفيان من مكة ترددوا بين الاقدام والاحجام فآثروا السلامة وعادوا أدراجهم بعد أن قطعوا مسيرة مرحلتين منها .

وعاد المسلمون الى المدينة بعد أن طال انتظارهم للمشركين ثمانية أيام ببدر وقد محت غزوة بدر الآخرة كل أثر لمعركة احد داخل المدينة وخارجها على حد سواء ..

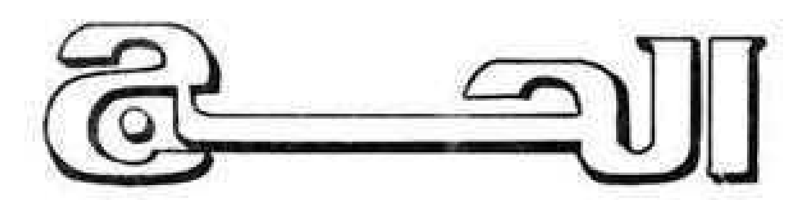
وهكذا كانت العمليات العسكرية التي دارت فيما بين غزوة احد والخندق تطبيقا لمبدأ « استمرار المعركة » حتى النصر ، اذ أن غزوة الخندق كانت معركة حاسمة انهزمت فيها الاحزاب التي تحالفت ضد المسلمين ، وكانت « نقطة تحول استراتيجية » في الصراع بين المسلمين واعدائهم ، فقد انتقل المسلمون بعدها نهائيا من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم . وهو ما عبر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انسحاب الاحزاب .

« الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير اليهم » (رواه البخاري) وانتقل زمام المبادأة الى يد المسلمين حتى تمت كلمة ربك في شبه الجزيرة العربية كلها .

وذلك من اروع التطبيقات العملية للاستراتيجية العسكرية الاسلامية ونظريتها في مواجهة الهزيمة وعبورها واتخاذها منطلقا نحو النصر .

(تم البحث)

محمد جمال الدين محفوظ



وذكر الله المتجدد "في أيام معلومات"

للدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

** من يتأمل حديث القرآن الكريم عن فريضة الحج ، وما يصحبها من شعائر ومناسك ، يلحظ أن هناك أمرا معينا ، يؤكد عليه تأكيدا واضحا أثناء أداء هذه الفريضة . ذلك الأمر هو ذكر الله سبحانه وتعالى ، والاعلان بأنه الاله المعبود الواحد الأحد ، وهو ذكر متجدد ساعة بعد ساعة ، ومكانا من بعد مكان في كل منسك من مناسك الحج ..

ومن هنا كان الحشود حين تحتشد من كل صوب وحدب ، ومن كل جنس ولون ، وحين تجتمع قلوبها وألسنتها في صعيد واحد ، لتعيش في ظل كلمة التوحيد ، ترددها في خشوع وخضوع ، فانها من خلال هذا الذكر المتجدد ، تجدد ايمانها وتجدد يقينها ، وتجدد في أنفسها هذه الروح الايمانية التي تجعلها تذوق حلاوة الايمان ، حلاوة أن تكون مؤمنة بالله واليوم الآخر ، ثم حلاوة الانضواء تحت راية أمة أراد الله تعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » آل عمران .

** وأول ما يلقانا عن الحج في السورة القرآنية التي سميت باسم « الحج » قول الله عز وجل : « وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ » . الحج ٢٦ — ٢٨ .



ففى صدر هذه الآيات بيان للغاية العظيمة من بناء البيت الحرام ، انها توحيد اللـه سبحانه وتعالى ، وعدم الاشراك فى عبادته « أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » .

وفى الآيات كذلك بيان للغاية من وراء الامر الالهى لسيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ بالأذان والنداء بالحج ، ان منها « وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ » .. ومما جاء فى تفسير الأيام المعلومات أنها الأيام العشر الأولى من شهر ذى الحجة . ولهذه الأيام فضل عظيم ، أشير اليه فى كثير من الاحاديث النبوية ، ومن ذلك قول النبى ـ ﷺ ـ « ما من أيام أعظم عند الله ، ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر ، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد » .. مسند الامام أحمد ٢/٧٥ .

❋ فاذا انتقلنا الى المناسك والشعائر ، فاننا نجد فى حديث القرآن الكريم وقفات عند بعض مراحلها ، يأتى فيها الامر بذكر اللـه تعالى ، ومن ذلك قول الله عز وجل : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ » . البقرة ١٩٨ .

والآية تشير الى مرحلة تالية للوقوف على عرفة ، وهى مرحلة المرور بالمزدلفة ، وهى التى أشير اليها بالمشعر الحرام ، والمراد بالذكر الاول هنا أداء صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير ، والملاحظ أن الصلاتين قد عبر عنهما بالذكر ففى الجو العام المتسم بالذكر ،أخذت الصلاة اسم الذكر ،وكأن هذه الكلمة ،هى اللغة الجديدة فى الجمع المحشود من كل مكان ، مع اختلاف الألسنة والالوان .. ثم يأتى بعد ذلك تكرار الامر بالذكر « وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ » انه ذكر الشكر لله تعالى على نعمة الهداية للايمان ، الذى بغيره يعيش الانسان فى ضلال مبين ، فلولا هذه الهداية ما كانوا فى هـذا المكان ، مجيبين نداء أبى الانبياء ابراهيم ـ عليه السلام ـ .

ومن هذه المراحل أيضا ، ما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى : « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » البقرة ١٩٩ .

انها المرحلة التالية للتوقف فى المزدلفة ، وهى التوجه الى منى لرمى الجمار ، كما جاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ، وقد جاء الامر فى هذه المرحلة بالاستغفار ، والاستغفار وجه من أوجه الذكر لله تعالى بعد قضاء العبادات ، كما جاء عن صلاة الجمعة « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . الجمعة ١٠ .

❋ ومن مواطن الامر بذكر الله تعالى ، ذكره بعد قضاء المناسك والفراغ منها ، فالانتهاء

من المناسك لا ينبغى أن يلهى الحاج عن ذكر ربه ، بل هو مطالب أن يلهج بذكر الله تعالى وأن يكون قلبه معلقا بذلك فى حب وشوق ، وحنين ، ففى ظل هذا التعلق الايمانى ، تتضح الموازين ، وتتضح الاهداف والغايات ، ولا يعيش الانسان أسير الغاية القريبة غاية الدنيا ، وانما يجعل نصب عينيه الغايتين معا : غاية الدنيا وغاية الآخرة ، وذلك هو ما تشير اليه هذه الآيات من آيات الامر بالذكر فى الحج « **فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** » . البقرة ٢٠٠ ــ ٢٠٢ .

* ويأتى بعد ذلك الأمر بذكر الله تعالى فى أيام التشريق . يقول تعالى « **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** » . البقرة ٢٠٣ .

ان الايام المعدودات هنا هى أيام « منى » الثلاثة بعد يوم النحر ، للحاج أن يكتفى منها بيومين ، أو يكمل الثلاثة ، وكل ذلك على شرط التقوى المصاحبة لذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الأيام ، فالتقوى هى السياج الذى يحوط المؤمن ، أو الذى ينبغى أن يحيط به نفسه حتى لا ينزلق فى شىء يخرجه عن دائرة المتمسكين بذكر الله عز وجل ، ويأتى التأكيد على شرط التقوى فى هذا الأمر الالهى بها فى ختام الآية « **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** » .

* ومن مواطن الذكر ذكر الله تعالى عند ذبح الذبائح فى الحج نسكا وهديا ، وهذا ما تشير اليه هذه الآيات « **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ** » . الحج ٣٦ ــ ٣٧ .

ففى الآيات أمر بذكر الله تعالى عند اعداد هذه البهائم وتهيئتها للذبح « **فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ** » . فذكر الله تعالى هو الذى يجعل فيها الخير أجرا ومنفعة وهو الذى يجعل النية خالصة لله تعالى ، وهو الذى يحدد مجال التقوى والتعظيم لله فى هذا الموطن من مواطن شعائر الله « **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ** » .

انه موطن يذكر الانسان بما سخره الله له فى هذا الكون ، لقد سخر الله للبشر ما فى السماوات وما فى الأرض ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، وانقياد هذه البهائم للانسان

لكى ينتفع بها هو نوع من التسخير الذى ينبغى أن يقابل بالحمد والثناء والشكر ، والشكر اذن على هذا النحو ، انما هو نوع من الذكر ، لانه ذكر للنعمة وموجدها ، وما يقتضيه ذلك من شعور بالعرفان والافتقار الى رب العالمين

« فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وفى مدارج الشكر يرتقى الانسان فى مشاعره وعواطفه درجات ، درجات يحس فيها طعم الهداية يسرى بين جوانحه ، وفى جوانبحنفسه فلا يملك الا أن يكبر الله تكبيرا حتى يبلغ منازل المحسنين الذين يستحقون أن ينالوا البشرى التى لا تحد بحدود ـ من رب العالمين « كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ » . وهكذا ينبغى أن يكون شأن من قصدوا بيت الله الحرام ، ينبغى أن يبلغوا فى عبادتهم درجة الاحسان وينبغى أن يكونوا جديرين بتسمية « المحسنين » .

* وإذا كان الحج اجابة لأمر الله سبحانه وتعالى بأداء هذه الفريضة ، فان هذه الاجابة يجب أن تكون تعظيما لحرمات الله تعالى ولشعائره ، يجب أن يتجاوز الحج الظواهر والاشكال الى ما وراءها من معنى الخضوع والامتثال لأمر الله عز وجل ، فذلك هو الاخلاص فى العبادة ، وهو معنى افراد الله تعالى وتنزيهه عن الشركاء ، وكل ذلك يخلق معنى الذكر الخالص لله تعالى فى كل منسك من مناسك الحج وهو الغاية الكبرى التى تشير اليها هذه الآيات البينات من قول الله تعالى :

« ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ » . الحج ٣٠ ـ ٣٢ .

ففى الآيات دعوة الى توحيد الله تعالى ، وعدم الاشراك به ، وفيها تصوير للهوة السحيقة التى ينحدر اليها أولئك الذين يشركون بالله ، ويرتضون لأنفسهم بديلا من أصنام البشر أو من طغاتهم ، ان هذه الهوة ما هى الا الضياع الذى لايقر له قرار ، أو هى المتاهة التى يجعلون أنفسهم فيها بأيديهم ، ويفقدون فيها الأمن الذى لايتذوقه الا المؤمنون المهتدون الذين لم يلبسوا ايمانهم بظلمات الشرك والالحاد .

* وفى آيات الحج تأتى الاشارة الى ـ أن الله تعالى قد جعل لكل أمة عيدا تذكر فيه اسم الله تعالى ، وهنا يأتى الأمر الالهى الواضح الصريح بما هو مطلوب من هذه الأمة ، أمة الاسلام ، التى لها ميزاتها وسماتها الخاصة ، ان المطلوب منها أن توحد الله توحيدا خالصا ، وأن تسلم لله رب العالمين .

وأن ترضى به حاكما فى طاعة وخضوع ، وهذا هو ماجاء فى قوله عز وجل « وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ • الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » الحج ٣٤ — ٣٥ •

ان صدر الآية يشير الى الأمر الجامع بين الأمم ، لكن التعقيب على هذا الأمر الجامع أمر له مغزى عظيم ، فيما يتصل بالأمة الاسلامية ، وبماهى مطالبة أن تعمل من أجله دائما وهو أن تكون كلمة الله هى العليا فى كل زمان وفى كل مكان « فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا » •

وان ذلك لن يكون مجرد شعار يرفع ، وانما يكون من خلال سلوك يؤتى ويمارس ، من خلال شعائر عملية لايبخل فيها بجهد النفس ، ولاطاقة الروح ، ولاقدرة المال «وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » •

وبعد • فهذا جانب من حديث القرآن الكريم عن الحج وذكر الله المتجدد فى أيام معلومات ومعدودات ، وهو حديث نذكره لنتذكر به فى هذه الايام ، التى نرى فيها كثيرا من شياطين البشر الذين يريدون أن يصرفوا المسلمين عن اسلامهم وقرآنهم بل وايمانهم بالله سبحانه وتعالى •

ان هذا الحشد من الأمر بذكر الله تعالى فى أيام الحج أمر ينبغى أن لانمر به مرور اللاهين أو العابثين •

ان ذكر الله تعالى ، ليس لفظا يتردد على اللسان ، ولاعبارة ترفع فوق شعار ، وانما هو استحضار كلى لجلال الله ولعظمة الله سبحانه وتعالى انه اقرار وايمان بالله وبرسوله وبكتابه المبين ، انه تذكير بأن الأمر لله من قبل ومن بعد ، وبأن منهج الله تعالى الذى ارتضاه لعباده هو المنهج الحق الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، تنزيل من حكيم حميد •

ان ذكر الله المتجدد تذكير لنا بأن نعتصم بالله ، وأن نلوذ به ، وأن نصد عن آذاننا صيحات الصائحين الناعقين ، الذين سول لهم شيطانهم ، فظنوا أنهم يستطيعون أن يقولوا فى كتاب الله قولا ، فيجعلون منه مايصلح لهذا الزمان وما لايصلح ، ولبئس ماظنوا وماقالوا •

ان المؤمنين الذين تمتلىء قلوبهم بذكر الله ، وتطمئن به عليهم أن يواجهوا أولئك المارقين — فى حسم بقول الله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا » الأنعام ١١٤ ، وبقول الله عز وجل « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » الزمر ٦٤ وبهذه المواجهة الصادقة تكون العاقبة للمؤمنين « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» الحج ٤٠ •

أ • د طه مصطفى أبو كريشة

ضوابط الشورى في الفقه الإسلامي (٢)

الخاتمة

انتهينا في المقال السابق الى أن للشورى في الاسلام ذاتية مستقلة ، تتواءم مع أحكام الشريعة وتلتقى معها ، وانها وان كانت تستهدف الوصول الى معرفة أقرب الآراء للحق ، فهى في سبيل ادراك تلك الغاية مقيدة بما حكم الله به ، فاذا كان الله قد حكم في أمر فلا مجال بعده للرأى ، ولا محل مع قوله للمشورة ، وتلك سمة هامة تتسم بها الشورى في الاسلام ، وتختلف فيها عن كل مايمكن ان يقاس بها في النظم الوضعية .

فالديمقراطية مثلا وان كانت وليدة رأى الكثرة، وثمرة لنضج الخبرة ، الا أنها لايمكن أن تكون أداة لتقرير أمر يقابل حكما قضى الله فيه اذ الاعتبار لحكم الله ولا معول على غيره، مهما ظهر من وجوه النفع فيه ، لأن النفع أيا كان مقداره لا يعتد به اذا خالف حكم الله، وسيكون هدرا ، والمصلحة الحقيقية هى التى تتفق مع شرع الله ولاتختلف معه ، فاذا اختلفت معه كانت هى الضرر بعينه مهما كانت قيمتها ، لأن متاع الدنيا بأسرها لا يمكن أن يعوض العبد والمجتمع الخسارة التى تحل به من جراء مخالفة أحكام الله ، والحق سبحانه يذكر المؤمنين دائما بهذا المعنى في قوله الكريم :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » (١) .

ومن ثم كان الخضوع لعمل العقل في تقدير المصلحة امرا غير مسلم به مالم يقم على أساس من هدى الشريعة فاذا لم يدرك العقل لاحكامها عله وجب عليه أن يقف موقف الاذعان لله والتسليم لحكمه ، كما رأينا أن الشورى

---

(١) سورة الاحزاب : ٣٦ .

تستهدف مع اختيار أقرب الآراء للحق تحقيق وحدة الصف فى الأمة وتأليف قلوب أبنائهـا على حب المصلحة العامة من خلال اشتراكهم بالرأى البناء ، فيما للرأى فيه مجـال •

والى هذا المعنى يشير قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (١) » وعلى ضوء هذين الهدفين للشورى يتحدد مجالهـا ومن خلال تحديد مجال الشورى فى الاسـلام ينبنى حدود الالتزام فيها ، وقد بينا أهـداف الشورى أولا ، ونثنى ببيان مجالها •

ثانيا : مجال الشورى فى الاسلام ••

ومما تقدم نرى أن مجال الشـورى فى الاسلام يتحدد بغير ماورد فيه نص ، فـاذا ورد نص عن الشارع سبحانه فمن الواجب شرعا أن يمتثل العبد ماجاء فيه ، فاذا لم يمتثل كان ذلك هجرا لأمر الله ، وبعدا عن طـريق المؤمنين يستوجب المهانة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ، قال تعالى : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى » (٢) •

وقال تعالى : « وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » (٣) •

ويتضح من هاتين الآيتين أن العمـل بمـا نزله الله واجب وأن العمل بخلاف ما جاء عن الله سبحانه يستوجب ما جاء فيهما من ذل فى الحياة وعذاب فى الممات ، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة •

نطاق الالتزام بالنص :

ونطاق الالتزام بالنص فى مجال الشورى يمتد ليشمل كل حكم يؤخذ من مصادر الشريعة الاسلامية الغراء ، ذلك أن طالب الحكـم فى

◄

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ •
(٢) سورة طه : ١٢٤ ، ١٢٦ •
(٣) سورة النساء : ١١٥ •

مسألة معينة عليه أن يتلمس ذلك الحكم من مصادر الفقه الاسلامي ، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن شريعة الله عامة وخالدة ، ومن مظاهر عموميتها أنها قد تكفلت بالحكم والتوصيف لكل سلوك يصدر من العبد مهما بلغ قدره وهي في هذا الصدد جديرة بحكم السلوك الانساني في حالتي السر والعلن ، لأن الذي شرع أحكامها هو الله الخالق سبحانه الذي خلق الانسان ويعلم ماتنطوي عليه نفسه قال تعالى : « وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ » (1) وقال تعالى : « يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » ، (2) وقد أرشد الحق سبحانه وتعالى عباده الى أن أى عمل يصدر من العبد مهما بلغ مقداره فان له عند الله حكما ، كما أن له في شرعه وصفا ، قال تعالى : « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »(3).

وعلى هذا النحو فان مصادر الشريعة تتناول المنقول والمعقول .

والمنقول هو الكتاب والسنة ، والاجماع ، والنقل بالنسبة للكتاب أمر معلوم لان الله قد وعد بحفظه وقد نقل الينا متواترا عن الله عز وجل لم يتغير ولن يتغير الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالعمل بما جاء فيه واجب وسنة الرسول ﷺ هي ما أثر عنه عليه الصلاة والسلام من أقواله وأفعاله وتقريراته . وقد قيض الله لها علماء أفذاذا أخلصوا لله غايتهم وردوا عنها كل دخيل،كما وضعوا معايير لفهمها، واستنباط حكم الله منها ، فصارت مع الكتاب هما أصل الشريعة ومصدر أحكامها وهما الأساس الذى يضبط تصرف العبد على نحو ما أراده الله ، ذلك هو معنى النقل في الكتاب والسنة ، أما وجهته في الاجماع ، فانه هو المصدر الثالث للأحكام وحقيقته تتمثل في اتفاق المجتهدين من أمة سيدنا محمد ﷺ في عصر من العصور على أمر من الامور ، فاذا ما تحقق على مسألة وجب اتباعه كالكتاب والسنة ، ومن ثم وجب على طالب الحكم الشرعي أو المجتهد في طلبه أن يتتبع المسألة التي تحقق الاجماع فيها ، وأن يعرف الحكم منها ، ومن ثم كان الاجماع بالنسبة له في حكم المنقول كالكتاب والسنة ، وقد قام فيهما الدليل على حجيته .

وأما المعقول فانه لا يعني اطلاق العنان لعمل العقل في الوصول الى الحكم ، وانما يقصد به ترشيد عمله في هذا المجال الخطير من خلال مقاييس محددة تنظم عمله ، وتضبط نشاطه ، بالقواعد الشرعية التي استقر معناها في نظر علماء الأصول ، وذلك كالقياس والمصالح المرسلة ، والاستحسان والعرف ، فهي مصادر عقلية ضبطها علماء الاصول لاستنباط الاحكام

---

(1) سورة النحل : 19 .
(2) سورة التغابن : 4 .
(3) سورة الزلزلة : 7 ، 8 .

الشرعية منها ، حين لا يمكن الوصول اليهـــا بالرجوع الى الكتاب أو السنة أو اســـتقراء المسائل التى تحقق الاجماع بالنسبة لها .

ومن المؤكد أن الرجوع الى مصادر الشريعة الاسلامية لاستقراء الاحكام الشرعية منها ، امر يتقدم علىما تسفر عنه الشورى اذا اختلفت معه ، سواء أكان هـذا الحكم مأخوذا مـن المصادر النقلية أم العقلية لها ، ولا يمكن أن يحتج فى مقابل حكم الله ، بأن ما أسفرت عنه الشورى يمثل رأى الأغلبية أو الكثرة ، لأن الكثرة لا يعتد بها فى مخالفة حكم الله كمـــا قلنا وقد قام الدليل على ذلك من الكتـــاب والسنة وعمل الصحابة وذلك على النحـــو الآتى :

١ ــ من القرآن الكريم :

(أ) يقول الله تعالى : « وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ » (١) ، ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الحق سبحانه يخبر عن حال أكثر أهل الأرض من بنى آدم ، وانـه هـو الضلال والبعـد عن طريق الله وهم فى هذا الضلال ليسوا على يقين من أمرهم وانما هم فى ظنون كاذبة وحسبان باطل (٢)، ولا يتصور وحال أمرهم على هذا النحو الذى أخبر عنه الله تعالى أن يتحقق من خـلاله اطمئنان على تحقيق مصلحة ، وما ذلك ، لمخالفة أمر الله وسيطرة الظنون الكاذبة عـلى ما يرونه ، من آراء تخالف أحكام الله ، ففى الآية الكريمة ما يرشد الى هذا المعنى .

(ب) ويقول الله تعـالى : « وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ » (٣)، ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم ، أن الحق سبحانه ، قد أمر نبيه ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ أن يحكم بين الناس بما أنزله الله عليه فى كتـابه ، وأن لا يتبـع آراءهم التى اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله عز وجل (٤) ، والخطاب الموجه للنبى ﷺ يسرى على أمته ، ومن ثم وجب أن يكون الحكم بينهم على نحو ما أمر الله به ، فاذا تعارض ما يرونه مع حكم الله كان ذلك هو الحكم بالنزوة وهوى النفس ، وشتان بين الأمـــرين ، وعلى هـــذا النحو فان الآية الكريمة تدل على وجوب العمل بحكم اللــه اذا مـا أسـفر رأى الكثرة على خلافه .

(١) سورة الانعام : ١١٦ .
(٢) راجع فى هذا المعنى : مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ص ٦١١ .
(٣) سورة المائدة : ٤٩ .
(٤) راجع : مختصر تفسير ابن كثير ــ جـ ١ ص ٥٢٤ .

٢ ـ ومن السنة المطهرة :

مارواه ابن هشام فى سيرته ، أن رسول الله ﷺ كان قد نزل منزلا فى غزوة بدر ، ورأى الحباب بن المنذر بن الجموح أنه ليس بمنزل، فقال للرسول ﷺ وهو يستشير أصحابه فى هذه الغزوة : يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ ، قال الرسول ﷺ : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » ، قال الحباب يا رسول الله : فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم .

فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرأى » ، وأمر بانفاذ رأيه (١) .

ويستفاد مما رواه ابن هشام ، ان الحباب ابن المنذر وهو بصدد ابداء رأيه فى المشورة ، قد سأل رسول الله ﷺ عن ما فعله ؛ هل هو من الوحى أم لا ؟ ، فدل ذلك على أن أمور الوحى لا مجال فيها لابداء الرأى ولا للمشورة، وقد صدر هذا القول فى حضرة النبى ﷺ، فدل ذلك على أنه من الأمور التى فهمها عنه أصحابه ، وفى هذا ما يدل على وجوب العمل بأحكام الله تعالى ، اذا اختلفت مع ما تسفر عنه الشورى .

٣ ـ ومن القياس والأثر :

ماروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، حين انتقل الرسول ﷺ الى جوار ربه وارتد من ارتد من العرب ، رأى عمر رضى الله عنه عدم قتالهم ما داموا لم يقترفوا سوى امتناعهم عن دفع الزكاة ، وشاركه ، فى رأيه كبار الصحابة كأبى عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبى حذيفة ، الذى كان حجة فى كتاب الله وكثيرون غيرهم ، وأبو بكر يأبى الا أن يحارب الذين منعوا الزكاة ، ويقول : « ان الزكاة حق المال ، وفيها نحارب بالحق ، فما كان من عمر الا أن رأى ما شرح الله به صدر أبى بكر » (٢) .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة قال : « لما توفى رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب ، قال عمر لأبى بكر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله » .

فقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ ، لقاتلتهم على منعه .

فقال : عمر فو الله ما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » (٣) ووجه الدلالة فى هذا الاثر ، أن

---

(١) السيرة النبوية ـ لابن هشام ج ٢ ص ٢٥٣
(٢) راجع فى هذا المعنى : عبقرية عمر ـ ص ١٥٤ الطبعة الرابعة .
(٣) صحيح البخارى ج ٩ ص ١٠٢ ـ الطبعة الميمنية سنة ١٣٢٢ هـ ، ونيل الأوطار للشوكانى ـ ج ٤ ـ ص ١٣٤ الطبعة الأخيرة .

أبا بكر قد أمضى رأيه فى قتال المرتدين رغم مخالفة ذلك لما أشار به كبار الصحابة ، استنادا الى قيام رأيه على مصدر التشريعة وهو القياس؛ حيث قاس ترك الزكاة على ترك الصلاة ، وأعطى حكم الثانية للاولى ، وقد قال الله تعالى: « فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ » (١) .

ومن ضروب الاعتبار الحاق النظير بنظيره والشبيه بشبيهه فى الحكم ، وقد فعل هذا أبو بكر ، وأمضى رأيه بناء على تلك القاعدة ، وقد أدرك الصحابة قوة رأيه ، فيما بعد،وآمنوا بصحة أسانه واشتركوا معه فى التنفيذ بعد اقتناع به .

وفى ذلك الأثر ما يدل،على وجوب العمل،بحكم الله فى مقابل رأى الجماعة اذا رأت خلافه ، حتى ولو كان طريق استنباط هذا الحكم من المعقول وهو القياس .

ونخلص من هذه الدراسة الى أن مجال الشورى مقيد بما حكم الله به ، ويخرج من نطاقه الاحكام التى يمكن تلمس حكم الله فيها بالحل أو الحرمة ، أو الجواز وعدمه ، فاذا ما أمكننا الوصول الى حكم الله فمن الواجب أن يعمل به ، سواء كان مصدر هذا الحكم نصا فى الكتاب أم السنة ، وسواء كان ثابتا بالمنقول أم المعقول على نحو ما استبان لنا .

وفى هذا المعنى يقرر الشيخ محمد أبو زهرة: أن القرآن قد جعل الشورى أصلا عاما لكل شئون المسلمين فيما لا يرد فيه نص(٢) ، ويكون ما ذهب اليه البعض من أن الاسلام يحث على الشورى فى مهام الأمور على الاطلاق (٣) ، قولا يحتاج الى تمهيد يبين حدوده على نحو ما سلف .

المسائل التى تخضع للشورى

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول أن المسائل التى تخضع للشورى فى الفقه الاسلامى هى التى يكون للرأى فيها مجال وهى متعددة وكثيرة منها مثلا .

اختيار الامام ومن يتولون القيام بالمصالح العامة معه ، ومنها أساليب تدبير مصالح الناس بما يستتبع التوسعة عليهم فى العمل وزيادة الانتاج عن طريق التوسع الصناعى والزراعى والانتاجى ، ومنها أخذ رأى العلماء والمتخصصين فى انجاز المهام التى تحتاج الى علم وخبرة وتخصص كالطب والهندسة وغيرهما .

وعلى هذا النحو يمكن تأصيل تلك المسائل وارجاعها الى معيار يصدق عليها ، وهو مايكون الرأى فيها مجال ، وصدق الله اذ يقول : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » ، هذا بالنسبة لمجال الشورى ، أما مدى الزامها والعمل بما تسفر عنه ، فاننا سوف نقوم ببيانه فى مقالنا القادم باذن الله ، والله الموفق والمعين .

دكتور/عبد الله مبروك النجار

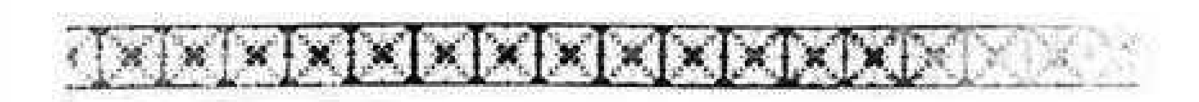
---

(١) سورة الحشر : ٢ .

(٢) أبو زهرة : المذاهب الاسلامية ص ٣٧ ولعل مراده نص على الحكم فيشمل المنقول والمعقول .

(٣) دكتور على عبد الواحد وافى ـ الحرية فى الاسلام ـ عدد اقرأ ص ١٠٧ دار المعارف ١٩٦٨ .

(٤) سبق تخريج الآية .



لا يا سيادة السفير في القرآن الكريم

ما يفرض الحجاب على المسلمات

من جديد عاد السيد السفير حسين احمد امين ليكرر دعواه بأنه لا توجد آية في القرآن الكريم تفرض الحجاب على المسلمات .. وانه ليس للحجاب اية علاقة بالاسلام ..وان الحجاب لم يفرض الا على زوجات الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه .

واني لأعجب من تلك الأفكار التي يطالعنا بها سيادته : بأنه لا توجد آية في القرآن الكريم تفرض الحجاب على المسلمات .. بأنه قد أهدانا الدليل على بطلان دعواه ، وذلك بما ساقه بنفسه في مقدمة مقاله الثاني عن الحجاب ، والذي سبق أن نشرته جريدة « الأهالي » .. حيث سجل المعنى اللغوي لكلمة « حجاب » في « لسان العرب » ، بأن معناها : الستر والحائل بين الشيئين ،

وسيادته ــ بلاشك ــ في استعراضه للمعنى اللغوي لكلمة : « حجاب » . واستنتاجه : بأن القرآن لم يفرض الحجاب .. « يعتبر متناقضا مع نفسه » والمعنى اللغوي حجة عليه وليس دليلا له ، وآيتا الحجاب في كتاب الله تعلنان عن أنفسهما في وضوح وجلاء .. أعني بهما :

الآية ٣١ من سورة النور : « وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ » ــ أي فتحة العنق والصدر من الثياب ــ الى ان قال سبحانه : « ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ .. »

والآية ٥٩ من سورة الأحزاب : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ... »

ولئن كان الأمر يحتاج الى تبيان أكثر لدعوة هاتين الآيتين الى الحجاب وفرضه على المسلمات ، فاننا نسأل سيادته : مادمت لديك قناعة بأن الحجاب معناه : الستر ، والحائل بين

الشيئين .. أفلا ترى فى غض البصر سترا وحائلا دون الوصول الى التشهى الذى يقود الى الفاحشة ؟؟ ثم أترى حفظ الفرج يمكن أن يتم دون ستره والحيلولة دون رؤيته ؟؟ ثم ألا ترى فى ضرب الخمار على الجيوب — سترا وحائلا دون الكشف عن مواطن الفتنة ؟؟

ثم الا ترى أن النهى عن ابداء الزينة سترا وحائلا دون اثارة الغريزة ؟؟ ثم الا ترى فى النهى عن الضرب بالأرجل — خشية أن تنكشف السيقان وتظهر الملابس الداخلية — سترا وحائلا دون ابداء ما يوقظ الشهوة ؟؟ ثم الا ترى فى أمر الله لنبيه بأن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين ليدنين عليهن من جلابيبهن سترا يعرفن به ويميزن فيحول ذلك دون ايذائهن بالمناكفة أو التحدى ؟؟ أليس فى ذلك كله ما يقنع سيادتك — وقد عرفت الحجاب بالستر بأن القرآن قد فرض الحجاب ؟؟

انك فى بحثك بين الآيات عن كلمة حجاب بلفظها كشرط لاقرارك بأن القرآن قد فرض الحجاب ؟ انما تضع نفسك فى دائرة من ينكر ضوء الشمس من رمد ، أوينكر طعم الماء من سقم .. ولا أحب لك أن تكون كذلك !!

ثم ان ما ذكرته من أن الفرس قد عرفوا الحجاب قبل الاسلام بألف عام أو أكثر .. فأنا معك فى ذلك ، بل انى اذكر سيادتك بما سقته فى مقال سابق من نصوص وردت فى العهد القديم والعهد الجديد تتحدث عن « النقاب » و « البرقع » وتحث النساء عليهما .. غير أنى لست معك فى ان هذا يمكن أن يصلح دليلا على انه لا علاقة للاسلام بالحجاب .. فشرع من قبلنا شرع لنا الا اذا وجد فى شرعنا ما يخالفه .. والاسلام أقر كل عرف يحيى فضيلة ، أو يدفع رذيلة .. ورسولنا الأعظم ، ونبينا الأكرم — صلوات ربى وسلامه عليه — ضرب لنا فى حديث شريف ، مثله ومثل الأنبياء من قبله ، كمثل رجل بنى دارا ، فحسنها وجملها الا موضع لبنة فى زاوية من زواياها .. فجعل الناس يطوفون حولها ، ويعجبون لها ، ويقولون! هلا وضعت تلك اللبنة ثم قال : « فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

للشيخ مهدى عبد الحميد

وصدق ربنا العظيم : « شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ... »

بل انى على علم بأن الحجاب كان معروفا قبل الفرس بين العبرانيين من عهد سيدنا ابراهيم — عليه السلام — وظل معروفا بينهم أيام انبيائهم جميعا الى ما بعد ظهور النصرانية .

سيادة السفير . وياكل القراء .

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ « فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .

مهدى عبد الحميد

الأعياد في الإسلام

الأعياد : ظاهرة اجتماعية بشريـة ، وهي فرصة متاحة : تعبر فيها الجماعات عن سرورها بحادث من الحوادث السعيدة : كالتوفيق الى اتمام شعيرة دينية ، أو انتصار على عدو .
والأعياد في كثير من الأمم والشعوب : مجال خصب للهو المشين ، والعبث المريب ، فمظاهر الفرح : فيها تداع الى الشراب ، والى الندوات الماجنة : التي تستنزف العقول والأمـوال ، لذا كانت الاعياد في كل أمـة : مظهرا مـن المظاهر التي تعبر عن شخصيتها .

والاسلام : وهو دين الانسانية بأسرها ، والحريص على خيرها واسعادها : أقر فكرة الأعياد كظاهرة اجتماعية ، فجعل للمسلمين : عيدين اثنين ، ابتهاجا بالنعمـة ، واظهـارا للفرحة : فهما أشـبه بواحتين جميلتين ، في صحراء الحياة : يجد فيهما المسلم : من الظل والنعيم ، والمتعة الحلال : ما يملاه : نشاطا وبهجة .

ان النبي ﷺ : لم يرض أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها في الجاهلية قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيـدين مرتبطين بعبادتين عظيمتين : مـن أهم العبـادات في لاسلام وهما :

١ ــ عيد الفطر : بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، في شهر رمضان المعظم ، حيث يفرحون بفطرهم ، وعبادتهم لله عـز وجل .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « للصائم فرحتان يفرحهما، اذا أفطر : فرح بفطره ، واذا لقي ربه : فرح بصومه »(١) .

٢ ــ وعيد الأضحى : بعد أن يؤدي حجاج بيت الله الحرام : أهم ركن في عبادة الحج : وهو الوقوف بعرفة ، حيث يفرحون ويفـرح أهلوهم : بما أدوا من عبادة : في أطهر بقعـة وأقدسها .

عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومـان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذان اليومـان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما : في الجاهلية ، فقـال ﷺ : ابدلكم الله بهما خيرا منهما : يـوم الأضحى ، ويوم الفطر » (٢) .

وبهذين العيدين المباركين : توحدت أعياد العرب ، وأعيـاد المسلمين عـامة ، وقضى الاسلام على تلك الأعياد المتكاثرة : المتفرقة في البلدان ، والقبائل ، والتي كانت مجالا للعبث والفجور .

وفي هذين العيدين المجيـدين : يلتقي في الاسلام : الدين بالدنيا : في كل مظهر مـن مظاهر الحياة ،

فالعيد : ساعة من ساعات الدهر النادرة : التي يسود فيها الصفح ، ويسود فيهـا العفو ، وتسود فيها المحبة ، وتطيب فيهـا

---

(١) رواه البخاري .

(٢) أخرجه أبو داود



فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

النفوس ، تتفتح من القلب فيها : نوافذ تظل أكثر العام مغلقة ، وفى فتحها للقلب التهوى ، وفتحها يخرج ما تجمع فيه على مر الزمن : من حقد واحن ، وغل وعفن .

حقا : ان العيد : ربيع حياة الانسان ، كما أن للأرض ربيعا تزخر فيه بأنواع النبات : وربيع الحياة الانسانية : هو هذه الفسحة الالهية وتحقيق ما تتطلبه الأمة من أسباب الكمال .

ان عيد الفطر : حفل ربانى أقيم بين السماء والأرض ، تشترك فيه الملائكة من الملا الأعلى، والطائعون من عباد الرحمن .. وفى هذا الحفل الذى يقام يوم العيد : يقدم الصائمون محصول عبادتهم : خلال شهر رمضان ، ويقدم الله لهم أثناءه : جائزة التوفيق فى عطهم ، فالأفراح فى الأرض ، والأفراح فى السماء .. وفى عيد الأضحى : يلتقى المسلمون على مائدة الرحمن عز وجل ، فهو لذلك يوم أكل وشرب ، وتمتع بالطيبات التى أحلها الله، وفيه يحتفل المسلمون ، ابتهاجا بتوفيقهم الى أداء فريضة الحج ، وتحقيق آمالهم فى زيارة البيت المعظم ، ولثم الحجر الأكرم ، والحظوة بالشراب من ماء زمزم ، ويشترك سائر المسلمين مع الحجاج فى الاحتفال بهذه المناسبة ، ويقوم القادرون منهم : بنحر أضاحيهم ، تقربا الى الله تعالى .. عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « ما عمل آدمى من عمل يوم النحر : أحب الى الله من اهراق الدم ، وانه لتأتى يوم القيامة : بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وان الدم ليقع من الله بمكان ، قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا » (١) .

ويندب احياء ليلتى العيدين : بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار ، كما يستحب كثرة البذل والعطاء للمحتاجين والفقراء والبائسين .

اما وقت التكبير : فيبتدىء من رؤية هلال شوال ، حتى يغدو الناس الى المصلى ، ويصعد الامام على المنبر ، لقول الله تعالى : « **وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** » (٢) ..

أما فى الأضحى : فوقته من فجر عرفة ، ويمتد الى العصر من آخر أيام التشريق ، لقوله تعالى : « **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ** » (٣) .

ويستحب التكبير فى كل وقت من هذه الأيام ، سواء كان قبل الصلاة ، أو بعدها ، أو فى الطريق العام ، أو فى المجالس الخاصة .. وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكبر فى قبته بمنى ، فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ، ويكبر أهل السوق ، حتى ترتج منى : بالتكبير ..

وكان عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنه ـ يكبر : بمنى تلك الأيام ، وخلف الصلوات ،

(١) رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم .
(٢) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٣) سورة البقرة : ٢٠٣ .

الأعياد فى الإسلام

وعلى فراشه فى فسطاطه ، ومجلسه وممشاه .. لأن التكبير هو شعار هذه الأيام ، ورمز بهجتها وجمالها ، وما أروع أن تملأ الكون كله : بتكبير الله عز وجل ..

وصيغته يعرفها المسلمون جميعا : وهى كما وردت عن عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما : الله أكبر — الله أكبر .. لا اله الا الله .. والله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد » ..

ولا بأس بالزيادة على هذه الصيغة بما يردده المسلمون اليوم ، فتهتز بها : رحبات المساجد ، وجنبات الحياة ، ويخفق قلب الوجود ، ويخشع الكون كله ، اجلالا لله تبارك وتعالى ..

ويستحب الغسل والطيب ولبس أجمل الثياب : روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده : « أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان يلبس برد حبرة فى كل عيد » حبرة من برود اليمن ..

كما يسن الأكل : يوم الفطر ، قبل الخروج الى الصلاة : بأن يأكل تمرات وترا ، وتأخير ذلك فى عيد الأضحى ، حتى يرجع من المصلى ، فيأكل من أضحيته ، عن أنس رضى الله عنه قال : « كان النبى — صلى الله عليه وسلم : لا يغدو يوم الفطر ، حتى يأكل تمرات ، ويأكلهن وترا »)(١) ..

وعن بريدة رضى الله عنه قال : « كان النبى — صلى الله عليه وسلم — : لا يغدو يوم الفطر ، حتى يأكل ، ولا يأكل يوم الأضحى ، حتى يرجع » (٢) .. زاد أحمد : « فيأكل من أضحيته » .. وعن سعيد بن المسيب : « أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل ، قبل الغدو يوم الفطر » .. (٣) ..

ويسن أداء صلاة العيدين فى الصحراء ، أو فى مكان فضاء ، ما لم يكن هناك عذر كمطر ونحوه ، لأن الرسول — صلى الله عليه وسلم : كان يصلى العيدين فى المصلى .. موضع بباب المدينة الشرقى .. وذلك خلافا للشافعية ، فانهم قالوا : ان أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، الا لعذر كضيقه ، فيكره الزحام فيه ، وحينئذ : فسن فى الصحراء ..

ويندب أن يخرج الى المصلى : ماشيا ان أمكن ..

واللعب المباح ، واللهو البرىء والغناء الحسن : فى يومى العيدين : رياضة للبدن ، وترويح للنفس لا حرج فيه .. عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى يوم عيد : فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر اليهم من فوق عاتقه ، حتى شبعت ، ثم انصرفت » (١) .. وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وعندى جاريتان : تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش ، وحول وجهه ، ودخل أبو بكر ، فانتهرنى ، وقال : مزمارة الشيطان عند النبى

---

(١) رواه أحمد والبخارى .
(٢) رواه الترمذى وابن ماجه

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ .
(١) سورة البقرة : ٢٣٦ .

ــ صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ، فقال : دعهما فلما غفل : غمزتهما فخرجتا » (٣)
واذا كان الاسلام : قد رخص في شيء من اللهو البريء في الأعياد ، استمتاعا بما فيه من لذة لا تخدش دين المسلم ولا حياءه ..
فقد ندب الى البر المادي ، لتكامل مظاهر التكافل الاجتماعي فيها : ماديا وخلقيا ..
فمن زكاة الفطر : يوم عيد الفطر ، وهي قدر مخصوص من المال عينه للفقراء : في ذلك اليوم ، سدا لعوزهم ، ودعوة للمشاركة في السرور به ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « فرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : زكاة الفطر : طهرة للصائم : من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين ، من أداها قبل الصلاة : فهي زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة : فهي صدقة من الصدقات » وقال عليه الصلاة والسلام : « أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم » .
كما ندب الى مشاركة الفقراء : في الأضحية ، في عيد الاضحى ، وجعل لهم ثلثها ، ليستمتع بفضل الله ونعمه : المسلمون جميعا ، حتى لا يكون من جماعتهم : من يمضه ألم الجوع ولوعة الحرمان » .
وبهذا تصبح الأعياد : أعيادا اجتماعية ، يشترك في الابتهاج بها : الأغنياء والفقراء .. في جو محتشم ، يسوده الحب والايثار ، وتحقق فيه رغبات الأفراد ، ومصلحة الجماعات .. ومما صحب أعيادنا من تقاليد : اعداد أطعمة خاصة بها ، والتوسع في الانفاق عليها ، ففي رمضان : تتبارى الأسر في اعداد الكعك وفطائره ، وتبذل في الانفاق عليه ما يرهق بعضها ، ويسبب أزمات عائلية خطيرة ، قد تنتهي بانهيار الأسر ، وتقويض دعائمها ، ويأبى كثير من النسوة : قبول الأعذار في اعداده والاستدانة وبيع المتاع : احدى وسائل هؤلاء ، لتغطية نفقات الكعك !! .
وفي عيد الأضحى : تتبارى الأسر في عمل الفطائر والحلوى ، والتلوين في اعداد اللحوم لتستكمل مظاهر العيد ، وتحافظ على ما ورثناه من تلك التقاليد ..
ولا شك أن تعاليم الاسلام : لا تقر الاسراف في أي وقت ، ولا في أية مناسبة .. والتوسط والاعتدال : من أهم أصوله « عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ » (١) « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (٢) ..
دخل رجل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم عيد : فوجد بين يديه خبزا خشنا ، فقال : يا أمير المؤمنين يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال له الامام علي « اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه وقيامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا يعصى الله فيه : فهو لنا عيد » .
وبعد :
فمن الواجب : أن تتحد أعياد المسلمين ، ليكون العيد : تعبيرا عن فرحة شاملة ، تعم العالم الاسلامي كله ، وليكون سبيل هذه الأمة : التي هي خير أمة أخرجت للناس : الى الوحدة ، واجتماع الكلمة ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ » (٣) ..

---

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٣) سورة الانبياء : ٩٢ .



الفتاوى

من السيد / ط . م . موسى .

س : ما حكم مشاهدة أفلام التليفزيون والفيديو ؟

ج : مشاهدة التليفزيون والفيديو اذا ترتب على مشاهدة أفلا مهما وما يعرض فيهما من أغان ومسرحيات اثارة فتنة أو تحريك شهوة أو قارنه تضييع واجب أو ارتكاب محرم فهو حرام .

أما اذا كان ما يذاع فيهما لا يؤدى الى ذلك بأن كانت الأفلام اجتماعية هادفة أو وطنية ، أو تعالج مشاكل المجتمع ، أو تحكى تاريخ التابعين من العلماء والمفكرين فلا مانع من مشاهدة ذلك .

س : ما حدود طول الثوب وما حكم تطويله ؟

ج : تطويل الثوب قد يورث الخيلاء والتعالى ويحمل القاذورات التى تكون فى الطريق لذلك فمن الأفضل تقصيره حتى لا يحمل النجاسات وتجنبا للخيلاء .

س : من السيد /م . ع سيد أحمد .
ابهـا ـ محايل ـ السعودية

ما الذى يمكن أن يراه من يريد أن يخطب فتـاة ؟

ج : اذا عقد انسان العزم على خطبة فتاة فانه يجوز له أن ينظر منها الى الوجه والكفين فانه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « واذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها اذا كان انما ينظر اليها لخطبة وان كانت لا تعلم » .

س : من السيد س . م سلامة

١ ـ حلفت على زوجتى لو خرجت من البيت تكونين طالقا .. وخرجت وانا أريد به التهديد ؟

٢ ـ ثم قلت لها : أنت طالق وراجعتها أثناء العدة .

٣ ـ وقلت لها مثل السابق أنت طالق وراجعتها أثناء العدة .

٤ ـ كنت فى حالة سكر لا أدرى ما أقوله .. وقلت لها أثناء ذلك : أنت



إعداد:
عبد الحميد السيد شاهين

طالق بالثلاثة وقد أخبرتني زوجتي بذلك .. فما الحكم ؟

ج : عن الأول : هذا يمين معلق قصد به التهديد والمنع فلا يقع به طلاق .

وعن الثاني : فانه يقع به طلقة رجعية وحيث انه راجع زوجته أثناء العدة فان الرجعة صحيحة .

وعن الثالث : بأنه مثل سابقه يقع به طلقة رجعية وحيث انه راجعها أثناء العدة فالرجعة صحيحة .

وعن الرابع : مادام الحالف كان في حالة سكر لا يدري ما يقوله فان الطلاق في هذه الحالة لا يقع .

وبهذا يكون جملة ما وقع طلقتان وتبقى معه على طلقة واحدة ... فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره .

س : من السيد / س . الدسوقي . توفي عن ابن ، بنتين . أولاد ابن ذكور فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : في تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد الابن المتوفى بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان حيا وقت وفاة والده في حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ .

فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم بالتساوي ، والباقي وهو جزءان هو الميراث للابن والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد / ع . ب نصار توفيت عن : أم ، أخت شقيقة ، أولاد أخ شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم الثلث فرضا لعدم الفرع الوارث أو عدد من الاخوة والأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها ، والباقي للذكور من أولاد الأخ الشقيق تعصيبا يقسم بينهم بالتساوي ...

ولا شيء للاناث من أولاد الأخ لأنهن من ذوي الأرحام المؤخرين في الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله اعلم



من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السماحي

**** مولده ونشأته (1) :**

ولد الدكتور محمد محمد السماحي في ٩ من مارس ١٩٠٧ م في قرية برج البرلس مركز البرلس غربية .

نشأ رحمه الله في بيئة دينية . فقد كان أبوه الشيخ محمد السماحي من علماء الأزهر . وكان اماما ومدرسا ومفتيا للبلد .

حفظ شيخنا القرآن في القرية قبل أن يلتحق بالأزهر مع تجويده .

فقد كان من محاسن الحفظ أن يحفظ القرآن مجودا ، فمن أتم الحفظ أصبح ملما بأحكام التجويد والأداء .

ثم التحق بالأزهر فقضى دراسته الأولية في معهد دسوق الديني ، وبعدها انتقل الى طنطا للدراسة الثانوية الأزهرية ، واتصف في هذه المرحلة بالجد والاجتهاد في الدراسة . كما أنه كان مثالا للأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب .

ثم التحق بكلية الشريعة الاسلامية في بداية انشائها ، وكان يقضي كل وقته في طلب العلم .

*** قدر الله :**

ولما كان في السنة الرابعة من كلية الشريعة نجح في كل العلوم بتفوق عدا علما واحدا هو « أصول الفقه » فقد أراد الله ــ لحكمته أن تنال درجات الشيخ في هذا العلم درجة

---

(1) المعلومات الخاصة بحياة الشيخ حصل عليها الكاتب من أخي الشيخ فضيلة الأستاذ الشيخ علي السماحي . والخاصة بالمؤلفات حصل عليها من صهره الشيخ أحمد حسن جابر .

للأستاذ عاطف زهران

واحدة عن النهاية الصغرى وكان الله أراد بذلك أن يحتبسه عاما بهذه السنة ليلتحق

بعد نجاحه فيها بقسم الدراسات العليا للحصول على الأستاذية (الدكتوراه) التى

تؤهل للتدريس فى الكليات . ولم يكن هذا القسم قد أنشىء عام رسوبه ، ثم أنشىء فى

السنة التالية عقب نجاحه . وقد كان من أكبر رغباته أن يكون محصلا لأكبر قسط من العلم

فى هذا التخصص ليعمل مدرسا بالجامعة وقد كان .

❋❋ بين الشريعة وأصول الدين :

كانت مدة الدراسة بقسم الأستاذية ست سنوات أربع منها للحصول على « الماجستير »

وهو درجة التخصص .. وسنتان للحصول على « الأستاذية » وهى « الدكتوراه » .

وقد أنهى دراسته بالتخصص بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين ، فقد

كان القانون يسمح لمن حصل على عالية الشريعة أن يلتحق بقسم التفسير والحديث

بكلية أصول الدين وحصل الشيخ منه على الاستاذية سنة ١٩٤٤ م . وبذلك جمع الشيخ

بين علوم الشريعة وعلوم أصول الدين حسب رغبته واتجاهه الطيب.ثم عين مدرسا للتفسير

والحديث بكلية أصول الدين وبعد سنوات عدة أعير الى « المملكة الليبية » مدرسا

للعلوم الدينية فقضى بها عدة سنوات من ١٧/١٢/١٩٦٥ — الى — ٣٠/٩/١٩٦٨ .

❋❋ أسفاره :

عاد الشيخ من ليبيا الى كلية أصول الدين فعين رئيسا لقسم الحديث بالكلية ثم سافر الى المملكة العربية السعودية أستاذا للدراسات العليا بكلية الحديث بمكة المكرمة فى العام الدراسى ١٩٧١ . وعاد فى ٩ مارس ١٩٧٢ . ثم أحيل الى المعاش .

وبيدو أنه قضى هناك فترة أخرى بعد احالته الى المعاش حتى عاد منها مريضا فى ١٩٣٤م .

من مواقفه :

لم يكن الرجل يسعى لنيل شهرة ولا لمنصب دنيوى . فقد كان خادما للعلم وحسبه ذلك . وهذا يفسر لنا بعض مواقفه الطيبة فى قول الحق الذى حفظه الله ـ سبحانه ـ به .

ونسرد هنا بعض مواقفه :

استمع الى محاضرة أحد رؤسائه ـ وهو فى ليبيا ـ فلما سمعه يخالف ما عليه الاجماع قال كلمة الحق مستعدا لما يعقبها من أمور .

ونزلت لجنة الامتحان على رأيه فكان لابن أحد الأمراء دور ثان فى بعض المواد ...

وفى مصر أثناء انعقاد أحد المؤتمرات بقاعة الامام محمد عبده بالجامعة الأزهرية تحدث مسئول سياسى كبير فى تفسير قول الله تعالى (فك رقبة) ففسرها تفسيرا لا يتفق والكتاب العزيز . فاعلن الشيخ السماحى أمام المؤتمرين فساد ذلك التفسير وبين وجه الحق فيه .

آثاره

حين نتحدث عن آثار الشيخ السماحى يأخذنا العجب اذا علمنا أن ما طبع منها أقل من نصف مالم يطبع ، وما طبع منها يندر الحصول على نسخ منه .

ونخشى على تراث الشيخ المخطوط أن يلفه النسيان . ونسأل الله أن يوفق أبناءه وعارفى فضله وبعض من تسلم شيئا من مؤلفاته بمجمع البحوث الاسلامية أن يقوم بما عليه من واجب نحو احياء تراث الرجل (١) .

مؤلفاته :

١ ـ المنهج الحديث فى علوم الحديث .
قسم مصطلح الحديث (طبع) ويحوى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الوسيط . وهو خاص بالحديث وأطواره التاريخية . وقد طبع الكتاب سنة ١٣٧٧ هـ ويحوى ثلاثة أقسام : قسم مصطلح الحديث ، وقسم الرواية ، وقسم الرواة .

٢ ـ المنهج الحديث فى علوم الحديث :
قسم تاريخ الحديث .
وهو ثلاثة أجزاء : الأول عن الحديث فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته (طبع)
والثانى عن الحديث فى عصر التابعين وتابعيهم (لم يطبع) .

البقية ص

(١) سلم الشيخ كتابه : القرآن الكريم والقضايا الانسانية الكبرى الى احد موظفى مجمع البحوث

الشعر والشعراء

إعداد: حسن جاد

مناجاة وخواطر

أنت الحبيب

سيد العرب

عيد التضحية

إشراقة

مناجاة وخواطر

في محراب الرسول

صلى الله عليه وسلم

يا نور « أحمد » قد غمرت جوانحي ... وسريت مسرى الروح في أحنائي

قد كنت في ظلم تلف مهجتي ... فاذا الرسول يشع في ظلمائي

بل كان بي داء يقض مضاجعي ... فلمست في قبس الرسول شفائي

ونسيت أهلي والصحاب لأجله ... ونسيت عند « محمد » أبنائي

وهجرت آمالي وأحلامي .. له ... وتركت كل المغريات ورائي

ما كان يعوزني العزاء لما جرى ... اذ كان في قرب الحبيب عزائي

وقصدت « يثرب » يانبي مولها ... أرنو لنورك ـ فوق كل بناء

والقلب يقفز لهفة لحبيبه ... من أضلعي مستنكرا ابطائي

حتى اذا خفق الفؤاد من الهوى ... لاحت مجالي « القبة الخضراء »

ومشيت في وجل على الأرض التي ... طهرت بلمس نعالك العصماء

بل كدت أخطو في الهواء .. تأدبا ... كي لا أمس مسالك الخلفاء

من لم يجد كر الزمان بمثلهم ... أو يذكر التاريخ من نظراء

ودخلت بابك في خشوع مسلم ... وتعثرت قدماي فرط حياء

فاذا الدموع تسيل دون توقف ... واذا الدعاء يفيض اثر دعاء

واذا ابتهالات الحجيج ترن في ... جوف الفضاء الى عنان سماء

وتعطلت لغة البيان وخانني ... نطق اللسان وقدرة البلغاء

للدكتور عزت شندى موسى

ووقفت مذهولا أكتب خاطرى   انى بقرب مشفع الشفعاء

وبكيت ما شاء البكاء وأقفرت   عيناى من دمع لطول بكاء

وذكرت أيام الجهاد وما جرى   لك يانبى الله من ايذاء

هو فى سبيل الله والعهد الذى   انجزته فى قوة ومضاء

كم صمت يومك هائما متنقلا   من غير زاد للنوى او ماء

وذكرت صحبك حين كنت تؤمهم   مثل البدور تدور حول ذكاء

وذكرت وجدك بين اغوار الفلا   فى غار « ثور » أو بغار « حراء »

كى تختلى بالله او تختفى على   من اسرفوا فى الكيد والبغضاء

ان قلت للصديق لا تخش العدا   الله ناصرنا على الاعداء

وذكرت اذ عرضت عليك مفاتن   من سؤدد ومناصب وثراء

فابيت الا ان تتم رسالة   ورفضت ما قد قدموا بإباء

وسالت ربك ان تعيش على الطوى   وتموت محشورا مع الفقراء

من كان للأخرى يعيش حياته   لم تغره دنيا من الاغراء

واشدت بالعلم الحكيم لترتوى   من نبعه ، واشدت بالعلماء

خلق هو الاسلام انت فقيهه   ولنعم ما شرعت للفقهاء

انا يارسول الله قلبى موجع   لفراقكم من حرقة وعياء

ابكى ولكن هل تبل مدامعى   شوقى اليكم او تزيل شقائى

قد جئت للساح الكريم متقلا   بالذنب ادعوكم على استحياء

فغرست فى قلبى بذور هداية   وزها بروضك فى اليقين نمائى

انى ظفرت بما رجوت وليس لى   ان عشت بعد اليوم اى رجاء

انت الحبيب وانت كل مآربى   ان كنت ميتا او مع الاحياء

ولانت اقرب من بنى لخافقى   واعز عندى من غنى وفتاء

ساعيش فى امل اللقاء مؤرقا   اهفو الى رجعى لكم ولقاء

انت الشفيع فجد بخير شفاعة   انجو بها من شقوة وبلاء

أنت الحبيب

فى مديح المصطفى "عليه الصلاة والسلام"

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

لكل فرد حبيبه   وأنت عندى الحبيب

من كان « أحمد » حبا   له فنعم الحبيب

يلذ كل عناء   فى حبه ويطيب

هو الحبيب لربى   فكيف عنى يغيب

هيهات يومى شروق   ذكرى له ٠٠٠ وغروب

هو الصباح الصبحى   وضوء ليلى الصبيب

وعند صفوى أراه   بوصفه ٠٠٠ لا أخيب

ان شئت بدرا فبدر   به تضىء القلوب

قد كان نورا بصلب   واليوم نور يجوب

قد جاءنا « بكتاب »   هو الطبيب اللبيب

فيه شفاء وطب   هو الرءوف الطبيب

فيه الخلاص فهيا   اليه ٠٠٠ هيا نثوب

يارحمة الله ٠٠٠ « طه »   شوقى اليك لهيب

انى سألتك رؤيا   بها فؤادى يطيب

قد جدت قبل فزدنى   فما لشوقى نضوب

سيد العرب

شعر: د. مختار الوكيل

« ولما دنا الركب من يثرب
أضاء السنى حالك الغيهب »
(م · و)

سيد العرب ... منتهى الأرب
جئت حيكم ... صادق الأدب
أطلب الرضا ... ألحف الطلب!

* * *

كنت كالورى ... أنشد النشب
أبتغي الهوى ... أطلب الذهب
.. مذ أتيتكم ... عمني الرهب
كل مأملي ... في الورى احتجب
لم يعدلنا ... فيهمو رغب
أنت ملهمي ... أنت لي نسب

* * *

في الدجى أرى ... نورك العجب
يمحق الأذى ... يكشف الحجب
يحرز المنى ... يخرق السحب

* * *

ذَلَّ من إلى ... غيرك انتسب
عز من إلى ... حصنك اقترب!

* * *

سيد الورى ... نصرنا وجب!



عيد التضحية

بقلم: محمود شاور ربيع

وقف « الحجيج » على ربى « عرفات » ... يدعون رب العرش بالرحمات

لبيك جئنا خاشعين أذلة ... يا بارئ الأرواح والنسمات

نادى « الخليل » فما تخلف طائع ... من كل فج أو بعيد فلاة

ترك الحياة وزيفها لحقيقة ... قدسية الأركان والجنبات

الناس عند الله خلق واحد ... لا فرق في الألوان والقسمات

خلعوا الثياب وأحرموا وتجردوا ... وتوجهوا لله في الدعوات

وسعوا وطافوا واستقوا من « زمزم » ... وتعطروا بنسائم النفحات

الله كرمهم وبارك سعيهم ... وأحاطهم بالخير والبركات

ذكروا « الذبيح » فقدموا قربانهم ... والهدى قربان وطيب زكاة

العيد عيد التضحيات وهذه ... أيامه صداحة النغمات

« القدس » نادى والعروبة تشتكي ... ظلم المغير وظلم شر بغاة

لبوا النداء وقدموا حق الفدا ... ذودوا عن الأعراض والحرمات

العيد في طرد العدو ، وعودة ... من بعد تشريد وطول شتات

اشراقة

للشاعرة جليلة رضا

ايها الطارق الحياة ملولا ... فى صباح منغم الأوطار
قم ، تقدم وسر على الدرب حرا ... ضاحك الوجه فى سنى الانوار
وامض – فى رحلة النهار – فتيا ... فى شموخ وعزة واقتدار
واغز هذا النهار بالعمل المتقن حتى تفوز بالاكبار
واغز هذا النهار بالأمل الحلو ... ونور اليقين والاصرار
فاذا ما التقيت باليأس حينا ... فانتزع منه ألف ألف نهار
كن مضيئا كمقلة الشمس بشا ... كمحيا الضفاف والأنهار
كن رقيقا ثر الوداعة غضا ... مثل قطر الندى وعود الثمار
ارهف السمع فالطبيعة تشدو ... لك أحلى اللحون والأشعار
ولتكن زهرة تفيض عبيرا ... فى نفوس من الحنان قفار
لا تعد السنين ، لا تحسب العمر ... فليس الشباب بالاعمار
ان قلبا حوى الطبيعة يوما ... لهو طير يشدو مع الأطيار
قم . تقدم ، وسر على الدرب حرا ... وتوكل على الاله البارى

فؤاد الخطيب
شاعر العربية

يعد هذا الشاعر بحق ، أحد الأصوات المتميزة ، ذات الخصائص الشعرية العميقة الدالة على أصالته .

وقد ولد الخطيب بقرية شحيم بجبل لبنان عام ١٨٨٠ ، في يوم ما ، لم يحدده نجله وراوية شعره ومؤرخ حياته : رياض الخطيب (١) .

وكان والد الشاعر ــ الشيخ حسن الخطيب ــ يعمل رئيسا لمحكمة لبنان ، وتلقى الشاعر علوم المرحلة الابتدائية في مدرسة « طانيوس سعد » بـ (الشويفات) ، تلك البلدة التي أنجبت الأمير شكيب أرسلان ، الذي يكبر شاعرنا بأحد عشر عاما .

ثم أمضى الخطيب دراسته الثانوية في « كلية سوق الغرب » ، وأتم تعليمه بـ « الجامعة الأمريكية » في بيروت . وفي تلك الأثناء ذاعت شهرته كشاعر جيد ، بازغ في سماء العربية .

وكان من زملاء الدراسة ، في هذه الفترة : بندلي الجوزي ، وأنيس المقدسي ، وفيليب حتى ، (٢) ، وأتم دراسته عام ١٩٠٤ .

وقد بدأ الشاعر ، في أول الأمر ، يوجه سهامه الماضية ، الى المتحاملين على اللغة العربية ، بقوله بقصيدة (آمال وآلام) .

جاروا على (لغة القرآن) فانصدعت
لها القلوب ، وضج البيت والحرم

ثم التفت ــ متحدثا عن قومه ، لتذكيرهم بأمجاد ماضيهم ، بقوله :

كم صرخة لي فيهم والـيراع فم
ودمعة لي عليهم .. والمداد دم
أيذكرون ــ وقد كانوا !؟ إذ ذكروا
يسبح السيف والقرطاس والقلم ؟
أيام لم يك من ملك ولا بلد
الا وللعرب فيه العلم والعلم

وقد نشرتها جريدتا : الأهرام والمؤيد . وأتبعها بأخرى تظهر مدى استيعابه للتاريخ الاسلامي المجيد ، واعتزازه به ، قال في مستهلها :

ذكرت له أيامنا .. فتنهدا
وقال : أيرضى الدهر ان تتجددا
ولاح له « المأمون » يهفو خياله
و (بغداد) تزهو فيه مجدا وسؤددا

---

(١) انتقل الشاعر الى رحمة مولاه في يوم الاثنين الموافق ١٥ من رمضان سنة ١٣٧٦ (الموافق ١٥ من ابريل) سنة ١٩٥٧ ، عن سبعة وسبعين عاما .

(٢) فيليب حتى : من أعدى أعداء الاسلام الذي لا يتصف بروح علمية للحقائق .



فتفاضت دموع العين منه ، وقد ابى
عليه رسيس الذكر أن يتجلدا

واختتمها بقوله :

عدمت البيان الحر ، ان كنت منشدا
من الشعر الا .. ما يكون مخلدا

***

وانطلق بعد ذلك يوجه تحريضه الى بني قومه ، لينفضوا غبار الهوان الذى ران عليهم :

ياقوم قد طال الجمود ، فحسبكم
ان الجمود ، اذا استطال ، فناء
ساد التنازع فى البقاء ، فلم يعد
فيه لمن نبذ الجهاد بقاء
ان الرزية أن تكون بلادكم
بيد الغريب ، وأنتم .. الغرباء
واذا توطد امره فى أرضكم
فستصبحون .. وكلكم .. اجراء

الى أن انتهى الى قوله منبها لكيد الأعداء :

هتفوا بتعزيز السلام ، وانما
هى خدعة يرضى بها الجهلاء

افلم تروا سفنا تنوء بجندهم
ضاق الفضاء بها وغص الماء

وقد كان الشاعر دائب التنقل بين أقطار البلاد العربية ، يشد الرحال اليها ، للوقوف على أحوالها ، وبث روح الكفاح بين ربوعها .

وقد بدأ سياحته فيها بانتقاله الى مدينة (يافا) بفلسطين ، لتدريس اللغة العربية بها ، وأداء رسالته الوطنية فيها ،ثم هاجر الى مصر ، التى سبق أن قال فيها متشوقا ، بقصيدة من بواكيره :

ليت الذى قسم الحظوظ أتاح لى
عيشا بمصر .. فكنت غير مضيع

ما للفتى العربى الا مصر من
وطن ، يقر به بواد ممرع

وكانت هجرته الى مصر عام ١٩٠٨ ، حيث توطدت أواصر الأدب والفكر ، بينه وبين كبار شعراء العرب بها ، من أمثال : اسماعيل

صبري ، وشوقي ، والكاظمي ، ومطران ..
وكانت صلته بشاعر النيل حافظ ابراهيم هي أوثق الصلات ، فقد أمضى معه ، في مسكن واحد بالقاهرة ، عامين كاملين ، كانا يقطنان فيه سويا . وتوجه بعد ذلك بأعوام الى الخرطوم للتدريس بكلية (غوردون) ، وتوطدت صلته بعلية القوم في السودان ، من أمثال : المهدي والميرغني ويوسف الهندي .. ومن تلاميذه فيها كل من : اسماعيل الأزهري ، وعجيد عبد النور ، وغيرهما .

***

ثم استقر به المطاف ، أخيرا ، بالمملكة العربية السعودية ، وبها وجد الاستقرار الذي كان ينشده ، بعد « مدافعة الكوارث ومغالبة نوائب الدهر » . كما يقول .

وعمل في أول الأمر رئيسا لتحرير جريدة (القبلة) ، وحينما تولى المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود حكم البلاد ، بعد توحيدها ، استدعاه الى الرياض عام ١٩٤٥ ، فمكث عنده مستشارا ، ثم انتقل الى « كابل » وزيرا مفوضا لجلالته في افغانستان ، سفيرا بها ، حيث أمضى بكابل البقية الباقية من حياته ، ناعما بالهدوء والاستقرار ، عشرة الأعوام الأخيرة من حياته ، فتعمق في دراسته للآداب الأجنبية عامة ، كما يقول نجله (١) الذي كان يعمل معه « وأعجب بالأدب الروماني بشكل خاص ، وحفظ الكثير لشكسبير ، ومارلو ، ولورد بيرون من شعراء الانجليز ، وهومر من شعراء الرومان ، وقد انعكس ذلك في شعره ، وظهر أثره في قصائده ، وغذى الأدب العربي بأفكار جديدة ، مأخوذة من الآداب العالمية . كما تغنى خلال هذه الفترة بأمجاد العروبة ..

واذا كان الشيخ عبد القادر المغربي قد قال مداعبا ، أو متحسرا ، لصديقه فؤاد الخطيب ، بعد تعيينه وزيرا مفوضا بافغانستان :

أيا ابن الثورة الكبرى .. تقبل
دعاء من اخي ثقة صميم
تركت حمى العروبة ــ لهف قلبي ــ
عليه ــ لقى لصهيون لئيم
ورحت تقيم في الأفغان تشدو
« الا حي المنازل بالغميم »

فان أخا المغرب يظلم الشاعر أفدح الظلم ، بتناسيه (فلسطينيات) الخطيب المدوية ، التي قال في احداها مخاطبا الشعب الامريكي بأسره ، ومنددا بما فعله الرئيس ترومان ، الذي تجاهل كل شيء ، في سبيل تأييده للصهيونية ، وبصفة خاصة ، باعترافه المباشر من البيت الأبيض في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، بدولة اسرائيل .. وذلك بعد دقيقتين اثنتين من اعلان الصهيونيين لها في أرض فلسطين العربية .

أتبذل بيتي للدخيل تبرعا
وترغم أنفي .. ان أجوب الفيافيا ؟
ويملك أرضي ، ثم أطلب غيرها
من الأرض استجدي المهاجر نائيا
وكيف أعق الدار والرمل والحصى
وأنزع ميكيا على .. وباكيا ؟؟

---

(١) انظر مقدمة ديوان الخطيب ص ١٣ .

الى أن يقول :

وما وعد « بلفور » الذى بات رمة
وقد غفيت ٠٠ حتى تراميت تاليا
ولست أبالى الظالمين ، وانّنى
سأبعث فيهم ٠٠ ما يشيب النواصيا
نطقت بصوت الشعب ، غير مدلس
وما كان صوت الشعب يوما مداجيا

بل انه يقول مصورا فترات الصمت التى انتابته ، لسبب أو لآخر ، بقوله :

فوا الله ما التكلى يساق وحيدها
الى ظلمات القبر ، وهى تراقبه
باوجع منى ، يوم القيت من يدى
يراعى ، وضاقت بالقريض مذاهبه

وقوله :

وكم صبرت على الأيام عانية
عسى الصبور من الأيام ينتصف
وان للعرب ما أبقت وما أخذت
منى الحوادث ، لا من ولا سرف

وقوله يحدد موقفه ، والنبع الذى يصدر عنه فى أحاسيسه القومية :

انى أشيد بقومى كلما هتفت
بى العروبة ٠٠ لا التيجان والسرر

وذلك ، لقوله فى قصيدة أخرى :

وكم شكا الشعب اقطابا ٠٠ تخبطهم
مس الغباوة ٠٠ لا يدرون ما « الألف »
(أى ما الألف من كوز الذرة) ، كما نقول فى أمثلنا ! ٠٠

وقوله :

عفت (السياسة) حتى ما أهم بها
وقد رددت عليها كل ميثاق
فأنها جشمتنى كل غائلة
وانها كلفتنى ٠٠ غير أخلاقى

وقوله :

ان نابنى السيف ، فالأقلام مشرعة
أو ضاق بى العمر ، فالتاريخ يتسع

وقوله لباريس (عروس السين) مناجيا :

ان حطموا (الباستيل) فيك تحررا
فسلى العروبة ٠٠ كم بنوا باستيلا !

وقوله :

كثر الكلام ، وما أفاد قلامة
فتكلمت بلسانها النيران

ومازال صوته : بعد رحيله عن عالمنا بما يناهز ثلث قرن من الزمان ، يدوى فى أسماعنا ، وكأنه لازال يعيش بين ظهرانينا ، ويشهد معترك الأحداث الذى نكتوى فى أتونه :

ولم التفرق ، والحتوف تجمعت
ولم التردد ، والبلاء مشمر

وخير ما يصف به نفسه ، ودوره الذى أداه فى ساحة العمل القومى ، هو قوله :

ان يفخر الغار اكليلا لشاعرهم
أقطاب رومة ٠٠ حسبى الطلع والسعف
وان «فرجيل» ان يفخر به ٠٠ انتشرت
على تلك الفروع الخضر تنعطف ٠٠

وقد خص الشاعر (فرجيل) بالذكر ، دون غيره من شعراء أوربا ، لأنه ــ كما يقول ــ هو الشاعر الذى وقف معظم شعره على التغنى بالقومية الرومانية ، والاشادة بمجد الرومان ٠٠ وكذلك كان شأن صاحب الديوان ، الخطيب ، من ناحية تغنيه بالقومية العربية

وقضايا العرب (١) ، لصدوره عن عاطفة صادقة جياشة ، يبث الحرارة في تضاعيف شعره ، ولأن لديه ما يقوله ، بل مالا يملك الا أن يقوله .

واذا كان قد تحسر على الشعر وناظميه بقوله :

خلق القريض بما تعاور لفظه
من كل مبتذل له أو مدعى
هز اليراع ، ولا شعور يهزه
بل ضاع بين تعمل وتصنع
فغدا القريض مجانة لا صورة
للنفس ، ترسم ما انطوى في الأضلع

فان للخطيب ، في غير المشترك السياسي ، قصائد عامرة من الشعر الفني الخالص ، الذي يصور فيه خطراته وتأملاته ، وانعكاس خطا الزمن ودبيبه ، على وجدانه وأحاسيسه .. خذ مثلا قصيدته (الشعرة البيضاء) التي أوحت له بمعان قلما تخطر ببال شاعر ، والتي يقول فيها :

أنظر الى الشعرة البيضاء ، ان لها
معنى الهزيمة والتسليم للزمن
كأنها الراية البيضاء .. يرفعها
في الحرب ، من لم يطق صبرا على المحن!
كانت لياليّ بيضا ، وهي فاحمة
سوداء .. فاستدلت .. خيطا من الكفن
وأنذرتني اقتراب الحين ضاحكة
وقد قرعت بكفي الصدر .. من شجن

وكذلك قوله متفجعا ، بقصيدة : (القصر البالي) :

أيا قصر ، قل لي ، أين أهلك .. ما الذي
عراهم .. أما من هاتف فيك ذي خبر ؟
ألم تكن الأيام تجري بأمرهم
فأما الى يسر ، وأما الى عسر
.. وان نمال الأرض تنويك بعدهم
فتخرج من جحر ، وتدخل في جحر

وقد كان الشاعر على صلة ود عميقة بشوقي أمير الشعراء ، جعلت (شوقي) يعتب عليه ، حين تخلف عن حضور المهرجان ، الذي أقامته مصر وشعراء الأقطار العربية ، لتكريم شوقي ، في (دار الأوبرا) ، في التاسع والعشرين من أبريل سنة ١٩٢٧ ، لمبايعته بامارة الشعر ، كما كان (جون دريدن) أميرا للشعر الانجليزي .. وقد كتب الخطيب لشوقي ، في ذلك ، قائلا :

.. فان كنت قد ابطأت عنك ، فنازح
عن الأهل والأوطان ، شطت مراحله
ترامت به الأسفار دفعا وغربة
كنكرك في الأقطار قد جال جائله
وهل بعد آيات (الخليل) و (حافظ)
مرام لمثلي .. في البيان .. يحاوله ؟

وحين انتقل (شوقي) الى الرفيق الأعلى ، أجهش الشاعر مستعبرا :

أحافظ ثم شوقي ؟ بغتة معا؟ !
يا ويح للقلب .. كيف الدهر ينتقم
كلاهما كان لي خدنا ، وكان له
في دولة الشعر .. تاج الشعر .. والعلم

(١) انظر هامش ص ٤٦٢ بديوان الخطيب .

وقال الخطيب في وصف (النفس) ما ينم عن عمق ثقافته وسعة اطلاعه :

ولو علوت جناح البرق منطلقا
تنقل في الملا الطوى متتحما
فمن نواة ، الى كون ، الى فلك
في اثر آخر .. حتى تعبر السد ما
.. لكانت النفس ، في شتى مظاهرها
اخفى واعجب مما دق او عظما !

ويجدر بنا أن نشير في ختام هذا البحث الموجز ، بالقصيدتين المتبادلتين بين المرحوم « الامام يحيى بن حميد الدين » ملك اليمن ، والشاعر فؤاد الخطيب .. فقد كتب الملك يحيى قصيدة على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ وخروج العرب منها صفر اليدين وكان لغيرهم الغنم ، وكان عليهم الغرم .. كما يقول (شوقي) بحق :

كلنا وارد السراب ، وكل
حمل .. في وليمة الذئب طاعم
قد رجونا من الغنائم حظا
ووردنا الوغى .. فكنا .. الغنائم

فقد أرسل الملك القصيدة مع مندوب من قبله الى الشاعر ، متخيلا في مقدمتها صارها — أي القصيدة ومرساها .. بقوله :

بأم القرى حطت ركابا وانفذت
صوارخها (١) . تغشى صروم (٢) القبائل
تنادي بأسماع الحجيج ، بجمعهم
وخيف منى عند ازدحام المحافل :

اما آن ياقوم التفات لما عرا
واجماع آراء لدفع غوائل ؟

ورد عليه الخطيب معارضا ، من ذات البحر والقافية بقوله :

دعوت فاسمعت ياخير قائل
مغلغلة (٣) ليست تصيغ العائل
نسجت لها من وشي صنعاء بردة
محبرة .. أزرت بوشي الخمائل

ويتوجه الشاعر بعد ذلك الى العرب — كل العرب — قائلا :

بني عمنا .. من يرمكم يرمنا معا
ويتقض علينا — معمعا — في المقاتل
بني عمنا .. ما أرعب العرب دولة
اذا اتحدت واستمسكت بالوسائل
بني عمنا .. ما أيسر المجد مطلبا
اذا اجتمعت أشتات تلك القبائل

***

وما أحوج العرب اليوم ، في المنعطف التاريخي الراهن ، الذي يجتازونه ، أن يتدبروا نفثاته وروائعه ، وقصة كفاحه ، وما تخللها من عبر ، ليسيروا على النهج القويم ، الذى أنار دروبه ومسالكه أمامهم .. فانه اذا عز العرب عز الاسلام ..
ورحم الله الخطيب رحمة واسعة ، حين قال :

ليت السطور أحست روح كاتبها
وهل يحس بقدر اللؤلؤ الصدف ؟

---

(١) جمع صارخة ، وهي : الاستغاثة .
(٢) جمع صرم : أي الجماعة من البيوت
(بكسر الصاد) .
(٣) الرسالة المحمولة من بلد الى اخر .

الاسلام ، اذ أن عمارة المساجد تقتضى الايمان بالله وطاعته حسبما نطقت الآية الأخيرة ويدل على أن من عمارة المساجد دخولها للعبادة والصلاة وتلاوة القرآن قول الله سبحانه : «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» (١) .

واذ كان ذلك : كانت مساجد المسلمين محرم دخولها على غير المسلم عملا بآيتى (٢) سورة التوبة السالفتين واذا كانت معتقدات القاديانية والأحمدية على ذلك النحو تكون قد انحرفت بهم عن الاسلام عقيدة وشريعة ، وصاروا بما حرفوا وما اعتقدوا من غير المسلمين لايجوز دفن موتاهم فى مقابر المسلمين باتفاق أئمة الاسلام .

السؤال الثالث :

تحت اية ظروف يكون للمشرفين من المسلمين على المساجد الاسلامية أن يمنعوا اى شخص من الصلاة فيها ؟.

والجواب

أن الآيتين المتلوتين (٣) آنفا اقتضت ولاهما بأسلوب تقريرى مصر منع غير المسلمين من دخول المساجد ولقد ثبت (٤) أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز كتب الى ولاته بمنع غير المسلمين من دخول سائر المساجد لما كان ذلك : كان للمشرفين من المسلمين على المساجد الاسلامية منع غير المسلمين ، مرتدين كانوا أو من اليهود أو من النصارى أو عبدة الأوثان منع كل أولئك من دخول مساجد المسلمين ، وعلى المسلمين أن يدافعوا عن مساجدهم ويدفعوا غيرهم عن دخولها كما يدافعون عن بيوتهم وأموالهم وأولادهم فان مقتضى قول الله سبحانه :

«مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ»

.. أن على المسلمين حماية مساجدهم من امتهانها بدخول غير المسلمين فيها ومن العبث بها .

والله سبحانه وتعالى اعلم .

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

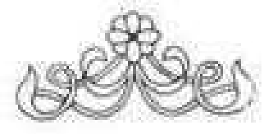
---

(١) من الآية ٣٦ من سورة النور .
(٢) ١ ، ٢ الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٣) ١ ، ٢ الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٤) مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٥ والمغنى لابن قدامه الحنبلى : ٢ ص ٤٢٣ على هامشه جـ ٢ ص ٣١٥ وكتاب المبسوط للسرخسى الحنفى جـ ١٠ ص ١٩٨ والمجموع للنووى الشافعى جـ ٥ ص ٢٨٥ .



الطاقة والخلق

العلوم الكونية والبحوث المدنية



مجلة الأزهر من خمسين عاما

الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم ٥

العمق الرابع للاعجاز العلمي

في القرآن الكريم

يتجلى هذا العمق بوضوح في حقيقة اننا لو جمعنا الآيات المتعلقة بـ « ظاهرة كونية بالذات » أو « كيان مادي معين » ، نجد اننا نحصل على معاني متكاملة مترابطة غير متكررة من غير هدف كما قد يظن البعض خطأ وسوف ينصب حديثنا عن هذا العمق على الجبال أو الرواسي على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

المعروف والمشاهد أن سطح الارض يرتفع تارة فتكون الجبال ، وينخفض تارة أخرى حيث تيمان البحار والمحيطات . وفي الجبال كهوف ومغارات نحتتها عوامل التعرية كالرياح والمياه الجارية . وفي القدم لجأ اليها الانسان واتخذها مأوى له قبل أن يتعلم فن البناء ، ثم راح ينحتها بنفسه ليحمي نفسه من غوائل الطبيعة ومن أخطار الحيوانات المفترسة ، وليعيش داخلها آمنا مطمئنا :

١ ـ « وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ » .

والمعنى أن قوم ثمود ـ وهم أصحاب ـ الحجر كانوا يصنعون بيوتهم في الجبال ليطمئنوا على أنفسهم وعلى أموالهم .

٢ ـ « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ٠٠٠٠٠ » ـ النحل

والمراد أن الله تعالى جعل لنا مما خلق من شجر وما على شاكلته ظلالا تقينا شر التعرض المباشر لأشعة الشمس ، كما جعل لنا من الجبال كهوفا وفجوات ومغارات كالبيوت .

ومازالت بعض تلك الكهوف والمغارات تفيد وتستخدم في تخزين بعض حاجياتنا مثل الحبوب والغلال لما تمتاز به من توفر الجو المعتدل والمستقر الذي لا يتقلب داخلها .

والجبال بصفة عامة جزء لا يتجزأ من قشرة الارض الصلبة التي نعيش عليها ، والتي يبلغ متوسط سمكها نحو ٥٠ الى ٦٠ كيلو مترا فقط ، في حين يبلغ متوسط طول

نصف قطر الأرض ٣٩٦٣ ميلا ، ويلى هذه القشرة الصلبة من الداخل « الستار » ثم « اللب » المكون من الحديد والنيكل فى حالة شبه منصهرة .

ويتساقط أغلب المطر فى أجزاء الأرض المرتفعة مثل الهضاب وأعالى الجبال ويجرى الماء الفائض ليكون منابع الانهار والروافد التى تروى السهول والوديان وتهىء على الأرض بيئة صالحة لازدهار الحياة .

٣ ــ « وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا .... » ــ فصلت .

بمعنى أنه سبحانه وتعالى أكثر فى الأرض الخير وقدر فيها أرزاق أهلها . وتؤدى الجبال العالية دورها فى ذلك .

وللجبال جذورها العميقة فى قشرة الأرض ، تحول دون انزلاق الطبقات المختلفة للقشرة فوق بعضها البعض ، وهى بذلك أشبه شىء بالأوتاد التى تشد بها الخيام لكى تتزن وتثبت على الأرض .

٤ ــ « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا. وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا » ــ النبأ (٦ و ٧) .

وهذا يعنى ان من اهم واعم وظائف الجبال انها تعمل على حفظ توازن القشرة الأرضية .

والمعروف ، والثابت بالمشاهدة والرصد ، أن سطح الأرض فى تغير مستمر تحت تأثير عوامل عديدة منها عامل التعرية . ويتضمن هذا التغير حمل ما يتآكل من المناطق العالية

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

(الجبال) الى أسفل بالرياح وبالمياه الجارية لكى تترسب فى قيعان البحار والمحيطات .

وعلى هذا النحو يقل الثقل الملقى عن الجبال ويزداد الحمل الواقع على قيعان البحار ، فيختل التوازن وتضطرب القشرة اليابسة التى تلتوى أو تتصدع لاعادة التوازن من جديد محدثة الزلازل . وقد يكون الصدع عميقا يصل الى باطن الأرض عبر قشرتها اليابسة فتتكون البراكين التى تتدفق منها حمم الباطن .

وعلى أية حال :

عندما ترتفع أجزاء القشرة من اجل اعادة التوازن تتكون الرواسى أو الجبال وسلاسلها العالية وطرقها المميزة ، كما تجرى الانهار من فائض ماء امطارها الوفيرة :

٥ ــ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ــ النحل .

أى أن من مزايا الجبال العالية حفظ توازن قشرة الأرض الصلبة التى نعيش عليها ، وتدفق الأنهار منها ، كما أن بها طرقات نهتدى بها .

٦ ـ « وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » ـ الأنبياء .

يعنى أن من دلائل قدرة الله أن جعل في الأرض سلاسل الجبال لكي لا تضطرب وجعل فيها طرقا فسيحة ومسالك متسعة تعرفهم طريق السير .

٧ ـ « وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ... » ـ الحجر .

فلما كان باطن الأرض منصهرا ، أو شبه منصهر ، جعل الله تعالى الرواسى على سطحها لها جذور ممتدة داخل القشرة اليابسة تمتد عبر أعماق تتناسب مع ارتفاعات تلك الرواسى . وهذه الجذور تكون كثافتها (١) أقل من كثافة مواد القشرة المحيطة بها .

وعلى هذا النحو تتواجد المواد ثقيلة الوزن من القشرة الأرضية تحت الأسطح المائية ، بينما الرواسى تكون من تحتها مواد خفيفة نسبيا . كل ذلك لكي لا تضطرب القشرة ولكي يتم توزيع الضغط توزيعا متساويا . وهكذا يتم تأمين الحياة على الأرض فتنمو وتزدهر . بفضل الله وعظيم نعمته .

وعلى طول المناطق التى يعظم فيها التواء قشرة الأرض من سلاسل الجبال الى قيعان المحيطات يعظم الاجهاد على القشرة اليابسة ، وهكذا تكون تلك المناطق احزمة الزلازل .

والآن ، دعنا ننظر معا الى سطح الأرض وما عليه من جبال ، ووديان ، وبحار وصحارى وقفار .

هل تعتقد ـ أيها القارىء ـ أن هذه الأشياء كانت على حالها منذ القدم ؟ .

وهل وجه الأرض ظل على حاله منذ النشأة الأولى ؟ .

إعلم أن هناك تغيرات مستمرة على سطح الأرض ، الا أنها تغيرات بطيئة جدا في أغلب الأحيان ، وسببها الأساسى هو عوامل التعرية ممثلة في عمليات التسخين والتبريد ما بين النهار والليل كل يوم ، وفي الرياح ، والامطار ، والسيول ، وأمواج البحر .. كلها (تكحت) (٢) الصخر الصلبة وتفتتها ثم تحمل المواد المفتتة الى المناطق المنخفضة من الأرض مثل قيعان البحار كما قدمنا حيث تتراكم على مر العصور وتكون الصخور الرسوبية . ومن اهم العوامل التى ترسب المواد في قاع البحر ما يعيش فيه من كائنات حية تموت وتتساقط اجسامها الى القاع .

(١) الكثافة هى كتلة وحدة الحجم من مادة ما .
(٢) كحت : مصرية بمعنى : برد ، وأداته « المبرد » .

أما البراكين فهى التى تكون الصخور النارية مثل الجرانيت . وقد تحتوى على مواد معدنية مختلفة مثل الحديد ، والنحاس ، والذهب ..

أما الصخور الرسوبية فان أكثرها شيوعا الصخور الجيرية والصخور الرملية . انظر الى قول الله عز وجل :

٨ ـ « .... وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ » فاطر .

وليس الاعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة قاصرا على مجرد ذكر ما للجبال من ألوان متباينة ناجمة عن تباين المواد الداخلة أو المترسبة فيها ، تلك المواد التى تتألف مثلا من عنصر الحديد الذى يجعل اللون السائد هو اللون الأحمر ، أو عنصر الكربون أو عنصر المنجنيز اللذان يجعلان اللون السائد هو اللون الاسود ، أو عنصر النحاس الذى ينجم عنه اللون الأخضر .

ولكن الاعجاز هو قبل كل شىء اظهار قدرة الخالق جل شأنه الذى .. يخلق جبالا فيها طرائق وعروق لونها أبيض أو أحمر أو أسود .. رغم أن الأصل واحد ومشترك هو باطن الأرض المنصهر ، الذى يعرف علميا باسم الصهارة (أو الماجما) .

وان اختلاف مواد الصهارة يرجع فى أساسه الى اختلاف الأماكن ــ على سطح الأرض . التى تتدفق أو تنبثق منها ، وكذلك على اختلاف الأعماق من سطح الأرض التى تمدها بالمواد .

وهذا الاختلاف فى الأعماق انما يعنى اختلاف تركيب المادة تبعا لاختلاف الكثافة ونحوها من خواص المواد . وبهذا التدبير المعجز من الخالق العليم يستطيع الانسان أن يحصل من الجبال على المادة التى يريدها لنفعه ورخائه وثرائه فضلا من الله ونعمة .

وثمة آيات عديدة تذكر الجبال مثل قوله تعالى :

٩ ـ « وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ » ـ النحل .

والمعروف أن من أنواع النحل ما يعيش فى كهوف الجبال وفجواتها ، ويختلف لون الشراب تبعا لاختلاف الأزهار والنباتات عموما تبعا للارتفاع والبيئة .

١٠ ـ « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ... » ـ النمل .

نزل القرآن الكريم ــ كما نعلم ــ والناس يعتبرون الأرض مركزا للكون أو للمجموعة الشمسية على الأقل ، وكانوا يعتبرونها أيضا ثابتة لا تدور ولا تنساب فى الفضاء ، بينما الشمس وسائر الكواكب هى التى تدور وتلف وتتحرك من حولها حسب ما يبدو ظاهريا .

وعلى هذا النحو نجد أن من صور الاعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة أنها تسبق ركب العلم ، اذ تقرر وتؤكد أن الجبال (وهى جزء لا يتجزأ من قشرة الأرض الصلبة كما قدمنا) انما تتحرك كالسحاب اذ تشترك

مع الأرض فى دورانها حول محورها تارة ، وحول الشمس تارة أخرى وفى سبحها فى المجرة منطلقة مع الشمس بسرعة رهيبة !
وبطبيعة الحال نحن لا ندرك هذا بحواسنا ، بل ننطلق مع الأرض كجزء منها الا اننا اليوم نستطيع رصد حركة الجبال (مع الأرض) من الفضاء الكونى تماما كما نرصد حركة السحاب وهو يمر فوق رؤوسنا وقد دفعته الرياح .

ان أول من نقل مركز المجموعة الشمسية من الأرض الى الشمس هو عالم الفلك العربى المسلم (ابن الشاطر) قبل عصر (كبرنيق) بنحو قرن ونصف قرن) .

ويدعى الغربيون أن (كبرنيق هذا هو الذى أنجز تلك الخطوة العظمى فى تاريخ علم الفلك تلك الخطوة التى نقلته من الفلك القديم الى الفلك الحديث فى مستهل عصر النهضة العلمية . ويقيم الأوروبيون الحفلات كل عام تخليدا لذكرى (كبرنيق) ! .

والمشاهد أن هواء المرتفعات يكون عادة نقيا وغنيا بالاشعاع الشمسى ، كما تتوفر فيه الاشعة فوق البنفسجية التى تفيد كثيرا فى علاج أمراض البرد وأمراض العظام . ولهذا تجود حمامات الشمس فى أعالى الجبال والمرتفعات . هذا كما تسهل عمليات صرف المياه فى الحقول العالية وتجود فيها الحاصلات الزراعية .

لهذا كله نجد أن حدائق المرتفعات أحسن الحدائق زرعا ، وأوفرها محصولا ، وانقاها ماء ، وأجودها جوا ، وأصلحها للسكنى .

ومجمل القول ان الحديث عن آيات الجبال ومزاياها ، وصفاتها كما وردت فى كتاب الله العزيز هو حديث علمى طويل ومثل من أمثلة هذا العمق الرابع للاعجاز العلمى فى القرآن الكريم على النحو الذى أجملناه ، على الرغم من أن هناك ثمانى وثلاثين (٣٨) آية تذكر الجبال ، بالاضافة الى تسع آيات فيها ذكر الرواسى . ويدل هذان الرقمان على المدى الواسع الذى به استمد القرآن الكريم كثيرا من آياته وحكمه وأمثاله من الكون كتاب الله المنظور .

ولما كان القرآن الكريم كتاب هداية قبل كل شىء ، يضرب الله فيه للناس الأمثال لعلهم يهتدون .

وفى مجال مكارم الاخلاق يقول المولى جل وعلا .

١٢ ــ « .... **إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**) ــ الاسراء .

وفى ختام حديثنا عما جاء من ذكر الجبال والرواسى فى القرآن الكريم كمثل من امثلة « حقيقية » ان الجمع بين الآيات المتعلقة بـ « وجود مادى معين » أو « ظاهرة كونية بالذات » انما يعطينا حصيلة من المعانى المعجزة الأخاذة ، نستشهد بقول الله عز وجل :

« **وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتاً** » ــ المرسلات .

حيث يجىء ذكر الماء العذب الفرات بعد ذكر الرواسى العالية التى تكون فى مجموعها اجود مصادر الماء العذب على الأرض ، والله تعالى أعلم .

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

الطاقة والخلق

للمهندس محمد إبراهيم حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . الآية ١٩ ، ٢٠ سورة العنكبوت .

تعريف :

الطاقة هى القدرة على عمل شغل معين ، فمثلا :

حركة كتلة معينة من السكون الى سرعة معينة يستلزم قدرا معينا من الطاقة ، حركة شحنة كهربائية عبر مجال فرق جهد معين يحتاج كمية معينة من الطاقة ، وكذلك رفع كتلة معينة الى ارتفاع معين يحتاج الى قدر محدد من الطاقة .

فى كل الأمثلة السابقة تحسب كمية الطاقة اللازمة لعمل الشغل الموصوف باستخدام معادلات رياضية محددة تعتمد على مواصفات الشغل التفصيلية ، مثلا : وزن الكتلة المتحركة ـ مقدار السرعة ـ الارتفاع ـ قيمة الشحنة الكهربائية ـ فرق الجهد ....

ونظرا لأن حدوث أى شيء يستلزم كمية طاقة معينة فان الطاقة تعتبر عاملا ضروريا فى جميع العمليات الطبيعية المختلفة فى التفاعلات الكيميائية : فى تكوين السحب ، فى وظائف الخلايا الحية فى حركة الكواكب والنجوم ، فى انتقال الموجات المختلفة .

وكذلك فان الطاقة تلعب دورا أساسيا وخطيرا فى الأنشطة المختلفة للكائنات الحية وخاصة الانسان منها مثل النقل ، انتاج البضائع ، التدفئة المنزلية وما شابه ذلك من أنشطة .

صور الطاقة :

وتأتى الطاقة فى صور عديدة مختلفة ، مثلا :

١ ــ **الطاقة الحرارية** : وهى الناشئة عن ،



الطاقة والخلق

أو المعبرة ، عن طاقة الحركة للحركة الحرارية للمادة على المستوى الذرى .

٢ — الطاقة الميكانيكية : وهى طاقة الحركة التى تصف الحركة المنظمة للكتل المادية الضخمة .

٣ — الطاقة الكهربائية : وهى الطاقة الناشئة عن القوى التى تحدثها الأجسام المشحونة على بعضها البعض أو التى تنشأ عن القوى التى يحدثها التيار الكهربى بعضه فى بعض .

٤ — الطاقة الكيميائية : وهى طاقة الروابط الكيميائية الناتجة عن القوى الكهربائية التى تعمل على المستوى الذرى .

٥ — الطاقة النووية : وهى الطاقة المعبرة عن الارتباطات النووية كنتيجة للقوى النووية وقوى التنافر .

٦ — طاقة الجاذبية الأرضية : وهى الطاقة الناتجة عن قوى الجذب الأرضى التى تحدثها الأجسام الكبيرة بعضها فى بعض .

٧ — الطاقة الضوئية : وهى طاقة الموجات الكهرومغناطيسية المختلفة .

تحولات الطاقة :

تجرى للطاقة تحولات مختلفة من صورة الى أخرى ، وتخضع هذه التحولات الى قانونين أساسين من قوانين علم (الديناميكا الحرارية) وهما :

١ — الطاقة كمية محفوظة ، أى أن الكمية الكلية للطاقة لاتتغير مهما حدث من انتقالها من مكان لآخر . أو من تغيرها من صورة لأخرى

٢ — فى تحولات الطاقة ، تتجه الطاقة للمرور من الصورة المركزة الى الصورة المخففة أى أنها تتغير بصورة تؤدى الى نقص كمية الشغل الناتج .

ونضرب مثالا لتوضيح ارتباط الطاقة بالقانونين السابقين :

اذا اعتبرت جسما ساخنا جدا ، وحجمه صغير نسبيا وتم وضع هذا الجسم فى بحيرة كبيرة من المياه ، فان الطاقة الحرارية ستنتقل من الجسم الساخن الى المياه فى البحيرة مما يؤدى الى انخفاض حرارة الجسم الساخن وارتفاع حرارة مياه البحيرة قليلا وبعد قليل يصبح الجسم ومياه البحيرة فى درجة حرارة متساوية أعلى قليلا من درجة الحرارة الابتدائية لمياه البحيرة .

وهذا المثال يعنى أن الكمية الكلية للطاقة لم تتغير ولكنها أصبحت أكثر انتشارا أو أكثر تخفيفا .

فبينما فى الحالة الابتدائية كان يمكن للجسم الساخن جدا أن يولد بخارا ويدير (ماكينة) بخار ويحدث شغلا معينا فان الحالة النهائية التى أصبحت فيها مياه البحيرة دافئة قليلا ليست مناسبة للحصول على شغل معين .

الطاقة والقدرة :

القدرة هى معدل حدوث الشغل أو بصورة أعم هى معدل تحول الطاقة من صورة الى أخرى ، فمثلا القدرة الناتجة عن موتور كهربائى هى معدل تحول الطاقة الكهربائية الى طاقة ميكانيكية .

فالقدرة هى (المشتقة الزمنية للطاقة) .

أما سريان الطاقة فله نفس وحدات القدرة أى « طاقة / وحدة وقت » ويعرف بأنه معدل انتقال الطاقة أو بمعنى آخر ، كمية الطاقة المارة على نقطة معينة فى وقت معين من الزمن .

فمثلا ، كمية للطاقة الواصلة على سطح الأرض من الشمس فى وقت معين هى سريان الطاقة من الشمس الى الأرض .

تقييم الطاقة :

اذا اعتبرنا « الجول » هو وحدة قياس الطاقة (١) فاننا نجد أن الطاقة وتحولاتها تحتل مدى واسعا جدا من القيم المختلفة للعمليات المختلفة فمثلا الطاقة الشمسية اليومية المنبعثة من الشمس تقدر بحوالى ١٠^٣٢ جول فان الطاقة الشمسية الواصلة الى الأرض تقدر بحوالى ١٠^٢٢ جول .

والطاقة الناتجة عن شلالات نياجرا يوميا تعادل الطاقة الناتجة عن انشطار (١) كيلو جرام من « اليورانيوم » وتقدر بحوالى ١٠^١٤ جول .

وتصل الطاقة الناتجة عن احتراق «١» طن من الفحم حوالى ١٠^١٠ جول .

أما الطاقة الناتجة عن انشطار نواة « يورانيوم » فانها تصل الى ١٠ ^١١ جول وتصل الطاقة الناتجة عن احتراق ذرة « كربون » واحدة الى ١٠ ^١٨ جول .

مصدر الطاقة :

تعتبر الشمس هى المصدر الرئيسى للطاقة على ظهر الارض . حيث تصل الطاقة الشمسية الى أجواء الكرة الأرضية فينعكس بعضها أو يتناثر فى الفضاء الخارجى بسبب السحب أو الى أجسام خاصة أخرى أو جزيئات للغازات .

وجزء آخر من هذه الطاقة الشمسية يمتص بواسطة نفس الأشياء التى أحدثت التناثر ويتبقى الجزء من هذه الطاقة الذى يخترق الجو المحيط بالكرة الارضية الى السطح الصلب أو السائل للارض فاما أن يمتص أو ينعكس بواسطة سطح الارض . ويقوم الجزء الممتص من الطاقة الشمسية بواسطة سطح الأرض برفع درجة حرارة المياه أو التربة للارض حيث تكون كمية من الحرارة المحسوسة .

أو تؤدى الى تبخر المياه بكميات معينة فتؤدى الى الحرارة الكامنة . وتنتقل الحرارة المحسوسة فى كل الاتجاهات أفقيا أو رأسيا .

ويحدث اشعاع حرارى من الأرض يؤدى الى فقد كمية من الطاقة التى وصلت اليها .

وفى النهاية تحتفظ الأرض بكمية قليلة معينة من الطاقة ويترك مجال الارض كل كمية الطاقة التى وصلت اليها . مما يؤدى الى التوازن ما بين الطاقة التى وصلت والطاقة التى تركت الأرض . حقا انها القوة الالهية الجبارة التى تتحكم فى كل هذه التحولات الدقيقة التى تؤدى الى كل هذه التحركات المختلفة .

ومن غير الخالق الواحد القهار يستطيع ان ينظم هذه القوى ويسيطر على تحولاتها ويمد البشر بها فتستمر الحياة .

وأن القوة لله جميعا .

---

(١) الجول Joule وهو عبارة عن : حاصل ضرب متر مربع فى كيلو جرام على مربع ثانية ، أى مربع وحدة طول فى وحدة وزن على مربع وحدة زمن .



في ميزان الإسلام

الخاتمة

ثالثا ـ جريمة الفصل بين الدين والعلم :
أن نصوصا قرآنية خالدة مثل قوله تعالى « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »(المجادلة /) ، « فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ • يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ » (الطارق / ٥ ، ٦ ، ٧)، « أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ • وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ » (الغاشية / ١٧ ـ ٢٠) وغيرها من نصوص القرآن لتدعو بكل صراحة ، بل بكل قوة ، الى خوض غمار العلوم.

وان فصل الدين عن العلم أو سلخ العلم عن الايمان لهو جريمة نكراء وافدة علينا من الغرب أيام تسلط البابوات على رقاب الناس حينما كانت حكومة الكنيسة قد تدخلت في شئون العلم وحياة الناس بفرية على الرسالات السماوية ، فان أية رسالة نزلت من السماء تدعو الى العلم والتقلب في جناته والأخذ بالنصيب الأوفى منه حتى توجت الرسالة الخاتمة (الاسلام) هذه الدعوة بالترشيد والتوضيح وضرب الأمثلة وفتح أبواب البحوث امام أصحاب العقول وذوى الألباب ، ولم تعالج الرسالة الاسلاميه الجانب المادى في الانسان وكونه فقط أو الجانب الروحى منه فقط ، انما عالجت الجانبين على قدم المساواة ، واعتنت بكل ما من شأنه أن يقيم حياة الناس على أحسن حال .

ويمكن القول أن المجتمعات التى فصلت العلم عن الدين ، انما جاء ذلك منها نتيجة (رد فعل) يختلف قوة أو ضعفا للواقع الذى عاناه هذا المجتمع أو ذاك من هذا الدين بعينه الذى سيطر على أوربا ، وللرواسب التى أرهقت وجوده وضميره أو هروبا من مواجهة هذا الواقع الذى تتعقد مشكلاته عند بعض الشعوب ، فحينما تاجرت الكنيسة في أوربا بتذاكر الغفران وانحرف (الآباء) هناك الى الحجر على فكر الانسان واستغلال حريته اشتعلت النفوس حقدا فاضطرمت ثورتان :

الثورة الشيوعية التى أعلنت أن : « الدين أفيون الشعوب » ، الثورة الفرنسية التى نادت : « اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر



قسيس » فكانت الحكومة الدينية التى ظهرت فى التاريخ الغربى ذات مدلول خاص وفى بيئة معينة أدت الى ظاهرة فصل الدين عن الدولة أو الايمان عن العلم ، فكان ظهـــور الدولة العلمانية ثم الثورة الشيوعية انقـــاذا لبعض المجتمعات من سلطان الكنيســـة الخانق فى العصـــور الوســـطى والعصر الحديث ، وكان انقـــاذا لها ــ فى مفهـــومها ــ من التمزقات النفسية والفكرية التى كانت نتيجة غلبة الوثنية اليونانية والرومانية على الفـــكر المســـيحى والتقاليد المســـيحية فى أوربا ، وحـــذت بعض الدول الآسيوية حذو الغربية فى نفس الاتجاه.

وليس فى التاريخ الاسلامى للأمة الاسلامية ــ خصوصا فى الفترات التى كان فيهـــا الدين والدولة أو الايمـــان والعـــلم ســـياج المجتمع وقوام الحيـــاة فيه ــ ما يقرب أو يشابه هذه الصورة المشوهة التى ألجأت تلك المجتمعات ــ أوربية أو آسيوية ــ للتنكر للدين حتى وقعت فيمـــا هو أنكى من تلك الحيـــاة المنكرة .

رابعا : مجالات لن يدركها البحث العلمى أبدا :

لقد أسرف العلم فى الغـــرب حينما غالى فى قدرته على فهم أسرار بعينها : كبدء الحيـــاة على الأرض واســـتمرارها ونهايتها ، الا أن العالم لا يخلو من عقلاء يقرون بعجزهم عن ولوج هذه الأمور التى لا قبل للنـــاس بها ، فاتجهوا اذ ذاك يبحثـــون فى أمور الظواهر الكونية وآثار الحكمة الالهيـــة فى المخلوقات الأرضية مستخدمين فى ذلك ما توصلوا اليه من أدوات وامكانات البحـــوث التى تعينهم فى مساعيهم الحميد هذا .

للدكتور كارم السيد غنيم

وانه لمن المعلوم أن أسرارا ستظل غامضة ولن يستطيع البشر بكل ما توصلت اليه عقولهم من اختراع للأدوات والوسائل ، الى معرفتها ، من تلك المغيبات :

(أ) سر خلق الحياة .

(ب) سر استمرار الحياة .

(جـ) سر انتهاء الحياة .

ان علماء يقضون أعمارهم الآن فى البحث عن الحلقة المفقودة فى تطـــور الانســـان الجسمانى (الخلقى) حتى يثبتوا أن الانسان تطور عن قرد ، وانهم لفى وهم . وكان الأجدر بهم أن يحاولوا مثلا خلق جـــدار خليـــة ، أو صنع جناح بعوضة ، ذلك المســـتحيل الذى لا قبل لهم به . فما بالك بالوصـــول الى سر خلق كائن كامل هو أكرم مخلوقات الأرض عند الله : الانسان ، ولو نظروا فى القرآن لعرفوا فصل الخطاب فى هذا الباب .

أما عن الخلود : فلقد أنفق العلماء جهـــدا ومالا ووقتا ولم يصلوا حتى الآن ، ولن يصلوا الى تحقيق الخلود لانسان أو أى كائن حى ما ، وكل محاولاتهم فى هذا المضمار لا تعدو أوهاما ذهبت أدراج الرياح ، فالله سبحانه وحده هو الذى وهب ضوابط الحياة وأسباب استمرارها وهو وحـــده العليم بمنتهاها ، فالموت نهاية كل حى ، هكذا شاءت ارادة الله الذى خلق كل

حى ، وهو أيضا العليم بنهاية العالم الدنيوى كله حتى يكون بابا لقيام القيامة وبداية عالم الآخرة ، وكل هـذه أمور ايمانية لا فكاك من التصديق بها .

خامسا : ضرورة حتمية ايمان النـاس عامة والباحثين خاصة بالأمور الغيبية :

اذا كان الكلام هنا يعد استكمالا للفقرة السابقة فقد أفردناه بفقرة خاصة لاتساع موضوعه وخطورته . فالايمان بالله ذاتا وصفاتا وأفعالا دون أن نراه ، والايمان بمخلوقات له كالملائكة والجن دون أن نراها ، والايمان بالكتب والرسالات السماوية دون أن نعاصر مواقيت نزولها أو نراها تنزل على الرسل ، والايمان بالقيامة والآخرة والبعث والنشور والجزاء والعقاب والجنة والنار ، كل ذلك من الأمور الغيبية أو المسائل المغيبة عن الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية وكافة درجاتهم الادراكية أو الفكرية .

اذا كان الايمان بالغيب ، ما يزال ، أصلا من أصول الفطرة الانسانية السوية فانه فى فى عصور التقدم العلمى وفى عالم المدنية المعاصرة أشد طلبا وأعظم خطرا فى حياة البشر وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع وأدواء تتولد يوما بعد يوم .

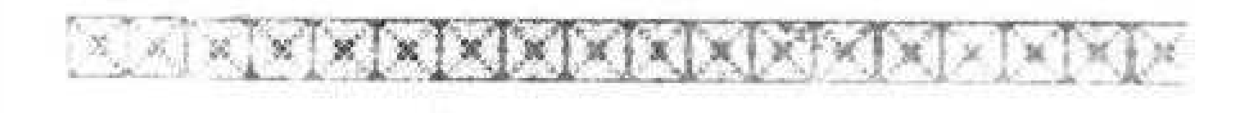
ان عصرنا الذى هو عصر الفتوحات العلمية والكشوف الكونية عصر يزن كل أمر فى الحياة بالقيم العلمية والمقاييس المادية . هذا العصر تاه فيه العلماء عبر سنين مضت ، فكان ما كان من الأمراض والمشكلات والأدواء والتخريب والدمار ، الا أنه قد عاد اليوم نفر منهم ، ويفكر آخرون فى العودة أو اللجوء الى عالم الاستقرار النفسى ولن يجدوا ذلك الا فى الايمان بالغيب والايمان بأن فى العالم أمورا لن يصلوا الى سبر غورها أو معرفة كنهها الا بالتسليم لله وحده ، فأما الكشوف العلمية فقد كانت من المغيبات حتى أذن الله بانبلاجها فانبلجت أمام العلماء وعلى أيدى الباحثين ، ان الايمان بالغيب هو مصدر النشاط العلمى الرشيد للكشف عن مجاهيل الكون ، حتى ليقول اينشتين (Einstein) : (ان الشعور الدينى الذى يستشعره الباحث فى الكون هو أقوى حافز على البحث العلمى وأنبل حافز) .

سادسا : عجز التقدم العلمى المجرد من الايمان عن اقامة مجتمع بشرى سوى :

ان انتشار العيادات النفسية فى الدول الغربية وارتفاع معدل الانتحار وانتشار العادات المنافية للفطرة البشرية كل ذلك أكبر دليل على عجز المدنية الحديثة عن اقامة مجتمع سليم ، ذلك لان الآخذين بزمام الحياة فى هذه الدول من قادة وعلماء يتجهون الى تجاهل عواطف الانسان والى تجاهل ايقاظ كوامن نفسه ومسايرة جوانب فطرته السوية .

وينطلقون ــ غالبا ــ الى عالم تحقيق الانتصارات على حساب كيان الانسان وفطرته وضميره غير مقدرين وزنا لهـذه القيم النبيلة التى تسعد الانسانية بحق ولقد آن لعلماء المسلمين وحدهم أن ينهضوا الى الأخذ بزمام القافلة لتتجه الى صراطها المستقيم الذى يقيم كرامة الانسان ، ويقود العلم فى خطاه السليمة .

« د . كارم السيد غنيم »



حرية الرأى

فى الإســـلام

للشيخ صادق إبراهيم عرجون

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الديمقراطية : هــذا اللفظ المتردد كثيرا بين الناس والذى يتشدق به كــل من يريد أن يلبس رأيه ثــوب المرونــة وينأى بوجهة نظره عن صفة الجمود ، وينفى عن نفسه سمة التعصب .

هذا اللفظ . قد سبق بمضــمونه الاسلام منذ ما يزيد على أربعــة عشر قرنا من الزمان . بل هــو اســاس من أسسه التى قــام عليهــا غالى الــذين يظنون فى أنفسهم أنهم أصحاب الفضل فى ارساء هــذا المبــدأ نســوق هاتين الآيتين على سبيل المثال . « وشاورهم فى الأمر » و « وأمرهم شورى بينهم » ليعتبر من كان من أولى الأبصار .

واليهم نقــول : عودوا الى كتاب الله وسنة رسوله تجدوا فيهما الأسس السليمة للحياة الكريمة فى دقة بالغــة .

ان « الديمقراطية » الصــحيحة احدى فضائل الاسلام قــال الكاتب ــ ـمه الله » .

شرع الله تعالى الاسلام دينا للانسانية عاما خالدا ، وجعله خاتم حلقات ســلســلة الوحى المتلاحقة فى سجل التاريخ الانسانى من لدن آدم الى محمد ــ صلوات الله عليه ــ . فكان هو الحلقة المكملة لتنزيل الرحمــة

(1) المجلد السادس .



التشريعية الى الانسان فى هذه الأرض .

وقد شاءت حكمة الله أن تكون كل حلقة من حلقات التشريع الالهى على قدر استعداد الجماعة التى تأتى لها فى تكوينها الطبعى والخلقى والاجتماعى .

وكأنما نظم الله الانسانية بالوحى عقدا اجتماعيا متماثل الحلقات فى كل جيل وقبيل ، وان اختلفت فى الوضع والتصوير ، لتتفق مع وضع الأمة فى مكانها من الحياة .

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » .

حتى اذا اكتملت الانسانية فى حقيقتها المطلقة وتهيأت للوحدة الفكرية والاتجاه العقلى ، جاءها الاسلام مهيمنا على زمامها ليرشدها الى ما أعدت له من الكمال الذى يسمو بها عن حضيض الأرض الى ملكوت السماء .

ومن ثم كانت الشرائع السابقة انما تخاطب عقلا خاصا محدودا خطابا خاصا محدودا ، لا يتعدى هذا الجيل من الناس الى غيره من الأجيال ، ولا هذا القبيل الى سواه من المجتمع ، ولا ذلك التشريع الى تشريع أوسع وأعمق ، لأن العقل الانسانى العام لم يكن صالحا حينئذ لهذا الخطاب العام .

لكن الاسلام عمد الى هذا العقل الانسانى العام بعد أن تهيأ فى تكوينه الى الاضطلاع بعبء الحياة ، وخاطبه خطاب المرشد الى الطريق الأقوم ، وجعله قيما على شئون الحياة كلها ، وأبى الاسلام أن يقبل سلطانا غير سلطان العقل ، وشدد النكير على الذين استسلموا لبلادة الحس ، وأنامو عقولهم عن النظر والتفكير .

فقال فى دستوره ناعيا عليهم ازدراء عقولهم وتشبثهم فى اتباع آبائهم على ضلالاتهم : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » .

وقال فى هذا الباب أيضا على مهيع آخر :

« إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ » فهذا التسفيه البالغ حد التحقير للمخاطبين أشد ايلاما لنفوسهم ، وألذع فى افئدتهم .

وقد مهد له القرآن بقضية من بداهة الفطر لا تختلف فيها العقول سيقت للتنبيه على موطن الخطأ العقلى فى مسلكهم ، حيث تعبدوا أنفسهم لما لا يستحق الحياة ، بله العبادة والتقديس . هم يعلمون أن الأصنام ليست لها أرجل تمشى بها ، ولا أيد تبطش بها ، ولا أعين تبصر بها ، ولا آذان تسمع بها ، ولكن فى نفى هذا المعلوم بداهة على طريق الاستفهام ازراء على عقولهم بأبدع أسلوب

« أفمن يمشي مُكِبًّا على وجهه أهدى أمّن يمشي سويًّا على صراط مستقيم » ؟ :

وقد أراد القرآن الكريم بهذا المبدأ السامي ايقاظ العقل وتنبيهه الى أداء مهمته وابراء النفس الانسانية من مرض التقليد الأصم ، وتربية القوى الفكرية على الاعتداد بالنفس واستقلال الرأى وحرية التفكير ، ولذلك أثنى على الذين أيقظوا عقولهم وتفلتوا من قيود التقليد الى ساحات النظر في آيات الله في الأنفس والآفاق ، وساروا بسير العلم غير ملتفتين الا الى الحق فلم يقولوا : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »

ولا اعتذروا اعتذار العاجز الذليل « ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ».

فقال تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

هذا النوع من التشريع الفكرى من أهم ما عنى به القرآن الحكيم ، فردده كثيرا في آيات بينات على أنحاء شتى ، تعظيما لقدر الانسانية واجلالا لمقام العقل العام . في حدود تكبح من جماحه اذا تطلع الى تعدى طوره ، ومجاوزة حده وهو يطلعنا على أخص خصائص الاسلام وأعظم مميزاته على الشرائع الأخرى اطلاقا ، تلك الخصيصة هى أن الاسلام أقام من العقل الانسانى حارسا على الانسانية ، وملك الانسانية الحياة لتكون حية نامية والنمو رقى في مدارج الكمال وهو بهذه الروح الهادئة القوية ضمن لنفسه البقاء والهيمنة على ماسواه « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه » .

فهم المسلمون الأولون الاسلام على هذا الأساس ، فعظموا حرية الرأى تعظيما جعل منهم أمة ناهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض في زمن لا يمكن أن ينهض بهذا السلطان القاهر لو كانت الأمة القائمة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير ، وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الاسلام وجعله مناط الثناء على المؤمنين فقال : « وأمرهم شورى بينهم » وأمر الله به نبيه — صلى الله عليه وسلم — ليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : « وشاورهم في الأمر » الا قاعدة من قواعد حرية الرأى وتقديسها ، فاستمع الرسول أمر ربه ، وجرى على هذا السنن فيما لم ينزل عليه وحى فيه .

روى البخارى في صحيحه « أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد اليهم أموالهم وسبيهم ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : معى من ترون ، وأحب الحديث الى أصدقه ، فاختاروا احدى الطائفتين : اما السبى ، واما المال ، وقد كنت استأنيت بكم — وكان انتظرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف — فلما تبين لهم أن رسول

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ غير راد اليهم الا احدى الطائفتين ، قالوا : فانا نختار سبينا .

فقام رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد : فان اخوانكم قد جاءونا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل .

فقال الناس : قد طيبنا ذلك يارسول الله .

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : انا لا ندرى من أذن منكم ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم ، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » .

هذا الحديث الشريف يصور أقصى ما تبلغ اليه الأمم الناهضة من حرية الرأى ونظام النيابة الفاضلة ومحو الاستبداد . وفيه من الفوائد العظيمة التى تدنو منا فى عصرنا هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الرأى ، ما يجل عن الوصف . ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذى عقدنا هذا المقال لأجله :

أول ما يبده القارىء من هذا الحديث قول النبى ــ صلوات الله عليه ــ لهؤلاء الذين دخلوا فى الاسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث الى أصدقه » ليشعرهم بقانون الاسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى ، والتجافى عن روح الاستبداد ، والحكم الفردى ، فكأنه يقول : ان الأمر صار الى الأمة ، ولابد من أخذ رأيها ، مع أنه لو فعل شيئا ما طرفت عين بمخالفته « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » ، ولكنه مشرع لدين عام خالد ، وهؤلاء تلاميذ مدرسته العظمى ، مدرسة الحياة ، والقائمون بأمر هذا الدين من بعده ، فهم فى حاجة الى دروس فى التربية الاستقلالية ، والاعتداد بالنفس ، وحرية الرأى ، فرد اليهم الأمر ليعلم واقدو الاسلام روح التشريع فى الاسلام ، وليعلم حماة الاسلام مكانهم من الدين ، ومكان الدين منهم .

ثانيا ــ لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها ، بل خيرهم بين احدى الطائفتين : اما المال ، واما السبى ، وفى ذلك من احترام الرأى مالا يحتاج الى بيان .

ثالثا ــ عرض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة اخوانهم ، وقال لهم : « انى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم » ، ثم أطلق لهم حرية الرأى ، وأبان أنه لا يحكم الا بما تطيب به نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، أفتراه ــ وهو الرسول الأمين ــ قام الى سبى هوازن فرده اليهم اتكالا على اجابة عامة من حشد المسلمين ، كيف ؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له ، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم ، والمسلمون سواء أمام التشريع العام ، لكل مسلم رأيه ، ولكل رأى اعتباره ،

لا ، لم يتفرد النبى برأيه ، ولكنه عمد الى أدق نظم حرية الرأى ، وأجراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا الى أنفسهم ، ويتعرفوا منها الرضا ، أو الاباء ، وينضجوا رأيهم ، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا اليه ما استقر عليه رأيهم .

نظام بلغ أسمى آيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة ، أليس هو أحدث ما تطمح اليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ، فليتبصر الذين لا يعرفون من الاسلام الا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الاسلام فى الصميم .

اشترع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى ، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ قد ملكه المسلمون رقابهم وأموالهم ، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان : خطب الناس أول ما خطبهم بعد مقام الخلافة فقال : « أيها الناس انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقوموني » فكيف تكون اذن حرية الرأى ؟ !! خليفة يملك من أمر الناس مالا يملكونه فى بيوتهم ، ثم يرد اليهم أمر نفسه ويجعلهم ميزانا لأعماله ، ويطلب منهم العون ان أحسن ، والتقويم ان أساء، بهذا الروح ظفر أبو بكر ــ رضى الله عنه بالعرب بعد أن ارتدت أقاصيها .

ولقد سرت هذه التعاليم فى المسلمين ، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عوج عمر ! انما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمر أمة لا تلين لها فى الحق قناة .

بل ان عمر ــ رضى الله عنه بث فى الأمة حرية الرأى بين كبيرها وصغيرها .

روى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب قال : « لاتزيدوا فى مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذى القصة ، فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال » فقالت امرأة من صف النساء طويلة فى أنفها فطس : ما ذاك لك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن الله يقول : « **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** » فقال عمر : « امرأة أصابت ، ورجل أخطأ » .

واذا تأملنا فى أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صعد الى الرفيق الأعلى ولم يخلف على المسلمين رجلا بعينه ، وهذا كان ميسورا وحاسما ، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الاسلام .

وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب الا بعد أن فوض اليه المسلمون ذلك.

روى ابن الجوزى « أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس اليه فقال : انه قد نزل بى ما ترون ، ولا أظننى الا ميتا لما بى ، وقد أطلق الله ايمانكم من بيعتى ، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم ، فأمروا عليكم من أحببتم ، فانكم ان أمرتم فى حياة

متى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقم لهم ، فرجعوا اليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا ، قال فعليكم عهد الله على الرضا ، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

فاذا كانت حرية الرأى فى الاسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة ، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية . فأما التشريع فحسب القارىء الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الاسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصحرون فى رأى الا عن كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة ، وحتى أن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة ، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده ولا حجر عليه رأيه .

فهذا مالك بن أنس امام المدينة : قال له أبو جعفر المنصور : اجعل هذا العلم علما واحدا . فقال له مالك : « ان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تفرقوا فى البلادفأفتى كل فى مصره بما رأى ، فلأهل المدينة قول ، ولأهل العراق قول » . وفى رواية أنه قال له : « ان أهل العراق لايرضون علمنا » .

فقال أبو جعفر : يضرب عليه عامتهم بالسيف ، ونقطع عليه ظهورهم بالسياط ، فأبى مالك . فانظر الى اجلال مالك بن أنس — وهو من أجل أئمة المسلمين المقتدى بهم فى مشارق الأرض ومغاربها — لحرية الرأى وتجافيه عن خذلانها . خليفة مسلط يحرض عليه نشر علمه فى الأرض ولا يكون بين الناس غير رايه فيأبى ، لأن لكل مجتهدى مصر من أمصار المسلمين رأيا أخذوه عن منبع الشريعة .

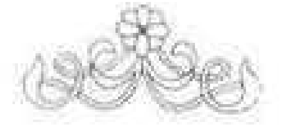
حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان ، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنه لا حاجة معها الى قانون آخر .

قال العلامة ابن القيم : « ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها ، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها ، لم يحتج معها الى سياسة غيرها البتة » .

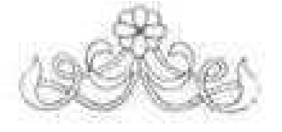
ومن البداهة بالمكان الأول اننا لا نعنى بحرية الراى ما يفهم من كلمة (الفوضى) حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول فى الشريعة برايه ، وانما نعنى أن العالم الثقة اذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله ، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله .

اللغة والأدب والنقد

إلحاق هاء السكت بما آخره ساكن



النهج الإبداعي للآمدي الناقد



الإعلام الإسلامي الأسس والمبادئ



إلحاق هاء السكت بما آخره ساكن عند الوقف

عرفنا مما مضى أن هاء السكت تجتلب عند الوقف لبيان الحركة وهذا هو الأصل فيها .

وقد تلحق ما آخره ألف بشرط أن يكون مبنيا وإليك ما قاله سيبويه مع التعليل قال (جـ ٢ ص ٢٨٠) : وقد لحقت هذه الهاءات بعد الألف في الوقف لأن الألف خفية فأرادوا البيان ، وذلك قولهم : هؤلاه ، وههناه ، ولا يقولونه في أفعى ، وأعمى ونحوها من الأسماء المتمكنة كراهية أن تلتبس بهاء الاضافة (١) ومع هذا أن هذه الألفات حروف اعراب (٢) ألا ترى أنه لو كان في موضعها غير الألف دخله الرفع والنصب والجر كما يدخل راء أحمر ، ولو كان في موضع ألف هؤلاء حرف متحرك سواها كانت لها حركة واحدة كحركة أنا وهو، فلما كان كذلك أجروا الألف مجرى ما يتحرك في موضعها .

واعلم أنهم لا يتبعون الهاء ساكنا سوى هذا الحرف الممدود ، لأنه خفي فأرادوا البيان كما أرادوا أن يحركوا : وناس كثير من العرب لا يلحقون الهاء كما لم يلحقوا هو ، وهن ونحوهما ثم قال سيبويه (وقد يلحقون في الوقف هذه الهاء ـ الألف التي في النداء(٣) والألف والياء والواو في الندبة ، لأنه موضع تصويت وتبيين فأرادوا أن يمدوا فألزموها

---

(١) فلو قلت أفعاه لفهم أن أفعى مضاف والهاء ضمير مضاف اليه ـ وانما لم يجيء هذا اللبس في هؤلاء لأنه لا تجوز اضافته .

(٢) علة ثانية لعدم جواز الحاق هاء السكت بالمعرب الذي آخره ألف ـ وذلك لأن هذه الألف لو كان مكانها حرف يقبل الحركات لقبلها جميعا وأخذت هذه الألف حكم الحر فالمتحرك بحركة اعرابية في أنه لا يجوز الوقف عليه بهاء السكت؛ أما الألف في آخر المبني لو كان مكانها حرف يقبل الحركة لزم حركة واحدة لبنائه فأخذت الألف حكم هذا الحرف المبني في جواز الحاق هاء السكت به عند الوقف .

(٣) المراد بالنداء الاستغاثة : راجع شرح قول ابن مالك ـ ولام ما استغيث عاقبت ألف ـ وقوله في الندبة .. الخ .

ومنتهى المندوب صلة بالألف ... الخ الباب

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم الشناوي

الهاء في الوقف لذلك ، وتركوها في الوصل لأنه يستغنى عنها في المتحرك في الوصل لأنه يجيء ما يقوم مقامها وذلك قولك : يا غلاماه ، ووازيداه ، وواغلامهوه ، ووأذهاب غلامهيه — اهـ جـ ٢ ص ٢٨١ .

وقد ذكر سيبويه أنهم كما يبينون حركة البناء بهاء السكت يبينونها في حرفين فقط بالألف وهما (أنا ، وحيهلا) .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٧٩) وقد استعملوا في شيء من هذه الألف في الوقف كما استعملوا الهاء . لأن الهاء أقرب المخارج الى الألف وهي شبيهة بها فمن ذلك قول العرب : حيهلا ، فاذا وصلوا قالوا : حيهل بعمر ، وان شئت قلت :

حيهل — بالسكون كما تقول : بحكمك ، ومن ذلك قولهم : أنا ، فاذا وصل قال : أن أقول ذلك ولا يكون في الوقف في « أنا » الا الألف لم تجعل بمنزلة هو (أي في جواز بيان حركتها) . لأن هو آخرها حرف مد . والنون خفية فجمعت أنها على أقل عدد ما يتكلم به مفردا وأن آخرها خفي ليس حرف اعراب فحملهم ذلك (١) على هذا اهـ .

ولكن الرضى عقب عليه بقوله :

أما حيهلا فيجوز أن يكون الألف فيه بدلا من التنوين في حيهلا (٢) ...

وقد بينا في باب المضمرات : أن الألف في « أنا » عن الكوفيين من نفس الكلمة وبعض طيء يقف عليه بالهاء مكان الألف فيقول : أنه ، وهو قليل قال حاتم (الطائي) : هكذا فزدي أنه ، وبعض العرب يصل أنا بالألف في الوصل أيضا في السعة ، والأكثر انهم لا يصلونه بها في الوصل الا ضرورة قال (٣) :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني
حميدا قد تذريت السناما

---

(١) أي حملهم كونها على أقل ما يتكلم به وأن آخرها خفي ليس بحرف اعراب حملهم على لزوم الالف في الوقف — بخلاف « هو » .

(٢) راجع القاموس في باب الياء فصل الحاء (حي) تجده أتى في حيهلا بوجوه كثيرة ومنها ما ذكره الرضى .

(٣) هذا البيت لحميد بن حريث بن بحدل الكلبي وقوله حميدا منصوب على أنه بدل من الياء في « فاعرفوني » أو على الاختصاص — وهذا ان روى « حميدا » بالتصغير على أنه علم فان كان بفتح الحاء على أنه صفة بمعنى محمود فهو حال — وان كان اسما غير صفة ما جاز في المصغر ، وقد اختلف في اسم الشاعر . فيقال هو مصغر . وقيل : مكبر ، و « تذريت » : علوت ، وأصله من بلوغ الذروة . والسنام للبعير معروف والمراد انه بلغ ذروة المجد والرفعة .

والاستشهاد بالبيت في قوله « أنا » حيث جاء بالألف مع الوصل وهو من الضرائر الشعرية .

اجراء الوصل مجرى الوقف

قد يعطى الوصل حكم الوقف من اسكان مجرد ، أو مع الروم والاشمام ومن تضعيف ، ومن نقل حركة ، ومن اجتلاب هاء السكت وذلك قليل في النثر ، كثير في الشعر ، لأنه محل الخروج عن القياس فمن الأول : قراءة بعضهم « وَجِئْتُكَ مِن سَبَإْ بِنَبَإٍ » باسكان همزة سبأ في الوصل ، وقراءة غير حمزة والكسائى « لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ » ، ومن ذلك (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ) خُذُوهُ ، وقوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ) ، وقوله تعالى (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ) (١) .

ومن ذلك قول طيىء :هذه أفعى ، بسكون الياء وصلا ووقفا .

قال سيبويه (جـ ٢ ص٢٨٧) وأما طيىء ، فزعموا أنهم يدعونها (أى الياء المنقلبة عن الألف في الوقف) في الوصل على حالها في الوقف لأنها خفية لا تحرك قريبة من الهمزة حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب ، وزعموا أن بعض طيىء يقول : أفعو ، لأنها أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها اهـ .

قال الرضى (جـ ٢ ص٢٨٦) : والذين يقلبونها واوا يدعون الواو في الوصل بحالها في الوقف : وكل ذلك لاجراء الوصل مجرى الوقف ا هـ .

وهو كثير ولكنه غير قياسى .

ومن الثانى وهو أكثر .

قال الرضى : قد يجرى الوصل مجرى الوقف والغالب منه في الشعر ، للضرورة الداعية اليه قال : (٢)

لما رأى أن لادعه ولا شبع
مال الى ارطاة حقف فالطجع

ومن ذلك قول شمير بن الحارث الضبى :

أتوا نارى فقالت منون أنتم
فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

وموضع الشاهد كلمة « منون أنتم » القياسى ، « من أنتم » .

لأن « من » اذا أريد بها الحكاية لا يختلف لفظها في حال الوصل ، وانما يكون ذلك في

---

(١) الحق هاء السكت في الوصل ــ بقوله تعالى ــ لم يتسنه ، وماليه ، وسلطانيه وماهيه ، واقتده ــ والاصل فيها أن تلحق عند الوقف ، ولكنه هنا اجرى الوصل مجرى الوقف .

(٢) هذا البيت من الرجز ، لمنظور بن مرثد الاسدى يصف ذئبا ، والدعة خفض العيش وهى محل الشاهد حيث أبدل التاء هاء في الوصل اجراء له مجرى الوقف .

والارطاة : واحدة الارطى وهو شجر من اشجار الرمل ــ والحقف ــ بكسر الحاء وسكون القاف : التل المعوج ، والطجع : أصله اضطجع فأبدل الضاد لاما ، ويروى ، فاضطجع ، بابدال الضاد طاء ، ويروى ، فاضجع ، بابدال الطاء ضادا .

حال الوقف فعومل الوصل هنا معاملة الوقف.

ومن ذلك قول الراجز

مثل الحريق وافق القصبا

والشاهد في قوله القصبا حيث شدد الباء كأنه وقف عليها بالتضعيف مع أنه وقف باجتلاب ألف الوصل فلم تكن الباء حال الوقف واقعة في الآخر حتى يعاملها هذه المعاملة . ولكنه أجرى الوصل مجرى الوقف فضعف الباء ومن ذلك قول الشاعر :

يا أبا الأسود لم خلفتني

لهموم طارقات وذكر

والاستشهاد بالبيت على أنه قال « لم » بالسكون في حال الوصل اجراء له مجرى الوقف .

لهجات أخرى في الوقف
(منقولة عن كتاب سيبويه)

من ذلك ما حكاه سيبويه فقال (جـ ٢ ص ٢٨٨) :

وأما ناس من بني سعد فانهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف ؛ لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف . وذلك قولهم هذا تميمج ، يريدون : تميمي ، وهذا علج يريدون: علي ، وسمعت بعضهم يقول : عربانج يريد عرباني (١) وحدثني من سمعهم يقولون :

خالي عويف وأبو علج[٢] المطعمان الشحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنج

يريد العشي والبرني فزعم أنهم أنشدوه هكذا

وقال « هذا باب الكاف التي هي علامة المضمر » (جـ ٢ ص ٢٩٥) .

اعلم أنها في التأنيث مكسورة ، وفي المذكر مفتوحة ، وذلك قولك رأيتك ــ بالكسر ــ للمرأة ، ورأيتك ــ بالفتح ــ للرجل ــ والتاء التي هي علامة الاضمار كذلك تقول : ذهبت ــ بالكسر ــ للمؤنث ، وذهبت ــ بالفتح ــ للمذكر .

فأما ناس كثير من تميم ، وناس من أسد ، فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين ، وذلك أنهم أرادو البيان في الوقف ، لأنها ساكنة في الوقف « مطلقا » فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل ، لأنهم اذا فصلوا بين المذكر

(١) نسبة الى عربان ــ وهي محركة بلد بالخابور .

(٢) قال الأعلم : وانشد في باب الحرف الذي يبدل منه في الوقف حرف اخر أبين منه ــ خالي عويف .. الخ .

والشاهد فيه ابدال الجيم من الياء في علي والعشي ، والبرني ، لان الياء خفيفة وتزداد خفاء بالسكون للوقف فابدلوا مكانها الجيم ، لانها من مخرجها وهي أبين منها ، والبرني : ضرب من التمر وفلقه : ما قطع منه بعد تكتله في جلله وهي قفاف تعبئته ــ ا هـ .

والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنهم اذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان

أقوى من أن يفصلوا بحركة فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا :

ذهبوا وذهبن ، وأنتم وأنتن . وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف اليها ، لأنها

مهموسة كما أن الكاف مهموسة ولم يجعلوا مكانها مهموسا من الحلق ، لأنها ليست من

حروف الحلق ، وذلك قولك : انش ذاهبة ، ومالش ذاهبة يريد انك ، ومالك .

واعلم أن ناسا من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث وانما الحقوا السين ، لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل . وذلك أعطيتكس ، وأكرمكس ، فاذا وصلوا لم يجيئوا بها ، لأن الكسرة تبين ، وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان وذلك قولك : أعطيتكش وأ كرمكش فاذا وصلوا تركوها .

وانما يلحقون الشين والسين في التأنيث ، لأنهم جعلوا تركهما بيان التذكير واعلم أن ناسا من العرب يلحقون الكاف التي هي علامة الاضمار اذا وقعت بعدها هاء الاضمار ألفا في التذكير وياء التأنيث ، وذلك قولك : أعطيكيه وأعطيكيها للمؤنث ، وتقول في التذكير . أعطيكاه وأعطيكاها .

وحدثني الخليل : أن ناسا يقولون : ضربتيه فيلحقون الياء وهذه قليلة وأجود اللغتين وأكثرهما أن لا تلحق حرف المد في الكاف ــ وانما لزم ذلك ، (الحاق حرف المد) الهاء في التذكير كما لحقت الألف الهاء، في التأنيث والكاف والتاء لم يفعل بهما ذلك، وانما فعلوا ذلك بالهاء لخفتها وخفائها ، لأنها نحو الألف ــ ا هـ .

ولنكتف بهذا القدر المنقول عن كتاب سيبويه قصدا للتدريب على فهم أساليب سيبويه ــ ومن أراد الاستزادة فليرجع الى الكتب الخاصة باللهجات والله الموفق .

انتهى الوقف

د/ عبد العظيم على الشناوى



للآمدي الناقد

بقلم الدكتور
عبد الحميد محمد العبيسي

منهجه فى النقد والموازنة

(ب) خطة الآمدى فى كتابه « الموازنة » :

ذكرنا أن « الموازنة » تتكون من عشرة جزاء « أبواب » هى :

١ ــ احتجاج الفريقين ، وسرقات أبى تمام .

٢ ــ أغلاط أبى تمام فى المعانى والألفاظ .

٣ ــ المرذول من ألفاظ أبى تمام ، والساقط ن معانيه .

٤ ــ سرقات البحترى .

٥ ــ أخطاء البحترى .

٦ ــ الدربة والممارسة ، وباب فى فضل بى تمام .

٧ ــ باب فى فضل البحترى .

٨ ــ الموازنة التفصيلية .

٩ ــ التشبيه عندهما (مفقود) !! .

١٠ ــ الأمثال عندهما (مفقود) !! .

وهذا التبويب وتلك التجزئة قد أحدثهما الآمدى نفسه ، بنص كتابه ، وقد أشار ياقوت الحموى الى تلك الأجزاء فى « معجم الأدباء » (٣٢) ، كما تساءل الدكتور مندور ــ رحمه الله ــ عن الأساس فى هذا التقسيم، أهو عدد الأوراق أم وحدة الموضوع (٣٣) ؟ ولا يمثل هذا التساؤل كبير أثر ، فان الذى يعنينا أن الأجزاء الثمانية الأولى هى محتوى الموازنة المطبوعة والمنشورة فى صورتها التى بأيدينا ، وأن جزءى التشبيه والأمثال مازالا مفقودين !! .

فى ضوء ذلك نستطيع أن نتبين خطة صاحبنا فى كتابه من كلامه هو الذى وعد فيه بأنه سيعالج أربعة عناصر :

---

(٣٢) الحموى : ياقوت (معجم الأدباء جـ ٨ ص ٧) .

(٣٣) مندور ــ د. محمد (النقد المنهجى عند العرب) ص ١٥٧ .



الأول : ذكر المساوىء للانتهاء الى ذكر المحاسن عند الطائيين .

الثاني : الموازنة التفصيلية بينهما .

الثالث : استيفاء عناصر النقد في التشبيهات والأمثال عندهما .

الرابع : عرض مختارات شعرية لهما مرتبة حسب حروف المعجم .

هذه هي الخطوط العريضة التي كان يؤمل الآمدي تحقيقها في موازنته ، فهل استطاع الوفاء بها ؟ .

ان المطلع على الموجود في « الموازنة » يدرك أن العنصرين الأولين هما الموجودان ، وأن العنصرين الأخيرين لم يردا الينا .

ان العنصر الأساسي هو الموازنة التفصيلية وهو الذي يشكل الحيز الأكبر في هذا الكتاب بل هي عنوانه ومضمونه ، فواضح أنها أهم العناصر وأكبرها على الاطلاق .

ولقد عرض الآمدي الموازنة في **جانبين** :

١ ـ **تنظيري** يعتمد على ركائز **ابرزها** :

(أ) أخذ معنيين في موضعين متماثلين .

(ب) توضيح الجيد والردىء مع ذكر العلة .

(جـ) تبيين الجيد والردىء مع اغفال العلة، اعتمادا على فطنة القارىء ، أو ظهور مناحي الجودة والرداءة .

(د) الحكم بأن هذا أشعر من ذاك في معنى معين ، دون صدور حكم نهائي : « أيهما أشعر على الاطلاق ؟ » .

« وليس من شك في أن الاتفاق في المعنى هو المنطقة الصحيحة للموازنة (٣٤) » .

بل هي المجال الميسر الذي أتاح لناقدنا أن يمارس مهمته في دقة وسهولة .

ويحتل الجانب التنظيري الموازني قدرا كبيرا من كتابه من أول الجزء الأول المطبوع بتحقيق العلامة المحقق الفاضل الأستاذ السيد صقر الى ص ٤٢٩ ، وحين فرغ من تناول هذا الجانب النظري رأيناه يقول :

« وقد انتهيت الآن الى الموازنة بينهما ، وكان **الاحسن** أن أوازن بين البيتين أو القطعتين اذا اتفقنا في الوزن والقافية واعراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق **المعاني** التي اليها المقصد ، وهي المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل » (٣٥) .

أرأيت هذا الناقد وهو يكشف عن طريقته المثلى في الموازنة ، من حفاوة بالمعنى ، وعناية

(٣٤) عباس : د . احسان (تاريخ النقد الادبي عند العرب) ص ١٨٠ « بتصرف » .
(٣٥) الآمدي : الحسن بن بشر (الموازنة جـ ١ ص ٤٢٩) .
هذا الجانب التطبيقي يحتل من ص ٤٢٩ الى ختام الجزء الاول بجانب الجزء الثاني كله .

بالمضمون ، وتحصيل أسباب الحيدة والابتعاد عن الهوى والتحامل ؟ !! .

٢ ـ جانب تطبيقي تفصيلي يتجلى في قوله « وأنا أبتدىء باذن الله من ذلك بما افتتحا أى (الطائيان) به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدمن والأطلال ، والسلام عليها ، وتعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار اياها ، والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وكما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش ، وفي تعنيف الأصحاب ولومهم على الوقوف عليها ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدم من ذلك (ذكر) ابتداءات قصائدهما في هذه المعاني ان شاء الله(٣٦) » .

ان الآمدى في هذا الجانب التطبيقي يقسم الشعر عندهما فنونا وأغراضا ، وصولا الى استقراء دقيق لتبيان « أيهما أكثر ابداعا في فنٌ تناول هذه الفنون ؟ » . وهذا التقسيم لم يصطنعه الآمدى حبا في التفريع والتقسيم ولكنها طبيعة المنهج العلمي في البحث .

ومن ثم فلا نستطيع أن نوافق على ماذهب اليه أحد المعاصرين من « أن تجزئة القصائد هي موطن الضعف في الموازنة وهي بالعملية الاحصائية أشبه ، كما أنها تتحدد بما لمحه الآمدى من معان وردت في الشعر ، وقد تجيء هناك معان لا شركة فيها ، وقد يشترك اثنان في موضوع واحد ، ثم يكون تناولهما له على وجهين شديدى التباعد ، فهي عمل لا ينتهي الى غاية واضحة .

ان الموضوعات التى تكافأ فيها الشاعران خمسون ، وان الموضوعات التى رجح فيها ميزان البحترى مائة ، فهل معنى ذلك أن البحترى أشعر من أبى تمام ؟ . ان قضية الموازنة قد اقتضت من الآمدى جهدا في غير طائل ، وردته الى سذاجة المفاضلة مرة أخرى على الرغم من تذرعه بالعلل ، ومن احتفاله بالتبويب والتقسيم ، انها اخضاع شيء لا يخضع للاحصاء ، ظاهرها منطقى ، وأصولها غير معتمدة على منطق ..!! (٣٧) » ولعلك تدرك معنى مدى الريب في هذا الزعم الذى يتجاهل تماما كل اثر للموازنة ، وينفي كل قيمة لها ، وكان الأحرى بمثل هذا الناقد المعاصر أن يقدر تلك الظروف التى ظهرت فيها دراسة جديدة في الموازنة الأدبية كمنهج نقدى ليدرك ابداع ذلك الناقد فيما اختطه من كتاب، وفيما عرضه من موازنة .. على أنا لا نسلم بأن الاشتغال بالموازنة عديم الفائدة ، وماذا كان يصنع الآمدى ازاء ذلك الصراع العنيف وتلك الخصومة الشديدة ؟ الا يوافقنى الأستاذ الناقد على أن الموازنة قد فرضت نفسها على مسرح النقد ، وهو خال من اية دراسة جادة محايدة وافية كان يمكنه أن

---

(٣٦) المصدر السابق .
(٣٧) عباس : د. احسان (تاريخ النقد الادبي عند العرب) ص ١٨٢ .

النهج الإبداعى

تمهد الطريق للآمدى ، ولكنه استطاع بعقليته الفذة فى غيبة منهج الموازنة الأدبية العربية أن يرسى أصولا ويقيم قواعد لذلك المنهج الموازنى النقدى العجيب ، وأن يجعل من كتابه سفيرا على مر الأزمنة ، وتعاقب الايام ، ليثرى الحياة النقدية مع تجدد الشهور والسنين !! .

واذا كان الآمدى قد جنح فى موازنته بعض الشىء فحسب أنه الرائد وحده ، فهو الذى مهد الطريق ويسر السبيل ، وأن الموازنة بلاشك — هى وثبة كبرى فى تاريخ النقد العربى القديم ، بما اجتمع له من خصائص ، وما اختط من منهج ، وما توخى من وسيلة ، وبما حققه من نتائج ، فى وقت كان قد كثر فيه أدعياء المعرفة بالنقد والعلم ، وليسوا من العلم والنقد فى شىء ، وقد غرهم أنهم تعلموا شيئا من المنطق ، أو الجدل ، أو علم الكلام ، أو بعض أبواب الفقه ، أو حفظوا شيئا من صدر اللغة ، أو ألموا بمقاييس العربية ، فدفعهم هذا الغرور الى قرع باب النقد ، فتوجه اليهم الآمدى قائلا : « .. ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرىء انما يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه فينبغى — أصلحك الله — أن تقف حيث وقف بك ، وتقنع بما قسم لك ، ولا تتعدى الى ما ليس من شأنك ، ولا من صناعتك .. (٣٨) » .

ولا يضير الآمدى أبدا أن يستخدم الاستقراء أو الاحصاء فى تسجيل حسنات أو سلبيات شاعرية ، والا فليدلنا الناقد الفاضل على طريقة أخرى متاحة يراها مثالية، ولم يستخدمها الآمدى !! .

ان الآمدى — بحق — كان مهندسا قديرا ، وفنانا بارعا فى خطة الموازنة ، « فهى خطة سليمة واضحة ، اذ يتناول المؤلف موضوع درسه فى مراحل ثلاث لكل مرحلة منهجها .

محاجة ، فموازنة ، فمقارنة .. » ، وانه وان يكن التقسيم الى أجزاء غير محكم ولا واضح ، بدليل أنها تتفاوت من مائتى صفحة أو يزيد فى جزء « الموازنة التفصيلية » الى ثمانى صفحات فى الجزء « الخاص بتفضيل الشاعرين » — أقول :

انه بالرغم من ذلك يتضح لنا منهج المؤلف فى بناء كتابه بناء محكما ، وأما مسالة (تساوى)الأجزاء فمسألة شكلية لا تؤثر على سياق الحديث فى شىء (٣٩) » . وبعد فتلك هى خطة الآمدى المحكمة ، فى سفره العظيم « والموازنة » ليست بحاجة الى من يدافع عنها .

د عبد الحميد محمد العبيسى

---

(٣٨) الآمدى : الحسن بن بشر (الموازنة جـ١ ص ٤١٩) ، بتصرف . .

(٣٩) مندور : د . محمد (النقد المنهجى عند العرب ص ١٦١) .

الإعلام الإسلامي

الأسس والمبادئ

٤

القيم الإخبارية

للأستاذ حسن علي محمد العنيبسي

لا احد (١) ينكر ان اساس العمل الاعلامي كله يقوم على (الخبر) .

ففي الصحافة ـ مثلا نجد الركيزة الاولى فيها تقوم على صناعة الخبر ، ومنه يتولد « التحقيق الصحفي » « والحديث الصحفي » و « المقال » بانواعه في الصحافة اليومية بالذات .

وفي الاذاعة تحتل « الاخبار » مكان الصدارة حيث تقدم الفترات الاخبارية في كل المحطات الاذاعية .. ومن الاخبار يتولد « التعليق على الانباء » ، و « التحليل السياسي » و « الريبورتاج الاذاعي » ، و المقابلة أو الحديث الاذاعي » .. الخ الفنون الاذاعية الاخرى .. ومايقال على الاذاعة ينطبق على التليفزيون .

● ومن هنا تأتي أهمية « العمل الاخباري » كمحتوى أو مضمون اعلامي يحتل مساحة كبيرة ، زمنية أو مكانية في شتى وسائل الاعلام هذا من جهة .

٥

(١) يقدم الكاتب بحوثه في هذا المجال،ويسعده ان تكون محلا للمناقشة والتعقيب لا سيما ، وهو يطرق ميدانا ندر رواده كما ندرت سوابق البحث فيه حتى يتم في النهاية بيان محكم رشيد عن « الاعلام الاسلامي » .. الباحث .

ومن جهة أخرى فان للاخبار تأثيرا مباشرا على الجماهير ، ولأن الناس لاتستطيع أن تحيا دون معرفة مايجري حولها ، ولذا كان من الطبيعي أن يترقب الناس مواعيد نشرات الأخبار في الاذاعة والتليفزيون ، ويشترون الصحف لمعرفة الاخبار .

* واذا كانت الاخبار تتمتع بهذه الاهمية، وتلك المكانة فانه يبدو امامنا الى أي مدى يصبح الخبر الكاذب خطيرا وجسيما ، والى أي مدى قد يحدث الخبر الكاذب آثارا خطيرة بين الشعوب ، والحكومات .. بل قد يسبب خبر ما اعلان حرب بين دولتين .. أو اشعال فتنة بين أبناء الشعب الواحد .. !!

* لهذا كله .. يبدو من الاهمية بمكان أن يكون « لصناعة الاخبار » ضوابط وقيم ، ومبادىء تحترم ويتمسك بها رجال الأخبار ، والقائمون بالاتصال في كل الوسائل الجماهيرية .

* ولهذا كان للاسلام — وما يزال — وقفة طويلة أمام « الخبر » ومصادره والقائمين على نشر هذه الاخبار ، ولعله من المفيد أن نطرح كل هذا أمامنا مستفيدين منه ، ومن خبرات من سبقونا في هذا الشأن .. ويدفعنا هذا في البداية الى أن نسأل :

أولا : ما الخبر ؟

تقول « اللغة » (١) : خبرت الشيء (أخبر) من باب قتل (خبرا) علمته فأنا (خبير به) واسم ما ينقل ويتحدث به (خبر) والجمع (أخبار) . وفي أساس البلاغة (٢) : مالي به من خبر أي علم ، ومن أين خبرت هذا بالكسر ، وأنا به خبير ، واستخبرته عن كذا فأخبرني به وخبرني . وخرج يتخبر الاخبار أي يتتبعها .. هذا من الناحية اللغوية .

أما « الخبر » اصطلاحا : فتتفق معظم أقوال الباحثين في الاعلام على أنه رواية واقعية « للحدث ACTION » دون تحريف أو زيادة أو نقصان ، وبهذا يمكن القول أن كل ما يحدثه الانسان من فعل يمكن أن يكون « خبرا » ، اذا أخذ طريقه الى « الرواية » كما يمكن أن يكون « قولا » أو غيرهما ومسرح الحياة يموج بالأخبار مع كل تحركات الناس في شتى نواحي الحياة .. وهذا التعريف واسع فضفاض .. ولهذا جاء من قال : هناك أخبار تستحق النشر وأخرى لا تستحق النشر ، وثالثة ليست للنشر،

---

(١) المصباح المنير : مادة خبر .

(٢) اساس البلاغة : مادة خبر .

ومن هنا وضع علماء هذا الفن ضوابط للاخبار ذات القيمة والفائدة والاهمية الاخـرى التى لا يهم أحدا نشرها ولا تلقى اهتماما •• ومن اهم هذه المبادىء •

* **أن يكون الخبر جديدا ••** وبالتـالى يشتاق الناس الى سماعه ومعرفته

* **وأن يكون واقعيا ••** فلا يكون نسج خيال أو « اشاعة » (١) •

* **ان يكون طريفا ••** والطرافة هنـــا تعود لغرابته أو لمقدار ما يبعث من تسلية •

* **ان ينتظره اكبر عدد من النـــاس ••** وهى صفة اساسية فى اختيار ما ينشر وما لا ينشر •• لانه لا قيمة لخبر لا يهم النـــاس وفى تقـديرى أن تكون هذه الخاصة فى المرتبة الاولى عند ذكر قيمة الاخبار الصالحة للنشر •• وقد اسهب علماء الاتصال فى التفاصـيل والشرح وذكر الصفات والخصائص المتصـلة بالخبر الصالح للنشر •• بما لانجد مجاله فى هذه السطور العجلى لأن هدفنا هنا أن نركز على المبادىء والاسس والقيم الاسلامية التى يعمل فى اطارها « الخبر » وينتشر ، ويقـدم على هدى منها رجال الاعلام بعملية « صناعة الاخبار » بما يخدم قضايا المجتمع المسلم وهذا يجرنا الى الحديث عن المنابع أو مصادر الاخبار : ـ

ثانيا :

* **مصادر الخبر :** اذا كان مسرح الحياة كله صالحا لأن نجد فيه « الخبر » فانه يجدر بنا أن نحدد اين نجد « الخبر الصالح للنشر »؟ وفى الحق أنه يمكن أن نقرر وجود ثلاث دوائر أساسية نستقى منها الاخبار الجيدة كالتالى :

١ ـ الدائرة الاولى ـ الافراد :

وليست كل أخبار « الافراد » تصلح لأن تنشر على الملا ، ولكن هناك الافراد النجوم(أ) STARS مثل رجال السياسة حيث ترصـد



(١) لنا حديث فى حينه عن «الاشاعة والخبر» من هذه السلسلة ان شاء الله تعالى ، ويجب أن نعرف ان الخبر يحكى قصة حقيقية بعيدا عـن الاهواء والاغراض فأما الاشاعة فتنطلق لاغراض غير التى ينطلق من اجلها الخبـــر ثم هى تابعة لخطط لها سلفا ، ومفتعلة ، ليست طبيعية الحدوث كما هو الحال فى الاخبار ، الى جانب انها تخدم اغراضا معينة •

وسائل الاعلام جميع تحركاتهم حتى الشخصى منها ولو داخل منزله .. وينبغى أن نقول هنا : ان هذا الوضع الاخير ليس من الاسلام .. فان الاسلام حرم التجسس واستراق السمع .. ولو كان — فى ميداننا هذا — يؤدى الى سبق صحفى .. !!

* كذلك فان من مبادىء الاعلام الاسلامى .. « أن الحرية الشخصية مصونة لا تمس » فلا يمكن لأى وسيلة اعلامية — فى ضوء هذه التعاليم — أن تدس أنفها فى المسائل الشخصية للفرد .. وانما يكتفى بتتبع تحركاته ذات الاثر العام على الناس أما تصرفاته فى منزله أو مع أسرته أو مشاكله الخاصة فان هذا يتعارض تماما مع مبدأ أساسى فى ديننا الاسلامى .

(ب) أخبار نجوم الفن من سينما ومسرح وغيرهما .

ومما يؤسف له أن نجد جميع الصحف والاذاعات فى بلاد المسلمين تخصص مساحة اعلامية كبيرة لهذه الفئة من الناس .. ثم نفاجأ فى الصحف بأن (فلانا) طلق و (فلانة) تعيش قصة حب .. الخ هذه التفاهات وفى ذلك ما فيه من تضييع لوقت القارىء المسلم والمشاهد أو المستمع المسلم فيما لا طائل من ورائه .

وتصل بعض الاخبار فى صحفنا الى حد النميمة والكذب والافتراء الى جانب ما تقوم من تجسس مرفوض تماما فى الاعلام الاسلامى ومن هنا فاننا نستطيع أن نقرر أن هذه الدائرة الاخبارية الخاصة بالافراد : فى الاعلام الاسلامى انما تلتزم بنشر ما يهم الانسان المسلم وما يحدث تأثيرا فى حياة الناس من جراء الاقوال أو افعال هؤلاء الافراد مثل رؤساء الدول والزعماء السياسيين ورجال الفكر والافراد العاديين فى حالة حدوث « فعل » يجعلهم موضع الاضواء بشروط :

١ — الا يكون فى الاعلام به تدخل فى حياته الشخصية بما يسىء اليه أو لا يرضى عنه .

٢ — وألا يسبب هذا النشر له آلاما نفسية أو مادية . فانه « لاضرر ولا ضرار » فى الاسلام .

٣ — الا يغير أو يؤثر هذا النشر على مجريات العدالة اذا كان الموضوع متصلا بنشر تفاصيل حادثة أو جريمة أو قضية معينة .

٤ — الا يكون فى نشره اخلال بالآداب العامة أو ما يتعارض مع مبادىء الشريعة السمحاء .

أما ما نراه في الصحف من تشهير وقــذف وهتك لأعراض الناس ووصم للابرياء بصفات خطيرة قبل تحقيق القضاء أو الادانة من جهــة قضائية فان هذا يعتبر مخالفا تماما للمبادىء الاسلامية وللقيم الاخبارية في الاسلام ، وانى لآمل أن تكف صحفنا في المجتمع الاسلامي عن الخوض في أخبار الجرائم اللهم الا المتعلق منها بأخبار من يتولى منصبا عاما ويثبت خيانته .

٢ ــ **الدائرة الثانية** : أخبار الهيئــات والمؤسسات سواء أكانت رسمية أم أهلية فهي في القانون تعتبر شخصية اعتبارية ومسئوليتها تضامنية . وما ينتج عنها من فعل يؤثر في حياة الناس يعتبر أخبارا تستحق النشر مثل : ــ الوزارات والمصالح الحكومية ، والجهات التي يتعامل معها المواطنون يوميا والجمعيات الدينية والنوادي الثقافية والرياضية وغــير ذلك .

ولهذا نجد أن الصحف ودور النشر الكبرى ترسل الى كل جهة من هذه الجهات مندوبين **لجمع الاخبار ولمعرفة ما يدور داخل هــذه المؤسسات ، وليس من شك أن هــذا يعطى ــ بشكل غير مباشر ــ دورا رقابيا للاعــلام على المؤسسات العامة والشخصيات العامــة بما يعود بالفائدة على المجتمع** وينبغى لوسائل الاعلام في هذه الدائرة بالذات أن تكــــون ذات اتجاهين : ــ

١ ــ من المواطن الى المؤسسات العامــة لتوصل اليها رأيه ومشاكله ووجهات نظره .

٢ ــ ومن المؤسسات الى المواطن حيث تخبره بما يجد من جديد في أسلوب التعامل أو بماله تأثير عليه في حياته مثل مصلحة الجوازات أو التموين أو الضرائب أو غيرها مما له صـلة مباشرة بحياة الناس .

٣ ــ **الدائرة الثالثة** : الأمــور المتصــلة بالطبيعة والبيئة مثل أخبار الزلازل والمجاعات والكوارث والارصاد الجوية وأنسب الايــام للسفر أو الزراعة لمحصول كذا .. الخ .

وهذه الدائرة تقدم خدمة خاصة للنــاس وغالبا ما تكون أخبارها لها (صفة الفجائية) والطفرة أحيانا وأحيانا أخرى لا تكون لها أية أهمية تذكر ..

على أي حال لا تخلو نشرة في اذاعاتنا من ذكر أحوال الطقس اليومية أو غير ذلك .

ثالثا ــ وسائل نشر الاخبار : لاشــك أن الانسان هو الهدف الاول في عملية صناعــة الاخبار : فنحن نحاول أن نصل اليه بوسائل عدة مثل : الصحف ، الراديو ، التليفزيون ، الاتصال المباشر الى غير ذلك من وسائل الاتصال ولاشك ــ أيضا ــ أن لكل وسيلة من هــذه

الوسائل صفات تميزها عن غيرها وتجعلها مفيدة وضرورية في وقت ما أكثر من غيرها .

وقد تواضع الناس على نسبة ثقة معينة يعطونها لكل وسيلة من هذه الوسائل فمثلا يثق الناس في الاذاعة أكثر من ثقتهم في أخبار الصحف ، ويثق الناس في أخبار التليفزيون أكثر من الاذاعة لأنه يقدم لهم الى جانب الصوت والصورة الواقعية الحقيقية للحدث نفسه .. وهكذا .

والخبر في هذا كله هو محك الاعلام وهو الاساس في كل هذه الوسائل ، **ومن هنا فان لكل وسيلة اسلوبا متميزا في صناعة الاخبار ، وما يجوز نشره في الصحف قد لا يمكن نشره في الاذاعة ، وما يمكن قوله في الاذاعة قد لايكون مقبولا لو نشرت صورته في التليفزيون .. !**

ولهذا فان لكل وسيلة مبادىء خاصة بها في صناعة الخبر الى جانب المبادىء التى ذكرناها وأوضحنا موقف الاعلام الاسلامى منها . وعلى سبيل المثال .

* **في الاذاعة :** نقول ان محرر النشرة الناجح هو الذى يلتزم الصدق والامانة والشرف الصحفى في تعامله مع الخبر .. الا أنه والحق يقال هناك بعض المشاكل والعقبات تقف في سبيل هذا الالتزام منها ما يلى : ـ

١ ــ الالتزام بالسياسة العامة للدولة ..

وهنا قد يتعارض خبر ما برغم أهميته مع المبادىء أو السياسات العامة للدولة ــ أية دولة ــ وهنا يكون القائم على عملية صناعة الخبر في صراع بين أمرين :

فواجبه يملى عليه الا يخفى هذا الخبر عن الناس .

ونشر الخبر يتعارض مع سياسة معينة تراها الدولة .. من هنا يلجأ الى البتر والحذف في الخبر بما يشوه الحقائق ويفقد الخبر مكانته ومصداقيته لدى المستمع فاذا حدث أن علم المستمع من جهة اذاعية أخرى حقيقة الخبر وقعت أزمة الثقة بين الوسيلة الاعلامية وبين « المتلقى » للجماهير هنا مقولة مشهورة : « يا عم دا كلام جرايد » !!

فالجماهير ذكية وتدرك أبعاد الموقف .. لكنها لا تنسى من يخدعها ولاتقيم معه جسرا للثقة بعد ذلك .

وموقف الاعلام الاسلامى من هذه المسألة واضح كل الوضوح لان الاعلام مرآة للمجتمع .. وفي المجتمع المسلم يلتزم الاعلام بالمصالح العليا للأمة ، فينشر ما يراه صالحا للأمة ، ويغفل ما يتعارض مع ديننا الاسلامى واذا كانت السياسات العامة للدولة ملتزمة بوازع من مبادىء الاسلام فان الاعلام سيكون بالطبع انعكاسا لهذه المبادىء .

٢ ــ طبيعة الوسيلة : وطبيعة الوسيلة

التي تنشر من خلالها الخبر تؤدي دورا هاما في تحديد ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله ..

مثلا تستطيع الصحف أن تعرض بإسهاب تفاصيل جريمة ما كجريمة اغتصاب .. أو زنا — رغم تحفظنا على هذا الجانب — في حين لا يمكن للتليفزيون أن يعرض هذا على شاشته وقائع هذا الحدث ، ويستطيع الراديو أن ينشر خبرا عن كارثة معينة بحيث لا يسبب صدمة للمجتمع كالتي يسببها نشر الصور وتفاصيل هذه الكوارث للمشاهد .. وهكذا ..
ثم اذا كانت الوسيلة محلية الانتشار فان لها أخبارا تناسب هذه المحلية وهي تختلف تماما عن اهتمامات الوسيلة عالمية الانتشار .

ثم نجد أن الخبر الاذاعي أقرب الى الأذن من خبر التليفزيون . وخبر الصحيفة أكثر استمرارية من الخبر الاذاعي والتليفزيوني .. بمعنى أنه يمكن الرجوع اليه في أي وقت وتحت أي ظروف .. بينما تفقد هذه الاستمرارية في الاذاعة أو التليفزيون بمجرد سماع النبأ فلا يبقى بين أيدينا شيء مادي يمكن أن نعاود النظر فيه .

ويحسن بنا في نهاية هذه الحلقة أن نحدد القيم الأخبارية في الاعلام الاسلامي على الوجه التالي : —

١ — قيم خبريه متصلة باستقاء الانباء .

٢ — قيم خبرية متصلة بصياغة الخبر ونشره

٣ — قيم خبرية عامه .

ولان المساحة تحدنا بحدود لا ينبغي ان تتجاوزها فاننا نرجي الحديث عن هذه المحاور الثلاثة الى حلقة قادمة ان شاء الله تعالى .
وبالله وحده التوفيق والسداد ..

مصادر البحث :

المجلات ١ — مجلة الازهر عددا ربيع الاول ، ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ .

٢ — مجلة الفن الاذاعي الاعداد ٨٨، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١

٣ — مجلة الفيصل العدد ٧٠ الصادر في ربيع الآخر ١٤٠٥ هـ

الكتب : ١ — الخبر ومصادره : د . احمد المغازي — مجموعة محاضرات لكلية الاعلام سنة ١٩٧٧ .

٢ — نشأة وسائل الاعلام وتطورها : د . خليل صابات .

٣ — دور الاعلام الديني في تغيير قيم الاسرة : د . نوال عمر ، مكتبة نهضة الشرق .

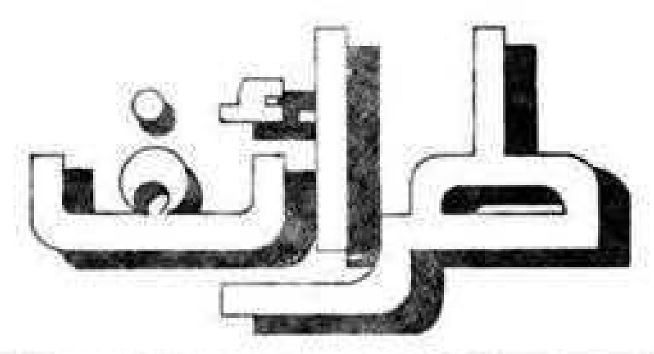
٤ — نحو اعلام اسلامي : حسن علي العنيسي .

٥ — استقاء الانباء فن : وديع فلسطين .

القواميس : ١ — أساس البلاغة للزمخشري .

٢ — المصباح المنير للفيومي .





تبارك الله أحسن الخالقين

وعظ الامام الشافعي « محمد بن ادريس » ـ رحمه الله ـ فقال : هذا ورق التوت ، لونه واحد وطعمه واحد .

يأكله الدود فيخرج منه الحرير .
ويأكله النحل فيخرج منه العسل .
وتأكله الشاة والبقرة فتلقيه بعرا أو روثا .
وتأكله الظباء فيخرج منه المسك .

وهي شيء واحد « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

أشد الناس حسرة

كان عبد العزيز بن ابى رواد من كبار الصالحين فى جيله .

وكان راضيا عن الله فى كل حالاته :
ومن كلماته المأثورة :

أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة :

رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة افضل عملا منه .

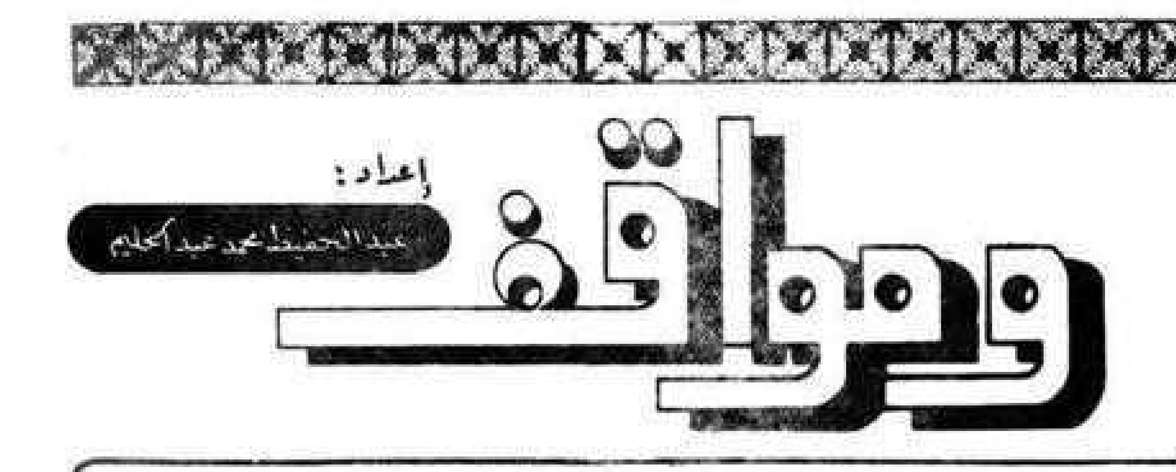
ورجل له مال فلم يتصدق منه ، ومات فورثه غيره ، فتصدق منه .

وعالم لم ينتفع بعلمه ، وعلم غيره فانتفع به .

يأمر وينهى

دخل شريح القاضى على زياد يزوره فى مرض موته فلما خرج سئل : كيف تركت الأمير ؟





قال : تركته يأمر وينهى •

فقال مسروق بن الأجدع : ان شريحـــا صاحب تمريض •
فاسألوه •

فسألوه ، فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عـن البكاء •

الحـمد لله

جمع عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ قراء أهل الشام وقال لهم : انى جمعتكم لأمر قد أهمنى ، هذه !! المظالم التى فى أيد أهــل بيتى ما ترون فيها ؟

فقالوا : ما نرى وزرهــا الا عــلى مــن اغتصبها !

فقال لابنه : عبد الملك ، ما ترى ؟

فقال : ما أرى من قدر على ردها فلم يردها والذى اغتصبها الا سواء •

فقال : صدقت يابنى •

الحمد لله الذى جعل لى وزيرا من أهلى : عبد الملك ابنى •

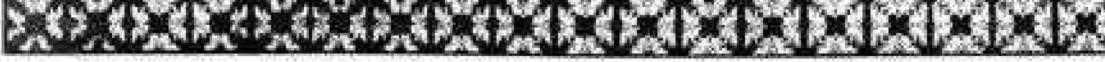
خلق الله الذباب

كان المنصور جالسا فالح عليه الذباب حتى أضجره •

فقال : انظروا من بالباب من العلماء ؟

فقالوا : مقاتل بن سليمان •





طرائف ومواقف

فدعا به ، ثم قال له : هل تعلم لأى حكمـة خلق الله الذباب ؟ .

قال : ليذل به الجبابرة .

قال : صدقت ، ثم أجازه .

حـقـا

من أعطى مالا ، أو جمالا ، أو ثيـابا ، أو علما ، ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يـوم القيامة .

حـجة بالغـة

طلب صديق من الأصمعى قرضا فقال له : حبا وكرامة ، ولكن سكن قلبى برهن .. !

فقال له الرجل : الا تثق بى ؟

فأجاب الأصمعى : بلى ، وإن خليل اللـه ابراهيم ــ عليه السلام ــ كان واثقا بربه وهو يقول : « ولكن ليطمئن قلبى » .

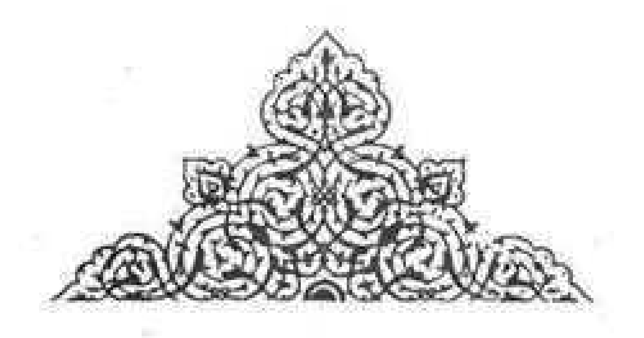
دعـوة المظـلـوم

لما حبس جعفر بن يحيى البرمكى وأبـوه بعد أن كان وزيرا لهارون الرشيد الخليفـة العباسى قال لأبيه : يا أبت ، بعد الأمر والنهى أصارنا الدهر الى القيود ، ولبس الصـوف. فقال الأب : يابنى ، دعـوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها .

دعـاء

اللهم ارزقنى التوفيق حتى تصـوم عينى عن الحرمات ، وتصوم نفسى عن الشهوات ، ويصوم قلبى عن الخطرات التى تحجبنى عنك.

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم





أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
محمد يوسف صلاح

علماء العالم الاسلامي

وجهت اللجنة العليا للمؤتمر العالمي الرابع للسنة والسيرة النبوية الشريفة . الدعوة الى العديد من علماء الاسلام من خارج مصر . للاشتراك فى المؤتمر العالمى الرابع للسنة والسيرة النبوية الذى يبدأ فى اول نوفمبر القادم . تم حجز مبنى جامعة الدول العربية ليكون مقرا رئيسيا للمؤتمر فترة انعقاده ، كما تم حجز فندق « ماريوت » لاستقبال الضيوف وستكون جلسة الافتتاح بقاعة الامام محمد عبده بالازهر . وقد وصل عدد البحوث التى قدمت الى امانة المؤتمر (١٦٦) بحثا باللغة العربية وتسعة بحوث باللغة الانجليزية، وبحثين باللغة الفرنسية ، وبحثا واحدا باللغة التركية .

اهتمام عالمى بمؤتمر القاهرة للاعجاز الطبى فى القرآن .

يناقش المؤتمر الدولى عن « الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم » الذى يعقد بالقاهرة يوم ٢٣ سبتمبر القادم لمدة اربعة ايام تحت الرياسة الشرفية لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر ـ مائتى بحث نقلتها امانة المؤتمر من جميع انحاء العالم . وسوف يحضر المؤتمر حوالى خمسمائة من اطباء العالم العربى والاسلامى ودول اوربا وامريكا وكندا وامريكا اللاتينية واستراليا وآسيا ومجموعة من المستشرقين وذلك ضمن اهتمام عالمى وعلمى كبير باول مؤتمر يعقد من نوعه فى منطقة الشرق الاوسط تناقش فيه بحوث علمية وطبية متصلة بالاعجاز الطبى فى القرآن الكريم .

تطوير مناهج التربية الاسلامية بالمدارس الابتدائية ..

انتهت مطابع وزارة التربية والتعليم من طبع كتب التربية الاسلامية للصفوف الثلاثة الاولى من مرحلة التعليم الاساسى . وذلك بعد أن قامت لجنة من أساتذة السيرة وخبراء المناهج الازهر ووزارة التربية والتعليم بتطوير المنهج



أنباء وآراء

بحيث راعت فيه وسائل الترتيب والايضاح بالصورة والرسوم التي توضح سير الأحداث الاسلامية في السيرة النبوية والغزوات ، وكذلك اهتمت اللجنة في هذا المنهج الجديد بتقرير السور القرآنية التي تدعو الى حسن الخلق والاقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام .

بيت القرآن بالبحرين

تم وضع حجر الاساس لمشروع بيت القرآن بالمنامة بدولة البحرين يضم المشروع مسجدا ومكتبة ومتحفا ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وقاعة للمحاضرات والمؤتمرات . تبلغ تكاليف بيت القرآن ثلاثة ملايين وأربعمائة الف دولار . ومشروع بيت القرآن بالمنامة يعتبر اول مجمع اسلامي متكامل لخدمة الدعوة الاسلامية في البحرين .

مركز اسلامي في بلجيكا

يتم حاليا انشاء مركز اسلامي جديد في مدينة « أنيتوبورت » البلجيكية . ويتم تنفيذ المشروع تحت رعاية مؤسسة الملك فيصل الخيرية ويخدم ٣٥ الف مسلم في المدينة البلجيكية التي تعد اكبر ميناء تجاري في بلجيكا .

مراجعة الكتب الدراسية في الدول الغربية

وافقت معظم الدول الغربية على الخطة التي تقدمت بها الجمعية الدولية « الاسلام والغرب » التي يراسها الحبيب الشطي رئيس الجمعية ، والامين العام السابق لمنظمة المؤتمر الاسلامي . تتضمن الخطة مراجعة الكتب الدراسية في الغرب والتي تحتوى على مفاهيم تسيء الى سمعة المسلمين ، وتتعرض للقيم والمبادىء الاسلامية السمحة بالتجريح .

واضاف الشطي :

ان الجمعية الدولية شكلت لجنا لهذا الغرض وانتهت من مراجعة الكتب الدراسية الخاصة بالمرحلتين الابتدائية والثانوية ، ومازالت الجهود مبذولة لمراجعة الكتب الجامعية وتهدف هذه الخطة الى مواجهة الحملات الصهيونية العالمية وتوضيح الاسلام على حقيقته دينا قادرا على قيادة العالم كذلك قررت الجمعية تنظيم مؤتمر في العام المقبل ، لبحث المشكلات التي تواجهها المجتمعات الاسلامية في الدول الغربية .

طبع مائة كتاب مخطوط

قرر الرئيس الباكستاني ضياء الحق طبع مائة كتاب مخطوط ومطبوع من كتب التراث الاسلامي التي تمثل مختلف المجالات الابداعية للعلماء المسلمين خلال الاربعة عشر قرنا الماضية في السيرة والفقه والتاريخ والطب والحضارة .

مركز اسلامي لعلوم النفس والاجتماع

تقرر اقامة مركز اسلامي لابحاث علم النفس والاجتماع في اليمن الشمالية . بهدف ايجاد منهج اسلامي موحد لهذه العلوم .

يقوم بتنفيذ المشروع رابطة العالم الاسلامي ووزارة الاوقاف والارشاد اليمنية وجامعة صنعاء .

الكويت تطبع مليون كتاب اسلامي

تقوم الآن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية في الكويت بطبع مليون نسخة من الكتب الدينية في مختلف العلوم والدراسات الاسلامية . تطبع الكتب بلغات مختلفة منها البرتغالية والاسبانية والانجليزية والاردية

والسواحلية والهوسا وبعض اللغات الافريقية الأخرى . يتم توزيع هــــذه الكتب عــلى المسلمين فى البلاد التى تتحدث بهذه اللغـات وكذلك على غير المسلمين من أجل التبليغ بحين الاســلام .

من خير ماكتب

الدكتور / عبد الجليل شلبى

قــرآن وسـنة

ترى هل يذكر الذين يتحدثون عــن تطبيق الشريعة الاسلامية وما يزعمونه فيها من عنف وشدة واستبداد . و .. الخ . هل يذكر هؤلاء ان اول خليفة للمسلمين وضع مــن اصــول الديمقراطية ما لم تصل اليه ايــة دولــة فى التاريخ الحديث ؟ .

جاء فى أول خطبة للخليفة الأول : « .. انى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتمونى على حق فأعينونى وان رأيتمونى على بـاطل فقومونى ، .. أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فان عصيته فلا طاعة لى عليكم ..)

فالخليفة وضع نفسه قبل كـل شىء تحت رقابة الأمة يعينه محكوموه على الحق ويردونه عن الباطل ، ثم جعل نفسه مــوظفا لــديهم ، لاطاعة له عليهم اذا عصى الله ، فلهم اذن حق خلعه ، وطاعة الله ومعصيته ترجع الى قانون الله تعالى وقرآنه .

وهل كانت هذه مجرد دعاية ام جرى عليها المسلمون فعلا ؟ .

ان المسلمين كان لهم حق مراجعة الحاكم وروجع الخلفاء فى مختلف الأزمنة .

وأعجبنى « من التعجب » وادهشنى ماذكره البعض من أن أبا بكر يوم أن أعلن حرب الردة أصر عليها رغم مخالفة الصحابة لهورأى ذلك استبدادا .!!!

لقد كان الحديث بينه وبينهم مراجعة لنص دستورى وهو قول رسول الله صلى اللــــه عليه وسلم (أمرت أن أقــاتل النــاس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فاذا قالوها عصموامنى دماءهم وأموالهم) وذكرهم الخليفة ببقية الحديث وهى الا بحق الاسلام ما اعتبر استبداد هو فى حقيقته تنفيذ لقانون الهى من وظيفة الحاكم الاســلامى أن يرعاه ويحفظه .

● دكتور عادل صادق أستاذ الأمــراض النفسية والعصبية بطب عين شمس :

« بدأت تزداد بين نجــوم التمثيل ــ الأعداد من صرعى الهروين ، وأصحاب هــذه الأخبار يتنوعون بين فنانين وفنانات .

ومن عجب ــ وتلك قدرة الله ــ أن يلــزم العمل الحرام أزمة لاتفارقه ، فهى معه منــذ البداية حتى النهاية ، تؤكد أن العدول عن طاعة الله مهلكة ، وأن الله ــ سبحانه ــ لم يحــرم الا ما ضر وهلك .

« مجلة الأزهر »

دكتور عادل صادق أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بطب عين شمس يقول :

ان الفنان فى مرحلة خوف دائم من المنافسة فالصراع محتدم وهو فى احيان كثــيرة صراع غير شريف .. وحياة الفنــان ــ كما تعلم ــ مقترنة بتواجده فى افضل صورة .. وعنــدما

من خير ما كتب

يشعر لسبب ما أن هذا التواجد أصبح مهددا بالخطر نتيجة لظهور منافسين جدد أو لتعرضه لبعض الاحباطات فان ذلك يصبح كفيـــلا بسحقه من الداخل فيلجأ للادمان كمحاولـــة للهروب من الواقع أو لخلق عالم جديد مليء بالنشوة والسعادة الوهمية .. والتحليق .. حيث أن « شمة » واحدة من الهيروين تجعل الانسان خفيفا ونشيطا وكأنه يطير أو يسبح فى الفضاء .. ولكن هذا التأثير الكاذب سرعان ما ينتهى .. ويفيق الانسان على الواقع المؤلم الذى حاول الفرار منه ، فيلجأ للتعامل مرة أخرى مع هذا المسحوق الكاذب .

● ولكن هل يمكن علاج المدمن وعودته لحياته الطبيعية ؟

يقول الدكتور عادل صادق :

من الممكن أن يحدث شفاء المدمن فى بعض الحالات من آثار الهيروين ولكن الأمر يتطلب قدرا هائلا من قوة الارادة والتصميم لكن للأسف يحدث انتكاس فى معظم الحالات .. لأن الفنان لا يتعلم من خطئه .. كما أن الكثير منهم يقطعون العلاج بمجرد الاحساس ببوادر الشفاء ويعود لسلوكه السابق فى التعامل مع الهيروين كوسيلة للهروب من الاحساس بالخوف والاكتئاب والحزن .

ويضيف د . عادل صادق عن الأعراض التى تصاحب ادمان الهيروين فيقول :

انها أعراض الانسحاب . حيث تبدأ معاناة المدمن عندما لا يأخذ الجرعات التى اعتادها فيشعر بآلام حادة فى مناطق متعددة من جسمه مع (زغللة) فى العين ، وسيولة فى اللعاب ودموع العينين مع افرازات من الأنف وارتعاش العضلات وشحوب مخيف فى الوجه ، وصعوبة التنفس بمعنى أن الانسان يتحول فى فترة قصيرة جدا الى كيان مهلهل .. ثم تبدأ رحلة النهاية التى تصبح فى هذه الحالة أمرا محتوما !!

ان أكبر نسبة من متعاطى الهيروين فى مصر .. من الوسط الفنى ويبرر الدكتور عادل هذا القول :

بأن مادة الهيروين باهظة الثمن بشكل مخيف . حيث ان الشمة الواحدة يصل ثمنها الى ثلاثمائة جنيه وهى رفاهية لا يقدر عليها الا اثنان فقط التاجر أو الفنان .. أى هؤلاء الذين لا يقدرون قيمة المال ولم يبذلوا الجهد الخارق للحصول عليه . ولكنهم فى معظم الحالات من هذا الصنف الذى هبطت عليه الثروة بعد سنوات حرمان وبأسلوب ما فالفنان الذى يتقاضى عشرات الآلاف فى الشهر الواحد ولا يعرف هو شخصيا كيف ارتفع دخله لهذه الأرقام الفلكية يلجأ الى أفخر أنواع المنبهات الهيروين

مأساة فى مطعم

وقصة أخرى يرويها أهل الفن عن أحد شباب السينما بل أكثرهم شعبية وموهبة فنية .. حيث كان يجلس فى أحد المطاعم مع نخبة من الأصدقاء ، ويبدو عليه بعض الانهاك والارهاق . فهو يعمل فى أكثر من فيلم ومسلسل فى وقت واحد .. بالاضافة لبعض المشاكل العاطفية والاسرية التى صادفته فى الآونة الأخيرة .. ولاحظ الجميع شرود نظراته وارتعاش عضلات وجهه ولكنه رغم ذلك كان يحاول جاهدا أن يبدو متماسكا . واستغرقت

المجموعة في حوار مرح ، حتى فوجئوا بوجه الفنان الشاب يسقط في طبق الشوربة .. ومنعا للفضيحة تعاون الأصدقاء على حمله والخروج به من المكان وسط دهشة رواد المطعم وذهولهم .

ويعلق الدكتور عادل صادق على ذلك فيقول ان الفنان عادة يعيش صراعات رهيبة ومخيفة .

فكل فنان داخله احساس ما بأن أمامه عاما او اثنين من النجاح ثم يأفل نجمه . وكلما ظهر في الأفق منافس أو وجه جديد يزداد احساسه بالخوف . لان وسائل الاعلام تضغط بهذا المنافس الجديد وتعطيه مساحات من الدعاية والاهتمام .. فتزيد احساس الآخرين بالتوتر لان الوسط الفنى في مصر يستغل نجومه أسوأ استغلال

والأمثلة أمامنا كثيرة فتجار السينما يتعاملون مع النجوم كسلعة .. فمجرد نجاح ممثل ما ..يهرع اليه المنتجون ويسرفون في تدليله ويعطونه ما يطلب من مال وتنهال عليه العروض لدرجة انه لا يجد الوقت الكافي لينظر لنفسه في المرآة .. ولكن هذا الفنان أو غيره عندما يتسع انتشاره ويشعر الجمهور بتشبع من وجوده تهبط أسهمه في السوق ولا يجد أحدا يسأل عنه وسرعان ما يهبط من عليائه ليجد نفسه نهبا للاحباط والاكتئاب

انهم يقتلون الجياد ..

ويضيف الدكتور عادل صادق ان المنتجين في مصر يتعاملون مع الفنان . كما يتعامل محترفو السباق مع الجياد التى يحقنونها بالمنشطات والمنبهات فتدخل الحلبة وتبلى بلاء حسنا ولكنها تخرج منهارة وتفتقد القدرة على الاستمرار فيطلقون عليها الرصاص .

ان معظم مدمنى الهيروين من الوسط الفنى ينتمون الى فئة « الكوميديا » حيث يعطى « الهيروين » خفة في الحركة ولباقة وقدرة على الاضحاك ، ويجعل الفنان خفيف الظل ، مرحا ، سريع البديهة .. لأن أسلوب الكوميديا في مصر يصرع الفنان لأن النصوص المكتوبة تفتقد لعناصر الاضحاك وتخلو من الحدث والمواقف الراقية ، فيقع العبء كله على الممثل الذى يتحول على خشبة المسرح الى « بلياتشو » .. ويصبح مطالبا بانقاذ العمل من السقوط فيبذل يوميا وعلى مدى شهور قد تمتد الى سنوات جهدا خارقا أمام الجمهور ويستخدم كل وسائله المشروعة وغير المشروعة ويضطر الى المبالغة في الحركات أو استخدام النكات اللفظية الفجة . ولابد له أن يجدد يوميا من هذه النكات . وهذا يتطلب قدرات خارقة ولا تتوفر لكثير منهم فيلجأون الى تعاطى الهيروين ويضيف الدكتور عادل صادق :

لقد عايشت الكثير منهم . وأعرف ما يعانيه فنان الكوميديا الذي يحرق نفسه كل ليلة من أجل الفوز بضحكات الجمهور . ولكنه للأسف يدفع الثمن .

❋ أما النهاية .. كما يحذر منها الدكتور عادل صادق :

فانها تأتى بصورة حتمية وخلال عدة أعوام قد تمتد الى اربعة أو خمسة على الأكثر ولكنها مخيفة ورهيبة في معظم الأحيان حيث تترك سعداء الحظ منهم في حالة غير بشرية وتحولهم الى كتل منهوكة من الآلام النفسية والجسدية ولا ينفع معها أى أنواع العلاج .

والثالث عن تدوين الحديث وأعلام المؤلفين فيه (لم يطبع) .

٣ ــ غيث المستغيث فى مصطلح الحديث (طبع) .

٤ ــ المعلم بشرح المختار من صحيحى البخارى ومسلم (طبع) .

٥ ــ أبو هريرة فى الميزان (طبع) .

فيه تمحيص لتاريخ أبى هريرة وتفنيد ما ألصق به من مفتريات الملحدين والمستشرقين وأذنابهم على ضوء البحث العلمى الصحيح والنقد التحليلى الدقيق ؛ وفيه رد على الطاعنين فى روايات أبى هريرة لكثرة الرواية عنه ولقد تبين بالاثبات العلمى أن أبا هريرة لم ينفرد بحديث ، وما من حديث رواه الا رواه صحابى آخر أو أكثر .

٥ ــ القرآن الكريم والقضايا الانسانية الكبرى وبينات الكتاب المعجز تضمن عدة أقسام :

(أ) الرسالة المحمدية وعمومها وختمها .

(ب) اثبات وجود الله على ضوء العلم .

(جـ) اثبات توحيد الله ذاتا وعبادة .

(د) اثبات البعث والجزاء الأخروى .

(هـ) المنهج الاصلاحى للفرد وللجماعة (لم يطبع) .

٦ ــ آيات الألوهية فى القرآن الكريم . (لم يطبع) .

٧ ــ التأمين من الزاوية الاسلامية (لم يطبع) .

٨ ــ فى ظلال الاسلام ــ وهو سلسلة من الرسائل الاقتصادية :

التأمين ــ المصارف ــ المعاش (لم يطبع)

٩ ــ تفسير القرآن الكريم حسب النزول . وانتهى الى قوله تعالى : « **وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** » نهاية الزمر (لم يطبع) .

وكتب عدة مقالات حول « ابن تيمية يرد على ابن تيمية » كانت تطبع لتوضع فى أيدى طلبة كلية الشريعة بمكة المكرمة ليعرف الطلبة منها حقيقة ما ينسبه بعض العلماء الى ابن تيمية .

فكان الشيخ يأخذ المسألة التى يتداولونها عن ابن تيمية ويقارنها بما يردها من كتب ابن تيمية نفسه .

*** شيوخه وتلاميذه :**

لانسى هنا أن نذكر بعض شيوخ شيخنا وبعض تلاميذه . فقد كان من شيوخه فى الدراسات العليا فضيلة الشيخ محمد الاودن ــ رحمه الله ــ مدرس الحديث بكلية أصول الدين وفضيلة الامام الأكبر الأسبق الشيخ الخضر حسين .

ومن تلامذته وزير الأوقاف الحالى د . الأحمدى أبو النور ــ وغيره كثير ممن نهل من علم الرجل شرقا وغربا . فقد كانت حياته ــ رحمه الله ــ رحلة موصولة فى الجهاد العلمى حتى لقى ربه فى أوائل ذى الحجة ١٤٠٤هـ فسلام عليه مع الصديقين والشهداء والصالحين ورحمه الله رحمة واسعة .

عاطف زهران

فهرس العدد

فهرس أسماء الكتاب

مرتبًا حسب الحروف الهجائية

إعـــداد

الأستاذ/ حسن سليم حسن

الأستاذ/ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

فهرس المقالات

مرتبا حسب الحروف الهجائية بإسقاط (ال) التى للتعريف فقط

اعده

ابراهيم حلمى احمد ـ ابو القاسم ابراهيم

هدايا مجلة الأزهـــر عـــام ١٤٠٥ هـ

« الهجرة »

« الدروس الحسنيه »

« المختار من ارشاد المريدين لسيرة سيد المرسلين »

المختصر في مصطلح اهل الاثر »

« مستقبل الحضارة الاسلامية »

« في مسألة السفور والحجـــاب »

« عودة القدس »

البابية والبهائية في الميزان

« رمضان تفسيرا وحديثا وفقها »

« نبع الهدى ومكانه »

اسرار الماسونية

« الحج تفسيرا وحديثا وعبادة »



The _ Editorial board of The Al _ Azhar Magazine highly welcomes suggestions, proposals and Articles for The English Section; particularly from readers abroad.

The Editor

Jummada Al-Akhira, 1405 H. Part 6.

1- The confederates P. 1044,Dr. A.M. EL-Naggar.

2- Life after death P.1036,Soliman Barakat.

3- The way of Righteous P. 1034, Magdy A. Basheer.

(Both 2 and 3 were published with errors in Page sequence)

4- Believers Ignore the Envious. Translations from Sayed Al-Khatir by Imam Ibn Al-Jawzy. P. 1927, Sonia Hill.

Rajab, 1405 H. Part 7.

1- The Confederates and Bani Quraiza, P.1252,Dr. A.M. El-Naggar.

2- Life after death. P. 1246,Soliman Barakat.

3- Way of Righteous . P. 1242,Magdy A. Basheer

(Both 2 and 3 are correction of Errors in Part 6.)

Shaban, 1405 H. Part 8.

1- The Vanquish of Bani Quraiza P. 1412,Dr. A.M. El-Naggar.

2- Life after death (II) P. 1405 , Soliman Barakat.

3- The codes of Islamic social life. P. 1402 , Nasr El-Din A. Sholkamy.

Ramadan, 1405 H. Part 9.

1- The end of fifth year P. 1586, Dr. A.M. El-Naggar.

2- Translations from Riyad Al-Saleheen by Imam Al-Nawawy P.1581, Soliman Barakat.

3- Fasting Ramadan and its Morals. P. 1577, Nasr El-Dien Al-Sholkamy.

Shawal, 1405 H. Part 10.

1- The Beginning of the sixth year. P. 1750, Dr. A.M. El-Naggar.

2- Translations from Riyad Al-Saleheen P. 1745, Soliman Barakat.



INDEX OF ENGLISH SECTION

VOLUME 57.

1405 H.



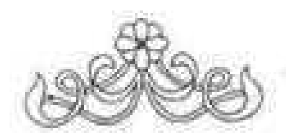
time the instructor answered in the affirmative, for who could stand in between him and repentance. He advised him to go to a land where people used to serve God, to serve Him with them, and never get back to his own land which was a land of evil.Forth the man went, but hardly had he covered half the way when death came upon him. Angels of Mercy and Angels of Chastisement disputed over him. The Angels of Mercy said: " He came to us in repentance, turning his heart towards Allah." The Angels of Chastisement said:" He has never done a bit of good." Then, up to them came an Angel in the semblance of a human, whom they agreed to make arbiter between them, He said to them: " Measure in between the two lands and let him belong to that which he is nearer." On doing so, they found him nearer the land he had been making for; and so the Angels of Mercy took him on, (Agreed upon).

According to "Sahih; i.e. Genuine and valid Narrative", he was a span nearer the land of the righteous, and was therefore counted one of its folk. According to another "Sahih Narrative"; Allah inspired the one land to tend further away and the other to draw nearer and nearer, and He said, "Measure the distances he has made in between." Being found a span nearer the latter, he was forgiven his sins. Still, according to a third narrative, he was nearer by the breast,

---

(1) Ablution following sexual intercourse entails a full bath. " Defilement" is not a very accurate term, and is not suitable for a believer either.

(2) Though not homonyms, the Arabic for 40 and 70 sound so near that an error may result from acoustic failure.



"Have you ever heard him say anything concerning passion?" I asked Safwan, who said: " Yes , We were with the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, attending him during a journey, when a bedouin called him in a yelling voice: "Muhammad!". In an approximate shouting voice the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, answered him: "Here I am", I said to the Bedouin, "Woe to you! subdue this voice of yours. You are in the presence of the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, and you are ordained not to shout to him." However, the man retorted, " By Allah, I will not subdue it." Addressing the Prophet blessed be he, he said, " How about a man who loves such folk as he does not overtake?" The Prophet, be upon him blessing and peace from Allah, said to him, "One will on the Day of Resurrection be with those whom he loves." Then the Prophet, blessed be he, went on to talk to us till he mentioned a door from the west as wide as a camel-rider might take forty or seventy years[2] to cover.

Sufian, a narrator of Hadith, said that door to be Syria-ward, created by Allah on the day He created the Heavens and the Earth, open for repentance and never to be closed till the sun makes its rise through it. (Tirmidhy and others)

8- On authority of Said Ibn Malik Al-Khudry, may Allah be pleased with him, the Apbstle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah, said:

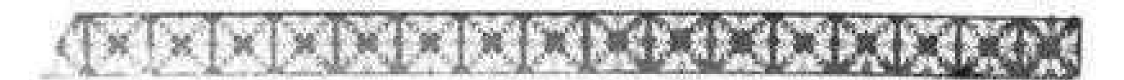
"There was of those before you a man who, having killed ninety-nine souls, inquired about the most learned man on earth. He was referred to a hermit whom he went to visit and tell that he had slain ninety-nine souls, and asked if his turn to Allah could ever be accepted. The hermit answered in the negative, so that the man killed him, too, thus completing a hundred. Again he inquired about the most erudite man on earth and this time he was referred to a man of great knowledge. He went to visit him and ask him if there could ever be a chance for his repentance to Allah to be accepted, having slain a hundred souls. This

4- On authority of Abu-Mussa Al-Ashary, may Allah be pleased with him: said:
The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah ,said: "Allah exalted be He spreads out His hand by night so that he may repent who has sinned by day, and spreads out His hand by day so that he may repent who has sinned by night, till the sun rises from its set." (Muslim).

5- On authority of Abu-Huraira, may Allah be pleased with him: said:
The Apostle of Allah, be upon him blessing and peace from Allah ,said: "Allah will turn towards him who repents to Him before the sun rises from its set (Muslim).

6- On authority of Abd-Allah Ibn Omar Ibn-El-Khattab, may Allah be pleased with them, father and son; said:
The Apostle of Allah, blessing and peace from Allah be upon him said: "Allah, Majestic in His Glory, accept His servant's penitence unless he is suffering the gurgles of death." (Al-Tirmidhy)

7- On authority of Zirr Ibn Hubaish, said:
I called on Safwan Ibn Assal, may Allah be pleased with him, to inquire of him about the replacement in ablution of washing one's feet by wiping one's shoes. (He said to me,) " Well, what have you come for, Zirr?" "Pursuit of knowledge," I said: He said" Angels repose their wings for the pursuer of knowledge in satisfaction at his aspiration " I said to him,"My breast is troubled with suspicion about the validity of shoe wiping in ablution following the discharge of excrement and urine.You were a companion of the Prophet , be upon him blessing and peace from Allah, and so I come to ask you if you have ever heard him say anything in respect of that."
He said, "yes, he did, He used to ordain us, both on travel and during stay, not to take off our shoes before three days and nights, save from the uncleanness of sex [1] , but not from excrement, or urine or sleep.



Nur XXIV, Verse 31) "Turn to Allah, all together, believers, that you may prosper." In Surat Houd (XI , Verse 3),He says, "Ask forgiveness of your God,and in Surat Al-Tahreem (LXVI, Verse 8) He says, "Believers, turn to Allah in sincere repentance that your God may acquit you of your evil deeds."

1- On authority of Abu-Huraira, may Allah be pleased with him; said: I heard the Apostle of Allah say, be upon him blessing and peace from Allah: " By Allah, I ask forgiveness of Allah and turn to Him over seventy times a day. " (Bukhary).

2- On authority of Al-Agharr Ibn Yassar Al-Muzany, may Allah be pleased with him; said:
The Apostle of Allah said, be upon him blessing and peace from Allah: "Men, repent to Allah and seek his forgiveness. I myself turn to him a hundred times every day." (Muslim).

3- On authority of Anas Ibn Malik Al-Ansary, may Allah be pleased with him; private of the Prophet be upon him blessing and peace from Allah .
The Apostle of Allah said, be upon him blessing and peace from Allah "Allah surely joys in His servant's turn to Him more than does any of you who comes upon his camel which he had lost in an open waste land." (Agreed upon).
In another narrative by Muslim, it says: " Allah surely joys in His servant's repentance, when he actually turns to Him, more than does any of you whose mount has overthrown him and taken to flight with his food and drink on it, so that in black despair of ever seeing it again he goes to lie in the shade of a tree, and unexpectedly it is there waiting for him. He takes it by the halter in so great happiness that he misconstructs his thanksgiving and says; Allah, you are verily my servant and I am your God."



RIYAD AL-SALEHEEN BY

IMAM YEHIA IBN SHARAF AL-NAWAWY AL-DEMASHQI

Translated by: Soliman Barakat

CHAPTER - II

REPENTANCE

Scholars of Islam say that return to Allah is obligatory of every sin. If a misdeed is confined to the sinner's disobedience towards Allah, high exalted be He, not in the least injuring the rights of a human, then the wrong doer has to fulfil three conditions: the absence of any will render his repentance void:
a) he breaks himslf of the sin;(b) he feels really sorry to have committed it; and,(c) he determines never to repeat it.

On the other hand, should the misdeed touch a human, it is incumbent on him to add a fourth condition, i.e. to clear himself of the offended party's due. He has to repay him his wealth if such is his right, or to give him the power to penalise of absolve him in case it is a moral offence, like slander or backbiting.

A sinner has to repent of all his sins. If he repents of one, this is valid in the eyes of the people of the Truth, even though he is still chargeable for the rest.

Evidence from the Qur'an, Traditions and Consensus points out the necessity of repentance. Exalted be He, Allah says in Surat Al-

eleventh month, Zu Al-Qida of the sixth year, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to visit the Holly Kaba by performing Umra, and was not out for battle. Then was the meeting of Al-Hudibiah, and the consequential events that followed in the life of early Muslims and the life of the great master.

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.

References:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981.
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library. Cairo

3. Mashahid Min Alsira Alatirah.
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library-Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
   Mohammad Hussein Heikal
   Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
   Text, Translation and commentary
   Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
   Dr. Mohammad Ramdan Albooty
   7th., Edition, 1977.
   Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
   Imam Ismail Ibn Katheer
   Revised by Mustafa Abdel-Wahid
   Vol. 2, 1983 Edition.
   Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
   Ibn Qayem Al-Gouziah.
   Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
   and Abdel-Quader Al-Arnaoot.
   Mouassasa Al-Risalah.
   Beirut, 1981.

it is good for you. To every man among them (will come the punishment) of the sin that he earned. And to him who took on himself the lead among them, will have a grievous penalty.

(Surat Al-Nur XXIV,11).

"And why did ye not when ye heard it, say? It is not right of us to speak of this: Glory to Allah. This is a most serious slander"

(Surat Al-Nur, XXIV,16).

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced the holy words of the revelation of the Quran to the people , and ordered that Mistah Ibn Athathah, Hassan Ibn Thabet, and a woman Hamnah Bent Gahesh receive their penalty for indulging and propagating the talk of slander. The hypocrites, Abd Allah Ibn Ubaii Ibn Salool and his clique received no punishment, because they slander without being directly involved or responsible for the words circulating.

The incident of the slander was an important event in the life of Muslims at that time and through all ages. Quranic legislation strictly specified the exact criteria for accusation and litigation for the act of adultery for both man and woman. Without the complete perfect fulfilment and satisfaction of these criteria, the indictment for adultary will be unfounded. The basic criteria are the witness of four men of well reputed piety and genuine character. The act in itself has to accord to specific anatomical considerations. The details of such criteria and considerations are well explained in reference books in Sharia and Fiqh.

With the expedition of Banu Al-Mustaliq and the settlement of Muslims at Al-Madinah comes the closure of yet another phase in the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This brings us towards the end of the sixth year after Hijrah. During the

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) consulted and conferred with men of wisdon and honour. The answer was always the same, that his wife Aisha is highly reputed for dignity and unquestioned chastity purity and immaculacy; also that the accused party Safwan Ibn Al-Muttal was known to be a man of distinguished character and genuine piety. Deep at heart, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was certain of his wife's innocence of all such sin. However, in order to meet the demand for public assurance of the reality of innocence, a heavenly message of revelation was necessary to establish that innocence. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went to see Aisha at the home of her father Abu Bakre, and said addressing his wife "Aisha, I have heard about you such talk, if you are innocent, Allah will declare your innocence; but if you are guilty of any sin, ask pardon and mercy and repentance from Allah". There was no answer to these words from Abu Bakre nor his wife even when Aisha asked them to answer in her defence. Aisha then said " I know you have heard what you heard till it precepitated within yourselves to the extent of belief. If I say innocent, and Allah knows I am innocent, you will doubt my words and if I confess to what is not true, and Allah knows I am innocent ,you will believe me.I can only say humble patience, and Allah is my Savior and Redeemer." she said these words and left the gathering to her room.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) still in the house of Abu Bakre was overtaken by a trance of abstraction and self absorption experiencing severe profuse sweating, the revelation had come, His face lighted with pleasant smile, and after sometime said "Aisha, Allah has declared your innocence in the words of the holly Quran, the words of Allah, an everlasting innocence and exoneration.

"Those who brought forward the lie are
a body among yourselves. Think it not
to be an evil to you; On the contrary

ce. She hurried back to where she was to look for the necklace till she found it. Back at the camp, she found everybody had departed. The camel drivers carried her palanquin empty thinking that she was inside , due to her unusual light weight. Aisha (may Allah be pleased with her) young, inexperienced in life, and naive,remained in her place wrapped up in her garments,knowing that when she 's missed, they would return for her.

As Aisha lay wrapped up in her garments, one of the men who usually tail the camp passed by Aisha.The man was Safwan Ibn Al-Muattal Al-Sullami who quickly retreated his step when he recognised Aisha, having seen her before the veil was ordered. No words were exchanged. He kneeled his camel and retreated till she mounted, and took the lead of the camel and ran to catch up with the people. They reached them as they were resting; and the slander started highly augmented by Abdel-Allah Ibn Ubaii Ibn Salool, accusing Aisha with Safwan.

When the whole troop was at Al-Madinah, Aisha totally ignorant of the talk of the slander was taken by sudden illness. During her illness, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not show his usual kindness and compassion to her. Noticing his indifference Aisha took permission to move to her mother's home to be nursed. Still she was ignorant of the talk of slander. she recovered from her illness after one month, and still during all that period of time,Aisha was ignorant of her defamation on the tongues of the hypocrites and few others who carried the gossip. One night, Aisha went out (as was the custom) into the open for her needs, accompanied by a woman called Um Mistah. As they walked, Um Mistah tripped in her dress, and cursed Mistah. Aisha told the woman "how can you curse a man who has attended the battle of Badre". The woman replied " have you not heard what he and the hypocrites speak in slander", and told the whole story. Aisha was struck aghast dumfounded and shocked by what she heard from Um Mistah. At her mother's home she sank in severe oppression, continuous weeping, and restless nights.



THE SLANDER

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D. PhD.

In the name of Allah most Gracious most Compassionate

The story of the Slander was the second and more important incident that took place during the return of the Muslims after the confrontation with Banu Al-Mustaliq. This incident of defamation of the wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), Aisha Bent Abi Bakre; is in fact one of the most vicious and distressing events that was initiated and programmed by the hypocrites. It stands out unique in the art of psychological and social destruction and humiliation, a malignant art by which hypocrites have been well reputed at all times.

It was the custom of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to cast lots in order to speculate among his wives which of them was to accompany him on a certain expedition. By this process , Aisha Bent Abi Bakre accompanied him during the confrontation with Banu Al-Mustaliq. Women travellers occupied a specially covered flat seat, a palanquin, which was tied to the camel back firmly, and the camel driven by camel drivers. Women would sit ready inside their palanquin before the journey starts. The palanquin would be covered.

fter t... confrontation with Banu Al-Mustaliq was over, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was on his way back to Al-Madinah, he spent part of a night at some place, and then during the night, it was announced that departure was soon. Aisha went out away from camp (as was the custom) to meet a demand for evacuation. When she was back in camp, she discovered the loss of a stone neckla-



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION